الجزء الثالث والعشرون

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من
انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث
النزال الامير عنترة بن شداد
وهي السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليـــه



محل مبيعه

(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين افندى شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

الطبعة الثانية

(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال الاصمعي) رضي الله تعالى عنه ان شيبوب قال ولم أكن قدمت بين يدي جزع ولا مخاف وأتيت الى طوالة الخيل الذي له وسلمت منهم جوادا أدهم كأنه الغراب الاسحم فسحبته على يدي كأني أريد أسقيه وكل من في القوم ملتهي بما هو فيه الى أن خرجت به من العسكر فركبته وسعيت حتى أتيت به الى عروة وبين يديه أوقفته فقال لي أي شيء هذا فقلت له هذا جواد سرقته فقم الآن واركب انا لي أخلص بعض الاسارى وأكون لك تابع وها أنا أيضا قد سرقت سيف قاطع ودرع مانع قال وكان شيبوب لما أخذ الجواد نظر الى درع معلق مليح النجاد والى سيف معلق قاطع الحداد فأخذهما في صحبة الجواد لما سرقه وسار الى ان أتى بهم الى عروة الفارس الجواد فلما لبس عروة الدرع وتقلد بالسيف وركب الجواد فقال لي لا بقيت أبالي بالرجال ان كثرت أو قلت ان كانت في ازدياد الا انني جائع أيها الفتى الهمام فقلت له قف مكانك حتى انني آتيك بطعام قال شيبوب ثم اني عدت الى العسكر وشقيقت بين المضارب والخيام وجعلت أقول أنا رجل مسكين وغريب ووحيد وعابر سبيل هل عندكم شيء من الطعام فقد غصني الجوع وقلبي من قلة الاكل موجوع فقالوا قف مكانك أيها الفقير ثم انهم أتوني بخبز كثير ولحم غزير وتمر أحلى من العسل فحملت الجميع وأتيت بهم الى عروة من غير مهل فأكل حتى شبع واستراح فقلت له قم الآن واركب يا فارس البطاح فقام قائما وأراد أن يركب ويسير من غير مهل واذا نحن برايات وضرب بوقات ومشاعل بالنار تشعل وقد أقبلت فرسان من الموت لا تخاف فتبينهما نحن واذا بالملك عبد هياف قد أقبل فوقع الخبر في العسكر فنفرت اليه السادات وظهرت اليه القادات واشعلوا الشموع والمشاعل واشهروا الاسياف وانقلب العسكر بقدوم الملك عبد هياف قال شيبوب فلما نظرت الى ذلك الحال قلت لعروة بن الورد قف مكانك ولا يلحقك انذهال فاني قد عولت أن أسرق بعض الاسارى ما داموا الناس في هذه الاشغال (قال الراوي) هذا الكلام وكان سبب مجيء الملك عبد هياف ومن معه من الفرسان أنه كان قد وصل اليه الخبر بان عنتر بن شداد بعد ان كان مات واندثر في البرارى والقيعان قد عاد سالم وعاش وعاد الى نصرة بني عبس وعدنان فلما سمع الملك عبد هياف هذا الخبر حار وأخذه الانبهار وغرق في بحار الفكر وخاف لا يجري أمر على الملك الاخضر فركب من المدائن في مائتين ألف فارس

وأمرهم بالمسير في ذلك العسكر وسار يجد المسير في البر الاقفر ولم يخاف قط من بشر الا انه على ذلك الحال وأراد أن يفعل ذلك الفعال الذي هو معول عليه قال أنا أريد كلما وقع في يدي أسير من بني عبس أقتله ثم انه في عاجل الحال أمر باحضار عروة بن الورد حتى يضرب عنقه ويصلبه على جذع النخل وكل من معه من الرجال وان يرشقوهم بالنبال فعند ذلك انطلق حاجب من بعض الحجاب له ومضى الى هذه الامور والاسباب ولم يزل سائر الى نحو الاسارى فوجد الجميع قد هربوا (قال الراوي) وكان السبب في هروبهم كان شيبوب وقد أتى حتى انه سرقهم وقد وجد ابنه الخذروف يعالج في قيودهم والسلاسل التي في أعناقهم فتعاون هو وابنه عليها حتى خلصوا الجميع منها قال نجد وقال الخذروف قبل أن يصل شيبوب الى هناك قد سرق غشم بن مالك ومضى به طالب الجبل حتى وصل الى تلك المغارة فدخلها فوجد عروة داخلها ففرحوا ببعضهم البعض ورأوا التلاث العساكر التي ثارت في تلك الارض فقال الخذروف لغشم اجلس مكانك حتى أسرق لك جواد فقال له اسرق لنا أمير من ذلك الرجال الاجواد أخير من ألف جواد (قال الراوي) فعاد الخذروف حتى وصل الى عند الرجال وجعل يعالج في السلاسل والاغلال فأتى شيبوب فوجده على هذا الحال فتعاونوا الاثنين على خلاص الاسارى ولم يزال شيبوب يسرق واحد والخذروف يسرق واحد وكلما سرقوا واحد يوصلوه الى المغارة بسريع حتى سرقوا الجميع الاذوالخمار فانهم ما قدروا أن يحلوه وعجزوا عنه فخلوه وكان أدركهم الصباح بمناره فساروا حتى وصلوا الى المغارة وبقوا من داخل ذلك المغار وكان قد بان النور وطلع النهار (قال الراوي) فهذا كان سبب هروبهم وخلاصهم من تعذيبهم وأما الحاجب الذي ذهب في طلبهم حتى يضرب رقابهم ويصلبهم فانه لم يجدهم بل وجد العبيد سكارى نيام والبعض مذبوحين مثل الاغنام فعندها نبه الحاجب النائمين وسألهم عن المأسورين فقاموا من المنام حيارى ولم يروا غير اغمار وذا الخمار والعبيد مذبوحين ودماهم تيار فلما نظر الحاجب الى تلك الاحوال أخذه الانذهال ومضى الى الملك عبد هياف وأخبره بجميع الاوصاف وقال له اعلم أيها الملك بان الاسارى جميعهم قد هربوا وان العبيد الذين كانوا موكلين ذبحوا وعطبوا قال نجد فلما سمع الملك عبد هياف ذلك المقال عظم عليه وتغيرت منه الاحوال وبقي في نار اللهيب وسكت عن السؤال فعند ذلك جرد سيفه وضرب رقبة الحاجب وقال على بباقي العبيد فضرب رقابهم وتركهم ممددين على الصعيد وقال لهم أنتم توانيتم في حفظ هؤلاء الاسارى حتى تم لهم ما تم ولو كنتم تحرصتم عليهم بكل سبب ما كان أحد منهم قدر على الهرب ثم انه بعد ذلك أقبل على العساكر وقال لهم اركبوا والى أعدائكم اطلبوا قال نجد فلم تكن الا ساعة حتى ركبوا وتسارعوا الى ما عليه انتدبوا (قال الراوي) فهذا ما جرى لهم وأصابهم من الحتوف (وأما) ما كان من شيبوب وولده الخذروف فانهم لما عادوا الى الاسرى التي خلصوهم ونظروا الى العساكر وقد طلبتهم وقد تقربوا منهم ولم يروهم هذا والارض قد تزلزلت والجبال قد انقلبت وصياح الابطال قد ادوت منه الجبال وقد اختلطت العبيد والرجال وقد همهمت الفرسان وتزاعقت الشجعان هذا والملك عبد هياف قد صاح فيهم صيحة قد ارتعدت منها الجبال وقال يا ويلكم اطلبوا هؤلاء الرجال واقصدوا الجبال وبطون الاودية والحوال في طلب هؤلاء الانذال الذين هربوا من الشد والاعتقال وقطعوا السلاسل والاغلال قال شيبوب فلما سمعت أنا هذا المقال وعرفت الحال لحضرت للرجال شيأ يركبوه وقلت لهم قوموا الآن أيها الابطال واضربوا بالسيوف الذي قد جبتها لكم وجودوا بهم القتال واركبوا من هذه الخيول الذي سلبناها لكم واعتقلوا بهذه الرماح واستعدوا للحرب والكفاح قال شيبوب ولم نزل سائرين حتى اشرفنا على جبل شامخ ليس فيه مسلك فعند ذلك وقفت الخيل ولحق الرجال التعب والويل فلما نظرهم أخي الى ذلك الحال وأبصر التعب الذي قاسوه الرجال فجعل يحمل الفرس على رقبته وهو بشدة تعبه وقد شهدوا الفرسان بقوة شجاعته وقال يا شيبوب اشهد لي بهذه الفعال ولم نزل سائرين في أوعار حتى ساءت بنا الاحوال فما وصلنا الى المستوى حتى عدمنا الحيل والقوى وقد بقينا على حالنا طالبين عسكرنا وبلادنا (قال الراوي) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من الملك عبد هياف فانه لما أعياه الحيل ولم يجد الاسارى في سهل ولا في جبل ضاق صدره وعيل صبره فنادى بفارس

فقال له كنانة بن الاشمط وكان يلقب بمرارة الموت لانه بطل شديد البأس صعب المراس وقال له خذ معك ألف فارس من بنى عمك والحق بهم هذا الشيخ المحتال وولده ابن الانذال الذين فعلوا بقومنا هذا الفعال واقتفى أثر الاسرى فى البرارى والدحال وان ظفرت بهذا الشيخ فلا تقتله بل ائتنى به أسيرحتى انى أصلبه وبعد الصلب أسحق عظمه وأشرب دمه (قال الراوى) وكان السبب فى معرفة هذه الاخبار كان من اللعين ذى الخمار لانه لما رآه فى السلاسل والاغلال سأله من الذى فعل هذه الفعال فاخبره بجميع الاخبار وان الذى سرقهما هو شيبوب أخا عنتر وابنه الخذروف الثعبان الاغبر فعند ذلك أرسل مرارة الموت فى ذلك الالف فارس فلبس سلاحه وركب جواده وسار وجد المسير فى تلك البرارى والقفار وقلبه محترق بالنار خوفا من عبد هياف فأنشد وقال

قلبي بنيران الغريم حريق * ودمع عينى على الجفون غريق
ونوائب الايام نازلة بنا * وأسيرنا من عندنا مطلوق
شيبوب لا كانت طريقك بعدها * الا رعود دائما وبروق
وكذلك الخذروف ابنك انه * سلال خيل لا يخاف مضيق

(قال الراوى) فلما فرغ مرارة الموت من ذلك الشعر والنظام سار فى تلك البرارى والآكام وجد المسير خلفهم بعزم واهتمام حتى وصل اليهم وطلع عليهم وبان غبارهم للنظار وهم يصيحون أين تهربون يا أولاد الزنا وبنى الزوانى ونحن خلفكم بلا توانى (قال الراوى) فلما نظر الامير هانئ الى ذلك الحال ولمع القواضب وزعيقهم قد على من كل جانب فعند ذلك عبس وقطب من كل بدر صار قاطب وحرك جواده وسبق وعلى القوم انطبق وتبعه غشم بن مالك وعامر بن الطفيل فرسان المنايا وخواضين الليل وطحنوهم طحن الحصيد وصار أكثرهم على الصعيد فعند ذلك قال الامير هانئ لغشم بن مالك وعامر وعروة والفرسان الصناديد سيروا أنتم قدامى وجدوا بالمسير أمامى حتى أشفى من هؤلاء الكلاب فؤادى ولابد لى من هؤلاء الاعادى قال شيبوب فلما رأيت أكثر الفرسان صاروا من شدة التعب على الارض طريح فالقيت ساقى الى الريح وطلبت البر الفسيح اعلى من نظر مرارة الموت أستريح فلما نظر مرارة الموت الى حالى فاراد انه لا يفوته منى فوت قال ويلك يا شيخ السوء ماذا تريد أن تفعل بشيبتك فقلت له سوف أريك ما أصنع ثم انى ركضت حتى ضربت بكعبى شحمة أذنى وصرت أقطع الفلوات والبرارى الخاليات وولدى الخذروف على أثرى كأنه نار يح الشمال حتى قطعنا تلك البرارى والقفار ولم نر ومنا غير الغبار فعندها قال مرارة الموت لا تتبعهما والله ما هؤلاء من البشر الا من الجن أو من عفاريت البر الاقفر (قال الراوى) وأما هانئ فانه صار يقاتلهم ويجادلهم ويحاربهم حتى كسرهم ثلاث مرات ويعودوا وهو كلما يرجع يعودوا اليه ويتصايحوا عليه حتى قربت عساكر بنى عبس وعدنان فقال مرارة الموت وحق ذمة العرب الاشاوس عمرى ما رأيت مثل هذا الفارس وأنا قد التقيت فرسان البر والبحر فى الحرب والنزال فما رأت عينى مثل هذا الفتى الرئبال ولا أشد منه فى الحرب والقتال لانه لاقى مثلى ومعى هذه الالف فارس وقاتل يوم كامل هذا القتال العظيم وخرج منا وهو سليم فوالله ما هو الا فارس جسيم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الكلام المبين (وأما) ما كان من الامير هانئ وغشم بن مالك وعامر بن الطفيل فانهم وصلوا الى بنى عبس سالمين فوقعت البشائر بقدومهم وفرحوا المقيمين بالقادمين وطلع الامير عنتر ودريد بن الصمة والملك قيس ومقدمين القبائل الى ملتقاهم فى تلك الربا والبطاح وهم فى الحظ والانشراح ووقعت العين على العين والتقوا بعضهم بعضا الطائفتين وتواقعوا جميعهم من على ظهور الخيل الى الارض وبعضهم عانق فى بعض وصار وابعانقوا الامير عنتر ويبكون وهم لرؤيته مشتاقون وكل منهم يقول يا أبا الفوارس هذا الذى نراه فى المنام أم أضغاث أحلام فقال عنتر يا وجوه العرب الكرام كلما قدره الملك العلام على العبد يلقاه من خير وشر على مدى الايام ولكن الحمد لله الذى كان عاقبتنا الى خير وعافية من الضرر والعناء ثم انهم ركبوا وطلبوا الى عساكرهم وهم فرحين مستبشرين ويقطعون الفلا والدكادك وكل واحد يحكى عن نفسه وما قاسى من المهالك الا عنتر فانه كان حائر ويسأل شيبوب عن عبلة بنت مالك

فقال له والله يا أبا الفوارس وحق من يحيى العظام الدوارس ما سمعت لها خبر ولا وقعت لها على أثر ولا عرفت أين هى من كثرة العسكر لانى كنت كثير الهم والبال من جهة خلاص الرجال ولا ملكت عنها السؤال ولا عن السبي والمال وأنا كنت على ذلك الحال ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى المضارب والخيام وهم فى فرح زائد وابتسام حتى انهم نزلوا وقر قرارهم وزاد فرحهم واستبشارهم فخلع عليهم عنتر الخلع الرفاع وزاد فى علو قدرهم والارتفاع وقدم الى الامير هانئ بن مسعود خمس جنائب أصايل ليس لهم مثال وكذلك مثلهم الى عامر بن الطفيل والى غشم بن مالك مثل ذلك وقد فرق عليهم الاموال والخلع الغوال (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من عسكر عبد هياف لما وصل لهم الخبر بجميع ما جرى عليهم من سرقة الاسارى على يد هذا الشيخ الذى ما مثله بشر وأيضا الشاعر الآخر لان الملك عبد هياف أحضر من تخلف من الاسرى صحبته مع ذى الخمار وسألهم عن الذى تسبب بخلاص الاسارى ومن هو على هذا الامر جسارى فأخبروه بالشاعر الذى أتاه وأباه شيبوب فقال عبد هياف وحق ذمة العرب ما بقيت أبقى على كل من لاقيته من شعراء الزمان ثم انه صرخ على جماعة من الفرسان وهم من أكابر قومه الاعيان وقسم عساكره قسمين خلى قسما منهم محاصرا كسرى أنوشروان والقسم الثانى أخذه وسار قاصدا عساكر العربان ثم جعل عليهم مقدم من الجبابرة وتوجه طالبا البر الاقفر وأخذ صحبته نصف العسكر وهم بالعدد الكاملة والدروع السابلة حتى وصلت الى مقابلتهم ووقعت العين على العين وتقابلت الفرسان والشجعان بالشجعان فتقدم الامير عنتر بن شداد وصف عساكره صفوف وجعلهم مائة ألوف وميمنة وميسرة وقلب وجناحين وتقدم الى بين الصفين وجعل فى الميمنة هانئ وزيد الخيل والى جانبه عامر بن الطفيل وجعل فى الميسرة روض بن منيع وخفاف وبسطام وأضاف اليهم غشم بن مالك ودثار بن رزق البطل الهمام وقال لهم أنتم الذى أنال بكم المجد والاحتشام ثم انه وقف فى القلب عند دريد بن الصمة والملك قيس بن زهير وعنده أولاده الخمسة وابن أخته الغطال الفتى الرئبال وأخوه مازن وسبيع اليمن صيد الرجال (قال الراوى) وكذلك فعل عبد هياف ورتب عساكره على هذه الاوصاف وقدم ملوكه وأقياله وادعى بمرارة الموت وقال له أريد تنزل الى الميدان وتأسر لى جماعة من هؤلاء الفرسان من الذى عليهم المعتمد بين الاقران ويكونوا من حماتهم لا تخلى منهم انسان وان عجزت أعلمنى بالحال حتى أخرج اليهم وأقضى الاشغال لان ما تم أمر يزعج قلبى وخروجى لهم للجدال ولا أليق على نفسى أن أبارز حلابين اللبن ورعاة الغنم فقال لهم مرارة الموت السمع والطاعة فأنا خارج لهم من تلك الساعة وأقود لك الجميع بين يديك ومن يكونوا هؤلاء حتى ان مثلك يصير لهم مشارك فى حومة الميدان ثم انه تقدم قدام مائتين ألف فارس فيهم كل مدرع ولابس كأنهم أسد عوابس وكبوا رؤسهم فى قرابيس سروجهم وقدموا الاسنة وأطلقوا الاعنة وصار لهم ضجة ورنة وقصدوا بجملتهم بنى عبس وبنى شيبان وقرادة وغطفان وبنى هوازن وهمدان (قال الراوى) فلما نظر عنتر الى هذه الامور الواقعة والاحوال الرائعة فكادت عيناه ان تدمع وكبده يتقطع لانه تذكر هول الوقعة الاولى وما جرى عليه وما أصابه فيها وما وصله من الاذية اليه فانطبق بقلب قوى وجنان جرى وصاح بصوت مرعب تكاد الفرسان من هوله ان تهرب ويلكم يا أوغاد غير أمجاد ويا أنذال العرب يا أخف من ضرب فى البيداء وما طنب قد حل للدين ان يقضى وللسيف أن ينتضى وحمل مثل شعل النار وهو يقول يا لعبس الثار الثار البدار البدار فقد آن أوان الدين ان ينقضى فى مثل هذا النهار الذى يبان فيه الفارس الكرار من الجبان الفرار هذا وقد صار ظلام الغبار منسدل من الآفاق وكثر طعن الرماح الدقاق وضرب السيوف الرقاق وزاد بهم الصياح والزعاق ومالت الفرسان الصناديد وساعدتهم الغلمان والعبيد وولت الانذال الرعاديد وأما عنتر فانه قصد ميمنة القوم فبددها ومال عليهم بنفسه فتهاربت من بين يديه الفرسان وقد قصدوا الى الجانب الآخر من الميدان هذا وقد ندم الجبان وحار وقصد الهزيمة والفرار من هول ما عاين من الضرار فى هذا النهار الكثير الشرر والاكدار الذى لم يسمع بمثله فيما مضى من الاخبار هذا وقد ربحت بنى عبس على أعدائهم الدرهم قنطار وبلغوا منهم ما كانوا أملوه ورأت منهم عساكر

عبدهياف حرب غير الذى كانوا يعهدوه وبنى عبس عليهم قد أقبلت لى صدور الاعداء رماحها وعاشت بعد الهمات أرواحها وتعالى فى الجو صياحها واتسع عليهم البر وزادوا فى الكر والفر وقد تصادموا على ظهور الخيل الاعوجيات واختلفت بينهم المنايات باختلاف الاصوات وطارت الجماجم من على غصون القامات بالسيوف المشرفيات وقلت العزمات وحارت ألباب السادات لما انهم قد تحققوا النظر الى اشارات الهمات وقد دار على الفريقين كأس الوفاة وتحسر الجبان على ما فات وطرب الشجاع وأظهر الثبات هذا وقد عاينت عساكر عبدهياف من بنى عبس والعرب أسد الدحال وشاهدوا منهم خلاف ما كانوا يعهدوه فى أول الحال فتغيرت منهم الاحوال وقلت منهم الهمات وفترت منهم العزمات وفرق عنتر ميمنة العساكر بطعنات نافذات وضربات قاتلات هذا وقد عظم المراس واشتد الباس وضاقت الانفاس وعدموا الحياة وتقطعت الجثث أثلاث وأرباع وأخماس وفقدت الصور البشريات وعدموا السعادات وندموا على ما فات مما عاينوا من الكائنات فكانوا على هذه الصفات كما قال فى حقهم المصنف هذه الابيات

لقد عظم الخطب بين السراة * بضرب الحسام وطعن القناة
وزاد الوهيج وقوى الضجيج * وذبح الوليج من الذابلات
فشخص جريح وهذا طريح * وهذا ذبيح على الرابيات
وهذا يصول وهذا يجول * وهذا مقتول من الناشبات
* وهذا تراه بلا ناصره * وقد سالت دماه وكره الحياه
وزاد العجاج وقوى الهجاج * وراموا الهياج من المرهفات
وعنترة الحرب وسط الضرب * ونال الارب بالصافنات
بطعن جسيم وقاب مهيم * وصان الحريم وأحمى البنات
نهار عبوس أسود ليوث * باعوا النفوس وجمع السراة

(قال الراوى) هذا وعنتر قد أراد استدراك الفوت وقصد الرايات وكان تحته مراره الموت فيل بالجواد اليه حتى انه يأخذ روحه من بين جنبيه هذا وقد علت الصرخات والعيطات والضجات وكثر الدخول والخروج وماجوا مثل يأجوج ومأجوج ورمت الفرسان أنفسها من على السروج وصارت الاقران أكثرهم منقلبة والصدور بالدم مختضبة والخيول شاردة والاهوال زائدة والعدد ممددة وعنتر يصول ويجول وقد أخذ الميدان عرضا وطولا وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

اذا شاءت أمطرت السماء لون عندم * وجندلت فرسان الهياج بلهذم
أنا ابن كرام الناس من كل سيد * أصول ببأسى فى الوغا وتقدم
هلموا الى قطع الرؤس فاننى * حرمت طعن القناة بمحرم
أنا فارس لم ينتج الدهر مثله * سوايا الفعل فى الورى وتكرم
أباعبلة انى فارس متقسور * وأقهر ذا باع وكل غشمشم
سأقسم بالبطحاء والركن والصفا * وأركانها والمشعرين وزمزم
بأنى أقيم الحرب فى حومة الوغى * وأشبعهم طعنا بأسمر لهذم
أقيم أبطال عبس على الناس كلهم * بجودى وعزمى وصارمى وأدهم
اذا نادت الابطال فى الحرب من لها * أنادى أنا الموت بالموت يرتمى
خلعت عليهم خلعة الحرب فالتوت * عليهم كأن الحرب دارة درهم
وأرديت كبش القوم منى بطعنة * ترى الرمح منى غارقا الصدر بالدم
أنا عنتر لكننى غير عابس * أنا البحر الا اننى غير علقم
أنا عنتر العبسى فارس قومه * وسابغ جسم القوم من لون عندم

أيا عبدهياف الذى قال اننى * قلت فقم للحرب وانظر تقدم
وان كنت تزعم انك الفارس الذى * أسرت ملوك الهند قهرا صمصم
فابرز ترى طعنا وضربا اذا بدا * تخر له الفرسان عربى وأعجمى
لانى أنا ألقى الفوارس ضاحكا * وهم يلتقونى فى بكاء غير تبسم
وابنى هو الغضبان فى الحرب عابسا * ينادى أنا المقدام عند التقدم
غصوب تقدم وانظر شيبوب عنتر * كبير ويلقى صدر كل عرمرم
وان اتكالى فى الحروب على الذى * يرى حركات النمل فى الليل مظلم

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظمه ونثره طربت الفرسان من هذا النظام وأخذهم الشوق والهيام فتمكنوا من الاعداء الحسام الصمصام وكان أكثرهم اشتياقا الملك قيس بن زهير الفارس الهمام فارس الآفاق فانه مكن من الاعداء السيوف الرقاق والرماح الدقاق وأشار يقول صلوا على طه الرسول

نحن البهاليل من عبس اذا اشتجرت * زرق الاسنة فى الهيجاء والقضب
يبيت أبطالها فى كل معركة * بضرب يهتك للاذراع واللبب
لا يبقى فى الوغى من فارس شرس * حتى نجندله بالويل والحرب
يهاب صولتنا من كان يعرفنا * من ابرينه من عجم ومن عرب
أبى زهير وقومى خير من حملت * نساء ومن وضعت من نسل ذى نسب
نحن الملوك ذوو التيجان نحملها * منا جماجم تهوى البيض والقضب
وعنتر فارس الفرسان تعرفه * كل الفوارس كشافا الى الكرب
يبيد فرسانها فى كل ملحمة * وتارك الدم فى الهيجاء ينسكب

(قال الراوى) فلما فرغ الملك قيس من هذا الشعر والنظام وقد أخذه فى الحرب الهياج والهيام واشتد الوجد والغرام فحمل وقصد القتام فلله در بنى عبس الكرام ولله در جار العلم وزيدان وميسرة وغصوب والغضبان وأما الامير عنتر فانه نثر الرؤس مثل الاكر وبدد الاعداء شرقا وغربا ومال عليهم بعدا وقربا وأشبعهم طعنا وضربا ونزف دم الفرسان وخطف منهم الارواح ومن الابدان فانكسرت من الفرسان السيوف ودام الضرب واختلف وجرى بينهما ما لم يجر لمن سلف وسال الدم على وجه الارض وازدلف وأشعلت الحرب نارها وقد ألقت الفرسان شرارها ولم يزالوا فى صدام ولزام حتى أقبل الليل بالظلام وولى النهار بالابتسام وقد اندهشت وحارت الابصار مما جرى عليهم فى ذلك النهار ومما قتل منهم فى حومة الميدان من فرسانهم والاقران لان عسكر الهند والسند عساكر لا تحصى بعدد الرمل والحصى ولكن قد حارت منهم الاذهان مما عاينوا من قتل الفرسان الا أن عبدهياف ارتدع وارتعب مما شاهد من حرب ذلك اليوم فقال وحق باسط الارض ورافع السماء ومن علم آدم الاسماء التى ما أظن جرى مثل هذا اليوم لمن تقدم من الامم لان قومى ما أمسوا الا فى العدم ولكن فى غداة غد أنزل الى الميدان ومقام الضرب والطعان والتقى هؤلاء الفرسان الصراع الذى كأنهم السباع فقالت له جميع ملوك الهند ومن يكونوا يا ملك الزمان هؤلاء الكلاب حتى ان مثلك يقاتلهم أو يبارزهم أو يعد روحه من أشكالهم فدعنا يا ملك لهم ولاشكالهم ولامثالهم فقال عبدهياف هذا ما هو شغلكم لانهم والله فرسان صناديد وشجعان أماجيد ولا يعمل فى الحديد الا الحديد وما هؤلاء الا أجاويد أبطال وما هم مثل غيرهم ولا سيما وفيهم مثل عنتر بن شداد الذى قتل واندثر ثم عاد واذا لم أبارزهم ما أبلغ منهم مراد ولا يشفى لى فؤاد ثم ان عبدهياف أوصى عبيده والخدام ان يعدلوا له خيله وآلة الحرب والصدام (قال الاصمعى) وقد نقل انه كان لعبدهياف مائة وخمسين حصان منها شئ بحرية وشئ تربية العربان سوى ما كان له من الجورة المسمية فى سائر البلدان ثم انه أمرهم أن يعزلوهم ويخدموهم حتى يثبت تحته فى الحرب والجولان ثم انه صاح فى العبيد وقال لهم اجعلوهم فى جانب الميدان حتى أعرف هؤلاء

العربان كيف يكون الضرب والطعان (قال الراوى) فهذا ماجرى لعبد هياف وأما ماجرى من عساكر العربان فانهم باتوا تلك الليلة يتعاندوا ماجرى لهم فى ذلك اليوم وماقاسوه من الحرب والطعان فقال لهم الامير هانى بن مسعود ماهؤلاء الاخلاق كثيرة وجيش غزيرة يا أبا الفوارس واى شئ الذى أطمع هؤلاء العربان من بلاد الهند الى هذا المكان قال نجد فأحكى له عنتر على جميع ماجرى وأخذ النوق ورجوعها الى صاحبها وكيف قتل الغضبان أخاه المرهف وهذا كان سبب طلوعها الاجل أخذ ثار أخيه ثم ان عنتر سأل هانى كيف كان وقوعه فقال يا أبا الفوارس أنا كنت دائر على ذى الخمار حتى انى آخذ منه بالثار فوجدته فى درب الهند على جنب غدير فالتقينا والتحم بيننا القتال والحرب والنزال واذا نحن بهذه العساكر دهمتنا فقاتلناها حتى ملكنا وقدمونا الى عبد هياف وماهو يا أبا الفوارس الاجبار ولا يخشى التلاف فقال له عنتر يا أمير هانى وحق ذمة العرب ماهو الا فارس شديد وبطل صنديد ولكن ان طلع غداة غد الى الميدان فذلك الوقت يبان الشجاع من الجبان كما قيل فى سالف الازمان عند الامتحان يكرم المرء أو يهان ثم ان عنتر ابتدا يحدث هانى عن باطن الامر الى ان تنقطر به الحصان وبقى ملقح على الارض وتجرح وما تم له مع العجوز وأولادها وكيف انهم كانوا غائبين أولادها ولما حضروا عرفوه وأكرموه وكيف انه انتقى جواده الابجر وكيف لقوه أولاده فى ذلك البر الاقفر وكيف ظهور زهاوان أم همادر ملك أخت ربيعة بن المكدم ثم انهم قد قطعوا الليل فى هذا الحديث حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ونحن وأنتم نصلى على زين الملاح فعند ذلك اصطفت العساكر وترتبت الدساكر وتعدلت ميمنة وميسرة وقلب وجناحين وحام عليهم غراب البين واصطفت الصفوف واعتدلت المائة والألوف وصاحت فرسان الحجاز بسوط واحد ليس عندها فزع ولا مخاف وقصدت عساكر عبد هياف فتلقتها فرسان الهند وشجعانها الانناذ كرنا ان عساكره الذى فى ديوانه أربعمائة ألف ويتبعها ثلاثين ألف من السودان وعساكر الملك الاخضر مائتين ألف عنان وألف ملك بألف عسكر هذا شئ لا يحصيه ديوان وكانوا هؤلاء انقسموا قسمين القسم الواحد منهم قدام العربان والقسم الآخر محاصر كسرى أنوشروان قال الناقل ونرجع الى ترتيب الديوان فلما حملوا هؤلاء الشجعان تلقوهم بنى عبس الاقيال وسائر الابطال الذى كانوا مع بنى عبس وهم مائة ألف عنان ولما التقت الصفان والتحمت الجمعان وزعقت البوقات وعلت الزعقات وتنكست الرايات واشتد الزحام وقل الكلام وتزلزلت الاقدام وفلق الهام وثار الغبار والقتام وتطايرت الرؤس وكان يومهم يوم عبوس وارتفع القسطل وزاد الهوجل وحمى وقيد البر وتصادمت الخيل وعظم الويل وقل القوى والحيل وعصفت الارياح وتثلمت الصفاح وراحت الارواح وتلفت الاشباح وطاشت الالباب وضربت الرقاب وتقاربت الى بعضهم البعض الفرسان وتصادمت الجيشان واختلطت العسكران وجرى من الاجساد العرق وكثر القلق والدم انهرق والحسام امتشق وتقربت الخياله وجالت الرجاله ورشقت بنبالها النباله فما كنت ترى فى ذلك اليوم الا سيف يلمع ورماح شرع ورؤس تقطع وتقع وعبيد تزعق وحراب ترشق ونفوس حائرة وغبائر ثائرة وجسد طريح وآخر ذبيح وهذا جريح ودمه على الثرى يسيح وتزلزلت الارض والمهاد وضجت الفرسان والعباد وحارت الابطال والاجناد (قال الراوى) وقد ذكروا مؤلفين السيرة وكل راو معتبر من أصحاب الروايات والخبر انه لم يكن فى وقائع عرب الجاهلية أشد من قتال ذلك اليوم وماجرى فيه على الرجال والخيل من البلية لان الغبار قد علا حتى سد الآفاق ونظروا المواكب من هول ذلك اليوم كل أمر شديد وعقد القسطل والعجاج على رؤس الناس حتى بقى يرى من مائة فرسخ بالقيامى فكانوا كما قال بعضهم حيث يقول صلوا على طه الرسول

يوم مهولا * على الانام طويلا * كم فيه خيولا * غدت تجول بميدان
كم فارس تعنا * الى القا وغنى * والصارم غنى * والشجاع حيران
من حرب فوارس * أسود عوابس * من كل ممارس * وللفوارس طعان
والوقعة تحضر * به الفؤاد تفسر * والترس كزهر * كموقع نغمة عيدان

والبيض تغنى * بنغمة زفن * والسمر تخرقنى * برقبة فرسان *
والركب تمرق * لها الزحام تطبق * والدم تهرق * من نحور اقران
والزائد ينقص * من اللثام ويرخص * والعام يرقص * على سماع الزان
والدم ينقط * من الرؤس ويسقط * والسيف يخرط * من السواعد سيقان
والنبل تزمر * وفى الصدور تهدر * والطير ينقر * من الرمائم أجفان
والخيل تحاكى * بواشقا وكراكى * والناس بواكى * على بنين وولدان
فى الارض تراهم * بعفر وابدماهم * والذل علاهم * كذاك عزهم انهان
كم خيل صواهل * وكم سيف فواصل * فى قوم جواهل * كأنهم عقبان

(قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك الحال بصدام ولزام حتى أظلم الظلام وخرج عنتر من تحت القتام ومواقف الزحام وقد جمد الدم على صدره وذراعه حتى بقى مثل أكباد الابل من أدمية الفرسان ومافعل فى حومة الميدان فتلقته فرسان العربان وهو قد نزل من على ظهر الحصان وأخذ شيوب الدرع من عليه وأزال ما كان عليه من الدماء وغسل صدره ويديه ورجعت جميع مقدمين العربان والقبائل والامارة وهم مما قاسوه حيارى ثم انهم نزلوا الاجل الراحة وأكل الطعام حتى أصبح الله بالصباح فتحضرت الفرسان الى حومة الميدان يطلبون الحرب والطعان واصطفت الطوائف وصار كل مقدم زاحف وبقى قلب الجبان راجف ومما قاساه قبل تلك اليوم خائف فعند ذلك أمر عبد هياف باحضار خيله الجياد الذى ذكرناهم وهم مخازين للحرب والجلاد لانه خاف ان توانى عن عسكره يفعل بهم عنتر بن شداد مثل مافعل باليوم الماضى فقدموا بين يدى عبد هياف الخيل وكلما ركب على جواد وجال به يضم فخذه عليه فيقصف ظهره ويقول هذا ما يصلح للجلاد حتى قتل أربعة وسبعين حصان فى ذلك اليوم فاحضروا له جوادا يقال له القشعم فركبه وسيره بين تلك الامم وكان هذا الجواد ثابت الاعضاء قويا فى المجال رقيق الجسم رفيع الخدين مضمر البطن أكحل المقلتين ممتلئ الوركين كما قال فيه بعض واصفيه

أسابقكم على طرف كحيل * يطير وماله ريش الجناح
بوثبته فيطوى الارض جمعا * بخفته يعم على النواحى * له لون كمثل الليل شبه
ووجه قد حكى نور الصباح * ترى يوم الهياج له ارتياج * الى رهج المعالى والكفاح

ثم انه جعل على صدره زردية مضاعفة العدد كأنها عيون الجرد لا يعمل فيها الصارم المهند ولا الرمح المسدد وأخذ فى يده حسام يصلح ليوم الحرب كما قال فيه الشاعر حيث قال

ومهند يغشى العيون * من نور بارق حده * فى كل يوم مقبل
يغشى وهو فى غمده * فالموت من ضرباته * وجماله أفرنده

(قال الراوى) ثم انه طلب الحرب وتحضر الى الطعن والضرب وزعق زعقة منكرة حتى تزلزلت الجبال من زعقته وغاص فى وسط العسكر بحملته وماهان عليه أن لا يطلب من أحد برازا ولا صدام بل انه كب رأسه وغاص فى القلب بذلك الجواد ودخل بين العساكر والاجناد وفرق الشجعان الاجواد فتلقاه الغضبان فما قدر أن يرد له عنان ولا يضبط له مكان بل انه حاذاه واخترق الصفوف وجدع الانوف ولوح القحوف وبعدها صرخ صرخة عظيمة فولت الخيل على أعقابها وصارت راجعة بركابها وهى هاربة بأربابها وهى تدق بعضها بعض وقد تفرقت فى جنبات الارض وهو قد فرق الفرسان بين يديه بالضرب والطعان ومازال فى حملته وهو شاقق فى وسط تلك العسكر بقوته حتى فات العسكر وهجم على المضارب والخيام وهو لائح اليهم بالنظر فرأى الاخضر وهو فى الحديد والاغلال والباشات الثقال فانحنى عليه وخطفه بحديدة وكسر الحديد بقوته وشدته وطعن بعض الفرسان أرماه على وجه الارض وأخذه من تحته الحصان وأركب عليه الاخضر وخرج به من المعمعة من بين الاقران ثم سابقه وهو يردعنه الفرسان والاقيال حتى أوصله الى جيشه وأوقفه

بين فرسانه وأعوانه وقد كانت مسرته وعاد الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وهو بقلب خفق وفؤاد على ملاقاة الفرسان محترق هذا وعسكر بني عبس وأبطالها وفرسانها ورجالها لم يقدر أحد منهم يقف قدامه وخافت من هجومه واقدامه فعند ذلك تلقاه زيد الخيل أرعبه وأدار سنان رمحه الى وراء ظهره وطعنه بعقبه أقلبه ومن على جواده كركبه وتركه ملقح في الفلاه وهو عبرة لمن يراه وانقض عليه بعض عبيده وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وأخذه أسير ثم ان عبدهياف طلب ميمنة العسكر وكبرت عليه نفسه أن لا يطلب براز أحد من البشر فصال وجال وطلب الحرب والقتال وهو ينشد ويقول الصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الرسول

ولما التقت الصافنات واختلف القنا * والنقع من تحت العجاج تزوم
والخيـــل عابسة الوجوه ضوامر * وبهن من طعن الرماح كلوم
وترى أسود الحـــرب في وسط الوغا * للبيض فوق رؤسهم تحوم
فلأن أعيش لاقتلن فـــوارسا * ولأن أمـــوت فانني مكروم
يا آل عبس بادروا عنـــد اللقا * حتى نبـــين سرنا المكتوم
فأنا مبيد القوم هياف الوغا * مفني الالوف فمن لذاك يروم *

(قال الراوى) فلما فرغ عبدهياف من أبياته حتى انحدر اليه فارس من بني هوازن يقال له عبد الدار وكان أسدا مغوار وفارسا كرار وكان ابن عم دريد بن الصمة وكان في الحرب له قوة وهمة لانه لاقى الأقيال ومارس الابطال وحمل على عبدهياف حملة الاسد الرئبال وجال عليه وصال يريد الحرب والقتال فلم يمهله عبدهياف أن يتلفظ بمقال ولا يفتل العنان حتى صرخ عليه وضربه بالحسام على هامته أرمى رأسه قدامه فلما وقع على الارض الاوأخوه حمل عليه وأراد الوصول اليه وارتمى بكليته عليه فما تركه يدنو اليه حتى طعنه بعقب الرمح حتى كسر أضلاعه وقض عليه ثم انه جال وطلب البراز والنزال وقال أين الفرسان أين الاقران أين من يزعم أنه من الشجعان من يطلب الفخار في هذا المكان ابرزوا مائة بعد مائة وان شئتم ألفا بعد ألف ويكونوا من الفرسان المسميه وأنا أخبركم كفيه وأنا الابدلي من تفريقكم وهلاك محبكم وصديقكم وأسر صغاركم وكباركم وأفني أخياركم وأشراركم ثم انه بعد ذلك المقال نادى لبعض عبيده والرجال وقال لهم قدموا الى جوادي الشملال حتى أشبع اليوم عليه قتال وألتقي عليه هؤلاء الابطال ثم انه أبطأ العبد عليه فأشار له وهو ينشد ويقول بعد الصلاة على طه الرسول

قدم الشمـــلال الي يا غلام * فلقد زاد في الحرب غرام * قدم الدرع وســـيفي والقنا
لا كر اليـــوم كرات الكرام * ماثبت لي ضربة قط ولا * عاش قرم مجرح وسط الخيام
سوف ترون الارض بحرا من الدما * وترون الجو سقفا من قتام * انما الدنيا خيال زائل *
وكأن الناس فيها في منام * ان هذا اليوم فرض الازما * بجـــوادي وقناتي وحسام
أين عنتر أين غضبان ابنه * يخرج اليوم الى هذا المقام

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره والنظام ركب جواده الشملال وهمزه فخرج من تحته مثل ريح الشمال وطلب البراز والنزال فبرز اليه فارس من بني هوازن فلم يمهله عبدهياف أن يفتل العنان دون أن طعنه بالرمح بين ثدييه أطلعه يلمع من بين كتفيه فبرز فارس ثاني وحمل على عبدهياف من غير تواني وجال على جواده الى أن بقي قدام عبدهياف فلم يمهله حتى ضربه على عاتقه أطلع السيف من علائقه فبرز اليه الثاني فقتله والثالث دمره والرابع عصره والخامس في السادس عقله فبينما هو كذلك واذا قد برز اليه فارس في الحديد غاطس والشجاعة لائحة بين عينيه فقال له عبدهياف من أنت أيها الشيخ ما أمهلك على كبر سنك فقال الشيخ يا عبدهياف يا من تعدى طوره وخاف أنا البطل المناع والامير الشجاع على ما أعطيت من العمر والاتساع فقال له عبدهياف ويلك دع عنك هذه الصفة التي تصف بها نفسك لانني ما أنا من أبناء جنسك (قال الراوى)

وكان هذا الفارس هو دريد بن الصمة فلما سمع ذلك الكلام من عبدهياف ورآه فارس كامل الاوصاف تأخر الى وراه وصار يرمقه بالعين وهو اليه مشتاق وقال له أهلا وسهلا يا عبدهياف يا من شرفت به المنازل وأعززت بقدومه الغدران والمنازل فقال له عبدهياف دع عنك كثرة الكلام وخذ بنا في ضرب الحسام والطعن بالرمح المعتدل القوام ثم انه أشار اليه يقول

القوس صدري والمهند خندقي * فأظـل بينهما كليث طارق
وأنا الذي أدعى بهياف بالوغى * وشجاعـة لايقاومها خارق
وأنا الذي قاتل الفوارس سابقا * لاخير في رجل اذا لم يسابق
من كان يزعم أنه بطل اذا * ضاقت صدور فهو لي متحاقق

(قال الراوى) ثم ان عبدهياف لما فرغ من شعره حمل على دريد بعد ان أغمد سيفه وطعنه بعقب الرمح الهدام كاد ان يسقيه كأس الحمام فخذفه على وجه الثرى من غير كلام وقال له سر الى أهلك من قبل أن تهلك فانحدر بطل من بني هوازن فما أمهله عبدهياف يصول ولا يجول حتى طعنه بعقب الرمح تركه مقتول فبرز اليه أخوه ليأخذ ثاره ويكشف عنه عاره حتى بقي على مصرع أخيه وأجرى الدموع من عينيه وأشار يقول بعد الصلاة على طه الرسول

كان لي مؤنس فعاد فقيدا * آه واحسرتاه غريب وحيد * ان هذا أخي تولى قتيلا
هدركنا للرجال مشيدا * وفتى كان للمحافـــل زينا * لا أراه في المحفل شهيدا
ها أنا خارج الى بطل الحرب * كي الاقي ما قد لقاه فقيدا

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره حمل على الملك عبدهياف فلم يتركه يجول حتى طعنه في صدره طلع السنان يلمع من ظهره وبقي بجانب أخيه مجندل وصار كلما برز فارس قتله وعلى وجه الارض جندله حتى قتل سبعين وأسر مائة وثلاثين هذا وقد حارت منه الفرسان ثم تعجبت من قتاله الشجعان (قال الراوى) والغضبان كلما هم أن يخرج اليه فلم يمكنه من نزول الميدان عنترة الفرسان ويقول يا ولدي أنا خوفي عليك من غدرات الزمان يا ولدي فلا تحرمني شخصك لان كل طلبه لك من دون الفرسان لانك أنت قاتل أخيه المرهف ثم انه صار يرده وعما يريد يصده هذا وعبدهياف يصول ويجول في حومة الميدان عرضا وطول ويقول أين أبطالكم أين شجعانكم أين فرسان الحجاز ما فيكم فارس يلتقيني في البراز أين من علق القصيد أين من أدخل نفسه مع الفرسان الصناديد احملوا على مائة بعد مائة وان أردتم الفا بعد ألف فأنا لكم الكفاية وان كنتم عن حربي عاجزين فولوا من بين يدي منهزمين قال الناقل فلما فرغ عبدهياف انطبق عليه مائة فارس أماجيد وفرسان صناديد حملة رجل واحد فحمل عليهم وتلقاهم وجال فيهم ثلاث جولات ففرقهم ومزقهم وبددهم شرقا وغربا وأبادهم بعدا وقربا ورجع كل منهم وهو لا يصدق بالنجاة في تلك الارض والفلاه وعاد الملك عبدهياف من ورائهم الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب ونادى ابرزوا واحملوا علي ألفا بعد ألف حتى تتعلموا أبواب الحرب والطعن والضرب فلم يبرز اليه أحد فحمل على جانب من العسكر وقد ظهر الزبد على اشداقه وانقلبت أحداقه وغرغر مذاقه وجال عليهم وصال فصارت الفرسان تهرب من بين يديه يمينا وشمالا وخافته جميع الاقران الكهول منهم والشباب فبينما هو على ذلك الحال وهو يجول في حومة الميدان والمجال واذا بفارس في الحديد غاطس وانطبق عليه وجال ساعة من النهار وهما في جدال ونزال وادبار واقبال وكر وفر وأخذ ورد وقرب وبعد حتى كلا وملا ووقفا في تلك الساحة حتى انهما يأخذان راحة (قال الراوى) ثم ان الملك عبدهياف أوقف الجواد وقال لذلك الفارس من أنت يا وجه العرب الاجواد لاني أراك من فرسان الحرب والجلاد فقال له أنا جار العلم حامي بني كنانة الشجعان وفارس هذا الزمان وابي مبيد الاقران أبو الفوارس عنترة الشجعان وفارس الميدان فقال له أنت الذي جئت اليه مع أخيك زيدان قال له نعم يا أشجع الشجعان قال له صدقت يا فتى الفتيان (قال الراوى) ثم انهم عادوا الى ما كانوا عليه من المجال والحرب والنزال والتحما وانطبقا واتصلا

والتصقا وأخذا فى المحاربة والمضاربة هذا ولم يزالا فى قتال ونزال وعراك وجدال الى أن ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال فانفصلوا من بعضهما بعض وكل واحد منهما رجع الى قومه ورجع الى قومه ورجع جار العلم الى قومه وتلك الام فتلقاه أبوه عنتر وأخوه الغضبان وغصوب وميسرة وزيدان وأخذوه بلاقاة الاحضان وقال له أبوه كيف رأيت خصمك ياولدى فى الميدان قال له جار العلم والله يا أبتاه ماله نظير فى هذا الزمان ولكن فى غداة غد فرج عليه الفرسان فى وسط الميدان وألبسه حلة أرجوان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من عبد هياف فانه لما رجع الى عسكره تلقوه الفرسان وهنوه بالسلامة من هذا الفارس الدرغام وسألوه عن خصمه فى الصدام فقال ما هو الا فارس وقرم مداعس ولكن فى غداة غد يكون عليه آخر الايام فعند ذلك قال له فارس من الفرسان ومن هذا ابن الالف قرنان حتى تقاومه أنت فى الميدان أناله ولامثاله وأهلكه والعن أباسباله (قال الراوى) ثم انهم باتوا الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وأنا وأنتم نصلى على زين الملاح فعند ذلك نزلت العساكر فى الميدان تريد الضرب والطعان فبينما هم كذلك واذا بفارس برز فى وسط الميدان ونادى وقال أين خصمى بالامس يخرج الى مقام الجولان حتى أفصل أمره فى هذا النهار عيان فها أنا جار العلم ابن أبو الفرسان فما تم كلامه والمقال حتى برز اليه بطل من الابطال وكان هذا الذى ضمن لعبد هياف قتل جار العلم أخو زيدان وكان يسمى همدان بن عسقلان وما زالوا حتى صار مع خصمه فى الميدان وقال له دونك الحرب والطعان وخل عنك قول الهذيان (قال الاصمعى) فما تركه جار العلم أن يتم الكلام حتى ضربه بالصارم اليمان فألقاه نصفين فى الميدان فبرز اليه ثانى فقتله وثالث فدمره والرابع الى المقابر رحله وخامس وسادس خلاهم نواكس وثامن وتاسع كل منهم لرفيقه تابع وما زال كذلك الى أن قتل خمسين فارس وتركهم على الارض نواكس فتوقفت عن برازه الفرسان وهابت الخروج اليه جميع الشجعان فهجم على ميمنة العساكر فقتل منها فارسان ورجع الى الميدان وقال دونكم يا أقران ابرزوا المحل الضرب والطعان ثم حمل على الميسرة وقتل فارسان ثم رجع الى الميدان وقال يا معاشر الفرسان دونكم والضرب والطعان والا اطلبوا الاقالة من أبى عنتر الشجعان بشرط انكم ترتبوا عليكم خراجا من العام الى العام ثم انه بعد ذلك الكلام أنشد وقال بعد الصلاة على محمد باهى الجمال

الا ابرزوا يا عسكر الهند وانظروا * اطعن القنا الخطير وضرب الصوارم
أنا مهلك الفرسان مفنى شبابها * وأرديت شيبانا برمحى وصارم
وجار العلم اسمى فلا تنكرونى * وسيفى له غمد برؤس القشاعم
ولا أهاب فرسان الانام جميعهم * أثور على الفرسان بالسيف هاجم
وكم جرت مظلوم وفرجت كربه * وجندلت كل الظالمين الضراغم
كذا عبد هياف مع الجيش خلفه * ولا أخشى من صولاتهم والدمادم
وجندلت بالسيف اليمانى غداته * وسقت جميع القوم سوق البهائم
وجندلتهم والخيل تعثر بالقنا * وسوط سيوف الهند فوق الجماجم
أنا ابن سرات الناس حامى عشيرتى * رقيت مراقى العز فوق القشاعم
بنيت لقومى رتبة العز والعلا * بدون السها والفرقدين بصارم
أيا عبد هياف الشجاع أما ترى * لحربى وضربى لا أميل من الزحائم

(قال الراوى) فلما فرغ جار العلم من شعره ونظامه أوسع فى ميدانه وقال أين عساكر عبد هياف أين فرسان الاطراف أين من يبرز الى الفارس الرجاف فما تم كلامه حتى برز اليه الملك الاخضر الفارس الغضنفر وقال له دونك والميدان يا ابن الالف قرنان فقال له من تكن أنت من الاقران قال له أنا الملك الاخضر سيد الشجعان قال له جار العلم انك كفؤ كريم وسيد عظيم ثم انه قوم سنانه وجال فى ميدانه وهجم على الملك الاخضر وأخذوا الاثنين فى الكر والفر وما زالوا فى أخذ ودوزد وقرب وبعد وملاصقة ومماحكة الى ان تعب

الملك الاخضر ورأى منه ذلك جار العلم فأراد أن يطعنه ويعجل حمامه واذا بزعقة أرعبت القلوب وخلعت المعاقل مكروب فتبينوا من زعق هذه الزعقة واذا بها من عبد هياف وقد انطبق على جار العلم وأراد أن يطعنه واذا بزيدان أخوه قد بادر الى عبد هياف فى الميدان ورد أخوه جار العلم عن الجولان وقال له يا أخى خذ لك أنت راحة يكفيك ما لقيت من الفرسان فرجع جار العلم لانه كان قد تعب وكل ومل وما صدق أن يرى أخاه زيدان لعلمه أنه كفؤ لهذه الفرسان وكان عبد هياف رد الاخضر من الميدان وبقى عبد هياف مع زيدان فقال له من أنت من الفرسان فقال له أنا زيدان أخو جار العلم بن عنترة الفرسان قال له دونك والميدان فانطبقا على بعضهما بعض فى الميدان وتضاربا مع بعضهما بعض ساعة من الزمان وضاق عليهما فقال عبد هياف للامير زيدان عود الى عند قومك الى أن يصبح صباح النهار وأرجع أنا وأنت فى طلب الحرب والكفاح فرجع كل منهم على سلامه وقد باتوا الفريقين وعنتر أفرح الخلق بأولاده جار العلم وزيدان الى أن أصبح الله بالصباح وأرادوا أن يقوموا الحرب والكفاح واذا بغبار قد ثار فوقفوا قدر ساعة حتى انكشف وبان من تحته فوارس تدل على انهم مكسورين فلما تقربوا منهم قالوا لهم من أنتم وما الذى أصابكم فقالوا نحن من بنى كنانة أهل الوفاء والامانة ونحن دائرين على حاميتنا جار العلم وزيدان (قال الراوى) فعند ذلك بادروا اليهم أولاد عنتر الشجعان وهما جار العلم وزيدان وعرفوهما من بنى كنانة الاقران فقالوا ما حالكم وما الذى أصابكم فقالوا لهم من بعد فراقكم لنا هلكنا وأتى الينا خمس قبائل مع غياث بن صائل وغزونا ونهبوا أموالنا فقالوا لهم لا بأس عليكم أموالكم ترجع اليكم وتزيدكم فوقها أموال ثم انهم أرادوا أن يمضوا بهم الى الخيام ليتمموا لهم فى الاكرام فقالوا هذا لا يكون أبدا لاننا خلفنا القبيلة مشرفة على الهلاك وسوء الارتباك فعند ذلك قال لهما عنتر يا أولادى أنتم سيروا الى قبيلتكم احموها ولا بقيتم من ذلك اليوم تفارقوها ووالله يعز علينا فراقكم ولكن من هذا اليوم ما أمنعكم ثم انه خلع عليهما وعلى أخوالهما وأمر لهم بألف ناقة وخمسمائة رأس من الخيل الجياد وأعطاهما وأرضاهما وتودعا منه وسار والى قبيلتهما مع أخوالهما ليأخذوا بثارهما ويخلصوا أموالهم وحريمهم وانهم يقيموا فى بنى كنانة فقيل انهما يقتلوا فى بعض الغزوات وقيل انهما يقعدوا الى أن يموت أبوهما عنتر ويأخذوا بثاره مع أخوتهما الذين يظهروا من أبيهما عنتر وهم عنترة والجوفران والغضنفر ويسلموا على سيد البشر فخر ربيعة ومضر الذى انشق له القمر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة الغرر وهذا ما جرى وذكر ونرجع الى حديث الامير عنتر وما جرى له من الحديث والخبر ولما رجع سار الى الميدان وصف جميع الفرسان وكذلك فعل عبد هياف ملك النواحى والاطراف فانه الآخر صف رجاله ورتب عساكره وأبطاله وبرز الى حومة الميدان ومحل الضرب والطعان وقال أين شجعانكم أين فرسانكم أين أقيالكم فبينما هو على ذلك الحال وهو يجول فى حومة الميدان واذا هو بفارس فى الحديد غاطس وانطبق عليه ساعة من النهار وهما فى جدال ونزال وادبار واقبال وكر وفر وقرب وبعد حتى كلا وملا ووقفا فى تلك الساحة حتى انهما يأخذان الراحة ثم ان الملك عبد هياف أوقف الجواد وقال لذى الفارس من أنت يا وجه العرب الاجواد لانى أراك من فرسان الحرب والجلاد فقال له أنا بسطام حامية بنى شيبان وفارس هذا الزمان فقال له صدقت يا فتى الفتيان ثم انهما عادوا الى ما كانوا عليه من المجال والحرب والقتال والتحما وانطبقا والتصقا (قال الاصمعى) ونذكر لكم فصلا لاجل التذكار فى تفضيل بعض فرسان العرب الجاهلية وهو كلام محرر أقول والله أعلم ان بسطام ابن قيس منهم ذكر الاصمعى رحمة الله تعالى عليه ان فرسان عرب الجاهلية الذين كان لهم بالشجاعة هيبة وسمعة كانوا سبعة فكان منهم أصحاب الاحساب والانساب أربعة والثلاثة الأخر أمهات اماء ولكنهم أبطال قادات وفى الحرب أصحاب عزمات فكان الاول من الاربعة هذا بسطام بن قيس سيد بنى شيبان وكان ثابتا فى الحرب والطعان والثانى ابن عمته الامير هانى بن مسعود كريم الآباء والجدود والثالث سبيع بن الحرث الملقب بذو الخمار الذى سائر العرب يحسبه بسبعة آلاف فارس كرار والرابع عمر بن ود العامرى هكذا ذكروا أصحاب السير وكل راو معتبر وأما الثلاثة التى أمهاتهم اماء ولكنهم أبطال امجاد فكان الواحد منهم عنتر

ابن شداد والثانى سليك بن سلكه والثالث خفاف بن ندبه القوى الحركة فهؤلاء السبعة المذكورين فى ذلك الزمان أبطال الميدان وكان أفرسهم وأشجعهم فى حومة الطراد الامير عنتر بن شداد لان هؤلاء الستة وغيرهم من الفرسان قهرهم فى حومة الميدان ولاجل ذلك فضله فى الحرب على سائر الاقران ولاسيما وقد قيل انه قد ورد فى حقه عن سيد البشر انه قال كان ابنى عبس عبد نجيب وقيل انه ترحم عليه وذلك لما ذكروا بين يديه شجاعته وشهدت له مشايخ العرب (قال الراوى) ونرجع الى ما كنا فيه من الخبر بعد الصلاة والسلام على فخر ربيعة ومضر هذا وان بسطام بن قيس لما برز فى ذلك اليوم الى عبد هياف وحملا على بعضهما بعض وتقاتلا طولا وعرض فأتعبه الملك عبد هياف وأكربه ومد يده اليه وقبض على مراق بطنه وعصر عليه وجذبه من رجله وحذفه الى ورائه فصار مرمى فى وسط الميدان والفلاه ثم طلب البراز وسأل الانجاز فحمل عليه الغضبان ليث الحرب والطعان وناداه دونك والطعان ودع عنك الهذيان فأنا الذى قتلت أخوك بن أمك وأبوك ومحقت فرسانك وجندلت أبطالك وأقيالك فقوهمتك وأزل عنك عارك (قال الراوى) فلما سمع الملك عبد هياف كلامه وتميزه بنظره على اهتمامه فقال له انت الغضبان فارس بنى عبس وعدنان فقال له نعم أنا هو الفارس الموصوف بين الفرسان فدونك وما طلبت من الحرب والطعان فعندها انطبق عبد هياف على الغضبان وصالا وجالا حتى حارت منهما الابطال والفرسان واندهلت العسكران مما أبصروا منهما وهما فى هزل وجد وأخذ ورد وكر وفر ومجاوله ومطاوله من غير مستقر حتى تثلمت فى أيديهما الصفاح وتحطمت الرماح وتعبت الخيل وكلت وهزلت من تحتهما ورملت مما قاست من هزاتهما ولم يزالوا على ذلك الحال وهما فى أعظم ما يكون من الجدال والمخاصمة والمصادمة والمهاجمة والملازمة حتى هجم الليل بالانسدال فافترقا على سلامة وكل منهما لحقه على سلامة صاحبه ندامة ورجع كل واحد الى قومه وهو يحدث بما لقى من ذلك البدع واما عنتر فانه تلقى ولده الغضبان وباسه بين عينيه وشكره وأثنى عليه وقال له وذمة العرب وحق شهر رجب ما أنت يا غضبان الا فارس منتخب وما قصرت اليوم فى قتالك وحربك ونزالك فلقد أوردت الضرب مليح والتقيت خصمك التقاء صحيح ورجعت من حربه وأنت مستريح لانه والله يا ولدى فارس الزمان ومردى الاقران وما لقينا مثله على مدى الازمان فقال له الغضبان يا أبتاه وحق خالق الانس والجان ما هو الا فارس هذا العصر والاوان وحاوى قصب الرهان وهو بطل درغام وليث همام ولكن فى غداة غد أفرج حالك عليه فاما اننى أنصر عليه أو يتركنى قتيلا بين يديه لان ما بقى ينتج بمثله الزمان ولا يجىء شكله فى هذا الاوان ثم انهم باتوا حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك اصطفت الفرسان وتقابلت العسكران وانتظروا من يفتح باب الحرب والطعان واذا قد برز من عسكر عبد هياف فارس كأنه الليث العابس فى الحديد غاطس فتبينوه الفرسان واذا به ملك من ملوك الهند قد خاض الاهوال ولقى المصائب الثقال فصال وجال وطلب البراز والنزال واذا بالغضبان خرج الى الميدان وأخذ معه فى الضرب والطعان وما تركه ينقل العنان حتى طعنه بالرمح عيان تركه ملقى فى الميدان ثم انه طلب البراز وسأل الانجاز فبرز اليه من جانب العسكر فارس أسود كأنه برج مشيد وكان هذا الفارس مقدم السودان وهو من أقوى الشجعان وما كان أحد ينقل بين يديه عنان ولا يثبت قدامه أحد فى الميدان وبراز الابطال والشجعان الا انه لما انحدر الى الغضبان فصال وجال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

ما الفخر الا الطعن فى الميدان * وبراز الابطال والشجعان * فاعلم يقينا اننى لك ناصح
ان السروج مجالس الفتيان * فلسوف آخذكم أسارى عنوة * وأبيعكم فى سائر البلدان
ولاضربنكم على هاماتكم * ضرب بسيف باتر وسنان

(قال الراوى) فلما سمع الغضبان كلامه وشعره ونظامه فما أعجبه ولا انطلى عليه فأثنى رجله على رقبة الجواد ولا التفت اليه فحمل الاسود عليه وقصد بالطعنة اليه فردها الغضبان بالدرقة فعادت خائبة بعد ما كانت صائبة فرد الاسود وطعنه طعنة أخرى فردها بالجحفة كل هذا ورجله على عنق الجواد فحمل عليه

العبد ثالث مرة وقوم الرمح اليه فضربه بالسيف تركه قطعتين فجذب الحسام وحمل على الغضبان فاغتاظ الغضبان منه وانجمع فى سرجه ووثب عليه وقبض على حلقه واتكأ عليه خنقه وحذفه فى وسط الميدان صار ملقح فى الصحصحان فحارت الفرسان من فعال الغضبان وقالوا من ينزل الى قتال هذا الفارس الصنديد فعندها تقدم الى بين يدى الملك عبد هياف فارسا يقال له علاقة بن الحرث وكان جالس وهو ساكت من شدة الغيظ الشديد لا يبدى ولا يعيد حتى جرى ما جرى من الغضبان فتقدم الى عبد هياف وقال يا ملك الزمان أنا اجيب لك هذا الغضبان أسير مهان أو أتركه قتيل فى الميدان فقال له انزل اليه وخذ روحه من بين جنبيه فعندها انحدر علاقة وحمل على الغضبان بقلب من الحنق ملآن فتلقاه فى ساحة الميدان وتراشقا فى الحرب كالنيران فهجم الغضبان عليه وقبض على مراق بطنه بيديه وجذبه اليه وشاله على يديه وحذفه فى الهوى فوقع بين أصحابه ميتا وقد قضى عليه (قال الراوى) ولم يزالوا على هذا الحال حتى قتل أربعين فارس على هذا المثال فقال واحد من عسكر الهند قبحك الله يا غضبان ما أفرسك وأفرس أبوك بين الفرسان فعندها تقدم الى الميدان فارس منتخب يقال له الشريد بن المهلب وقال أنا أنزل اليه وآخذ روحه من بين جنبيه فقال له عبد هياف لا يصح لا تنزل اليه جماعة من الفرسان فقال يا ملك أنا فيه الكفاية فلم تطعه الفرسان بل تحدرت اليه جماعة بعد جماعة حتى صاروا مائة فارس من الفرسان العوابس وهو يقهرهم وينزل بهم الذل والوساوس حتى حارت من فعاله الابطال والاقيال هذا والغضبان مال على واحد خطفه وضرب به رفيقه ماتوا الاثنين ومسك بعد ذلك اثنين وضرب فماتوا الاربعة وهاج كما تهيج الجمال وقد أشبعهم حربا وقتال فصاروا يتنافروا من امامه ولم يعرفوا الصواب من الخطأ فبينما الغضبان يجول على تلك الفرسان وهو كأنه الاسد الحردان واذا بفارس هجم عليه وصار بين يديه وكان يقال له كنانة صاحب مروة وأمانة وقوم نحوه السنان وأطلق العنان وهو كأنه الاسد الجيعان فتلقاه الغضبان وطعنه برأس السنان فى صدره أخرجه يلمع من ظهره وصال بعد ذلك على الفرسان وجال على الشجعان وهاج فيهم لانه ما اعتنى بكثرتهم وهو يرميهم على وجه الارض حتى قتل فى حملته سبعين فارس وانهزموا قدامه وعاد الغضبان الى أبيه والفرسان ماشية بين يديه فتلقاه أبيه وقبله بين عينيه وقال له لا عدمتك يا فارس الاقطار والله لقد أشفيت الغليل وكشفت عنا الاخطار ولكن يا فارس البدو والحضر أريد أن أجهزك بعسكر وتسير بهم الى الميدان وهم عشرة آلاف فارس من الفرسان العوابس حتى تكشف عن الملك كسرى الحصار يا زين العرب الاخيار لانه يا ولدى عبد هياف خلا عليه جماعة من عسكره لاجل الحصار وقد ضيقوا عليه الاقطار وعليهم مقدم جبار وأسد مغوار تخافه جميع الاقران والشجعان وتخشاه الموالى والعبيد وهو عند الملك عبد هياف بمنزلة عظيمة ورتبة جسيمة وهو الذى على حصار كسرى ومعه شجعان وأقران (قال الراوى) وكان قصد عنتر انه يبعده عن عبد هياف خوفا لا يعدمه الحياه فقال له الغضبان سمعا وطاعة يا أبتاه وكرامة وقد سلمك الله من الندامة ثم انه انتخب له عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس وهم بالعدة الكامله والدروع السابله وتقدم عليهم الغضبان وسار بهم قاصدا الى مداين الملك كسرى أنوشروان وكان قد صحبه شيبوب فعند ذلك قال الغضبان لشيبوب يا عماه فقال له قل أنت ما تشاء وما تريد فقال له قل لى كيف التدبير قال له الرأى الذى أنا أعرفه اننى أسير هذا اليوم قبل ان نهجم على القوم وأطلع على أخبار الحرث بن الملك زهير وأنظر الى ما لقوا بنى عبس من الشر والضير وأقدم عليهم لعلى أن أتسبب فى خلاصهم من يد الاعداء وما تحس بى الا وأنا عندك فى البيداء ويكون الحرث معى وهو سالم من الردا واذا قدر الله على بقضاء فأنت فى ذلك الوقت تسعى فى خلاصى من العنا فقال له الغضبان يا عماه افعل ما بدا لك نجح الله أعمالك فاننا تابعين أفعالك ولا نخالف مقالك قال الناقل فعندها اقلع شيبوب ثيابه من غير مهل ولبس ثياب المكر والحيل وهم خوقار ممزقه كان يدخرها لوقت حاجته بعد ما طلى جسده من كعبه الى قرص رأسه فبقى أبيض اللون وقد تغيرت حالته وعصب ساقيه وجبهته بعصابة رثة وبعبع بصوته وبدع بصورته فانفلج وأظهر الارتعاش فى جثته وجميع أعضاه وتوكأ على عصا كانت

معاه وعاق المزود فى رقبته وجعل الخنجر تحت أثوابه وسار وهو سالم من الشر والضرر الى ان وصل الى العسكر راجيا فى خلاص الحرث ابن الملك زهير وهجم كأنه الغول أو الاسد المهول فصار كل من رآه بالعين يزدريه ولا يشتهيه وهو مايطالب الاشياء كلها الى ان أظلم الظلام وطلعت النجوم وتجلى الملك الحى القيوم فعند ذلك دار بين المضارب والخيام وهو تارة يمشى على رجليه ويديه وتارة يقعد وتارة يحبو ويلقى سمعه لعله يسمع أحدا من الاسارى كذلك على هذا الحال واذا به يسمع أنين الحرث بن زهير وهو يبكى بكاء شديدا ماعليه من مزيد من فؤاد زايد الوقيد وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ترى يجمع الدهر شملى باخوتى * وأنقذ مما انا فى من مصائب
وأرجع مسرورا أعيش بغبطة * بلذة عيش عند خل وصاحب
أيا آل عبس الاكرمين الى النهى * وياخير مجد شاع بين الاعارب
أمافيكمو من فارس متقسور * يسير اليناطالبا غير ذاهب
وينقذنى من حالة الموت عاجلا * ويفنى الاعادى عند كر الكتائب
الايابنى عبس ادركونى جميعكم * بكل همام فى الكريهة واثب
أيا عنتر العبسى لهفى لماجرى * عليك وماقاسيت يوم النوائب
أيا عنتر ياخير من يسلك القنا * عدمت عتاق الخيل عند التجارب
أيا ابنه الغضبان حاشاك ان ترى * لحالى وتتركنى أقاسى النوائب
امامن زكى يخبر الاهل حالتى * لعلى أرى يوما لوجه حبائب

(قال الراوى) فلما سمع شيبوب شعر الحرث عرفه فلم يبعد عنه بل قصد اليه وعزم على خلاصه وخاف لا يطلع النهار عليه ولا ينال المطلوب ولا يصل فاتى من خلف المضرب وقلع وتدمن الاوتاد ودخل عليه فقام الحرث قامته ونظر اليه فرأى الى شخص داخل عليه من خلف المضرب فحققه واذا به أبيض اللون مضطرب الكون فاضطرب منه اضطرابا عظيما وخاف ولحقه الفزع وظن أنه ممن له عليه ثار واستغفل الحراس وأتى ليأخذ ثاره وتكشف عاره فصرخ عليه بعيد يانسل الشياطين فقال له لابأس عليك يامولاى فانا شيبوب وقد أتيت الى خلاصك من هذه الكروب وقد أتى معى ابن أخى الغضبان فى عشرة آلاف فارس أعيان حتى اننا نكشف عن كسرى العار ولك معى أعظم البشارات فان أخى عنتر قد عاد سالما بعد الممات وقد اجتمعت العرب لقتال عبد هياف من جميع الجهات من عرب البر والفلوات ونحن اليوم فى هناء واطمئنان من ريب الزمان (قال الراوى) فلما سمع الحرث الى هذا الكلام وصغا اليه وعرفه من نعته وقال له ويلك ياشيبوب من غير لونك وأفسد كونك فقال يامولاى هذه حيلة عملتها حتى أتوصل بها الى خلاصك من بدقنا اصلك ثم انه تقدم اليه وحله وقد بلغ من خلاصه المأمول والمرام وطلع به من الخيام وهو يتخطى النيام وكان اذا تقرب من الحرث فيقف يحرس معهم ساعة ويسير وهم لا يعرفوه ويظنوه منهم الى ان جاز به الخيام فى جنح الظلام وهو مثل النمر الحردان حتى وصل به الى الغضبان ففرحت به جميع الفرسان وخلع عليه الغضبان وفرح لما رآه سالما من حوادث الزمان وترجل عن الجواد واعتنقه وقبله بين عينيه وجاءت له التقاديم والهدايا والتحف وكل منهم هاداه بما يقدر عليه * قال ثم انهم باتوا حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فقام الغضبان وركب من غير جزع ولا مخاف والتفت الى الفرسان الذين معه والشجعان وقال لهم اعلموا اننى من أمرى على استعجال حتى أرد الى أبى وأساعده فى الحرب والقتال وأعينه على هذا الملك عبد هياف المفضال وأنتم تحملوا حملة واحدة ولا تبالوا بالموت لانه مقدر من الملك المتعال حتى نحملها وقعة الانفصال ويبقى يضرب لنا الامثال فاجابوه بالسمع والطاعة وقالوا والله ها نحن بين يديك ولو تروح رؤسنا بين رجليك هذا وقد اصطفت الصفوف وتقدمت المائة والالوف وتقاربت الابطال وجالت الاقيال وحملت العساكر على العساكر والدساكر على الدساكر وتقاربت العشائر ونظرت بنى عبس الى فارسها وراجلها الغضبان الاسد الرئبال كب رأسه فى قربوس سرجه وحمل فى الاول فتتابعت خلفه

الاقيال وحمل الحسام الفصال والرمح العسال فصار الدم يبرز والرجال تقتل والسؤال لم يقبل وزاد الفشل والوجل وعظم الخبال وكثر الملل هذا والغضبان يقتل فى الفرسان ويجندل الشجعان بالسيف اليمان وقد أذهل من حربه كل انسان وفر الجبان من الميدان وهو يصول فيهم ويجول ويجندل الابطال عرضا وطول (قال الراوى) فنظر مقدم عسكر عبد هياف الى فعال الغضبان وميله على الفرسان وكيف يجندل الاقران ويهلك الشجعان وحمى حومة الميدان فحمل عليه وقصد اليه حتى انه يكشف شره وشؤمه ويمحى منه قومه وطلبه أشد الطلب وأيقن انه بسيفه يسقيه كأس العطب فلما عاين حملته الغضبان وعرف انه قاصد اليه من دون الفرسان أطلق لجواده العنان وقوم السنان وصاح فيه صيحة الاسد الهدار وحبسه تحت يده اليسار وقطع فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره أخرجه يلمع من ظهره فتلقح على الارض جديلا كأنه من جذوع النخيل (قال الراوى) فلما رأت ذلك فرسانه وشاهدته أقرانه فمالت اليه وحملت عليه واليه تقاربت والى الحروب تبادرت والى عساكر الغضبان قصدت وله طلبت وتصايحت وتصادمت الابطال وتلاطمت الاقران وتبادرت والشجعان تقدمت والانذال تأخرت والسيوف قد تثلمت والرماح تقصفت (قال الراوى) وعملت فى صدور الرجال الاشطان وزاد لهيب الحرب نيران وتمنى الجبان أنه ما كان ولا حضر حرب ولا طعان وندم على دخوله الى الميدان وتمايلت الطائفتين وزمزم النشاب فى أيدى الشجعان وغنت البيض الحسان على سماع هذا العيدان وجرى الدم وساح وبرقت الصفاح وسمحت الفرسان بالارواح بعدما كانوا بها شحاح وافتخر الشجاع وصاح وبفروسيته قد أباح وهجمت ليوث البطاح وهبت عليهم عواصف الرياح ونادت الفرسان لا براح من مقام الحرب والكفاح الا بقبض الارواح وفتك فيهم الغضبان الفارس القمقام وقد سقاهم من الموت كأس الحمام والطفاح فشربوها كما شربوا كأس الراح فأسكرهم حتى تلقحوا على الربا والبطاح وتلفت الاجساد الصحاح من طعن الرماح وضرب الصفاح وذهبت الارواح من الاشباح وعمل الغضبان عمل وأى عمل شيأ ما سبق على أحد من الجبابرة الاول وحان الحين وزعق غراب البين على من قتل من الطائفتين وقال الخصم الى خصمه الى أين فهذا وقت وفاء الدين وقطع المناكب واليدين وشقت الرجال نصفين وقسموا الى حد اليدين والرجلين وثار الغبار حتى حجب الشمس عن نظر العين وكان الفارس من بنى عبس يغلب مائتين وفى ذلك الوقت اشتهر كل فارس زين واشتد الحرب والقتال وقوى الضرب بالنصال والطعن بالسمر العوال هذا والغضبان زعق على الفرسان ياويلكم ابذلوا المجهود يابنى الاعمام ولا تجعلوا المفارقة ثانية مع هؤلاء اللئام فقويت بنى عبس قلوبها وشحت لبلوغ مطلوبها فوقعت الضجة والزعقة بين الطائفتين بأن مقدم عسكر عبد هياف قتل وكان قاتله الغضبان سيد الاقران فعند ذلك تقابلت العساكر مع بعضهم البعض وماجت على وجه الارض واصطدمت طولا وعرض ومالوا بخيولهم فى القفار وما ثبتوا بين يديه غير نصف النهار حتى قالوا لبعضهم ياويلكم ان هذا الغضبان الذى تكلف بقتالنا وقتال ملكنا وحده عام كامل وأفنى فرساننا والقبائل ولم يمل من قتالنا وطعاننا فكيف نثبت بين يديه أو نقدم عليه ياويلكم اطلبوا النجاه ولا تموتونا موت الفجاه (قال الراوى) ثم انهم ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتنكست راياتهم وألقوا الهرب ظهورهم وطلبت فلواتها وهزمت ساداتها وكماتها هذا والغضبان يضرب فيهم باليمان ويطعن بالسنان حتى شتتهم فى أبعد مكان وعاد عنهم وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهو يتمايل قدام بنى عبس وعدنان وهم من خلفه كأنهم أسد الدحال وهم فرحين بما حصل لهم من النصر والظفر على ذلك العسكر (قال الراوى) وكان جميع ما تم لهم وجرى بمشاهدة كسرى وقد فرح بكشف ذلك الشدة وهو يتعجب من تلك الفرسان كيف انهم على قلتهم كسروا هذا العسكر العظيم واسقوهم من كاس المنية جحيم وبلغوا منهم المراد والمرام فى أقل من يوم (قال الراوى) فعند ذلك أنقذلهم الخيل والاموال والتحف الغوال والخلع الحسان وقال لهم احضروهم الى الاوطان وأدخلوهم

الايوان مع مقدمهم الغضبان لانه لاشك انه من الاقران ولا يقدر أحد يلوي له عنان حتى انه فعل هذه
الفعال وأباد كل هذه الابطال والاقيال فقالوا له يا ملك الزمان هذا اسمه الغضبان وأبوه عنتر بن شداد فارس
الحرب والجلاد هذا الذي أخذ المال الذي اتى من عند قيصر وله فعايل أكثر من هذا فقال كسرى وحق
بيوت النيران لقد فعل فعلا ما سبقه عليه أحد من الفرسان ولا من الجبابرة الاول من الشجعان وما قهرني الا
قتل أباه ظلما وعدوان يا ترى كيف يكون أخذ ثاره وكشف عاره أو اترك دمه لهذا الظالم الكشحان فقالوا
له يا ملك الزمان لك البشارة عنتر قد عاد سالم من الشر والضير وهو اليوم قد بارز عبد هياف وهو يحاربه وهو
بكل خير وعافية ثم انهم حدثوه بجميع ماجرى لعنتر من الاوصاف من أوله الى آخره واعلموه باطنه وظاهره
فحار الملك كسرى ومن عنده حضر من الجنود وقالوا ما هذا عنتر الا رجل مسعود (قال الراوي) فبينما هم على
ذلك الكلام واذا بصوت برا الايوان فقال كسرى ما هذا الصوت أدركوا وانظروا وابصروا ما هذا الحال
وتبينوا من فعل هذه الفعال فطلعت المرازبة تجاري وهم من هذا حيارى (قال الراوي) وكان السبب في ذلك
أن الحاجب لما طلع الى الغضبان بالهدية والخلع وطلبوه أن يحضر بين يدي كسرى لاجل ما يوليه الاحسان
فسار معهم حتى أتى الى باب الايوان فقالوا له الخدام اخلع لامة حربك وعدتك فانك داخل على ملك تهابه ملوك
الزمان ولا يقدر أحد يقف بين يديه ولا يجلس في حضرته بعدته وفي ذلك الوقت كان حضر الطعام فصرخ
عليهم الغضبان ذلك الصوت المذكور الذي أرعب به الابدان وقال لهم أنا ما لي حاجة بطعامكم ولا بقيت أحضر
قدام ملككم لاني أنا وذمة العرب الكرام ما أقدر أفارق عدتي ولا ارمي من يدي الحسام ولا أشلح آلة
الحرب والصدام وأما ان كنتم تريدون أخذ مهجتي فدونكم ومقابلتي حتى انني أجعل رؤسكم تحت أرجلكم ثم انه
أشهر في يده الحسام فغضب الحجاب منه وأرادوا أن يأخذوا العدة غصبا عنه فزعق عليهم الغضبان الصوت
الذي سمعه كسرى وسارت له الحجاب ورجعت اليه واعلموه بالذي تقدم من الكلام فقال لهم الملك كسرى دعوه
على حاله واعطوه مني الامان وخلوه على ما يريد من الفعال لانه تربية الجبال والوديان هذا أخذ مال قيصر ولا
فكر فينا ولا في سطوتنا وأكل أموال الاعراب قوة واغتصاب ولكن أبوه على ما هو عليه فارس منتخب وآلف
منه وعنده عقل وأدب وهذا صبي وتربية البادية بين العرب خلوه على حاله ولا تمنعوه من جميع ما يريده وأنتم
شاهدتم قتاله وحربه ونزاله وكيف كسر هذا العسكر الذي صار لنا سنة كاملة في جداله في يوم واحد وأزال عنا
الامور والشدائد وكفانا شر هذا الضرر فهو والله الموت الاحمر الذي لا يبقي ولا يذر فتقدموا الحجاب اليه يعني
الى الغضبان وخدمت الخدام والغلمان وقالوا له ما عليك من بأس يا سيد الفرسان لان هذا عادة ملوك
الزمان يفعلوا هكذا ولا يخلوا أحدا يدخل عليهم بآلة حرب وطعان خوفا من بعض الاعداء وكل خوان وأما
أنت يا عروس الميدان وفارس الفرسان فقد أمرنا الملك ان تدخل عليه بجميع عدتك وما تريد أيها البطل
الصنديد لانك لك مثل العبيد لانك كشفت عنا هذه الغمة وأرحتنا من هذه النقمة قال الناقل فلما سمع
الغضبان هذا الكلام من الحجاب والخدام تقدم ودخل على الملك كسرى وهو جالس في صدر الايوان فتميزه
كسرى ونظر الى لين أعطافه وعرض أكتافه وطول قامته وانزعاج عينيه ورآه طفل صغير لا نبات بعارضيه
فوقفت الغلمان والخدم والسادات ونظروا الى الغضبان حتى انه يخدم أو يسلم أو يركع فما فعل شيأ من ذلك
الامر بل انه تمشى بين المرازبة والحجاب حتى جلس الى جانب كسرى بلا سلام ولا كلام فحارت جميع مرازبة
الاعجام بما فعل الغضبان من قلة الادب وأما الملك كسرى فانه استحسن تلك الفعال من الغضبان وقال
لفرسانه بلسان الفرس والاعجام اتركوه على حاله ولا تلوموه فما عليه ملام فما هو في عيني الا ملك المرت
والسلام لانه على كل حال صبي وأخلاقه صعبة وكل من كلمه أنزل به النكبة فسكتوا الجميع على مغص وقلق
هذا ولما جلس الغضبان حط سيفه على ركبتيه ونصفه في غمده والنصف مجردا من غمده وعلى رأسه الخوده
العادية والترس قدامه كأنه قطعة حجر جلمد فقال له الملك كسرى وأي شيء فوالك يا غضبان في مال ونوال
واقطاع وبلدان وجواهر ونوق وجمال ويكون هذا كله بحكمك وتحت أمرك ونهيك وتصير عندي من

جملة أجنادي وأفضلك على سائر أولادي وان شئت قاسمتك في نعمتي وجعلتك مقدم على جميع أكبر دولتي
(قال الراوي) فعند ذلك قال له الغضبان أيها الملك الموصوف بالكرم مع الجود والمعروف وأخلى ضيافة
الضيوف واغاثة الملهوف واطعام الطعام والضرب بالحسام والفرجة مع الشباب على المناهل والغدران
ومبارزة الاقران والمهاجمة مع الشجعان في حومة الميدان وأقعدت خلف الجدران مثل الحضري الفزعان
لا كان ذلك أبدا على طول الزمان والمدا وأما عن قولك يا مولاي تعطيني أموال ونوق وجمال فان أموال العرب
كلها بحكمي وتحت نهيي وأمري آخذ منها ما أريد وأترك منها ما أزهد وأصحابها عندي مثل العبيد الذين في
خدمة مواليها ولكن يا ملك الزمان أنت وعساكرك وجندك وخدمك في أماني وتحت رمحي وذمامي ما عشت
مدة أعوامي الى ان تفرغ مدتي وأيامي ومن تعدى عليك وعلى عساكرك أو على بلد من بلادك أرسلني اليهم
حتى أتركهم كأمس مضى ما لهم عودة ولا عوض فقال له الملك كسرى يحق لك أن تقول ذلك المقال والكلام
لانك خليفة ذلك البطل الهمام وأنا قد صرت أنا وجميع عسكري وأجنادي تحت هيبتك والذمام (قال الراوي)
وبعد ذلك قال له أبوك أين خليته فقال له في مقابلة عساكر عبد هياف وهو معرض نفسه للتلاف فسأله
الملك كسرى عن الملك عبد هياف وشجاعته ومعرفته في الحرب فقال له يا ملك وحق الرب العظيم ما هو الا
فارس عظيم وبطل جسيم ما يوجد مثله في سائر الاقاليم لانه أسر ألف ملك من ملوك هذا الزمان وانه يا ملك
وحق ذمة العرب ما هو الا فارس منتخب وبطل ندب منتدب وأما تغفير القبائل ما هو عندي وفي معرفتي
عجب لان أي شيء في هذا من العجز والانتساب لان تحت يده ألف ملك مهاب ما يقدر أحد يسطو على قبيلة
من الاعراب لان الذي يخاف من شجاعته يخاف من كثرة عساكره وأجناده ولكنه والله فارس عظيم
وبطل جسيم وشجاع كريم ولكن سوف يلتقي هو وأبي عنتر ويبان الفارس الناكث والبطل المداعس
هذا كله يجري والملك كسرى يصدقه في الكلام (قال الراوي) ثم انه بعد ذلك أمر باحضار الطعام فأنزلته بين
أيديهم الغلمان والخدام وكان في تلك الحضرة جماعة كثيرة من أكابر الاعجام فأكلت السادات الكرام مع
الملك كسرى والفتى الغضبان وأكل من تلك الاطعمة شيأ لم يعرفه ولا يسمى له ألوان ولا سيما أطعمة الاعاجم
فأكل كل السادات الكرام ما طاب لهم من الطعام وأكلت الناس القعود والقيام وصار كل من شبع قام
ويقعد بعدهم أقوام والغضبان بارك بروك الاسد ويأكل بشدة عزم واهتمام وهو يقطع ويبلع وكسرى ينظر
اليه ويضحك حتى تغيرت عليه سبع طوائف وهو بارك مثل الاسد ورأسه مطاطيه وقد طاب له ذلك الطعام
وصار الملك كسرى وجميع أجناده ينظرون اليه ويتعجبون من أكله ثم بعد ذلك رفعت آنية الطعام وغسلت
أيادي الرجال الا الفتى الغضبان فانه صار يدعك يديه في بعضهما بعض ومسحهما في ما حوله من الطعام وبعد
ذلك أمر باحضار آنية المدام فأحضروه أولاد السهارجة وهو مما قد تعتق وراق وصار أصفى من دموع
العشاق فصار الساقي يملأ ويناول الغضبان وهو كلما أتى اليه شيء شربه في قدح ان كان أو بطاسة أو في أواني
ذلك الزمان فشرب الكل وهو جالس بين ذلك الاقوام هذا والجميع قد سكروا في مجلس كسرى والملك قد حار
ولحقه الانبهار مما قد رآه منه في أكل الطعام وشربه في المدام وقال في نفسه ان عاش هذا الغلام أبطل ذكر
أبيه وذكر جميع الفرسان ولا يبقي لغيره ذكر يذكر ولا اسم يشهر بين الاقران لانه ما بلغ من العمر عشرين
عام وهذه الفعال فعله بين الانام ثم ان الملك كسرى قال له يا غضبان أما تتمنى لك تمنية فقال له الغضبان يا ملك
الزمان أما قلت لك من قبل هذا الكلام ان التمنية عندنا حرام لان أموال العرب وما لها من الانعام تحت
حكمي آخذ منها ما أريد وكل من خالف قطعت رأسه بهذا الحسام فتعجب الملك منه ومن قلة عنايته بالفرسان
فأمر له الملك بعشرة آلاف دينار والفين ناقة ومائة رأس من الخيل الجياد وبات عند كسرى في أعز مكان الى
ان أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك أمر الغضبان العسكر بالرحيل عن بكرة أبيها ولم يتخلف
منهم انسان وركب الغضبان وتقدم في المقدمة كأنه الاسد الحردان فقال له الحرث بن زهير يا عزيز القوم لما
طلبت من الملك كسرى الدستور حتى لا يقع علينا عتب ولا لوم فقال له الغضبان أي شيء هذا الكلام هذا

ماهو صواب وأى شئ هذا الدستور فأنا كأنى بحكم هذا الملك المرتاب الذى ما بعد الا النار الموقودة بالاحطاب فأنا بحكم نفسى ان أردت سرت وان أردت أقمت فى هذه البرارى والهضاب لان كلا منكم خالفنى عن الذى أشتهيه قطعت رأسه بهذا الحسام (قال الراوى) ثم ان الغضبان سار مقدار فرسخ فى تلك القفار وهو يتحدث مع أصحابه و يتناشدون الاشعار فبينما هم مجدين فى تلك البرارى والقيعان واذا قد لحقهم الوزير وزير الملك كسرى أنوشروان ومعه مائة ثوب أطلس وهى على سائر الالوان ومائة ألف دينار ومائتين زرديه ومائتين خودة تتوقد من الطلى اتقاد ومائتين سيف من السيوف المذهبة الحداد ومائتين رمح من الرماح المداد ومائتين من الخيول الجياد قال مجد فلما رأى الغضبان الى غبار قد أقبل وبان التفت ينظر من لحقه ويقتفى آثاره واذا بوزير كسرى قد أقبل اليه وسلم عليه واعتذر اليه من التقصير وقال له ياغضبان ان الملك يسلم عليك و يقول لك ان هذه الاشياء على سبيل الهديه و يسألك قبولها فخذهم وامض الى أبيك عنتر وسلم له عليه وانه فرح بسلامته فرحا شديد وان كان يحتاج الى مال أو الى رجال ينفذ الى حتى أنفذ له جميع ما طلب يستعين به على سائر العسكر الجسيم وذلك الجبار العظيم وكان مما وقع من الامور ان الاعجام اعلموا الملك كسرى برحيل الغضبان من غير دستور فقال لهم يا قوم ان هذا رجل ربى فى البادية بين الجبال والصخور ولا يعرف أى شئ يكون الدستور ثم ان الملك أمر فى عاجل الحال بارسال جميع ما ذكرنا من المال وسار به الوزير حتى أوصله الى الغضبان فأخذهم وسار بهم وهو للملك شاكر وهو يجد المسير هو وعساكره حتى أشرف على أبيه فوجده قد دقت كؤساته وزمرت بوقاته ونشرت راياته وكان فى ذلك الوقت عنتر فى الميدان يطلب الحرب والطعان وهو يصول و يجول على ظهر الحصان و يطلب ملاقاة الشجعان وكان قد أسر عشرين وقتل أربعين من الاقران الى أن توقفت عنه الفرسان وصارت العساكر تنظر اليه شزرا وترمقه خزرا ولم يجسر أحد يتقدم اليه ولا يقاربه ولا يحمل عليه فأشار الى ناحية عبدهياف يطلبه الى المجال و يطلب منه الحرب والقتال وكان الملك عبدهياف فى ذلك الوقت مشتغل الخاطر مما عاين من كسر عساكره لانهم قدموا عليه من المدائن مكسورين يشكوا اليه بالويل والثبور وعظائم الامور وما فعل فيهم الغضبان من الذل والهوان وكيف شتتهم فى البرارى والقيعان وكشف عن كسرى الحصار فلما حضر والمنهزمين قدامه وأخبروه بهذا الخبر فازور منه البصر و جذب سيفه وضرب منهم رقاب عشرين نفر وترك كل واحد منهم على الارض معفر وهو يقول لهم يا ويلكم يا كلاب البراكون أنا عبدهياف بن الملكة طلمة وتنكسر عساكرى (قال الراوى) وأما الغضبان فانه لما قدم من المدائن ورأى أباه فى الميدان فهمز حصانه اليه وأقبل بكليته عليه وهو فرحان بما وصل اليه من الاموال وحدثه بجميع ما جرى له عند كسرى وما وصل اليه من الهدايا والانعام وحدثه الحرث بن زهير وكيف خلصه شيبوب من الآلام ثم انه قال له وأنا يا أبتاه فى خاطرى أفرق من المال الذى معى على الابطال وسادات العرب وأهل المناصب والرتب فقال له افعل يا ولدى ما بدا لك نجح الله أعمالك لان المال ما خلق الا للبذل والبخيل ماله الا القتل ففرح الغضبان بقول أبيه وعاد الى تلك الاموال التى جاءت فى صحبته وفرقها على جميع الرجال والابطال الذين كانت معه وفرق منها شيأ على أمراء القبائل أصحاب الجنود والجحافل فهذا ما كان من الغضبان (قال الراوى) وأما ما كان من عنتر الفارس القسور فانه قاتل ذلك اليوم الى آخر النهار وقد قدم الليل بالاعتكار فرجع الى الخيام و جلس حتى استقر به المقام وأحضر له الطعام فاكل وأخذ له راحة فى المنام حتى طلع الفجر فقام و ركب جواده الابجر الذى كلما كبر وعمر ازداد قوة على خيول العرب وعلى كل جواد مفتخر ثم همزه فصار فى الميدان وصال وجال وأنشد وقال صلوا على باهى الجمال

أنا عنتر لاتنكر وفعائلى * أنا ضارب بالسيف رؤس القشاعم
أنا آخذ النوق العصافير قوة * وأرديت بنى شيبان برمحى وصارم
ولاهبت فرسان العراق جميعهم * وثرت على النعمان بالسيف هاجم
وجئت الى كسرى فرجت كربه * وجندلت كلب الروم بأبيض مقوم

وقاتلته والجيش من خلف ظهره * ولم أختشى جولانهم والدمادم
وجندلت بالسيف اليمانى عداته * وسقت ليوث الفرس سوق البهائم
وجندلتهم والخيل تعثر بالقنا * وصوت سيوف الهند فوق الجماجم
أنا عنتر العبسى حامى عشيرتى * رقيت مراقى العز ما كنت نائم
بنيت لعبس رتبة العز والعلا * بدون السها والفرقدين بصارم
عبيلة لو شاهدت فعلى وموقفى * وطعنى وضربى على العدا بالهاذم
وكم قصدوا نحوى بجيش كأنه * جبال تهد الارض شوس ضراغم
تروموا قتالى بكل فارس درغام * بأبيض فصال وأسمر قائم
ألا خبروا الغضبان عنى وقل له * فدتك عيونى من أمور عظائم
سآخذ ثارى قوة وجهادة * وانهب أموال الرجال بصارم
واسطو فى عبس وآل هوازن * هزابر كماة لايخافون لوم لائم
ألا فاستعدوا للحروب فاننى * أطاعن برمحى فى صدور القشاعم
وقد أحدقت حولى الاعاجم بجمعهم * بكل هزبر لايخاف الضراغم
فنادى غضوب باسم غضبان بادروا * الى نصرتى فى نسل قوم أكارم
أيا عبدهياف الشجاع أما ترى * الى شيخ حرب لايمل التلاحم
فان شئت أن أوريك حربا بأسمر * وان شئت ضرب بالسيوف الخوادم
أنا عنتر المعروف فى الحرب واللقا * أنا النسر فى يوم الوقيعة حائم

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره وأتم نظمه ونثره وهو واقف ولم يقدر أحد ينزل اليه وهم خائفون منه فعند ذلك خرج اليه ولده الغضبان وساق جواده وسار قدامه وقال له ويلك يا أبتاه أى شئ حل بك من الامور لاتكن قد كبرت وعجزت عن لقاء كل فارس مذكور فلم لاتهجم عليهم وتخوض فى عساكرهم وتقتل أصاغرهم وأكابرهم والا فتأخر انت الى ورائك وخلنى أنا أقاتل كل فارس مذكور وانظر كيف أفعل بهم وما أدعك تعود من الميدان الا فرحان مسرور فقال له والله يا ولدى ان الامر يسير والخطب حقير وأنا لها ولامثالها ولكن ارجع يا ولدى واحمل بالك من قومك لانى نظرت الى عبدهياف قد حمل على قطر من أقطار العساكر وأنا أعرف انه ما حمل هذه الحملة الا حتى يهدى شعث الحصان وفى هذه الساعة يرد الى الميدان قال مجد وكان الملك عبدهياف لما نظر عنتر مع ولده الغضبان يتكلم معه فى حومة الميدان وكاد قلبه أن يطير واحترق فؤاده بنار السعير فكب رأسه فى قربوس سرجه وحمل على جانب من جوانب العسكر وغاب فيهم ساعة فرأى جواده قد قصر و بقت قوائمه راجفة لانه قاتل عليه قتالا تعجز عنه الامم السالفة وكان وقع فى الجواد طعنة عظيمة و بعض ضربات بالسيوف جسيمة فقال لعبيده ائتونى بجوادى البرق قال مجد وكان هذا الجواد ثابت الجنان يصيد عليه الوحوش والغزلان فأحضروه الى حضرته فنزل اليه وقبل غرته ومسح بيده على ناصيته وقفز صار على ظهره وأشار يقول

الا اننى قد طفت كل المعالم * ودرت على عربانها والاعاجم
ولاقيت شجعانا وكل غضنفر * وجززت هامات لهم بالصوارم
وحميت قومى عند مشتجر القنا * وصلت على أعدائهم بالتلاحم
فلا تجهلوا فعلى وكل شجاعتى * فانى جسور فى اللقا والتهاجم
ألا فاخبروا ضدى اذا الحرب شمرت * وهلت على الهامات بيض الحواكم
ألا فاخبروا عنى لعنترة الذى * سأرغمه عند اشتباك اللهاذم
وخبره عنى اننى سأذيقه * كؤس المنايا من سموم الاراقم

وأقهره من بعد هتك عبيلة * وأشهرها بين الورى والعوالم
ليعلم انى الفارس البطل الذى * رقيت مراقى العز والدهر خادم
تنبه يا مغرور ان كنت نائما * لانى غداة الحرب قرم مقاوم
أما سمعت أذناك يوما بوقفى * وقد فزعت منى الرجال القشاعم
بأنى أقطع فى المجال رؤسهم * وحكمت سيفى فى الرجال الضراغم
ومن عرب العرباء فخرى ونسبتى * وذكرى علا الجو بالسعد قائم
ستعلم يا هذا ويظهر ما خفى * بأنك فى الهيجاء قتيل بصارم
أيا عنتر ان كنت تخشى كماتها * تقدم الى ليث وقرم مقاوم
والا فارجع عن حروبى راشدا * وخبر عن قرم شجاع ملازم
ولا تلق صيبان الحروب ومن اذا * رأى نارها تشوى وجوه الصلادم
يولى ولا يلوى الى خلفه ولا * يمار اذا ولى ولو كان نادم
وانى قد لاقيت ألف مدرع * ملوك حماة لا يخافوا التهاجم
قطعت نواصيهم وفرقت جمعهم * وشتت عربانا لهم والاعاجم
فقولوا لغضبان اذا اشتهيت لتلتقى * لمثلى فى الهيجاء قرم ملازم
وقل لعصوب يحسن الطعن بالقنا * يكر علينا فى الوغى بالهادم
وميسرة فى الحرب يظهر ضرابه * اذا اشتهرت فى الحرب بيض الصوارم
أنا عبد هياف الذى شاع ذكره * اذا ما رأيت الموت كنت مهاجم
ولا بد لى من أخذ عنتر فى الوغا * واتركه ملقى عفيرا ونادم
وتنظر أبطالا لكم قد تهاربت * فزعا لما قد نالها من عزائم
أسرت دريدا ثم اتبعت عامرا * كذلك غشم قدته قود البهائم
أيا عنتر ان كنت فارسا فى اللقا * فابرز ترى منى أمورا عظائم

(قال الراوى) فلما فرغ عبد هياف من انشاده وكان قد ركب جواده واعتمد بعده جلاده وهو قائم فى سرجه كأنه قد صب فيه من غير ازعاج وعيناه تتوقد مثل السراج فعندها دنا منه وتقرب اليه وأراد الحملة عليه فتلقاه عنتر وأشار اليه يقول

اليوم يعرف كل خصم خصمه * يوم النزال اذا التقى الجمعان * اليوم يثبت كل قرم ضيغم
وقت اللقا ويفر كل جبان * اليوم تختلف القنا وقت اللقا * ويجول جيد الخيل فى الميدان
اليوم يحلو للفوارس حربها * ويطيب فيه الطعن بالمران * انى لعنترة الوغا وشجاعها
بين الجيوش وآفة الفرسان * ان كنت تزعم فيك ما قد قلته * فاثبت ترى عجبا لذاك عيان
هذا المقام لكل قرم عاشق * سمر القنا ليث هو مقام هوان

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من مقاله وذلك النظام أراد الحملة على الملك عبد هياف من غير جزع ولا مخاف فرآه وقف على جواده الابرق وهو عازم عليه مثل الودق ولا يعبأ بالرجال ورأى عنتر وهو ناظر اليه فأشار اليه يقول صلوا على طه الرسول

دعوت الى البراز فتى هماما * وجئت أغر صمصاما حسام * أذا هززته يدى لاح برقا
وأبصرت الدماء له غمام * فكم بطل ضربت به قفاه * نخر مطروحا تحت القتام
وكم قرم تركت نساه تبكى * وأولاده صارت يتامى

(قال الراوى) هذا كله يجرى من عبد هياف وعنتر ينظر اليه والى ركوبه وقوة همته فأجابه يقول صلوا على طه الرسول

يا من أتانا بالقتال مقبلا * اثبت لليث قد أتاك نبيلا * انى لعنترة الفوارس فى الوغا
مردى العدا وأذلهم تذليلا * ان كنت يا هياف تزعم أننى * ما ألتقيك فذاك قولا جهولا
هذا مقام الحرب يشهد اننى * لا أنثنى عن فارس بهلولا

(قال الراوى) ثم ان عنتر قصده من غير فزع ولا جزع وطلبه ومال اليه وقد انقلبت فى أم رأسه مقل عينيه فتلقاه الملك عبد هياف وقد أشار اليه يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول

يا أيها الفارس المبارز مهلا * خل عذلى فلست أقبل عذلا * انما قد أتاك ليث همام
هزبر ملك واسع العطايا علا * واذا اهتز للندا كان بحرا * واذا اهتز للوغا كان نصلا
فأنا فارس البلاد جميعا * فانظر الحرب بين جد وهزلا

(قال الراوى) فلما فرغ عبد هياف من نظامه وفهم كلامه فقال له ويلك يا عبد هياف نحن جئنا الى نشيد الاشعار أو الى ضرب السيف البتار فان كان مرادك الاشعار فأنا أنشدك أشعارا وأخبارا شهرا كاملا الليل والنهار وان كنت جئت الى الحرب والقتال فدونك وضرب الصقال والطعن بالسمر العوال ثم حملا على بعضهما البعض وجالا طولا وعرضا وقد تقاربا وافترقا وتقاتلا والتصقا وكان حربهما أولا لعبا ومزاح فانتقلا الى الجد والكفاح والطعن بالرماح والضرب بالصفاح هذا وعنتر يحط على عبد هياف ضربات قويات كأنها الجبال الراسيات وطال بينهما المطال والحرب والقتال والطعن والنزال حتى تعجبت الناس منهما ومن ثباتهما وكلت الخيل من تحتهما ساعة من النهار وقد انعقد عليهما الغبار ثم انهما افترقا على سلامة وما خلى كل واحد منهما ملامة وكل منهما ينظر الى صاحبه شزرا ويرمقه حذرا فقال عبد هياف يا عنتر أنت تعلم أن الخيل منا قد كلت وملت ومن العرق ابتلت ونواصيها قد اضمحلت من كثرة الحرب والقتال وما نالها من الضرب والطعان فانزل بنا على وجه الارض فانها أثبت لنا من ظهور الخيل فقال له عنتر دونك وما تريد لانى أراك فارس شديد فوالله ما كنت فى الحرب الا منصف وفى العطاء والبذل مخلاف (قال الراوى) ثم انهما ترجلا الى وجه الارض وطلب بعضهما البعض وأقبل كل واحد منهما على صاحبه وعرف طعانه وضرابه وكل واحد منهما كأنه البرج المشيد وكان فى تلك الارض صخور وأحجار كبار وصغار فصاروا تلك الابطال يتراموا بها باليدين وكان أحدهما يحمل الحجر الذى قدر حجر الطاحون ويضرب به الآخر فيأخذه فى الدرقة ويبطل ضربته وقد أظهر كل واحد منهما صنعته وبين ما عنده من القوة والبراعة والهمة والشجاعة وكان بينهما ساعة بالطعن ساعة كشف الموت فيها قناعه ثم انهما اصطدما والتحما وتقاتلا الى ان فرغت من بينهما الاحجار وطال عليهما المطال وضجروا من الحرب والقتال فوثب عبد هياف الى ناحية عنتر وكان بينهما مقدار ثلاثين خطوة وأكثر وضربه على خودته بحسامه ضربة بطل قسور فقطعها وطير بعض حلق المغفر ووصل ذبابة السيف الى رأسه فأسال دمه وسار بها معفر فعندها صرخت عساكر الهند والسند حتى ضج البر الاقفر فعند ذلك خرج الغضبان من بين أصحابه وصرخ على أباه وعنفه ونهاه وقال له أى شئ هذه الفعال يا شيخ النحس أما قلت لك أنت بقيت جبان لما قاسيت من الحرب والهوان فلا بقيت أبى ولا أنا ولدك فقال عنتر يا ولدى ويا من هو عزيز على كبدى اعلم انى تربية الحجاز وقاسيت كثيرا فى الحرب والبراز ورأيت أهوال الحرب والصدام وهذا على قلبى أحلى من المدام ورائحتها فى أنفى ألذ من رائحة التفاح وأيضا أحلى من وصال الخود الرداح ومن تناول الاقداح فى المساء والصباح فتبسم الغضبان من كلامه وقال له والله يا أبتاه ما هو الا فارس جحجاح فهذا ما جرى لعنتر والغضبان وما تم له من الامور والشان (وأما) ما كان من بنى عبس وعدنان فانهم انكسرت قلوبهم وأيقنوا بهلاكهم بعد هلاك الامير عنتر ويحل بهم الذل والضرر وذلك على يد الملك عبد هياف المنتضب مما جرى عليهم ذلك اليوم من التعب وعول أكثرهم على الهرب فهذا ما كان من هؤلاء وما دار بينهم من الكلام (وأما) ما كان من عبد هياف الهمام فانه لما عاد الى أصحابه من الحرب والصدام فتلقاه صديقه الملك الاخضر وقبله بين عينيه وقال له لله درك يا فارس الآفاق ومذيق الفرسان الذل والمحاق

فقال له عبد هياف وحق خالق البشر ومن زين السماء بالنجوم والقمر لا سمعت ولا رأيت ولا التقيت في عمري أفرس من عنتر هذا الا انه يلتقي الضرب مليح ويرد الطعن صحيح ولو كان ولد الغضبان عنده هدوا ووقت الحرب والكفاح ما كان على وجه الارض أفرس منه في الحرب والضرب بالرماح لان أباه هذا الشيخ النحس أثبت منه في الحرب وضرب الصفاح وأجلد لاحتمال الرماح لاني وحق ذمة العرب الجياد جرحته وما قات انه يقدر يضبط روحه على ظهر الجواد رأيته صحي وعاد الى أفرس مما كان وهو والله فارس شديد وقرم عنيد ويلتقي بصدره الضرب الشديد والطعان ولا يهاب لقاء الفرسان (قال الراوي) ثم انهم باتوا وهم في افتكار ولم يأخذهم منام وكل منهم ما يدري ما قضاه الملك العلام وكان شيبوب أخذ جواد أخاه وربطه بعيد عنه فصعب ذلك عليه وقال له ويلك يا شيبوب لم لا ربطت الجواد في مقابلتي لانني لا يطيب قلبي وتنطفئ نار كبدي وتقل كربي اذا لم يكن قدامي مربوطا فقال له عروة برقة كلام ولطافة نظام فلم لا نزلت من عليه في الصدام فقال عنتر والله يا أبا الابيض أنا ما نزلت من عليه الا من عبد هياف لانني خفت عليه منه لانه بطل عنيد وقرم شديد وشيطان مريد وقلت ربما يعدمني حسه فلاقيته راجلا وفديته من العطب لانه أخير من خيول العرب ثم انه أشار يقول صلوا على طه الرسول

لا تربطن جوادي من وراء دارا * ان المنية تأتي المرء أقدارا
ان الجياد وان اعتنت من بشر * تسري بهم اف مسير الريح أخبارا
كم من ملوك ومن ذال براحته * قد أبذلته رماح الحي اقدارا
غدا تجول وتصبح في معاقلها * والخيل تحمل عند النقع أقمارا
تحمي بهيبتها الاشبال دائرة * ما يخشون اذا ما قصر مهادارا
معودين بطعن في العدا وبه * يجنبين بها جرداوأبكارا
وجالت الخيل تغدو ليس يعصمها * الا ضرابا يحمي الحي والجارا
مراتع الخيل عند الدارعين لها * أزكى من المسك في الآناف أعطارا
يا عبد هياف يا من لا شبيه له * عند اللقاء اذا ما خصمه جارا
* أتاك عنتر قرم لا مثيل له * اذا الرماح دانت مثل أمطارا
ولا يغرك جرح قد لمست به * كتفي فاني عليك اليوم كرارا
بل اتقي طعنكم والضرب في بدني * ولا أولي ولو حلت بي اقدارا

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من شعره والنظام فقام شيبوب الهمام وأحضر الابجر وأسرجه وألجمه وأوقفه بين يديه في تلك البطاح فطاب قلبه وارتاح وصبر حتى طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك ركب عنتر وبادر الى الميدان ومحل الضرب والطعان وجال على ظهر الابجر وصال وطلب الحرب والقتال واذا بالملك عبد هياف برز اليه كأنه الاسد في وثبته اذا كان ضاري على فريسته وقال له أهلا وسهلا بك يا فارس العرب لقد طاب معك الحرب وحق شهر رجب لانك والله فارس منتخب وقد اشتهى قلبي لقاك لاجل حلاوة شمائلك وخفة مضاربك عند ملتقاك ولكن قد قيل في سالف الازمان عند الامتحان يكرم المرء أو يهان وأنت ليث الميدان وعروس الفرسان ثم انه أشار يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول

جوادي جري يحاكي الرياح * ورمحي لا يشابه بالرماح * ونحر الحر في ذا اليوم صبرا
اذا كثر التشاجر والصياح * ومن طلب الفرار نهار دروع * فيلبس خلعة بالافتضاح
وهذا عبد عبس قد أتاني * يروم لقاء مثلي في الكفاح * وما يدري بأني عند حربي
أجندل للفوارس في البطاح * وسيفي صارم عضب ثقيل * يقد بحده البيض الصفاح
واني عبد هياف المسمى * أنا الجحجاح في يوم الكفاح

(قال الراوي) فلما فرغ من شعره وسمع عنتر نظمه حمل عليه وانطبقا على بعضهما بعض مثل الغمام

وأخذا في الطعان والصدام ولازم كل منهما على الافتراق والالتزام والاقدام حتى تزلزلت منهما الاقدام وغابا عن الابصار تحت القتام وفي دون ساعة من ساعات الزمان عرفا بعضهما بعض غاية العرفان وزال الطمع من رؤسهما وشخصت نحوهما عيون الفرسان ونخبركم ونعلمكم بصحة الاخبار بان ما جرى لاحد من الفرسان الذين هم فرسان الجاهلية من سائر العباد مثل ما جرى بين الملك عبد هياف وعنتر بن شداد لانهما كانا فارسين شجاعين وأسدين ضاريين وجبلين متلاصقين وبحرين زاخرين وكبشين متناطحين وقد اجتمعت سائر الاوصاف في عنتر بن شداد والملك عبد هياف وكانت قد تعجبت الطائفتين مما رأت في ذلك اليوم من المبارزة بنظر العين وما شاهدت من ضرب يوصف وطعن قد اختلف وقد سمحا بالارواح بعدما كانا بها شحاح اشدة ما وقع بينهما من الحرب والكفاح لانهما اشبه جبلين التصقا بالابدان أو أسدين أكولين قد جالا في الميدان وهما في أخذ ورد وقرب وبعد وهزل وجد ثم انهما تطاعنا بالرمحين وتضاربا بالسيفين حتى هفتت منهما الروحين وزاد أمرهما عن حد القياس وأيس كل واحد من نفسه كل الاياس وأبصرت الاعين نظر اليس بالسماع على ما جرى لهؤلاء وهما بزومان كأنهما السباع أو كأنهما خيول تستبق أو جبال تلتصق وتفترق أو نيران تأجج وتحترق أو بحرين يفيض كل واحد منهما على الآخر ويندفق (قال الاصمعي) ولقد سمعت عنهما عجائب لم أقدر أصفها باللسان وغرائب تشيب منها رؤس الشبان وما رأيتها عيان الا انني كتبت بعضها وبعض ما سمعت واقتصرت جهد ما قدرت وقيل لي عمن رأى وسمع أن الرماح بينهما صارت قطع وما بقي منهما شئ ينفع مما قاسوا في ذلك اليوم الاشنع من الضرب والطعان هذا وقد سالت دماؤهما من الابدان وخفتا من الصياح وأثخنا بالجراح وضاقت عليهما الروابي والبطاح وصارت الفريقين ينظروا اليهما بالاحداق وهما في ضيق الخناق حتى يعرفوا ما تم عليهما ويذموا الزمان الذي جمع بينهما في الميدان من كثرة الاوصاف وخافت العساكر على عنتر وعبد هياف وكان آخر ما بقي معه من أبواب الحرب والطعان لت حديد وزنه ثلاثين من أوزان ذلك الزمان وكان كما ذكرنا جبار عنيد واذا غضب على أحد من حاشيته أو من عساكره من الاحرار أو من العبيد فيضربه بذلك اللت يجعله ملقح على الصعيد الا انهما لما غضبا على بعضهما بعض وصعب على عبد هياف قتال عنتر في ذلك اليوم الشديد أخذ اللت من تحت فخذه ووثب وصار على وجه الارض وهو قائم على الاقدام وصار يجري كجري الغمام أو كأنه ذكر النعام وجال على عنتر أسرع من ريح الشمال وركض حول عنتر كأنه جواد حل من الشكال وكان تارة يأتيه من اليمين وتارة يأتيه من الشمال وتارة يهز اللت الحديد وتارة يهز الرمح الطويل المديد وهو يهج كهج الجمال اذا فارقتهم النياق هذا وعنتر لا يكل بل انه الى حربه مشتاق (قال الراوي) وكان هاني بن مسعود واقف قدامه مقابله خوفا على عنتر من صدامه وكان الغضبان قد هم أن يهجم ويخلص أبيه من المهالك فلم يمكنه هاني بن مسعود من ذلك بل انه قال يا غضبان ما الحرب الا انصاف وكل القلوب تريده وتشتهيه وما هو الواجب لك معا وتتلك عليه وهما في غاية الجهد والمطال وعلى هذا الحال (قال الراوي) وكان عبد هياف ظن أنه أتعب عنتر وانه قد اعتراه الكلال فصاح فيه أبهره وقال له تنبه يا ولد الزنا ثم انه حذفه باللت الحديد وكان عنتر اضر به مستفيق فطلع من يده كأنه حجر المنجنيق فلما نظر عنتر الى ذلك اللت الحديد وسمع له دوي كأنه الرعد الشديد فاتقاه عنتر من الهواء بساعد شديد وقوة قلب وجنان وقال له ما هو مليح يا نخل الرجال ضربك باللت وبروح بطال ثم انه هزه حتى طار منه الشرار وزعق عليه زعقة عظيمة لحقه منها الانبهار وضربه باللت كاد أن يهد أساسه وطارت البيضة من على رأسه ومال وقد تنعتعت أضراسه وداخ لانها ضربة ما تشبه الضربات لانها أجرت الادمية من جميع وجهه ومناخيره حتى أيقن بالممات فعند ذلك حمل عليه عنتر وقرع رأسه بالرمح ثلاث مرات وقال له يا ملك ما أنا ممن يجور عليك في القتال ارجع الى قومك في هذه الساعة ما أنت في عقلك وقد صرت في خبال مما نالك ومما حصل لك من الانذهال وجوري عليك ظلما وزيادة الاهوال لانني كما زعمت عبد زلالي حسب بين الابطال وما اسمي عندك

وعند غيرك الا عبد راعى جمال وأنت ملك وابن ملك صاحب جيوش وابطال وفرسان واقيال ثم انه بعد ذلك المقال أنشد وقال ونحن وأنتم نصلى على باهى الجمال

لا يغرك أيها الملك * هذه الدنيا فتهلك * كم أتوا قبلنا ومضوا
هلكوا من بعد ما ملكوا * لم يغرهم كثرة عسكرهم * عند ما أضحت لهم شرك
وغدت باللهو تضحكهم * ثم لما أدبرت بكوا * وغدوا بالذل فى حدث
وبعد العز قد هلكوا * وبقت أجسادهم رمما * وسلوا من بعد ان سلكوا
كم شجاعا صار منفردا * وعليه الصخر منسبك * كان لا يخشى الالوف ولا
يرهب الابطال اذ فتكوا * ما ترى النمر ود حين طغى * وبغى اذ غره الفلك
وعلا فوق السور وقد * زده فى فيه الملك * بعوضة صار منهلكا
وهى وسط الرأس تحترك * وكذا فرعون القبه * نفسه فى النار مرتبك
أين شداد بن عاد ومن * ملكوا فى الارض ما ملكوا * أين أهل الرس أجمعهم
ما تراهم فى الثرى تركوا * وكذا الدور والسلوا * علك الفرس قد ملكوا
غرهم هذا الزمان وغدوا * فى بكاء بعد ما ضحكوا * فاعتبر بالماضين ومن
قبلنا بالسيف قد هلكوا * هكذا الدنيا استفق وكن * صابرا كم ذل ذا الفلك

(قال الاصمعى) فلما فرغ عنتر من كلامه وشعره ونظامه وسمع عبد هياف قوة اهتمامه فعرف انه لو اراد هلاكه أو أسره كان قتله أو أسره فقال وذمة العرب ما لهذا الفارس فى الدنيا نظير لانه والله شجاع وبأمور الحرب خبير وقد كان الغضبان بن عنتر نظر ذلك فصعب عليه فعل أبيه وكيف انه قدر على خصمه وعفى عنه فى ساحة الجولان وأى شئ أخره عن قتله وأسره فى الميدان فقال له هانى بن مسعود وحق خالق البشر والركن والحجر ان أباك يا غضبان ما فعل الا فعل الاجواد لانه قدر وعفى وكان فى الحرب منصفا (قال الاصمعى) فهذا ما كان من هؤلاء وهما هانى بن مسعود والغضبان وقصته (وأما) ما كان من عبد هياف وحالته فانه اندهش من عنتر وشجاعته وقوته وبراعته وقد تعجب من خطفة اللت من الهواء وما فعل من ضربته وقد رغب فى محبته لما علم انه قدر عليه وعفى عنه وقال وحق خالق البشر ومنبع الماء من الحجر ما قدر أحد يرد هذا اللت الا أنت يا عنتر ثم انه بعد ما صحى لنفسه صاح على عنتر وحمل كل واحد منهما على صاحبه وقد أخذ يطاعنه ويضاربه ويكافحه ويصادمه وقد فحوا الهما فى الارض مجال وتطاولت نحوهما أعناق الرجال وتضاربا بالسيوف الصقال وحارت الفرسان وازورت الابصار مما عاينوا من طعن بين الفارسين يورث الهلاك والدمار الا ان هؤلاء الفارسين قد خاضوا جميع الاهول والاخطار وحارت منهما الخواطر وغابا عن الابصار فلم ترتهما تلك الطائفتين الا بريق الحسام وهما يقاسون من بعضهما تجريع الموت الزؤام وشرب كأس الحمام وقد أخذا فى الصدام والالتزام الى أن دنت الشمس للغروب والارتحال وافترقا على سلامة ورجعا عن الحرب والقتال فعند ذلك قال الملك عبد هياف الى الامير عنتر بن شداد يا أبا الفوارس ويا فارس الابطال ان النهار قد ولى بالارتحال وها هو قد أقبل علينا الليل بالاسدال فحولنا الآن على الانفصال وكل منا يمضى الى قومه بالخيام والاطلال وفى غداة غد عند اقبال النهار بالابتهال نعود مثل ما كنا عليه من الحرب والقتال (قال الراوى) فعند ذلك قال له عنتر ان قولك هذا يا ملك تستعيب ان تقوله الاطفال اذا تخاصموا فى لعبهم عند تعليمهم فى المجال فكيف تقوله أنت وأنت معلم الابطال فى الحرب والقتال لا تظن أيها الملك ان تتعلق بأذيال الطمع فى رجوعك من قدامى والانفلال وحق الملك المتعال الذى بقدرته حجب الشمس بجنح الغسق وأنار الهلال وبسط هذه الارض وأرسى عليها شامخات الجبال وأنبع من صم الاحجار ماء زلال ما بقى بيننا انفصال الا ببلوغ الآمال ثم انهما عادا الى الميدان وما كأنهما افترقا وقد زاد الليل غسقا والتحما التصقا وقد سحبت الخيل من تحتهما عرقا وجالا وصالا غربا وشرقا وللضرب قد استبقا هذا وقد تقصفت الرماح من طعنهما

للابدان وسالت الدماء علقا فارماهما والسيوف قد امتشقا وجالا تحت غسق الظلام حتى بان الفجر وطلع نور الشمس مشرقا وهما فى أخذ ورد وهزل وجد ومطل ووعد حتى انبسطت الشمس على وجه الارض ووقع من تحتهما الجوادين من شدة الركض وكذلك الفارسين كلت منهما السواعد والرجلين وتحيرت من فعالهما الطائفتين وأتوهما بجوادين ورمحين غيرما كان فى أيديهما وصالا وجالا فى الميدان وداما على ما هما عليه بطول ذلك النهار حتى غابا عن الابصار وثار عليهما القتام والغبار حتى حجبهما عن الابصار وعن النظار وهما تارة يتطاعنا بالاسمر الخطار وتارة يتضاربا بالابيض البتار وكان هؤلاء الفارسين تارة يجولان يمينا وشمال وتارة يجولان فى ذلك البر والقفار فطارت الرماح من أيديهما قطعا واشبار وبرق من السيوف الشرار من وقعها على الجحف الثقال وداما بينهما القتال طول ذلك النهار الى ان أقبل الليل بالاعتكار وكانوا تلك الطوائف كل منهم قد حار ووقع بهم عمار أوامن الانبهار وبهتوا من قتال هؤلاء الفارسين ومن حملاتهما وكانا هذين البطلين الشجيعين الذى حيرا كل عين ثم انهما افترقا كل واحد عن رفيقه وهو يشكو مما لقى من شدة ضيقه فكان أول من لقى عبد هياف الملك الاخضر وهو يمسح دمه من الانزاف وهو يقول يا ملك أما ترى ما قد اعطى هذا العبد من القوة والشجاعة والفروسية والبراعة فقال له الملك عبد هياف وحق خالق الارض والسماء ومن علم آدم الاسماء ما أظن على وجه الارض أجلد منه فى الحرب ولا أثبت منه فى الطعن والضرب ولا أكثر منه مروءة وحق ذمة العرب الاجواد لما خرجت اليه أول يوم ما ظننت انه يثبت قدامى ساعة الا ويقع من على ظهر الجواد لانى جرحته بالسيف جرحين وطعنته بالرمح طعنتين فما بالى بهم ولما جرى دمه عاد الى الحرب والطعان أنشط مما أعهده وأشد مما كان ولما ضربته باللت الحديد قلت ان رأسه يطير واخذه من الهواء بيده وهذا شئ ما فعله أحد قبله ولا بعده من كل بطل كرار وفارس جبار ثم انه أعاده الى وبه ضربنى فلولا انه زهق من على البيضاء وكان فى الاجل تأخير لكان قتلنى وكان قد طير من على جثتى رأسى وأخمد منى أنفاسى لانه قد جاء الى وله هفيف وبرق ولا هفيف حجر المنجنيق وبقيت غائب عن الوجود وأنا حاضر فى صفة مفقود فلو انه مسنى بيده كان قلبنى من على ظهر الجواد وأخذ مهجتى من داخل الفؤاد وحق خالق العباد ومن جعل الجبال للارض أوتاد وخلق هذه الانفس البشريات ان الذى فعله معى ما فعله أحد من السادات ولا من ملوك القادات وأما قرعه لراسى بالرمح ثلاث مرات فهو من جملة المروءة وحسن الثبات وكثرة الفتوة وزيادة المهمات وحق خالق الارض والسموات ان قهرت فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب ما يقهرنى غير هذا الفارس الاسود وأموت قهرا وكمدا ولم يدر بكمدى أحد (قال الراوى) هذا ما كان من أمر الملك عبد هياف والملك الاخضر (وأما) ما كان من أبى الفوارس حامية عبس الامير عنتر فانه لما عاد من الميدان وهو طالب أصحابه والفرسان فالتقاه الامير هانى بن مسعود وولده الغضبان وغصوب وميسرة وجميع الابطال والشجعان فقال الامير هانى يا أبا الفوارس وحق ذمة العرب أصحاب المروءة والانصاف ما رأت عينى أفرس من هذا الملك عبد هياف فانه لو ابتلوا بحربه الجبابرة استقالت من قتاله وتحيرت من حربه ونزاله فقال له عنتر يا حامية شيبان وحامى حومة الحرب والرهان وحق ذمة العرب الفتيان انا ما عدروحى الا أقل عبيدكم والغلمان وباسيافكم أضرب الفرسان (قال الراوى) فقال له غصوب وأخوه الغضبان خلنا من هذا الكلام ودعنى نبارز هذه العساكر ونلتقى هذه الجيوش والعساكر بالجيوش والعساكر والا فهؤلاء خلق كثير وجمع غزير ما يفرغوا ببراز ولا يفرغ منهم انجاز فقال لهم عنتر الاسد الريبال غداة غد يا أولادى تكون هذه الفعال ان شاء الرب المتعال وتكن وقعة الانفصال على انى وذمة العرب أصحاب العقول الفاضلة أقدر أجالده سنة كاملة فقال له الغضبان صحيح يا أبتاه انك أبو الفوارس وبطل الميدان ولكن كان من زمان واليوم قد كبرت وعجزت عن حروب الاقران وتغيرت عن الضرب والطعان وما بقى فيك قوة لملاقاة الابطال والشجعان والا لو انك بعد ما ضربته باللت الحديد وازعجت منه الاركان كنت ضربته بالسيف اليمان فأى شئ عاقك عن فعل هذا وأنت فى الميدان فهذا دليل انك كبرت وعجزت عن حرب الاقران وملاقاة الشجعان وممارسة الفرسان

ولكن غدا أنا أخرج اليه وأفرجك عليه وعلى قتاله وحربه ونزاله وحق خالق الانسان ثم بارزه غدا الا أنا فى حومة الميدان فقال الامير هانئ بن مسعود الكريم الآباء والجدود خل عنك يا غضبان أنت وأبوك ووفر وا أنفسكم لغير هذه الكربة فأنا أبارزه وأجبر وجى معه وأكون خادمكم فى هذه النوبة فقال الغضبان يا امير هانئ نحن كلنا غلمانك ومن بعض فرسانك وقد غمرتنا باحسانك فعند ذلك قال لهم هانئ لولا كم ما كنت خلصت من الاعتقال ولولا هذا الامير والبطل الخطير الذى فى الخيل ماله نظير الامير شيبوب وولده الخذروف الفريد الوجود كنت الى الآن فى الاغلال والقيود ثم انهم لم يزالوا على ذلك الرواح الى أن غلب عليهم النوم فنام كل واحد منهم واستراح الى ان أصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وذكرت سيدنا محمد زين الملاح ورسول الله الملك الفتاح فكان أول من برز الى الحرب والكفاح كان الفارس الجحجاح والبطل الوقاح وهو لازرد لابس وفى الحديد غاطس وتحته جواد أدهم له غرة كأنها درهم اذا صهل يكاد أن يتكلم فتبينوه الفرسان وحققوه بالاعيان واذا به عروس الميدان وفتى الفتيان ابن عنتر الغضبان فصال وجال وطلب الحرب والقتال والطعن بالسمر العوال والضرب بالبيض الصقال وأنشد وقال

أياهياف قد أتاك الهمام الغضنفر * ومن عزمه فى الحرب عضب مجوهر
أتاك الفتى الغضبان وهو كأنه * قضاء وحتف للنفوس مقدر
أنا البطل المشهور فى حومة الوغا * أبيد الاعادى والقنا تتكسر
فان كنت تبغى الثار دونك ماجد * همام وحتف للرجال مصور
أنا ضارب رأس المرهف فى الوغا * وقد مال فى وسط التراب معفر

(قال الراوى) فلما أتم الغضبان هذا الكلام والشعر والنظام الا والملك عبد هياف صار قدامه لما أن سمع مقاله وقال له يا غضبان صحيح انك قتلت أخى وكان يعد بفرسان ولكن الرجال الاقيال ما تصلح الا للقتل والمال ما يصلح الا للبذل وهو قد فرغ أجله وحان مرتحله فدونك والقتال والطعن والنزال وكان تحت عبد هياف فى ذلك اليوم جواد أدهم كأنه الغراب الاسحم كما قال فيه الشاعر

أسابق الطرف بغبار أدهم * وجاده مثل الغراب الاسحم
ينقض يا صاح انقضاض الانجم * تخاله مثل القضاء المبرم

قال وكان فى يده سيف ساطع وهو للاعمار قاطع وقد سقى بماء الحمام وسلطه على الرقاب والهام وفى يده رمح من الرماح عليه سنان كأنه كوكب الصباح أو برق قد لاح وقد امتد على سائر البطاح يخطف قوامى الارواح من قوالب الاشباح كما قال فيه الشاعر بن وشاح

يزيد طولا على الرماح * سنانه وكل بالارواح
قد لاح بالعين كالمصباح * يحاك كوكب الصباح

(قال الراوى) وكان الملك عبد هياف أمر عبيده أن يأتوه بعامود من الذهب الاحمر فمضوا وأتوا به وكان وزنه مائة وسبعين من بأوزان ذلك الزمان فوضعوه بين يديه فأمرهم باحضار الترس وكان من البولاد وزنه مثل وزن العامود وجعل يلعب بالاثنين قوة وصناعة وفروسية وشجاعة حتى حارت عقول الفوارس والابطال القناعس وحار الغضبان مما رأى من فعل هذا الفارس الا أنه تارة يرمى العامود فى الهواء ويلتقيه وتارة يحذف الترس ويستلقيه حتى حارت أعين الخلائق وقالوا هذا فارس الغرب والشرق ثم ان عبد هياف أمرهم باحضار عامود ثانى ورمح من الحديد منفصل قطع قطع مع أربع رجال فاحضروه قدامه فجعل يركبه ذكرا فى أنثى وأنثى فى ذكر وهو اثنين وأربعين عقدة لا يتقدم ولا يتأخر ثم انه أمره باحضار عدل ملآن بالرمل جديد غير مخروق وهو فى الماء منقوع ثم انه رجع الى خلفه قدر عشرين خطوة وقد اصطفت من حوله أصحابه ورفقاه ثم انه ركض على أقدامه حتى قارب العدل الملآن بالرمل وطعنه برأس الرمح فشاله حتى رأته الفريقين وشاهدته العسكرين

وحذفه الى وراه (قال الراوى) لقد أخبرنى من كان حاضر هذه الوقعة وهو من أثق اليه واعتمد فى كلام الصدق عليه انه قال قد رأيت ذلك عيان بحضرة جماعة من الفرسان ان الملك عبد هياف لما فعل فى عدل الرمل تلك الفعال أمر بعض عبيده أن يحضر واجل من الجمال فأتوه به وأبركوه بين يديه وعقلوا يديه ورجليه فتقرب منه ومسكه ورفعه من الارض حتى بان سواد ابطيه ودار به ثلاث دورات طولا وعرض وعاد به وقد وضعه وضعا رفيقا على وجه الارض ثم انه بعد ذلك ركب الجواد وحمل حملة منكرة وغاص فى وسط العسكر وغاب فيه ساعة وعاد وقد رمى جماعة من الفرسان ثم انه عاد الى الميدان ومحل الضرب والطعان كل هذا يجرى والغضبان واقف ينظر ويرى ويتأمل الى هذه الاعمال وقد تحير وأخذه الانذهال الا ان الملك عبد هياف لما فرغ من تلك الاعمال صال وجال وجعل يترنم بهذا المقال وينشد ويقول

تركت بنى عبس لهم دوار * اذا تمضى جماعتهم تعود
لوان للارض قبضة عرفت * قلعتها من مكانها بزنود

(قال الراوى) فلما سمع الغضبان مقال عبد هياف قد أظهر حماقته فى الميدان وعلم الغضبان انه ما عبابه ولا بكثير من الفرسان فعندها أراد الآخر أن يفعل شيأ يذكر به على مدى الازمان فكب رأسه فى قربوص سرجه وحمل على عسكر عبد هياف وكانت حملته من غير جزع ولا مخاف وغرق فيها ساعة زمانية وأظهر فيهم بابا من أبواب الجنان وفعل فعل الجبابرة العتيه وافتل عنان الجواد وطلب الخلاص من بين تلك العساكر والاجناد فانطبقت عليه القبائل وطلبته الكتائب والجحافل فلما نظر عنتر الى تلك العساكر والفرسان وقد انطبقت على ولده الغضبان فصعب عليه ولم يطق الصبر على ذلك الشان فحمل وأمر العساكر بالحملة فحملت الفرسان والشجعان وحملت مقدمين القبائل والاقران وحمل الامير هانئ بن مسعود فارس بنى شيبان وحمل غصوب وهو كأنه الاسد الحردان وكذلك فعل أخوه ميسرة وهو يتوقد مثل شرار النار المسعرة وكذلك حماة القبائل وسائر الابطال والجحافل واختلطت العساكر بالعساكر وحمل الملك الاخضر فى جيوش الهند والسند وأما الملك عبد هياف فانه سار على المنية حقا وحمل على فرسان بنى عبس الاجواد فبددهم غربا وشرقا وقاتل فى ذلك اليوم قتالا ينشرح ذكره على طول الابد وقد التقى بغصوب بن عنتر وجاوله وحمل عليه وطاوله وطعنه أرداه ولولا هانئ بن مسعود أدركه من ورائه والا كان أسره وأهلكه وعجل له فناه فصاح هانئ على عبد هياف وحمل عليه وأشغله عن غصوب والا كان أوصل الاذيه اليه ومازال حتى أدركه وأركبه جواده وهو واقف حواليه فلما نظر عبد هياف الى فعال هانئ بن مسعود وقد فعل هذه الفعال فالتقاه بقلب أقوى من الحجر الجلمود وتقاتلا قتالا يفتت الكبود وكان لهم ساعة يشيب لهولها الطفل المولود وقد تحيرت مما جرى بينهما الفرسان والابطال من شدة الضرب بالسيوف الصقال والطعن بالسمر العوال فبينما الفارسين فى شدة ما هما فيه من الحرب والقتال والطعن والنزال والصد والرد والقرب والبعد والاتصال والانفصال واذا هما بزعقة عظيمة طيرت العقول وتمتمت الفريقين عرضا وطول فتبينتها الفرسان وشخصت لها الاقران واذا هى زعقة سلطان العصر والاوان وعروس الميدان ومفنى جبابرة الفرسان ليث الآساد وحية بطن الواد الامير عنتر بن شداد فهجم بعد صرخته وفرق بين الاثنين ودخل بين الفارسين وكان قد جرى بين الامير هانئ بن مسعود وبين عبد هياف حرب شديد وضرب أكيد ما عليه من مزيد يكاد أن يذوب له صم الحصى والجلاميد وكان عبد هياف قد جرح هانئ فى كتفه ورأسه وكان هانئ قد جرح عبد هياف فى نخذه وجرح فرسه وهدأ ساسه فلما زعق عنتر تلك الزعقة وقف الفارسين وتحيرت من تلك الزعقة البطلين فعندها قصد عبد هياف الى عنتر وحمل عليه وطلب أن يتقرب اليه وحملا على بعضهما الفارسين وصرخا صرختين عظيمتين وقد أصغت لها الخيل آذانها وانهدت أركانها وارتعدت أبدانها وزاد من ركابها أحقادها وظنت الطائفتين ان السماء قد فتحت أبوابها ونزل على الاشقياء سخطها وعذابها وان المواعيد قد حقت والموازين قد خفت والقبور قد بعثرت والخلائق للحساب قد حشرت والصحف قد نشرت وهما ساعة فى اتصال وساعة فى انفصال

وينفسحا كما ينفسح الكباش للنطاح ويعودوا الحرب والكفاح ويجروا على الارض عوامل الرماح فتتعلم منهما الابطال حقيقة الحرب والكفاح حتى حير والمقل الصحاح وكان لهما ساعة تقشعر منها الجلود ويلين من حرارتها الحجر الجلمود ويشيب من هولها الطفل المولود ويعرف الانسان منها مرارة العدم من حلاوة الوجود ثم انهما التصقا التصاق جبال الاخدود وافترقا افتراق وادى زرود حتى ان كلا منهم عرف انه مفقود ولا يبقى الى أهله يعود وتقلبا فى بحار السروج حتى تعلمت الابطال منهما الدخول للحرب وكيف الخروج فتحدرهما من فارسين قد حير ابفعالهما كل عين لانهما قد أظهرا فى الحرب بواطن الخداع وهتك ستر الفروسيه والقناع وهما فى عراك ودفاع وضراب وقراع حتى خيل للناظرين انهما من أملاك الافلاك الذين لم يفزعان من الهلاك وهما فى كر وفر وقرب وبعد ومستقر وهزل وجد وصدود رد ومشابكة ومعاركة وملازمة ومماحكة وتارة يأخذان ميمنة وتارة ميسرة وتارة تجرى بهم الخيل خبب وتارة قهقرة وانعقدت عليهم الغبرة وهما كالنار المسعرة واختلف بينهم الضرب على الدرق ولمع صارم المنايا برق وكثر بينهما الاضطراب والقلق وذاب القلب بنيران الحرق وسبحت تحتهما الجوادين فى بحرين من العرق هذا والعسكرين قد فتحا لهما ميدانا للجال وحارت أبصار الابطال وأذهلت أعين الفريقين مما جرى بين هذين البطلين من الاهوال وشدة الحرب والقتال وهما فى حرب ونزال ومخاصمة وجدال حتى مالت الشمس الى الزوال ولم ينل أحد من صاحبه منال ولم يطلب الآخر من رفيقه اقالة ولا انفلال بل انهما لما أعياهما الامر من بعضهما ترجلا عن الخيل التى تحتهما كأنهما ما بقت تثبت لنهضاتهما فقال الملك عبد هياف لعنتر وحق ذمة العرب انك بطل وأى بطل وأسد غضنفر وليث قسور تعطى الطعن مليح وتسترد الضرب صحيح فهل لك فى الصراع أيها البطل الشجاع فقال له عنتر لك ذلك يا هذا البطل المناع ان أردت الصراع وان شئت القراع فعند ذلك تدانيا الى بعضهما بعض وتقابضا على فسيح هذه الارض وهما كأنهما جملين هائجين أو بحرين زاخرين أو جبلين متقابلين أو أسدين متهارشين وقد دنا كل واحد منهما من صاحبه وكان قد علم منه جميع طعانه ومضاربه وتصادما وتهاجما حتى تزلزلت تحت أقدامهما الرمال وكان اصطدامهما مثل اصطدام الجبال العوال وجالا وصالا وما لا على وجه الارض حتى رضوا بأرجلهما الجنادل رض وهما مثل الكبشان المتناطحان وقد جرى منهما العرق حتى صار كرغوة القدور وحفرت أرجلهما فى الارض حفائر مثل القبور وغرقا فيهما الى حد ركبتيهما وهما يتجاذبان ويتقاتلان حتى كلت أيديهما وتكسرت أظافرهما من شدة ما نالهما فبينما هما كذلك واذا بالملك الاخضر الفارس النحرير قد حمل حتى يعين صاحبه الملك عبد هياف البطل الخطير فتلقاه الغضبان ولا خلاه يتقدم اليهما بشبر قصير بل حمل عليه وجادله وجاوله وباداه ورده عما عزم عليه الى وراه * هذا والملك عبد هياف وعنتر فى عراك وصدام وقد جرت دماؤهما على دروعهما حتى فاضت فى تلك الارض والآكام كما يسيل القطر من الغمام فعند ذلك قال الملك عبد هياف لعنتر هل لك يا أبا الفوارس فى العودة الى ظهور الخيل لاننا قد قل منا القوى والحيل فقال له عنتر دونك وما تريد يا فارس الزمان ومهما شئت افعل فما أنا فى الحرب خوان بل اننى انصف غرمائى وأقهر أعدائى فى طابق الجولان ثم انهما ركب كل واحد جواده واعتد بعدة جلاده وجالا وصالا وعلى بعضهما استطالا ومالا على بعضهما كل الميل حتى ان كلا منهما عدم القوى والحيل ولم يزالا كذلك حتى ولى النهار الضاحك وأقبل الليل الحالك ورجع كل واحد منهما الى عسكره وهو على صاحبه ملهوف والزبد طائر على أشداقه مثل القطن المندوف وقد جمد الدم على الادرع والكفوف قال فلما وصل الملك عبد هياف الى عسكره تلقاه الملك الاخضر وهناه بالسلامة من الموت الاحمر وسأله عن خصمه وما كان بينهما من ذلك الامر المنكر وما رأى فى ذلك النهار من قتال أبى الفوارس عنتر فقال له وحق ذمة العرب الكرام ما هو الا فارس همام وبطل ضرغام وليث لا يرام وقرم قمقام ولما طلبت الحرب منه حاربنى ولما طلبت القراع قارعنى وان طلبت الصراع صارعنى وان طلبت الاقالة أقالنى ولم يخالفنى وما رأيت فارسا أثبت منه على الشقا ولا أصبر منه عند الملتقى فقال له الملك الاخضر يا ملك ولاى شئ تفعل من رأيك والرأى عندى

أن ترسل تطلب منه ديه أخوك على يد رسول وبعد ذلك نرحل عنه بعد ما نصالحه ولا نقاتل هذا الفارس ولا نكافحه فقال له عبد هياف أى شئ هذا الكلام الذى يورث فى القلب مصيبة وكيف مثلى يأخذ دية أخيه وقد كنت أرتجيه يكون لى ركنا على طول الدوام وأنا قد طلعت من بلادى بأربعمائة ألف فارس همام غير الالف ملك والاتباع والغلمان والخدام وأرجع بغير حاجة مقضية بين الانام ان هذا ما فعله أحد ولا أنا أفعله ما قام قائم وقعد فوالله لا أزال أقاتلهم وأجهد حتى أبقى على الارض ممددا أو أرزق النصر عليهم والظفر أو يرزقون هم ذلك ويكثر ون هذا العسكر لان هذا الفارس ما هو قليل بل هو بطل جليل وقد سمعت انه علق له قصيدة على البيت الحرام وترك ملوك العرب تسجد لها فى كل عام اجلالا واكرام وأسر الملوك وأبناء الملوك فى الميدان والتقى الفرسان وقهر الشجعان حتى حير بفعله كل انسان واجتمعوا له سبعين ملك بأمعهم من العساكر من بنى قحطان وجميع ذلك أسرهم بالرمح من غير سنان وهذا لم يفعله أحد غيره فى هذا الزمان (قال الراوى) ثم انهما نزلوا فى خيامهما ليأخذوا لهما راحة وهما من هذا الامر فى انذهال مما جرى فى ذلك اليوم من الحرب والقتال فهذا ما كان منهما (وأما) ما كان من عنتر الفتى الريبال فانه لما عاد تلقته رجاله الابطال وهنوه بالسلامة مما وقع بينهما من الاهوال وسأله الامير هانئ عن ما كان بينهما وما ذكرناه من تلك المعانى فقال لهم وحق ذمة العرب الفضال وحق الملك المتعال الذى أرسى شوامخ الجبال ويعلم كم وزن هباذرة ومثقال لقد مارست الابطال وعاركت الفرسان والاقيال ما قاسيت من أحد مثل ما قاسيت اليوم من هذا الفارس من الاهوال ولكن ان شاء الله الملك المتعال غداة غد تكون وقعة الانفصال ثم انهم باتوا على ذلك الحال ينتظروا الصباح حتى يظهر بالابتهال ويخرجوا الى الحرب والقتال (قال الراوى) ومن أعجب ما جرى من الاتفاق الذى يكتب ويسطر فى الاوراق ان الملك عبد هياف كان له بالعادة كل ليلة أول ما يعود من الحرب والقتال فيخرج ويهجم على ما يكون حوله من الدحال حتى يصطاد له شيأ من الوحوش يأكله من وحوش تلك البرارى والتلال فسار فى تلك الليلة وطلب بعض الدحال فدخل الى دحلة عظيمة ملآنة بالوحوش والآساد ومعه سيفه وترسه وهو راجل بغير جواد فبينما هو داخل اليها فى الظلام وقد مد الليل غياهبه واذا هو بشخص خارج من الغابة وهو طالبه فتقدم اليه عبد هياف ومد نظره اليه فاذا هو برجل لا كالرجال وبطل لا كالابطال له قامة مثل النخل الطوال ومعه سبع ولبوة وقابض على السبع باليمين وعلى اللبوة بالشمال فحار الملك عبد هياف وتعجب من ذلك كيف فعل هذا الآدمى تلك الفعال ولم يخف من الاهوال فزعق عليه زعقة عظيمة الافزاع وقال له من أين مسكت هذه السباع فقال له من هذه الغابة والبقاع لانها كثيرة الوحوش والاصناف تكفى عساكر عبد هياف ولكن ما الذى تريد بسؤالك وما قصدك بمقالك فقال له عبد هياف يا وجه العرب أريد أدخل اليها وأمسك كما مسكت وأصطاد كما تصطاد فقال له ذلك الشخص ادخل أيها الفتى ولا تخف ان كنت فارس منتخب وان أردت خذ هذا الاسد ولا تشقى ولا تتعب ثم ان ذلك الشخص عملت معه النخوة فرمى اليه الاسد واللبوة فقال له عبد هياف ان كان ولابد وأنت على هذا الامر مطيع فاضرم لنا نارا حتى أسلخهما لك ونأكلهما نحن الاثنين أو أنا أضرم وأنت تسلخهما فقال له الرجل لا بل أنت اضرم النار حتى اننى أسلخهما أنا ولا أكلفك ذلك لانى أراك من أهل الفخار والممالك فعندها تقدم عبد هياف وأضرم النار وجمع من تلك الاحطاب وأوهجها حتى علا فى البر أجيجها وأما ذلك الرجل فانه سلخ الاسد واللبوة عاجلا وجعلهما أرباع وطرحهما على النار فلحق عبد هياف من ذلك انذعار ثم انهما صبرا ساعة من الزمان حتى نضجت لحومهما وفاح لهما قتار وسال دهنهما على تلك النار فتقدما وأكلا حتى اكتفيا فى ذلك البر الوسيع فبينما هما على ذلك الايقاع وهما يأكلان من لحوم تلك السباع واذا هما بشئ يدب على الارض والبقاع وخلفه ذنب يجرمقدار عشرين ذراع وذلك الديب فى القدر ما يحتضنه عشر رجال واذا أراد أحد يحمله فما يحمله فى التقدير الاخمس جمال وشرار النار يتطاير من أحداقه من عظم شره وشراسة أخلاقه وهو من أشداقه مكشر أنيابه وله ذوائب شعر فى رأسه وعلى ظهره منشورات وفيه يخرج منه لهيب النار وعينيه تضئ كالمشاعل لا يقف قدامه جيوش ولا

قبائل وله لسان يزغرط مفروق فرقتين تذهل من رؤيته كل عين بدماغ كأنه القبة العظيمة وعد بنفسه ملك كل حشيشة خضرا ويهشمها وفى أنيابه نوائب العطب ورؤيته من أعجب العجب وهو كأنه النخلة السحوق ولا يجسر على رؤيته مخلوق غليظ طويل تعجز عن وصفه الاقاويل أغبر أنقط أبقع اذا هاج يضيق عليه المتسع ومن مناخيره يطلع الدخان ويصعد فى الجو الى العنان ويذهل من أبصره ويذعر من بالعين نظره فقال عبد هياف أنظر أيها الفتى ما أعظم هذا الحيوان وما أذعره وكيف هو طالبنا وهو كالجبل العظيم وما أكبره أيها الفتى الكريم فقال له ذلك الشخص قف مكانك يا وجه العرب حتى انى أفديك بروحى لانى أراك من ذوى الرتب فها أنا أتقدم امامك وأقطع رأسه وأخمد أنفاسه وأهدأ سأسه وأحضر به اليك وارميه بين يديك ولو أنه ملك من ملوك الجان أو عفريت من عفاريت السيد سليمان ثم ان الرجل أخذ سيفه وحجفته وقصد اليه وزعق بأعلى صوته عليه فنفخ ذلك الحيوان وطلبه ورمى روحه عليه وهو طالع من فمه دخان ونيران حتى انبهر عبد هياف مما أبصره منهما عيان ثم ان ذلك الرجل تقدم الى ذلك الحيوان وزعق زعقة دوت لها القيعان وتجعجعت لها تلك الجبال ثم انه استنجد وقال اللهم انى أسألك بحق نبيك الذى ذكر فى يوم ديقار يا حليم يا حكيم يا كريم يا عزيز يا غفار وهو رسولك الذى يأتى فى آخر الزمان المبعوث باشرف الاديان الرسول المنتخب أفضل العجم والعرب الذى يكون امام القبلة والحرم وينتصب علم نبوته على الخافقين أشرف الانام ومصباح الظلام فبحق حقه عليك يا رب يا عزيز يا رحمن ساعدنى على قتل هذا الحيوان ثم انه أقبل عليه بقوة ساعده ثم حاوره وزاوغه وثبت بأسه ونادى يا محمد ويا آل محمد وضربه بالسيف بين عينيه فخرج يلمع من بين شدقيه وفى عاجل الحال أخمد أنفاسه كما قال الناقل لهذا الديوان فأخذ الراس فى يده وهى قدر رأس الفيل العظيم فى القدر والشان وجا به الى تلك النيران فتبينوه فى ضوئها واذا هى رأس ثعبان (قال الراوى) وكان ذلك الثعبان قد شاع ذكره فى كل مكان واستهوالته الابطال والفرسان وعجز عن قتله جميع الشجعان وما جسر أحد يدخل اليه فى ذلك المكان والا كلما جاء اليه أحد كسره وأكله وسهل له من جاء اليه وقتله الان الملك عبد هياف حار مما رأى من ذلك الشخص وشجاعته وقوة جنانه وشدة براعته فعندها قال له من أنت يا فتى ومن أى أرض فاننا نريد نفترق وما عرفنا بعضنا بعض فقال له ذلك الشخص أخبرنى أنت من تكون يا وجه العرب لانه على وجهك علائم الملوك وأهل الرتب فقال له يا هذا أنا الملك عبد هياف فأنت من تكون ومن يقال لك قل الصدق ان كان عندك انصاف فقال الشخص وحق زمزم والحطيم ما أنت الا سيد كريم وملك عظيم وبطل جسيم وأما أنا فخصمك عنتر بن شداد وغريمك بالامس فى مقام الحرب والجلاد فوالله ما سمع عبد هياف هذا المقال حتى جذب سيفه ودرقته وطلبه كما تطلب بعضها بعض الابطال وقال له دونك يا فتى والقتال لان هذا الليل ذكر وما يساكه الا كل ذكر فقال له عنتر لك ذلك لانى أنا الآخر كنت مشتهيه وحق مالك الممالك ثم ان عنتر جذب سيفه ودرقته وطلبه فى ظلام الليل المعتكر وقال له دونك يا فتى والقتال ثم جالا على بعضهما بعض فى ظلام الليل الى أن طلعت عليهم الشمس وهما فى قتال ونزال حتى صارت الارض تحت أرجلهما حفر (قال الراوى) لقد أخبرنى عنتر عند رجوعه وعودته وأخبر سادات العرب بما جرى له من قصته أنهما لما ضاقت منهما الانفس وتعين لهما الهلاك كانا يستتران من بعضهما بعض بشجرة كانت هناك وكانت تلك الشجرة هائلة أزلية تظل الفارس والمائة فزالت سيوفهما تقطع فيها طولا وعرض حتى قطعوها ورموها على وجه الارض وكانا تارة يفترقان وتارة يجتمعان وتارة يتقاتلان وتارة ينفصلان هذا كله ولم يعلم بما جرى بينهما فى تلك الليلة الا الله العزيز الرحمن فعندها قال الملك عبد هياف لعنتر لما تعب وانبهر يا أبا الفوارس ما يصلح للحرب الا الخيل بالميدان والاتساع فى الجولان أطلب قومك حتى أطلب أنا الآخر قومى وتعود الى الحرب فى يومك وأنا أعود الى الحرب فى يومى لان سيوفنا قد تكسرت وحجفنا قد تمزقت ودروعنا قد تفتقت وما بقى لنا شئ نقاتل به فى مقام الكفاح فأجابه عنتر الى ذلك وكان قد قرب الصباح فرجع عنتر الى عساكره وكذا فعل عبد هياف وقد عاد الآخر الى عساكره قال وكان السبب فى دخول عنتر الى تلك الغابة وانفراده فى

ذلك الليل الدامس سبب يا له من سبب وعجب يا له من عجب وذلك انه عايره ابنه الغضبان وقال له يا أبتاه ما بقى فيك شئ للقتال والطعن والنزال وقد كبرت وعجزت عن ملاقاة الشجعان فقال له يا ولدى يا غضبان ما يغرك منى كبرى فانى أقدر أقاتل هذا العسكر سنة كاملة من الزمان وهذا كلامى لك باللسان ولكن ان أحكمت المقادير أو يتك ذلك عيانا بيان ومرادى تعلمون ان كان بالقرب من هذا المكان دحل أو موضع وعر يفزع منه كل من يراه من البشر حتى أجيب منه أسد من الآساد أكله نحن وهؤلاء الامجاد فقال له واحد منهم يا أبو الفوارس وحق الحنان المنان ان هذه غابة قريبة مختلفة الالوان وفيها كثير من الاسود والغزلان فقال عنتر أنا أسير الى هذا المكان ثم انه قد وثب على الاقدام بقوة عزم واهتمام وسار حتى وصل الى الغابة وتلك الآكام وأخذ ذلك الاسد واللبوة كما قدمنا فى الكلام والتقى بعبد هياف وجرى له معه ما جرى ورجع كل واحد منهما الى من له من الاصحاب والامراء الان عنتر أخذ معه رأس الثعبان لينظره أولاده ومن له من الفرسان فبينما هو سائر فى الوديان واذا هو بأسد قبيح المنظر خارج عليه من ذلك المكان فهاجمه عنتر وقبض عليه بيده اليمنى وفى يده اليسرى رأس الثعبان وسار قاصدا مضاربه والخيام وهو فرحان ومسرور بذلك المرام الى ان وصل الى من له من الفرسان واجتمعت عليه الاحبة والخلان وأتاه هانئ بن مسعود سيد بنى شيبان ودريد بن الصمة شيخ مشايخ العربان وأخبرهم عنتر بما جرى له من الامر والشان وكيف انه قتل ذلك الثعبان فقال دريد وحق العزيز الديان أنا لى زمان أسمع بخبر هذا الحيوان وقد قيل لى ان اسمه زعفان وله رأس كرأس الجمل العظيم القدر والشان وله يدان بلا رجلان وذنبه قدر عشرين ذراع وانه حرم أحد يجوز هذه الارض والبقاع فان كان هو هذا أيها البطل الرئبال فقد ارتاحت منه جميع السفار من الرجال فأين باقيه يا زين الابطال فقال عنتر تركته فى الفلاة وهو مرمى يتقلب فى دماه فقال له ولده الغضبان اعلم يا أبتاه ان قتل الاسود وصيدها من القفار ما هو فخار ولا قتل دودة من دود الارض يفتخر بها فارس كرار وانما الفخر فى ملتقاه هذا البطل الحلاحل وذلك الليث الباذل والقرم المنازل فقال له عنتر غدا يا ولدى وحياتك أبرز اليه وأفرجك على ما يجرى عليه وان اشتهيت أن تنظر حربى والطعان انزل أنت وأخواتك فى الميدان ومن أردت من حماة القبائل والفرسان ويكونوا ألف فارس من الشجعان وأنا التقيكم كلكم فى حومة الميدان ولم يقدر أحد منكم يرد لى عنان أو يضبط روحه على ظهر الحصان ما كنت وحق ذمة العرب الاجواد أحضر حرب ولا جلاد ولا أتقلد بسيف ولا أعلو على ظهر جواد وأما قولك عن الملك عبد هياف فوالله ما هو الا فارس همام وأسد ضرغام حاز الشجاعة والافهام ولا يقدر أحد يثبت امامه فى محل الضرب والطعان لانه أوحد الفرسان ولا أحد يبلغ منه مرام ولكن غداة غد ان شاء الله الرحيم الرحمن يبان من هو أقوى جلاد فى الحرب وأقوى جنان ومن هو أصبر على الاهوال فى مقام الصد والرد والطعان ومن أصبر على البلاء وقت مقام الجولان ثم انهم داموا على ما هم عليه يتحادثان بقية ذلك النهار الى ان أقبل الليل بالاعتكار وباتوا على ما هم عليه من معايدة الاخبار وما فيهم من يدرى ما يكون ولا ما يريد يجرى لهم من الآثار الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ونذكر سيدنا محمد ازين الملاح ورسول الله الملك الفتاح عليه أفضل الصلاة والسلام عند المساء وعند الصباح واذا بالعساكر قد أصبحت تطلب القتال والحرب والنزال والملك عبد هياف الاسد الداعس قد صف عساكره وكانوا أربعمائة ألف فارس ما بين مدرع ولابس غير ما يتبعها من الملوك والفرسان القناعس فأوقف الملك الاخضر فى القلب ومعه مائتين ألف فارس وأوقف نصف الملوك عن اليمين فى مائة ألف وتقدم من بعد ما رتب العساكر وأوقف فى الشمال نصف الملوك الأخر فى مائة ألف فارس ووقف هو قدام العساكر وامام الدساكر ثم انه صال وجال وطلب الحرب والقتال ونزل الى الميدان وأنشد وقال

تهارب منى رجال كهول * وعندى الى الحرب سيفا صقيلا * ذراعى طويل وسيفى صقيل

وانى همام كريم عاقتولا * أيا عنتر أين شجعانكم * وأين أبطالكم والفحولا
كذلك غضبان ليث الثرى * فنعم الشجاع حولا أصيلا

(قال الراوى) ثم ان عبدهياف نادى فى وسط الميدان يافرسان عبس وعدنان ويا ليوث هذا الزمان لما لا تبرز والى ألف بعد ألف حتى أفرجكم على اللقا والحرب والضرب والشقا ولا يكون الا أفرسكم وأثبتكم عند الملتقى فبينما هو ينادى بذلك الندا واذا بفارس قد برز اليه وطلب وسيع المدا وقد خرج من تلك العسكر وهو كأنه القضاء المقدر وكان ذلك الفارس الغضبان بن عنتر وقال له اسكت ياجبان لانك أنت أذل وأحقر من أن تذكر فرسان عبس وعدنان ومن أنت حتى تطلب ان يبرز واليك ألف بعد ألف من الشجعان فها أنا وحدى فارس من بعض فرسانهم وبطل من بعض أقرانهم فالتقينى ان كنت فارس كرار وبطل مغوار لانى أنا قاتل أخوك المرهف ولابد ما ألحقك به ثم انه جعل يترنم بذلك الاشعار ويقول

مادام للحرب أوان العملا * يجود بالطعن الهمام البطلا * والفارس القرم اذا ما حملا
تراه فى ميدانه مجندلا * انى أنا الغضبان ليث ماجد * شجاع حرب ماله من مثلا
ويلتقى الشجعان فى ميدانه * لايختشى منهم اذا ما حملا

(قال الراوى) ثم ان الغضبان حمل على عبدهياف فى مقام الجولان فتلقاه عبدهياف فى الميدان واصطدما الفارسين وأخذا فى الحرب والطعان وأظهرا للعسكرين أبوابا حسان حتى حارت منهما الفريقان وكان الامير هانئ بن مسعود يقول لعنتر ياأبا الفوارس ومن هو معروف بالانصاف ما بنك الغضبان الا فى طبقة عبدهياف الان عبدهياف أهدى منه عند الحرب وأصبر على الطعن والضرب فهذا ما كان من هؤلاء وأما الغضبان فانه كان من حرقته على القتال مايجد له صبر ولا هدو ولا اصطبار بل انه يرمى عليه ضرب مثل شعل النار وأخذا فى الاقبال والادبار حتى تحيرت الابصار وتعجبت منهما جميع الحضار هذا والغضبان يزعق عليه ويطلبه ويحمل عليه ويكركبه ويميل عليه بضرب مثل الجمر وأقوى من مرارة الصبر وعبدهياف يطاوله فى القتال ويجادله فى النزال ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى أخذ ورد وقرب وبعد ومحاربة واذا قد أقبل عليهم من قبل عسكر عبدهياف فارس كأنه الاسد العابس فى الحديد غاطس وهجم عليهما وزعق زعقة تزلزلت لها الجبال والأودية والتلال وشخصت لها الابصار وحارت النظار وتساقطت الفرسان عن سروجها وهاجت على وجوهها وولت الخيل على أعقابها ورمت من على ظهورها ركابها ثم ان الفارس هجم على الغضبان وقرع رأسه بالسنان ومال على عبدهياف وقرع رأسه الآخر ورجع على عقبه طالب عساكر عبدهياف وجال فيهم وصال وقلب الفرسان على الشجعان وأظهر فيهم بابا من أبواب الجنان فشربت من بين يديه الاقران فغاب فيهم ساعة من ساعات الزمان ثم انه رد وقصد الى عساكر بنى عبس وعدنان وحمل عليهم ففرقهم فى البرارى والقيعان وعاد بعد ذلك الى الميدان وصرخ صوتا أفرق بين عبدهياف والغضبان وحمل على عبدهياف ومال عليه وأشار اليه وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

نحن الفوارس يوم الهياج * وتعلم بذلك اقيالها
أيا عبدهياف ياواحد * فدونك الحرب وابطالها

(قال الراوى) فلما سمع عبدهياف نظامه وشعره وكلامه ومن ارتفاع قامته وهامته وقوة شهامته وفروسيته فجال معه وصال وأنشد وقال

اقبل فهذا اليوم شان كرا * مافيه للاندال يوما صبرا
وايس ينجى من طعن السمرا * الاثبات القرن تحت الغبرا

(قال الراوى) فلما فرغ عبدهياف من مقاله حمل عليه وطلب جداله ونزاله وهو مراده يعرف حاله وأشكاله فتلقاه ذلك الفارس بهمة قوية ونخوة عربية وأجابه على كلامه وهو ينشد ويقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

لو كانت الحروب نارا كنت مبتدر * ولو رمت بشرار حين تستعر
بصارم من سيوف الهند مشتهرا * وصورة فى ذراها الموت يبتدر
أنا الهزبر أبو الاشبال لا أجزع * يوم الهياج ورؤس القوم تنتثر

(قال الراوى) فلما فرغ الفارس من شعره ونظمه ونثره حمل كل واحد منهما على صاحبه وقد علم من قبل ذلك اليوم طعانه ومضاربه وجالا طويلا واعتركا عراكا وبيلا وغاصا فى الاوابد وصبرا على الشدائد وعضت الخيل على الشكائم والمداود وجرى بينهما حرب شديد يذوب من حوله الحصى والجلاميد ثم انهما افترقا على سلامة والنجاة أحسن من الندامة ووقفا قبال بعضهما بعض فى تلك الساحة وكل منهم يريد لنفسه راحة وكل منهما ينظر الى صاحبه شزرا ويرمقه حذرا وبعد ذلك عادا الى الجولان وحملا على بعضهما بعض فى الميدان وجرى بينهما حرب وطعان حتى حير الفريقان ولم يعرف أحد من العسكرين من هو هذا الفارس ولا من أى العربان وهم يتكلمون كل واحد بكلام فيه اختلاف كيف هذا الفارس قاتل كل هذا القتال وقرع رأس الغضبان وعبدهياف الان الملك عبدهياف مما اعتراه انبهر وانحلت عزيمته مما اعتراه من الفكر وتأخر لطلب الراحة فانصفه ذلك الفارس وتأخر الآخر الى جانب تلك الساحة ووقف كل منهما فى جانب الميدان ساعة وهم وقوف عن الجولان ثم بعد ذلك عادا الى الحرب والجلاد وأخذا فى الكد والجد والطراد حتى علا عليهما الغبار وغابا عن الابصار فبان من عبدهياف التقصير وعرف منه ذلك معرفة خبير فحمل عليه وقاربه وفاجاه وكافحه وراوغه وداناه حتى التحم بينهما الحرب وزاد بينهما الطراد والجلاد فاعتدل عليه ذلك الفارس وقام بده وطعنه فى كتفه بعزمه فحذفه على ظهر الجواد الا ان عبدهياف لما جاءته الطعنة وأرمته كان محترزا لنفسه فوقع قائما على ظهر المهاد وهجم على ذلك الفارس الذى فعل به تلك الفعله ودخل تحت بطن الجواد وقبض على أربع قوائمه ومشى به قاصدا عساكره فوثب ذلك الفارس من على ظهره وبقى على الارض وهجم عليه فحذفه عبدهياف بالفرس أسرع من طرفة العين فاخلا ذلك الفارس عنه وحمل عليه ذلك الفارس وأرمى عليه مضارب أحر من الجمر وأمر من الصبر ولم يزالا فى كد وجد وأخذ ورد حتى طارت الدرق التى فى أيديهما قطع وكاد كل منهم الى الارض ان يقع الا ان عبدهياف رأى من ذلك الفارس ما أبهره وزاد عليه الامر بغير ما يعهد حتى حير بصره هذا وقد تحيرت الفريقين وانبهرت أعين العسكرين مما جرى بين ذلك الفارسين الا انهما لما طال عليهما المطال ودارت بينهما العجائب والاهوال وكان لهما فى ذلك لساعة شئ يحير الافكار وذلك الفارس زاد على عبدهياف الدرهم قنطار فلما رأى منه ذلك الانبهار حمل عليه وهو غارق فى بحر فكره وضربه بالسيف صفحا على رأسه صرعه ورماه على ظهره فعند ذلك حملت عساكره حتى يخلصوه من شرب كأس الحمام فحملت أيضا بنى عبس عليهم ووقع بينهم الحرب والصدام حتى تنكست من على رؤسهم الاعلام وطاشت الاوهام وقد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وكثر الزحام وتزلزلت الاقدام وثار الغبار مثل الغمام واشتد الحرب وكثر الطعن والضرب وزاد البلاء والكرب هذا وقد اختلطت العسكرين فى بعضهم البعض وقد ركضوا فى الطول والعرض حتى رضت حوافر خيولهم تلك الارض وكان الملك عبدهياف فى هذه الغفلة قد قام قائما على الاقدام بعد ما صحى من تلك الضربة التى كادت أن تسقيه كأس الحمام فوثب وقوى عزمه والادمية جارية على درعه وبدنه مثل الغمام وركب بعض الخيل واختلط بالعسكر وغير جواده وطلب البر الاقفر من هول ضربته وهو أبى الفوارس عنتر حتى أدرك أكابر قومه وندمان وخبرهم عن فعل عنترة الفرسان وكيف عاد من خلف عسكره فى الميدان وكيف قرع رأسه ورأس الفارس الذى قباله وفعل ما فعل حتى حير الفرسان والاقران وكيف ضربه بتلك الضربة التى ما رأى مثلها انسان (قال الراوى) وكان الملك عبدهياف قد عرف عنتر لما ترجل على وجه الارض وتقاتلا قتالا طولا وعرض فعرف بعضهما بعض الا ان عنتر لما عاد الى قومه فتقدم الامير هانئ بن مسعود اليه وقبله بين عينيه وهناه بالسلامة وقال له يافارس العرب وكاشف الكرب والليث المنتخب ثم قال له الغضبان وذمة العرب ماقصرت ياأبتاه مع هذا الشيطان وما أظنه يفلح

من هذه الضربة التى ضربتها له على رأسه فانها أوهنت أساسه وأخمدت أنفاسه فقال له أبوه عنتر والله ياولدى ماأظن ان تلك الضربة تقصر عمره لان الضربة لماوصلت اليه ألقته على ظهره وما كانت الاصفحا الانى ماأردت بذلك الأسره فلما وقع حالت العساكر بينى وبينه وبعد ذلك ما أدرى ما كان من أمره فعندها نهض الغضبان وباس رأس أبيه ويديه وقال له لله درك من فتى غضبان وحامى الميدان وصيد الشجعان والاقران وتقدم أيضا الملك قيس بن زهير وقد أثنى على عنتر بمثل هذا الكلام وقال وحق خالق الانام ومحيى العظام لو بلى بحرب هذا عبدهياف من الارض السفلى لكانوا عجزوا عن قتاله ويتوقفوا عن حربه ونزاله (قال الراوى) ثم ان العسكرين لما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وكان الملك عبدهياف لما جرى له مع قومه لما عاد مثل ماجرى لعنتر مع قومه وهنوه بالسلامة وتعجبوا من حمله للفارس والفرس وكانوا قد عاينوه لما رماه وهنوه بالسلامة من تلك الضربة التى جاءته ثم انهم باتوا الى ان طلع النهار وبان الضوء واستنار واصطفت العسكرين الى الحرب وترتبت الطائفتين الى الطعن والضرب فكان أول من برز الى الميدان يطلب الحرب والطعان هو والملك عبدهياف ليس عنده مما جرى له فى اليوم الماضى لا انزعاج ولامخاف ثم انه طلب البراز وسال الانجاز وقد جعل على رأسه الرفائد مخافة من توبيخ كل حاسد وعمل من فوق الكل خوذة عادية ملمعة ململمة مجلية وجعل على بدنه زردية وكان من معزتها عنده سماها الذهبية لانها كانت بالذهب مطلية وكانت ضيقة الزرد كثيرة العدد لايعمل فيها الصارم المهند ولايخرقها سنان الرمح المسدد وكان يدخرها للشدائد ولا يلبسها الا يوم الاوابد فلما خرج ذلك اليوم فى ذلك اللبس والزى والمنظر فكان كل من رآه وقد علم ماجرى له فى اليوم الاول يتحير ثم انه جال على ظهر الجواد وصال وطلب البراز والنزال وبعدها وقف فى وسط الميدان وأنشد وقال

* لقد علم القبائل من نذار * بانى فارس بطل نبيل * عزيز فى ملاقاة الاعادى
اذا جالت الاقران بالسيف الصقيل * وقومى فى المحافل خير قوم * وجيل فى المكارم خير جيل
* أعنترة الوغى ابرز الينا * أيا بطلا وليس له عديل * أنا ملك الملوك الى جدودى
* يكون المنتهى قرما جليل *

(قال الراوى) ثم انه صال وجال وطلب الحرب والقتال وجعل فى الميدان كرات وحملات وقال ابرز ياعنتر حتى اننا نتناهل أنا وأنت كاسات الممات فقد عرفت انك أنت الذى كنت صاحبى بالامس وعلمت انك فارس عبس فابرز الى اليوم حتى انى أخاطر معك بالنفس وأبدل اعزازك بالتعس والنكس فوحق ذمة العرب الكرام مارأت عينى مثلك بطل همام ولافارس ضرغام ولاأصبر منك على الحرب والطعان ولاأقدر منك على الجولان ولقد لقيت فوارس البر والبحر على طول الزمان فما نظرت أثبت منك جنان ولاأقوى فى حومة الميدان فلم يتم الملك عبدهياف كلامه الا وعنتر صار قدامه وكان تحته جواده الابجر الذى ماملك مثله كسرى ولاقيصر ولا احد من ملوك بنى الاصفر وهو مسربل بالحديد وعليه ثلاث دروع من الزرد النضيد وهو متقلد بثلاث سيوف وذلك من حرصه من اليوم الماضى لانه علم أن العساكر قد ملت من الانتظار وانه لم يؤسر أو يقتل ماعول عسكره على الانكسار وكانت تلك السيوف سيفه الماضى الحصين وسيفه الدامغ وسيفه المعين ثم انه جال وصال حتى لين عريكة الحصان فى حومة المجال وهو كالاسد المهول وأشار اليه ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

كان يومى فى الحرب يوما طويلا * هل السيف بيننا تهليلا * لم أزل ألتقى الفوارس فيه
وأقد الاجساد عرضا وطولا * وأذيق الابطال طعنا وضربا * ثم أرديهم واقتيل الاجديلا
هذه شيمتى اذا الحرب قامت * وترانى للضيف عبدا ذليلا * أنت فرد ياعبدهياف يامن
* قاد جمع الجموع جيشا جليلا *

(قال الراوى) ثم انهما جالا على بعضهما بعض وجالا طولا وعرض حتى تدكدكت من ركض جواديهما تلك

الارض وطال بالعسكرين الانتظار وتحيرت مما جرى بينهما الافكار وشخصت الى نحوهما الابصار وهما فى مطاولة ومحاولة وتارة ميمنة وتارة ميسرة وتارة الخيل تأخذ فى الجرى والكد وتارة تتقهقر وانعقد عليهما الغبار واشتعلت الحرب بينهما كالنار المسعرة فعند ذلك وقف الملك عبدهياف عن المجال لما ضعفت منه الاوصال وأشار الى عنتر بالمقال فقال ياأبا الفوارس وحق ذمة العرب الاقيال لقد رأيت من حربك مالا يوصف ومن صدق ضربك وطعنك ما كفى ولقيت أنت الاخر من حربى وطعنى وضربى ماليس عنك يخفى ولقد اشتهيت أن أرغب فى مصاحبتك وأصادق مثلك وأكون عندك كواحد من أقاربك وجماعتك فهل لك يافارس الزمان ونتيجة العصر والاوان وياأبا الفوارس أن تصادقنى وعلى ما أريد منك توافقنى فقال له عنتر ويلك ياعبدهياف فما أنا ممن بالمحال تخدعنى ولاتقدر تبلغ مرادك بالزور منى وحاشاك من هذا الكلام أيها البطل المغوار لان هذا ما يليق بمثلك أن يميل الى الخداع ولا أنا ينال منى انسان مايريد الا فى حومة الميدان الذى يبان فيه الفارس الكرار وان كان لك رغبة فى قتالى فدونك حربى ونزالى وان كنت تطلب الاقالة فان الله قد أقالك (قال الاصمعى) فوالله ماسمع عبدهياف من عنتر آخر هذا الكلام حتى رمى روحه من على ظهر الجواد وبقى على ظهر المهاد وتدانيا وتقاربا ورمى كل واحد منهما روحه على الآخر كأنه من بعض أقاربه وصار كل واحد منهم يعانق صاحبه واصطلحا الاثنين ماصلحا طيبا مافيه اختلاف وقبل عبدهياف لعنتر وقبل عنتر لعبدهياف ثم صار بينهما العهد والوداد والذمام بأنهما لايخونا بعضهما بعض لافى النهار ولافى الظلام ومن ساعتهما رضى البطلين بهذا الكلام ثم ان عبدهياف عاد ركب جواده وساقه وطلب عساكره وأجناده وما كان القتال بينهما كان وكذلك ركب عنتر جواده وطلب ناحية بنى عبس وعدنان ونزلت الطوائف فى منازلهم وقد انطفت من بينهم نار الحقود وقد فرحت جميع الابطال والاقيال والجنود بما وقع من الصلح بين هؤلاء الاسود وفى ساعة الوقت أمر الملك عبدهياف أن يحضر واله ألف خلعة زائدة الاوصاف فما كانت الاساعة حتى احضرت الى بين يديه وهم من الخلع الغاليات الاثمان فأخلع على سائر مقدمين العربان وبعد ذلك أمر باحضار الطعام حتى عم الخاص والعام وبعد ذلك الاكل أحضروا المدام فأكلوا القوم وشربوا وفرحوا وطربوا ودامت بينهم الصحبة والوداد وخلعوا السلاح والحديد عن الاجساد وذلك بقى حاميهم عنتر بن شداد هذا وعبدهياف وعنتر وهانى بن مسعود سيد بنى شيبان ودريد بن الصمة شيخ مشايخ العربان أهل المناهل والغدران والملك قيس وجميع فرسان القبائل وفرسان الحجاز وتلك القيعان يتماودوا على الشراب فيما يكون وما كان وسأل دريد بن الصمة فى صهره ذى الخمار الفارس الرئبال فأطلقه لاجله مما كان فيه من القيود والاغلال فلما أطلقوه فما قارب بنى عبس بل انه تنحى عنهم وقصد عرض البرارى والتلال نخار دريد منه ومن شدة حنقه على بنى عبس ورجالها وقال الى حيث ألقت أم قشعم رحالها ودامو جميع القوم فى أكل وشرب مدة ثلاثين يوم ثم بعد ذلك رحلوا وعاد كل واحد منهم طالب دياره وقد قضى كل واحد منهم من الصلح أوطاره هذا وعبدهياف متأسف على فراق عنتر وكذلك عنتر متأسف على فراق عبدهياف على ما وقع بينهم من المحبة والوداد فأشار عبدهياف الى عنتر بن شداد يودعه بهذا الانشاد يقول صلوا على طه الرسول

سر فى أمان الله ياهذا الفتى * وأجل من ركب الجياد وأسرج
فالقلب بعد فراق عنتر مغرم * والنار تضرم فى الحشاء تأجج
فلئن رحلت فأنت خير مودع * ولئن رجعت فها أنا لك ملتجا
أنت المؤمل فى الحوادث كلها * أنت المفرج كل ضيق مخرجا
أنت الغنى أنت المنى أنت الشفا * أنت الوفا أنت الفتى أنت الرجا
ها أنت فريد فى الزمان مؤيدا * ماليس مثلك فارسا سلك الدجا

(قال الراوى) ثم ان عبدهياف قال لعنتر بعد ما أثنى عليه وله شكر على ما نظم ونثر اشهد على ياأبا الفوارس

اني وحق ذمة العرب وشهر رجب والرب الذي اذا طلب كل العباد غلب ما بقيت أذهب على رأسي راية وفيها ناصية ملك ولا بقيت أرجع الى حصار الملك كسرى أنوشروان كرامة لولدك الغضبان الذي كسر نصف عسكري في ساعتين من الزمان وهو الاسد الهدار وكشف عن كسرى الحصار فقال له عنتر اعلم يا ملك الاقطار ان الملك كسرى ما فعل فعل يستوجب عليه الحصار ولا بينك وبينه معاملة لا في درهم ولا دينار وهو ملك عادل كثير المحبة للفرسان ويود أهل الشجاعة والاقران ويحب العدل والانصاف ويكره الظلم والاسراف فقال له الملك عبد هياف حياك الله يا فارس الزمان اذا كان شأنك هذا الشان ثم ان الملك عبد هياف ادعى من وقته وساعته بمائة ألف دينار ومائة ثوب أطلس لم يوجد مثله في سائر الاقطار ومائة ثوب ديباج ترهج من الذهب الوهاج ومائة حصان بحريه ومائة من الحجورة العربية والف ناقة هنديه ومائة عبد ومائة جارية حبشية ففي عاجل الحال أحضرت قدامه الجميع كما أمرهم في الوقت سريعا ثم انه أمر بعد ذلك باحضار الغضبان البطل الهمام فحضر الى بين يديه بقوة عزم واهتمام فاجلسه الى جانبه بعد ان قام له قائما على الاقدام وقال له يا غضبان خذ هذه الاموال والنوق والجمال فقد سمعت عنك انك رجل كريم ومثل أبيك بطل جسيم وتحب الكرم والكرام وتكثر في الضيفان واطعام الطعام فاشتهي من جنابك الكريم المنيع ان تقبل مني هذا المال الجميع يا فارس الزمان ويا حاوي قصب الرهان فقال له الغضبان أنا ما أشتهيك يا ملك الا تكون في خير وانعام واعظام ولكن قبوله حبا وكرامة فلا زلت ممتعا بالعز والسلامة لان الكرام الافاضل أصحاب الرتب قالت امتثال الامر من سلوك الادب ثم انه أمر من له من الخدم والغلمان فدفعوا الجميع الى رعاته وزعاة أبيه عنترة الفرسان ثم قال الملك عبد هياف لعنتر يا أبا الفوارس اني عرفت منكم انه لو كان لكم أموال ونوق وجمال ما أبقيت عليها الا أنت ولا ولدك الغضبان الذي هو الآن شجيع الوقت والزمان ثم انه ودعهم وقدموا له جواد المركب فقدم له عنتر شيأ من الاموال والذخائر والفضة والذهب وخيول وزرديات وعدة سلاح ونوق وجمال حتى امتلأت بهم تلك البطاح وسأل تفضلاته في قبولها فأبى الملك عبد هياف عن ذلك وحلف عليها بحياة رؤس حماة القبائل انه لم يأخذ منها عقال وقال له هذه فرقة تشهد على من عندك من الرجال والابطال ثم انهما ودعا بعضهما بعض وكذلك من معهما من الفرسان يوم كامل في تلك الارض والقيعان ورجع كل واحد طالب بلاده ومعه عساكره وأجناده ولما عادوا وحضروا بين يدي الملك قيس جميع العربان بعد رواح الملك عبد هياف ومن معه من الشجعان فاخلع على الجميع الخلع الاطلس الملاح وأكثر لهم من الزرد والسلاح ثم بعد ذلك أحضر عنتر أمواله وكثيرا من نوقه وجماله وحلف على شيخ العرب دريد بن الصمة وعلى الامير هاني بن مسعود وعامر بن الطفيل وبسطام حامية بني شيبان وجميع حماة القبائل والمقادم الذين ما منهم الا كل أسد حلاحل وحلف عليهم ان جميع ما قدمه له عبد هياف يقبلوه ولا يردوه فحلف الجميع وشددوا في الاقسام انهم لم يفعلوا ذلك المرام ثم قال له دريد يا أبا الفوارس أنت قد تشتت عن أوطانك وقتات رجالك وفرسانك وأنت أحق بهذا المال تنفقه على رجالك والابطال ثم انهم تودعوا وسار كل واحد طالب دياره والاطلال وكل واحد توجه في طريق آمنا من الندامة والتعويق من غير عايق لهم يعيق (قال الراوي) وأما هاني بن مسعود فانه سار هو ودريد بن الصمة وهم في عزة وهمة وقد انفصل الحال بين الابطال والاقيال فقال عنتر الى ولده الغضبان يا ولدي أما ترى الى هؤلاء الابطال وهم قد أتوا الينا وتعبوا معنا وقاسوا من أجلنا الاهوال ومضوا الى أهاليهم والعيال وما نالهم مما نالنا ولا عقال وحق ذمة العرب الاخيار ان هذا الا غاية العار والذل والشنار فقال له ولده الغضبان يا أبتاه من الرأي الصائب والامر الواجب انك تقسم هذه الاموال شطران وترسل الشطر الواحد الى هاني بن مسعود ودريد بن الصمة والفرسان الصناديد والشطر الآخر تأمر دريد أن يفرقه على باقي الفرسان الاماجيد فقال الملك قيس والله يا غضبان لقد أتيت بالرأي الصائب والامر الرشيد الواجب وبعد ذلك بعث تلك الاموال مع العبيد والغلمان وأمرهم أن يلحقوا دريد بن الصمة شيخ مشايخ العربان ويقولوا له يقول لك عنتر فرق البعض على الفرسان والبعض للامير هاني سيد بني شيبان

والبعض يكون لك خاصة تسير به الى الاوطان فسارت العبيد بتلك الاموال ولحقت دريد وسلموا عليه وأعطوه المال بالتمام والكمال وقالوا له ان الملك قيس وعنتر والغضبان يسلموا عليك ويسألوك في قبول هذا المال وأن تقسمه شطران الواحد لك ولهاني بن مسعود سيد بني شيبان والقسم الثاني لباقي القبائل والفرسان فلما سمع دريد قول الرجال والغلمان فشكر الملك قيس وعنتر والغضبان وأثنى عليهم بكل جميل على فضلهم والاحسان ثم انه أرسل في عاجل الحال خلف أكابر القبائل والفرسان وفرق عليهم من تلك الاموال وكان شيأ كثيرا يبهر الاعيان ثم انهم رحلوا بعد ذلك طالبين ديارهم والاوطان وهم فرحانون بما معهم من الاموال كرامة للعيال والصبيان هذا ما جرى من أمر القبائل وعساكر العربان وأما الملك قيس بن زهير فانه سار طالب دياره والاوطان التي هي أرض الشربة والعلم السعدي ديار بني عبس وعدنان وكان عنتر قال للملك قيس يا ملك الزمان خذ معك جميع الحريم والاظعان والاطفال والعيال والنسوان وسر بهم في هذه البراري والقيعان حتى أسير أنا والغضبان لعلنا نسوق غنيمة من بعض الاعداء الذي لنا من قبائل العربان ننفقها علينا مدة اقامتنا في الاوطان (قال الراوي) فقال له الملك قيس يا أبا الفوارس افعل ما بدا لك وما أحد يخالف مقالك ثم ان عنتر أخذ معه عروة والغضبان وغصوب وميسرة وأخوه مازن وتمام المائة من الفرسان وسار هو في المقدمة وأولاده الى جانبه يقطعون القيعان ذلك اليوم والثاني والثالث واذا هم قد أشرفوا على مرج كثير الاشجار والازهار والاثمار والماء فيه حدار فقال عنتر لولده الغضبان انزل بنا يا ولدي في هذا المكان حتى نأخذ لنا راحة ونأكل شيء من صيد هذا الوادي ونشرب من هذه الغدران فبينما هم في المشورة والكلام واذا قد طلع عليهم غبار وقتام فتأمله الغضبان بعقوله واذا به قد انكشف للنظار وظهر وبان ما تحته للابصار واذا به رايات كسروية وبيارق خراسانية فهمز الغضبان جواده وطار وطلب به الى ناحية الغبار حتى ينكشف ما تحته من الاخبار واذا هو بجماعة من الاعجام والمرازبة الديالم فاول ما رأوه ترجلوا على الاقدام وقربوا منه وسعوا اليه وخدموه (قال الراوي) وكانت هذه الفرسان من عند الملك كسرى أنوشروان وهم رسل أرسلهم الملك كسرى في طلب عنتر وولده حتى انه يجازيهم على ما فعلوا معه من الجميل والاحسان لان عنتر لما أرسل ولده الغضبان وفعل ما فعل من كسر العساكر وخلص عساكره والدساكر مما كانوا فيه من الذل والهوان فبقي جاعل عليهم العيون والارصاد حتى صالح عبد هياف مع عنتر بن شداد ورحلت العساكر تطلب أهلها والبلاد فأرسل هذه الرسل في طلب عنتر بن شداد وأمر الرسل أن يأتوا به هو وأولاده الجميع فالتقاهم في هذا المكان كما ذكرنا فلما التقاه رسول الملك كسرى قال له يا أبا الفوارس أجب الملك العادل حتى يقضي معك ومع ولدك الغضبان برهة من الزمان ويتشكر من جميلكم والاحسان لانه قد سمع بما وصل لولدك من الشجاعة والقوة والبراعة وما قد ظهر له من السعادة والتوفيق لما أتى اليه وأعانه في أول طريق ثم ان الرسول تقدم الى عنتر وقبل رجله في الركاب وترحب بمن حوله من الاصحاب وقال له يا أبا الفوارس لابد من الحضور قدام الملك كسرى لانه اليك والى أولادك ومن يعز عليك حتى يجدد بك عهدا وميثاقا وتتشرف بتقبيل أقدامك أرض العراق فقال عنتر حبا وكرامة اعلم انني عبد الملك كسرى ومملوك احسانه وأنا من بعض رجاله وغلمانه ومن هو أنا حتى ينفذ مثل خلفي رسول ثم ان عنتر أخذ ولده الغضبان وباقي أولاده ومن معه من الفرسان وساروا جميعا يقطعون البراري والقيعان طالبين مدائن كسرى أنوشروان والغضبان يقول لابيه يا أبي وحق ذمة العرب ما في مدائن كسرى الاخلاق كثير وأمم لا تحصى بعدد الرمل والحصى ترى يا أبتاه فيهم قوة وشجاعة اذا تدانت المواكب والتقت الكتائب بالكتائب وهل لهم ثبات في حومة الميدان أو يلتقوا حربا وطعان فقال له أبوه لا عدمتك يا غضبان لابد اسؤالك عن أمر وشان فقال له نعم كيف قدر عليهم كسرى حتى ملك كل هذه الشجعان فضحك عنتر وقال يا ولدي هل عمرك رأيت ملك بن ملك يقاتل فرسان أو يبارز أحدا في حومة الميدان فقال الغضبان اذا ما كان فيه للقتال فكيف ملك كل هذه البلاد وأطاعته العساكر والاجناد وكل هذه الامم والعباد فقال له يا ولدي هذه وراثة ملك بعد ملك فقال الغضبان فلما لا تسير أنت

اليهو بالسيف تقمعه وتقتله وتقعد أنت موضعه وتقدملك كل البلاد وجميع العباد والا أى شئ هذه أرض
الشربة والعلم السعدى وذلك المكان وماهذه الارمال وكثبان وتراب وكيمان وأما طاعتك للملك قيس
ابن زهير فهو مما يوصل اليك المضرة والمذلة والضير ولا يصل اليك منه قط خير وتعظيمه وأنت فارس الفرسان
وعروس الميدان ومقاتل كسرى أنوشروان ومذل ملوك الزمان أصحاب المعاقل والتيجان فقال عنتر
ياولدى ياغضبان اطاعة الملوك ماهى فزعا من قهر يدولا عدم مكسب وانما طاعتهم من سلوك الادب لان الله
عز وجل فضلهم على غيرهم وجعل لهم الطاعة علينا فرض كما فضلك أنت بالشجاعة على غيرك من فرسان
الارض بطولها والعرض لان البارى الحنان جعل واحدا شجاع وآخر جبان ماله قيمة بين الفرسان وواحدا
كريم وآخر بخيل وواحدا عزيز وواحدا ذليل وآخر ملك وآخر مملوك وواحد غنى وآخر صعلوك وان السعادة
ياولدى كلها من الله بالمشيئة والارادة (قال الاصمعى) ثم انهم سار وامع الرسول الجميع حتى قاربوا المدائن فى
عاجل الوقت سريعا وكان الملك كسرى قد أوقف لهم ناس من مسيرة ثلاثة أيام ومعهم البطائق الذى تسير على
أجنحة الحمام وقال لهم اذا وصلت لكم بنى عبس وعدنان وعنتر وولده الغضبان أطلقوا الطيور ففعلوا كما أمرهم
الملك كسرى أنوشروان وأعلموه بوصول عنتر وأولاده ومن معه من الفرسان فأمر بركوب جميع الجيوش
الى ملتقاهم وكذلك جميع حجابه وكبار الاقران ودقت للقاهم الكوسات ونعرت البوقات وطلعت جميع
الخلائق الى الملتقى وهم بأحسن زينة للقاء عنتر الفتى القسور وخرج كسرى فى أصحابه ومرازبته ونوابه فلما
وصل عنتر ورآه فترجل من على ظهر جواده وكذلك جميع أجناده وأولاده وقبلوا ركابه فاستقبله كسرى وهو
كأنه أعز أحبابه وأصحابه وحياهم بالسلام وزادهم فى التحية والاكرام وأمر بنزولهم فى أعلا مكان وكانت
سبقت له الخدام والغلمان وفرشوا لهم محل أحسن ما يكون من الفرش المزينة والتحف الملونة وأمرلهم
باحضار الطعام وبعد ذلك أمر باحضار المدام وأقام بواجب حقهم ثلاثة أيام هذا والغلمان فى خدمتهم الى
أن فرغت أيام الضيافة فامر باحضارهم الى بين يديه وباسطهم فى الكلام وسألهم عما جرى لهم مع الملك عبد
هياف الهمام وما أعطاهم من الاموال والثياب والخيل والجمال والانعام وحدثه عنتر بما رأى من شجاعته
وما عاين من قوته وبراعته وحسن قتاله وجودة حربه ونزاله فتعجب من ذلك الملك كسرى وقال له ياأبا الفوارس
طول ما تحمل النساء وتولد ما على وجه الارض فارس ثم ان الملك كسرى نظر الى الغضبان وقال له يافارس
الزمان وياحاوى قصب الرهان يامن بادانا بالاحسان اطلب وتمنى على كل مايشتهى خاطرك وتريد حتى
نحملك على بساط عدلنا وكرمنا ونزيدك أوفى مزيد فقال له الغضبان بقوة جنان وثبات بنان أريد منك
ياملك العصر والزمان تعمل لى عامود من ذهب مثل عامود عبد هياف يكون وزنه مائة من بأوزان العراق
ويكون فيه عشر حلقات كل حلقة ثلاث أصناف بذلك الوزن والاتفاق حتى أبقى أفتخر به على جميع عرب
الآفاق وتعمل لى أيضا رمح مثل رمحه من الحديد البولاد الصينى ويكون وزن الرمح مثل وزن العامود وأيضا
تعمل لى ترس من البولاد ومن جلود التماسيح ويكون مثل وزن العامود حتى يتعجب بهم أهل خراسان وجميع
العربان فتعجب الملك كسرى من كلامه وأمر باحضار الصناع الى قدامه ورسم بأن يصنعوا له جميع ما طلب
وقعد والغضبان وعنتر فى أكل وشرب مع الملك كسرى وهم فى غاية الطرب الى أن فرغوا الصناع من عمل
العامود والترس والرمح وأحضروهم الى بين يدين الملك كسرى فسلمهم الى الغضبان فعندها أخذهم الغضبان
وفرح بهم غاية الفرح وطاب قلبه بذلك الامر وانشرح ثم انه لعب بالعامود قدام أنوشروان حتى حير جميع
من فى ذلك المكان من شدة قوته وبراعته وعظم شجاعته وهو يحذفه فى الهواء ويلتقيه ثم انه خدم وقبل يد
كسرى وكذلك لعب بالرمح انداب حتى حير عقول أولى الالباب وبعد ذلك طلب سرعة العودة هو وأبوه عنتر
فعند ذلك أمرلهم كسرى بألفين ناقة لم توجد مثلها فى البلاد ومائتين رأس من الخيول الجياد ومائة خلعة من
الخلع الغوال ومائة سيف خوده ومائة رمح طوال ومائة ألف دينار من الذهب العال وأذن لهم فى المسير
والرحيل فودعوه وساروا وهم شاكرين ولنعمائه ذاكرين والى ديارهم طالبين وفى مسيرهم مجدين والى

أهاليهم راغبين (قال الراوى) فلم يزالوا سائرين يقطعون الطريق من غير عائق لهم يعيق حتى بقوا فى نصف
الطريق فأمرهم عنتر أن يعرجوا عن طريقهم فى تلك القيعان فظنوا ان ذلك ضيعان فقال لهم الغضبان الى
أين تريد المسير يا أبتاه فانه ما يفعل فعالك هذا الا من ضل عن الطريق وتاه فقال له عنتر لا ياولدى ما تهت
ولا بى ضيعان الا انى أريد أمضى الى ناحية العجوز الذى داوتنى ولها على جميل واحسان (قال الراوى) وان هذه
العجوز الذى ذكرها عنتر لولده الغضبان هى التى داوت عنتر وجرى له ما جرى عندها من ذلك الشان ثم انه
عرج بهم عن طريق وساروا بين يديه وولده الغضبان فى سرجه كأنه غصن بان أو أسد غضبان حتى انهم
وصلوا الى المكان التى فيه العجوز وصديقه عروة بن الورد يقول له ياأبا الفوارس والله ان زيارتها تجوز الى ان
أشرفوا عليها وتقدموا اليها وبما وقع من الاتفاق الذى يكتب ويسطر فى الاوراق وجدوا أولادها الثلاثة
عندها حضور فحصل عند عنتر الفرح والسرور وأما أولادها لما رأوا غبار عنتر وهو مقبل فقاموا اليه
لينظروا من هو القادم عليهم والوارد اليهم فركضوا بخيولهم حتى انهم قاربوه فعرفوه فألقوا أنفسهم من على
ظهور الخيول فى البر الاقفر وصاروا يقبلوا فى الركاب ورجلين أبى الفوارس عنتر فقبل عنتر رؤسهم وحلف
عليهم أن يركبوا وهم فرحانين بما حصل لهم من الفرح والطرب فأخذهم قدامه وقصد الى المضرب فلما رأت
العجوز الى تلك الرجال خرجت اليهم واستقبلتهم بحسن استقبال فترجل لها عنتر هو ومن معه من الرجال
وكان ذلك اكراما منه وافضال وتعظيما لها واجلال وقصده بذلك أن يكافئها على مافعلت معه من الفعال
وسلموا أيضا أولاد عنتر عليها ومنهم من قبل رأسها ويديها فصارت العجوز تقبل يدى عنتر ويدى فرسانه
وأجناده وأقرانه وفرحت بقدومه وقدوم أولاده وسألت عن الخيل والفرسان الذين هم صحبته فقال لها ياأم
الاشبال هؤلاء أولادى وهذا أخى وهؤلاء رجالى الذين فى خدمتى وما منهم الا كالاسد عند حملته فقالت
العجوز بارك الله فيك وفيهم وفى من هو فى رفقتك ورفقتهم وتعجبت العجوز منهم وظنت العجوز انه ما جاء عنتر الا
ليأخذهم فى صحبته (قال الراوى) فلما استقر بهم المقام فخدموهم أولاد العجوز ثلاثة أيام وبعد ذلك قال عنتر
للعجوز وأولادها وقد طلب أن يكافئها على حسن ودادها أما ترحلون معنا الى ديارنا حتى تكونوا تحت ذمامنا
وفى جوارنا ويكون لكم ما لنا وعليكم ما علينا وتصقوا تكون جميع ما فى أيدينا فقالوا له ياأبا الفوارس نحن أينما
كنا نكون تحت حمايتك وفى حماية أولادك وتحت ظلك ورعايتك ونحن عبيدك على طول الزمان ونسأل
الله أن يبقيك ويوقيك حوادث الزمان وطوارق الحدثان وأما العجوز فانها فرحانة غاية الفرح الشديد
الذى ما عليه من مزيد وزال عنها ما كان اعتراها من الاوابد وحمدت الله وشكرته على جميل العوائد (قال
الراوى) فلما كان بعد الثلاثة أيام أنعم عليهم عنتر غاية الانعام وأعطاهم أوفى عطية وقدم لهم الخيول العربية
والجنائب وشئ كثير من الرماح والقواضب وأهدى لهم الهدايا والاموال والنوق والجمال والخلع الغوال
وأعطاهم من التحف والاحسان شئ يكل عن وصفه اللسان ويبقى ذكره على مدى الازمان وقال لهم أنتم فى
ذمامى الى أن أموت وأشرب كأس حمامى فاذا عارضكم أحد ارسلوا واعلمونى حتى اننى أسير اليه وآخذ
روحه من بين جنبيه وأطير رأسه من بين كتفيه واقتل أبطاله وأخرب دياره وأطلاله (قال الراوى) وان
الغضبان واخوته ميسرة وغصوب وهبوهم شيأ زائدا لم يكن فى حسابهم محسوب وكذلك جميع الفرسان
وهبوهم شيأ يكل عن وصفه اللسان وغمروهم بالخير والاحسان ثم ان عنتر رحل بعد ذلك قاصدا الى دياره
والاوطان وساروا أولاد العجوز معه لوداعه يوم كامل فى تلك البرارى والقيعان فعند ذلك ردهم عنتر بعد
ما شدد عليهم فى الاقسام وساروا يقطعون البر والآكام طالبين أرض الشربة والعلم السعدى والخيل تخب بهم
وتعدى وقد اشتاقوا الى نظر الاحبة وما لهم من الرفاق والاصحاب وهم يتحادثون فيما جرى عليهم فى تلك
الاسباب فى هذه السنين والاعوام والشهور والايام وما قاسوا من عبد هياف من الحرب والصدام وما
تم لهم من الاقتحام والالتزام فقال عنتر وحق ذمة العرب الكرام طول عمرى الاقى الفرسان وأمارس

الاقران وأبتى الجبابرة والشجعان فما رأيت أثبت من هذا الفارس والقرم المداعس الذى تشيب الرأس من حربه وتتذهل الاقران من طعنه وضربه ولما حملنى بجوادى فغاب صوابى وارتعب فؤادى فوحق شهر رجب والرب الذى اذا طلب غلب يستاهل أن تنعقد على رأسه الرايات وتنقاد تحت لوائه القادات والسادات ثم انه أشار يحكى الى فرسانه ما قاسى من حربه وطعانه وهو ينشد ويقول هذه الابيات

ألا ابلغ العربان عنى من أقوالى * بأن طعان الرمح فى الحرب أشغالى
وبلغ العربان وعبس وسادتى * وعزى وخلانى ذوى المنصب العالى
وخبر بنى بدر وغطفان بعدهم * لزهران مع كهلان من كل مفضال
بما لاقت الفرسان من حرب عسكر * يسد فيافى الارض سهل واجبال
يموجوا كموج البحر تحت غمامة * وقد أظهروا برقا وزهدوا اعوال
وهم ألف ألف ثم سبعون بعدها * الوفا وألف راكبين لافيال
أتونا بعزم من بلاد بعيدة * معا ملكين أخفر الناس أمثال
وكان أصل ذا شخصا أتانى وقال لى * ألا اننى محسوب منك بايصال
رويت ظما آمالك بوطهجيرة * وأجبته لما وصلت بأحبال
فضيت أنا هذا الذمام واننى * همام ومقدام وليث ومفضال
فسارت رجال الهند نحو مليكها * وقد أخبروه القوم ما كان من مجال
فجرد رسولا بالوعيد مهددا * لجندله الغضبان فوق الثرى ورمال
فعادوا حيارى حاملين لمرهف * وقد أخبروه القوم ما كان من حال
فلما رأى هياف قتله مرهف * فزاد غراما ثم هام ببلبال *
وكاتب ملوك الهند والسند معلنا * وألف مليك قد أتوه باقيال
وكان له خل يسمى بأحضر * غشوم شروس فى الحروب مقتال
فساروا الينا والوحوش تنافرت * ونيران هياف تزيد بأشعال
وأرسلت شيبوبا وخذروف ابنه * فعادوا سراعا زاعقين باذهال
وقد أخبروا هانئ أسيرا مقيدا * كذاك سبيع فى قيود واغلال
فزادت همومى للامير وأمره * وفاضت دموع العين منى كسلسال
فكاتبت خلانى وأهل مودتى * أتونى سريعا سامعين لاقوالى
واكتملوا سبعين ألف مدرع * أسودا ضوارى مثل أسد الدحال
وسرت بأولادى وأهل مودتى * نخوض برارى بالبيات وارمال
كذا ولدى الغضبان كان طليعتى * فلاقا لخضر فى رجال وأبطال
ولما تصادمت الجيوش جميعها * وجالت بنو عبس بسمر وصقال
فهاجت وماجت باليمانى وأظهرت * لسمر القنا من كل ذابل عسال
وجالت وأجلت كربها بسيوفها * وطالت وصالت واستطالت باقيال
يسرن لبعد من بلاد بعيدة * الى طرف سعد أوالى طرف آجال
فانفذ مولانا العظيم لحكمه * فسبحان من حاكم وحكمه عال
اله كريم خالق الخلق كلهم * يجود على العاصين منه بافضال
كما أجرى لما رمانى وأطبقت * على ألوف زايدات بأهوال
وما لوا على بسيوف وبالقنا * بأسمر عسال وأبيض فصال
ياولدى الغضبان روحى لك الفدى * بما فعلت يداك فشفيت اغلال

وجاء دريد بالعرب الشرار قاصدا * وجد ولدى من غير عم ولا خال
والتحم الجيشان فى الحرب واللقا * يريدون أخذ الثار من كل جوال
تلطف مولانا العظيم بفضله * فسبحان من يحيى العظام وهى بوال
لما تعافيت من جراحى ملتوا نحوهم * وجدت الفتى الغضبان ضيغم قتال
مبارز ملك الهند يدعى بأخضر * فأرديته لما ظهرت باذلال
وكان شفاه مع عجوز لقيتها * وأولادها منى هربوا بالجبال
وكان جوادى ضاع ثم لقيته * وبردت نيرانى وهمى وبلبال
وأبصرته فى البر فردا مشردا * وحيدا وحول جواد جمع رجال
وبارزت هياف لما رأيته * ان شاء صداما وان شاء جوال
وفى وقعة التنين شابت عوارضى * وصار عشب البر من فعله قال
وفى يوم حملى بالجواد وسيره * فهذا الذى أذهل عقلى وبلبال
فورب البيت ما رأيت مثله * وما نظرت مثل عبد هياف بالمجال
ولا مثله فى الارض يوجد ثانيا * وليس له فى مواقع الحرب اشكال
ووالله ان كان رب البيت أسعد * لعبد أرقاه الى المنزل العال *
ولما اصطلحنا فرق الدهر بيننا * كذا طبع هذا الدهر ادبار واقبال
وسرنا الى كسرى نجاد بنعمة * على ولدى الغضبان بالعز والمال
وسرنا الى عبس نطوى فيافيها * وقلبى على عبلة باضرام واشتغال
أيا عبلة انى قطعت البيد أسرع * اليك كى أفوز باقبال
أيا عبلة كم قاسيت كل ملمة * مع عبد هياف بضرب نصال
يا عبلة شابت فى الجهاد لحربنا * ولم يعرفوا اذنبا بنون واطفال
ثلاث سنين قد بلوته بحربه * وستة شهور زائدة بأكمال
انا عنتر العبسى فارس قومه * أموت ويبقى لى حديث وأقوال
وتوجنى ربى بنصر مؤيد * اقبال وسعدى دائما باجلال

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه مالت الفرسان عجبا واهتزت طربا وقال عروة لا ارداك الله ولا كان من يشناك وبلغك الله مناك ولا شمتت بك أعداك ثم انهم جدوا المسير فى البر والقيعان كأنهم العقبان الى العلم السعدى ورمى عنتر روحه من الشوق الى نظر الاحباب فأرسل عنتر أخيه شيبوب يخبر ويبشر أهل الحى بقدومهم فسار مقدار ساعة من النهار حتى وصل الى الحى وبشرهم بسلامة أخيه عنتر ومن معه من الفرسان وانهم قد أتوا سالمين ومن سفرتهم غانمين فخرج الملك قيس وبنى عبس لاستقبالهم فى أحسن زينة وأكمل هيبة وكان يوم عظيم يعد من الايام وقد نشر على رأس الملك قيس الصناجق والاعلام وساروا فى الآكام الى ان التقوا بعضهم بعض وسلموا على بعضهم سلام الاحباب وفرحوا المقيمين بالقادمين وبعد ذلك جدوا فى سيرهم حتى وصلوا الى مستقرهم وأقاموا فى فرح وسرور والكاسات عليهم تدور وقد حصل لعنتر بأولاده الفرح والسرور وأتت عبلة وتلقته وهى بالفرح والمسرات وأخبرها على ما وقع له مع عبد هياف وانفصل منهم وقصد الى أرض العراق مع أصحابه بعد فراق الملك قيس بن زهير وعن الذى حصل من الاتفاق وسار الى كسرى أنوشروان (قال الراوى) ولما كان ذلك اليوم تلقته عبلة فى أوائل النساء وهنته بما وصل اليه من جزيل الاحسان واستقروا فى أماكنهم والاوطان وكان الذى وقع لهم ما كان وكانت مدة ما غابوا فى هذه الغزوة ثلاث سنين وأربعة أشهر تمام هكذا حسبتها العربان ولما استقر بعنتر القرار جعل يتذكر ما جرى له من تلك الآثار وكيف حقدت عليه تلك الملوك الكبار وكيف ظفره الله بهم حتى أحل بهم الدمار

فأنشد وقال هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

مالى على حمل الغرام يدان * لا استطيع لحمله الثقلان
عجبا ألاقى الاسد فى يوم الوغى * وأقاد قهرا فى يد العربان
كذا الايانفس كم هذا الجفا * هذا الذى يفنى له الحدثان
هل من معين لى على ما نالنى * قد عز صبرى فى الهوى وعصيان
يا عبل هل من مسعد أو مشفق * فى حبك فلقد عدمت جنان
يا عبل قد عز الغرام وصابنى * ألم الهوى وأنا الكئيب العان
هذا غرامى والمزير بجاورى * كيف السبيل اذا نأى وجفان
فأنا لهذا الامر أحذر صعبة * يارب جرنى من صروف زمان

(قال الراوى) وبعد ذلك صفا لهم الزمان وهم فى هناء واطمئنان الى يوم من بعض الايام وقد قل عندهم الزاد وفرغ ما كانوا اكتسبوه من الطعام واذا قد اتى اليهم خبر غنيمة سائرة الى بعض أحياء العرب فركب عنتر مع أولاده فى فرسانه وأجناده وساروا خلفها الى ان لحقوها وبذلوا سيوفهم فيها ونهبوها واحتووا على ما كان فيها من الاموال والنوق والجمال وعادوا راجعين الى ديارهم وهم يقطعون ما بين أيديهم من المناهل والجبال الى ان أشرفوا على تلك الاودية والمروج واذا بالحلة تموج كما تموج يأجوج ومأجوج ولها غبائر مرتفعة وصرخات عالية مشرعة والصياح عالى والصراخ نامى والناس فى هرج ومرج ودخل وخرج ولما رأى عنتر ذلك الحال واشتاقت نفسه الى السؤال فالتفت الى أخيه شيبوب وقال له يا ابن الام امضى وائتنا بخبر قومنا لانى أراهم كأنهم عازمين على الرحيل وسرعة التحويل فعند ذلك انطلق شيبوب كأنه الريح الهبوب وسار حتى وصل الى الحلة واستخبر من بعض الرجال فأخبروه بما جرى عليهم وما حصل من الشر عليهم فعند ذلك عاد شيبوب فى عاجل الحال الى أخيه عنتر وهو زائد الحرق كثير القلق فقال له يا ابن السوداء قل لى ما وراك ومن بشره رماك قال له شيبوب يا ابن الام ان سألت عن أحوالهم وأى شئ الذى جرى لهم فذكروا لى انهم خائفين من الملك يكسوم ملك الحبشة المفهوم وان حالهم معه حال مذموم لانهم سمعوا أنه هو وعساكره سائرا اليهم فى عساكر تملأ القيعان من عرب وسودان وقد بلغهم انه أقسم وشدد فى الاقسام أن لا يبقى من بنى عبس انسان فلما أن سمع عنتر من أخيه شيبوب هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال له ويلك وما السبب الموجب لمسير الملك يكسوم الى تلك المعالم والرسوم فقال له شيبوب والله ما أعلم بشئ من هذا المقال ولكن سألت بعض الرجال واخبرنى عن هذه الاحوال فاشتغل قلب عنتر من سماع هذا الخبر وحصل له غم وكدر ثم سار حتى وصل الى أبياته ونزل واستقر به المكان فبينما هو مع الرجال وهم يتحدثون فى هذه الهواجس اذ قدم اليه رسول من عند الملك قيس ولما وصل اليه وصار بين يديه قال له يا أبا الفوارس أجب الملك قيس فسار معه وهو بغاية اهتمامه (قال الراوى) وكان السبب فيما يأتى من الاحكام ان جماعة من اخوة الملك قيس وهم الحرث وجندلة وأخيهم نوفل وأيضا ابن أخيهم مجيد وجماعة من بنى عبس الابطال الامجاد اجتمعوا مع جماعة من بنى زياد وتأمر عليهم الامير عمارة القواد وكان جملتهم أربعمائة بطل من الابطال الشداد وقد لبسوا سائر العدد والسلاح والملابس وخرجوا من الحلة وساروا يطلبون المكسب كما جرت عادة العرب وجميع الفرسان فتغوطوا فى البر والفدفد فما وقع لهم غنيمة من أحد قال فعولوا على الرجوع من غير فائدة فجاءت عودتهم على أطراف بلاد الحبشة وهم عائدين وكانوا قد قطعوا من خلفهم بلاد اليمن حتى أشرفوا على تلك المعاهد والدمن فبينما هم سائرين فى البر من غير عاقة واذ قد أشرف عليهم قافلة فيها ثلاثمائة ناقة وهى موثوقة من سائر المعاش والمكسب ومن ورائهم علم من الذهب وتحت ذلك العلم سبعمائة فارس كأنهم الاسود العوابس وبينهم فارس عليه هيبة ووقار (قال الراوى) فلما نظروا بنى عبس الى تلك الاحوال قال لهم عمارة وكان كما ذكرناه هو المقدم على الرجال وهو يقول فى نفسه انه هو القوال الفعال فقال لهم يا بنى عمى

هذه غنيمة سائرة ولكن معها خيل كثيرة ونريد أن نرمى أرواحنا عليهم ونأخذ الغنيمة من بين أيديهم فقالوا له افعل ما تريد لانك صرت المقدم علينا ومهما أمرت به فعلنا (قال الراوى) وكانت هذه الغنيمة القادمة كانت من حصن العقاب والمقدم الذى عليها يسمى ابرهة بن يكسوم الملك المهاب لانه كان قد أرسله أبوه لجمع الخراج والعداد من حصن العقاب وتلك الارض والمهاد فجمعه وحضره وعاد سائرا الى أبيه وأرضه والبلاد لان هذه الارض كانت من تحت حكمه ونهيه وأمره لان هذا يكسوم كان ملك عظيم الشان كثير الفرسان يحكم على آخر بلاد اليمن وقد أطاعته العرب والسودان وكانوا يجمعون له الخراج وينفذوه اليه وكان له هذا الحصن الذى نحن فى حديثه وكان فى آخر بلاد اليمن وفيه عرب بعدد الرمل وفيه رجل من قبل يكسوم اسمه هاطل بن سافيه ومعه ألف فارس وهو مقيم فى هذا الحصن يستوفى الخراج والعداد من القرى والبلاد وينفذها الى يكسوم فلما كان ذلك العام اجتمع عنده خراج كثير من ذهب وفضة وثياب غوال وغير ذلك فانفذ يكسوم ولده يستوفى له المال ومعه ألف فارس من الرجال فقبض المال وعاد طالب لابيه فوقعوا به بنو عبس فداخلهم فيما معه الطمع ولما رأوا كثرة المال فقصد ورقة بن زهير عبد من عبيده يقال له نازح وكان خبير ببلاد اليمن كثير الاسفار اليها فقال له كم بيننا وبين يكسوم فقال يا مولاى ان كان فى العمارة فبيننا وبينه يومين فقال ورقة وان كان على هذا الحساب فما يلحقنا الطلب الا ونحن فى بلاد بعيدة ثم انهم كبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم ونادوا يال عبس يال عدنان فلما ان رأى ابن يكسوم الى ذلك الحال وقف ووقفت الخيل الذى معه وردوا اللجم وراء ظهورهم وخرج منهم فارس الى بنى عبس وقال لهم يا ويلكم لا تعجلوا فى القتال ولا تسلكوا طريق الجهال فهذا مال الملك يكسوم فخرج اليه ورقة بن زهير وقال له فى است أمك على أم يكسوم معك ثم انه طعنه فى صدره أخرج الرمح يلمع من ظهره فلما رأوا فرسان اليمن الى صاحبهم قتيل وعلى وجه الارض جديل حملت على بنى عبس فرسان اليمن واشتدت المصائب والمحن ووقع بهم الخبل والوهن وكان لهم يوم لو رأته الاطفال اشابت قبل رضاع اللبن ولم يزالوا كذلك الى ان أمسى المساء فطلبوا بنى عبس الانفصال فلم ترضى فرسان الحبشة بل حملت طالبة الحرب والطعن والضرب فتلقتهم بنو عبس الكرام وصبروا على هذا الاحكام وذاقوا البلاء من أولاد حام ونادى بعضهم البعض لا تفشلوا عن القتال فنحن بنو عبس والموت الزؤام فدونكم واياهم تحت غسق الظلام فعند ذلك عمل الحسام وكثر الزحام وقل الكلام وخرس اللسان وتعثرت الاقدام فلما كان عند الصباح لحق اياس بن زياد صاحب العلم وكان قد ولى وانهزم فطعنه قتله وأدرك ورقة بن يكسوم وطعنه فى جانبه جندله فلما نظروا رفقته الى قتاله فهجوا على وجوههم طالبين الديار وعمل فيهم الصارم البتار وقتل منهم مائة وخمسين بطل وحل بهم الويل والخبل وأخذوا بنى عبس السلب والاموال والخيل والجمال وعادوا طالبين الديار والاطلال فهذا ما جرى لهؤلاء من الامور والاسباب (وأما) ما كان من المنهزمين فانهم وصلوا الى حصن العقاب وأخبروا بما جرى عليهم من المصائب وأخبروا هاطل بن سافية بأخذ الاموال فوقع به الانذهال وركب فى ألف فارس مثل السلاهب وأخذوا معهم الخيل والجنائب ووقع بهم النفار ولم يركنوا لهم راحة لا ليل ولا نهار (قال الراوى) فهذا ما جرى لهؤلاء (وأما) ما كان من بنى عبس فانهم طلبوا أرضهم وجدوا السير فى طريقهم فأقبل عليهم الامير شرف الدين عمارة وقال لهم يا بنى عمى المال قد حصل فى أيدينا والطلب لابد أن يأتى الينا ونريد نرتب منا قوم يسوقوا المال وقوم تتأخر لقتال الرجال فقالوا له يا أمير عمارة أنت المقدم علينا فمن أردته منا يتقدم ومن أردته منا يتأخر فلما سمع عمارة ذلك المقال أخر أولاد الملك زهير المفضال وتقدم هو بالاموال وقال لهم نحن قدامكم قريب لا تنقطعوا عنا فى الحال فنحن ما نبعد عنكم يا بنو الاعمام وهم الحرث ونوفل وورقة ومجيد بن مالك ومائتين فارس من كل قرم مماحك وأمرهم بالمسير من وراء الغنيمة وسار هو واخوته بعد ان قال لاولاد الملك زهير لا تنقطعوا عنا فنحن ما نبعد عنكم فى الجبال بل نسير قدامكم سير الرفق على قدر سير النوق والجمال ثم سار عمارة الى ان غاب عن العيون وقال لاصحابه الذين معه سائرون الذعوا الابل بأسنة الرماح وجدوا بنا فى المسير والرواح حتى نجوا بأنفسنا فى البطاح

ففعلوا تلك الفعال ووقع بهم الخوف والانذهال وعرجوا عن الدرب وقد عسفوا في البر شرقا وغرب وأولاد الملك زهير قوي بين القلوب بأن عمارة ومن معه سائرين بين أيديهم والامر بخلاف ذلك لان عمارة جدّ في المسير الى ان وصل الى أرض الشربة والعلم السعدي ومعه الاموال والنوق والجمال وأما اخوة الملك قيس فانهم ساروا ذلك اليوم الى ان أمسى المساء فنزلوا قريب من صعدة الجبل في أرض اليمن وأصبحوا وقد عولوا على المسير واذا قد طلع عليهم غبار من بين أيديهم وقد انكشفت عن ألف فارس ليوث أشاوس عوابس وفي أوائلهم هاطل ابن سافية وهو كأنه طود من الاطواد أو من السباع الشداد وهو على جواد أدهم يحكي الليل البهيم كأنه الفيل العظيم وهو ينادي بالجير ونظر الى بني عبس فرآهم في عصابة يسيرة ولم ينظر معهم الغنيمة فقفز من بين أصحابه الى بني عبس حتى قاربهم وكانوا قد وقفوا عن المسير فلما قاربهم ناداهم من أي العرب أنتم ومن يقال لكم فأراد الحرث وورقة ان يخفوا أنفسهم ويقولوا نحن من بني شيبان فقال أنس بن زياد نحن من بني غطفان لانه كان تأخر معهم بجملة المتأخرين من الفرسان فقال يا ويلكم وأين الغنيمة التي أخذتموها من ابن الملك يكسوم لقد جلبتم لانفسكم أمر مذموم فقال الحرث الذي أخذوا الغنيمة من بني عبس ومن يومين عبروا علينا وهم سائرين الى ديارهم فقال لهم تكذبوا يا بنوا الانذال ما أنتم الا من بني عبس وعدنان فسلموا أرواحكم الينا حتى ترد علينا اموالنا فقال الحرث ما نحن الا من بني غطفان ونحن ما نسلمكم أرواحنا الا بعد ضرب وطعان فعند ذلك زعق هاطل على أصحابه زعقة ارتجت لها القيعان قال وكان هاطل فارس اليمن المذكور وبطلها المشهور فالوى عنان نحو الحرث بن زهير وهجم عليه ومد يده اليه وزعق عليه فادهشه ومسكه من أطواق درعه ورجله عن جواده وأخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه الى أصحابه وعاد الى بني عبس فاشبعهم قتال وطعن فيهم يمينا وشمال وكذلك فعلت أصحابه حتى قتلوا من بني عبس خمسين فارس وأسروا أربعين وانهزموا الباقين ورجع هاطل وقد ظفر بالقوم (قال الراوي) وأما المنهزمين من أصحاب يكسوم فانهم لما وصلوا الى الديار أخبروه بقتل ولده وأخذ الغنيمة وما جرى لهم من الامور الذميمة فقال لهم ومن قتل ولدي وأحرق عليه كبدي فقالوا له بني عبس وعدنان فقامت عليه القيامة وانقلبت بلاد اليمن ولزموا البكاء والحزن والمصائب والمحن فعند ذلك حلف يكسوم وقال وحق ذات الذوائب والفلك السائر لاجلبن العرب والحبشة من كل جانب ولاقتلن قاتل ولدي ولا قيمن في ديار بني عبس النوادب ولاتركن ديارهم العامرة سباسب وكان الذي أقسم به يكسوم صنم عنده يعبده من دون الملك الغالب رب المشارق والمغارب وكان قد جعله في دار حيطانها مزينة بالذهب والفضة وأهل بلاده كلهم منعكفين على عبادته ثم ان يكسوم أنفذ الكتب الى سائر بلاد اليمن والحبشة لاجل أخذ ثار ولده وجمع عالم كثير وأمرهم بالمسير واذا قد أتى اليه كتاب من عند هاطل بن سافية يقول فيه اعلم أيها الملك انني سرت خلف بني عبس الى قريب ديارهم فقتلت منهم خمسين وأسرت منهم أربعين مع مقدمهم وهم في قبضتي حتى تأمر فيهم بما تريد فلما سمع الملك ما في الكتاب أنفذ اليه يشكره ويثني عليه وهو يقول له اعلم يا هاطل ان هؤلاء الذين أسرتهم ما يشفي غليل وأنا لابد لي أن أفني بني عبس وغطفان وفزارة وذبيان ولا أترك منهم ولا انسان لكن احفظ الاسارى الذين عندك حتى أطلبهم منك ثم جمع العرب والحبشة فكانوا تسعين ألف عنان وعول ان يسير الى أرض الحجاز ويقلع آثار العرب جميعا ويقمعهم قمعا فتقدم اليه ملك من ملوك العرب يقال له عملاق وكان جبارا من الجبابرة لا يفزع من طاحون الحرب الدائرة وكان يكسوم يدخره للشدائد فقبل الارض بين يديه وقال له أيها الملك ما تخاف من سائر الاقطار فقال له وكيف ذلك يا عملاق فقال له تسير بهذه العساكر الى قوم صعاليك من العرب وشلوح البادية وحمالة الحطب ولو أمرت بعض عساكرك ان يسيروا الى بني عبس وغطفان كان قد أتوا بهم كلهم في القيود والاغلال ويسوقهم بين يديك سوق الهوان فقال له يكسوم يا عملاق الذي قدم على قتل ولدي لو انه كان خائف من الابطال ما كان فعل هذه الفعال وأنا أخاف انك ما تقضي الاشغال فقال له عملاق اندبني الى هذه الخدمة فان عدت خائبا فأهلي وأموالي وأولادي كلهم بين يديك ولا أعود أطلب منك لا اقطاع ولا ضياع فقال له ان أنت كشفت عني هذه

الغمة وأتيتني ببني عبس وغطفان ولا تدع في أسرالهم فأنا أقاسمك في نعمتي وأزوجك ابنتي وأقدمك على أربعين قبيلة من قبائل العرب الذين تحت طاعتي وأقطع لك مع ذلك ثلاث حصون من غير اقطاعك (قال الراوي) فلما سمع عملاق هذا المقال قال له أنا أفعل هذه الفعال وأبلغك من أعدائك هذه الآمال فقال له كم تريد من العساكر فقال له ما آخذ معي غير خمسة آلاف فارس فقال له ما هذا صواب لانك ماضي الى بلاد ما وطأتها قط تلقى رجال ما لقيتها قط فخذ معك خمسة عشر ألف فارس أسود عوابس وعشرة آلاف من العرب من كل فارس منتخب فلم يكن للعملاق في ذلك خلاف فقال سمعا وطاعة ثم انه هو ومن معه تجهزوا وخرجوا بالدروع المذهبه والجواشن المكتبه والسودان مثل الاطواد وهم متقلدون بالسيوف الحداد والرماح المداد ثم خلع يكسوم على عملاق خلعة من ملابسه وأركبه على جنيب من جنائبه وخلع أيضا على مقدم السودان وكان اسمه قري بن أدهم وكان في تقاطيع الفيل الاعظم وهو عريض طويل ما كأنه الا من أولاد قابيل فخلع عليه وقاد الجنائب بين يديه وأمر العساكر كلها بطاعة عملاق المقدم ذكره وامتثال أمره وسارت العساكر وهي قد ملات الارض في طولها والعرض (قال الراوي) ووصل الخبر الى بني عبس بهذه الامور والاحكام وكان كما ذكرنا عمارة قد تقدم بالمال وتحدث مع قيس بما جرى فعظم ذلك عليه وكبر لديه وسب عمارة وأحرق به وفزع من ملك الحبشة فزع عظيم فلما سمع ذلك الكلام عمارة قال له أيها الملك أول من حمل اخوتك وورقة هو الذي قتل ابن الملك يكسوم وأنزل به الغموم وقال لي سر أنت بالغنيمة وأنا أقف حامية لها وأنا سرت بالمال ولا أدري أي شيء جرى من الفعال قال فلما سمع الملك قيس ذلك المقال تغيرت منه الاحوال وخاف أن يكونوا هلكوا فقال يا عمارة قد تركت اخوتي ونجوت بنفسك فقال عمارة يا ملك الزمان وانجيء معهم فاشتغل قلب قيس ولا قال ولا رد مقال وأقام قلق لفقد اخوته والنار الهبت مهجته ولا يعلم خبر اخوته حتى قدموا المنهزمين من قدام هاطل بن سافية وخبروه بأسرهم وهلاك أكثرهم وقالوا له أيها الملك نحن خدعناهم وقلنا لهم نحن من بني غطفان وما نقول انهم يأذوهم ولا يفعلوا أمر فيهم فسكن قلب الملك قيس ثم انه جمع العرب وقال لهم ما تشيرون يا بني عمي فقالوا جميعهم نحن لك وبين يديك ولا نبخل بأنفسنا عليك فقال لهم هذا ملك عظيم صاحب بلاد وأقاليم فقال الربيع ما في الامر الا اننا ننفذ الى بني غطفان ونعطيهم شيء من المال ويسيرون في البراري والجبال ويشترون الاسارى من يكسوم فيعرف انهم ليس من بني عبس وعدنان فقال له الملك قيس اذا كان يكسوم يطلب ثاره فمن يلقاه من بني عبس أو من بني غطفان فقال له الربيع لا أعلم دبر بمعرفتك كما تريد قال فلم تمض الايام قلائل حتى وصل اليهم خبر العملاق بن عامر وما معه من العساكر من عرب وسودان والمقدم على السودان يقال له قري بن أدهم وهو فارس ومقدم على الحبشة جميعها ومعه خمسة آلاف من السودان فلما سمع قيس هذا الكلام انذهل وتحير وأمر بني عبس ان تضم بعضها الى بعض وتلاصق البيوت الى جانب بعض ويحترزون لانفسهم فماجت القبيلة واضطربت العشيرة (قال الراوي) وفي تلك الايام وصل عنتر بن شداد فوجد الحي وهو على تلك الحالة وما فيهم الامن حصن حريمه وعياله وفرح قيس بقدوم عنتر وأخبره عن الذي جرى وتدبر فقال عنتر وما كان لعمارة نار يضرمها علينا الا نار الحبشة ويريدان يلينا بنار السودان وقتالهم وحربهم ونزالهم وكم جهد ما نلقى منهم اذا ساروا الينا في عالم عظيم وجيش جسيم وما يكون عمارة بن زياد يوقد نار وأطفيها أنا لانه ما يريد لي يوم أبيض وأيضا الحبشة فهم أخوالي وأنا ما أضرب في وجوههم سلاح لان أمي حبشية وأنا لا أسعى في تلك القضية فقال له الملك قيس والله لقد قطعت ظهري يا أبا الفوارس والآن اعلم يا ابن العم ان الامر قد فات واخوتي الحرث وورقة ومجيد بن مالك ومعهم أربعين من بني عبس في الاسر والاعتقال وهم في أسوا حال وما ندري ما يجري عليهم من الامور الشداد فدع عنك لجاج عمارة وبني زياد فيعود أمرنا الى فساد ولا تقول الحبشة أخوالي وتحتج بهذه الحجة الباردة ودع عنك هذا الكلام لان هؤلاء لا يعرفون حسبا ولا ذمام وهذه نوبة عظيمة تهلك فيها بنو عبس وعدنان فلما سمع أبو الفوارس عنتر من الملك قيس هذا الكلام صارت الدنيا في وجهه ظلام وشدد

في الاقسام وقال وحق البيت الحرام و زمزم والمقام لولا الحرث و ورقة ومجيد بن مالك لما حضرت ضرباً ولا طعان وكنت رحلت من بينكم حتى كنتم تبصرون ما تم عليكم من تدبير عمارة القرنان لكن يلزمني خلاص مجيد بن مالك لاجل فعال أبيه معي وخلاص الحرث و ورقة لاجل احسان أبيهم زهير وما فعل معي في حياته من الخير فعند ذلك شكره قيس على ذلك المقال وقال له والله يا ابن العم اننا في قلة والعدا في كثرة وان لم نستنجد باصدقائنا والا أفنونا فقال عنتر كم تكون عدة القادمين عليكم فقال له قيس في خمسة عشر الف فارس فيهم عشرة آلاف من العرب ومقدمهم العملاق وخمسة آلاف سودان ومقدمهم قرى أخي أدهم فارس بلاد الحبشة وهو موصوف بالشجاعة والبراعة فقال له عنتر أتريد ان نستنجد على هذه الشرذمة اليسيرة بل اجعل النجدة لوقعة كبيرة وعلى أنا بعون الله أخلي أولهم لا يلحق آخرهم حتى يأتي الينا ملكهم وبعد ذلك نطلب بعض حلفائنا ونرحل الى بلاد الحبشة ونملكها ونقتل أهلها فقال قيس أريد أن أنفذ الى بني فزارة في هذه النوبة فقال عنتر لا يا ملك لا تجعلهم يرافقونا لانهم ان أتوا الينا خذلونا وكسرونا وان حضروا على هذه الحالة فانا لا أباشر حرباً ولا نزال وان كان ولا بد من النجدة فانا أنفذ الى ابن أختي الهطال وأبي الجحاح ان يأتونا في فرسانهم وسائر أبطالهم فاستصوب قيس رأيه وشكره على قوله وأنفذ اليهم شيبوب مثل الريح الهبوب الى ان وصل الى الامير الهطال فبلغه الرسالة وما حمل من المقال فاخذه الهطال ودخل به على مضر وأعلمه بذلك الحال فقال السمع والطاعة يا زين الرجال ثم انه نادى في احياء العرب باخذ الاهبة للحرب والرحيل بالاهل والعيال وساروا في البراري والقفار وسبق شيبوب يبشر أخيه عنتر بقدوم الرجال فخرج عنتر في سائر بني عبس الى لقائهم وأكرمهم وحياهم وفرح الملك قيس عند ملتقاهم وأنزلهم في مكان واسع ومرج طيب المرعى وقد أجمعوا أمرهم أن ينفذوا لهم خيل تأتيهم بالاخبار واذا وصلت الحبشة يعلموهم بالحال فسار شيبوب كل يوم يأخذ الفرسان وينفذهم في البراري والقيعان مدة أربعة أيام وفي اليوم الخامس كانت نوبة عنتر وأولاده وأخيه مازن وأسد الفوارس وهذا أسد الفوارس من بني غطفان وأبعدهم شيبوب الى شعب يقال له شعب الوادي واذا هم بغبار عساكر الحبشة قد أقبل وظهر من تحته مائة فارس وهم سائرون على مهل (قال الراوي) وكان السبب في ذلك العملاق لما قارب ديار بني عبس وعدنان خاف أن لا يكونوا سمعوا باخباره يهربوا من الديار فانفذ هذه السرية تكشف له الاخبار فساروا الى ان وصلوا الى هذا المكان ورآهم بنو عبس على هذا الشان فعند ذلك قال لهم شيبوب يا بني عمي هل أدلكم على أمر لكم فيه الصلاح فقالوا وما هو يا أبا رياح فقال احموا أنفسكم في هذا الشعب و يطلع اليهم مازن وأسد الفوارس من بين أيديهم ويملكوا عليهم رأس المضيق ويخرج غصوب من ورائهم وأكون أنا في رأس الشعب والمضيق ومن سلم منهم وخرج الى الطريق حملته من البلاء ما لا يطيق قال فلما سمعوا كلام شيبوب استصوبوا رأيه وامتثل ما أمرهم به وسار غصوب وميسرة وملكوا الشعب من داخله ومازن وأسد الفوارس من وراء ظهره وقعد لهم شيبوب بين الصخور وأكمن كأنه الاسد الجسور وكانت كنانته ملآنة بالنبال وقوسه بين يديه وسارت السرية حتى دخلت الشعب والمقدم عليهم يقال له همام فلما توسطوا الشعب وساروا وسط المضيق وهم غافلون على غير أهبة فما أحسوا الا والفرسان قد طلعت عليهم وتصايحوا عليهم خبلوهم في أمورهم وتلقى مازن سيد القوم همام وهو يحرض أصحابه على القتال فهجم عليه وضربه على هامته نزل السيف الى حد جثته وطلب أصحابه فولوا هاربين وميسرة وغصوب وراءهم في الطلب وقد أسقوهم كأس العطب ولم تكن الا ساعة حتى قتلوا منهم ثلاثين وأسروا عشرين وانهزم الباقون وعاد غصوب وميسرة ومازن وأسد الفوارس يقودون بين أيديهم الاسارى حتى وصلوا بني عبس وقدموا الاسارى الى بين يدي قيس وقد فرح عنتر باولاده وانسر بهم فؤاده وسال بعض الاسرى فقالوا نحن كنا طليعة العملاق فقال لهم وأين تركتموه فقال الاسير بعد غد يكون عندكم وانه والله داهية من الدواهي وان أنت أعطيتني الزمام على نفسي وانك تطلقني أخبرك بما دبر فقال له قيس وحق من قدر الارزاق والآجال لك الذمام ان أنت أخبرتني عن ذلك الحال فقال له اعلم يا مولاي ان العملاق قد بعث أربعة آلاف فارس من عساكره وألفا من السودان

وقدم عليهم رجل يقال له عاصم بن حكيم وقال له أريدك أن تقطع الارض في طولها والعرض وتطالع من خلف بني عبس وتكمنوا بالقرب منهم حتى نقاتلهم ساعة من النهار ونظهر لهم الانكسار وننهزم عنهم حتى يبعدوا عن بيوتهم واذا رأيتمونا أخذنا في الفرار اخرج أنت من ورائهم واملك حلالهم واسب نساءهم وحريمهم ونحن نرجع عليهم من قدامهم ونبذل المجهود في حربهم ونسوق الجميع اسارى بين أيدينا ونرجع على عجل لان الملك في انتظارنا ونحن يا مولاي ما أتينا في هذه الطائفة الا لنعلم الكمنا وها أنا قد أخبرتك فافعل الآن ما ترى قال فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام فقال لعنتر ما الرأي في هذا الامر يا أبا الفوارس فقال له الرأي عندي نسير اليهم على بعد من الديار ولا نتركهم يدوسوا هذه الامصار فعندها أمر قيس بني عبس و بني غطفان أن تقلع مضاربها وتضربونها حول غدير ذات الارصاد فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال له وعلى ماذا عولت أن تصنع فقال له خطر ببالي رأى وأريد أن أوقفك عليه وهو أن تضربوا خيامكم في جانب خيامنا و يتبعكم باقي العشيرة وهذا الرأي لنا فيه الصواب والخيرة فعند ذلك فعلوا ما أمرهم به ولم يمض ذلك اليوم حتى قامت بنو عبس مضاربها وضربتها حول الغدير من أربع جوانبه ولزقوه الى جانب بعضها البعض وأمر قيس الرعاة والعبيد أن يحضروا فحضر جميعهم بين يديه وكانوا أكثر من عشرين ألف وأعطاهم المعاول والزنابيل وخط لهم حول الابيات برمحه وقال لهم اريد منكم ان تحفروا خندقاً عظيماً على الجنبات فقالوا له أي شيء تعمل بهذا فقال لهم قيس هذا نعمله لاجل حماية الحريم حتى اذا خرج الكمين لم يقدر أن يعبر الى الحريم فقال عنتر صدقت فيما به أشرت وأنا رأيت في بعض اسفاري يعملوه كذا في المداين والقرى فشرع العبيد وشباب العشيرة في الحفر من أول الليل الى الصباح ثم انهم أكلوا شيئاً من الزاد وكل منهم أخذ له نفس واستراح وعادوا الى ما كانوا عليه من الحفر ذلك اليوم وهم قوم يحفرون وقوم يرمون التراب من جهة الحريم وما أتى عليهم آخر النهار حتى فرغوا من الحفر وأمنوا من نوائب الدهر وقد عملوا لذلك الخندق باباً واحداً من جهة اليمين وأمر قيس سائر الغلمان بالوقوف على الباب وأن يخرج الفرسان جرايد تحت الاعلام (قال الراوي) وكانوا في العدد أربعة آلاف فارس فيهم مثل أبو الفوارس عنتر وولده الغضبان وغصوب وميسرة ومازن فارس العربان واخوته الشجعان وأسد الفوارس المنصان ثم انهم باتوا تلك الليلة حول الخندق من ظاهره ولم يزالوا على ذلك الرواح الى ان أصبحوا وبان الصباح واذا هم بعساكر الحبشة قد أقبلت والارض قد تزلزلت وزمرت البوقات وملئت الفلوات وقد انكشف الحال عن جيش جرار و بانوا جميعهم للابصار وفي أوائلهم فارس أسود راكب على جواد أجرد وهو على ظهره كأنه الاسد وخلفه جماعة من السودان وهم كأنهم من فروخ الجان وفي أيديهم الحرب الحبشية والخشوت النوبية ثم تقدموا نحو المال وعزموا على الحرب والقتال واذا مقدمهم قد أقبل على ساحة الميدان ونزل وأمر بضرب الخيام فضربت خيامه ونصبت أعلامه وضربت له قبة عالية من الاطلس الاحمر والديباج الاصفر وقد نظر الى بني عبس قد أقبلوا كأنهم الشواهين وعلى حربهم عازمين فأمر أن يبرز اليهم ألف فارس من السودان وألف من العربان فعند ذلك حملوا على بني عبس وغطفان وانطبقوا عليهم من كل جانب ومكان (قال الراوي) وكان أول من التقى بهم الغضبان وجعل يضربهم تارة بالسيف وتارة بالسنان وتبعه أخوه غصوب مثل الريح الهبوب وفعل فيهم مثل فعاله و زعق مازن وميسرة وهما مثل النار المسعرة وكذلك بنو غطفان يقدمهم الهطال وأسد الفوارس الرئبال وانطبقت الستة فوارس على الالفين وسقوهم شراب البين وظهر من غصوب والغضبان ما حير الفريقين فخشي عنتر على أولاده من السودان فأمر عروة أن يحمل هو ورجاله الشجعان فحمل المائة فارس كأنهم الاسود القناعس وقد جردوا في أيديهم القواضب وأنزلوا بالاعداء المصائب وفي تلك الساعة تقدم العملاق في كتائبه وأظهر فروسيته وعجائبه وقد أبصر من عنتر وأولاده ما لا رآه من أحد في غزواته فوقف ينظر على أي شيء ينفصل الحال وهو يتفرج على القتال وفي الحال انعقد الغبار ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل ونار

الحرب تشعل والسؤال لم يقبل حتى ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال هذا والغضبان وأصحابه كسروا الالف فارس الى الخيام وعاد هو واخوته وقد فعلوا فعل الرجال الكرام ولما عاد الغضبان تلقاه أبوه عنتر وقد ضمه الى صدره وقبله بين عينيه وفرح بما وصل من الفروسية اليه فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من العملاق وأصحابه فانه لما عاد الى المضارب والخيام أحضر أرباب دولته ومن صحبه من السودان وقال لهم ما عندكم من الرأى فقالوا الذى تراه فهو الصواب ولا أحد منا يخالف لك خطاب فقال لهم الرأى عندى الذى هو الصواب اننا نرسل اليهم ونقول لهم يسلموا أنفسهم الينا من غير حرب ولا طعان ولا ضراب واذا لم يفعلوا ذلك الامر والشان أخرج أنا غدا الى الميدان وأفنى جميع عساكرهم والشجعان ونشتتهم فى جميع الوديان ويكون عاصم بن حكيم قد ملك أموالهم والنسوان فعند ذلك تقدم اليه رجل من بنى عمه الاعيان وقال له دع عنك هذا المحال وابطل هذا المقال لان هؤلاء لا يسلموا نفسهم الى أحد ولو انهم فى ربع هذا العدد ولا تعتمد الا على القتال ودع عنك هذا المحال والاقوال فقال جميع من كان حاضرا والله لقد صدق الشيخ فيما قال وما بقينا منتظرين الا الحيلة التى دبرتها فان تمت والا فالقتال بين أيدينا فاستصوب العملاق هذا المقال ورضى بما اتفقت عليه الرجال وباتوا على هذا الايضاح الى ان أصبح الله بالصباح وأشرقت الشمس على الروابى والبطاح وسلمت على سيدنا محمد زين الملاح فركبت جميع الالوف واصطفت الصفوف واعتقلوا بالرماح وتقلدوا بالصفاح وقد ركب فى ميمنة عساكر اليمن فارس معلم راكب على جواد أدهم بين عينيه غرة كالدرهم اذا صهل كاد أن يتكلم وكان ذلك قرى بن أدهم مقدم السودان وبصحبته ثلاثة من مقدمين العربان وهو كثير بن جعدان وثابت بن قرعان ومنازل بن جزعان وهم قد ركبوا فى رجالهم الابطال واحتاطوا يمينا وشمالا ورتبوا العسكر ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وجعلوا فى الميمنة قرى بن أدهم وهو على قومه مقدم والميسرة ثابت وجعدان وجزعان ومن لهم من العرب والسودان وقد وقف العملاق بنفسه فى القلب وجعل يحى الرجال للطعن والضرب وقد انعقدت على رأسه الرايات والاعلام وترتبت العسكر خلف وامام ودقت الكؤسات ونعرت البوقات واصطفت أيضا بنو عبس على ترتيب صفوفها وجردت أيديها سيوفها وكان فى الميمنة عروة والامير عنتر الاسد القسور وفى الميسرة ولده الغضبان وأخوه غصوب المصان وفى القلب الملك قيس والربيع بن زياد مثل الآساد وعلى رأس قيس راية العقاب وقدامه وبين يديه فرسانه الانجاب وصاحوا الجميع وقد قلبوا الدنيا بالزعاق وصار لهم ارعاد واذا بفارس قد برز من عساكر العملاق وهو فارس منصان وكان من أقوى الشجعان وكان يسمى عامر بن حرب وقد خرج مشتاقا الى الطعن والضرب ونادى يابنى عبس البلاء عليكم قد نزل فسلموا أنفسكم الينا قبل حلول الاجل ولا يأخذكم على ذلك ندم حتى نسوقكم بين أيدينا سوق الغنم فلم يتم كلامه حتى انقض عليه غصوب كأنه البلاء المصبوب وصال وجال وزعق عليه زعقة الاسد الرئبال وقال له ويلك يا ابن الخنا نحن نسلم أنفسنا فى الغزوات وقد خدعت لنا أكابر السادات ثم انه انطبق عليه حتى بقى بين يديه وأقام فى ركابه وتمطى فى سداده وضربه بالسيف على هامه شقه الى حد أقدامه فوقع عن الجواد شطرين وانقسم نصفين كأنه نشر بمنشار وقسم بيبكار ثم انه بعد ذلك صال وجال وطلب الحرب والقتال والبراز والنزال فبرز اليه فارس اسود وفى يده سيف مهند فحمل غصوب عليه وقاربه وحاربه وضاربه ساعة زمانية فطعنه الاسود بحربة من تحت فخذه فخرجت من يده كأنها صاعقة أو نار على بعد بارقة فسحبها غصوب بحسن معرفته على ظهر الطارقة وقام واعتدل فى ركابه وطعنه فى جانبه جندله ثم انه طلب البراز فخرجت اليه الفرسان وهو يفتك فيهم حتى قتل عشر فوارس أعيان فوقفت عنه الاقران فحمل على السودان زعزعها وقتل ثلاثة فوارس منها وفرقها وعاد يطلب قومه فاعترضه القرى بن أدهم مقدم السودان وأخرج من تحت فخذه حربة ماضية لها أزج طويل عريض يعمل فى الصحيح كما يعمل فى المريض ثم انه هزها واليه زجها وضرب جواده فى صدره مرقت تلمع من دبره وأراد أن يأخذه اسير واذا بأخيه الغضبان قد بادره وفاجاه ومنعه من الوصول الى أخيه وطعنه فى صدره فمال عنها وقد احترز لنفسه وصار تحت

بطن الفرس ولما انها جازته عاد الى ظهر جواده وقد صار فى صهوته وتبع الغضبان وساواه فى جولته وضربه بحربة من الذى تحت فخذه فسحبها الغضبان على حجفته بمعرفته وصناعته وتبع القرى لجلته وضربه بحربة فى لبته أخرجها تلمع من نقرته فوقع الى الارض من وقته وساعته عند ذلك حملت طوائف السودان فصاح فى وجوههم الغضبان ومال عليهم مثل أبوه عنترة الفرسان ولم يزل على ذلك الشان حتى بقيت الفرسان تتكبكب مثل الغنم حتى أركب أخيه على جواد القرى بن أدهم واجتمع المحب مع المحبوب وهجموا على السودان كأنهم البلاء المصبوب فلما رأى عنتر ذلك الامور الصعاب هجم هو ومن معه من الاصحاب وقد لحق بأولاده الانجاب وتبعه عروة بن الورد ومن معه وحملت جميع بنى عبس الانجاب على عسكر الحبشة والاعراب وكانت ساعة عظيمة شابت فيها الشباب وعملت السيوف فى الرقاب وزعق عليهم من البين غراب هذا والملك قيس يقاتل وقلبه على من خلفه من الاصحاب وخائف على الحريم والشباب من خروج الكمين الذى ذكره الاسير الذى تقدم ذكره بين أيادى الاصحاب هذا والحرب قد زاد فى العيار حتى بقى يحاكى لهيب النار حتى ان الاعداء ما بقى لهم صبر على هذا العيار فطلبوا الهزيمة والفرار وأرادوا أن يستجيروهم ويبعدوهم عن الديار فعلم قيس مرادهم والمقصود فصاح فى بنى عبس الاسود وقال لا يتبعهم منكم أحد والا يرجعوا عليكم رجوع الاسد فقال عنتر لا تفعل يا ملك الزمان هذه الفعال فاننا نعرف ما نلقى ونريد أن نحملها هزيمة حقا ونبددهم غربا وشرقا فبينما هم فى الكلام والصياح من خلفهم قد علا وقد زعزع جنبات الفلا وكمين الاعداء قد ظهر وعلى سبى العيال انتصر فقال قيس من هذا خذ يا أبا الفوارس ويا زين المجالس فقال عنتر لا تفزع يا ملك فانك ليس لك فيهم مقايس فان هذا ما هو أمر عظيم ولا خطب جسيم وأنا أعود الى حماية الحريم واتبعوا أنتم هذا العسكر بمن معكم من الجماعة فلا منهم من يرجع اليكم فى هذه الساعة بل يطلبوا النهب عن الحريم وولدى الغضبان معكم فهو لهم غريم ثم انه عاد من وقته وساعته راجعا الى الكمين بمن معه من رفقته وهم عروة بن الورد وجماعته فهذا ما كان منهم (وأما) ما كان من أصحاب الكمين فانهم مازالوا غايرين على ما أمر به وعليه اتفق حتى وصلوا الى شفير الخندق وكان فى مقدمتهم عاصم بن حكيم وهو بالمسير يتدفق فلما نظر الى الخندق بهت هو ومن معه من الرجال وتعجبوا من هذه الاهوال فعند ذلك تزاعق عليهم عبيد بنى عبس ورموهم بالنبال فعندها ترجلت السودان عن الخيل لما رأوا ما حل بهم من الويل وزجت الى نحو العبيد حرابهم فبددوا أمعاءهم وكشفوهم عن الخندق بضرب أمر من الحرق ولم تكن الا ساعة حتى قتلوا جماعة من العبيد ولقحوهم على الارض والصعيد وحملت أيضا العبيد الذين رتبهم الملك قيس فتلقوهم الاعداء فى أربعة آلاف فارس فانزلوا بهم الذل والمناحس وقتل منهم جماعة وانهزم الباقون وطلبوا البيوت وأيقنوا جميعهم بالموت وفى تلك الساعة ارتفع الضجيج عليهم من السودان وقد أشرفت النساء على الذل والهوان واذا بعنتر قد أدركهم بعد ما كادت العدا أن تهلكهم وكان أكثرهم قد دخلوا البيوت فى طلب كسب المال فخابت منهم الآمال بقدوم عنتر الاسد الرئبال قال فلما بصر عنتر هذه الاحوال أمر عروة بن الورد وابن أخته الهطال أن يحملوا فى خمسين فارس من الابطال على من بقى عند الخندق من السودان الانذال ولزم عنتر وأخوه مازن باب الخندق والمضيق وضيقوا عليهم غاية الضيق وأشبعوهم ضربا حتى ما بقوا يعرفوا العدو من الصديق وجرت الدماء على الارض شبه العقيق ونثر عنتر بضرباته أحشاءهم ومزقها تمزيق وعادت العبيد من البيوت راجعة لما سمعوا صرخات عنتر المقعقعة ونظروا حملاته الرائقة فعاشت بعد الموت أرواحهم وبذلوا فى السودان سيوفهم ورماحهم وطلب عنتر مقدم القوم عاصم بن حكيم وطعنه طعنة عظيمة سقاه بها العذاب الاليم فخر على الارض صريعا يعج علقما ونجيعا وقد شرب كأسا وحيا وخلت منه الدنيا والاوطان وعاد عنتر يكر على الخيل كرا ويسقيهم من الموت كأسا مرا وينهبهم نهبا وأخرج أرواحهم من أجسادهم غصبا وجاءتهم العبيد من خلفهم وأورثوهم النكال بحربهم وقتالهم وكان تلك العبيد خمسة آلاف من غير خلاف فأشرفوا منهم السودان على التلاف فلما أن رأوا السودان ذلك الامر

والشان ورأوا ما حل بهم من تلافهم فما كان لهم الا انهم ترجلوا عن خيولهم وقد خافوا من الحرب والويل
وزموا أرواحهم على الخندق وعقد الغبار وتسردق وقد حل بهم البلاء والويل ولم ينج منهم الا القليل وصار
كل من نجا منهم وطلع من الخندق بلا تمهيل يضربه عنتر يحل به البلاء والتنكيل وصاروا بين جريح وقتيل
ولم ينج من الجميع الا من لم يعبر الخندق وكان لهم كلام يسطر في الاوراق قال فهذا ما كان من أمر هؤلاء الكمين
الذى اتى الى البيوت من خلف العسكر ووقع بهم أبو الفوارس عنتر (وأما) ما كان من أمر العسكر الآخر الذى هم
قدام الملك قيس المفتخر فانها انهزمت وعلى الحرب عوّلت وركبت بنو عبس أكتافهم وأرغمت آنافهم
وكانت قويت قلوبهم بما ظهر من الغضبان وما فعل في الفرسان وما زال السيف يعمل في ظهورهم وأجنابهم
حتى وصلوا الى خيامهم وأرادوا أن يثبتوا برجوعهم وانهم يردوا بني عبس ويخاطروا معهم بالنفس فصاح فيهم
العملاق يا قوم استجروهم قليل وقد جاءكم النصر والظفر وكأنكم بنسائهم قد وصلت وفرسانها من خلفهم
قد جاءت فعملوا ذلك لعلهم يشتغلوا بالخيام الذى لنا وأموالنا ومتاعنا فانها وديعة وتردلنا وتستردوها منهم في
عاجل الحال فتموا أنتم ندامهم في الهزيمة وقد صارت أموالهم لكم غنيمة فهذا ما كان من هؤلاء من
الامر والشان (وأما) ما كان من بني عبس وعدنان فانهم لم يزالوا خلفهم الى ان وصلوا الى خيامهم وقد ملكوها
والى رحالهم وقد أخذوها ولم يزالوا في الخيام حتى أتاهم عنتر البطل الهمام وأخبرهم بما فعل بهم من الآلام
ففرحوا بخلاص حريمهم وحمدوا على ذلك مولاهم قال وبعد ذلك قال عنتر للملك قيس ما الذى تنظر في حق هؤلاء
الكلاب قم بنا ندوسهم تحت سنابك الخيل والدواب في ظلام هذا الليل ونضرب منهم الرقاب فقال الملك
قيس يا أبا الفوارس هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انهم صبروا حتى هوّد الليل واستندوا على
ظهور الخيل وطلبوا عساكر اليمن ليحلوا بهم المصائب والمحن فهذا ما كان من امرهم وأما العملاق فانه لما
انقطع عنه الطلب واستراح من التعب جمع أصحابه وقال لهم اعلموا اننا لما كنا نأمل من طلبه وانا نعلم ان
أصحابنا في هذه الساعة يكونوا ملكوا الحريم وعادوا بالسبي وهم معهم في العذاب الاليم وان كان فيهم فطنة
لا تدانهم فهم يكبسوهم من ورائهم فما فيكم من ينزل عن ظهر جواده ولا يقلع عدة جلاده حتى اذا سمعنا الصياح
أطبقنا عليهم وأخذناهم مواسطة وأوصلنا لهم الاذية الباسطة وهذه تكون واقعة الانفصال وبها نبلغ غاية
الآمال فتم العملاق كلامه حتى أخذهم الصياح من كل جانب ومكان وبنو عبس أدركوهم من بين أيديهم
ومن خلفهم وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان فصاح العملاق في رجاله والفرسان وقال لهم هذا الحساب الذى
حسبته والكلام الذى ذكرته وهذا عنتر وبنو عبس قد أقبلوا نهار بين ولا شك ان أصحابنا لهم تابعين وانهم
لما كبسوهم في ظلام الليل أنزلوا بهم الذل والويل ولكن اثبتوا لهم الساعة ثبات الكرام وجودوا فيهم
الضرب بالحسام هذا وبنو عبس داسوهم بسنابك الخيل وقد احتاطوا بهم في ظلام الليل وأحلوا بهم الذل
والويل وما زال السيف يعمل في ظلام الليل والغيهب وعم الجميع الويل والحرب وتمنى الجبان الهرب
فيا لها من ليلة ما كان أعظمها على كل انسان وما بقي يعرف عدوه من صديقه ولا بغضه من رفيقه قال ومن
جملة ما وقع من الاتفاق أن عنتر في حملته التقى بالعملاق فحمل عليه وضرب بسيفه سنان رمحه بره وزعق
عليه وضايقه وسد عليه طرائقه وطابقه ولاصقه وضربه بالسيف على عاتقه طلع يلمع من علائقه قال فلما
نظروا أصحاب العملاق انه قتل وعلى وجه الارض جندل ماجوا في بعضهم البعض وأيقنوا جميعهم بالمهالك
واستدت في وجوههم المسالك واشتغل كل أحد منهم بنفسه واعتبر بما جرى لأبناء جنسه وقالوا لبعضهم
بعض يا ويلكم هذا العملاق قد قتل وعلى وجه الارض جندل وكان حسابنا ان أصحابنا يكبسوهم ويدوسوهم
تحت السنابك وما نرى الا الامر بخلاف ذلك وان نحن ثبتنا لهم حتى تطلع الشمس ما أبقوا منا ولا نفس والرأى
الذى فيه الصلاح ما لنا أوفق من الهرب والرواح فعند ذلك طلبوا الهرب والفرار وتبطنوا في البرارى
والقفار وهرب من كان في أجله تأخير وثبت من كان عمره قصير وعمل السيف في الكبير والصغير وما أصبح
الصباح الا وهم ما بين قتيل وأسير وقتل في ذلك اليوم ثلاثة آلاف فارس وراحوا كلهم دوارس وأما المنهزمون

الذين انهزموا من قدام الخندق فانهم هربوا كما اتفق وراحوا طالبين ديارهم وأمصارهم وعادت بنو عبس
بالغنائم والاموال وهم فرحون بتلك الاحوال والملك قيس كل لسانه من شكر الغضبان وأثنى عليه بما جرى
من ذلك الامر والشان وعلى أبيه عنتر بن شداد الفارس الجواد قال ونزلوا في ديارهم وقرقرارهم فلما وصلوا
الى غدير ذات الارصاد تلقتهم العبيد والاصوات بالفرح والمسرات قال وبعد ذلك قال الملك قيس يا بني عمي
ويا من بهم ينفرج همي وغمي قد انخرق الامر بيننا وبين الملك يكسوم بما قد أنزلناه بقومه من الهموم والغموم
وأنا أعلم ان المنهزمين من ساعة وصولهم اليه يخبرونه عن عسكره وعن العملاق بقدمه وما جرى عليه منا
فيما يكون الاسارى الذين لنا عندهم ويأخذون ثارهم بذلك مما حل بهم من همهم وغمهم والرأى عندي اننا نسير
اليهم ونذركهم من قبل أن يفرط بهم الفرط لانهم من بني عبس فيهلكهم ويشفي منهم الغليل بما جرى منا في حماته
فقال بنو عبس نعم ما رأيت فانك أصبت بما به أشرت فقال بنو غطفان ونحن نسير معكم فقال الملك قيس لا يا بني
عمي نحن في هذه النوبة لا نأخذكم معنا بل نريد منكم أن تقيموا هنا وتحفظون الحريم ونحن نسير الى لقاء الخصم
والغريم فقال بنو غطفان السمع والطاعة ثم ان الملك قيس أمر أن ينظفوا حول الخندق ففعلوا كما أمر واتفق
حتى لا تعبره الافراس واقاموا عليه التوكيل والحراس قال ولما فرغوا من تدبيرهم وأعدوا جميع ما أمروهم
دخل عنتر على الملك قيس يستحثه على المسير وقال له يا ملك ما انتظارك أتريد أن تقر ثانيا في ديارك لم لا ترحل
بنا الى ما عزمت عليه وتشد عزمك للوصول اليه فقال الملك قيس يا أبا الفوارس قد رأيت من الرأى والارشاد
أننا نستنجد ببني فزارة في هذا الامر فقال عنتر لا والله لا قاتلت في عسكر يكون فيه بني فزارة لانهم كما نعرف طائفة
غدارة فوالله لا أرافقهم في طريق ولا أتخذ منهم خل ولا صديق فقم بنا فان كفاية الامر بأهل اليمن ولكل
من في تلك الاطلال والدمن فقال الملك قيس أنا لا أخاف الا على الحريم والعيال لا تخطفهم الاعداء الانذال
فقال عنتر ان كان فزعك على الحريم والاولاد فأنا أرسل الى دريد بن الصمة لانه رجل عالي الهمة وصافي
الوداد وآمره أن يأتي في بني هوازن وجشم وهذا العسكر القادم وأنفذ أيضا الى عامر بن الطفيل وآمره أن
يلحقنا في بني عامر ويجدنا على يكسوم ومن معه من العساكر ثم انه أمر عروة بن الورد أن يكتب الى عامر بن
الطفيل ويعلمه بما جرى من تلك الاشاير فكتب عروة باسمك اللهم من حامية عبس الليث المهاب الى فارس
بني كلاب الهزبر العباب والفارس الوثاب والى ملاعب الاسنة صاحب الفضل والمنة أما بعد فان الحاجة
داعية اليكم وأن تنجدونا بقومكم لانه قد جرى بيننا وبين يكسوم حروب ووقائع وقتال ومقامع ونريد من
تفضلاتكم الكريمة وعوائدكم الجليلة أن تأتوا الينا فيمن عندكم من الاصحاب حتى اننا نسير الى حصن
العقاب فان لنا فيه أربعين أسيرا ما فيهم حقير بل كل أمير كبير ونريد أن نسير اليه ونخلص الاسارى من بين
يديه والسلام على عالي العزيمة والهمة وأعلمه بذلك الحال ليقدم عليه فيمن عنده من الابطال مثل خفاف بن
ندبه ودثار بن روق والعباس بن مرداس الكثير الشوق ثم ان عنتر أنفذ الكتب مع عبدين شداد كل
منهما كأنه طود من الاطواد وبعد ذلك أمر الملك قيس بالاستعداد والمسير الى أرض الحبشة وتلك البلاد
(قال الراوى) فعند ذلك جمع الملك قيس بني عبس الاجواد وسار في أربعة آلاف فارس شداد أمجاد من
فرسان بني قراد وبني زهير وبني زياد وفي مقدمتهم الربيع وأخيه عمارة القوّاد وقد خلفوا لحفظ الحريم
ألفا من بني عبس وألفين من بني غطفان فرسان وأي فرسان منهم الهطال وأسد الفوارس وبهيج بن حازم
الاسد المدارس وأوصاهم باليقظة وحفظ الحريم والمعاونة على لقاء الغريم (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء
(وأما) ما كان من عساكر اليمن وما صار عليهم من تلك المحن فان المنهزمين لم يزالوا في هزيمتهم حتى وصلوا الى
عند الملك يكسوم وشرحوا له ما جرى عليهم من تلك الهموم فقال لهم وقد صعب ذلك الامر عليه وعبس من
شدة الغضب بحاجبيه فقال لهم يا ويلكم وما كان من العملاق قالوا وحياتك يا ملك شرب كأس المحاق وما
زالوا يعددوا له الابطال الذى قتلت والفرسان الذى تجندلت والرجال الذى أسرت حتى قامت عيناه في أم
رأسه وانزعجت سائر حواسه وقرط من شدة الغيظ على أضراسه وخافت من شره جميع جلاسه ثم انه في

ساعة الحال زعق على النقباء وقال لهم يا ويلكم نادوا فى العساكر وجميع الشجعان وسائر الاقران أن يحضروا
الى الديوان وفى عاجل الحال حضر جميع الفرسان فأمرهم أن يستعدوا للحرب والقتال والطعن والنزال
فقد امتثلوا الامر فى عاجل الحال وجعلوا يستعدوا للحرب والقتال وقد انتصب لهم الرايات وأقبلت
العساكر من سائر الجهات حتى ملئت الجنبات حتى صار عنده سبعين ألف فارس من جمجمة العربان
وعشرين ألفا من عسكر السودان ورحل بهم من ذلك المكان ونزل على مرج يقال له مرج حلوان وكان
ذلك المرج واسع الجنبات كثير الامياه والنبات وفيه العيون والانهار وعلى حافاته الاشجار فنزل هناك
بذلك العسكر والعساكر ودقت كؤساته ونعرت بوقاته (قال الراوى) فما استقر بهم القرار فى ذلك المكان حتى
أتت أبطال العربان ورجال السودان وامتلأ السرادق مما قد حوى من تلك الخلائق هذا والملك يكسوم
قال لهم ما الذى تشير وابه علينا من أمر هؤلاء القوم الذى قتلوا ولدى وأحرقوا بفعلهم كبدى وكسروا عساكرى
وجندى وقد عولت على المسير اليهم والقدوم عليهم لاقلع آثارهم وأبيد فرسانهم قال الناقل فلم يتم كلامه
حتى وثب واحد من خواصه وبقى قدامه وكان اسمه غاشم بن المقدام وكان بطلا هجام وأسدا ضرغام وفارسا
لا يرام وكان فارس تلك الارض وجبارها ولم يترك مدينة من مدن اليمن الا أورث أصحابها المحن ثم انه
قال أيها الملك لقد أتعبت نفسك بمسيرك الى من هو من غير أبناء جنسك وأنا أعلم ان العملاق كان جاهل ببنى
عبس وعدنان محتقرا بابطالهم والفرسان ولاجل ذلك سقوه كأس الحمام وأنا عارف بالقوم وبأسودهم
عنتر بن شداد وأيضا لى خبرة بتلك البلاد وأريد منك أن تسير معى جماعة من عسكرك والاجناد حتى آتيك
بالجميع أسارى فى الاصفاد وأبلغك من هلاكهم غاية المراد (قال الراوى) فلما سمع الملك يكسوم من غاشم
ذلك الكلام قال له اخاف أن يصيبك كما أصاب العملاق من الاعدام وتصير معيرة فى سائر الآكام فقال له
غاشم أيها الملك لا تمد فى أنا والعملاق بالسوى لانه ما يقاومنى فى الشجاعة والفروسية وانت تعلم ان تحت يدى
كثير مثل العملاق يأكلون خبزى ويودونى من سائر الآفاق وما فيهم من يقدر أن يدنونى فى ساحة التلاق
فقال له يكسوم اذا كان الامر كذلك فانتخب لك من العساكر خمسين الف فارس يكونون كلهم شجعانا
أشاوس وأيضا من السودان عشرة آلاف فارس من كل بطل أمجد ممارس وسيروا اليهم بكل راجل
وفارس وارتموا بكليتكم عليهم ولا تعودوا الا بهم كما زعمت وافعل بهم ما أردت فقال غاشم أيها الملك قدم على
السودان رجلا منهم يكون ذا جرءة وعرفان قال الناقل فعندها قدم الملك على السودان رجلا أسود كأنه طود
أو برج مشيد وكان قد حضر كثيرا من الوقعات وقاسى اهوالا وشدائد يقال له حافظ بن حامد وكان فارس
تلك الاقطار الى جزائر البحار وقدمه الملك يكسوم فى ذلك اليوم وجدد أمورية على القوم فركب عند
ذلك وقويت همته وجعل أمره نافذا على السودان لاجل ما فيه من الشجاعة يوم الضرب والطعان ثم أمره
أن يكون تحت طاعة غاشم سيد بنى قحطان فجهز أمر العساكر فى عشرة أيام وساروا وهم متلبسون بالزينة
الفاخرة والاعلام الظاهرة ودقت الطبول والكاسات ونعرت البوقات وانقادت قدامهم الجنائب
العربيات وانتشرت على رؤسهم الاعلام والرايات وتقلدوا بالسيوف الهنديات والحراب الحبشيات وساروا
طالبين ديار بنى عبس وعدنان وفزاره وذبيان (قال الراوى) ومن عجب الاتفاق الذى يكتب ويسطر فى
الاوراق ان العسكرين اختلفوا فى الطريق لان البر بحر عجاج يتوه فى طريقه من ليس يخبره الا ان عساكر
اليمن كانوا أسبق فى المسير فوصلوا الى أرض الشربة بعد مسير بنى عبس بشئ يسير قال فلما أشرفوا وبان
غبارهم لبنى عبس وعدنان وفى مقدمتهم حافظ بن حامد مقدم السودان ومن خلفه عساكر العربان فهذا
ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من بنى غطفان والمقدمين عليهم من الفرسان مثل الهطال ابن اخت عنتر
ونازح بن أسيد الفارس القسور وبقية الابطال مثل بهيج بن حازم وأسد بن ماجد فانهم لما رأوا البر أسود
والغبار قد امتد والعساكر قد ظهرت من تحت الغبار وهى تتدفق مثل موجات البحار وراياتهم منشورة
تحاكى أجنحة النسورة والكؤسات تضرب والارض كادت أن تنقلب والسودان نعرت بالبوقات وهى

من القرون وهم بأصواتهم يطربون وبأرجاهم يرقصون (قال الراوى) فلما انهم وصلوا الى أرض الشربة
والعلم السعدى اندهلت من ذلك بنو غطفان وحارت منهم الاذهان ووقع بهم الخذلان فقال الحجاج لابنه
الهطال هذا هو الهلاك والوبال وما هذه العساكر الا خالفت بنو عبس فى الطريق وقد لحقنا منهم الهم والضيق
وقد دهمنا هذا العالم العظيم وصار أمرنا معهم غير مستقيم فقال الهطال يا أبتاه وحق الملك المتعال لا بد لنا
من القتال ولا نحيد عن الحريم والعيال والا نعيش عيشة الانذال وما فى الامر الا ان ندخل من داخل
الخندق وندور بالبيوت كما نتحق ونقاتلهم ونمنعهم عن العبور ونبذل المجهود ونموت موت الكرام ولا
نعيش عيش اللئام فلما سمع الحجاج كلام ولده الهطال استصوبه وتبعه فى فعاله وعادوا الى داخل الخندق
وداروا حول البيوت ورتبوا لحفظ الباب فرسانا أنجاب منهم أسد بن جابر والهطال وبهيج بن حازم من
الانجاب ووقف الكل على جانب الخندق وأكثروا من النبال وعلا الصياح من السودان وأيقنوا
بالسبى والقاعان (قال الراوى) ولم تلبث عساكر الحبشة حتى حملت حملة واحدة وصاحوا بأصوات مثل الرعد اذا
قعقع فى الفدافد حتى قربوا من الخندق ووصلوا اليه واصطفوا حواليه وتقدم غاشم بن المقدام حتى قرب
من الخندق وقال يا بنى عبس لا يكامنى الا المقدام عليكم من الرجال قال فلما سمعوا بنو غطفان كلام غاشم
تقدم اليه الحجاج أبو الهطال وقال له ما تقول يا هذا الفارس فقال له غاشم اعلم اننا نخيروكم فى أمرين ولا
نرجع عنكم الا بأحدهما اما انكم تحقنوا دماكم وتسلموا الينا أنفسكم وتكونوا فى العقال حتى نأخذكم
الى الملك يكسوم واما انكم تلقونا فى الميدان حتى نذيقكم الذل والهوان قال فلما سمع الحجاج كلام غاشم
قال له اخرس يا ابن اللئام فمن أنت حتى نسلم أنفسنا اليك من غير قتال ولا صدام ومليككم قد سار الى
مليككم بيبيد شأفته ويقطع دابره وما سار اليه فى العدد والعديد وهو سد من حديد ويأتى به الى هذا
المكان وهو ذليل مهان وينهب أمواله ويسبى عياله (قال الراوى) فلما سمع غاشم هذا الكلام صار الضياء
فى عينه ظلام وعاد الى أصحابه وأعلمهم بذلك الامر الذى قد أصابه وكيف سارت بنى عبس وكيف تخالفوا فى
الطريق فاغتنموا أنتم الفرصة واعدموهم التوفيق واقلعوهم من الحلة ليكون الذكر لكم بالجملة فقالوا له
يا أيها الملك كيف نعبر هذا الخندق ونفعل هذا الفعال الذى تأمرنا به عسى أن يكون موفق فقال لهم كل
واحد منكم يملأ مخلاته تراب وارموها كلها فى مكان واحد فانه ينسد ليكون بحر عباب فقالوا له نعم ما رأيت
فانه رأى صواب ثم انهم تراكضوا على تل بالقرب منهم فخولوه أقل من ساعة واحدة بالمخالى ورجعوا يطلبون
الخندق كما اتفق الامر بينهم قال وكانت عبيد بنى عبس فى ذلك الوقت ستة آلاف تمام فوقفوا فى وجوه
الاعداء بالنبال وقد ضربوهم من اليمين والشمال ولما نظروا الاعدا وقد أقبلوا بالمخالى ملآنه تراب
فأطلقوا عليهم الحراب والنشاب فاتتهم مثل الجراد المنتشر فأهلكوا بها خلائق كثير من السودان والاعراب
وخرقوا المخالى وبددوا ما كان فيها من التراب ولا قدر أحد يدخل عليهم فعادوا ثانيا وملؤا المخالى وقالوا نفعل
ذلك ولا نبالى ورجعوا يطلبوا الخندق وقد ستروا أبدانهم بالدرق ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى الخندق
وبقوا عند الباب وحدفوا ما معهم من التراب والعبيد ترشقهم بالنبال والحراب حتى قتل منهم جماعة كثير
من الانجاب ولم يزالوا كذلك حتى ملؤا الخندق من ذلك التراب وزحفت الخيل فى عشرة آلاف راكب وأمر
غاشم وحافظ مقدم السودان أن يأخذ أصحابه ويطلب الباب فسمع منه ذلك المقال وسار فالتقاه الهطال ابن
أخت عنتر فى ألف فارس من الرجال الانجاب واشتد بينهم الصدام والضراب وزحفت السودان مشاة وقد
صفوا بينهم الدرق وعرقت خيل بنو عبس وأهلكوا خلق كثيرا من الشجعان وحملت أيضا أصحاب غاشم
وداسوا على التراب وساروا مع بنى عبس من داخل الخندق وبذلوا فيهم الصارم القرضاب وزرقوهم
العبيد بالخشوت والحراب ونزلت باقى عسكر غاشم عن الدواب وكشفت عبيد بنو عبس عن الخندق فيما
يلى الباب وملكوه عليهم وساروا فى أرضه لان المسافة لم تكن متباعدة (قال الراوى) ونظرت بنو عبس
الى ذلك فأيقنوا بالمهالك وظهرت المخدرات وارتفعت منهم الاصوات وارتجفت قلوب البنات ونزلت على

الحدود وهواطل العبرات وأيقنوا بالسبي والشتات وعظمت منهم الحسرات وطاشت عبلة من خدرها وقد حارت في أمرها (قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا هم بغبرة قد طلعت عليهم من بين الرمال وارتفعت وتزوبعت وبان من تحتها ستة آلاف فارس وصيحاتهم قد علت في الفلوات وهي طالبة بنو عبس الانجاب وكانوا هؤلاء بنو عامر وغنى وكلاب يقدمهم ملاعب الاسنة وغشيم بن مالك وعامر بن الطفيل ولما أشرفوا من الاراضى والوديان رأوا النهب يحمل من أطراف بنى عبس وغطفان والعبيد داخلوا وفرسان بنى عبس أكثرهم قتلوا فلم يصبروا دون ان كبوا رؤسهم في قرابيص سروجهم وحملوا وعلى القتال عولوا (قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا هم بغبرة ثانية وعجاجة متنامية والبر منها قد ارتج والجو من أصواتهم قد انزعج وبعد قليل انكشفت الغبائر للنظار وظهر وبان من تحتها بنو هوازن وجشم وبنو غزيه وقدامهم مقدمهم دريد ابن الصمة ذو البأس والشدة والهمه وبقيته خفاف بن ندبه ودثار بن زروق والعباس بن مرداس السلمى (قال الراوى) ياسادة فلما رأى غاشم ذلك الحال صاح فيمن معه من الرجال فعادوا اليه واجتمعوا بعدما كانوا في نهب بنى عبس قد طمعوا وانفردوا في البر والهضاب وعادت الرجال الذين كانوا في الخندق على خيولهم ركاب وعادت السودان مع بنى عبس في طعان وضراب هذا وغاشم قد نادى في عسكره دونكم وهؤلاء القادمين وكونوا على لقائهم غير مقصرين (قال الراوى) وكان السبب في قدوم بنى عامر مع ملاعب الاسنة وقدوم بنى هوازن مع شيخ العرب دريد بن الصمة الكتب التى كان انفذها عنترا اليهم مع العبيد قبل مسيره الى بلاد الحبشة فلما وصلت اليهم الكتب ما فيهم الامن جمع أصحابه وعشيرته وشاورهم في نجدة بنى عبس فاستصوبوا النجدة وساروا حتى أشرفوا على بنى عبس وهو قد ضاقت منهم النفس قال ولما رآهم غاشم قد اشرفوا عاد اليهم والتقاهم في ثلاثين ألف فارس واصطف العسكران وتضارب الفريقان وسمع للسيف طنين ورنين ودارت رحا الحرب ثم الابعدما كانت عين وتغلقت في وجوههم أبواب الآمال وطعنت المقاتل بأسنة الرماح الطوال وقطعت الاعناق بالسيوف الثقال ولم يزل السيف يعمل بين الفريقين الى ان اقبل الليل فافترقوا عن القتال بعد أن أيقن الفريقان بمحال الذل والخبال ولما أمسى المساء اجتمعوا مشايخ القبيلتين للمشورة حتى يدبروا أمورهم فيما يجرى فقال ملاعب الاسنة لدريد بن الصمة ما كان مجيئنا بصواب لاننا أمسينا ونحن مشرفون على الهلاك والعذاب وكنا نؤمل اننا نلحق بنى عبس في الديار فوجدناهم غائبين وما علمنا انهم قد اتكلوا علينا نحمى حريمهم ونرد عنهم غريمهم فقال دريد بن الصمة يابنى عمى ماهو الا قد لزمنا القتال وركوب الاخطار والاهوال وصارت الهزيمة علينا من غاية العار والذل والشنار والوبال ومالبنى عبس في هذه النوبة ذنب ولا سبب ونحن قد أشرفنا على العطب وأنا اعلم ان بنى عبس قد خالفوهم في الطريق ولولا وصول اليهم كانوا اعدموا السعادة والتوفيق وقد رأيت هؤلاء مكان وقوفهم الا بهذا الجبار الذى هو مقدم على هؤلاء الاشرار لانى رأيت اليوم في الحرب منه ما يذهل النظار ولابد انا في غداة غد من برازه ونبدل بالذل اعزازه ومابينكم وبين كسر هذه الطوائف الاقتل هذا الشيطان وينزل بعد ذلك عليهم الذل والهوان فهذا ما جرى لهؤلاء من الامر والشان (وأما) ما كان من مقدم السودان فانه أنفذ الى غاشم يقول له انى قد أشرفت على سبي الحريم الذى لهم وقد أهلكت حماتهم ولولا المساء ما كان بقى منهم أحد ولكن في غداة غد أهجم عليهم وأبيد أقصاهم وأدناهم ثم باتت الطوائف وفيهم آمن وفيهم خائف الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح تبادروا جميعهم يطلبوا الحرب والكفاح واشهروا العدد والسلاح واصطفت عساكر اليمن وأرادوا أن ينزلوا ببنى هوازن المحن واذا قد برز من بنى عامر فارس في الحديد غاطس وهو من الابطال القناعس وكان هذا الفارس عمرو بن الشريد أخو تماضر امرأة الملك زهير وقد أراد أن يظهر نسبه ويبين حسبه ويكشف عن بنى عامر الهم والضير ثم انه لما توسط الميدان نادى هل من مبارز ومناجز لان هذا يوم الهزاهز فبرز اليه فارس فقتله وثانى جندله وثالث قطع من الدنيا أمله فلما رأى غاشم الى هذه المصائب هانت عليه النوائب فقفز الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وكان عليه يومئذ درع محكم ومقلد بسيف مخذم ومعتقل برمح

لهذم وتحته جواد أدهم كأنه الليل اذا أظلم وتحت لجامه أربع حربات تقطع الاعمار بالاسباب فانطبق على عمرو مثل العقاب ومسكه من جلابيب درعه وجذب رجله من بحر سرجه وقد أذهله وأروعه ولما صار في يده حذفه الى وراه كاد أن يعدمه الحياة ووقع الى الارض كاد أن يرض عظامه رضا ثم صال وجال وطلب البراز والنزال فخرج اليه خفاف البطل الرئبال وتحته جواد خفيف الاطراف مليح الاوصاف أحمر في لون دم الرعاف كما قيل في حقه هذه الاوصاف

ولى مهر يشق الارض شقا * يحاكى لونه الذهب المصفى
اذا ما سارفات الريح جريا * كبرق يخطف الابصار خطفا

وهو غائص في لامته غريق في شكته وقد انقض على غاشم بحملته وهاجمه بهمته وطعنه طعنة كاد يخرق نحره فاندق الرمح بالصفائح التى على صدره ولم يعمل فيه شيأ الحارق أمره وقد أيقن خفاف بخيبته فاجابه غاشم بطعنة أسرع من الاجل وأبلغ من الموت المعجل فوقع السنان في كتفه كاد أن يورده حتفه وجرحه جرحا بالغا عظيما فانقلب وصار على الارض ممدد فانقض عليه عبد من عبيده مثل الفهد وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وأوصله الى العساكر وقرنه الى عمرو أخو تماضر ثم ان غاشم صال وجال وطلب البراز والنزال فخرج اليه العباس بن مرداس السلمى وهو غارق في عدته راكب على ظهر حجرته ثم حمل بقوة جنان وقلب كأنه صوان وقد غابا عن الابصار لان غاشم كان تلقاه تلقى الجبابرة الاشرار وقد اختلف بينهما ضربتان وأصلتان كان السابق بالضربة العباس فخابت الضربة وصار السيف قطعتين فانذهل العباس وتحير فاجابه غاشم بضربة فصادف ضربته فالتقاها العباس بدرقته فقطعها السيف نصفين ووقعت من يده قطعتين ونزل الى البيضاء فقدها ونزل الى راسه كاد أن يخمد أنفاسه فعاد العباس منهزما وبعدها حمل غاشم على قبائل هوازن مصمم فتمتع الميمنة وقتل منها فارسين وعاد الى الميسرة في أسرع من طرفة عين وبعد ذلك هم دريد أن ينزل الى الميدان فتعلقوا به أكابر قومه من خوفهم عليه فلم يلتفت الى كلامهم بل قال ملاعب الاسنة ها أنا خارج اليه فان أنا انتصرت عليه كان ذلك قصدكم وقصدى وان هو أسرنى فلا أحد منكم يبرز اليه من بعدى ثم انه بعد ذلك انطبق على غاشم وصادمه في طابق الميدان وأنشد وقال صلوا على باهى الجمال

تنبه أيا مغرور ان كنت نائم * ستلقى حياض الموت من حد صارم
فدونك حربى وانظر اليوم طعن من * فعاله مكتوبة في الملاحم
سأتركك في الارض ملقا معفرا * تحوم عليك صافنات الصلادم
وجسمك يبقى في الفلاة تنوشه * من الجوع غربان النسور القشاعم
وانى لكشاف الكروب اذا بدت * خيول الاعادى عاضدات الكشائم
أنا قاتل الروح في كل معرك * أدير راحات الحروب بين العوالم
وكم نقع ليل من غبار قحمته * وأرديت فرسان الوغا في التلاطم
وكم نقع ليل من غبار قحمته * وطير المنايا أضحى على النقع حائم
وكم من همام ضيغم قد قسمته * بكل حسام قاطع في الجماجم
وكم سرت في البيداء والليل حالك * وطيرت هامات الكماة الضراغم

(قال الراوى) الآن دريد لما فرغ من شعره والنظام أراد أن يحمل على غاشم بقوة عزم واهتمام فنظر غاشم الى حملته واقباله وسمع شعره ومقاله فاستقبله وقد زاد اشتغاله وبلباله وأجابه على عروض شعره يقول صلوا على طه الرسول

ألا أيها المغرور وبين العوالم * اذا الحرب يوما أقعد كل قائم * ستنظر منى في الحروب غضنفرا
وتعلم من يجلى غبار المظالم * وذا اليوم تلقانى وتعرف همتى * ويفزع منى كل لهفان نادم

فدونك لتعلم حربى واننى * أريد أروى من دماك الصوارم * فما أنت لى كفؤ اذا اشتبك القنا
واختلفت زرق الرماح اللهادم * أنا البطل الكرار فى حومة الوغى * اذا عثرت خيل العدا بالجماجم
تطلب أن تنجو وسيفى محكم * بكفى ومالى فى الوغى من مقاوم * سأرديك تحت النقع فيحث جاثما
والحق بكسوم بنهب الغنائم * أنا ليث قحطان الذى فخره علا * على الفلك العالى وظهر الغمائم

(قال الراوى) فلما فرغا من شعرهما والنظام حملا على بعضهما البعض وتجاولا طولا وعرض وحفرت حوافر خيلهم الارض وقد تعجبت من فعالهما الابطال وتصادما على الحصى والرمال وقد تضاربا بالسيفين الى ان كل منهما الساعدان والزندين قال وكان لغاشم أخ يسمى المقدام وكان بطلا همام فلما رأى قتال أخيه مع دريد وحملاته عليه ورأى صبره بين يديه اشتغل قلبه عليه فزعق فى العساكر فحملت وجردت سيوفها وما أمهلت وخاف أيضا ملاعب الاسنة على يد دريد بن الصمة لما رأى ذلك فحمل وقد عملت السيوف أوفى عمل وانتهبت الارواح باطراف النبل ووقع بالناس الضجر والملل وضرب بهم فى ذلك اليوم المثل (قال الراوى) وكان السابق الى دريد المقدام ومن معه من الاقارب والالزام فداروا به من كل جانب وقد ضيقوا عليه السباسب وقد تعب من القتال وطلب الخروج من بين هذه الابطال فما قدر على ذلك الحال وانطبقت عليه عشرة آلاف فارس من الابطال وهم قروم عوابس فظن انه من الحياة آيس وقد قتلوا جواده ووقع وبقى راجل يمانع عن نفسه والحسام فى يده يلمع وهو يصيح فلا يسمع أحد منه نداه (قال الراوى) فبينما هو فى ذلك الحال الاشنع واذا بصياح من بنى عبس قد ارتفع وكان السبب فى ذلك أن جيش السودان كان اليهم قد اندفع وقد قتلوا من بنى غطفان خمسين بطل سميدع وانكسرت بنى غطفان بين أيديهم ولم ترجع فمن ذلك صارت أعين النسوان تدمع وقلوب الاولاد تفزع وأيقنوا جميعهم بالهلاك والسبى الاشنع ورأت بنى غطفان القتل بهم قد وقع والصياح عليهم قد ارتفع فبينما هم كذلك واذا بغبار من خلف ظهور الاعداء قد طلع وعجاج قد غشى وتزوبع ثم انكشف بعد ذلك وتقطع وبان من تحته خمسمائة فارس سميدع مقدمهم فارس أروع بالحديد مدرع وهو بجواده يندفع وسنان رمحه قد شرع وهو ينادى يا لعبس يا لعدنان بالعزم الشجعان يا أوغاد غير أمجاد أنا حيه بطن الواد أنا عنتر بن شداد ثم انه بعد ذلك العمل صاح وحمل وقد تبعه ولده ميسرة الفارس البطل وكذلك من معه من الشجعان وقد قل الموت فى أعينهم وهان (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء عنتر الى هذا المكان سبب عجيب وحديث غريب نحب نذكره على الترتيب وذلك بعد الصلاة والسلام على طه الحبيب وذلك انه لما سار مع الملك قيس الى حصن العقاب يطلبوا خلاص من لهم من الاصحاب ويخلصوهم مما هم فيه من الاسر والعذاب فلما قربوا منه أنفذوا شيبوب القمار فغاب قليل وعاد اليهم على الآثار وأعلمهم بان غاشم قد سار الى ديارهم فى عسكر جرار وخالفهم فى الطريق وأعدمهم السعادة والتوفيق قال فلما سمعوا ذلك المقال مامنهم الامن أيقن لحريمه بالسبى والادلال ثم انهم نزلوا قريبا من الحصن وباتوا يدبروا ما يكون من الاحوال وقد عزموا فى غد على الحرب والقتال فرأى الملك قيس فى منامه كأنه أحدق بحريمهم كلاب سود وذياب غبر فى قدر الفهود وقد نهبوهم نهبا قوة وغصبا وكأن الكلاب قد طلعت عليهم من جانب الخيام وقصدتهم من الربا والآكام وجعلت تمزق ما عليهم من الثياب والسرادق والاطناب قال ثم رأى كأن نارا وقعت فى الخندق بعد ما خرجت من زناد فطار منها شرار الى غدير ذات الارصاد وأحرقت الحريم والاولاد فانتبه من نومه مرعوب وهو مما رأى مرهوب فقص منامه على من حضر من السادات فقالوا والله وحق البيت الحرام ما قومنا الا وقعوا بداهية من دواهى الزمان





﴿ تم الجزء الثالث والعشرون من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شداد ﴾

الجزء الرابع والعشرون

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من انتشرت شهرة فروسيته فى كل واد ليث النزال الامير عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليــه

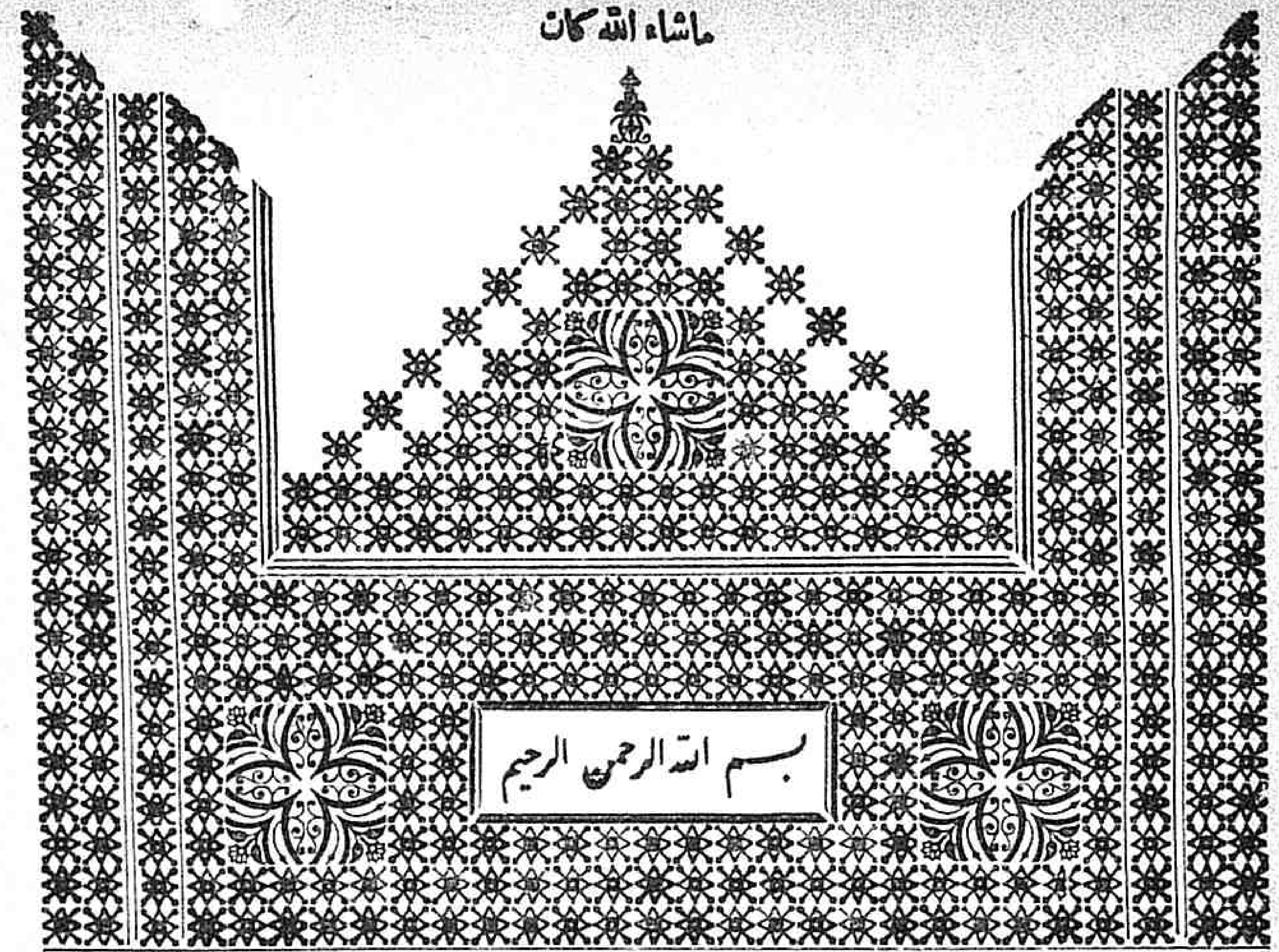




م

﴿ محل مبيعه ﴾
(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين افندى شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

﴿ الطبعة الثانية ﴾
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)



﴿قال الاصمعى﴾ رضى الله تعالى عنه فعند ذلك قال الملك قيس قلبى يحدثنى بالرجوع بعد هذه الرؤيا والارتياب فقال عنتر ماهذا صواب ولكن أنا أرجع اليهم وأنظر ماحل بهم وأفرج كروبهم وسير وانتم ومعكم ولدى الغضبان سيد الفرسان وأخوه غصوب فهم يقوموا مقامى وأنا ان شاء الله أعود اليهم فى خمسمائة فارس وأحل بهم الوسواس فان رأيت قومنا فى شدة أنجدناهم وبذلت السيف فى أعدائهم وبما حل بهم خلصناهم وان كان الامر بخلاف ذلك فنعود اليكم ونورى أعداءكم المهالك فقالت فرسان العرب والملك قيس ياأبا الفوارس الآن ترسل أخاك شيبوب يكشف لنا الاخبار ويرجع على الآثار فعند ذلك ادعا عنتر باخيه شيبوب وأمره بالمسير فانطلق وغاب أيام قلائل ورجع فقال له عنتر ماوراءك فقال له اعلم ياأخى ان الملك يكسوم قد أرسل اليكم غاشم بن المقدام فى عشرين ألفا من العربان وخمسة آلاف من السودان والحبشة وقد خالفوكم بالطريق والآن صح المنام ومافى الامر الاعودتى والسلام فقال عنتر لاوذمة العرب لا يسير الا أنا ثم انه تجهز فى خمسمائة فارس ومن جملتهم ولده ميسرة وسار وهو طالب الحلة حتى وصل القوم وهم فى جهد جهيد ورأى السودان ملكت أكثر البيوت وقتلت جماعة من عبيدهم وقد خرج الحطال وأبوه الجحجاح وقد ساءت بهم الاحوال فحمل عنتر فى ذلك الوقت فى الخمسمائة فارس الذين معه وقد ملك على السودان باب الخندق وولده ميسرة تبعه وزعق فيهم زعقة الحنق فاخذهم الفزع والقلق وجعل يضرب فيهم هو وولده ميسرة ضربا بعزم ومقدره والامير عروة قد حمل حملة منكره وطعنوا فيهم طعنا لايبقى ولا يذر فعاشت أرواح بنى عبس بعد الموت والضرر وقد عادت السودان من بين الخيام وقد تراعقت عبيد بنى عبس على السودان ورموهم بالنبال والاعمدة الثقال هذا وحافظ يحرض رجاله على القتال والطعن والنزال والحرب والضراب وعنتر قد صعب على السودان العذاب فعند ذلك ترجل حافظ بن حامد الى عنتر وفى يده خشت طويل وطالب ناحية عنتر فلم يجد الى ذلك من سبيل فعندها عطف على عروة وطعنه بذلك الخشت قلبه وصار على صدره وهم أن يذبحه فصاح عروة وبل عرأسه خوفا من الهلاك وقد أيقن ان مابقى له فكاك وكان صياحه أدركنى ياأبا الفوارس من هذا الامر المنكر فوقع صوته فى أذن عنتر فقال هلك والله أبى الابيض ثم ان عنتر طلب الصوت

حتى وصل اليه وقد جعل كليته عليه ومازال يخرق الصفوف قدامه ويطرحهم أمامه ويفرقهم يمينا وشمال ومن هذا صارت الفرسان تتنافر من بين يديه وجميع الرجال حتى أشرف على عروة وخصمه راكب على صدره وكان مراده أن يعدمه مهجته وعمره وهو يعالج مع خصمه وقد زادهم فزعق عليه عنتر زعقة عظيمة أدهشه فتخبل وارتعشت يداه من زعقته ثم فاجأه وضربه بالرمح قلبه وأركب عروة على جواده وعاد يكرهو واياه ومازالوا كذلك حتى غاصوا فى أواسطهم وانطبقوا عليهم قال فلما رأى القوم مقدمهم قد هلك وأصابته تلك المصائب أيقنوا جميعهم بالنوائب وانقضوا على بنى عبس بحرابهم من كل جانب ومن أكفهم يرموا الى ناحيتهم بالحراب فخرجت من أيديهم كانها شهاب لكن بنو عبس أكثرهم بالدروع والجواشن وتحتهم الخيول الصوافن والحبشة عراة مافيهم من عليه شئ يستر عورته الاقطعة أديم على سرته فانطبقت بنو عبس عليهم كانطباق الماء الغزير فأهلكوا منهم خلق كثير وعملت سيوف بنى غطفان فى ظهورهم فحار السودان فى أمورهم وقد جاءتهم الاماء والعبيد بأعمدة البيوت والنساء بالحجارة وقد أنزلوا بهم الذل والخسارة وقويت قلوبهم وأيقنوا بنصرهم ونيل مطلوبهم ووقعت فى السودان الزعقات وأيقنوا بالذل والممات وعمل فيهم الصارم البتار فطلبوا الهزيمة والفرار وتواقعوا فى الخندق على الوجوه ونال بنو عبس منهم ماأملوه ويرجوه والعبيد قد سطت عليهم بالاعمدة والاحجار فقلما يسلم منهم الا من هج على وجهه فى القفار وفرحوا بنى عبس بالنصر والظفر وعلموا ان نصرتهم على يد عنتر ﴿قال الراوى﴾ وكان عروة قد عاد على ظهر جواده وشفى من الاعداء مراده وغليل فؤاده وسار هو وعنتر وولده ميسرة وبنو غطفان والخمسمائة فارس الذين عادت معه من بنى عبس وعدنان ثم انه اخترق العجاج وقطع بحسامه الاوداج وترك الدماء على الارض تجرى مثل البحر العجاج ورمى الفرسان أفرادا وأزواج ووقع فى خيل اليمن الارتجاج وقد سكرت الابطال من غير مزاج ومازال عنتر فى عزيمته وحملاته وهو الى قدام الى أن وصل الى غاشم ابن المقدام فوجده يحمل تحت أستار القتام ويندر الرجال بحسامه الصمصام ويسقى الكماة كاس الحمام وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ويوم رددنا خيل عبس وعامر * وفرسانهم صرعى ببيض القواضب
ودارت رحانا فى اللقاء عليهمو * فارديت شجعانا شداد الجوانب
وصلنا عليهم صولة عنترية * فولوا ولم يدروا بأى المذاهب
سلوا الخيل عنى يوم مشتجر القنا * يخبر وكم من هول ووقع مضارب
ولما لقيناهم رددنا زعيمهم * بضرب حسام قاطع فى الترائب
وخلفته فى البر ملقى تنوشه * وحش الفلا والطير من كل جانب
وتغدو غربان الفلا فوق جسمه * وقد خرملقاثاويا فى السباسب
أنا البطل الندب الهمام الذى على * بأرصافه على عجمها والاعارب
وعرضى تقى أتقى أن أعيبه * ببخل أوذل أو بقول الكواذب
فهذا هو الفضل الذى يرفع الفتى * اذا شاع عنه فى جميع الاعارب

قال فلما سمع عنتر شعره ونظمه علم انه فارس شديد وبطل صنديد وجبار عنيد فانقض عليه كالنسر الحائم فعند ذلك تلقاه غاشم وصار له مهاجم وأراد أن يطعنه طعنة شديدة بقوة ساعده فلما رأى عنتر الرمح لصدره قاصد صبر صبر الرجل الماجد حتى وصل السنان اليه ندبده وقبض عليه وجذبه فى كفه كاد أن يخلع كتفه وقد قام فى ركابه وتمطى فى مداده وضربه بالسيف على أردانه واذابه كضم الارض باسنانه فانقض عنتر على راسه أخذها من الارض بيده وضرب بها فارسا من أصحاب غاشم الذى كانوا بجانبه وكان ذلك بشدة ساعده وقواه فانقلب وصار أملا مافيه رجلاه وقد فارق الحياه فاندهشت فرسان بنى قحطان واليمن وقد وقع بهم الذل والمحن فعند ذلك حمل أخاه يطالب تاره وقد اشتعلت فى قلبه ناره فاعترضه ميسرة وحمل عليه حملة

منكره وطعنه فى جنبه فجاءت الطعنة فى قلبه لكن أوهنته وأوقعت به الخبل الا أنها خرقت أمعاءه وبددت ما فى وعاءه فوقعت على عساكر اليمن الكسرة وقد ظهر فى عددهم القلة فولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وقد عمل فى أقفيتهم الصارم البتار واتبعوهم خصماهم باقى النهار وشتتوهم فى البرارى والقفار وعاد عنتر وهو يشكر بنى عامر فرسان الخيل ويثنى على ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل ثم انه مضى الى عند دريد بن الصمة وحله من وثاقه ومن معه من رفاقه وسلم عليه وقبل يديه وقدميه وقال له يا أبا المظفر لولا كم كانت سبيت نساؤنا وحلت بهم العبر وكانت ملكت أموالنا وخربت أطلالنا فقال له دريد يا أبا الفوارس اذا طال عمرك ما يصيبنا بؤس ولا شقى ولا نزال منصورين بطول حياتك والبقا قال فشكره عنتر وأثنى عليه ودعا له وقبل يديه ثم انهم نزلوا تلك الليلة للراحة فى ذلك المكان وقد قرت قلوب البنات والنسوان هذا وعنتر يحدثهم بما جرى لهم من الامور والاسباب ويقول أنا خليت الملك قيس ومن معه من الاصحاب وقد فاربوا حصن العقاب وأنا والله خايف عليه وعلى اخوته وجميع من معه من أهل عشيرته ثم انه حدثهم بما أبصر الملك قيس فى المنام وهذا السبب الذى ردنى الى هذا المكان قال فتعجبوا الحاضرين من ذلك الكلام وبعد ذلك قال الامير عنتر وأنا عولت على صحبته وأعينه على أعدائه فقال دريد بن الصمة وملاعب الاسنة وخفاف بن ندبة والعباس بن مرداس ومن حضرهم من جميع الناس والله يا أبا الفوارس نحن ما جئنا الى هذا المكان والدمن الا خدمة لك ونسير معك الى بلاد اليمن ولكن أعاقتنا هذه الحروب والفتن قال فشكرهم عنتر على مقالهم وأثنى عليهم وعلى فعالهم ودعا لهم ثم انهم أقاموا يومين وليلتين فى تلك الارض والفلا حتى رتب عنتر الحلة وأمر العبيد أن ينظفوا الارض من القتلا وقد شكر أيضا غطفان وابن أخته الهطال وضم اليه ثلثمائة فارس من الخمسمائة التى جاءت معه من تلك الابطال ﴿قال الراوى﴾ لهذا المقال بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد باهى الجمال ثم انه رحل من قومه المائتين فارس وأخذ بنو هوازن وجشم وبنو عامر فكانوا ستة عشر ألف عنان من كل بطل منصان وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

نسير الى جيش اليمانى بعدما * نبادر منهم أولا ثم آخرا
أتونا بجيش ترجف الارض خيله * وفيه من الابطال أبحر زواخرا
بجمع تظل الاسد ساجدة له * وقد صعدت منه الصخور الحوافرا
ومن دون حى الغائبين كتائبا * اذا افتخرت زادت على من تفاخرا
رأيت قوما من بنى حام قادهم * فتى من بنى قحطان أشرس حادرا
فلاقتهم من آل عبس فوارسا * وقد قدر الرحمن ما هو قادرا
ولى همة من عند ربى وخالق * أضارب قرمى جاسرا وهو خاسرا
سيفى أتى غاشم وفى وسط حفرة * تخطفه عقب النسور الكواسرا
وجميع بنى حام تركت عبيدهم * هشيما بحد السيف والسيف باترا

﴿قال الراوى﴾ ثم انه لما فرغ من شعره تعجبت الفرسان من فصاحته ومما عاينوا من شجاعته فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك قيس وبنو عبس وأحوالهم فانهم لما جدوا بالمسير يطلبون تلك الامور المحكمة والغضبان وغصوب على المقدمة حتى قاربوا حصن العقاب طالبين خلاص من لهم من الاصحاب فلما قاربوه ووصلوا اليه ونظروا الى حسن بنائه وعاينوا علوه وارتفاعه فامر الملك جماعة من أصحابه أن يكمنوا وراءه فى عرض ذلك الفلاه وأمر الغضبان أن يسير فى ألف فارس من رجاله ورفقاه ويسوق ما حول الحصن من الاموال والنوق والجمال فساروا وقد فعل ما أمره به الملك قيس من تلك الفعال وضرب فى أقفية العبيد ضربا مثل فتوق الاعدال ووقع الصائح فخرجت من الحصن الرجال وفى أوائلهم الهاطل فى جماعة من الابطال فأبصر وا بنو عبس قد ساقت الاموال وخيلهم متفرقين يمينا وشمالا فنادى يا أوغاد غير أمجاد يا كلاب العرب ابشروا بالهلاك والعطب وقد حل بكم الويل والحرب وخاب منكم

الامل وقد أدرككم الموت المعجل ثم انه حمل فى أوائل عسكره وهو يقول أين تأخذون أموال الملك يكسوم البطل المهول فلم يتم كلامه حتى انقض عليه الغضبان وقاربه وهو كالاسد الحردان وضربه ضربة مشبعة فالتقاها الهاطل بالدرقة وكان بيده صمصامة لا يردها ترس ولا طارقة فقطعها سيف الغضبان ونزل الى رأس الهاطل فقسم البيضة شطرين ونزل السيف الى رأسه كاد أن يهدم أساسه وجرحه جرح مؤلم ولولا أجله مديد لكان قضى عليه ثم ان الغضبان مد يده أخذه أسير وقاده ذليل حقير وحمل على باقى الخيل وانصب عليها انصباب السيل وحملت بنو عبس من ورائه خوفا عليه من أعدائه وكان كل منهم يريد أن يبين من نفسه ما يراه فهبروا عساكر الهاطل بن سافيه هبرا وضربا وهم غاية الضرر وأوا الشئ ما لهم عليه مقدرة وقد انعقدت عليهم الغبره فعادوا من قدامهم منهزمين والى نحو حصنهم طالبين فوجدوا الملك قيس قد طلع من الكمين وفرسانه بالحصن منطبقين والملك قيس قد أمر غصوب أنه يلقاهم فى ألف فارس آخر ففعل مثل ما أمر فلما بصروا هؤلاء السيف يعمل فيهم من خلفهم ومن بين أيديهم فضاق عليهم السهل والجبل وأيقنوا جميعهم بالذل والخبل ولم يلتفت الوالد الى الولد وأخذت منهم بنى عبس خمسمائة أسير وأبلوهم بالذل والتقصير وقد هلك منهم خلق كثير ولم يسلم منهم الا من كان فى أجله تأخير هذا والغضبان قد قدم الهاطل بين يدى الملك قيس وأوقفه الى بين يديه ليضرب رقبته ويقضى عليه فطار عقل الهاطل وتخبل وأيقن بحلول الأجل فقال أيها الملك الرئبال لأى شئ تفعل بى هذه الفعال فقال له الملك قيس لاجل الاسارى الذين لنا عندك فى الاعتقال فاذا أردت سلامتك تأمر أصحابك أن يسلموا الحصن وتخرجهم من بعد ذلك والا أسقيك كاس فنائك لاننا نريد أسرانا ونرجع الى بلادنا ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الملك قيس أمر أن يقدموا من الاسارى عشرة الذين معهم فى الاعتقال ويجردوا من حولهم السيوف الصقال ففعلوا تلك الفعال فلما نظر الهاطل الى هذا الحال أيقن بالارتحال وقال أيها الملك تأن ولا تفعل واعلم ان لك علينا خلاص أسراك واعلم ان عسكرنا قد سار مع غاشم بن المقدام الى دياركم فابق علينا العلاك أن تخلص بناحريمكم والعيال فقال له قيس الويل لك ولذويك ونحن قد عولنا على ذلك الحال يا ويلك وحق الملك المتعال الذى قدر الارزاق والآجال اذلم تسلم الحصن والا فعلت بك هذه الفعال ثم انه ضرب واحدا من الاسارى رمى رقبته فقال الهاطل أعطنى الذمام فقال له الملك لك على ذلك وحق الملك العلام فتقدم الهاطل الى باب الحصن وعقله قد غاب ونادى يا ويلكم اعلموا اننا قد أشرفنا على الهلاك والذهاب قال فلما سمعوا الذين فى الحصن كلام الهاطل أجابوا بالسمع والطاعه وسلموا الحصن وما فيه من تلك الساعه وفتحوا لهم الباب فدخلوا بنو عبس الانجاب وقدامهم الغضبان بعدما أعطوهم الامان وأخذوا ما لهم من الاموال والعيال وقد ملكوا الحصن بأمان فوجدوا أموال ما تأكلها النيران وقد فكوا أسراهم من الاعتقال وفرح الملك قيس بخلاص اخوته وبابن أخيه مجيد ومن معه من الرجال وفرح الربيع بخلاص أخيه أنس وانسر بهذه الاعمال وقال أيها الملك أسرانا قد أخذناهم وبلغنا الآمال فخذ هذه الاموال التى فى هذا الحصن وسر بنا فى القفار نطلب الاهل والديار فأجابه الى ذلك وقد عول على الارتحال واذا بفرسان اليمن قد أقبلت من سائر الاقطار ولم تمكن الا ساعة من النهار حتى امتلأت بهم البرارى والقفار ﴿قال الراوى﴾ فلما نظرت بنو عبس والملك قيس الى هذه الخلائق الذى ملأت الفلا أيقن بالويل والبلا وقال للربيع هذا الحساب الذى حسبته والفكر الذى فكرته وما بقى لنا غير الحصار حتى يأتى لنا النصر من عند خالق الليل والنهار قال وكان السبب فى ذلك العسكر ومجيئهم الى هذا المكان المنهزمين الذين انهزموا من المرة الاولى لانهم ساروا على الحال وأوقعوا النفير وأخبروا الفرسان الانجاب وحثهم بالنفير الى حصن العقاب وسارت تطرح الصوت فيهم من كل جانب فنفروا جميع الاعارب وأتت كما ذكرنا وأحاطت بالحصن كما قدمنا وأما الهاطل فانه عاد طالب الملك يكسوم وهو خائف مرغوم الانف مهموم وقال يا ملك قتلت الرجال ونهبت الاموال وملكت الحصن بمن فيه من الرجال قال فلما سمع الملك يكسوم من الهاطل ذلك الكلام صار الضياء فى عينه ظلام وقال له يا ويلك من أين وصلوا تلك الانذال وفعلوا هذه

الفعال والجيش الذي أنفذناه اليهم اين كان وأي شيء كان جرى لهم فقال له الهاطل أيها الملك ما سمعنا لهم خبر ولا جليه أثر فعندها استدعى الملك يكسوم بابن عم له يقال له شريط بن بهيم الحبشي وكان شجاع من الرجال الشجعان وقرم من الاقران وجرد له من العرب عشرين ألف ومثلهم من السودان وقال لهم سيروا مع ابن عمي وأتوني بهؤلاء الذين اخذوا اصحابي فاجابوه بالسمع والطاعة وساروا من تلك الساعة ومازالوا سائرين في تلك البراري والرحاب حتى وصلوا الى حصن العقاب ونزلت حوله تلك الفرسان واحاطت به الاقران فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى معهم من الامر والشان وأما ما كان من بني عبس فانهم لما احاطت بهم الجموع وأخذت عليهم الطرقات وضربوا المضارب واحتاطوا بالحصن من كل جانب فقال الغضبان للملك قيس يا ملك الزمان وحق الرحيم الرحمن ان قعودنا من خلف الجدار من أكبر العار افتح الباب يا ملك اخرج أنا وأخي غصوب نصطلي نيران الحروب فأمر الملك قيس بفتح الباب فخرج الغضبان وغصوب ومجيد بن مالك في ألفين فارس فحملوا على القبائل وأذاقوهم العذاب وبقي الملك قيس واقف تحت راية العقاب وهو قريب من باب الحصن مخافة أن تميل طائفة من هؤلاء العربان ويملكوا حصن العقاب هذا والغضبان قد غاص في هذه العربان فعندها انتخب الابطال ومدوا اليه الرماح الطوال وأشهروا كل سيف فصال فلما رأى الغضبان منهم هذه الفعال وقف لهم وقفة الاسد الرئبال وكذلك فعل أخوه غصوب ومن معه من الرجال فلما ان رأى الملك قيس الى ذلك العدد وقد كثر على الغضبان وأحاطت به وبمن معه الفرسان خاف عليهم من الردى ومن كثرة العدى فحمل بالفوارس الذين كانت معه حملة صادقه وأشهروا السيوف البارقه والرماح الخارقه وفي دون ساعة فني من السودان ألف وخمسمائة انسان وأسر منهم جماعة ووقع عليهم الذل والهوان فابعدوا عن الحصن الى الفضا وقد نزل عليهم القضا فبينما شريط فوق الرابية ينظر الى القتال وحوله جماعة من الرجال واذا بفرقة من الابطال خرجت من تحت الغبار وهي منهزمة طالبة الهرب والفرار وأخبرت شريط بما تم عليهم من الويل والدمار فبينما القوم مع شريط في المقال الا والغضبان قد ظهر وأدركهم ادراك القضاء والقدر فلما ان رأى شريط الى ذلك انذعر ونادى اياويلكم دونكم وهذا الشيطان شيلوه على رؤس الاسنة والاشطان هذا والغضبان قد أدرك حامل العلم وطعنه جندله والثاني رمله والثالث نكله والرابع أدنى مرتحله وقد تم في حملته حتى لحق بشريط وضربه بالسيف وطلب هلاكه وعطبه وكان على بعد منه فوصلت الضربة الى عنق جواده أهلكته فوقع شريط وبقي على وجه الارض ﴿قال الراوي﴾ فلما ان أبصروا قومه فعل الغضبان داروا به من كل جانب وهم بالقنا والقواضب فقال لهم شريط دونكم واياه اعدموه الحياه فبينما هو يقول ذلك المقال واذا بغصوب قد طلع مثل الاسد الرئبال وهجم عليهم وقلب اليمين على الشمال فما قوالهم على ذلك اصطبار فولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وتشتتوا في وسيع القفار وقد وقعت بهم الحيرة والانبهار هذا وقد شق الغضبان بين يدي القوم شقا وفرقهم بين يديه غربا وشرقا وكسر كل بيضة ودرقا وأروى سنانه من الاعداء كما اتفقا وكان غصوب على أثره وقد محق الابطال محقا وسحقهم سحقا ومازال يصيح عليهم ويقول يابني الاعمام اليوم تبان فيه منازل الشجعان حقا والملك قيس يقول يابني عمي اسبقوا القادمين الى باب الحصن سبقا عند ذلك عادوا الى الحصن راجعين وعلى الدخول اليه معولين ولم يزالوا يفرقوا الابطال من قدامهم ويطيروا الرؤس من على أجسادهم حتى أدركوا باب الحصن باعلامهم حماتهم مازن وسبيع اليمن والفتى الغضبان الى أن دخلوا الى الحصن ولاح لهم وجه الامان ودخلوا وغلقوا الباب وأمنوا على أنفسهم من الذهاب وطلعوا من فوق الاسوار وقد قر بهم القرار ووصل الملك شريط الى باب الحصن ونزل عليه وقد اجتمعت العرب كلهم حواليه فصار وافي عالم عظيم بعدد الرمل والحصى وما فيهم الا من اشتكى مما لاقى من القتال وما قاسوا من الاهوال ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك قال لهم شريط يابني عمي ومن حيث حصرناهم في الحصن صار عليهم خطب جسيم وقد حصل لهم العذاب الاليم فعند ذلك تعاهدوا السودان أن يلقوا الحصن بما فيه من العربان ويأخذوهم أسارى في الذل والهوان فقال لهم شريط

فلابد ما أنفذ اليهم رسول واسمع من ملكهم ما يقول ثم انه أعاد برجل من خواص دولته فاقبل اليه من وقته وساعته ممتثلا لكلمته فقال له امضي الى هؤلاء الاقوام وقل لهم ابن عم الملك قد أرسلني اليكم بجواب وكلام وهو انكم تسلموا أنفسكم اليه فيحملكم الى ابن عمه الملك يكسوم ويعرضكم عليه ويتشفع لكم ويعفو عن دماكم وما بقيتموه من الاجرام ويتضمن لكم كلما أتاكم وان أبيتم فلا تظنوا الحصن يحميكم منه ولا الحصاد يمنعكم عنه لانه يأمر السودان تهدمه من تحت الارض والبطاح ويأخذوا رؤسكم على أسنة الرماح بعد ما تذهب منكم الارواح فمضى الرسول الى ان وقف تحت البرج الذي للباب ونادى يابني عبس أنا أتيت اليكم رسول بخطاب لكم فيه غاية الصواب فاسمعوه واصغوا اليه واعرفوه فعندها أمر الملك قيس بعض غلمانه أن ينزل ويفتح الباب ويحضروه الى بين يديه فامتثلوا ما أمرهم به وفي عاجل الحال أحضروه اليه فلما أوقفوه قدامه سلم عليه وأدى الرسالة وما حمل اليه فاراد الملك قيس ان يكلمه ويرد عليه الكلام واذا بالغضبان قد نهض اليه وجرد الحسام في وجهه وصاح عليه وصرخ فيه فانجزع وطار فؤاده من الفزع ونادا ياأخس كلاب اليمن ويارديء الاصل والاثن وحياة رأس أبي عنتر المالك رؤس البدو والحضر لولا انك أتيت رسولا لكنت تركت رأسك تحتك وجعلتك أول مقتول ياويلك عد الى صاحبك القرنان الذليل المهان وقل له ويلك ياجبان مثلنا نسلم نفوسنا وجميع الفرسان ذلت الينا والشجعان خافت من هيبتنا هيا سر اليه يا أخس الرجال وصرخ فيه فعاد الرسول وقد تغير لونه واضطرب كونه وهو يتبربر مما قاسى من المصائب ويقول وحق ذات الذوائب وما في الافلاك من الكواكب لقد سلمت من هذا الاسود لا يهلكني ويحل بي النوائب قال الناقل ولما وصل الى شريط أعاد عليه مقال الغضبان وقال له الذي أعاملك به يا ملك الزمان أن القوم كلهم أبطال وشجعان وهم مصممين على الضرب والطعان وفيهم يا ملك أسود شيطان ما هو مثل من تعرف من السودان وانه ثابت الجنان وهو كانه مثل اسمه الغضبان وقد وثب الى لما سمع كلامي وصرخ في وجهي فانزعجت عظامي وقال لي والله لولا انك رسول لجعلتك أول مقتول وتركتك على وجه الارض مجدول حتى لا تعود ترجع في الفضول واني ما صدقت بالحضور اليك والعودة الى بين يديك (قال الراوي) فعند ذلك قال شريط هؤلاء احتقروا بي وجهلوا أمري وازدروا بي وان لم أهلك شجعانهم والاما ابوي ثم انه أمر الهاطل الذي هو فارس العسكران يأخذ عشرين ألف أو أكثر ويملا بهم الطرقات حتى لا ينهزموا بني عبس في الليل ويعبروا في الفلوات قال ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ونحن نصلي على زين الملاح أمر شريط العساكر بالركوب فعند ذلك ركبت وللحرب اعتدت وترتبت وجعلوا السودان في الاول وفي أيديهم الحرب والدرق ولهم صياح يأخذ الانسان منه الخوف والقلق وهم مع ذلك عراة الاجساد كانهم من قوم ثمود وعاد وصاحوا صيحة واحدة ارتجت منها الابدان ورجفوا وزحفت خلفهم العربان وهم بالرماح الطوال والسيوف الصقال والقوس والنبال هنالك ارتفعت الاصوات ونشرت الاعلام والرايات وقد طلع شريط على بعض الرابيات واشتبكت على رأسه الازدهارات والصناجق الغاليات ووقف ينظر ما يكون من أصحابه مع هؤلاء الاسد الضاريات ونظر الملك قيس الى الحصن وقد تزلزل من جميع الجهات من شدة ركض الخيول الصافنات وصياح ابطال اليمن والسودان عاليات فحار الملك قيس لما رأى ذلك وأيقن أنه هالك وبقي لا يدري ما يعمل وقد حار عقله واندهل ﴿قال الراوي﴾ فعندها صاح الغضبان وقال للملك قيس ياملك الزمان ما هذا الوقوف مع هؤلاء الكلاب ويحك مر لنا بفتح الباب وأنا أخرج وأريك العجب في هؤلاء الكلاب ويكون معي أخي غصوب في ألفين من الفرسان الانجاب وابقوا أنتم في الف فارس على الاسوار وعندكم القوس والنبال والاحجار وتحفظوا الباب والمكان من العرب والسودان وانا اذا لقينا الغلبة في القتال وكثر علينا العدد في المجال التجأنا الى الاسوار واحمونا أنتم بالحجارة والنبال ونبذل المجهود في لقاء هؤلاء الانذال والآن اذا قعدنا محصورين هلكنا ونقبت السودان الحصن وملكنا ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك قيس كلامه علم انه صواب وأمر بني عبس بفتح الباب فخرج الغضبان وخرج معه ألفين فارس من

الشجعان ونظروا السودان الى سيوفهم المرهفة ورماحهم المثقفة وخيولهم العربية وخودهم العادية والغضبان في أوائل الرجال والى جانبه أخوه غصوب ومازن أخو عنتر من خلفهم مثل الاسد لو ثوب وفي يده رمح معتدل كعوب والى جانبه سبيع اليمن مثل الليث الغضوب وحملوا فارتجفت من حملتهم القلوب وتلقتهم السودان وهم عراة الاجساد بالحراب المواضي والسيوف الحداد قال ولما انهم تقاربوا من بعضهم البعض ارتجت لحملتهم تلك الارض فلما نظر الغضبان الى ذلك الحال صمم تصميم الرجال وفعلوا جماعته مثل تلك الاعمال وضربت بهم في ذلك اليوم الامثال وزادت المخاوف والاوجال قال وحمل مع الغضبان ألفين بطل وعمل السيف بالابدان وحمي الشجاع البطل وحار الجبان وانذهل وقلعت الرماح النواظر والمقل ونثرت الجماجم نثر الحرمل وقد صارت بنو عبس تفعل كفعال الغضبان وتلقى الحراب من الهوى وتردها الى الصدور السودان فتريهم على الارض والصحصحان وامتزجوا بهم غاية الامتزاج حتى بقي ضوء النهار مثل الليل الداج وتقطعت المفاصل والاوداج وفي دون ساعة من النهار والزمان فني من السودان ألفين وخمسمائة انسان وأسر منهم جماعة وأخذوا في حبال الذل والهوان وبعدوا عن الحصن الى الفضا وعمل فيهم الحسام بالقفا وعاد الغضبان وقد انصبغ من الدم جواده وأشفى مرض في تلك الحملة من السودان فؤاده وعاد ايضا حمل وخرق صفوف السودان وأروى منهم الصارم اليماني وخرج منهم الى عرب اليمن وأنزل بهم الذل والمحن وفلق منهم الجماجم وكذلك فعل غصوب مثل فعل الغضبان ومازن وسبيع اليمن أهلكوا الفرسان وفعلوا فعل الرجال الاحسان وأهلكوا العرب والسودان ونكسوا الشجعان في حومة الميدان وفرقوا الابطال وأبادوا الفرسان وارتفع الغبار الى العنان قال فبينما شريط واقف على رابية عالية ينظر الى القتال وحوله جماعة من الابطال واذا بفرقة من رجاله الاخيار قد خرجت من تحت الغبار وهي طالبة الهرب والفرار وهم منهزمين والى نحوه طالبين وعليه واردين وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور فقال لهم شريط ويلكم ما الذي دهاكم ومن بشره رماكم لاني أرى جمعكم منكسر وحالكم متغير فاي شيء الذي جرى عليكم ونالكم وما الذي خلفكم وأورثكم وبالكم فقالوا يا ملك وراعنا الموت الاحمر والامر المنكر والبلاء المصور فقال الا انهم لم يتموا ذلك الكلام المنكر الا والغضبان من خلفهم قد ظهر وادركهم ادراك القضاء والقدر والزبد قد خرج على أشداقه والجمر يطير من مقل عينيه وهو يكبكب الناس بسيفه الابتر ويقلع منهم الاحداق برمحه الاسمر قال ولما نظر شريط الى ذلك انذعر وتحير وقال يا ويلكم دونكم وهذا الشيطان الفضاح شيلوه على أسنة الرماح وقطعوه بشفار الصفاح هذا والغضبان قد بلغ منهم أمله وشفى ما في صدره وقرب من حامل العلم وطعنه جندله وطعن الذي الى جانبه عن جواده كركبه وثالث نكبه ورابع أدنى من المقابر محله ثم انه طلب الملك شريط وكاربه وضربه بالسيف يريد هلاكه وعطبه وكان على بعد منه فلم يهلكه فوقعت الضربة منه على عنق جواده أهلكه فوقع شريط وبقي على وجه الارض وانفرشت الابطال من حوله طولا وعرض ولا زال يدافع عن نفسه ويمانع وقد خاف على نفسه من هول تلك المعامع قال ولما أبصروا أرباب دولته فعل الغضبان داروا به من كل جانب ومكان وطلبوه بالسيف والاشطان وقد قتلوا من تحته الحصان فالتفت الى وراه فلم يرى أحدا من رفقاه ولم يجد أحدا من أبطال بني عبس فأيقن بعدم النفس فعند ذلك صبر وهو راجل على الكفاح أكثر ما كان راكب في تلك الربا والبطاح وجعل يبري بسيفه الرماح ويقبض به الارواح والقوم قد أيقنوا انهم يصرعوه وبأسيافهم يقطعوه وصار بعضهم يقول لبعض يا ويلكم ان أخذتم هذا الشيطان الاسود فزتم أنتم بالذكر الجميل الى آخر الابد قال فبينما هم يقولون هذا المقال وقد نظروا ما فعل الغضبان من الاعمال وقد أيقنوا من أخذه ببلوغ الآمال واذا بغبار قد طلع وظهر من تحته غصوب مثل الاسد الادرع وصرخ في الفرسان ونكس الاقران وفرقهم عن أخيه الغضبان وأبعد عنه الشجعان فعندها ركب الغضبان جوادا من خيل المعمعة الجياد وركب أيضا الملك شريط جنيبا من جنائبه وصاح في أبطاله وكتائبه فمالت كلها على غصوب وأخيه الغضبان ورماحها قد سدت عين

الشمس وأرادوا أن ينزلوا بهم التعس والنكس فلم يكن للغضبان دأب الا العودة الى الحصن فرجع ورجعت جميع الفرسان وقد اطمأنت قلوب الناس على الغضبان وقد دخلوا الحصن بأمان فعند ذلك أقبل الملك قيس عليه وقبله بين عينيه وقال له لله درك ودر أبيك وبارك الرب القديم فيه وفيك قال ولما تكامل دخولهم الى الحصن وهم مثل الاسود الضاريه وقد حصل النصر والامانيه ثم انهم غلقوا باب الحصن وبطل عنهم الارتجاج وطلعوا يحرسوا أنفسهم على الاسوار والابراج وبعد ذلك أتوا اليهم الخدام بما راج من الطعام فلما أكلوا واكتفوا طلبوا المنام الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ونصلي أنا وانتم على زين الملاح قال فعند ذلك نهض الغضبان من بين الفرسان ولبس درع تمام وتقلد بحسام صمصام واعتقل برمحه المعتدل القوام وقال يا ملك أمرلي بفتح الباب حتى اني أخرج الى الطعان والضراب فاجابوا قوله وفتحوا له الباب فخرج وهو يجر رمحه على التراب ولم يدع يخرج معه أحد من الاصحاب وكان ذلك من صبوته وعنوان الشباب ثم انه حمل يطلب عساكر اليمن حتى ينزل بهم الذل والمحن فجال فيهم طولا وعرض وملأ من قتلاهم وجه الارض حتى خافت منه الفرسان وهابت من فعاله الاقران وبعد ذلك رجع الى عساكر السودان وبذل فيهم الصارم اليماني وحصد رؤسهم بالهندواني وأخرق صدورهم بطعن السنان وأبلاهم بالويل والحرمان وأنزل بهم الذل والهوان وهو قد بقي مثل شقيقة الارجوان من ما سال عليه من أدمية الفرسان وكان يوم بعد من الايام ما جرى مثله لابيه عنتر الذي هو أشجع الشجعان قال ولم يزل على ذلك الخطر حتى وصل في حملته الى آخر العسكر ونظر الى ذلك الملك شريط وهو واقف تحت العلم الاكبر فخاف على نفسه لا يفعل به كما فعل به بالامس ويطعنه طعنة تكون عليه قاضية ويسكنه الرمس فامر خواصه أن تطبق عليه ففعلوا ذلك فزعق عليهم فولوا من بين يديه وعادوا راجعين على أعقابهم ولم يجسر أحدا أن يتبعه من شدة شجاعته وقوة جنانه قال وكان خروجه من الحصن لما انضحا النهار وكان عودته اليه ووصوله لما كان في وقت الاصفرار وانه فعل تلك الفعلة ولم يدع أحدا يخرج معه الا حتى يروى عنه في الاخبار ويتحدثوا به المحدثين في الاسفار وكل هذا يجري والملك قيس والربيع من فوق الحصن ينظرون اليه وقد أعجبهم قتاله وضربه ونزاله وهو يهبر الملوك هبرا ويجزر الرجال جزرا ويفرقهم سهلا ووعرا والخيل تنفر من قدامه والفرسان تهج من ضربات حسامه حتى وصل الى الحصن وقد أقبل الليل بظلامه وولى النهار بابتسامه فالتقاه قيس بعدما نزل اليه واحتضنه وقبله بين عينيه وقال له لله درك ودر أبيك عنتر لانه أسد قسور وليث غضنفر ﴿ قال الراوي ﴾ ثم انهم دخلوا حصن العقاب وأغلقوا بعد ذلك الباب والغضبان مثل ليث الغاب وقد أشبع القوم طعنا وضرابا هذا وقيس يقول من تشبه بأباه ما ظلم ولما صاروا من داخل الحصن أغلقوا الباب وصعدوا على الابراج وأتوا بالطعام والشراب وصاروا يأكلون ويشربون على عساكر ملك الحبشة ويتصايحون ويتضاحكون وكانوا قد نصبوا للملك قيس قبة عالية على باب الحصن فجلس هو والغضبان وغصوب ومازن ومجيد بن مالك ووجوه عشيرته فأكلوا الطعام وقدموا اليهم المدام ورتبوا الحرس وشربوا الى الصباح وكان الغضبان قد غلب عليه السكر من تناول الاقداح وشرب الراح واللعب والمزاح مع الملك قيس واخوته الى الصباح فلما أضاء الفجر ولاح لبس درعه وقد استلب رمحه وتقلد بحسامه وقال افتحوا لنا الباب لاني اشتقت الى الطعان والضراب فاحتاج الملك قيس أن يفتح له الباب وقد سمع قوله فامتثله فخرج وهو مخمور كأنه الليث الكسور وحمل يطلب أعلام شريط وخيامه وقرانه والزامه وكانت العساكر لما رأته انذعرت فتحدرت على ظهور خيلهم وركبت وقامت الحبشة وهي خائفة مندهشة وركبت الخيل والجنائب وطلبوه بالقنا والقواضب فلما قاربوه طعن فارس أرماه وثاني أرداه وثالث أهواه ورابع بسيفه أبراه والخامس سقاه كأس فناه والسادس بالرمح أخرق أمعاه وما زال على ذلك الحوادث حتى قتل ثلاثين فارس وساروا كلهم قتلا نواكس فانكفوا عنه القوم حتى وصل الى مضرب شريط

وصرخ صرخة اقشعرت لها الابدان وتغيرت منها الالوان فطلب شريط الهرب وماجت حوله العرب
وتفرقوا من بين يديه وصار كل من لقاه أعدمه الحياه وما عاد من المضارب حتى أوقع بهم المصائب وقتل
فى نهاره خمسين من الفرسان وعاد طالب الحصن وما تبعه انسان وقد صعد الى القبة التى للملك قيس فما بقى
عند الرجال تحيروا من ذلك الفعال وقد تعجب قيس وبنو عبس وقد اندهشت من فعاله وتحيرت من أعماله
وقالوا والله ان أبوه عنتر ما يفعل هذه الفعال ولا يجسر على هذا أحد من الرجال هذا والملك قيس قال والله
يا بنى لقد خاطرت بنفسك فى هؤلاء الكلاب وعجلت فى الطعان والضراب ولم صبرت حتى كانت الفرسان
تركب معك وهم بنو عمك وعشيرتك فقال يا مولاى كنت أصبحت مخمور وقد اشتهيت ان أفك سكرى بقتل
هؤلاء الرجال قال هذا ما جرى ههنا للغضبان وبنى عبس وعدنان وأما ما كان من شريط فانه من شدة غيظه
قال لقومه والله يا أوغاد غير أمجاد ان قاتل أحد منكم أو جرد سيف لاضربن رقبته لانكم بئس الحماة والاجناد
ولا فيكم من له كبد ولا فؤاد ولقد ذليتم قوم أنتم حماتهم يا ويلكم ما أنتم رجال ولا أبطال فلما سمعوا قومه مقاله
ورأوا فعاله لم يجسر أحد ان يرد عليه جواب ولا يبدوا خطاب قال ولم يزل شريط متفكر الى الصباح فلما أضاء
بنوره ولاح وجبت الصلاة والسلام على زين الملاح أمر شريط بضرب قبة من الديباج الاسود وعلى رأسها
درة جوهر صافية من فوقها رمانة من الذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر وعلى بابها علم من الذهب الاحمر
فنصبت مثل ما أمر وجلس فيها فلما نظر بنى عبس الى ذلك العلم تعجبوا وقالوا عمرنا ما رأينا مثل هذا العلم عند
ملك من الملوك وما هذا الا ملك عظيم وسلطان جسيم قال فلما رآه قيس قال والله يا بنى عمى قد اشتهيت أن
يكون مثل هذا العلم على رأسى ليكون فخر لبنى عبس على ممر الزمان فلما سمع الغضبان ذلك الكلام قال له
يا ملك الزمان وحق البيت الحرام العتيق والركن الوثيق لآتيك به ولو كان بينى وبينه السد الاقصى وحوله
عساكر بعدد الرمل والحصى لآخذنه لك غصبا فقال له قيس لا تفعل يا ولدى فان هذا أمر عظيم وفيه خطر
جسيم وأنا أعلم انك لو ما تأخذه وتأتينى به الا بعد قتال وبال ومقاساة أهوال وأنا والله يا ولدى بالامس
ما صدقت ان أراك سالم من ذلك الفعال لانك خاطرت بنفسك على كل حال وليس المخاطر فى كل وقت محمود
وأما نحن فما نريد هذا العلم ولا نريد الا سلامتك لان عندى سلامتك أفضل وأعظم من ألف علم فقال الغضبان
وحياة رأس أبى عنتر بن شداد لا بد لى ما آتيك به على كل حال ثم أخذ بيده الكاس وشرب من الخمر حتى طابت
منه الانفاس وصبرت حتى صار الشمس فى قبة الفلك ونظر الغضبان الى المضارب والخيام من شدة الحر
خامده وكان الملك شريط فى ذلك اليوم من غيظه وحنقه على أصحابه ما ركب فى ذلك اليوم الا قاعد يتفكر فى
فعال الغضبان حتى أخذه النوم فنام والغضبان هذا قد ركب وغاص فى الحديد وقال افتحوا لى الباب ولا تردوا
خطاب فتعلق به الملك قيس ومن معه من الاصحاب وقالوا له يا ابن العم لا تفعل وابصر ما بين يديك وتمهل
واصبر ولا تعجل فقال وحياة أبى لا بد لى من الخروج اليهم فى هذه الساعة قال ففتحوا له الباب وخرج وأراد
غصوب أن يخرج معه فقال لا يا أخى بحق ذمة العرب أقم مكانك ولا تتبعنى حتى ترى الخيل دارت بى وأشرفت
على هلاكى وعطبى ثم انه ركب الحصان وخرج وساق على مهله والخمرة قد لعبت بعقله وجعل يخترق
المضارب والخيام والناس من شدة الحر عادت نيام الى ان قارب خيام الملك شريط فتقدمت اليه العبيد
وصاحت فيه وكان قد قرب الى العلم فعندها انطبق عليه مثل البرق اذا برق وأخذه من باب القبة ولم أختشى
من أحد من أعداه قال ولما صار العلم فى يده أخذته الصياح من كل جانب ومكان وكان الملك شريط فى ذلك
الوقت نائم مما لحقه من الغيظ والسهر فلما سمع الصياح قام من نومه وصاح فى عبيده ومن يلوذ به وقال
يا ويلكم ما وراكم ومن بشر دهاكم فجاوبوه انه قد هجم علينا فارس أسود أدعس أفطس أعبس وقد خطف الى
باب القبة وأخذ العلم الذى لك على باب خيمتك فعند ذلك زمجر ودمدم ومن عظم ما جرى عليه بكى ولطم ثم انه
ركب الجواد وصاح فى عسكره والاجناد فركبت العساكر وركبوا وهو ينادى فى الرجال وينخى الابطال
ويقول يا ويلكم دونكم وهذا الاسود الضلال والمجنون المحتال انهبوا جسده بالرماح الطوال هذا والغضبان

قد حمل على العبيد وقد طرحهم على الصعيد وما زال ينثرهم بالحسام حتى خرج من المضارب والخيام
وأدركته الرجال بالعدد والزرد فعاد اليهم عودة الاسد وصار يطعنهم طعنا متدارك وكل من طعنه صار هالك
واذا ضايقته الرجال يصرخ فى وجوههم فتنفسح له فى المجال وقد قام الحرب على ساق وقدم وجعل يغيبهم من
الوجود الى العدم فرأى غصوب قتال العرب فيه وقد طمعوا فيه فخرج من الباب وقد هز صارمه
القرضاب ومازن تبعه كأنه أحد العقاب وطلبوه أشد طلاب وعلا عليهم الغبار ودام الطعان والضراب
حتى رجعت عساكر اليمن الى الخيام وقد أسقوهم كاس الحمام قال وكان الملك قيس قد ركب وطلع وبنى
عبس وراه فى التبع فوجد الغضبان قد عاد من الميدان والعلم على عاتقه والغيظ قد كاد أن يخنقه وعيناه تلتهب
بالشرار وقد صارت مثل جمر النار وعولوا العساكر على النزول فصاح فيهم شريط فحملت وعلى القتال
عولت وقد فعلت رجاله مثل ما فعل وقد خاب الرجاء والامل وماج البر وتزلزل هناك بنى عبس حميت
وصبرت وقاتلت وأبزلت المجهود وما قصرت وما زالوا فى حرب وصدام وتجريع الموت الزؤام حتى أقبلت
حنادس الظلام وعادت الاعداء عنهم الى المضارب والخيام ودخلوا بنى عبس والعلم فى جملة الاعلام قال
ولما جلس الملك قيس فى القبة واستقر به المقام أمر باحضار الطعام والمدام وقام من بنى عبس جماعة
للحرس كما جرت عاداتهم من قبل هذه الايام وباتوا وهم فرحا بانتصار الغامر وخلاصهم من تلك العساكر
وأما الملك شريط فانه لما أخذ علمه فرجع الى الخيام وقد بات تلك الليلة وقد انخرقت حرمته فدعا عند ذلك
بارباب دولته وقال يا بنو عمى أما تنظروا الى ما قد جرى علينا فى هؤلاء الايام ومن هذا الاسود الحجام فانه
أباد رجالنا الكرام وقتل منا أبطال لم تسمع بمثلهم الايام وان سمع الملك يكسوم عنا هذه الاحوال واننا فى
هذه الخلائق والامم صرنا عنده معيرة على طول الدوام ولا سيما أخذهم العلم الذى أخذه هذا الاسود
الحجام من على باب المضرب فبقى هذا الامر شهرة فى حقى وانخراق لحرمتى فقالوا له بنى عمه أيها الملك
اركب غدا فى عسكرك وعشائرك وتكون أنت فى الاول حتى اذا رأوك بنى عمك باشرت القتال بنفسك
احتاجوا أن يقاتلوا بين يديك سائر الابطال ويكشفوا عنا هذه الاحوال قال فلما سمع شريط هذا
الخطاب علم انه صواب وأقام حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أمر العساكر فركبت
ولا عنتها أرسلت وهو فى أوائلها وحلف بذات الذوائب لا عاد حتى يملك الحصن بما فيه من الرجال ويقتل بنى
عبس على كل حال ثم صاح فى العرب والحبشة فتبادرت اليه وأقبلت تطلب القتال بين يديه وانتشرت الاعلام
والرايات ودقت الكاسات ونعرت البوقات ومد شريط عينيه فرأى علمه مركوز على باب قبة الملك
قيس فزاد غيظه وغضبه وتقدم فى أوائل الناس الى باب الحصن فعند ذلك قال الغضبان يا ملك الزمان
ما تصنع فقال أقاتلهم من على الحصن قال لا والله لا كان ذلك أبدا ولا بد لى من الخروج اليهم أقاتلهم
وأحاربهم وأنازلهم ثم انه غاص فى عدته وغرق فى لامته وقال أحب الى ان تفتحوا الباب والا وحيات
أبى عنتر أرميت روحى من على هذا السور هذا والحبشة قد تقدمت الى الاسوار وجعلت بنو عبس
ترميهم بالاحجار والصخور الكبار هذا والملك قيس أمر بفتح الباب لاجل الغضبان وهو خائف
عليه فزعان فخرج وخرج معه أخوه غصوب وهو ينادى أنا البلاء المصبوب ومعه مازن ومجيد بن
مالك وقد تبعهم ألف فارس من الفرسان من كل ليث ممارس وبقيت الالفين واقفة على الاسوار قال ولما
حمل الغضبان على السودان فداسهم بسنابك الحصان وبزل فيهم السيف اليمان فحملت عليه
الخيل مثل الغيث اذا هطل فالتقاهم الغضبان بضرب يقطع الاجل ويقد الهامات والقلل وكان
قد فاجأه فارس يقال له الهامان وكان أوحد زمانه ومالك رشده وفارس عصره وأوانه فلما رآه
الغضبان صاح فيه صيحة أذهل بها الفرسان وطعنه فى صدره أطلع الرمح يلمع من ظهره وزهق

بعده على شريط وهو فى أوائل عسكره فاذهله وابهره فما كان له الا ردجواده وطلب الخيام وهو طائر الفؤاد
عادم الرقاد وقد ترا كضت الفرسان وراه ولم يزل الغضبان يضرب فيهم حتى أرماهم الى الخيام بعدما قتل
منهم خمسين بطل وأنزل بهم الذل والخبل وعاد بعد ذلك الى السودان كانه الاسد الحردان وتبعه أخوه غصوب
كانه الاسد الوثوب وجعلوا يضربونهم ضربا بالجهد وطعنا يقد حتى اختلط الظلام وخفيت مواضع الاقدام
وعادوا الى الحصن وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من بنى عبس جماعة من الشجعان الا أنهم ماهلكوا حتى
أهلكوا خلائق كثيرا من الاقران وقد وقعت هيبتهم فى قلوب العساكر ونزل شريط وهو خائف لايدرى ماذا
يصنع ومندهش من الفزع فما كان له الا انه كتب الى الملك يكسوم يقول له أيها الملك أما بعد فانى وصلت
الى القوم الذى أنفذتنى اليهم ومسكت سائر الطرقات وكنت أظن انهم مثلنا ولم أعلم انهم عفاريت طياره وقد
نزل منهم واحد أقام بحربنا وأنزل البلاء علينا ولولا انى أهدى العسكر ماكانت وقفت بين يديه ولا ساعة
واحدة وانالم أنفذت اليك هذا الكتاب الا بعد الغلبة والعجز والسلام ثم سيره مع نجاب حتى وصل الى يكسوم
وحضر بين يديه وسلم الكتاب اليه فلما اقرأه قامت عليه القيامة وقال ان هذا الشئ عجيب وحديث غريب
وأمر ماسمع أحد بمثله ويكون عساكرى فى مثل هذا العدد ما فيهم من يدافع عبد اسود قال فما أتم كلامه حتى
وثب اليه رجل من الحبشة يقال له الشامخ ويلقب بحسام الملك وكان فارسا كرار وأسدا مغوار ومابقى فارس
الا وقهره ولابطل الا وكسره فلما نظر الملك يكسوم الى شجاعته وبراعته ولاه البلاد من عمان الى أطراف
اليمن فتقدم اليه وقال له أيها الملك المسدد أنا أمضى الى هذا الشيطان الاسود وآتيك به فى الاصفاد مقيد
فقال له الملك مالهذا الامر غيرك ولالهم الا عزمك لكن لاتجعل كليتك الا على أموالهم وتأسر لى جميع رجالهم
ثم جهزه الملك للسير فى عشرة آلاف فارس نحاريركلهم أقيال وفرسان وأبطال وأمرهم له بالطاعة وسار وايجدون
المسير ولله المشيئة والتدبير قال فهذا ماكان من هؤلاء وأما الغضبان فانه بقى يوم كل ينزل الى عساكر شريط
ويقتل منهم جماعة ثم يعود الى الحصن سالم الى ان كان يوم من بعض ذات الايام وهو جالس فى أعلى الحصن
يشرب فى فضلة خمر فد نظره فرأى قطعة من الخيل ترعى بين العسكر فى بعض المروج الا انها خيل مسومة فقال
لاخيه غصوب قم اركب بنا يا أخى حتى نأتى بهذا الخيل الى الحصن نتقوى بهم على القتال لان خيلنا قد هلك
أكثرهم من النبال التى رشقتها علينا السودان فلما سمع غصوب من أخيه الغضبان هذا الكلام أخذ معه
مائة فارس شجعان وخرجوا وحملوا كلهم حملة واحدة وطلبوا بين الجيش حتى وصلوا الى الخيل ولذعوها فى الاسنة
وساقها المائة فارس وعاد الغضبان وغصوب وقوف فى وجوه الرجال يردون الفرسان عن أصحابهم والصياح
قد وقع عليهم والعساكر قد تبادرت اليهم فلم تكن غير ساعة حتى اهلكوا منهم جماعة فبينما هم سائرين
واذاهم بغبار قد ثار وطلع وارتفع وعجاج تقسطل وتزوبع وماكانت الا ساعة حتى ضرب الريح الغبار فتقطع
وبان من تحته أعلام ورايات وخيل تدق بعضها بعض وهى عشرة آلاف فارس يقدمها حسام الملك الحبشى
فوقعت البشارات ونعرت البوقات ودقت الكوسات ففرح شريط بتلك المسرات فخرج الى ملتقاه هو
ومن معه من الشجعان وحدثه بما جرى عليه من الغضبان وقال له والساعة قبل وصولكم هجم علينا وساق
خيولنا والمهاره وأنزل بنا الذلة والخساره فعند ذلك أقسم حسام الملك أنه ماينزل من على ظهر الحصان حتى
انه يقتل الغضبان ثم انه ركض وراه حتى انه يدركه ويراه فوجده قد وصل الى باب الحصن وقد انقطع
الطلب من وراه فناداه وقال ويلك يا أخس العبيد والسودان وكم هذه الوقاحة منك على الفرسان
والاستطالة على الشجعان والله لاجرعنك غصص الموت ألوان ولاجعلنك ملقى فى القيعان تنهشك الوحوش
والعقبان قال فلم يكلمه الغضبان ولارد عليه جواب بل حمل عليه وأوسع فى عرض المجال وجالا حتى ثار عليهما
الغبار واظلم فى أعينهما النهار فنظر الملك قيس من أعلى الحصن الى حسام الملك فعلم انه فارس جبار وبطل
مغوار فخاف من سطوته وهاب من شجاعته فنادى فى بنى عبس وقال يابنى عمى اخرجوا الى معونة صاحبكم
وابن حاميتكم لانى خائف عليه من هذا الخصم الشديد والجبار العنيد فعند ذلك خرجت بنو عبس واصطفت

عند باب الحصن ووقفت وجعلت تنظر مايتم بين الغضبان وبين حسام الملك هذا والفرسان تحت الغبار وقد
عمل بينهم الصارم البتار وبهتت اليهم الابصار وحارت الافكار وحمى النهار ونظر الغضبان الى ثبات
خصمه فخاف أن يحط قدره بين الفرسان فلوى رأس جواده وأراد أن يخدعه وطلب الهرب والفرار وخرج
من تحت الغبار وصاحت عليه طوائف اليمن وعولوا بنى عبس على الحملة لتعينه على خصمه حسام الملك
فجد حسام الملك فى طلبه وسار فى أشد الطلب وأقسم أن لايعود حتى يقتله ويسقيه كاس العطب ﴿قال الراوى﴾
فعند ذلك عاد الغضبان عليه وصرخ فيه فاذهله وضربه بالسيف على عاتقه فالتقاها حسام الملك بطارقته
ودرقته فقطعهم السيف كل واحد شطرتين ونزل الى شرائف صدره فوقع من على جواده يعوج علقما بدمه
فعند ذلك ارتفعت الصيحات من بنى عبس وكثرت الضجات وقلت من طوائف اليمن الحركات هذا وقد
ولى النهار وصار وقت الاصفرار ودخلت بنو عبس الحصن وهم على غاية الاستظهار ومافيهم الامن يهنى
الغضبان بالسلامة وشكروه على حسن اهتمامه وعاد شريط بالخيبة الى خيامه وقد زاد غيظه وغرامه وقال
لقومه وحق ذات الذوائب لقد حار فكرى وضاق صدرى فى هذا الاسد الزنيم والوغد اللئيم هنالك دخل
عليه رجل شيخ يقال له دويب وهو من دون أصحابه لبيب وقال له أيها الملك ماهذا الا فارس شجاع وبطل
صميدع وليس له الا الحيلة والا نوبقنا معه طويلة فقال شريط اخبرنى ماذا نعمل فقد ضاق صدرى وقلت
منى الحيل فقال الشيخ اذا كان فى غد تظهر خيمتك الارجوان المحبوكه باللؤلؤ والجواهر والمرجان
وتضربها على نشز عالى وتجعلها على طريق الحصن بمكان خالى وتجعل على عينها عشرة آلاف فارس من
الابطال وكذلك عن الشمال وتجعل امام الخيمة حفره وتسقفها بشئ خفيف فهو من الحصن يرى القبة
ويطمع فيها ويخرج اليها ياخذها فيقع فى الحفرة فتكون الرجال على حذر فيأتون اليه ولايتأخر احد حتى يأخذوه
أسيرا فى الحال من غير ضرب ولاقتال فقال شريط لقد أصبت فيما ذكرت ثم أمر الرجال فى الحال فاحضروا
له الخيمة من غير امهال وهى من الاطلس الاحمر وبقى بياض اللؤلؤ مع حمرة العقيق والمرجان يرهج مثل
الكواكب الدريه فضربت فى الحال وتمت الاحوال ورتب الرجال عن اليمين والشمال قال فلما أصبح
الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فتارت من الحصن الرجال وارادوا أن ينزلوا للحرب والقتال فنظر
الربيع الى الغضبان واذاهو ينظر لمعان الجواهر مع نور الشمس فحصل له الانذهال فقال يابنو عمى انى أرى
من البعد شئ يلوح أبيض وأحمر وله لمعان يأخذ بالبصر فقالوا الجميع صدقت ياربيع قال وكان للربيع عبد
يقال له زريق وكان من خواضين الليل ومن سلالين الخيل وكان ينظر الشئ على البعد ويحققه فقال له
الربيع بن زياد ويلك يازريق انظر هذا الشئ الذى قد ظهر نوره يأخذ بالبصر فنادى العبد وقال يامولاى هذه
خيمة من الاطلس الاحمر مرصعة بالدر والجوهر وأوتادها من انياب الفيل وعلى رأسها باز من الجوهر
وحبالها من الابريسم الاخضر فقال الربيع بن زياد سبحان الله العظيم لوكانت هذه الخيمة لملك من الملوك
كان افتخر بها على كسرى وقيصر وملوك بنى الاصفر قال فعند ذلك قال الغضبان ماقولك فيمن يسقيك فيها
المدام فقال الربيع هيهات أن يصل اليها انسان ويبلغ منها الامل لان الملك شريط ماضربها فى هذا
المكان الامن خوفه عليها وترك العسكر كلها حواليها فقال الغضبان وحق الركن الوثيق والبيت
العتيق لابدلى ما أتحكم فيها وأقف على بابها وأترك أخى غصوب يقلع أوتادها ثم انه انتخب من العسكر
ألف فارس وألبسهم السلاح والزرد وساروا وهو فى أوائلهم كانه البرج المشيد وخلفه أخوه غصوب كانه البلاء
المصبوب وساروا على مهل حتى عبروا على الكمنا فالقوا الصياح بين يديه ومن خلفه ومن جانبه ودارت
الرجال من حواليه وطلعوا الكمنا عليه وقد حالوا بينه وبين الخيمة وهو قد ترك الخيمة قصده وكان قد رتب
لقلعها جماعة من العرب الشجعان فلما وصل اليها صاح فى الرجال وقال دونكم والخيمة ودعونى أنا ألقى
عنكم الرجال وأبيد الابطال ﴿قال الراوى﴾ فما تم كلامه حتى صار فى الحفيرة بجواده وآلة حربه وجلاده
وارتفعت عليه الزعقات ودارت به الرجال بالمشرفيات الصقال وهجموا عليه من اليمين والشمال فعند

ذلك ترجلت فرسان بنو عبس من خوفها على الغضبان وكان شريط راكب فترجل من فرحه ومن حرقة
فؤاده وصاح فى عساكره وأجناده فترجلت العرب والسودان و زحفت الى أصحاب الغضبان و رشقوهم
بالحراب والسهام وبذلوا فيهم الحسام قال فنظر الملك قيس الى ذلك فدق بيد على يد وقال هلك والله الغضبان
ثم انه عوّل على الخروج فرأى الناس فى عدد يأجوج ومأجوج وقد احتاط بالحصن احدى عشر ألف
بطل وتغلبت بنو عبس بقتال الفرسان و ركبت باقى عسكر الملك يكسوم وقصدوا الحصن وكان جملة عساكرهم
خمسين ألف عنان عرب وسودان هذا وغصوب يصيح صيحات أبيه عنتر ويقاتل عن أخيه وقد اشتغل
كل واحد منهم بما هو فيه واذا بغصوب قد وقع الآخر فى الحفيره وقد صارت نوبتهم كبيره وفى هذه السيرة
الحجازيه ان العساكر انطبقت عليه مثل الجراد الزاحف والجراد وبالحصان من كل جانب ومكان حتى انهم قتلوه
و وقع غصوب من عليه فأخذوه أسير وقادوه ذليل حقير وقد قاتل الملك قيس ومن معه من فوق الاسوار حتى
أشرفوا على البوار هذا والربيع فرحان بهلاك الغضبان وأخيه غصوب المنهان فقال لعمارة أخيه كيف
رأيت من فعلى ومكرى وما دبرت من حيلى وكذلك أفعل بعنتر قبل موتى وأوريه العبر فقال عمارة والله
يا أخى كان هذا موضع هلاكه لاننا فى هذا المكان محتاجين اليه فقال الربيع بعد ما رأيت بعينى مصرعه فلا
أبالى بيكسوم ولا بمن معه ثم انهم قاتلوا من فوق الاسوار حتى اشتد الامر و زاد الشر وبدأ بعمل النقب فى
الاسوار والابراج وزاد انزعاجهم واللجاج وأيسوا بنو عبس من نفوسهم وقد أشرفوا على هلاكهم وو بالهم وما
بقى لهم من الموت فكاك وعوّلوا انهم يطلبون من الملك شريط الامان لانهم أيسوا من غصوب والغضبان
فبينما هم كذلك واذا بغبرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت و بان من تحتها ستة عشرة ألف فارس من كل مدرع
ولابس وهم قد أزعجوا البر بصياحهم وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان يا لكلاب يا لهوازن وفى أوائلهم عنتر
ابن شداد وملاعب الاسنه وعامر بن الطفيل ودريد بن الصمه قال وكان عنتر بعد كسرة عسكر غاشم والحبشة
كما ذكرنا سار و امع عنتر كما وصفنا طالبين حصن العقاب فلما قاربوا حصن العقاب أرسل عنتر أخاه شيبوب
ليأتيه بالاخبار فسار شيبوب فلقى فارسا فى الطريق من عرب اليمن فسأله شيبوب عن بنى عبس فقال له انهم
تحصنوا فى حصن العقاب وقد نزل عليهم العذاب وفيهم غلام أسود قد ترك الجماجم نعالا للدواب وانما
قد دبرنا عليه حيلة عجيبة ألقيناه بها فى العذاب ومعه فارس آخر قد عوّل على الهلاك والذهاب قال فلما سمع
شيبوب من الفارس ذلك الكلام عاد الى أخيه عنتر مثل البرق الخاطف وأخبره بذلك الخبر وأطلعه على
جلية الاثر وقال له الحق أولادك غصوب والغضبان ومن معهم من الفرسان والاهل كادوا وحل بهم الخذلان
قال فعندها سار عنتر والفرسان خلفه وشيبوب يعدو كأنه ذكر النعام أو النمر الاغبر حتى أشرفوا على
القبائل وهم فى أشد القتال وكان المساء قد اقترب وقد انهدم من الحصن برجين وأشرف من فيه على الهلاك
وسوء الارتباك ومن حين أسر الغضبان وغصوب وقعوا بنى عبس فى البلاء والكروب وأيقنوا بقصر الاعمار
مما رموا عليهم من الاحجار ومن الصخور الكبار وفى تلك الساعة أشرف عليهم عنتر بن شداد ومن معه
من الرجال الاجواد ﴿قال الراوى﴾ فلما أبصرت عساكر شريط الى غبارهم ركبوا وعادوا جميعهم حواليه
وهم خمسون ألف عنان من كل ليث وبطل يضرب بهما المثل وكان أشرف عنتر كما ذكرنا وصحبته ستة عشر
آلاف بطل رفقاه وأصحابه وحماته فلما نظر الى ذلك الحال المنكر حمل لوقته وما كذب خبر وقد تبعه فرسان
العرب وأقبلت كأنها الغيهب أو الغيث اذا انسكب وفى أوائلهم دريد بن الصمه وخفاف بن ندبة والعباس بن
مرداس وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنه وعروة بن الورد وميسرة بن عنتر الفارس الندب وقد حملت سائر
الطوائف القادمة ولا أمهلت وفى مقدمتها عنتر وهو كأنه الموت الاحمر وقد رموا أنفسهم على الهوان والخطر
وذلك الامر المنكر وقد أطلقوا الاعنه وقوموا الاسنه وصار لهم ضجة ورنه هنالك هدرت الاصوات وعلت
الضجات ودامت النكبات وعثرت الخيل برؤس السادات وعملت السيوف المشرفيات وبان للموت
اشارات ولم يبقوا يسمع المخاطبات مع وقع الصوارم القاطعات على البيض والدروع السابغات وابت الخيل

برؤس السادات وأصحاب المقامات هذا وطاحون الحرب دائره والارواح مع الاشباح حائره فسبحان من له
الحكم فى الدنيا والآخرة وقد اشتدت البؤس وخفقت سائر النفوس وكان يوم عبوس كما قيل فى حقه هذه الابيات

لقد عظم الخطب يوم الحرب * بطعن السيوف وضرب الاسل * فهذا طريح وهذا جريح
وهذا ذبيح قريب الاجل * وهذا يكر وهذا يفر * وهذا يقع عليه الخبل
وهذا يجول وهذا يجول * وهذا مقتول بطعن الاسل * وهذا تراه بلا ناصراه
وقد عمل السيف أوفى عمل * وهذا هروب وهذا مطلوب * وذا بالكروب يريغ المقل

﴿قال الراوى﴾ ولم يزالوا فى عراك وصدام حتى أقبل الظلام ومنعهم عن ضرب الحسام وقد افترقوا عن
بعضهم البعض ونزلوا فى ساحة الارض وقد نزل عنتر وأمراء القبائل ومن معهم حول الحصن وقد خرج اليه
الملك قيس وسلم عليه وعلى سائر الاصحاب وأخبرهم عنتر بما جرى لهم فى أرض الشربة والعلم السعدى من القتال
وكيف التقى القبائل بصدره و بددهم و ردهم عن الحريم والاموال فشكره قيس على تلك الفعال وأثنى عليه
وعلى جميع من معه من الرجال وقد باتوا على ذلك الحال ولكن الامير عنتر قد بات والنار فى فؤاده من أجل
أسر أولاده وقال والله يا بنو عمى لو كنا جئنا من أول النهار لكنا بلغنا منهم ما نختار وكانت قضيت جميع
الاشغال من هؤلاء الانذال ثم انهم اتفقوا على هذا المثال فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من شريط فانه
لما افترقوا من القتال وعادوا الى مضاربهم والاطلال فوجد قد قتل من عساكره عشرة آلاف والباقى
أشرفوا على التلاف غيرانه فرحان بأسر غصوب وأخوه الغضبان وقد قال لقومه ما دام هؤلاء الاثنين معنا
ما نبالى ولو قتل منا كل قرم غالى قال وأما بنو عبس فانهم عند نصف الليل سمعوا أعداءهم فى ضجة وأصوات
زائدة والارض من ركض خيلهم تزلزلت فانفذ عنتر من يكشف له الخبر فغابوا ساعة وعادوا اليه و وقفوا
بين يديه وقالوا له يا مولانا عساكر اليمن جافله وهى تدق بعضها بعض فانه لم حالها فقال الملك قيس لا شك
أن قد أتاهم خبر مشئوم من ديارهم ومصيبة قد طرقتهم فى أرضهم فقال عنتر ما قولك فيمن يلحقهم فى ظلام
الليل و يبددهم بهذه القبائل و ينزل بهم الذل والويل فقال له يا أبا الفوارس أخاف أن تكون حيلة منهم حتى
اذا طمعنا فيهم وصرنا خلفهم عادوا الينا و يبذلوا أسيافهم فينا ونضيع بين كثرة هذه الامم والعساكر قال
فعند ذلك قام عنتر وقلبه على أولاده كاد أن ينفطر فلما كان عند الصباح ركبت جميع العساكر وطلبوا
خيام الاعداء فلم يروا فيها أحدا وهى خاليه من أصحابها والاموال ملقحة على حالها فتعجبت بنو عبس كل
العجب و وقع بهم الفرح والطرب وقد نهبوا جميع ما تبقى من الخيام وجميع الحطام هذا وقيس يقول
يا ليت شعرى ما الذى جرى عليهم وتم لهم حتى رحلوا هذا الارتحال وتركوا ما معهم من الاموال والرجال وأما
عنتر فانه قد ضاق صدره وعيل صبره وحار فى أمره من أجل أولاده غصوب والغضبان وصار ما يدرى ما يفعل
فقال له الملك قيس يا أبا الفوارس لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك فها نحن نسير معك والى خلاصهم نساعدك
حتى تبلغ مقاصدك فقال عنتر يا ملك الزمان نهلك حريمنا ونتركهم مأكلة للعربان ونبقى نحن مثلا بين الامثال
طول الزمان ولا سيما ومعنا هذه السادات الذين أتعبناهم غاية التعب لانهم تركوا حريمهم بلا محامى ولا مجير
ولا مساعد ولا نصير وما فى الامر الا مسيرى الى بلاد اليمن وأدع أهلها نهب السيوف على طول الزمن فقال
له الملك قيس افعل ما بدالك نجح الله أعمالك فعند ذلك اختار عنتر من قومه عشرين فارس من حماة
القبائل بنى عبس الاشاوس مثل عروة بن الورد كريم الاب والجد وميسرة وأخوه مازن الليوث القشاعم
وتمام العشرين فارس ما عدا عروة وجاله فقال مجيد يا أبا الفوارس أنا والله ما أسير الا معك فان قلبى ما يريد
مفارقتك ولا أزال فى غم طول غيبتك فشكره عنتر وأخذه أمير على الخيل التى معه وقال للملك قيس سر
الآن أنت وقومك وكونوا عند الحريم واحترز من كل عدو وغريم وأنا أسير بهؤلاء وأبلغ بهم الامل وألقى
بهم جميع الحلل ثم انه أقبل على أمراء القبائل بعد ذلك وشكرهم على فعالهم وقسم الغنيمة بينهم وأوصاهم
لبنى عبس بالمساعدة وأقام ذلك اليوم للراحة وبات تلك الليلة ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح

صلوا جميعكم على زين الملاح ودعوا بعضهما بعض وسارت كل جماعة طالبين ناحية من الارض وسار عنتر وهو يطلب البرارى والقفار وهو فى مائة وعشرين فارس من كل مدرع ولابس وساروا يقطعون الارض طولها والعرض ويقتفون أثر شريط هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من شريط الحبشى وسبب رحيله فانه كان له سبب عجيب وحديث غريب يجب أن نذكره على الترتيب بعد ما تسمع من يصلى على النبى الحبيب وذلك انه كان بقرب مدينة عمان جزيرة يقال لها جزيرة العود القمارى وتسمى بقيمر وكان لها ملك جبار يقال له طود الاطواد وله أم يقال لها سهم النزال وكانت ساحرة ماكرة وكانت أمها جنية وأبوها انسى فخرجت آفة من الآفات وبلية من البليات تقطع البر والبحر وتأخذ أموال الناس سرا وجهر وكان ابنها طود الاطواد قد خرج مثلها فى الشجاعة والقوة والبراعة وكان عظيم الخلقة كبير الجثة خلقته خلاف خلقة الآدميين لانه كان طول الصوارى ويداه طول المدارى وأصابعه طول شبر وراحته أوسع من فتر بمخاليب محدودة مثل مخاليب النسور الكواسر وهى مثل الحديد وكان اذا خرج الى الصيد والقنص كان يدخل على السباع بغير سلاح ولا آلة كفاح ويقبضها بيديه وينحرها بمخاليبه ثم يشرب دمها حتى يروى ويأكل من لحمها من غير أن يشويه وكان له عسكر عظيم لا يعد ولا يحصى وكانت رجاله فى البر والبحر تقطع الطرقات وجميع الفلوات وتخاف منه جميع أهل الجزائر وتحمل اليه الهدايا جميع العساكر ويخافون أمره ولا يعصون نهيه خوفا من سطوته وكثرة شره وكان الملك يكسوم تحت طاعته وهو يحمل اليه الغفارة خوفا منه وزعاية لامه ولم يزل كذلك حتى قوى وأطاعته أهل تلك المعاقل والبلدان وحكمه نفذ فى الحبشة والسودان فتكبر على طود الاطواد ومنع عنه الخراج والمداد فبلغ ذلك الى طود الاطواد فصعب عليه وكبر لديه وقامت فى أم رأسه مقل عينيه وقال لامه سهم النزال ويلك يا أماه يكسوم قد قطع عنى ما يحمل لى فى كل عام لما كثرت عساكره وظن أنها تنفعه فلما سمعت أمه ذلك المقال قالت له يا ولدى أنفذ اليه مراكب فى البحر وعساكر فى البر حتى يقطعوا آثاره ويخربوا دياره ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع طود الاطواد من أمه ذلك الكلام زادت به الهموم والاغمام وأجاب كلامها وما عصى أمرها وفى عشرة أيام جهز شغله وشغل رجاله واختار منهم خمسين ألف مقاتل كلهم بالسيوف الفواصل والرماح الذوابل وأنفذهم الى قتال يكسوم وأن ينزلوا به الهموم والغموم وأمر عليهم رجل يقال له حجر بن عمرو وكان ممن يسمع له الامر وكان فارس شديد الباس صعب المراس وسيره الى مدينة عمان فى البر ﴿قال الراوى﴾ وكان لطود الاطواد فى البحر أربعمائة مركب فسير فيها خمسين ألف مقاتل ما لهم فى الحروب مماثل وأمر عليهم رجلا يقال له خزاعة المجنون وكان مثل اسمه فى الحروب مجنون وأمره أن يهلك كل من فى عمان من الرجال والنسوان وكان بينهم وبين عمان فى البحر اذا كان الريح طيب ثلاثة أيام فساروا يجدون المسير ولله المشيئة والتدبير فكان أول من أشرف على عمان المراكب فالتصقت على المينا واحتاطت بالبلاد من هناك ومن هنا قال فنظرت أهل البلد الى المراكب قد أقبلت وعلى المناقد وقفت فغلقوا الابواب وغفروا عليهم الرجال بالسيوف والحراب وأنفذوا اخبر الى الملك يكسوم بمجىء ذلك القوم فحصل له من ذلك هموم وغموم وقد نزلت الرجال من المراكب الى الساحل وهم خمسين ألف مقاتل بالسيوف الفواصل والرماح الذوابل وهم لابسين الزرد ومعهم اللتوت والعمد والحراب والنبال والخشوت الطوال وفى أوائلهم خزاعة المجنون كأنه الليث المغبون وقد قسم العساكر قسمين وجعلهم فرقتين فسار القسم الواحد يقاتل فى باب البر والقسم الثانى يقاتل فى باب البحر وقد زحفوا الى القتال وأشهروا السيوف الصقال وطلعوا أهل عمان على الاسوار وأخذهم الخوف والانبهار وقد حاموا عن بلدهم بالليل والنهار لان جمعهم كان قليل والاعداء كثيرون لاننا ذكرنا لكم أن عساكر يكسوم مع شريط على حصن العقاب تقاتل فى بنى عبس الانجاب قال ونرجع الى الكلام الاول بعد الصلاة والسلام على النبى المفضل لما وصل الرسول الى يكسوم وقص عليه القصه وأخبره بذلك الابراد ومجىء عساكر طود الاطواد فعظم عليه وكبر لديه وخاف على الحريم والنسوان والاولاد والصبيان

فجمع من كان عنده فى مرج الفضة من العساكر فكانوا عشرة آلاف مقاتل فلما عرضوهم عليه قال هؤلاء ما يبلغ بهم غرض ولا يشفى لنا مرض وما فى الامر الا أن أرسل الى ابن عمى شريط أن يترك بنى عبس ويأتى بالعساكر الذين معه ثم انه كتب كتاب وأرسله الى شريط مع نجاب فلما وصل اليه النجاب أعطاه الكتاب وأخبره بالامور والاسباب فعند ذلك أمر النقباء أن يعلموا جميع العساكر بذلك الخبر ويسيروا من غير ضجة ولا نكر ورحلوا فى الليل كما ذكرنا وتركوا خيامهم كما وصفنا وسار وراءهم عنتر كما قدمنا وهذا أوجب تفريقهم ونرجع الى تمام الكلام ونصلى ونسلم على سيدنا محمد الذى ظللت عليه الغمام بعد ما أرسل يكسوم الى ابن عمه شريط يحثه على المجىء وحصل لهم مع عساكر طود الاطواد الهم والنكد وقد هدموا الاعداء جانب من البلد وقد انهزمت الرجال وتفرقت الابطال وأشرفوا جميعهم على الوبال ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر الملك يكسوم الى هذا الحال أمر رجاله أن يفتحوا الابواب ويخرجوا الى قتال الاعداء ويصبروا على الاذى فعند ذلك خرجوا والملك يكسوم قدامهم ولما بقوا فى الفضاء انطبقوا على أعدائهم فعند ذلك حملت عساكر خزاعة المجنون وانطبقوا على بعضهم أجمعون وخزاعة فى أوائل قومه كأنه الاسد الكاسر وانطبقت العساكر على العساكر وقد عمل الحسام الباتر وقل الكلام وكثر الزحام وتعثرت الاقدام وهشمت العظام وثار الهام واصطدمت الخصوم وبان السر المكتوم ولمعت الاسنة كأنها النجوم وصارت الرجال من الخوف تقع وتقوم وخيم الغبار حتى حكى الغيوم وتلهبت نار السموم وما زالوا على ذلك الاخطار حتى رحل النهار وقد انفصلوا عن ضرب البتار ورجع الملك يكسوم الى البلد وهم فى الهم والنكد فدخلت جميع الرجال وطلعوا على الاسوار وصاروا يرمون الاعداء بالاحجار والصخور الكبار ونزل خزاعة بعساكره وقد زاد سروره وأفراحه واحتاطوا بالبلد وقد أخذهم على أعدائهم الغيظ والحرد فعند ذلك قدم خزاعة من خواص دولته والاصحاب عشرة وضرب منهم الرقاب وقال للباقى ويلكم يا كلاب أنتم فى هذه الامم وذلك العدد وما فيكم قوة تمنعوا الملك يكسوم من دخول البلد قال فلما رأوا فعاله وسمعوا مقاله قالوا له ما منعنا عن هلاكهم الا لكون انتشار رجاله وهم خياله فقاتلونا ونحن أهملنا أمرهم فوصل الينا شرهم وفى غداة غد ترى ما نفعل فى أعدائنا وما نعمل ثم انهم باتوا يتحارسون الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وأنا وانتم نصلى على زين الملاح فعند ذلك ركبوا الجرد القداح وتحضروا للحرب والكفاح وخزاعة فى أوائل أصحابه كأنه من بعض العمار وساروا يطلبون باب البلد لاجل الحصار فقاتل الملك يكسوم وأصحابه من فوق الاسوار حتى أشرفوا على الهلاك والبوار فبينما هم فى ذلك الاخطار واذا هم بغبار قد ثار وسد البرارى والقفار وعلا حتى حجب ضوء النهار ثم انكشف بعد ذلك وبان عن عسكر جرار مثل البحر الزخار وقد سد جميع الاقطار وظهرت الاعلام والرايات وأشرقت نجوم السمهريات قال وكانت هذه العساكر عسكر طود الاطواد مع أخو خزاعة المجنون وقد أتى فى البر كما ذكرنا عند ذلك التقت الجيوش بالجيوش واجتمع حجر بأخيه خزاعة من ذلك الوقت والساعة وقال له والله يا أخى كنا أشرفنا على أخذ البلد لولا وصول الملك يكسوم هو ومن معه من القوم فقال له والله يا أخى ما هذا الأمر صعب من أمر ذلك الكلب ولكن خذ أنت أصحابك وعودوا الى المراكب وسد عليهم جميع المذاهب وقاتلهم من جانب البر وأنا أقاتلهم من جانب البحر ونضيق عليهم جميع المذاهب فاستصوب رأى أخيه وأجابه على ما يشتهيه وأما خزاعة ورجاله قد نزلوا فى المراكب وقد احتاطوا بالبلد من كل جانب وقاتلوا أهل البلد من البحر والبر وقد عظم عليهم الامر وكثر الشر وكان قد أتى مع خزاعة سلالم يستعملها الوقت الحاجة اليها فأنفذها الى أخيه فنصبها على الاسوار وقد بدات عليها الرجال وأرادوا أن يهجموا على البلد وينهبوا الاموال ﴿قال الراوى﴾ لهذا المقال بعد الصلاة والسلام على باهى الجمال ولما ان رأى الملك يكسوم الى ذلك الحال أيقن بهلاك الرجال وسبى العيال وأيقن بسبى نسائه وشماتة أعدائه والناس قد أيقنوا بسبى البلد وقل منهم

الصبر والجلد واذا بغبار شريط قد أشرقت وعساكره قد ظهرت وهو مقهور ومغموم وقلبه على ابن عمه الملك يكسوم وكان كما قدمناه أولاد عنتر أسارى وهم فى القيود حيارى ﴿قال الراوى﴾ فلما رأتهم عساكر طود الاطواد ورأوا منهم ذلك العدد فتأخروا عن البلد وتأهبوا لقتالهم بالعدد وقد نادى بعضهم على بعض يا ويلكم دونكم وهذا العدو الذى ورد ولا تتركوهم ينجو منهم أحد قال فعندها تناخت الشجعان وتصايحت الاقران وهمهمت الفرسان وعلا الصياح الى العنان وحمل شريط فى عرب السودان وقد تصادمت الخيل تحت الغبار وقد قصرت الاعمار وعمل الصارم البتار والرمح الخطار ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والسؤال لم يقبل حتى الليل انسدل وولى النهار وارتحل وكانت الكسرة فى هذا اليوم على عساكر شريط وقتل منهم أوفى عشرين ألف فارس ودخلوا الباقى الى البلد وما صدقوا بالاخلاص من فم الاسد قال وكان الملك يكسوم قد قاتل الذى فى المراكب طول النهار من فوق الاسوار فلما أقبل الليل بالانسدال انفصلت الطوائف عن القتال واجتمع يكسوم بابن عمه وأصحابه ومن يلوذ به من أحبابه وقد نظر غصوب والغضبان أولاد عنتر وهم فى شدة الكروب فقال ما هم هؤلاء الاسارى الذين هم فى شدائدهم حيارى فقال له شريط هذا الاسود الذى طلبته منى وأنفذتنى اليه فهو والله هو الذى أباد عساكرى وفرق دساكرى فقال له يكسوم وكيف قدرت عليه وعلى أسره فاخبرنى بالحديث الذى جرى على جليته والحيلة الذى دبرت عليه وأخذته بها فحكى له شريط عن الحيلة الذى دبرها من أولها الى آخرها فتعجب الملك يكسوم من ذلك الامر المعلوم وقال وحق ذات الذوائب والافلاك والكواكب لو أنه يقاتل معى هؤلاء الاعداء ويفرق جمعهم ويشتت شملهم لكنت أعطيه من المال ما لا يقدر عليه أحد ولاعطيه من الدنانير والجواهر شئ يدهش النواظر ويحير الخواطر فقال شريط والله لو طاب قلبه علينا لالتقى هذه العساكر ولو كانوا عدد المطر فقال الملك يكسوم لابد لنا ما أدعهم معنا يقاتلوا ولكن حتى يستأنسوا بنا وتميل قلوبهم الينا فان فعلوا ما أمرتهم به والا قتلتهم فى ثار ولدى الذى قتلوه فى بنى عبس وأشفى منهم غليل النفس ثم أمرهم أن يحملوهم الى بعض الحجور وأمر الوكلاء بالاحسان بهم والاحتفاظ عليهم وأقاموا على ذلك الايضاح الى أن أصبح الله بالصباح فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الايراد وأما ما كان من حجر مقدم عساكر طود الاطواد فانه عاد الى خيامه وأنفذ الى أخيه خزاعة المجنون وأمره أن يطلع من المراكب ويترك فيها عشرين ألف محارب ثم تسلم الخيل الذى طلعوا من المراكب وقال لاخيه خزاعة اعلم يا أخى ان القتال فى غداة غد عندنا كله ﴿قال الراوى﴾ لهذا الايضاح صلوا على سيدنا محمد صفوة الملك الفتاح فلما أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ارتفع عن عساكر طود الاطواد الصياح وزحفوا الى الاسوار بالمعاول والمناقب والصفة والسلالم من كل جانب وفى دون ساعة سلوا الصوارم وصاح الملك يكسوم فى رجاله وصار ينخى أبطاله وقد رآهم تحت النقصان فخاف ان تؤخذ منهم الاوطان فبينما هم على ذلك الشان وهم فى أشد ما يكون من الجولان والقتال والجلاد واذا هم بغبار عنتر بن شداد وقد أشرف ومعه رجاله الاجواد والفرسان والامجاد وهم بالرماح المداد والسيوف الحداد قال فلما رأى خزاعة المجنون الى ذلك الشان قال لاصحابه لابد ان يكونوا هؤلاء من بعض العربان وما يخفى أنهم من أبطال الميدان وما أتوا الا يطلبوا منا اقطاع وديوان لما علموا أننا أشرفنا على أخذ مدينة عمان ثم انه أرسل من خواص أصحابه فارسا قوى الجنان فصيح اللسان وقال سر الى هؤلاء القادمين وائتنى باخبارهم وانظر ان كانوا يطلبون المعاش أو آمرهم ان يطؤا بساطى ويأتوا الى خدمتى فقال السمع والطاعة ثم انه سار طالب عنتر ومن معه من الجماعة ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى مجئ عنتر الى هذا المكان انه لما سار شريط وأخذ معه أولاده وودع عنتر الى الملك قيس ومن معه من الفرسان وسار خلف أولاده ليخلصهم من الاسر والهوان اقتفى أثر شريط حتى وصل الى عمان الا انه لما رأى الحروب هنالك قائمة على ذلك الوصف والشان فوقف وهو حائر زائد الانذهال لا يعلم من هم غرماه من هؤلاء الانذال الذين معهم أولاده الاشبال وقد تعجب من كثرة هذه العساكر

وجمع ذلك العساكر فقال لعروة بن الورد يا أبا الابيض ما هؤلاء الا خلائق كثير وجمع غزير ما يعلم عددهم الا اللطيف الخبير وان كانوا أولادى مع هؤلاء الخلائق ما نقدر على خلاصهم الا بعد طعن يفلق العلائق وضرب يقد العواتق قال فهو كذلك واذا بالرسول قد وصل اليه وسلم عليه ونادى يا فتيان العرب وأصحاب الحسب والنسب من أى الناس تكونوا فان الملك قد أرسلنى اليكم ليعلم من أنتم ومن تكونوا من العربان وهو يستخبركم عن أحوالكم وما الذى تريدون حتى أتيتم الى هذا المكان فان كنتم تريدون المعاش والاحسان فاقصدوا الى هذا الملك العظيم الشان خزاعة سيد العربان وبينوا شجاعتكم بين يديه حتى اذا عاد الى صاحبه ملك الارض والبلاد الذى هو طود الاطواد يحدثه بفعالكم ويبلغه أعمالكم ويصف له على قدر ما يرى من قتالكم وحربكم فى أعدائه ونزالكم قال فلما سمع عنتر كلامه قال له ومن هو طود الاطواد يا ابن اللئام الاوغاد اعلم اننا نحن فرسان الجلاد وليوث الحرب والطراد وأنا عنتر بن شداد وانما عند الملك يكسوم أسارى وقد جئنا خلفهم الى هذه الارض والبلاد لنخلصهم من القيود والاصفاد قال فلما سمع الرسول من عنتر ذلك المقال عاد الى خزاعة وأعلمه بذلك الحال وما سمع من عنتر البطل الرئبال فتعجب من كلام عنتر غاية العجب وقال ويلك ما أظن فى الدنيا أجهل من هؤلاء العرب لان ما معهم عسكر حتى يخلصوا أساراهم من هذا البلاء الكبير ولكن نحن نرحمهم ونخلص لهم أسراهم ونمن عليهم باطلاقهم اذا نحن فتحنا البلد وربحنا الشكر من كل أحد ثم انه قال للرسول عد اليهم وقل لهم يطأون بساطى وعدهم عنى بكل جميل فعندها عاد الرسول اليهم ونادى عندما وصل لهم يا فرسان العرب اعلموا ان الملك خزاعة نظر الى قلتكم فوقعت فى قلبه رحمتكم وهو يقول لكم سيروا اليه وطؤا بساطه وكلوا من طعامه وقاتلوا بين يديه الى أن يفتح البلد فهو يمن عليكم باطلاق أسراكم ويجازى المقدم عليكم على حسن فعاله ويكافئه بكل خير على أعماله وان أردتم المقام فى هذه البلاد فهى تكون لكم من دون العباد بشرط تكونوا من تحت يد طود الاطواد ملك جميع البلاد قال فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام لم يرد عليه جواب ولا خطاب بل طعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فمال عن الجواد فى تلك الآكام وفى الحال شرب كاس الحمام فلما رأى خزاعة الى ذلك الحال كاد أن يغشى عليه وقد اسودت الدنيا فى عينيه وعميت من شدة الغيظ مقلتيه وقام على قدميه وجرد الحسام من شدة ما جرى عليه فتنافرت العساكر اليه فجرد فيهم مائتين فارس همام وقال لهم ائتونى بهؤلاء اللئام فى هذه الساعة أسارى حتى أضرب منهم الرقاب وأرمى لحومهم للكلاب لاجل ما فعلوا بصاحبى هذا المصاب فقالوا له سمعا وطاعة ثم انهم تجاروا نحو عنتر وهم على الخيول العتاق وقد جردوا السيوف الرقاق ورجع خزاعة الى قتال أهل البلد وقد زاد به الغيظ والحرد وكان قد استحقر بعنتر ومن معه وما التفت اليهم ولا اعتنى بهم بل أنفذ هؤلاء الفرسان اليهم قال ولما نظر عنتر الى هذا الامر والشان صبر عليهم وأمهلهم الى أن قاربوه وحمل عليهم هو ومازن أخوه وولده ميسرة وعروة بن الورد وقد غاصوا فى تلك الفرسان وضربوا فى أقفيتهم وطعنوا فى صدورهم وبذلوا فيهم الصفاح ونهبوا منهم الارواح ونادى المنادى لا براح هذا وقد تصادموا مصادمة الكباش للنطاح وسقوهم من صروف الدهر أقداح هذا وقد عمل عروة بن الورد عمل الفارس الجحجاح وامتلات الابدان بالجراح وطارت الرؤس على الروابى والبطاح وكان عنتر ان طعن هد وان ضرب قد وان زعق أرعب وأرعد قال وما زال القتال يعمل ساعة من النهار الى أن قتل منهم مائة وعشرين فارس كرار ووقع على الباقى الخبل والدمار فتفرقوا ونفروا فى تلك القفار ولم يزالوا فى هزيمتهم الى أن وصلوا الى عند خزاعة وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور فقال لهم خزاعة ما حالكم وما الذى جرى عليكم ونالكم فقالوا له اعلم أيها الملك وراءنا الويل والحرب وأمر يرث الى الهلاك والعطب لانك قد أنفذتنا الى هؤلاء القوم الذين ما كانهم من الانام لاننا لما سرنا اليهم انفرد لنا منهم أربعة من الفرسان فاهلكوا منا مائة فارس من الابطال القناعس وعدنا ونحن على هذا الحال كما ترى لا نسمع ولا نرى فلما سمع خزاعة منهم ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وتحير فى سره وتفكر فى أمره والتفت

الى رجل من رجاله يقال له العطبول وكان عظيم العرض والطول وهو فحل من الفحول وقال له خذ معك ألف فارس وامض الى هؤلاء الشياطين ولا تعود حتى تهلكهم أجمعين الان استسلموا اليك فتأتيني بهم مصفدين لانى أنا ما أقدر أن أنفس القتال عن هؤلاء الانذال الذين فى البلد حتى غلكها ونسبي من فيها من النسوان ونقتل الاطفال والفرسان فقال له العطبول يا مولاى فى كم يكونوا هؤلاء الذين أنفذتني اليهم فى ألف فارس فقال له اعلم لابد أنهم يكونوا فى مائة فارس أو يزيدون عن ذلك المقدار الا أنهم لا يخفى أنهم فرسان الحرب وليوث الطعن والضرب قال فعند ذلك قال له العطبول وكيف تنزل بنى قحطان وتبقى ألف فارس تسير الى مائة من مجمع العربان وأنا لولا امتثال أمرك لما سرت الى هذا الشان ثم انه سار وهو يقول لو كان فيهم طود الاطواد وهو فى عدده والمدد لما كان سيرى اليهم فى هذا العدد ولكن ما سموه خزاعة المجنون الا وهو كاسمه مجنون ثم انه أخذ معه الالف فارس من أبطال العسكر وقال يكونوا معى خدمة لى وأنا ألقى هؤلاء القادمين وأوريهم البلاء المبين ثم انه طلب عنتر هو وأصحابه ومازال الى أن قار بهم ونادى يا ويلكم يا أنذال العرب وأخس من ضرب فى البيدا وتدوم طنب أتيتم بلادنا وقتلتم رجالنا ابشروا بعدم النفوس وطيران الرؤس ثم انه أطبق عليهم فى الالف فارس الذين معه فاستقبلهم عنتر الى أن قاربوه وحمل عليهم فى خمسة عشر فارس من بنى عبس القناعس وزعق عليهم فاحتقه الخيل وطعن فى الاحداق والمقل ونثر رؤسهم عن أبدانهم نثر الحرمل وزعق على الخيل ردها على أعقابها وطعن الفرسان فى صدورها وأجنابها وأطال بلاها وعذابها ولم يزل حتى أدرك العطبول وهو على الفرسان يجول وقد صاح فيه عنتر صيحة الاسد القسور فلما سمع صيحته انخزع وانجزع وداخله الخوف والفزع فضربه عند دهشته فوقع السيف على رأسه فهوى الى نصف قامته فوقع عن الجواد وقد حل به البلاء والانكاد هذا وعنتر قد غاص فى الخيل وأنزل بركابها الذل والويل وأجرى دماها مثل السيل وأظهرت بنو عبس طعن الرماح وعاينت ملك الموت على قبض الارواح بضرب السيوف وطعن الرماح هذا وعنتر يضرب فى القوم ضربات مقتدرات حتى أورثهم الهلاك وقد أصطلى عروة بن الورد نار المعركة وما ترك فارس الا وهلكه ودارت الدوائر وعمل السيف الباتر وما زالوا كذلك حتى قتل من الالف فارس مائة وخمسين وعادوا الباقين هاربين مكسورين لا يصدقون بالنجاة وكل واحد يلدغ جواده ويلتفت الى وراه الى أن وصلوا الى صاحبهم خزاعة المجنون وهم يضجون ويبكون فلما رآهم على تلك الحالة خفق فؤاده وتفتت أكباده من شدة الغيظ والبلاء فقال لهم يا ويلكم ما حالكم وما الذى جرى عليكم ونالكم وأين الاسارى الذين أتت معكم فقال واحد منهم أدركنا والاهلكنا فقد قتل العطبول وحل به الخبول فلما سمع منهم خزاعة ذلك عظم عليه وكبر لديه وعلم انهم شجعان وأبطال وفرسان وأقيال فقال قد بقى لنا معهم شغل بال ثم انه صاح فى العساكر فمادت عن قتال البلد وطلبت عنتر وأصحابه فى خلق ما لهم حصر ولا عدد وكان عنتر بعد كسر الالف فارس صاح فى أصحابه يا ويلكم لا تتركوا هؤلاء يملكون البلد وتصير أولادى معهم أسارى وهم أذلاء حيارى فعند ذلك الوقت لا نقدر عليهم بحال من الاحوال ويحتمون بالاسوار ويرمون بالاحجار ويأخذوهم معهم الى الجزاير والبحار وبعد ذلك يضيع كل تعبنا ولا نبلغ مرادنا فقال له عروة افعل ما تختار فقال نحمل على هؤلاء الانذال ونكشفهم عن البلد بمعونة الفرد الصمد ونشتتهم فى كل قفر وسبسب وأنا أعلم ان الملك يكسوم اذا رآنا وعاين حربنا وفعالنا وانا قد كشفنا عنه هذه الشدة لابد ما يخرج بعساكره الى معونتنا ويقاتل معنا ويطلق بعد ذلك أولادى ويسر بهم فؤادى وان كان خبيث الاصل والفرع عطفنا بعد ذلك اليه وملنا بكليتنا عليه وخلصنا أصحابنا غصبا من بين يديه قال فلما سمعت بنو عبس ذلك القول من مقاله بذلوا السيوف فى الاعداء من كل جانب ومكان وصاح خزاعة فى أصحابه وقال يا ويلكم ترجلوا عن الدواب ودونكم وهؤلاء الكلاب صبوا عليهم العذاب فعند ذلك ترجلت الابطال عن الدواب فلما نظر عنتر ترجلهم على التراب أثنى رجله عن الابجر وكذلك فعلت أصحابه الغرر وصاروا يضربون ضربا منكر وزال عنهم الفشل وضرب بشجاعتهم المثل وعملت

صوارمهم فى المقل وقد أيقنت النفوس بالاجل وكثر على عروة وأصحابه العدد وزاد المدد ودار وامن حولهم بالعدد وأيسوا من الحياة وأيقنوا بالوفاه فهم كذلك واذ عقبت قدمات والآجال تقاربت وعسكر يكسوم من البلد قد ظهرت وهم غائصين فى الحديد والزرد النضيد يقدمهم الغضبان وغصوب الليث المهوب والملك يكسوم وابن عمه شريط ينادون بعشائرهم دونكم والاعداء الذين أرادوا أن يهلكوا جمعكم ويملكوا بلادكم ويسبون نساءكم ويأخذون أموالكم ويتحكمون فى رجالكم ويستملكون أوطانكم قالوا وكان السبب فى ذلك أن الملك يكسوم لما رأى عنتر وقد حمل وفعل ما فعل ورجعت العساكر كلها عن البلد وسارت اليه وقد بقيت كلها من حواليه وهم يطلبون حربه وكفاحه فوجد بذلك غاية الراحة وقال لشريط والله يا ابن العم ما قصرت معنا هذه الطائفة القديمة ولقد أحسنوا الينا من غير معرفة بنا ولكن أرى عددهم قليل ولكن فعالهم جليل فقال له شريط بعد أن كشف الخبر وعلم حقيقة الامر أيها الملك لا تنظر الى قلتهم واعلم ان الموت محكم معهم لانهم أقوام صناديد وأنا كنت من كفاحهم فى جهد جهيد لان هذا المقدم عليهم يقال له عنتر ابن شداد حية بطن الواد وأنا أقول انه ما أتى الا فى طلب أولاده ولابد أن يكسر وا هذا العسكر ويعودوا الينا نحن ويطلبوا أسراهم منا فقال له يكسوم ان كان الامر كما ذكرت فاحضر أولاده حتى نأخذ عليهم العهد والميثاق انهم لا يرحلوا من عندنا حتى يهلكوا أعدانا ويقتلوا من أتى الينا ونحن نعطيهم من الاموال والخلع ما يكون جزاهم على فعالهم فدبر ذلك بحسن رأيك وبعد ذلك اعلم يا شريط اننا نردهم الى بلادهم واطلالهم سالمين فى عز وتمكين قال فعند ذلك أحضر شريط الغضبان وأخوه غصوب وأعلمهما بحضور أبيهما وقال لهما اعلموا ان الملك يريد أن يطلقكما ولكن بعد أن تحلفوا له انكما لا تتخلوا عنه حتى انكما تكسروا أعداءه وتقتلوا من أتى اليه فقال الغضبان يا أيها الملك نحن نحلف أننا ما نرحل من هذه الديار وفيها من أعداءك ديار ولا نافخ نار ولا نرحل الا بامرك كما تحب وتختار قال فعند ذلك أخذ عليهما العهد والميثاق وأطلقهما من الوثاق وخلع عليهما وقدم لهما الخيل الجياد وقلدهما بالسيوف الحداد والرماح المداد فركبوا وركب الملك يكسوم معهما فى عساكره والرفاق وخرج الى ظاهر البلد فى ستين ألف فارس منهم عشرين ألف من سودان وأربعين ألف من أبطال العربان ولما صاروا ظاهر البلد اشهروا فى أيديهم العدد هذا والغضبان لما رأى الى تلك العساكر وقد حملت على أبيه فحمل هو وغصوب أخيه فيمن حولهم من العساكر وقد قوى قلب يكسوم بفعالهما ولم يزل الغضبان وأخيه ومن معه يبطشون فى تلك الجموع الى أن وصلوا الى عند عنتر فكشفوا عنه الابطال والفرسان فعندها عاد عنتر الى جواده وقد فرح بخلاص أولاده وانسر بذلك فؤاده وركبت رفقاه وأصحابه وأجناده وسل حسامه وحمل وتبعته أبطاله قال فلما رأى خزاعة الى ذلك الحال أيقن بالدمار وصاح فى ذلك العسكر الجرار وقد وقع بهم التحير والانبهار وعاين خزاعة من فرسانه التقصير فحمل هو بنفسه فيمن حوله من أصحابه وكسر حدتهم بطعانه وضرابه وأظهر الجنون من عظم ما أصابه هذا وقد اختلطت الفرسان بالفرسان والشجعان بالشجعان وقد أبصرت العساكر من الغضبان ما حير الاذهان ولم يقدر يصفه لسان وكذلك أخيه غصوب أنزل عليهم البلاء المصبوب وأما عنتر البطل الغضنفر فانه أشبع الفرسات طعانا وضراب وأنزل عليهم البلاء والعذاب ولم يزالوا كذلك الى أن أمسى المساء وقد أبعدوا أعداهم عن البلد بمعونة الفرد الصمد وقد انفصلت العساكر عن القتال فعند ذلك أخرج يكسوم من البلد المضارب والخيام ثم أنزل أولاد عنتر فيها وأمر باحضار الطعام ونقل اليهم كل ما يحتاجون اليه وأكرمهم غاية الاكرام وقد اجتمع عنتر وأولاده فقبلهما وسلم عليهما وفرح بخلاصهما وقد خلع الملك يكسوم عليهما الخلع السنية وقدم عنتر الى بين يديه وخلع الملك يكسوم كلما كان على جسده عليه وقد أعجبه فعاله وتحير من مروءته وخصائله وأبهره ما رأى من شجاعته وكبر جثته وطول قامته فشكره عنتر على تلك الفعال وعلى ما أولاه من اطلاق أولاده وما بلغه من مراده وقال له أيها الملك طب نفسا وقر عينا فانا نمضى من هذه الديار ونترك فيها من أعدائك بل نقلع منهم الآثار فشكره يكسوم على ذلك وعاد عنتر وأولاده الى خيامه وكان قد

أنزلهم الملك يكسوم عن يمين العسكر و باتوا وهم فرحانين بالنصر والظفر و رد أعدائه عن بلاده هذا ما كان فى ذلك
والنحصر قال فهذا ما كان من أمر الملك يكسوم وعنتر وأولاده الاخر وأما ما كان من خزاعة المجنون فانه لما عاد
الى الخيام فرأى قد هلك من عسكره خلق كثير فقال لأخيه ما كنا اليوم الا أشرفنا على أخذ البلاد لولا قدوم
هؤلاء الشياطين فقال أخوه لقد صدقت فى وصف هؤلاء الابطال لانهم قد أظهروا الاهوال وحيروا الرجال
وقلعوا الشجاعة من قلوب الشجعان ودهشوا الفرسان فقال خزاعة وذمة العرب ما رأيت فيهم أشد من
الاسود الذى أتى ومعه المائة فارس أسود عوابس وكذلك فارسين آخرين فى عساكر يكسوم وهم مثل الاسود
اذا حلت من القيود وهؤلاء الثلاثة هم الذين أبادوا الفرسان وأهلكوا الاقران وأنا أريد فى غداة غد أن أفتح
باب البراز وأدعوهم الى الميدان فاذا برز أحد منهم أخذته أسيرا وجعلته قتيل واذا قتلت هؤلاء المذكورين
عدت الى البلاد وصنعت باهلها أشنع صنيع من قبل أن تتفرق عساكرنا وتضيع ويعلم طود الاطواد بعمامى
على عمان هكذا فيستعجزنى وتنقص منزلتى عنده وعند سائر العربان قال ثم ان خزاعة أقام الى أن أصبح
الصباح وقد ركبت عساكره وأبطاله تطلب الحرب والكفاح واصطفت الصفوف وتعدلت المائة
والالوف ولما اعتدل الجيشين ولم يبق عذر ولا براح كان أول من برز الى الطعن والكفاح خزاعة المجنون
وجال بين الصفين وحاد بين الفريقين وهو على جواد حاكى الليل فى السواد كانه قد لبس ثوب حداد كما
قال فيه بعض واصفيه

لى جواد تخاله لحة العين * سريع الجولان فى الميدان
ان جرى جريه يسبق الطير حسن اللون قائم الآذان

قال وعليه درع مدفون صغير العيون وفيه من سائر المنون وقد تقلد بسيف أبتر من العولاد بجوهر
أخضر اللون مليح الكون اذا هزه سطع ولمع واذا مس به الصخر الاصم قطع كما قال فيه الشاعر هذه الابيات

سيف اذا ما هزه كفى * تخاله النارف اليبوس * منطق الحد مشرق
يعمل فى الهام والرؤس * كانه للقضاء رسول * ينفذ ضرب فى اللبوس

قال وهو معتقل برمح أسمر طويل عليه سنان كانه قنديل ينفذ فى الصحيح وفى العليل فعند ذلك جال خزاعة
وصال ولعب بالسيف والسنان حتى حير الصفوف وأذهل المائة والالوف و بعد ذلك أشار بطرف
السنان فطلب البراز وسأل الانجاز فلم يتم كلامه حتى سار عروة بن الورد قدامه وقد طلبه بعزم شديد أشد
من صم الجلاميد هذا وقد طلبه خزاعة بعزمة وهمة وأخذا فى الطعان والضراب والبعد والاقتراب الى أن
تغير النهار من كثرة الغبار وشخصت اليهما الابصار فعندها صرخ خزاعة فى عروة صرخة عظيمة فبلبله
وأدهشه وخبله وفى عاجل الحال قرب منه الى أن حك الركاب بالركاب وقد قبض على أزياقه وعصر على
خناقه و جذبه من على جواده وحذفه الى ورائه وكاد أن يعدمه الحياة فعند ذلك وقعت عبيده عليه
وأوثقوه كتاف وقد أيقن بالتلاف و بعد ذلك جال خزاعة وصال وقد أعجبته نفسه وافتخر على أبناء جنسه
فى طرائق المجال وتقدم الى وسط الميدان وقد تعجبت من شجاعته الفرسان ونادى وقال دعونا من براز
هؤلاء الانذال وابرزوا الى يا رجال الكم الاقيال والسادات والابطال الذين هم فى الحرب خبيرة فما
استتم كلامه حتى خرج اليه ميسرة بن عنتر وانقض عليه انقضاض القدر فلقيه خزاعة بقلب أقوى من
الحجر وجنان جرا من تيار البحر اذا زخر وصرخ عليه فاذعره وخبله وأذهله واختطفه من بحر سرجه خطفة
الاسد القسور وسلمه الى أصحابه وطلب البراز وسأل الانجاز فعند ذلك هم الغضبان اليه واذا قد سبقه
أخيه غصوب وهو على جواد منسوب سالم من العيوب يسبق ريح الجنوب تحن الى رؤيته القلوب
كما قال فيه الشاعر أبو أيوب

و جواد اذا ما جرى * فترى البرق قد لمع واذا سار مسرعا * كانه الغيث اذ لمع

وكان فى يده رمح معتدل كعوب طوله أربعة وعشرون أنبوب قد تعود ان يشك به الاضلاع والقلوب مصنوع

الخسف الصدور والجنوب هذا وخزاعة قد ثبت اليه حتى قاربه وجال كل واحد على صاحبه وقد أظهر
أهواله وعجائبه وحوادث مضاربه هذا وخزاعة قد انطبق على غصوب تحت الغبرة وأراد ان يفعل به كما فعل
بميسرة فدا اليه غصوب باعه وضربه ضربة هائلة فلما رآها خزاعة قد أتته وهى واصلة سبحها على درقته وصبر
عليها حتى حازته وفى عاجل الحال ضرب عنق جواده بسيفه طيره فوقع الجواد الى الارض فعندها وثب غصوب
قائما على قدميه فحذفه خزاعة بعمود كان فى يده من الحديد الصينى فجاء العمود فى أقصاب رجليه فوقع
غصوب الى الارض من شدة ما جرى عليه فانكبت عبيد خزاعة قبل ان يقوم وقد تكاثروا عليه كتفوه
وشدوا يديه مع رجليه وسلموه الى أصحابهم فاقرنوه مع عروة بن الورد وأخيه قال فلما رأى عنتر الى ولديه غصوب
وميسرة قد أسر واسودت الدنيا فى عينيه ولا بقى يعرف ما بين يديه فقفز بالجواد وطلب الخروج اليه واذا
بولده الغضبان قد سبقه الى الميدان ومحل الضرب والطعان وقال لخزاعة يا ابن الانذال دونك والقتال
حتى أروى من دمائك هذا الحسام الفصال وافصل لحمك والعظام وأجعله عليك أشأم الايام فلما نظر
خزاعة الى الغضبان وقد برز اليه ورأى حسن شمائله فعلم انه من الفرسان المذكوره والاقيال المشهوره
فعاد خزاعة الى وراه وغير جواده وأكثر من عدة جلاده وعاد الى موقف الحرب ومقام الطعن والضرب
ونظر الى الغضبان وهو يجول وقد تذكر محبوبته دعد فانشد يقول صلوا على طه الرسول

أهاج وجدى ذكر ربع * دارس كالطروس بال * وطلول دارسات
فنهاها مر الليال * وبها الوحش عكوف * لم تدنس بعقال
وظباء نافرات * تمريم مع غزال * ومناخات تسلب
سيرها فى القلب زال * سمعت صوتا قريبا * قبل أعنت بارتحال
فتذكرت زمانا * صافيا والعيش غال * وفؤادى من جوى الشوق
بنار البعد قال * فاسألى يا دعد عنى * يوم حربى وقتالى
كم فتى خليت ملقى * ثاويا فوق الرمال * وأنا الغضبان حقا
قاهرا جمع الرجال * نسبى من عنتر الليث * وفخرى منه عال

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع خزاعة شعر الغضبان التهب فؤاده بالنيران لاجل ما ذكر من شجاعته ومن
قوته و براعته فقال له والله يا ابن اللئام الانذال لقد مدحت نفسك بالمحال وتكلمت بغير الحق فى المقال
يا أنذل الانذال وان كنت بطل رئبال أثبت اليوم فى الشدائد والاهوال وملاقاة الرجال والابطال ثم انه
لعب بالسيف والسنان الى ان أذهل الفريقان وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

خل يا هذا قتال * واختشى اليوم نزال
واسأل الابطال عنى * فى اللقاء عند المجال
واختبرنى عند حربى * كى ترى اليوم قتال
كم همام عدت عنه * وهو رزق للشمال
وكم أرديت ليثا * فى أحاقيف الرمال
بحسام مطلق الحد * جليا فى الصقال
واذقت القرم طعنا * مثل أفواه القزال
وعسفت البر وحدى * فى الدجى والبرخال
خضته وبريق سيفى * مؤنس لى فى الليال
وتركت الخيل تغدو * خاليات فى الجبال
وسباع الغاب منى * قد تخبت فى الدحال

﴿قال الراوى﴾ وكان خزاعة عارفا بلغات العرب جرىء الجنان ثابت القلب مقدام على النوائب ثم انه بعد
شعره انطبق على الغضبان وقد جالا فى الميدان وغابا عن العيان وامتدت اليهما أعين الفريقان وطلع
الغبار الى العنان وصار فوق رؤسهما كانه الدخان وجرى بينهما كل حرب وقتال وطعن ونزال الى ان تقصفت
منهما الرماح وتثلمت الصفاح واعتركا واندمجا ودخلا فى الحرب وخرجا وسارا تارة فى الميمنة وتارة فى الميسره
وتارة تجرى بهما الخيل خببا وتارة قهقرى وقد بقيوا اشبه النار المسعره وغابا تحت الغبره وما بقى أحد يراهما ببصره

ولم يزالا في عراك وصدام ويجرع الموت الزؤام الى أن صارت الشمس في قبة الفلك فعند ذلك وقعت الفرسين الى الارض من شدة الجرى والخبب والعراك والمال وعند نزولهما في الارض فلم يجدوا لهما نفس من شدة التعب وقوة النصب فعندها بركوا الاثنين على الركب وصار كل واحد منهما ينظر الى صاحبه شذرا ويرمقه حذرا وبعد ساعة تارك كل واحد منهما من مكانه وأشار الى قومه فعرفوا مرامهما فما كان باسرع من أن أتوهما بجوادين وكان عنتر قد أشار الى شيبوب فخرج ومعه جواد من الخيل الجياد وقدمه الى الفتى الغضبان وكذلك فعلت أصحاب خزاعة لانهم قدموا له حجرة عربية تساوي ألف دينار روميه ولما ركبوا الاثنين انطبقا على بعضهما بعض وجالا في الميدان طولا وعرض حتى غابا عن العيان وامتدت اليهما أعين الفريقان وطلع الغبار الى العنان وصارا عاقد كانه دخان وجرى بينهما طعنتان واصلتان فأما طعنة خزاعة فانها وقعت في صدر حصان الغضبان فوقع الجواد ووثب الغضبان من عليه قائما وأما طعنة الغضبان فانها وقعت في صدر خزاعة طلعت من خرزة ظهره فمال عن حجرته ونزل الى الارض وجعل يختبط في دمه طولا وعرض فعندها وثب الغضبان من على وجه الارض وصار على حجرة خزاعة من غير أن يضع رجله في الركاب وانحنى وأخذ الرمح من التراب وحمل على العساكر فمزق ألوفها وفرق صفوفها وطير قحوفها وعاد الى الميسره حمل فيها حملات منكره وقد أباد الرجال وأهلك الابطال ونثرهم من على الخيل خمسة خمسه وعشرة عشره ومازال الى أن قتل ثلاثين فارس وهجم على الميمنة قتل مثلهم وطلب القلب وغاب فيه فقتل عشرة قال فعند ذلك انطلقت عليه الخيل من كل جانب وطلبته مثل السلاهب فحمل عنتر ومن معه من الرجال الاجواد وقد تبعه الملك يكسوم في عساكره وحماته الانجاد ودقت الكؤوسات ونعرت البوقات ورفرفت الرايات وتبادرت السادات وعنتر في أوائلهم يقد الرجال بضرباته ويجندل الاقران بطعناته وحملاته وقد زعزع المواكب بزعقاته ولم يزل يدعس في الكتائب ويخوض الجحافل والمواكب ويقد بضرباته الترائب ويشك بطعن رمحه الجوانب الى أن وصل الى صاحب العلم وقد ضربه بسيفه ضربة رجل جبار فقطع جنبه وعلائقه ثم استلب الرمح وجعل يطعن به في صدور الخيل وقد كال الرجال كيلا وأى كيل هذا والرجال تتصادم والشجعان تتلاطم الى أن أقبل الليل وهمت الرجال ان ترجع لان ما بقي فيها جلد ولا حيل فصاح عنتر في الابطال وقال لهم يا بنو عمي لا تفشلوا في القتال والصدام مع هؤلاء اللئام الانذال وابذلوا فيهم الحسام حتى نخلص منهم رجالنا الكرام وصار يحمل حملات الاسد الضرغام ويلقي الرجال من على سروجها بقوة الصدام ومازال الى أن وصل الى تحت الاعلام فنظر الى أخي خزاعة وهو قد عوّل على الانهزام من ذلك المقام فصاح به عنتر وقال له الى أين يا ابن اللئام وطعنه في صدره أطلع الرمح يلمع من ظهره قال فلما رأى الملك يكسوم الى ذلك فرح غاية الفرح وانشرح وصاح في عساكره فحملت على الخيول الصافنات ونزلت عقبان المنايا على الاجساد الناعمات وعضتهم أنياب النائبات وانتشبت فيهم مخاليب الآفات ونزلت عليهم فنون المصائب فتمددوا في جوانب الفلوات فلما نظرت عساكر طود الاطواد الى حملات عنتر وطعناته وهي كالنار ذات الشرر والغضبان قد أفناهم وأوقع بهم العبر فوقع بهم الخبال وحل بهم الوبال فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وهم لا يصدقون بالنجاة من الدمار وقد عاينوا الاهوال من قتال بني عبس الاقيال فانهزمت تلك المواكب وساروا يطلبون البحر والمراكب وقد عمل فيهم السيف من كل جانب فطلعوا اليها وهم لا يلتفتون الى أحد ولا يعقلون مما حل بهم من النكد ولما صاروا فيها رفعوا مراسيها وقلعوا حبالها ودفعتها الرجال وخافت على أنفسها من حلول الآجال ورفعوا قلوعها بالليل والاظلام وهم لا يصدقون بالنجاة من شرب كاس الحمام وفي دون ساعة صاروا كالاعلام وساروا مثل سير الغمام وهم قاصدين الى مدينة طود الاطواد قال وكانوا هؤلاء الاقوام لما نزلوا في المراكب أخذوا أولاد عنتر من الخيام وأنزلوهم في المراكب باهتمام الا أنهم ما خلصوا حتى هلك منهم خلق كثير لا يحصى بعدد الرمل والحصى وما صدقوا أن ينجوا بأرواحهم وقد تركوا خيلهم وسلاحهم وخيامهم وجميع مالهم من الاموال وعاد عنتر

الى المضارب والخيام في طلب أولاده فما رأى منهم أحد فؤاده بالغيظ والغرام وقد تفكر في حوادث الايام ونقصان حظه عند التمام فطيب الملك يكسوم قلبه وقال له يا ابن الكرام لا تحمل على قلبك هم ولا غم من فقد أولادك فها عساكري بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك ولا أنسى الذي فعلت معي من الجميل ولم أزل أقاتل بين يديك حتى أصير بين التراب جديل فقال له عنتر يا ملك الزمان وكم بيننا وبين هذا المكان الذي قد أخذوا أولادي اليه فقال له عشرة أيام في البر وثلاثة أيام في البحر وأنا اذا أمرت أنت وقومك بما تريد أخدمك أنا وعساكري خدمة العبيد فطاب قلب عنتر بكلامه وقد اشتغل بحب ولده الغضبان عن جميع الانام ولما كان عند الصباح ركب عنتر واشتد وأراد أن يسير وحده في وسيع البطاح فرأى يكسوم فعاله فعلم باحواله فما كان الا أن جرد معه عساكر أربعين ألف عنان وقد جاءهم كلهم بالبوقات والطبول والكؤوسات والبنود والرايات والاعلام قال ولما كان من الامر ما كان وكمل عددهم ساروا وعنتر في أوائلهم وهو كثير الوسواس بادي الانفاس مشتغل الحواس هذا وقد سار معه يكسوم مرحلتين وعاد لاجل حفظ البلاد ولما سار عنتر في البر انفذ بين يديه مائة فارس وتركهم له طلائع وقدم عليهم رجلا شيخ من أرض عمان له خبرة بتلك البلاد والوديان ثم أوصاه بالاحتراز فسار وعنتر خلفه يقطع القفار وفي قلبه لهيب النار وقد كثر شوقه الى عبلة ومن لهم من الاحباب فتقدم امام العسكر وقد أخرج يده من جلباب درعه وأشار ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أقلقتني نار النيا والبعاد * بعد فقد الاوطان والاولاد * وتذكرت عبلة يوم جاءت
لوداعي والوجد والشوق باد * وهي تجري من خيفة البين دمعا * مستهلا بلوعة وسهاد
قلت يا عبل كفكفي الدمع فالقلب * حزين ولوعتي في ازدياد * ويح هذا الزمان كيف رماني
بسهام صابت صميم فؤادي * شاب رأسي بعد السواد وابيض * بعدما كان حالكا في السواد
غير أني مثل الحسام اذا ما * زاد طبعا ازداد يوم الجلاد * دهمتني نوائب الدهر حتى
عرفتني طرائق الارشاد * ولقيت الابطال في كل حرب * وهزمت الفرسان في كل واد
وتركت الفرسان صرعى على المهاد * بطعان يعلو صدور الاعادي * وقهرت الملوك شرقا وغربا
وأبدت الاقران يوم الطراد * بحسام قد كان من عهد شداد * قديما وكان سبقا العاد
قل صبري إعلى فراق غضوب * وهو قد كان عمدتي واعتمادي * وكذا عروة وميسرة الليث
حماتي عند ركض الجياد * لا فكن أسرهم بحسام * ثم أفني لاجلهم جميع الاعادي
كل شيء يفنى سوى الذكر يبقى * وفعل الجميل بين العباد

﴿قال الراوي﴾ ولم يزل عنتر سائرا وهو يقطع الارض طولا وعرض الى أن بقي بينه وبين جزيرة قيمر ثلاثة أيام واذا هو بفارس من طليعته قد وصل اليه وقال له يا أبا الفوارس اعلم اننا كنا سائرين واذا قد لاح لنا غبار حتى سد الاقطار والطرق وملا الجو والافق وقد أنفذني المقدم اليك لأخذ رأيك فيما تفعل فلما سمع عنتر بذلك سار وقد جد في سيره يطلب كشف الاخبار وما تحت ذلك الغبار قال وكان السبب في ذلك الامر أن المنهزمين الذين انهزموا من عنتر نزلوا في المراكب وهم لا يصدقون بالنجاة من المعاطب لم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى جزيرة قيمر وطلعوا من المراكب وقدموا الاساري قدام طود الاطواد وكان في تلك الساعة جالسا في مجلس يشرف على البحر والخدم والغلمان بين يديه قيام والحجاب وقوف على الاقدام والملك قد ملا السرير بعظم هيكله وهول خلقته وهو يقول لمن حوله من أبطاله يا ويلكم قد أبطأت علينا أخبار المراكب التي أنفذناها مع خزاعة المجنون الى قتال يكسوم فقالوا له أيها الملك أنت تعلم ان خزاعة رجل مقدام وما هو الا قد فتح بلاد عمان والا ما كان أبطأ الى الآن وكانك بالمراكب عندك وفيها الاساري في ثياب الهوان الى هذا المكان لان خزاعة ما توجه في أمر الا وفاح وعاد منه بالسرور وبالفرح فهز في ذلك الحديث مع أصحابه

واذا بالضجة قد وقعت والاصوات قد ارتفعت فسأل الملك عن الحال فقيل له اعلم أيها الملك ان المراكب قد وصلت وفيها نفر قليل من الرجال وهم فى غاية ما يكون من الاذلال وقد أخبروا بهلاك الابطال والشجعان فقال الملك على بهم فاحضروهم الى بين يديه فسألهم عن حالهم وما الذى تم عليهم وجرى لهم فقالوا له أيها الملك ان خزاعة قد قتل وأخوه الآخر هلك وقد قتلت الفرسان وقطعت الابطال ثم تقدمت بقية الرجال الذين فى المراكب وثيابهم ملطخة بالدماء وأعادوا عليه ما جرى لهم فقال يا ويلكم ومن فعل بكم هذه الفعال وأنزل بكم الذل والوبال وخزاعة يعد برجال وأخوه يعد بأبطال وهو فارس اليمن فى المجال فاعادوا عليه ما جرى لهم وكيف انهم كانوا قد ملكوا البلد وكيف قد وصل عنتر بن شداد فى خلاص من له من الاولاد وما جرى لهم معه وكيف أطلق بكسوم أولاد عنتر وأخذ عليهم العهد أنهم يعينوه على كسر العسكر وكيف قتل ولد عنتر الى خزاعة فى فرد ساعة وكسرهم وأبادهم بعد أسر أولاد عنتر وصاحبه عروة ثم حكوا له كيف هربوا فى المراكب بعد أن فنيت منهم الكتائب فلما سمع طود الاطواد منهم هذا الحديث غضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد وقام شعر بدنه الى أن نفذ من أثوابه لانه كان شبه المسلات وقد لطم على وجهه وخرج الدم من مناخيره وانزعجت حواسه من شدة ما جرى عليه من الغيظ أشرف على الوبال وقال على بالاسارى فسحبوهم الى بين يديه وقدموهم اليه فقال لهم يا ويلكم من أى العرب تكونوا فقال ميسرة وقد قوي جنانه وأطلق لسانه نحن من بنى عبس الكرام الضاربين بالحسام ومطعمين الطعام والثابتين فى الزحام والمعدودون بين العربان برجال الصدام وفرسان المنايا والموت الزوام قال فلما سمع طود الاطواد من ميسرة ذلك الكلام قال له وما الذى جرى لكم على مثل هذه الاحكام وأغراكم على قتل عساكرى والاقوام أما سمعتم بخبرى يا أولاد اللئام فقال له ميسرة جرأنا على ذلك قوة الجنان والثبات فى الميدان والقدرة على الضرب والطعان والساعة فقد ملكت قيادنا وأنت فى هذا المكان فافعل ما تريده من الامر والشان واعلم أن لنا من يطلب ثارنا قريبا وبعيد ولو كنا خلف السد الاقصى وسوف ترى رجالا وأى رجال مثل الاسود تهزم قوم عاد وثمود ولا تقل ان هذه البلاد تحميك فان لنا من يهدم هذا المكان ويخرب مناره ويرمى الى البحر أحجاره قال فلما سمع الملك كلامه تعجب من قوة جنانه وفصاحة لسانه وقال لمن حضر من أصحابه ويلكم أما تنظرون الى هذا الاسود كيف تجرأ على برد الكلام كأنه يرد على بهذا المقام فقالوا له أيها الملك عجل تلافه فى مكانه وامحق خلقته واعجنه فى أكتافه قال فلما سمع الملك ذلك من كلامهم قال لميسرة أى موتة تريد تموت بها حتى انى أعجل عليك بحتفها فقال له ميسرة لو أننا بلا كتاف ولا قيود ما قدرت أن تقول ذلك الكلام وكنا قد خلصنا أنفسنا من يدك بضرب الحسام وأفنينا عساكرك والجنود ولو أنها عساكر عاد وثمود فقال له الملك اعلم يا غلام ان هذا كلام من لم يعرف شجاعتى ولا عاين براعتى بين الانام يا ويلك مثلى يتهدد بهذا الكلام أو يفزع من بنى آدم ولو أنهم مثل السباع التى فى الآجام ثم انه قال لابد أن أريهم طرفا من شجاعتى وبعضا من براعتى ثم انه قال لاصحابه احملوهم الى الميدان وحلوا كتافهم والقيود وأعطوهم عددهم على التمام ثم انه ثار ثورة الاسد وقد زاد به الغيظ والحرد وأقبل الى الميدان وحوله ألف فارس من الفرسان وفى أيديهم السيوف والعمد واللتوت والعدد وآلة الحرب والحراب وعليهم أثواب الديباج والعمائم المعلمة بالذهب الاحمر الوهاج قال هذا وطود الاطواد فى وسطهم وهو أطول منهم بقامة انسان وأزيد وأياديه مثل المدارى وعينيه تتوقد مثل شعل النار ونخوة الملوك قد عصفت فى رأسه وشعره قد نفذ من لباسه وفى يده سيف بتار كأنه شعلة نار طوله عشرة أشبار وفى يده اليسار دزقة من الحديد الصينى وزنها مائتين وخمسين من بأوزان ذلك الزمان ولها حلقات كبار غلاظ اذا هزها أزعجت الاقطار قال ولما وصل صاح فيمن حوله من الفرسان فعادوا الى خلفهم من هيبته وخوفهم من سطوته وقد تقدم الى عند أولاد عنتر وصاح فيهم صيحة تفلق الحجر قال وكانوا لما أطلقوهم لبسوا السلاح واعتمدوا للحرب والكفاح فنادى فيهم دونكم والحرب ان أردتم واحدا بعد واحد وان أردتم احملوا كلكم على وأزيد عليكم ألفا أخر من خواص

عسكرى فقال ميسرة الساعة ترى ما يكون وقد التفت ميسرة الى عروة بن الورد وقال له يا أبا الابيض ان نفسى تحدثنى نحن اذا هلكنا هذا الجبار ونطرح أرواحنا على كل من فى هذه المدينة ونملكها بضرب البتار ونخلص أرواحنا من الهلاك والبوار فقال له عروة وأنا الآخر كان هذا فى ضميرى فقال غصوب اذا كان الامر كذلك على ما زعمتم فانا الى ثلثا المدينة وأنتم ثلثها ولا نرجع نسلم أرواحنا لاحد قال هذا وطود الاطواد طال عليه الانتظار فصرخ عليهم صرخة قلب بها الميدان وقد طير بها عقل كل انسان وحير جميع الشجعان هذا وقد هجم على ميسرة وضربه بالسيف صفحا فوقع مغشيا عليه فهجم عليه غصوب ليضربه بالسيف فصرخ عليه فارتعدت قوائمه وركبه فمد يده طود الاطواد أخذه أسير بعد ما قبض عليه بمخالبه فأدخلها فى الزرد الذى عليه فنفذت منها ووصلت الى لحمه فحس ان النار قادت وقد انطلقت فى جسمه وشاله على يديه حتى بان بياض ابطيه وضرب به عروة فألقاه على ظهره الى وجه الارض فعند ذلك دارت بهم الرجال وهم بأسوا حال قال ولما أفاقوا من غشوتهم ردوهم الى القيود والاغلال وأحضروهم بين يدى طود الاطواد وعليهم ذلة الاسر وغلبة القهر فقال لهم يا ويلكم كيف رأيتم صولة الاسد فى ميدانه واقتداره على أقرانه فقالوا له لا تفتخر حتى تلتقى حامية بنى عبس وأسودها وشجاعها وسيدها قال فلما سمع الملك كلامهم أمر السياف أن يضرب رقابهم فقام السياف وأراد أن يفعل ما أمره به الملك واذا بالصياح قد علا والغلمان الى باب القصر قد تبادرت فسأل الملك عن ذلك الخبر فقيل له يا ملك الزمان ان أمك سهم النزال قد أتت اليك تبصر حالك وما جرى عليك قال وانما ذكرنا شجاعة أمه فيما تقدم وان أمها كانت جنية وأبوها انسى وكانت ترد براسها من الفرسان خمسة آلاف فى الميدان وسائر الجزائر تخاف من شرها ويفزعوا من مكرها وكانت تعرف شيأ من السحر وكانت ماهرة فى سحرها الا أنها لما دخلت على ولدها طود الاطواد نهض اليها قائما على الاقدام ثم قبل رأسها وأجلسها الى جانبه وحدثها بحديث المراكب والاسرى والامر الذى تم وجرى فلما سمعت ذلك الكلام وما تم على العساكر من الهلاك والانهزام نفخت مثل ما تنفخ الافاعى وغمها ما جرى على عساكر ولدها وقالت له يا ابنى وما الذى عزمت عليه بعد سماع ذلك الكلام والشان فقال لها يا أماه قد عولت أن أقتل هؤلاء الاسارى وأجمع الفرسان وأسير الى مدينة عمان وأبيد أبطالها والشجعان وأشرب دماء أقيالها والفرسان وأقتل عنتر وبكسوم وشريط ومن يحتمى بهم من الفرسان فقالت له أمه سهم النزال أنا ما يطيب قلبى على فراقك بل أنا أتحمل عنك تلك الاثقال وأبلغك غاية الآمال وأما هؤلاء الاسارى فقد أخبرونى المنهزمين ان لهم رجلا يأتى بطلبهم وهو فارس من الفرسان وبطل من الابطال الاعيان عند النزال والطعان وقد قيل فى بعض الامثال من لم ينظر فى العواقب مات وما له فى الدهر صاحب والرأى عندى ان تترك هؤلاء الاسارى عندك فى الاعتقال الى أن تظفر أنت بفارسهم وحاميتهم الرئبال وتقتل الجميع فى يوم واحد وقد زالت عنا الاوابد والشدائد وان كان الرأى الآخر والعياذ بالله وقد أسرك هذا الجبان تكون قد أبقيت عليهم حتى يبقوا عليك فقال طود الاطواد أما قولك يا أمى فانا أعلم ان هذا من طريق الاشفاق والا انا ما أخاف من كل من فى الآفاق ولكن أنا ما أخرج عن رأيك ومقالك ولابد لى أن أبلغك آمالك ثم انه أمر بنقل الاسارى الى بعض الحجر ووكل بهم جماعة من رجاله وكتب الكتب الى الجزاير والبلاد وأمر الوكلاء الذين فيهم من قبله يجمعوا العساكر والاجناد الذين فى جميع البلاد قال وما مضى على ذلك الا يوم واحد وليلة حتى أقبلت المواكب وقد أشرفت الكتائب وقد اجتمع عنده مائة ألف مقاتل وأنفذ الى أمراء البلاد وجمع الابطال والاجناد حتى صار فى مائتين ألف فارس كانهم الجن والاباليس وأمر أن تخرج الخيم فاخرجت وضربت السرادقات وهى من الديباج الاحمر مبطنة بالحرير وأمر أن ينادى فى العسكر باخذ الاهبة الى ثلاثة أيام وخرجت أمه اليه وكانت ذات رأى سديد وعقل رشيد فقالت له يا بنى سر أنت بنصف العسكر فى البر وأنا أسير بالنصف الآخر فى البحر حتى لا أمر على جزيرة الا وأملكها ولا على قوم من المخالفين الا وأهلكها قال فلما سمع كلامها قال لها افعلى ما بدا لك فعندها تأهبت وقد أخذت معها

كل فارس جحجاح وعقدت الاعلام والبنود قال ولما تكملت الاحوال طاعت العساكر الى المراكب وقد استعدوا بالعدد والتوت ولبس الزرد واعتقلوا بالسيوف والعمد وضربت البوقات فى البحر وقد ألبستهم سهم البزال الثياب الديباج وجعلتهم فى وسط المراكب ووضعت عليها العدد والزرد والخود وقد خفقت الصناجق واعتدوا للحرب والقتال وسارت على هذا المثال وسار من بعدها ولدها طود الاطواد وهو راكب على ظهر جواد من الخيل الجياد البحريه وقد انعقدت على رأسه الاعلام الازدهاريه ونعرت البوقات ودقت الكؤسات اليمانية وقدمت الجنائب العربيه وعليها التحائف الذهبية وأشهرت العساكر السيوف المشرفية واعتدت الفرسان بالحراب الحبشية وسار طود الاطواد يقطع الارض والمهاد بعدما قدم بين يديه طليعة ألفى فارس فى الحديد غواطس من رجاله الاجواد الذين جربهم فى الحرب والجلاد وفتح بهم الجزاير ودار بهم فى جميع البلاد وقدم عليهم بطل جواد حميد الخصال سريع الاجابة للسؤال لايهاب الرجال ولايفزع من دنو الآجال يقال له سعيد بن جوال وقال له سر بهؤلاء الفرسان قدامنا وكن طليعة لنا واعلم ان هؤلاء الآدميين الذين هم عندنا قد ذكر لى أن لهما من يطلبهما ويجتهد فى خلاصهما وربما أن يكون قد سار الينا فى الطريق ويلتقينا ويجتمع علينا ويدهمنا على غفلة فكن منه على حذر فقال له سعيد سمعا وطاعة ثم انه سار فى تلك الساعة وجد فى المسير حتى أبعد عن عسكر طود الاطواد ولم يزل على ذلك الايراد حتى التقى بطليعة عنتر بن شداد وأنفذ صاحب الطلائع الى عنتر وسار عنتر فى المقدمة كما ذكرنا الى أن وصل الى من كان بين يديه من أصحابه قال ولما رأى عنتر الى غبار الطليعة أمر العساكر الذين معه بالنزول وانفرد هو فى مائة فارس من الابطال وهم رجال عروة بن الورد الذين يلقى بهم الاهوال والى جانبه مجيد بن مالك وولده الغضبان فتأمل الى ناحية الحجاز فزادت الاشجان فأنشد هذه الابيات

أبرق نجد أضاء سعد أم هنيتا * أم نور عبلة بدا يابرق هنيتا
أم نورها قد بدا يابرق فى غسق * فهب منه زفير المسك مفتوتا
أم نور عبلة كنور البرق حين أضا * كما تهب على أيدى المصاليتا
أذكريثرب أولها وآخرها * فعاودتها بنات القين تشميتا
قد صاغها الله من حسن وقال لها * رويدا مما لك تمكينا وتثبيتا
وسحر أجفانها قد زادنى سقما * خلت فيه هاروتا وماروتا
ياعرش ريح تغدو ابوارقه * الى الحجاز بهذا العيس نجيتا
يابرق فى العلم السعدى لنا رشأ * فاحمل تحياتها عنى تحيتا
يابرق ان سألت عنى فقل لها * بان سيفى لوقع النار كبريتا
اذا تضارب فيه الموت عن عجل * كمثل رمل تبدى أو محافيتا
اذا المنايا تراءت فى جوانبه * تخيل وجهه جنيا وعفريتا
وصففت فيه ركبان المنون كما * جرى عمار لابراهيم تبيتا
ياعبلة انى اذا ما جلت فى رهج * تسمع له الاذن ارعادا وتصويتا
ياعبل كم من رجال قد أبدتهم * لايملكون سوى أسيافهم بيتا
وها أنا سائر ياعبل مبتدرا * الى الذى من سلالات العفاريتا
حتى يرى الطود فعل الليث عنترة * فعل يضل له ابليس مكبوتا
حسن الفلا لو رأونى فى مسيرهموا * لاخفتوا الحس كى مايرفعوا الصيتا
مخافة من حسامى أن يبيدهموا * فهم من الارض هرابا مفاليتا
لو أبصر اليوم فرعون فعايلنا * نخاف أن يملك الارضين طالوتا
ياعبلة ان صحبت الفلك ناظرة * يراقب الجدى فى الحضر مبهوتا

ولو رأت نصل سيفى الفرقدين هوت * من الثريا وعاد المريخ لا حوتا
فابشرى يامنى قلبى ولاتخافى * واذكرى فعلى ان كنت نسيتا
لابد لى من خلاص القوم مقتدرا * لان قلبى لهم قد صار ماهونا
وأروى القرم ضرب السيف منتدبا * ضربا تسجد له الضرغام مبهوتا
وصلى ربى دواما سرمدا أبدا * على نبينا التهامى صاحب الصيتا

قال ولما فرغ عنتر من انشاده تمايل كل أحد منهم على جواده وتعجبوا من فصاحة لسانه وقوة خاطره وجنانه وساروا كما ذكرنا فى هذا الكتاب قاصدين طليعة طود الاطواد من بعدما قطعوا المراحل والمهاد وكاد أن يشرف عليهم واذا هم برجل فى عرض البر يغدو كانه مجنون أو مصاب ولكنه مسرع فى قطع ابرارى والهضاب لايعيا لعصب ولايبالى بتعب وهو زرى الحال عليه فروة عقلو به مهدولة الاذيال وعمامة دنسة وهو بأسواحال حافى الاقدام وهو كاشف اللثام لايلتفت الى أحد من الانام بل يهيم فى البر والآكام قال ولما رآه عنتر انكر أمره وتحير من فعله وقال لبعض رجاله يا ابن العم دونك وهذا البدوى آتينى به لعل أن يكون معه خبر يخبرنا به أو يوقعنا على أثر فركض الفارس بجواده وسار خلفه ومازال حتى قاربه وناداه ولما سار عنده قال له قف ياهذا فوقف وقد اندعر وارتجف وقال له ماحالك وما الذى تريد منى فعجل بسؤالك ولا تطل مقالك لانى من أمرى على عجل فقال مابدا لك فقال له سر قدامى ثم ساقه حتى أوقفه بين يدى عنتر فلما سار قدامه سأله عنتر عن حاله وقال له من تكون من الرجال ومن أين أقبلت فقال له يامولاى اعلم انى رجل صعلوك وقد جئت من عساكر الملك همام والليث الضرغام صاحب البر والبحر وملك الزمان والعصر الذى عم بعدله البلدان والجزائر وفزعت من سطوته الملوك والاكابر والابطال والعشائر وأما سبب هيمانى فى هذا الوادى والبرارى فانى قد ضلت لى ناقة فى هذه الايام وقد خرجت أدورعليها بين الروابى والآكام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام قال ياويلك ومن يقال لذلك الملك همام الذى فضلته على سائر الانام والملوك العظام فقال له يامولاى اعلم انه يقال له طود الاطواد القمقام لانه كان وهبنى ناقة قليل مثلها فى سائر ملوك الاعراب لانها كانت شائلة الهيال أحسن من عنوان الشباب رأسها تحير فيه الالباب وبدنها عليه من اللحم والشحم جلباب كانها خيمة مضروبة الاطناب لاتجد فى سيرها تعب ولا يلحقها نصب وليس مثل ذنبها ذنب واسمع منى ما أقول فى حقها من الاشعار فقال له أسمعنا الذى خطر فى بالك وصار عنتر يضحك عليه وأولاده الى جانبه

أبكى عليها بدمع أربعه * لانها نوقة همعه
تسير فى البر كريح الزوبعه * وتخطف الابصار مثل الزعزعه
ألبانها تكفى البنات الاربعه * وصوفها به يكون المنفعه
وهذه الارض خلا متسعه * أرى حياتى بعدها مضيعه

﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام العجيب فقال له عنتر أنا أعطيك شيء خيرا منها ثم ان عنتر أخرج كيس ملان من الذهب وقال له خذ هذا وكان الاعرابى عمره مانظر الذهب فقال له يامولاى أما أنت أولى بالمدح على كل حال لكن بذمة العرب أنت ما اسمك وما تكون من العرب الاجواد فقال له اسمى عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد فقال الاعرابى والله أنت خير من طود الاطواد لان عمرى مارأيت منه ذهب ولا فضه ولارأيت الاكل تعتير وشقه وأنا سمعت عنك فى بلد طود الاطواد أنك فارس الطراد وأطاعتك سائر القبائل والاجناد وشاعت فروسيتك فى سائر البلاد حتى وصل ذكرك الى طود الاطواد الملعون الميلاد الذى تجبر على العباد وأمه سحارة غدارة وأنا ياسيد الفرسان هاجج على وجهى فى القفار من هذا الفارس الجبار وأنا الذى ماحضرت قط عنده فى أكل زاد الا وطردنى بالخيبة والابعاد ولما أكثرت عليه السؤال أعطانى ناقة بعد ان سبنى وشتمنى وكانت والله بئس الناقه ماتصلح الا لاهل الذل والفاقه كانها كانت

لاهل الفقر والعيله قط ماتحمل الا الجله وهى كانت أنحس ناقة فى الحله لان أذنها كانت مقطوعه وهى
مجنونه ومصروعه ومهزولة ومخزوعه ولم تكن قط مطبوعه فى سنم النعاج وفى ذهنها ارتجاج
شرهانه فى أكلها صياحها عند حلبها ركوبها عذاب والمشى معها عقاب وتعدل عن الصواب وتتبع
رؤس الروابى والشعاب زورى وعورى وحورى وقورى وهى ميشومة على كل حال ثم ان الاعرابى
داخله الطرب لما وهبه عنتر النجيب الذهب وضحك بعد التعبيس وزال عنه التهويس فانشد يقول

مخروعة كانت وكانت مقرعه * صياحة كالحة مصدعه * مخرومة الاذنين ذات جدعه
ظاهرة الاسقام فيها بدعه * ماخلفت لى فى الزمان منفعه * أضلاعها مقرونة مضلعه
مقطوعة المنخر مافيها سعه * ياليتها يا صارمى مقطعه * أنيابها من فمها مقلعه
أحرمها الله مجال الاربعه * أعصابها من الشقا مقطعة * مقرونة كانت وكانت مشنعه

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ذمه للناقة بعدما مدحها ضحك وقال له أقم عندنا حتى اننا نعطيك ما يغنيك
وتكون عندى فى أمان من طوارق الزمان وهم فى ذلك الكلام واذا بغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار وبعد
ساعة انكشف الغبار وبان عن عسكر جرار مثل البحر الزخار واذاهم ألفين فارس ريبال مقدمهم سعيد
ابن جوال وهم عساكر طود الاطواد فلما ان رآهم الاعرابى قال لعنتر يامولاى اطلب لنفسك النجاه فقال
له عنتر ما اسمك ياهذا فقال له اسمى أبى دحروج فقال له عنتر ولماذا أطلب النجاه فقال له اعلم ان هذا مقدم
العساكر وهو جبار لايبالى وضيغم لايدارى وأنا أخاف ان ينظرنى معكم فقال له عنتر واذا نظرك معنا
فما الذى يجرى عليك من العبر قال له يامولاى كان يهدم بالسيف أساسى وتطلع الحرارة كلها من راسى
فضحك عنتر من كلامه وقال له طب نفسا وقر عينا فلا ندعه يصل اليك فقال أبو دحروج يامولاى ارسلنى
مع من تريد الى العسكر الذين لكم حتى أنفذ لكم الرجال لانى أراكم فى قلة وأخاف أن يسطو عليكم ذلك الجبار
و يركبكم الذل والعار فقال له عنتر ما نحتاج الى ذلك وسوف ترى من يشرب شراب المهالك ثم ان عنتر
قال لولده الغضبان خذ يا ولدى عشرة فوارس وسر فى عرض البر حتى تصير من وراء هؤلاء القادمين وخذ عليهم
طريق عسكرهم واحمل عليهم من وراء ظهورهم واذا رأيتنى حملت من بين أيديهم احمل وامنعهم من الهرب
فقال له الغضبان سمعا وطاعه ثم أخذ الرجال وسار من تلك الساعه قال هذا وقد بقى عنتر مقيم وكان قد بقى
بينه و بين غروب الشمس ساعه فتأهب للقا واعتد للملتقى واصبر على الشقا فنظر أبو دحروج الى ذلك
فايقن انه هالك لانه نظر الى فارس يريد ان يلتقى ألف فارس فارتعدت أعضاؤه وزاد خوفه وجواه وظن ان هذه
الساعة تكون هى الوفاه فتقدم الى عنتر وقال له يامولاى اعلم انى كنت مريض وقمت من أثر المرض وقد بقى فى
رأسى خلط يثور على كل قليل وأبقى منه عليل وانه قد اعترانى فى هذه الساعة وأريد ان أسير الى العسكر
الذين لكم وأقيم عندهم الى أن تفرغ أنت من هذا العدو الذى قد أقبل فقال له عنتر قف حتى تسير معنا وتتفرج
على القتال والحرب والنزال قال وكان عنتر قد علم بما فى قلبه من الفزع ومانزل به من الهلع فاراد ان يمزح
معه بهذا والطلائع قد قربت من الطلائع ونظر سعيد بن جوال الى عشرة فوارس سائرة على الارض التى
هو سائر بها فقال لاصحابه قفوا على قليل فهذه لاشك طليعة عساكره ثم انه دعا بفارس من عسكره يقال له
صخر وقال له امض الى هؤلاء الانذال وانظر ان كانوا من أعدائنا فبشرهم بالويل والحروب وخذ منهم
خيلهم وسلاحهم ودعهم ينجوا بارواحهم والا حملنا عليهم ورمينا فى المهاد أشباحهم وان كانوا من
الاعداء ولم يسلموا اليك سلاحهم فعد الى ولا تحرك ساكن بل اسألهم عن أمرهم وعد الى بحلية الحال
فقال سمعا وطاعة ثم انه ركض بالجواد الى أن قارب من عنتر بن شداد وأصحابه وقال أيها العصابه اليسيرة من
تكونوا من العرب والى من أنتم سائرين ان كنتم أعداءنا فترجلوا عن خيولكم وارموا سلاحكم وعودوا
سالمين بارواحكم فقال له عنتر يافتى قف وترفق علينا قليل حتى ننزع ثيابنا وسلاحنا ونسلم اليك أرواحنا
وان مننت علينا بانفسنا عدنا سالمين بارواحنا فلما تقرب منه وقد ظن ان كلامه صحيح طعنه عنتر بعد

ماصرخ فيه تركه جديل وعلى التراب قتيل قال فلما نظر سعيد بن جوال الى ابن عمه وقد هلك صاح فى رجاله
ونادى ويلكم خذوا عليهم المذاهب والطرق حتى لاينجو منهم هارب فعندها نظرت الخيل عن اليمين وعن
الشمال وقد طلبوهم بالسيوف الصقال مثل أسود الدحال وقوموا اليهم الرماح الطوال والقوس والنبال
وكانوا قد حقروهم لما رأوا قلة عددهم وقالوا انهم مثل الذباب قدام الاسد اذا كان فى الغاب قال فنظر أبو
دحروج الى ذلك فقال فى نفسه أى شئ كان لى أنا بهذا الفضول والهذيان حتى التجئ أنا الى مائة فارس من
مجمعة العربان هذا وعنتر قد التقى الخيل بصدر الحصان وقد استقبلهم بحد السنان وصاح يالعبس يالعدنان
ثم حمل فى أوائل الطليعة وكان فيها المقدم سعيد بن جوال فطعنه عنتر تركه مرمى على الرمال وسقاه كاس
الوبال وصاح فى الالفين فارس الذين كانت معه وعمل الصارم المرهف وجرى الدم وكف وحل بالجبان
التلف وكانوا قد احتقروا عنتر وأصحابه الى أن رأوا طعنه وضرابه فزاد بكل منهم مصابه وأرادوا الانهزام
من ذلك المكان واذا قد خرج عليهم الغضبان كانه الاسد الجيعان وداروا بهم من كل جانب ومكان وحكموا
الصوارم فى القمم وجعلوا السيف بينهم حكم وتخضبت بالنجيع اللمم وأظلم الجو من شدة الغبار واقتم
وزعق فيهم عنتر وهمهم وماج الغضبان ودمدم وزال بالشجاع القدم وماج بحر المنايا والتطم وحامت
العقبان والرخم تروم أكل بنى آدم وفر الجبان وانهزم وخاض الشجاع بحر المنايا واقتحم وعض الجواد على
اللجام وحمحم وكان صوت عنتر تحت العجاج كانه الرعد اذا دمدم وسيفه يلمع فى النقع مثل لمع البرق فى
حنادس الظلم فكانت طليعة طود الاطواد بعد قتل مقدمها الهمم قد كلوا وملوا لما بقيوا بلا مقدم فعندها
دعست بنى عبس فيهم كما تدعس الذئاب فى الغنم وما أقبل الليل وخيم وبقى من الالفين من يمشى على القدم
وقد صاروا الجميع على الارض رمم قال ولما افرغ عنتر من ذلك الحرب والقتال وتفرقت الرجال والابطال
جمع عددهم وأسلابهم وخيلهم وسلاحهم مع جملة ما نهب هذا وأبو دحروج قد تقدم الى عنتر وقال له يامولاى
أعطوهم خيلهم وسلاحهم ودعهم يمضون الى صاحبهم يعلموه بما جرى لهم من هذه الامور والعطاء المليح والله
لقد كانت عليهم خيول ميشومه ثم انه قال له يامولاى لقد أتعبت نفسك مع هؤلاء الانذال كنت اجمعنى أنا واياهم
حتى ترى ما يكون منى ومنهم وأى شئ قدر هؤلاء الكلاب حتى أجهد نفسك فى قتالهم وحربهم ونزالهم فتبسم
عنتر من كلامه وقال له أنا قد عرفت انك فارس الحرب خبير بالطعن والضرب لكن اذا كنت أنا حاضر ما أدعك
تقاتل ولا نتعبك ثم ان عنتر أركبه على فرس جيدة من جنائبه وسلم الجنائب والاسلاب الى عشر فوارس وقال
لهم عودوا بهذه الاسلاب والخيل الى العسكر فقال أبو دحروج يامولاى اذا كنت عزمت على ذلك فانا أسير
معهم وأسوق هذه الغنيمة والاموال والا ربما تخرج عليهم رجال فى الطريق ويطلبون ما معهم من المال
فاحميهم فضحك عنتر من كلامه وقال له وحق ذمة العرب لاسرت الا معى وبصحبتى ثم انه قال لمن معه والله لقد
انشرحنا بهذا الرجل فى طريقنا وقد انفرج همنا وغمنا وتعويقنا قال ثم انه التفت الى الفرسان الذين أنفذهم
مع الغنيمة وقال لهم خذوه معكم وأكرموه غاية الاكرام حتى نعود اليكم فقالوا سمعا وطاعة وساروا يطلبون
ناحية العسكر وأقام عنتر فى ذلك المكان فهذا ما كان من عنتر وما جرى له هو والغضبان وأما ما كان من طود
الاطواد القرنان فانه سار الى وقت العصر ونزل فى ذلك المكان وهو مطمئن القلب لاجل طليعته التى أنفذها بين
يديه ولما نزل جمع أصحابه من حواليه وقال لهم ما أظن سعيد بن جوال الا قد سار وحده ليقضى الاشغال
ويبلغنى من الاعداء الآمال لانى أمرته أن يقيم فى ذلك المكان والساعة تريد أن نسرع خلفه بالفرسان حتى
نعينه على أخذ عمان ثم انه أقام الى نصف الليل وسير أحمال التزود مع خمسمائة فارس بين يديه فاخذوا
الاحمال وساقوا الجمال وساروا وجدوا فى المسير وسرعوا التشمير فسمع عنتر ورجاله زعقات الرجال
ورغى الجمال فعلم انه التزود فاسرع اليه وصاح فى رجاله فتبادروا يطلبون الركوب وسار هو ووقف للتزود
على رأس الطريق كانه الفخ المنصوب وقد أتت رفاقه ووقفوا عنده فرتبهم عنتر وترك الغضبان عن يمين
الطريق فى خمسين فارس ومازن أخوه فى أربعين فارس وصرخوا صرخة واحدة انفطرت لها الاكبود

وقد خرج الغضبان من على يمينهم برجال وخرج مازن عن يسارهم يطلب من الاعداء قطع آثارهم والكل ينادون بالعبس يالعدنان ياأوغاد غير أمجاد أين تمضون من عنتر بن شداد ثم انهم غاصوا فيهم بضرب مثل الحريق وجالوا عليهم بكل جول عتيق وكانت ليلتهم مظلمة كثيرة السواد معتمة لا يعرف الاخ فيها أخاه ولا يعرف الولد اباه وتصادمت الخيل وتدمرت في سواد الليل وانطرحت على المهاد ودام الجلاد وصار كل من طالب الحرب يلتقيه أسيد بن ماجد ورفقته فيسقيه كاس منيته ويأخذ جواده وعدته قال فما طلع على القوم ضوء النهار حتى امتلأت من قتلاهم تلك القفار وجمعوا بنو عبس أسلابهم وخيولهم ورحالهم وقد أمر عنتر بسوق الانعام والاموال وسار وهو كثير الفرح والاستبشار وقد انشرح صدره وهو بغاية من السرور وما أمسى المساء الا وقد وصلوا الى العسكر وأبو دحروج داير من حولهم وهم يضحكون عليه وهو يقول ياقوم لا تخافوا على هذا الامير الذي بين أيديكم فلله دره ما أطعنه بالرماح وما أخطفه للارواح وانه قد فعل معي جميل لانه قتل صاحب جزيرة قيمر سعيد بن جوال لانه كان يسبني ويقهرني ويأخذ مني ما في يدي ويضربني فاراحني منه ومن شره فالله يطيل عمره وقد سار يشق الناس حتى وصل الى عنتر وسلم عليه وقال له يامولاي النوبة كل ماسرت الى مكان خذني معك وبين يديك وابصر من شجاعتي ماتقر به عينيك فضحك عنتر عليه من ذلك الكلام وعادوا بعد ذلك الى المضارب والخيام قال ولما استقر بهم القرار قسم عنتر الغنيمة واعطى أصحابه من الاموال والرجال وقد زالت عن قلوبهم الكروب والآمال هذا وقد نظر أبو دحروج الى أخذهم الاموال فوقع في الانذهال فتقدم وأخذ في يده سترا كبيرا من عمل الروم بجامات حسنة كبار جيد القيمة والمقدار وهو من الابريسم فيه صنائع حسنة وطرازات ملونة قال ولما أخذه وصار في يده تقدم الى عنتر وقال له يامولاي أشتهي أن تهب لي هذا الستر يافتى لاني أريد أغطي به عيالي من برد الشتاء فتبسم عنتر ووهبه اليه فحمله أبو دحروج على كتفه وصار من شدة فرحه به ينظر الى جاماته ويرقص ويدعو لعنتر بالنصر والظفر ثم انه أشار ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

مولاي عنترة العبسي انجاسي * وان غدا كان ذكره لنا حرسي

دحروج قد عاد بعد الفقر في سعة * وصار فوق جواد يسبق القوسي

وان اقوه العدا القوا غنائهم * وقد أخذت لاولادي أخير كسي

أتيت لعنترة العبسي أطلبه * وأنا اقول بفقري هل وعسي

أنعم علي بستر فهو يسترني * واخضر عودي بعد المحل واليبسي

﴿قال الراوي﴾ فلما فرغ دحروج من شعره قال ياحامية عبس وعدنان ما أنسى المكارم التي فعلتها معي أبدا ولا أزال أمدحك صباحا ومساء هذا والناس يضحكون عليه وعلى ما فعل من فعاله ومايبدي من مقاله فهذا ما كان من عنتر بن شداد وأما ما كان من طود الاطواد فانه رحل في تلك الليلة وقد ضاق به البر والآكام وقد تقدم في أوائلهم رجل يقال له ضبية بن عامر وكان أمير ومقدم على عشرين ألف فارس فامره بالمسير فسار وسير من بعده مقدم آخر وسار هو ومن معه من العساكر بعدهم وهم على هذا الترتيب والتدبير أمير بعد أمير وصار هو في الاخير كما ذكرنا هذا وقد جدت العساكر في المسير الى أن وصلوا الى المكان الذي أخذت منه الاحمال وقد نظر ضبية الى الرجال مطرحة والاجساد على الارض ملقحة والرماح مكسرة والجماجم منتشرة فوقف ووقفت العساكر الى أن وصل طود الاطواد وأبصر الجيش قد وقف فقال ما وقوف هؤلاء القوم فقالوا الله ما لنا علم فساق جواده ومازال يخترق الصفوف وغاص في المائة والالوف الى ان قارب المقدم على العساكر وهو ضبية فقال له ما وقوفك هاهنا فقال أنظر يامولاي ماحل بالناس من المصائب والعنا فلما رأى الرماح وهي محطمة والسيوف متلمة والقتلاء على الارض مكومة فبهت من ذلك وحار وقد وقع به الانبهار فنزل عن جواده وجعل يقلب القتلا من على وجه الارض فعرف انهم من أصحابه أطارعة له وتخبل وعاد الى قومه وهو متحير من ذلك العمل فاتى ضبية المقدم على عسكره وقال له أيها الملك قتلت الرجال ونهبت الاموال وساءت

بنا الاحوال وقد احتوت الاعداء على جميع الاموال والاشغال فلما سمع طود الاطواد ذلك الكلام احمرت عينيه واسودت شفتيه وصار عبرة لمن ينظر اليه وقال ياويلكم من فعل هذه الفعال ومن فزع من سطوتي ولا خاف من هيبتي فقالوا له ياملك الزمان هاهم بين يديك وهم أنفار قليل قال وكان عنتر قد قدم أصحابه وتقدم هو في أوائل عسكره ينظر الى العساكر فرآهم قد ملؤا القفار وتتابعوا مثل موجات البحار وقد سدت الصحراء وكدرت المناهل والمياه وهربت من كثرتها الوحوش في الفلاة من كثرة الابطال والجيوش فبينما طود الاطواد على مثل ذلك الايراد واذا بجاسوس قد أقبل الى أن صار بين يديه وقال له يامولاي اعلم أن الاشغال والاموال قد تقاسموها الرجال وأما الابطال الذين لك والرجال وجميع الاجناد فقتلهم عنتر بن شداد وهو الذي قتل سعيد بن جوال وأفنى من معه من رجاله والابطال فلما سمع طود الاطواد من الجاسوس ذلك المقال زاد غيظه وأكماده وعظمت مصائبه ونادى يالها من محنة ما أعظمها ورزية ما أشمها أكون أنا طود الاطواد ومالك الجزائر والبلاد وأطاعتني سائر العباد ويعلو علي شلخ من شلوخ العرب الاوغاد وحق الرب القديم ان هذا الامر من أعجب العجائب وسوف تحدث به الرجال في المشارق والمغارب ثم انه أمر العساكر بالمسير فسارت وهو متفكر في أمر عنتر وكيف أخذ ذخيرة العساكر ولم يزل سائر الى أن اشرف على جيش عنتر وطلع غباره واعتكر ولما نظر عنتر الى العساكر الذين ملات الآفاق ركب في رجاله الذين يعتمد عليهم وفي أوائلهم ولده الغضبان وقد تقدم في مقدمة الفرسان ينظر الى طود الاطواد فرآه وهو مقبل في كتائبه كانه الاسد الحردان ولم يزل الى أن نزل وضرب له سرادق وضربت من حوله القباب والخيام فلما أبصرهم عنتر داخله فيه الطمع فحمل وحمل ولده الغضبان في خمسين فارس وقد تبعه مازن فلما رأى طود الاطواد الى ذلك أمر ألف فارس ان تدور بعنتر هو وأصحابه حتى لا يهربوا فقبلوا رأيه وسمعوا مقاله وركبت الالف فارس من خيار قومه وحملوا على عنتر فتلقاهم وضرب الاول بسيفه الماضي ألقاه الى الارض وكان خلف عنتر الآخر خمسين فارس فقال لولده الغضبان اكفني أنت يابني مؤنة من اتى من خلفي وكن أنت من خلف ظهري وأنا أكفيك مؤنة من ياتي من بين يديك فقال له ولده الغضبان سوف أريك ماتقر به عينك ثم حمل الغضبان وتبعه عمه مازن والخمسين فارس وكذلك فعل عنتر وقد تلقى الفرسان بحسن ضربه وطعانه وقد رأت منه عساكر الجزائر ضرب متواتر وطعن يعمي النواظر وأصحابه كذلك فتعجبوا غاية العجب وفاض الدم وانسكب وعمل السيف في السودان والعرب وما أقبل الليل بظلام الغيهب حتى قتل من عساكر الجزائر ثلثمائة فارس من رؤسائهم وكبرائهم وأبطالهم وشجعانهم وعادوا وقد بان عليهم ذلهم ووبالهم وما صدقوا ان يخلصوا من ضربهم وطعانهم وقد رجع عنتر وولده الغضبان وقلبه عليه يخفق من الرجفان فوجده سالم وقد ملا الارض من القتلا وقد جمد الدم على يديه فضمه الى صدره وقبله بين عينيه وعادوا الى الخيام والى عسكر يكسوم فرأوهم على ظهور الخيل فامرهم عنتر بالنزول فنزلوا في الخيام وقد تولى حرسهم عنتر بنفسه وأوقدوا النيران بعد أن أكلوا شيأ من الزاد بمقدار ما يمسكوا به رمق الفؤاد هذا طود الاطواد قد فعل مثل هذه الفعال ودام الحرس بين الفريقان وطود الاطواد يقول لابطاله يابني عمي منذ عمري أخوض المعامع وأحضر الوقائع ما رأيت أقوى ولا أشد من هؤلاء الفوارس ولقد قاتلوا وما قصروا وقد كان أوائلهم فارسين ما لهما في العساكر مثال وهما الذين التقوا الطوائف والابطال ثم انه أحضر بقية الالف فارس الذين ارتموا من قدام عنتر ووبخهم وضرب منهم عشرين رقبة وقال لهم ياأوغاد غير أمجاد أنتم قد أخرقتم حشمتي وضيعتم حرمتي وقاتلتم رجالا ما أنتم من أشكالهم ولا تثبتون عند نزالهم ثم انه قال لارباب دولته لابد لي ما أكتب الى هؤلاء كتاب وأحسن فيه الخطاب وانظر ما يردوه من الجواب ثم ان طود الاطواد كتب كتاب يقول في أوله باسم الاله الخالق المسمى بالعزيز الرازق أما بعد فان الشجعان تغير على أمثالها وان كنت أنت من اشكالها فقد وصفت شجاعتك وقد رأيت اليوم طرفا من براعتك فان رأيت ان تحوذ نوبك

والآفات فانت تبادر الامر قبل أوقات الفوات وتأتى الى راجلا او تطأ بساطى عاجل فان فعلت ذلك أوليتك الجميل والاحسان وأوصل اليك كل ماتريده من النعم والامتنان واطلق لك أولادك وأسر باطلاقهم فؤادك وأردك الى أرضك وبلادك أنت ومن معك من أجنادك ولا تخالف هذا الكتاب الذى انفذته لك مع الرسول واسمع منى ما أقول قبل ان تمسى وأنت مقتول وما يصبح عليك الصباح الا وتنهب جسدك السيوف والرماح وتصير مجردا على البطاح وتهلك مع جملة العساكر والكتائب اذا انطبقت عليكم المواكب وان كنت تظن شيأ غير هذا السبب لقد سمعت شاعر العرب حيث يقول صلوا على طه الرسول

ومن لم يصانع عن أمور كثيرة * يطحن بانياب و يوطئ بمنسم
وما الحرب الا ما علمتم وذقتمو * وما هو عنها بالحديث المترجم

والذى أعلمك يا عنتر أنى ما أرسلت هذا الكتاب اليك الا شفقة منى عليك فان قبلت ما قلت لك فقد اهتديت وحلت بك السعادة ونجيت وان خالفت فتكون على نفسك قد تعديت وفى حاجة الملوك قد توانيت وتماديت وفى تدبيرك قد أخطيت فانظر بين يديك ولا يلعب العجب بعطفيك ﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ من كتابة ذلك الكتاب استدعى بحاجب من بعض الحجاب وقال له خذ هذا الكتاب وسر به الى هذا الظالم الغاشم المرتاب ولا تعض الا وأنت متجمل بالزينة الفاخرة والنعمة الظاهرة ففعل الحاجب ما أمره به طود الاطواد وسار قاصدا الى ناحية عنتر بن شداد وقد كان صحبه رجلين فاضلين فسار والى ان وصلوا الى العساكر وقد اخترقا المواكب والكتائب والعشائر فالتقوهم فى الاول عساكر الحبشة وقد علموا أنهم رسل فاستأذنوا لهم من عنتر فاذن لهم بالدخول فدخلوا عليه و وقفوا بين يديه وسلموا عليه وكان عنده مجيد بن مالك هو و جماعة من عساكر الحبشة وهو يطيب قلوبهم ويوعدهم بكسر عساكر طود الأطواد وهم على ذلك الايراد واذا برسول من الثلاثة رسل قد دخل عليهم ولما نظر الرسول الى عنتر وعظم هيبته فقبل الارض بين يديه وأشار بالكتاب اليه فاخذه منه وسلمه الى أسيد بن ماجد فقرأه حتى أتى على آخره وسمع عنتر ما فيه من ذلك الكلام البارد الذى ليس له ولا عليه معوّل ولا معنى فتبسم من وسط الغيظ قال الا انه لما فرغ من قراءته وفهم عنتر ما فيه وعرف لفظه وما يعنيه أمر ولده الغضبان أن يقوم الى الرسول و يقطع أذنيه وآذان من معه من رفقائه لانهم كانوا قد اكثروا بين يديه من الفضول وأمران يأخذ جميع ما معهم من الخيل والاموال و يعريهم من الثياب فقام الغضبان اليهم وفعل بهم ما أمره أباه وقال لهم ارجعوا الى صاحبكم وقولوا له يجهد جهده و يفعل أشد ما عنده فان كان يزعم انه طود الاطواد فانا عنتر بن شداد وغدا نتصادم أنا واياه فى الميدان ويرى ما يحل به و بعساكره من الذل والهوان ﴿قال الراوى﴾ وكان أبو دحروج حاضر وهو ينظر ما حل بالرسول وما جرى عليه من الامر المهول فقال لعن الله ابا عبالة المقتول وقد أتى اليناهو ومن معه فى وقت مخذول وصادف نجمهم أفول هذا والرسول قد عاد هو ومن معه باشم عودة وأعظم انكاد من عنتر بن شداد ولم يزل هو ومن معه حتى دخلوا على ملكهم طود الاطواد وأعلموه بما جرى عليهم من سوء الاحوال والاسباب فلما رآهم بذلك الشؤم والارتياب وسمع منهم ذلك الخطاب كاد ان يقتل من شدة الاحقاد ثم سألهم عن رد الجواب فقالوا له ما يحتاج الى عتاب أى شئ تريد أعظم من هذا الجواب فعندها زاد به الالتهاب وعظم حنقه والمصاب الذى ما أحد من بنى عبس هابه ولا خاف من نقمته وعذابه فتقطعت به الاسباب وصار هو ومن معه فى كلام وارتياب بقية ذلك النهار و بات تلك الليلة الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فامر الملك طود الاطواد النقباء ان تنادى فى العساكر بالركوب الى الحرب والكفاح وان يظهروا ما يقدروا عليه من العدد والسلاح قال فعند ذلك ركبت الابطال والعساكر وتبادرت الفرسان والدساكر ودقت الكؤسات ونعرت البوقات وانتشرت الاعلام والرايات وارتجت الارض من شدة ركض الخيول الصافنات وامتلأت الارض بالعساكر لاجل القتال طولا وعرض واصطفت الصفوف وترتبت المائة والالوف وأشهروا فى

أيديهم السيوف وقوموا الرماح فى مقام الحرب والكفاح وقربت الرجال من الرجال وازدحموا فى المجال هذا وعنتر الآخر قد رتب عساكره ودساكره فجعل فى الميمنة ولده الغضبان وجعل فى الميسرة أسيد بن ماجد فتى الفتيان و وقف هو فى القلب بين الطائفتين وأوقف مجيد بن مالك على تل عال حتى يبقى ينظر اليه وقد أمر أصحاب الرايات والاعلام ان يدوروا من حواليه وأراد عنتر ان يبرز الى الميدان فما أمهلت عساكره ولا عساكر طود الاطواد بل انها حملت مثل موج البحر تطلب الحرب والطعان وكانت الحملة بامر طود الاطواد وقد أراد بذلك ان يضعف أعداه فى الحرب والطراد هذا وقد ارتجت الارض من شدة الركض وتدافعت الخيل وعلمات وطاشت العقول وتحيلت وقد تصادمت المواكب واختلفت والدماء من الاوداج والصدور قد انسكبت فلله در عنتر وولده الغضبان فيما فعلوا ذلك اليوم من الابرام والنقض لما حملت الفرسان على بعضهم البعض فى مقام الطعن والضرب والركض وقد مد يده الى بلوغ الآمال فطال وخسف القمر من الزبرقان وفزعت الزهرة من وجوه الابطال و بيع المشترى باخس الاثمان لانقضاء مدة الآجال وانتقل عطارد وسل سيفه على مريخ الفلك فاهلك الرجال ونزلت منازل السنبلة على سرطان الفلك انتصر الآجال وكانوا بعد اجتماعهم تفرقوا بين احقاف الجبال ولم يبق لهم بعد ذلك احتمال وجرى الدماء كالغيث الهطال وامتد باع الاسد بعد غمد النصال ولم يدرك الانسان ذلك اليوم انفصال ومال كوكب العقرب واتسع بزبانا الزرايا على الفارس فمال والجبان انهزم وترك القتال وذلت أكابر طود الاطواد اذلال الذليل المهان ولاح عطارد النسر مقابل الزهرة فاجرت الدماء كالغيث الهطال ولازالوا فى ضرب الحسام وتجريع الموت الزؤام هذا وقد أبصرت عساكر طود الاطواد من بنى عبس القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد فخل بهم الانكاد لانهم عاينوا منهم طعنا يفلق العلائق و يفتت الاكباد وعساكر الحبشة عليهم قادمين وعلى هلاكهم عازمين فلما رأوا منهم ذلك الامر المهين عادوا وهم خاسرين وهم على ما فعلوا من امرهم نادمين وعلى الهرب معولين وعادت بنى عبس وهم آمنين فرحين وكان ذلك بوجود عنتر وأولاده وأصحابه أجمعين لانهم فى ذلك اليوم صاروا يخوضون الغبار و يكفوا عن أنفسهم العار والذل والشنار و يضربوا فى وجوه اعدائهم بكل صارم بتار و جعلوا يطاعنون أصحاب الاعلام فيقتلوهم وقد حيروهم بفعلهم وأذهلوهم ولم تزل طاحون الحروب دائرة وهى على القوم تدور والاوداج بالدماء تغلى وتفور وملك الموت عليهم بكاس الحمام يدور وقد رحلهم بعد القصور الى اللحود والقبور ولم يزالوا على ذلك الحال الى أن ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال وقد كلت الخيل والابطال من الطراد والمجال ودقت طبول الانفصال وعادت الفرسان عن الحرب والقتال وعاد كل فريق الى مقامه ونزل كل عسكر فى خيامه هذا وقد قتل من العسكرين ما لا تحصيه الاقلام ولا يعلم عددهم الا الملك العلام وكان الاكثر من عساكر طود الاطواد وكان أكثرهم قتله عنتر بن شداد حامية عبس يوم الطراد الا أن الملك طود الاطواد من شدة ما نزل عليه نزل عن سرير ملكه وجمع خواص عساكره الى بين يديه وقال لهم ياقوم ما كان فى حسابى ان تثبت بين أيدينا هذه الطائفة اليسيرة ونلقى منها هذه الامور الغزيرة وما قلنا انه نخسر فى قتالهم هذه الخسارة الكثيرة وان لم أخرج أنا فى غداة غد الى الميدان وأهلك منهم الابطال والشجعان والا ضعف أمرنا وهان فقالوا له ارباب دولته ورؤساء مملكته أيها الملك المفضال لولا هؤلاء المائة فارس الذين كانت فى أوائلهم عند القتال والحرب والنزال ما كان طال لنا معهم مطال ولا كان جاء عليهم آخر النهار الا وقد تركنا الديار منهم قفار فقال لهم اذا كان الامر على هذا الحال فلا بد ما أنزل اليهم واطلب منهم الحرب والقتال ثم أدعوهم الى البراز والنزال وأنظر فرسانهم والابطال ما يحل بهم من الذل والخبال لانى قد رأيت فى أوائلهم فارسين شديدين كل واحد يرد فى الحرب الفين الا أنهم فى شجاعتهم ما رأيت لهم خبرة بالحرب والمجال ولا معرفة بلقاء الابطال ولكن جسورين على لقاء الاهوال فاذا برزت أنا فى غداة غد الى الميدان وطلبت الحرب والطعان أول ما أبدأ بهلاكهم ودمارهم واقلع من الدنيا آثارهم و بعد ذلك احمل على عساكر

يكسوم واصبحهم صباح يكون ميشوم واهرق بالسيف دماءهم واتركهم عبرة لمن يراهم قال ثم انه بات تلك الليلة وقلبه يغلي بالشر وقد ناله منال عظيم وهو في الحزن الزائد المقيم فهذا ما جرى للملك طود الاطواد وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه بات يحرس العسكر ويدور من حولهم وهو فرحان مستبشر وكانوا قد أخذوا من أعدائهم جماعة فاوصى أصحابه بالحفظ عليهم من تلك الساعة وقال لهم من كان عنده أسير يبذل في حفظه اجتهاده وكان قد أراد بذلك ان يفادي بهم أولاده ولما كان عند الصباح ثارت الرجال الى ظهور الجرد القداح وقد لبست السلاح من جواشن ودروع وخود ملاح واحترزت على الارواح وتعدلت الميامن والمياسر وترتبت العساكر والدساكر ولما اكتملت الصفوف وتقدمت المائة والالوف خرج من عسكر طود الاطواد شرذمة كبيرة وقد ترجلت عن ظهور الخيل وطلبت الميدان وكلهم رجالة غير فرسان فطاولهم عنتر لينظر ما الخبر واذا هو بطود الاطواد قد ظهر بين تلك الرجال وهو سائر كانه النمر الحردان ولما صار في وسط الميدان وعادت عنه تلك الشجعان وقد اشتهر وبان وصال وجال بين الصفين وهو مثل الاسد الكاسر أو مثل الليث المغاور غاطس في الحديد غارق في الزرد النضيد لا يبان منه غير مقل عينيه وعلى صدره درع من الزرد ضيق العيون كثير العدد لا يعمل فيه السيف المهند والرمح الممدد وعلى رأسه خودة عادية منورة مجلية لها برق ولمعان كالشمس المضيئة وهي قديمة بهلولية ترد مضارب السيوف الهندية وفي يده سيف رقيق الشفرتين له لمعان وبرق يخطف نظر العين قوي المسمار قاطع للاعمار يعمل في الابدان عمل النار كانه ملك الموت الموكل بقبض الاعمار صقيل المتن رقيق لا يبقي على عدو ولا صديق كما قال فيه بعض واصفيه حيث قال

ومهند يغشي العيون برقه * ان المنايا دائمة في حده
فكأنما دلق للمنون والقضى * يوم اللقا وقفا على فرنده

قال وتحته جواد أدهم مرسوم معلم كانه الغراب الاسحم أسود من الليل اذا أظلم يسمع له صوت رخيم اذا حمحم واذا صهل كاد أن يتكلم وهو غاية المغنم قد كمل من الوصف النهاية ووصل حده الى الغاية فالسعد معقود بغرته والبرق لا يكاد أن يلحق بغباره ظهره حصنا لراكبه حريص عند العثار اذا همزه صاحبه سار وان أطلق له العنان ثار أعلاه جبل وأسفله جندل غرته كانها القمر وزعقته كالاسد اذا هدر وزمجر وكان جبينه جبين سرحان ووطأه وطء النمر الحردان واذا مشى على الصخر تقدح من حوافره النيران كانه القبة المبنية أو العروسة المجلية كما قال فيه الشاعر عطيه

وأدهم يحكي ظلام الدجى * محجل لاربع ثقيل الكفل
واذا جرى ضاق عليه الفلا * واجتمع السهل له والجبل
وخاف البرق على أثره * يسأله عن ريح الصبا أين رحل

﴿ قال الراوي ﴾ وكان ذلك الجواد من نسل الخيل الجياد وهو بركاب من الذهب الاحمر مرصع بانواع الدر والجوهر لا يقدر على مثله الا كسرى أو قيصر قال الناقل ولما سار طود الاطواد في الميدان لعب بين الصفوف وهو بهذا الزي الموصوف ولما هدى شمت الحصان عاد الى أن وقف في وسط الميدان ومعترك الجولان وطلب البراز والنزال وهو بذلك القد والهيكل كانه قطعة من جبل فلما رآه عنتر اسر به واستبشر وارتاح فؤاده وأمل أنه يأسره ويفك به أولاده من الاسر فعند ذلك أطلق عنان الابجر وطلبه مثل القضاء والقدر ولما ساواه في الميدان ومقام الضرب والطعان وقد لين عريكة الحصان وتذكر دياره والاوطان فزاد به الى بنت عمه الهيمان فعند ذلك جاش الشعر بخاطره فترنم بما كنت عليه ضمائره وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

لقد قالت عبيلة منذ اوزرتني * ومفرق لمتي تحاكي الشعاع
كبرت وكنت يا ابنة العم قرم * أبيد القروم في وقت الصراع
فقلت لها سلي الابطال عني * اذا ما انفتح باب للقراع

أنا العبد الذي سعدي ومجدي * يفوق الى السهاف الارتفاع
سبقت الى عنان المجد حتى * علوت ولم أجد للخلق ساع
وآخر رام يسعى كسعي * وجد بريد سبقا في اتباع
فقصر عن لحاقي في المعالي * وما نجحت مساعيه المساع
ويحمل عدتي فرس أصيل * أقدمه اذا كثر القداع
وفي كفي ثقيل المتن عضب * يداوي الرأس من ألم الصداع
ورمحي كلما هززته كفي * تلوى مثل تلوية الافاع

﴿ قال الراوي ﴾ ولما فرغ من ذلك الشعر والنظام وسمعه طود الاطواد توقدت عيناه في أم رأسه وقرط من شدة الغيظ على أضراسه ثم انه تقدم اليه وساواه في مجاله وقد أجابه على شعره ومقاله ثم جعل يقول ونحن وأنتم نصلي على طه الرسول

خليلي كف عن لومي وعذلي * فاني للملامة غير واع
وكيف تقر حشاشة قلبي * أسير في يدي ذات القناع
كصوب طفلة خودي رداح * دعتني في محبتها الدواع
رمت بسهام مقلتها فؤادي * غداة البين اذ طلبت وداع
فقلت دعي البكا فلقد حرقتي * لقلب ثابت يوم القراع
صبور يوم تختلف العوالي * شجاع لا يعل من الشجاع
اذا ما لامه في الحرب جيش * أقام على رؤسهم النواع
وأوردهم بسيف مشرفي * يقد بحده أدم البقاع
أنا طود الذي قد شاع ذكري * عن الاطواد قد زاد ارتفاع

﴿ قال الراوي ﴾ ولما فرغ طود الاطواد من شعره انقض بعد ذلك على عنتر وصرخ فيه صرخة تفلق الحجر فاجابه عنتر بصرخة أعظم من صرخته ثم انطبقا على بعضهما بعض وجالا في حومة المجال طولا وعرض وقد التقى والتحما مثل الغمام وأخذا في معاملات الطعان والصدام والافتراق والالتزام والتأخر والاقدام هذا وقد اختلف الطعن بينهما ودام حتى تزلزلت الارض بينهما من تحت الاقدام وغابت خيولهما عن أعين الفريقين تحت القتام وصار لا يرى منهما غير لميع الحسام قال وفي دون ساعة من النهار اختبر بعضهما بعض غاية الاختبار وزال الطمع من رؤسهما وما كان غير قليل حتى ضرب الهواء فوق رؤسهما خيمة من الغبار وشخصت اليهما الابصار وحارت منهما الافكار وزادت بينهما الاخطار وقل الانتصار وتعجبت النظار وقد ذكرت الراوون من أصحاب المعرفة وأهل الانساب مما جرى لاحد من فرسان الجاهلية من سائر العباد مثل ما جرى للملك طود الاطواد وعنتر بن شداد لانهما كانا فارسين شجاعين وأسدين ضاريين وجبلين متقابلين وبحرين زاخرين وحوتين متهامشين وكبشين متناطحين وقد اجتمعت سائر الاوصاف والاوراد في الملك طود الاطواد وفي عنتر حية بطن الواد وقد تعجبت الطائفتين مما رأت في ذلك اليوم من المبارزة بالعين وما عاينت من ضرب يوصف وطعن قد اختلف وقد جرى بينهما ما يشيب رؤس الاطفال وتزلزلت من زعقاتهما الجبال ولم يزالا كذلك الى أن كادت الخيل ان تهلك من شدة المجال وقد أبصر طود الاطواد من عنتر حربا ما خطر له على بال فجعل يحترز من مضاربه ويقاتله ويحاربه وكان عنتر أيضا قد أبصر من خصمه فارسا ما أبصر مثله في سائر الاقطار فقال في نفسه ما هذا الا فارس جبار وما أقدر عليه في موقف القتال الا بعد التعب والملال الا أنهم لم يزالوا على ذلك المثال وهم في عراك وقتال الى أن غربت الشمس وأذن الله للنهار بالارتحال هذا وقد ضجت العسكرين من المطال الا أنهما ما أمسى المساء عليهما حتى صار كل واحد منهما ما يعرف أحسن اليه الدهر أم أسا وصار كل واحد منهما ينظر الى صاحبه شذرا ويرمقه حذرا فقال طود الاطواد لعنتر بن شداد وحق ذمة العرب الاجواد لقد فتحت كثيرا من الجزائر والبلاد وقاتلت كثيرا من العباد ما رأيت أقوى منك باسا ولا أشد مراسا ولا أثبت أساسا وهذا الليل قد ضرب علينا خيامه وأقبل بظلامه فهل لك أن تعود الى قومك وأعود الى عسكري ونطلب الراحة ونعود عند الصباح الى ما كنا عليه من الحرب والكفاح فقال له عنتر لا وحق مسير الرياح وقابض الارواح هذا وأنت تدعي انك ملك هذه الارض ذات الطول والعرض فكيف يجوز لك الاقالة من القتال وتقول

مثل هذا المقال فى الحرب والقتال وأنا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام ما بقيت أبرح من هذا المقام الذى هو مقام الصدام الا بالانفصال وبلوغ الآمال ﴿قال الراوى﴾ ومما نقل أصحاب الروايات انه كان عنتر فيه مرض خفى لا يعلمه الا الذى ركبه فيه وكان ذلك من بعض مساعيه وهو انه كان اذا انتهى به التعب مع خصمه من شدة القراع وانفصلا عن بعضهما بعض وصار بينهما من الاتساع باع أو ذراع زال عنه تعبه واشتد بقدرة الله عصبه وكانه لم كان ويشتد قلبه الى الحرب والطعان كما كان فى أول الحال وان أبصر خصمه وقد قصده فى الاقالة من القتال أجابه الى مقاله ويتخلى عنه ولم يقصد معه الا ان له خوفا من البغى وسوء العاقبة لانه يخاف اذا طلب منه خصمه الراحة ولم يطعه الى ذلك وبغى عليه ربما تحل به نائبة ويقع فى المهالك قال فلما سمع طود الاطواد من عنتر ذلك الكلام وعرف ما يريده من المرام فقال له ويلك يا اسود يا زنيم ويا وغد يا لئيم اعلم ان هذه خيلنا اهلكت من القتال وقد كلت من كثرة المجال فانزل بنا الى وجه الارض فى هذه الساحه ونأخذ لنا نحن والخيل راحه فاجابه عنتر الى ذلك وثنى رجله وترجل فعند ذلك فعل الآخر مثل ما فعل وكل واحد منهما نادى أصحابه حتى يأتوه بشىء من الزاد يسد به رمق الفؤاد هذا وأبو دحروج قد عاين فى ذلك اليوم من طود الاطواد ومن عنتر بن شداد ما أذهل منه البصر وأعدمه الرشاد ولما رأى منهما الهول المهول تقدم الى قدام الغضبان ومجيد بن مالك وهو مثل المهبول وصار يقول يا مولاى وأى شىء كانت الفائدة فى قتالنا لهذا المجنون الذى ان ظفر بنا سقانا كاس المنون وان لم تعودوا بنا الى عمان ونخلى هذا المكان والا رجعت أنا وتركتكم لان ما فى قتالنا لهذا فائدة ويحل بنا منه الخسران وان قتل طود الاطواد لهذا عنتر بن شداد حرمنا التوفيق وجاءنا من البلاء ما لا نطيق ولو كان لى عقل ما كنت سلكت هذه الطريق التى ما لى فيها صديق ولا رفيق قال فصاح فيه الغضبان وقال له اسكت يا قرنان ويا ابن ألف قرنان أسكت الله حسك وعطب نفسك ولم تزل تقرأ علينا كتب الآفات يا ويلك قم أخرج الى أبى واحمل اليه شيأ من الزاد وخذ منه الجواد واعلم انه عول على المبيت مع خصمه فى الميدان ونحن ما نجد مثلك لهذا الامر والشان فلما سمع أبو دحروج من الغضبان ذلك المقال تعلقت روحه الى حلقه وتغيرت منه الاحوال وقال يا مولاى ابعث هذا مع غيرى من العرب فانا فى بطنى مغص وقد ثار على فى هذه الساعة فقال له الغضبان لا تطل الشرح ولا تكثر العتاب وحياة رأس ابى ما تمضى اليه الا انت فى هذه الاسباب فعندها سار أبو دحروج بالماء والزاد الى ناحية عنتر بن شداد وهو يمشى خطوة الى قدام وثلاثة الى وراه كانه فى ذلك الشغل حردان وهو يقول يارب اكفنى شر هذه الليلة فانى ان سلمت من هذه المرة لم أبت عندهم سوى هذه الليلة هذا ولم يزل سائرا حتى وصل بما معه الى عند عنتر فرآه قاعدا على ركبتيه مثل الاسد القسور وهو متفكر فيما يريد أن يجرى بينه وبين هذا البطل الغضنفر فلما صار عنده سلم عليه وخدم ووضع الزاد بين يديه بعدما تقدم اليه وقال له ابصر أنت غدا كيف تكون الحرب والجلاد فاننا نريد نتقوى بك على هذا النحس طود الاطواد ثم التفت الى طود الاطواد فرآه وهو جالس على ركبتيه وحسامه مجرد بين يديه وهو كانه أسد من الاساد وهو يهدر ويدمدم ويهمهم ويقول وحق اللات والعزى لا تركت أحدا يعود الى عمان من هذا العسكر فقدم له أبو دحروج وقد تغص عليه جوفه من الفزع ولحقه فى باطنه الفجع وقال له الأمان يا مولاى لا تؤاخذنى بما فعل هؤلاء المناحيس فانا غلامك أبو دحروج المسكين ولى عليك حق خدمة وقد سرت مع هؤلاء القوم المدبرين وقلت فى عقلى لعلى أن أكسب منهم شيأ أعود به الى أهلى وأستعين به على زمانى فوحق اللات والعزى اذا اهلكتهم لا تهلكنى معهم وتنزل بى حرمانى وأنا أشرت عليهم انهم لا يقاتلوك فما قبلوا هذيانى ولا شقشقة لسانى قال فلما سمع عنتر من أبى دحروج ذلك ضحك من كلامه وقد علم أنه ناقص عقل ووداد فلم يتكلم وأكل ما أتاه من الزاد وكذلك فعل طود الاطواد ثم انهم أقاموا على الحال الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ونحن وأنتم نصلى على زين الملاح فعند ذلك أقبلت العساكر حتى ملأت تلك البرارى والبطاح ثم ركبت الفارسين على الجرد القداح وتقلدوا بالسيوف واعتقلوا بالرماح وطلبوا الحرب والكفاح

ولما تقابلا صرخا صرختين عظيمتين حتى سمعتها الطائفتين والتقيا الاثنين كانهما جبلين ثم التطما كانهما بحرين وجالا فى ميدانهما وعظمت بينهما الاحقاد وزاد العناد وظنوا الطائفتين ان السماء قد انفتحت أبوابها وان المواعيد قد حقت ونزل على الاشقياء سخطها وعذابها وانفسح بعد القتال والكفاح وقد جودوا على الارض عوامل الرماح وتقلبا على الجرد القداح وقد تعلمت الابطال منهما حقيقة الحرب والكفاح وكانت لهما ساعة تقشعر لها الجلود ويلين من قوتها الحجر الجلمود ويشيب من هولها الطفل المولود ويعرف الانسان منهما امرارة العدم من حلاوة الوجود والتصقا التصاق جبال الاخدود وافترقا افتراق وادى زرود حتى قيل فى حقهما انه ما بقى أحد منهما يعود وقد تقلبا على ظهور الخيل من وسط السروج حتى تعلمت الابطال منهما حقيقة الدخول فى الخروج فلله درهما من فارسين ودرما تحتهما من جوادين لانهما قد حيروا بفعلهما ناظر كل عين وقد أظهروا فى الحروب بواطن الخداع فى القراع وهتكا ستر الفروسية وكشفا للناس القناع حتى خيل للناظرين ان خيلهما قد تعلقت بالافلاك أو كانهما من شياطين الارض الذى لا يفزعون من الهلاك وقد أخذوا فى الكر والفر والرواح والمستقر والهزل والجد والصد والرد الى أن دار بينهما الابرام والنقض والمعاركة والمشابكة والملازمة والماحكة وسارا يأخذان تارة فى الميمنه وتارة فى الميسره وتارة تجرى بهم الخيل خببا وتارة قهقره وبقى الحرب بينهما أشد من النار المسعره وقد اختلفا بينهما الطعن والضرب حتى تقطعت من أيديهما الدرق ولمع صارم المنايا فى أكفهم وبرق وكثر منهما الاضطراب والقلق وذابت القلوب بنيران الحرق وسبحت الجوادين فى بحرين من العرق وقد نشطوا فى جريهما حتى صارا كالعلق هذا والعسكرين قد فتحا لهما فى الحرب ميدان المجال وقد حارت أبصار الابطال وانذهلت أعين الفريقين وزادت بهما الاهوال من تلك الاعمال الا انهما لم يزالا على ذلك الحال الى أن حمى عليهما النهار وزاد الانبهار وصارت الشمس فى قبة الفلك وزاد بهما العطش والظما وتلهفت الاكباد على شربة من الماء وقد أرموا من أيديهما الاسياف وقد أيقنا بالويل والتلاف وما زالا فى عراك وصدام وتجريع الموت الزؤام حتى سقطا من على ظهور الخيل الى وجه الارض وكل منهما تعلق بصاحبه وقد كلا وملا وما زالا حتى جرى عرقهما مثل السيل وفى عاجل الحال فى حال معاينتهما تعلق طود الاطواد بأكتاف عنتر بن شداد وقد جذبه اليه وأظهر الصبر والجلد فانشب مخاليبه فى الدرع الذى عليه والزرد فوصلت أظافره الى جلد عنتر فاحرقت جلده وأحلت به النكد فلما أحس عنتر بالالم الذى قد نزل به وعليه تجرد وقبض بيده اليسرى على رقبة طود الاطواد ونادى وقال يا محمد يا محمد النبى الممجد وقبض عليه بقوة ساعده وزنده وكان بقدرة الله تعالى ومشيئته وبيركة النبى الذى استنجد به ثم انه جذبه فكاد من شدة الجذبة أن يخلع رأسه ويخمد أنفاسه ثم انه عطا وكبس بيده اليمنى ولكمه فى صدره فكسره وألقاه الى الارض على ظهره ﴿قال الراوى﴾ لقد أخبرنى من أثق به واعتمد فى كلام الصدق عليه وكان كلامه عندى محقق انه لما لكم طود الاطواد دخلت يده الى حد المرفق وقد حلت به من تلك اللطمة الآفات وعظمت به البليات وفى عاجل الحال طلعت روحه ومات وكان ذلك ببركة استنجاده بصاحب الآيات والمعجزات الظاهرات ثم انه قعد عنه لما وقع وعلم انه فات فيه الفوات وانصرع فجعل عنتر ينادى يا لعبس يا لعدنان لا شقيت أبدا على طول المدا ولا أشمت الله بى أحدا من العدا ثم انه عاد الى ظهر جواده وحمل وغاص فى وسط العسكر هذا وقد علت من بنى عبس الزعقات وقد رفعت الصيحات وحملوا حملة واحدة وقد تبعتهم عساكر الملك يكسوم وكانت لهم مساعده وهم من فعال عنتر متعجبين وبقتل طود الاطواد مستبشرين قال ولما نظرت عساكر طود الاطواد الى ملكهم قتيل وهو على وجه الارض معفر جديل زاد بهما الويل والذل والتنكيل فوطنت على الموت أرواحها وعولت أن تكون ثابتة على حربها وكفاحها فما كان ذلك الا مقدار ثلاثة ساعات من النهار فلم يجدوا لهم على حرب بنى عبس طاقة ولا اصطبار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وطلبوا الى ناحية منازلهم والديار فتبعهم عنتر ورجاله ساعة زمانية الى وقت الاصفرار والعصر فعاد عنتر عنهم وقد أنزل بهم الحصر ولما

عادوا من خاف المنهزمين جمعوا الاسلاب واحتووا على الاموال والاسلاب وقال عنتر لابد لى أطلب بلاد الاعادى حتى أخلص صديقى عروة وأولادى فعند ذلك تقدم أبو دحروج وقال له يامولاى ومن هو الذى عنعك من ذلك وكل من عارضك فى هذا الامر أنزلت به المهالك وها أنا معك فى أول الجيش والعساكر أضرب بين يديك بهذا الحسام الباتر وأنا أشكر الرب القديم الذى أراحنى من ذلك الكلب الزنيم قال فلما سمع عنتر كلامه وخرافاته فقال له ويلك ياشيخ السوء أما كنت البارحة تقول لطود الاطواد أنا غلامك أبو دحروج وقد أشرت عليهم أن لا يقاتلوك فقاتلوا منى فبالله عليك اذا أهلكتهم لاتهلكنى وفى قصدتهم لاتشركنى واعطف على من دونهم واجرنى و رق لى وارحمنى لانى مارحت اليهم الاحتى أكسب شيأ من المال الذى عندهم وأعود بعد ذلك اليك وأخدمك بما تقر به عينيك ﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر قال لابى دحروج فانا اريد أن أنتف منك السبال وأدورك على اليمين والشمال جزاء على هذا المقال بين الرجال فلما سمع العربان عن أبو دحروج من عنتر ذلك الكلام أيس من روحه وأيقن بشرب كاس الحمام فتأوه و بكا وزاد فى الانين والاشتكا باهتمام وقال يامولاى وحياة رأسك والبيت العتيق أيها البطل الهمام ماكنت الامستهزئا بذلك الكلب الزنديق ابن اللئام فلا تؤاخذنى بحياة رأسك فى هذا الكلام واعف عنى فى هذه النوبه لعل برجعتك على فى تلك الطريق تخلص أولادك من الاسر والضيق و يسر برؤيتهم فؤادك لانى لك رفيق وأنا معك مساعد فى كل أمر مضيق قال فضحك عنتر و جعل يقربه كل حين اليه ثم أقام عنتر فى ذلك المقام الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح أمر عساكره بالمسير والرواح فساروا وقد جدوا بالمسير فى تلك الروابى والبطاح ومازال عنتر و رجاله سائرين على حالهم طالبين جزيرة قيمر وهو قدامهم وقلبه على أولاده يكاد أن ينفطر وقد تذكر محبوبته عبلة و جيرانه فجاش الشعر بخاطره فباح بما كنت عليه ضمائره ثم انه أنشد و جعل يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول

طلل لعبلة بالحجاز مقيم * شوقى لساكنه القديم قديم * فكأنه معرفة الزمان تقادمت
عهدا وقلبى فى الديار مقيم * واذا أتوا كل العشيرة لم أزل * بالنصر منى مسرور رحيم
نسموا به ويقل جمع أعدائنا * حتى يعودوا فى التخوم رسوم * سلى بنى كنده وقحطان وقد
وافى على بجمعهم يكسوم * فغدوا هزائم للديار فدستهم * بكتائب على ألفى معلوم
من آل عامر مع هوازن قاتلوا * عنى وقد كثرت على خصوم * وكذلك فى حصن العقاب لقيتهم
ورجعت فى سيل الدما أعوم * ورددت أعدايا وعدت مؤيدا * بغنائم لم يحوها التقويم
وشريط قد خلفته يوم الوغا * منى عديم وجيشه مهزوم * وكذلك طود الاطواد قد خلفته
من أكمتى ملقى وهو مرغوم * تنهشه العقبان من جو السماء * وكذلك الغربان وهى تحوم
فانا من بنى عبس الكرام وهمتى * تعلو الانام فمن لذاك يروم

﴿قال الراوى﴾ هذا وعنتر لما فرغ من شعره سار يقطع البرارى والقفار مدة سبعة أيام وهم يقطعون ذلك البر الاقفر وفى اليوم الثامن أشرفوا على الجزيرة المسمية بجزيرة قيمر فلما قربوا منها أشهروا العدد وأظهروا السلاح والزرد وقد تقدموا الى البلاد قال ومما وقع من الاتفاق قبل هذا الكلام أن طود الاطواد قبل رحيله من تلك البلاد كان قد ولى على جزيرة قيمر بطل همام يقال له الشامخ بن سعيد وكان رجلا شديد وفارس صنديد وهو عاقل مقدام وليث قمقام وكان له رأى مصيب وهو شجاع نحرير وبنوائب الدهر خبير وكان قد تخلف معه فى الجزيرة من العسكر خمسة آلاف فارس وسار طود الاطواد وتركه مكانه فى تلك البلاد ولما جرى له ما جرى و رجعت المنهزمين اليه وأعلموه بما قد تم على طود الاطواد وعساكره من الهلاك على يد عنتر بن شداد قال فلما سمع بذلك الخبر علم أن تلك العساكر لابد لها من المجئ الى الجزيرة فجمع أهل البلد ومن يليهم من العساكر والاجناد وقال لهم يابنى عمى أنتم تعلمون بما كان من طود الاطواد من الشجاعة والقوة والبراعة وقد بلغنى أنه قتله هذا الذى يسمى عنتر بن شداد وقد علمت أن هذا الاسود لابد له من

القدوم علينا مع عساكر الملك يكسوم ولولا أنه يكون أشجع فرسان الحجاز والعراق والروم ماكان قدر على قتل ملكنا وأحل به الهموم ودمره هو ومن كان معه من العسكر وترك أنفه مرغوم وقد خطر لى رأى من الصواب والامر الذى لا يعاب وهو انى من وقتى هذا أطلق أسراه وأخلع عليهم فى هذه الساعة وأخرجهم وأخرج معهم من بناتنا ونسائنا جماعه ونطلب منهم أن يعفوا عنا ونحسن اليهم ونعطيهم الطاعة فانا أعلم أننا اذا فعلنا ذلك تدوم علينا بلدنا بحسن الرأى وجودة القناعة لاننا قد سمعنا مافعل مع الملك يكسوم بعد ماساء اليه وكيف حامى عنه بعد مارد بلده اليه فقالوا له أصحابه نعم الرأى الذى دبرته فلا أحد منا يخالفك فى هذا المقام ثم انهم أمروا باحضار الاسارى وفكوهم من القيود والاغلال وهم عروة بن الورد وميسرة وأخوه غصوب الفتى الرئبال وقد خلعوا عليهم أخلع السلاح الثقال وأركبوهم على الخيول الغوال وهم لايعلموا لاى شئ فعلوا معهم تلك الفعال قال فبينما هم على هذا الحال واذ قد تقدمت اليهم الرجال وقالوا الشامخ أيها الامير المفضال اعلم اننا قد وصلت الينا الاخبار بقدوم العساكر والابطال وهذا غبارهم قد ارتفع وملا الارض والجبال فتقدم أهل الحصن لاجل أن يروا ماذكروه من هذه الامور واذا هو بغبار عساكر الملك يكسوم وعنتر بن شداد ومواكبهم قد طلعت وأعلامهم قد ظهرت و راياتهم قد انتشرت وفرسانهم قد هدرت وخودهم و زرديا تهم فى ضوء الشمس قد برقت ولمعت وأشرقت قال فلما نظر الشامخ الى هذا الحال تقدم الى ميسرة وأخوه وعروة وأحسن لهم فى المقال وطلب منهم أن يزموا له على نفسه و بلده وما عنده من جميع الاموال فازموا له على البلد وما فيها من الاموال والنساء والرجال وما عندهم من المال والرجال والعبيد والاموال قال فعند ذلك أخرجوهم من البلد وهم الثلاثة ركاب وعليهم الخلع وهى تلمع بما فيها من الذهب وتلتهب التهاب لانهاية لها من ذهب معلمة وهى من أفخر الثياب هذا وأهل البلد كلهم مشاة قدامهم المشايخ منهم والشبان وهم قد فرحوا بخلاص أنفسهم من الهلاك والذهاب وأهل الجزيرة وأكابر الدولة كلهم فى خدمتهم و بين أيديهم وأيضا أخذوا بصحبتهم خمسين امرأة ماشيات والجميع سائرات وهن من البلاء معلنين ولولات وعلى أنفسهم مستجارات لانهن خائفات من أسد الفلوات عنتر ومن معه من الفرسان الحمات قال الا أنهم لم يزالوا سائرين على تلك الحالات حتى أشرفوا على عنتر هو و ولده الغضبان وكان فى مقدمة العساكر والفرسان فلما نظر عنتر الى النساء وهن حافيات حاسرات وأهل الجزيرة كلهم ماشين على تلك الحالات ونظر الى أولاده وصديقه عروة وكلا منهم قد حضر نافى ركبته وأطنب فى حضرته تعجب من تلك الامور وأخذه الفرح والسرور ولما وقعت أعينهم عليه ترجلوا وسعوا الى خدمته وقال غصوب يا أبتاه لاتترك أحدا من العسكر يتعرض لاهل هذه الجزيرة فى حال من أحوالهم لانه قد ذممنا لهم على أنفسهم وأموالهم وقد تمت تلك الامور الخطيرة وفى ذلك السداد والخيره ومارأينا منهم الاالاحسان وحسن السيره فقال عنتر ياولدى وكيف بقت أيدينا تمتد اليهم بسوء أو بحال من الاحوال وقد حلوكم من القيود والاعتقال وفعلوا معكم هذه الفعال وقد استقبلونا بهذا الاستقبال وفعلوا فعل أولاد الحلال ثم ان عنتر رد النساء ونهاهم عن ذلك الحال وأمر برجوعهم من بين الرجال وسار هو وأولاده وهم ركاب من دون كل أحد وسارت بهم المشايخ وهم راجعين الى ناحية البلد وكانوا قد استعدوا لهم بالضيافات والاقامات وقد نزلت العساكر على ظاهر المدينة و باتوا تلك الليلة باكرم مبيت هذا وقد جمع عنتر أولاده وأجلسهم من حوله وكذلك أصحابه هذا وقد قضى تلك الليلة بالفرح والسرور ودارت كاسات الخمور الى أن صار وقت السحر وخف المجلس من الناس ممن كان معهم فى تلك المقام حضر وهم عنتر بالمنام وقد سمع صديقه عروة وهو يبكى من فؤاده موجوع و يتنهد من قلب مصدوع يدل على أنه من شئ ممنوع وهو مع ذلك ينشد و يقول

قد كنت أعتب من لان الغرام به * وأحسب العشق أنواعا من الفقد
حتى رمانى الهوى عمدا ببارقه * منه فاطرح نار الشوق فى كبد

عاينت سلطانه فى أهل دولته * من عظم صولته يستأسر الاسد
ورمت كتمانه فى كل جارحة * فكان دمعى سال على خدى

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر هذه الابيات وسمع الى أنينه وبكائه ألم قلبه على شكواه فاقبل عليه وقال له يا أبا الابيض خير ان شاء الله تعالى يكون مالى اراك تنشرق بالدموع وتئن من فؤاد مصدوع أطلعنى على قصتك يا ابن العم وقص على حالتك لعل ان شاء الله أن أبلغك ارادتك فاعلمنى بامورك واشرح عن سبب بكائك فقال له يا أبا الفوارس ما هو الا أننا لما كنا فى الجزيرة مأسورين ونحن فى الاصفاد وكانت الحجرة التى كنا فيها الى جانب قصر الملك طود الاطواد فكان له أخت جميلة يقال لها ودعه وكانت تطل علينا فى أكثر الاوقات وتحادثنا باحسن المقالات وكنت أبصر منها يا ابن العم فصاحة وحسن زائد وملاحة فملكت بحسنها قلبى واحتوت بجمالها على خاطرى ولبى وكنت أنا يا ابن العم أستحى من أولادك أن أشكو اليهم أو أحدثهم ما فى قلبى من وجدى وبلبالى خوفا أن يستقلوا عقلى ويعاتبونى على مقالى لاننا كنا تحت الاسر والاعتقال وكان لنا شاغل عن العشق والبلبال والآن يا حامية عبس وحق خالق اليوم والامس الذى أطلع الشمس أنى كلما ذكرتها وذكرت رحيلنا يذوب جسدى ويتفتت كبدى وأغيب عن نفسى ولا أعلم يومى من أمسى ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر منه ذلك قال له يا أبا الابيض طب نفسا وقر عينا وطيب قلبك ولا تضيق صدرك ولا يلحقك من ذلك عرض فانا ان شاء الله أزيل عنك هذا المرض وفى غداة غد أدبر هذا الامر بمعرفتى ونطلب من الامور أيسرها وآخذ لك هذه الجارية باختيارها ورضاها لاننا قد ذممنا لهم على أنفسهم وأموالهم وما نفعل شئ يضر بحالهم فطاب قلب عروة وخف عنه ما كان قد اعتراه وقام من منامه وهو لا يصدق أن يصبح الصباح حتى ينظر ما يجرى له من هذه الامور ﴿قال الراوى﴾ فلما أصبح الله الكريم بالصباح وأضاء بنوره ولاح أتت مشايخ البلد ووجوه العشيرة ورؤساء قومهم الى عند عنتر وسلموا عليه وقد فرحوا بزوال عنهم من الضرر وقالوا يا أبا الفوارس اعلم أننا عملنا وليمة نريد أن تحضر فيها أنت وسادات قومك لتجبر بحضورك قلوبنا فاجابهم الى ذلك ومن جودة خاطره لم يتمنع وقد ركب هو وأولاده وأخذ معه خمسين فارس من أجناده وساروا الى أن دخلوا الى المدينة وجعلوا يخترقوا أزقتها والمشايخ بين أيديهم وهم يتعجبون من بهجتها وكان عنتر قد أخذ فى صحبته مجيد بن مالك وصار يعظم قدره ويبجله لانه كان عنده أعز من ولده هذا وأهل البلد قد اصطفوا على الاسطحة والجدران ينظرون الى عنتر وهم يتعجبون من عظم خلقته وكبر هيكله وذلك الشان وما هو فيه من قوة الامكان ولم يزالوا الى أن وصلوا الى قصر الملك طود الاطواد وكان يشرف على البحر من ثلاثة أميال قال ولما رأى عنتر وبنو عبس الى ذلك المكان تعجبوا مما رأوا فيه من حسن ذلك البنيان ثم انهم جلسوا وقد أجلس عنترة مجيد فى صدر المكان وجلس هو دونه وكل ذلك مجازاة لابيه واحتراما وخوفا عليه من غدرات الزمان وقد أوقف جماعة من أصحابه فى باب المجلس بالسيوف المنجذبة وهم على أجسادهم ثياب الزرد وهم معتدين بسائر العدد هذا وعنتر قد سل سيفه الضامى ووضعه على ركبتيه احتياطا من أذية يوصلوها اليه وما فيهم الامن هو مستكثر من العدد مستيقظ لما يجرى من الشدة والنكد وما زالوا كذلك حتى نقلت اليهم الموائد وعليها من أنواع الطعامات المفتخرة الالوان وقد وقفت جميع مشايخ قبيلة مشدودى الاوساط يخدموا الرجال ويقدموا لهم من الطعام ودارت عليهم بعد ذلك آنية المدام وذلك المشايخ وقوف قدام الابطال حتى اكتفوا من الطعام والمدام وانتهبوا أوقات اللذات وزاد بينهم الوداد والفرح والمسرات والاكرام هذا وقد حلف عنتر على المشايخ وأقعدهم مع الشباب على المدام ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم يشربون المدام وهم فى أطيب عيش وقد طاب لهم المقام واذا بخمسين مركب من البحر قد أقبلت كأنها الحمام وهى مقبلة من لجة البحر موثوقة كلها رجال ولما قربت من الساحل طلبت المينة باهتمام وطلعت منها الابطال وهم يسوقون جماعة من الاسارى بالذل والارغام وقد أتوا بهم قاصدين الى ذلك القصر ولما نظرت المشايخ الى تلك الاحكام أنفذوا بعض الغلمان يكشفوا لهم الخبر فغابوا ساعة وعادوا وهم مستبشرين فسألوهم عن

ذلك الخبر فقالوا لهم اعلموا ان هذه المراكب من عمان وأما تلك الاسارى فهو يكسوم وأهله وأصحابه وفرسانه وحجابه وقد ذكروا ان الملكة سهم النزال أم طود الاطواد قد فتحت عمان وقتلت كل من فيها من الفرسان وقد أسرت الملك يكسوم ووجوه قومه وأرسلتهم معنا وقد ذكرت انها ما تأتى حتى تفتح ما بين يديها من البلاد وهى مقيمة فى مدينة عمان تنتظر ولدها طود الاطواد أن يأتى من البر ويسيرون جملة الى سائر البلاد فيملكوها ويقتلوا أهل العناد قال فلما سمعت المشايخ منه ذلك الايراد أمروا باحضار الملك يكسوم الى بين يدى عنتر بن شداد فلم تكن الا ساعة حتى حضر هو وأصحابه وهم مقيدين فى الحبال مربوطين ولما وقعت أعينهم على عنتر والغضبان وبنى عبس الفتيان وهم على ذلك الامر والشان عاشت أرواحهم وأيقنوا بصلاحهم فقام عنتر الى الملك يكسوم واعتنقه وقبله فى صدره وبين عينيه وأمر بفك قيده من رجليه وكذلك فعل بأصحابه وأمر لهم بالخلع وأجلس عنتر يكسوم الى جانبه وهناه بالسلامة فقال يا أبا الفوارس وأى سلامة وقد ملكت بلادى وسلبت نعمتى وما أملكه من مال ونوال وسبيت الحريم والعيال وملكت الصبيان والاطفال فقال له عنتر فكيف كان ذلك الامر يا ملك الزمان فقال له اعلم انى لما أنفذت معك العساكر وسرت تطلب بهم خلاص أولادك من هذه الجزيرة بقيت أنا بعدك أربعة أيام لم أذق فيها منام من حذرى على العساكر أمسى طول الليل ساهر وأنا حاير وفى الامور فاكر ولما كان فى اليوم الرابع أشرفت علينا مراكب سهم النزال وهى قد ملات البحر بكثرة قلوعها ومراكبها ولما اصطفت المراكب على المينة وقد خرج منها عساكر بعدد الرمال والحصى وسهم النزال فى أوائلهم مثل اللبوة الشمطا والحية الرقطا وكانت عمان خالية من الرجال وما فيها أحد من الشجعان الذى أعتمد عليهم عند اللقى فغلقت الابواب وطلعت مع الرجال على الاسوار وأقامت علينا الحصار وأنا خائف على البلد غاية الخوف لاجل خلوها من الابطال وما أحسست فى الليلة الرابعة الا والصباح معى فى القصر وسهم النزال قد طلعت ومعها أصحابها فاخترقوا البلد وفى أيديهم العمد وقد ملكوا البلد وأخذونى أنا ومن معى وقد أنفذونا الى هذه البلاد وأتينا الى هذا المكان وأقامت سهم النزال تنظر قدوم ولدها الى أن يأتى اليها ببقية العساكر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر كلامه قال له أيها الملك أما طود الاطواد فقد ألحقته بقوم ثمود وعاد والفراعنة لشداد وأما أولادى فقد تخلصوا بلا قتال ولا حرب ولا نزال بل أطلقهم هذا السيد المفضال ثم انه حدث الملك يكسوم بكل ما جرى وما تم فاقبلوا عند ذلك المشايخ الى عنتر والملك شامخ أيضا وقال له يا مولاى عبدك أنا وغلامك والبلاد بلادك فقال له عنتر اعلم ان البلد تبقى عليك وذمامنا قد سبق اليك وانك تكون من تحت طاعة الملك يكسوم واعلم أننا فى غداة غد نرحل وما بقى لى عندك الا فرد حاجة فقال الشامخ وما هى يا مولاى لو أنها روحى التى هى بين جانبى فما بخلت بها عليك فقال له عنتر حاجتنا نريد منك ان تعاوننا على ودعة أخت طود الاطواد حتى انى أزوجها باخى وصديقى عروة وما أريد منك الا تسير اليها وتستأذنها فى ذلك فان قضيت هذه الحاجة كان لك المنة والشكر والثناء لان ما لنا عليها أمر وما نحن ممن يغصبها على ما تريد لاننا قد سبق منا اليها الذمام هى وكل من فى البلد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الشامخ من عنتر هذا الكلام قام من عنده ودخل عليها وأعلمها بما قال عنتر واستأذنها فى الزواج فقالت والله يا شامخ ما كان هذا فى نيتى والا أرمى روحى فى البحر بعد قتل أخى ولا يملكنى صاحب جزيرة صافور ابن اللئام وكان هذا صاحب صافور ملك عظيم له قلب أقوى من الحجر الجلمود وهو رجل جبار من الجبابرة اسمه سمور وهو متمرد كفور قد طغى وبغى وتجبر وتكبر وكفر وقد ملك هذه البلاد وظلم العباد وقد غزا سائر الاقاليم وقد ملك الى حد الهند والسند وكان محتويا على جزائر وقلاع وله مراكب تسافر فى البحر وكان بينه وبين طود الاطواد صداقة ومودة وكان هذا ملك البر وهذا ملك البحر وقد بلغت بينهم المودة والصداقة حتى انه خطب منه أخته فاجابه الى ذلك ووعده بزواجها فبكت ودعة لما علمت بذلك وقد صرخت فى وجه أمها وقالت أنا ما أريد هذا الشيطان الاسود وان غصبونى على نفسى قتلت روحى ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع طود الاطواد من أخته ذلك الكلام أنفذ مع الرسول يخبره بما

جرى ويقول ما أقدرنا أن نغضبوا ونفديه بقدره ﴿قال الراوى﴾ فقبل عذره وصبر على مغض ولما جرى لطود الاطواد مع عنتر ما جرى انفذ له خمسين الف فارس وهى التى سارت بها سهم النزال فى المراكب ولما هلك طود الاطواد على يد عنتر بن شداد وملك البلد خافت ودعة من الملك سمور على نفسها بعد أخيها الاجل ماردته خائب وصارت فزعانه حيرانه فما صدقت أن تسمع كلام الشامخ حتى أجابته وقد كانت رأت عروة وسمعت فصاحته فاجابته وأجابت الشامخ الى الزواج وقد أتاها الامر كما تريد وقالت للشامخ زوجنى ودعنى أعيش عند هؤلاء القوم أحسن من ذلك الشيطان المارق وهو سمور ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الشامخ منها ذلك الكلام فرح وانسر خاطره وخرج من عندها وهو بادى السلام والابتسام وأتى الى عنتر واخبره بما قالت ودعة ففرح عنتر فرحا عظيم وزاد فى الاهتمام وقد زوج ودعة لعروة وما مضت تلك الليلة الا وقد زفت عليه ودخل بها فرأى منها جنة الخلود ودنيا مقبلة على قوم فقراء ولما كان من الغد خرج عنتر والملك يكسوم الى خيامه وقد رأته عساكره وتباشروا برؤيته وسألوه عن حاله فاخبرهم بما جرى له وعلى حريمهم فتباكوا عيالهم وأولادهم وقد ودعوا الشامخ وساروا بعد ما أخرجت ودعة جوارها ورجالها وأموالها وذخائرها وجميع ما تملكه فكانت نعم عظيمة وأموال جسيمة ففرح عنتر بذلك لعروة وقد هناه بما وصل اليه فشكره عروة وقال له يا ابو الفوارس بك قد بلغت المراد وحصل لى مسرة الفؤاد فلا زلت يا ابن العم فى الارتقا وكفاك الرب القديم طوارق البؤس والشقا فشكره عنتر على مدحه وقال له يا عروة تستاهل المال والارواح والله انك أعز من ولدى وأخى ولم يزالوا سائرين يقطعون البر وتلك الارض فى طولها والعرض حتى انهم أشرفوا على عمان ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من سهم النزال فانه لما طال عليها المطال وملكت عمان أقامت تنتظر ولدها كل هذه الايام فابان فسألت أهل البلد عن عساكرهم وقالت لهم أين مضوا فرسانكم فقالوا لها اعلمى ان الملك أرسلهم مع رجل من الحجاز يقال له عنتر بن شداد العبسى لان أولاده أسرهم خزاعة ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى ذلك أنهم قتلوا ابن الملك يكسوم فارسل اليهم عساكر فكسروها وقد ملكوا المكان الذى هو حصن العقاب وأخلوه من رجاله ثم انهم أعادوا عليها كيف أنفذ الملك ابن عمه شريط وكيف وصل الخبر الى شريط بوصول خزاعة المجنون وأخيه من عند ولدك طود الاطواد ثم انهم قد ذكروا لها جميع ما جرى من أوله الى آخره وأسر غصوب وميسرة وعروة بعد صلحهم مع الملك يكسوم ولولا أنهم كانوا كسروا عساكرنا كانوا ملكوا بلادنا ولما ان أسروهم وأخذوهم أصحاب كسار وابهم فى المراكب الى جزيرة قيمر وبعد مسيرهم جهز الملك يكسوم عساكر مع عنتر وسار بهم يطلب خلاصهم من ولدك طود الاطواد وقد أخبرناك بما جرى وقد أعلمناك بما كان وما جرى فدبرى نفسك كما تعلمين وتعرفين لاننا وحق ذات الذوائب من يوم ساروا ما سمعنا لهم خبر الى اليوم وما ندرى ما كان منهم وما جرى لهم فلما سمعت سهم النزال منهم ذلك قالت وحق ذات الذوائب ان هذا حديث عجيب وما هم الا قد أهلكهم ولدى وما يأتى الا ورؤسهم معه على أسنة الرماح وأما ما ذكرتم من أمر أولاده فصحيح أنهم أسارى عندنا وقد أراد ولدى ان يقتلهم فمنعته أنا من ذلك ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم فى الكلام واذا هى بغبار قد ثار وقد علا وملا الاقطار وبعد ساعة مزقته الرياح وانكشف وبان من تحته عساكر كرام وقد ملات الاقطار فلما رأت سهم النزال الى ذلك الاحكام أنكرته فانفذت عشرة من الرجال يكشفون لها الاخبار على جليتها الان قلبها قد اشتغل بعنتر وشجاعته فمضوا وقد غابوا ساعة وعادوا وهم يدعون بالويل والثبور فلما رأتهم سهم النزال قالت يا ويلكم ما وراءكم فقالوا لها أيتها الملكة اعلمى أن عنتر بن شداد قد ملك البلاد وأهلك العباد وقتل ولدك طود الاطواد وقتل رجاله الاجواد وفتح جزيرة قيمر وقد جعل عليها الملك الشامخ من تحت يد الملك يكسوم وفك أولاده من الشد والاصفاد وملك الرجال والاموال وأتى كى أنفذت يكسوم اليهم فخلصوه وعلى سرير ولدك طود الاطواد أقعدوه وقد ملكوا جميع ما فى البلد وعادوا وهذا الغبار غبارهم فابصرى الآن ما تعملى ان كنتى تعولى على النزول الى المراكب وتسيرى فيها الى قيمر وتقابلى الشامخ على ما فعل ونرجع نكاتب أخا ولدك سمور

وتطلبى منه نجدة بعدما تنعمى له بزواج ابنتك ودعة وتدعيه يلاقى هؤلاء الاشرار وأنت تعلمى أنه رجل جبار وله عساكر مثل أمواج البحار وبها تبلغ ما تختار وهذا الذى عندنا من الصواب والا فما لنا طاقة بقتال عنتر ابن شداد مع كثرة العساكر الذين معه لان مثل ولدك طود الاطواد ما كان له به طاقة بعده ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت سهم النزال كلام قومها قالت لهم صدقتم وقالت أنا مثلى من يستنجد بالملك سمور وأزوجه بنتى فهذا لا يكون أبدا ولو شربت كاس الردى ولا أنا عاجزة ولا محتاجة الى نجدة وأما قولكم من جهة ولدى وملاقاته لعنتر بن شداد فالحرب له غلبات والدنيا كثيرة الآفات وأنتم تعلمون ان ولدى كان فيما كنت أنا فيه سوف ترون هؤلاء ما يجرى عليهم وما يكون اذا أتوا نحوى وقربوا الى عندى فوحق ذات الذوائب لا تركن الاول يلحق بالآخر ولآخذن بثار ولدى منهم ولا تركنهم مثلا بين البوادى والحضر ولا تركنكم تنهبون أموالهم وأسلابهم بغير قتال ولا نزال ولا تعب والا فما أنا سهم النزال وان لم أفعل ذلك سقطت حرمتى وضاعت هيبتى عند الملوك وأنتم فما لكم بهذا شغل لكن عودوا الى بلدكم حتى أريكم ما أفعل ثم انها عادت ودخلت البلد وقد حارت فيما تفعل ووقع بها الخبال وأبدت الاعوال وقد شقت أثوابها وعلا بكاها وانتحابها وهى فى أول قومها تنشد وتقول نحن وأنتم نصلى على النبى الرسول

أرى الدهر لا يصفو لمن كان عاتب * ولا ساخط من عاتبته النوائب
زمان كثير الغدر فى كل حالة * مصائبها لا تلتقيها المصائب
سلام على الايام من بعد سادة * خلت منهم الدنيا وكانوا أطايب
فلو علمت أرض تقيم بعدهم * بكت فقدهم أطلالها والكواعب
وناحت على من كان سيد قومه * تشير اليه بالسلام الكتائب
ولا بدلى فى الحرب من أخذ ثاره * ولو قصدت نحو القنا والقواضب
وأترك طلولا لعنتر صفصفا * تنوح عليه بالعويل النوائب
وانى أنا سهم النزال ومن لها * من السحر فعلا شابت منه الذوائب
كذلك أتانى الدهر منه عجائبا * مصائبه لا تلتقى بالغوالب
فدونكم ذا اليوم من لبوة * تخوض لظى الهيجاء والموت غالب
فقدتم الينا سيدا كان بيننا * كمثل القمر والعالمين كواكب
وجئتم ترجوا اليوم من قتل قومها * وفى اليوم ترى ان ظنك خائب
أما سمعت أذناك قول الذى مضى * مصائب الدهر تورى العجائب

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغت سهم النزال من شعرها أمرت العساكر بدخول البلد وقد غلقت الابواب وطلعت فوق الاسوار واستعدت للحصار ثم انها لما صارت فوق الاسوار صارت كانها اللبوة التى عدمت أشبالها هذا وعساكر الملك يكسوم قد قربت من البلد وقد ضربوا المضارب والخيام ونزلوا فيها وقد أظلم الظلام واسودت الآكام وقعد الملك يكسوم على سرير ملكه ودعا بأرباب دولته وانفذ خلف عنتر وأولاده فحضروا وجلسوا عنده وأقامت بنو عمه تحجبه وهم متقلدين بسيوفهم كانهم السباع وحميد بن مالك الى جانب الملك يكسوم فقال لهم يا وجوه العرب أى شئ عندكم من الرأى لان هذا البلد حصين وأخاف أن يطول بنا الحصار فقال عنتر يا ملك أرجو من الله أن يخرجوا الينا فى غداة غد وان خرجوا ملكت البلد ان شاء الله تعالى ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك يكسوم من عنتر ذلك الكلام قال له ما يكون الا ما تشاؤه الملك العلام ثم انهم قضوا نهارهم جميعا فى الفرح والابتسام الى أن أقبل الليل بالظلام فطلبوا المنام فناموا وجل من لا ينام ولا يغفل ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح أمر الملك يكسوم أن ينادى فى العسكر بالركوب فركبت الفرسان عن بكرة أبيها وقلوبهم محترقة على حريمهم وأولادهم ولا يدرون ما كان منهم وركب عنتر وأولاده فى بنى عمه وكلهم غائصين بالسلاح وآلة الحرب والكفاح واذا بباب البلد قد فتح وخرج منه ستة

آلاف فارس كلهم غائصين في الحديد والزرد النضيد وهم متقلدين بالسيوف الهندية ومعتقلين بالرماح الخطية وتقدمت الخيالة وتأخرت الرجالة وترتبوا يمينا وشمالا وسهم النزال على الأسوار في خمسين ألف فارس بالحجارة والحراب يحمون الحصن ﴿قال الراوي﴾ ولما نظر عنتر الى ذلك الاحمرار وأخذه الانبهار وقد تعجبت كيف ان ألف فارس وخمسة آلاف راجل يخرجوا الى لقاء عنتر وأصحابه وعساكر الملك يكسوم فاراد ان يبين هيبته في العساكر الذين بين يديه وأراد أن يهجم عليهم ويصل الى باب البلد ويفتحه ثم انه حمل وحملت أولاد عمه واتصل الحرب بينهم فصبرت الفرسان وقاتلت فلما تضاحى النهار واذا بغمامة سوداء قد ظهرت وظهر من تحتها رمي أحجار وشهب نار نزلت على عساكر الملك يكسوم وبني عبس الاخيار ﴿قال الراوي﴾ ولما نظر عنتر الى هذا الاحمرار وأخذه الانبهار وقد رجع هو وبني عبس الى وراءه وكذلك الملك يكسوم وقد علم ان ما بقي للعسكر قائمة تقوم وقد تعجب من خروج هذه العجوز في تلك العصابة اليسيرة وما فعلت ذلك الا لاجل أخذ ثار ولدها ولاجل ذلك كانت ملوك الارض تخافها وتفزع من سحرها وتتقي شرها وتراسلها وتهاديها لما يعلموا من سحرها ومكرها ولما نشأ لها طود الاطواد كثر أمرها وزاد شرها لانها كانت كنفت في ملكها وقلت عن ما كانت تفعله الا في هذه النوبة فانها قالت ان لم أرجع أوقع هيبتي وهيبة أصحابي عند الملوك والا قلت حرمتي وانحطت مرتبتي وقلت في أعينهم مملكتي ثم انها فعلت هذه الفعال التي تشيب رؤس الاطفال هذا والخيل تخرج من تحت السواد غائرة وهي خالية من الركاب وتمج في رؤس الروابي والشعاب والصياح من تحت الغمام ملا والصراخ علا والنيران مثل النجوم اذا زرقت والدخان قد خيم على الاقطار وانطبق انطباق الامطار ﴿قال الراوي﴾ ولم يزل الامر على مثل هذا الحال حتى صار آخر النهار وقد بدت الغمامة عند ذلك ان تذهب وحارت السالمين من عساكر الملك يكسوم وهم يخرجون واحد واحد أو اثنين وهم مجرحين ولا يصدقون بالنجاة ولا يصدقون بالحياة هذا وقد أمسى المسا على الناس وأظلم الظلام وانقطع ذلك الغمام عن الناس وقد نزلوا في الخيام وكان قد قتل من عسكر يكسوم في ذلك النهار عشرة آلاف فارس والباقون من حوله وهم يبكون على من قتل لهم من الاقارب وما لاقوا من النيران والعجائب ومن ذلك السحر وما حل بهم من المصائب فقال الملك يكسوم يا بني عمي ولو لم تفعل هذه الاعمال ما كانت تهابها الملوك ولم تتقيها وأنا ما كنت أدفع لها الخراج الا خوفا من شرها ودواهيها وكنت أمنعهم بالمال من كثرة مكرها وأعمالها بالرجال ثم انه قال وحق ذات الذوائب لقد حرت في أمري وانقطع ظهري من فعال هذه الشيطانة التي ليست من الانس ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه لما عاين تلك الامور تعجب وزادت به المصائب والكروب وما صدق بالانفصال من الحرب والقتال خوفا على من معه من الأبطال الا انه لما عاد ونزل في خيامه جمع أولاده وبني عمه من حواليه وجعلوا يتذاكرون من ما عاينوا في ذلك النهار والغضبان يقول لابيه والله يا أبتاه يهون علي ان ألقى عشرة آلاف فارس ولا أرى ما رأيت في هذا اليوم فقال عنتر يا بني ما هذا الأمر صعب عظيم الخطر لان قتال السحرة والجن فعل عظيم لاننا نقاتل من لا نراه وما كنا نريد اليوم الا اننا ننجز أمر هذه البلد حتى اننا نمضي الى أهلنا فقد طال شوقنا الى أرضنا وقد بلينا بهذه الشيطانة في آخر سفرتنا هذا وعنتر قد زاد به الخطر وعظم عنده الضجر فانشد يقول

الا مبلغا عنا سراة الاعارب * وقيس الفتى نسل الكرام الاطايب
بأني قد لاقيت في أرض قيصر * وفي حصن يكسوم فنون العجائب
سريت الى عمان في خير عصبة * لتخليص أولادي ونيل مآرب
فوافيت جيشا طبق الارض والفلا * بسمر القنا والمرهفات القواضب
فجلت عليهم جولة عنترية * ففرقتهم في شرقها والمغارب
ولما رأى يكسوم فعلي بجمعهم * فجاد علي بفعل قوم أطايب



وأطلق أولادي وقاتل معهمو * وشرف فؤادي باجتماع حبائب
وخزاعة قد جندلته من بعد أسره * لاولادي الغر الكرام النجائب
وأعانني يكسوم منه بجيشه * وسرت الى قيصر أخبو السباسب
ولاقيت طود الاطواد وسط قفره * وجندلته من الكمي في الترائب
وخلصت أولادي وزوجة عروة * بنت مليك من حسان كواعب
وخلصت يكسوما وقد جاء مفندا * وعدت بجيش جحفل ومواكب
الى حصن عمان لننجز أمره * فلاقيت من سهم النزال العجائب
رمتنا بارها طمن الجن صورة * ونار ودخان وشهب ثواقب
فيا رب بالمختار من نسل هاشم * وخير الورى المبعوث من آل غالب
ترد علينا كيدها أنت قادر * قضاؤك حتما للخلائق غالب

﴿قال الراوي﴾ ولما فرغ عنتر من هذا الكلام الا وعروة قد دخل عليه وهو يضحك فلما رآه عنتر على تلك الحالة اغتاظ من ضحكه وقال له يا عروة أنت تضحك وما على قلبك هم لانك قد اشتغلت بنفسك عن كل أحد وما تدري ما قد وقعنا فيه من الهم والغم وضيق الصدر فقال له عروة والله يا أبا الفوارس ما ضحكي مما تقول وانما ضحكي على الذي جرى علينا مع هذه العجوز وأنا عندي من يفتح لنا البلد من غير قتال ولا حرب ولا نزال فانسر عنتر وقد ضحك وأعجبه ذلك المقال وقال له وكيف ذلك يا أبا الابيض فقال له اعلم يا ابن العم اني دخلت على زوجتي ودعة بنت هذه العجوز ساهم النزال وأنا ضيق الصدر كثير الفكر والهم لاجل ما جرى لنا في ذلك النهار وكيف تيسر علينا فتح البلد فقالت لي ودعة ما بالك مشغول القلب ضيق الصدر فاعدت عليها ما جرى علينا في يومنا فقالت لا تضيق صدرك فانا أفتح لك البلد من غير قتال ولا نزال ونعود بعد ذلك نعول على الارتحال ثم انها قالت لي انها تعرف تعمل مثل هذه الصنعة الذي رأيتها وقالت لي لا تعرف فتح البلد وفتح الباب الامي وفي غداة غد ننجز الامر ونسير الى بلادكم وقد أتيت اليك أعلمك بذلك الخبر وهذا كان سبب ضحكي ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام أخذه الضحك والابتسام وقال له والله لقد بطلت الشجاعة عند هؤلاء الاقوام ولو لم يتفق في سفرتنا هذه الفرجة بمثل هذه الصنعة لما رأينا مثل هذه الصنعة بطول عمرنا فهذه فائدة عظيمة فقال الامير الغضبان والله يا أبتاه ان كانت هذه البنت الفاجرة تعرف مثل ذلك وهي مثل أمها ساحرة لا يمكنها تصعد معنا الى أهلنا لانها ربما حصل لها شيء يؤلمها فتمكر بنا كل يوم وتظهر لنا مثل ذلك وتأتينا الاذى وربما خرجوا الجن منها ودخلوا فينا ﴿قال الراوي﴾ فضحك عنتر والجماعة من كلامه فقال له عروة بن الورد اسكت أنت يا غضبان ولا تتحدث في حريم الناس بمثل هذا الكلام فسوف نتقوى بها بهذه الصنعة هذا وأبو الفوارس قال له بالله عليك يا أبا الابيض قوم بنا الى عند الملك يكسوم حتى نعرفه بهذه القضية حتى يبيت الليلة وهو طيب القلب فقد هلكت اليوم من عساكره خلائق كثير ثم ان عنتر قام هو وأولاده وعروة بن الورد ودخلوا على الملك يكسوم فوجده مع أصحابه في المشورة فقام له لما رآه وأجلسه وقد جلس عنتر الى جانبه وقد شرح له كلما جرى على أصحابه وأقاربه فقال له عنتر يا ملك طيب قلبك ولا تضيق صدرك فقد جرى من القضية ما هو كذا وكذا وان ودعة قد ضمنت لنا ذلك ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك يكسوم من عنتر ذلك الخطاب طاب قلبه وقال له والله يا أبا الفوارس ان كانت ودعة قالت على شيء مثل ذلك فانها قادرة عليه وما يقدر على هلاك العجوز الا ودعة ثم انهم تحدثوا ساعة من الليل وأقام كل واحد منهما الى خيمته وقد طاب قلب الملك يكسوم بذلك فلما كان من الغد وقد أصبح الله بالصباح أمر الملك يكسوم عساكره بالركوب فركبت وتقدمت للحرب وأخذت أهبة الطعن والضرب وقد قويت قلوبهم بما سمعوا فتقدموا يطلبون الحرب وهم خائفين أن يتم عليهم مثل ما تم عليهم بالامس من الكروب ﴿قال الراوي﴾ هذا وقد ركب عنتر وبني عبس وقد

الذى تعامیه فقد ذهبت اسنانی بما ضمنته انا من تقدم عروة بن الورد الى زوجته ودعة وقال لها ابشرى بما فتح البلد فقالت له طيب قلبك واشرح صدرك واضرب لى خيمة مقابل باب المدينة حتى أركب وأسير اليها وبعد ذلك ارجعوا انتم الى القتال واذا رأيتم أبواب البلد قد تزلزلت والابراج تريد أن تسقط عليكم فلا يوهمكم ذلك واحملوا واطلبوا الباب وادخلوا البلد فلا تجدوا فيها أحدا يمنعكم عن الدخول اليه فقال عروة أحسن الله بدنك يا حبيبة القلب هذا الذى نريده منك ثم انه أتى الى عند عنتر وأخبره بما قالت زوجته ودعة بنت سهم النزال ثم انه لبس آلة حربه من وقته وساعته ونصب خيمة مقابل باب المدينة ثم ان ودعة قد ركبت وقد ضيقت اللثام وهى مثل بدر التمام هذا وعروة ينظر اليها وقد سلبت عقله ولم تزل سائرة الى ان وصلت الى الخيمة وترجلت ودخلت اليها وأمر عروة انه يسبل عليها أذيال الخيمة هذا وعنتر و بنى عبس قد تعجبوا من هذا الامر ﴿قال الراوى﴾ فما تمت أعمالها الا و باب عمان قد فتح وخرج منه أكثر من خمسين راجل فارس و بقية الخلق قد طلعوا على الاسوار وشراريف الابراج وسهم النزال خرجت فى ذلك اليوم تطلب القتال وهى مثل اللبوة الشمطاء التى فقدت أشبالها وقد داخلها الطمع فى عساكر الملك يكسوم وقد علمت انهم قد فنى اكثرهم وكانت فى تلك الليلة قد باتت وهى تقول وحق ما أعتقده واضرع اليه وأعبده لو أهلكت كل من على وجه الارض ما أشفيت غليلى حتى اقتل قاتل ولدى وانزل به التنكيد فلما أصبح الله بالصباح أمرت بفتح الباب وخرجت وهى تقول كنت أريد فى هذه الساعة ابنتى ودعة حتى تكون من فوق الاسوار وأنا من خارج الباب وقد انقضت الاشغال لانها كانت تعاداني بالسحر وأنا أبادرهم بالقتال ولكن ان طال المطال فانا الآن أرسل الى جزيرة قيصر وآتى بها وان تأخرت ولم تأتنى أمرت هؤلاء القوم أن يكسروا عساكر الملك يكسوم وتكون عليهم أشيم السفرات وقد انقضت الاشغال وتمت لنا الاحوال وأفنيتا منهم الرجال ثم انها رتبت الرجال يمينا وشمالا وكانت العرب ورجال الملك يكسوم أرادوا أن يرجعوا الى البلد و يطلبوا القتال واذا بسهم النزال خرجت بينهم ونادت وطلبت المبارزة فارس لفارس أو عشرة لعشرة أو مائة لمائة أو ألف لألف أو اخرجوا الى بجمعكم وان كنتم خفتم من برازى فليخرج الى قاتل ولدى طود الاطواد لالحقه بقوم ثمود وعاد فلما سمع عنتر ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وأراد أن يبرز اليها فمنعه من ذلك ولده الغضبان وقال له يا أبتاه ومن هى هذه الملعونة حتى تبرز اليها انت بنفسك ولكن أنا أبرز اليها وآتيك بها ان شاء الله الملك العلام ثم ان الغضبان برز اليها وأشار لها برأس السنان وقال هذه الاوزان شعر

أنا الموصوف فى كل الانام * بطعن الرمح مع ضرب الحسام

أنا مردى الفوارس يوم حربى * اذا اشتبك القنا تحت القتام

ركوبى عندما تلتقى الاعادى * يشيب لهوله طفل الفطام

شربت دماء الرجال وكنت طفلا * يغذونى به قبل الفطام

وفى ذا اليوم أصدق فى كلامى * اذا جرت الدماء حول الخيام

واجعل دارك منك قفارا * خلاة لا ترى فيها كلام

وتضحى جسمكى فى الارض ملقى * طريح ودمكى على التراب سجام

﴿قال الراوى﴾ فلما أفرغ الغضبان من شعره والنظام والمقال وسمعته سهم النزال أجابته على عروض شعره تقول صلوا على طه الرسول

لقد أطمعتك نفسك بالمعالى * وقلت مقال أولاد اللئام

جهلت مواقفى فى كل أرض * وأرض العرب والبيت الحرام

ومالك بعد هذا من جواب * ولا عندى سوى ضرب الحسام

لأن الجهل فى الانسان نقص * يقود الجاهلين الى الحمام

وهذا موقف لاشك فيه * يبين الحر من نسل اللئام

و يندم من يكون العجب فيه * ويختار الرحيل عن المقام

﴿قال الراوى﴾ ثم صالت عليه فتلقاها الغضبان بفؤاد لآن وارتفعت عليهما الضجات وشخصت اليهما الاعين الناظرات وتلوت الرماح فى أيديهما مثل الحيات وأيقنوا الاثنين بالهلكات واصطدموا اصطدام الجبال الراسيات ومالت الصفوف الامن هاله قتالهما حتى كادت الاكباد تذوب عند حملاتهما فقال عنتر لعروة بن الورد والله يا أبا الابيض ما هذه الا شيطانة عظيمة الخطر ولولا ان مثلها لا يوجد فى هذا الزمان ما أقامت قدام ولدى الغضبان والله ما يفوتها من أبواب الحرب باب فقال عروة هكذا الدهر ما يبقى على حال هذا والصياح من الفريقين قد ارتفع حتى أقلب الفلا وصمت لهم الاسماع وبهتت اليهما الاعين وخفق قلب عنتر من خوفه على الغضبان من سهم النزال وجعل ينظر الى نحوهم واذا بالاثنين قد تطاعنا طعنتين الأن واحدة بطلت والاخرى عملت فاما الذى بطلت طعنة سهم النزال فانها اصطلت فى الزرد بعد أن أبطلها بفروسية الغضبان وأما طعنة الغضبان فانها وقعت فى صدرها وقد ذكرنا ما عليها من الزرد الذى كانت ورثته من عهد عاد ﴿قال الراوى﴾ فانقصف الرمح فيها ولم يعمل شيأ و بطلت الرماح وعادوا الى ضرب الصفاح التى هى أعجل لقبض الارواح فلما رأى عنتر الى ذلك أشار الى ولده الغضبان بالحملة وأشار الى العساكر أن تحمل الى نحو البلد فالتقتهم عساكر سهم النزال التى فوق الاسوار ورموهم من فوق الاسوار بالاحجار واظلمت الاقطار واسود النهار هذا والعيون تدمع والقلوب تخشع والرقاب تقطع والاسنة تشرع والموت تجزع والغضبان وسهم النزال ينتهلون من الموت جرع وحل بعسكر سهم النزال وبالها وسالت دماها من أوداجها وقد ارتفع من وسط الميدان دخان عظيم وتزلزلت الارض والاسوار بالزلازل ووقعت الرجال من المعاقل وصاحت ودعة لعروة من وسط الخيمة احمل وقل لاصحابك يطلبون باب البلد وابذل فى من فيها الصوارم ولا تفزعوا مما تنظرون ﴿قال الراوى﴾ فعندها صاح عروة وخاض العجاج فى طلب عنتر حتى أدركه فى وسط القتال وهو يبتر الرجال وقال له يا أبا الفوارس احمل بنا حتى نملك البلد كما ذكرت ودعة أى شئ تريد من هذه الطعنة ﴿قال الراوى﴾ وعروة مع عنتر فى الكلام واذا بزعقة من خلفهم مثل الرعد القاصف والقائل يقول يا عبس لا شقيت فالتفت عنتر ينظر الصياح واذا به ولده الغضبان وقد أطبق على سهم النزال عندما شتها بالبلد وضربها بالصارم المهند فوقع على صدرها انقطع الزرد وتم السيف يهوى حتى خرج من ظهرها فزعق عنتر لا شلت يداك يا ولدى ولا كان من يشناك يا حشاشة كبدى ﴿قال الراوى﴾ ثم انه حمل وطلب البلد وتبعه عروة ورجاله أصحاب الصرخات فادركوا الباب وملكوه ووضعوا السيف فى الرجال وقد انقطع عنهم رمى الاحجار من فوق الاسوار ومار أوا فى البلد أكثر من عشرة آلاف فارس من أصحاب يكسوم وبنى عبس وقد أبادوا الأبطال ونثروا الرجال ولم يزل السيف يعمل حتى فنوا أصحاب سهم النزال وصاحوا أهل البلد ايكسوم بالامان ﴿قال الراوى﴾ فعندها رفع السيف وقد صار وقت العصر وقطعت ودعة عنهم الغمام وانجلت البلد ولم يمس المساء الا والملك يكسوم على سرير ملكه فى بلاد عمان وفرحوا بنى عبس أيضا بانجاز الحال وعلموا أن ما كان فى ذلك اليوم كان من ودعة فشكروها على ذلك ثم قال عروة لعنتر يا أبا الفوارس ما غصبى من ههنا الا بشئ أعجب من ودعة ولا بد ما أتركها تسحر لنا الامير عماره وتتركه شبه الحماره ونربطه فى بعض الجنازير ويبقى أقبح من خنزير قال فضحك عنتر من كلامه ثم باتوا تلك الليلة ولما كان عند الصباح طلبوا دستورا من الملك يكسوم فى الرواح والعودة الى بلادهم فقال الملك يكسوم يعز على وحق الرب العظيم فراقكم ثم انه فتح خزائنه بين أيديهم وأعطاهم من الهدايا والاموال ما يقصر عن الوصف ويحير فيه الطرف وخرج لوداعهم وعشيرته وعساكره ذلك اليوم والثانى وسأله عنتر فى الرجوع فرجع وسارت بنى عبس طالبة ديارها وهم يتذاكرون ما جرى لهم فى هذه السفرة وعنتر شديد الشوق الى عبلة لا يصدق بالوصول ويتمنى ان يطير

الى نحو الطلول وهو مع ذلك ينشد و يقول صلوا على طه الرسول

سرى لك طيف زار من أم سالم * فاحييت به من زائر الطيف قادم
فبت قريرا العين أهوى خريدة * طويلة عظم الجيد بالمعاصم
فيالك حسنا من زيارة طيفها * و ياحسرة لو زرتني غير نائم
ضربنا رجالا صناديد فوارسا * باسيافنا فاستفرقت فى الجماجم
وسقنا جيادا الصافنات على الدجا * طوال العنق لينات الشكائم
ندور بها أرض الجزائر نبتغى * لقاء الملك نافذ الامر حاكم
له خلقة يرتاع من كان ناظرا * اليه كمثل الموت والله عالم
يد بمخلاب عظيم تخاله * لحدته زرق الرماح اللهاذم
فارديته وسط الفلاة مجندلا * وكان عظيم الامر وافى العزائم
كذا أمه سهم النزال تركتها * ينشن لها وحش الفلاة القشاعم
فوارسنا تدعى بعبس بن غالب * لهم همم عند اللقا والتلاحم
و جار حميناه فعز جنابه * فنام وما جار الذليل بنائم
علوت بنجمى السماك محله * مقام الهنا والمشترى والنعائم
علونا على الفضل الذى نحن أهله * وعلى العرب أقصاها ملوك الاعاجم

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ عنتر من شعره والنظام مازال سائرا حتى وصل الى بعد الطريق واذا هو بزوال قد أقبل عليه فتبينه واذا هو أخيه شيبوب فقال و يحك يا ابن الام ما حالك فقال له يا أخى أخبرك انه قد أتى الى البيت الحرام رجل وحط قصيدتك الى الارض وسجد الى الستة المعلقين فلما رآه الشيخ عبد المطلب و رأى فعاله قال له يا هذا أخشى عليك من صاحبها عنتر فلم يسمع كلامه قال نجد فلما سمع الغضبان ذلك اغتاظ وقال وحق ذمة العرب ما أعلقها الا فوق الجميع وان لم يسجد لها الوضيع والرفيع والا طيرت جماجم الجميع فقال عنتر يا ولدى وعلى هذا كنت معول لكن لابد لنا من الدخول الى بنى عمنا نسلم عليهم ونأخذ رأى الملك قيس فى هذا الامر ونكثر من الرجال ثم انه سار الى ان قرب الى أرض الشربة والعلم السعدى وأنفذ أخاه شيبوب يبشرهم بقدوم أخيه عنتر ولما وصل شيبوب الى بنى عبس واذا هى مختبطة فى بعضها البعض وهى بالسلاح الكامل ومن الخوف بغاية الفكر هذا وشيبوب قد وصل الى الحى وأتى فيها البشائر بوصول عنتر وأولاده وسلامته ففرح الملك قيس الى لقاء عنتر وأولاده وفرحت الاماء والعبيد والنساء والصبيان وخرجت الفقراء وطلبت من عنتر الهدايا التى جرت بها العادات اذا قدم من الغزوات ﴿قال الراوى﴾ فلما التقى الملك قيس بعنتر فترجل وترجل الملك قيس واعتنقا و بكيا من شدة الفرح وعادوا الى الخيل وعنتر يوعده بالنصر وعاد الى اخوة الملك قيس والربيع بن زياد وسلم عليهم وبعد ذلك فرق الاموال والخلع على أهلها وكان معه شئ لا يحصى وأعلم الملك قيس بزواج عروة بن الورد باخت طود الاطواد ودعة فهناه بذلك و بعد ذلك وصل كل فريق الى خيامه ووصل عنتر الى ابنة عمه عبلة وهى قد هاجت من فرحتها هذا وشيبوب قد أدى الاموال وكذلك دعد زوجة الغضبان و زوجة ميسرة وزوجة غصوب وزوجة مازن وما فيهم الا من فرح قلبه باهله وأصحابه هذا وعنتر قد أخبر الملك قيس عن الرجل الذى حط القصيدة من على البيت الحرام فقال له يا أبو الفوارس هذا الرجل عزيز المكان كثير الرجال والفرسان وله أقطاع و بلدان يقال له المستوعر بن ربيعة البارقى تخفق على رأسه البنود وتطيعه العساكر والجنود وتفزع من شدة بأسه الاطفال فى المهود ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر هذا الكلام من الملك قيس قال بل يا ملك تصفه فلعن الله است أمه الذى خلقته أيها الملك أنا لقيت ملوك اليمن فى الحرم وأسرت منهم أربعين ملكا وفتكت فيهم كما يفتك الذئب فى الغنم وعلقت قصيدتى رغما عنهم وما خشيت كثرة عددهم فكيف أبالى بكثرة هذا الوغد اللئيم والكرفى غداة غد يكون التدبير ﴿قال الراوى﴾ ثم انه نهض ونهضوا

أولاده وقد تعجبوا من كلامه وسار حتى دخل الى الابيات الذى له ومضى كل انسان الى أبياته والتقى بزوجته وفرحوا بالهدايا التى وصلت معهم هذا وعبلة صارت تقبل عنتر وتبكى من شدة شوقها اليه وما لاقت بعده وبات الملك قيس تلك الليلة أفرح الخلق بقدوم عنتر ولما كان من الغد أمر عنتر لاخيه شيبوب أن يقدم له الابجر وأنفذ الى أولاده وعروة وفرسانه فركبوا وركبت أعمامه وآل قراد جميعا وركبت اخوة الملك قيس الحارث و ورقا ونوفل وخداش و جندل وفرسان بنى عبس يريد كل واحد منهم لرأسه ألف فارس وأرسل أخيه شيبوب الى بنى غطفان ومن الغد وصلت اليه الرجال وهم ثلثمائة فارس و رحل عنتر من أرض الشربة والعلم السعدى وقد سار فى ستة آلاف فارس من كل مدرع ولابس وعنتر أوائلهم كأنه النسر الكاسر وما أبعد عن البيوت حتى لحقه الربيع بن زياد واخوته فى مائتين فارس فزعا منهم لا محبة فيه وتقدم الربيع بن زياد الى عنتر وقال له يا ابن العم بانفسنا نفديك و بأرواحنا نقيك فشكره عنتر على ذلك وسار عنتر على ذلك يطوى القفار وأوصل سير الليل بسير النهار حتى قارب مكة وقلبه على المستوعر كالجمر ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى مجئ المستوعر وحط القصيدة لما أن سمع بأسر ملوك اليمن وتعليق القصيد وكان المستوعر بطل من الابطال تهابه الفرسان وكانت خلقته كأنها خلقة الجبال وقد روى الاصمعى وأبو عبيدة أنه لم يكن فى زمن الجاهلية أعظم خلقة منه ولم يكن فى عرب العرباء السادات والاقران أفرس منه فى الميدان وكان قد اتخذ له هجنا يحاويه وعودها على المجال وكان اذا التقى خصمه و جال عليه وضايقه وفتح يده ليضربه يبرك الهجين مع الضربة فتقع الضربة من يده هذا الجبار مع قوة برك الهجين فلو وقعت على جبل لقطعته أو صخر لصدعته وما ضرب قط فارس الا وقطعه وكان قد أذل العرب وأخذ الجزية من ذوى الرتب والابطال تفزع عنه وتتقى شره والابطال تحذر منه فتهاديه ولما وصل اليه حديث عنتر وتعليقه القصيد وأسره للملوك الصناديد نال قلبه نخوة الرجال ونادى يا للعرب ان هذا أعظم ما يكون من المصائب والنوائب اذا كان عبد من عبيد الزنا قد أذل الابطال الاماجد فاى حياة بعد هذا تطيب ومن يصبره غل البغضة والشنار وأى عار يكون أعظم من هذا العار وأنا وحق الاله والاصنام لاسير الى مكة واحط قصيدته عن البيت الحرام وأقيم هناك الى أن يصل الخبر اليه والى بنى عبس وأجعلهم كامس مضى ماله عودة أبدا ولا أترك منهم من يخبر بخبر حتى تعلم الملوك انى ملك الزمان وسيد بنى قحطان ﴿قال الراوى﴾ ثم امر عبيده أن تركب النجب وتتفرق فى قبائل العرب من بنى قحطان وتنفر الابطال والشجعان فبعد أيام وصلت الى المستوعر خيل بعد خيل وكل من أتى اليه يرحب به و يكرمه ويخبره بما عول عليه فيزيد فرحه ﴿قال الراوى﴾ ومازال كذلك الى أن اكتمل عنده خمسون ألف عنان و يقولوا له يا ملك ان لنا عند عنتر تارات قديمة ثم انه رحل بهم الملك المستوعر يطلب مكة والبيت الحرام وهم غائصين فى الحديد لا يبان منهم غير جفون الحدق وكلهم بالدروع والجواشن والخيول الضوامر والرماح الذوابل و بين أيديهم المستوعر بن ربيعة البارقى كأنه الفيل العظيم وهو فى سرجه كأنه عامود حديد وعليه زرد نضيد وهو كأنه برج مشيد وأقدامه تخط فى الارض من طول قامته وهو يزف الرجال زفا و يحثها حثا وصدره يغلى على عنتر فانشد وجعل يقول صلوا على سيدنا محمد الرسول المرسول من شدت اليه الحمول

تقيم الرجال الاغنياء بارضهم * شربت بكاس فى السنين الخواليا
ولو انى أشاء نقمت منه * اذا ما بدا الحسين بالبنا واليا
ونحن سفحنا آل عبس لدى الوغا * بابيض حداد ثم سمر عواليا
حللت لهم والخيل تبغى قتالنا * بانى أرد الخيل تعلو الدواهيا
وقلت وقد كان القول منى صادقا * وفرقتها فى كل شعب وواديا
وسمر القنا كرها يهيج نحيبهم * و بيض المواضى فى رؤس الاعاديا
سمعت الى العلياء بالسمر والقنا * و بالمشرفى العضب بان فعاليا
ألم تعلموا أن الاسنة أجزرت * جلابيبها والطعن للقوم فانيا

فما وجدنا في القتال أذلة * بل بل وجدنا أسد غاب ضواريا
فقولوا لمن يداري في الدهر حاله * أرى الدهر لا ينجو من الموت ناجيا

﴿قال الراوي﴾ ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى مكة المشرفة شرفها الله تعالى ونزلوا بظاهرها كل قوم لهم محل معروف من قديم الزمان وهذه سنة العرب الى يومنا هذا ولما نزل المستوعر في ظاهر الحرم تقدمت خواص قومه وسادات عشيرته جماعة وساروا طالبا زيارة عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يجلس على كرسي له تحت ميزاب الذهب والقصائد معلقة على البيت الحرام فوق رأسه واذا بزعقة للذي بين يديه وهو خلفهم في سادات قومه وكبراء عشيرته وهو راكب على جواد شديد كان قوائمه عواميد حديد والمستوعر فوقه ورجلاه تخط في الارض من عظم جثته وطول قامته ولم يزل سائرا الى ان وصل الى الشيخ عبد المطلب ووقف بين يديه وكانت سنة العرب اذا وصلوا الى الحرم وأشرفوا على البيت الحرام ونظروا الى القصائد المعلقة يسجدوا لها ويطوفوا بالبيت سبعا ثم يعودوا ويسلموا على الشيخ عبد المطلب ولما وصل المستوعر الى عند الشيخ عبد المطلب سلم عليه وقبل يديه فرد عليه السلام وقد حار من طول قامته ولما بداه بالسلام ما طاف بالبيت سبعا ولا سجد للقصائد فقال له الشيخ عبد المطلب مالي أراك قد عدلت عن سنة العرب وابناء الملوك من ذوي الرتب وتركت طوافك للبيت الحرام وتسجد للاصنام ولا تسجد للقصائد فقال المستوعر أيها السيد أنفت أن أسجد لقصيدة عبد زنيم يريد أن يذل بها الملوك الاقيال والسادات والابطال فقال الشيخ عبد المطلب أيها الملك اعلم ان عنتر قد اجتمعت عليه في هذا المكان سائر الملوك والفرسان من سائر الاقطار وكانوا بعدد موجات البحار ومنعوه من تعليق القصيد عن البيت الحرام فقال لهم يا سادات العرب وأصحاب الرتب أنتم ملوك وفرسان وأبطال وشجعان تدعون الحسب والنسب وكثرة المال من الفضة والذهب وما فيكم الا من هو من الملوك وأنا كما زعمتم فقير وصعلوك وقد منعتموني أن أعلق قصيدتي على البيت الحرام وأنا لابد لي من تعليقها ولا يقدر يردني عن ذلك الا من يقهرني في الميدان ومحل الضرب والطعان فان طلبتم الانصاف فهو من شيم الكرام فابرزوا فارسا بعد فارس وان شئتم ابرزوا الي بأجمعكم فانا ألقاكم وألقى جموعكم واقلب بغيكم عليكم ﴿قال الراوي﴾ فلما سمعت العرب كلامه انتخت وركبت الفرسان وبارزته الملوك والشجعان فنكس الفرسان وأذل الاقران وأسر الملوك وأسر في يوم واحد أربعين ملكا وعفى عنهم وعن دماهم ولو أراد ضرب رقابهم لفعل ولكنه لما رأوا أنفسهم تحت الاذلال أقروا له بالاذعان فاطلقهم وخلع عليهم بعد ما رغم آنافهم واشهر سيفه وأغمد أسيافهم ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع المستوعر كلام الشيخ عبد المطلب حار في أمره واندهش وأغمي عليه مما دخل على قلبه من الغيظ ساعة ﴿قال الراوي﴾ فلما أفاق زعق زعقة ارتجت لها البطاح ونادى يا للعرب لقد حار رأيكم وهتك أستاركم يا ويلكم أيكون ابن ربيعة يقهر ملوك الزمان وابطال العرب وحق البيت المؤيد وحق الاركان والحجر الاسود لا برحت من هذا المكان حتى أحط القصيد وأقتل عنتر وضع أسر الملوك وآخذ رأسه على سنان رمحي وأشهره بين القبائل حتى يعلموا اني ما رضيت ما رضيوا به وأزلت عنهم العار وأخذت لهم بالثار ﴿قال الراوي﴾ ثم أمر عبيده أن تحط القصيدة التي لعنتر عن البيت الحرام فحطوها واستلمها عبد المطلب وبعد ذلك سجد الملك المستوعر للقصائد الستة وقال له الشيخ عبد المطلب أنت أيها الملك قد حطيت القصيدة وتجرأت على عنتر الذي قد قهر الملوك وأذل كل غني وصعلوك فلا بد انه يسمع ذلك الخبر فيأتي اليك ويردها الى مكانها وكانك أنت ما فعلت شيء فقال المستوعر وكاني ما أبرح من ههنا ولو بقيت عشر سنين حتى يجي صاحبها من بني عبس واصرم عمره وأكفي الناس شره وان كان ما يأتي وقد سمع بفعالي وخاف مني فانا أسير اليه الى ديار بني عبس وأقلع آثارهم وأبيد عمارتهم وآخذ راسه وأخمد أنفاسه وأعود فقال له الشيخ عبد المطلب هذه فعال الملوك والسادات الاقيال وأراد الشيخ عبد المطلب بهذه الاقوال مسكه حتى يأتي عنتر ويهلكه وكتب من وقته كتاب الى الملك قيس يعلمه بما جرى من أوله الى آخره واعلمه انه في خلق عظيم وهو من ملوك قحطان وفرسانها فكاتبوا حلفاءكم وفرسانكم وأنفذوا خلف عنتر الى بلاد اليمن اعله أن يتقدم ويصرم

عمر هذا الجبار ﴿قال الراوي﴾ وكان عبد المطلب قد علم ما جرى لعنتر مع الملك كسوم على حصن العقاب وعلى وعلى عمان وكيف قتل طود الاطواد وكيف دخل جزيرة قيمرو وبعد ذلك انقطع خبره عنه ولم يعلم ما كان منه وأخذ العبد الكتاب وسار الى أن وصل الى الملك قيس وأتى شيبوب الى الحلة وأخبر وهم كما تقدم واعلم أخيه عنتر والفرسان كما ذكرنا عن كتاب عبد المطلب وكيف المستوعر حط القصيد فلما سمع عنتر أنفذ الجميع كما قدمنا وسار بهم وهم ستة آلاف فارس يريد أن يلتقي بهم المستوعر ﴿قال الراوي﴾ ولم يزل سائرا الى أن وصل الى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وبان غباره وارتفع وتزوبع وبان من تحته برق صفاحهم ولمعان أسنة رماحهم وكان عنتر في أوائلهم وأولاده الثلاثة من حوله وأخوه مازن وعروة بين يديه فعندها ركب الشيخ عبد المطلب وسادات بني هاشم وكبار مكة والتقوا عنتر وبني عبس ﴿قال الراوي﴾ ولما أبصر عنتر لعبد المطلب ترجل له وغدا اليه وقبل يديه ورجليه فدعا له عبد المطلب ورده الى سرجه وشكره ومازحه وسأله عنتر عن الذي حط قصيدته وقال ومن هو الذي تهجم على انزال قصيدتي من الملوك حتى ارغم أنفه فقال له الشيخ عبد المطلب يا حامية عبس حطها رجل يقال له المستوعر بن ربيعة البارقي وهو رجل جبار وقد آلى على نفسه انه ما يبرح من بيت الله الحرام حتى تلتقي أنت واياه فقال عنتر سوف ترى ما يسرك وحق الاله القديم الذي أنار النهار وأظهر الفلك الدوار الذي ذل له كل بطل قهار لا بد ما أقطع بهذا السيف منه الحلقوم والا ما أكون عنتر بن شداد ثم سار حتى وصل الى وادي الحرم ونزلت قبيلته فيه وهو منزلهم المعروف بطول الزمان بعد ما طافوا بالبيت الحرام وسجدوا للقصائد وعادوا الى الخيام وأخذوا الراحة للمنام ﴿قال الراوي﴾ ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابي والبطاح وسلمت على سيدنا محمد زين الملاح صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما طلع نجم في السماء ولاح وقد جلس الشيخ عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم على دكة الحكم وتقدمت اليه الملوك من كل جانب ومكان الى أن امتلات البطاح يمينا وشمال وما فيهم الا من طاف وسجد ولم تزل الخلق يهرعون اليه حتى ضاق بهم المكان وأتى المستوعر في سادات قومه وأبطاله وعشيرته وقد أقلبوا الارض من الصياح فسأل الشيخ عبد المطلب عن ذلك فقالوا له يا سيد الحرم هذا الملك المستوعر قد أقبل اليك فلما سمع الملوك والابطال ذكره نهضوا والتقوه ومشوا الى ان أقعدوه بجنب الشيخ عبد المطلب بعد ان طاف بالبيت سبعا وسجد للقصائد الستة وما استقر به القرار وأخذ في الحديث مع الابطال واذا بزعقة قد ارتفعت وضجة قد علت والرجال قد انقلبت وأقبلت يدق بعضها بعض فقال الشيخ عبد المطلب والمستوعر ما هذا الصياح فقالوا أيها السيد قد أتى عنتر الفارس الغضنفر (قال الراوي) فضحك المستوعر من كلامهم وقال اذا كان هذا الخوف من نظره فكيف يكون عند قتاله وقال في نفسه ما هذا الا أمر عظيم ووصل عنتر الى دكة القضاء وبني عمه وراءه فوقف بالابطح كانه الجبل والموت يلوح من بين عينيه ونادى بصوته المعروف يا أرباب المناصب من ذوي الرتب من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني أنا أعرفه بنفسي أنا عنتر بن شداد حاوي قصب الرهان ومذل الشجعان ومنزل الملوك من على مراتبها ومنكس الابطال في مواكبها ومقامي في هذه البلد معروف وقد أسرت فيها أربعين ملك وعلقت قصيدتي على رغم الانوف وصنعت بهم أقبح صنيع وما فيكم الا من يعرف نماني وما أحد منكم الا فجعته في عمه وأباه وأخاه وأولاده وها أنتم حضور وهذا الذي يقال له المستوعر قد تعدى على وحط قصيدتي وأنا غائب وما هذه فعال الملوك السادات وقد أتيت أقابله على ما صنع وأجرعه الموت جرع وأعيد القصيدة الى مكانها على رغم أنفه وحق اللات والعزى ما أضعها الا في أول القصائد ومن منعني أرغمت أنفه وطيرت قحفه وان كنت يا مستوعر تمنعني وتكون لي معاند فدونك والميدان ومحل الضرب والطعان حتى ألبسك حلة من الارجوان وأهلك من جمعته الي في هذا المكان واتركك عبرة في البيت الحرام هذا والمستوعر قد انقلبت أحداقه وما صدق أن يسمع من عنتر ذلك الكلام حتى ثار كانه من بعض العمار وزعق في عبيده وبني عمه وأقاربه والعرب التي جمعها من سائر الاقطار والامصار ولبس الحديد وتسربل بالزرد النضيد وترك على رأسه بيضة عادية ململمة

مجلية وتقلد بصفيحة هندية ومعتقل بقناة خطية عليها سنان يدني المنية وركب نجيب من النجب الجاوية يسبق غزلان البرية لا يدرك الريح قوائمه وهو أبيض اللون كأنه الصباح اذا انفجر أو القمر اذا بدر يبلغ بصاحبه الغرض ان حبسته انحبس وان أطلقته انطلق كما قيل في المعنى شعر

نجيب كالصباح له بهاء * مليح القد وضاح المحيا
اذا ما جال فارسه عليه * ينال بجريه فلك الثريا

﴿قال الراوي﴾ وركبت لركوبه ملوك العرب وفرسانها وأبطالها ودارت حواليه من سائر الاقطار ونشرت على رأسه الرايات ودارت به من جميع الجهات وقد غاصوا في السلاح واعتقلوا بالرماح وتقلدوا بالصفاح وركبوا الخيول العربية الوقاح الذي تسبق البرق والرياح وترتبوا ميمنة وميسرة وقلب وجناحين ووقف الملك المستوعر تحت الرايات والاعلام ودارت به الرجال وأما عنتر فانه نادى في بني عمه وفرسانه وشجعانه وداروا به أولاده كأنهم السباع الضارية وكل واحد منهم يدل رأسه ألف من الاقران وكذلك عروة بن الورد وفرسانه داروا بعنتر وهم غائصون في الحديد وعنتر في أوائلهم الى أن قابلوا عساكر المستوعر ولما تعدلت الصفوف برز عنتر الى الميدان وطلب القتال بعدما أرادت فرسان بني عبس ان تحمل فردها وتقدموا أولاده بين يديه يطلبون معاونته فقال لا وحق اللات والعزى ما يشفي غليلي غير يدي ولعل يبرز هذا الوغد حتى أعجل حمامه وقد صال عنتر وجال حتى حارت منه الفرسان ورمقته العرب بالعيون وخابت فيها الظنون وهم الملك المستوعر بن ربيعة البارقي أن يبرز اليه وقد هانت المنية عليه ﴿قال الراوي﴾ فتقدم له فارس من بني بارق يقال له الماكال بن ماجد وكان فارس جبار لا يصطلى له بنار وكانت فرسان اليمن تلقبه بشجيع الابطال وطارقة الليل والنهار وقد شرد العربان عن المناهل والانهار وأخذ جزية الملوك من سائر الفرسان في الاقطار وصارت الملوك تخافه وتهاديه فتقدم الى المستوعر وقال له أيها الملك اتركني لهذا العبد الزنيم حتى انني أتركه قتيل أو آتيك به ذليل ولا يكون هذا العبد يقاتل مثلك ملك جليل ﴿قال الراوي﴾ وكان المستوعر لما أن أذن له حمل على عنتر وظن أن كل الامور ترجع ثم انه خرج الى بين الصفين وطلب البراز من عنتر بن شداد فعندما سمع الامير عنتر كلامه قفز فصار قدامه ثم انه قال له ويلك يا ردي الاصل ما كفاك ما عليك من الدما والثارات حتى تطلب الى أصحاب القصائد المعلقات وهل يشبه الولد الزنا الى السادات واليوم آخذ ثاري واكشف عني عاري فقال له عنتر لا خير فيما ذكرت لانك لئيم غير كريم والدليل على ذلك اني أطلقت قبل هذه الايام سبيلك بعد أسرك وافتضاحك وعدت اليوم تطلب قتالي وحربي ونزالي وما أنت من أشكالي ﴿قال الاصمعي﴾ وكان عنتر أسره سابقا لما أراد أن يعلق قصيدته وأطلقه وما زال في قلبه حرارة الى ذلك اليوم ﴿قال الراوي﴾ ثم ان عنتر طلبه وفاجاه وطعنه بعقب الرمح أرداه عن جواده فادركه شيبوب وكتفه واستحسنت فرسان بني قحطان فعاله فانصفته في برازه حتى لا تعايرها فرسان بني عدنان بقلة الانصاف وخرج اليه فارس موصوف بالشجاعة يقال له طارقة بن ناجح النهاش الملقب بعفريت السواحل وكان عنتر قد أسره في بلاد اليمن لما ان دخل اليها وقت غضب النعمان عليهم وقد ذكرنا برازه في جبل الدخان فخرج اليه ذلك اليوم وحمل على عنتر ولما قاربه بانت الشجاعة على عطفيه فقال له عنتر من تكون يا غلام من فرسان اليمن فقال له أنا طارقة الملقب بعفريت السواحل المسمى بنباح بن النهاش وها قد خرجت اليك أستوفي منك ديني وأقر بقتلك عيني فقال له عنتر كذبت والله آمالك ثم حمل عليه والتقى عنتر الغلام فرآه نار الا انطفأ فقدم الغلام على خر وجه اليه وقد طول عنتر روحه وحاوله فرأى عنتر منه التقصير وعرف ذلك منه معرفة خبير هذا والمستوعر قد تفتت كبده فجاهده مجاهدة الاسد وطعنه بعقب الرمح أرماه عن جواده فادركه شيبوب وشده وثاق وكان شيبوب كل ما يكتف فارس يقول له يا ويلك اما سمعت بقال أخي عنتر أما نهاك عن قتاله وقد سرتم أسراته وبعد ذلك يسوقه قدامه ﴿قال الراوي﴾ ثم ان عنتر طلب الحرب والبراز وسأل الانجاز ونادى يا قحطان احملوا الي بجمعكم والا ابرزوا في مقام الطعان هذا والمستوعر قد تفتت جسده وذاب كبده وكل

ما أراد أن يبرز الى عنتر تكبر نفسه عليه أن يبرز اليه فما يمكنه قومه ويسبقه فارس بعد فارس ولما رأى الامر قد طال ترجل وركب بعد هجنه وأراد الخروج الى عنتر فتقدم اليه المتغطرس بن ربيعة الحميري وكان من الفرسان المخبوره والابطال المشهوره يلاقي ألف فارس في الميدان وكان حامية بني حمير وليثها القسور وكان خال سبيع بن الحارث واليه ينتسب في الفروسية ﴿قال الراوي﴾ وان المتغطرس تقدم الى المستوعر وقال له أيها الملك أنا أكفيك شره ومؤنة هذا الشيطان وأبيد كل من معه من الفرسان ولا تلبس أنت ثوب العار ببرازه فانا له ولغيره ﴿قال الراوي﴾ ففرح المستوعر بذلك وخرج المتغطرس على جواد أشقر كأنه موج البحر اذا زخر وفي يده حسام أبتر وعليه زردية لا تدخل فيها الابر وعلى رأسه تاج يحير فيه النظر وهو برمح أسمر وحمل على عنتر كما ذكرنا وكان فارسا شجاع كما قدمنا غير انه بخيل الطبع يأكل الزاد وحده ويظلم عبده ويمنع رفيقه وهو كثير الغدر ماله ذمام لانه خال الحارث الخائن لنا كث وقد صاحبه مراد وتعلم من غدره ومكره وحمل على عنتر حتى قاربه فقال له عنتر من تكون من الفرسان فقال له أنا خال سبيع بن الحارث فارس الاقطار ومشبع الوحوش والاطيار واليوم آخذ منك بالثار وأخليك مطروح في القفار ﴿قال الراوي﴾ ثم حملا على بعضهما بعض وكانوا تارة ميمنة وتارة ميسرة والحرب بينهما كالنار المسعره والطوائف وقد تعجبت من ذلك وأهل اليمن قد أملوا النصر على يد المتغطرس والمستوعر يقول ما يكون النصر الا للمتغطرس لانه أصبر وأخبر بالحرب هذا والفارسان في طلب اتلاف الارواح وقد زاد الصياح من كل جانب وفي تلك الساعة بان لعنتر منه التقصير وعرف ذلك منه معرفة خبير فتمطا في كعوب الرمح وطعنه في صدره أطلع نصف الرمح من ظهره وتركه معتدلا في سرجه ولما نظر المستوعر الى هذه الطعنة انذعر وتفتت فؤاده وتخبل وكذلك فرسان قحطان وما زالت الابطال تتبادر اليه وعنتر يقتل ويأسر حتى قرب نصف النهار وأحس من فرسه بالتقصير فعاد لبني عبس ونزل عنه وركب مهره كوكب بن الجره سكاب وقد وصفنا ما قال فيه من قوة الاعصاب وأخذ بيده رمح معتدل القوام والكعوب وتقدم ولده الغضبان وكذلك غصوب وعروة والمطال والربيع بن زياد وأخيه عمارة وقالوا له يا أبا الفوارس قد تعبت وشقيت فخذ أنت لراحة الى غد فقال والله لا يبارزهم أحد غيري الا أن يحملون على بهذا الجمع فدونكم واياهم حتى لا أكون ضيعت نخوة الشجعان ويقولون عاونته الفرسان حتى وصل الى تعليق القصيدة وما أريد أترك لاحد علي كلام وأنا ما بيني وبين هؤلاء الملك فرسانهم الاشي يسير وكل ما برز فارس منهم أقطع رقبته على مقدار ما يلفظ ولما بروا ذلك برقبته يكونوا قد ذلوا واضمحلوا ويخرج هذا القرنان المستوعر أقطع رقبته فينفصل الحال فتركوه وعاد عنتر الى بين الصفين ورمقته الفريقين وصال وجال وطلب البراز وسأل الانجاز ثم انه ترنم وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

الا سادات الابطال من آل بارق * بلوغ الاماني من شفار البواتر
تهيؤا الى طعن القنا من يد عنتر * على كل جواد من الخيل ضامر
أنا فالق الهامات تحت مجالها * ومشهور في الامور الكبائر
أنا عنتر العبسي ذو الباس والندا * أقول مقال الطيبين العناصر
ولا أشتهي يوم الوغا غير سيد * يشاهد فعلي عند ضرب البواتر
فدونك يا مستوعر اليوم همتي * وحربي يا ابن العاهرات الفواجر
ولا بد لي مما أخليك ثاويا * وتبقى حديثا بين باد وحاضر
ويبقى حديثي بعد مرقي مؤرخا * الى أن يريد الله مبلي السرائر

ثم نادى بعد شعره معاشر القبائل كل من له على ثار يطلب منازل العز والفخار يبرز الى محل الاخطار لاخمد أنفاسه بهذا السيف البتار هذا والفرسان ترمقه بحذر وتنظره شذرا وكانوا كل ما هموا أن يحملوا عليهم يمنعهم ويخوفهم من العار وما جرى عليه مزق أطواقه ﴿قال الراوي﴾ ثم نادى أين السادات وأصحاب الغزوات

فما تم كلامه حتى قدمت أبطالهم وشجعانهم وفى أوائلهم عتبة بن شهاب اليربوعى وكانت العرب تعده بألف فارس فى الميدان وكان عنتر قد تلقاه فى أول منشاه وقهره وقد أسر لحاتم طى وزوجته مارية بنت قابض الظفيرى ومن معه من الفرسان وأطلقهم عنتر من يديه وخلع عليهم لانه طلب الاقالة من قتاله ولما نظر ذلك اليوم توقيف الرجال عن عنتر اشتهى أن يجرب روحه معه فى المجال وينظر ان كان تغيرت أحواله أو زادت فخرج حتى قاربه وناداه عنتر دونك والقتال ليبان لك مقاومة الابطال فاجابه شهاب اليربوعى وقال يا أبا الفوارس ان ظفرت بك مننت عليك بروحك وان أبصرت منك الغلبة قريت لك بالعجز واعترفت ولا ينكر الفضل الا كل لئيم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر كلامه أخذته الشفقة عليه وتمنى أن يصل اليه حتى يمن بروحه عليه فقال له عنتر من أنت من الفرسان والى من تنتسب من العربان فقال له ياسيد الفرسان أنا عتبة بن شهاب اليربوعى الذى لقيتنى وأطلقت من يدى حاتم طى وزوجته مارية وعطاف ومننت على بروحى وخلعت على وكان أبى قد أوصانى بذلك وقال لى اذا بليت بقتال عنتر فاطلب الاقالة منه ففعلت الذى أمرنى به ورأيت رأيه سديدا فقال له عنتر ولاى شئ عدت الى قتالى وقد شاهدت فى الحرب فعالى فقال ياحامى عبس ما خرجت اليك فى زى عدو ولكن فى زى صديق لانى لما رأيت قتالك اشتهيت ان أجرب روحى معك وأعود شاكرا وأشهر محاسنك فى سائر القبائل والعشائر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر كلامه أجابه الى ما طلب وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه ويطاوله وزادت أحوال عنتر وعجائبه وحار عتبة وانبهر فى فروسيته وقال والله ان فروسيته طائلة وبده فى الشجاعة فاصلة ﴿قال الراوى﴾ ثم انهما اصطرخا صرختين كان السماء والارض انطبقتا على بعضهما بعض من شدة القتال والركض وتمنى كل واحد منهما أن يكون هو الغالب واسودت المشارق والمغارب وصار كل واحد منهما يطلب صاحبه وقد حار عتبة من عنتر ورأى منه ما يحير الفكر وقد خابت ظنونه لان عتبة كل ما فتح بابا من الحرب سده عليه وأيقن انه يصير فى يديه وأبصر عنتر فارسا لا يطاق فطاوله وجاوله ولو أراد قتله لقتله ولكن عفى عنه لاجل ما ذكر وهجم عليه عنتر وسل سيفه وضرب رمحه أبراه وأثنى عليه بضربة ثانية صفحا كاد أن يطير أعلاه هذا وعتبة قد نظر ما أهاله فترجل عن جواده ورمى سلاحه وطلب عنتر وهو يقول يالك من فارس مكين فانت ليث الفرسان وصاحب الكرم الصادق والضرب الخارق والطعن الماحق وأنت فارس الفرسان وحاوى قصب الرهان أطيب العرب محتدا وأثبتها جلادا صاحب الكرم والنصر ومعدن السادات والفخر مالك مبذول وصارمك مسلول ودم عدوك مطلول ثم انه أشار ينشد ويقول صلوا على سيدنا محمد الرسول

مازال دمعى غزيرا عند فرقتكم * سحابا دمعها سيما من الدرز
وقلت للعين لما جادوا بابها * ماشجانى من الاحزان والسهر
كانه سحابا ماطرا أمطرعلى كبدى * فانها كبد حرا لم تنكر *
أيقنت لما بلانى الدهر واتصلت * لى الخطوب واوها الدهر مصطبر
يا ابن شداد حامى الجمع كلهم * فكن غياثى وكن عونى وكن ذخر
أراحنى الدهر من هم ومن ضرر * بعنتر ذى العلا والبأس والخطر

﴿قال الراوى﴾ لهذا الحديث والنظام ونحن نصلى على البدر التمام فلما سمع عنتر بن شداد كلامه وشعره ونظامه فقال عنتر والله يا عتبة مثلك قليل فى هذا الزمان وبك تفتخر الشجعان والاقران وأنت فريد عصرك فى هذا الزمان فيكل لسانى عن وصفك قصير لانك نتيجة ذلك الشيخ النحرير الذى هو بجميع فرسان الاقطار خبير سيد بنى يربوع الذى تخافه كثرة الجموع وكان هذا شهاب اليربوعى رجل كبير الاسم فى العرب تخافه الملوك من ذوى الرتب وكان أيضا من المعمرين يقارب دريد بن الصمه وقال أسيرالى

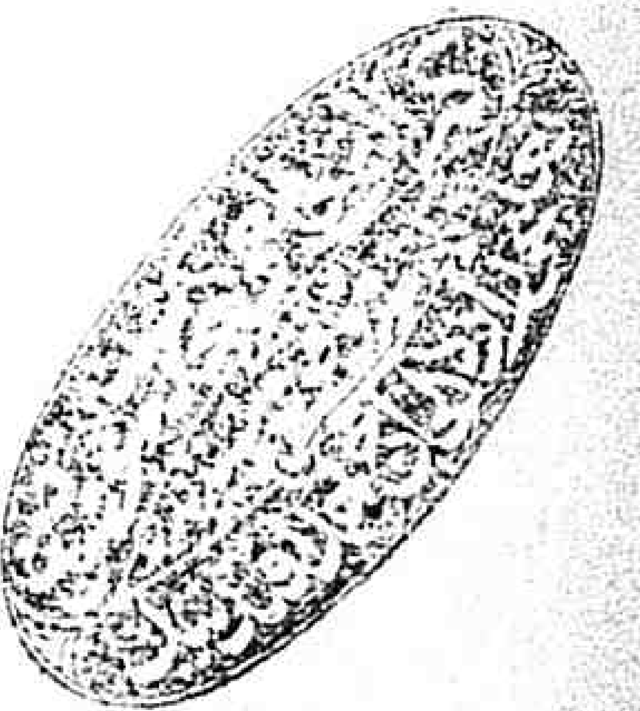
المستوعر وأنصحه فلما وصل اليه قال له أيها السيد الجليل الرأى عندى أن تصالح عنترة ذا الباع الطويل وتدخل تحت ما يريد من تعليق القصيد ولا تحمل نفسك ما لا تطيق لان عنتر شيطان مريد وان كنت ما تسمع مشورتى والا فاعلم أيها السيد انه يملك فرسان قحطان ويلتقطهم كما يلتقط الحب الغربان وبعد ذلك تحتاج تبرز اليه بين الفرسان وما تكون معه على أمان وأنا ورب هذا البيت خائف عليك فزعان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع المستوعر كلام عتبة قال له يا عتبة أى شئ هذا القول وقد استصغرت شانى وأنت أعرف بمكانى وحق ذمة العرب لابد لى ما أقلع شافته وأبيد غبارته وأفنى عشيرته هذا كله يجرى من القول وعنتر يصول ويجول وينشد ويقول صلوا على سيدنا محمد الرسول المرسول من شدت اليه الحمول

أبرزوا الى ضرب الصوارمى * والطعن بالسمرى الهادم * وتيقنوا أن المنية قدرت
تحت الاسنة والصوارم * لم يبق ذو سن صغير * ولا كبير السن هارم
ياعبل لو نظرت عيناكى * الى الخيل تعترف الجماجم * وأنا كليث الغاب كالدان
افترس العدا مثل القشاعم * والخيل تقتحم العجاج * بين الاسنة والصوارم
وأنا الامير أبو الفوارس * عنتر أوفى العزايم * واذا رأيت مهندى
ناديت يا ابن الاكارم * فى يوم معترك القنا * لم يلقى أبدا مقاوم

ولما فرغ عنتر من شعره طلب البراز وسأل الانجاز ونادى هل من مبارز هل من مناجز احملوا على جمعكم يا سادات القبائل ودعوا الباطل فلما سمعت الفرسان هذا المقال قالوا يالك من عبد ما أبلغك فى الفصاحة والله العظيم لو ان أمك عربية لافتخرت على سائر البرية ولكن اسم العبودية رديه ولما طال بعنتر المطال وأبصر الابطال تنظر اليه والصفوف لا تجسر تخرج اليه اعتدل على جواده فى الحال وحمل طالب الميمنة فقتل ستة فوارس أبطال وعاد الى الميسرة فقتل مثل ذلك المقدار ونكس رايات بنى قحطان وطلب القلب فحارت من فعاله العربان ولم تمكن الا ساعة حتى حارت الفرسان ونكس رايات المستوعر وتقهقرت الى ورائهم ثم تنحت الشجعان وحامت أبطال بنى قحطان فردها المستوعر عن الحملة خوفا من العار انه يقال انه حمل على رجل واحد خمسون ألف فارس ثم ضمن لاصحابه هلاك عنتر فى غد ودعى ألبس العار وعاد عنتر بعد ما قتل عشرين فارسا من بنى تميم وكان الوقت قد ضاق وأمسى المسا وعنتر ما مضى عليه ذلك اليوم حتى أسر سبعين فارسا وقتل مائة وعشرين سوى من انجرح وانهزم وعاد وهو مثل شقيقة الارجوان فالتقوه أولاده وعروة والربيع بن زياد وعمارة وهم يتمنون أكل لحمه وشرب دمه ويهنوه بالسلامة وبشروه بالنصر فشكرهم عنتر على ذلك وقال له الربيع يا ابن العم لا زلت فى العلو والارتقا وما دام الصبح مشرقا والغصن مانع مورقا فلقد أشفيت الغليل ﴿قال الراوى﴾ فشكره عنتر على كلامه وهنوه أولاد الملك زهير بالسلامة والنصر وقال الحارث يا أبا الفوارس اعلم ان ما بقى عسك العرب عن الهزيمة الا المستوعر فان قتل أو أسر غسلك عليهم الطريق فقال له عنتر صدقت فيما ذكرت وأنا فى غداة غد ادعوه الى البراز فان خرج الى فهو المطلوب والا حملت أنا عليه وطلبت الاعلام وأحوجته يخرج الى قتالى اذا أبصر فى نفسه الهوان فان حملت على بنى قحطان فاحملوا أنتم من خلفى فهى تكون وقعة الانفصال فقال بنو عبس وأولاده هذا هو الصواب وفرح الغضبان بذلك وأعجبه هذا الكلام لانه كان يريد أن يريح أبيه عنتر من القتال وعنتر لا يكلفه ذلك شفقة منه عليه وعادت بنى عبس الى وادى الحرم ونزلوا بعد ما سار عنتر الى خدمة الشيخ عبد المطلب فهناه عبد المطلب بالنصر والسلامة وقال له يا أبا الفوارس افعل بهم غدا مثل ما فعلت فى هذا اليوم وقد هان أمر القوم فقال عنتر أى وأبيك يا مولاى ثم رتب الحرس على أولاده وأقام تلك الليلة واستراح ولما كان عند الصباح ركب عنتر وأولاده وبنى عمه وكذلك ركبت بنى قحطان وفرسانها والملك المستوعر فى أوائلهم كانه البرج المشيد وهو مسربل بالحديد وكان قد عزم على قتال عنتر وقال لرجاله ما بقى لى قعود عن قتال هذا العبد الولد الزنا ودع العار يلومنا الان ما بقى له

فارس يلقاه غيري ونحن كل يوم في نقصان وهم في زيادة ولابد لي من الخروج اليه فقالوا له أكبر قومه وقد خافوا عليه من عنتر وحق ذمة العرب وشهر رجب انه فارس لا يطاق ولا يقاومه فارس عند ضرب الحسام وماتم بينهم هذا الكلام حتى ضجت القبائل والجنود فبرز اليه فارس مثل العقاب وأخذ معه في الطعان والضراب ولكن ما أقام الا القليل وأخذه عنتر أسير ومازال على مثل ذلك حتى قتل عشرين فارس وأخذ ثلاثين أسير فزاد الحنق بالملك المستوعر وقال لقومه لا تمكنوا أحدا يخرج اليه فقلبي عليه قد امتلا غيظا ولا يعرف حرارة النار الا من اصطلاها ومابقي يحلها أحد غيري الا أنا فلا يلومني لائم ولا يعتب علي عاتب فاذا قتلت عنتر والغضبان فقد سهل الامر وهان ومافي القبائل من نام الا وهو ينتظر الصباح حتى يتفرج على المستوعر وعنتر في الكفاح (قال الراوي) ولما طلع عليهم الصباح تبادرت الابطال على الجرد القداح واعتدوا بالسيوف والرماح واصطفت رجالها وطابت الاهبة لقتالها وركب عنتر بن شداد وبني عبس الاجواد ومن يلوذ بهم من أهل الفروسية والسداد وفي أيديهم الرماح المداد والسيوف الحداد وكان الغضبان ينادي باخيه غصوب يا أخي دونك وهؤلاء الاوغاد حتى نتحمل عن أبينا الامور الشداد ولما تمددت الصفوف وترتبت الالوف برز عنتر بن شداد لاجل ما في قلبه من الاحقاد لانه علم ان القبائل ماتدخل تحت أمره مثل ما يريد وتصير له أطوع من العبيد الا ان يقتل المستوعر أو يأسره فبرز الى بين الصفين وصال وجال يمينا وشمال ونادى يا آل قحطان الي كم هذا المطال دونكم واياي في القتال (قال الراوي) فلما سمعت بنو قحطان ذلك فما أمهلت دون ان حملت باجمعها وكان المستوعر في مقدمتهم وقد اتصل الضرب والطعن وقد لاقوهم بنو عبس بضرب مثل الصواعق ولما دام ذلك قتل القوي من بني قحطان والخيل تنافرت نفور القطا واستوى عندها الصواب والخطا وانكشف الستر والغطا وانقلبت جبال البيت الحرام وأخرست الاصوات والاسماع من وقع السلاح وتقعقع الرايات ودقت الكؤسات وطعنت الرماح وضربت الصفاح ودار كاس الموت فليس منه براح (قال الراوي) كل هذا وعنتر مرتكز يتفرج على القتال وكان الغضبان قد لاقاه المستوعر وهو يصول على الفرسان فعارضه الغضبان وأخذ معه في القتال وقد وصل الخبر الى عنتر وقيل له الحق ولدك الغضبان فانه التقى بالمستوعر في وسط الميدان واقتتلا قتالا شديدا يا أمير الاقران فحمل عنتر في تلك الساعة على العساكر حتى انه أدرك ولده الغضبان عند المساء وهو راجع من القتال والمستوعر كما أشرنا في هذا الديوان فهناه عنتر بالسلامة وقال له ولدي ماتقول في خصمك فقال يا أبت لعن الله الكاذب ماهو الا فارس عظيم وبطل جسيم





﴿ تم الجزء الرابع والعشرون من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بني عبس عنتر بن شداد ﴾

﴿ الجزء الخامس والعشرون ﴾

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث النزال الامير عنترة بن شداد

وهي السيرة الفائقة الحجازية المشتملة على الاخبار العجيبة والانباء الجليه





م

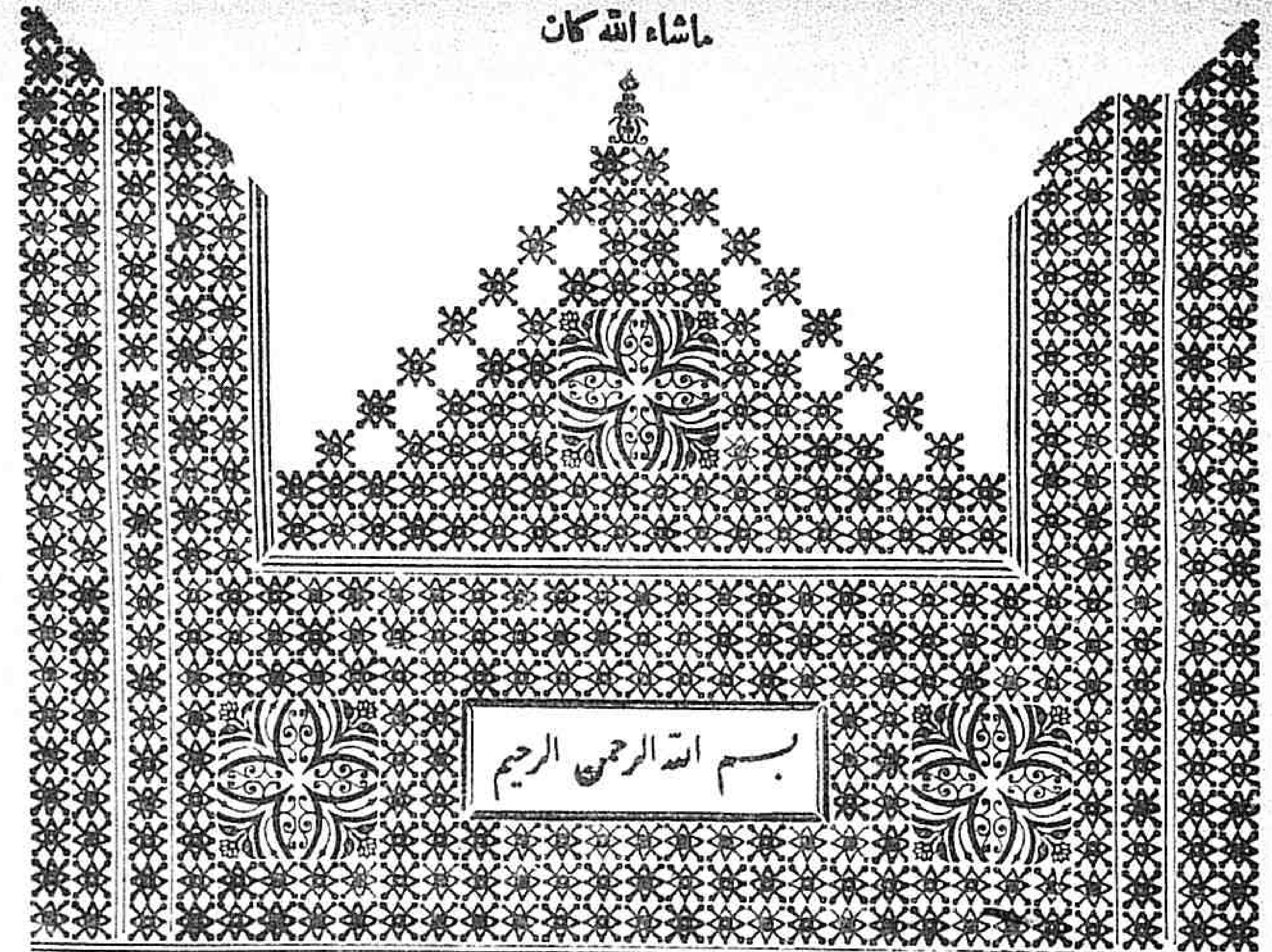
﴿ محل مبيعه ﴾

(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين افندى شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

﴿ الطبعة الثانية ﴾

(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)

ماشاء الله كان



﴿قال الراوى﴾ فلما رجع ولده الغضبان أخبر أباه بما شاهده من الاهوال فى حومة المجال ولولا حملت أبطاله لما فارقته فى الصدام حتى آخذر وحه من بين جنبيه فصدقه عنتر فى أقواله وقال له ياولدى أناله ولامثاله ثم ان عنتر شق الصفوف وفرق الالوف وهو فى طلب المستوعر حتى يلقاه فرأى العساكر هاجت وزادت الحروب وذابت الكبد وعظمت الكروب وصاروا بين غالب ومغلوب وطالب ومطلوب وناهب ومنهوب وناكب ومنكوب وسالب ومسلوب وهذا ذبيح وهذا طريح وهذا طيح وجرت الادمية من الشعاب فرشت على التراب وغابت الكواكب وعزت المطالب وشردت الخيل والجنائب وبانت من عنتر وأولاده العجائب حتى عول الليل على الارتحال وهم فى حرب وقتال وطعن ونزال فركب الشيخ عبد المطلب بن هاشم وسادات مكة الاكابر ونادى ياهذا البغى والاسراف وقلة الانصاف فقد أخرقتم بحرمة البيت الحرام والمشاعر العظام فقالت العربان وكيف يكون عندك الانصاف يا حاكم العرب تأمرنا ان نسجد لقصيدة عبد من عبيد العرب فقال انصفوه فى الحرب والصدام ان كنتم من العرب الكرام فقال الملك المستوعر أنا أنزل اليه وآخذ روحه من بين جنبيه لانى كنت عزمت عند أمس على نزاله وحربه وقتاله فحملت تلك الطوائف بغير اختيارى فقال الشيخ عبد المطلب اذا لم تنصفوه ولا فارحلوا من هذا المكان وقاتلوه ثم انهم اتفقوا على المبارزة والانصاف وترك الجور والاسراف ونزلوا للراحة مما قاسوا فى تلك اليوم والليلة ساعة من النهار وركبت العرب والفرسان من قحطان وعدنان واصطفت الصفان واذا بعنتر قد تحدر وظهر وهو على ظهر جواده الابجر وصال وجال وأنشد وقال

ياعبل قومى وانظرى لظاها * وتعرضى للنار حين أطاها
وأزيدها من نار حربى شعلة * بين الورى حتى تدور رحاها
بمهند عضب حسام أبتر * يفرى شعور الرؤس عند غياها
والخيل تعلم اننى لاأنثنى * عما أروم ولو يكون فناها
طعنا وضربا يهدم روس العدا * حتى أفوز بذكرها وثناها
ولقد أتتنى حمير فوق خيولهم * برهف بارق تحت ظل قناها
ولما لقيت الجيش ولى هاربا * تحت الغبار ولايجيب نداها

وأنا المفرق للفوارس فى الوغا * يوم الحروب شبابها وكهالها

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من ذلك الكلام انحدر اليه فارس همام وأسد ضرغام وهجم عليه فتلقاه عنتر وجال معه ساعة وأخذه أسير فخرج اليه ثانى فتركه على الارض عفير ونزل اليه ثالث تركه أسير ولم يزل على ذلك حتى أسر عشرين وقتل ثلاثين فصرخ المستوعر ويلكم يابنى عمى لاتمكنوا أحدا ينزل الى الميدان ثم انه صرخ على عبيده أحضروا له آلات الحرب والجلاد فلبس زرديه مضاعفة العدد سليمانيه وجعل على رأسه بيضة عاديه ترده مضارب السيوف الهنديه وركب نجيبا من النجب البجاويه وانحدر الى الميدان وانقض على عنتر انقضاض البلاء واقدر وأشار اليه ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

زعمت عزمت ابنية انى أول هاربا * من نسل عبس أو أكن مجانبا
فاجبتها انى معود فى اللقا * قتل العداة ولم أولى هاربا
حتى أروى السيف من دم العدا * ومن الدما أكون أول شاربا
فاستبشرى منى بقتل سراتهم * وتيقنى منى بطعن صائبا
فوحرمة الاصنام أفنى جمعهم * وأكون فى يوم الكريهة غالبا
وأبيد أسودهم بحد مهند * وأفنى بنى عبس بضرب قواضبا
كى تعلمون باننى الاسد الذى * لاأختشى يوم القتال محاربا

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ المستوعر من شعره وأتم نظمه ونثره فصرخ عليه عنتر وتلقاه بقلب مثل الحجر وأجابه على عروض شعره يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

اثبت اتاك لدى الكريهة ضيغما * كم قد أباد من الكماة معاتبا
فى يوم طى والجريش ومالك * وبنى النضائر لا أهيب كتائبا
والكيلكان أذقته كاس الردا * وتركته وسط الربا وسباسبا
وكذا بنى شيبان أبدت كماتهم * مازلت فى يوم المجال محاربا
وكذا بنى فهد الكرام القيتهم * وسقيتهم كاس الردا ومصائبا
وكذا بنى عطبول فى يوم اللقا * أفنيت جمعهم بطعن صائبا
وكذلك المستوعر النذل الذى * حط القصيدة سوف يمضى خائبا
وأبيد أفرسهم بحد مهند * وأسقيهم كاس البلاء نوائبا
وأفنى قبائله واقطع رأسه * وتعود عسكره بوسع كتائبا
انى لعنترة اذا اشتبك القنا * وقواضبا وذوابل اوسلاهبا
لاأختشى من فارس متغترم * حتى أدعه للمنية شاربا *

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من شعره وأتم نظمه ونثره حمل عليه وانطبق كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه ويقاتله ويحاربه وزعقا زعقتين عظيمتين تفتت الاكباد وتطاعنا بالرماح المداد وتضاربا بالسيوف الحداد حتى ارتجت من تحتهما الارض والمهاد ولم يزالا فى قرب وابعاد حتى عاد بياض النهار سواد وتشمتت فيهما الاعداء والحساد واشتد بينهما الامر وحمى الحر وانقلب البصر وسالت الدماء وأخذ طعن الرماح حقه وضرب الصفاح صدقه وزاد الغبار سوادا على سواد وضاق بهما الميدان بعد الاتساع وانصمت الاسماع وكثرت الآلام والاوجاع وتفرق الشمل بعد الاجتماع هذا وعمارة يقول لاخيه الربيع وحق رب البشر لقد كان حنق عنتر فقال له أخوه دعنا من هذا المقال حتى ينفصل ما بينهما من الحرب والقتال لانى أعرف ان عنتره والظافر بجميع الاعارب لان له وجه تتخطاه المصائب هذا وقد دام الحرب بينهما الى أن أمسى المساء باظلام وولى النهار بالابتسام وقال المستوعر ياعنتر ارجع الى مضاربك والخيام واسترح بأكل الطعام الى أن يصبح الصباح فنعود للحرب والكفاح فقال عنتر

لاوحق فالق الاصباح لم يكن بيننا انفصال الا ببلوغ الآمال وأما الراحة فهى لك مباحة فانزل قبالى وأنا أنزل قبالك لان الليل اسود وأنا اسود وجوادى اسود وأحب ما على قتالى فى الظلام الاسود فلما سمع المستوغر ذلك الكلام ترجل عن الهجين ونزل وكذلك عنتر ترجل وبرك على ركبتيه مثل الاسد القسود هذا والمستوغر يطيل النظر الى عنتر وهما يدمدمان كانهما أسدان ولما رأت الطوائف اليهما وقد نزلا فهموا انهما يريدان المبايتة فى الميدان فلما علم الغضبان بأن أباه بايت مع خصمه صار طالبه حتى وصل اليه وهناه بالسلامة وسأله عن خصمه فقال وذمة العرب وشهر رجب انه فارس منتخب ورأيت اليوم منه قتال شديد ما عليه من مزيد ولكن ان شاء الله غداة غد تكون وقعة الانفصال وبلوغ الآمال فقال الغضبان يا أبتاه أنت رجل كبرت وتغيرت همتك وقل حيلك وقوتك مما لاقيت من الاهوال والحرب والقتال فاتركنى أنا اقتال المستوغر القرنان وأنا أسقيه كاس الهوان فقال له عنتر ياولدى ما أنت الا من أصحاب الفعال والقتال ولكن ياولدى ما أنت قياس هذا النسل الحرام فاغتاظ الغضبان من كلامه فاخذ عنتر بخاطره وقال له ياولدى لا يصعب عليك هذا المقال فانت الاسد الزئبال وكنت أسمح لك بلقاه ولكن أبقى معيرة بين العربان الى آخر الزمان لانهم يقولون لما ذاق حربه وقتاله استعان بولده الغضبان عليه حتى عرف يأخذ روحه من بين جنبيه ثم انه أشار يقول صلوا على طه الرسول

تعنفنى عاترى من شراستى * وشدة أقدامى زبيبة لوتدر
فقلت لها ان الكريم اذا اختلا * فيصبر على حال أمر من الصبر
وفى الشيب ضعف والشرانس هيبته * ومركبها صعب على المركب الوعر
ويعذلنى من ليس يعرف همتى * وانى على الاعسار تنتظر اليسر
أنا فارس لا اختشى سطوة العدا * أنا ليث غاب لا أبالى بما يجرى
أغضبان لا تفزع من الموت انه * قضاء ملك يجرى الانام وماندر
أغضبان شهامتى فى ملتقى العدا * حتى تنال النفس من غاية الفخر
أغضبان لا تخشى على اذا جرت * سيول الدما حتى تسيل على الوعر
أغضبان هذا الموت قد حان وقته * فقدت جميع الاهل حتى أتى عمرى

﴿قال الراوى﴾ ولما سمع الغضبان كلام أبيه سكت لا بدا ولا عاد وعنتر يقول ياولدى أنا ما منعتك عن قتال هذا الجبار الا شفقة عليك وأنت أخبر بشفقة الوالدين ثم انهما باتوا حتى أصبح الله بالصباح فتقدمت العساكر حتى بتفرجان على الحرب والكفاح وقام عنتر بن شداد وركب على ظهر الجواد وكذلك المستوغر ركب على ظهر نجيبه والتحم بينهما الحرب والكفاح ووقع الضرب بالصفاح وهما فى مصادمة ومهاجمة وهما على ذلك الحال حتى أيقن كل واحد منهما بالزوال وكل منهما يظن أنه هالك وتحكمت الشمس فى قبة الفلك واختلف بينهما طعنتين سابقتين واصلتين فاما طعنة المستوغر فانه أبطاها عنتر بحسن صناعته وخبرته وأما طعنة عنتر فانها وقعت فى صدر المستوغر خرج الرمح يلمع من ظهره فوقع قتيل وفى دمه جديل فلما رأوه قومه قتيل وفى دماه مسربل تسربيل فانطبقوا على عنتر الصنديد وصاحوا صياح يفلق الجلاميد وقالوا شلت يداك وشمتت بك أعداك فتلقاهم عنتر بقلب مثل الحجر وجنان أجرى من تيار البحر اذا زخر وحملت أبطال بنى عبس وعدنان وبنو غطفان والملك قيس فى جميع فرسانه والاجناد وبنى قراد وبنى زياد وفرسان الحرب والجلاد والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وزادت الاهوال وعظم المجال وقصرت الاعمار الطوال وجاء الحق وزهق المحال وحمى الوطيس وتكردست الرجال كراديس وبان الشجاع النفيس من الجبان التعيس وفرت أبطال اليمن كما فرابليس وطلع الغبار الى العنان وحمى الميدان عنتر فارس الزمان وأخذ الازواح من الابدان وحده هم الغضبان وتبعه عصوب

وميسرة وعروة كانهم فروخ الجان وذلت الرجال وخابت الآمال وأيقنوا بالوبال وأرادوا أن يطلبوا الامان لما رأوا الموت عيان واذاهم بغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار وأظلم منه النهار يدل على ان تحته جيش جرار فاحدقوا اليه بالابصار وأنفذوا فارسا يكشف لهم الاخبار فسار ورجع لهم على الآثار وقال لهم هذا فارس الزمان ومفنى الفرسان ومبيد الاقران الملك الزبرقان ومعه الفارس الشديد والبطل النبيل المسمى بالصنديد وكان هذا الصنديد خلقته عجيبة لان عظامه كانت صماء بلا مخ وأضلاعه صف واحد وهو على جانب عظيم من القوة والشجاعة والفروسية والبراعة وكان قد أتى فى صحبة الزبرقان لانه صديقه والمستوغر كان صهر الزبرقان وكان أرسل له رسول انه يجده على قتال عنتر وبنى عبس وعدنان وكان غائب عن الحلة فى بعض غزواته فما جاء الى الحلة الا بعد الرسول بثلاثة أيام فقام وكاتب الصنديد ولم الفرسان وسار قاصد البيت الحرام وهو يطوى البرارى والآكام وفى صحبته اثنين وثلاثين ألف فارس من كل مدرع ولابس حتى اشرفوا على مكة فى اليوم الذى قتل فيه صهره المستوغر كما وصفنا وأرسلوا الفرسان يكشفوا الاخبار ويطلبوا الحرب والقتال حتى رجعت اليهم الفرسان وأخبروهم انه الملك الزبرقان ومعه صديقه الصنديد ففرحت بنو قحطان فرحا شديد ما عليه من مزيد وظنوا ان الزبرقان يأخذ لهم بالثار ويكشف عنهم العار فاتوا اليه وتقدموا بين يديه ونعوا على الملك المستوغر وعلى من قتل لهم من الفرسان فوعدهم باخذ الثار ثم انهم باتوا حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وركبت الفرسان واصطفت الفرقتان وكان عنتر لما رأى العساكر القادمة زاد به الغيظ والغضب من قدوم هذه العساكر لانهم أعاقوه عن بلوغ مراده والا كان بعد قتل المستوغر كسر أجناده ولكن علم أن بقدوم الزبرقان والصنديد يزيد الحرب بينهم ويتعب التعب الشديد مما كان له دواء غير الصبر وأما الزبرقان فانه سار عند الصباح لاجل السلام على الشيخ عبد المطلب فاستقبله وسأله عن قدومه فقال ياسيد بيت الله الحرام كان سبب قدومى لاجل أخذ ثارى وكشف عارى من هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم فاشار اليه الشيخ عبد المطلب بترك القتال وقال له ياولدى أنت أخبر بشجاعة صهرك ومن كان معه من القبائل فقاتلوهم وأفناهم وقتل المستوغر وكان معه أربعين ألف عنان غير النجدات وهم أوفى من ثلاثين ألف فذل الجميع الرفيع منهم والوضيع ولولا قدومك فى هذا النهار والا ما كان بقى منهم ديار ولا نافخ نار وان أردت ان تصون دماء الفرسان وترفع السيف عن قبائل العربان وترجع الى ديارك بامان فتدخل تحت طاعته وتكتفى شره وبراعته فلما سمع الزبرقان ما تكلم به الشيخ عبد المطلب أخذه الغيظ والغضب وقال الزبرقان وحق الذى أنشأ الخلائق والامم ما أرجع عن هذا النسل الحرام وابن اللئام فقال له الشيخ عبد المطلب دونك وماتريد أيها الفارس الشديد والقرن العنيد فقام الزبرقان ورجع الى فرسانه وطائفة بنى قحطان وهو يوعدهم بهلاك عنتر وبنى عبس وعدنان حتى أقبل الليل وباتوا حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ومما اتفق ان الغضبان فرح بمجيء الزبرقان وبالنكد الذى حصل لأبيه عنتر لانه كان متمدا على برازه ويقول لعروة بن الورد والله ياأبا الابيض لابدلى من قتاله وأوريه روحه عند نزاله فقال والله ياغضبان ما أبوك الا ماله نظير فى هذا الزمان وماردك عن قتال المستوغر الا شفقة عليك وأنت أخبر بشفقة الوالدين فقال الغضبان ويلك ياجبان أنت ما كنت معه فى أول ظهورى لما رميته على القيعان ولا قدر على الا حتى عصر على البيضان فسكت عروة ولم يرد عليه كلام وراح وخلاه والغضبان فى نار لا تطفى ولهيب لا يخفى حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وركبت الفرسان تريد الحرب والكفاح وركب الزبرقان وجميع بنى قحطان وركبت بنو عبس وعدنان وبين أيديهم عنتر وأولاده وعنتر يتعطف بخاطر الغضبان لان عروة كان حكى له على ماجرى منه والغضبان يقول اقصر ياأبتاه وحق الحنان المنان لابدلى ما أبارزك فى الميدان وهو يتبسم من قوله وهم ان ينزل الى الميدان واذا بفارس سبقه وهو مثل الشيطان وهو على حصان كانه البرق اليمان أوالريح أسير قوائمه كما قال فيه بعض واصفه شعر

سبقت الريح اذا سارت حتى * حصان لا يقاس له حصان * قوائمه الرياح اذا تخطى
يقول البرق كان له عنان * تضيق الأرض اذا تبدى * ولا يدنو لراكبه سنان

﴿قال الراوي﴾ وكان عليه درع زرد مضاعف العدد كانه عيون الجرد لا يخرقه الرمح المسدد كما قيل

وفاضلة ملمومة متخاضة * مضاعفة لا تحتويها الانامل
دلاص كظهر النوق لا يستطيعها * حسام ولا رؤس الرماح الدوابل

ومعتقل بقناة سمهريه من عمل سمهر عليها سنان كانه البرق في اللمعان ومتقلد بسيف مشرف اذا دب عليه النمل خفي كما قيل فيه هذه الابيات

يبيد ولا يزول عن العيان * ويقطع حده قبل التدان
كان الموت واخاه قديما * واودعه المنية بالامان

﴿قال الراوي﴾ ثم ان ذلك الفارس صال وجال وقال يا معاشر العربان ومن حضر في ذلك المكان من كان يعرفني فقد اكتفي ومن لم يعرفني فانبي شفا أنا الفارس الشديد والقرن العنيد المسمى بالصنديد ثم انه أشار يقول دونكم حربي أنا الصنديد * ليث شجاع بطل شديد * أقطع الهامات والوريد
بابيض وأسمر مديد * أردى العدى وسط الفلا في البوادي * فحل همام بطل وحيد
وقلبه أقوى من الحديد * من سطوتي وقوتي في البيد * تركته ملقى على الصعيد
ورأينا رأى فتى سديد * لا طائش القلب ولا رعديد * تخافني أسود الفلا الاسود

﴿قال الراوي﴾ فلما فرغ الصنديد من كلامه وشعره ونظامه نادى يا بني عبس هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز اليوم كسلان ولا عاجز ولا ينزل الا فارسكم الاسود وبطلكم الامجد فما أتم كلامه حتى سار عنتر قدامه وهو على ظهر جواده الابجر وأشار يقول

أبشر فقد وافاك ليث البيد * مجندل الابطال في الصعيد * يطعن صدر الفارس العنيد
بضرب قد صيغ من حديد * وصارم يقطع في الجلمود * ويبري الهام مع الوريد
ويلتقي الطعن ولا يحيد * فعل همام بطل مجيد * لا بد من قتلك يا صنديد
تحت غبار النقع في الصعيد * أوصى لمن أرسلك يا خاذ الجيد * تكثر عليك النوح والتعديد
فاليوم ألقيك بقفر البيد * معفر الخدين والوريد

﴿قال الراوي﴾ ثم انه حمل عليه حملة بطل شديد وقرن عنيد وتهاجما وتلاطما وانطبقا واجتمعا وافترقا وسال العرق مندفقا وبدلا بعد النعيم بالشقا وازورت منهما الحدق وتمنى كل واحد أنه لا يخلق وهما تارة في الميسرة وتارة في الميمنة وتارة تجري بهما الخيل خببا وتارة تقهقري وهما في حراب وطعان حتى عول النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال فاغتاظ عنتر من ذلك وهاجمه وضايقه وسد طرقه وطرائقه وطعنه بالرمح في صدره أخرج السنان يلمع من ظهره اثنى عشر انبوب فتلقح على الارض قتيل وفي دماه جدل فاحتار الزبرقان لما رأى ذلك الامر والشان وانحدر الى الميدان وهو محروق القلب والجسمان فاشار ينشد ويقول

يا لقومي قد زاد همي وحزني * واعتراني الاسى وعزغرام
ومصابي اذا تفكرت فيه * خاب جسمي وزال عني منام
فقدت الشجاع والفارس الندب * ومفني العداة يوم الزحام
قد بكت الرماح في ملتقى الحرب * وناحت عليه بيض الحمام
عجبي كيف حوت مثله الارض * وقد كان سيدا في الصدام
وفي المستوعر عدمت رشادي * وجفاني الكرى وزاد غرام
وكذا الفارس الكريم المحيا * صاحب الكرامات في كل عام

فارس تخضع الفوارس في الحرب * لديه من قبل سل الحسام
الهمام الصنديد من كان قرما * سوف آخذ لثاره في الصدام
انني الزبرقان ليث شجاع * سوف أبلغ من الجميع مرام

﴿قال الراوي﴾ فلما فرغ الزبرقان من كلامه وأتم شعره ونظامه تلقاه عنتر باهتمامه وأجابه على شعره ونظامه يقول

ويلك اقصر يا نسل قوم لئام * والتقيني في الحروب تحت القتام
واترك الفخر لا تطيل جدالي * ثم بادر لحرب ليث همام
انني جمرة الحروب وقرن * ومبيد الاقران عند الصدام
كم شجاع تركته بدماه * وهو ملقى مجندل في الاكام
كم مليك اضحى ملقى صريعا * تنهب الوحش لحمه والعظام
لي جنان أجرأ من البحر حقا * وبنان في الحرب يحمل سهام
وسناني وعدتي وجوادي * يسعدوني يوم الوغا وحسام
كم ملوك أذلتها بعز * وجيوش أذلتها في المقام
سل ملوك الاعجام عني وما قد * نلت منها يوم اللقا والزحام
والليوث العربان عن فعلي * حيث رأوا غابهم نهار الصدام
وبلاد العراق كم خضت فيها * من جيوش وفارس مقدام
لم يرى الزمان مثل شجاع * وهمام قرن منيع المرام
وكذا أنت سوف تبقى طريحا * عافر الخد لا تجيب كلام

﴿قال الراوي﴾ ثم ان عنتر حمل عليه حملة الغضب فالتقاه الزبرقان بقلب لا يخاف من النوائب وظهر في قتالهما العجائب وتحيرت منهما فرسان العرب والسادات من ذوي الرتب وهما يتهامران في طابق الجولان ولا يأخذهما ضجر ولا ملل بل انهما يتطاعنا بالاسل ويتضاربا بالسيوف على أعلا القلل وكان الزبرقان جبار لا يصطلى له بنار ولكن عنتر أثقل منه عيار فرجح الدرهم عليه دينار فهاجمه ولاصقه وسد عليه طرقه وطرائقه وتعلق بجلابيب درعه وجذبه أخذه أسير وقاده ذليل حقير فاخذه شيبوب وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وقد انسدل الظلام وخفيت مواقع الاقدام وتباشرت بنو عبس بالنصر والظفر وزال عنهم الهم والفكر ورجعوا ونزلوا في الخيام واحضروا الطعام وافتقد عنتر أولاده فما وجد الغضبان فارسل شيبوب الى مضربه فما وجده فضاق صدر عنتر من ذلك فقال له عروة أنا أعلمك بما هو معول عليه ولا شك انه راح الى بني قحطان فقال عنتر والله أنا ما منعته عن المستوعر الا خوفا عليه وشفقة لا بسطوة عليه

﴿قال الراوي﴾ وكان الغضبان خلا أباه لما أسر الزبرقان والعرب ملتهين اليه بالنظر ودخل الليل واعتكر فانسل من بين الفرسان وقصد الى بني قحطان فوجدهم قد عولوا على الانهزام فادركهم ووعدهم بالنصر والظفر وانه يقتل لهم بني عبس وعنتر سائر فاخذهم الفرح والاستبشار وأيقنوا باخذ الثار لانهم رأوا الفروسية ظاهرة عليه والشجاعة لائحة بين عينيه فقالوا له من أنت من الفرسان ومن أي قبيلة يا زين الفتيان فقال لهم أنا ما أقول لكم على عربي وحسبي ونسبي الا حتى أقتل لكم عنتر بن شداد وأشتت عربه في البر والوهاد ثم انهم باتوا حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فما صدق الغضبان بذلك حتى قفز الغضبان الى الميدان ونادى اين الفرسان الاماجيد أين الذي يريد تعاليق القصيد دعوه ينزل الى حومة الميدان حتى يبان الشجاع من الجبان فقفز عنتر اليه وهو ضاحك من مقاله ومن عظم اشفاقه عليه وقال له يا ولدي وحرمة البيت الحرام وزمزم والمقام ما كان كلامي اليك الا شفقة عليك فقال الغضبان وحق من أوسع الفلاه لا بد لي من اقتتال أنا واياك بين الفرسان وان أبيت فلا تأمن مني أنا اغدرك وأقتلك فقال له عنتر

يا ابن الكرام ارجع عن هذا الكلام فقال الغضبان لا تطيل الخطاب فلا بد لي من الطعان والضراب ثم انه حمل عليه وهو ينشد ويقول

اني انا الغضبان ليث مشتهر * أصبر على هول الهياج المستكر
أحمل على الابطال والحرب دائر * أجندل الاعداء بالعضب الذكر
هنالك تلقاني بقلب كالحجر * أفدها مات الاسود بالبتر

﴿قال الراوي﴾ فلما فرغ من شعره وتم نظمه ونثره وسمع عنتر كلامه فاجابه يقول

دونك حربي أيها الهمام * فانني ليث الوغا المقدام * أضرب في الاعادي بالحسام
ولا أخاف الموت والحمام * وأنت أخبر أيها المقدام * وحالتي يوم اللقا باضمام

﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك حملا على بعضهما البعض وأخذا في الميدان عرضا وطولا وهما في كر وفر وحركة ومستقر وصدور ورد وقرب وبعد الى أن أمسى المساء فقال عنتر للغضبان ما تقول على الرواح فقال الغضبان لا وحق مسخر الرياح وفالق الاصباح لا يكون بيننا انفصال الا بالاتصال ثم انه نزل عن الجواد وفعل عنتر مثل فعله وكل طائفة طلعت الى صاحبها تزاده حتى أصبح الصباح وركبا وطاب الحرب والكفاح وأشار الغضبان ينشد ويقول

قد علمت ذات القبائل والحلل * والكمال الحمر وأطراف الاسل
اني أخوض الحرب في يوم الوغا * وأقهر الفرسان ما عندي ملل
وأهجم صفوف العدا وسط الوغا * لا أرهب الموت اذا الموت نزل

﴿قال الراوي﴾ فلما سمع منه هذا الكلام وما أبداه من النظام فضحك عنتر من مقاله وأجابه على أقواله يقول اليوم تعلم فرسان الهياج اذا * دار الحرب والابطال تطرد

وسوف تنظر فعلي في مواقفها * بانني أسد الحروب مجتهد
وانني بطل في يوم معركة * أردى الكماة ونار الحرب تتوقد
واليوم يعلم ذكري في مجالسهم * فخر جزيل وفعل له مدد

(قال الراوي) ثم انهم حملوا على بعضهم البعض وتطاعنا بالرمح وتضاربا بالصفاح وصارا تارة يجتمعان وتارة يفترقان وكانا اذا تقاربا تضاربا بالسيفين واذا تباعدا تطاعنا بالرمحين هذا وعنتر يتعجب من قتال الغضبان ويطول روحه عليه في الميدان حتى أمسى المساء فباتا حتى أصبح الصباح وبرق الفجر ولاح فقام الغضبان وركب الحصان وأشار يقول

فخرت باسمك الفرسان قدما * وانك في الوغا بطل مهول * ستعلم انني أدليك شلوا
تخر على الثرى ملقى قتيل * تنوح عبلة ونساء عبس * بدمع في الخدود لها ذليل
عليك وأنت فوق الارض ملقى * طريحا مسددا راغما ذليل * أنا الغضبان ليث بني معد
هزبر ضيغم بطل أصول * وقد جربت حربي من قديم * وأنت بوسط قفر جديل
ولكن القضاء له احتكام * لا ينقذك من حرابي وأنت تميل * قهرت سراتكم وقتلت فيكم
ودم جراحكم منكم يسيل * وهذا اليوم تنظر من قتالي * وطعني بالمثقفة الذبول
قتالا ترعد الابطال منه * ويحكم بيننا السيف الصقيل * أنا قرم الفوارس من قراد
وابن زعيمها الفحل الاصيل * وهذا السيف من تلك المواضي * الفرع من تلك الاصول

﴿قال الراوي﴾ فلما فرغ الغضبان من شعره وأتم نظمه ونثره فجال عليه عنتر وصال وأجابه على كلامه وأنشد وقال

ألا أيها الغضبان دونك صابر * ولا تك في يوم الكريهة فاخر
ودونك مني في الوغا ليث غابر * شجيعا وفي اللقا ليس بنافر
تعود ضرب السيف والطعن بالقنا * وحملاته مذكورة في العساكر

أنا عنتر العبسي حامي عشيرتي * وفارسها يوم اللقا والتشاجر

﴿قال الراوي﴾ ولما فرغ عنتر من كلامه حملا على بعضهما الاثنين كانهما جبلين متقابلين أو كبشين متناطحين أو ديكين متنافرين ولم يزالا في عراك وشباك لانهما كانا فارسين لم يفزعا من الهلاك فقال عنتر لولده الغضبان ارجع يا ولدي ودع عنك الهذيان ولا تعطي النفس حقها فما كل وقت يملك الانسان نفسه فقال دع عنك هذا الكلام وخذ في الحرب والصدام فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام احمرت عينيه وتقلصت شفتيه وطلع الزبد على شدقيه وانتقل من حال الى حال وما بقي يعرف ما بين يديه وصرخ صرخة ارتج لها الميدان وارتعبت قلوب الاقران وهجم على الغضبان وقام بيده بالضامي وهو نازل به عليه فصاح الغضبان لا تفعل يا أبتاه فارتخت يد عنتر بالضربة فوقعت على عنق الحصان فابراه فوقع الغضبان من عليه وقام على الاقدام وجرى على الارض والتراب وقبل رجل أبيه في الركاب فرد عنتر سيفه الى القراب وقال له وحق زمزم والحطيم ومقام الخليل ابراهيم ما كان هذا الكلام مني اليك الا شفقة عليك هذا وعروة قد أقبل على الغضبان وقال له كيف رأيت خصمك وقولي اليك فقال الغضبان يا عروة كان الذي كان وظهر الحق وخفي الزور والبهتان هذا وبني قحطان لما رأوا ذلك الامر والشان وكيف اصطلح عنتر مع الغضبان قالوا لبعضهم البعض لا يكون ذلك الامر أبدا ولا نتكل في أخذ ثارنا على أحد ثم جمعوا أمرهم على الحملة فحملوا بجمعهم على بني عبس وعدنان والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وعمل بينهم الضرب بالسيوف الصقال والرماح الطوال هذا وقد نثرت بني قحطان نثرا وهبروا هبرا ولم يزل السيف تعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى آخر النهار تفرقت بني قحطان وولت الادبار وركنت الى الفرار وصاحت الباقون الامان الامان فقد أجبنا عنتر الى ما يريد من تعليق القصيد فعند ذلك أمر عنتر بالرجوع عنهم ورفع الحسام ورجع الى المضارب والخيام هذا والشيخ عبد المطلب وأكابر مكة أتوا الى عنتر وهنوه بالنصر والظفر ففرح به عنتر وقبل يديه وقال يا سيدي أريد أن أعيد القصيدة الى مكانها ولكن أريد من فضلك ان تكاتب العربان حتى يحضروا واسمعهم قصيدة غيرها فيها جميع ما جرى لي من عهد ما كنت صغيرا الى ملتقى المستوعر واذكر لهم فيها عدد ما قتلته وعدد من أسرته فاجابه الشيخ عبد المطلب الى ذلك وكتب الكتب وأنفذها للقبائل وأصحاب القصائد المعلقات وفي نسخة الكتب باسمك اللهم وبحمدك الذي نعلم به سادات العرب وأرباب المنازل والرتب ان قصائدكم الذي على البيت الحرام حلف عنتر لا بد من نزولها اذا لم تحضروا لان الملك المستوعر لما أتى وحط قصيدته وأتى له وقتله وعزم على اعادة القصيدة مكانها فقال اذا لم تحضر العرب والا نزلت قصائدهم ولا أدع على البيت الحرام لا شعرا ولا نظام ثم انه أرسل العبيد بالكتب الى القبائل فما وصل كتاب الى قبيلة الا وتركب وتقصد الكعبة المشرفة فما مضت الايام قلائل حتى أشرفت القبائل على مكة وكان أول قبيلة وصلت بني جشم وهوازن وبني سليم وهمدان وبني غزية يقدمهم شيخ العرب دريد بن الصمة وخفاف بن ندبه ودثار بن رزق والعباس بن مرداس فركب عنتر وأولاده وبنو عمه الى ملتقاه وترجل له وترجلت أمراء القبائل ورؤساء الجحافل وسلموا على بعضها بعض وقال دريد يا أبا الفوارس كيف تنحط قصيدتك على البيت الحرام ولم ترسل تعلمني بهذا الكلام فقبل عنتر يديه وشكره وأثنى عليه وقال يا مولاي هان العسير ولما كان من الغد قدمت ابطال بني عامر وغني وكلاب الاكابر يقدمهم عامر بن الطفيل وغشم بن مالك والاحوص بن جعفر فركب عنتر وتلقاهم وسلم عليهم وحياهم وعتب عامر على عنتر فقال له عنتر ما كان هذا شيئا يستحق تعبك وعناك وفي عبدكم كفاية ثم انه أمر لهم بالعلوفات والضيافات والى ثاني يوم ظهرت غبرة ويتبعها غبرة ثانية وغبرة ثالثة فاما الغبرة الاولى فكانت باقي بني عبس وقراد وغطفان والغبرة الثانية بني زبيد وخثعم ومراد يقدمهم عمرو بن معديكرب والثالثة بني كندة وبني يربوع يقدمهم جار بن عامر وعتبة بن شهاب فالتقى عنتر الجميع وسلم

عليهم وأكرمهم الاكرام الزائد ومن بعد ذلك تتابعت القبائل من كل بر وأوادوهم بنى طى وبنى سليم وبنى جزام وبنى نلم وبنى شيبان وبنى عطبول وبنى المنقا وبنى باهلة وبنى خولان وبنى داهم وبنى دارم وبنى خدعان وبنى أسد وبنى دردان وبنى دمير وبنى قشير وبنى غيلان وبنى الاسد وبنى عاملة وبنى بجيله وبنى سعد وبنى تميم وبنى فهد وبنى حريقة وبنى الفى وبنى القيان وبنى كلب بن وبره وبنى صارخ وبنى رياح وبنى باغض وبنى وشاح وبنى دديب وبنى الطماح وبنى رهط وبنى زهران وبنى وهران وبنى كنانه وبنى كهلان وبنى طهمه وبنى النظر وبنى دهمان وبنى المصطلق وبنى قضاعه وبنى ناهض وبنى الحكم وبنى تنوخ وبنى خفاجه وبنى عباد وبنى معن وبنى وائل وبنى دميش وبنى دميط وبنى دهل وبنى عنياب وبنى سحاب ولولا الاطاله لوضعت لكم قبائل العرب التى اجتمعت ومن عصر سيدنا اسمعيل ابن سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهما وعلى جميع الانبياء والمرسلين وهم اماثة وستون قبيلة حجازيه وعدنانيه ومائة وستون قبيلة يمانية وقحطانيه والحجازيه أربعمائة وثمانون قبيلة غير البطون والشعوب فسبحان من خلقهم ورزقهم هذا ولما اكتملت القبائل فى البيت الحرام وضاق بهم البر والآكام فكان منهم من أتى خوفا من عنتر وفزعا من سيفه الصمصام الابتر ومنهم من أتى مراعاة له ومحبة لاجل الصداقة ومنهم من أتى طالب الفرجة والزيارة ومنهم من أتى للفرجة وتبركا بالحطيم وزمزم وكان آخر من أتى بسطام وأبيه الملك قيس بن مسعود وهانئ بن مسعود وكان مثل عنتر بن شداد شبه نار خرجت من زناد فمهد الله به الارض والبلاد لقدوم سيد العباد الهادى الى طريق الرشاد سيدنا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أهل الرشاد هذا ولما اكتملت العرب العاربه وفرسانها وساداتها وأعيانها أمر السيد عبد المطلب المناديه ان تنادى فى سائر قبائل العرب والسادات من أهل الرتب انهم يجتمعوا من جميع الفضاء غداة غد عند دكة القضاء ﴿قال الراوى﴾ فاجابوه بالسمع والطاعة وتفرقت العبيد من ذلك الوقت والساعة ونادوا فى جميع الجهات باجتماع الناس والسادات كما أمرهم الشيخ عبد المطلب فلما سمعت العربان الى ذلك الامر والشان فاجابه جميع العربان من قحطان وعدنان ثم انهم باتوا حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فقاموا الجميع وقصدوا الى دكة القضاء وازدحموا بعضهم على بعض حتى ضاقت بهم الارض وبقى على القدم ألف قدم من كثرة الخلق والامم وبعد اجتماعهم أقبل عنتر بن شداد ومن ورائه بنى عبس وبنى قراد وبنى زياد وحلفاهم وهم صفوف صفوف وألوف بعد ألوف وكان هذا من تدبير الشيخ عبد المطلب لانه كان أرسل الى عنتر فى الليل يقول له لاتحضر غدا الى دكة القضاء الا وخلفك بنى عمك وقبيلتك واصدقائك جميعا بالعدة الكاملة والخود والزرد حتى يقع الرعب فى قلوب بنى قحطان لان العرب كثير وعددهم غزير ففرح عنتر وشكر فضل الشيخ عبد المطلب وركب كما أمره بقومه وأخذ أحبابه وأصدقاءه وفى أوائلهم دريد بن الصمه وجابر بن عامر وزيد الخيل بن المهلهل وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة غشم بن مالك والاخوص بن جعفر وعمرو بن معديكرب والامير مشاجع سيد بنى خولان وهانئ بن مسعود والامير بسطام ومن يتبعهم من أكابر العرب وفرسان الحجاز أهل الحسب والنسب فلما وصلوا الى دكة القضاء وهم شاهرين السلاح فنهض الشيخ عبد المطلب وقام قائما على أقدامه واستقبل عنتر ومن معه من الفرسان وأكابر العربان ثم انه أجلسهم بين القبائل ومن حضر من المحافل وبعد ذلك نادى برفيع صوته يا بنى عدنان ويا بنى قحطان وجميع من حضر من الاكابر العربان اعتبروا بمن مضى وسلف من العربان ومن الملوك أصحاب التيجان وكم أفنى هذا الزمان وكم قهر عنتر هذا من الشجعان فاحقنوا دماء الفرسان وأجيبوه الى ما طلب من الامر والشان واعتبروا بمن قتله وأبقى نساءهم أرامل وأولادهم أيتام فان السعيد من اعتبر بغيره وكف شره وتجبره وما يحتاج انى أعلمكم بعنتر وحربه وقوة طعنه وضربه وقد رأيتم لما حط المستوعر القصيد فاتاه الى هنا وأباده وأهلكه رافى اجناده وكان وحده فى بنى عبس وعدنان وما كان خلفه مثل هؤلاء الفرسان مثل دريد بن الصمة ومقادم العربان ومثل العباس بن مرداس وخفاف بن ندبه ودثار بن رزق ونعمة بن

الاشتر وبسطام بن مسعود وهانئ بن مسعود صاحب يوم ذيقار وعمرو بن معديكرب وانس بن مدركة وزوبعة ابن منيع وعامر بن الطفيل وزيد الخيل وملاعب الاسنه والاخوص بن جعفر وغيرهم ممن تراهم بين ايديكم ولا تخفى شجاعتهم عليكم فقالت جميع العربان عن فرد لسان نحن له طائعين والى قوله سامعين وأجبناه الى مايريد من تعليق القصيد ومامن أحد الا ويعرف شجاعته وقوته وفصاحته فقال عنتر بن شداد ياشيخ الحرم والحطيم وزمزم ومالك رقاب الامم انى مقسم باعظم قسم وحق رب هذا البيت والحرم والركن والملتزم والاله الذى يرى ولايرى وهو بالمنظر الاعلا لا أعلق قصيدتى الا فى أولهم لانها كانت فى آخرهم فاتى هذا الندل وحطها فاتيت وقتلته وعلى وجه الارض جندلته ورعاية ولو العربان انحط قدرها بانحطاطها فانا أزيدها قدرا بارتفاعها فى أولهم ومن أبى ذلك فدونه والميدان ومحل الضرب والطعان فقالت القبائل عن بكرة أبيهم لما سمعوا كلامه وما أقسم من اقسامه لا والله يا أبا الفوارس ويازين المجالس لا عدنا قاتلناك ولا حاربناك ولا فينا من يعدى اليك هزمة وقبحا بل اننا نكون لك على مد الدهر صلحا أفردها وعلقها فى المكان الذى تريد ونحن أطوع لك من العبيد فشكرهم عنتر على كلامهم وما أبدوه من مرامهم ولكن اعلموا أيها السادات الاماجيد والفرسان الصناديد أزال الله عنكم كل شر وتنكيد أننى أريد أسمعكم قصيدة ما أحد سمع مثله ولا حاز فكره الشعر منه ومعانيه بليغه والفاظه مضيقة ومن بعد ذلك اخبار ماجرى على من قديم الصغر واذكر من قتلته ومن أسرته ومن جزيت ناصيته ومن جرحته وأنا أريد أسمعكم اياه ولكن بشرط ان لا أحد ينطق بكلام ولا يبدى بسلام ولا يتبرحوا ولا اختصام لانكم ماتعرفوا قصيدتى ما فيها ولا ذكر معانيها الا انى سميتها العقيقية لانها تدل على جميع ماجرى على من صغرى الى هذا اليوم وهى الذى أولها بين العقيق وبين ذات الاثمدى * طلل اعبلة مستهل المعهدى * وفى آخرها اشهرت مقالى وحسنت أقوالى من كان ينكر فى الحروب فعالى فقصيدتى فى البيت غاية مقصدى اذللت جميع العالمين بقولها فسجدوا لها ركعتين عند تعليقها وليس لها فى هذا الزمان مقاوم فقالوا العربان اسمعنا اياها حتى اننا نسجد لها ونعرف معناها ولو كنت تذكر فيها أباءنا وأولادنا واخواتنا فقال عنتر ياسادات العرب وأهل المفاخر والرتب ما بقى عليكم ملام ولا كلام ثم انه أعاد قصيدته الميميه على البيت الحرام وجعلها فى أول القصائد كما تكلم أولا من الكلام وسجدوا لها جميع الفرسان القاصى منهم والدان وقالوا له اسمعنا ماوعدتنا به من القصيد الثانى فعندها أخرجها عنتر ونشرها فى وسط ذلك الجمع والمحضر ما بين ملوك العربان وشجعان الزمان وهى مكتوبة سطرا بالفضة وسطرا بالذهب وهى من أعجب العجب فلما رآها الفرسان تاهت نواظرهم وحارت أفكارهم وخواطرهم فعند ذلك أمر السيد عبد المطلب الى العاصى بن وائل السهمى ان يدق العرنوس ويقرأ المعلقة حتى يسمعها الى العربان وتعاين مافيها من المعانى ورقة الالفاظ التى لم تزل النفوس لها مشتاقة وكان هذا العاصى بن وائل من فصحاء مكة فطلع على العرنوس الذى قد اشتهر بالفصاحة والفخر ويسمونه فى هذا الزمان المنبر ثم انه رقاه وصار فى أعلاه وقد استفتح بصوت أندى من وابل المطر وحمد الله سبحانه وتعالى وله شكر وقال الحمد لله الواحد القهار العزيز الجبار ذى الملك والملكوت والاقتدار خالق الليل والنهار ومدبر الفلك الدوار الذى أوسع الفلوات والاقطار وأجرى الانهار وانزل الغيث المدرار رب مكة ومنى المستحق للحمد والثنا الذى جعل الليل سكنا والنهار حركة وهو المنزه عن الاولاد والازواج رب مكة والحرم والحطيم وزمزم وخالق الخلق والبشر وخالف بينهم فى الصور وحكم عليهم بما قضى وقدر فسبحانه وتعالى لاشريك له ولا نظير ولا شبيه ولا راد لامره فيما أمر أحمده وأشكره حمد من حمد وشكر من شكر ثم انه جى بعد ذلك فى الكلام واسفر عن وجهه اللثام وقال يامعاشر العرب الكرام اعلموا ان هذا عنتر بن شداد الذى أذل الملوك الشداد والابطال فى حومة الحرب والجلاد فاسمعوا مقاله كما قد نظرتم فعاله وقتاله فى مجاله فهذه قصيدته العقيقية ومعانيها البهية التى تضمنت السيرة المروية الحجازية ثم انه أشار ينشد ويقول

﴿ وهذه القصيدة العقيقيه لعنتر بن شداد المعلقة على البيت الحرام

من غير تبديل محفوظة بتاريخ عرف المزود *

بين العقيق وبين برقة ثهمد * طلل امام مستهل المعهد * فيه من المعالمين دروس معالم
أوهى بها جلدي وبان تجلدي * يا مسرح الغيدات من وادي الحما * كم فيك من شجن يروح ويغتدي
من كل فاتنة تلفت جيدها * مرحا كتلفت الغزال الاغيد * يا عبل كم يشجى فؤادي بالنيا
ويروعني صوت الغراب الاسود * كيف السلو وما سمعت حمائما * هتفت الا وكنت أول منشد
ولقد حبست الدمع لا بخلا به * يوم الوداع على رسوم المعهد * واسأله عن طير شجاني في الدجا
بحنينه وأنينه المتردد * ناديته ومدامعي منهلة * أني الخلي من الحزن المغرد
لو كنت مثلي ما لبثت ملونا * وهتفت في غصن النقا المتأود * رفعوا القباب على نجوم أشرقت
فني وغابت عن بقيع الفرقد * وعبيلة بالحسن يحكي وجهها * بدر تكامل بالدجا غصن ند
والشمس بين مرهج ومورد * والغصن بين موشح ومقلد * والقد مثل قضيب بان حركت
اعطافه ريح الصبا الوارد * والبطن إذ وطى وخصر ناحل * والردف منها كالثقيل المرعد
واطافه الاقدام تنقل حسنها * قلب الشجي ولم يكن بالمهتد * قالوا اللقاء غدا بمنعرج اللوى
واطول شوق المستهام الى غد * واذا تكاثفت الصفاح لوامع * مثل الصواعق في القفار الفدفد
هذا وكم حرب عوان خضته * بجسود صلب للدعائم أجرد * اطم البنات على الخدود تأسفا
وتنادب واندب الحبيب المنجد * لو كان قلبي حاضرا يوم النيا * لقطعته وأعظمت فيه تجلد
أو كان طرف ناظر الرحيلهم * اتركت دمعي موردا للورد * من فيض أجفاني وكان تحجب
منه النبات وشاب شعري الاسود * وبقيية مجهولة نازلتها * وملكت منها فدفدا في فدفد
وتخامدت أبطال المعارك في اللقا * كالنار تعلو في الفلاة وتخمد * تخفق الرايات رعدا في الوغا
وتماوج الفرسان بحر مزبد * فهناك تنظر آل عبس في اللقا * يؤدحق السيف ضربا في اليد
هذا وكم حرب عوان خضته * بسموم صلب الدعائم أجرد * والخيل تقتحم الغبار عوابسا
وتخوض بحرا من نجيع مزبد * وبوارق البيض الرقاق لوامع * في عارض مثل الغمام المرعد
وأسنة السمر الدقاق كأنها * تحت القتام نجوم ليل أسود * وحوافر الخيل العتاق على الصفا
مثل الصواعق في قفار الفدفد * فقحمت قسطلها وخضت عجاجها * وطفيت جمر لهيبها المتوقد
وكررت والابطال بين مصادم * ومهاجم ومحاوز ومشرد * وفوارس الهيجاء بين ممانع
ومدافع ومخادع ومقتل * والسيف يعمل والرماح خوارق * والناس بين مكتف ومقيد
وموسد تحت الغبار وآخر * فوق التراب بأنواعه موسد * والكل بين مخاطب ومحارب
ومضارب ومقارب ومباعد * وسنان رمحي في العجاج مشرقا * ومغربا مثل الشهاب الموقد
والناس بين مكايس ومدعس * ومخالس ومطاعن ومهدد * ومقطب ومعبس ومنكس
ومهرول ومهول وموعد * والخيل بين تجاول وتطارد * وتلاحم وتصادم وتردد
ومفارق ومشابك ومماحك * ومعارك وسط العجاج الاسود * ومقحم ومصدم ومهاجم
وغشمشم شبه الهزبر الاصيد * والحرب يعمل والرماح تنوشهم * والخيل تعفر بالوشيج الاجلد
وترى الشجاع مع الشجاع محاربا * وترى الجبان مع الجبان مقيد * والجو مغتم والنجوم مضيئة
والنقع مدلهم الجوانب اسود * فقحمت مهري وسط بحر عجاجها * بسنان رمح ذابل ومهند
ولقد لقيت من الفوارس في الوغا * وتركتهم صرعى في المهاد الفدفد * وأيضا كم من جحفل فرقته
وسط القفار هزاعا لم تهتد * وتركت ابطال المسامع كلها * سمعوا الذكرى لا تموت المنشد
وكذا الملوك اذا سمعن بصولتي * يخشون من رمحي وضرب مهند * وكذا الاسود تراهم في غابهم
مستخفين لدى الدجال وشرد * وأنا الذي لحم الفوارس مأكلي * أبدا وشربي بحر دم مزيد

قد كان في منشاي أعظم قصة * فيمن طرقت من العدا والحسد * لما قتلت الذئب في وسط الفلا
اذا رام كبس أغنامي في الفدفد * قد قتلت لعبد شاس وبعده * عبد الربيع ابن اللئام الانكد
وقتلت للاسد المهول وقد أتوا * يبغون أعمامي اقتلى في غد * وكذا بنو قحطان لما ان أتوا
يسبوا النساء وكل بكر خود * وقتلت قاتل ابن محجوب الذي * دهم البيوت بقوة وتمرد
وقتلت غالب بن وثاب الذي * أكمن لنا في وسط بيد فدفد * سبعين كانوا بالسيوف وبالقنا
فغدوا وكل في الفلاة مجدد * وجليدهم بسطام يطلب قتلتي * لاقاهم الجبار فعاهم الردى
لما دعتنا مروة لوليمة * ودعوا النساء مع الرجال السودد * وأتاني المتغطرس النذل الذي
خليته في القاع يبحث باليد * وأخذت مهري واحتويت أميمة * وقتلت ناقد نسل ليث أمجد
وكسرت طيا والجريش وكندة * لما أتوا كالعارض المتردد * وقتلت أيضا نجل ظبيان الذي
تبعوه أعمامي بعزمة أمجد * وحديث حصن المازني لما شكا * انجدته مع مالك ومساعد
ولقيت أخين أجرت احدهما * وقتلت الآخر حين أضحى معتد * ونزلت في وسط الرمال لحاجة
فلقيت هذا الضامي المتجرد * وقتلت للفيداق لما أن أتى * في نجدة المساف وهو مهدد
وكذلك المساف قد أسقيته * كاس المنون وكان ندا لا معتد * وخطبت عمارة بنت عمي عبلة
ست النساء الفاتنات الخود * ولقيته من عند أبيها عائدا * نشوان يمشي بين فرح زائد
وطلب عنادي فاصطبرت لبغيه * والصبر رشد عاقبته تحمد * ولحقت بالنسب الذي ما ناله
غيري وقد نلت العلا بمهند * وهزمت شراب الدما لما أتى * يبغي خلاص أميمة في محشد
وقتلت فياضا وخرت سلاحه * لما سبا عبلة بفعل معتد * وأسرت عمروا لما أتاني مكمنا
يبغي لقتلي صار رهنا في يد * وقتلت للهجام لاجل عمارة * معه الربيع وشاس نسل الامجد
وسعيت نحو النوق ابغي اخذها * فكبا الجواد قضاء رب واحد * وقتلت ليثا شدقاه تغشرما
هزم الجيوش وقيد رجلي مصفد * والمنذر الملك الهمام أجرته * وكسرت جيش الفرس ذاك المعتد
والخسر وان هشمته بعموده * وتركته في القاع يبحث باليد * وبرزت للبطريق لما ان أتى
فتركته قدام كسرى مرتد * وتركت راس البطريق موطا على الثرى * متدحرجا كالحنظل المتبدد
جندلته وعفوت عنه وغدا أتى * يبغي لقتلي جازعا مترصد * وأخذت للتاج الرفيع وقيمة
طبقت لكسرى من لجين مسجد * وقتلت رستم في الصراع وقد أتى * فتركته قدام كسرى مرتد
وقتلت سبعا بعده متغشرما * يدعى خميسا خملق من يد * وأخذت مال المرزبان وقد أتى
يبغي لقتلي ذا السفيه المعتد * وأخذت للنوق العصافير التي * شرطت على فعال ليث أمجد
احمالها من كل نوع فاخر * من مال كسرى والخلائق تشهد * ولقيت عبلة في الطريق سبية
خلصتها بسعادتي وتسدد * وكذلك طارقة الزمان طرقته * بسنان رمح ذابل ومهند
لما أباد كنانة وعبيدها * وهو ابن مسعد المسمى وافد * وعمارة لما سبا العبيلة
مع ابن همام غدا متصفد * فطارقتهم بالليل لاجل عبيلة * وكبستهم في جنح ليل أسود
ومفرجا أرديته مع جابر * وتركتهم طعم الوحوش الشرد * وأتت بنو قحطان تطلب ثارهم
أورثتهم في الحرب هول المورد * وقتلت للصدام لما ان أتى * يسبي البنات الكاعبات الخرد
وقبيلة الريان صالت عليهم * من أجل شاس وقد صبغ بالاسود * والقيت روضة في الطريق وقد أتى
لزواج عبلة قاصدا متعمد * فاسرته قهرا وعدت عتقته * لاجل العجوز مع البنات الخرد
وأسرت للجيدا ابنة زاهر * ونلت الدخليت غير مخلد * وبني مراد مع زبيد وقومهم
جندلتهم وسط القفار الفدفد * وأسرت بسطام الكريم وقد أتى * يبغي لقتلي عامدا متعمد
وزجته من أجل سبي حريمه * ورعيته مني بحسن تودد * وجعلته من بعد ذلك صاحبا

أرجوه في النوب العظائم منجد * وقتلت قنعب بالحسام قتلة * لما أتى بتجبر وتمرد
وخرجت أكمن في الرمال لعروة * كي أشتفي منه وأبلغ مقصد * فرأيت سلما تستغيث بذلة
يا آل عبس هل لنا من مسعد * فتركت جلدي واحتملت لاجلها * وقتلت قيس بن وغد مفسد
وأرسل لنا بسطام لاجل عبيلة * فقضيت أطلابها وحيدا مفرد * لما سلكت البرجاني عروة
يبغي معاونتي ويبقى منجد * وسلك بنا شيبوب برا أقفرا * ما فيه من داع ولا من مرشد
وتركت عروة في الفلا برجاله * وسعيت أطلب ما به أتزود * فلقيت مثلي عنترا وزبيبة
وعبيلة في أسر ليث معتد * فقتلت أبا الأشبال مع أشباله * وملكت عبلة بنت عم الأسود
وعبر بنا شيبوب حلة كندة * كي يعرف الأخبار والفعل الردي * وقتلت مسحل واستبحت حريمه
وتركته في البر يبحث باليد * وبعدت عن قومي وصرت عدوهم * وصحبت بسطام الهمام الأمجد
ولمالك خلصت من تصفيده * وتركت فياضا قتيلا مرتد * ولقيت عمي في القفار مجرحا
يبدي الأنين بذلة المتفقد * ولابن مدركة تركت مجندلا * لما استباح حريمنا بتعمد
ومفرج بن هلال لما أن حوى * أموال عبلة والربيع الأنكد * فأسرتهم وقهرتهم لما أتوا
بكتائب مثل السحاب المرعد * وأسرت ظالم مع حذيفة قوة * لما سبوا قومي بفعلهم الرد
وقطعت ناصية الظالم بعدما * جرعته مر المذاقة من يد * ومفرج وسنان أضحوا عندنا
مستأسرين بوسط كهف أصلد * والأسود الملك الهمام أسرته * قهر الأجل زهير ذاك السيد
إذ رام يسبي آل عبس بغتة * فغدا وقد خاب الرجا والمقصد * وأسرت مقرن الجبال وقدته
في ذلة قود البعير المفرد * والوردشان تركته متجندلا * في وسط وادي السيل يبحث باليد
وقتال لنعمان يذكر فضله * طول السنين وكم أسرت لسيد * ولما أتاني في الجبال محاصر
يبغي لقتلي قوة بتعمد * وأسرت حجار الكريم وبعده * جندلت غاسق ذا المحل الأنكد
وتركت في وادي الرمال بهمق * كم من شجاع في الحديد مقيد * وعدد الذي ألقيته عن سرجه
يوم الجبال وقدتهم بتجلد * ألفان مع ألفين تتبع مثلهم * محسوبة مكتوبة بتردد
وعزمت فرسان القبائل بعدما * أضحت ملوكهم أسارى في يد * أيضا وكم ملكت يدي من ماجد
عرب وأعجام ملوك السودد * وأسرت حجار بن عامر بعدما * ولي حذيفة والربيع الأنكد
وأجاره شيبوب لما أن بكى * فقبلته وجعلته لي مسعد * واسأل خداوند وقد وافى إلى
وجاء سلما بالعساكر يهتد * ولكم قتلت وكم أسرت ممجدا * يوم الجبال ويوم أسر الأسود
أيضا وكم ملكت يدي من فارس * حاز الشجاعة والعطاء السرمد * وخلاصنا النعمان ثم رحيلنا
لما اصطلحنا صلحة المتزود * وخيولنا ضاعت لأجل رقادنا * ولقيت الأبجر في القفار مشرد
والجيش مور تركته متجندلا * لما لقيت أخي أسيرا مصفد * ومسيرنا في البر نطلب عامدا
للحارث بن زهير ذاك السيد * وأسرت نازح حين أضحى مالكا * لبني جذيمة فعل ندب أمجد
ونصرت نعمة في المسارح بعدما * جندلت نقمة في قفار الفدفد * أنسيتمو فعلي بخالد والذي
شهد المضيق على المسارح في غد * والحارث المروي أصبح في يدي * زمن ينكر قوة وتعمد
قابلته حقا برمح مكسر * بفرس هذيل كنت في حال رد * واسأل لعامر مع غني وقد غدوا
مني هزائم في المهاد شرد * وأسرت عامر وافتديته أمه * مني يقر بذاك الهمام الأمجد
وخلاصي الحطال ليس نسيته * في أرض دارم من اللقيط الأنكد * وبني مشاجع قد أبدت سراتهم
ولقيت سيد دارم بمهند * ولقيت غشم والربيع وعامر * والأخوصين وعدت عود مؤيد
وكذا بنو خولان صنت حريمهم * ورجعت في قيدي وعظم تشدد * لما رأوني قد أبدت عداتهم
عرفوا الجميل وسارعوا التودد * ولقيت قومي في قتال هائل * فرجت كربتهم بحد مهند

ودخلت مع شيبوب حلة راخ * وقتلته قهرا بضرب أصلد * وسباقنا الخيل يذكر يومه
يا لها من سبقة لم تحمد * وبغت فزارة مرة في مرة * والحق يرميهم بذل مكمد
قتلوا المالك واستباحوا دمه * وبغى حذيفة صاحب الفعل الردي * وقتلت عوف أخي حذيفة بعده
من أجل مالك صاحب الكف الندي * وأسرت جراح بن صائل إذ أتى * يضمن هلاكي للمليك الأسود
وأسرت أسود مع لقيط وكدتهما * وأطلقتهما الفعل ابن ظالم من يد * وأخذ نساءنا فاتبعت طريقهم
خلصتهم وذاك أخذت الأسود * وبعث النعمان جيشا كاملا * وبني فزارة كلهم لي حسد
يا مقريا الوحش زدت كسرتي * لهفي عليه ثوى بقاع الفدفد * وقد كان في لقياه ما يغني لمن
حمد الفعال من الورى في مشهد * وحذيفة وأخوه لاقوا حتفهم * يوم الهباءة وجابر مع مرشد
وصنعت عرسي واحتويت لعبلة * وبلغت سؤلي بالزواج ومقصد * والعوتبان تركته مع قومه
رزق الطيور ومع الوحوش الشرد * وقتلت بدر النصرانية مذ طغى * وأخذ مسيكة قوة بتمرد
ورجعت أطلب قومنا فوجدتهم * أخلوا الديار بخفة وتنكد * فلحقتهم وبني حذيفة قد بغوا
وتركت الأخيل في الفيافي مرتد * وكذا معاوية أتانا قاصدا * رأتت بني عبس بجيش مرعد
وبدا بظلمهم فعادوا عليهم * والظالم يفعل هكذا بالمعتد * وبني تميم وكندة مع قينة
وضربت عمرا بالحسام الأجرد * واسأل الوقعات الفروق وقد غدوا * أبناء تميم وجابر في محشد
ونهال مسعود فقد أوردته * كاس المنون فيا له من مورد * وشفيت قلبي إذ قتلت مليكهم
مسعود صاحب عراعر من يد * وشيبت يا جبل الغمام مفارقي * ويتجمع العربان للحرب الرد
وبني هلال مع تميم ووبرة * جندلتهم بسنان رمح أصلد * وقهرت عفريت السواحل إذ أتى
بكتائب من شرها لم تهتد * فأسرته وتركته في قبضتي * من بعد صولته بذل مكمد
وأتى إلينا عمرو بن هند وردنا * نحو الحجاز ونارنا لم تخمد * وحميد لما أن بغى في أهله
وأخذ العروة قوة وتجلد * وبعثت أنا شيبوب ينظر ما جرى * خوفا عليه وغاية المقصد
وتبعته ألقى حميدا وقد حما * نار العروة حرما في من يد * لما حمى للصخر يبغي حرقه
فقسمته بالسيف عند الموقد * واسأل الجابر حين أتاني مقبلا * يحوي بكل غضنفر مستأسد
أذيقه في الفلاة بطعنة * عدم الحياة وما له من مسعد * ورحلت من قومي ثنية غيلم
بزاح عروة مع عمارة الأنكد * وأتى إلينا عامر يروم قتالنا * فأسرته لما رأيته معتد
وعفوت لما أن قدرت عليهم * فعل الكريم الماجد المتسدد * وطلب برازي فامتثلت مقاله
وأورثته في الحرب هول المرعد * ورحلت معه إلى منازل قومه * وفعل معي فعل الصديق المسعد
وخرجت في طلب المدام لأشترى * فلقيت عمرو بن ود الماجد * وجرى لنا في الحرب كل عجيبة
ثم اصطلحنا صلحة بتودد * ولقيت في وسط الطريق خطية * الشاعر الندب الذي لم يجحد
وذكر فعالي في قصيدة قالها * وشكر لزيد الخيل نعم السيد * وأطلقت عامر من شديد وثاقه
وملكت خيلا مثلها لم يوجد * ودريد قد بارزته وقهرته * لما أتوا سوان قوم في الغد
وأسرت زيد الخيل لما أن بغى * في أرض عامر قوة وتجلد * وقهرت حمير مع هوازن كلهم
وأسرت منهم ذا الخمار الأنكد * وقضية السلال لما أن أتى * وسرق جوادي خدعة بترصد
خلصت مهري واحتويت عروسهم * وتركتهم في ذلة وتنكد * وكذاك ضامر لما أتى في جحفل
مع جيش غسان بكل مهند * وكسرت جيش الشام لما أن أتى * بعساكر مثل الغمام المرعد
عطش لناقيس النياق وساقها * بين الجبال فعال ندب أمجد * وقهرت جيشهم وقد زعمنا
بفتح البلاد تعمدا وتمرد * ومضيت أطلب عروة ورجاله * فوجدت عمرا مع سليك المفسد
وخلصت عمرا من لميس بصارمي * وغدا السليك مشردا في الفدفد * وضياعنا مع عامر في قفرة

لم نلق فيها واثدا أو معتد * ودعا كبشة كان فيه آية * لما عطشنا لم نجد من مورد
وأغاثنا رب العباد برحمة * وقد نجانا من عظيم الجهد * فاتى السحاب وطم أرض فلاتها
من عند رب واحد متوحد * وأضافنا ذاك الغلام وأمه * وأجرته لما غدا بي يقتد
وحديث حصن مع نوار عرسه * مشهور قد بين الورى لم تجحد * وبني الجريش تركتهم وسط الفلا
من أجل عل مع معاونة الرد * ونزلت عند دريد في أوطانه * وتركت جيرانى وأهل تودد
وأسرت غمرة مع أبيها فائزا * وقتلت أخاها قتلة لم تجحد * وجرى لنا مع ذى الخمار عجائب
وطلب هلاكى خدعة بتمرد * وسبيت بنى عبس حريمى واعتدوا * وبنى فزارة بالهم من حسد
ودخلت مع دريد بنى حريمهم * فاستقبلونا بالخداع تقتد * لما ربحنا سار قيس خلفنا
وبغى علينا بالمليك الاسود * ولقيت قيس والربيع وجمعها * يبكون من أجل الحريم الخرد
فضت عقودى وانجلت لما شكوا * وفعلت فعل الاكرمين السودد
ودخلت أرض الشام خلف حريمهم * خلصتهم كرما بطيبة مولد * ولقيت جيش الروم عاد نحونا
فاذقته طعم المنية من يد * وقتلت الخلجان بطريق لما طغى * وسعى الى أخذ القرى بتعمد
طلب الاقالة قيصر من حربنا * وأعطى الرهائن صاغرا بتنكد * ولقد كشفت عن الاعاجم غمة
زحت العلوج عن النساء الخرد * ولذى الخمار ضربت ضربة قادر * يرجى مودة سيد سمح اليد
فهوى الى نحو الصعيد معفرا * وعفوت عنه قادرا بتسدد * رأجرت عطافا وحاتم بعدما
أورثت عتبة هول يوم الموعد * وسبيت نحو مجيد أبغى أخذه * وقتلت حسان بن مسعود الرد
وأسرت ميسرة ورمت هلاكه * لما أراق دم الصديق المسعد * وأسرت في وسط الطريق بحيلة
وعبرت في حلق الحديد مصفد * وأتت سليمة تستجير أجرتها * وقتلت أبا الدوح الزنيم المفسد
والحارث الوهاب لما جرته * وكسرت جيش الفرس يوم المحشد * كذا الاعاجم قد أبدت جاتهم
وكذا المرازبة القحام النجد * ولقيت أخى شيبوب في وسط الفلا * ودريد من أجلى يسير بجهد
وأسرت حصنا مع سنان وقومهم * وقطعت أذنيهم جزاء من يعتد * وكذلك النعمان لما ازتوى
مع حيلة النذل اللئيم الانكد * فسعيت أطلب ثاره بفوارس * ثم الانوف من الطراز الاجد
ولقيت كسرى وهو وسط عريكة * فطلبت قتلته بكل مجد * فاتى العلامة ومن أعجامهم
فاسرت والاربعين مساعد * يقدمهم رؤس القبائل كلهم * عددا تمام الاربعين مسدد
والازدشير الماج لما ان رأى * عينين عبلة رام وصلا سرمد * ألقى لعنترة على فيل ما
يرجوه اياه بغير ضرب مهند * حتى اذا لحقت يد خرطومه * من بعد تقطيع الحديد الاصلد
رجفت يداه ورجلاه خيفة * من كف عنترة وعظم تجلد * فهوى على وجه الصعيد كانه
جبل وضجت فرسها والعبد * زعقت عبلة والنساء جميعهم * لما رأوا فعلى بفيل أطود
هذا هو الفعل الذى يبقى له * ذكر جميل فى الزمان مخلد * من غير فى فعلها من أجل عبلة
قتلت اشيما بالقنا شح معتد * وتركت كسرى فى القفار مجندلا * من عظم باسى لا يفيق لمنشد
وكذلك هانى وابن عمه عامر * جاءوا حديثى بينهم فى مشهد * وطلب برازى فامتثلت لقوله
وأوريته فى الحرب قوة ساعد * لما رآنى لا أمل من اللقا * طلب الاقالة واعترف بتودد
وكذلك فرسان الزمان أسرتهم * نعم الاماجد كم لهم من معهد * وحربنا مع عامر وملاعب
وأخى وابنى والصديق المسعد * وأتى لنا شيبوب أعلمنا بهم * خلصتهم وغصوب ولى من يد
وأتيت مكة والحطيم وزمزم * والمروتين بصدر أجر أجود * من كان يكرف الحروب فعائلى
فقصيدتى فى البيت غاية مقصد * أذلت جميع العالمين لقولها * فغدوا لها من راكعين وسجد
وأسرت من كبرائهم وملوكهم * جمعا غطارفة قنا صا باليد * وكذا غصوب الليل أيضا قدته

قهرا بكفى والعدى لى تشهد * مع طرفة مع مالك مع حارث * وكذلك عمرو ذى المحل الانكد
وكذاك امرؤ القيس سيد قومه * وزهير ذو الفضل الكريم الامجد * وملكت أشجع ثم فهر ومرة
وهزمت مخزوما وآل الاسعد * وقهرت عاملة وقحطانا مع * وجليت خولانا بطعن عود
وبنى السكوك وطى مع أحلافها * وفتك حسامى فى أمية مع عد
وتركت كسرى فى المدائن خاضعا * لسنان رمحى مع بريق مهند
وخرجت غضبانا لاجل عبيلة * لما دعتنى النساء الخود * ولقيت سروة فى الطريق ملكتها
هى ظبية تسبى الظباء الشرد * وبراتها من صرعها وجنونها * بكتاب مقرى الوحش كان يساعد
وبحصن خيبر كم لنا من وقعة * فيه يذوب لها الحصى والجلمد * وأسرت فيه خدعة لا قوة
من حيلة من كافر متهود * وأتى لهم بطريق يبغى منهم * حل انخراج من النصارا العسجد
وتجمعوا يبغون قتلى عندما * سمعوا بانى فى الحديد مصفد * وملكت حصن القوم منهم بعدما
خلصت أولادى بحد مهند * وقتلت جبار بن صخر بعدما * ألقى أبى شداد وسط الفدفد
وأطلقت قيس الراى من أغلاله * لما ملكه ذو الخمار المعتدى * وهرب سبيع محيرا وسط الفلا
وقبضه شيبوب الهمام الاصلد * ورجعت قاصدا أرضنا وديارنا * باكى حزينا بعد قتلة والد
ودفنته فى قبر مالك صاحبى * قد كان ذخرى فى الشدائد منجد * وذبحت أبطال اليهود لاجله
وجرى الدماء شبيه بحر زبد * وعتقت أولادهم ونساءهم * وأتت إلا الفرسان تندب والد
ورحلت قاصد غمرة وبلادها * من أجل سودان عليها تعتدى * وقتلت صاعقة الاصم وصحبه
خليتهم وسط الموامع شرد * وسويد بن عويد لما قصدته * قهرا وجندله غصوب الامجد
ولقيت للحبشا ثم مليكهم * لون الظلام بقوتى وتجلد * وطلب ودادى واتخذنى صاحبا
وكذلك صفوان نعم السيد * ولقيت وجه الغول فى جيش أتى * وتركته فى القاع يبحث باليد
وكذلك العكاش لما ان أتى * يبغى القتال قاصدا متعمد * فقتلته وتركته وسط الفلا
ملقى طريحا لا يفيق لمنشد * وكذلك عندم بن بسطام الذى * قاد الجيوش بقوة وتمرد
فقتلته وطلبت غوار الذى * ملك البلاد ونلت منه المقصد * من بعدهم لون الظلام وبعده
وجليت مما كان فى قلبى الصد * وسرت مع صفوان لاجل مراده * نصبت لنا شرك الخداع بمقصد
وكذلك همام رآنى عنده * وأنا مقيد بالحديد مصفد * وطلب هلاكى واستعد لقتلتى
فكسرت قيدى قوة بتعمد * وأسرته وملكت منه قياده * وملكت قصر القوم قهرا باليد
وأتى لنا شيبوب يقتفى أثرنا * فرق لجيش القوم وسط الفدفد * لما دخلوا نحو الحريم تعارفوا
منه بمعرفة وحسن تودد * ومقامنا فى أرضهم وديارهم * وحديث سيار الهمام الامجد
وكذا الجيوش الكل انساب لنا * وملوكهم أخوالنا لم تجحد * وكذلك الدمهار ليث زمانه
أخوال غمرة نعم ذاك السيد * وسرنا نحو النجاشى نبتغى * حربا له مع كل فيل ماجد
ولقيت زنجير الهمام وقد جرى * منى حروب مثلها لم توجد * لاقيته يوم اللقا فقتلته
من بعد ما قد كان قرما أصلد * أبريت منه العنق ثم تركته * ملقى عفيرا والخلائق تشهد
وكسرت جيش كسرة قادر * وأسرت للملك النجاشى الاوحد * فظهر من أخوالى وزاد سرورنا
وتكملت أفراحنا بتودد * ورجعت قاصد الديار بفرحة * ومعى الهدايا من لجين وعسجد
وأتى معى صفوان طالب أرضنا * وفرح به شيبوب نعم الامجد * حتى أتينا للشريف وأرضها
ماتت لغمرة حكم رب واحد * فدفنتها فى أرضها وديارها * وحكم ميمون ذاك الاوحد
وربيعة بن مكدم قاتلته * نعم الشجاع الندب ذاك السيد * لهفى عليه قد رماه نبيشة

غدرا وأعدائه القضاء المرتد * فأخذت ثارات له بحسامنا * وجليت مما كان فى قلبى الصدا
وسقيت كاسات الردى لنبيشة * وقتلت منهم كل أدرع أجرد * وذبحت فوق القبر كم من فارس
حتى تركت الدم يجرى مورد * وأسرت الغضبان لما أن أتى * يبغى لرأسى مهر دعد مقصد
وأخذت دعد بصارمى من بعدما * جنا لت للسرحان فوق الفدفد * ورحيلنا لاجل الرعية عندنا
ضاقت باموال الربا والجلمد * وسيرا أولادى أرض سحبل * وأسرهم العوام ذاك المعتد
وكذاك صعصعة وآل مزينة * خليتهم وسط المعامع شرد * فى يوم حنظلة وصحراء سحبل
لم يهتدوا الناصح أو مرشد * أذللتهم من بعد قتل ملوكهم * حتى أتونى طائعين وسجد
وحديث وصل الحبل لما أن أتى * وأجرته لما أتى مستنجد * خلصته من قوم هيباف الذى
ملك البلاد وصاحب الكف الندى * والعبد هيباف الهمام لقيته * وجرى لنا أنه لاعلاف المشهد
وكذا التغبين حين لقيته * لما استغثت بذكر أحد مسعد * وكذاك حملى بالجواد وسيره
حتى غدت منه الفوارس شرد * وكذاك غاشم اذ أتاه بنجدة * يوما بكل مدرع ومزرد
وكذاك هاطل بن ساقية الذى * قد كان فى حصن العقاب الاصلد * وشريط ولى هاربا بجنوده
وسط القفار محير الايهتد * وقاتلت مع يكسوم لما سرنى * بخلاص أولادى ولم يتمرد
أما خزاعة قد كسرت لما أتى * بعساكر من هند طود الاطود * وكذاك طود الطود قد جندلته
وسط القفار بفرد الكمة من يد * خلفته فوق التراب معفرا * وكسرت عسكره وربى مسعد
وسيرنا للشامخ المولى الذى * ملك الجزيرة بعد صاحبها الرد * وأخذت ودعة لابن عمى عروة
لما اشتكى ألم الهوى بتنهد * وبها خلصنا من دواهى أمها * سهم النزال وسحرها لم يجحد
وهزمت عسكرها بصارم مثقف * كالبرق يلمع فى الظلام الاسود * ولقيت أخى شيبوب قاصد نحونا
لاجل القصيدة خطها ذاك الرد * وأتيت مكة صبت فيها معشرا * وفوارسا عدد الحصى والجلمد
فتركت فرسانا لهم وقت اللقا * هذاك مكتوف وذاك مقيد * ما بين مهزوم وآخر ثاو يا
بيدى الانين وماله من مسعد * والكلب كان تركته وسط الفلا * ماقى جدلا وهو يبحث باليد
وأسرت طارقة بن نايح قوة * فى أرض مكة والخلائق تشهد * وطلب برازى عتيبة فاجبته
وأوريته الاهوال حتى يهتد * وكذلك المنغطرس النذل الذى * هو ابن خال سبع ولى من يد
وكذاك المستوعر الجبان الذى * خط القصيد تجبرا وتمرد * أسقيته من حد سيفى شربة
فبقى لا يجيب المنشد * وبنى النضائر قد أبدت سراتهم * ملكوا البلاد بلاد أرض المسجد
وبنى غيرو زيد مع أحلافهم * الكل خافوا من لقاء الموعد * وجذام ثم اللخم ولى مليكهم
قهرت العباد بقوة وتجلد * وكذا بنى زهران ثم كنانة * جندلتهم صرعا بقاع الفدفد
وملكت أشجع ثم زهرا ومرة * وكسرت مخزوما وآل الاعد * وبنى زرارة والعنان وخثعم
لما لقيتهموا بذات الاشمد * وبنى الجريش وما أتى فى صحبهم * وفتك حسامى فى أمية مع عد
وكذلك الصنديد لما أن أتى * والزبرقان لاجل ثار الانكد * فقتلت الصنديد قتلة ماجد
والزبرقان أمرته فى مشهد * وكذلك الغضبان لما أن عصى * وأراد يلقانى قتالا معتد
وبرزالى ورام قهرى عامدا * فاذقته حربا وانت لا تشهد * وكم نصحته أن يعود فما رضى
حتى استقال وقد أتى قبل يد * عدد الملوك فوارسا أرديتهم * وقهرتهم سبعين ألفا اطود
قحطان مع عدنان قد أذللتهم * وأتوا الشعرى راكعين وسجد * وكذا الفوارس قل قيل باسل
من بعد بكل وقت أجد * قد قدتهم قودا لا باعر عنوة * بالمشرفى وبالوشيج الاصلد
لو كان لى فى ذا الزمان مقام * لاذلنى قهرا وكان لوى يدى * وأنا المنية حين جد حديدها
فى الحرب لا تعدوا الفروسية من يد * لكنهم ذلوا وقع مضاربى * فوق التراب ولمع برق مهند

وأنا ابن شداد الكريم ومن علت * أعلامه فوق السها والفرقد * نلت الفخار على البرية كلها
بفعائلى أو تكرمى وتمجد * نادى بعنترة اذا اشتد القنا * وبرنانة حلق الحديد الازرد
تلقى حسامى قاطعا مثل القضا * وسنان رمحى بالمنية فى يد * هذه قصيدة ليس لها تضاهى
فى قول كل ممجد ومسدد * وفعلت فى البيت الحرام فعائلا * تبقى مذكورة دواما سرمد

شهدت لى الابطال فى يوم اللقا * انى أنا الليث الشجاع الاوحد
من منكم وأضحى يروم مواقفى * يبغى الذى أعيا الفوارس فى غد

(قال الاصمعى) وأبو عبيدة بن غيلو وأبو حازم المكى رحمة الله عليهم أجمعين فلما سمعت العربان شعره وما ذكره من نظمه ونثره وعدد الفرسان الذين قتلوا وعدد الملوك الذين أسروا فخافت من شجاعته وذلت لهيبته واقشعرت جلودها من سطوته فنادت عن بكرة أبيها بفرد لسان لا والله يا ابن شداد لا عاد أحد منا أشهر فى وجهك حسام ولا مد دنا نحوك رمحا ولا زلنا أبد الدهر لك صلحا فافعل بنا ما تريد واحكم علينا حكم الموالى على العبيد فلما سمع عنتر كلامهم شكرهم وأثنى عليهم وأقروا بوقوع هيبته فى قلوبهم وأقروا له بالفخر المبين وخروا له شعره ساجدين ولا ينبغى السجود الا لرب العالمين ولما كان من الغد تفرقت العرب الى ديارها وأوطانها وأخذ عنتر معه جميع مقدمين القبائل والمناهل والغدران وخواصهم الاعيان مثل دريد بن الصمة وحجاد ابن عامر وعمرو بن معديكرب وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وهانئ بن مسعود وخفاف بن ندبة ودثار بن روق والعباس بن مرداس وعتبة بن شهاب وبسطام وأبو قيس ومثل هؤلاء الفرسان وساروا وفى أوائلهم الملك قيس بن زهير وعنتر بن شداد وجدوا فى المسير حتى وصلوا الى أرض الشربة والعلم السعدى والتقت الاحباب بالاحباب وأخبر وأهاليهم كيف قتل عنتر المستوعر ورد قصيدته الى موضعها ففرحت العشيرة وضرب عنتر السرادق الكبير المسمى بنصف الدنيا الذى جاءه من عند كسرى وأمر بنحر النحور وسكب الخمور وأنزلهم على الغدران والمناهل وزادهم فى الاكرام فقام الامير هانئ على الاقدام وقبل الارض قدام عنتر والمقدمين من العربان ومدح وشكر وقال أدام الله لكم العز والاكرام على ممر الليالى والايام ثم انه أشار يمدحه بهذه الابيات يقول

أنتم كواكب الزمان ونوره * وشموسه وبدور تجلى المغلس
أنتم ليوث الحرب فى يوم اللقا * أنتم أسود الحرب والعزم القسى
ياصاحبى لله قوم أصبحوا * جبرا لكسير وهم حماة الانفس
قوم اذا ركبوا الجياد وأحربوا * مالت مخافتهم جبال المقدس
فاذا أتاهم خائف أو عائذ * زاحوا ضروته بغيرة تكسى
واذا المضر دعاهم لملمة * والخيل بين تفكس وتعكس
لبسوا الدروع على القلوب وأقبلوا * يتسابقون الى ذهاب الانفس

قال فشكروا عنتر والمقدمين وأثنوا عليه وقام له دريد وأخذ بيده وأجلسه الى جانبه ساعة من الزمان والتفت الى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أنا حاصل عندى وسوسة من قصيدتك المعلقة من جهة عدد الوقائع وعدد الفرسان وأريد منك أن تعيدها على أسمعها وأبقى أعيدها بين قومى وعشيرتى فقال عنتر يا شيخ العرب وأميرها اعلم ان كل وقت ما يكون عقل الانسان معه ولكن ان كنت تطلب ذلك فانا أسمعك غيرها وأعيد عليك اسم الفرسان والوقائع على قافية غيرها ثم ان عنتر أشار ينشد يقول صلوا على طه الرسول

﴿ هذه القصيدة المترددة لعنتر بن شداد الذى أعادها فى بنى عبس لدريد بن الصمة
وهذه القصيدة مخرجة من التواريخ ﴾

ياعبل خلى عنك قول المعشر * واصغى الى قول الهمام القسور * وخذى مقالا صغته من عسجد
ومعانيا رصعتها من جوهر * كم مهمه قد خضته بفوارس * ومفاوز جاوزتها فى الاعكر

كم جحفل مثل الضباب هزمته * بمهند أحد الشفار وأسمر * كم من رؤس في الحرب نثرتها
نثرا وكفا بائنا عن خنصر * يا عبل دونك والفوارس فاسألي * ان كان عندك شكة في عنتر
أسد تخاف الأسد من غاباتها * من هول صرخاتي وجولة أبجر * والفرس تحذر في الفلاة وتتقي
بأسي كذاك الروم في ذي الاعصر * يا عبل هل أخبرت يوما انني * وليت منهزما هزيمة مدبر

أفري الصدور بعزم طعن باسل * وابري الرؤس بكل ضرب منكر

كم فارس خليت رأ كل لحمه * وحش الفلا وتنوشه من أنسر * واذا ركبت ترى الجبال تضج من
ركض الخيول بكل قطر موعر * واذا حملت تحوم عقبان الفلا * وأسودها تنهش كل غضنفر

والموت يفزع من سماع اسمي ومن * شخصي ينفر فرار وحش منذعر

كم فارس ألقى السلاح وارتمى * للارض وهو ابكل سوء مضمر * وبوده لو كان لاقاني ولو
ألقى أسيرا قبل ذا من أشهر * لو عاينت عيناك فعلي بالعدا * من كل قيل في التراب معفر
لما قتلت لمرداس وبعده * عبد الربيع ابن اللئام المنكر * وكذاك المتغطرس الدرغام مع
عساف قد أهلكتهم بغير تنكر * وقتلت ناقد يا لهام قتلة * وحويت مهري ذا الاهز الابجر
والخصر وان تركته وسط الفلا * لما أتى نحو المليك المنذر * وملكت أموالا أتت من قيصر
والبطرموت ثوى بادن أسمر * وكذاك بهرام اللئيم ورستم * لما أتى يبغي الصراع مخبر
وكذاك طارقة الزمان سقيته * كاس الحمام بحد سيف أبتر * كل سقيتهم الحمام حقيقة
ومفرجا أحواله لا تنكر * وضربت فياضا بحد مهند * ماضي ثقيل المتن غير مقصر
أرديته من فوق ظهر جواده * فهوى صريعا مثل نجم مكدر * ولجابر ومفرج وحذيفة
هلكوا بسن رمحي الاسمر * وطعنت للصدام يوم صدامه * في صدره طعن الهمام القسور
واذا برمحي نافذ من ظهره * متشعشعا كالارجوان الاحمر * وحملت شاس من عقال وثاقه
لما مضيت لمكة والمشعر * ولقيت روضة في الطريق أسرته * وطلقته لاجل البنات البكر
وأسرت للجيد ابنته زاهر * وقتلت خالدا قتلة لم تنكر * ونجاد قد شردته بجيوشه
وكذاك بسطام الكريم العنصر * وقتلت قنعب بن غياث الذي * قصد البنات بقوة وتجبر
وكذاك عروة قد حللت وثاقه * مع أخته سلمى بحد الابتر * وتركت أبا الاشبال في وسط الفلا
رزق الطيور وكل ضبع أغبر * وتركت مسحلا هاويا عن سرجه * لما طعنت صدره بالاسمر
وسل الفتى أسد بن مدركة وقد * أمسى وأصبح للكريهة مضمر * ومفرج بن هلال أضحى ثاويا
من طعنتي في وسط برأقفر * والغاسق مع نقمة أرديتهم * بالمشرفي ولم أخف من مشعر
وأسرت غشم والطفيل وقدتهم * قيد البعير الى الهوان الاكبر * كذاك حجار بن عامر قدته
بكتافه قود البعير الاغبر * والحارث البطل الكمي أسرته * وهو ابن ظالم والخبيث الاقشر
ومنازل نازلته وقهرته * قهرا وظن بانه لا يقهر * وكذاك معدي الهزبري تركته
ماشيا ذليلا في الفلاة الموعر * وقتلت جراح بن صائل في الوغا * الوايلي يدعى شديد العنصر
والاسود الملك الهمام أسرته * أعني اخو النعمان بن المنذر * وكذا بوادي السيل سال دماؤهم
ونفوسهم ذهبت بليل أعكر * وضربت رأس الوردشان بصارمي * حسن الصقال والسنان مجوهر
فهوى صريعا الابسا حلل الدما * وثوى جديلا في التراب معفر * وأسرت مقري الوحش ثم طلقته
يوم الهياج فنعم ذاك القسور * فرأيته حفظ الوداد فكان لي * خلا كريما صادقا لم يغدر
وهو الذي يدعى بفارس شامه * في الحرب صادق زنده لم يخذر * فلا حفظن وداده ما عشت في
دهري وأرعى عهده في المحشر * ولا كافئن لابنه من بعده * واذب عنه بصارمي وبأسمر
هذا فعالي ما حييت وانني * أرعى الزمام ولا أخون لمعشر * والعوثبان ضربته بمهند

وتركته رزقا لضبع أغبر * وقتلت بدر الانصاري عامدا * ابن الهمام الحارث المنصور
والاخيل البطل الهمام قتلته * وبريت هامته بحد الابتر * والعمرو بن صرقب قد تركت عظامه
منشورة في وسط برأقفر * وكذا معاويه تركت مجندلا * ولجابر سيفي تيم بابتر *
وكذا عقاب ثم مسعود معا * جندلتهم بمهندي وبأسمر * وأسرت عفريت السواحل قوة
وتركت عبد ايسوس الابجر * وسلوا صميدع ثم عمرا بعده * ماقد لقوا يوم الوغا من عنتر
مزقتهم بالسيف كل ممزق * وبدرتهم بدرا بحد الاخضر * ولابن زجرته زاجرا لما أتى
يبغي لقتلي زجته بالابتر * ولعامر ابن الطفيل حين ملكته * وعفوت عنه عفو ليث قسور

ولجابر واقيط لما قدتهم * قود الاباعر قوة بتجبر

وخرجت في طلب المدام لاشتري * فلقيت عمرو بن ود العامري

وأسرت زيد الخيل قهرا في الوغا * وأخذت عامرا قوة بتجبر * وغدا السليك وصحبه من خوفه
وسط البراري جفلا بتنفر * وأسرت حارث بن ظالم انه * أفعاله عند اللقا لا تنكر
ولذي الخمار القرم أيضا قدته * وسط القفار قود البعير المذعر * وتركت حسانا تحير نساؤه
أسفا عليه بحرقة وتصبر * وكذاك جبار بن صخر تركته * طعما لوحش البر ثم الانسر

وتركت رمحي نافذا من ظهره * ورزأته في مقدار سبعة أشبر

وطعنت ميشا طعنة عبسية * هدمت اشدتها قواعد خيبر

وقتلت مرثوما وبددت جيوشه * وتركتهم وسط العجاج الاعكر * وسويد بن عويد لما قدته
وكذاك صاعقة الهمام القسور * ومصادقة لون الظلام وابنه * بدر التمام القيل نسل الافخر
وحديث غوار وهمام بعده * قاسم الى الاعمار فخر العنصر * وكذاك الملك النجاشي قدته
وتركت زنجيرا قتيلا معفر * وربيعة بن مكدم هو صادق * بفضائل نعم الصديق المخبر
وكذاك الغضبان لما أن أتى * يبغي قتالي قوة بتجبر * وكذاك صعصعة وآل مزينة
وتركت كلا في التراب معفر * وحديث هياف المليك وقومه * ثم اصطلحنا صلحة لم تنكر
ومسيرنا حصن العقاب بهمة * مشهورة لي دائما في الاعصر * ومصادقة يكسوم لي من بعدما
أطلق لاولادي بغير تجبر * وقتلت طود الطود أيضا بلكمة * فغدا قتيلا في التراب معفر
وتحاربت سهم النزال مع بنتها * من بعد ما صابنا في العسكر * ورجوعنا من بعد قتل رجالهم
يوم الحروب ولم أدع من منكر * وحوادث حدثت على بمكة * والابطحين وزمزم والمشعر
وسل بني قحطان في يوم الوغا * وقبائل املات القفار وحمير * وردتهم كلمح المنظر *
وأسرت من شيبان كل غضنفر * وكذاك زهوان وأدرم قدتهم * وأسرت مخزوما بهذا الاسمر
وقبائل طي ثم من قد مضوا * هربا ولم يأتي لهم من مخبر * وعلوت كلا نابأبيض صارم

وحميت خولانا ولست بمنكر * وضربت في نبهان ضربة صادق

من أبيض وطعان رمحي الاسمر * وأبدت آل تميم جما في الوغا

وكذا قتلت بعسكر في عسكر * وسلي بني همدان مع جشم العلا

وبني الوحيد على الخيول الضمر * وبني غيلم ثم لخم بجديلة * هربوا وخافوا سطوتي وتجبر
أفنيتهم وأبدتهم وأسرتهم * وقهرت في الهيجاء كل غضنفر * وزبيد ثم مخزوم ثم فزارة
مع آل مرة والمحل الاخضر * وكذاك غني وآل قضاعة * وردوا حياض الموت غير مكدر
كم فارس يوم الهياج قتلته * والخيل تعثر بالوشيج الاسمر * ولكم وردت الموت أعظم مورد

صدرت عنه وكان أعظم مصدر * ولكم خطفت مدرعا من سرجه

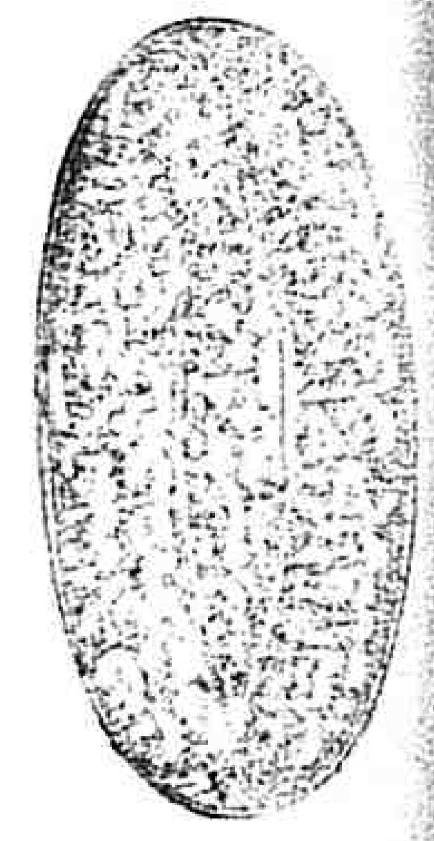
في الحرب وهو بروحه لم يشعر * واذا حملت على الكمي يكاد أن

يلقى التراب وطرفه كالاحور * وأنا المذكور فى الحروب جميعها
والقسم لى أيضا بحظ وافر * قد طال ما عثر الجواد براكب * ويخال ظنا انه لم يعثر
ولكم أسرت حريم كل مهذب * وعفوت عنهم فعل ليث قسور * وأنا ملوك الارض تخشى سطوتى
ومن المعامع صارمى لم يفتر * كم فارس قهر الملوك بباسه * يسمى الهمام الفارس المستوعر
لاقيته بعساكر قد طبقت * تلك السهول وكل شعب موعر * وبارزتهم وقهرتهم وقتلتهم
وتركتهم رزقا لضبع أغبر * ومعى من الفرسان كل صميدع * ما منهم الا كريم العنصر
كغصوب والغضبان فارس عصرها * وكذاك ميسرة الهمام القسور
وكذا رحاة الحرب فارس قومه * ومبيد أعداه بحد الابتر * هو عروة ابن الورد فى يوم الوغا
يفنى العداة بابيض وبأسمر * وقتلت للمستوعر اندل الذى * جمع القبائل تمام حمير
ورجعت وديت القصيدة بعده * والعرب تشهد قوتى وتجبر * وهو الذى حط القصيدة عامدا
تبا له من ما لقى من عنتر * بارزته ورميته برزية * وخرقت منه صدره بالاسمر
وتركته ملقى على وجه الثرى * ودماؤه مهروقة كالانهر * ورجعت علقت القصيدة بعده
بالرغم عنه وكل صعب يصغر * ذا مقال عبد عبس فى الورى * ذى الجود والحظ الجزيل الاوفر
من آل عبس أصل كل قبيلة * مدحا وشاع مديحها فى الاعصر * وأنا المسمى عنترا يوم الوغا
من آل عبس ليث غاب قسور * وأنا الذى سعدى رقا درج العلا * فوق السماك مقارنا للمشتر

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع دريد والفرسان ذلك الكلام شكروه ومدحوه بكل شفة ولسان وباتوا تلك الليلة فى سرور وافراح وأكل طعام وشرب راح حتى أصبح الله بالصباح فعزموا على المسير والرواح واذاهم بغبار قد ثار وانكشف على قبائل شتى قد ملأت الروابى والآكام وأبدوا السلام على شيخ العرب دريد ابن الصمه ومن معه من الاقوام وقالوا اعلم يا شيخ العرب ان هؤلاء القبائل قد سمعت ما جرى على المستوعر فى البيت الحرام من حامية عبس الليث الهمام وقد جئنا نهنيه بنصره عليهم واعادت قصيدته مكانها ففرح دريد لصديقه عنتر كيف وقعت هيبته فى قلوب العربان وركضوا بالخيل واستقبلوا القبائل وأنزلوهم فى الروابى والجبال وذبحوا لهم الاغنام والجمال والنياق وأقاموا فى الاكرام ثلاثة من الايام وطلبوا بعد ذلك من عنتر الحماية فأمر عنتر الى عروة بن الورد ان يكتب الى كل قبيلة كتابا بالامان للقبيلة الفلانية ان لا يتعرض اليها احد ومن تعرض لها واخذ منها عقال بعير فلا بد من ركوب عنتر عليه ولم يترك فى قبيلته لا كبير ولا صغير فكتب عروة بن الورد ألف وخمسمائة كتاب الى ألف وخمسمائة قبيلة أولها ضبية وآخرها بنى بجيلة وتجهزوا بعد ذلك للمسير فطاعت العربان معهم للوداع يوما كاملا ورجع عنتر بعد وداع القبائل الى اوطانه وأقام فى عز وانعام وخيرات زائدات مدة أعوام ففرغ ما عنده من المدام فقال لعروة خذ أهبة السفر أنت ورجالك الكرام حتى نسير من ههنا ونقابل تجار الشام فهم الغضبان واخوته على المسير معه فقال لهم أقيموا على القبيلة خوفا من الفرسان المتجبرين فى ذلك الزمان لاننا ما نغيب الا حتى نلتقى مع التجار المدام ونعود قوام فلما سمعوا كلامه أجابوه الى ذلك الكلام ودخل الى عبلة وبل شوقه منها وهى تقول له الى أين قاصد وما كان علمها بما هو طالب وسار من عندها فرأى عروة واقفا له فى الانتظار هو وجماعته الاخيار فركب وسار وقد تبعوه قومه من كل فارس مغوار وتقدم شيبوب امامهم كانه ذكر النعام يركض فى تلك البرارى والآكام وهو يقول لأخيه الى أين قاصد فى هذه الفدافد فقال له ابصر لنا أرض يكون الخمر فيها كثير موجود فقال له يا أخى على بالى أرض يقال لها أرض تيما ولكن لها طريقين طريق من أرض العراق مسيرة شهر كامل وطريق من على اليمن مسيرة احدى عشر يوم ولكن ما نسير الا من طريق العراق فقال له عنتر ولم هذا الكلام فقال له يا أخى اليمانية فيها واد وغابة معمورة بالجان ولا يقدر أحد يسير من ذلك المكان فقال له ويلك يا ولد الزنا أى شئ هذا الكلام ونحن لا نخاف من انس ولا من جان فسر قدامنا على هذا الطريق ولا تسر على مهلك فلا بد منها

والنزول فيها ودع قبائل الجن يتعرضون لنا ثم انه جاش الشعر فى خاطره فاشار اليه يقول صلوا على طه الرسول

يا بنت مالك لا تخافى من العدا * اذا لاح نقع الحرب يوم التشاجر
فدونك خبا كى فارس متقشع * بيبد اليوث الحرب ايس بقاصر
فلو طالبوك أهل ذى العصر كلهم * لفرقتهم فوق الثرى والمحاجر
بسيف يمانى لو ضربت بحده * دجا الليل ولى وهو بالصبح عاثر
أنا صورة الموت التى لو تصورت * لكل الورى ماتوا بلا ضرب سيف باتر
ولو ان شخص الموت شاف لصورتى * نهار اللقا ولى من السيف نافر
أنا لو لقيت الجن فاخفت حربها * لو اجتمعوا من كل وعر وعامر
ولو كنت أعرف ان للارض قبضة * لكنت قلبت الارض من كل حاجر
خلقنى اله العرش ربى وخالقى * أطهر تلك الارض من كل كافر
الى ان يجى خير البرايا محمد * ويظهر دين الحق لاهل البصائر
فان طول الله العظيم لمدتى * وأدركته نلت العلا والمفاخر
وأدخل فى الدين القويم بلا خفا * واقتل عداه بالقنا والبواتر
وأخدمه فى طول عمرى ومدتى * وأنصره ان شاء ربى وناصر *
وافتح له الاقطار شرقا ومغربا * بعزم يقد الصخر يوم الغوابر
الا فاشهدوا انى على دين أحمد * من اليوم حتى تبعث أهل المقابر



﴿قال الراوى﴾ فشكره عروة وقال له لا فض الله فاك ولا كان من يشناك فعند ذلك سار شيبوب بين أيديهم وهم من ورائه مدة من أيام وهم يقطعون البرارى والقيعان حتى أشرفوا على وادى الشيطان فقال عنتر لشيبوب انزل بنا فوحق ذمة العرب لا بد من الاقامة فيه والبيات حتى نتفرج على ما فيه من النبات فاجابوه القوم ونزلوا هذا وعنتر أخذ سيفه بيمينه ودرقته بشماله يسار وهو يتفرج يمينا ويسار واذا هو بشجرة شوم كفرية كبيرة يونانية ما يدور رعايها الحصان عشر رجال وعندها عين من الماء الزلال نازلة تحدر على الحصى والرمال فتعجب من قدرة الملك المتعال فبينما هو غارق فى بحر الافتكار يسبح الملك الجبار خالق الليل والنهار واذا بصوت مثل الرعد القاصف وقائل يقول ويلك يا نسل الاشرار ما كفاك تهجمك على الانس فى الديار حتى تتهجم على الجن والعمار يا ويلك أنا الصمصام بن الشلغام خذ ما جاءك وابشر بالهلاك فلما سمع عنتر ذلك الكلام ورأى الصوت طالع من تلك الشجرة فسل الحسام وقصدها وكان لهذا المارد كلام عجيب لانه حبسه كاهن من الكهان من قديم الزمان لانه رأى ان قتلته لا تكون الا على يد فارس يظهر من الحجاز فاتى به الى تلك الشجرة وسجنه فيها بالاسماء والاقسام ورصده حتى اذا مسه سيف ذلك الشخص الحجازى تقع رأسه قوام من الاسماء العظام فكان ذلك المارد يعرف هذا الكلام فكل من جاز عليه فى هذا المكان يعتقد انه ذلك الشخص الموعود به فيظهر الدخان والشرار والنار والزعقات العاليات خوفا من ذلك الآدمى فاعتقدت جميع الناس ان هذا الوادى معمور بالجان فما بقى يدخله الا من لا يكون يعرفه حتى أتى عنتر وسمع حسه وسحب حسامه وقصد الشجرة وهو يظنه انه متدارفيها فمال بحسامه عليها والمارد يصيح ويميل عن حسامه حتى قطعها وأتى طرف الحسام فى المارد فقال له اثنى فاراد عنتر أن يثنى عليه واذا بقائل يقول لا تفعل يا أبا الفوارس تندم ﴿قال الراوى﴾ فقال عنتر من تكون أيها المتكلم ولم ترك عيناى فقال أنا من ملوك الجان الذى آمنوا بسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وأما هذا الجنى الذى قتلته أنت فانه كان عاصيا على السيد سليمان واتخذ له مسكن فى هذا المكان وصار يتعرض لكل من دخله من البشر فجعل الله قتله على يديك أيها الفارس القسور ولو انك ثنيت عليه لعاش وعاد اليك على الاثر وأوصل أذيته اليك ولكن احذر يا عنتر من أهله لانهم فى أرض غير هذه الارض وبينك وبينهم عشرة فراسخ وهم مقيمون

في واد يقال له وادي صارخ ﴿ قال الراوي ﴾ ثم انه أخذ رأسه وأتى بها الى عروة بن الورد وفرسانه ورماها بين أيديهم فتعوذوا باللات والعزى من ذلك الشيطان هذا وعنتر يضحك عليهم ويبدي الابتسام وهو يقول لهم لا تخافوا من رأس هذا الشيطان فعندها سأل عروة عنتر عن ذلك الامر المنكر فصار عنتر يحدث عروة بما جرى وما صار فعندها أشار عروة ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أبا الفوارس يا ليث الحرب ويا * بحر المكارم والاسعاف والبدل
أبا الفوارس قدرك قد سما وغدا * ونجم سعدك فوق الشمس والحمل
أبا الفوارس يا جبر الكسير ويا * غوثا وعونا لمن ضاقت به الحيل
أبا الفوارس يا من سطا وغدا * محكما في رقاب العرب والدول
يا واحد الدهر يا من لا شبيه له * في الجود والحرب كم أرديت من بطل
قتلت ذا المارد الشيطان يا أملي * بعزم باس في النيران تشتعل
ولو آك عدوك ما استطاع بان * يمشي على الارض من خوف ومن وجل

﴿ قال الراوي ﴾ فلما فرغ عروة من شعره ونظمه ونثره فشكره عنتر على مقاله وفعاله وبعدها ساروا أول يوم وثاني يوم بهمة قوية وعزمة جريه وهم يقطعون هذه البريه واذاهم قد أشرفوا على مدينة بيضاء كأنها الحمامة الرعيبه أو كأنها الفضة النقيه فلما نظر عنتر اليها قال لأخيه شيبوب ما تكون هذه يا شيبوب فقال له يا أخي هذه يقال لها المدينة البيضاء ويقال ان الذي بناها الاسكندر بن دارا بالرومي والآن ساكن بها ملك نصراني يقال له اليامان بن مرقوم وقومه نصارى يشدون الزنار ويعبدون الصلبان من دون الملك الجبار وصناعتهم يا أخي عصير المدام لان أرضهم أكثر أشجارها عنبا أيها البطل الهمام وان يا أخي ملكهم اليامان بن مرقوم ما في بلاد النصارى أشجع منه وقد سمعت أنه غار على بلاد الملك النعمان وهو على حال حياته ملك وسلطان وكان معه عشرة من الفرسان وساق ما فيها من الاموال والخيل والجمال فلما ان دري به الملك النعمان جد خلفه وجرد أربعين ألف عنان فعدا عليهم وحده بعد ما أخر من معه من الفرسان وقال لهم لا أحد منكم يساعدني على الشجعان ثم انه حمل عليهم وأوقع بهم الذل والهوان وشتتهم في جنبات الارض والكثبان فلما رجعت المنهزمين وأخبروا الملك النعمان بذلك الاسباب فارسل يعلم بذلك الحارث الوهاب ويشكوله من ذلك الجبار فارسل له الآخر عسكر جرار فحمل عليه وكسره فارسل ثاني عسكر دمره فخاف منه الملك الحارث الوهاب من كثرة شره ودهاه فعند ذلك أرسل اليه الحارث وهاداه واكتفي شره وحاداه ثم انه أرسل يقول للملك النعمان اعلم يا ملك الزمان يا من هو أوحد العصر والاوان ان الذي نهب أموالك وأخذ نوقك وجمالك قد عجزت يدي عنه فقتلك يا ملك الزمان ومنه فلا أحد يعارضك من قبله لانه قد زاد علينا وعليك شره ودهاه والآن قد زادت فروسيته وقويت شوكته وتقول عنه سائر الأنام انه سخي الكف أيها البطل الهمام ﴿ قال الراوي ﴾ فلما سمع عنتر من شيبوب هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وقال لأخيه شيبوب هل سمعت بهذا الكلام الذي كأنه أحلام فوحق ذمة العرب وشهر رجب ما خطر لي وصفه على بال ولابد من أخذ روحه والمال والنوال وهذه المدينة وكل ما فيها ولا أدع فيها عقال والا ما أكن عنتر بن شداد ابن البطل المفضال ثم انه قال لشيبوب دلني على مراعيهم ودعهم يكونوا مائة ألف فارس مثل الذي تقول عليه يا شيبوب فان أخوك عنتر فيه الكفاية وأكثر فعندها أمرهم شيبوب بالنزول في جبل من جبال تلك الارض والطلول وبات عنتر يحرسهم في ظلام الاعتكار الى أن ولى الليل وطلع النهار فعندها ساق عنتر الاموال بما فيها من الخيل والجمال فتصايحت عليه بعض الرعيان والبعض منهم طلب الى ناحية المدينة على ذلك الشان وهم يشكون بالويل والثبور وعظائم الامور وقد تصايح الرعيان من كل ناحية ومكان فعندها ركبت سائر ما في المدينة من الفرسان والشجعان وفي أوائلهم الملك اليامان وهو راكب على ظهر الجواد ورجليه تخط في الارض والوهاد وهو يهمهم مثل

الاسد الحردان ومازال سائرا بمن معه من الفرسان الى أن قارب عنتر البطل المنصان فلما قاربه زعق عليه وحمل فالتقاه عنتر فارس السهل والجبل وله قلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر اذا زخر وحملت جماعة عروة على جميع الفرسان وعمل بينهم الصارم اليمان وجرى الدم على وجه الصحصحان وخرق السنان في نواعم الابدان وحامت على أجساد القتلى كواسر العقبان وتقدمت الوحوش الى ذلك المكان ومازالوا وهم في قتال ونزال وحرب وجدال وأخذ ورد وهزل وجد وقرب وبعد وتجريع الموت الزؤام الى أواخر النهار واذا بشيبوب يزعق على عنتر البطل المغوار وهو يقول له ويلك يا ابن الملعونة أنت صرت جبان وذليل ومهان ولا عندك خبر بالحرب والطعان وأنت واقف تعطي المهال وجماعتك وقعوا في الذل والهوان مع هؤلاء القوم الاشرار يا للعجب لما صار فيك يا ابن زبيبة من الاهمال ﴿ قال الراوي ﴾ فلما سمع عنتر من أخيه ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وحمل على اليامان بقلب أقوى من الحجر الصوان وزعق عليه زعقة دوى لها ذلك المكان ومالت منها فروع الاغصان وطعنه بعقب الرمح لقحه مثل جذع النخل على الصحصحان وقال لشيبوب كتفه فتقدم اليه شيبوب وكتفه كتاف وقوى منه السواعد والاطراف فلما نظرت عساكر اليامان الى ملكهم وقد صار ذليل حقير وهو في حالة الذل أسير وعلى الارض عفير عملت في رؤسهم النخوة الجاهلية وقال بعضهم لبعض يا ويلكم أما تنظرون الى ما حل بملككم وكيف أخذوه وهو يتعثر وقد أنزلوا به العبر يا ويلكم احملوا في هذه الساعة لعل تأخذوا رأس هذا العبد من على كتفيه ونصبوا المصائب عليه فعند ذلك هزت الفرسان أكفهم بالرماح وجردت البيض الصفاح ونادى منادي الحرب لا براح وتقدم البطل الجحجاح وطلب الجبان الرواح مما شاهد من كثرة الجراح ومازالوا على هذا الرواح الى أن ولى النهار وأقبل الليل بكوكبه الوضاح فعند ذلك انفصلت الطائفتين ورجعت الى بعضهما بعض وكان الربح في ذلك النهار لابي الفوارس عنتر الاسد القهار فلله دره من فارس قهار وأسد جبار وفارس شجاع وقرم مناع لا يخاف الموت ولا يفوته في الحرب فوت وهو كأنه ملك الموت وقد عاد وهو مخضب بالدماء كشقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان ثم ان عنتر جاش الشعر في خاطره فانشد يقول صلوا على طه الرسول

لقد كلت النفس من طول المقام * وقد صاح صائحنا والسلام * وصاحت طيور رفناء الاجل
على شجر العمر بعد الكلام * فهذا جريح وآخر طريح * وهذا أنين من عظيم الصدام
* وزلزلت الارض زلزالها * وصار الضياء كلون الظلام * وراح الجبير وقل النصير
وحار الكبير وشاب الغلام * وهذا قتيل وهذا ذليل * وهذا قتيل برشق السهام
وهان الذليل بوسط المجال * وصادمته الخيل تحت القتام
وزاد الصياح وعظم الجراح * برؤس الرماح وحد الحسام
وخوض العجاج وعظم الهياج * وطول الانزعاج وبئس المقام
وطعن الوداج وسط الهجيج * ولبس النسيج وقوم كرام
وهز الحصان وركز السنان * وفر الجبان من السهام
وخوض المجال بطعن الطوال * وقتل الرجال من أولاد حام

﴿ قال الراوي ﴾ وبعد ما أنشد عنتر هذا النظام نزل في الخيام لاكل الطعام فلما أكلوا ما قسم الله لهم من الزاد أراد رفقاه أن يأخذوا حظهم من المنام وقد قام عنتر للحرس في جنح الليل الاغلاس ومازالوا كذلك الى أن أصبح الصباح فعند ذلك برز عنتر الى الميدان وصال وجال ولعب على أربعة أركان المجال وزعق ونادى وقال يا سادات بني غسان وكل من حضر في ذلك المكان من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فما بي خفا أنا الفيل الانكد والحجر الصامد والفارس الاسود الذي ناره في الحرب ما تخمد أنا فارس الفرسان

ومبيد الاقران وحاوى قصب الرهان فى حومة الميدان وفارس عبس وعدنان أنا طويل النجاد ورفيع العماد وحامى النساء والاولاد أنا الامير عنتر بن شداد حية بطن الواد ابرزوا الى فرسانكم واظهروا الى شجعانكم حتى أقتل أقرانكم وأبطالكم وأيتم أطفالكم وأفرق جموعكم وأخرب دياركم وأنهب أموالكم وأسبي حريمكم فلم يبرز اليه انسان لاقاص ولادان ثم انه ركب رأسه فى قربوص سرجه وحمل حملة جبار ومال على الميمنة قلبها على الميسرة والميسرة قلبها على الميمنة فلما رأت فرسان الليلمان الى هذا الامر واشتان ضاقت عليهم الارض فى طولها والعرض وقالوا ما بقى لنا خلاص من ضيق الاقفاص الا الضرب بالحسام والطعن بالرمح المعتدل القوام اما أن نخلص أو نشرب كؤس الحمام هنالك دارت الابطال بالابطال وقصرت الاعمار وحارت الابصار ودار السيف فيهم من كل جانب وسدت فى وجوههم المذاهب وقدروا طعنات عنتر وهى لا تبقى ولا تذر فعند ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وكان فرارهم أوفى غنيمة وبنو عبس تطعن فى أقفيتهم الى أقصى مكان وعاد عنتر وعلى درعه لدماء مثل أكباد الابل وهو مثل شقيقة الارجوان ولما استقر به الجلوس فى ذلك المكان أمر باحضار الملك الليلمان الى بين يديه فامر بضرب رقبته وان يسقيه كاس منيته فجرد شيبوب سيفه وأراد أن يسقيه كاس الحمام واذا بالملك الليلمان قال لعنتر يا فارس الزمان أخبرنى من تكون من الفرسان فانا طول عمرى أبارز الفرسان فى حومة الميدان فما رأيت أقوى منك جنان ولا أثبت عند الضرب والطعان فعند ذلك قال له عنتر يا ويلك ما جهلك بالفرسان المشهورين فى حومة المجال الموصوفين بالشجاعة والبراعة بين الفرسان والله ما كذب الذى قال انكم ما ترعون ذمام ولا أنتم كرام ولا سيما وأنتم تعبدون الصلبان والصور المصورة فى الحيطان أنا معروف لكل انسان فى الارض والبلدان أنا فارس عبس وعدنان وقراد وذبيان وحامى القبائل والغدران أنا فارس الجلاد عنتر بن شداد فقال الليلمان الحمد لله الذى استجاب دعائى لانى كنت أسمع بك وأطلب من الله أن يجمع بينى وبينك فى الميدان حتى أجبر وحى معك فاستجاب منى دعائى وقبل شكواى فاتخذنى لك غلام من بعض الغلمان وعونا من بعض الاعوان واعلم يا فارس عبس وعدنان انى أنا ابن عم صاحبك وصديقك مقرى الوحش ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر كلامه وعلم انه ابن عم مقرى الوحش قال يا شيبوب اطلقه من الاعتقال وأراد الليلمان يقبل رجل عنتر فابى عن ذلك وأخذه بالاحضان وافتكر مقرى الوحش فغشى عليه ساعة زمانية ثم بعد ذلك أنشد يقول صلوا على طه الرسول

تفكرت مقرى الوحش فاضت مدامعى * وثار غرام كامن فى جوانب

على صاحب قد كان لى عونا على العدا * اذا ما أتوا يوم اللقا والتحارب

أيا مقرى الوحش ما كان حلمنا * تفارقنا يا ابن الكرام الاطايب

عليك أرى حزنى طويلا مبرحا * حتى أصير فوق الحصى والترائب

فلو كان شخصك يفتدى افديته * بشخصى وما أملك وجميع حبائب

فن لمسيكة بعدك اليوم اذ غدت * تنادى وأنت لا تجيب بجاوب

وتبيع اليمن يا مقرى الوحش باكيا * عليك بدمع فى الثرى دم ساكب

وفقدك يا مقرى الوحش اعلم بانه * يشير بانى عن قريب لذاهب

وكل جميع الخلق تفنى بجمعهم * ويبقى الذى يأمر بسير السحائب

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من هذه الابيات قال له الليلمان ما جاء بك الى هذه الديار أى حاجة تطلب يا فارس الفرسان فحكى له عنتر على احتياجه المدام ففرح الليلمان وقال قضيت حاجتك يا سيد الاقران هذا عندنا منه شئ كثير والكن وحق المسيح ما نمكنك من الرواح الا من بعد شهر ثلاثين يوما حتى تاكل ضيافتنا ونشبع من حديثك وبهجة طلعتك ثم انه ركب حصانه وقصد الى نحو المدينة فلما رأوه عرفوه فنزلوا وفتحوا له الباب فدخل الليلمان وقد تلقته أصحابه وسألوه عن الذى جرى له فحكى لهم على ما وقع له وما

جرى له وليس فى الاعادة افادة ففرحوا له بصاحبة عنتر فارس البدو والحضر وكان ملك المدينة يقال له ميسرون فخرج فى سائر الرجال والعساكر لما اطمأن قلبه بصاحبة الليلمان لعنتر وما زالوا سائرين حتى قربوا من عنتر وقد ترجلوا اليه وسلموا عليه وعلى رفقائه ﴿قال الراوى﴾ ثم ان عنتر ركب على ظهر جواده الابجر وتقلد بسيفه الابتر وسار وكان راكب جنب الملك ميسرون وهو سائر عن يمينه والليلمان عن شماله ودخلوا من أبواب المدينة هذا وقد خرجت القسوس والرهبان والشمامسة والكهان والبتاركة والمطران وفى أيديهم الهياكل الابنوس والمباخر الفضة والذهب وفيها الجمر من خشب الكرم ومن فوقه الند والعود القمارى والكافور وقد خرجت البنات البكور بعد ما أفرغت على أكفالها الشعور وملا أقداح الجواهر والبلور من رائق الخمور وهزوا أكفالهم بالخصور وكشفوا ظلمات الشعور عن وجوه كانها الشموس والبدور وقد شعشعت كواكب وجناتهم بضياء ونور وأبرزوا من ذخائر المحاسن ما كان مدخور ومستور حتى صار كل من رآهم يقول هذا يوم النشور وقد خرجت المولدات والحور ﴿قال الراوى﴾ هذا وعنتر لما أبصرهم على الميمنة أطرق برأسه الى الارض ولما أبصرهم على الميسرة أطرق برأسه الى الارض ولما نظر الى تلك البنات التى كانهن البدور والطالعات فسبحان من خلقهم من ماء مهين فتبارك الله أحسن الخالقين وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى قصر المدينة ونزلوا فيه ومدوا لهم السماط فاكلوا الخاص والعام وبعد ذلك قدموا المدام الذى صفا وراق وصار كانه دموع العشاق اذا بكت من الهجر والفراق فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا الى ان انسدل الظلام وقد اكتفوا من شرب المدام وقاموا وقد طلبوا الخيام فقال الليلمان تفضلوا فادخلهم الى دار قد خلاها برسمهم وفرش لهم البسط الرومى فدخل عنتر وجماعته وناموا الى الصباح واذاهم بالليلمان واقف لهم على الباب الذى للدار يستدعيهم الى الرواح مع الملك ميسرون الى الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص ﴿قال الراوى﴾ فركب عنتر وعروة بن الورد وباقى جماعته وسار وامعه واذا بملك المدينة ميسرون راكب فى موكبه وخواصه وحجابه فلما رآه عنتر همّ ان يترجل ويسلم عليه فابى الملك ميسرون وحلف عليه ثم انهم ساروا الى ان انتهوا الى وادى كثير الاشجار والغدران وطيور تصيح على منابر الاغصان من بلبل وهزار وقمرى وسمان ويجمع وكيروان وفاخت وعقبان والغلغ وغربان والارض قد اكتست من الزهر ألوان فالجلنار كانه اعراف الديوك وقلائد العقيق والمرجان والورد كانه صيوان من ياقوت أو صحن بهرجان وانفتح طيب اطلع عن شماريخ اللؤلؤ مدور امثال التيجان وامتدت قضبان زمرد ذلك الكرم على البستان وزعق ساجع الطيور يطاب الرياض الفتان وسائر ورق الاترج كانه كفوف الغزلان وأخرج الروض من ذخائره ألوان وانعقد المنثور كانه النجوم لكل انسان وتكلل جوهر الندو وانتشر على زبرجد الريحان وجرى سلسبيل أنهر لرى الرمان ولاح الزنبق والعنبر والقرنفل كانها بهرجان وتمايلت الفروع من نسيم الصبا على الغصون من معادن زهرها تيجان وصار الياسمين كانه صنع من الفضة جلبان واما النارنج فصار كانه أكر من الذهب أو مرمر أو زعفران وكل ذلك صنع الملك الديان مكون الاكوان وخالق الانس والجان ﴿قال الراوى﴾ ولما قربوا من ذلك المكان ووصلوا الى ذلك البستان أطلقوا خيولهم على صيد الوحوش والغزلان من كل جانب ومكان لان ذلك الوادى وحشه كثير وماؤه غزير لانه كان برسم الملك ميسرون لا يقدر أحد يصطاد منه شئ لا كثير ولا قليل لا غنى ولا فقير فاصطادوا من الوحش شئ كثير وكان أكثرهم صيد عنتر بن شداد ولما فرغوا من صيدهم دخلوا ذلك البستان وساروا فيه واذاهم قد أشرفوا على قصر عالى البنيان مشيد الاركان قد تعلق بالسحاب وغاص أساسه فى قاع الارض والتراب لكن ذلك القصر يرى باطنه من ظاهره لان الذى يكون فيه يرونه من خارجه والذى فى باطنه يرى الذى من خارجه وهو قطعة واحدة كله وكان طوله مائتين ذراع بذراع القوم وعرضه أربعمائة ذراع وقدامه صخرة عالية كانها الياقوت الاحمر وعليها تماثيل وصور مصورة باقلام مكتوبة ﴿قال الاصمعى﴾ وان هذا القصر من عجائب الدنيا وأصل من بناه غابر بن شالخ

ابن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام من زمان البلبلة وسماه قصر الخلد . وفى رواية وهب بن منبه انه القصر الابيض الذى بناه اسكندر بن دارب الرومى الملقب بذى القرنين لما دار الدنيا وهو يدعو الامم التى يمر عليها للايمان فمن آمن تركه فى مكان ومن أبى محقه بالسيف الذكر حتى انه بلغ فى سياحته الى البحر المحيط من حد آخر اقاليم الاندلس تحت بنات نعش فاصاب فيها أمما من بنى يافث بن نوح وبنى حام ليس لهم حدود ولا يعرف عددهم الا الرب المعبود ومن أشبال بنى سام خلق كثير فلم يزل ذو القرنين يحدثهم ويحثهم على الايمان فمن آمن نجا ومن صد عن الحق قتله ثم انه عطف على الجزاير ومضى الى العراق يدعو ويقتل ثم عاد وهو قاصد أرض فارس فآمن من آمن وقتل من قتل وسار الى أن وصل الى القصر الذى نحن فى حديثه وقد نظر الى ذلك القصر والصخرا وهو قصر غابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح فلم يكن له همة الا استخراج تواريخه المكتوبة بالاقلام الحميرية فاذا هو هذا القصر ان ذكرنا أسماءهم وهو من البلور الصافى كانه قطعة واحدة قال فلما نظره ذو القرنين بن دارب الرومى أنشد وجعل يقول

أين رب القصر أين راح الذى * شيد القصر زمانا وسكن * أين من كانوا ملوكا فى الورى
أين من نشا قصور السكن * أين ينجون من الموت ومن * آخر العمر على ريب الزمن
أين من حاز المدائن والقرى * سكنوا والله فى قاع الدمن
أين من حازوا الكنوز بكثرة * لم ينالوا سوى القطنة والكفن

﴿ قال الراوى ﴾ ثم انه رسم ذلك الشعر على جانب الصخر الشمال ودخل الى ذلك القصر فرأى فيه عجائب وغرائب يكل عن وصفها اللسان ويضيق منها هذا الديوان وقد رأى من عشى من خارجه فتعجب من ذلك ثم انه كتب على الباب اليمين هذه الابيات

نزلنا من على الصخرا * الى قصر وجدناه * دخلنا فيه وفتحنا الباب
وقد عدنا غلقناه * فيمن ذا القصر من نسأل * وقد جئنا وجدناه
رأينا القصر كالشمس * منيرا عند رؤياه * أين الماجد السامى
مليك القصر بناه * رأينا ذا وماذاك * فقيدنا ما رأيناه
وقد ماسا كنا حينا * لو أبصرناه أنناه * عن الاقوام وماقالوا
ومالاقوا وقلناه * أراه الدهر آمالا * على بعد ومناه
خلا بالدهر اطلاقا * سليما ثم هناه * ووفاه بلا نقص
* زمانا ثم أفناه * اذا ما أقبلت منه * أمانيا حمدناه
وان ألوى سيرا منه * أحيانا شتمناه * اذا ما خاننا ذا الدهر
بطرف منه خناه * سريعا بعد ابطاء * اذا نحن تركناه

﴿ قال الاصمعى ﴾ ثم خرج الى جانب القصر وكتب هذه الابيات

ألا أيها الروان قد نلت حظة * غلبت بعليها ملوك الاعاجم
ملكت غروب الشمس يوما بجحفل * لآتى أرضا غير أرض العوالم
قحمت جميع الارض لله عنوة * الى غايتها بالقنا والصوارم
خرجت عن الدنيا من الله محرما * وسقت جيوشا كالسباع الضراغم
وقدت كماة العرب والعجم مسرعا * الى موج بحر مزبد متراكم
عقدت لغير الريح عقدا بكفه * فامسك عن مجرى المد المتلازم
تجرعته عذبا من الماء سابقا * وكان أجاجا طعمه كالعلاقم
بشرب كمثل الطير فوق متونها * تطير وخافيها بهن مقادم
فحاربت فيه أمة بعد أمة * وقدمت فيه عالما بعد عالم

أتيت الى وادى خبيث رماله * برمل تراه كالجبال الولادم
يسير وانهارا والليالى كانها * بحار تهيجها الرياح العظائم
واذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر أيهما ذوى الاراحم *
وأعطيت أسبابا من الرأى غيرها * تناهت بارشاد وصدق المعالم
فلما أتاه الشيب شب وارتقى * على متنه عمرو وعاد بن عاصم
فبادر سببا لا الولائد جملة * بجمعهم أهل التقى والمكارم
تعسر بعض الناس بالظن أمرهم * وقالوا دعوا فى الامر دعوة حازم
وقالوا رأوا مالا يقيمون صوته * فحنوا الى الحور الحسان النواعم
ومن قال فى علم الغيوب بعلمه * له نومه تربو على كل نائم
فيا أسفى ما راح فى الرمل هالكا * بطول المدا مازلت باك ونادم
ويردعنى عمرو عليه تحيتى * وفارقنى بعفو وحزم بن حازم
كتبت بخط الحميرين آية * بان ليس بعد مسير بقادم
ولا مذهب غير الذى قد أتيتموا * بنواحير عند النسور القشاعم
ولا بدمما أن يروحوا الغزوة * لقتل الاعادى والملوك الحواكم
يطوفوا الى أقصى البلاد وغربها * الى مشرق الاقصى بامر ملايم
ونعلم ان الدهر يبلى جديده * ومن قارع الايام ليس بسالم
ألم تر أن الدهر يهدم ما بنينا * ومن يلك مهزوما فليس بهازم
نزلنا على ذا القصر من كل جانب * رأيناه خالى من جميع العوالم
علمنا بمن أنشاه فى الارض ميتا * وقد ذاق كاس الموت من صار نائم
وهذا كلامى قد كتبت بلا خفا * لمن جاء بعدى من ملوك عظائم

﴿ قال الاصمعى ﴾ والكلام هذا يطول ولكن نرجع الى سياقة الحديث الاول فلما وصل الملك ميسرون الى ذلك القصر وعنتر وجماعته وحطوا ما معهم من الصيد وطلعوا بعنتر ففرجوه على ذلك القصر المذكور هذا وعنتر تعجب من حسن بنائه وتشييد أركانه ثم انهم عادوا الى ذلك البستان وفرشوا فيه من الحرير الالوان وأحضروا الطعام وقدموا آنية المدام وقد دار بينهم الكاس بعدما عبق عليهم نشر الورد والآس فلما رأى عنتر ذلك المكان الذى تخايل له أنه يرقص بالاشجار وبجاوبه الاطيار والماء الهدار فانشد وقال هذه الابيات

راق المدام لنا بكأس الجوهر * لما بدت أرض الرياض كعنبر
والطل من فوق الشقيق كلؤلؤ * رطب على فص عقيق أحمر
والآس فى أرجائها كزبرجد * أوفى اليها الياسمين بعنبر
والارض قد كسيت بحلى عرائس * ناهيك من ذهب يزان بجوهر
وتنثر المنثور فى دوح الربا * وتقدح الاقداح نار تسعر
وتجاوب الاطيار لما تلألأت * فوق الغصون على صفاء الانهر
والنهر صفق والغصون تراقصت * والغيم ينقط در وسط المحضر
وتنوعت أرض الرياض وأزهرت * من جوهر الازهار ما لم يظهر
فالطل لؤلؤ والعقيق شقائق * والورد عسجد والازاهر جوهر
* والجلنار شبيه ياقوته بدا * قد رصع وزمرد من أخضر
والطير بين مشرد ومغرد * والزهر بين مذهب ومجوهر
والغيم يبكى فى السماء بأدمع * تنهل من طرف السحاب الممطر

والماء بين تدفق وترفق * والورد بين أحمر وابيض واصفر
ياصاحبي بادر للذات الصبا * فالدهر لايبقى على حال يسر

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ عنتر من هذه الابيات تمايلت لها السادات طربا وترنحت لها قلوب أصحاب النخوات ولا بقوا يعرفوا ان كانوا هم فى أرض أو فى سموات وكان ساقيهم فى ذلك اليوم جارية رومية كانها حورية تفتن بجمالها سائر البرية وتسلب عقول سائر الرجال الزكية لانها كانت ذات خصر نحيل وردف ثقيل وخد أسيل وشعر طويل وطرف كحيل وعنق مرمر وريق سكر وخال عنبر وانف كالخلال وعيون كعيون الغزال وحواجب ترمى نبال فتصيب بها مقاتل الرجال وتورثهم الذل والخبال وهى فتنة لمن يراها وحورية لمن يتمتعها فسبحان من خلقها وسواها كما قال فيها بعض واصفيها شعر

رومية حسنها اكتمل * بقد قويم زها واعتدل * بطرف كحيل وخد أسيل
وردف ثقيل يخال الجبل * وشعر طويل وحسن جميل * وريق سلسبيل وطرف اكحل
وقد رشيق وفم عقيق * وخد شقيق يزين الحال
لها نهود وعيون سود * تصيد الاسود بسحر المقل

﴿قال الراوى﴾ فمالت عليهم بالمدام وتمايلت قدامهم بابين ذلك القوام ومزجت بريقها خمرا يرشق عنبرا من ريقها فقال لها الايلمان اسمعينا يا روح البدن شيأ من لفظك الحسن ما يجلب الفرح ويذهب الحزن والترح لان ضيفنا عنتر وقتنا بذكر قال فحطت الكاس من يدها واخذت عودا من صنعة الهنود وحطته فى حجرها كانه مولود فباح لها باسراره فزجرته بانامها اللحن وبكى وان واشتكى فانشدت الجارية تقول هذه الابيات

تحدر دمع العين من أعين السحب * وقعقع صوت الرعد من سجف الحجب
ولاح من أرجاء السماء بوارق * من الشرق تبدو تارة ثم المغرب
الى ان بدا جيش من الصبح طالعا * ولاح بانوار مطرزة الهدب
وفتحت الازهار أكمام ريقها * وفاح عنبر من حدائقها القلب
وغردت الاطيار من فوق دوحها * فهيجن أشواق المحب الى الحب
وقد بدت الارجاء وفاح عبيرها * علينا وقد تم السرور لذى القرب
فيا مجده ما أن يقاس بغيرها * على قامة الجوزاء والمرتقى الصعب
ونسمع من ألفاظه كل نغمة * تلذ بها الاسماع من منطق عذب
وان كنت قصرت فى مدح وصفه * فان لسان الحال من جوده ينب
ولو كانت الايام تنطق ابشرت * وهو ما بين الترائب والصلب

﴿قال الراوى﴾ ولما أن فرغت مال عنتر طربا وزاد من نغمتها تعجبا ومازالوا فى أكل طعام وشرب مدام حتى ولت عساكر الضياء والابتسام وهجمت عليهم جيوش الظلام فقاموا كلهم وقد طلبوا المدينة ودخل كل واحد الى مرقده فلما طلع الصباح وابتسم عن ثغره الوضاح فركب عنتر وعروة وجماعته واذا بالايلمان واقف لهم على الباب فسار واجمعا حتى دخلوا على الملك ميسرون فلما ان رأى عنتر قام له على الاقدام وبادأه بالسلام وأراد أن يركب ويخرج الى الصيد والقنص فسبقه عنتر بن شداد وقال له يا ملك وحق باسط المهاد وجاعل الجبال أوتاد ورافع السبع الشداد ما انا بايت فى هذه الارض والبلاد لان أولادى وابنة عمى عبلة قد قتلنى الشوق اليهم ﴿قال الراوى﴾ فاغتم الملك ميسرون وابن عم مقرى الوحش الايلمان على فراق عنتر لانهما كانوا يظنون انه يقيم عندهما عام حتى يشبعا من عشرته والكلام ثم انهما جهزوا له من احمال المدام وحملوها فوق الجمال وأخرجا له من هدايا أرضهما وبلادهما ما يحير الفكر وسار والوداعه يوما كاملا وحلف عليهما عنتر أن يرجعا فرجعوا وقلوبهما تتقطع وأعينهما من شدة الفراق تدمع على فراق أبى الفوارس عنتر ﴿قال الاصمعى﴾ وسار الايلما ابن عم مقرى الوحش ندمان على فراق عنتر وهو ينشد ويقول هذه

الابيات صلوا على سيد السادات

حوادث الدهر تبدى العجائب * وترمى سهاما للانام صائب
فتبا الدنيا لايدوم نعيمها * ولا تستحى من عتب خل وصاحب
تفرق ما بين المحبين عاجلا * وترمى البرايا من سهام المصائب
فمن ذا الذى منها من الدهر سالما * من هو الذى ما ذاق منها النوائب
فكم من خليل مع خليل معاشر * بلذة عيش بين خل وصاحب
فغارت عليهم بالتفرق عاجلا * على غفلة منها بمقوافى الترائب
فكم آمل قد جئته بفعلها * وكم أكدت من كل ماش وراكب
كم كدرت ماقد صفى بعد صفوه * وكم أسلبت ما أوهبت من مواهب
لقيت ابن شداد الذى شاع ذكره * كليث سطا ما بين أسد الهضائب
ولما اصطحبنا فرق الدهر بيننا * ومازال هذا الدهر يبدى العجائب
وكان اجتماع كالمنام رأيته * ويوم فراقه خاف الرأس شائب

﴿قال الراوى﴾ وأما عنتر بن شداد فانه سار مع جماعته طالب الديار وهو يتمايل على ظهر جواده الابجر وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أبرق نجد بدا يا سعد أم هيتا * أم نور عبلة بدا يا برق هيتا
أم نور زهاق بدا يا برق فى غسق * يهب منه زكى المسك مفتوتا
يا نور عبلة ما برق يخبرنا * كما تشب على أيدى المصاليتا
اذكر بترتيب أولها وآخرها * فعاودتها بنات العين تشميتا
قد صاغها الله من حسن وقال لها * خوضى الممالك تركيبا وتشتيتا
وسحر أجفانها قد زادنى سقما * خليت فيها كهاروتا وماروتا
يا عارضا ماطرا تغدو بوارقه * الى الحجاز بهذا الغيث تخييتا
يا برق فى العلم السعدى لى فتاة * فاجمل تحيتها عنى فحييتا
يا برق ان سألت عنى فقل لها * بأن سيفى لوقد النار كبريتا
ترى المنايا تبدو فى جوانبه * تخاله وجهه جنيا وعفريتا
يا عبل انى اذا ما جالت فى وهج * تسمع له الآذان ارعادا وتصويتا
حتى يرى الخصم فعل الليث عنترة * فهل يظل له ابليس مبهوتا
واليوم فرعون لو ينظر فعائله * لخاف يعلو على الارض جالوتا
يا عبل ان ظلت الاهوال ناظرة * يراقب الجدى فى ماءه الحوتا
ولو رأى ظل سيفى الفرقدان هوت * من الثريا وعاد المشترى لها زوتا
فابشرى يا منى قلبى ولا تخفى * واذكرى فانى ان كنت انسيتا
فلو رأيت لشخص الموت فى رهج * صدمته لم أرد منه تفاليتا

﴿قال الراوى﴾ ولم يزالوا سائرين الى أن قربوا من ديار بنى عبس فامر عنتر شيبوب أن يسبقهم الى الحى ويبشرهم بعودتهم من سفرتهم غانمين فسبق وأعلمهم فخرج الملك قيس فى بنى عبس وأولاد عنتر معه هذا وعمارة قد كبر عمامته وطول من خلفه عذبته وكحل لحظ ومقلته وأسبل على أكتافه شوشته وقص شواربه ولحيته وخرج وهو يتمختر فى ركبته وهو يقول فى سره بشفته لا أهلا ولا سهلا ولا مرحبا بالقادمين وليتهم ما كانوا عادوا سالمين ولا غانمين وليت الرزايا احاطت بهم أجمعين ﴿قال الراوى﴾ ولما رأى عنتر الملك قيس سعى اليه وسلم عليه وعلى اخوته وعلى أولاده هذا وعمارة يقول فى الظاهر وقد تفطرت منه المرائر وعميت منه

النواظر وهو يقول الحمد لله الذي رأيناك يا ابن العم سالم وعدت الينا غانم لا كان يوما والله ما أراك فيه يا فارس عبس وعدنان وفزارة وذبيان فشكره عنتر على ذلك الكلام وعلم أن كلامه كله فشار وساروا حتى وصلوا الى الديار وتلقت عبلة ابن عمها عنتر فتلقاها عنتر بالاحضان هذا وأمه زبيبة شابطة له في ظهره وهي تقول له أنت ما تحضن الا محبوبتك ونسيت يا ابن شداد والدتك فالتفت اليها عنتر وهو يضحك من كلامها ثم انه دخل على بنت عمه وأقام الى أن طلع النهار وأرسل للملك قيس الهدايا من الذي جاء بها معه ولاعمامه ولارباب القبيلة وأقام عنتر وقد صفي له الزمان وزالت عنه الهموم والاحزان وضرب الدعوات على الغدران مع أولاده والاخوان فقلت جماله التي كانت كثيرة مما نحر منها للاضياف والخلان فاراد أن يخرج ثاني سفره فقاطع عليه ولده الغضبان وحلف عليه باعظم الايمان أن لا يخرج في هذه المرة الا هو فلم يقدر أبوه يرده في كلام ولا يرد عليه نثرا ولا نظام ثم ان الغضبان تجهز من وقته وساعته وأخذ اخوته ميسرة وغصوب وأمر بالركوب فركبوا وساروا وهم عشر فوارس وقد ساروا واقدامهم الغضبان فلما ان توسطوا البراري والقفار أخذوا في المشورة في أي أرض يقصدوها فقال لهم الخذروف اقصدوا بنا الى أرض اليمن وتلك النواحي والدمن فاستصوبوا رأيه وساروا الليل والنهار وغدوا بابتكار حتى وصلوا الى أرض في اليمن يقال لها أرض العلم والقصر المطلسم وكانت هذه الارض يحكم عليها رجل جبار من الجبابرة الاشرار لا يصطلى له بنار يقال له الاهوج بن عربيد المتوج وكان يحكم على عشرين ألف جبار قال وكانت تلك الارض تسمى أرض العلم والقصر المطلسم لانه كان في تلك الارض منارة مبنية بالرخام مليحة الزي والهندام وكان طولها ثلثمائة وخمسين ذراع وعلى رأسها علم يخفق في الهواء وفي رأس العلم لوح من الذهب الاحمر معلق في سلسلة من الفضة البيضاء ولا يقدر أحد يصعد اليها ولا يعلو عليها لانها حاسة ملسة وفي جدارها مكتوب هذه بناية الملك الهدهاد بن باغام الذي بني الاهرام وانه عاش ألف عام من العمر وتزوج ألف بنت وأتى له منهم ألف ولد ذكر فلما أدركه الحمام لا نفعه مال ولا حطام ولا أولاد ولا خدام وقال كانني كنت في منام ومشيتي في الدنيا كانها أحلام فلما أدركتني الوفاة بنيت هذا القصر في المدينة ورصدته وطلسمته وجعلت فيه ما أملكه من الذخائر والحطام وأمرت قومي اذا أنا مت يضعوني فيه على سريري ويقفلوا على الباب ويذبحون عليه عددا وأسدا وفيل قربان ويجعلوهم رصدا ولا يخلوا أحدا يقرب من باب المكان فيصبح على روحه ندمان ﴿قال الراوي﴾ وما سميت أرض العلم الا بهذه المنارة والعلم الذي كان فوقها والقصر والطلاسم وبلغني ان كثيرا من الملوك الذين ملكوا تلك الارض أرادوا أن يفتحوا ذلك القصر فلم يقدروا على ذلك ويهلكوا من أعوانه ومن كثرة المهالك وما أحد يعرف ما فيه الى يومنا هذا وقيل ان سيدنا سليمان بن داود دخله ودخله الاسكندر بن دارب الرومي ولكن وجدوا عنده أمة بالليل وجوههم كوجوه الكلاب وبالنهار وجوه الآدميين لان الله تعالى خلق لهم وجهين وجه من قدام ووجه من وراء وعلى الوجه الذي من وراء برنس لحم يغطيه بالليل فاذا نام وطلع النهار انقلب ذلك البرنس على الوجه الثاني فيختفي ويبان الآخر وأما نسوانهم فلاح والصبي يجيء لابيه والبنت لامها ويتكلمون بوجه الآدميين كلام الآدميين وبوجه الكلاب ينبحون بنبيح الكلاب ﴿قال الراوي﴾ وعدنا الى سياقة الحديث الاول فلما ان وصل الغضبان الى أرض العلم والقصر المطلسم فوقفوا يتشاورون فيما يفعلون فقال له الخذروف الرأي عندي اننا نبات في هذا المكان فاذا طلع الصباح نحمل على الرعاة ونسوق الاموال والنوق والجمال فاستصوبوا رأيه ونزلوا في مكان أخضر وأشجاره مورق وأزهر أغصانه باسقه وأنهاره دافقه وأطياره ناطقه تسبح من له العزة والبقاء وقد رقصت فيه الاغصان وفاح الشيح والبعتران وتنسم ريح الصبا وتقلدت أعناق الغصون بعقود جواهر الندى ولبست على رؤسها تيجان وتمايلت في حلل الورق ورقص النهر بموجه في الجروف وتسلسل الماء في جداوله كانه ثعبان وعانق كل غصن رفيقه بالاحضان وقد سرحت الوحوش والغزلان على كثبان الرمل كانه الزعفران وانتظمت سلاسل التمر حتى كانها المرجان وأرخت ضفائر النخيل وشقت عن الطلع الذي كانه الكبروان واحمرت زهور الورد وفاح الياسمين الذي

كانه صلبان وكشف الريحان رؤسه كانها رؤس الحبشان وكان النسرين أواني بكوز في وسطها زعفران وذلك الوادي كانه روضة من رياض الجنان كما قال فيه الشاعر

انظر الى روض زهت أزهاره * وفاحت أعطاره وتعبق * كسيت بحلل زبرجد أشجاره
كعرائس الجياد هن تزوق * فورق الغصون بدت بعقد جواهر * دارا وهذا بزبرجد مورق
وتصايح الهزار على ترنم بابل * يتلوه شحرور وصاح مطوق * رقصت غصون الروض حين ترنمت
طربا وأوراق الغصون تصفق * والارض قد فرشت بفرش فاخر
دامندس حسن واستبرق * من أحمر في أصفر ومعصفر * مع أبيض زاه وهذا أزرق
أهدت لنا قمص الكمال انوها * بفتيت كافور عليها يسحق * وتوقد بيدي البروق مجامرا
برشح لنا من عرق مسك عابق * راحت بها ماء الجداول شردا * ها تانك كل غدير ماء يدفق
غصت ببرد مياؤها غدرانها * شرقا وأفواه الخمائل تشرق * والبان قد مالت غصون قدوده
والريح في التقر يبه منه يخفق * فالبرق يضحك والبلابل مدح * والماء يسرح والحمام مطوق
أما الرياض مكلل ومتوج * ومدبج ومنطق ومفرطق * والطير قد غنى على أفنانها
هزج وبان في الثقيل ومطلق * مفرد ومعدد ومردد * يتلو الزبور بمعجم يستنطق
والروض فهو موشح وموضع * ومعمد ومفرد ومسردق * ومنلق ومسجن ومسفق
ومطرق ومشق ومنطق * ومجبر ومعطر ومستر * ومؤزر ومحبر ومزرق
والزهر فهو مكوفر ومعنبر * وممسك ومهلل ومخرق * ومرصع ومجزع ومصبغ
ومسج ومنجد ومحدق * والماء فهو معسجد ومزرد * ومصيد ومغوض ومعبق
ومبلبل ومململ ومقلقل * ومسلسل بين النسيم ومطلق * ومشرد ومفرد ومحبب
كبارد من فضة ومروق * فكان ذاك الزهر نجم قد بدا * يزهو وطورا في الغمامة يرشق
والورد كالوجنات حين تزهجت * خجلا ولا ثمها محب مشوق
وبنفسج كاوائل الكبريت في * أطراف نار في الدياجي تحرق

﴿قال الراوي﴾ فباتوا في ذلك الوادي الى أن طلع الصباح وخرج في تلك المدينة وانتشر في ذلك البر والبطاح فخرج عليه الغضبان وجماعته وساقوا الاموال والنوق والجمال فصاحت عليه الرعيان من كل جانب ومكان فزعق فيهم الغضبان بصوت مدعر يفلق الحجر ويبلغ الشجر يا أولاد الزنا سوقوا الجمال وخلوا عنكم الزور في المقال ثم بادر الى المقدم عليهم وكان اسمه جابر وهو عبد جبار لا يصطلى له بنار وضربه ضربة طير رأسه بلا مدافعه ولا ممانعه فلما رأت الرعيان تلك الضربة الزائدة الاهوال ساقوا قدامه النوق والجمال ثم ان الغضبان ساق المال مع خمسة من الرجال الذين كانوا معه ووقف هو في خمسة ليرد من تبعه قال فوالله ما ابعدوا في تلك القفار بالمال حتى ثار الصياح من خلفهم ومار وقد خرجت الخيل من خلفهم من سائر الاقطار وعلا الزعاق والصياح وأقبلت الخيل وفي أوائلها الاهوج بن عربيد المتوج وله صياح كانه الرعد في هدو الليل وهو ينادي الى أين تمضون يا أخس العرب ويا أنذل من ضرب في البيداء طنب وأنا لكم في الطلب فعند ذلك صاح عليه الغضبان اسكت يا ابن ألف قرنان أخرس الله منك اللسان وحمل عليه بقلب لا هو خائف ولا فزعان ومد اليه السنان كانه لسان ثعبان وقال له دونك والطعان فانا الذي أخذت مالكم ونوقكم وجمالكم فحمل عليه الاهوج لان الخبر كان قد وصل اليه من بعض الرعيان الذين سلموا من الغضبان كما ذكرنا وحمل عليه كما وصفنا فالتقاه الغضبان كما ذكرنا بعدما مد اليه السنان هذا والاهوج ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

اذا أخذت مال الرجال الفوارس * وسرت ولم تلحق لديها منافس

﴿ ٥ - عنتر الخامس والعشرون ﴾

فلا حملت يدى اليمنى الصارم * ولا جالت بالخطى يوم التداعس
أنا الاهوج المذكور فى حومة الوغا * مبيد الاعادى آخذ للمنافس
فكم ليلة قد سرت فيها بهمة * يقصر عنها كل راجل وفارس
وكم مرة أصغيت للقول عامدا * واسمع صراخ الجن والاباالس
ونيرانها تشعل اذا الليل قد دجا * وأشخاصهم مثل النخيل اليوابس
أصيح عليهم يرجعوا الكل شردا * اذا ما رأوا سيفى كمثل نار قابس
فكم جحفل فرقته بمهند * ولا خفت من حرب الرجال القناعس
وسيفى اذا ما سل فى يوم معرك * تخر له جن الفلا والاباالس
وذا اليوم تظهر لك جميع فعائلى * فلا بد ما أخليك فى الارض ناكس

﴿قال الراوى﴾ فاجابه الغضبان على عروض شعره يقول صلوا على طه الرسول

اذا كنت بارزت الرجال الفوارس * وطاعنت بالخطى يوم التداعس
فانى أنا غضبان فى حومة الوغا * مجندل أبطال اللقا والقناعس
ولى صارم كالشمس يبدو شعاعه * تقول أنت مصباح بدا فى الحنادس
ورمحى اذا ما اهتز فى يوم معرك * تخر له جن الفلا والاباالس
وما هالنى يا عبد فيك بمهالة * ولا خفت فى يوم الوغا من منافس
فسل عنى الابطال فى يوم حربها * يخبرك عنى كل قرم مداعس
فآخذ أموال الملوك بصارمى * أنا النسر فى أعلا السماكين جالس
أنا الجبل العالى على كل طالب * أنا قاهر الابطال يوم التنافس
أنا الليث حامى الغاب من كل طارق * أنا بحره الطامى وللاعداء طامس
أنا صورة الموت التى ما تصورت * لجمع الورى ما نوا بلا مس لامس
أنا ابن من ساد البرايا بعزمه * عنترة المشهور بين الفوارس
وقومى بنو عبس أولو الفخر والسخا * مناقبهم تجلى ظلام الحنادس

﴿قال الراوى﴾ وبعد ذلك النظام أخذا فى النزال والصدام وتجرع الموت الزؤام وثار عليهما القتام وعمل بينهما الرمح والحسام واشتد البلاء والرغام وسكرا من غير مدام وصار عليهما النهار مثل الظلام ﴿قال الراوى﴾ ولم يزالا فى صياح وكفاح حتى ذهبت منهما الارواح وتثلمت منهما الصفاح وتقصفت الرماح وكلت من تحتهما الخيل وقل منهما القوى والحيل واذا بالغضبان زعق فى الاهوج وضربه بالسيف واذا برأسه قد تدحرج فلما رأت القوم ملكها قد قتل حملت على الغضبان والخمس فوارس رفقاه فى الميدان وعمل الضرب والطعان وأظلم النهار وبان وغابت عربان الفرقدان ونفخ الجبان كالثور الجيعان وانقطع دلو الحياة بالسيف والسنان وافترق شمل الثريا ومالت كفة الميزان وذبح سعد السعود بسعد الذابح وهان وانقضت سهام المعمعة كالشهب اذا انقضت على كل شيطان وأنجد الجدى من الوقعة فى حومة الميدان وخفى نور الشمس وظهرت النجوم والفرقدان كما قال الاصمعى مصنف هذا الديوان حيث يقول هذه الابيات

انظر لوقعة قد سمت وتظللت * بعد الضياء صارت كليل عاكر
فيها الصوارم قد حكت الكواكب * تنقض من جو السماء كريح سائر
وبنات نعش يرهجن كانها * خود تشعشع فى غباء فاجر
والفرقدان كصاحبين تعاقدا * بالله لم تبرح بحسن تعاشر
والجدى كالرجل الذى ليست له * سنة وليس له حليف ناصر

وأما الثريا قد بدت من خلفها * دبرانها ولذلك قلب الدائر
والحوت سبح فى السماء كسبحه * فى البحر وهو بكل سبح ماهر
وكواكب الجوزاء شبه عوائد * تبدى لهن قواصر وأواخر
والشمس خود قد بدت فى أزرق * والبدر لابس أبيض متفاخر

﴿قال الراوى﴾ ومازال الحرب يعمل حتى غربت الشمس بالزوال فلما رأوا ضرباته وزعقاته فى الميدان ولوا الفرار وهجوا فى تلك القفار وعاد عنهم الغضبان وساروا طالبين أصحابهم فلما اجتمعوا بهم فرحوا بسلامتهم وهنوا بعضهم بعضا وساروا فى تلك الارض هذا والغضبان قدامهم يتمايل على ظهر الحصان ويتفكر فيما وقع له مع الاهوج بن الملك المتوج ومازالوا سائرين فى البرارى والقفار ليلا ونهار حتى قربوا من ديار بنى عبس ونزلوا فى واد من أودية تلك الارض وكانت هذه الارض روضة من رياض الجنان من كثرة الفواكه والاشجار فباتوا فيها تلك الليلة وهم فى أمان من غدرات الزمان وطوارق الحدثان فلما طلع النهار أراد الغضبان أن يسير مع رفقاه فاعجبه ذلك الوادى وزهره ونباته فاراد أن يقيم فيه ذلك النهار حتى يتفرج على أشجاره وأغصانه ويصطاد من وحشه وغزلانه ويتبرد من السفر بمائه وغدرانه لانه كان زمن الربيع والارض قد اخرجت زهرها وكانت الشمس فى برج الحمل والزمان قد راق واعتدل فانشد يقول

اذا حلت الشمس فى برج الحمل * وراق الزمان لنا واعتدل * وقامت عرائسه تنجلى
من الروض فى سندس من الحلل * وهب النسيم رقيق السحر * يلاعب أغصانه بالميل
ولاحت جداوله شردا * وأضحت حمائمه فى صلل * وتأذل ذيل السحاب بالغمام
كصبغ العقار اذا ما هطل * فزهر يفوح وطير ينوح * وماء يسوح وشئ حصل
عمدنا الى شرب مشمولة * علينا السرور بها مشتمل * جلاها علينا مريض الجفون
صحيح الجمال بعيد الملل * اذا ماس كالبدر قد القلوب * وان قال قلقل ركن البطل
ورحنا مع الراح فى عيشة * اذا ذكر العشق كانت مثل

﴿قال الراوى﴾ فاضطربت جماعة الغضبان لتلك الابيات الحسان واذا هم بالخيل جافلة ووراءها أسد طويل فى تقاطيع الفيل غليظ الجثة طويل له صوت كالرعد اذا ظهر ترمى أنفه النار والشرر بفم أبخر وله عينان كانهما الجمر اذا أسعر فلما أن رآه الغضبان خطف درقته وسيفه اليمان وكان ذلك السيف ماضى وعلى ذهاب النفوس قاضى كما قال فيه الشاعر حيث يقول

حسام غدا للروح قاض كانه * من الله فى قبض النفوس رسول * يقوم ضبى العين فى رقداته
ويطيح فى أشباحه ويجول * كان جنود الذل كمن فوقه * قرون جراد بينهن دخول
كان على أفرنده موج لجة * تقاصر فى مصحاحها ويطول * اذا ما عطى الموت فى يقظاته
فلا بد من نفس هناك تسيل * وان لاحظ الابطال أو صافح الطلا * تشخط يوما بينهن قتيل

﴿قال الراوى﴾ ثم انه حمل على ذلك الاسد وهو يقول تخطر فى أرض أكون فيها موجود فتبا لك يا ابن الاسود فلما رآه الاسد حمل عليه وزعق على الغضبان ووثب عليه فالتقاه الغضبان وضربه بين عينيه فشقه الى فخذيه ثم انه أخذ قلبه أكله وشرب من دمه وعاد الى أصحابه فالتقوه وهنوه باسلامه من ذلك الاسد فشكرهم وأثنى عليهم وبعد ذلك ساروا من ذلك الوادى المشهور المذكور طالبين ديارهم حتى انهم وصلوا الى العلم السعدى فخرج عنتر الى لقاء أولاده وقد فرح بسلامتهم قلبه وفؤاده ودخلوا الى البيوت ودخل الغضبان على زوجته دعد وهى لم تصدق ان تراه سالما ﴿قال الراوى﴾ وأقام عنتر مع أولاده فى فرح وهناء وسرور وغبطة وحبور وعملوا الدعوات والولائم على الغدران وتلك المعالم وقد هابته العربان وأهل المناهل والغدران وطلبوا منه ومن أولاده الذمام والامان ويعطوه الجزية فى كل عام ﴿قال الراوى﴾ وأقام عنتر على شرب المدام وتزويج الطعام ثلاثة أعوام فقل ماله ونوقه وجماله من كثرة الدعوات والولائم حتى انه اقترض من نوق عبلة مائة

ناقة فقال لعروة يا أبا الابيض أنا لا أقدر على الدين فشد عزمك واعزم بنا على السفر أنت ورجالك وأولادى وأخى شيبوب وابنه الخذروف فاجابه فى ذلك وأعلم رجاله ﴿قال الراوى﴾ وباتوا حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بكوكبه ولاح فعند ذلك ركب عنتر سيد الابطال والاقران وركب ولده الغضبان واخوته غصوب وميسرة ومازن فارس الغبرة وعروة بن الورد ورجاله وخلانه وأبطاله وهم ثمانون فارسا وشيبوب من أجلة من كان معهم ثم انهم ساروا يقطعون الارض فى طولها والعرض حتى انهم يقعوا بغنيمة يغتنموها لاجل انهم يأخذوها وينحروها فى الولائم لاجل من يقدم عليهم من العربان لاجل السلام والتهنئة الا أن بنى عبس لما أصبحوا فلم يروا لعنتر أثر خافوا وأعلموا الملك قيس بالامر والخبر فقال لهم عند ذلك الملك قيس يا بنى عمى ان ابن عمنا عنتر رحل وحده بعسكره ونحن قد رأينا أهل الارض وأكثر وعنتر ومن معه ثمانون فارس مثل الليوث العوابس ولا يقع عليه أمر منكر الا ويكون بقضاء وقدر ثم ان القبيلة أقامت بعده تحت الخوف والفزع (قال الاصمعى وأبو عبيدة وحازم المكى) لهذا الخبر وأما ما كان من عنتر فانه سار ذلك اليوم والثانى بلا تطويل ولا توانى حتى قامت الشمس فى قبة الفلك وكاد كل واحد منهم من شدة التعب أن يهلك ونظر شيبوب يمينا وشمالا واذا هو قد ضل عن الطريق فى تلك الارض والدحال وقد وقع فى برية قليلة النبات والهندام يقال لها برية الاصنام لا يسمع فيها غير زمجرة الجان ونباتها شجر الغيلان وتظهر النار من حجارتها الصوان قال فلما نظر شيبوب ذلك الامر المنكر وقف وهو فى أموره متحير ثم انه صاح بعنتر وقال له نحن ضللنا عن الطريق لان هذه الارض لى عنها مدة سنين وأعوام ما جزت فيها ولا لى فيها رفيق فقال عنتر فلم لا تخرج بنا الى أرض غيرها فقال شيبوب اعلم اننا اذ سرنا يمينا وقعنا فى أرض يقال لها أرض الذياب وبقربها واد يقال له وادى صارخ تخاف منه سائر الخلق أجمعين لانه مسكن الجان والشياطين قال فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك قال له سر ولا تخف لا من انس ولا من جان فسر بنا الى الطريق المستقيم ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك عدل بهم شيبوب عن يمينه فى الوقت والساعة على أثر الطريق وما خاف من تعويق وقد تبعه أخوه عنتر الفارس القسور وهو مثل النسر المعمر ولا عنده خوف ولا حذر وقد جاش الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه سرائره فانشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

أبدت قبائل العربان حتى * ذل لى كل جبار جشوم * ولوانى لقيت الجن يوما
لولت من سوادى فى التخوم * لو جاءت من المردة جنود * طعنت القلب منهم فى الزروم
ولو ملت على الجن يوما * بأسياف وسهم من سموم * لقاتلت الجميع ولا أبالى
ولو كانوا كأعداد النجوم * فكم من ليلة قد سرت وحدى * بغير الفتيان مختلق هموم
وتنظرنى شخوص الجن تخفى * وتهرب من حسامى فى التخوم * وأصوات لهم كالرعد تبدو
وتقعقع فى دجى الليل الزهوم * أنا يوم الحروب فلا أبالى * ولا الغضبان واخوته نجوم
أيا شيبوب لا تخشى * فنحن لهم كامثال الخصوم

فلما سمع شيبوب تلك الابيات تقدم قدامهم وتبعته السادات حتى وصلوا الى أرض صارخ وهم يقطعون تلك الارض والفراسخ واذاهم بخمس فوارس كانهم النخل اليوابس طوال الابدان والاجساد كانهم من قوم عاد أو من السبع الشداد غلاظ الشكام صغار الاكمام وتحتهم خيول سود الالوان مشققين المناخر والآذان يضرب سوادهم الى الحمرة والصفرة والخمس فوارس مستوون فى طول القامات عريضى الهامات مشققين الاحداق كبار الاشداق بارجل كالصوارى وأيدى كالمدارى وهم يهمهمون همهمة الرعود وتارة همهمة الاسود وهم متقلدون بالصفاح معتقلون بالرماح لابسون الخود والزرد والسلاح فلما رآهم عنتر ومن كان معه من البشر وهم سائرون التفت عنتر الى غصوب وقال له اخرج الى هؤلاء الاشخاص الذين هيآتهم عجب وانظرهم من أى العرب فامتثل غصوب كلامه وتقدم بالحصان فسبقه الغضبان وأطلق العنان حتى صار مع تلك الفرسان ونادى يا ويلكم من أى العرب أو من أى الناس أنتم يا وجوه العرب وأى شئ جاء

بكم الى هذه الارض والسبسب أخبرونى عن الحسب والنسب وارموا الدروع والسلب قبل أن تشربوا شراب العطب وان كنتم أصدقاء فابشروا بالسلامه وان كنتم أعداء فابشروا بالندامه فلم يتم كلامه حتى انقض عليه فارس من الخمس فوارس كانه جذع النخيل اليابس وطعنه بالرمح فى صدره طلع يلمع من ظهره وشاله على الرمح بالعرض وحذفه بقى على وجه الارض فلما نظرت بنو عبس الى ذلك الحال اندهشت عقولهم وأبصارهم وأما عنتر صاح صيحة كاد قلبه أن ينفطر واسودت الدنيا فى عينيه واتكا على رمحه وغشى عليه ولا بقى يعرف ما وراءه ولا ما بين يديه وحمل عروة بن الورد وحملت معه أبطاله ورجاله فتلقوهم تلك الفوارس بطعنات هائلات ومن أجسادهم نافذات وقتل جواد عروة رجع الى عنتر وهو غائب عن الوجود وصاح أنجدنا يا أبا الفوارس وانظر حالنا وما تم علينا وما جرى لنا فلم يرد عليه ورأى عروة جوادا شاردا من خيول أصحابه فركبه ورجع الى أصحابه فرأى نصفهم على التراب فصادف جواده شهاب فوقع قتيل فرجع ثانى مره الى عنتر ودمعه على خده يسيل فوجده غائب فى غشوته لا يعرف بحال رفقته ولا ما جرى على أبطال عشيرته فصاح عليه افتح عينك يا أبا الفوارس فقد وقعنا فى المهالك وما بقى لنا خلاص من ذلك فلم يجبه بجواب ولا أبدى له خطاب فرجع عروة الى أصحابه فوجد الثمانين بقى منهم عشرين والباقى طائرين على براق السيوف كانهم القطن المندوف وتحير عروة من ذلك وعلم انه هالك فولى هاربا يركض على رجليه حتى وقف عند عنتر ونادى بصوت مزعج أفق يا حامية عبس من سكرتك فقد قتلت أولادك ورفقتك فعند ذلك فتح عنتر عينيه وهم مثل كاسات الدم الاحمر من شدة نجعته وقد تقعقعت جوارحه ومهجته ودموعه نازلة على لحيته وقال له يا أبا الابيض هل تعلم قاتل ولدى دانى عليه حتى أشفى فؤادى بأخذ روحه من بين جنبيه فقال له انظر ما بين يديك وانظر أولادك ومن بقى من أجنادك فالذى قتل الغضبان الذى فى أولهم فلما سمع عنتر ذلك الكلام استلب الرمح الاسمر وعينيه تقدح الشرر وحمل على تلك الفرسان فرأى بقى من بنى عبس عشرة والباقى مطروحين فصرخ وحمل وأغام يده بالرمح وطعنه به فى صدره فانكسر فارماه وجذب الحسام وضربه فانثنى والتوى فزاغت عينيه وألوى عنان الجواد وقال النجاه يا ابن عمى النجاه فصاح عروة ما هذا الحال يا أبا الفوارس فقال ما هذا يوم قتال يا أبا الابيض فقال عروة فى مثل هذا اليوم يفوت الصديق صديقه ويتخلى عن رفيقه وأنا راجل بغير جواد فجذبه عنتر بقى على كفل جواده وطلب أهله وبلاده وهو ينشد ويقول هذه الابيات

أشر الذياب ذياب الفلا * ترى الوحش من خيفته جفلا * يقولون عنى فماذا الذى
تجدد وما كان أصل البلا * تولى وأنت شجاع الحروب * وأنزلت بالعرب شر الملا
فقلت أرى جنسا غير جنسنا * وتفزع منهم أسود الفلا * فبرز بنى وقد راهم
فوارس فى الحرب لا تصطلى * طعنه طعنة قد تجندل بها * وصار طريحا بها مقتلا
يشتكى وحش الفلا لاجله * وتندب عليه طيور العلا * تفازعت القوم من حربهم
واجروا دماءهم كسيل الفلا * تعايرنى وتحقق بالهروب * وأنا قد وصلت لابراج العلا
وقهرت للفرس من صولتى * وأنزلت بالاسد ضيم البلا
وقالوا تولى فناديتهم * أعاير بهذا ولا أبتلا

﴿قال الراوى﴾ فانعقدت عليهم الصيحات والزعقات والصرخات وتنازلت عليهم النار والاحجار وهم مولون الادبار حتى بقوا خارج الوادى فرآهم عنتر وهم خمس فوارس فولى عنتر وعروة وميسرة وغصوب ومازن فهذا ما كان منهم وأما شيبوب والخذروف فانهما لما نظرا الى الغضبان وقد قتل والفرسان طائرة مثل المطر فالتى رجليه للريح وطلب البر الفسيح فتبعه الخذروف وجدوا بالمسير حتى وصلوا الى أرض الشربة وأطلق الصياح بموت الجميع فانعقد الصياح ولطمت عبلة على رأسها وقطعت شعرها ومزقت ثيابها وعلا بكاها وانتحابها وكذلك نسوان أولاد عنتر والفرسان وبلغ الخبر الى قيس فاحضر شيبوب وسأله عن ذلك الخبر فاخبره بما تم عليهم من الفرسان وكيف مزقوهم فى البرارى والوديان فرمت بنو عبس بيوتها وحزنت الفرسان

والبنات والنسوان وانقامت فى بنى عبس الاحزان والبكاء والنواح بالمساء والصباح فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شداد ومن معه من الفرسان الاجواد فانهم لما أبعدوا عن الوادى واطمأنت نفوسهم وهدأروعهم ورأى روحه بعين النقصان لما انهزم فى تلك القيعان وكيف هلكت أصحابه الاقران وكيف يرجع الى الاوطان بغير ولده الغضبان فبكى وأن واشتكى وأشار ينشد يقول

ألا أيها الغادى لحى بنى عبس * فخبرهم بالتعس عنى وبالنكس
عشية قد رحنا ثمانين فارسا * ومن تحتنا طير يطير بلا حس
الى أن أتينا نحو واد قد سمى * بوادى صارخ بزعج القلب والنفس
أذا نحن عارضنا فوارس خمسة * كل منهما كالرعد فى ظلمة الغلس
فعارضهم غضبان بالحرب عاجلا * فخلوه مطروحا بلا دفن فى الرمس
وكنا ثمانين فعدنا خمسة * من الموت افرادا تحت ناء نحس
لقينا أباشاش وشاسا ومالكا * وعمرا فجاشت من لقاهم نفس
لقد أوقعوا فى جانبينا كلامهم * بطعن كوقع النار فى الحطب اليبس
لقيت رجالا ليس من نسل آدم * ولا خلقتهم خلقتى ولا جنسهم جنسى
فما قطعت أسيافنا حين أقبلوا * ولكنهم انثنوا من الضرب واللمس
فقلت لاصحابى وقد حان موتهم * أقيموا صدور الفرار بلا حس
فليس الفرار اليوم عيبا على الفتى * وقد جربت منه الشجاعة بالامس
ولابد لى من غارة فى ديارهم * ولو هربوا منى الى مطلع الشمس
لانهم قد أفجعونى بسيد * قتيلا بلا لحد حواه ولا رمس
أيا ولدى الغضبان يا غاية المنى * لقد كان بدر تم غاب بلا شمس
فوا أسفا من بعده مصرع جثته * و واحزناه من سيد كان لى انس
لقد كان سيفا لى يصول على العدا * فارماه صرف الدهر بالتعس
فلا زلت أبكيه وأندب شخصه * الى أن ترمينى الحوادث فى رمس
لقد كنت ليثا من ليوث بغابة * تعد لهامات العدا كالدرمى
سقى الوابل الوسمى قبرك والندا * ولا طلعت من فوقه أبدا شمس
أيا ولدى الغضبان أذوبت مهجتى * وخليتنى أبكى صباحى مع أمس
فلا بد ما أبكى عليك بحرقة * وأجرى دموع العين كالدم فى الطرس

﴿قال الراوى﴾ فوالله ما فرغ عنتر من هذه الأبيات حتى انهملت العبرات وتقطعت القلوب من الزفرات ونادى غصوب واأخاه واأسفاه عليك يا غضبان وأنشد يقول

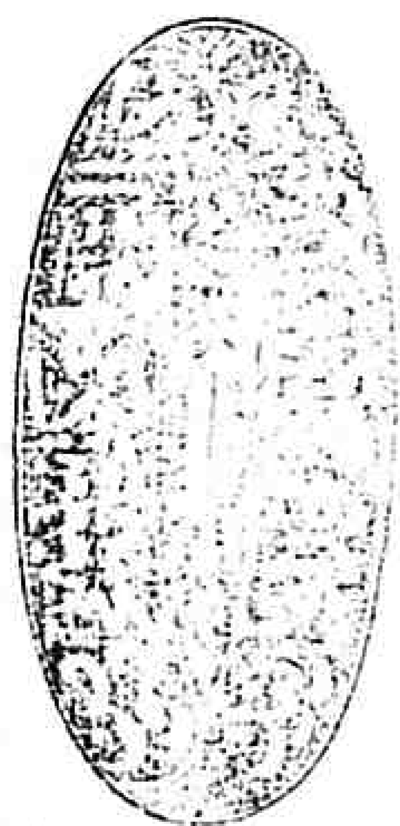
أخى من يكون لى الآن بعدك مسعد * ومن ذا يكون لى مؤنسا ومواسيا
أخى اليوم قد أصبحت مجندلا * فياليتنى من قبل فقدك ثاويا
أخى من يرد الخيل عنا اذا أقبلت * فوارسها تهوى بسمر عواليا
فلا كان يوما صرت فيه مجندلا * على الارض مكبوتا من الروح عاريا
حرام على بعد فقدك لذة * ولا نظرت عينى لفرح زاهيا
ولا ضاجعتنى فى الليالى خريدة * ولو انها كالبدر عند الكماليا
ولا حملت يدى لكاس مدامة * ولاقت بالخطى بين المواليا
وقمصانها ما عدت ألبس جديدها * ولا أحضر الراحات طول زمانيا
ولا أحلق لشعر الرأس فى العيد عامدا * الى أن أوسد فى الثرى وأبقى فانيا

واشرب من الكاس الذى قد شربته * ولا عدت آتى الولائم ثانيا
لا منع قبرك الغيث المطول عشية * من المزن سلسبيلا لهائم السح جاريا

فلما فرغ غصوب من هذه الاشعار جدوا المسير فى البرارى والقفار حتى انهم أشرفوا على الديار فوجدوا الحى يموج بالنواح والبكا والصياح فالتقتهم عند ذلك النسوان بالبكا والاحزان وهم مثل الغربان من لبس السواد وكثرة النوح والتعداد ونظرت دعد الى ابن زوجها عنتر والغضبان ما هو معه ففاض دمعها وتحدر ونزل على خدودها مثل المطر وأنشدت تقول

الا يا عين جودى بالبكا * وفيضى بالدموع وبالدماء * على الغضبان والبطل المكى
قتيلا فى السباسب والفلاه * ورأيت بناظرى أقصى مرادى * وقد أدهم بقلته قواه
شامت به العداة بشجو قلب * يقاسى الهم من عظم البلاء * فديتك من قتيل هد ركنى
والبس فى الهموم مع الشقاء * ففى كبدى لفقدك حر نار * وفى الاحشاء داء أى داء
وهل ترى تطيب العيش يوما * غريبة أهلها بين الملاء * سأبكى ما حييت بطول عمرى
على الغضبان ان عز البكاء * وابكى فى الصباح وكل فجر * وابكى فى الظلام وفى المساء
منحك الله يا غضبان غيثا * غزيرا ورود عليك كل ماء

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغت دعد من كلامها وهذا النظام تقدمت عبلة الى عنتر وقالت له طول ما تعيش لنا وتبقى فاننا ما نرى بؤسا ولا شقا وكلنا يا ابن العم هذا المصير مصيرنا ولا يبقى غير مصير النجوم الى الحى القيوم فبكى عنتر وأنشد يقول صلوا على طه الرسول



يا عبل قسلى العذل لا تعذلى * فالنار جوى القلب منك تشعلى
لا تعذلى فالقلب فيه جمر * فان شئت هجرى فاهجرى لا توصلى
لو اننى وافيت وقت مصابه * لفديته بالرمح ثم المنصل
يا واحدى الغضبان بعدك لم أذق * نوما وفقدك عن طعامى مشغل
آه عليك اذا النفوس تجرعت * كاس المنون وكل دمع مهطل
آه عليك اذا الرؤس تطايرت * والروح تنهب بالرماح الذبل
آه عليك وأنت فى يوم الوغا * أمل النفوس ونزهة المتأمل
آه عليك فكم همام فاضل فى يوم * جندلته صحرا سجل
آه عليك وجمع آل مزينة * غاروا عليك فكنت لا جمعهم كفل
آه عليك وقد بقيت مجندلا * رهنا عفيرا فى الثرى والجندل
آه عليك ورعد سيفك سابق * سحب السيول ورمحك شعل
آه عليك وأنت فى يوم اللقا * تسقى فوارسها نقيع الحنظل
آه عليك وأنت فى يوم الوغا * تحمى حمانا بالرماح الذبل
سيفك حامى بريقها وسنانها * ورمحك جلاها بكل جو وقسطل
واذا تراكمت الغمام سماءها * فتثير أفواه الدماء الهطل
وترى الرؤس لذى الهياج كأنها * برد تناثر من سحاب مقبل
قد كنت تختطف النفوس مبادرا * وتخوض فى نهار القنا والقسطل
واذا الفقير أتى لجودك قاصدا * تغنه ما رجوه من خير آمل
يا دهر است بجازع للمصاب * تجرى فكم يوم كصرفك مقتل
يا نفس ما الدنيا لكى مطيعة * كم قد ذهبت كى وانتى كم تتأمل
يا عين جودى بالبكاء تأسفا * واذا عزمتى على البكا لا تبخل

لاطاب لى من بعد بعدك لذة * حتى أموت وألحد فى منزل
وأبكى عليك دما اذا عز البكا * وأنوح ما ناح الحزين المبتل
فعليك ياولدى التحية ما نشدت * قمرية وشدا نسيم الشمأل

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من هذه الابيات ودموعه على خده جاريات أقبل الملك قيس على الصرخات فرأى عنتر وأولاده الا الغضبان ماراه بينهم وما نظر الذين بصحبته فعلم أن شيبوب ما قعد عندهم بعد موت الغضبان بل انه طاب البرارى والقيعان فتقدم اليه واعتنقه وكذلك اخوته وعشيرته وهنوه بسلامته فبكى عنتر لما راهم وعنده زوجة الغضبان وجميع النسوان وعبلة بينهم ناقشة الشعر ظاهرة الاحزان وهى تقول الحمد لله على سلامتك يا حامية عبس وعدنان فهاجت بعنتر النيران وغلبته الدموع طوفان فصاح وناح بمكنون سره وأباح وأشار يقول

* ترنم فى جنح الظلام حمائم * تهيج الاشواق تضمنها صدر
وخبرتنى دون الانام حمامة * ترفرف على الاغصان والورق الاخضر
* اذا ما الصبا أهدت نسيمها * طربن بلا ايصال عود ولا زمر
فهيجت أحزانى بقتلة واحدى * ومن ذكره قد سار فى البر والبحر
أياعبل نوحى واندبى ثم عددى * على ولدى المقتول بالمكر والغدر
أياعبل ابكى لى بوجد وحرقة * ونوحى على الهجام بالبيض والسمر
أياعبل ابكى فارس الخيل واندبى * وابكى واهدى الدمع فى السر والجهر
أياعبل صيحى فى الدجا وبالضحى * صراخك للغضبان فى البدو والحضر
أياعبل لو أبصرت غضبان هاويا * الى الارض مكبوبا على الوعر والصخر
أياعبل نوحى واندبى كل ساعة * على ولدى المقتول فى مهمه قفر
أياعبل انى قد فجعت بقتله * وانى وبيت الله منقصم الظهر
أياعبل خلى الدمع فى الخد جاريا * ونوحى على الغضبان ما بقى الدهر
فوا أسفى من بعد مقتل واحدى * فلا لذ لى عيش ولا طاب لى خمر
فلو كان هذا الموت يظهر لفارس * لقارعته بالبيض طورا وبالسمر
وجندلته فى الارض ثاوى معفرا * والقيته فى الصبر بالكر والفر
ولما تجندل غصن عيشى افقده * ويا دهر كم جرعتنى من المر والصبر
غضبان ما أنساك ما هبت الصبا * وطول الليالى تكل ما غرد القمر
وددتك يا غضبان تشد لساعدى * وتبقى فى عبس الى آخر الدهر
رجوتك يا غضبان من بعد مصرعى * تكون حما عبس الى آخر العمر
رجوتك يا غضبان حصنا محصنا * لعبس بطول الدهر ما هتف القمرى
رجوتك يا غضبان تدفن قامتى * قتلت وقد قطعت رجاى مع ظهر
رجوتك يا غضبان تخلف عنترا * وتسعده فى موقف الفخر والفكر
أياولدى ذوبت للقلب والحشى * وحيرتنى والله فى أمر *
أياولدى هيجتنى بعد هجعة * أياولدى حيرت عقلى مع فكر
أياولدى أطلقت دمعى وفكرتى * أياولدى أوقفت حالى بلا ذكر
أيا ولدى قد شيب الشعر فى * قتلك يا غضبان احنا لى ظهر
أياولدى ما ترحم الشيخ عنترا * أياولدى لاجلك دموعى دما تجرى
فان كان قلبى صابرا متجلدا * ففقدك يا غضبان اشتد بى ضر

فقد كنت نور العين والقلب والحشا * فقد ضرت أعمى لا أروح ولا أدرى
فوا حزناه من بعد بعدك دائما * وعد بقت عليك باكية مدى الدهر
فعينى قد غشت وأغرق دمعها * وعبلة فى التعديد والنوح والفكر
وكبدى باكيا لم يزل بحرقة * وقلبى يغالب للهموم مع الضر
فمن كثر دمعى بالهزيمة قد بدا * على سهلك لؤلؤ الدموع مع الدر
حرام على الخمر والزهر دائما * حرام على لذة العيش فى العمر
حرام على ان أضاجع عبلة * حرام على اترك الخيل للكر
حرام على أحلق رأسى ومفرقى * مع أهل الهنا والعيد ما دام ذا الدهر
لا البس الثوب الجديد ولم أكن * لذكرك ناسى أو تغيب عن فكر
ورجوتك يا ليث البرية كلها * تحمى حمانا دائما مدى الدهر
تخطفك الموت المعجل دائما * فصرت رهين القبر ملقى على الفحر
سقا الله قبرك كل وقت وساعة * من السحب مزن الغيث منهطل الابحر

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من هذه الابيات قصد الى المضارب والابيات وحرم على نفسه الركوب وأجرى الدمع المسكوب ولا يحلق شعر رأسه ولا يحضر عيدا من الاعياد مع أهله وناسه ولا يركب حصان ولا يشرب خمر الدنان ولا يفارق لبس السواد ولا يخلع عن بدنه ثياب الحداد ما لم يعرف قاتل ولده الغضبان وفرحت فيه أعداه والحساد وكان أكثرهم فرحا عمارة بن زياد ولم يزل عنتر مواضبا على المضرب الذى ضربه وسماه بيت الاحزان مدة شهرين من الزمان فسمعت بذلك أصحابه وأصدقاه فقصدوه حتى انهم يعزوه فكان أول ما قدم عليه دريد بن الصمه وعامر بن الطفيل وزيد الخيل وعمرو بن معد وحجار بن عامر وروضة بن منيع والملك عباد والملك نعمه بن الاشتر وحصن المازنى والعباس وحاتم الطائى وخفاف وهانى بن مسعود وعتبة بن شهاب وجميع أصدقاه وهم يدخلون عليه ويعزوه ولم يقدروا من بيت الاحزان يخرجوه فاقاموا عنده واحدا وتسعين يوما فعند ذلك تقدم دريد الى الملك قيس وقال له يا ملك عبس وعدنان ان تركناه هذا الرجل على عقله هلك فى بيت الاحزان فدبرلنا فى اخراجه من هذا المكان لانك أنت المسمى بقيس الرأى بهذا الزمان ولا نعرف هذا الامر الا منك كما نعملوه من الرأى عنك فاطرق راسه الملك قيس الى الارض ساعة وقام الى مضربه ودعا بعبلة بنت مالك اليه فاحضروها الى بين يديه فقال لها اعلمى يا عبلة ان ابن عمك عصى علينا وعصى على جميع العربان وقد انقطع فى بيت الاحزان فتسمع بذلك الاعدا والحساد فيطمعوا فينا ويقصدونا من كل شعب وواد وأنا لا أعرف اخراج عنتر من بيت الهم والغم الا منك يا ابنة العم لانك تسيرى وتقفى بين يديه وتقولى له ما هو كذا وكذا فاجابت عبلة بالسمع والطاعة وقامت من وقتها ودخلت على عنتر وقبلت رأسه وبين عينيه وقالت له ويلك يا ابن العم أما لهذا الحزن أن يزول وقد أفرحت أعداك وأزعجت قلوب أصدقاك وأكابر العرب بان مقيمين عندنا ومفارقين أهلهم والاوطان فقال لها عنتر هل فرغ من عندك الاموال والنوق والجمال فقالت له عبلة حاشا ان يفرغ من عندك رزق يا ابن العم فقال لها سيرى اليهم واذبحى لهم واكرميهم فانا لا بقيت أفارق هذا المكان فعند ذلك لجت عبلة عليه وقالت له حيث ان الامر كذلك فقوم ردنى الى أهلى ثم انها بكت بغنج ودلال وغازلته بطرفها الادعج فقام على حيله مثل الاهوج مسلوب العقل ملجاج وخرج من بيت الاحزان فتقلته جميع العربان وهو ماسك احشاه ويزعق آه واولداه فاعتنقه الملك قيس ودريد وجميع مقدمين العربان فقال عنتر يا ملك الزمان اعلم ان فى قلبى جمرة وفى فؤادى حسرة لا تبرد الا بقاتل ولدى ومقاقل احشائى وكبدى فقال له قيس ومن هو خصمك يا ابا الفوارس اعلمنا به ونحن نسير كلنا بين يديك ونمحق أثره ونقطع خبره فقال عنتر انت أخبر بالذى جرى على

ولدى فقال الملك قيس الذى أعلمه من الفرسان ان الذى قتل ولدك الغضبان خمس فوارس ولا أحد يعلم لهم مكان فقال عنتر لابد من المسير وآخذ بثار ولدى وأنت باختيارك وأنا ما أعصيك على مسيرك لانى ما بقى لى بعد الغضبان بالحياة حاجة فلا تكثر واعلى اللجاجة لانى أريد أركب على ظهر الحصان وأتجرد على قتل جميع العربان من جميع الجبال والوديان فاما أبلغ المراد ويموت قاتل ولدى بجملة من أقتله من عرب المهاد أو أقتل وأصير مجندلا على الآكام فهاجت العرب من ذلك الكلام فقال لهم دريد اصبروا وايا وجوه العرب ولا تلوموه فانه مسلوب العقل ولا تقدروا تعدلوه فلا بد ما يرجع الى عقله فاجابوه الى ما قال وأطاعوه فقالوا له جميع العربان ها نحن بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك ولو طلبت كسرى أنوشروان هدمنا منه الاركان فقال عنتر اذا كان الامر على ما تقولون اركبوا خيولكم وتحصنوا بسلاحكم فعند ذلك عادت الرجال وركبت على الخيول العوال وصاح صائحهم بالارتحال فكانوا سبعين ألف فارس رئبال وركبت بنى عبس الابطال وخلفوا ألف فارس مع الامير ورقة والربيع لحفظ الاطلال وتقدم عنتر وأولاده فى مقدمة الفرسان وانجرت من خلفه السبعين ألف عنان فتقدم شيبوب وقال لاخيه الى أين تقصد فى الاول من الاراضى والمنازل فقال له اطوى بر الحجاز وسر الى أعلا النسر السماك فاذا وصلت الى تلك الدمن ارجع الى تحت بنات نعش وديارهم وناخذ باقى أرض الحجاز فى آثارهم ولعل قاتل ولدى يقتل فيمن أقتله من الفرسان وتطفى لواعجى من النيران فلما سمع قيس كلام عنتر الى أخيه شيبوب فالتفت الى دريد شيخ عرب الجاهلية وقال له ما تقول يا شيخ العرب فى هذه القضيه فقال له دريد قدام ملوك العربان يا قيس انت امها وأبوها وعلى رأيك المعول وأنت الذى دبرت على اخراجه فى الاول فلا نعرف هذا الامر الا منك فدع هذا القول عنك فقال قيس أنا قد خطر لى خاطر ينجى جميع العربان أول وآخر من سيف عنتر الباتر فقال دريد اعلمنى بما خطر فى بالك نجح الله جميع أعمالك فقال قيس أنا على وأنت عليك تعرفنى باسم كل قبيلة تقدم عليها وذلك اننا قبل ما نقدم عليها نكتب كتاب ونرسله مع رسول نجاب ونكتب فيه ان ساعة وصول هذا الكتاب اليكم وقبل وضعه فى يدكم تخرجوا الحريم والنسوان وهم مكشفين الرؤس والوجوه بين كل انسان ويكون لبسهم السواد ورجال القبيلة حفاة مشاة على الاقدام معلقين السيوف فى رقابهم فاذا التقونا يبادروا واعليهم بالسلام والاكرام ويعزوه بولده الغضبان ويبكوا قدامه ويظهروا الاحزان ويحلفوا له باجل الاقسام انهم لا يعلمون من قتل ولده الغضبان فاذا فعلوا ذلك الامر والشان فنقول أنت افتح عينيك يا أبا الفوارس وانظر ما بين يديك فوحق ذمة العرب لو كانوا هؤلاء قتلوا ولدك وظلموك على هذه الحالة كنت عفوت عنهم ولا تكلمهم وأساعدك أنا ومن معنا من العربان فقال دريد لله درك من ملك همام وصاحب رأى تمام ثم جدوا فى المسير حتى قاربوا بنى ضهية فارسلوا لها نجاب بما تقدم من الكلام وهم يقولون نحن ما فعلنا هذه الفعال الا خوفا على النساء والرجال لان عنتر اليوم فى سبعين ألف من الابطال فما وصل اليهم الكتاب حتى أتت النساء والبنات والمشايخ والشبان وتقدم دريد الى عنتر وتكلم بما قال له قيس وساعدوه العربان وعنتر ساكت ساعة من الزمان وقام قائمته وقال والله وأنا فاكر يا أبا النظر فى هذا الكلام فقبل عنتر عذرهم وقال لعبيدهم قدموا لهم خيولهم يركبوها وردوا نساءكم وبناتكم الى خدورها ثم انهم ركبوا فى صحبته وسار والى غيرها ولم يزالوا كذلك من قبيلة الى قبيلة حتى اكتمل صحبته خمسمائة قبيلة وها أنا أعدهم لكم قبيلة بعد قبيلة حتى تبان الفضيلة فاولهم بنى ضهية وبنى غنى وبنى كلاب وبنى كلب بن وبره وبنى الزهره وبنى الضباب وبنى مشاجع وبنى نبهان وبنى فقعس وبنى خولان وبنى أسد وبنى صعصعة وبنى الهزل وبنى يربوع وبنى مره وبنى ذهل وبنى شيبان وبنى عدون وبنى السكاسك وبنى السكون وبنى زغبه وبنى رياح وبنى قشير وبنى الطماح وبنى كنانة وبنى قحطان وبنى تميم وبنى قيان وبنى حنظلة وبنى طى وبنى عدى وبنى تمم وبنى ثقيف وبنى النظيم وبنى عدى وبنى فقيم وبنى حمزة وبنى أمية

وبنى حمير وبنى كندة وبنى سعد وبنى هران وبنى زهران وبنى رهط وبنى بكر بن وائل وبنى شكر وبنى مروان وبنى ثعلبة وبنى عمر بن ساقط وبنى خزاعة وبنى غنيم وبنى حرب وبنى عجل وبنى لجيم وبنى مالك وبنى المعبة وبنى العوان وبنى حنيفة وبنى العنبر وبنى الجفنى وبنى عكاظ وبنى عطية وبنى السدوسى وبنى تميم وبنى جندب وبنى محكم وبنى زبيدة وبنى برهم وبنى الريان وبنى سعيد وبنى معقر وبنى خصم وبنى الهادم وبنى قناعس وبنى نوبوده وبنى مازن وبنى دارم وبنى نهشل وبنى قشمس وبنى دودان وبنى الجون وبنى الهوب وبنى دارج وبنى أشجع وبنى خميس وبنى عروان وبنى منصور وبنى قيس وبنى غيلان وبنى معاوية وبنى كعب وبنى نمير وبنى حنبل وبنى عقيل وبنى عجده وبنى جعفر وبنى حمدان وبنى دريد وبنى سبا وبنى مدحج وبنى الفيدان وبنى الجاوره وبنى مدلج وبنى يحدب وبنى نجتر وبنى العطبول وبنى غطفان وبنى سنان وبنى مروه وبنى حافظ وبنى حذيفة وبنى حريقة وبنى عافية وبنى فراس وبنى الاشتر وبنى غزية وبنى النهاش وبنى خالد وبنى باغض وبنى عبد شمس وبنى الريان وبنى كليب وبنى كردم وبنى حسان وبنى حدمان وبنى مشاجع وبنى جشعم وبنى حتام وبنى اليمامة وبنى غسان وبنى تنوح وبنى بارق وبنى طارق وبنى المنطلق وبنى بجيلة وكانت كل هؤلاء القبائل سائرة بالامير عنتر حتى وصلوا الى بنى كندة وهذا امرؤ القيس بن مسعود فطلع اليه ولاقاه وسلم عليه وقال يا أبا الفوارس قد نلت حظا عظيما وقد وصلت الى مقام ما ناله أحد من ملوك الارض والاقاليم وهذا شئ أقوى من تعليق القصيد ولا وصل أحد الى ما قد وصلت اليه ولا سيما هذه العربان وطاعتها اليك وقد ومها وما بقيت تعود الا أن تقر بالوحدانية وتفوز بمعرفة خير البرية المبعوث من تهامة صاحب التاج والكرامة والعلامة المظلل بالغمامة عليه أفضل الصلاة والسلام الى يوم القيامة فقال له عنتر وما يكون هذا الرجل الهمام يا مولاى الذى تقول عليه هذا الكلام فقال رجل اسمه محمد وهو نبى آخر الزمان ورسول الله الملك العلام ومصباح الظلام والشفيع يوم الزحام الصوام القوام فقال له عنتر أريد أن ترشدنى اليه حتى انى أدخل فى دينه وأكون من جملة أعوانه وأنصاره فقال له امرؤ القيس ان أردت أن تعرف ذلك فانهض بعزمك وقم بنا واترك عنك المعانده حتى نسير الى بنى أيادى القيس بن ساعده لانه كاهن من كهان هذا الزمان وعنده معرفة بسائر الانبياء وسائر الاديان فهذا الذى يخبرك بهذا الامر والشان ويخبرك بقاتل ولدك الغضبان فلما سمع عنتر ذلك الكلام قام واقفا على الاقدام وركب وركب معه امرؤ القيس وركبت جميع العربان والفرسان وجدوا المسير فى تلك البرارى والمهاد حتى انهم وصلوا الى بنى اياد ونزلوا وساروا الى حضرة القيس بن ساعدة لان الله سبحانه وتعالى قد ألقى عليه الهيبة والقبول وفصاحة اللسان وجعل له جاها بين العباد حتى ان السباع تقبل عليه وتقبل يديه ورجليه واذا نام تدور من حواليه وكان عارفا بجميع الحوادث فلما دخل عليه عنتر قام على قدميه وأخذه الى جانبه وسلم عليه وسأله عن مجيئه فشرح له موت الغضبان وما جرى عليه فقال له القيس بن ساعدة اعلم يا أبا الفوارس ان الجان هم الذى أفجعوك فى ولدك الغضبان لانك قتلت منهم واحد وابنك الغضبان قتل قريبتهم بسهم النزال ومن ذكرك لهم فى اشعارك وجميع أقوالك فلا عدت تخاطر بنفسك وتدخل فى أرض لا تعرفها فارتدع بهذا الامر ولا تعاند رب الارض والسماء الذى أنبت النبات وأخرج من الحجر للخلائق أقوات الذى قمع الجبابرة قمعا وأخرج من الاحشاء نسمة تسعى وأخلف بين الظلام والضيا الذى جعل بالنهار حركة وجعل الليل سكنا الذى علا فاقتدر وعلى العاصى فاستتر وذل كل شئ لهيبته وتواضع كل شئ لعظمته وماجت السموات والارض من خيفته وتاهت جميع الخلائق الى مصنوعات قدرته ورفع السموات بغير دعائم وزينها بالشمس والقمر والنجوم للعوالم وسطح الارض وأبدعها بالاشجار وشق فيها الانهار من صميم الاحجار وأنبع العيون وفجرها وأنطق الاطيار على منابر الاشجار وهو الذى يميتنا ويحيينا ويسعدنا ويشقينا الذى علا فاقتدر خالق جميع الخلق والبشر فلما سمع عنتر هذا الكلام فارتدع وارتدم وقصر عن كان عليه عازم ورجع وخاف قلبه من هذا الكلام وخشع ودمع طرفه من الخوف وقال

للقيس والله يامولاى اننا كنا على الضلال والآثام من ميلنا الى هذه الاصنام الذى هم منحوتين من الحجر الذى لاتضر ولاتنفع ولاعن أنفسها تدفع وكان عنترأزكى أهل زمانه وفريد عصره وأوانه فقال له الكاهن اعلم ياعنتر أن ليس لهذه التماثيل نفع ولاضر ومامن شئ يدوم فى الكون غير الله خالق الخلق والبشر فهو باسط الرزق ومنزل الامطار وخالق الخلق ومدور الفلك الدوار ومكور الليل على النهار فقال له عنتر ايها السيد فهل بقى ربنا يرسل الينا رسولا نستنظره فى هذا الزمان حتى انه يردنا عن عبادة الاوثان ويعرفنا الحلال من الحرام ويخرجنا الى الضياء من الظلام فقال له القيس نعم ياأبا الفوارس وهو أنه عن قريب يبعث الله نبيا رسولا صاحب جاه وقبول مقبول زهى بهى سنى عربى هاشمى زمزمى أبطحى تهامى فهو يظهر بدين الخليل ابراهيم ويعرف الناس التحليل والتحريم ويهدى الخلق الى الصراط المستقيم ويحذر من نار الجحيم اسمه فى السماء أحمد وفى الارض محمد وفى القرآن طه ويس وهو صفوة الله تعالى من الخلق والعالمين خلقه الله تعالى قبل خلق الخلق والسموات والارضين بخمسة آلاف عام وحجبه فى حجاب القدرة سبعة آلاف عام وهو يقول سبحان العلى الاعلى الذى لايضعف ولايبلى ثم ان الله تعالى نقله بعد ذلك الى حجاب الرحمة فقام فيه ثلاثة آلاف عام ثم نقله الى حجاب المنة فاقام فيه ستة آلاف عام ثم نقله الى حجاب الكرامة فاقام فيه خمسة آلاف عام ثم نقله الى حجاب الهداية فاقام فيه أربعة آلاف عام ثم نقله الى حجاب النبوة فاقام فيه ألف سنة ثم نقله الى مايشاء ثم جعل نوره ستة اجزاء فخلق من الاول العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث اللوح ومن الرابع القلم ومن الخامس الشمس ومن السادس القمر ومن هنا قال الله تعالى للقلم اكتب فقال القلم وما أكتب ياربا ه فقال أكتب لا اله الا الله محمد رسول الله فلما سمع القلم ذلك الخطاب من الملك الوهاب خرساجدا لله تعالى أربعة آلاف سنة ثم انشق نصفين من حلاوة ذلك الاسم الشريف وكتب فقال له البارى اكتب قضائى وقدرى الجارى فى خلق أمة آدم من أطاع الله أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار أمة نوح من أطاع الله أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار ولم يزل القلم يكتب أمة بعد أمة حتى أتى الى أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال له البارى اكتب أمة مذنبة ورب غفور فكتب جميع ماأمره البارى وجف القلم وسعد من سعد وشقى من شقى من القدم اللهم اجعلنى واياكم من سعداء الدارين وشفع فينا وفيكم سيد المرسلين وتوفنا مؤمنين لامغيرين ولامبدلين يارب العالمين ثم ان البارى تجلى على ذلك النور المحمدى فالبسه عرق التجلى فنزل منه مائة ألف قطرة وأربعة وعشرين ألف قطرة فجعل من كل قطرة نبيا ثم انه قال لذلك النور من أنا فقال له أنت الله رب العالمين لا اله سواك ولامعبود حقا الا اياك فقال صدقت يامحمد أنت حبيبى وأنت خير الانبياء وأمتك خير الامم ثم ان الله تعالى أظهر نوره على ساق العرش فنوره ومازال ينور مقدار ألف سنة ثم نقله الى صلب آدم عليه الصلاة والسلام ثم الى صلب شيث ثم الى صلب أنوش ثم الى صلب أنوخ ثم الى صلب قينان ثم الى مهلائيل ثم الى ادريس ثم الى المتوشلخ ثم الى نوح ثم الى سام ثم الى أرفخشد ثم الى صالح ثم الى غابر ثم الى ناروخ ثم الى آزر وقيل انه ناخور ثم الى ابراهيم ثم الى اسماعيل ثم الى قيدار ثم الى شالخ ثم الى يامين ثم الى معزوم ثم الى ارد ثم الى مضر ثم الى نمر ثم الى مدركة ثم الى جندبة ثم الى كنانة ثم الى مالك ثم الى غالب ثم الى لؤى ثم الى كعب ثم الى مرة ثم الى كلاب ثم الى عدنان هاشم ثم الى شيبة الحمد وهو عبد المطلب ثم الى عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرج الى دار الدنيا ويعيش فيها ثلاثا وستين سنة وهو خاتم الانبياء والمرسلين ورسوله الذى اختاره من جميع العالمين لانه خلق من الرحمة قلبه ومن الوفاء جسمه ومن التسليم نفسه ومن التوكل خلقه ومن الزهد شعره ومن اليقين وجهه ومن الشكر لسانه ومن التواضع حسنه ومن الحياء عينيه ومن الحق أذنيه ومن السخاء يديه ومن الشفقة عضديه ومن الرضا وجنتيه ومن الاخلاص بدنه ومن الصحة صوته ومن الخوف ركبتيه ومن الاستقامة رجليه ومن الثبات قدميه فهو الشفيع المشفع فيمن يصلى عليه اللهم صل وسلم عليه اسمه فى السماء أحمد وفى الارض محمد وعند الملائكة عبد الرحيم وعبد الخالق وعبد الكريم وفى القرآن طه ويس

وفى الانجيل الصادق الامين خاشع خاضع حبيب لبيب نسيب حسيب طبيب خليل فضيل عديل وفى عفى وصى رضى هنى غنى شجاع مطاع شهيد رشيد سعيد سديد طاهر ذاكر ناظر ظاهر باهر زاهر شاكر صابر لطيف شريف عفيف نظيف رؤف عطوف جليل القدر عزيز الاهل جزيل العقل لطيف الشكل كريم الاصل ناصر صالح ناجح فاتح قامح كاشف الهم دافع الغم عالى الهمة كاشف الغمة ناصح الامة منور الظلمة عزيز النفس والانفاس شديد العزم والباس حبيب رب الناس فصيح اللسان قوى الجنان تالى القرآن سيد ولد عدنان عين الاعيان مهلك أهل الطغيان رسول الثقلين نبى الحرمين شفيع الدارين جد الحسين أسرى به فى ليلة الاثنين اسمه فى التوراة المنذ هليا وفى الانجيل طابا وفى الزبور الفارقليطا وفى صحف آدم امشيطا وفى صحف شعيب الياء وفى صحف شيث بريا وفى البر عبد القادر وفى البحر عبد القهار وفى الجبال عبد الظاهر وعند الخلق عبد الرحمن وعند الشياطين النجمة وعند البهائم عبد الجبار وعند الطير عبد الغفار وعند السباع عبد القاهر وعند الوحوش عبد الباعث اسمه فى السماء الاولى عبد القائم وفى السماء الثانية عبد الخالق وفى السماء الثالثة نبى الرحمة وفى الرابعة المصطفى وفى الخامسة المرتضى وفى السادسة المجتبى وفى السابعة المرتجى وعند الملائكة المقربون محمد صلى الله عليه وسلم وهو صاحب البهاء والنور والقلب الجسور واللسان الشكور والطرف النيور والولدان والحور والرهبة والعزة وخاتم النبوة ذو الشرف والشجاعة والقوة والبراعة والقبول والقضاء والخاتمة والامانة والجمعة والجماعة والحوض والشفاعة والغرة والناقة والنجيب والبردة والقضيب والقرآن والتلاوة وشرف القبلة ولواء الحمد والكرامة فهو امام المتقين والرائد اليقين محب الفقراء والمساكين ذو المجد الرفيع والحسن البديع والمقام المحمود والحوض المورود كاف الاذى ودافع الردى الباذل العطاء صاحب المعراج الى السماء شجرة طوبى سدرة المنتهى ذو الحور الكرام والولدان الحسان والعبادة للرحمن والحسب الشريف والنسب المنيف والخلق الحسن والجود الفاخر والنور الظاهر والوجه النضير والسراج المنير والآيات البينات والسور المنزلات والازواج الطاهرات والحجج والدلالات والصلاة والبركات والصوم والزكوات والرحمة والقناعة والصراط وشرف يوم القيامة وصوم رمضان صاحب مكة والمقام والبيت الحرام والمشاعر العظام والحرم والمنبر المكرم والركن المعظم ومنى والحطيم وزمزم صاحب المقام الجليل مجدد ملة ابراهيم الخليل صاحب التحليل والتحريم مظهر الاسلام ومحيى الايام صاحب الدعوة المستجابة والطلعة المهابة الطويل القامة المدور العمامة المظلل بالغمامة الشفيع فى يوم القيامة هادى الناس الى طريق السلامة بين كتفيه خاتم النبوة وهو له علامة الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر صاحب الطرف الكحيل والاصل الاصيل والخد الاسيل والشعر الطويل والبيان والتأويل والتنزيل الذى لاحلم ولاعلم ولارحم ولاوضع ولاوطئ الحصى ولانشأ ولامشى أكثر من محمد المصطفى الذى قال الله تعالى فى حقه عن لسان جبرائيل أمينه ولولا النبى محمد ماخلقت جنة ولانارا ولابرا ولابحارا ولاليلا ولانهارا ولانباتا ولاأشجارا ولاشمسا ولاأقمارا ولاجبالا راسيات ولاأفلاك دائرة ولافضاء ولاهوى ولاوسع ولادوى ولاحيل ولاقوى وعزتى وجلالى لاادخل النار عبدا يحبه ويريد قربه وأبر قسمه وسمع ذكره ومن صلى عليه غفرت له ولوالديه وانه ياعنتر قد آن أوانه واقترب ياأبا الفوارس زمانه ويكون معه ابن عمه الفارس الاروع والبطل الانزع والليث البطين مهلك الكفرة والمشركين المؤيد بالروح الامين المبين الحلال من الحرام والهدى من الضلال المظهر الحق من المحال الذى تذل له من العرب أماجيدها وتخضع له صناديدها صاحب السيف القاطع والنور اللامع والعزم البارع واللفظ البديع لايطلع وصيفه صدا ولايلوثه ندا ولا يبالى بجموع العدا الفارس الهلول والليث المصول بالفصاحة مجبول بعل البتول وسيف الله المسلول من تذل له الابطال الفحول الصادق فى كل مايقول الذى ما كان قط جهول ولامن الحرب يهول جرثومة العرب معدن الحياء والادب صاحب القول المنتخب وأفرس من طعن وضرب المصباح اللامع والقمر

الزاهر الطالع والدرع المانع ذو العطاء الواسع سراج أهل المحشر الساقي من نهر الكوثر من قد عجزت الاقلام عن احصاء مناقبه ومكارمه وكبرت الملائكة عند وقع مضاربه لا يؤنس قط صحيفته الخطا ولا يقصر من المعروف ولا يبدئ عنه بطلا البرئ عن النسيان والفساد الامام الواضح شديد العماد الرفيع السواد صاحب الفخر والارشاد القادح الزناد الطيب الميلاد فارس الحرب والجلاد ممتق الكفار بالسيوف الحداد والرماح المداد الذى هو زينة الفرسان الملاح وقد أرضعته ثدى السخاء والمكارم وثبتت قواعده عند سائر العوالم وقد تباشرت بمولده الانبياء والملائكة والاتقياء سيد الاولياء يسمى بزيد وحيدرة والانزع وفارس الغبرة بحبه يرجح الميزان وتنجلى عن قلوب المؤمنين الاحزان واذا ذكر فى مكان فر من اسمه كل شيطان فهو البلد الجامع لمن دخلها وسفينة النجاة لمن طلبها وركبها ومدينة العلم لمن دخلها وقصدها وبحيرة الحياة لمن وردها الامام الكرار أبو الائمة الاطهار نسل السادة الأخيار وآية الملك الغفار ومهلك أهل الشرك والاضرار الممدوح على حروف المعجم الالف الى الياء آناء الليل وأطراف النهار الالف ألف القلوب الى الايمان الباء بادر الى طاعة الرحمن التالى سور القرآن الثابت لحرب الشيطان الجامع العلوم والاحكام والاتقان الحاكم بين الانس والجان الخارج عن عبادة الاصنام والانصاب والازلام والاوثان دليل المؤمنين الى طريق الجنان الذاكر لله فى السر والاعلان الراحم الضعفاء والايتام الزائد الشكر والاحسان والايمان ساتر عورة النسوان فى كل مكان الشاكر نعمة الرحيم الرحمن الصابر على الحرب والضرب والطعان الضارب الى رقاب أهل الكفر والطغيان الطاهر الاصل والفرع والايمان الظاهر على جميع أهل العصر والاوان عالم علوم القرآن غاية جميع المؤمنين فى كل مكان فاق جماجم الشجعان والفرسان فى الميدان القوى الاركان كافل الارامل والايتام وكل فقير عيان الليث الاروع صاحب السيف والسنان مبيد أهل البغى والعدوان الهادى الى عبادة الرحمن الوافى العزم عند احتباك الرمح والبيض اليمان لا يغفل عن عبادة الملك الديان يتصدق فى السر والاعلان فيا سادة فرسان العرب اذا ظهر هذا الشجاع المنتخب صاحب الحسب والنسب فواعجباه يا أبا الفوارس كل العجب مما يحل بابطال العرب من الويل والحرب والقتل والعطب اذا أشهر عليهم ذا الفقار المصنوع من النار وهو الفارس المنتسب فارس العجم والعرب الليث الهمام والاسد الدرغام والفارس القمقام والهزبر المقدام والشجاع الهجام ذو البأس الذى لا يرام بحربه لا يضام مسقى أعاديه كؤس الحمام مجندل الاقران ومبيد الشجعان شديد الصولة عظيم الحملة والجولان القوى الطعن والضرب جسور القلب فارس الشرق لا يأخذه رعب جسيم أروع بطين سميدع لا يفزع ولا يعجز ولا يجزع ولا يهلع اسمه كبير فى المواسم كثير الذكر فى الملاحم فلاق الجماجم منعوت بالعزائم مهشم القمم ممدوح مقدم بكونه لمحمد وزيرا ويدعى الامير ويسقى محبيه من حوض البشير النذير يدعيه أخى فى الحسب ويقاربه فى النسب له أسماء مختلفة فى جميع الكتب مذكور اسمه فى التوراة اليا وفى الانجيل بريا وفى الفرقان على فهو ساقى الناس يوم العطش الاكبر من نهر الكوثر لاهل الولاية شراب التسنيم وذلك هبة من الله العزيز العليم لانه يا أبا الفوارس ما أعطى هذه العطايا الا لاجل ابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم حبيب رب الارض والسماء لانه سبحانه وتعالى لم يخلق فى الاولين ولا فى الآخرين الى يوم الدين أحسن ولا أزين ولا أتقن ولا أمكن ولا أعدل ولا أفضل ولا أجزل ولا أجمل ولا أشمل ولا أكرم ولا أرحم ولا أحلم ولا أحكم ولا أفهم ولا أعلم ولا أقوم ولا أبهى ولا أزهى ولا أهنى ولا أنهى ولا أمنى ولا أتقى ولا أعفى ولا أوفى ولا أغنى ولا أكفى ولا أصفى ولا أقضى ولا أمضى ولا أحظى ولا أرضى ولا أزكى ولا أتقى ولا أنقى ولا أرق ولا أشرف ولا أظرف ولا ألطف ولا أعرف ولا أسعد ولا أصبح ولا أروج ولا أفلح ولا أوضح ولا أنجح ولا أسمح ولا أفصح ولا أشرح ولا أصلح ولا أصدق ولا أحذق ولا أرفق ولا أزهد ولا أعبد ولا أرشد ولا أمجد ولا أقصد ولا أسجد ولا أسعد ولا أنجد ولا أصبر ولا أفخر ولا أنور ولا أشكر ولا أطهر ولا أزهر ولا أخشع ولا أجمع ولا أسمع ولا أرفع

من هذا الرسول العربى القرشى سيد الانام ومصباح الظلام ثم أشار ينشد ويقول بعد ألف صلاة على طه الرسول

أحمد المصطفى وبدر التمام * مظهر الحل للورى والحرام * ويرد الشيطان عن سرقة السمع
شهوب النجوم عند الظلام * ان هذا محمد ولدته أمه * اليوم مرسل لكل الانام
قال كسرى قد آن ما أخبرته * من ظهور النبى من ألف عام * حان والله قلعنا عن قريب
بسيوف الاعراب أهل الخيام * وبهذا النبى يفتخر الكون * ويزهو الزمان بالاسلام
ويجى يثرب عن قريب * عند ظهور النبى التهام * وسعت خيله وافتخر الكون
وراقت الايام والاعوام * قد جلى الظلام بعد سواد * منذ نهاهم عن طاعة الاصنام
وترى أهل يثرب مخصصين * على طه الرسول خير الانام * وأجلت للغيوم أنوار وجهه
لرسول الملك المهيمن العلام * وارتقى من مكانه هلا أعلا * بعد ذاك العلا والاعلام
يهزم لكسرى والجيش جمعا * بعد كسر الرايات والاعلام * ثم سار اقوام كل ينادى
بادروا لحب ليث همام * كل هذا قد كان من بركات * المشفع فى الخلق يوم الزحام
وأضاءت أنواره كل قطر * فى جميع الورى وأهل الشام * صافى اللون صادق القول حقا
لم يزل قط من جميع الانام * أبيض اللون أكحل الطرف أقنى * يلتقى الانام بالانعام
وشفيع الانام فى يوم كرب * اذ تزيد الجحيم بالاضرام * والنبيون كل شخص ينادى
رب سلم واحمد الينا يحام * هو الرؤف الرحيم الطاهر * الطهر عليه صلاتنا والسلام
السراج المنير للناس جمعا * البشير النذير بدر التمام * قرشى وزمزمى فصيح *
خير من قد مشى على الاقدام * قائما ساجدا صبورا شكورا * بين الحل للورى والحرام
وجهه بالضياء يجلى كل ليل * فاق بدر الكمال عند التمام * خاتم الانبياء والرسل جمعا
حسن الخلق معدن الاكرام * دينه قد علا على كل دين * وغمر فضله جميع الانام *
وله الحوض واللواء والمعانى * فى نهار الحساب يوم الزحام * وله الكوثر الذى فاق عرضا
ثم طولا على البحار القوام * وله المنبر المكلل بالنور عليه * يشير للعابدين بالاكمام
قصده الانام من كل فج * ويصلوا عليه عند المقام * وداس فوق البساط حقا
نعليه أعاد البساط بالوطى سام * خدمته الاملاك أيضا * وجبرائيل خدمه بجملة الخدام
أنزل الله عليه طه ويس * والمثانى وسورة الانعام * فهو للكون والزمان عروس
صاحب الصدق والوفا والذمام * وهو ذخر العصاة يوم كرب * لا سبيل الى الانهزام *
فاز من حبه وصلى عليه * وقد برئ من سائر الآثام * حظه بالامام أعنى عليا
صاحب المكرمات والاحتشام * من نصره بقوة واقتدار * وأقام الايمان والاسلام
الهزبر الكرار فى يوم حرب * وهو ليث الحروب وقت الصدام * من أعان الرسول فى كل كرب
وسقى للعدا كؤس الحمام * واستغفر الله الاله دوما * فهو يغفر لما مدا الايام
ونصلى على نبينا التهامى * أحمد المصطفى خير الانام * فعليه صلاتنا كل وقت
ما غنت على الغصون حمام * وكذا الآل والصحب جمعا * هم ليوث الحروب وقت الصدام

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ القس من هذا الكلام هام عنتر من هذا النظام وغاب عن الوجود وكذلك العربان الكرام وسكروا من غير شرب مدام وفيهم من رق قلبه للايمان والاسلام وأفاق عنتر من غشوته وقال يا ليتنى أعيش حتى يظهر هذا النبى المشفع حتى كنت لملته أتبع فعسى انه يوم القيامة فيه يشفع وكنت أعين ابن عمه الاروع وأجاهد بين أيديهما ولا أبخل بروحى عليهما فقال له القس ان كانت سبقت لك السعادة فزت معه بالشهادة ثم انه نهاه عن ذكر الجان وبشره ببلوغ الهنا والامان فعند ذلك ودعه عنتر وجميع

العربان ورحلوا طالبين ديارهم والاوطان وشكر عنتر فضل جميع القبائل وصرفهم الى بلادهم ورجع عنتر والملك قيس وبنى عبس الى الاوطان وهم فى أمان وعنتر لا يعطى صبرا ولا جلدا من بعد فقد ولده الغضبان وهو مشغول القلب والجسمان بل انه فى قلبه نار ولا يستقر له قرار ﴿ قال الراوى ﴾ وأعجب ما فى هذه السيرة الحجازيه العجيبة البهيه التى رواها الاصمعى صاحب خبير البريه عن أحاديث العربان الذى تؤرخ فى هذا الديوان عن حديث وزر بن جابر فارس بنى نبهان وهو العقاب الكاسر والنمر الجاسر الملقب بالاسد الرهيص وهو الذى يترك بنى عبس بعد موت عنتر فى حزن وتنغيص وهو من بنى نبهان وكان طامح فاوس كرار وليث مغوار وأسد هدار لا يصطلى له بنار ولا يعدى له على جار الا انه كان مع هذه الآثار ذميم الصورة والمنظر تفزع من رؤيته الخلق والبشر وكان قد علا فى بنى نبهان قبابه ومد مضاربه وأطنابه وبعد ذلك شن الغارات فى البرارى والقفار وكبس أحياء العرب وقهرهم بالمرهف البتار حتى خافته جميع العربان وهابته فى الميدان وصار له محبين واخوان وكلهم يركبون لركوبه وينزلون لنزوله ويسمعون قوله حتى اشتهر بين سائر الخلق والبشر وقد تحدثت به الناس الى يوم من بعض الايام طلب الصيد والقنص واغتنام اللهو مع الفرص الى آخر النهار ورجع وهو طالب الحلة واذا هو نظر الى جارية من بنات العرب وقد خرجت من مضرب الى مضرب وهى مليحة القوام واضحة الابتسام لطيفة ظريفة عفيفة عاقلة لطيفة وقد فاقت بحسنها على العرب والعجم بحاجبين أزجين وعينين كحيلتين وخدين موردين وعنق كانه كوز الياسمين وقد رجيح ولسان فصيح فنظر اليها الاسد الرهيص ساعة من الزمان وعاين ما فيها من الحسن والاحسان فمالت جميع جوارحه اليها لما شاهد جمالها وكمالها ودلالها فوقع فى اشراك حبالها فعاد وهو مشغول من شدة وجده وغرامه وهو طالب خيامه وهو لا يدرى ما امامه وزاد عليه هيامه ودمعه مهطول وجسمه معلول حتى نزل فى خيمته ودعا من وقته بدايته لانها كانت ربته وكانت عجوز فطنة وزكية وكانت هجومة على الامور العظائم كانها النسر الحائم فلما حضرت قدام الاسد الرهيص سلمت عليه وقبلت يديه وقالت له ما الذى تريد أزال الله عنك التنكيد فحدثها بحديث الجارية المليحة الابتسام المعتدلة القوام وكيف ملكت منه القوى وتحكم فيه الهوى فقالت له طب نفسا وقر عينا ثم انها قامت من عنده وقد تركته بوجده وغابت عنه ساعة وعادت اليه والنار تلعب بين جنبيه فقالت له اعلم أيها الامير ان هذه الجارية يقال لها كبشة بنت كبشان وهو سيد من سادات العربان وليس له نظير فى بنى نبهان فبادر اليها وارغب فيها فلما سمع الاسد الرهيص من دايته هذا المقال وسمع ما قالته فيها من الحسن والجمال فقال لها يا دايتى هى ذات خدر مخدور وذات بعل ومذكور فقالت انها ذات خدر وهى خلية من الرجال ولكن لها ابن عم يقال له مبادر كانه الغصن الزاهر وخطبها من عمه كبشان بين جماعة من الفرسان من سادات بنى نبهان فلم يرض به لانه جبان ثقيل الطبع لا يحضر حروب ولا طعان واذا نظر الى معركة الاقران هرب بين الحريم والنسوان فلما سمع الاسد الرهيص كلام دايته قام من وقته وساعته وجمع أكابر قبيلته وسادات عشيرته وأعلمهم بقصته وسألهم المعاونة على بليته وانهم يسيرون معه الى الامير كبشان ويخطبون له كبشة ابنته فاجابوه الى ارادته وركبوا من وقتهم وساعتهم لقضاء حاجته حتى وصلوا الى بيت كبشان أبى الجارية فتلقاهم بالرحب والسعة والكرامة والرعاية وأنزلهم فى أعز مكان وروج لهم الطعام وأحضر لهم المدام وأكرمهم غاية الاكرام فقالوا له يا أمير كبشان نحن أتيناك خاطبين وفى كريمتك راغبين فقال لهم هى لكم أمة وأنا لكم عبد مع جملة الخدمة فشكروه على هذا المقال واعلموه انه للاسد الرهيص ففرح وزال عنه التنغيص لاجل شجاعته وبراعته وما وصف له من مناقبه وفصاحته فقال كبشان والله يا اخوان ان لسانى يكل أن يوصف ما فى هذا الانسان لان مثل البحر عطاه ومثل السحاب سخاه فهو الاسد الضارى عند مجاله وقد رضيته أن يكون لابنتى بعلا وهى له أهلا فشكروه والحاضرون على كلامه وبلغ وزر بن جابر مرامه وقال لكبشان يا عماه أنا لك غلام ولابنتك من جملة الاحباب والخدام فاطلب منى المهر وما تريد حتى يأتوك به العبيد ويحضر بين

يديك فى هذا الوقت بالتأكيد ﴿ قال الراوى ﴾ فقال كبشان يا أمير وزر ان الذى تريد صاهر فلا تصادر وأنا والله العظيم رب زمزم والحطيم لا أقطع عليك قول ولكن كلما أتيت به مقبول ولا أخالف لك قول واشهدوا يا سادات العرب انى زوجته ابنتى وصار الاسد الرهيص أعز أحبتى فلما وسمع وزر من أبى الجارية هذا الكلام استحى من جلوسه ولم يكن معه شئ الا فرسه وعدته ولباسه وكان عنده من الابل ثلاث نياق لانه كلما ملك شئ وهبه لاصحابه والرفاق وله عبد يسمى نجم وهو أمر من القضاء فامره ان يشد له جواده ويأتيه بعدة جلاده فاحضر له ما طلب وقام وزر فى الحال ولبس سلاحه وركب جواده واعتد بعدة جلاده وسار طالب يأتى بمهر زوجته وعبده فى صحبته ماشى فى ركابه على الآثار وقد تبطن فى البرارى والقفار وهو مثل الثعلب حتى نزلوا على مراعى بنى جندب فساق منها خمسمائة ناقة مثل القباب وقد أسر مقدم القبيلة الامير عقاب وأخذ عشرين عبدا وعشرين أمة كلهم أنجاب ورجع على الاعقاب سالم وهو فرحان بما وصل اليه من الغنائم ﴿ قال الراوى ﴾ فلما وصل الى الديار وقر به القرار أرسل النوق الى كبشان أبى الجارية فى مهر ابنته وأرسل معها جواد سابق ورمح خارق وسيف ماحق ودرع ومغفر فاثنى عليه ومدحه وله شكر ثم التفت الى الاسير الذى فى قبضته وطلب منه فديته فاجابه الى ذلك واشترى نفسه من الموت والعطب بمائة ناقة وأربعمائة راس من الغنم فلما أحضرهم اليه ذبحهم فى وليمته وأحضر جميع أهله وعشيرته وأطعمهم من ذلك الطعام وأسقاهم من صافى المدام وطالب صهره بزوجته بعد ما فرغ من وليمته عند ذلك زفت عليه فى عاجل الحال وعلى بحسنها والجمال فسلبت بجمالها قلبه ورشف بها لبه وظن انه فى منام أو اضغاث أحلام وأما الجارية من حين نظرت الى وجهه وتميزته فزادت حسرتها وظهرت فيه بغضتها وتمنت موتها من وقتها وساعتها لانها رأته قد أقبل فى هيكل قبيح ووجه كليح قصير القامة صغير الهامة غائر العينين أفلج الرجلين فلما نظرته على تلك الحالة نفرت منه وفزعت من رؤيته ورجفت أعضاها من مشاهدته وقد جمع الله كل بغضة فى الدنيا وألقاها فى قلبها فانها تحب ابن عمها واسمه مبادر وتكره وزر بن جابر لانه ربى معها وأكثر الاوقات يضاجعها ولما سمعت وعلمت بان وزر بن جابر صار بعلها ضاق صدرها واشتغل سرها وحارت فى أمرها ولما خلا بها الاسد الرهيص صار يلاعبها ويطلب منها المزاح قبل ما يحصل بينهما نكاح فمد يده اليها وقبض عليها وأراد أن يقضى منها وطر فامتنعت من ذلك وحل بها الكدر فلاطفها فى الامور فما ازدادت الا تمنعا ونفور فحصل له اضرار لانه فارس جبار فقام اليها وهجم بكليته عليها وفتح فخذيها واقتنصها وأزال بكارتها رغما عن أنفها وشقق بها وتولعت جوارحه بحبها وأما هى فما بقى عندها الا بغضة وعناد وكراهة وكياد فصار كل حين يتقرب اليها ويقبل أياديها فزادت فيه طمعها وعليه قست وصار كلما لاعبها عبست وكلما ضاجعها قطبت وكلما دنى منها تمنعت فقال لها فى يوم من بعض الايام يا كبشة مالى أراكى كلما ازددت فيكى رغبة وعشق ومحبة ما تزدادى الا نفارا أو زهدا ولم تريدى قربى بل تريدى البعد عنى فقالت له اعلم يا ابن العم انى ما أفعل هذه الفعال الا لاعلمى بأنى أحسن منك وأنور وأبهى وأتحف وأظرف وأرشق وألطف وأنا ما أريد الا من يضاهينى فى الحسن والجمال وأنت بالضد من ذلك الحال لانك أسود اللون ووجهك أسود شنيع وصورتك ترويع وجمالك غير بديع فتبا لابى من دون الرجال كيف هانت عليه ربات الحجال وراخيين الدلال ان يفرط فيها لاوحش الرجال ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع وزر كلامها وكثرة ملامها أجابها بالمقال يا كبشة اعلمى أن جمال الرجال لا يكون الا فى ثلاث خصال وهم الذين يزينوا الرجال فقالت له كبشة وما هم الثلاث خصال الذين ذكرتهم أوضح لى اياهم حتى أفهم معناهم فقال لها يا بنت العم أولهم الشجاعة والكرم والثانى القيام على حفظ الذمام والثالث اطعام الطعام للفقراء والايتام وأنا اذا لم يكن لى حسن رائق فلى كرم صادق وطعن خارق وضرب ماحق وكفى من السخاء والرضا غامر وصبرى على الحروب وقت اللقاء ظاهر ثم فعلى حميد ورأيى سديد وعزمى شديد وقولى مفيد وما الذى تذكريه من الوجه الجميل اذا كان بين الانام صاحبه ذليل

لاله قدرة يحميكى ولايذل أعاديكى وما الفخر الان يحمى حماك ويعلى قدرك ويرعاكى ثم أشار اليها يقول صلوا على طه الرسول

تقولين بالسواد يلمنى * جهلا يقلن الاسد ماتصنع * فان فقدت لى فى الجمال ملابس
فانى الى بحر العطايا مسرع * يعيبوننى انى عبوس مجاص * وليس بوجهى حسنا باهمبرع
وماذا يعيب السيف الاغمده * اذا كان فى يوم الكريهة يقطع

﴿قال الراوى﴾ فتعجبت كبشة من فصاحته وسرعة جوابه فى الشعر والاوزان فقالت له صدقت فى هذا البرهان ومكثت مدة طويلة من الزمان وهى فى هم واحزان وهو فى تحيير واغيان ولكن فؤاده بحبها ولهان ﴿قال الراوى﴾ ومازلوا على ذلك المرام الى أن كان يوم من بعض الايام خرج الاسد الرهيص من الخيام وسار فى البر والآكام فطلبت نفسه الغارات على بعض احياء العرب وأما كبشة فقد زاد غمها وزادبها الشوق الى ابن عمها فلما علمت بغياب وزر بن جابر أرسلت عاجلا خلف ابن عمها مبادر ولما صار بين يديها بكت من عظم وجدها وما تجده فيه من حبها ولما رأى مبادر الى بكاها وذلها وشكواها فساعدها بالبكاء وأن اليها الآخر واشتكا وأظهر ماعنده من فراقها وما يجده من ناره واحتراقها فقالت له والله يا ابن العم ويامزيل عنى الهم والغم مارمت أحدا سواك ولا فى قلبى الاهواك ويوم لا أراك يحل بى الذل والارتباك ولكن من أين لى من يقيلنى من هذا المنحوس ويريحنى من وجهه العبوس لانه فى ناظرى من بعض العمار وما أريد له الا البلية وحلول الرزيه والدمار حتى كنت اتزوج بك فى عاجل الحال ونبلغ من بعضنا الآمال وها أنا منتظرة له العرضيات فلعله يهلك فى بعض الكرات ثم بكت وقال له يا مبادر لو كنت تقدر على وزر بن جابر وتحمل عليه أو تدبر له مكيدة توصلها اليه أو توصى فارسا يكون من الشجعان يقضى عليه لكنا نستريح من طلعته ونفرح بقتلته ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع مبادر كلام بنت عمه زاد همه وغمه وارتبك فى أمره وزاغ بصره وذهل عقله وتاه فى بحر فكره فعند ذلك قالت له يا ابن العم مابالك غبت عن الصواب وصرت باهت لاترد لى جواب ولا تبدى خطاب فقال لها بالله عليكى يا بنت العم من هو الذى أشار عليكى فى هلاكى والعدم حتى توقعينى فى أشد الندم والهلاك وسوء الارتباك فقالت له معاذ الله ان أطلب فناك بل أطلب ان أجعل روحى فداك فقال لها ولماذا تأمرينى ان أتعرض الى هذا الجبار الذى ما عليه عيار لانه يابنت العم بطل شديد ما عليه من مزيد وأنا جبان بليد ثم أشار اليها يقول

كيف السبيل الى قتال غضنفر * شرس قوى من ذوى الاقران * يفرى الرقاب بصارم ذاروتق
ويجندل الاقران فى الميدان * ساكون مجندلا ان قاتلته * وأصير ملقى فى أخس مكان
فلا أكن للموت الفجاءة معاندا * أهوى الحياة بذلة وهوان * وأنا الجبان الكل يوم كريهة
وهو المفلق رأس كل جبان * ولوان عينك فى القتال تنظرنى * عند الفرار كاننى سرحان

﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت كبشة من ابن عمها مبادر ذلك الكلام زاد بها الضحك والابتسام وقالت له اذا ما كنت تقدر عليه بقتال فدبر لنا حيلة من الاحتيال عسى بها نسقيه كاس الوبال فقال لها ان عاونتينى على ذلك أوقعته بالمهالك فقالت له اعلمنى بما خطر ببالك حتى أساعدك على بلوغ آمالك فقال لها اذا كنت تعلمى انه يحبك محبة عظيمة ولك عنده قدر وقيمة فاذا قدم من سفره وأراد القرب منكى فاظهرى له الحب والوداد وقولى له يا ابن العم أنت نور عينى وروحى التى بين جنبى أعلمك أن نساء الحلة حضرن عندى جلة وذكرن لى انه ليس لى عليهن تفضيل بحال من الاحوال فقلت لهن أى شئ يكون الفضل وأنا زوجى سيد الابطال وليس له مقاوم فى محل المجال فقالوا الى أى شئ نابك من شجاعته وقوته وبراعته ان كان عنده مال ونوق وجمال فكلنا على هذا الحال وما أحد خالى من الاموال وان كان عندك عبيد وخدم فكلنا لنا مثل هذه النعم وانما الفخر وارتفاع المنازل والرتب اذا أتاكى بحرة من بعض الحرائر أو جاءلكى بجارية من أبناء الاكابر ويجعلها تخدمك وأنت فى خباكى فبذلك يرتفع قدرك وعلاكى والا كثرة الاموال ماتزين

أنذال الرجال وأنت يا ابن العم تدعى انك تحبنى وأنا محبوبتك وتخاف ان زوجك الى داخل مهجتك فان كان كلامك هذا صحيح فارفع قدرى على نساء فرسان العرب لاجل افتخارى بهذا السبب وان قال لك وزر الطابى ما تريدى من النساء الاحرار فقولى له من احد الخمس قبائل المشهورين بين العربان اما ان تكون من بنى زبيد أو من بنى عامر أو من بنى شيبان أو من بنى يربوع الفرسان أو من بنى عبس وعدنان فانه يا كبشة ان سلك تلك المسالك فلاشك انه هالك ولم تنظرى له وجه بعد ذلك لان هذه الخمسة قبائل هم أسود الجحافل فاما بنى زبيد ففيها الاسد الصنديد والبطل المنتخب عمرو بن معديكرب الزبيدى وأما بنى عامر فان فيها فارس الخيل وخائض الوقائع فى النهار والليل الامير عامر بن الطفيل وأما بنى شيبان فيها الفارس القمقام والليث الهجام الامير بسطام وكذلك بنى يربوع فيها البطل المهاب أسد الوقائع والضراب الامير عتيبة بن شهاب وأما بنى عبس وعدنان فيها أسد الآساد وعروس الطراد مذل الفراعنة الشداد أبو الفوارس عنتر بن شداد ولكل واحد من هؤلاء الخمسة فرسان أصحاب وخلان ومضايف وديوان ومجالس وميدان فان سار وزر بن جابر الى واحد من هذه القبائل فاعلمى انه مفقود والى هذه الارض لا يعود ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت كبشة من ابن عمها مبادر ذلك الكلام زاد بها الفرح والابتسام وأيقنت ببلوغ المرام واعتمدت على تلك الاحكام وأقامت مدة من الايام الى أن قدم الاسد الرهيص جاعل له مكان للاقامة اسمه العرش والاصل فيه شجرة طلح قديمة أزليه واقفة فى البريه ونصب من حولها أخشاب وأغصان وجعله مكان ثابت الاركان وغطاه بانواع الكتان المصبوغ ألوان شئ بالجنزار وشئ بالزعفران لاجل الزينة والمهرجان وقصده بذلك الافتخار حتى انه لا يصيبه برد بالليل ولا شمس بالنهار وهو محل متسع يسع كل أهل الديار ﴿قال الراوى﴾ ولما قدم الاسد الرهيص من سفرته وهو كسبان من غزوته أرسل عبده نجم يبشر بقدومه أهل حلته ولما رأت كبشه وزر دخلت عرشها ودخل الاسد الرهيص عليها ليتمتع بها فلما اقر قراره واتصل بها وبردت ناره استقام حتى أتاه الطعام فاكل حتى اكتفى وأراد الانضجاع للمنام فاعادت عليه ماقدمناه من الكلام فلما سمع كلامها وما أبدته من مرامها مع ما هو فيه من حبها وغرامها فتبسم فى وجهها وقال لها يا بنت العم أنا أجلى عن قلبك الهم والغم فوحق بهجة جمالك وما نلته من وصالك وهو قسم عظيم لابد لى من دخولى فى ذلك الخطب الجسيم ولاتركن لكى من بنات العرب الاجواد يخدموكى فى الديار بالليل والنهار وتكونى من ذوى الاقتدار فقالت له كانى بك وقد ركبت جوادك ولبست عدة جلادك وطلعت الى البر والسبسب وأتيت لى ببنت من بنات صعاليك العرب وتقول لى ها قد بلغت الارب وأرجع للمعيرة والنصب ويقولوا الى بئس بعلك ماجلب فهذه ماهى من بنات العرب أهل الحسب والنسب وأرجع أسمع لكلام الحساد ولا أفرح صديق ولا أكيد حاسد فقال لها وأى شئ الذى تريديه يا بنت الاماجد بطلبتك حتى اكون لها قاصد فقالت له أنت سيد الفرسان ورقيت بفخر وسيتك الى أعلى مكان وقصدى منك يا منى الاعيان أن تبلغنى طلبى على أى وجه كان وما أريد منك الان تأتينى بريحانة أخت عمرو فارس زبيد والاغمرة أخت عتيبة بن شهاب اليربوع والاليلة أخت بسطام بن قيس الشيبانى والاكبشة أم عامر بن الطفيل فانه من بنى عامر الاجواد وان كنت لم تقدر على هؤلاء الفرسان فى مقام الطراد فائتنى بعبلة بنت مالك بن قراد زوجة عنتر بن شداد فقال لها واى من تريدى من هؤلاء الخمسة بلاضرر ولا تنكيد حتى أحضرها لكى وعنها لا أحيد فقالت له أريد فى الاول ريحانة أخت عمرو بن معديكرب فارس بنى زبيد لانى ان حكمت على أخت عمرو بن معديكرب افتخر على نساء جميع العرب من بعد منها ومن اقترب ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع وزر بن جابر هذا الكلام عرف قصدها والمرام وأطرق برأسه وتفكر فى هذه الاحكام وما يجرى فيها من النقض والابرام وتذكر فى تلك الدلائل ومن الذى اعلمها بتلك القبائل وأسماء هذه الجواد وهم فى حكم الفرسان الاخيار الذى مافيهم الا كل بطل جبار وليث مغوار وصار يدبر فى عقله كيف الدخول الى تلك الاخطار وقال فى نفسه

أما الذي دبرلها هذا التدبير ماهو الا هو كبير وماقصده الا هلاكي والتدمير وان وقع في الاسر والاشر الك فلم يجد له من ذلك فكاك وان تأخر عن ذلك الشأن يبقى عندها بمنزلة الغلمان ان لم يجبها الى طلبها ويبلغها أربها لان النساء كيدهن عظيم ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك رفع رأسه اليها في الساعة وقال لها يا كبشة لكي السمع والطاعة وفي غداة غد أركب وابذل همتي وآتيكي بما طلبت من الطلب وهي ريحانة أخت عمرو بن معديكرب ولو أشرب في بني زبيد شراب العطب ثم انه لاعبها ومازحها وطيب قلبها فضحكت ولعبت ومكنته من نفسها وباتت معه تلك الليلة في لعب وانشراح الى أن أصبح الله بالصباح ﴿قال الراوي﴾ وكان الاسد الرهيص في قصته محتار وعنده أسير من أكابر العرب الكبار كان جاء به من السفرة التي تقدم ذكرها فاحضره في ذلك الوقت وطلب منه الفداء ليطلقه من الوثاق وضيق الخناق وكرر عليه الضرب بالسياط حتى قوي منه العياط وقال له الاسير يا مولاي اعلم ان الذي كان عندي من الاموال هو الذي أخذته بهمتك وقد صار في حوزتك ومابقي لي شيء تطلبه مني ومابقي في الامر الا أن تقتلني أو تجز ناصيتي وتعتقني حتى انني أكون عتيق سيفك وأمين خوفك لاني والله قد آلمني الضرب الشديد الذي ما يصلح الا للعبيد فقال له الاسد الرهيص لا تطل لي المقال فما ينجيك مني الا النوق والجمال والا أرسل الى أهلك وقرابتك أن يأتوني بأموال والا ضربت رقبتك وأتلفت مهجتك ﴿قال الراوي﴾ فبينما وزر مع الاسير في مثل هذا الكلام واذا قد قدم عليهما غلام وهو لوزر من بني الاعمام يقال له سلام بن حابس وأبو هذا الغلام فارس شديد وبطل صنديد وجبار عنيد فلما قدم هذا الغلام على ذلك الاسير ورآه في حالة الذل والتعتير فرحمه عند ما رآه ونظر دماه سائل من أعضاه وهو يصيح من شدة جواه ومن كثرة الضرب بالسياط حتى خفت صوته من العياط فأخذ ذلك الغلام لقمة من الزاد في يده وتقدم اليه ووضعها في فاه وقال لوزر أطلق سراح هذا الاسير يا ابن جابر ولا تكن في الحي متعدي وجائر وكان أبو ذلك الغلام حاضر في ذلك المقام فقال يا ابن جابر كف يدك عن هذا الاسير فانه صار في ذمامي وأكل طعامي فقال له وزر اذهب يا ويلك ثكلتك أمك وعدموك قومك وأهلك كيف تعاندني في أسيري يا ابن اللئام وتعطيه أنت الذمام فقال له الغلام بلى يا وزر أنا أعطيته الذمام فأطلقه أنت والسلام فاغتاظ وزر أيضا من الغلام وضربه بالسياط على أكتافه فانطرد من بين يديه وقد استغاث بابيه فقال له أبو الغلام يا وزر لماذا ضربت ولدي وأخرقت حرمته ولم تخش غائلته فقال له الاسد الرهيص أنت رجل غير عاقل وولدك مثلك جاهل أما غزوت الحلل والقبائل وملكت هذا الاسير بحد هذا الحسام الفاصل هل كان ولدك معي يقاتل القبائل أو يساعدني اذا كان واقع الطعن بيننا بالرماح الذوابل ومن بعد ما ملكت الاسير وبقي عندي في قيد الذل والتعتير طلبت منه الفداء وهي النوق والجمال فكيف يعارضني ولدك في الكلام ويقول انه أعطاه الذمام هذا ما هو سنة عند العرب الكرام وأنت ما تستحي حتى أتيت تكثر العتب والملام ثم تركه وزر ودخل عرشه فدخل حابس خلفه بشدة عزيمته وقال له يا ابن جابر لا عشت ولا أفلحت ولا كنت ولا نجحت كيف ضربت ولدي وأشمت فيه الحواسد فقال وزر اسكت رض الله فاك وأماتك ولا أحياك فكيف ولدك أن يتعرض لاسيري ويجيره دوني ويطلب بذلك غبوني ثم تلاججا في المقال وزاد بهما الجدال فتصايحا على بعضهما بعض حتى ارتجت من تحتهما الارض وفي عاجل الحال وصل خبرهما الى سيد الحلة الملك المهلهل بن فياض النبيل أبو الامير زيد الخيل فلما بلغه ذلك الخبر وسمع الصياح من بينهما قد ظهر فقال والله ما هي الا كائنة يا بني الاعمام ما سبب هذه الملاججة والخصام فقالوا له يا ملك الزمان وزر بن جابر والامير حابس وقع بينهما خصام فقال ائتوني بهما من غير توان فلما حضرا بين يديه وقصوا قصتهما عليه فأمروا المشايخ الكبار أن يصلحوا بينهما ومن اليوم يلزموا أدبهما ولا يكثروا من جهلهما فقال حابس فلا أصبر على ضرب ولدي ولا عن أخذ ثاري ولا أضيع حرمة من استجار بولدي وأجاره فقال له وزر وأنا الآخر لا أجير لك جار ولا أنفي عنك العار لان عدوي مذلول ودمه مطلول مادام سيفي في يدي مسلول ثم عاد الاثنان الى المشاجرة والمقال فقال حابس هيا دونك والقتال

والمناصفة في القتال فقال وزر ما الذي تريد فقال تبارزني في الميدان قدام هؤلاء الشجعان وتشهد علينا تلك الابطال الاعيان فاذا قهرتك عفوت عنك وأطلقت هذا الاسير من يدك وان أنت أسرتني قدام هؤلاء الاماجيد فذلك الوقت شأنك وما تريد فلما سمع وزر ذلك الكلام قال له لقد أنصفت يا ابن الكرام ونظر الملك المهلهل الى هذا فعلم انهم ما بقوا ينفصلوا الا بالقتال فبقي خائف على هذين البطلين لانهما فرسانه على كل حال فقام وزر من وقته وساعته ودخل عرشه وأمر جاريته باحضار لامته فجاءت له بدرع داودي فافرغه عليه ووضع المغفر على رأسه وتقلد بحسامه واعتقل برمحه وركب جواده وبرز الى الميدان ﴿قال الراوي﴾ ونظرت كبشة الى ذلك ففرحت فرحا شديد ما عليه من مزيد وظنت أن حابس يقهر بعلها ويجعله قتيلا على وجه الصعيد هذا وحابس أيضا قد دخل الى بيته وتدرع بدرعه وركب البيضة على رأسه وركب فرسه وتقلد بسيفه ورمحه وصار أهل الحي ينظرون اليهما وهما كالاسدين الضاريين والنساء من حول البيوت وجاءت أم كبشة الى بنتها وقالت لها انظري يا كبشة ما يظهر من زوجك في الميدان من الفروسية عند الضرب والطعان حتى تعلمي انه زوجناكي بتاج مكلل وجمناكي باكليل من ذهب أحمر وأنت غير شاكرة له ولا عارفة قدره فانظري الى حابس وهو كأنه جبل شامخ وسوف ترى ما يجري عليه من بعلك لاجل ما تعلمي أن ما أحد نال محلك هذا والفارسان قد انطبقا كل منهما الى خصمه وأخذ يطاعنه ويضاربه وأطلقا لهما الاعنة وقوما الاسنة وهما مثل الاسدين الضاريين هذا ووزر أراد أن يتجمل عند زوجته ويوريها فروسيته ليرغمها بحميته فتأخر وزر ودق جنب الجواد برجليه ودمدم بين أذنيه فسار الحصان كأنه شيطان وأقبل الى حابس وقوم اليه السنان وأراد أن يطعنه في صدره ولكنه رمى الرمح من يده ومد يده في جلباب درعه وصاح في وجهه أدهشه وجذبه فاقتلعه من سرجه وأخذه أسيرا هذا والعرب بأن تنادي والله هذه الفروسية التي تذكر ما دامت الشمس والقمر ﴿قال الراوي﴾ هذا وأم كبشة تقول لابنتها كيف رأيتي بعلك الاسد الادرع والبطل السميدع فقالت لها يا أماه ما هو في عيني الا أفلج الرجلين غائر العينين يتخطى الآفات وهو بلية من أشد البليات فقالت لها أمها اعلمي يا كبشة ما أنت وحق اللات والعزى الا انك عليه باغية وان داومت على هذا اللجاج يغدر بك ولولا سيف زوجك وقوته على أقرانه ما أقام واحد منا هاهنا ولا نام على فراشه في هنا ولا بد أن تندمي على فعلك ﴿قال الراوي﴾ هذا ما كان من كبشة وأمها وأما ما كان من وزر بن جابر فانه قال وحق اللات والعزى لقد كنت ناوي على قتلك فاذهب الى أهلك وتعلم الفروسية والصدام وعد الى وزر بن جابر وبارزه في هذا المقام وأنا لولا قدوم هؤلاء السادات الكرام لنثرت رأسك بالحسام وما كان قصدي الا واحد غيرك يقول مثل ما قلت وتحدثه نفسه بما حدثتك به نفسك حتى كنت أعرفه من أنا وأذيقه طعم الهلاك والفنا ثم ان وزر أنشد يقول

اني تعجبت من جاري ومحترمي * أن يبتغي أن يعاديني ويختصم
كيف السبيل اذا جا يعاندني * حتى يراني أبادي قطع ذي رحم
ما ساءه أن يرى أبدا نواجزه * الا الارافق حلم الذي خصم
ما حابس بعد هذا الفعل أذكره * ولا الذي قد تراه جيد الشيم
أراد اطلاق صيدي بعد رؤيته * ورام انقاذه من حالة العدم
أما علمت باني فارس شرس * أصول في حومة اللقا على القوم
وطعنتي يوم نار الحرب خارقة * ألقي السنان بصدر وافي الحكم
ما كان أغناك عن هذا المقام ولم * تسمع مقالة ابن جاهل صدم
رأى الاسير وقد أفدى لمهجته * بعد العذاب وما قاسى من النعم
أتاه بالعيش صار العيش علقمة * وراح يسحب ثوب الذل والندم

﴿قال الراوي﴾ فلما سمعوا الحاضرين شعره ونظامه وتعجبوا كلهم من فصاحته وقوة جنانه ثم انه بعد ذلك

أطلق حابس من يده وأجاد زمام ولده وأطلق الاسير لاجله ثم قال يا ابن العم من اليوم ما بقيت ترجع تندم
لاسير العرب الا أن يكون لك فى ذلك تدبير ونشب فشكروه الناس على ذلك الكلام وزجعوا يثنون
عليه ويشكروه هذا والاسد الرهيص قد دخل الى عرشه وترفق بزوجته وقال لها كيف رأيت بعلك ياستاه
فقالت له ان كنت تريد أن أثنى عليك بما فعلت وأشكرك فيما صنعت فاقض حاجتى وبلغنى تمنيى
وأنت تبقى فارس العصر ونتيجة الدهر ﴿قال الراوى﴾ فانسر قلب وزر بذلك الكلام وقبلها بين عينيها
وهو مستهام وقال لها والله لاجعلن هذا الجواب فى بالى أمانه حتى أرده اليك بريحانه وهى أخت عمرو
ابن معديكرب حتى تفتخرى على سائر العرب وتعلمى أن أباك ما اختارنى لك وجعلك لى أهلا الا وأنا
أجل العرب قدرا وشان وأرفعهم مكان فى مقام الضرب والطعان ثم انه أقام عندها ثلاثة أيام بفرح وسرور
فى غاية الانعام هذا وحابس أبو سلام عمل وليمة عظيمة وجمع فيها سادات العشيرة وتصالح هو وولده مع وزر
ابن جابر وزالت الاحقاد من قلوبهما باطن وظاهر وخلعا على بعضهما الخلع الحسان وقادا الى بعضهما
الجنائب ولما عدا من الوليمة دخل وزر على زوجته فتلقته ضاحكة مستبشرة ولاعبته ومازحته فوعدها بقضاء
حاجتها وبلوغ تمنيتها فشكرته وقبلته وباتا تلك الليلة وهما فى سرور وأفراح الى أن طلع الصباح ولما كان
ثانى الايام عند طلوع الشمس قام الاسد الرهيص من عندها وقبلها بين عينيها وودعها وهى تبكى على فراقه
وهو يقول لها يا كبشة ها أنا سائر الى الليث القسور والبطل الغضنفر عمرو بن معديكرب الزبيدى وأنتزع
منه أخته ريحانة فان أنا نصرت عليه وأتيت بها فيا لها من نعمة ما أحسنها وان عارضتنى المنية فبالله عليكى
لا تتزوجى غيرى بالكلية ثم انه ضمها الى صدره وقبلها قبلة الوداع وبات كبشة بيده وركب جواده وخرج من
عندها وأخذ فى صحبته عبده نجم وسار يقطع البرارى والقفار والسهول والاوعار وفى قلبه من كبشة
لهيب النار فقال له عبده نجم يوما من ذات الايام وهو سائر يقطع الآكام ياسيدى وقيت كل هم وضير اعلمنى
الى أين أنت قاصد فى القفر والبيد فقال له جبال طويلع ووادى زباله ومنازل بنى زبيد فقال له عبده نجم
ياسيدى ابشر بقرب الطريق والسعادة والتوفيق وكان العبد خبيرا بالطرقات وهو آفة من الآفات
وبلية من البليات فهذا ما كان من هؤلاء ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من كبشة فانها لما علمت أن زوجها
قد أبعد عن الديار وانقطعت عنه الاخبار أنفذت الى ابن عمها مبادر وأحضرته الى عندها وأخبرته بان وزر
قد مضى الى وادى زباله وجبال طويلع وديار بنى زبيد يأتى بريحانة أخت عمرو بن معديكرب الزبيدى فلما
سمع مبادر هذا الكلام فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال لها وحق اللات والعزى ما بقيت أبدا
تنظريه لانه قد تعرض للاسد الهدار والليث المغوار فقالت له كبشة لا نجح الله له مقصدا وأنت أولى منه ومن
سائر الخلق جميعا فقال لها أبشرى يا بنت العم فانه ما بقى له ما معاند ﴿قال الراوى﴾ وكان لوزر بن جابر جارية مقيمة
فى الحى فسمعت كلما جرى بينهما من الحديث فذهبت الى عند زسلده وهى أم كبشة وقالت لها يا أم كبشة بنتك
كل ليلة ترسل الى ابن عمها مبادر ويتحدثون مع بعضهما فى الفحشاء والكبائر وان لم تعيه والا أنا أعلم
مولاى وزر بن جابر فان هذا عار فى حق الاكابر فلما سمعت أم كبشة من الجارية ذلك الكلام نهضت
قائمة على الاقدام وجاءت ابنتها فرأت مبادر جالس عندها من داخل الخباء فقالت له من أدخلك الى بيت
وزر ومضربه مع أن الجان لم تقدر تقربه ثم انها لامته وأخرجته وضربت بنتها وشتمتها وقالت لها
يا كبشة أراك تفضلى مبادر على وزر بن جابر والله ان علم بهذه القصة ليقطع رؤسكما ويعدمكما نفوسكما
ويهلككما بعدكما ﴿قال الراوى﴾ هذا وقد بلغ الخبر الى داية الاسد الرهيص فاغتاظت من كبشة ووبختها
وقالت لها تعدمى نفسك وتسكنى رمسك وشاع الخبر بين أهل الحلة ومبادر لما علم بذلك الامر اتى الى أم كبشة
وخاف على نفسه أن يدرى بهذا الخبر وزر فيسكنه رمسه فدخل على أم كبشة وحلف لها بالاقسام وذمة
العرب العرباء ان ما بينى وبين كبشة الا المحبة الصافيا وانهم بريئون من الفساد والخنا فقالت له أعلم
ذلك ولكن ما بقيت تتعرض لها والا تشرب كاس المهالك هذا ما جرى وأما ما كان من وزر فانه سار

وعبده نجم معه وهم يقطعان الفيافى والبيد حتى وصلا الى جبال طويلع وبنى زبيد فكان دخولهما
اليها فى الليل وقد ألجم فرسه حتى لا يصهل ثم انه طلع الى سطح الجبل فرأى هناك كهفا فدخل فيه
وقعد يتفكر فيما يفعل فبينما هو متفكر فى أمره ورفع رأسه وصار يتأمل الى ذلك الوادى واذا فيه ضجيج
وزعيق من الابل والغنم والخيل والدواب والانعام وصهيل الخيل وذلك الحى كانه البحر الزاخر وزعقات العبيد
ونبيح الكلاب وضوء النار فى الظلام والقباب والمضارب والسرادقات فى ذلك المكان منصوبة ﴿قال
الراوى﴾ فبينما هو يتفكر فى نفسه هل يقيم أو يرجع أو يحتال فى أخذ ريحانة أخت عمرو بن معديكرب من
الحى وقد شد عزمه على كبس الحلة وحده واذا هو بضوء مصباح قد ظهر من البيوت وجاء الى مغارة كانت هناك
واذا هو بجوارى نهد أبكار وبينهن جارية مليحة القوام كانها بدر التمام فلما رأى الاسد الرهيص اليهم تقدم
يسمع قولهم فقالت تلك الجارية لأترابها وهم واقفين قدامها على تل عال قريب من ذلك المغار أما ترون يا بنى
عمى ان ذلك الوادى وهذه الارض والله ان ما أحد غيرنا ملك فيها من الهيبة التى عليها فقالوا لها البنات اعلمى
يا ستاه ان ذلك لم يكن الا بسبب حاميك الزاهر وتاجك الفاخر أخوك عمرو بن معديكرب الاسد الكاسر
﴿قال الراوى﴾ وكانت هذه الجارية هى ريحانة أخت عمرو بن معديكرب فلما سمعت وصف أخوها فقالت
فديته بروحى ونفسى لاخى الفداء من كل بؤس ورداء كما قد حمى هذه الارض من فرسان العرب وسرنا نمرح
فيها ونلعب ثم انها دخلت الى المغارة لقضاء حاجة عرضت لها فلما سمع الاسد الرهيص كلامها وعلم انها أخت
عمرو بن معديكرب الذى أتى من أجلها فنهض أسرع من البرق الخاطف طالب ذلك المغار وهجم على ريحانة
وقبض على يدها ونشلها باجتهاد قواه فاردفها الى كفل الجواد ونزل طالب الطريق فزعقوا عليه الجوار
وأعلنوا بالويل والدمار وسمعوا الرجال وعلوا عن الحال فقالوا سبيت ريحانة من بيننا من دون البنات
فارتفعت الضجات الى العنان وتبادرت الفرسان وتلاحقت الشجعان فلحقوا الاسد الرهيص وهو فى
أقرب مكان فلما رآهم طالبوه فألوى عنان جواده وعاد اليهم وقد استقبل أوائل الخيل ونزل عليهم نزول السيل
ومال عليهم بهمته كل الميل وطعن الاول بالسنان فى صدره أطلعه يلمع من ظهره والثانى ضربه بالسيف على
وريديه أطاح رأسه من على كتفيه والثالث والرابع جعلهم لهم توابع هذا وريحانة طائرة اللب مرتاعة
القلب لانه شدها خلف ظهره بحبل شديد حتى لا ينفضها من خلفه الجواد وهو فى مقام الطراد وبعدها
تكاثرت عليه الاعداء ودارت من حواليه الابطال فصار يطعن فى نحورهم برمحه الكعوب العسال وكلما أبصرهم
أبعدوا عنه وان قربوا منه فرقهم كما يفرق الذئب الغنم ولم يزل كذلك حتى تعالى النهار وقوى سرادق الغبار
وقدحت حوافر الخيل الشرار وبان الشجاع الكرار من الجبان الفرار وتساوت العبيد والاحرار وبلغ
الاسد الرهيص منهم ما يختار وأرمى منهم عشرين فارس كرار وسقاهم كاس البوار هذا وريحانة أيقنت
بالدمار فبينما هى كذلك واذا قد لحقها أخوها عبد الله بن معديكرب لانه كان تلك الليلة سكران فاعلموه بسبى
أخته فأفاق من الخمر العقار والسكر من راسه طار وفى الحال ركب جواده وطلب خلفها الآثار كانه من بعض
العمار ولم يزل سائرا يكد بالجواد حتى لحقه وأخته معه فى البر والمهاد وكان أخوه عمرو غائب فى بعض الاقطار
وأما عبد الله فلحق الاسد الرهيص وزعق عليه وقال له ويلك خل عن الحرة المخدرة يا ابن الانذال والاسقبتك
كاس الوبال فقال له وزر الويل لك ولقومك ان هذا اليوم آخر عمرك لو كنت أخليها ما كنت أخذتها ولكن
انتزعها أنت واحذر على نفسك وخلصها فوحق اللات والعزى ان بينك وبينها طعن يهد وضرب يهد شامخات
الجبال ويقصر الاعمار الطوال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عبد الله بن معديكرب هذا الكلام حمل عليه
ومال بكليته اليه وطعنه طعنة واصلة وظن أنه يهلكه بطعنته ويقربه بها موتته فامهله وزر بن جابر حتى قرب
اليه وقبض عليه من تحت ابطيه رآتكا عليه وحذفه من يده رماه على أم رأسه وتركه وضرب بالسيف فى
باقى بنى زبيد وشتتهم فى القفر والبيد فكان عبد الله تعلق بجواد من خيول المعمعة وعينه الى أخته متطلعة
فعارض الاسد الرهيص ثانيا وحمل عليه وأراد أن يخلص أخته من يديه فلما رآه الاسد الرهيص عاد اليه

شكه بركيز الرمح بين ثدييه كاد أن يقضى عليه ولولا كان عنه بعيد لجعله معفرا على وجه الصعيد فولى عبد الله هارب وتبعته بنى زبيد وهو يقول قتلنى هذا الجبار العنيد فلا كان ولا كانت ساعته فلقد سبى أختى وجعلها غنيمة هذا كله يجرى وريحانة مردوفة خلف وزر على ظهر الحصان قابضة على وسطه بيديها خوفا أن تقع الى الارض فيقضى عليها ﴿قال الراوى﴾ وأما المنهزمين فانهم عادوا على أعقابهم راجعين منقطعين من عشرة ومن عشرين ولم يزالوا طاردين فى القفار حتى وصلوا الى الديار وأخبروا بما جرى لهم مع ذلك الفارس الجبار وسمعوا المخلفين من بنى زبيد بما فعل هذا الجبار العنيد من ذلك الامر الشديد وسمعت أيضا أم ريحانة بما جرى على سبى بنتها وجرح ولدها عبد الله فأصابها ما أصابها وعلا بكاها وانتحابها وشقت ثيابها وكان ولدها عمرو غائب فأتى كما ذكرنا لانه كان قد دعاه يزيد بن عبد الله اللات وأخوه قيس وعبد المسيح ملوك نجران لانهم كانوا لا يفترون عن الغزوات والاكل وشرب الخمور والمسرات وكانت تقصدهم الشعراء من كل جانب ومكان و بعض الشعراء قد مدحهم لاجل انتفاعه منهم وتقربه اليهم فقال فيهم هذين البيتين حيث قال

زيارة نجران حتما لكم * لحين تناخوا بابوابها
أما تعلمون بأنى امرؤ * أتيت المكارم من أبوابها

﴿قال الراوى﴾ وكان لعمرو بن معديكرب من ندماه يزيد واخوته وهما يحبوه ويحبوا مجالسته فلما سبيت أخته ريحانة وجرى عليها ما جرى وكان عندهم فى أرضهم على غدير نجران فانفذت اليه أمه كبشة تخبره بما جرى فمضى الرسول اليه فالتقاه عائدا من عند الملك عبد المدان طالب أهله والاوطان فاخبره الرسول بسبى أخته ريحانة وما وقع عليها من الاهانة وجرح أخيه فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسار حتى وصل الى الديار فتلقوه مشايخ بنى زبيد الكبار وأعلموه بما أصابهم من الاضرار فقال لهم أخبرونى من هجم على حينا وفاز بنفسه وسبا الحريم لانه لو لم يكن قلبه أقوى من صم الجبال ما فعل هذه الفعال فقالوا له ما هجم على حينا وسبا ريحانة الا الفارس الكرار والبطل المغوار الذى ماله مماثل فى الحرب والطعان وزر بن جابر النبهان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عمرو هذا الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام وحلت به البلية وشدة السقام لعلمه ان الاسد الرهيص بطل صدام وفى حربه لا يرام فلما استقر به المقام أكل شيأ من الطعام وطلب جواده وركب من وقته وطلب آثار الاسد الرهيص وهو معول على قتله وخلاص أخته ريحانة من يده فهذا ما كان منه ومن سفره ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من الاسد الرهيص وخبره فانه لما سبا ريحانة وجرح أخوها وسار بها وهو فرحان كيف يداه احتوت عليها ولم يزل سائر بها يقطع البرارى والقفار حتى وصل به الى الديار وعلموا أهل الحى والجوار وأنزل ريحانة على باب خباه وكانت كما ذكرنا راكبة وراه فخرجت زوجته كبشة حتى تراه فلما رأته على ذلك الحال لحقها منه الحيرة والانذهال وصارت باهتة اليه ومشت حتى وقفت بين يديه لاجل السلام عليه فسمعته وهو يقول هذه الابيات

أنا البطل الندب يوم الهياج * آتيك والظن على الكاذب
أغذى الرماح بطعن النحور * وأغمد فى الهامة بيض القضب
حميت الملاح ببيت الصفاح * وأبذلت بالسمر شوس العرب
سبيت فى الحى ريحانة * شقيقة عمرو بن معديكرب
أتنكر فعلى سراة الرجال * وقد صرت فيهم كثير الحسب

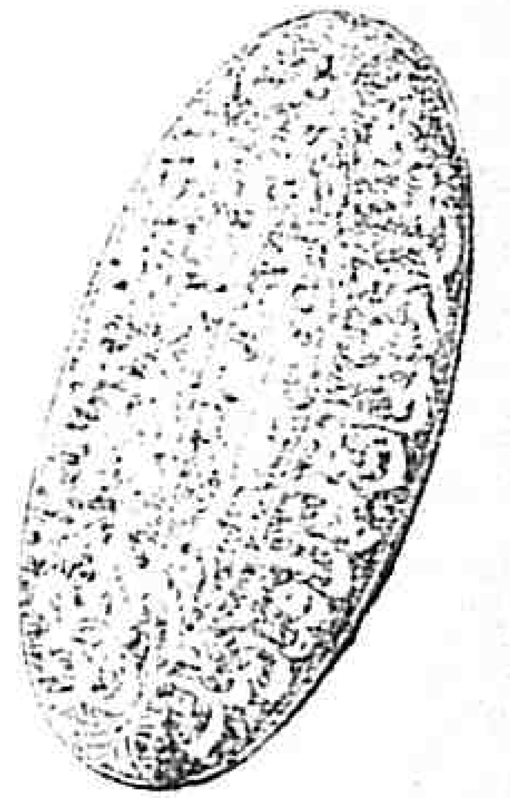
(قال الراوى) ولما رأته زوجته كبشة وقد عاد سالم فقالت فى نفسها قبح الله لهذا الوجه العبوس كيف تخطى الآفات والمقادير ولا تصيبه النائبات وانه لما نزل ريحانة من على كفل الجواد والدم قد صبغ ثيابه مما لقى من الفرسان فى ضرابه فلما نظرته كبشة تقدمت اليه واستقبلته ووقفت قدامه فقال لها يا كبشة خذى جاريتك وافتخرى بها على أهلك وقرابتك فقالت له من عظم ما دخل على قلبها من الهم والغم من أجل سلامته اعلم يا ابن العم انى والله العظيم رب موسى وابراهيم كنت أظن ريحانة امرأة كاملة العقل كبيرة السن تصلح لخدمتى والاشفاق على من بين القرائب والاهل ولم أعلم بها انها طفلة صغيرة ذات خدر وخبا وربة

ستر وحجا وانى وجدتها لا تصلح لخدمة ولا تزيد فى نعمة وأنا ما بقيت أريد الا كبشة أم عامر بن الطفيل حتى انها تقوم بخدمتى فى النهار والليل لانها فى امرأة كاملة العقل تدرك الصواب وتعرف الخبرة وقد بلغنى انها ذات فصاحة وأدب تصلح لخدمتى وتزيد نعمة فلما سمع هذا الكلام قال لها انت الى الآن يا كبشة لا زلت على بقية الغدر ومقيمة على اللجاج والمكر ثم انه جلس واستقر به القرار وجعل يتفكر فيما يكون من ذلك الامر والاخبار وما سمع من زوجته فزاد همه من عظام تجبرها عليه فبينما هو كذلك واذا بعبد من عبيد الملك المهلهل سيد القبيلة قد أقبل ودخل عليه وقبل يديه وقال له يا سيدى أجب الملك فانه طالبك فى حاجة عرضت عليه فقال الاسد الرهيص السمع والطاعة أنا ماض اليه فى هذه الساعة ثم انه بلا مهل طالب أبيات الملك المهلهل واذا قد عرضته فى الطريق دايته فاخذته والى بعض المضارب أدخلته وقالت له زوجتك تريد قتلك وما تريد الا ابن عمها مبادر وأنت اذا أتيتها أيضا بكبشة أم عامر بن الطفيل وبلغتها المراد تقول لك أنا ما أريد الا عبلة ابنة مالك بن قراد زوجة عنتر بن شداد لان ما قصدها منك الا الموت وتقبر فاحذرها غاية الحذر ولا تأمن القضاء والقدر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع وزر من دايته ذلك الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام وشكر دايته على هذا الافهام وفارقها وسار طالبا أبيات الملك المهلهل أبى زيد الخيل فلما أقبل عليه ترحب وقربه فلما استقر به الجلوس أخذ يسأله عن سفرته وما جرى له فى غيبته وقال له يا أمير وزر قد سمعت انك قد غزوت بنى زبيد وأنت فريد وحيد وخاطرت بروحك فاعد علينا قصتك وما سمعت بابى ثور وما فعلت به وبقومه من الجور فاحكى له على ما فعل وعن الذى جرى له فى أخذ ريحانة وجرح أخوها عبد الله وان أخوها عمرو كان غائب عند عبد المدان وأتيت بريحانة تكون لزوجتى من بعض الخدام وهذا ما عندى والسلام فلما سمع الملك المهلهل من وزر ذلك الكلام زام كما يزوم أسد الدحال وقال له يا وزر كيف طاوعتك نفسك أن تسبى ريحانة ابن معديكرب وهذه سنة قبيحة بين سادات العرب ويقال ان وزر سبا البنات المخدرات من ذوى الرتب ويروم يجعلهم الى حريمه خدم وأنا لا أرضى بهذه الفعال والصواب أن تكرم هذه الجارية غاية الاكرام والا أرسلها الى لتكون بين قومى وأهلى وهذا ما عندى من الرأى السديد والا فافعل انت بخاطرك كما تريد واعلم انك جلبت لك ولقومك الشر والتنكيد وكانك بعمرو بن معديكرب وقد أشرف علينا فى أوائل الخيل وقومه من خلفه بنى زبيد مثل قطر السيل ونرى فرسانهم علينا وقد زحفت والى قتالنا طالبت ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الاسد الرهيص ذلك الكلام قال له صدقت يا ملك الزمان وأنا ثبت عندى ان زوجتى ما أرسلتنى الا للهلاك وأما ما ذكرت من أمر ريحانة وحق الملك العلام لاكرمها غاية الاكرام وافعل معها كلما أقدر عليه من الاحسان والانعام وأما زوجتى كبشة فلاذلها غاية الذل وأما قولك من عمرو بن معديكرب ومن معه من الفرسان العظام فأنا الاكفؤلهم والتقيهم بالحسام وأشتتهم فى البرارى والآكام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك المهلهل من وزر ذلك الكلام شكره على ما قال من الالفاظ وخرج الاسد الرهيص طالب أبياته وهو مغتاظ لما فى قلبه من كلام دايته ولم يزل سائرا حتى دخل خيمته ودعا بدايته واستعاد منها الحديث ثانيا الذى قالته فاعلمته بكل ما جرى فى غيبته من أفعال كبشة زوجته وابن عمها مبادر ثم ان الاسد الرهيص أمر أن يضرب لريحانة خيمة من الاطلس الاحمر وحبالها من الابريسم الاخضر وأن تكون الى جانب أبياته وأوصى دايته باكرامها وقال لها يا أماه أكرميها وأكثرى لها من الطعام وزيدى لها فى الانعام فقالت له سمعا وطاعة وتكفلت باكرامها من تلك الساعة فلما رأت ريحانة ما فعل وزر فى حقها اهدأ روعها وعلى ذلك الصنيع شكرته وأقامت عنده فى أرغد عيش وهناء وبعد ذلك أحضر الاسد الرهيص زوجته كبشة وقال لها اعلمى انك رميتينى فى الموت الاحمر وغائلته وقد سلمنى ربى سبحانه وتعالى بقدرته وأراك باغية على بكيدك ورجعت مصرة على أذيتى الى المنهاج الاول ولجاجك الفاجر وتقولى أريد كبشة أم عامر وتريدى أن تحلى بى البلاء وذلك لاجل أن تلقى غرضك وأنا

وحق ذمة العرب لولا معيرة الناس وقولهم الاسد الرهيص قتل زوجته لاذيقك فى هذه الساعة كاس المنية ولكن من اليوم لاحاجة لى بك فقومى الحقى باهلك يابنت الفواجر ثم انه دفعها فى صدرها فوقعت على ظهرها فقامت وهى تتعثر فى أذيال الهوان وخرجت من مضربها الى أن أتت الى أمها وحكت لها على ماجرى بينها و بين زوجها فلما سمعت أمها ذلك قالت لها لا اهلا بك ولا سهلا ولا اعزاز ولا اكرام عن طرحت رداء المجد وقلعت عن جسدها ثياب العز والحمد ثم انها مضت الى أبيها وأعلمته بذلك الحال فقام اليها ولم يأخذه فى ذلك الامر امهال وهم أن يقتلها و يسقيها كاس الوبال فلم تمكنه أمها منها بل قالت له اعلم ان ذلك الرأى الذى تريد تفعله ما هو صواب وأنا منعتك عن قتلها شفقة منى اليها وأنا خائفة يقولوا زوجها طردها وراحت الى أبيها قتلها ولولا انهما سمعا انها فعلت فاحشة ما قتلاها ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع أبوها من أمها ذلك الكلام مضى الى حاله ولما مضى أبوها الى أشغاله ارسلت أمها خلف ابن عمها مبادر وأحضرته عندها فى المضرب وقالت والله يا ابن العواهر ان رأيتك نحو أبياتنا قطعت رأسك بالحسام وعجلت لك الانتقام لانك أنت الذى كنت السبب فى فراق ابنتى من بعلها يا ابن اللئام والا اعلمت بك الاسد الرهيص فيقتلك قتلة وها أنا قد حذرتك و بهذا الامر أعلمتك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع مبادر هذا الكلام خرج من عندها وقد علاه الذل والارغام فهذا ما كان منه * وأما ما كان من الاسد الرهيص فانه جلس يوما من بعض الايام على باب خباه الذى يأوى اليه واذا برجل بدوى من البرية أقبل عليه وهو يبكى بين يديه فنظر اليه الاسد الرهيص فوجده ملطخا بالدما وهو لا يجد له مما فيه ناصرا ولا راحما فتقدم بعد ما سلم وشد اذياله باطناب خيمة وزر بن جابر وفعل فعل المستجير من العدو الجائر و بذلك كانت عادات العربان فى ذلك الزمان اذا ضعيف كان يرمى روحه على من يكون من الشجعان ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر وزر بن جابر الى ذلك الرجل وقد فعل تلك الفعال قال له يا أخا العرب اخبرنى بما أنت فيه من الحال ولا تحمل هم ولا غم وأبشر فلك الذمام من كل من ركب على ظهر الحصان أو تقلد بسيف أو اعتقل بسنان فاهدئ روعك واعلمنى بامرك فقال له ذلك الرجل اعلم يا مولاى انى رجل من بنى لحيان ولى فيهم مال جزيل ولى بنت عم فى القبيلة تسمى جميلة وأنا واياها متآلفين من زمن الصبا وبينى وبينها محبة الاهل والاقربا لانى منعت من النظر اليها لما كبرت وجمعت وجوه قبيلتى وأكابر عشيرتى ومضيت الى أبيها وعجلت فى أمر خطبتى فزوجنى فى عاجل الحال بها وقطع على المهر من أجلها وباشر فى اصلاحها وما يكون من قضاء أشغالها فلما كان فى يوم من بعض الايام ونحن مطمئنين واذ قد أشرف علينا ملك من الملوك وهو شاب صغير ولكن معه جيش كثير وأوصافه بين العباد تدل على انه من أهل البغى والفساد وهو يسمى عائد بن حسان بن مسعود مصاد صاحب مياه عراعر وهو يركض بجواده وحوله ابطاله وكانه ركضت منه غزالة الى بعض البيوت فركض خلفها مخافة لا تفوته واذ قد لاحت منه التفاتة فنظر الى ابنة عمى بالاتفاق وهى واقفة بين أترابها والرفاق فنظرها نظرة أعقبته ألف حسرة فعند ذلك قصد المضارب ومن وراءه الابطال من كل جانب ونزل عندنا فى جانب الخيام وقدمنا له ما راج من الطعام والمدام وأقام عندنا فى اكرام ثلاثة أيام و بعدها سأل بعض الرجال عن ابنة عمى وما لها من الاحوال فاخبروه باسمها واسم أبيها واعلموه بجميع أحوالها وشأنها فامر عند ذلك باحضار عمى الى بين يديه فلما وصل عمى اليه كلمه كلاما غليظا وهدده بالقتل والعذاب وقال له ان لم تزوجنى ابنتك والا أخذتها أنا قوة واقتدار فقمت أنا اليه وعارضته فى الكلام وتذللت بين يديه وسألته التخفيف فى هذا الامر فقهرنى وسبنى وضربنى بالسيف صفحا كاد أن يعطبنى وقال قم يا كلب العرب مثلك من يعارض الملوك فيما تهوى أخرج من الحى والا وحياة رأسى أعدمتك الحيل والقوى وقتلتك أشر قتلة فقمت من فزعى منه وخرجت من حلتى وأنا مطرود وما بلغت من ابنة عمى مقصود وصرت أبكى فما رأيت من يعيننى على مصيبتى ولا من يفرج عنى كربتى فلما رأى عمى منه ذلك أقبل عليه وكلمه بكلام لين وقبل يديه ورجليه وسأله ان يدعنى أرجع الى الاحياء فحلف أن هذا لا يكون أبدا ما دام هو فى الحى حتى انه يأخذ زوجتى ويمضى بها وتنقضى

له هذه الاشياء و بعدها يأذن لى بالدخول الى الحى واذا جرى ذلك أكون أنا ميتا فى صورة حى لاجل ابنة عمى وتعديه على ﴿قال الراوى﴾ فبينما أنا فى ذلك الاحكام وما حل بى من الاوهام ولا أعلم ما أفعل من الاهتمام واذا قد مر بى رجل من أهل الحى كنت أدعوه لى من الاصحاب فرأى دمعى هاطل مثل السحاب فسألنى عن قصتى فاخبرته بما كان من ذلك الجبار وكيف أخذ ابنة عمى هذا الجبار قوة واقتدار فقال له أدلك على من يأخذ لك بالثار ويزيل عن قلبك العار فقلت له سألتك بالله وبالبيت الحرام من هو البطل الهمام فقال لى عليك بالكريم المجد الواسع الرفد الكثير المناقب الشريف العجائب الاسد الرهيص وزر بن جابر فارس بنى نبهان الشائع ذكره فى كل مكان فاقصده وهو ينصرك على عدوك ويخلص لك ابنة عمك واعلم أن ما لك فى هذه البلاد أحد غيره ينصرك والان أطلت مع هذا الجبار الكلام قتلك ودمرك وهذا أيها السيد ما جرى وقد أتيت اليك قاصد والتجأت بحماك يا ابن الاكرمين الاطايب فلا تردنى خائب أيها البطل الهمام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الاسد الرهيص من الاعرابى هذا الكلام ورأى ما هو فيه من الاحتراق قال له يا وجه العرب طب نفسا وقر عينا فسوف يزول عنك ما أنت فيه من الضجر ولا يكون هذا الذى جرى يقطع ما بينك و بين ابنة عمك وسوف ترى ما يسرك و يدفع عنك ما يضرك ولا بد ان أقتل هذا الجبار وأقلع منه الآثار وأدع النوادب تندب عليه آناء الليل وأطراف النهار ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الاعرابى هذا الكلام شكره وأثنى عليه وقبل يديه ورجليه وكان وزر أمره بالجلوس بين يديه وأتاه بشئ من الزاد فاكل حتى اكتفى ووصل له غاية الصفى و بعد ذلك قام الاسد الرهيص وركب جواده من وقته وساعته فى جماعة من فرسان قومه وعشيرته وسار وعبده نجم سائر فى ركابه يسعى بين يديه الى خلاص ابنة عم الرجل من ذلك الجبار و يوصلها اليه ثم انهم ساروا وقد تبطنوا فى تلك القيعان الى أن وصلوا الى الحى الذى لبنى لحيان وكان عدتهم ثلاثين فارسا أعيان فاكمنهم وزر فى ذلك البر الاقفر وأرسل عبده نجم يكشف له الخبر فغاب قليل وعاد على الاثر وهو مما رأى حيران وذلك انه لما وصل الى بنى لحيان وأشرف على الحلل والمضارب فرأى خيل وجنائب وقناة وقواضب ونظر الى مضارب مضروبه وخيام منصوبه وسرادقات ممدوده وأسياف مسلوله والاماء تضرب بالمزاهر والدفوف والعبيد يلعبون بالسيوف وقد أخذهم الفرح والطرب وكاد البرأن ينقلب لانه خلع عليهم عائد بن حسان وأبذل لهم العطايا والاحسان وكانت تلك الخلع من الثياب الفاخرة وأكثر لهم من الطيب والعنبر والمسك الاذفر وقد أطلقوا البخور وبخروا الجزور وافرغوا بواطئ المدام وصارت الكاسات عليهم تدور وهم على ما هم عليه مطمئنين وعن حوادث الدهر غافلين وقد ضربت للملك عائد قبة الزفاف وانتجز الامر ولا بقى خلاف والجارية اجلسوها فى هودج واركبوها على ناقة كثيرة الوبر وقد وضع ذلك الهودج على ظهرها وهو مرصع بالذهب الاحمر ومعادن الدر والجوهر وقد ألبسوها الثياب الملونة من الاطلس الاحمر والاصفر والاخضر فصار ذلك المكان يرهج غاية الارتهاج والخلائق قدام ذلك الهودج فى ازدحام وانزعاج وقد عولوا ان يدوروا بالعروس حول الحى والاطلال وتزف على بعلها وقد تباشرت بالافراح جميع الرجال وأهلها مما رأوا من تلك الخيرات فى أفراح زائدات فلما رأى العبد نجم ما هم فيه من الاهتمام عاد على عقبه كانه ذكر النعام ولم يزل سائرا الى أن وصل الى مولاه وأعلمه بامر العروس وان الامر قد انتجز ولا بقى كلام فلما سمع الاسد الرهيص من عبده تلك الاحكام قام كانه الاسد وأيقظ رجاله وقد تدرعوا بالدروع والزرد وقاموا على الاقدام ليقضوا ما هم طالبين من المرام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ابن عم الجارية بزفافها كاد أن يتفتت كبده مما حل به من الهم والنكد وما زالوا سائرين الى أن وصلوا الى الحلة وعاينوا الهودج دائرا به رجال الحى جملة فلما أقبل الاسد الرهيص هو ورجاله وعاين فى ذلك الوقت الزفاف وقد رأى الجارية فى الهودج وضياء الجواهر يكاد البرمن نوره أن يرهج فعند ذلك صاح وزعق على العبد القائد بزمام الناقة وعليه انطبق وضربه بالسيف على وريديه أطاح راسه من على كتفيه وصاح فى العبيد ونادى يا أبناء العواهر أما تعلموا انى أنا الاسد الرهيص وزر بن جابر فتنافرت العبيد من بين يديه

عندما رأت ذلك العبد وما جرى عليه ثم انه حمل حملات منكره فصارت الرجال من بين يديه متنافره ورجاله
من خلفه متبادره هذا وقد أخذت أهل الحي الصيحات والزعقات المتواتره فتقدم الاسد الرهيص الى
زمام الناقة التي عليها الهودج والعروس ومسكه بيده وسلمه لابن عمها وقال له هذا امام الهودج وقد
أزال الله عنك الهم والبؤس تسلم زوجتك وأزيل عن قلبك الغم والعكوس ولما ان رأوا رجال الحي الى
ذلك الحال نفروا اليه كأنهم أسود الدحال وهو ينثرهم نثرا ويبريهم بريا والقوهم على الارض خمسة خمسة وعشرة
عشرة وانقلب الحي وزاد الصياح في أطرافه ونواحيه ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك عائذ ذلك
الضجات التي قد علت ورأى تلك العبيد والرجال التي تتنافر فقال لمن حوله يا ويلكم اكشفوا لنا عن
هذا الامر المنكر فقالوا له يا ملك وحق اللات والعزى ما عندنا من ذلك الأمر خبر الا اننا نرى عفريت من
ذلك البر قد ظهر وقد بطش بالرجال والعبيد وأحل بهم العبر وحمل حتى قارب الناقة التي للهودج
واخذ بزمامها وسار وهذا ما عندنا من الاخبار ولما لحقته الرجال فعاد اليهم وقد حل بهم النكال
وما قدران يصل اليه أحدا من الفرسان الاو يضربه بالسيف أو يطعنه بالسنان فلما
سمع عائذ ابن حسان بأخذ الهودج قام على حيله من وقته وساعته وغاص
في لأمته وركب في الحال على ظهر حجرته وصاح في أصحابه ورفقته وهو
متقلد بسيف أبتر معتقل برمح أسمر وحمل وصاح ولم يزل في
حملته حتى قرب من الهودج وصاح على الاسد الرهيص
ويلك يا نذل العرب خلي على الضعينة والعروس
والاحل بك الهم والبوس وتقع في الامر
المنحوس وانجو بنفسك سالم والا
تقع في الامور العظائم
وتصبح بعد ذلك
الفعل نادم





﴿ تم الجزء الخامس والعشرون من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بني عبس عنتر بن شداد ﴾

﴿ الجزء السادس والعشرون ﴾

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من
انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث
النزال الامير عنترة بن شداد
وهي السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليلة





﴿ محل مبيعه ﴾

(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين افندى شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

﴿ الطبعة الثانية ﴾

(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)

بسم الله الرحمن الرحيم

«قال الراوى» فلما سمع الاسد الرهيص كلامه ورأى ماهو فيه من اهتمامه عاد اليه عودة الاسد بقلب قوى وجنان جرى وزعق زعقة منكرة وقال له ثكلتك أمك وعدموك قومك ياويلك من تكون من العربان حتى تجارأت على أخذ هذه العروس من ذلك المكان فقال له ياويلك أنا الملك عائذ بن حسان صاحب مياه مراعمرو وتلك البلدان فقال له وزر وأنا ابن جابر فارس بنى نبهان واليك أتيت قاصدا لانى قد استجار بى زوجها فدع عنك المطامع والا قتلتك وأكون لرأسك من على جثتك قاطع ثم انه بعد ذلك أمر بعل العروس أن يقود زمام الناقة وعاد الى عائذ عودة الاسد الضرغام وحمل عليه حملة الليث الهمام فتلقاه عائذ بعزم منكر وضرب لايبقى ولايذر وهم أن يضربه بسيفه على هامته يقده فرآه محترزا على روحه وهو جيد الخبرة فى مقام الطعان والجلات وعنده حسن الثبات فى وقت المصاب فعاد أغمد سيفه وأخذ معه فى الطعن بالسمهريات حتى جاز أمرهما عن حد الصفات وعبر نصف النهار فتهاجما مهاجمة الاسود الضوارى فى الغابات وكان عائذ بن حسان قد احتقر خصمه فى القتال لما رآه قصيرا بين الرجال فما زال معه الى أن بان منه مابان وكان هذا عائذ على صغر سنه عريض الاكتاف والاوصال عديم المثال فلما رأى الاسد الرهيص منه ذلك الحال أخذ معه فى ميدان الحرب والقتال وقد كثر عليه الحنق فصاح الاسد الرهيص فيه وزعق وضربه ضربة جبار لايشفق فنزلت الضربة على رأسه فقدت البيضة والرفادة ونزل السيف الى الحلقوم فوقع الى الارض صريع يعج علقما ويخبع وصار يختبط فى دمه ويضطرب فى عندمه

«قال الراوى» فلما رأوا أصحابه ماحل به من تلك الامور وماجرى عليه فصاحوا على الاسد الرهيص وحملوا عليه فعند ذلك تلقاهم وغاص فى أوساطهم وقد أباد فرسانهم وأفنى شجعانهم وقهر كماتهم وقد أعانه على ذلك رجاله لانهم فعلوا فى الحرب مثل فعاله فلما رأت فرسان عائذ ماحل بهم من الاسد الرهيص وليس لهم به طاقة ولاقوة ولااستطاقة فولوا منهزمين والى النجاة طالبين فتبعهم الاسد الرهيص هو ورجاله ساعة من النهار حتى شتتوهم فى البرارى والقفار وعادوا عنهم وقد أخذوا الجارية ورجعوا بها الى أهلها والديار وبعلها أفرح الخلق بهذه الاقدار وصار يشكر الاسد الرهيص ويثنى عليه من

أجل تلك الفعال التى قرت بها عينيه وخرج أبو الجارية الى لقاها ولم يعلم بتلك القصة ومامعناها فعند ذلك تقدم اليه الغلام وبداه بالسلام وأجزل له من التحية والاكرام وأيضا أبو الجارية تقدم اليه وساله عن الحال فاعلمه بماجرى وما كان من تلك الامور الحسان وأخذ منهم جماعة من الفرسان وعاد التقى بالاسد الرهيص وسلم عليه هو ومن معه من الرجال واستقبله بحسن استقبال وشكره وأثنى عليه على ما أوصلهم من تلك الاعمال فقال الاسد الرهيص ان كنت ترعى مافعلت معك من الاكرام فاغتنم الفرصة ودبر زفاف ابنتك على ابن أخيك ودعنى أننى أنا عليك فقال له السمع والطاعة ويكون ذلك من أول هذا النهار وتلك الساعة ثم ان أبا الجارية نحر الجزائر واجتمعت الرجال وأهل العشائر وأقاموا على أكل الطعام وشرب المدام وخير وأنعام الى أن انقضت أيام الافراح سبعة أيام وبعد ذلك تمت الولائم على حالها وقد أكثروا فيها من الطعام والمدام وأجلسوا ابن عم الجارية والاسد الرهيص البطل الهمام فى المكان الذى فيه عائذ بن حسان وزفت الجارية عليه من غير ملام وهم فى أمان واطمئنان وصار القوم يثنون على وزر بن جابر بما أوصل اليهم من الجميل والاحسان ولما تم الزفاف وفرغ على تلك الاوصاف دخل الغلام على ابنة عمه وقد انفرج عنه ما كان اعتراه من همه وغمه واجتمع شمله وفرحت به جميع أهله وأقاربه وأقام وزر عندهم بعد الزفاف ثلاثة أيام وبعد ذلك طلب العودة فحلفوا عليه فأقام عندهم بقية السبعة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام وبعد ذلك ودعهم الاسد الرهيص وطلب المسير الى الاوطان لما رأى الغلام قد قر قراره بين أهله وأنصاره فخرج معه الغلام هو وعمه وكل من فى الحى لوداعه وسار طالب أرضه وأطلاله هذا ما كان من الاسد الرهيص وأعماله «قال الراوى» وأما ما كان من معديكرب الزبيدى وأحواله فانه لما قدم من غيبته وأراد الدخول على أمه واخوته فرأى أهل الحى فى بكاء ونواح وأمور تدل على عدم الفلاح فسأل عن الخبر وتلك الما ثم فاخبروه بما فعل بهم وزر الظالم الغاشم وقالوا له انه وصل الى الحى وسبى أختك ريحانة وقد خرج اليه أخوك عبد الله فى جماعة من أصحابه والرجال الاقيال فجرحه وأحل به الاهانة والاذلال فلما سمع عمرو ذلك الكلام عند ذلك صدق قول الرسول الذى كان سار اليه من عند أمه بالاخبار لما كان عند الملك عبد المدان فى تلك الديار لانه ما كان مصدقا ان أحدا يسطو على حلته من همته وهيبته فلما سمع ماحل بقومه من الانتقام قامت قيامته وزادت بليته ونزل فى الخيام كأنه كرنا ثم قدم ونادى فى قبيلته بعد ان لبس لامته كما شرحنا فاجتمعوا عليه أهل عشيرته فاختار منهم ألف فارس أسود عوابس وفى الحديد غواطس لايبين منهم غير تدوير مقل الحدق وركبوا على الخيول العربية واعتقلوا بالرماح الخطية وتقلدوا بالسيوف الهندية وساروا فى حميه وأى حميه ولم يزالوا سائرين يطلبون ديار بنى نبهان وهم يقطعون القيعان والاوديه والغدران الى أن أشرفوا على ديار القوم فرأتهم الرعيان من أبعد مكان وهم مقبلون كأنهم الغمام فرجعوا الى الحى والقوا فيه النفير وقد أعلموا الصغير منهم والكبير وقد انزعج الحى وركبوا وكان وزر حاضرا فى حلته وقد أتى من سفرته فركب هو وفرسان قومه وأعوانه وخرجوا الى استقباله وكان عمرو أغار على المراعى وساق مافيها من الاموال والنوق والجمال وسلمها لبعض فرسانه وتأخر هو ليرد من يتبعه من أخصامه فلم تكن الا ساعة حتى لحقت بهم الفرسان فرجع اليهم عمرو فرأى فى أوائلهم وزر بن جابر المكنى بالاسد الرهيص وهو يصيح ياويلكم تهجموا علينا فى ديارنا والاوطان وتأخذون شيأ ما تقدرون عليه لا أنتم ولا ملوك الزمان من الفرسان والاقران فتلقاه عمرو وقد حملا على بعضهما بعض وارتجت من ركض خيلهما الارض وتقاتلا حتى اندهشت منهما الابصار وتعجبت من فعالهما الحضار وما كانت غير ساعة من النهار حتى سطا وزر على عمرو وضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه وطعنه بعقب الرمح المدد أرماه من على ظهر الجواد على الصعيد وكاد أن يرض عظامه رض ثم انه نزل اليه وشد كتافه وأوثق منه أطرافه وسلمه الى بنى عمه ثم انه حمل على باقى قومه وغاص فيهم ساعة من النهار ففرقهم فى البرارى والقفار وشتتهم فى السهول والاوعار وقد استظهر عليهم ورد المال منهم وبعدها عاد الى الحى ودخل مضربه فلما نزل فى داره وقر قراره وجلس فى أبياته

أحضر بعد ذلك عمرو بن معديكرب الزبيدى وقال له يا ويلك عجل بالفدا والا أنزلت بك الردا ثم أكثر عليه فى طلب المال والنوق والجمال وبعد ذلك قال له يا عمرو اعلم أن صدق الكلام أحسنه وأنا أريد أن أتخذك لى صديق وخلاو رفيق عند كل شدة وضيق وانى أكون لك عبدا فى كل ما تطلب لانك أنت رجل مذكور وسيد مشهور بين العرب من بعد منها ومن اقترب وأريد أن تزوجنى باختك ريحانة وتأخذ منى المهر مهما أردت من الاموال والخيل والجمال والنوق والجواهر والالآل وأى ما شئت وهويت فلما سمع عمرو كلام وزر فرح به فرحا شديد وأجابه الى ما يريد فعندها قام وزر قائما على قدميه وحل وثاقه من يديه ورجليه وقال له اعلم يا أمير عمرو انى قد جئتك خاطبا وفى أختك راغبا وأريد من فضلك واحسانك وجودك ونوالك أن تزوجنى باختك ريحانة ثم ان وزر جمع أقرانه وخطب منه أخته على رؤس الاشهاد فانعم عليه عمرو وأجاب وتمت تلك الامور والاسباب وقد أعطاه يده على الزواج وما بقى احتجاج وقطع عليه المهر والصداق فساق اليه وزر النوق والجمال والخيل الغوال وكلما وقع عليه من أهله وقرابته وقد أخبرهم بزواج أخته ريحانة بالاسد الرهيص المصان ففرحوا باتصالهم ببنى نبهان واجتمعوا فرسان القبيلتين وقد عقروا ونحروا وأقامت الولائم سبعة أيام وبعد ذلك زفت ريحانة على الاسد الرهيص فى الليلة الثامنة ونصبت له قبة الزفاف وتكامل الامر ولا بقى خلاف ودخل وزر تلك الليلة على ريحانة فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فبات عندها بقية تلك الليلة ومن الغد خلع على أخيها عمرو وعلى أمها وأمراء قومها واخوتها وعلى جميع بنى زبيد وسار عمرو بعد انفضاض العرس من حى بنى نبهان الى أهله ودياره وقر قراره بين أهله وأنصاره فهذا ما كان من هؤلاء ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من وزر فانه ما زال يغزو والحال ويقهر الفرسان الى أن علا شانه وارتفع مكانه وذلت له العربان وأكل غفارة الفرسان فرأى نفسه بعد ذلك فى أعلى مكان فتجبر وطغى على سائر الشجعان ومن عظم تجبره وتكبره عمد الى الغنم التى له وأشرف عليها فرأى فيها كبش أملح أقرن فاخذه ولبس قرونه بالذهب الاحمر ورصعها بالدر والجوهر وقد حط فى يده أساور من ذهب والبس رجليه خلاخل من فضة وغطى ظهره من الديباج المدثر وصنع له مقودا من الابريسم الاخضر وعقد فيه اللؤلؤ والجوهر والياقوت والمرجان والعقيق والفصوص الغالية الاثمان وخرق الزمرد وجعله فى رقبته بشريط من الفضة البيضاء وعمل له هودجا من خشب العرعر وصفحه بالذهب الاحمر وجعل عليه ثوبا من الاطلس الاخضر والاحمر والاصفر وطرزه بالذهب المدثر ولما خلص الاسد الرهيص من تلك الاشغال ركب الهودج على جمل من البزال وأخذه وسار به يقصد أحياء العرب وقد جعل برسم ذلك الخروف مائة عبد تخدمه ليلا ونهارا وسار يأخذ به الغفارات من سائر العربان ويقول لهم هذا غفير العربان وسائر القرى والبلدان فوزنوا له الجزية بامكان واعلموا انى قد جعلته غفيرا على سائر العربان هذا وقد تجبر وتمرد وصار يأخذ الجزية من سائر العرب من بعد منها ومن اقترب فكانت العرب اذا سارت تجارهم تحمل للكبش الغفارة ثم انهم يترجلون اليه ويسلمون عليه ويذلون له ويقبلون الارض بين يديه وكان ذلك الكبش يطعم من أفخر المأكول ولا يسقوه الا من ابن النوق المبرد فى نسيم الارياح وقد ذلت له بنو رياح وبنو قحطان وجزعت من بأسه الابطال والشجعان ولكن ما أقام الاسد الرهيص على ذلك الأيام قلائل حتى مالت جوارحه الى زوجته كبشة وكبشة ما يريد قلبها الا ابن عمها مبادر لانها كانت تحبه محبة عظيمة وكانت فرحت لما تركها وزر ولما عاد الى محبتها القديمة التى كانت فيها فى الاول فصارت تهنيه وتبالغ فى هوانه وهو يبالغ فى اكرامها ﴿قال الراوى﴾ ولما كان يوم من بعض الايام أقبل وزر على دايته وقال لها يا أماه أما تنظرى الى كبشة وكيف انها عادت الى المنهاج الاول فقالت له اعلم يا ولدى ان قلبها ما يميل الا لابن عمها أكثر من ميلها اليك والى غيرك وانها يا ولدى فى غيبتك ترسل اليه وتحضره الى عندها ثم يتحدثون ويجتمعون على كل مكروه وما يفعلون الا ما يشتهوه فلما سمع وزر من دايته ذلك الكلام قامت عيناه فى أم رأسه وهم أن يقوم اليها فى ذلك الوقت والساعة ويقتلها فقالت له دايته اعلم يا ولدى ان هذا ليس

بصواب ولا تفعل فعلا تلومك الناس عليه واسمع الخطاب ولا تفعل الا بعد تحقيق الخبر والرأى عندى انك تدخل اليها وتعلمها انك مسافر الى بعض أحياء العرب واخرج من عندها واختف فى بعض الاماكن فانها تنفذ اليه وتحضره الى عندها فاذا أحضرته وقعد بجانبها فأت فى ذلك الوقت أنت وتدخل عليهما ولما تحقق ذلك الامر المفيد افعل فى ذلك الوقت ما تريد فقال لها والله لقد أشرت بالصواب والامر الذى لا يعاب ثم انه قام من عند دايته ودخل على كبشة زوجته وقال لها مالى أراك على هذا الحال وقد رجعت الى المنهاج الاول فقالت له اعلم ان كنت تحبنى فامض الى كبشك وخذه معك وادخل به الى الحلل والقبائل جميعها وتضم لى أغناما كثيرة وخيل وابل وغير ذلك لانه فى خاطرى أن أعمل وليمة عظيمة الى نساء الحى الاحرار لانى وعدتهن أن لا تكون الوليمة الا من غفارات الكبش شاطرا اشطار فلما سمع الاسد الرهيص منها ذلك الكلام قال لها هذا شئ هين ولكن بعد عودتى تكون الوليمة واعلمى ان هذه الوليمة يبقى لها قدر وقيمة ولكن اعلمى ان بنى طى قد ابعدت عن أرضنا وهم نازلون اليوم بين أجا وسلما وأما قبائل بنى نبهان وغيرها فقد أخذت غفارتها ولكن أنا أمضى الى غيرها حبا وكرامة وسمعا وطاعة امتثالا لامرك وها أنا سائر فى هذه الساعة قومى ائتينى بسلاحى وآلة حربى وكفاحى فعند ذلك نهضت من وقتها وساعتها وأتته بجميع ما طلب فلبس عدة حربه وجلاده وخرج من عندها وركب جواده وسار الى البر وما زال غائب الى آخر النهار ورجع أكمن فى المغارة التى فيها الكبش ولم يعلم به أحد ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من الاسد الرهيص وما جرى له وأما ما كان من كبشة زوجته فانها لما رأته قد ركب وخرج من عندها وسار ظنت انه ما بقى يعود فى تلك الايام فقامت من وقتها وسارت الى ابن عمها بنفسها ودخلت اليه فى مضربه وقالت له قم يا مبادر معى الى الخيام وقد أرسلت وزر الى شرب كاس الحمام ثم انها أخبرته بما جرى لها معه من أول الامر الى آخره وسحبته بيدها وأتت به الى خيامها فهذا ما كان من كبشة وابن عمها ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من الاسد الرهيص ودايته فانهما ما زالا الى أن اجتمعا الاثنين وبقيا على فراش الاسد الرهيص جالسين وسارت اليه وأعلمته بما فعلت زوجته فسار معها بعد ما ترك جواده وعدته وسلاحه عند العبيد فى المغارة وما أخذ معه غير سيفه تحت ابطه ثم انه تخفى واليهما أقبل وكان مضى من الليل الثلث الاول فلما قارب من المضرب فخرج من جانبه فرأى مبادر جالس على مرتبته وقد نظرهما وهما متعانقان فوقف الاسد الرهيص يسمع كلامهما وينظرهما فرآه وهو يبوسها وهى تقول له وأى شئ أعمل فيمن قهر عمرو بن معديكرب الزبيدى وقد أذل الابطال فقال لها لا تعجلى يا كبشة فانى دبرت عليه حيلة وهو انى قد اطلعت على حشيشة فى البرارى والقفار وأريد أن أحضرها اليك وانت ضعيها فى اللبن المبرد فى الهواء واسقيها له فانه ان شربها لا يقدر يقوم من مكانه ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الاسد الرهيص من كبشة ذلك الكلام ومن ابن عمها مبادر لم يتمالك عقله دون أن هجم على الاثنين وسيفه فى يده مشهور وضربه بالسيف صفحا على رقبته شقلبه وأدار كتافه ورفس كبشة شقلبها وأمر عبيده بجمع الاحطاب فاتوه بما طلب فاطلق النار فى الحطب وعندما سمعت أهل الحلة بذلك الخبر اجتمعوا لما علموا ذلك ولم يقدر أحد يسأله عن ذلك خوفا من شره ولما علم ان النار أضرمت وارتفع لهيبها ودخانها دخل عليهما وأمر العبيد أن يسحبوهما الى خارج المضرب ويأتوا بهما عند النار وهى تلتهب وتقدم وزر اليهما وضربهما بحسامه قسمهما نصفين وقد جعلهما أربع قطع وأمر العبيد برفعهما فرفعوهما وأمر أن يلقوهما فى النار من ساعتهما ثم انه أنفذ فى عاجل الحال الى أمها وأبيها وأخيها فلم يرهما ﴿قال الراوى﴾ والسبب فى ذلك أنهم لما سمعا الخبر هربا من الفزع وخوفا من نقمته ودخلا على الملك المهلهل وقد استجاروا به فاجارهم وأعطاهم الذمام فلما علم بهم وزر تركهما وبات ليلته ولما أصبح الله بالصباح أنفذ اليه زيد الخيل فقال له يا فارس بنى نبهان وأوحد الشجعان أى شئ هذا الذى فعلته فقال له ولمن حضر يا سادات العرب ووجوه القادات من ذوى الرتب انى قد وجدت مع زوجتى فحلا من الفحول فقتلتهما جميعا وسأقتل أباها وأخاها وأمها وكل من لها وأقتل سائر أعمامها ﴿قال الراوى﴾ وكان أبوها وأخوها حاضرين فى ذلك المجلس

فاقسم أبوها وأخوها أنهما لو علما بهما كانوا قتلوهما وما علموا بهذه القصة أبدا ثم قال أبوها بيض الله وجهك يا فارس العرب الذى رفعت العار وكشفت عنا الشنار فقال له زيد الخيل يا وزر اعلم أنهما قد دخلا بيتى وأكلا طعامى وصار فى ذمامى فقال له الاسد الرهيص انهما رهائن لك ولا يبك دعهما بخروجهما ولهما الذمام من أجلك ولهم أيضا منى الاحسان فعند ذلك أصلح زيد الخيل بينهما وقد وهبوا له دم ابنتهم وبعدها ذهب الاسد الرهيص الى ريحانة أخت عمرو ودخل عليها وثبت قائمة اليه فاخذها على الاحضان وترحب بها وأنساها تصاريف الزمان وقال لها اعلمى يا ريحانة انى قد وهبت لك جميع غفارات هذا الكبش من الاموال والرجال هذا وقد انقلبت محبة كبش لريحانة مما رأى من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وبهائها هذا وريحانة صارت تنجلى قدام الاسد الرهيص وتعظم قدره تخدمه لشجاعته وقوته وبراعته هذا ماجرى هنا لوزر من القول والنفاد وأما ما كان من أسد الآساد وليث الطراد العالى النجاد رفيع العماد الحافظ الوداد وحية بطن الواد عنتر بن شداد فانه لما رجع من عند القد بن ساعده ووصل الى دياره وقر فيها قراره وهو زائد البكاء والاحزان على ولده الغضبان ولا يعطى صبرا ولا سلوان فبينما عنتر جالس فى يوم من الايام على باب مضربه ومن حوله أولاده وأقاربه وفرسانه وأجناده وعروة والجميع جالسون حواليه وهم يسلونه بالكلام واذا قد دخل عليهم شيبوب ومعه عبد من بعض أحياء العرب وكان ذلك العبد من بنى نبهان وكان سائرا فى بعض الاشغال فامسى عليه المساء فنزل فى مضارب شيبوب وأكرمه وقربه وأدناه وقدم له الطعام وقعد هو واياه للحديث والكلام فقال له شيبوب يا ابن الخالة أنت من أى الاماكن أتيت والى أين أنت قاصد أخبرنى بخبرك فقال له يا ابن الخالة اعلم انى من بنى نبهان أصحاب الضرب والطعان فسأله شيبوب عن الامير زيد الخيل وعن بنى نبهان وفرسانها وشجعانها فحدثه بحديث وزر بن جابر وسبب منشئه من أول الأمر الى آخره وما جرى له مع ريحانة أخت عمرو بن معديكرب الزبيدى وسبيها وزواجها وأخبره أيضا بخبر الكبش الذى جعله غفيرا على سائر العربان وكيف أخذ منهم الغفارة وكل من عصى عليه من العرب أنزل به الذل والعطب وسألوه سائر الناس من أكابر وغيرهم أن يزيل عنهم هذا الكبش فلم يفعل وان أمره قد علا وفخره قد غلا وذكره قد سما وقد استغنى غنى لا فقر بعده أبدا وزاد شره على الفرسان وتجبر على العربان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع شيبوب من العبد فعل الاسد الرهيص تعجب وزاد عجبه من ذلك الحديث ولما أن تحقق شيبوب ذلك الكلام أخذ العبد وسار به الى أخيه عنتر وأوقفه بباب الخيام ودخل على عنتر وهو يضحك ضحكا البسام مما لحقه من الغيظ والاغتمام فقال له عنتر ما بالك يا أبا رياح زائد فى الضحك والانشراح فأخبره شيبوب بما سمع من العبد وبما فعل الاسد الرهيص وخبر كبشه وما جرى له مع زوجته وكيف قتلها وخبر ريحانة وخبر الكبش الذى يأخذ به غفارات العرب ثم قال شيبوب لا يصعب عليك يا ابن الام لانك ما بقيت تدرى فى الحرب ولا لك خبرة بالطعن والضرب فقال عنتر أى شئ هذا الكلام يا ولد الحرام فقال شيبوب قولى صادق وحق الملك العلام وأنت لو كنت عنتر بن شداد البطل الهمام ما كان وغد خسيس مثل هذا يقال له الاسد الرهيص يتعدى على عربان بنى قحطان وبنى عدنان بالشر والانتقام ويعيش سالما بين الانام واشتغلت بموت ولدك الغضبان ونسيت ما شيدته من قديم الزمان فلما سمع عنتر هذا الكلام قال ائتنى بهذا العبد الذى أخبرك بهذه الامور حتى أسمع منه ما يقول فمضى شيبوب وغاب ساعة وعاد ومعه ذلك العبد حتى أوقفه قدام الامير عنتر فعند ذلك سأله عنتر عن هذا الخبر وقال له أخبرنى يا ابن الخالة بالقول الصحيح ودع عنك التلويح فاخبره بكل ما كان من أول الامر الى آخره وقال له يا أبا الفوارس وزين المجالس فوحق رب المشارق والمغارب ان أنت رفعت عن العرب ما قد دهاهم من هذا الكبش وصاحبه فزت بالذكر الجميل فى مشرق الكون ومغاربه وأخبرك أيضا يا أبا الفوارس انه بالامس توقفت عليه قبيلة من العرب فى اعطاء الجزية والغفارة فغار عليهم وأهلك فرسانهم وأباد شجعانهم وهتك النسوان وسبى البنات والصبيان لاجل أنهم عصوه وذلك لكونهم تأخروا عن حمل الغفارة والمال وهو والله يا أبا الفوارس وحق ذمة العرب ما هو

الابلية لا ترد ونقمة لا تصد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامير عنتر من العبد ذلك الكلام غضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد وقال والله لا يكونن هذا الكبش موشوما على وزر ولكن وحق ذمة العرب وشهر رجب لاقتل هذا الكبش وآكل من لحمه رغما عن أنفه هذا وقد بات العبد عند عنتر تلك الليلة وعنتر زائد الوسواس والفكر من هذا القول الذى سمعه والخبر ثم دخل على ابنة عمه عبلة فرآها ضيقة الصدر متفكرة فى أمرها مطرقة الى الارض برأسها فصعب عليه أمرها ولم يعلم ما جرى على قلبها فقال لها عنتر أى شئ هذا التعلق والفكر والغضب وقد أذللت ملوك الشرق والغرب وسادات العرب وما أحضرت لك تاج الملك كسرى أنوشروان ومال القيصر ملك الشام وذلك الامر كله فهمتيه وعرفتيه معرفة تمام وأيضا عرفت تعاليق قصيدتى على البيت الحرام وأذللت قدامك الملوك وقهرت كل ملك وصعلوك وقهرت وملكت كل فارس فتوك وقد أعجزت العرب العربا شرقا وغربا وحميت لكى ولقومكى وأنت تعلمى ان العرب كلهم يحسدوك على ما أنتى فيه وبعد هذا كله فانى بخير وعافية فاعلمينى الآن بما جرى على قلبك فانى أراكى منكسرة القلب والبال ثم عرفينى بالصدق وما عندك من السؤال فان الصدق أجمل وأحسن وأكمل حتى أوريكى ما أفعل (قال الراوى) فقالت له عند ذلك عبلة لما سمعت منه ذلك الكلام يا ابن العم حقيقة انك أذللت الرجال وأسرت الابطال وخافت منك ومن شجاعتك وسطوتك الاقيال ولكن أنت بالضد من ذلك الحال ولقد أعجبك يا عنتر كلامك وعظم سطوتك ومرامك وتذكر انك قهرت جميع الناس بالقوة والمراس وأنت جبان ضعيف الجنان وليس لك فيما تقوله أساس ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر ما أبدته عبلة من غليظ المقال صعب عليه هذا الحال ولكن كتم وجده والبلبال وقال لها أنا أعلم يا عبلة انك تريدى مكايدتى وغيظى اجهار ولكن سوف أخليك تشهدى لى بالشجاعة لانك قد احتقرتينى غاية الاحتقار فقالت له نعم يا ابن العم لانك اشتغلت عن طلب المعالى بشرب كاسات العقار فى الليل والنهار وأنا ما بقيت أريد لى بعلا جبان ذليل مهان ضعيف الجنان لان كبشا من غنم البر أشجع منك وأفرس منك وأفخر ويأخذ اموال العرب والغفارة من بعيدها ومن اقترب ولكن يا أبا الفوارس قد نفذ السهم بما فيه وأنت تعلم انى ما رضيت الملوك والسادات والامراء والقادات والشباب الملاح والوجوه السماح وتبعتك وارتضيت بك أن تكون لى بعلا وأنا لك أهلا لما اجتمعوا الناس وشهدوا لك بالفروسية والشجاعة والقوة والبراعة وأنا الآن ما بقى لى فيك حاجة فلا تكثر معى اللجاجة فما أنا لك أهل ولا أنت لى بعل فقال لها وأنتى ما حكى الا هذا الامر يا عبلة فقالت له نعم لاجل وغد خسيس نشأ فى العرب وقد جعل له كبشا من الغنم يأخذ به لزوجته الغفارة من العرب وأنت يا عنتر صاحب الاموال والاولاد والخيول الجياد والرماح المداد ومعدود للامور الصعاب وأمثالها وما لزوجتك كاب ينبح على باب بيتها فلما سمع عنتر منها ذلك الكلام قال لها اعلمى يا بنت العم ان البغى له مصرع وهو من الذباب أوقع وهذا الرجل علمت أنه قد طغى وبغى واستكبر على العرب فلابد أن يحيط به بغيه وغدره ويرد عليه مكره وشره فقالت له عبلة والله يا ابن العم ان لم تطعمنى من لحم هذا الكبش المذكور وتأخذ صاحبه أسير ذليل مقهور والا أنا لا أكون لك أهلا ولا أنت تكون لى بعلا فقال لها عنتر يا بدر التمام احسنى ظنك فى ابن عمك وأنا أبلغك مرادك فى هذا الامر لانى علمت انك ما تريدى فوق فخرك فخر فقالت له عبلة هكذا أريد أن أكون فعند ذلك طيب عنتر قلبها وأجابها الى ذلك ونهض من وقته وساعته ودخل على الملك قيس وأخبره بذلك الخبر وأعلمه بالاسد الرهيص وكبشه فقال له الملك قيس يا حامية عبس وعدنان هذا شئ ما يصيبنا منه ضرر وما بيننا وبينه معاملة ولا معاندة وما هو منا ولا نحن منه وان طلب منا غفارة تركناه معفر بدماه ولكن الرأى عندى أن لا نتعرض له لان هذا رجل نبهانى وأنت حجازى عدنانى فقال له عنتر لا والله يا ملك الزمان فانا لابد لى أن آكل من لحم هذا الكبش رغما عن أنف صاحبه وأنهب ماله وأسبى حريمه وعياله فلما سمع الملك قيس من عنتر ذلك الكلام سكت وعلم أنه لا يرجع عن هذا المرام فقال له افعل ما تريد أيها البطل الهمام فعند ذلك عاد عنتر الى عبلة وأعلمها بما قال الملك قيس من الكلام ثم قال لها وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وحق

الخليل ابراهيم والملك العلام لافعلت هذا الامر الا بمشاهدتك واعلق رأس هذا الكبش في عنق جمل يحمل هودجك وأفتخر بذلك الفعل على سائر العرب من بعد منها ومن اقترب ويحصل لك الفخر على سائر نساء بني عدنان وفزارة وذبيان وسائر العربان وان أتى هذا الرجل الى هنا يا بنت العم آخذه أسير وأجعله ذليل حقير ولكن يا عبلة اعلمي انه بقي ها هنا شيء آخر وأمر من الامور قد خطر على بالي فقالت له أعلمني بها أيها البطل الجسور فقال لها اذا مضيت وحدي أخشى من شيء وهو اني اذا أتيت برأس الكبش ولحمه تقولي ان هذا من الغنم السارحات في القيعان فلما سمعت عبلة من عنتر فارس الفرسان هذا الكلام طلعت الى الهودج وقال لها تسيري معي وتنظري بعينيك فوزر وزوجته وكبشه فقالت له وهذا أقصى مرامي لله درك من أسد ضاري ثم انها أجابته الى مقاله لما علمت باحواله ﴿قال الراوي﴾ ولم يزالوا على ذلك المرام الى يوم من بعض الايام طلب الملك قيس رجاله واخوته وبعض أقاربه وجنده وأراد المسير للصيد والقنص وانتهاب اللهو واللذات والفرص وأرسل خلف عنتر ليركب معه لاجل منادمته فما وجد له خبر ولا جلية اثر فارسل سأل عنه من مالك عمه فقال له والله ما أصبح للرجل في الاحياء خبر ولا لاخيه شيبوب ولا لابنتي عبلة ولا أعلم أين مضوا بالجملة فلما سمع الملك قيس من مالك ذلك القول بقي حيران وتعجب الملك قيس وبنو عبس بغيبته بعبلة زوجته ولم يصحب أحدا من بني عبس ولا من عشيرته ﴿قال الراوي﴾ وكان السبب في غيبته هو وعبلة أن ذلك لاجل الكبش والخبر النفيس من قبل أن يأتي ذلك العبد ويعلم عنتر بخبر الاسد الرهيص والسبب في ذلك الربيع بن زياد صاحب المكر والكياد لانه لما رأى عنتر علق قصيدته على البيت الحرام وبلغه الله كلما يريد من المرام فضاقت على الربيع المسالك وكاد من شدة حسده أن يصبح هالك وبقي حيران فيما يفعل في حق عنتر من الكياد والامور الفساد فما كان له الا انه أحضر ابنته وقال لها هل تقدرين على أن تعاونيني على هلاك عنتر بكلمة واحدة فقالت له يا أبتاه وما هي الكلمة أخبرني بها حتى اني أفعلها ولو كان فيها اتلاف روحي بذاتها فقال لها تدخلين على عبلة وتجلسي عندها وتتحدثي معها وتمدحي عنتر وتصفين كثرة أمواله وخيله وجماله وخدمه ورجاله ثم قولي لها ما أعطى أحدا من السعد والحظ الاوفر مثل ما أعطى ابن عمها عنتر ولكنه ما لحق منزلة الاسد الرهيص لانه اصطنع كبش من الغنم وصار يأخذ به الغفارة من العرب والسادات القادات وهذا شيء لا يناله عنتر ولا غيره من الامم السالفات ﴿قال الراوي﴾ فلما سمعت ابنة الربيع من أبيها ذلك المقال قالت له السمع والطاعة وأنا سوف أسير اليها في هذه الساعة وأعلمها بهذه الاحوال ثم انها نهضت من وقتها وساعتها وسارت من عند أبيها ودخلت على عبلة وسلمت عليها وجلست عندها وتحدثت معها وأخبرتها بما قال أبوها الربيع فلما سمعت عبلة ذلك الكلام من ابنة الربيع بن اللئام حصل عندها هم عظيم وخطب جسيم ولم تزل كذلك حتى دخل عليها عنتر فرآها على غير الاستوى وهي على غير ما يعهده منها عن حالها وحدثته بما سمعته من ابنة الربيع وقالت له في آخر الكلام يا ابن العم أنا وحق الرب العظيم رب زمزم والحطيم خالق موسى وعيسى وابراهيم لا عدت من اليوم أكون لك ضجيعة ولا لامرك سامعة ولا مطيعة حتى انك تسير الى هذا الفارس الذي لك ذكرته وتقتله وتذبح كبشه وتطعمني من لحمه فقال عنتر سمعا وطاعة وأمر عنتر شيبوب أن يشد لعبلة هودجا على جمل بازل وبعدها شد له على جواده الابجر فركبه وركبت عبلة في هودجها وسار عنتر وشيبوب بين يديه كما ذكرنا ولما تنادى بهم المسير لحقهم عروة ورجاله وأولاده وهم ميسرة وغصوب وأرادوا المسير بصحبته فابى عن ذلك وردهم وحلف عليهم ان لا يسير معه في هذه المرة الا أخيه شيبوب فرجع أولاده وسار شيبوب في ركابه وقال له يا ابن الام الى أين تريد أن تسير فقال له الى ديار بني نبهان فقال له مرادك تسير الى ذلك المكان بدون أولادك وفرسانك وأجنادك فقال له ويلك سير وأنا أوريك العجب لاني أعلم ان زيد الخيل ما يجردف وجهي حسام لاني صاحبته ومن الهلاك أطلقته فسار واحتى انهم قاربوا ديار بني نبهان فنزل عنتر وأكمن في الوديان وأرسل شيبوب حتى أشرف على حلة زيد الخيل فالتقاه عبد من عبيده فقال له حييت يا ابن الخالة فقال له حياك الله يا وجه العرب فسأله شيبوب عن الملك تاجم بن

حنظلة الطائي فقال شيبوب وأي شيء حال وزر وكبشه فقال له أما الكبش فهو في مغارة في الجبل هو والعبيد الذي تخدمه فرجع شيبوب الى أخيه عنتر وأخبره بالخبر فقال له عنتر امض بنا الى المغارة فلما سار واليها فوجدوها مغارة واسعة وفيها قناديل توقد ليلا ونهارا من ظلمتها والعبيد الموكلين بالكبش جالسين عنده وما زالوا سائرين الى أن وصلوا الى المكان الذي فيه الكبش فلما نظرت العبيد الى عنتر تسابقوا اليه وهم يقولون له انزل يا وجه العرب من على جوادك وقبل الارض بين يدي الغفير لان هذا غفير العرب من بعد منها ومن اقترب ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عنتر كلامهم ما رد عليهم جواب ولا اعتنى بهم بل انه استلب الرمح وطعن المتكلم في صدره أطلعه يلمع من ظهره فتبددت أمعاه وصار عبرة لمن يراه وبعد ذلك حمل على العبيد وأطبق عليهم وصاح فيهم أجمعين فما كان أقل من ساعة حتى قتل أكثرهم وهرب الباقين والى الحلة طالبين وهم ينادون بأعلى صوتهم قتل الغفير وحل الويل والتعتير ﴿قال الراوي﴾ هذا وعنتر بن شداد قد هجم عليهم وأخذ الكبش وصار بعد ذلك الى الحلة وكان أهل الحلة أكثرهم غياب مع الاسد الرهيص وزيد الخيل لانه الآخر كان سار الى بعض الغزوات فصرخ عنتر صرخة عظيمة فلما سمعوا المتخلفين في الحي ذلك الضجة ركبوا وخرجوا الى لقاء عنتر بن شداد وتبادرت اليه جميع الرجال وكان عنتر أمر أخيه شيبوب أن يقلع ما كان على الكبش من خلاخل وأساور وقلايد وجعلها في مخلاة الابجر وعلقها في عنقه وقصد بعد ذلك الى أحياء بني نبهان حتى قاربوا البيوت فما قاربها رأى الفرسان متنافرة واليه متبادرة وكانت ثلثمائة فارس وهي اليه طالبة فلم تكن الا ساعة حتى أهلك عنتر منهم جماعة وهرب الباقون طالبين المضارب والخيام فلما رأوا عنتر بهتوا اليه واندهشوا وصاحوا عليه ما حاجتك يا حامية عبس وعدنان أعلمنا بها حتى نبادر الى قضائها فقال لهم يا قوم أريد وزر بن جابر فقالوا له ولم ذلك الطالب فقال أقتله وأحل به العطب أو آسره وأقتل كبشه الذي يأخذ به الغفارة من العرب فقالوا له أما وزر فهو غائب في بعض أسفاره وأما الكبش فهو حاضر في قلب المغارة التي في الجبل فقال عنتر أما الكبش فقد أخذته وقاصد به الى مضربه حتى أنحره في بيته فقالوا له هو بين يديك فسار عنتر حتى انه وصل الى بيت وزر فرأى زوجته ريحانة باكية نائحة فدخلت عبلة الى ذلك المضرب وجلست على فراش الاسد الرهيص وكان عنتر واقفا عند الشجرة التي فوقها مرشة وكان سرير الاسد الرهيص تحتها ثم ان عنتر أمر شيبوب أن يذبح الكبش على حافة السرير فذبحه وسلخه ثم أمر أن يقسم لحم الكبش نصفين ويعلق النصف ويبقي النصف الآخر فلما قسمه وملحه قال له شيبوب هذا قسم الملك قيس وبني عمه ثم انه زعق على ريحانة وأمرها ان تتحزم وتصلح من ذلك اللحم شيأ لعبلة تأكله فقامت ريحانة وأصلحت ذلك اللحم وقدمته بين يدي عبلة ثم انه أمرها ان تقف بعد ذلك على رأس عبلة تروح عليها وهي قاعدة تأكل ففعلت ريحانة جميع ما أمرها به عنتر وهي تبكي بدموع غزار وتتحسر ﴿قال الراوي﴾ فلما اكتفت عبلة وعنتر من الاكل أمرها أن تصب على يدي عبلة ففعلت وبعد ذلك ركب عنتر وركبت عبلة ثم ان عنتر أمر شيبوب أن يعلق رأس الكبش في رقبة جمل عبلة وأمره أن يسوق من أموال الاسد الرهيص ألف ناقة ونهب أمواله وسبي زوجته ريحانة فقالت له ريحانة يا أبا الفوارس تسبيني وأنا أخت صديقك عمرو بن معديكرب الزبيدي فقال لها عنتر وأخيك زوجك بالاسد الرهيص فاعلمته بالامر من أوله الى آخره فقال لها يا ريحانة حيث انك أخت عمرو ابن معديكرب الزبيدي فعليك السلامة ممن يأكل البر ويشرب الماء وقد أوهبتك جميع أموال الاسد الرهيص أكثر ما لاخيك عمرو وأبي ثور وها أنا راحل عن الحلة ولكن اذا أتى بعلك قولي له يقول لك عنتر بن شداد ان كنت جعلت لك كبش تأخذ به الغفارة ثانيا من العربان فعلت به مثل ما فعلت بالكبش وذبحته مثل الخرفان ثم قال لها اعلمي يا ريحانة اني وحق ذمة العرب لولا الصداقة التي بيني وبين أخيك عمرو وأبا ثور لسقتك ماشية حافية قدام ابنة عمي عبلة الى ديار بني عبس مسبية ثم انهم ساروا وسار شيبوب في ركابه وهو قائد بزمام جمل عبلة فلما تنادى بهم المسير أنشد يقول

اسمعانى الصياح عند الصباح * وندا الافراح عند الرواح * فنديمى صوت الوغا عند شربى
و وقع السيوف بين الرماح * يضحك السيف فى كفى لعلمى * اننى المندوب فى وقت الصياح
كم همام فى الحروب تركته * عابس الوجه من هول الكفاح * قلت قولا وكنت وافى بقولى
ليس كان القول منى فى مزاح * لابد أن أنحر العفير بسيفى * لو تدانت مهجتى سمر الرماح
وتركت الكبش أضحى ثاويا * فيه القدور بواطئ صحاح * سوف لوزر يخبروك بأننى
قد صنت ريحانة من الافتضاح * فعل ليث يكف عن كل حيفا * و يراعى براعة أهل السماح
وأنا عنتر المعروف يوم الوغا * كنيتى ليثا وقت الجراح * ألتقى الاعداد واما ضاحكا
تارك الاخصام رمما فى البطاح * لم يروا فى الحرب أبدا مسمعا * يرتجوه وقت ضربات الصفاح
لا يكن من قال قوله صادقا * بل يكن قوله كما هب الرياح * من عرفنى ما يريد مخبرا
عنى فاننى قابض الارواح * وصلاتى وسلامى على النبى * خاتم الرسل صفوة الفتاح

﴿قال الراوى﴾ ثم ان عنتر وشيبوب ما زالا سائرين يقطعان البرارى والقفار مجدين الى ان وصلا الى مرج على شاطئ الفرى لانه قريب من أرض اليمن فنزلا فيه لكثرة أشجاره وأنهاره لانها أرض مخضبة وهى بالاشجار مشتبهة كافوزة بيضة نقية تزهج فى أثوابها العسجدية وحللها الزبرجدية وهى نزهة للاحداق بحسن الحدائق منظومة بحلل الزهور وهى ملانة من الافراح والسرور والحمام والقمرى والبلابل والسمان وفاختة وكروان والثمار على أشجارها تحت أوراق الريحان وعيون النرجس مفتحة وزانت الاغصان وهى تتمايل كأنها النشوان والارض قد فرشت بالآس والاياسان وطيب المسك وبان وهى نزهة للاعيان وقد لبست ملابس من أحمر وأخضر وأصفر والسمرحسان وقد تتوجت بالالوان وقامت بامر مكون الاكوان والسحاب يبكى بدمع كدمع العاشق لفقد الخلان كما قال فيه فصيح اللسان هذه الابيات

منزل قد حفت به الازهار * وترنمت فى روضه الاطيار * قد حوى الوحوش والطيور جميعا
وكسته الازهار حلا من ثمار * واذا ما بكى عليه الفؤاد * بدموع على الخدود غزار
تنثنى به الغصون اختيالا * أفنى بظل طيره على الاحذار * ذو حياض مملوءة ورياض
عجزت عن صفاتها الافكار * واذا ما نزع الصوت فيها * من حمامات ايكها والهزار
فكان العقيق فيها خدود * لاحتها الكواعب الابكار
وكان الاقاح فيها ثغورا * كانما عيناه فى حرف الاحجار

﴿قال الراوى﴾ فنزلوا فيه لاجل حسن أزهاره وكثرة مائه وأشجاره وضربت فيه القبة السفرية ونزلت فيها عبلة واستقر بهم القرار واضطجع من داخلها عنتر كما جرت عادات العربان وانطرح شيبوب من كثرة التعب وجلست عبلة وصارت تتفرج على تلك البرارى والقفار والاطيار والماء الهدار واذا قد لاح لها من قطر ذلك الوادى شخص مقبل نحوها من صدر تلك البرية وأراد أن يأخذ عبلة مسبية فلما أن رأته عبلة فزعت وخافت و زعقت على عنتر فاستيقظ وقال لها ما خبرك كفانا الله شر صوتك فقالت له اعلم يا ابن العم انى أرى فارس مقبل وقدامه راجل والفارس على جواد أشهب وقدامه شئ يلوح كأنه كوكب فقال لها يا بنت العم لا بأس عليك هذا ابن شراحيل الاصهب فارس اليمن فقالت له يا ابن العم هذا قاصدا الينا فقال لها لا تفزعى ولا تفكرى فيه فانا لو كنت نائم فلا اعتنيت به ولا التفت اليه ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم فى الكلام واذا بالاصهب قد هجم عليهم وهو لا يعرف انه عنتر بن شداد فزعق الاصهب زعقة ارتج لها البر والوهاد فلم يلتفت اليه عنتر ولا جاوبه بخطاب فزعق الاصهب ثانيا يا صاحب الظعينة أنج بنفسك وخلها قبل أن تسكن رمسك فلم يجبه عنتر بجواب فزعق ثالث مرة فلم يجبه عنتر بلفظة واحدة فزعق فيه وقال له يا ويلك قم واركب جوادك واعتد بعدة جلادك والا فسلم نفسك فلما سمع عنتر ذلك الجواب احمرت عيناه وزاد به الغضب وثار كأنه الاسد وركب الابجر وخطف الرمح بيده وهزه حتى طرقت أطرافه على بعضه وصاح به ويلك يا ابن شراحيل

مثلى أنا من يسلم الظعينة فلما سمعه ذلك الفارس رمى روحه من على ظهر الحصان وقبل رجله فى الركاب وقال له أنعمت صباحا ولقيت خيرا ونجاحا يا حامية عبس وعدنان وفزارة وذبيان وكاشف الضر والبأس عن كل انسان فقال له عنتر وأنت حييت وأنعم الله صباحك ما تروم وأى شئ تريد وما الذى أتى بك فى هذا القفر والبيد فقال له اعلم يا أبا الفوارس ويا زين المجالس انى قد خرجت فى طلب المكسب والمعاش فرأيت القبة والفراش وما عندكم فقلت لعلى تكون هذه غنيمة أغتنمها وأفوز بها واكسبها وما علمت أن دونها الموت الاحمر والبلاء المصور فلما سمع عنتر ذلك الكلام تبسم فقال له الاصهب يا أبا الفوارس وذمة العرب لو علمت انك نازل فى هذا المكان لارسلت اليك الجزور والخيام والخمور ائذن لى حتى أعود الى الديار وآتى بالخمر ومهما أردته يحضر واعذرنى فى التقصير يا أبا الفوارس فقال له عنتر عندما سمع كلامه جوزيت خيرا ولاقيت ضيرا فعند ذلك ركب الاصهب جواده وعاد الى حال سبيله فلما سار قال عنتر لعبلة كيف رأيت فعلى أنا ما قلت لك لو كنت نائم لما قدر أن يوقظنى ولو عرف انى ها هنا مقيم ما كان دخل بجواده الى هذا المكان فقالت عبلة والله لقد رجفت أعضائى منه وفزعت من رؤيته فقال لها عنتر أنا أريكى حال الذى فزعت منه ثم ان عنتر زعق عليه وقال له ويلك يا ابن شراحيل لابد أن أضع هذا السنان فى نحرك أو فى ظهرك فقال له يا أبا الفوارس غدرت فانت ما سيمتك الغدر وأنت حامية عبس وعدنان بعدما أعطيتنى الامان ولا أنا من رجالك ولا أعد من أشكالك فقال عنتر معاذ الله أن أغدر بك وما ذلك الا لما أشرفت علينا قالت لى ابنة عمى انها خافت منك وأنا قد وهبتك دمك وعفوت عنك ولكن انزع منك السراويل فقال له لا تفعل يا حامية عبس فتكون معيرة بين العرب فقال عنتر لابد أن أصلب هذا السنان فى نحرك فعند ذلك قلع الاصهب السراويل قدام عبلة فشالهم عنتر على رأس الرمح ورماهم قدام عبلة وقال لها انظرى فنظرتهم واذا فيهم روائح كريهة ﴿قال الراوى﴾ وكان الاصهب من فزعه من عنتر ومن سطوته عمل العمله فى ثيابه فضحكت عبلة عليه من ذلك وأقاموا فى ذلك المكان فهذا ما كان من عنتر بن شداد وأما ما كان من الاسد الرهيص فارس بنى نبهان وما كان من ريحانة زوجته وما فعل عنتر فى غيبته فانه لما ذبح الكبش الذى لوزر وما خشى من العار فصبرت بنى نبهان الى أن عاد الملك المهلهل وأعلموه بتلك الاخبار وكيف ان عنتر أتى الى ها هنا وما اختشى العار وذبح الكبش الذى لوزر وطبخه على النار فى وسط أبياته والديار فقال الملك المهلهل يا ويلكم ما أحد منكم يتكلم بكلام ولا يبدى خطاب لعله يقنع بما فعل من هذه الاوصاب ويمضى عنا ونحن سالمون بين أهلنا فى الديار فانا أعلم ان عنتر لا يسبى الا نساء العرب الاحرار فانه بذلك شاعت الاخبار وذكر ذلك فى قصائده والاشعار ﴿قال الراوى﴾ هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من وزر الفارس الهمام فانه لما غزى بنى همدان وقد نال المرتبة الرفيعة وعلو الشان والثناء والاقتدار على الاقران وعاد وهو بذلك فرحان وكيف كانت نصرة القوم على يديه وقد شكره ملوك بنى طى وأثنوا عليه ثم انه بعد ذلك الحال ودع ملوك بنى طى وسار طالب دياره والاطلال ولما قرب الى الديار فتأمل الى تلك المعالم والآثار فنظر الى الدخان والشرار فوق التل الذى كان للعريشة فقال وزر لمن معه من الفرسان انى أرى حس نشيش وآثار هشيش فبينما هو فى تلك الامور واذا بالعبيد قد أقبلت عليه وهم يصيحون بالويل والثبور وعظائم الامور ويقولون واذلاه واغفيراه لقد حل بنا المصاب من أجل كبشنا الذى كان اسمه غفير وكان يهابه كل فارس خطير فانزعج لذلك الاسد الرهيص وسألهم عن هذه الاخبار وما جرى فى غيبته عن الديار فقالوا له أيها السيد الكرار اعلم بانه قد هجم علينا فارس مغوار وبطل هدار يقال له عنتر فارس بنى عبس ومعه أخوه شيبوب وولده الخذروف وعبلة زوجته ولم يكن معه أحد من أهله ولا من عشيرته وأخذ منا الكبش وسار به الى مضربك وأوقف زوجتك مشدودة الوسط فى خدمة زوجته وأخيه وقد أخذ نصف الكبش معه للملك قيس وأهله وما خشى بأسك وحرمتك وما قدر أحد يرده فى غيبتك خوفا من شجاعته وقوته وبراعته وسار بعد ذلك طالب قومه وحلته وقد صرنا حيارى فى هذه الآثار فانهض وخذ لنا بالثار واكشف عنا العار والذل والشنار فعندها قال وزر اذا كان جرى من هذا الاسود

تلك الاخطار فانيه اسار أسير اليه وآخذ زوجتى وكبشى منه بالثار والا ما أكون أنا وزر بن جابر الفارس الكرار ثم
انه من شدة الغيظ الذى نزل على قلبه قدم من العبيد التى كانت تحرس الكبش جماعة وضرب رقاب عشرين
منهم ليطفى غضبه فازداد بذلك الالهيب وقد اشتغل قلبه بالنار وزاد وقيده وندم على ما صنع بعبيده من القتل
والهوان لانهم كانوا فرسان شجعان ثم انه قام وقعد وأرغى وأزبد وهاج كما تهيج فحول الجمال ومن شدة ما جرى
عليه ما بقى يعرف ما بين يديه فبينما هو على ذلك الحال واذا بالامير زيد الخيل قد أقبل اليه وسلم عليه
﴿قال الراوى﴾ ومن أعجب ما جرى من هذا الحال ان وزر من يوم نشأ بين الفرسان وهو يسمع بأسر زيد
الخيل على يد عنتر فارس عبس وعدنان فبقى يعاير الامير زيد الخيل بذلك الشان وزيد الخيل يطاوله فى المقال
ويأخذ كلامه باقبال ويقول له يا وزر لابد ان الدهر يتغير من حال الى حال ولم يزالوا على ذلك الشان الى أن
جرى لوزر ما جرى مع عنتر من هذا الامكان ولما أقبل على وزر ذلك اليوم وسلم عليه قال له طال ما عايرتنى
يا وزر بهذا الفارس الذى ماله فى هذا الزمان مقايس أما تعلم ان الزمان تارة لك وتارة عليك والذى كان جرى على
أوصله الدهر اليك فان كنت كما زعمت فارس شديد وبطل صنديد قم الآن واتبعه وخذ زوجتك وعلك مثل
ما أتى لك بزوجته معه وائت بها الى حلتك وحده فافعل أنت الآخر مثل ما فعل معنا فلما سمع وزر من زيد الخيل
ذلك الكلام قام من وقته وساعته ولبس عدة جلاده وآلة حربه وركب جواده بغاية الاهتمام وأركب زوجته
على جمل بازل وأمر عبده أن يقودها بالزمام وخرج فى عاجل الحال طالب البر الاقفر والمهمه الاغبر وسارت
الدنيا فى عينيه ظلام وتبعوه الفرسان من كل جانب ومكان فردهم ولم يقبل منهم ولا انسان وقال كل من
تبعنى علوت رأسه بهذا الحسام فانا لها وحدى من دون الانام ثم سار فى تلك البرارى والوهاد وهو طالب
آثار عنتر بن شداد ولم يزل يجد المسير وسرعة التشمير مدة ثلاثة أيام فحط هودج زوجته وأراح الدواب
وبعد ذلك سار وما زال يقطع القفار الى أن لحق بعنتر وزوجته فى البر والوهاد وقد رأى آثارهم فى
القفار فقال والله لا شك ان هذا أثر العبد الزنيم والوغد اللئيم فجد المسير الى أن لحق بعنتر ومن معه ﴿قال
الراوى﴾ فبينما عنتر سائر واذا قد رأى من خلفه غبارا وقتار وظهر من بعد ساعة للنظار فقال عنتر قف
يا شيبوب حتى ننظر ما تحت هذا الغبار فوقف شيبوب وعنتر ولم يزالوا واقفين وللغبرة منتظرين ساعة من
النهار واذا بها انكشفت وبان من تحتها فارس فى الحديد غاطس وهو ينادى ويقول الى أين تغدو يا ابن مذولين
وخالفكم وزر بن جابر ثم انه زعق على عنتر وقال له ويلك يا عبد السوء أنت الذى دخلت حلتى فى غيبتى وفعلت
فى قومى ما فعلت ما الذى حملك على دخول منزلى وهجومك دارى وفعلت هذا الفعل الذميم وقد أركبتنى العار
وذبحت كبشى الغفير وطبخته وأكلته بعدما سلخته وأخذت ما عليه من الاموال الكثيرة يا قرنان وابن ألف
قرنان فقال له عنتر حملنى على ذلك شجاعتى وقوتى وبراعتى وجنانى بين الفرسان وأيضا أنت تجبرت
وتعديت وافتخرت بشئ ما سبقك به أحد فى القرون الخاليات وهجومك على نساء الاكابر والسادات
فعندها أشار وزر اليه يقول

كبش بنى نبهان استمر ضريحه * خطـرا تقاصر دونه الاخطار
نفضت بك الاحلاس نفض اقامة * واسترجعت عربانه الامصار
وان ذهبت كما ذهبت عودى عبس * أثنى عليها السهل والاوعار
وملكت بكبشى العرب الى العلى * حتى تسابقت لدى الاخيار
أجول على مهر اصيل الجدود * رقيق المسح خائض الاقطار
اذا هاج أنقض يوم الحروب * كباز حط بالاكوار
الى حامى بنى نبهان اذ خمدت * نيران قومى وفيهم شبت الاجمار
قد ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسد الامزار
ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الاحقار

فلى قلب على الاعداء * مخلوقا من صميم الاحجار
أنا المعروف فى يوم الهياج * بانى أهتك ستر الاخدار

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ وزر من كلامه قال له عنتر يا جبان يا ذليل يا مهان أى شئ هذا الهذيان الذى تقوله
الصبيان ثم ان عنتر أجابه يقول صلوا على طه الرسول

قد هويت الظبا وسمر الرماح * واقتنص الابطال عند الصياح * أدن منى ترى هماما شجاعا
ذا طعان وقوة وفلاح * مثل شام كذاك هند وسند * وكذا ديلمى ورومى مباح
وحجازى ومغربى ثم شامى * شئ قتيل وشئ رماه الجراح * ووحوش الفلا اذا نظرتنى
ترتعد هيبة وتركض بالبطاح * ملك كسرى أدخلته تحت سيفى * وجنيت الايوان بعد الرواح
مثل قيصر أخذت منه الرهاين * من كبار قومه وكان فلاح * زاد غيظى لما سمعت بانك
هادباغ قليل النجاح * وتجبرت على الانام بكبش * ليس يصلح الا الى الذباح
فاتيته وقلت آكل لحمه * واذا فرغت أنوى الرواح * ومعى زوجتى ومنية قلبى
وغرامى عند المسا والصباح * سوف أجعلك ثاويا عفيرا * وقتيلا فى الرباح والبطاح

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من شعره حمل عليه حملة تهد الجبال فتلقاه وزر بقلب مثل الحديد المستعمل
فيا لها من ساعة ما كان أعظمها ووقعة ما كان أشدها وأيشمها وما كان أفرسهما من بطلين سمحا بالارواح
والنفوس والابدان وتصايحا صيحات عظيمات وبقى لهم همزات مثل الاسود الضاريات وتهامرا مهامرة
الاسود وصارت الوجوه من شدة الغضب سود واندرس من تحت أرجلهما الحصى والجلمود وقد قيل ان
ما أحد انظر مثلهما فى حومة الميدان لا من الفرسان ولا من الشجعان ولا شاهدت العين مثل ما جرى بين
الاثنين من المسابقة والمطابقة والمهاجة والممانعة والمدافعة وكان لهما وقعة تحير فيها كل شجاع وكان
حديثهما قد شاع ولكن ما حضرهما أحد من الفرسان فى تلك البقاع ولكن وصلت أخبارهما الى سائر
العربان بما وقع بينهما فى ذلك المكان ﴿قال الراوى﴾ ولم يزالا على ذلك الحال الى أن مالت الشمس الى
الزوال وقد وقف كل منهما قبال صاحبه ولا بلغ من صاحبه غرض بل ذاق كل واحد من صاحبه طعم
المرض وصار كل منهما ينظر الى صاحبه شذرا ويرمقه حذرا فعندها قال له وزر هل لك فى الراحة ونعود
بعد ذلك الى الجولان والحرب فى هذا البر والساحة فقال عنتر اعلم يا وزر ان ما بقى بيننا انفصال الا ببلوغ
الآمال فلا تطمع نفسك بالمحال واعلم ان مالك الى ذلك من سبيل ولا أدعك من بين يدى تسير ولا بقيت
الراحة لك مباحة ثم عادا الى ما كانا عليه من الحرب والكفاح وقد جاء الجد وذهب المزاح وهم فى صدام ولزام
وملاصقة تحت الظلام وشرب كاسات الحمام وما بقى يعرف كل منهما ما خلفه وما أمامه وما زالا كذلك
حتى ثار غبارهما وزاد قتالهما وهما فى كر وفر حتى ابيضت أقطار البيدا من لميع الحسام الابتر وطلعت
غرة الفجر ومضى سواد الليل وكلت من تحتهما الخيل ومالت من فوقهما الفرسان ميل وأى ميل كل ذلك
يجرى وريحانة تنظر الى المعمعة ودموعها تنحدر وهى متطلعة وترجو أن يكون لها النصر وأما عبلة فانها
أرادت أن تهزأ بعنتر وتحرضه على القتال لما رأت منهما تلك الحالات وصاحت به صيحة الاسود
الضاريات وقالت له ويلك يا ابن زبيبة ما هذه الفعال وما وقوفك بين يدى هذا الوغد ابن اللئام كم تقول أنا
أبو الفوارس وتمدح بنفسك وما أراك اليوم الا ضعفت عن عرسك وما رأيت منك حركة ولا أرى الآن
حربا مشتبك فما هذا التأنى والتطاول وتترك هذا النذل بين يديك يطاعن ويجادل أما تهجم على خصمك
وتقبض عليه بيدك وتنزعه من سرجه وتضرب به الارض ترض عظامه رض ﴿قال الراوى﴾ فلما
سمع عنتر من عبلة ذلك الكلام كان عليه أمر من ضرب الحسام وهجم على خصمه وضايقه ومد يده اليه
وقبض على بطنه بيديه وشاله على زنده وضرب به الارض كاد أن يرض عظامه فانقض شيبوب عليه مثل
الفهد وفى عاجل الحال شده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وقال له قم يا ابن المخنا وامش قدامى

وهزهذه الاعطاف فلابد ما تشرب فى هذا اليوم كاس التلاف ثم ان عنتر لما أخذ الاسد الرهيص أسير وفعل به الامر الخطير قال لاخيه شيبوب سر و جر هذا الكلب المكلوب بالحبال ثم سار وافى تلك الارض وهم يقطعوها رفعا وخفض وعنتر سائر وهو يسب و زرو يقنعه بالسوط على كتفيه ثم ان عنتر قال لاخيه شيبوب قف فوقف وتقدم هو الى وزر وصاح فيه وقال له اقعد فوقع الى الارض وظن ان عنتر نوى على نحره فمن شدة الخوف الذى اعتراه وقع على ظهره فترجل عنتر اليه ووضع السيف على وريديه وقال له تمن على أى موتة تموتها فقال له وزر يا أبا الفوارس تأن على ولا تعجل وسالت دموعه على خديه تجرى كالغدران كيف انه لم يجد له مجيرا من البلاء والهوان فعند ذلك عفى عنه عنتر وقال وحق البيت الحرام و زمزم والمقام لافعلت فيك اليوم فعلا يا ابن الانذال حتى انى أصل الى ديارى والاطلال وأدخل بك على أهلى والاطلال وأنت ذليل مهان ثم ان عنتر قام من عليه و رفع السيف من على وريديه وقال له قم يا وزر فقام ومشى بين يديه وهو يرتعد مثل السفينة من شدة الذل الذى نزل عليه ثم ان عنتر لما رأى ما حصل له من النصرة وذلك بحضرة ابنة عمه عبلة فرح بذلك واستبشر وأشار يتمثل بهذه الابيات يقول

يا عبلة لا تنسى ودادى فاننى * أبيد الاعادى بالسيوف الصوارم
أسرت لوزر بعدما رام مصرعى * وما كنت رعديدا بوقت التلاحم
أنا ابن سراة الناس شرقا وغربا * وابن كماة من ليوث ضراغم
أحارب فى البيدا بقترع القنا * وضرب سيوف فرق أعلا الجماجم
فلو نظرت عيناك يا ابنة مالك * وحولى كماة من ليوث هواجم
وأنا شجاع قاهر الضد صارمى * ومالك قهر عربها والاعاجم
بانى همام ماجد متفضل * وفعلى فعال الطيبين الاكارم
وان رامنى يا عبلة قرم قهرته * بحد حسام فيه سم الاراقم

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه وقد رأى ما حصل بوزر من النكبات صاح بشيبوب وساقه قدامه ثم ان عنتر بعد ذلك الامر التفت الى ريحانة أخت عمرو بن معديكرب وقال لها يا ريحانة وحق الاله المعبود لولا الذى بينى و بين أخيك عمرو من الوداد لكنت أخذتك مسبية وسقتك بين يدى ذليلة مدهية مثل ما قدت بعلك قود الكلاب وجعلتك فى خدمة ابنة عمى من غير ارتياب حتى تتعجب من أمرك سائر الاصحاب ولكن مالى بد من تعتدا عليك بامر من الامور كرامة لاخيك عمرو ابو ثور ولكن من هاهنا ارجعى الى أهلك من غير ضرر فلما سمعت ريحانة ذلك المقال من عنتر شكرته على مقاله وأثنت عليه الثناء الجميل على فعاله وما كان ظنها الا يسبيها أو يقتلها فما صدقت أن عنتر يامرها بالعودة حتى عادت والعبد نجم معها وسار وامن وقتهما وساعتهما ونجم قائد بزمام جملها ومازال سائرا يطلب ديار الاسد الرهيص وعشيرته فقالت له ريحانة اعلم يا نجم ان العار أعظم من الحرق بالنار لان الاقدمين قالوا النار ولا العار وان رجعنا الى الديار ونعينا وزر هو غابه العار والذل والشنار وتشمت به الاعداء والحساد لاسيما زيد الخيل ومعيرته له فى النهار والليل ولابد ما يعلم لان الخبر المشوم لم ينكتم وأنا قلبى ما يطاوعنى أن أكون فى العز والسرور وبعلى فى الشدائد ماسور فقال العبد يا مولاتى كلما أردتيه فاذكريه واعلمى انى لحديثك سامع واليه تابع فقالت له اقطع بنا هذه البرارى والبيد واقصد بنا وادى طويلع ومنازل بنى زبيد ثم أوصلنى الى عند عمرو أخى حتى أعلمه بقصتى وما جرى على من الكروب فى نوبتى فلعله يأتى معنا ويساعدنا فى خلاصه من يد قناصه من قبل أن يجرى عليه أمر من الامور لان مسيره مع عنتر على غاية الخطر ولا آمن عليه من نوائب الدهر لان الزمان غدور فلما سمع العبد نجم مقالها استصوب رأيها وما أبدت من خطابها وقال فى نفسه أطيعها لعلها أن تبلغ مرامها فأجابها ولا قدر أن يخالف مقالها وسار بها يقطع البرارى والبيد وهو يطلب ديار بنى زبيد فهذا ما كان من العبد نجم

وريحانة ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من عنتر حامية عبس الاسد الكاسر فانه لما فارق ريحانة وسار من وقته وساعته وهو فرحان مسرور وقد عزم على قتل وزر بن جابر واتلاف مهجته وقد وكل به شيبوب المحتال وأمره عنتر يجره فى الحبال ففعل ما أمره به أخوه من المقال هذا وعبلة قد فرحت الفرح الاكبر وقد نظرت من عنتر كل أمر عجيب كيف انه نصر على ذلك الفارس النجيب الذى شاع ذكره عند البعيد والقريب ثم ان عنتر سار يقطع البر الاقفر الى أن وصل الى بنى عبس وفى قبضته وزر بن جابر فوقعت عندهم بقدومه البشائر وفرحت به أصحابه والعشائر وقد ماج الحى بكل من فيه وخرج الى لقاه جميع أصحابه وأحبابه وفرحت بقدوم عنتر أجناده واغتم حساده وتلقاه عمه وخليله وأولاده وصاروا يسلمون عليه ويعانقوه وأما عمارة بن زياد فكادت روحه أن تفارق جسده وكذلك الربيع أخيه ولا كان مرادهما أن يعود عنتر سالم ولا ينظروا الى رؤيته ابدا كل واحد منهما مخزى لانهما كانوا يريدون غير ذلك فما نال كل منهما بغيته ونزلا على كل واحد منهما ألف مصيبة فى جسمه وقد خرج اليه الملك قيس فى اخوته وأكابر عشيرته واستقبل عنتر من بر المضارب وسلم عليه وقد نظر الى ذلك المربوط فى الحبال ولم يكن عند الملك قيس خبر من هذا الحال ونظر أيضا الى رأس الكبش وهى معلقة فى رقبة البعير فتعجب من هذا الامر الكبير فقال له يا حامية عبس وعدنان ويا قاهر جميع الشجعان أى شئ تكون هذه المعلقة فى رقبة البعير ومن هو هذا الاسير فعندها أخبره عنتر وقال له اعلم يا ملك الزمان أما هذا الاسير فهو وزر بن جابر فارس بنى نبهان وأما هذه الرأس فانها رأس الكبش الذى كان جاء له غفير العرب ويأخذ به الجزية من الملوك أصحاب الرتب فلما سمع الملك قيس من عنتر هذا المقال تعجب غاية العجب وكذلك جميع الفرسان الكرام وقد زاد عنتر فى أعينهم رفعة وقدر وعلو مكان لاجل ما وصل اليه من شجاعته وعلو قدره وزيادة الاهتمام وعلموا ان عز العشيرة مقرون بسعادته ما دام فيها موجود بذلك الاحكام فقال له الملك قيس وقد تقدم الى عنده من بين فرسانه وأجناده يا عنتر يحق لك أن تسمى حامية عبس وعدنان والمحامى عن من فيها من الرجال والعيال والنسوان فلا أحرمنا الله من طلعتك ولا غيب الله عنا همتك ومروءتك يا حلو اللسان وفصيح هذا الزمان فشكره عنتر وأثنى عليه وقبل يديه ودعا له وتقدمت اليه سائر العربان وسلموا عليه وسارت فرسان بنى عبس كلها من حواليه وبعد ذلك سار عنتر الى أن دخل الابيات واستقبلته سائر النساء والبنات والصبيان وسلموا عليه وأنزل عبلة من الهودج ودخلت أبياتها ثم ان عنتر سجن الاسد الرهيص فى مضربه وقيد رجليه وكان المضرب مقطع تدخل اليه الشمس من سائر نواحيه وفى عاجل الحال أمر أخيه شيبوب أن يضرب له اربع سكك من الحديد ويشجم بينهم ويعذبه العذاب الشديد ففعل شيبوب ذلك وأيقن وزر بجميع المهالك ولما استقرت عبلة وعنتر فى أبياتهما وطابت لهما الاوقات ودامت المسرات فأتوا اليها نساء الحى وهنوها بالسلامة وهى عاقل ابن عمها نالت المنزلة العالية على جميع نساء الحلة والكرامة وعنتر قد وهب وأعطى وتكرم ثم انه بات الى أن أصبح الله بالصباح وقد أراح روحه من التعب واستراح فقام وطلب مضرب الملك قيس ليسلم عليه فلما علم به الملك قيس خرج لاستقباله وهناه ووصل اليه وأخذ بيده ودخل مضربه وجلس هو واياه ولما جلسوا واستقر بهما المقام أخذوا يتعابدون فى الكلام وصاروا يسألونه عن أحواله وكان بجملة من حضر الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد فحكى لهم على ما جرى له وما كان منه ومن الاسد الرهيص وعن ذلك الامر الذى فعله وكيف أمر شيبوب أخوه بذبح الكبش فى بيت وزر وطبخوه وأكلوه فقال الربيع وأين قسمنا من ذلك اللحم يا ابن شداد وكان قوله استهزاء فى حق عنتر فعند ذلك صاح شيبوب وقال له هات ما عندك وما وصيتك به أن تكون عليه حريص فعند ذلك أحضر شيبوب اللحم الذى ملحه من لحم كبش الاسد الرهيص فلما رأوه تعجبوا من ذلك الشان فعند ذلك قال الامير عمارة القرنان ربما يكون حاميتنا قد التقى فى طريقه بعض الرعيان فأخذ منه هذا الرأس من الغنم وذبحه وفعل به هذه الفعال وقال انما هذا رأس كبش وزر بن جابر

﴿قال الراوى﴾ ثم ان عمارة ما كان نظر عنتر عند قدومه من السفر ودخوله الى الحلة ولا خرج أحد من بنى

زيادبالجملة فلماسمع عنترمن عمارة ذلك الخطاب فلم يرد عليه جواب الاانه قال له يا ابن زياديا كثيرالكلام
ياقليل المروءة بين العباد هذا ماهوكما تفعل أنت من الفشار والهذيان أنا ما فعلت تلك الفعال الاعيان بيان
ثم ان عنتر بعد هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام و زعق على شيبوب في الحال وقال له احضر مخلاة
الابحر يا أبا رياح فعند ذلك نهض شيبوب من ساعته وأحضر المخلاة الى بين يدى الملك قيس والسادات
الحاضرين وأمره أن يقلب له فيها بين أيديهم فافرغها بشدة عزم وقوة بأس فتبينها كل من كان حاضرا من
الناس واذا فيها القلائد والجواهر واليواقيت والخلاخل التى كانت فى رجلى الكبش والاساور التى من
الفضة والذهب فتعجبوا غاية العجب فلما تحقق الحاضرون ذلك الشأن صاح عمارة الويل لكم يا بنى عبس
من دون العربان ما يكون حالكم اذا أتت بنو نبهان والاسد الرهيص للحرب والطعان فصاح به عنتر وقال له
اسكت يا ذليل يا جبان ان كان خوفكم من الاسد الرهيص و بنى نبهان وذلك الجمع الكثير فها هو و زر
أصبح فى يدى أسير ثم ان عنتر نهض من بينهم حردان وقد ترك فى قلوب بنى زياد حرارات ونيران وسار الى
مضربه و جلس عند ابنة عمه عبلة وحدثها بما سمع من عمارة القواد ﴿قال الراوى﴾ وقام الاسد الرهيص
فى ذل أسر عنتر يقاسى الذل والهوان و بعد ذلك أولم عنتر الولائم الحسان وقد اجتمع فيها الكبار والصغار
والرجال والنسوان واقام يأكل ويشرب ويلتذ ويطرب مع السادات وليس على باله من طوارق الحدثان
فهذا ما كان لعنتر من الامر والشان ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من نجم عبد الاسد الرهيص و زوجته
ريحانة فانهم لم يزالوا سائرين فى البرارى والقفار يقطعان السهول والاوعار الى ان أوصلها الى أهلها وتلك
الديار فلما وصلت دخلت على أخيها عمرو سيد بنى زبيد وقد أكثرت من النوح والتعديد وحكت له
ماجرى لها بالتمام والكمال وكيف عفى عنتر عنها ولم يفعل بها شيأ من الضرر وقال لها انى وهبته منى الى
أخوك عمرو لان بينى و بينه صداقة ووداد وأنا مندما أعيش لا أخون له عهد ولا أخلف له ميعاد فقال لها
عمرو وهل كنت فى عز أو اهانة فقالت يا أخى اعلم ان الكلام بالامانة و يحتاج الصدق والصيانه واعلم ان
عنتر ما هو ظالم على و زر فى شىء من الاشياء و ما فعل ذلك الا رحمة منه على جميع العرب بان مما وصل اليها من
الاذلال والهوان لان الذى فعله و زر ما فعله أحد قبله من الرجال ثم انها حكت له على الكبش الذى كان
اتخذه من غنمه وألبسه الحلى والحلل والحرير والذهب والفضة وكيف جعله على العرب غفير وسار يأخذ
به الخفارات وقد فعل ذلك الفعل النكير فقال لها قد بلغنى ذلك كله وان هذا الامر ما يرضاه أحد لا من قبله
ولا من بعده فعند ذلك لجت عليه ريحانة وقالت له يا أخى لا بد لك أن تساعدنى على هذا الامر فانى أريد من
احسانك أن تسيرمعى الى عنتر وتسعى فى اطلاقه من شدة وثاقه من عنده واعلم ان هذا شىء لا بد لنا منه فقال
لها أما تعلمى يا ريحانة ما جرى علينا من فعاله وكيف جرح أخى وما أحل بنا من الاهانة وكيف أخذ ذلك من
وسط الحى والله ان و زر يستحق العطب و يستاهل أكثر من هذا السبب وانه ظالم بلاقاته لعنتر وهو غيره
خلفه وأنا ما أقدر أسطو عليه ولا أجرد السلاح في وجهه لما بينى و بينه من الصفا والوداد ولا القى نفسى الى
المهالك ولا أفعل فى حق عنتر بن شداد شيأ من ذلك لان له على جميل واحسان ما أنساه على مدا
الازمان ولاسيما خلاصى من سليك بن سلكة على يديه لما أخذنى أسير وأراد أن يحل بى المعاطب و بعد
ذلك من على بروحى وأعتقنى فقالت له ريحانة بالله عليك يا أخى اترك هوى النفس وارجع الى المعروف
والواجب واعلم انه لا بد من خلاص هذا الرجل لانه قد صار بيننا و بينه عيش ومودة وأنا باقى عليه
ما هو فيه فقال لها ما الرأى ما هى فيه ان كان ولا بد لك من فعل هذا الامر فانا أرسل اليه هدية وأسأله فى خلاصه
وأتوصل اليه لعله أن يعفو عنه وان أبى من ذلك وامتنع فلا يكون لى سبيل الى خلاصه منه ثم ان عمرا أحضر من
الجمال والخيل والمتاع شيأ كثير وأراد أن يرسلها مع من يوصلها الى عنتر فقالت ريحانة يا أخى لا تفعل ذلك
وسر أنت بنفسك مع الهدايا فاجابها المقالة وركب جواده وسار من وقته وساعته وما زال سائرا الى أن وصل
الى ديار بنى عبس فالتقى بالاسد الرهيص وهو خارج من الحلة وقد أمن من التعس والنكس فتلقاه وترحب

به وحياه وسأله كيف كان خلاصه من يد قناصه ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى خلاص و زر وهوانه لما أسره
عنتر وأنزل به العبر وسلمه الى أخيه شيبوب و ربطه وأنزل به الكروب وما زال مربوطا الى يوم من بعض الايام
قد كان عنتر عزم على صلبه ليجازيه بذلك على ما فعل من ذنبه فكان مما وقع من الاتفاق وما قدره الملك
الخلاق لأجل أمر يجرى و يسطر فى الاوراق ولأجل شىء يريده الله من تلك المهلة وخرجت فى تلك الليلة عبلة
وكان فى صحبتها جماعة من اترابها او بنى عمها وأحبابها وهى تريد الفرجة على غدير ذات الارصاد وهى بينهم
كضوء القمر فى ليلة الاعياد وكان القمر قد انبسط فى الصحراء فحكم مرورها على الاسد الرهيص وهو فى أشد
النكال وما هو فيه من الاذلال وقد تغير حاله ولما رآها و زر وهى تمشى بين الصبايا كانها بدر التمام فقال
لبعض العبيد الموكلين به يا أولاد حام من تكون هذه المرأة التى بين النساء الاحرار لانى أرى عليها هيبة و وقار
وأنا أظن انها من نساء قومكم السادات أو زوجة رجل من أمرائكم القادات أو تكون هذه زوجة الملك قيس
ابن زهير لانى أرى عليها من الحلى والحلل شىء كثير غير قليل فقالوا له ويلك يا و زر اعلم أن هذه عبلة بنت مالك
ابن قراد زوجة حامى عبس عنتر بن شداد فلما سمع الاسد الرهيص من العبيد ذلك الكلام صاح على
عبلة صياحا شديد وقال لها يا بنت الكرام أنا فى جيرتك والحسب يا بنت مالك جيرة العرب للعرب الذين هم
أصحاب الحسب والنسب فلما سمعت عبلة من و زر ذلك الكلام تقدمت الى العبيد وقالت لهم يا ويلكم يا أولاد
اللئام من هذا الذى يقول هذا الكلام فقالوا لها يا ستاه ما أسرع ما نسيتيه هذا و زر بن جابر الذى فعل معكم
ما فعل من تلك الافعال وأسره سيدنا عنتر و وضعه فى القيود والاغلال فلما سمعت كلامهم قالت لهم
يا ويلكم حلوه من عقاله وأطلقوا سبيله واتركوه يذهب الى حاله فقالوا لها يا ستاه أنت تعلمى أن ابن عمك
قد وكلنا به فما يكون جوابنا اذا طلبه منا ولا وجده فهو يغضب علينا و يضرب رقابنا وتتعسر بين يديه
أحوالنا فقالت لهم حلوه واطلقوا سبيله ودعوه يمضى الى حاله فانه قد استجار بى من دون كل أحد فسابق
فينا له بؤس ولا نكد ثم انها زعقت فيهم فخافوا منها وحلوه من قيوده ومن وثاقه وأطلقوه فلما أطلقوه نهض
قائما على قدميه ونسى من فرحه كلما جرى عليه وأراد أن يطلب ديار قومه من ساعته فكان وصل الخبر الى
أبى الفوارس عنتر بأن الاسد الرهيص قد انطلق من وثاقه فسأل عن الخبر وما سبب اطلاقه فقالوا له اعلم انه
قد اتفق خروج ستنا عبلة فلما رآها استجار بها فاطلقته فلما سمع عنتر منهم ذلك الكلام أجاز ذمامها والمقال
وتركه كانه لم يخطر له على بال ثم انه دعا به اليه فاحضروه بين يديه ففى ساعة الحال أمر له بخلعة فافرغت عليه
و زوده وأحسن اليه كل ذلك لاجل ذمام عبلة التى تعز عليه ثم دفع له ناقة فركبها و زر وسار يقطع البر والقفار
فالتقاه عمرو بن معديكرب وأخته ريحانة كما ذكرنا وهما قاصدين الى عنتر ليسعوا فى خلاصه كما قدمنا
ومعه تلك الخيرات والانعام فسلم عليه وهناه بالسلامة وسأله عن حاله فاخبره بان عنتر أطلقه ولم يذكر له
عبلة وما جرى له معها فقال عمرو ولا بد لنا من الدخول الى عنتر ونسلم عليه ونشكره على ما فعل معك من ذلك
الاكرام ثم ان عمرا أرسل أخبر عنتر بقدومه فخرج الى لقائه من يومه وقد فرح به غاية الفرح ولما التقاه
سلم عليه وحياه وأكرم مثواه فشكره عمرو وأثنى عليه بما فعل فى حق الاسد الرهيص من العمل ثم ان عنتر
أخذ عمرا ودخل به الى أبياته وقد أخذ هديته وشكره على حسن وداده ثم أقام عمرو و و زر عند عنتر ثلاثة
أيام وكذلك ريحانة عند عبلة فى غاية الاكرام و بعد ذلك تودعوا من عنتر وطلبوا الرواح فركب عنتر
و رجاله وسار واهم عمرو للوداع نهارا كامل وحلف عليهم عمرو و ردهم فرجع عنتر و رجاله وسار عمرو
و ريحانة و و زر يقطعون الربا والبطاح فلما تمادى بهم المسير أقبل عمرو على و زر وقال له أيها الامير
ما أضمرت لعنتر فى سرك من الخير فقال له أضمرت له السيف الماحق والرمح الخارق والبلاء المتلاحق
فوالله لا غفلت عن أخذ ثارى ولا نمت عن كشف عارى فلما سمع عمرو من و زر ذلك الخطاب غاب عن
الصواب وقال وحق الرب القديم ما أنت يا و زر الا لئيم يا ويلك يفعل معك الرجل هذه الفعال و يطلقك

من الاعتقال ونخلع عليك ويحسن اليك وتضمر له هذا الضمير فأنت الأعمى غير بصير ثم انه تجادل هو واياه فلما طال الجدال بينهما تركه عمرو وفارقه من شدة غيظه وحنقه ولم يرجع برافقه وسار وحده يطلب دياره وحلته وسار وزر وزوجته وعبده نجم يطلبون ديار بنى نبهان ثم سار يجد المسير فى البر الاقفر الى أن وصل الى أهله وعشيرته ودخل على حلته ولكن لم يدخلها الا فى ظلام الليل وذلك خوفا من شماتة الاعداء لاسيما زيد الخيل ولما دخل وزر على حلته لم يخف على أهل عشيرته ووقع وقع الفرح بقدومه فى الحى فضجت الفرسان اليه وتوجهوا اليه وسلموا عليه فقال له زيد الخيل ياوزر كل من عاداك بتلى واعيب آخره البلاء كيف رأيت ما صنع الله بك وكيف أصابك دون أهلك وقرابتك هكذا ياوزر الدهر اقبال وادبار فقال وزر عندما سمع كلامه وذلك اشدة تهجمه وسرعة اقدامه ماهذه المعيرة والملامة ولكن رد الآن كلامك عليك واعلم ان الحرب لك وعليك وليس الدهر كله لعنتر فلابد ما يغلب معى ويقهر وان أنا نمت عن أخذ ثارى فما كون قد تجلت بعارى ويحق لك ذلك الوقت أن تعايرنى وبالاسر والآفات تهددنى لانى وحق البيت الحرام لابد لى ما أسقيه كاس الحمام واقلع شفته وأبيد غابرته وأسبى زوجته وأمحق آثار بنى عبس محقا وأشتتهم غربا وشرقا وأترك ديارهم قفار تتحدث بها السفار فى سائر الاقطار فقال له زيد الخيل وقد ازداد غيظه عليه وأنت الآخر ياوزر لابد أن تقع فى يديه ويفعل بك فى الثانى مثل ما فعل بك فى الاول ثم ان زيد الخيل قام من عنده هو وأبوه وتركوه فى همه ووجده وكاد قلبه أن ينفطر مما حل به من الغيظ والكدر ﴿قال الراوى﴾ ومازال على تلك الاحكام الى أن كان يوم من بعض الايام ركب وزر وطلب بعض الغدران وتبعته جماعة من بنى نبهان فاقبل عليهم وزر بالكلام وقال لهم يابنى عمى ويامن بهم ينفرج همى وغمى أنتم تعلمون بالخبر وما حل بى من العبر وما جرى على من هذا العبد الاسود ابن الأمة اللخنا وقد سارت باخبارى وأخبارة الركبان من سائر النواحى والبلدان وان أنا نمت عن أخذ ثارى وكشف عارى فاموت قهرا وينقطع من الدنيا آثارى فهل أنتم لى سامعين ولنصرتى عليه مساعدين ومعاونين والا أقطع نسبى منكم وأقصد جماعة غيركم فقالوا له لما سمعوا كلامه وفهموا مرامه أيها الامير اعلم اننا كلنا بارواحنا نفديك وبأنفسنا من كل شر نقيك ومن الاعداء نحميك فلما سمع وزر كلامهم فرح بذلك وشكرهم على مقالهم وحمدهم على اجابتهم ونعالهم وقال لهم يابنى الاعمام أنا الا أطير الا بجناحكم وأنا ما أقاتل الا بحد سيوفكم وبهم أضرب وبعزائمكم أغلب ثم انه من وقته وساعته أرسل الى بنى وائل الرجال الاوقاح وكان ملكهم يقال له المنهال بن ناقد بن الجلاح وهو الذى يستدعيه الى قتال عنتر وحربه والكفاح وكان ناقد هذا هو الذى قتل عنتر أباه فى أول منشاه ومبتداه لما كان اشتر الابجر بالغنيمة فى نوبة مرافقته لعياض بن ناشب وسبى زوجته أميمة بنت يزيد بن حنظلة وكانت سائرة الى بعلها وهو هذا ناقد بن الجلاح كما ذكرنا فى مبتدأ السير قتله عنتر وأحل به العبر وجرى ما جرى من الخبر الذى قد مضى واندثر فعندها كتب وزر الى المنهال كتاب وختمه وأنفذه اليه مع نجاب وهو يذكر فيه هذا الخطاب من الاسد الرهيص وزر بن جابر بعد السلام عليك وعلى من عندك من الاكابر أما بعد فالآن لك يا ابن العم أن تنهض الى أخذ ثارك وتقوم الى كشف عارك من هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم والذى أعلمك به انى أنا الآخر قد صار لى معه مطالبة ونقامة وبينى وبينه المحاربة وقد عولت انى من أجله وأجل حربه وقتاله استنجد بالملك الكريم وأمثاله واستنجد بالملوك الذين على رؤسهم الاعلام وأنت أولهم فاسرع للتأهب والحضور الى عندنا بسلام فلما وصل الكتاب الى الملك المنهال فتحه وقرأه وعرف مضمونه ومعناه ففى عاجل الحال جرد عساكره وجمع مواكبه ودسا كره وركب جواده وسار قدام أصحابه كأنه الليث العابس وقد صحبه من العسكر خمسة آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس والجميع غائصين فى الحديد والزرد النضيد ومقدمهم المنهال بن ناقد بن الجلاح وهو سائر قدامهم كأنه ليث البطاح وهو غائص فى لامته متسربل بعدته كأنه الاسد المهول وهو مع ذلك ينشد ويقول هذه الابيات

تأخرت أن أبغى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل ان تقدما

فسرت على الاعقاب يوما بجمعنا * ولكن على أعقابنا أثر الدما
سآخذ ثارى من غريمى عنتر * وأتركه فى القاع يشكو التألما
ألاقيه فى يوم الكريهة ضاربا * وأطعنه بالرمح وسط الجماجما
وأتركه للوحش والطير مغنما * يقسم وحش البر لحما ومعصما

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ المنهال من شعره والنظام مازال سائرا بقومه وهم مجدون وللحرب سائرون يقطعون المناهل والغدران الى أن وصلوا الى ديار بنى نبهان ولما قاربوا الى الاطلال وصل الخبر الى الاسد الرهيص فخرج اليهم فى عاجل الحال واستقبلهم أحسن استقبال ونحر لهم فى ذلك الوقت النوق والجمال وزادهم فى الاكرام والافضال واتكل عليهم فى أخذ الثار وكشف العار وقد أملوا كلهم أنهم ينالون ما أملوه من المراد من قتل فارس عبس عنتر بن شداد وقد أقاموا فى ضيافة الاسد الرهيص هؤلاء الاقوام مدة ثلاثة أيام وهو فى نحر الحوز ونحر الجزور فلما كان فى اليوم الرابع عرض عساكره والفرسان ومن اجتمع عنده من العربان الذين هم خلفاء بنى نبهان فكان عدة الجميع سبعة آلاف فارس أسود عوابس ما منهم الا كل مدرع ولابس ففرح وزر بذلك الجمع المتكاثر ورتبهم فى مسيرهم ميامن ومياسر وسار والجميع والمنهال فى أوائلهم والخيل والعساكر تتدفق من خلفه كأنها السيل فى ظلام الليل ووزر بن جابر الى جانبه وقد فضله لاجل حاجته على أهله وأقاربه وهو امامهم كأنه النار المشعلة ولكن أشياءه مهملة لانهم من جملة سعد عنتر حتى يكسر دواتهم ويبدد عزوتهم ويشتت عنتر شملهم ويقطع سبالهم ويلعن أبا أجدادهم والذى جابهم ويقهر من كان فى ذلك الطريق جابهم ولما تمادى بوزر المسير وهو مقروح الفؤاد وقد تعاظمت عليه الاحقاد ومن أجل ما فعل به عنتر بن شداد وهو سائر بهذا الجيش اليه على عجل ويأكل كفيه على ما به عنتر قد فعل من الفعال فانشد وزر وقال هذه الابيات

أسير لأخذ الثار من وغد قومه * وأكشف عنى العار بين العوالم
فان لم أكن آخذ بثارى فاننى * أعد حقيقا من عداد البهائم
أنا الفارس الكرار فى حومة الوغا * أبيد الاعادى بالسيوف الصوارم
أيا عنتر الفرسان ان لم تخف فقد * فقد جاك وزر بالرماح القوائم
يخوض أرض عبس بالجياد لثاره * ويسبى نساء أبطالكم والاكارم
غدا تصبح الابطال فى أطلالكم * عليكم تجول وكل ليث مهاجم
وتصبح الاطلال منكم خاليه * اذا أقبلت أبطالنا بالصوارم
لحا الله من يترك الدار بلقعا * ويجعلكم بين الاكارم جواثم
فلا بد لى من أخذ ثارى قوة * من الاسود الحجام نسل اللوائم
فاما أسيرا قد جعلته مكدرا * واما قتيلا بالرماح القوائم
انى أنا المقدام سيد قومه * تسير المنايا حين صارت دعائم
وقومى بنو نبهان ذو البأس والندا * وقد توجوا بالفخر دون العوالم

﴿قال الراوى﴾ ولم يزالوا سائرين وجدين والى بنى عبس قاصدين وهم فرحون بهذا الشان فهذا ما جرى لهؤلاء من الاحوال وأما ما كان من أمر عنتر السامى على جميع العربان فانه أبطل غاراته واستغنم لذاته وواظب على الاكل والشرب كعاداته ونهل الراح ومصاحبة الفرسان الاوقاح ويتلذذ بالنظر الى وجه عبلة فى المساء والصباح وكل ملوك العرب تهابه وتهاديه وتقضى حوائجه فى حضوره وغيابه وهو مع ذلك يهب ويتكرم وكل من سأله عن شئ أعطاه بالمزيد الى أن قل ما عنده من كثرة تردد الرجال عليه فضاق صدره وقل صبره ولم يجد له توانى عن طلب المال والمكسب والنوق والجمال فتجهز هو وأولاده ميسرة وغصوب ومازن وعروة ورجاله الذين يدخرهم لشدته وأهواله وأمرهم باخذ الاهبة وتجهيزهم معه لاجل المودة والصحبة

فعند ذلك تجهزوا ولبسوا الحديد وغاصوا في الزرد النضيد وخرجوا من الخيام تحت ستور الظلام وكان
أكثر الفرسان نيام ثم انهم ساروا الى أن بعدوا عن المضارب والخيام وعنتر في أوائلهم كانه الاسد الضرغام
فعند ذلك قال له عروة بن الورد يا أبا الفوارس مرادي أن أسألك في سؤال فقال عنتر قل ما بدا لك من المقال
فقال له الى أين أنت قاصد في هذه النوبة فقال له الى ديار بني حمير وكهلان وان لم يحصل لنا شيء من هناك قصدنا
بعد ذلك الى بني قحطان وأجعل هذه السفرة مذكورة على ألسنة الفرسان ويتحدثوا باخبارها الركبان
في سائر النواحي والبلدان فقال له عروة افعل ما بدا لك فكلنا تابعين لافعالك فمن هو الذي يثنيك عن هذا
الطلب وهيبتك قد وقعت في قلوب العرب من بعد منها ومن اقترب ونحن أسود الغابات وفرسان الطعان
والضراب فشكره عنتر على كلامه وحمده على حسن مودته واهتمامه ثم انه أمر شيبوب أن يأخذهم في
عارض البر ويسير الى ديار بني حمير وكهلان فسار شيبوب امامهم وهو كانه النمر الحردان لانه كان يعرف سائر
الطرقات التي تؤدي الى سائر الجهات من قرى وبلدان شرقا وغربا وكان في المسير لا يعيا له ركب وكذلك ولده
الخذروف سائر في ركاب عنتر كانه النمر المعروف ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان من بني عبس الاوقاح فانهم
لما أصبح عليهم الصباح افتقدوا عنتر ورجاله وأولاده ورجاله فلم يجدوا لهم خبر ولا وقعوا لهم على
جلية أثر فاعلموا الملك قيس بذلك فصعب عليه غياب عنتر لانه لما سار ما أعلم أحدا بما عزم عليه من الاخطار
وذلك المعاش والمكسب من سائر الاقطار وبني عبس ما أقاموا بعد مسير عنتر غير يومين وهم في غاية ما يكون
من الامان حتى كبستهم بنو نبهان من كل جانب ومكان وأوقعوا فيهم الضرب والطعان ﴿قال الراوي﴾
وأعجب ما وقع في هذا الديوان أن الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد كانوا في هذه الايام عند بني فزارة
الطائفة الغدارة لأجل ما بينهم من الصحبة القديمة وكان حصن في تلك الايام مستقيم في موضع أبيه فلما اقتل
حذيفة أبيه على جعفر الهباءة وكبر حصن فما كان له في بني عبس صديق الا الربيع بن زياد ولما كان في هذه الايام
صنع حصن وليمة ودعا فيها الربيع بن زياد واخوته لأجل المودة والاكرام ولاجل احقادهم على عنتر البطل
الكرار ومرادهم في قطع أثره من هذه الديار فارسل حصن الى الربيع بن زياد فلما وصل الرسول أعلمه بما
أتى فيه بعد أن سلم عليه فاجابه الربيع الى مراده ثم سار في جميع رفقته ومن يلوذ به من أكابر عشيرته وكانوا مائة
وخمسين فارس ولما قدموا على حصن فخرج الى لقائهم بابطاله القناعس ثم تلقاهم ودخل بهم الى الحلة
وأجلسهم في أطيب المجالس ونحر لهم وعقر لهم وأكرمهم غاية الاكرام وأحضر لهم بواطي المدام والخمور
ودارت الكاسات عليهم تدور وكان ذلك بحضرة مشايخ بني فزارة وكانت لهم ساعة عظيمة في ذلك الوقت جرى
بينهم ذكر عنتر وما كان أحد في هذه الوليمة يحبه ويوداد الا الجميع له أعداء وحساد فلما ذكر عنتر بينهم قال
لهم الربيع بن زياد أما أنا وحق ذمة العرب ومنى والحطيم ان في قلبي حسرة من ذلك العبد الزنيم ولو وجدت
الى قتله من سبيل لكنت أشفيت ما بقلبي من الغليل لاني قد أبغضته بغضة شديدة وأبغضت من أجله الملك
قيس صهري لأجل ميله معه فلما سمع ذلك حصن من الربيع كلامه تذكر في ذلك الوقت ما صنع بأبيه وأعمامه
وقتلهم على جعفر الهباءة وكان حصن بوقتها حاضرا مع أبيه في وقت الوفاة فقال يا ربيع ان في قلبك لعنتر بغضة
وتبغض ما هو فيه فكيف حال من لا ينام الليل من أجل قتل أبيه والذي بقلبي يكفيه ولكن أبشر يا ربيع فانا أبشرك
ببشارة فقال له الربيع واخوته ما هذه البشارة أبديها لنا يا فارس قبيلته وسيد عشيرته فقال لهم حصن اعلموا
يا أصحاب الحسب والنسب انه قد أتاني بالامس ثلاث رجال من شياطين العرب وهم مثل الابالس وأخبروني بان
الاسد الرهيص قد سار الى قتال عنتر في سبعة آلاف فارس وأنا أعلم انه في هذه الكرة يقلع آثاره وآثار بني عبس
وينقطع دابرهم الى مطلع الشمس فان أردت أن تشفي فؤادك وفؤادنا قم بنا في غداة غد نركب في أكابر فرساننا
ورجالنا ونسير الى عند الاسد الرهيص ونشكو اليه حالنا واذا اتفقنا معه ورأينا ما هو فيه من أمره سرنا معه
ونكون من جملة عساكره ونتركه في هذه النوبة قتيل ونسبي عبلة ونشفي منه الغليل فقال له الربيع والله
يا حصن لقد أصبت في هذه العبارة وأنا الآخر أبشرك ببشارة فقال حصن وما هي تلك البشارة فقال الربيع

اعلم يا حصن ان عنتر اليوم ما هو حاضر في بني عبس الا انه سار الى أرض اليمن ونحن اذا أشرفنا على الحلة أنزلنا
بمن فيها المصائب والمحن واذا وقع بنا الصائح نحضر رجالنا ونأمر رجالنا أن يشيلوا في الهودج حريمنا وعيالنا
ويطلبوا بهم أرضكم وبعد ذلك ننزل ببني عبس الرزية ونقطع أصولهم بالكلية واذا فعلنا بهم ذلك ما تبقى
العرب منهم بقية واذا عاد عنتر من سفرته دبرنا أيضا على هلاكه واتلاف مهجته فقال حصن هذا هو الرأي
الذي فيه الصلاح وهو أمر سديد وعاقبته نجاح ثم انهم أقاموا حتى أصبح الله بالصباح وركبوا في مائتين
فارس فزارية وساروا على هذه النية وما زالوا سائرين حتى خرجوا من مياه بني عدنان ووصلوا الى أرض
بني قحطان واذا بعساكر الاسد الرهيص قد طلعت وأسنة رماحهم قد لمعت والبيض شعشعت والدنيا قد
أظلمت والاسنة كالنجوم اذا أشرفت والارض قد تزلزلت والرجال كالسباع من فوق الجرد القداح
قد هدرت والربيع بن زياد وحصن بن اللثام قد سبقوا وسلموا على وزر وعرفوه بانفسهم من بين العشائر وقد
أعلموه انهم يكونوا من بعض أجناده ويعاونوه على بلوغ مراده ففرح الاسد الرهيص بقولهم واستقبلهم
أحسن استقبال ووعدهم ببلوغ الآمال وترجل هو وكامل الرجال عن خيولهم وذلك اجلالا لهم وأخذ
يسألهم عن حالهم فقال له حصن لعلك يا سيدي قد سمعت بما جرى علينا من بني عبس وكيف قتلوا أبي وأعمامي
على جفر الهباءة وكيف ألبسنا عنتر العار وتركنا مثلا عند العرب في سائر الاقطار ومع ذلك وأنا صابر على سائر
الضرورة لان يدي كانت عن أخذ الثار قصيرة فلما سمعت بمسيرك في هذا العسكر الجرار الذي كانه البحر الزخار
أقبلنا لاجل أن نتعاون نحن واياك على قتل عنتر بن شداد عسى أن نبلغ المراد لما رأيت من شدة عزمك
وها أنا قد سرت اليك أرجو أخذ الثار على يديك وأعلمك أيضا ان الحي خال من الرجال وعنتر غائب
في سفرته بفرسانه والابطال وما في الحي من يصد ولا يرد وها معي مائتا فارس أمجاد ومعي أيضا الامير
الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد لعله يحضر قتل عنتر ويشرب من دمه وانهب أنت الاموال كما نهب
أموال الملوك العوال وأسبي عبلة زوجته واذا رجع من سفرته وبادر الينا بقومه يطلب خلاص زوجته
وقد دبرنا كلنا على اتلاف مهجته فلما سمع الاسد الرهيص من حصن ذلك الكلام فرح وطاب قلبه وأيقن
ببلوغ المرام وبأخذ الثار وكشف العار ثم انه سار على ظهر جواده الى أن قارب أرض الشربة والعلم السعدي
فالتفت ذلك الوقت الى المنهال وقال له خذ أنت معك ألفي فارس من هؤلاء الابطال وسر الى نحو الاموال
وسق منها ما قدرت عليه من النوق والجمال واذا رأيت الصياح من خلفك قد أتى والفرسان الى نحوك تبادرت
سلم المال الى جماعة من قومك وارجع أنت في بقية الجيش وقف بوجوههم وقاتلهم الى أن أقبل أنا من
خلف ظهورهم وأملك البيوت والاطلال وأسبي نساءهم والاطفال وأبذل السيف في العبيد والاماء
واترك ديارهم خراب يأوي فيها البوم والغراب فلما سمع المنهال من الاسد الرهيص ذلك الكلام استصوب
رأيه وأجابه الى مقاله ثم انه أخذ معه نصف الجيش وسار طالبا أموال بني عبس وكان ذلك عند طلوع الشمس
وسار معه حصن والمنهال وهم قاصدون الى المراعي والاموال كما أمرهم الاسد الرهيص الفارس الرئبال وهو
في ألفي فارس أسود عوابس وبعض الخيل أكمنت في بعض الوديان وسار معهم الربيع بن زياد وكذلك
أخوه عمارة القواد ثم ان المنهال شن الغارة على الاموال وساق كل في المراعي من النوق العشار والابكار
فكانت ستة آلاف ناقة غير رعاتها وأولادها وقد وقع الصائح وارتفعت الصيحات فسأل الملك قيس عن ذلك
الحال فقال له يا ملك قد هجمت على المراعي خيل أكثر من مائتي فارس أبطال وقد ساقت العبيد والاموال
وأخذت الرعاة والجمال فلما سمع الملك قيس بذلك الشان قام وهو مندهش حيران وقال يا ويلكم أما
عرفتم من هم هؤلاء العربان فقالوا له بلى يا ملك الزمان سمعناهم ينادون يا آل قحطان ويقدمهم البطل
الجحجاح وليث الحرب والكفاح المنهال بن ناقد بن الجلاح وقد ساق أكثر من ستة آلاف ناقة وجمل
وهو في جيش قد سد السهل والجبل فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام اندهل ونادى الخيل يا بني عبس الكرام
ثم لبس درعا من الزرد ماله في هذا الزمان مقايس وركب على ظهر جواده داحس وتقلد بسيفه ذي النون

وسار بعدما ضاقت عليه الامور و ركبت اركوبه اخوته وفرسان قومه وعشيرته بعدما غاصوا فى الحديد
والزرد النضيد ونفرت خلفه بنو عبس نفورا القطا واستوى عندهم الصواب والخطا وساقوا خيلهم حتى
قاربوا من الاعداء وقد لحقهم الغلمان والعبيد والرعيان وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان و رماحهم فى
أيديهم مشهورة وخيلهم تركض كأنها القسورة ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى المنهال الى فرسان بنى عبس قد
حملت وشجعانها أقبلت سلم الاموال التى ساقها الى رجل من بنى عمه يقال له قضاعة بن فياض وكان فى الحرب
بحر الايخاض وقد ضم اليه مائة فارس أسود عوابس وقال له امض بهذه الاموال الى الموضع الذى كنا
فيه البارحة فاخذهم وسار هذا والمنهال قد عطف على الخيل واستقبل بنى عبس برجال مثل السيل وعلى
أجسادهم الدروع المانعة وفى أيديهم الصوارم القاطعة وقد تواصلت عند ذلك الفرسان واختلط الجعان
وعلا الصياح وكلت السيوف والرماح وكثرت فى الابدان الجراح وسارت بنو عبس وهى تنادى لابراح
وانباعت الانفس بيع السماح ﴿قال الراوى﴾ فبينماهم فى ذلك الامر العظيم واذا بالاسد الرهيص قد
كبس الحى على الحريم وهجم عليهم من الشمال واليمين وقد أذاقوا بنى عبس العذاب الاليم وسبوا النسوان
وملكوا الاطفال والاولاد والبنات وارتفع الضجيج من كل جانب ومكان وانعقد الغبار الى العنان وذل
العزيز فيها وهان وارتفع صياح النسوان فالتفت الملك قيس الى وراه وهو حيران فرأى بين البيوت
سيوفا تبرق ولمعان أسنة رماحهم تشرق والنسوان يمانعون عن أنفسهم ذلك العدو والمفتون هذا والاسد
الرهيص بين الابيات شبه المجنون وقد قلع هو ورجاله الحى بما فيه وسلم السبى الى ماتى فارس من قومه
وأمرهم ان يسوقوهم الى المنزل الذى كانوا فيه هذا وقد نهض الربيع على خلاص حريمه وحريم اخوته من المنهال
فلم يقدر على ذلك الحال لان الاخ ما بقى يعقل على أخيه ولا الولد يلتفت الى أبيه هذا وبنو عبس قد أتاها البلاء
من بين أيديها ومن خلفها وقد انطبقت عليها العساكر وأورثتها حتفها والاسد الرهيص قد هاج بين البيوت
وهو دائر كأنه الاسد الكاسر وهو يقول أنا اوزر بن جابر ومامن بنى عبس الامن تحير وحلت به الفكر وعلموا
أنهم قد بلوا بالاسد الرهيص فى غيبة حاميتهم عنتر وما بقى لهم من الموت مخلص ولا مفر فعند ذلك صبروا للقتال
وصبروا وما قصروا وقد انفرد من اخوة الملك قيس ثلاثة فى فرقة من بنى عبس للاسد الرهيص وحمل الملك
قيس فى باقى الفرسان لقتال المنهال وقد اشتدت الاهوال وعظم النزل وانهرق الدم وسال وانطرحت
الرجال باجسادها على الرمال فاستقبل وزر جندلة أخا الملك وحمل عليه وصرخ فى وجهه فارتعد منه
وتخبل من تلك الصرخة واندهش فعند هادنا منه وزر ومد يده اليه ومسكه من أطواقه وجذبه وزعق عليه
أخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه الى عبده وطلب الملك قيس خلاصه من يده فلم يقدر على ذلك وكاد
أن يورثه المهالك وما زالوا كذلك حتى قتل من بنى عبس ثلثمائة من الابطال الشداد وأسر منهم جماعة
من السادات الامجاد وطلبت اخوة الملك قيس الهرب وقد افتضحوا بين سادات العرب وسبيت حريمهم
والعيال ونهبت أموالهم والاطلال وبقوا يسمعوا على بعد صياح النسوان ومالهم سبيل على خلاصهم
من الهوان وعبلة سبيت وأمها قد ملكت ومضار بهم قد نهبت فالتفتت عبلة يمينا وشمالا فرأت بنى
عبس كلها طلبت الروابى والتلال فنادت وافضيحتاه واسبياه وابن عماه وأين عينك يا عنتر ترانى وأنا
مسبية مهتوكة وفى أيدى الاعداء مسوكة فلما سمع المنهال منها نداها أقبل نحوها لما رآها وقد انذهل من
حسنها وجمالها وبهاها و رق قلبه لبكاها والتفت الى واحد من بنى عمه وقال له يا ويلكم من تكون هذه
الجارية ومن هو ابن عمها التى تنادى عليه وهى من أجله حائره فقالوا له أيها الفارس الجواد اعلم ان هذه
عبلة ابنة مالك بن قراد وابن عمها عنتر بن شداد فلما سمع منه ذلك المقال التفت اليها وقد رأى حزنها والتهابها
وقال أنا أحق بها وأولى لان ثارى عند عنتر وهو الذى قتل أبى من قديم وسبى زوجته أميمة وقد ربيت أنا يتيم
ثم انه التفت الى عبلة وقال لها يا ابنة اللئيم الذى زوج ابنته بعبد لئيم صاحب الوجه الاسود الزنيم ولكن
سوف أذيقه العذاب الاليم فلما سمعت عبلة كلامه قالت له يا اوغد قومه والئم عشيرته لو كان ذلك العبد حاضرا

فى الحى عندنا القصرت يدك عن الهجوم علينا فلما سمع المنهال ذلك الكلام داخله الغيظ والاغتمام وقال
لها سوف أذيقك الذل والهوان وأتركك بعده تقاسى البلاء والحرمان ﴿قال الراوى﴾ هذا وقد نظر
الربيع الى حريمه وحريم اخوته الجميع مشدودين على الجمال وقد أحاط بهم البلاء والاذلال فعند ذلك تقدم
الى قدام وقد تحير من هذه الاسباب والتفت الى حصن المرتاب وقال له أيها السيد اعلم أن هذا ما كان لنا
فى حساب ولا قلت انه يجرى علينا هذا المصاب فلما سمع حصن من الربيع ذلك الكلام لام نفسه
وزادت به الهموم والآلام وقال والله لو فعل أحد غيرنا هذه الفعال لكنت ألومه على هذه الاعمال ولو أعلمت
بنى عبس باننا كنا مع الاعداء فما كان يبقى منا عنتر لا صغير ولا كبير والصواب اننا نستدرك ما فعلنا من هذه
الوقاحة ونصير الى القوم ونصبر الى أن ينزلوا الطلب الراحة ونطالبهم بقسمة الاموال واذا وقعت القسمة بين الرجال
نقول لهم أعطونا حريمنا والعيال ثم نأخذ حريمنا وحريم من قدرنا عليه من بنى عبس ونعبر بهم أنا وأنت يا ربيع
ونسلمهم للملك قيس الجميع وندبر على قدر ما نرى من الخطاب فقال له الربيع المرتاب هذا هو الصواب
والامر الذى لا يعاب ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وما دبروه من الهذيان وأما ما كان من
الاسد الرهيص فانه التفت الى المنهال وقال له اعلم اننا قد قدمنا على أمر عظيم وخطب جسيم وعنتر بن شداد
ما يضيع له ثار وقيس بن زهير أيضا ملك جليل المقدار ولا بد له أن يجمع العرب من سائر الاقطار ولا يترك
انا هدوا ولا قرار وهذا حصن والربيع فهم أولاد عم القوم ولا نعلم ما فى قلوبهم من العتب واللوم ولا نأمن
لهم من المكر والغدر اذا رجعوا يغدرونا بالخديعة والشر ومثل ما فعلنا معهم يفعلوا معنا وقد فعلنا شئ ونريد
أن نتمه والرأى عندى اننا اذا نزلنا ونزل هؤلاء الاثنين معنا فذلك الوقت أقول لكم اقسموا الاموال ولا تدعوا
لاحد علينا ملام وأعطوا الربيع وحصن حقوقهما حتى يمضيان مصطحبان بالسلامه فقال أنت لا والله
ياوزر ما أفعل هذه الفعال ولا نعطى من هذه الاموال ولا عقال ولا يبقى علينا لحن المطالبه من الفرسان
والابطال ولاى شئ ندفع لهؤلاء غنيمة قد كسبناها بقوائم سيوفنا وهم أيضا من جملة أعدائنا فعند ذلك آمر
بالقبض عليهما فى عاجل الحال هما ومن معهما من الرجال الذين من بنى فزارة الانذال لانى قد دبرت هذا
التدبير بمعرفتى لعلمى ان هذا الرأى انا به ربح بغير خسارة ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع المنهال كلامه قال
له ياوزر اعلم انى كنت عازم على أمر وأريد الأن أن أفعله فان أنت رأيت فيه الصواب فلا تمهله والربيع
وحصن بن حذيفه ومن معهم من الرجال أصحاب العقول الخسيفة فانهم ما فعلوا هذا الامر ودبروا هذا التدبير
مع قومهم الامن حسدهم لبعضهم وما فى قلوبهم من الزفير وأى شئ الفائدة فى الصبر عنهما الى وقت قسمة
الاموال وفى الساعه ما يكون أحسن من القبض عليهما وعلى من معهما من الرجال ونرجع بعساكرنا
والابطال ونشهر بايدينا السلاح ونطلب أرض بنى فزارة وتلك البطاح ونهجم عليهم عند الصباح
ونصنع بهم كما صنعنا ببنى عبس الفرسان الاوقاح حتى تكون المطالبة واحده وأيدينا على الاعداء مساعده
واعلم انه متى جاءنا عنتر البطل الكرار وقامت بنو عبس مطالبة باخذ الثار تأتى اليهم بنو فزارة
وتساعدهم فاذا قطعنا آثارهم ضاعت عليهم مطالبتهم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الاسد الرهيص من
المنهال ذلك الكلام استصوب رأيه وعلم ان هذا رأى تمام وقال وحق الملك العلام لقد كنت أنت أهدى
منى الى الصواب وأتيت بامر لا يعاب والآن فاجعل القبض عليهما الامنى ثم انهم أقاموا الى أن
أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وتأهبوا للرحيل والرواح هنالك أوقف المنهال فى ذلك
المكان مائة فارس من بنى نبهان وأعلمهم بما عول عليه من ذلك الشان هذا والربيع وحصن
ومن معه من الفرسان مجدين فى عرض البر والصحصحان وهما يتحادثان فى أمر خلاص العيال
والنسوان فبادر لكل واحد منهما فارس من بنى نبهان وكان أول من زعق فيهما وكان على قبضهما حريص
كان الاسد الرهيص وطعن الربيع بن زياد بعقب الرمح أرداه وعن جواده كركبه وأمر عبده نجم أن يشده
كتاف وأيقن الربيع بالتلاف ثم ان الاسد الرهيص زعق فى عاجل الحال على حصن وأخذه أسير وأما

أصحابه فما منهم من مانع عن نفسه ولا دافع لان الجمع عليهم كثير والعدد وافر غزير لان الاسد الرهيص يريد لرأسه ألف انسان من الرجال الشجعان ثم انهم شدوا الجميع بالحبال وقد نادى بهم منادي الحبال وأتى بهم الاسد الرهيص الى بين يدي المنهال فأمر أن يضيفهم مع تلك الاسارى والرجال والسبي الذي قدامهم من النساء والاطفال فعندها التفت الاسد الرهيص الى المنهال وقال له أيها السيد المفضال ما الذي تشير به علينا من الفعال فقال له تحمل مع السبي والاموال أربعمائة فارس من الابطال وتسيرهم قدامنا الى الديار وتسير بنا نحن بباقي الجيش فيمن معنا من الابطال ونقلع آثار بني فزارة واذا فعلنا نحن هذه الفعلة نكون قطعنا ذنب الحية الباقية فعند ذلك استصوب وزر رأيه ومشورته ونهض في ساعة الحال وعزل الاموال والغنائم من وقته وساعته وفي عاجل الحال قدم عليهم مقدم من تلك الابطال الذي يسمعون مقاله واسمه قضاعة وهو من الابطال المذكورة يعد بألف فارس من فرسان الجاهلية المشهورة وهو معروف بين العرب والعساكر ويسمى بالعقاب الكاسر فاضاف اليه ثلثمائة فارس من كل ليث ممارس وقال له يا ابن العم سر واحفظ ما معك من السبي والاموال وجميع الرجال في كل وقت وحين افتقدهم وقو رباطهم بالحبال وتقدم بين أيدينا بهذا السبي والاموال وسر على مهل حتى اننا نلحقك بعد بلوغ الامل واعلم ان اجتماعنا على مياه بني هلال نلحقك فسر وخليك على يقظة من أمرك فقال له السمع والطاعة سر يا سيدي وأنت قوي القلب على هؤلاء الجماعة ثم انهم لما فرغوا من هذا الحديث والمقال أخذ قضاعة ابن ظالم السبي والاموال وقد سار وفرق من حولهم العبيد والابطال ودارت بهم الاربعمائة فارس في عاجل الحال ولما فرغ المنهال والاسد الرهيص من هذه الاشغال أخذوا ما تبقى معهم من العساكر وساروا طالبين أرض بني فزارة وقد تبعوا أثرهم حتى انهم وصلوا اليهم وهجموا عليهم في أرضهم وديارهم وهم كما ذكرنا عازمون على قلع آثارهم وخراب ديارهم فكبسوا عليهم الحال وانطبقوا عليهم من أربع جهات الحلة وكان ذلك في ليلة مظلمة فما تعالى النهار حتى نهبوا الاموال وأسروا الرجال والنساء والعيال وكل من مانع سقوه كأس الوبال هذا وقد قاموا الحلة عضاربها بعدما أحاطوا بها من ورائها ومن قدامها وساقوا النساء وربطوا الرجال وسبوا الحريم ونهبوا الاموال وتركوا أرضهم بلقع خراب وطلبوا البر والهضاب بعدما فعلوا في حقهم من السبي والفضيحة ما يكاد يوصف ولا تركوا لهم رسم يعرف وقد رحلوا من وقتهم وساعتهم والسبايا من النساء والرجال بين أيديهم وهم سائرون والى ما سباه من بني عبس طالبين الى أن وصلوا اليهم وقد طابت منهم بما فعلوا النفس ولما وصلوا الى أصحابهم خلطوا السبي على السبي فعند ذلك مدت عبلة عينها فرأت الربيع بن زياد وهو مشدود مع جملة السبي وأكتافه موثوقة شداد وكذلك أخيه عمارة القواد وحصن بن حذيفة ومن معه من بني فزارة الاوغاد ﴿قال الراوي﴾ فقالت له يا ربيع نحن قد أتانا خبركم انكم مع القوم ترافقتم والله يا ربيع كلما نحن فيه من بلاك عجل الله لك الهلاك لانك يا قرنان ما وقعت أنت الا بما قدمت يداك فقال الربيع لا والله يا بنت العم ما عندي مما تقوليه خبر وحياة حامي ذمارنا عنتر وما كنا الا في الوليمة نشرب الخمر فما ندري الا والخيل حطت علينا وكبستنا من البر فركبنا وقاتلنا حتى عدمنا الجلد وكثر علينا العدد وزاد المدد وقد أخذونا بعد ذلك أسارى وما ندري ما تم على بني فزارة ولو كانت هذه النوبة من فعلي ما كنت على هذه الحالة مربط أنا واخوتي وحريمنا في هذا السبي كما ترى والساعة يا ابنة العم فما بقي لنا من هذا الضيق الذي نحن فيه فرج الا أن أتانا الفارس الابلج وبطلنا المتوج ﴿قال الراوي﴾ فلما سمعت عبلة بذكر ابن عمها عنتر تحسرت من شوقها اليه وعلمت أن ما لها خلاص الا ان كان على يديه وبعد ذلك أشرفت نساء بني فزارة وسبيها وأموالها وخالط الاسد الرهيص نساءها ورجالها بسبي بني عبس فملأوا الارض طولا وعرض وساروا طالبين الديار ولم يأخذهم هدو ولا قرار ﴿قال الراوي﴾ هذا والمنهال قد اشتد به الغرام الى عبلة وزاد به الهيام وعلى عليه السقام فشكا حاله الى ابن عم له يقال له واقد بن فياض وقال له يا ابن العم أنا ما وجدت لكشف سري غيرك وأريدك تصنع معي

ما أشكرك عليه وأنت اذا فعلت معي ما أقول لك عليه نجيتني من الهلاك ثم انه شرح له قصته وأعلمه انه قد زاد به الشوق الى عبلة فقال له طب نفسا وقر عينا واعلم اننا اذا وصلنا الى الحلل أخذناها من وزر من غير مهل ونزوجك بها طائعة أو كارهة فقال له المنهال يا ابن العم أنت اخطبها الي من نفسها وأعرض الامر عليها فان أنعمت اليك بقضاء الحاجات أحسنت اليها ونقلتها الى بعض الهوادج لان قلبي يتقطع عليها كلما رأيتها على هذه الحالة وقلبي قد رحمها وشفق عليها ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك ساق واقد بن فياض جواده وسار الى ان وصل الى عبلة وكانت في وسط الظعن فلما ان حاذاها أقبل عليها وقال لها يا ابنة السادات الاوقاح اعلمي اني قد أتيتك في أمر لك فيه الصلاح فقالت له وما هو أيها البطل الجحجاح فقال لها ان هذا الامير الملك المنهال بن ناقد بن الجلاح من وقت ما رآك هام بك وبجمالك قد باح وما يدري ما يكون عمله معك لانه ما يريد أن يأخذك مسبية وانما يريد أن يأخذك بعقد النكاح بسنة أهل الصلاح وهو أحب اليك من ذلك العبد الاسود الادهم راعي الجمال والغنم ﴿قال الراوي﴾ فلما سمعت عبلة ذلك المقال أطرقت رأسها وفي نفسها تفكرت وكانت ذات عقل وافر من دون النسوان وقد جرت عليها تصاريف الزمان وعاركتها نوائب الحدثان وقاست من نوائب الدهر عجائب ألوان فرفعت رأسها اليه لترد الجواب عليه وقالت له أيها السيد الامجد انني ما أشتهي ان أنظر لذلك العبد الاسود وان أبي ما زوجني به الا غصبا عني ولا كان ذلك بارادتي وكنت أطلب وصوله الي لعلمي انه كان فارسا لا يطاق وعلقما مر المذاق ولكن اذا كان الامر كذلك وقد جاءني من ينقذني من المهالك ويريحني من هذا العبد الاسود الفاتك فهو أخير منه وحق مالك الممالك ولكن على شرط يتركني حتى نصل الى الديار ويقر بي القرار وينفذ الى أبي ويخطبني منه على رؤوس الاشهاد وبعد ما يرسل يخطبني وبه أبي يزوجني يضمن لنا قتل ذلك العبد الاسود ومنه يريحني من الذي بكل وقت اسبي يحوجني وبعد ذلك نرحل باهلنا كلنا اليه ويكون معولنا عليه ولا نعود نبرح من أرضه ولا من بين يديه وهذه يدي اليك على هذا الحال وما ذكرته لك من المقال ﴿قال الراوي﴾ ثم انها أعطته يدها وهي لا تصدق انه يرضى بهذه الاقوال فطاب قلبه لما سمع منها هذا المقال بقضاء حاجته ورجع الى المنهال في عاجل الحال وهو فرحان ببلوغ ارادته ولما وصل اليه أعلمه بما جرى له مع عبلة وما اتفق عليه من ذلك المقال فقال وحق البيت الحرام والركن والمقام لا دخلت عليها ولا وصلت اليها حتى أضع رأس ذلك العبد الاسود في حجرها ويطمئن بقتلته قلبها وأسكن روعها وأزيل رعبها ثم انهم ساروا حتى لحقوا باهلها وسائر الفرسان فرأوا ما وصل اليهم من تلك الغنائم وكان المنهال قد أحسن الى عبلة غاية الاحسان وسار يدور من حواليها فهذا ما كان من بني نبهان ﴿قال الراوي﴾ وأما ما كان من بني عبس وعدنان الذين انهزموا من أطلالهم والاوطان فانهم لما رحل الاعداء من أرضهم عادوا الى اطلالهم وما فيهم من يملك غير فرسه التي تحته وما وجدوا في الديار آثار بيت قديم أو أساس عديم ولا وجدوا مضرب يأووا اليه وكذلك الملك قيس ما وجدوا له مضرب يلتجئ اليه وقد فقد جميع أهله وأقاربه وافتقد اخوته فوجدهم قد فقد منهم ثلاثة وقد نهبت أموالهم وخربت ديارهم وحلت بهم الشماتة فجعلوا يبكون على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وعلى هذه المصيبة والبلية التي أصابت عساكرهم وأجنادهم وهم مذكورون بين العرب بفرسان المنايا والموت الزؤام ﴿قال الراوي﴾ فبينما هم كذلك وما حل بهم من الخسارة واذ قد أشرفت عليهم المنهزمون من بني فزارة وأكثرهم مجرحين وقد زادت بهم الحرارة وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور ثم ان الملك قيس جمع العرب حوله والاقران ومن بقي من الفرسان وقد عولوا على مكاتبة بني غطفان وكذلك بني مرة وبني ذبيان والملك قيس يتحسر على هذا الفعل المنكر وينظر في عبس وأهل ويتفكر في أمر عنتر وغيابه عنهم في مثل ذلك الامر فهذا ما جرى لهم من الامر النفيس وأما ما كان من الاسد الرهيص فانه لما سار طالبا دياره وقد ظن انه أخذ ثاره وكشف عاره فجعل يوبخ بني عبس ويكثر توبيخهم وهو ينشد ويقول

لحا الله عمرا يا حامي القوم عبدهم * وتخدمه في كل جانحة أمرا
يسود عليهم راعيا من رعاتهم * وسيدهم ينقاد في أمره صغرا
فكاثر بني عبس ان أردت تكاثرا * ولا تبق من عبس وقارا ولا نصرا
ولا تدع عبس القراع فانها * اذا دعيت اتبعت البلد القفرا
يروعك من عبس غلاظ جروبها * وتزهد فيها حين تداينها خبرا
فهاشربت عبس بكاس منية * عشية قد أضحت بذاتهم قهرا

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ الأسد الرهيص من أشعاره سار طالبا دياره الى أن وصل وفيها نزل وقر قراره وهو فرحان بما فعل من ذلك الشان هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه لما أخذ رجاله ومازن أخيه وعروة بن الورد وسائر أجناده وكانوا خمسمائة فارس أعيان ولما جازوا أرض بني عدنان قال عنتر لأخيه شيبوب نحن في أي النواحي يا أبا رياح فقال له نحن بالقرب من بلاد اليمن ولكن مرادي أنزل بكم على أرض كثيرة المال والارباح فقال عنتر هذا هو الرأي السداد ثم انهم جدوا في قطع البر والمهاد الى ان وصلوا الى حلة في آخر بلاد اليمن وهي من حلل بني حمير وملكها يقال له الملك وهب بن موهوب الحميري وهو ملك عظيم وجبار جسيم تهابه العرب الاكارم وتلقبه الفرسان بفلاق الجماجم وهو من جملة التبابعة والملوك أصحاب التيجان وحوله عشرة آلاف فارس من بني حمير وكهلان وبني الطماح وبني عسقلان ويتبعها مثلها عبيد وغلمان واذا ركب هو بنفسه الى الميدان يردف رأسه ألف فارس من جبابرة الشجعان ومع ذلك الوصف كان عظيم السطوة والتجبر شديد القوة عالي الهمة وكانت تنعقد على رأسه الرايات والبنود والامرا وكان هو وقومه منعكفين على عبادة كوكب في مدينتهم يقال له الشعرا وكان هذا الملك ابن عم سبيع بن الحارث الملقب بذي الخمار ﴿قال الراوى﴾ ولما وصل عنتر الى ديارهم وتلك الآثار قال لعروة بن الورد يا ابن العم هذه الارض بعيدة ومسالك طرقها صعبة شديدة وهذا الملك الذي دخلنا دياره أظنه ملك جبار وليث مغوار وربما يكون خلفه عسكر جرار ونحن في قلة من الرجال الانجاب فما الذي عندك من الرأي الصائب واعلم اني ما قلت لكم هذا الكلام فزعا من الموت ولا خوفا من الفوت الا حتى تكونوا على أهبة من أمركم فاني أريد الهجوم على اقليمه وآخذ أمواله وأسبي حريمه ولوانه في عسكر وجنود بعدد قوم عاد وثمود فقال شيبوب اعلم يا ابن الام باني أخبر منكم بهذه الارض والبلاد وهي أرض كثيرة العساكر والاجناد وأنا أعرف منك ان لو كان خلف ظهرك ألف فارس أجواد كنت ألقيت نفسك على ما تراه هينك من العباد وأنت ما معك غير خمسمائة فارس من الفرسان والرأي عندي شيء غير هذا البيان فقال عنتر ماهو يا أبا رياح أخبرنا باقوالك الصحاح فقال شيبوب الرأي عندنا اننا نتخذ لنا موضعا من بعض المواضع الحصينة ونحتمي به ونقيم بالبعد عن ديارهم ونشن عليهم الغارات ونقطع عليهم الطرقات ونقيم الحرب والعويل ونخرب البلاد وننهب أموال العباد حتى تملك أيدينا من أموالهم ما نرجع به فرحين الى بلادنا وقد نلنا غرضنا ومرادنا وان علم بنا ملك هذه البلاد وأرسل لنا عسكرا كسرناه وأخذنا سلبه ونهبناه وهذا الرأي أحسن لنا من دخولنا اليهم وهجومنا عليهم فاننا اذا فعلنا تلك الفعال أمنا على أنفسنا وعلى أصحابنا من القتل والوبال لاننا اذا قتل أحد من رجالنا كان يسوى آل قحطان وما عندهم من الملوك والفرسان فاستصوبوا الجماعة رأي شيبوب ثم انهم ساروا وقد أكمن بهم عنتر في بعض الاماكن التي انتخبها لهم شيبوب وقعد لهم ديدبان على فم الوادي وهو خائف عليهم أن يقع بهم أحد من الاعادي وسار يأخذ لهم أخبار القوافل التي ترد عليهم من القرى والبلدان وسار عنتر كل حين يخرج بهم ويقطع الطريق ويعدم عرب اليمن السعادة والتوفيق حتى ضجت منه أهل تلك الاقاليم وأنزل عليهم البلاء العظيم وقد فزع من هيبته أهل السواد وتلك الارض والمهاد وتفرقت الخلائق من تلك البلاد وكثرت الشكاوى الى الملك وهب بن موهوب من هذه الايام التي جرت وتلك الحروب الفاسدات في محل مملكته وقطع الطرقات

فعند ذلك اغتاظ الملك وهب وزادت به الهموم والكرب فلما علم بهذه الامور التي جرت على بلاده وأوجعت شكوى عساكره وأجناده فعند ذلك دعا بوزيره اليه فلما حضر أعاد هذه الامور التي جرت عليه وقال له أيها الوزير أما علمت المحنة التي أصابتنا وتلك الرزية التي طرقتنا في أرضنا وبلادنا أما علمت من هو الذي تجاسر على الفعال وقطع علينا الطرقات وقتل المسافرين وأصحاب التجارات فقال له الوزير أيها الملك وحق النجم اذا ظهر اني ما علمت بهذا الخبر ولكن قد وصل الي طرف من الخبر وأخبرني من أثق به ان الذي تجاسر علينا عبد أسود من بني عبس يسمى بعنتر الذي علق قصيدته على البيت الحرام وبقيت مع جملة القصائد التي للشعراء أرباب الافهام وقد قهر من أجلها أبطال الأنام وأسر كل فارس همام وبطل ضرغام فهو الذي أخذ الاموال وقطع الطرقات ونهب حلال العربان القادات وأبطال الرجال ﴿قال الراوى﴾ فقال له الملك في كم يكون هذا الرجل من العساكر والابطال الذي تنقاد تحت حكمه من الجنود والرجال فقال الوزير أيها الملك المفضال قد سمعت من الرجال انه في خمسمائة فارس أبطال مائتين منهم يقاتل بها من يلحقه من الابطال وثلثمائة فارس يتأخروا خلفه تحمي ما ينهبه من الاموال ولكن قيل ان الخمسمائة كل واحد منهم يحمل على ألف شجاع ولا يخاف منهم ولا يرتاع وأنا أقول أيها الملك ان هذا الفارس عنتر لو حمل بالخمسمائة فارس على عشرين ألف بطل مقاتل وليث ممارس لكسرهم وأنزل بهم الذل والوساوس لانهم لو ما كانوا رجال كرام لما سمتهم العربان بفرسان المنايا والموت الزوام وذلك لاجل ما فيهم من الشجاعة والقوة والبراعة فقال الملك وهب وضحت عن هؤلاء الفرسان وعن أصلهم وفرعهم والوقوع في هذه الوساوس كل هذا فزعا من خمسمائة فارس فكانما هؤلاء الناس ماهم ناس فقال له الوزير أيها الملك لا تحتقر بهم ولا يأخذك توان عنهم لانهم أذلوا كسرى وقيصر المرار العديدة وملكوا بني الاصفر وقد سمعت أيضا عن هذا عنتر بانه قد أذل الملك يكسوم وأسر عساكره والاجناد وكانوا عدد النجوم وقتلوا الملك طود الاطواد وأفنى جيوشه والاجناد فقال الملك أيها الوزير فاذا كان الامر ينتهي الى هذا الحساب نعول من هذا الوقت على الذهاب ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى الوزير الى الملك وقد حقد وداخله الغضب صار يمسح أعطافه ويتلطف به حتى سكن غيظه وغضبه وقال له يا ملك أنا ما وصفت لك هذا الوصف الا حتى يثبت عندك ما هم عليه من المعرفة ولا تهمل أمرهم فيصل اليك شرهم فقال له الوزير دبر لنا في هذا الرأي كيف تشتهي وتريد وتحكم في العسكر حكم الموالي في العبيد حتى ننظر ما يكون من هؤلاء الفرسان فلعل ان ينفتح لك باب تستدل به على قتل هذا الشيطان المرتاب وترسل له من الفرسان من يرده عما يفعل في هذه البلاد ﴿قال الراوى﴾ فعندها نهض الوزير كما أمره الملك من تلك الساعة وأمر في الحال باحضار ألف فارس ليوث عوابس في الحديد غواطس وقدم عليهم فارسا شديد وقرم عنيد يقال له طارق بن غاسق وكان حامية بلاد بني حمير وابن عم الملك وهب بن موهوب وكان فارسا عبوس وليثا شرس وتلقبه العرب بخاطف النفوس وكان طوله سبعة أذرع بالهاشمي لا يبالي بالرجال ولا يخاف من لقاء الاهوال فعند ذلك قدمه الوزير على ألف فارس وكانوا أبطال صناديد وشجعان أماجيد وهم غائصون في الحديد والزرد النضيد لا يبان منهم غير تدوير الحدق ولما تكاملت الرجال والفرسان عرضهم على الملك وهب ففرح بتلك الاعمال وخلع على طارق خلعة من أخلع الغوالي ووعده بكل خير واحسان ان هو أتى بعنتر اليه منقاد أسير في حبال الذل والتحقير فعندها خرج طارق من عند الملك وهب وهو فرحان وأخذ معه الالف فارس وسار وهو يقطع البراري والقفار وهو سائر بعزم واجتهاد طالب المكان الذي فيه بنو عبس وعنتر بن شداد ﴿قال الراوى﴾ وكان عنتر أنزله شيبوب في مكان معشب بين جبلين عاليين وكان في تلك الارض التي نزلوا فيها عين ماء جارية وهي أرض خضرة مخضبة بالنبات وذلك الوادي منيع الجنبات ما يقدر يدخل اليه أحد ولا يسلكه أبيض ولا اسود ولا تهتدي الجن في مسالكه ولا تقدر الانس تمر على مهالكه لان مدخله ضيق حرج ومن داخله نزهة للاعيان وبقي عنتر مختليا في هذه الوديان وهو

يأكل ويشرب ويلذ ويطرب مع الاخوان ولا على باله هم من الزمان وقد طاب له ذلك المكان ونسى طوارق الحدثان ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم على ذلك الامر والشان واذا بالزعقة قد علت فى ذلك الوادى والمكان ورفع صياح الفرسان وضجات الاقران وفى عاجل الحال نزل شيبوب من على رأس الجبل ودخل على أخيه عنتر مثل لمح البصر وهو مسلوب الفؤاد مكروب وزعق على أخيه عنتر وأمره بالركوب وقال له اركب يا ابن الام فقد أتاك القوم فى عسكر جرار وهم فى ألف فارس كرار وسيوفهم فى أيديهم تلمع مثل وقيد النار فهيا قم يا ابن السوداء وخذ لنفسك الحذر فانت اليوم تكون على مقام الخطر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر من أخيه ذلك الكلام وثب كانه الاسد الضرغام وأمر من معه من الفرسان بالركوب فركبوا فى عاجل الحال ومحمد وميسرة وعروة وغصوب كانهم البلاء المصبوب وقد صاروا الجميع على ظهور الخيل واعتدوا برماحهم واعتقلوا بصوارهم وفى مقدمتهم حاميتهم عنتر وهو راكب على جواده الابجر معتقل برمحه الاسمر متقلد بسيفه الضامى الابتر ثم انهم تبادروا الى هذا الصياح وقوموا فى أيديهم عوامل الرماح وكل منهم أطلق لجواده العنان وخرجوا من الوادى كانهم فروخ الجان وأمر عنتر الى أخيه مازن بالتخلف فى جماعة من الفرسان ليحفظوا ما جمعوا من الاموال من تلك البلدان ﴿قال الراوى﴾ هذا وقد خرج عنتر فى ثلاثمائة فارس وهم مثل الاسود العوابس وركب على يمينه ولده غصوب الاسد القسور وعروة بن الورد الى جانبه الايسر وسار فى مقدمة القوم ولده ميسرة وهو مثل النار المسعرة وقد خرجوا الى ساحة الفضا هذا وطارق لما رآهم فى هذه الشرذمة اليسيرة أخذته البهتة والحيرة وقال لمن معه من الرجال ترى ان الملك ما يكافى الا بهذا الحال ويرسلنى الى قتال هؤلاء الانذال وقد ظن انه عليهم قد انتصر فهنالك حمل عليهم من شدة غيظه ولا التوى لما علم انه ما بقى يعيق الفريقين عن القتال عائق فعند ذلك تسارعت الفرسان والخلائق وتحققت الحقائق هذا والابطال تسارعت والفرسان تقدمت والغبائر قد ارتفعت والسيوف قد لمعت والصناديد قد رجفت والاصوات اختلفت والطيور الكواسر قد نزلت وسهام المنايا عليهم قد أرسلت هذا وطارق قد حمل كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو يقول يا مأخوذين يا مخذولين سوف تعودوا من هذه الارض نادمين فلقد سعت بكم أرجلكم الى دماركم وفراغ آجالكم وقطع أعماركم وتيتم أولادكم فلم يجيبوه بنو عبس بجواب ولم يردوا عليه خطاب بل انهم كبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا على الالف فارس كانهم الجن الابالس واستقبلوا بصدورهم تلك الخيل ومالوا عليهم كل الميل وقد اكتالوهم كيلا وأى كيل وانحطوا عليهم انحطاط السيل وانطبقت عليهم الالف فارس فى وسيع البر وعمل فيهم الصارم الذكر وفاض كاس الموت بينهم وزجر ولحق الجبان الكرب والضجر وصاح الشجاع وافتخر وأخذ الذليل فى الهرب ونادى المنادى على قصر الاعمار بقبض الأجل ﴿قال الراوى﴾ ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن أقبلت جيوش الظلام بالاغساق وقد بلوا بنى حمير بما لا يطاق الى أن انسدل الظلام وخفيت عن الجميع مواضع الاقدام فافترقوا الطائفتين من ضيق الخناق والزحام وقتل من الالف مائتا فارس أجواد وجرح من بنى عبس عشرة رجال أمجاد فاخرج عنتر عشرة رجال غيرهم من المستريحين وباتوا الطائفتين على ذلك الى الاصباح الى أن أصبح الله بالصباح فعند ذلك تواثبوا على ظهور الخيل الجرد القداح ونزلوا للحرب والكفاح وجردوا فى أيديهم عوامل الرماح ولم يزلوا فى قتال ونزال الى ان انتصف النهار وزهج البر واشتد عليهم صهيد الحر فعند ذلك افترقوا عن ضرب البتار وكانت بنى حمير مما قاست من الطعن والضرب عولت على الفرار لانه وقع فيهم الفناء والبوار وقد عولت تطلب الديار ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك زعق فيهم طارق الفارس القهار زعقة أرجف بها القلوب ودوت لها البرارى والقفار وقال لهم يا ويلكم ما الذى دهاكم وحل بكم من الدمار حتى انكم عن القتال تخليتم وركنتم الى حمل العار فقال له فارس من قومه يقال له بكار والله يا فارس البيدا لقد بلينا من هؤلاء القوم بالهلاك والردا وقاسينا نار البلاء من هذا الفارس الاسود الذى ما مثله فى هذه الديار يوجد لان طعناته ما لها رد وضربه للصدو زماله حل ولا عقد ﴿قال الراوى﴾

فلما سمع طارق كلام بكار خار ولحقه الانبهار وقال له يا ويلك أين فارسهم الاسود فقال له بكار اعلم أيها الامير ان الفارس الذى فى الميمنة هو ابن عنتر غصوب الذى أنزل بنا الكروب والبلاء المصبوب والذى على الشمال ولده ميسره وأما الذى فى القلب فهو عنتر النار المسعره وأما الذى وراءه وقدامه فهم رجاله وأقاربه وبنو أعمامه ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع طارق باقى هذا الكلام وعاين ما رأى من بنى عبس فى الطعان والصدام ما أجابه بجواب الا انه وثب وثبة الاسد المهاب وقال لمن حوله أمهلوا على قليل وابقوا خلفى فى تلك الآكام واعلموا انى أفديكم بروحى من هؤلاء القوم اللئام وأنا أبارز أبطالهم وأبيد أقيالهم فان نصرت عليهم وأوردتهم الوبال والتدمير فهو الفرض وهان الامر العسير وان نصروا على وأخذونى من بينكم أسير فدبروا بعد ذلك بما ترون من التدبير ثم انهم صبروا حتى برد الهواء واستمادوا بعد ذلك قفز بالجواد الى موقف الطعان والطراد ونادى باعلى صوته حتى سمعه جميع العباد وصاح وقال يا بنى عبس من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفا وها أنا أعرفكم بنفسى أنا المشهور بين أبناء جنسى أنا يقال لى طارق بن غاسق الاسد الوثوب أنا ابن عم الملك وهب بن موهوب وابن عمى سبيع بن الحارث الذى ما له فى هذا الزمان مقايس وهو الذى يصدق الحرب بسبعة آلاف فارس والآن قد طلبت منكم الانصاف وقد تركت الجور والاسراف فلا يبرز الى الا فارسكم عنتر العبد الزنيم حتى أعرفه وبال أمره وأرد كيده فى نحره ثم انه جال بجواده بين الصفين ولعب برمحه بين العسكرين ﴿قال الراوى﴾ فلم يتركه غصوب أن يتم كلامه حتى قفز اليه بالجواد وسار قدامه وفى يده سيفه مشهور بجنان أجرى من تيار البحور وكان عنتر أراد أن يبرز اليه فسبقه غصوب وحلف عليه وقال له يا أبتاه من يكون هذا الوغد اللئيم حتى يخرج اليه مثلك فى هذا اليوم الجسيم فوحق الرب القديم لا يبرز اليه الا ولدك غصوب وأفديك بروحى من جميع الكروب وفى عاجل الحال برز غصوب الى المجال وحمل على طارق كانه البلاء الطارق وناداه ابشر يا ابن اللئام بالحمام وأنت من تكون يا كلب يا لئيم حتى يبرز اليك حامية عبس الهمام الجسيم فها أنا ولده وقطعة من كبده وقد خرجت الى قتالك فلا بد ما أسقيك كاس وبالك ثم ان غصوب جال عليه وصال فعندها أشار اليه طارق يقول

يا ذا الذى يبغى الفساد سفاهة * ابشر بطعنة ذابل عسال
يا وغد عبس يا لئيم عشيرته * يا ابن العواهر من ذوى الارذال
اليوم تلقى كاس حتفك عاجلا * بمهند ماضى الضبا فصال
فادنو الى بطل يريك بكفه * ضربا يقد جماجم الابطال

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع غصوب كلامه وفهم شعره ونظامه قال له أى شئ هذا الكلام يا ابن اللئام الذى ما له معنى ولا افهام ولكن أنت من تكون من فرسان بنى حمير لان عمرى ما سمعت لك ذكرا يذكر فقال له طارق أنا الريح العاصف والبرق الخاطف المسمى بطارق الحميرى الاسد الوثوب ابن عم الملك موهوب وكذلك ابن عمى ذا الخمار مفرج الكروب ولا بد ما أجعلك فى هذه الساعة مقتول ومن طعنة رمحى مجدول فلما سمع غصوب هذا الكلام زعق فيه زعقة أوقفه عن الصدام وأشار يقول صلوا على طه الرسول

يا من أتانا بالوعيد سفاهة * يبغى قتال الاسد الرئبال
أسد وثوب ماجد ما مثله * مردى الفوارس فى الوغا مفضال
أبشر بضربة فارس متقشعم * ما مثله بين الورى أشكال
اليوم أفنى جمعكم بمهند * وسنان رمحى أسمر عسال
وأنا المنية وابن كل منية * والطعن منى يسبق الآجال

﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك حمل غصوب على طارق حملة الليث الوثوب وأخذا فى الطعن والضرب ودام بينهما الطرد والاخذ والرد والهزل والجد والمساعدة والمقاربة والملازمة والمضاربة هذا والاحداق اليهما ناظره والعقول من أجلهم حائره وطريق الحياة عليهم صارت مسدوده والاعناق اليهما ممدوده والغبائر عليهم معقوده ﴿قال الراوى﴾ ولما رأى غصوب الى ثبات خصمه بين يديه فخاف من أبيه أن يستعجزه فحمل عليه وزعق فى وجهه زعقة بها ضبله وأرجف أعضاه وقلب سنان الرمح الى وراه وكان أراد بذلك أسره ولم يرد

فناه فطعنه بعقب الرمح فى صدره ألقاه على ظهره فما لحق أن يصل الى الارض الا وشيبوب عليه وقد انقض هو و ولده الخذروف وفى عاجل الحال شدوا وثاقه وساقوه الى بين يدى عنتر أسير منقادا فى حبال الذل والتعتير ﴿قال الراوى﴾ ونظرت فرسان بنى حمير الى مقدمها وقد أسر فى حومة الميدان وتسربل بثياب الذل والهوان فعند ذلك حملوا وكبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا حملة رجل واحد قاسى الاهوال والشدائد فعند ذلك زعق عنتر فى رجاله وحمل هو وأبطاله وقد أظهر عجائبه وأهواله و زاد حنقه وخاف على غصوب ولده وأشفى قلبه من العدى بفعاله وخطف أرواح العدا فى مجاله وانصب على الاعداء انصباب الشهاب الثاقب أو الموت الصائب فلم يأت آخر النهار حتى سالت الدما مثل الامطار وقاتل عروة بن الورد كل فارس جبار هذا وغصوب قد طعن فى العدا حتى ترك الدم مسكوب وأما ميسرة فانه ترك الاجساد عفره وكان له هدير وزمجره وقد طرح الفرسان تحت الغبره ورمى الاجساد خمسة وعشره ﴿قال الراوى﴾ وما فرغ النهار وأقبل الظلام حتى تساوى الامير عقام الغلام وشربت الالف فارس كاس الحمام ولم يبق منهم غير مائة مهشمين العظام وما بقى فيهم من يقدر يرد الكلام فولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وطلبوا أهلهم والديار وقد جرت عليهم الاحكام وانسلوا فى ظلام الليل هاربين ومن طعنات بنى عبس متحيرين وقد تعجبوا من طعنات عنتر وشدته وما منهم الا من اندهش وتحير من قوته وهم يقولون له تبالك من أسود تعس فما أقوى طعناتك لعن الله وجهك الاغبر يا ابن الزانى والذى جابك الى هذا المكان هذا وعنتر تابع آثارهم هو وأولاده غصوب وميسرة الى أن أبعدوهم عن تلك الارض وهم يتكردسوا على بعضهم البعض وما رجع عنتر وأولاده ورجاله من خلفهم على هذا الحال حتى أسر وا منهم خمسين فارس وربطوهم بالحبال وأحلوا بهم الذل والنكال وأضافهم عنتر الى مقدمهم طارق بعد ما قاسوا الذل والهوان وعاد عنتر وأولاده الى الوديان وعلى دروعهم الدما مثل شقائق الارجوان وأضافوا ذلك النهب الى ما عندهم من السلب ولما استقر بهم الجلوس أمر عنتر أخاه شيبوب أن يحضر طارق فلما حضر وبقى واقفا قدامه قبل الارض ودموعه سائلة من أجفانه فقال له عنتر أنت تشترى نفسك والا اقطع رقبتك وأعدمك روحك يا ابن الانذال فقال له طارق ودمعه على الارض ناقط اعلم أيها السيد المفضال أنا أسهل ما على القتل وأنت تضرب عنقى بحسامك الفصال ولا تسمع عنى العرب انى فديت روحى بالمال أو بشئ من النوق والجمال فقال له عنتر ان كان قولك هذا المقال أنا أخليك تفدى نفسك فى عاجل الحال ثم أمر شيبوب أن يشجه بين أربع سكك من حديد ويضربه بالسياط حتى يزرق جلده تمزيق ﴿قال الراوى﴾ فقام شيبوب اليه ودق له أربع سكك وسحبه من يديه و رجليه وضربه حتى غشى عليه وكاد الضرب أن يفتت صميم فؤاده فصار ساعة يستغيث بعنتر وساعة يستغيث بأولاده وقد عدم صبره وغاب رشاده وقال يا حامية عبس ارفع عنى هذا الضرب والعذاب وأنا اشترى منك روحى بالمال والثياب الغوال فاقطع على مهما أردت من المال والنوق والجمال والذى تطلبه يحضر لك فى عاجل الحال فقال له عنتر أريد منك ألف ناقه برعاتها وعبيدها وعشرين رأسا من الخيل الجياد بعددها ولاماتها وألف دينار ذهب وألفين رأس من الغنم فاذا أحضرت ذلك قد سلمت نفسك من المهالك فقال لك على كلما تريد ولكن ارفع عنى هذا العذاب الشديد وابعد عنى هذا الرجل البليد فقال له شيبوب ويلك يا ابن اللئام أنت ما ادعيت انك ما تفدى نفسك بشئ من الحطام فقال له طارق ابعد عنى أنت بعيد بحق الملك العلام ثم قال لعنتر يا مولاى اطلق سراح واحد من بنى عمى يمضى وها أنا تحت يديك مرهون حتى يأتيك بالمال فى عاجل الحال فرضى عنتر بقوله وأطلق له رجلا من بنى عمه وأطلق معه عشر فوارس من بنى حمير وبعد ذلك كتب طارق الى الملك وهب ابن موهوب كتاب يعلمه بما جرى عليه من الاسباب وما قاسى من العذاب وهو يقول بسم الرب القديم اله موسى وابراهيم أما بعد الذى نعلم به الملك الكبير والسيد الخطير اعلم اننا نحن فى خدمتك وصرنا الى ما نلتقى هذا الرجل الذى يقال له عنتر وكان فى ظنى انا نلقى مثل ناس من البشر فلما قابلناهم حملنا عليهم حملة رجل واحد وقلنا ان كلا منهم مربوط فى الوثاق عندنا والشدائد فرأيناهم شياطين الفلا وجن

الارض السفلى واحد منهم يرد لراسه ألف شجاع ويكون عليهم زايدا غير مرتاع والآن فقد أسرونى وأنزلوا بى الضرر وأريد منك يا ابن العم أن تشترينى من يد هذا الجبار عنتر والا تركنى على الارض مقتول ودفننى فى القبر والحفور واعلم انك اذا قعدت وأرسلت له كل يوم ألفا بعد ألف فعنتر وحده لم كفؤ وأى كفؤ لان له ولدا يقال له غصوب أشد من البلاء المصبوب وهو الذى أفنى الرجال وأباد الابطال وأنا الذى اغتررت بروحى وبرزت الى الميدان فخرج الى ولده غصوب الشيطان فرأيته فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق فخطفنى من بحر سرجى خطف النسور لاضعف ما يكون من الطيور وبعد ذلك انطبق أبوه على الخيل فرقها وفى ساحة الفضاء مزقها ولما ملكنى طلب منى الفداء فى عاجل الحال فما رضيت أنا بذلك الشان فما كان من عنتر الا أن سامنى لرجل له وجه أشنع من وجه الجان وضربنى بالسياط حتى شرح جلدى ولم يرحمنى فعندها اشتريت روحى منه بكذا وكذا فارحمنى ومن الصلب خلصنى وأنت تعلم انى لولا خدمتى اليك ما أصابتنى هذه المصائب ولا وقعت فى هذه النوائب واذا قرأت هذا الكتاب فلا يكن لى عندك وصية الا ارسال الفداء جواب واياك ثم اياك أن تحدث نفسك بلقاء هذا البطل فيعود يغير عليك الدول ويجعلك بين الناس مثل فبالله عليك يا ابن عمى لا تتوان عنى فانى فى ضيق الخناق وشدة الوثاق لانه قال اذا أنت أتيت فى طلبى يقتلنى من ساعتى ويعدمنى مهجتى ثم انه بعد ذلك طوى الكتاب وختمه وسلمه الى ابن عم له يقال له قتاب وقال له يا ابن العم من ساعة ما تصل الى قومك ما أعرف خلاصى الا منك فقال له السمع والطاعة وأخذ الكتاب وسار وهو يبكى ويقطع البرارى والقفار ﴿قال الراوى﴾ هذا ما جرى لهؤلاء من الاخبار وأما ما كان من الملك وهب ابن موهوب فانه كان مطمئن القلب بابن عمه طارق أن يجلى عن قلبه الكروب ويريحه من أمر الحروب لانه ما أنفذه فى أمر قط الا وأنجزه ولا حال صعب الا وجهزه فبينما هو جالس بين أكابر دولته وقد دار بينهم الكلام وهم منتظرون طارق أن يأتيهم بعنتر ومن معه فى حالة الارغام واذاهم بالمنهزمين الذين سلموا من الالف فارس ونجوا من القتل والاسر قد وصلوا اليه وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور وقد أعلنوا بالصياح وقوموا الصراخ والنواح فعند ذلك مال الملك وهب عن سريره وقام وقعد وازعا وأزبد وسأل عن الخبر وجلية الاثر فقيل له ان جماعة من الالف فارس الذين كانوا مع ابن عمك طارق قد أتوا وهم الذين كان سار بهم الى قتال عنتر فقال لهم الملك وهب وما الذى جرى لهم فقالوا له انهم أتوا حفاة عراة الابدان مشاة وهم منقطعين وفى الارض مشتتين فلما سمع الملك وهب ذلك الكلام أمر باحضار المنهزمين وقد نزل من على سريره وهو باكى العين فلما أحضروهم بين يديه سألهم عن القصة وعن ابن عمه طارق فارس بنى حمير وعن الامور التى جرت بيقين فقالوا له اعلم أيها الملك اننا سرنا على اننا نلقى مثلنا بنى آدم فالتقينا الاشياطين من سكان الفلا وجن الارض السفلى ورأينا منهم رجال لا يبالون بالموت ولا يخشون الفوت وأسيافهم تعمل فى أجسادنا بخلاف ما تعمل أسيافنا فى أجسادهم والمقدم عليهم فارس أسود ولكن مثله فى هذا الزمان لم يوجد وله رمح للقلوب خارق وسيفه للاعمار خاطف وخانق وما كنا بين يديه الا مثل الغنم أو شبه الحصيد اذا انحصد أو الهشيم اذا انهشم وهذا الذى كتب علينا من القدم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك وهب منهم ذلك الكلام زاد به الحنق والآلام وأراد أن يجمع العساكر ومن عنده من العشائر ويسير بهم الى عنتر واذا قد وصل اليه الكتاب الذى أرسله طارق مع ابن عمه قتاب وقد شق ثيابه وأكثر البكاء والانتحاب وهو يقول واذلاه من هذا العبد الاسود الجبار وما زال كذلك حتى دخل على الملك وهب بن موهوب وهو فى تلك الحالة فاندهش الملك فى عقله وحار وقال له حدثنى ما تم عليكم وما هذه المحنة التى وصلت اليكم فقال له يا ملك هذا بلاء عظيم وهول جسيم وهوان هذا الاسود الذى سرنا اليه كنا نظنه من البشر فوجدناه عفريتا من عفاريت بنى منقر وهو فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق وكان جسده منحوت من الصخور وهو أخف من النمور وكان من الرعد صوته ومن القضاء طعنه وهو مثل النار الحارقه أو الصاعقة المبرقه وأنت أيها الملك تعلم ان عند الامتحان يكرم المرء أو يهان وما فى الامر الا أن تريح ابن عمك

وتخاصه من الاسر والعذاب وما قد نزل به من الذل والمصاب ولولا ما كان أوعده هذا الاسود بالفداء والله ما كان أبقاه الى غد وكان يتركه قتيلا تبكي عليه النوادب وتبقى شهرته عند سائر الحبائب قال له أبقيني عشرة أيام فلم يقبل له كلام وقال له ها أنا أبقيك خمسة أيام وان لم يحصل منك الفداء والا أسقيك كاس الحمام ﴿ قال الراوي ﴾ ثم انه بعد ذلك الكلام سلم اليه الكتاب فأخذه منه وقراه وفك رموزه ومعناه ثم قال للوزير ما تقول أيها الوزير في هذا الامر العسير الذي قد حل بنا من أجله التدمير وهذا الحال المنكر وما جرى علينا من هذا الذي يسمى بعنتر الذي ما كان على بالنا ولا بيننا وبينه معاملة فقال له الوزير أيها الملك أنا ما عندي تدبير الا خلاص ابن عمك وقومك الذين قد ساروا في خدمتك وان لم ترسل لهم الفداء من يومك ما في الامر الا الذي قلت عليه لاني أعلم اذا أردت أن أسير الى ابن عمي وأطلقه من يديه فربما اذا غلب مني يقتله ويحل به الرداء ولكن ها أنا أرسل اليه الفداء وبعد ذلك أدبر في فناء هؤلاء الرجال وأنزل بهم الردا وأسير من خلفهم بعساكري وأجنادي وأشفي منهم غليل فؤادي وأقطع منهم الاثر وما أبقي منهم بشر ثم انه أمر الوزير أن يخرج له الفداء ففعل ذلك وقد خاف على ابن عمه من شرب كاس المهالك ثم انه سير جماعة من المال وأرسل أيضا مع الفداء هدية غالية الاثمان فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر فانه لما سار من عنده الرسول في طلب الفداء وأقام ينتظر ما يكون من الحال ﴿ قال الراوي ﴾ فبينما هو جالس مع قومه وأقاربه ومن يعز عليه فما يشعر الا والمال مقبل اليه والفداء والهدية قد وردت عليه فلما رآها عنتر ازداد فرحه لانه قد رأى نوقا وجمال وخيل وبغال وخز وديباج شيء زائد عن طلبه وقد صاروا الجميع بين يديه فقال لعروة بن الورد والله الآن قد استراحت خواطرنا وزاد سرورنا ولو علمت انهم يسارعون الينا بالفداء في عاجل الحال لكنت طلبت قدره هؤلاء مرتين على ذلك المثال فقال له عروة يا ابن العم قد فات الامر وقد شربت كل أرض ماءها والآن ما بقينا نقدر نقيم بارض هؤلاء القوم ولا نسفك دماءهم فانك قد عرفت بالوفاء واعلم انه قد صار عندنا من المال أكثر ما طلبنا ثم ان عنتر بعد ذلك تسلم المال وأطلق طارق ومن معه من الرجال ورحل من وقته وساعته وبين يديه أموال تسد الفضاء وهو راكب على جواده كانه القضاء وسار عنتر في المقدمة برجاله وغصوب يحرس النوق والجمال هو وأبطاله وهم فرحون بما وصل اليهم من المال وتلك الغنائم وكان شيء لا يقدر عليه أحد من الملوك الاكارم ولم يزل سائرا وفرسان القبائل تفزع منه ومن بين يديه تتحايد الى أن قربوا من أرضهم وبقي بينهم وبين الديار يوم واحد فقال عنتر لاخيه شيبوب يا ابن الام اسبقنا الى أهلنا وبشرهم بقدومنا حتى تخرج المحبين الينا يلاقونا ويفرحوا بما معنا وكذلك بني زياد حتى تنفطر مرائرهم والاكباد فقبل شيبوب ما أمره به أخيه عنتر وفي ساعة الحال طلب البر الاقفر وغاص في فلوات القفار ولم يزل يجد المسير حتى وصل الى الديار فوجدها خالية قفار كأنه ما كان بها سكان ولا عمار وهي قاع صفصف ليس بها بيت يعرف ولا مضرب يوصف ولا فيها حس حسيس ولا انس أنيس فاندهش شيبوب وحار وانطلق في قلبه لهيب النار وتقدم الى مكان الابيات واذا به قد رأى بعض الرجال وهم حفاة عراة فقال لهم شيبوب يا ويلكم ما الذي جرى عليكم وما نالكم فقالوا له يا أمير شيبوب قتلت الرجال وهلكت الابطال وأخذت الاموال وسبيت العيال وأخذت عبلة وجميع النسوان والبنات والاطفال والولدان فقال شيبوب وأين كان الملك قيس وعشيرته فقالوا له والله يا أمير شيبوب لو رأيت الملك قيس ما عرفته وما بقي له شيء يجده لا ناقة ولا جمل غير فرسه الذي تحته لانه أطلق له العنان وطلب البر هاربا في القيعان وما نجا غيره بصورته وكل ذلك من الاسد الرهيص لانه كان على مهجته حريص فعندها سار شيبوب على ما هو عليه ودخل على الملك قيس وسلم عليه وقبل الارض بين يديه فبكى قيس حين رآه فقال له شيبوب يا مولاي ما هذا الحال الذي جرى عليك في غيبة أخي عنتر فقال له ودموعه جارية من عينيه وقد علت به الوساوس اعلم ان الاسد الرهيص النبهاني دهمنا على غفلة منا وغزانا في سبعة آلاف فارس ولم يعلم به أحد منا واغتنم أموالنا وكنت أنا غائب في الصيد والقنص ففعل بنا هذه الفعال وترك كلامنا لي

حريمه وعياله ينغص وهذا ما جرى يا شيبوب علينا وما وصل من الاذية الينا وسبب هذا انه كما تعلم بان أخوك عنتر في خمسمائة فارس من الابطال وباقي بني عبس وفرسانها الاقيال كانوا مشتغلين فيما هم من الاشغال ومتفرقين في الروابي والتلال فاتى الينا هذا الشيطان واغتنم الغفلة وليس بالحلة احد وسبا النساء والعيال وساق الاموال والنوق والجمال وفي عاجل الحال طلب البر والفضاء وتركنا كامس مضى ولا ترك لنا بيتا نأوي اليه ولا فرش نحويه ولا ثوب نلبسه ولا شيء نأكله ولنا هذين اليومين لا نأكل ولا نشرب الا من نبات الارض واذا غنا نحرس أنفسنا بالنوبة بعضنا لبعض فلما سمع شيبوب منه هذا المقال ورأى ما حل به من الآلام قال له أبشر أيها الملك الهمام فقد أتاك أخي عنتر الاسد الضرغام وهو سالم غانم ومعه أموال وغنائم يضيق منها المستوى وتسد منافس الهوى وأبشر بخلاص أموالكم وحريمكم وعيالكم ورجوعكم الى أحسن ما كنتم عليه من النعم وسوف أخي يسقي الاسد الرهيص ومن معه كاسا أمر من العلقم فقال الملك قيس يا شيبوب امض الى أخيك عنتر وأعلمه بذلك الخبر وتلك الاحوال التي صارت أحوالنا بها عبر فسار شيبوب من ساعته ليعلم أخيه عنتر بما جرى للملك قيس وعشيرته ومازال سائرا حتى وصل اليه وبقي بين يديه وهو ينادي بالويل والثبور وعظائم الامور ويقول يا ابن الام أزيل عنا هذا العنا والعار وما نزل بنا من الذل والشنار فان الحلة قلعت من أساسها وسبيت حريمها وأولادها وقتلت رجالنا وأبطالنا وسبيت نساءنا وعيالنا وانساقت أموالنا برعاتها ولم يبق لبني عبس عقال من متاعها وقد صارت الديار بلا مانع عنها يمنع وسبيت ابنة عمك عبلة ونساء الحلة أجمع وما بقي الكلام ينفع وكان عنتر يسمع كلام شيبوب وبكاءه فتحير وزاغ منه البصر ومن كثرة ما دهاه ثم انه وكز الجواد حتى قرب اليه وكذلك شيبوب أقبل بتلك الحالة عليه فقال له ويلك من الذي فعل بقومنا هذه الفعال ونهب متاعنا والذخائر وسبى العيال فقال شيبوب اعلم يا ابن الام ان حلتنا والله رميت بالمصائب والاهوال والسبب في ذلك الاسد الرهيص بن الاندال ودهموا قومنا على غفلة منهم وأنزلوا بهم الذل والنكال وقتلوا الرجال ونهبوا الاموال وسبوا العيال فلما سمع عنتر من شيبوب هذا المقال قال له يحق له أن نفعل هذه الفعال وبكافئنا على ما فعلنا في حقه من الفعال والآن من كفر بالنعمة وقد استحق المكافئة ثم انه عض من غيظه على أطراف الكفوف ونادى واحرباه يا ابن الملعونة يا قليل المعروف ان لم أكافئك على ما فعلت في حق من هذا الامر الموصوف وأدع أهلك من أجلك يكثرون عليك النوائح وأخليك مثلا في سائر البطاح فلا أكون أنا عنتر ولا لابي شداد البطل الجحجاح ﴿ قال الراوي ﴾ هذا وقلبه قد اشتغل على عبلة بلهيب النار فعندها سار حتى أشرف على الديار والتقى بالملك قيس بن زهير ونزل اليه وعانقه ودمعه يجري على خديه ورأى الملك قيس الى تلك الاموال التي أتى معه وقد ملأت الفضاء وسدت المستوى فقال عنتر يا ملك الزمان تهون عليك هذا الامر فان هذه الاموال كلها بحكمك وبين يديك وأمرها كلها مردود اليك هذا وعنتر ينظر الى الديار وما فيها ديار ولا نافخ نار فقال له الملك قيس وأعرفك ان بني فزارة وبني زياد في الاسر والاعتقال وقد نزل بهم الذل والنكال فقال عنتر يا ملك اعلم ان الدهر لا يبقى على حال وسلامتك هي ربحنا ورأس المال وحيث سلمت أنت انا يا ملك فما يصيبنا بؤس ولا عنا والمال في أسنة رماحنا وحدود سيوفنا وقد أتيتك بأموال بني حمير وسقت بين يديك أموال البدو والحضر وأما الذي أخذه الاسد الرهيص فما هو الا عارية عنده وسوف أرغم انفه وأعود أسترده فلا يضيق صدرك ولا تشتغل فكرك فسوف يا ملك ترى من ابن زبيبة ما يسرك ويفرح قلبك ويشرح صدرك وان عدت تركت الاسد الرهيص يركب جواده فما أكون داعية عبس عنتر بن شداد ثم ان عنتر اخذ في تفريق الاموال على من حضر من الرجال الابطال من بني عبس وعدنان حتى اغنى كبيرهم وصغيرهم وشجعانهم وأميرهم فطاب بذلك قلب الملك قيس وفرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وزال ما كان يجده من الهم والترح وبعدها جلسوا للمشورة والكلام وما يفعلوا في تلك الامور والاحكام فصار

كل واحد منهم يقول كلام وكل أحد يبدي ما عنده من المرام فقال الحارث بن زهير الرأي عندي اننا نكاتب ماجم بن حنظلة وأخيه شارب الدما ونعلمه بما فعل الاسد الرهيص معنا من الفعال ونسأله في رد الحريم والمال والعيال فقال الملك قيس يا حارث أي شيء هذا المقال الهذيان ونحن أشد ما على هذا الملك وأخيه عداوة منا من دون العربان وما لذي فعل معنا من الجميل والاحسان حتى نكاتبه ونطلب اعانته فهذا والله من غاية النقص لنا وعدم البرهان ﴿قال الراوي﴾ هذا ولم يبق أحد ممن كان حاضرا في هذا المقام الا وتكلم بما يقتضيه رأيه من المرام وكان كل هذا يجري بين القريب والبعيد وعنتر ساكت لا يبدي ولا يعيد ولا يرد عليهم جواب ولا يبدي لهم خطاب الا مطاطي الراس بادي الانفاس فقال له الملك قيس يا حامية عبس أراك ساكت ولا تتكلم والحكم في ذلك الباب فينا وأنت الحاكم والآمر علينا فقال عنتر أنا ما عندي رأي ولا كلام غير أننا نخلص أموالنا بأسنة رماحنا ولا نتكل على أحد من الانام وهذا ما عندي من الرأي والسلام ثم ان عنتر قام من المجلس وتفرقت الناس من عنده وقد استصوبوا كلهم رأيه وقوله ورجعوا الى أماكنهم وأما عنتر فانه اختلى بعروة بن الورد صديقه وقال له يا أبا الابيض أنت تعلم اني دخلت ديار بني نبهان وحدي ولم يكن معي غير عبلة ابنة عمي وأخي شيبوب ولم أصحب غيرهم من بني عبس وعدنان ودخلت الحي وأخذت الكبش وكنت على أخذه حريص وقد استخدمت زوجته وذلك استهزاء به وبحرمته وأوقفت ريحانة على رأس عبلة مشدودة الوسط في خدمتها استهزاء به فلما اتهمني ابا أخذ بثاره مني أسرته ثم رحمته وبعد ذلك أعتقته وأنا ما أحتاج لاحد من بني عبس ينجدني بل اني أسير أنا وأنت وأخي شيبوب وأولادي ومن يعز علي من عساكري وأجنادي وأغير على القوم وأفعل معهم كما فعلوا معنا وأخلص أموالنا وحريمنا من يديهم ولو كانوا بعدد الرمل والحصى أنزلت بهم الفناء ونهبت أرواحهم وجميع أموالهم ونحن على ظهور خيولنا بقوائم سيوفنا فقال له عروة بن الورد يا أبا الفوارس افعل ما بدا لك نجح الله أعمالك وما فينا من يخالف مقالك فعندها أمر أعمامه وأولاده بأخذ الاهبة والتجهيز الى المسير لديار بني نبهان وبعد ذلك سار الى الملك قيس بن زهير وقال له اعلم أيها الملك أنا ما أحوجك الى التعب والمشقة في ذلك وأنا أحمل عنك طرق المهالك فأنا ورجال عروة بن الورد وأولادي والسودان أبطالي فينا الكفاية لكل من يطلب قتالي ونزالي فقال له الملك قيس أنا والله ما أدعك ترمي روحك في تلك المصائب ولا آمن عليك من كثرة الجيوش والمواكب فقال له عنتر يا ملك الزمان لا تخف علي من ذلك فالأمر لله مالك الممالك فان العبد اذا كان أجله ممديد فما يقطع في جسده نصل الحديد واعلم ان السيوف لا تقطع الا باذن الله ولو اجتمعت عليه من سكن القفار والبيد ثم انه ودعه وسار في خمسمائة فارس من كل ليث ممارس وأسد مداعس وبين يديه أبو الموت وسودانه وعروة ورجاله وهم كأنهم العقبان وأولاده سائرة تطلب خلاص حريمها والنسوان وعنتر بينهم كأنه ملك الجان هذا والشوق قد هيجه الى عبلة محبوبته ولما تمادى به المسير وهو زائد الوجد والزفير فجاش الشعر في خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره وأنشد هذه الابيات

أيا عبلة قد أضنى فراقك مهجتي * مرارا ان جاذبتها لم تقطع
فان ترجع الايام بيني وبينها * بذي الاسد صيفا مثل صيفي ومربع
فما راعني الا خيالك منيتي * وهمت بروحي شاكيا بدامع
فقلت ما لك الموت يطلب مهجتي * تقود به حيث استمرت وأتبع
أسائل عنك الدار والدمع مزلف * وأطلالكم من بعد سكانها بلقع
وان سارت الارياح نحو دياركم * منعها اشتياقي أو عظيم توجعي
ولما طرقنا الدار لم أر لي مخبرا * سوى أهلها يبغون بعدك مرجع
لئن حالت الايام بيني وبينها * فاضحى رهين الجسم دوما موجع
فلا تيأسي مني فاني مسارع * اليك ودع التي هنالك مصرع

وأشفي فؤادي من لئيم عشيرته * وأورده ضربا بيوم الفجائع

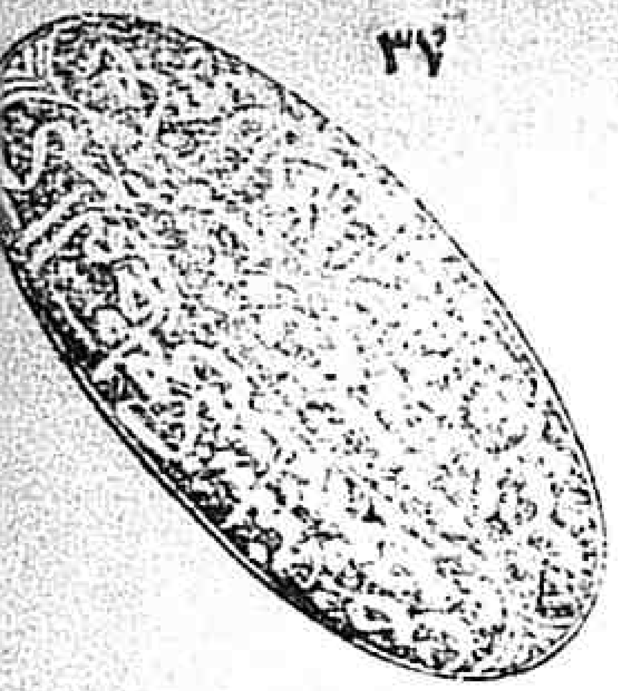
﴿قال الراوي﴾ وسار عنتر وأصحابه وهم مجدون الى أن بقي بينهم وبين بني نبهان يومين فقال لأخيه شيبوب يا ابن الام أنت أخبر منا بهذه الديار ودروبها وأريد لا تنزل بنا الا فوقهم في مكان يكون لنا حماية حتى انهم لا يعلموا منا في الجبلين أجا وسلما أو يعلموا الملك ماجم بن حنظلة وأخيه بريد الملقب بشارب الدما ويجتمعوا علينا من قريب وبعيد ويطول أمرنا بعد التقريب لاننا نريد انجاز حالنا عن قريب فقال شيبوب سمعا وطاعة فها أنا سائر في تلك الساعة ﴿قال الراوي﴾ وكان الاسد الرهيص من عظم فرحه بما جمع من الاموال والنوق والجمال وسبي الحريم والعيال وكان أيقن باخذ ثاره وكشف عاره فما كان له همة الا شرب الخمور وسكب الخمور ودام له الفرح والسرور والكاسات عليهم تدور الا انه ما حسب حساب بني عبس وفرسانهم وحاميتهم وأما عنتر فانه لما قرب من الديار قال له أخوه شيبوب انزل أنت يا أخي في هذه البراري والقفار حتى أمضي أنا وآتيك بالاخبار فنزلوا هنالك في واد يقال له وادي الاراك ثم ان شيبوب أطلع من جرابه خلعة زردية والبسها وعصب ساقيه وصار يرجف ويرتعش وصار كأنه ابن مائة عام وتوكأ على عصاه حتى وصل الى الخيام وهو كأنه شيخ ضعيف كثير الآلام وأشرف على الحلة وهو في ذلك الزي فرآها تموج كأنها البحر الزخار لما فيها من تلك الطوائف المختلفة والانفار ونظر الى القباب المرتفعة ومضارب منصوبة والحرير الابريسم وصهيل الخيل وقعقعة اللجم ورغاء الابل وصياح الغنم وهم في خيرات كثيرة ومسرات غير قليلة ونعم وافرة ورأى الاسد الرهيص جالس والى جانبه المنهال وحوله جماعة من الرجال وعندهم وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وهم في أكل وشرب ولعب وطرب والجوار تلعب وتضرب بالدفوف وهم بين أيديهم وقوف وكاسات المدام عليهم تدور وقد تركوا عواقب الأمور وصاروا يتناشدون الاشعار وقد طربت سائر الحضار وكانت خيولهم مسومة مسرجة وهم في نعم لا تحصى ولا تعد وعندهم أموال بعدد الرمل والحصى فلما نظر ذلك الحال عاد كأنه سقر خرج من وكره الى أن بقي بين يدي أخيه عنتر وأعاد عليه القصة والخبر وأخبره بخبر القوم وكثرتهم وما رأى منهم في ذلك اليوم وقال له شيبوب نصبح القوم صباحا أو نذهم رواحا فقال غصوب وتربة أخي الغضبان لا دهمناهم الا صباحا برأس السنان ونلتقيهم بمن معنا من الفرسان ونخلص حريمنا من الذل والهوان فقال عنتر الامر اليك يا ولدي فانا أقول انهم عند الصباح تخمد حركات القوم من شرب الراح ومن الرأي أن نصبح القوم وننتصب بيننا وبينهم الحرب والكفاح ثم باتوا وهم معولين على ما هم عليه وكل منهم جواده بين يديه الى أن أذن الله لليل بالارتحال وأقبل النهار بالابتهال فعندها سرحت الاموال وخرج خلفها الرعاة وبعض الرجال ونظر عنتر الى رعاته وأمواله وقد تفرقت في عرض البر وسارت قباله وكذلك أموال بني عبس وبني فزارة وهم مما جرى عليهم حلت بهم الخسارة ومعهم أموال بني زياد وتلك الاموال ما لها حصر ولا تعداد وكانت أكثر أصحاب الاموال معهم في الاسر والاعتقال وكان من جملتهم حصن بن حذيفة والربيع بن زياد وثمانين أسير من بني عبس الاجواد ومائة أسير من بني فزارة الاوغاد وكلهم ملطخين بالجراح وقد أيقنوا بعدم الارواح وكانت عبلة كما ذكرنا عند المنهال وقد علق بزواجه منها الآمال وأراد أن يصافح بني عبس على زواجها ويترضاها ويسكن انزعاجها ﴿قال الراوي﴾ ولما وصل عنتر كما ذكرنا ودبر ما دبر أضاف الى عروة مائة فارس من الرجال القناعس وقال له احمل على السراح وسق الاموال عن بكرة أبيها من المراح ودعني أنا أرد عنك من يتبعها من الرجال والابطال فاجابه عروة بالسمع والطاعة كما أمره عنتر في تلك الساعة وانحط على الاموال وقد ساق الخيل والجمال وضرب في قمة العبيد ضربا مثل فتوق الاعدال وهو ينادي يا لعبس يا لعدنان وسمعت رعاة بني عبس ورعاة بني فزارة ذلك النداء فعرفت المعنى وان سيدهم عنتر قد أتى وهم العدا فعطفوا على عبيد بني نبهان بالعصي والحجارة وعادوا منهم جماعة وهم ينادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور هذا وعنتر قد هدر وزمجر وركب على ظهر جواده الابجر وبرز في مقدمة بني عبس الغر وواعد للحرب والطعن والضرب وكان الخبر قد وصل الى الاسد الرهيص فانذعر وزعق في رجاله وقال لهم يا ويلكم ما الخبر

فقالوا الله اعلم انه قد طرقنا عنتر والساعة ينزل بنا العبر ولا يترك منا بشر فلما سمع وزر ذلك المقال ركب جواده في عاجل الحال ونادى الخيل يا آل باب الخيل اركبوا يا بني عمي فقد اخذت الاموال وقتلت الرجال فعندها تبادرت الفرسان وركبت ابطال بني معن وبني نبهان وكانوا سبعة آلاف فارس وفي اوائلها الاسد الرهيص وهو يهدر مثل الجمل وزاد حنقه على بني عبس الغرر واطلق عنان فرسه وعلم ان عنتر قد أتى ليسكنه رمسه ولما سار في رجاله وهو قاصد الى عنتر واولاده فرأى مائة فارس ظاهرة قباله فاحتقرها بالكلية وصار ينادي يا مأخوذين قد حلت بكم المنية واحاطت بكم الرزية انجوا بانفسكم سالمين وبادروا حكم غانمين أنا وزر ابن جابر صاحب المناقب والمفاخر صديق النيل والعدو الويل ثم انه حمل وهو ينشد ويقول

أنا الاسد الندب في يوم الهياج * اذا الطعن هاج بنار اللهب
وقد تراني أطفي في نهار الوغا * نيران الحروب بضرب العضب
ترى القلب يرجف من سطوتي * اذا القرم أضحى كالجذع المشذب
أنا وزر الملقب وجابر أبي * وليث الحروب ذو الفضل والحسب
سآخذ بثاري لا انثني * من عبد عبس قليل الادب

﴿قال الراوي﴾ فلما فرغ الاسد الرهيص من شعره صاح يا آل نبهان دونكم وهذا الشيطان قطعوه بالسيف اليمان فلما سمع عنتر كلامه ونظر الى الخيل وقد أتته والابطال قد دهمته فعطف عليهم وقد ترك العبيد مع الغنيمة وحمل عليهم بالا ربعمائة فارس وهم من خلفه كانهم الاسود العوابس وصاح فيهم قد أقلب القيعان وهو ينادي يا لعبس يا لعدنان أنا عنتر بن شداد فارس هذا الزمان أنا عالي النجاد أنا رفيع العماد أنا حية بطن الواد ثم اخرج يده من جلباب درعه وهو مثل الاسد اذا فقد شبله وهجم عليهم عنتر بقلب أقوى من الصخر وحمل سبيع اليمن وميسرة وطعنوا في العدا بالرماح وهم ينادون اين وزر الكلب السفاح حتى نتركه ممدودا على وجه البطاح هذا وقد انهزمت بني نبهان وعمل فيهم السيف والسنان وقد تزلزلت الارض والكثبان وبان الشجاع من الجبان وغنى السيف اليمان وطارت الجماجم من على قامات الشجعان وهطل الدم من الابدان وصارت الارض مثل شقائق الارجوان ودمدمت أسود الحرب وزعقت طيور المنايا والغربان وقد بلغ العرق الى الاذقان وباعت النفوس بيع الهوان ونفذت الاسنة في الصدور والابدان وتغيرت من الفزع الالوان وعادت زيادتهم الى نقصان هذا وعنتر ينثر الرؤس من على قامات الابدان وهو يجول على الفرسان ويهلك الاقران ويجندل الشجعان ولم يزالوا في صدام ولزام حتى ردت بني عبس أعداءها الى الخيام عند اقبال الظلام وافترقوا عن بعضهم البعض بعدما امتلأت بالقتلى جنبات تلك الارض وعادت بني عبس وسيف النصر اليهم مسلول وفي أوائلهم عنتر بن شداد وهو ينشد ويقول هذه الابيات

أتنسى دفاعي عنك اذ أنت مسلم * وقد سال من ذل عليك قرار
ونسواننا في الروع بادو جوهها * وذلك عار يا ابن جابر ظاهر
أطال حمل الشناءة لي وبغضي * وعش ماشئت فانظر دوائر
ألم تر أن شعري صار عني * وشعرك حول بيتك لم هو سائر
وقد كان قلبي يا عبيلة صابرا * فلما سرى طيف الهوى كنت صابر
الله يا ذات الوشاح تعطفي * والا تتركي قلبي يتقلب في جمائر
أيا عبلة ما انساك ما هب الصبا * فلا تتركي قلبي في الهوى فاكر
ولا تهجري صبا اذا غبت ساعة * يقينا ان الموت أحلى من هاجر
أيا وزر قد أتاك ليث صميدع * يخوض لظى الهيجاء بابيض وسمائر
ليوردكم واطعنا باسمر باسل * ولو أشبهكم مواضر بابهنة دباتر
ترى الخيل في الهيجاء من وقع سيفه * شردت وسط المعامع نفائر



سألحق بني نبهان بكل مهند * وأتركهم صرعا في مهمة قفائر
وهذا حسام النصر قد لاح بيننا * ولا أحد غيري فارس مقامر
ولي سطوة لا يستطيع بلوغها * ونجمي مسعود بعز وفاخر
ولي كرم أجرى من المزن مطلبا * اذا انعمت فالبحر من فيضها حادر
أجود وأهب ما استطعت تكرما * وأفني العدا بضرب احمر جمائر
سأفني بني نبهان مع ساداتهم جميعهم * وأقطعهم بماضيات بواتر
أنا عنتر العبسي حامي عشيرتي * أموت ويبقى لي حديث بين عشائر

﴿قال الراوي﴾ هذا وقد باتت بني عبس وعدنان في العز والنصر والامان وأما بني نبهان وأحلافهم فانهم باتوا بالذل والهوان ورويت الارض من دماء الفرسان ولما أصبح الصباح برزت الابطال الاوقاح الى مقام الحرب والكفاح وقد وقف الاسد الرهيص والى جانبه المنهال واصطفت الصفوف واشتهر كل بطل موصوف وجالت بعد ذلك الفرسان على الفرسان ومالت الاقران على الاقران هذا وعنتر قد صرخ على رجاله الاعيان وحمل وجندل بسيفه الشجعان فاقشعرت من هيبته الابدان هذا وقد انطبقت عليه السبعة آلاف عنان وعظم الحرب والطعان وضاق الحال ونفذت الرماح من ظهور الرجال هذا وبني عبس قد مددوا أعداهم على الرمال يمينا وشمال واصطدمت الطائفة العبسية بالطائفة النبهانية ودارت عليهم دوائر الزمان وظهر الحق وبان الكتمان وتحير الجبان وندمت على ذلك بني نبهان وعلى الحقيقة انقلب البر وغابت جوانبه وضاق على الهارب مذاهبه وشاب رأس الجبان وابيضت ذوائبه وانعجم اللسان عن رد الجواب لمن يخاطبه ولعب الجواد برأس راكبه وكان الغبار مثل الليل وأسنة الرماح كواكبه والقتام مثل الغمام والرجال سحائبه هذا وعنتر بن شداد قد أظهر عجائبه وفزعت الانفس من طعناته وضرباته وكذلك من طعن أولاده ومن صحبه من رجاله وأجناده ولم تزل الرجال متلازمة والحروب قائمة الى نصف النهار وقد زاد الحرب شرار النار وأخذت الطائفتين راحة من كرب المجال الى أن برد الهوى وعادت بالجملة الفرسان وصرخت الشجعان ﴿قال الراوي﴾ فبينما هم على ذلك الشان واذا بمواكب بني نبهان تمخضت وكتائبها قد تزعزعت وخرج منها فارس كانه العلم وهو راكب على جواد أدهم وساق جواده الى أن توسط الميدان ورفع صوته بالكلام ونادى يا بني عبس الكرام اعلموا انني أنا المقدام بن حسان فارس الصدام فلا يبرز لي الا كل بطل همام فلم يتم كلامه حتى برز من بني عبس اليه فارس وصار قدامه ونادى يا بني نبهان من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فما بي خفا أنا فارس الزمان المسمى بسبيع اليمن بن مقرى الوحش البطل المصان ثم ان سبيع اليمن تقرب من الميدان وهجم على المقدام بن حسان وضايقه ولاصقه وضربه بالحسام على وريده أطاح رأسه من على كتفيه وبرز اليه فارس قتله والثاني جندله والثالث فما أمهله ولم يزل سبيع اليمن على هذا الشان حتى قتل من بني نبهان خمسين فارس أعيان فلما نظرت بني نبهان الى ذلك الفارس وهو على قتالهم الحريص أقبلوا على الاسد الرهيص وقالوا له أما ترى الى بني عبس وقد أفنتنا وأنت واقف تتشاغل عنا فوالله لقد جلبت حرب بني عوان لتعرضك لبني عبس وعدنان وأخذ أموالهم بالجور والعدوان فلما سمع وزر منهم ذلك الكلام قال لهم يا بنو عمي ان كنتم عجزتم عن قتالهم فانا لهم ولامثالهم وفي غداة غد ابرز الى ساحة الميدان وانزل ببني عبس الذل والهوان واترك عنتر على وجه الارض قتيل والا آسره وأقوده ذليل حقير فعندها رجعت بني نبهان عن ساحة الميدان وقد أبطلوا في ذلك اليوم الحرب والطعان وافترقوا عن بعضهم بعض وما قتل من بني عبس لا أبيض ولا اسود هذا وقد رجع عنتر بن شداد وهو يشكر سبيع اليمن الفارس الجواد فشكره سبيع اليمن وأثنى عليه وقبل يديه وكذلك عنتر قبله في وجهه وبين عينيه وقال له يا سبيع اليمن أنت لي نعم الولد وكيف وأنت خليفة تلك الفارس الامجد الذي ما كان مثله في هذا الزمان يوجد هذا وقد بات عنتر وهو يهمهم ويدمدم لانه قد ملك عليهم فم الوادي ووكل به أولاده غصوب

وميسرة وسبيع اليمن الفارس القسور وعروة بن الورد فى خمسين فارس مدارس وبات تلك الليلة الى الصباح وفؤاده يغلى على الاسد الرهيص الكلب التعيس لان فى قلبه منه شئ أمر من ضرب الصفاح ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من عنتر وأما ما كان من الاسد الرهيص فانه لما عاد من الميدان اجتمع بالمنهال وقال له اعلم ايها الامير ان عنتر وأصحابه اتوا الى هذه الديار وما بقى لهم عودة لاباهلهم والعيال بعدما أخذوا مالهم من المال والرأى عندى ان تدبر على هلاكهم وهلاك من معهم وأريد من عندى عبدين يكونوا شدادا جلادا من الذين معودين بخوض الجلاد وأنفذهم عندى نجم اينزلون من خلف بنى عبس ويأخذون فى عرض البر ويطلبون الملكين ماجم بن حنظلة وأخيه شارب الدما ويعلموهما بما جرى لنا ويخبروهما بأن عنتر معه خمسمائة فارس قد دخلوا الى ديارنا وقد احتطنا بهم وما بيننا وبين هلاكهم الا ليلة واحدة لاننا قد ملكنا عليهم الطريق وأريد أن تدهموهم من ورائهم ونحن من بين أيديهم حتى اننا نأخذ هذا الاسود ونستوفى منه الثار ونزيل عنا العار والفضيحة والشنار فقال له المنهال هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انه أنفذ عبدين جليدين وسيرهم مع عبده نجم بهذه الرسالة فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بنى نبهان فانهم باتوا الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وقد أفرغوا على أجسادهم الزرد والسلاح وساروا الى الميدان يطلبون الحرب والكفاح فقفز عنتر الجحجاح الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وركض بالجواد حتى قارب بنى نبهان وقال ويلك يا ابن وزر أما نفعت معك الصنيعة فلعن الله بطنا حملتك ومرضعة أرضعتك لانك رجعت الى خساسة أصلك وفرعك لعنك الله ما أردى طبعك ولكن من أعتق مثلك ندم وفى هذه النوبة لابد ما أخرب ديارك وأمحى بين العرب آثارك وأحل بك العدم فلما سمع وزر كلام عنتر التفت الى المنهال وقال له ما قد أتاك الامر كما أردت لانى كنت عازم الى أن أخرج الى الميدان وأطلب عنتر الى القتال وأطاوله الى أن يأتى ماجم بن حنظلة وأخوه شارب الدما يحملون من ورائهم وأكون أنا وأنت ومن معنا من الفرسان من بين أيديهم وقد انقضى الشغل وهان ولكن اجعل بالك من الرجال حتى أوريك ما أفعل به من الفعال ثم حمل الاسد الرهيص على عنتر وتقدم اليه وسار عنده فى الميدان وقال له يا ولد الزنا أما علمت ان الحروب دول وما كل الايام لك تدوم حتى تفعل ما تفعل فقال له عنتر وقد اغتاظ وامتلا قلبه وفاض ويلك يا وغد قومه ولئيم عشيرته والله لو كنت أنا حاضرا عندما أتيت الى بنى عبس وسبيت حريمهم والنسوان لكنت أنزلت بك الذل والهوان ولكن يا ابن ألف قرنان أنت باغى غدار خوان لانك اغتنمت الفرصة بغيبتى عن الديار وهجمت على قومى هجوم الكلب الغدار وها قد جمعنا الميدان وكان الذى كان فدونك وضرب البتار وطعن الرمح الخطار فمالك غريم الا أنا فأى من قتل منا صاحبه فاز بالفخر والشرف وغاب عنه الهم والأسف فلما سمع وزر كلام عنتر زاد به الغيظ والحنق وحمل على عنتر وعليه انطبق فاستقبله عنتر واليه لحق وصاح عليه وزعق وتقاربا وتباعدا والتحما حتى صار النهار فى أعينهما مثل الدجى ولم يزالا فى صدام ولزام وتجريع الموت الزؤام حتى علا عليهما الغبار وهما فى اقبال وادبار وما بقى لهم حس يسمع وخاب منهما الطمع وخيم عليهما الغبار وارتفع وتضايقت عليهما الصفوف وتجاذبوا فى أيديهما السيوف وامتدت اليهما الاعين لينظروا ما يجرى من الحرب والجلاد بين الاسد الرهيص وعنتر بن شداد هذا والفارسان ما زالا على مثل ذلك حتى قامت الشمس فى قبة السماء وقد زاد بهما العطش والظما فتعب الاسد الرهيص وتيقن بأسره على يد عنتر أو قتله فخاف على نفسه لما ان قل جهده وضعف حسه فاراد أن يتقهقر الى وراه ونظر عنتر الى وزر وقد ضعف عن قتاله وكل عن حربه ونزاله وقد تقهقر الى وراه فعرف مرامه وهجم عليه وأراد أن يأخذه أسير واذا بغبار بنى طى قد طلعت والضجة من تحت الاعلام قد ارتفعت وذلك الغبار قد حجب بين السماء والارض والملكين فى أوائل الخيل وبنى طى من خلفهم مثل السيل السيال أو الظل اذا مال وهم ينادون بالاخذ الثار البدار البدار من هذا العبد الغدار وقد انطبقت الرجال بعضها على بعض وماجت جنبات الارض وعملت السيوف فى طولها والعرض ففى ذلك الوقت انفصل القتال بين

عنتر والاسد الرهيص وعاد عنتر الى بنى عبس الى ملتقى القادمين وصاحت بنى عبس كانها أسد العرين وكان قد حمل ميسرة وغصوب فى أوائل الجيوش وقد مزقوا الاعداء بطعن الرمح الكعوب هذا وقد حمل زخمة الجواد ومالك بن قراد حتى أشرفوا على الهلاك وحمل عروة ورجاله وزعق فى أبطاله وكانت بنى عبس قد أملت أن يأخذوا الاسد الرهيص أسير ويخلصون الاموال والحريم والعيال وما كانت الساعة حتى قدمت عليهم هذه الجحافل وأسنة رماحها مثل الكواكب وهم شاهرين القواضب وقد دارت بهم الابطال وجاءت عليهم بنو عبس الاقيال هذا وقد صاح الاسد الرهيص فى بنى نبهان يا ويلكم هذا الذى كنتم تريدونه فاطرحوا بنى عبس على الصعيد وبددوهم فى تلك القفر والبيد كل ذلك يجرى وعنتر لا يلتفت الى من صاح بل صار يقبض الارواح وغصوب ينادى بأخيه ميسرة يا أخى فى مثل هذا اليوم تبان منازل الافتخار عند النزال ويبان الصبور فى وقت القتال فاحمل بنا ودعنا نحمل عن أبينا الاثقال ونفرقهم يمين وشمال هذا ولم يزلوا الموكب تتحاطم والسيوف تتلاطم وبنى عبس قد أشرفت على الهلاك وقد وقعت فى ضيق الاشراك ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم على ذلك الحال واذا هم بغبار قد طلع وتقسطل فما كان غير ساعة حتى انقشع وبان من تحته بريق الصفاح وأسنة الرماح وهمهمت الابطال وزعقت الرجال ولمعان الحديد والزرد النضيد وفى أوائل الخيل الملك قيس بن زهير واخوته والبرمن لمعان حديدهم زادت لمعته والرجال تضج خلفه من شوقهم الى القتال وصاحوا يا لعبس يا لعدنان وانطبقت على بنى طى انطباق العقبان فهنالك عظمت المصائب ووقع الطعن الصائب وأظهر عنتر وأولاده الاهوال والعجائب وتلاطمت الفرسان الاشاوس ولحقت بنى طى الوساوس ومالت فرسانها من على السروج وكان يومهم مثل يوم يأجوج ومأجوج ومازال القتال يعمل فى بعضهم البعض وجالت الفرسان طولا وعرض وسال الدماء على وجه الارض وعض الجبان على أصبعه ولبصره غض وفعل عنتر وعروة فعالا تعجز عنها الاسود الضرية وثبتت اخوة الملك قيس لاسباب المنية ووقع الحديد على الحديد وبان الشجاع من البليد وقطع الحسام والزرد النضيد وقتل من قتل من قريب وبعيد وأشعل عنتر نار الحرب وحماها وأوقدها واصطلاها وضرب بسيفه الرقاب وأبراها وبذل الدماء من النحور وأجراها وأطعم الوحوش لحومهم وأغذاها ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار وارتحل عندها افترقت الفرسان عن بعضها البعض وقد امتلأت بالقتلى جنبات الارض ونزل بنو عبس على وجه الارض ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى مجىء الملك قيس ومن معه من الرجال وهو انه لما قام عنتر من عنده يطلب الاسد الرهيص وحربه فقال الملك قيس لاخوته وبنى عمه والله ما كان تخلفنا عن عنتر بصواب وكان الصواب ان نسير معه ونكون يدا واحدة وعلى خلاص حريمنا مساعدة لان عنتر حاميتنا قد أرمى نفسه من أجلنا فى بحر زاخر ماله أول من آخر والرأى عندى ان نسير فى طلبه فان وجدناه فى خير هنيناه وان وجدناه فى شدة انجدناه فعندها تجهزوا وساروا من وقتهم وساعتهم وركبوا الخيول وقووا النصول وقطعوا الارض عرضا وطول حتى وصلوا الى تلك الارض والطلول ورأوا عنتر قد أحاطت به تلك الالوف وبرقت من حوله السيوف فحملوا وكشفوا عنه تلك الشدة وأجلوا الظلمة بهذه النجدة وفرح عنتر بالملك قيس وشكره على حسن صنيعه وبات الفريقان تلك الليلة وقد أضرموا النيران وتحارس الفريقان هذا وبنى نبهان قد اندهلوا من فعل بنى عبس وطعنهم فى الرجال وصبرهم على القتال والاسد الرهيص يوعدهم أن يلتقى عنهم الاعداء ويسقيهم كاسات الرداء فعند ذلك سلم على الملك ماجم وأثنى عليه فقال له الملك ماجم والله ما أمر هذا العبد الاعجب فقال له الاسد الرهيص يا ملك طب نفسا وقر عينا فاننا فى غداة غد أبرز الى عنتر وآخذه أسير وأحل ببنى عبس التدمير وأنا أعلم ان اللات والعزى ما ساقت بنى عبس الينا الا وقد حان بوارهم وقرب دمارهم ثم انهم باتوا الى الصباح وقاموا يطلبون الحرب والكفاح وجردوا البيض الصفاح وزحفت الزحوف وجردوا السيوف وكان أول من فتح باب الحرب والطعان الاسد الرهيص الخوان وهو على

جواده الموصوف وهو غائص فى عدة حربه وجلاده ونادى بين الانام يا بنى عبس الكرام والمناقب العظام لا يبرز لى الا العبد كم عنتر بن شداد حتى أتلاطم أنا واياه فى مقام الصدام فلم يتم وزر كلامه حتى قفز اليه عنتر بالابحر وصار قدامه وصرخ فيه وقال له ويلك يا ابن اللخنا أى شئ هذا التطويل والى كم تمنى نفسك بالاقاويل والفشل والاباطيل ثم انه انقض عليه فانقضاض النسر القشعم وهجم عليه هجوم الاسد الضيغم وقبض على جلابيب درعه وعصر عليه كاد أن يطير احداقه وهزه بيده فاقتلعه من سرجه أخذه أسير وقاده ذليل حقير فعندها كثرت الضجات وعلت من بنى عبس الصيحات وحملت بنى طى عن بكرة أبيها بدون خلاص وزر بن جابر من قبضة عنتر الاسد الكاسر فانحط عليهم بنو عبس المشاهير بطعن أمر من نيران السعير واحتبك الحرب وعمل الصارم العضب وفلق الهام وهشمت العظام وقل الكلام فعندها التقى عروة المنهال وهو يجندل الابطال ويلعب بمهج الرجال وقد قتل خمسة أقيال ولما رأى عروة الى ذلك مال اليه وضايقه فعندها زعق المنهال على عروة زعقة دوت لها الجبال ومد اليه رأس السنان فايس عروة من نفسه وأيقن بحلول رمسه فبينما هو على ما هو معول عليه واذا بزعقة عن يمينه وفارس انقض على المنهال مثل النجم الثاقب أو الشهاب الصائب وطعن المنهال بعقب الرمح العسال واذا به عن جواده قد مال فترجل عروة اليه وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وتأمل فيمن فعل هذه الفعال واذا به غصوب بن عنتر ومن خلفه ميسرة وهم كانهم النيران المسعرة فلم تكن الا ساعة حتى ولت بنى طى هزائم وطلبت البيوت ولو والشكائم واذا قد خرج من وسطهم ثلاثين فارس تتدفق مثل البحر العباب وهم ينادون يا لعبس الانجاب وفى أوائلهم الربيع بن زياد وحصن بن حذيفة نسل الاوغاد ﴿ قال الراوى ﴾ وكان السبب فى خلاصهم على يد شيبوب أنه دخل الى الاطلال عند اشتغال الناس بالقتال وحل الاسارى من الاعتقال وأتاهم بخيول ركبوها وعدد لبسوها وأخرجهم من البيوت والاطناب فالتقوا المنهزمين فوقعوا فيهم بضربات قاطعات وطعنات نافذات فرأت بنى طى البلاء وقد أحاط بهم من خلفهم ومن بين ايديهم فطلبوا الجبلين أجا وسلما وهرب فى أوائلهم الملك الملجم بن حنظلة وأخيه يزيد الملقب بشارب الدما وهم لا يصدقون بالنجاة لانهم عاينوا الموت الفجأة هذا وعنتر وبنى عبس فى أعقابهم يلتقطون منهم الفرسان ويجندلون الابطال والشجعان وما زالوا على مثل هذا الامر والشان الى أن صار وقت الظهر وقد عادوا بالفرح والاستبشار واحتووا على أموال بنى نبهان وخلصوا أسراهم من الذل والهوان وخلصوا حريمهم والصبيان هذا وعنتر يدور على عبلة فما رأى لها خبر فضاق لذلك صدره وحار فى أمره وكثر ظنه وتاه فكره وصار مثل المجنون ﴿ قال الراوى ﴾ فبينما هو كذلك واذا بصوت يناديه فالتفت عنتر اليه واذا هو بشيبوب وبنت عمه عبلة من خلفه فذرفت الدموع من عينيه وترجل اليها وضمها الى صدره وجعل يقبلها وأخذها ودخل بها الى الخيام ونهبوا الحلة بما فيها وخرجت فرسان بنى عبس وقرادها اليها واقتلعوا الحى ولم يتركوا فيه شئ ينفع من الحطام ورحلوا بعد ثلاثة أيام يطلبون الديار وقد حملوا الرجال على الجمال وشد عنتر وزر بن جابر على ظهر جواده عرضا وكذلك فعل بالمنهال وهو يقول له ويلك يا وغد قومه واشيم عشيرته أنت الذى أردت تتزوج بعبلة زينة الاقمار ابشر بالموت والدمار وقطع الاعمار فقال له الملك قيس يا أبا الفوارس أى شئ انتظارك فى وزر بن جابر اقطع عنقه وأرحنا من شره فقال له عنتر أنا معول على ذلك ولكن حتى نصل الى أرضنا ونقر فى أوطاننا ثم ان عنتر قال يا ملك أنا مرادى قبل أن أقتله اركبه على جمل عريان وأطوف به حلال العربان من عدنان وقحطان وأشهره بين العربان وبعد ذلك أضرب عنقه وأعدمه مهجته ﴿ قال الراوى ﴾ فبينما عنتر والملك قيس فى هذا الكلام واذا بعبلة قد تقدمت اليه وسألته فى أم المنهال وقالت له بحياتى عليك يا أبا الفوارس لا تؤاخذه بذنب ولدها واعلم انها قد أحسنت الى لاجلك وكانت تحذر ولدها منك ليلا ونهار وهو جاهل مغرور الا انه طفل صغير وقد أتتنى بثيابى وحلفت على ان البسها بعدما كان أخذهم منى ولدها فلما سمع عنتر منها ذلك أطلق المنهال لاجلها وقال لها يا ابنة

العم ولاجل عين تكرم لها ألف عين ثم أطلق ولدها من أجلها ووهبها أسر بنى نبهان وعفى عن السبى اكراما لعبلة ﴿ قال الراوى ﴾ وكان فى الجملة ريحانة زوجة وزر بن جابر وأطلق لهم أموالهم وعادوا فرحين الى منازلهم وأطلالهم وضربوا الاطناب وعلوا القباب وسرحوا الاموال وقد عمرت بهم ديار وأطلال وعادوا كانهم ما كانوا فى شده ولا أتتهم نائبه ولا نكبه هذا وعنتر قد جد المسير فى الوديان الى أن وصل الى الاوطان ونزلت كل قوم فى مكانها واستبشرت الاوطان بسكانها وبعد ذلك ضرب للاسد الرهيص أربع سكك من حديد وأمر شيبوب أن يواظبه بالضرب الشديد ففعل شيبوب ما أمره به أخاه وكل به جماعة من جبابرة العبيد فهذا ما كان من بنى عبس وعدنان وأما ما كان من بنى نبهان فانهم لما رد عنتر أموالهم وأطلقهم من عقالهم ورجعوا واستقروا فى اطلالهم ثم انهم مضوا الى زيد الخيل وأعلموه بما حل بوزر بن جابر من الذل والويل وكيف جاد عليهم عنتر بأموالهم وأطلقهم من عقالهم فشكر زيد الخيل عنتر على هذه الفعال وفرح بما نزل على وزر من الذل والوبال لانه كان أشار عليه أن لا يتعرض لعنتر فما سمع له كلام وأعرض عن نصيحته وأدبر وما زال يتعرض اليه حتى خمدت أنفاسه ووقع على أم راسه فهذا ما كان من هؤلاء ﴿ قال الراوى ﴾ وأما ما كان من عنتر فانه أقام يعذب وزر ليلا ونهار حتى أشرف على الدمار فاقبل عليه الملك قيس فى بعض الايام وقال له ما بقى فى حياته من فائده والرأى عندى أن تقتله وتريحه من هذا العذاب الذى به تعذبه فامر عنتر أخوه شيبوب أن ينصب له خشبة حتى انه عليها يصلبه ثم نادى فى الحلة أن لا يبقى صغير ولا كبير الا ويحضر صلب الاسد الرهيص وينظر ما يحل به من التعثير فبينما هو على ذلك الحال وقد تجمعت النساء والرجال واذا بخيل مقبله وهى مسرعة والى نحو الحلة وارده ولم تكن الا ساعة حتى وصلت والى نحوهم حملت فتبينوهم من قريب وبعيد واذا هم من فرسان بنى زبيد وفى أوائلهم عمرو بن معديكرب الزبيدى ومعه مائة فارس من سادات العرب وكذلك عبد الله وأخته ريحانه وقد أتوا الى خلاص وزر من تلك الاهانه ﴿ قال الراوى ﴾ وكان السبب فى ذلك أن ريحانة لما أطلقها عنتر ومن عليها بروحها ركبت ناقتها ومضت الى أخوتها ولما رآها أخوها عمر وأعلمته بخبر بعلها وما جرى عليها ونالها ففرح بذلك الحال وقال لها ما الذى تريدى من الفعال فانا ما أقدر أراجع عنتر بحال من الاحوال وقد فعل فى حقى كل جميل وهذا وزر فكم فعل مع عنتر من سوء الفعال فبكت ريحانة بين يديه وتذللت اليه فى المقال حتى انه حن عليها ووعدها أن يسير معها ويسأل عنتر فى بعلها ثم انه ركب فى جماعة من قومه وسار الى أرض الشربة والعلم السعدى وتلك الديار فلما علم عنتر بقدوم عمرو وعلم أن أخته ريحانة هى التى أحوجته الى ذلك الحال فخرج الى لقاء عمرو وقد أبطلوا ما كانوا فيه من الامر وسلموا على بعضهما بعض وترجلوا على وجه الارض فقال عنتر لعمرو بن معديكرب لعلك أتيت الى خلاص صهرك لانى أعلم بأنك من أجله قد زاد فكرك فقال له يا أبا الفوارس أنت أدرى بالامر وأسبابه وما أتيت الا أنى أشتفى من عذابه ولكن يا أبا الفوارس مثلك من قدر وعفى وتجاوز عن الخطا والجفا وكل الناس تعلم ان ما فينا الا من هو طليق سيفك وأمين خوفك لانك أنت الغيث الهاطل والسحاب النازل فان قتلته فيحق لك فانه بحكمك وان عفوت عنه فهو من طيبة أصلك ثم ان عمرا أشار الى عنتر يمدحه بهذه الابيات يقول صلوا على طه الرسول

أرى كبدى من زفرة الحب تحرق * وجسمى من نار الصبابة تمزق
فلا دمع جفنى طافيا نار مهجتى * فبينهما قلب يهيم ويقلق
لك الله من ناجى محبا عن الهوى * فاجفانه من خيفة البين تدفق
الا من يطلب الشوق أو تشكو الهوى * وأحشاؤه من حرقة الوجد تحرق
الى عنتر العبسى فارس قومه * لله أرحام هناك تشقق

وكان عنتر ربى هذا الغلام وعلمه الفروسية والثبات عند الحرب وعلمه الطعن والضرب والسبب فى ذلك أن عنتر كان أغار على حلة بنى ذهل وشيبان ونهب منها أموالا ونوقا حسانا وقتل منها أبطالا كراما وكان من جملتهم أبو هذا الغلام فأتت به أمه الى عنتر وهى من الحزن كاد قلبها أن ينفطر وكان هذا الغلام طفلا صغيرا على على كتفها فقالت له يا حامية عبس وأميرها وأفرس من طلعت عليه الشمس ارحم ترحم واعف تسلم لانك قتلت أبا هذا الغلام وأخذت أمواله وما تركت عندى شيأ أربيه به بين أهله وأنصاره فلما سمع عنتر هذا الكلام دمعت عيناه لانه كان شفيقا على الحريم والايتام وأطلق جميع ما فى يده من الاموال لأجلها وتكفل بهذا المولود الصغير من وقته وساعته وسار يتردد عليه الى ان انتشى ودرج بين البيوت ومشى وهو يفتقده بالاموال الى ان بلغ مبالغ الرجال وصار يعلمه أبواب الحرب والقتال والطعن والنزال الى ان خرج منه ما خرج وسار فى هذا المنهج الى ان كان فى هذه الايام التى أغار عليه الاسد الرهيص ونهب أمواله وبدل عيشه بتنغيص فطلع هذا الغلام فى جماعة من فرسان الحى الكرام وجرى له مع الاسد الرهيص ما جرى ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع وزر من الغلام ذلك النداء فرح وقال لاصحابه هل فيكم أحد يعرف هذا الغلام الذى انتسب لبنى عبس وعدنان فقال له واحد من رفقاه نعم أنا أعرفه وأعرف من رباه فقال له اخبرنى بهذا الامر ومعناه لانه لما انتسب الى بنى عبس وعنتر لانه فرح قلبى بذلك واستبشر فقال له رجل من قومه والله يا ابن الاجواد ان هذا الغلام روح عنتر بن شداد فان أردت أن تأخذ بالثار فدونك وهذا الغلام نسل الاشرار فلما سمع وزر هذا الخبر فرح به واستبشر وحمل على الخيل ونادى أنا وزر بن جابر صاحب الشرف والمفاخر وصار يطعن فيهم طعنا متواتر فردت الخيل على أعقابها وولت ركابها ولم يثبت بين يديه الا ذلك الغلام ثبات الاسد الضرغام ثم حمل على وزر وقال له أيها الجانى على نفسه والساعى لورد حتفه يا ويلك أنسيت ما فعل أبى عنتر معك من الجميل يا جبان يا ذليل ثم انه أشار يقول صلوا على طه الرسول

بئس هذى الفعال بين الرجال * يا زنيما تعد بين الموالى * سوف ألقيك ما لقى ثاويا
معفرا الخدين على أعلى الرمال * ويبان الجبان اذا أوهج الحرب * وتزوبع الغبار للجو عالى
فلابد ما أسقيك كاس المنايا * بمرهف الحد ماضى الصقالى

﴿قال الراوى﴾ فزعق عليه وزر وقال له اسمع جوابك يا ابن الائام ثم أنشد يقول

أنا الاسد الرهيص حزت المعالى * قليل المثال فى يوم النزال * لقد حزت الفخار بأبى وجدى
وسعدى قد فاق ضوء الهلالى * سأهلك عنتر نهار الحروب * ببيض الهند وسمر العوالى

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ وزر من كلامه حملوا على بعضهما بعض حتى تدكدكت من حوافر خيلهما الارض ولم يطل بينهما الامر حتى أخذه أسير وسامه العذاب ثم ذليل حقير وصاح فى وجوه قومه فولوا منهزمين حتى وصلوا الى حيهم مدبرين واعلموا أم حصيصة بأسر ولدها فى المجال فضاق صدرها من ذلك الحال ثم انها من ساعتها ركبت فوق ناقتها وسارت الى عنتر وأعلمته بما جرى على ولدها من الاسد الرهيص وكان عنتر وأولاده وفرسانه وأجناده والملك قيس واخوته فى وليمة عظيمة وهم فى أكل وشرب ولعب وطرب واذا بأم حصيصة نزلت عن المطية ومزقت أثوابها ولطمت على وجهها ونادت يا عبس الكرام والملوك العظام الضاربين بالحسام أما من نصير أما من مجير واواحداه واقلة ناصراه ثم شقت أثوابها وزاد بكاؤها وانتحابها فتبادرت اليها الرجال والنساء من كل جانب ومكان وسألوها عن حالها فاخبرتهم بجميع ما جرى لها فلما سمع عنتر هذا الكلام تحير وسأل بعض اخوته فقال له هذه أم حصيصة قد أقبلت وبصياحها ولولت وأعلنت فقام عنتر اليها وقال لها ما دهاك ومن بشره قد رماك فقالت له يا حامية عبس أسر ولدى ونهبت أموالى وقتلت رجالى فقال لها عنتر ومن فعل معك هذه الفعال وكان عليك جائر فقالت له ما فعل هذه الفعال الا وزر بن جابر فلما سمع عنتر ما فعل الاسد الرهيص تبدل صفو عيشه بتنغيص وانزعجت حواسه ونادى واحرباه عليك يا ابن اللخناء وتربية الامة الزانيه ولكن لابد لى فى هذه النوبة من قتلك وأقطع فرعك

فأكرم به خلقا وخلقا وسوددا * فليس له شبه من الخلق يخلق
يهنيك يا حامى العشيرة مدحتى * امل يكن وصفى اليك موافق
لسانى رطيب بالثنا وأزيده * ومدحك فى فكرى بذكرك ناطق
فكم سلفت من جود كفك مزنة * يقصر عنها العارض المتدافق
فارحم أسيرا حائرا بخطابه * واعف واصفح بالمكارم واطلق
فلا أوحشت منك المكارم فى الملا * مدا الدهر ما ناح الحمام المطوق
اذا اعتذر الجانى اليك قبلته * وتصفح عن ذنب المسىء وتعتق

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر شعر عمرو بن معديكرب فرح وتمايل من الطرب وقال والله يا عمرو لقد أحسنت فيما نطقت فخذ صهرك فانى قد أطلقته اكراما لأجلك ثم انه أمر شيبوب ان يأتيه به فامتثل أمره وأتاه به اليه فقال له عنتر يا وزر اعرف قدرك وهذه المنة الاخرى والزم قدرك بين الورى فوحق ذمة العرب لولا صهرك عمرو لما تركتك تشم نسيم الهواء ثم انه أطلقه وأخلع عليه وأحسن اليه فلما نظر وزر الى فعاله قال له لله درك يا أبا الفوارس والله ما لك فى هذا الزمان مقايس فعندها أكرم عنتر لعمرو ووزر غاية الاكرام وكذلك ريحانة عند عبلة ثلاثة أيام ثم انهم بعد ذلك طلبوا الرحيل والرواح وساروا يقطعون الربا والبطاح فلما تمادى بهم المسير أقبل عمرو على وزر وقال له ما الذى أضمرت أن تفعله فى عنتر يا وزر فقال له يا عمرو أضمرت له السيف الماحق والرمح الخارق فوالله لا غفلت عن ثارى ولا نمت عن كشف عارى ولابد لى من قتل عنتر وأولاده وهلاك عشيرته وأجناده ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عمرو منه هذا الخطاب أخذه الغضب وغاب عن الصواب وقال له وحق الرب القديم ما أنت يا وزر بعد هذه الفعال الا لئيم غير كريم يا ويلك يفعل عنتر فى حقك هذه الفعال ويطلقك من الاسر والاعتقال والصلب ولم يزل يخلع عليك وعلى زوجتك الخلع الغوال وتضمر له هذا الضمير فهذا جزاء احسانه عليك يا حقير ثم انه بعد ذلك فارقه من شدة غيظه وحنقه ولم يرجع برافقه وسار طالب دياره حتى وصل الى الاوطان وقر قراره وأما وزر فانه سار طالب ديار بنى نبهان وقومه وأطلاله وكانوا رجال وزر التجؤا الى زيد الخيل حتى ينظروا ما يتم من أحواله فلما أقبل عليه تلقاه زيد الخيل وسلم عليه وقال له كيف رأيت حالك يا ابن جابر وكيف كان حالك مع عنتر الاسد الكاسر يا ويلك أظننت أن تكون به ظافر وقد جمعت عليه أكثر من عشرين ألف فارس فرجعت وأنت خاسر ولولا عمرو بن معديكرب الزبيدى لحقك والا كان عنتر قتلك وفى الارض اقبرك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع وزر كلام زيد الخيل زاد به الذل والويل وقال له أيها الملك ما أنا أول من خانه زمانه فاصبر حتى ترى شأنى من شانه وسوف ترى ما يعجز الواصف بلسانه وما يظهر منى ومنه وما يتحدث به عنى وعنه فقال له زيد الخيل صدقت يا غدار يتحدثون الناس بأى شئ مليح فى فعالك غير مكرك وغدرك ولكن أنا أقول ان عنتر فى هذه النوبة لابد أن يعفر خدك ويصرم عمرك ولابد أن يعود عليك بغيك ثم ان زيد الخيل تركه ومضى الى ابياته وهو متعجب من خبثه ومكرياته وأقام وزر بن جابر فى هم وأحزان مدة من الزمان وقد اسندت فى وجهه جميع الابواب الى ان كان فى يوم من بعض الايام ركب فى مائة فارس من بنى نبهان وسار يطلب المعاش والمكسب كما جرت عادات العربان ومازال سائرا الى أن خرج من مياه بنى قحطان وأتى الى مياه بنى عدنان فوصل الى حلة من الحلل كثيرة المال والنوق والجمال وأهلها فى عز واعتدال وهم فى فرح وسرور آمنين من نوائب الدهور فلما أن رأى الاسد الرهيص الى تلك النوق والجمال قال لقومه يا بنى عمى احملوا بنا حتى نسوق هذه الاموال ثم انه انحنى فى قربوص سرجه وصاح يا آل نبهان فحملت من خلفه جميع الفرسان وقطعوا الاموال وساقوها من غير عاقة وكانت ستة آلاف ناقة ثم سلم وزر الاموال الى بعض الرجال وتخلف هو الى من يأتيهم من الابطال فعند ذلك تبادرت اليهم الرجال وهم راكبين على الخيول الغوال وفى أوائلهم غلام مليح القوام كأنه بدر التمام وهو ينادى يا لذهل وشيبان يا لعبس وعدنان أنا خصيصة ولد عنتر فارس الزمان ﴿قال الراوى﴾

وأصلك ثم انه قال لأم حصيصة أقيمي عندي وأنا سوف أسير اليه وآخذ روحه من بين جنبيه ويكون ذلك في هذا اليوم وليس على عتب ولا لوم ثم ان عنتر مضى الى الملك قيس وقص عليه ما جرى وان الاسد الرهيص تعرض اليه مرة أخرى وأسر ولد حصيصة ونهب أمواله وقتل رجاله وهذه أمه قد أتت الى شاكية مما جرى عليها باكية ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام زاد به الوجد والهيام ولم يبق أحد الا وسبه ولعنه وشتمه فقال الملك قيس لعنتر ما الذي عولت أن تفعله من الفعال فقال عنتر أسير اليه وأخرب دياره وأقلع آثاره فقال له يا أبا الفوارس ارسل اليه الساعة رسول واسمع منه ما يقول فلعله يكون ما عرفه ولا عرف انه متعلق بك ولا ملتجئ اليك فاذا هو اعتذر اليك فاعف عنه لان العفو من شيم الكرام واذا لم يسمع ولم يطع فعند ذلك تمضي اليه واسقه كاس الحمام فقال عنتر هذا هو الصواب ثم أقبل على عروة وقال له اكتب لوزر كتاب واذكر فيه هذه الاسباب فكتب عروة يقول في أول الكتاب باسمك اللهم رب الارباب ومعتق الرقاب وخالق آدم من تراب أما بعد فهذا من عنتر بن شداد حامية عبس وعدنان الى بين أيادي الاسد الرهيص حامي بني نبهان قد حضرت عندنا أم حصيصة وأخبرتنا انك أسرت ولدها الذي هو مهجة كبدها بعد ما نهبت أمواله وقتلت رجاله فما كان ظني فيك ان تكافئني بهذه المكافاة بعد ما أطلقتك من أسرك وجدت عليك بالحياة فان كنت فعلت هذه الفعال من غير علم ويقين فانا مسامحك من هذا الذنب وأكون لك معين طول السنين وان كنت فعلت هذا الفعل من باب المكر والغدر فانا سوف أجازيك على فعلك وأنت تعرف من أنا عند الكر والفر والرأي الصواب انك ترد على ولدي أمواله وتطلقه وتطلق رجاله حتى أعلم انك صادق في مودتك وصنت من القتل مهجتك وان وقع منك مخالفة فيما ذكرته اليك فها أنا قادم عليك آخذ روحك من بين جنبيك ثم ان عروة بعد ما كتب هذا الكتاب طواه بعد ما قرأه على عنتر وكتب على ظهره من عند عنتر بن شداد فارس بني عبس يوم الجلاد وأيضا كتب كتاب الى فارس بني نبهان وهو زيد الخيل الفارس المنصان ثم ان عنتر دعا باخيه شيبوب وولده الخذروف وقال لهما امضيا بهذين الكتابين أحدهما الى الاسد الرهيص والثاني الى زيد الخيل واجتهدا حتى تكونا على خلاص حصيصة من نصين فاخذ شيبوب الكتابين هو وولده الخذروف وسار وايقطعون البراري والقفار وهما طالبين بني نبهان وتلك الديار ﴿قال الراوي﴾ وأما ما كان من الاسد الرهيص فانه سار طالب بني نبهان بعد ما تفرقت الاعداء في كل مكان وأعطى لكل من رجاله قسمة من الغنيمة ثم ان وزر ضرب لحصيصة أربع سكك من حديد وسار كل يوم يضربه ويعذبه العذاب الشديد فبلغ الخبر الى زيد الخيل فسأله عن سبب غيبته فاخبره بما جرى له في نوبته وقال له بعد هذا الامر العظيم لابد أن أهلك عنتر العبد الزنيم لانه يزعم أن هذا ولده ولابد ما يأتي في طلبه فاذا أتى سوف أبيد شافته وأمحق غابرته فلما سمع زيد الخيل هذا المقال انزعجت حواسه وطار عقله من رأسه وقال له ما أخبث فعالك والله ان سمع عنتر وأتى ههنا سوف يعجل حتفك ويرغم أنفك أما عليك عار يا وزر من فعالك المهملة لما عجزت عن خصمك تمضي الى قوم ما بينك وبينهم معاملة ولكن والله ان أسر هذا الغلام ما يكشف عارك ولا يزيل شنارك فقال له وزر وحاله قد تغير يا زيد أنا ما أسرت هذا الغلام الا لما رأيته ينتسب الى عنتر اعلمي انه ما يقعد عنه فاراتي وطلب خلاصه أسرته أو قتلته فقال له زيد الخيل أخاف ان ينقلب الفخ عليك ويأكل الطير لحم خديك وانت والله ما ترى هذا ولا في المنام يا أشيم بين الانام وأنا أعلم انه اذا أسرك في هذه النوبة ما يعتقك ولابد له أن يضربك بسيفه البتار يقتلك أو يأخذك الى حلته ويهاينك لانك يا ابن جابر باغي وعلى عنتر ماكر وطاغي فقال وزر هيهات أن يكون الدهر كله لعنتر ولابد أن يظهر لك ما أنزل به من العبر فقال له زيد الخيل اطلق يا وزر هذا الاسير ورد عليه ما أخذته من ماله قليلا أو كثير فقال وزر هيهات أن أطلقه بل يكون عندي مقيد حتى آخذ بثاري من عنتر الاسود فقام من عنده زيد الخيل وهو يدمدم ويقول له سوف تعلم من يندم اذا زل به القدم ﴿قال الراوي﴾ وبعد ذلك بايام قلائل وصل شيبوب اليه وكان وزر قاعد على باب مضربه وهو يشرب فضلة خمر كانت عنده وقد عملت في رأسه السكرة ولما

رأت العبيد الى غبرة شيبوب انزعجت وظنوا انها سرية خيل عليهم طلعت من البرية فعندها وصل شيبوب وأتوا به العبيد اليه فلما وقف بين يديه قال له وزر يا وغد قومه فيماذا أتيت من الخطاب فقال له شيبوب أخي أرسلني اليك بكتاب وتقدم شيبوب وسلم الكتاب اليه فاخذه منه وقرأه وعند ما عرف معناه غاب عن الصواب وأمر الغلمان أن تقبض على شيبوب من غير مطال فتقدمت اليه وقبضوه وهو يقول له يا عبد السوء لك لي أن يقال هذا المقال ثم أمر العبيد فادار وايده الى وراه وحطوا في رجليه قيد ثقيل فلما رأى الخذروف ما فعل الاسد الرهيص قفز من بين الصفوف وقصد زيد الخيل وسلمه الكتاب وقصد وسيع المهاد قاصد عمه عنتر ابن شداد هذا ما كان من الخذروف وأما ما كان من شيبوب البطل المعروف فانهم بعد جعلوا يضربوه بالسياط وهو يستغيث ولا يغاث وما زالوا يضربوه حتى كادوا الروح يعدموه وهو يقول ويلك يا ابن الزانية أي شيء يصلح بيني وبين عنتر حتى يكاتبني وأكاتبه ويهددني بمسيره الي وقدومه علي وأنا غير ذلك أريد وقبل كل شيء أصب عليك العذاب الشديد حتى يعلم بذلك ويأتي في خلاصك وأربطك بجانب حصيصة ثم انه أمر عبده نجم أن ينصب له خشبة فعندها نهض العبد نجم ونصب الخشبة وقام وزر وقال له يا ولد الزنا لابد لي أن أصلبك كما أراد أن يفعل بي أخيك وأراد أن يصلب شيبوب وأحضر له حبل وأراد أن يضعه في رقبته ﴿قال الراوي﴾ فبينما عبده نجم مهتم بذلك الامر والشان واذا بالضجة قد علت في الحلة وقد خرج كل من فيها من النساء والصبيان والبنات والعبيد والمولدات وسائر الفرسان وكان الخبر قد وصل الى زيد الخيل وأبيه المهلهل من عند عنتر بن شداد والرسول الخذروف ومعه كتاب وقد أخذه منه وقرأه وعرف رموزه ومعناه وفي عاجل الحال لما سمع زيد الخيل بصلب شيبوب عند الاسد الرهيص ضاقت عليه الارض وبقي يتنفض وركب هو وأبيه من وقته وساعته وقد أطلقوا الاعنة وقوموا الأسنة والعبيد تتجارى من بين أيديهما الى أن وصلوا الى الخشبة فرأوا شيبوب مكتوف اليدين والحبل في عنقه والعبد نجم يريد أن يعلقه فزعق عليه وقال له يا وغد العبيد أتريد أن تصلب السادات الاماجيد ثم انه هجم عليه وفتح باعه ونزل عليه بالسوط على أكتافه وبين عينيه ووجهه وأطرافه فاطلق الحبل العبد من يديه وقد ثارت همة زيد الخيل وحل شيبوب من الرباط وسلمه الى عبده وأنفذه الى أبياته وسار زيد الخيل الى عند وزر فوجده يشرب الخمر على باب بيته وقال له يا وزر ما حالك وما الذي جرى في عقلك ونالك أما ان تهتدي وترجع عن هذا الجهل فوالله لا جاورناك بعد هذا أبدا يا أما ترحل عنا أو نرحل عنك لانك تريد أن تقلع حلة بني نبهان الى آخر الزمان ويلك يا قرنان أما كفاك أن تهلك نفسك بيدك حتى تريد تهلكنا معك وأنت اذا أهلكت هذا الرجل ما تقنع بني عبس ببني نبهان جميعا وأيضا أتاني كتاب بخلاص حصيصة من عند عنتر فارس البدو والحضر فما رأيك في ذلك يا أخس البشر فقال الاسد الرهيص لا أسلمه أبدا ولو شربت كاس الردا فقال زيد الخيل ارحل عنا غدا وابعد أبعدك الله وقتلك والى طرق المهالك أرسلك فلقد أضرمت علينا نارا بعد ما لواقتامها ويزيد اضرامها لانك لا ترحم الكبير لكبره ولا الصغير لصغره ونحن والله ما لنا حاجة بقتال من أحسن الينا وعفى لما قدر علينا فلما سمع وزر من زيد الخيل ذلك الكلام قال أيها السيد أنا أرحل عن هذه الديار بسلام ودعني أنا وغريمي وان كان لي تار فلابد أن أقضيه أو دين أستوفيه ثم انه أمر بهدم أبياته وشد رحالاته ورحل من وقته وساعته بعد أن غاص في لامته وغرق في عدته واستوى على ظهر جواده وسافر فسار لمسيره اربعمائة بيت من بني نبهان ولم يزل سائر الى أن وصل الى بني جديلة ونزل عليهم ففرحوا بقدومه عند ما رأوه وسألوه عن حاله فاخبرهم بما فعل زيد الخيل من الفعل المنكر مخافة من عنتر وبعد ذلك قالوا له لا بأس عليك فها نحن كلنا بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما جرى لهؤلاء من الأمر المكتوب وأما ما كان من الامير شيبوب فانه لما أطلقه زيد الخيل بعد ان كان أيقن بالذل والويل وقد خلع على شيبوب خلعة وكتب له رد الكتاب وذكر فيه جميع ما تم له مع وزر من الأمر ومعانيه وسار شيبوب كانه الطير اذا سار وما زال سائر يقطع البراري والقفار الى أن بقي بينه وبين الحلة يومين واذا بغبار من بين يديه قد ظهر وتزوبع فوقف حتى ينظر ما تحته من البدع واذا به قد

انقشع وبان من تحته مائتين فارس شمردغ وبين أيديهم رجل كاد أن يخط بأقدامه الارض وهو كالغراب الابقع فلما رآه شيبوب حن اليه كبده واذا به الخذروف ولده ومن وراءه عنتر عمه وهو طائر فؤاده ومن حوله أبطاله وأجناده وكان عنتر لما وصل اليه الخذروف وأعلمه أن أباه شيبوب قد صلب وحل به الويل والكروب فركب في ساعة الحال وتلاحقت به باقي الرجال وخرج من الحلة ودمعه مسكوب ومازال سائرا الى أن التقى بأخيه شيبوب ففرح به عند ملتقاه وزال عنه ما كان قد اعتراه وسأله عن حاله فحدثه بما جرى له وناله وأعطى له الكتاب حتى يعرف ما فيه من الاسباب وهو يهمهم ويدمدم فقال له شيبوب يا ابن الأم وما خفي كان أعظم فعندها سار عنتر يقطع البراري والقفار وهو طالب بني نبهان وتلك الديار فهذا ما كان من عنتر بطل الزمان ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من ملك بني عبس وهو الملك قيس فانه لم يعلم بمسير عنتر الى بني نبهان الا ثاني الايام فخاف على نفسه من العتب والملام فاقبل على بني عمه واخوته وفرسان عشيرته وقال لهم أنتم تعلموا أن عنتر ابن عمنا وحاميتنا رحل الى بني نبهان فقوموا بنا حتى نتبعه ونساعده على ما أراد أن يصنعه فلما سمع مقاله اخوته قام منهم الامين أطاع كلمته لانه قال لهم انا خائف أن يحل به أمر منكر فقالوا له وما يكون العمل أيها الملك المفضل فقال لهم مرادي أن أرسل خلفه نجدة من فرسان بني عبس الغرر ثم انه التفت الى أخيه ورقة وقال له خذ معك أخيك نوفل وسير وافى ستمائة فارس والحقوا ابن عمنا عنتر لتكونوا معاونين له على العدا فاجابوه بالسمع والطاعة واستصوبوا رأيه وسار ورقة من تلك الساعة وجدوا في قطع القفار وأوصلوا سير الليل بسير النهار وهم غائصون في الحديد والزرد النضيد لا يبان منهم غير تدوير الحدق وورقة في مقدمتهم وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

سأطلب من بالجود فاق فخاره * وأنصره بين القنا والقواضب
وأشفي غليل القلب من أعدائه * وأفديه بروحي من جميع النوائب
ونحن بنو عبس الاسود غطارف * نجود بما نملك ونعطي وننهب
نسود بعنتر خير من مسك القنا * هزبر ومقدام لرد الكتائب
يجود بما تحوي يداه شهامة * وفي الحرب يردي كل ليث محارب
أنا ابن زهير كان سيد قومه * سما بالعلا في شرقها والمغارب

﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الاسد الرهيص فانه لما جرى له ما جرى وعلم أن عنتر لابد له من المسير اليه فاخذ في جمع العساكر والفرسان وكتب الى المنهال بن ناقد كتاب يستنجد به على عنتر وقتاله فلما قرأ المنهال الكتاب أرسل اليه رد الجواب يقول أما أنا فقد كفاني ما لاقيت من عنتر في المرة الأولى لما ملكني بسيفه وأطلقني وما بقيت أضيع جميله ولا أنسى وداده فاستنجد بغيري ولا تكثر على اللجاجة فلما سمع وزر بن جابر ذلك الكلام أرسل الى ملجم بن حنظلة وأخيه يزيد الملقب بشارب الدما وطلب منهما نجدة فانفذوا له أربعة آلاف فارس وأرسل الى قبيلة حاتم طي فسارت اليه بالظعن والحريم ونزلوا على بني جديلة ثم أنفذ الى القبائل التي يعرفها فاجابته عن بكرة أبيها حتى اجتمع عليه عشرون ألف فارس ونزلوا في وادي كثير الاشجار والانهار والازهار وكان بينهم وبين أجا وسلما خمسة أيام وقد سار الاسد الرهيص فرحان ثم أنفذ الطلائع من كل قبيلة عشرين فارس فسارت الطلائع تمضي الفرسخ والفرسخين وتعود كل يوم الى قومهم وكان ذلك خوفا من عنتر أن يدهمهم على غفلة منهم فهذا ما كان من هؤلاء ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من عنتر فانه مازال سائرا يقطع الارض طولا وعرض وهو قدام رجاله ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

سر يا خليلي نحو وزر فانه * من الغدر أضحى في علو مكان
ولا تقبل العذر الذي يعتذر به * فقلبي وحق الله عليه ملآن
تنبه يا وزر يا وغد قومه * أتغدر بعد الصلح بالفرسان
سألقيك في وسط القفار مجندلا * يحوم عليك الطير والعقبان

(قال الراوى) ومازال عنتر سائرا الى أن أشرف على الجبلين أجا وسلما وهو يقطع الارض في طولها والعرض واذا بطلائع الاسد الرهيص قد أبصرته وهم ثلثمائة فارس وقد نظروا الى مائتين فارس فظنوا انها نجدة لوزر فعطفوا عليهم لينظروا من هم من الناس فلما نظر عنتر اليهم قال لعروة بن الورد يا أبا الابيض اعلم ان هذه الخيل طليعة وما عندهم خبر انا من بني عبس الغرر وما هم سائرين الا الينا فامهلوهم حتى يسيروا معنا واحملوا عليهم حملة واحدة ويتعلق كل واحد منكم بواحد منهم يقتله فتكونوا أنتم قد ملكتم منهم مائة أسيروا كون أنا وأولادي وأخي مازن وسبيع اليمن نملك المائتين الاخر ونمكن منهم السيف الرقيق وأخي شيبوب وولده الخذروف يمسكون عليهم الطريق فكل من نجا منهم وطلب الهرب فيضربوه بالنبال يعدموه السعادة والتوفيق فقال له عروة بن الورد لله درك وهذا والله فعل الرجال وعزمات الابطال ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم بنوا أمرهم على ذلك الحال وصبروا حتى قربت الخيل منهم وتبادرت الى نحوهم وقالوا لهم من أي الناس أنتم فان كنتم لنا أصدقاء فنجوتم وان كنتم لنا أعداء فنمحقكم فبرز اليهم مازن أخو عنتر وقال لهم يا قوم اعلموا اننا نحن نجدة الى وزر ابن جابر صاحب الجود والمفاخر فقالوا لهم أهلا بكم من قادمين ومرحبا بكم من واردين ثم انهم اختلطوا بهم وعادوا معهم راجعين وقد اطمأنوا بهم وساروا يتحدثون معهم فعندها زعق غصوب في مقدم القوم وطعنه في صدره أخرج الرمح يلمع من ظهره فعند ذلك صاحت بني عبس وقالوا يا لعبس يا لعدنان وحملوا على القوم أنزلوا بهم التعتير وكان يومهم يوم عسير وقد أخذوا منهم مائة أسير فلله در غصوب وميسرة ومازن فانهم قد ابتهج الرجال وعنتر يصيح يا أوغاد غير امجاد تروني عنتر بن شداد ثم انه حمل على بقية القوم فمزقها وغرق في أوسطها ومحقها وقتل أكثرها وانهزم أيسرها وشيبوب والخذروف يضرب في وجوههم بالنبال حتى طرحوا المنهزمين على الرمال ونجى الامن كان جواده سابق وكانت النبال في ظهورهم خوارق هذا وقد شدوا الاسارى على خيولهم وقد هجوا الباقين في البر على وجوههم وانقلبت الدنيا بالصياح وكانت العربان قربت منهم وسمعوا ضجة المنهزمين بالبطاح فتبادرت الابطال وتقدم الاسد الرهيص في أوائل الرجال حتى وصل الى الطلائع والتقاهم فوجدهم منهزمين وللنجاة طالبين فقال لهم يا ويلكم ما الذي دهاكم فقالوا له أسد الآساد ومذل الفراعنة الشداد فهو عنتر بن شداد الذي قتل منا الرجال الاجواد لانهم صبروا علينا حتى صرنا في أوساطهم ولا حسبناهم الا نجدة لكم فما نحن الا قد اختلطنا بهم حتى انطبقوا علينا وأخذوا منا مائة فارس وقد طلبنا الهزيمة فادركونا مثل الجن الاباليس وقتلوا منا مائة وتسعين فارس فلما سمع الاسد الرهيص منهم ذلك فرح فرحا شديد وقال يا ويلكم لقد ظفرنا الآن بكل ما نريد لان عنتر ظن اننا عن جميع الفرسان غافلين فسار الينا في مائتي فارس وفي هذه الكرة أقتل أولاده وأحرق عليهم فؤاده ﴿قال الراوى﴾ فعندها أطلقت الرجال الاعنة وقومت الاسنة وعلت منهم الضجة والرنة فبينما هم على ذلك الحال واذا بالمائتين فارس وقد ساروا نحو الاعادي وعنتر بين أيديهم وأولاده وأخوه مازن وعروة بن الورد وسبيع اليمن كانهم أسد الضواري وحوافر خيلهم قد زلزلت التلال والروابي وتقابلت الصفوف وبرقت السيوف ووقعت العين على العين وحان الحين وزعق الفريقين وارتجت الاقطار من عظم الصياح ولمعت تحت غبار أسنة الرماح فعندها انطبقوا على بعضهم بعض وارتجت أقطار الارض وصاح عليهم عقاب المنايا وانقض وقد صاحت بنو عبس في تلك الخلائق وضربوا فيهم ضرب واثق وطعن حاذق فلله درهم من قبيلة ما أقل عددها وما أقوى جلدها فانها هجمت على تلك المائة والالوف وقطعت المناكب والكفوف وحكمت في رقاب أعدائها السيوف وقد فعل فيهم عنتر فعله الموصوف وهو يكفف الفرسان عن قومه ويلتقى عنهم أسنة الرماح بجلده وصبره وقد هاج فيهم بضرب الصفاح وقلب البر بالصياح وأولاده من حواليه ينادون لا براح وقد باعوا الانفس ببيع السماح وهاجت في تلك الالام وأذاقتها الاهوال وغنى السنان في مهج الرجال واشتروها بابخس الاثمان وعنتر ينادي في رجاله ومازن قد حير العقول بفعاله وكذلك غصوب أظهر أهواله هذا والابطال قد غمروهم بكثرتهم وصدموهم بحملاتهم وأما بنو عبس فصبروا على

قتالهم بقتالهم لله در بنى عبس ما كان أشدهم وأظهر واهتهم هذا والمنايا قد دارت عليهم بكاسات الراح وملك الموت قد توكل بقبض الارواح والارض قد امتلات بكثرة الاشباح والدم على وجه الارض قد ساح والغبار قد أغشى المقل الصحاح والرجال تبذل مجهودها وقد كلت من شدة الضرب مناكبها وزنودها ودارت طاحون الحرب حائمة والمحنة محكمة والقلوب موهمة والدروع بالدم مصبغة والاحقاد ظهرت بعد ما كانت منكتمة والمعمعة مظلمة ومغتمة ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل حتى ولى النهار وأقبل الليل بظلام الاعتكار وبقيت القتلى على وجه الارض مثل الاحجار ﴿قال الراوى﴾ وكانت بنى عبس قد كلت وملت من شدة الضرب والطعان وكثرت عليهم العربان ودارت بهم الاعداء من كل جانب ومكان وقد ضيقت عليهم المذاهب وكان عنتر ما عنده من الكثرة خبر بل يهدر مثل الاسد القسور ولا يتعب ولا يضجر وقد ضاقت على بنى عبس المذاهب وقد دارت بهم تلك الخلائق من كل جانب وقد أيقنوا بالبوار وقد آيسوا من أنفسهم فى ذلك النهار وكان عنتر قد تولى الحرس بنفسه تلك الليلة الى أن أصبح الله بالصباح وبان ضوءه ولاح فصاح الاسد الرهيص فى العربان فركبت واعتدلت وعلى القتال عولت ونظر عنتر الى أصحابه وقد قل نشاطهم وثباتهم وعنتر قد زعق بالابطال وقال يا ويلكم هذا يوم القتال ما هو يوم الكسل والاذلال أى شئ هذا الوقوف حتى دارت بكم المياه والالوف المتألفة وتلك الاجناد المتضاعفة أما علمتم أنكم اذا تكاسلتم هلكتم فاين النفس القويه والقلوب الحمية من الرجال العبسية فكونوا أنتم خلف ظهرى وأنا ألقى عنكم هذه العربان بصدرى وأفرجكم على كرى وفرى وأمزقهم بجلادى وصبرى ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت بنى عبس من عنتر هذا المقال ثارت الى القتال بعزمات قويه وقد داخلهم من كلام عنتر الحمية وكبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا حملة منكرة وعنتر فى أوائلهم وبجانبه ولده غصوب وأخيه ميسره وقد كسر واحدة أعدائهم وأخروهم الى ورائهم وهم يصيحون يا لعدنان وقد عموا بهيج الفرسان هذا وقد حملت عليهم تلك العربان كأنهم البحر الزاخر وقد أبهتوهم بالصياح وأثخنوهم بالجراح هذا وعنتر يلتقى عنهم أسنة الرماح ويطعن فى الاعداء ميمنة وميسرة الفرسان وقد هابته ولا أحد يقربه ﴿قال الراوى﴾ فبينما هو على هذا الحال واذا بالاسد الرهيص قد مال اليه فى سرية الخيل وهو ينادى يا بنى عمى القصد منكم أن تحموا ظهرى وتكفونى مؤنة أولاده وأنا أكفيكم شره وأصرم لكم عمره وآخذ الفخر على سائر العباد فاجابوه الى ما طلب وحمل على عنتر وانطبق عليه هنالك صاح غصوب فى الخيل وقد فرقها وطعن فى صدرها ومزقها وجعل يبرى رماحها بحسامه وثبت اليها بشدة أقدامه وأما ميسرة فقد أظهر أهواله والابطال تفرقوا من قتاله وكان الاسد الرهيص قد انطبق على عنتر فى سرية خيل ومالوا عليه كل الميل وعاد النهار مثل الليل وعنتر لا يمل من الحرب ولا يضجر من الطعن والضرب هذا وبنى عبس قد ضايقهم هذا البحر العجاج وضاقت عليهم وسيعها فجاج وكان أكثرهم قد أثخن بالجراح وقد أيقنوا بعدم الارواح ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم فى أعظم ما يكون من القتال والحرب والنزال واذا هم بغبرة قد طارت وعجاجة قد ارتفعت والى الجو تعلقت وبعد ساعة تمزقت وانقشعت وبان من تحتها ستمائة فارس كأنهم الاغصان وتحتهم خيول كأنها العقبان وعلى أكتافهم عوامل الرماح وقد قلبوا البر بالصياح وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان وورقة بن الملك زهير وأخيه نوفل فى أوائلهم وهم كأنهم السباع الكواسر فلما سمعوا بنى عبس فرحوا الفرح الشديد هذا وقد مالت على الاعداء قريب وبعيد وقد قويت بهم قلوب بنى عبس الصناديد وحملت الفرسان على الفرسان وجالت الاقران وقد أشفى عنتر فى هذا اليوم الغليل ورما على الارض أوفى من ألف ومائتين قتيل وكان قد ولى النهار وأقبل الليل فنزلت كل طائفة فى مكانها وهى تشكو ما نالها ثم استقبل عنتر الى ورقة وأخيه نوفل وشكرهما على مجيئهما اليه هذا وبنى طى قد تخبلت فى أمورها واجتمعوا بالاسد الرهيص وقالوا له هذا ما جلبت لنا من البلاء والشر بتعرضك لعنتر وبنى عبس الغرر ونحن ما لنا بقتالهم طاقة وأنت تعلم ان عنتر كم كسر من ملوك وأذل كل غنى وصعلوك وقد فعل بنا هذه الفعال وأبادنا

فى القتال وهو فى مائتين فارس والآن قد صار وافى ثمانمائة فارس من بنى عبس الاشاوس فكيف حالنا معه وقد حرنا فى أمورنا وما يكون التدبير فى هذا الامر العسير فقال الاسد الرهيص والله يا بنى عمى لولا هذه النجدة التى أتت وكانت لهم مساعدة والا ما كان بقى لهم باقية ولكن فى غداة غد أنا أبرز اليه فان قتلته أو أسرته ذلت لنا بنى عبس من بعده لانهم وحق مكون الاكوان ما هم عندى الا مثل البهائم الرتع فى القيعان ثم انهم باتوا يتحادثون الى الصباح حتى بان الضوء ولاح فعندها تواثبت الفرسان الى خيولهم وركبوها والى رماحهم اعتقلوها وكانت قويت قلوب بنى طى بكلام الاسد الرهيص ولما اصطفت الصفوف وتعدلت المئات والالوف كان أول من برز الى الصفين واشتهر بين الفريقين كان الاسد الرهيص وقد أخرج يده من جلباب درعه وجرد سيفه من خلفه وقد جال على الجواد وقلبه يغلى بنار الايقاد على ملتقى عنتر بن شداد ثم صاح يا لعبس يا لعدنان من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا الاسد الرهيص المسمى بزر بن جابر صاحب المناقب والمفاخر واعلموا اننا ضجرنا من سفك دماء السادات وقتل الشجعان والقادات وأنتم تعلمون ما بينى وبين عنتر الغدار وما لى عليه من الثار وأنا مطالبه بثارى وأرجو أكشف عارى فدعوه يبرز الى فى مقام الانصاف حتى يشهد على وعليه من اجتمع هنا من السادات والاشراف فما تم الاسد الرهيص كلامه حتى برز اليه عنتر وسار قدامه فانشد الاسد الرهيص يقول

يا وغد عبس جاءك اليوم ضيغم * بصارم مهند ويوم التصادم
سآخذ ثارى منك يا وغد قومه * بحد سنان عند وقع التلاحم
فوا أسفى ان لم أنل منك ضربة * وأسقيك كاس الموت حقا بصارم
فهذا أوان الحرب سلت سهامه * وتضحى قتيلا دامى الوجه عادم
بحسبك أن قد سدت أخزم كلها * لكل أناس سادة ودعائم
وها قد برزت اليوم للحرب عنوة * وآخذ بثارى فهو غاية مغانم
أيا عبد عبس يا لئيم عشيرته * فدونك حربى والتقى لعزائم
لقد شاب رأسى فى قتالك صدقا * وصرت حديثا بين جالس وقائم
أنا الاسد المعروف وزر بن جابر * أبيد الاعادى عند وقع التصادم
فانى كشاف الكروب همامها * أنا الرهيص عند ضرب الصوارم

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر هذا المقال احتد حتى ما بقى يعرف يمينه من الشمال وغضب وعبس وجهه وقطب وأجابه على عروض شعره يقول

سوادى فخرى فى المجال لاننى * هزبر عفيف عند سبى المحارم
لا شيب رأسى فى الحروب يعيبنى * اذا كنت ليثا عند وقع التصادم
اذا كان لونى أسود فخصائلى * قد جردت بيض الصفاح صارم
يقظان فى بغضائنا وهجائنا * وأنت عن المعروف والبغى دائم
وما اعترانى قبح المقال وفعله * لان سنانى فى الصدور محكم
تولى جميع الابطال فى حومة الوغا * وتعجب منى عند طعن اللهاذم
أما نظرت عيناك حربى وما جرى * وأنت مقيد مثل قود البهائم
وكم مرة فى الحرب قد تلك خاضعا * وتطلب عفوى وهو أقوى مكارم
وتطلب قتلى باغيا متعديا * فبغيك لا ينفعك والله عالم
وها حكمت أيامنا بلقائنا * فسوف ترى حربى وقوة عزائم
أنا عنتر العبسى فارس قومه * مبيد الاعادى عربها والاعاجم

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه ونثره انطبق على خصمه كأنه الاسد وقد امتلا غيظا وحرد هذا وقد حمل الاثنان وحلفا أن لا يفترقان الا بذهاب الروحان ومازالا فى صدام ولزام وتجرع الموت الزؤام الى أن زاغت من الاسد الرهيص مقل عينيه وتحيرف نفسه لانه كلما فتح فى الحرب بابا يسده خصمه عليه لان عنتر أثقل عيارا وراح عليه الدرهم قنطار فلوى عنان جواده وأراد أن يهرب من بين يديه فضربه عنتر بالرمح بين كتفيه غيبه عن صوابه وارتمى عن جواده فما لحق أن يصل الى الارض الا وجرير عليه قد انقض ولحقه شيبوب كأنه البلاء المصبوب وشدوا يديه ورجليه وعنتر واقف بجانبه حتى شدوا كتافه وقووا أطرافه هذا وقد ارتفعت الصيحات من بنى عبس ونزل على أعداهم التعس والنكس فلما رأت بنو طى الى هذه الاهوال وكيف وقع وزر فى الاسر والنكال فولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وقد غنمت بنو عبس أموالهم وخيامهم وجميع الذهاب والرحال وقلعوا البيوت بما فيها وخلصوا الاسارى وحصيصه بالجملة وعادوا طالبين الديار والاطلال ﴿قال الراوى﴾ وأما نجم عبد الاسد الرهيص فانه لما رأى سيده أسر وبعد المزقهر قال لمولاته ريحانة ارحلى بنا الساعة الى بنى زبيد ثم انه شد لها على بعير واركبها عليه وترك الناس مشتغلين بما هم فيه وسار بها يقطع البرارى والبيد طالب أحياء بنى زبيد ﴿قال الراوى﴾ وأما عنتر بن شداد فانه سار هو وبنو عبس من خلفه والاسد الرهيص قدامه مشدود على جواده وعنتر بن شداد ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أيا عبلة لو عاينت مابى من الهوى * رثيت لقلب بالوساوس يخفق
رثيت لمن لا يطمن الرمح جسمه * ولو كانت الاعداء بدليل بهيم مزرق
أيا عبلة انى فيكى لا آلف الكرى * وقلبى بنار الصبابة يحرق
دعينى اذا ما الخيل جاءت تزورنى * على جمعها فى حومة الحرب أطبق
وأضرب ضربات يخيل لمن رأى * مطارق شهب الصناديد تطبق
وكم ملك وسط الكريهة قدته * أسيرا ذليلا وهو بالقد موثق
فياليتك لو تشهدين مواقفى * وأبصرت طعنى تحت الغبائر يبرق
ورمحى طويل قد أطال عزيمتى * وعزمى أمضى من الريح أسبق
وكم فارس أسقيته كاس حتفه * فخر صريعا يكدم الارض مطرق
وكم معزمن عظم بأسى مبدد * نوائب تخشى نوادبها محقق

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت لها بنو عبس السادات ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى الديار فسار البشير الى الملك قيس يبشره بقدوم عنتر وبنى عبس وهم سالمين غانمين فركب من وقته وساعته واستقبل عنتر وسلم عليه وهناه بالنصر والظفر وأخذه ودخل به الى الديار واستقر بهم القرار وباتوا تلك الليلة ومن الغد أمر الملك قيس العبيد ان يعملوا وليمة عظيمة ففعلوا ما أمرهم وعزم عنتر وأولاده وأصحابه فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا ثلاثة أيام ﴿قال الراوى﴾ ولما كان فى اليوم الرابع أمر عنتر أخاه شيبوب بحضور الاسد الرهيص فاحضره وأراد عنتر أن يضرب عنقه واذا بالعبيد قد دخلوا على عنتر وأخبروه بقدوم عمرو بن معديكرب الزبيدى فقام اليه واستقبله وسلم عليه وكان أتى فى خمسين فارسا من أكابر قومه ولما اجتمع به سلم كل واحد منهما على صاحبه فقال عمرو ياحامية عبس لا تقل انى أتيتك هذه المرة متشفع فى وزر بن جابر وما أتيت الا احضر عذابه وصلبه ومصابه هذا وريحانة قد تعلقت باذيال عبلة واستجارت بها فقالت لها عبلة ياريحانة مالى الى خلاصه من سبيل فى هذه المرة فانى أخاف من غضب ابن عمى على تارة أخرى ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر كلام عمرو بن معديكرب الزبيدى قال له اعلم يا أخى يا عمرو ان كلامك عندى مقبول ولاجل محبتك أنا ما أقتله بل أتركه كرامة لك ولكن أكحله وأطلقه ثم انه أمر شيبوب باضرام النار بين يديه وأمر المذروف بحضور الاسد الرهيص فاحضره اليه وشده شدا وثيقا ثم ان عنترة حمى سنان رمحه

الى أن طار منه الشرر وأكحل به عينى وزر بن جابر ففرقعت وفعل بالاخرى كذلك ففرقعت ﴿قال الراوى﴾ وفى رواية أخرى انه ملا عينيه كافورا وشدهما بطول الليل ولما أصبح الصباح حل العصابة فابيضت عيناه وصارتا كأنهما شحمتين وسامه بعد ذلك الى عمرو ورد عليه أمواله وأطلقه وقال له ياوزر لو كنت قتلتك كنت من نفسك أرحتك وها قد تركتك لا تنام ولا تلتذ بطعام وكل هذا الذى جرى عليك من بغيك وظلمك وجورك فقال الاسد الرهيص ياحامية عبس اقتلنى وأرحنى من هذه المعيشة لانى أعيش فقيرا وأسأل بعدما كنت أسأل فقال له عنتر ياوزر وأنا أجعل لك على كل سنة رسم وهو مائتا ناقة وخمسمائة رأس من الغنم اما ان تأتى وتأخذها واما اليك فى كل عام أنفذها فلما سمعت فرسان العرب من عنتر هذا الكلام شكروه على ذلك الانعام هذا وقد سار الاسد الرهيص وهو زائد الحسرة والكمد ومصيبته كل يوم تتجدد فقال له عمرو انظر ياوزر كيف بقى حالك أما نهيتك عن عنتر وأنت ما ترجع حتى أحل بك الحدثان والهم الاشنع فقال له الاسد الرهيص ياعمرو ما زالت روحى فى جسدى ما يمنعنى العمى عن أخذ ثارى وكشف عارى ولا زلت أطلبه حتى أقتله وأعجل من الدنيا مرتحله فلما سمع عمرو هذا الكلام علم ان ما فيه موضع للصنيعة ثم انه قال له ياوزر أنت ما فلحت وأنت تبصر فكيف تفلح وأنت على هذه الحالة ثم ان عمرا تركه على حاله وصار يطلب ديار بنى زبيد وأما وزر فسار طالبا ديار بنى نبهان ومازال سائرا حتى وصل الى الحلة ونزل بعيدا عن الحلة حتى لا يشمت به زيد الخيل وأبوه المهلهل لئلا يعايروه بما نزل به من العذاب الشديد فلاجل ذلك نزل عنهم بعيد ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان منه وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه بعدما كحل الاسد الرهيص زادت هيبته عند العرب وأنزل الرعب فى قلوبها شرقا وغربا وبعدا وقربا الى يوم من بعض الايام صنع وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وجمع فيها سادات بنى عبس وأولاده ميسرة وغصوب وأعمامه وأولاد عمه وعروة ورجاله واجتمعت عنده جميع الامراء الكرام وهم على أكل طعام وشرب مدام وهم فرحين بما هم فيه من الهنا والسرور ونحر الجزور وشرب الخمور والاماء بين أيديهم تضرب بالدفوف والمزاهر ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم فى ذلك المزاح الغامر واذا بشيبوب قد دخل على أخيه عنتر ومعه ثلاثة من العبيد وهم من سلاين الخيل وأوقفهم بين يديه فقال لهم ما حالكم وأى شئ جرى عليكم ونا لكم فقالوا له ياحامية عبس اعلم اننا من صعاليك العرب ونحن من سلاين الخيل فبينما نحن فى بعض الايام جالسون فى مضاربنا واذا قد وصف لنا مهرة فى قبيلة بنى مرة لرجل يقال له وائل بن ذهل المرادى وهى مهرة ما اقتنت العرب مثلها فسرنا اليها وسلبناها من صاحبها فلما احتوت أيدينا عليها عزمنا على أن نحملها اليك ونحظى بمالك ونوالك ولما ملكناها عطفنا راجعين واليك طالبين وكان كل من رآها معنا يتعجب من صفاتها ويساومها بالمال الكثير ويريد أخذها من بين أيدينا فنقول له ان هذه المهرة لعنتر بن شداد العبسى فيلوى عنها ولا يطمع فيها ولم نزل كذلك حتى قربنا من دياركم من غير خيفة فالتقى بنا حصن بن حذيفة الفزارى فى خمسين فارسا من قومه ولما رأى الفرس معنا استحسنها وقال انا يا فتيان أريد أن تبيعونى هذه المهرة لانها تعادل مهرتى الغبراء وأنا أدفع لكم ثمنها مهما أردتم من الاموال وان أبيتم ذلك أخذتها منكم غصبا فقلنا له أيها الامير الجواد اعلم ان هذه المهرة لعنتر بن شداد وما لنا أن نبيعها من سبيل فلما سمع منا هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وضربنا بالسياط حتى أكثر منا العياط وقال لنا والله انكم ذكرتموا الى بئس ما ذكرتم وشكرتموا الى غير مشكور ثم انه أخذها منا ونهبها منا وها نحن قد أتينا اليك وأعلمناك بها فان شئت أن تطلبها وان شئت أن تتركها والامر بعد ذلك اليك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر ذلك الكلام اسودت الدنيا فى عينيه وما بقى يعرف ما بين يديه وقد لعبت الخمرة برأسه وأخذت بعقله وقال بعضهم اسقونا خمورا واطلبوا منا ما نقول فهذا شئ لا يكون فدعا بولده غصوب فلما حضر بين يديه قال له اركب الساعة جوادك وامض الى حصن وقل له ياحصن يقول لك أبى بلغ الامر بيننا الى هذا الحد كيف تأتى اليه مهرة بنى قحطان على اسمه الى هذا المكان وكل من رآها يطمع فيها واذا سمع بأنها على اسمى يحجب عنها ولما تقرب القوم من ديارى كيف تتعرض لهم وتأخذها منهم بعدما أعلموك انها لى فان كان هذا بيننا فبئس ما حدثتك به

نفسك فلا يكون الهوان الا بكم أنتم الجميع غدا اذا التقينا وان كنت أخذتها على سبيل الهدية والاحسان كان يجب عليك أن تترك القوم حتى يصلوا الى عندي وترسل تطلبها مني ان كان لك غرض فيها وأنا اليك أعطيها وها أنا قد علمت يا ولدي انك اردت اظهار عزك وذلك فردها على قبل أن تطير جماجمكم من على أبدانكم ثم انه قال لغصوب ولا تأت الا والحجرة معك وان تعاصى عليك حصن اقتله وابذل في بني فزارة سيفك والسنان وأقم الحرب حتى أدركك بالرجال والفرسان فقال غصوب سمعا وطاعة ثم انه ركب من تلك الساعة وكان ذلك الوقت عصاري النهار وعنتر طافح من شرب الخمر هذا وقد سار غصوب وكان بين الحلتين أربع فراسخ فوصل اليهم غصوب عند غروب الشمس ودخل الحي وكان حصن بن حذيفة عمل وليمة عظيمة وقد سكب الخمور ونحر النحور وهم في أكل وشرب وفرح مع سرور فعند ذلك وصل العبيد اليه وأعلموه بقدوم غصوب بن عنتر عليه فوثب في جماعة من أصحابه واستقبلوه وسلموا عليه وأكرموه غاية الاكرام وساروا به الى الخيام وأجلسه حصن بن حذيفة الى جانبه وقدم له الطعام والمدام وقد غنت الحرائر والمولدات وكان غصوب مع شجاعته وبراعته عاقل لبيب وبالامور خبير فما رأى على نفسه ان يؤدي ما حمل من الرسالة الى حصن والخمرة قد لعبت بعقلهم بل صبر حتى يفيق من الخمر ولما ان جلس القوم أخذوا يتحدثوا مع بعضهم على منادمة الخمور وتذاكر الوقائع والحروب وما زالوا من كلام الى كلام حتى جاء ذكر ما جرى لاهلهم على حفر الهباءة من القتل والحمام وكان حصن بن حذيفة قد نشا من المدام فرفع رأسه الى المغنية وقال لها أريد أن تنشدي الشعر الذي أنشده الملك قيس لما قتل أبي على حفر الهباءة فانشدت المولدة هذين البيتين

شفيت النفس من قتل حذيفة * وسيفي من حذيفة قد شفاني
فان أك قد شفيت بهم غليلي * فاني قد قطعت بهم بناني

﴿ قال الراوي ﴾ وكانت المولدة تنشد هذه الابيات وتاعلم بصوتها وما زالت الى أن أتت الى آخره فملا من بني فزارة البكاء والصياح وتبدت أفراحهم بالنواح ولما رآهم غصوب على هذه الحالة اندهش لانه لا يعلم ما جرى لاهلهم على حفر الهباءة وما كان حاضرا في هذه الوقائع فقال لهم يا بني الاعمام هذا شئ قد مضى ومرت عليه الايام وانقضى فدعوا عنكم هذا البكا وخذوا فيما نحن فيه من الهنا فلما سمعت بنو فزارة ذلك صارت تمسح أطراف حصن فسكت عما هو فيه وفي قلبه النار التي لا تطفى واللهيب الذي لا يخفى وأقاموا على ذلك الى نصف الليل وانقضت الوليمة وانصرف أكثر الناس فوثب حصن بن حذيفة على قدميه وخرج من باب المضرب وتبعته العبيد والخدام فقال لهم لا أحد منكم يتبعني ثم انه أخذ عبدا واحدا اسمه سالم ورد الجميع ولما بعد عن المضرب قال له يا سالم ائتني برمحي القصير فمضى وأتى به اليه فاخذه حصن في يديه وأتى به الى المضرب الذي فيه الوليمة وما عند العبد خبر بما يريد الى أن تقرب من المضرب وسار خلف غصوب وقال للعبد ارفع ذلك الجانب فرفع العبد سجاف البيت ﴿ قال الراوي ﴾ وكان غصوب قلبه ملآن من السرور ولاجل منزلة أبيه عند العرب فعندها اتكى حصن في كعوب الرمح وطعن غصوب بطعنة وقال يا لاخذ الثار وكشف العار وطعنه بين كتفيه أطلعه يلمع من بين يديه وتركه مرميا وسار الى أبياته فعندها وقعت الضجة والجلبة وصار الفرح ترح وسمع سنان بن أبي حارثة تلك الضجة فسأل عن الخبر فقالوا له اعلم ان حصن قتل غصوب ابن عنتر فلما سمع سنان ذلك الخبر لطم على وجهه ورأسه حتى بدا الدم من مناخيره وقال يا لها من مصيبة ما أعظمها ونار ما أشعلها وأضرمها قد آن منا أوان هتك الاستار وحان من بني فزارة البوار وقطع الاعمار ثم انه سار الى المضرب الذي كانت فيه الوليمة فنظر الى غصوب وهو ملقى على جنبه والرمح خارق في فؤاده والعرب قد هجت من حواليه فعندها صاح سنان يا بني فزارة ارحلوا واطلبوا لانفسكم النجاة والا حلت بكم الخسارة لان ما بينكم وبين الموت والدمار الا عندما تصل لعنتر الاخبار ﴿ قال الراوي ﴾ فعندها هدمت بنو فزارة الخيام ونكست الاعلام لما سمعوا من سنان هذا الكلام وقدمت الجمال ونقلت على ظهورها

الاحمال ودخل سنان على حصن فوجده ملقى على فراشه وهو سكران فكلمه فما أفاق على روحه ولا عنده خبر مما حصل فشدله على بعير أزرق فاركبه عليه ورحلوا الليل وصار الاول لا يلحق الآخر وقدموا الظعن قدام وتأخرت الرجال الى وراء وساروا يقطعون البراري والتلال وهم يطلبون الى أنفسهم ملجأ يلتجؤن اليه أو سندا يعتمدون عليه فهذا ما كان منهم ﴿ قال الراوي ﴾ وأما ما كان من عنتر فانه بقي منتظرا ولده غصوب وما عنده علم بما جرى عليه من الامر المكتوب الى ثاني الايام وطلع النهار وما أتى ولده غصوب وما سمع له أخبار فعندها أرسل خلفه أخيه شيبوب يقتفي منه الاخبار فسار شيبوب وهو يجد المسير الى أن أقبل على الديار فرأى غصوب وهو مرمي على وجهه في القفار ولا رأى من بني فزارة ديار ولا نافخ نار ولما تحقق شيبوب هذا الامر المنكر حس ان فؤاده قد انفطر وقد حلت به جميع العبر وفاض دمعه وانحدر ثم انه رجع وقد عدم الصطبر وأعلم أخاه عنتر بما شاهد وأبصر وان ولده غصوب قتل واندثر فتنهد وتحسر وركب في عاجل الحال على جواده الابجر وسار طالبا بني فزارة الطائفة الغدارة وقلبه على ولده غصوب قد انكوى بنار ولم يزل سائرا الى محل الابيات فرأى ولده غصوب قد مات فعندها غشى عليه وحس بأن روحه خرجت من بين جنبيه وبعد ذلك أفاق من غشوته وعيونه تذرف بالدموع وهو يئن من فؤاد موجوع ثم شده على جواده وأكثر عليه من البكاء والنواح وعاد طالبا الى حي بني عبس وقد حل به التعس والنكس ولما قرب من الابيات تلقته النساء وهن صارخات نادبات ويلطمن على الوجوه والخدود على الامير غصوب وخرجت عبلة بين النساء وهي تبكي ودمعها مسكوب وقد زاد منهم البكا والاحزان وتلاقوا بالامير عنتر من أبعد مكان وخرج الملك قيس اليه وهو ماش على الاقدام ومعه اخوته وكل بطل منسوب والتموا على فقد الامير غصوب وأقبلت بنو زياد وقد شمتوا بعنتر بن شداد وقد كثر البكاء والتعداد في الحلة وفي أبيات عنتر وبني قراد فعندها صبر عنتر غصوب ولده بصبر وقد قل لذلك صبره وجلده وزادت به الكروب وحلف بالرب القديم رب موسى وعيسى وابراهيم لا يدفن ولده في التراب حتى يجعل دم بني فزارة يجري كالبحر العباب ويقتل منهم في ثاره خلق كثير ولا يرحم منهم لا صغير ولا كبير ثم صاح في جميع العربان وأعلمهم انه في ذلك الوقت سائر هو ومن يريد الى مساعدته فليبادر ثم انه بعد ذلك أشار يرثي ولده غصوب بهذه الابيات

أقول وسهم البين يجرح مهجتي * وفي القلب سهم من فراقك خارق
قضى الله يوما بالفراق فاسكبت * محاجر عيني بالدموع الدوافق
وجرعني منه غصوب بنكبة * جفت من عيوني النوم والنوم طالق
أيا عين جودي بالدموع لسيد * كريم اذا جالت خيول سوابق
هوت انجوم الزهر عند مصابه * وعاندني فيه الخطوب الدوافق
أيا عبلة ابكي فارس الخيل واندبي * لعل توافيني الدموع السوابق
فبعد غصوب طال حزني وحسرتي * وبعد غصوب لم أحل لعاشق
وبعد غصوب كيف تلتذ عيشتي * سأندبه ما سار للبين طارق
وبعد غصوب من يطيل مقامه * ويسلوه أو يدعوه في الدهر عاشق
وبعد غصوب من يجول على العدا * اذا لمعت يوم الهياج البوارق
لقد كان في الحرب العوان مقدما * يكر على الاعداء بالسيف ماشق
شجاع طويل الباع عند قراعه * يصول ولا يخشى من الدهر عائق
أأرثي غصوب الذي مضى وقد * خلف في قلبي هموما خوارق
ففي مصرع الغضبان شابت لمتي * وقتل غصوب زاد شيب المفارق
بكت لغصوب كل بكر خريدة * وكل بني عبس عليه شواهق
بكت العوالي يوم مشتجر القنا * وناحت عليه البيض وهي خوارق

سقى الله أرضا صار فيها مجندلا * من الغيث وأمسى الغيث فيها دافق
لقد خر فيها سيدا ومقدما * مليح السجايا في المكارم سابق
أيا حصن حصن نفسك اليوم واجتهد * فخافك مني طارق الحد بارق
نسيتم وأنكرتم ضرابي وموقفي * وشدة باسي عند حق الحقائق
لقد شابت الاطفال من عظم سطوتي * وخرت لسيفي في الحروب السوابق
فمن ذا الذي أغراك يا حصن عامدا * بقتل غصوب قد أتتك البوائق
ظننت بان تنجو وسيفي محكم * بسيفي لقد حدثك عني منافق
وحق الله لا غبت عن أخذ ثاره * ولا عاقني عن مطلب الثار عائق

﴿قال الراوي﴾ الا أن الامير عنتر بن شداد لما فرغ من هذه الابيات اجتمعت عليه الامراء والقادات هذا وقد حمل غصوب ولده على جمل وأخذه بين يديه وسار طالبا بني فزارة وفرسان بني عبس تتقاطر من خلفه وحواليه فهذا ما كان من عنتر وما أصابه من الحرارة ﴿قال الراوي﴾ وأما ما كان من بني فزارة الطائفة الغدارة فانهم ما زالوا سائرين طول ليلتهم وقد كثر عليهم خوفهم وزادت بهم مصيبتهم ولما طلع عليهم الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح اجتمعت أكابرهم واستشاروا على من ينزلوا وعلى أي الملوك يعولوا فاتفق رأيهم أن يقصدوا من دون الله العربان الملك قيس بن مسعود ملك بني شيبان حتى يجيرهم مما نزل بهم من الذل والهوان فقال سنان هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى بني شيبان الصناديد فتبادرت اليهم الرعيان والعبيد وقالوا لهم من أي العربان أنتم فقالوا لهم نحن بنو فزارة وقد أتيناكم قاصدين النزول عليكم فعادوا العبيد وهم يتبادرون وأعلموا الملك قيس فخرج الى لقاء القادمين واستقبلهم وحياهم وأتاهم باعقاب اللبن وسقاهم وبعد ذلك قال لهم ويلكم يا سادات العرب ما حالكم وأي شيء الذي نالكم وما لي أراكم راحلين بحريمكم وعيالكم فعندها تقدم اليه حصن بن حذيفة وقال له اعلم أيها الملك انني قد قتلت غصوب بن عنتر وما قتلته الا وأنا سكران لا أعقل على انسان وقد أتيناك لتكون عونا على هذه النائبات وأنا أعطي أباه من عندي عشر ديات ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك قيس من حصن هذا المقال قال له لعن الله أباك يا ابن الانذال والله يا قرنان انك تعديت وعلى حاميتكم افتريت ويلك يا ولد الزنا تفعل هذه الفعلة المنكرة وتأتي تطلب مني نجدة على الامير عنتر ما أقدر أقوم من قدام وجهي لا شفيت ولا رعيت ومن المصائب لا نجوت والله يا كلب العرب وحرمة شهر رجب لولا اللبن الذي شربتموه من عندي لكنت قبضت عليكم كلكم وسلمتكم الى الامير عنتر يضرب رقابكم لعنكم الله يا بني اللئام ولعن من يعطيكم أمان أو ذمام والله لو كان ولدي بسطام هنا حاضر القطعكم كلكم بالسيف البتار وينزل بكم الندامه ولا تروا في طريقكم سلامه ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع سنان وحصن ذلك الكلام انذهلوا ولقومهم طلبوا وكثر منهم البكا والنواح واستدت في وجوههم أبواب النجاح ووقع بينهم الاتفاق أنهم يمضون الى أرض العراق وينزلوا على الملك الاسود ويخبروه بما جرى عليهم وبتجدد ويستجيروا به من دون كل أحد وساروا بعد ذلك يطلبون العراق وهم يقطعون البراري والآفاق ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان من بني فزارة وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه سار بمن معه من بني عبس الجواد وهو يقطع المنازل والوهاد مواظبين على البكا والتعداد الى أن وصل الى ديار بني شيبان فلما نظر الملك قيس الى عنتر وقدومه خرج الى لقائه هو وسائر قومه وعزاه في ولده غصوب وأخبره بما فعل في بني فزارة لما أتوه بهذه الوسيلة وأخبره أن ما بينه وبينهم سوى يوم وليلة فلما سمع عنتر هذا السبب نادى فيمن معه من العرب وجدوا خلفهم المسير حتى يبلغوا منهم المآرب وعنتر يقول وحق من زين السماء بالنجوم وهو الحي القيوم الذي بقدرته الاطيار في البر تحوم ويعلم ما فوق الغيوم وتحت التخوم ان أجارهم في تلك الايام الملك الاسود قطعت رأسه وأنزلت به الهموم وتركت أنفه مرغوم ثم انه عذر الملك قيس وشكره فيما صنع معه من الجميل وأخبره بما جرى على غصوب ولده من الويل الطويل

وبعد ذلك ودعه وأطلق عنان جواده وزاد على بني فزارة بحسره وانكاده وسارت بنو عبس من خلفه وهم يسألونه عن لوعته وتلهفه وهم يقطعون الربا والبطاح والاجرمن تحت عنتر سابق الرياح ولم يزالوا كذلك الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فأشرفوا على بني فزاره وهم مثل السباع الهداره ﴿قال الراوي﴾ وكانت بنو فزاره سائرة على هذا الحال واذا هم قد سمعوا من خلفهم زعقات الرجال وصياح الابطال فقال سنان بن أبي حارثة لحصن بن حذيفة أبشر يا حصن بالفنا والويل ثم التفت الى بني فزاره وقال لهم قد أتاكم عنتر وبنو عبس لحقوكم فان لم تحاموا عن أنفسكم والا أفنوكم فعند ذلك جردوا القواضب واستعدوا للموت وحلول النوائب وقد عظمت عليهم المصائب هذا وبنو عبس قد أقبلت مثل السلاهب ودار وابهم من كل جانب فلما نظر الامير عنتر الى حصن بن حذيفة زعق زعقة عظيمة وغشي عليه فلما نظر الملك قيس الى ذلك علم بحاله وقد خاف عليه من عاقبة وباله فامر العبيد أن يقيدوه بقيد حديد ففي ساعة الحال وضعوا القيود في رجليه والامير عنتر من ذلك لا يعقل مما جرى عليه هذا والعرب تنظر اليه وتتعجب ثم ان الملك قيس قال للعبيد أقيموا عنده أنتم وولده ميسرة واياكم ان تفارقوه أو تتركوه فانه ان أفاق من غشوته ونظر الى حالته وقال لكم من فعل بي هذه الفعال فقولوا له الملك قيس هو الذي فعل ذلك بيديه ولا أحد منكم يقرب اليه حتى أجيء اليه وأحله من الاعتقال ﴿قال الراوي﴾ وبعد ذلك قال الملك قيس لمن معه من الرجال دونكم والحرب والقتال والطعن والنزال وارموا أعداكم بالوبال وخذوا بثار ابن حاميتكم غصوب هذا وقد حملت الرجال على الرجال والابطال على الابطال وعمل بينهم الحرب والقتال واختلف الضرب بالنصال والطعن بالبيض الثقال ودارت طاحون الحرب بفقد الآجال وقصرت الاعمار الطوال وجرى بينهم من الاهوال ما يشيب في المهود الاطفال وقد امتزج الدم بالعرق ولمع صارم المنايا وبرق وتناثرت الرؤس نثر الورق وتقطعت من شدة الضرب الدرق وأخذ الشجاع القلق وتمنى الجبان انه لم يخلق ولم يزالوا في قطع الرؤس واختلاس النفوس حتى أقبل عليهم الليل بسواده العبوس ونزلت الطائفتان وتحاربت الفرقتان هذا وبنو فزاره الطائفة الغداره قد استظهروا على بني عبس ودخل فيهم الطمع بغياب حاميتهم عنتر بن شداد الاسد الادرع لانه كان مقيما في غشوته وهو لا ينظر ولا يسمع وولده ميسرة ومازن أخوه عند رأسه يبكون عليه ولم يزالوا على ذلك الايضاح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعندها اصطدمت القبيلتين وعمل القتال بين الفريقين هذا وبنو فزاره قد زاد نشاطها وكثر منها صياحها وعياطها وقد أيقنوا بالنصر والظفر لما علموا بغياب حامية عبس عنتر ثم انهم حملوا بقلوب حنقة وقد دقت بني عبس دقة وأي دقه احمل في ذلك الوقت الامير ميسره وقد أقبل كانه النار المسعره ودمعه على خده مسكوب وقلبه على أبيه متعوب وهو ينعي أخيه غصوب بهذه الابيات يقول صلوا على طه الرسول

بني فزارة يا من لا وفاء لها * يا ناكثين العهد بين العوالم
لقد خنتمو بالرمح فارس قومه * كريم المحيا من أناس أكارم
فوا أسفا من بعد مصرع شخصه * وقد كان صدا لدفع العظائم
سددتم لأبواب العطايا بقتله * وقد كان سماح العطا والمكارم
فسوف تذوقوا اليوم كاس حتفكم * باسمر عسال وأبيض صارم
غصوب أخي قد كان سيد قومه * اذا ما مضت للحرب سمر اللهاذم
غصوب ومن يفري الجماجم في الوغا * ومن يقتل الابطال يوم التلاحم
غصوب فتى يشري الثناء بماله * جريء ومقدام لدفع المظالم
وسوف أجد اليوم في أخذ ثاره * ولو نهبت جسمي الرماح اللهاذم
واني لميسرة الحروب مجرب * نهار الوغا عند نهار الغنائم

﴿قال الراوى﴾ وبعد انشاده حمل وانقض عليهم انقضاض الاجل وأذاقهم الموت المعجل وطعن فى صدور الخيل وعاد الغبار كالليل واكتال القوم كيلا واى كيل وأنزل بهم الذل والويل ﴿قال الراوى﴾ وفى تلك الساعة أفاق عنتر من غشوته فوجد روحه مقيد فى الحديد مصفد ولم يعلم بعد ما تجدد فصاح فى العبيد وقال لهم ويلكم يا أولاد الانذال من فعل بى هذه الفعال فقالوا له اعلم يا أبا الفوارس ان ما فعل بك ذلك الفعل النفيس الا الملك قيس ثم مضى اليه بعض العبيد وهو مع بنى فزارة فى القتال الشديد وأعلمه أن الامير عنتر قد افاق من غشوته فاتى الملك قيس الى عنده وقد فرح به واستبشر وحله من الاعتقال واخبره بجميع الاحوال فلما سمع عنتر ذلك المقال علم أن الملك ما فعل به تلك الفعال الا من شفقته عليه من الاهوال فقام فى ساعة الحال وركب جواده بعد ما لبس درعه واعتد بعدة جلاده ثم انه قفز الى نحو الصفوف فرأى الفرسان فى مقام الحتوف فصاح بصوت عظيم يصدع الحجر ويقلع الشجر وقال يا أوغاد غير امجاد أتاكم عنتر بن شداد فلما سمعت الرجال تلك الزعقة والدمدمة وقفوا عن القتال والمهاجمة ثم انه أشار الى نحو بنى فزارة المنافقة الغداره وقال ويلكم يا لئام غير كرام يا كلاب العرب يا أولاد الحرام أنتم تعديتم على وقتلتم ولدى وأحرقتم عليه كبدى فها أنا قد برزت لكم اليوم فدعوا عنكم العتب واللوم واخرجوا الى قاتل ولدى حتى انى آخذ ثارى بيدى والا هجمت عليكم ولا أزال أضرب فيكم بالحسام حتى أوردكم مورد الحمام ثم انه بعد ذلك المقال أشار الى بنى فزارة بهذا الشعر والمقال يقول صلوا على طه الرسول

بنى بدر الطغاة يا نسل الكلاب * أبشروا بالفنا منى وطول العذاب
بنى بدر لقد جرتم علينا * فابشروا منى بتقطيع الرقاب
فوحق الركن والبيت ومن * طاف بالاركان ولبى وأناب
لابد أن أوردكم هول القنا * واذيقكم الموت المعجل والعذاب
يا بنى بدر أتيت اليكم * برجال دأبها طعن العضاب
من بنى عبس الذى سادوا الورى * يوم حرب من كهول وشباب
فابشروا بالويل من سيفى وفى * كفى كعوب معتدل يوم الضراب
يا بنى بدر لقد فجعتموا * الرجال منكم كهولا والشباب
وغدرتم بالامير المنتخب * للرداكم سدعنى كل باب
لابد أن تبقى حلالكم بالقنا * مسكنا للبول ومأوى للذئاب

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ الامير عنتر من أبياته وقد تصاعدت نيران زفراته نصاح على بنى عبس وعلى بنى فزارة انطبقت هذا وبنو فزارة عند ما شاهدت عنتر انخذلت وجالت عليهم بنو عبس واستظهرت هذا وعنتر قد أغرق سنانه فى القلوب ومزق الكبود وهو يقول يا لثارات ولدى غصوب فعندها اقشعرت من بنى فزارة الابدان والجلود وانزعجت من زعقاته الفرسان والجنود وفرق شملهم واكبهم بتواتر الطعان وهو يدمدم دمدمة الليث الغضبان وقد أرجف أبدانهم ونكس الاقران وجندل فرسانهم وبضع الشجعان وصبغ بادميتهم الميدان وعمل فيهم بالصارم اليمان ونفذت الاسنة فى الصدور والابدان وطلع الغبار الى العنان وعثرت الخيل برؤس الفرسان وتغيرت من الفزع الالوان هذا والأمير عنتر يجول فى بنى فزارة جولان وهو يقتل فى شيوخهم والشبان حتى بلغ العرق الى الاذقان وعادت الزيادة الى نقصان وخسرت بنو فزارة غاية الخسران وحل بها الذل والهوان ولم يزالوا فى صدام ولزام وتجريع الموت الزؤام الى أن أقبل الليل وولى النهار بالابتسام فعندها افترقوا من بعض وقد امتلات بالقتلى جنبات الارض ورجعت كل طائفة الى خيامها وقد أيقنت بنو فزارة بحمامها وهوانها وعلمت يقينا انها اذا قامت مع بنى عبس هلكت بشيوخها وشبانها فعندها استشاروا فيما يفعلون لانهم علموا أنهم اذا قاموا يهلكون فقال بعضهم لبعض ما لنا أصوب من الهرب فى ظلام الغيهب والاحل بنا العطب فعندها اهتموا للرحيل وحملوا الحريم والعيال

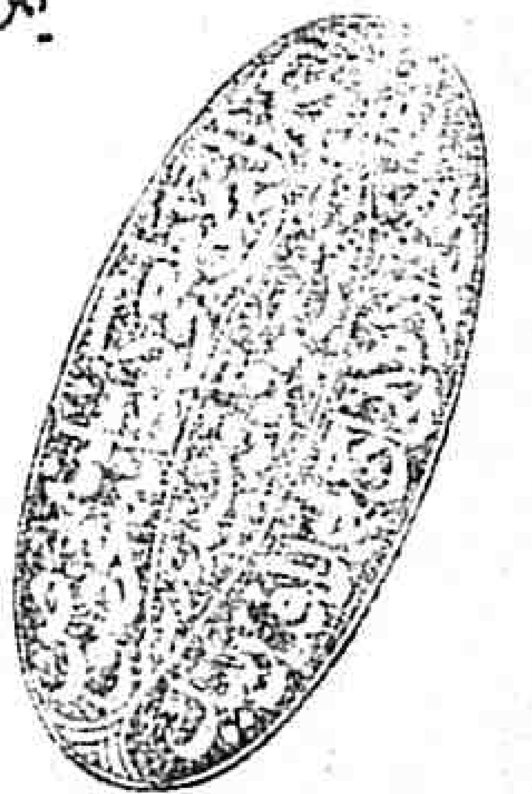
وساقوا معهم ما قدروا عليه من المال ورحلوا فى جنح الظلام بلا ضجة ولا جلبة ولا كلام ﴿قال الراوى﴾ وأما بنو عبس فانها باتت فى سرور وافراح الى أن أصبح الله بالصباح وساروا الى الحرب والكفاح بعد أن ركبوا على الجرد القداح وأملوا فى ذلك اليوم بالنصر والنجاح ولما ساروا الى الميدان لم يجدوا لبنى فزارة خبر ولا بقية أثر فعندها علم الامير عنتر أنه اذا سار خلفهم وطلبهم ما ينال منهم وطر الا انهم قد أوسعوا فى البر الاقفر وكان من جملة من أسر فى ذلك اليوم الماضى ألف وستمائة أسير غير الذى قتل وانقبر فلما كان فى ثانى الايام ورأى بنى فزارة قد انهزمت زادت به الكروب وبعدها دعا بأخيه شيبوب وأمره أن يحفر لولده غصوب فلم يكن غير قليل حتى انهم حفروا له قبرا عميق ووضعوا فيه غصوب والدمع من أجفان عنتر مسكوب ولما ردوا عليه التراب قعد الامير عنتر بجانب القبر ودعا بالاسارى الى بين يديه وشمر عند ذلك عن ساعديه وسحب سيفه الضامى وجعل يضرب منهم الرقاب واحدا بعد واحد وبنو عبس بين يديه الى أن قتل ألف واحد وترك دماءهم على الارض جامد ثم تقدم اليه الامير ميسرة ودموعه على خدوده منحدرة وهو من الحزن على نهايه وذبح على قبر أخيه ثلثمائة ثم تقدم الامير عنتر وأراد أن يذبح الباقى والدم على الارض قد سار مثل السواقى فتقدم الملك قيس اليه وضمه الى صدره وقبله بين عينيه وقال له بحياتك يا ابن العم هب لى ما بقى ويكفى ما نزل عليهم من الذل والشقا لانهم على كل حال بنو عمنا وما أصابهم قد غمنا فقال الامير عنتر يا للعرب والله لا يشفى كربى ويطفئ نار كبدى الا حصن بن حذيفة ثم قال للملك قيس دونك والاسارى فقد وهبتك اياهم فتقدم اليهم وحل وثاقهم ورد عليهم خيلهم وسلاحهم وقال لهم امضوا الى أهاليكم فساروا عند ذلك وهم طالبون قومهم بعد ما قتل أكثرهم وشتت شملهم فهذا ما تم على بنى فزارة من العبر ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من بنى عبس وأبى الفوارس عنتر فانه عاد الى الاوطان امام الفرسان حتى وصل ونزل فى بيت الاحزان وأقام فى عزاء ولده غصوب مقدار عشرة أيام حتى حل به الوجد والسقام ﴿قال الراوى﴾ وأما بنو فزارة فانهم ساروا وهم فى ذل وخساره حتى انهم وصلوا الى أرض الحيره وقد عميت منهم البصيره فعند ذلك أعلنوا بصياحهم وأكثروا من بكائهم ونواحهم وسمع ذلك الخبر الملك الاسود فحل به الذل والنكد فطلع الى لقائهم ونظر الى حريمهم وعيالهم فسألهم عن احوالهم وقال لهم ما حالكم فقالوا له أيها الملك المفضال لقد أفنت بنو عبس أبطالنا وأخذت أموالنا فقال لهم وأى شئ جرى بينكم من الأمور والفساد حتى انكم صرتم مشتتين فى جميع البلاد فعندها تقدم اليه حصن بن حذيفة ودمعه على خده مسكوب وقال له اعلم أيها الملك انى قد قتلت ولد غصوب وجرى عليه ما كان مكتوب ولكننى يا ملك الزمان كنت فى ذلك اليوم سكران ولا أعقل على انسان وبعد ذلك رحلنا نقطع البرارى والقيعان حتى اننا وصلنا الى حى بنى شيبان وطلبنا من الملك قيس الامان وأعلمناه بحالنا واننا قد قتلنا ولد عنتر فردنا من دياره وقد توقدت من أجل عنتر ناره فصرنا طالبين اليك وقد أشرفنا على العنا والضيق فتلقانا عنتر فى الطريق فقتل منا رجالا وأى رجال وأعدمهم السعادة والتوفيق وذلك غير ما أسر منا ألفا وستمائة فارس من الرجال الاشاوس ونهبوا بعد ذلك أموالنا ورجالنا وأتينا اليك فى دياجى الظلما نطلب منك ناصرا ومحاما فانظر أيها الملك الى حالنا وارحم ذلنا وسؤالنا ثم أشار حصن اليه يقول صلوا على طه الرسول

اليك قصدنا نقطع البيد والربا * لنرجوك عونا من جميع النوائب
فانت الوفا نرجى لكل ملمة * وتكشف عنا كربنا والمصائب
اليك أتينا يا ابن الكرام فجرنا * فانت المنى والعون يا ابن الاطايب
فخذ ثارنا من وغد عبس وقومه * بنى عبس من خانوا العهود الغوالب
أجرنا عليهم ثم بادر لنصرنا * فقد فجعت منا النساء الكواعب
فلا زلت فى عز مقيم ودولة * تبيد العدا فى شرقها والمغارب

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك الاسود من حصن بن حذيفة شعره ومقاله رق قلبه اليه ورثى لحاله ثم قال لهم انزلوا

عندى وأنا أحميكم بساعدى وزندى وسوف آخذ لكم بالثار وأكشف عنكم العار حتى أخلص لكم من أسر على يد هذا العبد الغدار ثم انه أنزلهم فى أحسن الابيات ورتب لهم الاطعمة والعلوفات ولما كان بعد يومين من نزولهم أقبلت عليهم باقى الاسارى الذين لهم وهم الذين كان سعى الملك قيس فى خلاصهم وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور ثم انهم اخبروا حصن بن حذيفة بما جرى عليهم ونالهم وأعلموه بان الملك قيس هو الذى تشفع لهم ولولاه كان عنتر أفناهم عن آخرهم فعندها قام حصن بن حذيفة ودخل على الملك الاسود وقد حل به الويل والنكد فلما رآه الملك الاسود ترحب به وسأله عن حاله فاخبره بما جرى على رجاله وكيف كان عنتر أنكاهم غاية النكاية وانه ياملك قتل منهم ألف فارس وستمائة على قبر ولده غصوب وأحل بهم الكروب فلما سمع الملك الاسود بما جرى وتجدد قام وقعد وأرغى وأزبد وقال له ويلك ياحصن او قتل منكم عنتر هذا العدد فى يوم واحد فقال له أى وحياتك أيها الملك الامجد ولولا أن الملك قيس قد تشفع فى الباقى والا ما كان أبقى منهم واحد فقال والله ماهذا العبد الا مصيبة عظيمه ومحنة عميمه ولقد طغى هذا العبد الاسود وجار بفعله وتمرد وهذا شئ مابقيت أتركه يتم بيده ولابد ما أجد فى طلبه وأشفى منه غليل صدرى وكبدى فطيبوا انفسا وقروا عينا فسوف آخذ لكم منه بالثار ولكنكم والله ياحصن لقد جنيتم على أنفسكم فى هذا الشان وجلبتم لانفسكم الموت والقلقان بتعرضكم لهذا الشيطان ثم ان الاسود بعد تلك الوسيله التفت الى وزيره عمرو بن نفيله وقال له اكتب الى الملك قيس كتاب وترجم فيه باحسن خطاب وامره أن يأتى الى فى هذه المرة بعنتر وولده ميسرة ان كان لدولتى طائع والا هو عوضهما وتصير عمره ضائع وان كان فى هذه المرة ما يهتم والا سرت اليه بالعرب والعجم وقد صار يحذره وبالامر الصحيح يخبره ثم انه طوى الكتاب وأحضر فى عاجل الحال نجاب وكان ذلك النجاب من بنى شيبان فقال له الملك الاسود أريد أن تسير من هاهنا بهذا الكتاب وتوصله للملك قيس ملك الاعراب وتأتينى من عنده برد الجواب فعندها سار النجاب على ظهر ناقته يجدى حتى وصل الى أرض الشربة والعلم السعدى وسأل عن أبيات الملك قيس هل هو حاضر أم لا فارشده اليه الرعيان فعندها سار النجاب حتى وقف بين يديه وخدم وسلم عليه بافصح خطاب وسلم للملك قيس الكتاب فاخذه الملك قيس وقراه وعرف رموزه ومعناه فعندها قامت عليه القيامه ورجع على روحه بالملامه وقد خاف من الملك الاسود وأعلم اخوته بما تجدد ثم انه أوصاهم وقال لهم اياكم أن تعلموا أحدا حتى اننا ندبر على قبض عنتر وولده ميسره ونستريح بعد ذلك من هذه الامور المكدره وأنا أريد أن أعزم عليه ومن الخمرة أسقيه فاذا سكر وعمل الخمر فى رأسه أقبض عليه وعلى ولده وأرسلهما بعد ذلك الى الملك الاسود حتى يتركهما فى السجن سنة كاملة ولا يأتى حتى يذل ويخضع ولا يرجع بعد ذلك على يجهل فاذا مرت عليه الليالى والايام لعله بعد ذلك أن يطلقه مما هو فيه من الاعدام فلما سمع اخوته مقاله شكروه على فعاله وقالوا له دبر ماتريد نحن بين يديك مثل العبيد





(تم الجزء السادس والعشرون من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شداد)

الجزء السابع والعشرون

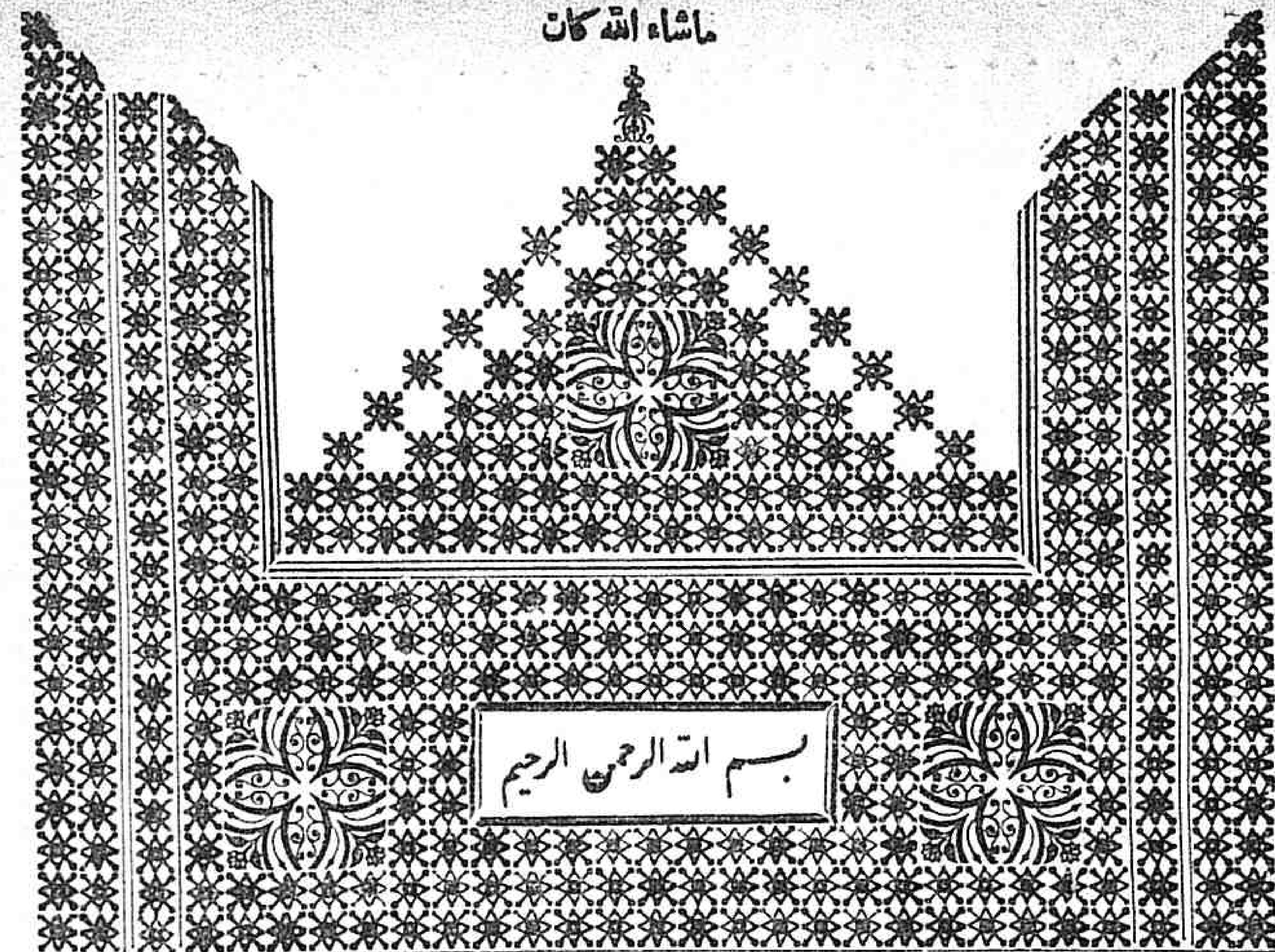
من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من
انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث
النزال الامير عنترة بن شداد
وهي السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله
م





محل مبيعه
(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين افندى شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

الطبعة الثانية
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)



﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان من الملك قيس وما دبر وأما ما كان من أبي الفوارس عنتر فانه كان غافلا عن القضاء والقدر وما كان عنده من ذلك الامر خبر وكان تلك الليلة قد تذكر قتل ولده غصوب وما نزل به من الكروب فبقي سهران قلقا ودمعه على خده مندفقا ولما كان في نصف الليل دخل عليه ابن الملك زهير ورقة وأخبره بجميع ماجرى وما تم وما دبر عليه الملك قيس ثم قال له دبر نفسك ولا تغفل عن روحك لئلا تسكن رمسك واكتم سرك ولا تظهر على أحد من أبناء جنسك فلما سمع عنتر هذا الخبر تذكر فيما فعل الملك قيس وما دبر ثم قال وحق من أنار القمر وأنبع الماء من الحجر ان تعرض لي الملك الاسود لانزلن به العبر وان أرسل الى أحدا بعسكر لافنيهم بالصارم الذكر وبعد ذلك فهو أخبر بي من دون البشر وأما الملك قيس فسوف يرى ويبصر من الذي يربح ومن الذي يخسر ثم انه أقام على ذلك الرواح الى أن اصبح الله بالصباح ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان من الامير عنتر وأما ما كان من الملك قيس فانه نهض الى ما دبر وبعدها ارسل بعض اخوته الى الامير عنتر وهو يدعوه ليركب معه الى الصيد والقنص وانتهاب اللذات والفرص لانني لايطيب صدري ويتم هنايا الا اذا كنت أنت سائرا معايا فقال عنتر السمع والطاعه وسوف أركب في هذه الساعه ثم انه ركب هو وولده ميسره وأخذ معه من قومه عشره وساروا طالبين مع الملك قيس الصيد والقنص وقد أوسعوا في البر لاجل انتهاب الفرص ثم انهم لم يزالوا يصطادون في تلك القفار الى آخر النهار وعادوا بعد ذلك طالبين الديار ولما وصلوا الى الابيات أقبل الملك قيس على عنتر وقال له ياأبا الفوارس أنت في غداة غد تكون في ضيافتنا ولا تفتر باكر النهار بل تكون عندنا حتى تكمل بك أفراحنا ويتم سرورنا فلما سمع عنتر مقال الملك قيس دعا له وقال له يامولاي ما أنا الا عبدك وفي غداة غدا أكون عندك ثم مضى كل منهما الى أبياته والملك قيس زالت عنه حسراته وقد أيقن ببلوغ اراداته ﴿قال الراوي﴾ وأما الامير عنتر بن شداد فانه لما وصل الى الخيام أرسل الى ولده ميسرة وسبيع اليمن وعروة بن الورد وكان قد أقبل الظلام ولما وصلوا عنده في الخيام أخبرهم بما دبر الملك قيس من فعل اللئام وانهم عند الصباح يكونوا عند الملك قيس بن زهير حاضرين ولكن يكونوا في أمورهم محاذرين فلما سمع

عروة هذا المقال قال له ولم نصبر على هذه الفعال بل ارحل بنا من هذه الاطلال حتى تنزل على الجميع الذل والوبال فقال له عنتر اعلم يا ابن العم ان هذا الامر لاينتهي بحال ولكننا نحن نصبر حتى يبدأ منهم الشر وبعدها نعمل على قدر مانرى من الفعال ثم انهم بعد ذلك الكلام انصرفوا الى مضاربهم والخيام وطلبوا الراحة للمنام ولما كان عند الصباح أقبل سبيع اليمن وعروة وميسرة الى عنتر وجلسوا بين يديه فما لحقوا أن يجلسوا حتى أقبل رسول الملك اليه وقال له يا أبا الفوارس ان الملك قيس يدعوك الى وليمته ليزداد بك فرحه ومسرته فقال له سمعا وطاعة سر أنت قدامنا حتى نلحقك في هذه الساعه ثم ان الامير عنتر قام ولبس أثوابه بعدما لبس درعه من تحتهم وكذلك فعل سبيع اليمن وولده ميسرة وعروة بن الورد فعملوا مثل فعاله وساروا الى الملك قيس حتى ينظروا ما دبر من الامر النفيس فهذا ما كان من هؤلاء ﴿قال الراوي﴾ فانه كان قبل قدومهم نصب سرادقه وصفف فيه الزرابي والنمارق والبسط الحرير ووضعوا آلات الطرب والشراب ووضعوا البواطي وروقوا المدام ووضعوا كل شئ في محله لاجل قدوم الرجال الكرام ولما اكتمل السرادق من هذا التدبير أمر الملك قيس العشرين عبدا أن يكمنوا لعنتر من وراء القازير ليقتلوا عنتر وكانوا عبيدا غلاظا شدادا معدودين للحرب والجلاد وقال لهم اذا رأيتم عنتر ابن شداد وقد عمل معه الخمر فاخرجوا اليه وافعلوا به هذا الامر واقبضوا عليه وعلى ولده ميسرة فانهما يكونان قد مل منهما كل حيله الا انهم مافرغوا من ذلك الامر الذي رتبوه حتى أقبل سبيع اليمن وعروة بن الورد والامير ميسرة وعنتر ابوه فتلقاهم الملك قيس وترحب بهم وقد استقبلهم أحسن استقبال وفي صدر السرادق أجلسهم ولما جلس الامير عنتر في وسط السرادق وجلست أصحابه من حواليه سل سيفه الضامي وحطه على ركبتيه فقال له الملك قيس لما هذا المرام وهذا يا أبا الفوارس محل المدام فقال له اعلم أيها الملك انني ما أشتهي غير هذا الشان فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام بدأ بالضحك والابتسام وصاح على الخدام أن يحضروا الطعام ففعلوا ذلك المرام وبعدها دارت عليهم أقداح المدام فشربوا من ذلك الخمر العتيق ودارت عليهم الكاسات والطاسات والاباريق هذا والملك قيس يميل على عنتر ويسقيه وهو يأخذ منه ويشرب ولا يظهر حرا ولا غضب حتى عنتر قد سكر من المدام وقد انعجم لسانه عن الكلام ﴿قال الراوي﴾ ولما علم الملك قيس ان السكر قد لعب بعطفيه قام قائما على قدميه وكان قيامه رمز الاشارة التي بينه وبين عبيده فتواثب العبيد على عنتر وكل منهم اليه قد بدا فلما نظر عنتر الى العبيد قد تواثبوا اليه حتى سحب سيفه في يده وقام قائما على قدميه وضرب أول القادمين عليه أطاح رأسه من على كتفيه والثاني والثالث والرابع والخامس ﴿قال الراوي﴾ وأما الملك قيس فلما رأى تلك المصائب خرج من السرادق وولى هارب وثار أصحاب عنتر وولده ميسرة وضربوا في العبيد بقوة ومقدره فولوا من قدامهم لما عاينوا شرب كاس حمامهم ومضى بعد ذلك الامير عنتر وأصحابه الى أبياتهم وقد زاد عليهم غيظهم وزفراتهم ثم انه زعق على عبيده ورعاته وأمرهم بسوق الاموال وهد أبياته وكذلك فعلت بنو فزارة وعروة بن الورد ورجاله ولم تكن غير ساعة حتى فرغوا من أشغالهم وساروا وهم في مائتين وخمسين فارسا للقاء كل نائبة وشدة هذا وبنو عبس وبنو زياد واقفين ومن فعال الامير عنتر متعجبين ولما تقدمت الاضعان وسارت في القيعان التفت عنتر الى بني عبس أجمعين وصاح فيهم ويلكم يا غدارين يا مكارين والله هو دخائنين امن الله لما كم وقتلكم ولا أحياكم ها أنا قد رحلت عنكم ومن جوارى أرحتكم فاقتنطوا بحالكم واحفظوا أولادكم وأموالكم ﴿قال الراوي﴾ وكان الملك قيس من وقت ماهرب دخل عند الحريم وقد رجع على نفسه بالملامه وهو يأكل كفيه حسرة وندامه فبينما هو في هموم وفكر واذا قد وصل اليه الخبر بان الامير عنتر قد رحل فعندها نهض وركب جوادا من الخيل الجياد وسار حتى وصل الى الامير عنتر بن شداد وقال له يا ابن العم ما سبب رحيلك عنا وابعادك منا فقال له سبيه فعلك الردي ورأيك الانكد لاي شئ لما أتاك الكتاب ما أطلعتني عليه وعرفتني بالاسباب حتى أريك كيف يكون الجواب ومن حيث انك كنت خائف منيه كنت أنت

أخليت مني وعنه حتى كنت ترى وتبصر من الذي يربح ومن الذي يخسر ولكن ها أنا قد رحلت من ديارك وأخليت لك أرضك وأطلالك ثم ان عنتر الوى رأس جواده وأعرض عن الملك قيس وتركه في اكماده ولما تمادى به المسير أقبل على شيبوب وقال يا أبا رياح اختر لنا منزلا يكون كثير المياه في أي البطاح فقال له شيبوب يا أبا الفوارس والله ما أرى لك منزلا وفيه مياه وماء كثير غير قليل غير عند صديقك عامر ابن الطفيل لان ديارهم واسعة وأمياههم نابعة فلما سمع الامير عنتر من أخيه شيبوب ذلك الخطاب علم أنه رأى صواب وقال له سر الى ما شئت واقصد بنا ما هويت ثم ساروا بعد ذلك يقطعون البراري والقفار الى أن وصلوا الى منازل بني عامر وتلك الديار فتلقاهم عامر بن الطفيل في جماعة من رفقاه وقد فرح بالامير عنتر عند ملتقاه وفعلت أصحابه مثل فعاله وأقاموا في تلك الارض بيقين واستراحوا من سائر الناس أجمعين فهذا ما كان من الامير عنتر وأصحابه وأما ما كان من الملك الاسود وصحابه فان النجاب لما أخذ الكتاب الذي فيه رد الجواب وأقبل على قيس بن زهير وأراد قيس أن يوقع عنتر في التعتير ودرى عنتر بذلك الخبر وما أقام في الاحياء بل رحل فارسل قيس الى الملك الاسود وأعلمه بذلك الخبر وان عنترا من جوارهم قد رحل فارسل الاسود اليه النجاب ثانيا يقول لابد أن تدوروا عليه وتعرفوه هو في أي الطلول حتى أسير اليه وآخذ روحه من بين جنبيه فلما وصل اليه النجاب وأخذ الملك قيس منه الكتاب فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فعندها دعا بالربيع بن زياد وأخبره بذلك الايراد وقال له كنا نريد أن نعرف أين نزل عنتر ومستقره في أي البلاد فقال له الربيع بن زياد ما في الامر الا انه نرسل فارسين يدوران في سائر الحلل وينظران عنترة في أي الاماكن نزل وبعد ذلك فما يكون الا في بني هوازن أو في بني عامر ولكن الاولى أن يسيروا الى بني عامر فان وجدوه هنالك يرجعوا الينا ويعلمونا بالخبر فدعا الملك قيس بفارسين من بني عبس الجياد وقال لهم امضوا واقصدوا الى ديار بني عامر ولا تعودون الا بالخبر على صحته وانظروا أين هو نازل بعشيرته فعندها سار الفارسان يقطعان البراري والمحاجر قاصدين الى ديار بني عامر فعندها امتلات قلوب بني عبس غيظا وأحقاد على الملك قيس والربيع بن زياد لاجل ما فعلوا في حق عنتر بن شداد لانهم ما كانوا أمنون على عيالهم وأموالهم من كثرة الاعادي والاضداد الا ان كان حاضرا في الحلة الامير عنتر بن شداد هو ومن كان معه من الفرسان الجياد وكيف أذل لهم رقاب العباد وبه ارتفع قدرهم وساد ونحن والله ان لقيناه ووقعت أعيننا عليه أخبرناه بالذي أتينا فيه فقال الآخر والله لقد صدقت في مقالك افعل ما بدا لك وها أنا مطاوعك في أعمالك فوالله مثل الامير عنتر ما يفرط فيه ولا نعين عليه أعاديه ثم انهم سار وطالبين ديار بني عامر وقد قصدوها حتى انهم وصلوا اليها فعارضهم فارس راكب على جواد من الخيل الاصايل فسألوا منه عن الامير عنتر وأين هو نازل فقال لهم وما تريدون منه وما معكم له من الخبر فقالوا له نحن من بني عبس وان لنا عنده حاجة داعية اليه فقال لهم ها هو بأسفل منكم بجانب تلك الربوة فلما سمعوا من الفارس ذلك المقال ساروا الى تلك الربوة والتلال فوجدوا الامير عنتر هنالك نازل وقد نصب أبياته حول الغدران والمناهل وحوله أصحابه وأقاربه فتقدموا اليه وقبلوا يديه فلما عرفهم حياهم وسلم عليهم واستقبلهم وأحسن ملتقاهم وقال لهم الى أين أنتم سائرون فعندها أخبروه بالخبر وأطلعوه على جلية الاثر فلما سمع الامير عنتر منهم ذلك الكلام أبدى الضحك والابتسام وقال لهم أما أنتم فقد جوزيتم خيرا ولا رأيتم شرا ولا ضيرا وأما الملك قيس فأنا فاكر فيه ولا فيما فعل وسوف يندم اذا ضاقت به الحيل ولكن سيروا اليه وأخبروه بما عاينتموه ولا تخفوا عنه شيأ مما شاهدتموه فعندها سار الفارسان وهما للامير عنتر شاكرين ولأياديه ذاكرين حتى انهم وصلوا الى أرضهم ودخلوا على قيس ملكهم وأخبروه بالخبر وذكروا له حال الامير عنتر وانه نازل في أرض بني عامر ولا عنده خوف ولا فزع لا من بادي ولا من حاضر فلما سمع الملك قيس ذلك الخطاب كتب في عاجل الحال كتاب وأرسله الى الملك الاسود لتلك الاسباب وان عنترا قاطن ومقيم في بني عامر على بشر معاوية وماء النظيم وهو في عز ونيل عند عامر بن الطفيل فلما وصل الكتاب الى الملك الاسود وعلم بحال الامير عنتر وما عنده

تحدد وكان حصن بن حذيفة وسنان بن أبي حارثة عنده مقيمين وهم بين يديه حاضرين ولما سمعوا ما في الكتاب فرحوا بتلك الاسباب وكيف أصبحت بنو عبس على عنتر غضاب ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الملك الاسود أقبل على وزيره عمرو بن نفيلة العدوي وقال له ما تقول أيها الوزير في هذه النوبة الطويلة فقال له أيها الملك اني رأيت من الرأي الصواب أن ترسل الى الملك قيس كتاب تأمره أن يأتي هو ومن معه من الاصحاب وتصلح بينهم وبين بني فزارة وأما من جهة أمر عنتر فاهمله أيها الملك في وقت آخر فلما سمع الملك الاسود من وزيره هذا الخطاب علم انه ما قال الا الصواب وأمره فكتب لقيس كتاب ثم طواه وسلمه الى النجاب وقال له سر بهذا الكتاب الى الملك قيس بن زهير واياك والتواني في التقصير فعندها سار النجاب يقطع البراري والهضاب الى أن وصل الى بني عبس الانجاب ودخل على الملك قيس وسلمه الكتاب فارسل الملك قيس خلف الربيع بن زياد وكان اخوانه حاضرين وقرأ عليهم الكتاب وقال لهم أشيروا علينا بما يكون فيه الصواب فلما سمعوا ما في الكتاب قالوا له أيها الملك ما عندنا أصوب من المسير اليه والقدوم عليه ونأخذ روحه من بين جنبيه فعندها أجابهم الى هذا المقال وعزم على الجد والترحال وخاف على الحلة والمال والعيال أخاه جندل وترك عنده خمسمائة فارس زيال وأوصاهم على المال والعيال وسار هو في بقية الرجال وطلبوا أرض الحيرة وتلك الاطلال ﴿قال الراوي﴾ فعندها أقبل الملك قيس على اخوته وهو سائر في البر الاقفر وقال لهم اعلموا اني أقول ان الملك الاسود ما أرسل خلفنا الا ومراده أن يقطع الشر بين بني فزارة وبيننا ويصلح بيننا على قتل عنتر وأنا أيضا قد خطر ببالي رأي آخر ولابد له أن يذكر ومرادي أطلعكم عليه وأريد منكم أن تساعدوني فيه فقال له اخوته ابديه لنا ولا تخفيه حتى اننا نعرفه وندرك معانيه فقال لهم ان كان الملك الاسود أراد أن يتزوج بالمتجردة زوجة أخيه فماذا يكون جوابي اليه فقال له الربيع بن زياد والله يا ملك اني أشتهي أن يكون الامر كما خطر ببالك حتى تبلغ من عنتر آمالك وتحسب أن النعمان مات ولا حلت به الآفات ثم انهم لم يزالوا سائرين على تلك الوسيلة حتى وصلوا الى أرض الحيرة فعندها أرسلوا البشير يبشر بقدومهم فلما وصل الخبر الى الملك الاسود خرج الى لقاهم هو ومن كان عنده من أقاربه وجميع أجناده وعشيرته والتقاهم ورحب بهم وعظم ملتقاهم ودخلوا الى الحيرة في جمع عظيم وكان لدخولهم يوم مشهور ولما كان حولهم كل فارس مخبور ثم أنزلهم عنده وقد فرح بهم وأبدى لهم طاقته وجهده وقرب الملك قيس اليه من دون الفرسان ثم أصلح بينه وبين حصن بن حذيفة وأيضا سنان بن أبي حارثة وقال لهم ما أحسنكم وأنتم هكذا رجالكم مستقيم وما بينكم وبين ذلك العبد الزنيم والوغد اللئيم ولكن ضمانه علي وأناله ولامثاله وسوف أقتله وأفني رجاله فقالوا له أيها الملك لاعدمنا همتك وعزمك وسعادتك ودوام مملكتك فعندها شكرهم وأثنى عليهم وأمر الخدام باحضار الطعام فامتد السماط وأكل الخاص والعام وبعدها شربوا المدام وأكرمهم غاية الاكرام ولم يزالوا على هذا المرام الى أن ولى النهار وأقبل الليل بسواد الظلام فعندها تفرقت الناس وأبطلت السقاة دوران الكاس وقام الربيع بن زياد والملك قيس واخوته الى دار بجانب القصر أعدت لهم ولما مضوا ولم يبق عند الملك الاسود من تلك الخلائق أحد دعا بوزيره عمرو بن نفيلة العدوي فأقبل الملك الاسود عليه وأراد أن يبيح بسره اليه وقال له أيها الوزير أنت الصاحب والمشير واعلم اني قد عزمت أن أخطب المتجردة بنت الملك زهير زوجة أخي الملك النعمان وأريد منك المساعدة على هذا الامر والشان فقال له الوزير والله يا ملك لقد عزمت على خير السبب لان بني عمي كانت تعلم جرة العرب وان كنت عزمت على هذا الشان ومرادك وقصدك في هذا التمني فلا تعرف هذا الامر الا مني وها أنا ماض في هذه الرسالة ثم ان الوزير في عاجل الحال دعا بالربيع بن زياد فحضر عاجلا بين يديه ولما حضر أعلمه الوزير بكل ما جرى وتجددوا ان المتجردة أخت الملك قيس طالبها الملك الاسود وما أعلمتك بهذا الحال الا لتعاونني على الملك قيس في بلوغ الآمال حتى لا يتمنع ويتزوج الاسود باخته المتجردة التي هي زوجة الملك النعمان ويصيروا أصهارا مثل ما كانوا من قديم الزمان فقال الربيع سمعا وطاعة

ثم ان الربيع مضى من عند الوزير عمرو بن نفيلة بهذه الوصية ومعانيها حتى دخل على الملك قيس وأخبره بالزواج وان يترك المخالفة واللجاج ثم انهم بعد ذلك الانضاح باتوا تلك الليلة فى هناء وأفراح الى أن أصبح الله بالصباح وساروا الى قصر المملكة ودخلوا أرباب الدولة عند محتبكه فقام اليهم الملك الاسود عند ملتقاهم ورحب بهم وحياهم وأجلسهم عن يمينه وبجل الملك قيس وأعلا مقامه ومقداره وأجلس حصن وسنان عن يساره وقد حضرت أمراء العربان وسادات الفرسان وجلست على قدر طبقاتها وترتبت أصحاب المقامات فى مقاماتها فعندها أقبل الوزير عمرو بن نفيلة على الملك قيس وقال له يا ملك قد قصدناك فى أمر لكم فيه الخير فلما سمع الملك قيس مقاله قال له أيها الوزير ما حاجتك حتى انى أجلها على السمع والبصر فقال له اعلم ان الملك يخطب منك كريمتك المصونه والجوهرة المكنونه لانه قد رغب فيك فيجب عليك أن ترغب فيه وهى زوجة أخيه وهو كما علمت ملك مسدد وهو أحق بها من كل أحد فاذا صار صهرك كما كان أخوه الملك النعمان ارتفع قدرك على جميع العربان ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام وقال للوزير سمعا وطاعه وهى له أمة من هذه الساعه فقال له الوزير ما هى الا صاحبة القصر والحاكمة على ما فيه طول الدهر ثم انه أخذ بيد الملك قيس ووضعها فى يد الملك الاسود بغير احتجاج وصافحه وناكحه وعاقده على الزواج فلما نظر حصن بن حذيفة الى ذلك الشان صعب عليه وحل به الخذلان والتفت الى سنان وقال له أما ترى الى هذه الاسباب وكيف عادت بنو عبس ثانيا الى الملك أصهار وأنساب كما كانوا من قديم الزمان لاخيه الملك النعمان ورجعنا معهم الى الذل والهوان فلما سمع سنان مقاله ونظر الى تغير أحواله قال له لا يضرك هذا المعنى لانهم على كل حال بنو عمنا وان كان الملك قيس زوجه باخته فعمتك أنت الاخرى من قديم الزمان معه وأما الملك الاسود فانه نهض وقال يا عرب احمدوا الرب القديم الذى جمع شملكم والا كنتم هلكتم كلكم وحل بكم دماركم وأنا أريد منكم أن تتركوا هذه العداوة والبغضة وتكونوا كلكم يدا واحدة ثم انه أخذ بيد الملك قيس وبيد حصن بن حذيفة وأصلح بينهما فى الحال وقال لهما اقبل كل شىء هلاك عنتر بن شداد وأخذ حصن بن حذيفة بثاره وثار من قتل من رجاله وأبطاله فلما سمع العرب مقاله ضجت اليه بالدعاء وشكروه على فعاله وقالوا له أيها الملك نحن لك وبين يديك وسوف نقهر أعداك وحاسديك فلما سمع الملك الاسود مقالهم شكرهم على فعالهم وحسن اجابتهم وأقاموا ذلك اليوم فى لعب وانشراح وأكل طعام وشرب راح والملك الاسود يفيض عليهم بالانعام الى أن أظلم الظلام فعندها افترقوا للمنام ولما كان من الغد أحضر الكبير والصغير فدفع الملك الاسود الى الملك قيس مهر المتجردة ألف ناقة من النوق العصافير ومائة جواد من الخيل الجياد ومائة ثوب من الديباج ثم انه خلع على الملك قيس وقال له أيها الملك سر الى أهلك وأنت مبجل مكرم موقر حتى ننجز الامر فى هلاك عنتر واذا فرغت فلو بنا من هذه القضية المنكدة أنفذت اليك فى طلب المتجردة فقال له الملك قيس والله يا ملك هذا الامر ما نفعله بل نحمل اليك زوجتك قبل كل شىء نعمله وبعد ذلك نتفرغ كلنا الى قتال عنتر ونقلع منه الاثر فقال الملك الاسود للملك قيس افعل ما تريد ﴿ قال الراوى ﴾ وكان ورقة ابن الملك زهير من محبى عنتر وكان كلما سمع هذا الحديث يكاد قلبه أن ينفطر وقال والله هذا شىء ذميم ولكن والله لابد ما أعلمه بما دبره أخى قيس من هذا الفعل الذى ما يفعله الا كل أثيم ثم انه اختلى بمفرده وكتب جميع ما دبروه فى كتاب ودعا بعبد من عبيده الانجاب وقال له أريد منك أن توصل الى الامير عنتر هذا الكتاب وتعود الى من عنده برد الجواب فعندها أخذ العبد الكتاب وسار به يقطع القفار فى الليل البهيم حتى وصل الى بئر معاويه وماء النظيم وأما الملك قيس وبنو زياد فانهم رحلوا طالبين أرض الشربة والعلم السعدى ولم يزالوا يقطعون القفار حتى وصلوا الى قومهم والديار ولما استقر بالملك قيس القرار أمر العبيد باصطناع الولائم ورتع فيها القاعد والقائم ولما راجت تلك الولايمة جهز الملك قيس أخته المتجردة وأنفذها مع أخيه نهشل الى بلاد العراق وأنفذ معه ثلثمائة فارس من كل ليث ممارس وساروا طالبين الحيرة بما معهم من الجنود حتى وصلوها وكان لدخولهم يوم

مشهود فتلقاهم الملك الاسود فى أبطاله والجنود وقد أنفق فى ذلك اليوم مالا يعد ودخلت المتجردة الى القصر وقد فرحت بذلك العز والنصر وفى تلك الليلة دخل بها الملك الاسود وفرح بوصالها وفرحت هى الاخرى بذلك الشان وقد تسلت بالاسود عن أخيه النعمان ولما كان عند الصباح كثرت الافراح والمسرات وخلع الاسود على نهشل وأرسل معه الخلع والهدايا الى الملك قيس واخوته الكرام فهذا ما جرى لهؤلاء من الكلام ﴿ قال الراوى ﴾ وأما ما كان من أبى الفوارس عنتر البطل الهمام فانه كان مقيم فى أبياته وقد أمن من نوائب الدهر وآفاته فبينما هو جالس فى بعض الايام وحوله أصحابه الكرام واذا قد دخل نجاب الامير ورقة بالكتاب عليه وقبل يديه وسلم الكتاب اليه فأخذه الامير عنتر من يديه وسلمه للامير عروة ليقرأه عليه فلما قرأه وفهم عنتر معناه حتى أتى عروة الى آخره التفت اليه عنتر وقد خنقته العبر وقال له ويلك يا أبا الابيض أما تنظر الى هذا الامر الذى نحن فيه وما لنا فى بنى عبس صديق غير الامير ورقة نرتجيه ولكن أكتب الآن اليه كتاب واشكره فيه بحسن الخطاب وقل له أما اجتماع العرب على فلا أعنى به ولا أفكر فيه ولو انهم بعدد الرمل والحصا وسوف أمزقهم فى جنبات البيدا ولا أترك منهم من يخبر بخبر وأما عداوة الملك قيس لى من دون البشر فهو سوف يندم حيث لا ينفعه الندم ثم ان عنتر بعد انصراف العبد من عنده أقبل على الامير عروة وقال له يا أبا الابيض يجب علينا أن نحترز من أعادينا ما دام ان قيسا قد تجرد لنا وعول على قتالنا بعد ما فعلت فى حقه ما فعلت بتلك الاشارة وأذلت له رقاب بنى فزارة وكذلك الاسود ملك العرب وعاديتهم من أجله بكل سبب ولكن لابد له ان يندم اذا رأى بعينيه الهلاك والعدم فهذا ما كان من عنتر وقصته ﴿ قال الراوى ﴾ وأما ما كان من الملك قيس واخوته والربيع بن زياد وعشيرته فانهم داموا على عمل الولائم والفرح والسرور الدائم وهم يقولون ما أحسن هذا بغير ذلك العبد الزنيم فيقول الربيع بن زياد أما تستحوا على أنفسكم بهذا الذى تقولوه وأى شىء هو هذا العبد الخسيس حتى انكم فى كل شىء تذكروه وحق ذمة العرب لابد للملك الاسود أن يطلبه وسوف يظفر به ويقطع شفتيه ويعطبه ﴿ قال الراوى ﴾ وكان الامير عنتر من حذره على نفسه من الملك قيس ومصائبه والربيع بن زياد ومكايده صار كل يوم يركب هو وسبيع اليمن وعروة بن الورد وولده ميسرة وأخيه شيبوب وهم مثل النار المسعره ويبعد الفرسخ والفرسخين فى البرارى المقفره ويطلبوا بذلك لعلهم يطلعون على حيلة تكون من أعدائهم مدبرة ﴿ قال الراوى ﴾ فبينما عنتر سائر فى تلك الربا والسباسب واذا قد لاح له نجيب كأنه السحاب ومن فوقه نجاب وهو راكب فلما نظر عنتر اليه وقد أشرف من صدر البرية عليه قال لعروة ابن الورد يا أبا الابيض أنظر الى هذا الراكب المطيه الذى قد أتى من هذه البريه قال نعم فقال وحق رب البريه ومن شرف الكعبة البهيه ما هذه الركبة الا عبسيه ونحن على كل حال لابد من تعرضنا اليه حتى اننا نعلم ما هو فيه ونطلع على أحواله ونبصر ان كان من أعدائنا أو من أصدقائنا فقال له افعل ما بدا لك فما أحد منا يخالف مقالك فعندها أطلقا عنانهما حتى انهما أدركوه وزعقوا فيه أوقفوه ثم تقدم عنتر اليه وقال له ما أنت أيها السائر فى تلك السباسب وتأمله عنتر واذا به من بنى عبس الغرر فلما عرفه حياه وترحب به وقال له ويلك يا ابن العم من أين أقبلت والى أين تريد لانى أراك سائر وأنت وحيد فريد فى هذا القفر والبيد فقال له أما قدومى فمن بنى عبس التى قد طابت أحوالهم دون العرب وأما الى أين أريد فانى طالب بعض أحياء العرب لاجل حاجة لى وسبب فقال له عنتر وأى الحال تطلب وما هو الامر الذى أعناك الى هذا الجد والطلب فقال له قاصد بنى زبيد من دون العرب ومعى كتاب الى الامير عمرو بن معديكرب وهو ان الملك قيس بن زهير يعلمه بما صار اليه بعلو المنزلة فقال له عنتر وكيف حال الملك قيس مع أهله فى بلاده فقال له يا عنتر ان قيس اليوم ليس كما تعهد لانه قد صار صهر الملك الاسود ولا بقى يقاومه من ملوك العرب أحد وأيضا الملك حصن سيد بنى فزارة أصلح معه وقيس اليوم ملك بلاد الحجاز واليمن ولا بقى يقاومه مقاوم فى الحجاز ولا فى اليمن فلما سمع الامير عنتر وصف قيس ومدحه فيه اغتاظ منه وقال له انزل يا ابن العم حتى اننا نضيفك

عندنا ونطعمك من طعامنا فقال له يا عنتر أنا مالي قدرة على ذلك العمل لانني من أمري على عجل فقال له ان كنت ما تنزل حتى نكرمك والا ترنا الكتاب الذي معك فقال له وكيف يجوز لك أنت هذا السبب كيف تطلع أنت على أسرار ملوك العرب فقال عنتر لابد لي من ذلك لان لي فيه ارب فقال له هذه امور لا تنالها ولا أدعك تطلع على أحوال الملوك وأسرارها فلما سمع عنتر مقاله شال يده ولطمه على قامته فكظم الارض بخلقته وكادان يغشى عليه ثم انه أقلبه من على كور ناقته وقال له في است أم هذه اللحية التي هي بالفشار وقلة الادب وأي شيء أفكرانا في قيس أو بعمرو بن معديكرب ثم انه مد يده الى مزوده وأخذ الكتاب منه وأعطاه لعروة بن الورد ففكه وقراه ولما عرف الامير عنتر رموزه ومعناه أخذه من الامير عروة وحذفه اليه وقال له اذهب الى صاحبك لعن الله بطنا حملك فعندها سار من اهل وهو لا يصدق بنجاته من المعاطب وبعدها أقبل الامير عنتر على عروة بن الورد وقال له يا أبا الابيض لقد صدق زرقه فيما قال ولقد نصحنا في المقال وبعد ذلك وحق من أرسى الجبال لابد لي من الغارة على بني عبس وأنهب أموالهم ونوقهم وجمالهم وأهدم منزلتهم كما شيدتها وأعدمهم أرواحهم وأسبي عيالهم لانهم قد بالغوا في حق بالعداوة فلما سمع عروة كلامه تعجب من عزمه واهتمامه وقال له يا أبا الفوارس وتنهب أموال بني عمك بهذا السبب فقال له أي وحق ذمة العرب لابد لي من المسير الى أطلالهم وآخذ نوقهم وجمالهم وأبصر ان كان الاسود ينفعهم اذا نزلت عليهم الباغية أم لا وأتركهم في عداوة صادقة فقال له الامير عروة الامر اليك وها أنا روحي ومالي بين يديك فقال له الامير عنتر عد بنا الى الحي حتى ندبر أمرنا قبل كل شيء ونلبس آلة الحرب ونعتد للطعن والضرب فعندها عادوا الى البيوت وعنتر كاد من الغيظ أن يكون مفقود ثم انه أحضر أعمامه وما يهم أنه يقوم مقامه وأعلمهم بجميع ما جرى من الحال وما الذي عزم عليه من الفعال ثم انه أوصى بني قراد بالاحتراز واليقظة وترك الرقاد وقال لابنه وأعمامه اذا استدعاكم ملاعب الاسنة فاحذر وأن تخشوه فقال له عروة يا أبا الفوارس ان الكتاب اذا وصل اليهم وهو مفكوك الختم فلابد لهم أن يسألوه عن ذلك الحال فقال عنتر وأنا ما فعلت به تلك الفعال الا ليعلمهم بما جرى عليه من الاحوال ويخبرهم بخبري ويقص عليهم أثري ويشكرني اليهم لاجل اني نازل بارضهم فيصعب عليهم ذلك الكلام اذا سمعوه فيكرهوه ولا يستحسنوه واذا هم سمعوا اسفر في حدثوا أنفسهم بما يريدونه عند غيبتي فلما سمع عروة هذا المقال والحساب علم انه ما قال الا الصواب وقال له لله درك من أسد جسور فما أخبرك بعواقب الامور ثم انهم بعد ذلك الشان ركبوا وساروا يقطعون البراري والقيعان ولم يزالوا سائرين بهمة مجتهدة حتى بقي بينهم وبين بني عبس ليلة واحدة فساروا تلك الليلة تحت ظلام الاعتكار حتى أصبح بنو عبس عند طلوع النهار فعندها اكمنوا في مكان يسترهم عن العين وصبروا حتى سرحت أموالهم وابعدت مقدار فرسخين فعندها خرج الامير عنتر بمن معه من الرجال وغاروا عليهم وساقوا جميع الاموال وضربوا في أقفية العبيد ضربات مثل فتوق الاعدال فعندها ساقوا بين أيديهم الاموال وهرب الباقون وهم للحلة طالبون في حالة الذل والتعتير فقال لهم الملك قيس يا ويلكم ما الخبر وما هذا الصياح المنكر فقالت له العبيد يا مولانا ان بني خثعم وبني مراد قد ساقت جميع الاموال وقتلوا جماعة من العبيد وتركوهم مطروحين في جنبات البيد ﴿قال الراوي﴾ وكان عنتر وأصحابه عند حملتهم غيروا أسماءهم وانتسبوا الى غير قبيلتهم وصاحوا عند حملتهم يا لخثعم يا لمراد فلما سمع الملك قيس من العبيد هذا المقال قال لهم وهذه الخيل والرجال الذي ساقت الاموال كم يكونوا في العدد فقالوا له أيها الملك لم يكونوا أكثر من مائتي فارس لمن يعاين ولمن يقايس الا انهم أسود عوابس كأنهم الجن أو الابالس فلما سمع الملك قيس من العبيد هذا الكلام قال لهم يا ويلكم كم تعظموا علينا المرام وأي شيء يكون قدر المائتي فارس حتى تفعل بنا هذه الفعال ثم ان الملك قيس قال الخيل يا أرباب الخيل النفائس ثم استوى في الحال على ظهر جواده داحس وكذلك فعلت سائر اخوته والربيع بن زياد وقبيلته وركب بجانبه أخوه عماره وقد أكثر من هذيانه

وفشاره ثم سار وارهم في ألف فارس من كل مدرع ولابس وسارت العبيد بين أيديهم حتى وصلوا الى محل الوقعة ومن هناك أخذوا على آثار المال وساروا على آثار ركض الخيل والجمال ولم يزالوا سائرين في البر الاقفر الى أن ولى النهار وأدبر فعندها غاب عنهم الاثر وقد ساروا على غير الطريق التي سار فيها عنتر ورأوا الليل قد أظلم عليهم واعتكر وما زالوا سائرين حتى طلع عليهم الصباح وانفجر واذا قد وقعوا في بر أقفر يتوه فيه الدليل ويتحير فعندها وقفوا ورجعوا على أنفسهم بالملام لانهم خرجوا من ديارهم وساروا في الظلام هذا وقد راعهم صياح الغربان والبوم التي تنعق على تلك الآكام وقالوا والله ما هذه الطريق التي سلك العدو فيها ولا لهم آثار في نواحيها وما بقي غير أننا نعود الى الديار بالوبال والندامة والا حل بنا الهلاك والدمار ثم انهم رجعوا الى ديارهم وقد أخذت أموالهم وقاسوا تلك الشدة الزائدة ورجعوا من غير فائدة فلما نظر عروة الى هذه الاحوال زاد به الغيظ وحل به الانذهال وقال لاخيه قيس انظر يا أخي أول بركات بعد عنتر عنك والله لابد ما تنهب أموالنا عرب البراري والبيد وترى من الآن كل يوم صعب شديد بغيبة عنتر عنا الذي كان حامي أحرارنا والعبيد ﴿قال الراوي﴾ هذا ما جرى هاهنا من الخبر وأما ما كان من أبي الفوارس عنتر فانه لما ساق الاموال وفعل تلك الفعال سار يقطع الفيافي والتلال والعبيد بين يديه تسوق المال والجمال وهم يقطعون البر والمحاجر حتى انهم وصلوا الى ديار بني عامر ونزل في أبياته وأعطى تلك الجمال لرعاته وقد كثرت أمواله وخيراته وخرجت عبلة اليه وفرحت بقدومه ثم أقام الامير عنتر بين أهله وقومه ولم يزالوا على تلك الاحكام مدة خمسة أيام بتمام ولما كان في اليوم السادس أقبل عنتر على عروة بن الورد وقال له يا أبا الابيض نحن لابد لنا أن نحترز من المصائب والمكايد لان العرب قد رمتنا عن باهها بقوس واحد وما فيهم أحد الا وهو لنا معاند وان لم نحترز من سائر العباد والا حلت بنا الانكاد لان قيس بن زهير قد جاهرنا بالعداوة وصالح بني فزارة وبنو عامر قد كرهونا والدليل على ذلك أنهم قرأوا الكتاب وما أعلمونا وما يعلموا أننا قد قرأنا الكتاب والعرب قد عادتنا من كل الجهات والصواب أننا نرحل من هذه الاطلال ونأوي الى بعض أحاقيف الجبال ونحصن فيها أموالنا والعيال ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عروة من عنتر هذا المقال والخبر قال له يا أبا الفوارس أنت قد غيرك الكبر ويجب عليك أن تدبر أمرك وأمرنا معك لان الملك الاسود قد طلبك والعرب جميعها عليك قد اجتمعت وما بقي أحد منهم الا ويقصد اليك وأنت معول أن ترمينا في بحر آخر ماله أول من آخر وأنا والله خائف عليك أن تهلك وتهلكنا معك فلما سمع عنتر من عروة هذا الكلام قال له يا أبا الابيض أنا أعلم ان العربان تقصدني من كل جانب ومكان فان كنت يا ابن العم تعلم انك من هذا فزعان فامض أنت واقصد بني عمك من قبل هذا الشان فهم والله يقبلوك ويفرحوا بك ويشكروك وأنا أعذرك ولا أحملك ما لا طاقة لك به وأنا أعلم بانك قد ضجرت عن معاشرتي فامض الى قومك وخل صحبتي فلما سمع عروة من عنتر هذا المقال أخذته الدهشة والانذهال فبينما هم في تلك الاقوال واذ قد أقبلت عليهم جماعة من أهل الثنا والمفاخر فتبينوهم واذا هم بنو عامر وهم ملاعب الاسنة فارس الخيل وخائض الليل وعلقمة بن علاقة وعامر بن الطفيل والاخوص بن جعفر الفارس النبيل فعندها وثب الامير عنتر وعروة بن الورد وبنو عبس وتلقوهم بالاكرام ولما استقر بهم المقام أتاهم الامير عنتر بشيء من الطعام وأكرمهم وفرح بقدوم هؤلاء السادات الكرام ولما فرغوا من أكل الطعام جلسوا للحديث والكلام فعندها أقبل عليه الاخوص بن جعفر وقال له يا أبا الفوارس لا يكن قد بقي في قلبك شيء من الوساوس لاجل أننا قرأنا كتاب قيس وفهمنا معانيه وما فيه من التهديد والوعد والوعيد وما أعلمناك بشيء من ذلك فتظن أننا فزعنا من الملك قيس ووعده وقوله ان الاسود يسير الينا في جنده وأعوانه أو تظن أننا رحلنا عن جوارك بهذا السبب لا وحق ذمة العرب لا تخلينا عنك ولو ذهبت أرواحنا في هواك وقلعت أصولنا في رضاك وان أقمت أقمنا وان رحلت رحلنا وان حاربت حاربنا وان صالحت

صالحنا فلما سمع مقالهم الامير عنتر فرح بذلك واستبشر ثم أقبل عليهم وقال لهم يا سادات العرب لابد لنا من التدبير في هذا السبب والرحيل من هذه الاراضي والسبسب من قبل أن يأتينا الطلب ولا سيما المال والعيال نخاف عليها أن تنهب ومن الرأى أننا نرحل ونقرب من أرض الحيرة ونجعل أموالنا وعيالنا في مكان يكون حصين نامن عليهم فيه من سائر العربان ونترك عندهم من يحفظهم وتطمئن قلوبنا عليهم وبعدها نتجرد للقتال ومن أتى الينا ضربنا رقبته وسقيناه كأس منيته ﴿قال الراوى﴾ فهذا ماجرى لهؤلاء من الخبر وأما ما كان من أمر الملك قيس وما دبر فانه دعا بخمسين فارس من بني عبس الاشاوس وأرسلهم ليكشفوا له خبر عنتر ويبصروا ان كانت أموالهم مع أمواله أم لا فساروا يقطعون البر بسيرهم المتواتر حتى وصلوا الى ديار بني عامر فوجدوها خالية الجنبات لا فيها حس حسيس ولا أنس أنيس بل رأوا فيها بعض العجائز وشيوخ كبار وقد تخلفوا في الديار لان مالهم همة بسير ولا بهم مع من سار فعندها تقدموا اليهم وسألوهم عن أهل تلك الديار فقالوا لهم قد رحلوا فقالوا لهم من أى وقت رحلوا فقالوا لهم من مدة يومين وقد طلبوا أرض العراق فهموا أن يرجعوا الى ورائهم واذا بعنتر قد فاجأهم وميل نحوهم وقصدهم فلما نظروا اليه فلم يجدوا لهم مهربا من بين يديه بل ساروا اليه وسلموا عليه وترجلوا وقبلوا رجله في الركاب وسلموا عليه سلام الاحباب فقال لهم أهلا وسهلا ببني العم فمن أين أنتم واردين والى أين أنتم قاصدين فقالوا له اعلم ياأبا الفوارس اننا قد أتينا من الحلة ندور عليك ونحن قاصدين اليك فقال عنتر وما الذى منى تريدون حتى أتيتم نحوى قاصدون فقالوا له اعلم ان الملك قيس لما نهبت أموالنا ركب في بني عبس وسائر رجالنا وقد ظن أن بني خثعم ومراد قد أتوا اليهم وغاروا عليهم لان تلك العبيد أعلموهم بانهم قد تكنوا بهذه الاسماء وساروا خلفهم فما وجدوهم فعادوا من ورائهم بالخيبة ولما أيسوا من أموالهم قال الربيع بن زياد ما أخذ أموالنا الا عنتر بن شداد فلما سمع الملك قيس كلامه شك في قوله ومرامه واتفق رأيهم على أن يرسلوا ويكشفوا الخبر حتى يطلعوا على جلية الاثر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامير عنتر منهم هذا المقال قال لهم أنا الذى أخذت الاموال وفعلت تلك الفعال وأنا ما أخاف من أحد ولا أبالى بقيس ولا بالملك الاسود فقولوا له أن يجتهد جهده ويطبخ أحمض ما عنده فلما سمعوا الفرسان مقاله قالوا له والله يا أبا الفوارس أنت ما أخذت مال قيس وبني زياد الا لما أكثروا عليك البغى والعناد لانهم أعداك ولا أفلح من يشناك وأما نحن يا ابن العم فاكرمنا لوجه الله لانك قد أخذت أموالنا في جرتهم واحترقنا بنارهم وجرتهم وبقينا بغير ناقة ولا جمل وقد التهبنا بنار غيرنا وأنت تعلم أننا أضعف الناس حال وأقلهم مال ونوال فلما سمع عنتر مقالهم رق لحالهم ورثى لهم وقال لهم يا بنى العم خذوا أموالكم بارك الله لكم فيها وخذوا من مالى كل منكم مائة ناقة وضيفوها الى أموالكم فعندها فرحوا بهذا الشان وشكروه بكل شفة ولسان ودعوا له وأثنوا عليه بعدان أخذوا أموالهم وأخذ كل واحد مائة ناقة من جمال عنتر وعادوا طالبين ديارهم هذا والامير عنتر عند مسيرهم يقول لهم قولوا لقيس أنا الذى أخذت أمواله وها أنا سائر الى صهره الذى احتمى به حتى أخرب دياره وأطلاله ثم انهم ساروا يقطعون الارض وهم فرحانين برد أموالهم والجمال الى أن وصلوا الى ديارهم والاطلال ﴿قال الراوى﴾ فلما نظرت بنو عبس الى تلك الاموال أخذتهم البهتة والانذهال وقالوا لهم يا بنى العم هل وقعتم على مكسب أو نهبتم حلة من حلل العرب فقالوا لهم لا والله بل هذه أموالنا ردت الينا وقد أوصلها الله الينا ومعها لكل واحد منا مائة ناقة أعطاها لنا ابن عمنا عنتر ومن بها علينا ثم انهم بعد ما قالوا كل واحد ما عليه من عدته دخلوا على الملك قيس فوجدوا عنده الربيع بن زياد واخوته وأقاربه وسادات عشيرته فسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه وبعد ذلك أخبروه بالخبر وأطلعوه على ماجرى لهم مع عنتر وقالوا والله لقد صدق الربيع بن زياد في مقاله عليه لانه هو الذى أخذ أموالنا وهى سائرة بين يديه وقد وقع بينه وبين عامر الاتفاق وهم كلهم طالبون أرض العراق فلما سمع الربيع هذا الخبر عن الامير عنتر قال واذل بنى عبس الى أبد الابد من هذا العبد الذى قد طغى وتمرد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت بنو عبس هذا

الكلام علموا أنهم يشربون من بعد عنتر كاس الحمام فصاحوا كلهم من فرد لسان وقالوا والله ما صبرنا على هذا الذل والهوان وما أتانا هذا البلا سواك وما كان سبب رحيل حاميتنا الا اياك فوالله لا أقمنا ولا قعدنا ملك في هذه الديار من بعد مسير حاميتنا عنا لاننا ما نرى العز الا بقربه منا ولا نرى الذل والشقاء الا ببعده عنا ثم انهم من بعد ماجرى لهم ماجرى صرخوا وصاحوا وجلبوا وعولوا باللحوق الى الامير عنتر وكل منهم ركب جواده وتحضر هذا والملك قيس قد غاص في بحار الفكر وقد اختل عقله لذلك الامر وتحير عند ما نظر فعل قومه ورجاله وخاف أن تذهب عنه حماته وأبطاله فما كان له الا انه تلافى قصته فيما وقع اليه وقد جمعهم كلهم بين يديه وقال لهم اعلموا يا بنى العم انى ما أبعدت عنتر عنكم الا خشية على نسائكم وعليكم مخافة من الملك الاسود لاجل هذا السبب وأنتم تعلموا انى مازوجته أختى وأبعدت عنكم الشر والاذى الا لأجل هذا المعنى والآن فقد جرت هذه الاسباب وعنتر أحسن لنا اليوم من جميع الاعراب لاسيما وقد أطاعوه بنو عامر وبنو كلاب وبعد ذلك فنحن نجد مسيرنا اليه ونحن أولى من خدمته من غيرنا فلما سمعت بنو عبس مقاله علموا انه الامن شكره ودعا له وفرحوا بهذا الرأى الجميع الا بنى زياد والربيع ولكنهم احتاجوا أن يدخلوا تحت المضض ويوافقوا الملك قيسا على هذا الغرض ولم تكن الا ساعة حتى قلعوا المضارب والخيام ولم يبق في أرض الشربة لاشيخ ولا غلام وحملوا حريمهم والولدات وساروا يقطعون البرارى والقيعان وهم يقطعون البر الاقفر ويقتفون من الامير عنتر الاثر وما زالوا على ذلك الحال وهم يقطعون السباسب حتى أدركوا عنتر وهو نازل بمن معه من المواكب وناصب خيامه والمضارب بين الجبلين وهم خشاخش والقناصب ﴿قال الراوى﴾ وكان الامير عنتر سار هو وبنى عامر وتركوا الديار بلاقع الى أن وصلوا تلك الديار والموضع وحصنوا فيه الاموال والعيال وعولوا على المسير الى أرض الحيرة ويتركوا الملك الاسود في حيرة ويغيروا على أمواله ويقتلوا رجاله وأبطاله فبينما هم معولين على مثل ذلك وقد تجردوا الى ما هم اليه طالبين واذا هم بغبار بنى عبس قد أطبقت الفلا فظن عنتر أن ذلك الغبار غبار أعداء وقد أتوا الى قتاله وفناه فخاف أن يكبسوه بين الجبلين هو ومن معه من الرجال فوثب في عاجل الحال على ظهر الجواد بعد ما لبس عدة الحرب والجلاد واعتقل برمحه الاسمر وتقلد بسيفه الماضى الابتر هذا والخيل قد ركبت لركوبه وتبعته الرجال وقد عرفت مطلوبه وأطلقت الاعنة وقومت الاسنه وصار وافى ذلك الجمع والمواكب حتى انهم أشرفوا على الهوادج فوقفوا عن المسير ثم تقدمت الرجال من بنى عامر الى ذلك الظعن السائر بتمكين وقالوا لهم من أنتم أيها القادمين والى اين أنتم عازمين فقالوا لهم نحن مقبلين الى عنتر حاميتنا نريد أن نصالحه كلنا لان ملكنا قيس قد ندم على فعله وقبائحه ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم في هذا الحديث والايراد واذا بالملك قيس قد أقبل وحوله بنو عبس وكذلك اخوته وبنو عمه وبنو زياد وعشيرته وهو يقول في نفسه والله ان هذه سعادة عظيمة لهذا العبد ابن الزنيمه فلما نظر عنتر الى الملك قيس نزل من على ظهر جواده وذلك من كرم نفسه ووداده وكذلك ترجلت معه جميع الاصحاب من بنى عامر وبنى كلاب هذا والملك قيس قد ضم الامير عنتر الى صدره وقبله في عارضيه ونحره ثم ان الملك قيس بكى في وجهه وقد اعتذر الى الامير عنتر فعندها قال عنتر أيها الملك وهل أنا الا عبدكم وضيعة احسانكم ولم تزل الملوك تغضب على العبيد وترضى واذا عفوت فذلك من جاد بالعفو والرضا فعندها نطقت الالسن بشكر عنتر وما منهم الا من دعا له وبين يديه قد اعتذر وأصلحوه جميعهم وذهبت البغضة والعناد من بينهم ودخلت بنو عبس بحريمها وأموالها الى بين الجبلين وقد فرحت قلوبهم وقرت منهم العين فعندها أقبل الملك قيس على الامير عنتر وقال له يا أبا الفوارس نريد بعد ما صفحت عن ذنوبنا أن تكون المتولى على أمورنا وتكون أنت الآمر ونحن المأمورون وها نحن لك سامعين وفى جميع ما تأمرنا به لك مطيعين فعندها ازداد عنتر بذلك الكلام عند العرب قدرا واعظام وارتفاع قدر وعلو مقام ثم ان الامير عنتر رد أموال بنى عبس عليها وقد أنفذ العبيد بالنوق الى مواليها واجتمع شملهم بعضهم ببعض وقد أوحشوا ديارهم وآنسوا تلك الارض هذا والامير عنتر بعد هذا الاتفاق عول على المسير الى أرض العراق فاقبل عليه شيبوب وقال له يا ابن الأم اسمع

منى الذى عليه أقول لك واحمد الرب الذى جمع شملك ببنى عمك واتفقت الكلمة وتمت النعمة واعلم باننا نازلين فى جوار ملك عظيم ورجل كريم وهو الاسود بن المنذر صاحب العطا والفيل وخلفه مثل الملك كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان ومعه بنى لخم وجذام والخلق كلهم له أعوان وخدام وقد أصبحت العرب أعداكم والملك الاسود يطلبكم ويقصد الى أذاكم وأنت قد عولت أن تقصد أضيق المسالك وترمى نفسك الى المهالك وكانك بالملك الاسود وقد سمع بقصتك ومضى اليه خبرك وتعلم أن بنى عامر وبنى عبس قد صارت معك فيأخذه القلق ولو أراد أن يسكت فى هذه الاشاره فما تركته بنو فزارة والرأى أن تأخذ حذرك من أحبابك وجميع أعداك واصدقائك فلما سمع عنتر كلام أخيه شيبوب علم أنه فى كلامه درب وقال له وما الرأى فى هذه الاحوال لانك خبير وبالامور بصير فقال له الرأى عندى أن تحصنوا العيال والاموال فى هذه الجبال وأنتم اليوم قد صرتم ثمانية آلاف فارس من كل مدرع لابس فاترك ألفين من بنى عبس وألفين من بنى عامر تحفظ هذه الجبال من كل بادى وحاضر وسر أنت فى ألفين من بنى عامر والفين من بنى عبس وأنتم فيكم الكفاية ولو مضيت بهم الى مطلع الشمس فلما سمع عنتر من أخيه شيبوب هذا الكلام فرح به واستبشر ثم انهم فى عاجل الحال حصنوا جميع أموالهم فى الجبال مع الحريم والعيال وخلوا عندهم أربعة آلاف فارس من الابطال وأوصاهم عنتر باليقظة والاحتراز وأن يكونوا من جهة أعدائهم ايقاظ (قال الراوى) ثم ان عنتر سار بمن معه من الرجال وهم طالبون أرض العراق وتلك النواحى والآفاق ﴿قال الراوى﴾ ومن كثرة ما دخل على قلب الربيع بن زياد من الغيظ والانكاد وما وصل الى عنتر من السعد الذى لا ينفد ورأى أنه قد سار طالب قتال الملك الاسود فعندها كتب فى عاجل الحال كتاب وذكر فيه جميع ما هم معولين عليه وهو يعلم الملك الاسود ان عنترة سائر اليه وهو قاصد نهب امواله وخراب دياره وأطلاله وبعدما كتب هذا الكتاب أنفذه ليلا مع نجاب وكان مع عبد من عبيده الانجاب فعندها سار العبد فى هذه الوسيلة حتى وصل الى أرض الحيره وعندما وصل الى البلد استأذن بالدخول على الملك الاسود فاذن له بالدخول اليه وعندما وصل قبل الارض بين يديه وأعرض كتاب الربيع عليه فعندها أخذ الملك الاسود الكتاب وهو مطوى وسلمه الى وزيره عمرو بن نفيلة العدوى فعندها فكه وقراه وعرف رموزه ومعناه فلما سمع الاسود ما فيه أسودت الدنيا فى أماقى عينيه وغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد لما علم أن الملك قيس قد صالح عنتر وأن بنى عامر وبنى عبس قد صار واله عسكر فقال وكانى ما صالحت بنى عبس وقربتهم الا ليصالحوا عدوى ويحرضوه على فوالله لأبددن شملهم ولا قلعن غابرتهم ثم انه وثب من على كرسى المملكه وقد سارت همومه شنيعه وأحواله منكده ودخل على زوجته المتجرده وقد حل به الغضب وفار من شدة الصخب فقالت له أيها الملك ما أغضبك وأزعج حالك فلا عاش من يعاديك ولا من كان يشنيك قل لى ما جرى لك فقال لها الملك الاسود ويلك يا متجرده وكانى ما تصلت بك وقربتك الى ورفعت قدرك الى حتى تكون الملك قيس وبنى عبس عونا لى على العدا ولا يصالح عنتر وقد كافانى بالعداوة والشر ثم ان الملك الاسود قرأ عليها الكتاب وأطلعها على ما فيه من الاسباب فلما سمعت المتجردة ما فى الكتاب من الخطاب صعب عليها ولم تقدر ترد جواب ثم انها قالت له اعلم أيها الملك ان ما فى الامر الا انك تراسلهم وتتعطف بهم ولا تخالفهم لان نارهم محرقه ورماحهم خارقة وأيضا كما تعلم انهم جمرة العرب واشجع من ضرب فى البيدا وتدوم مطنب لاسيما وقد انضافت اليهم بنو كلاب السادات الانجاب ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك الاسود كلامها اغتاظ غيظا شديدا من مقالها ومدحها لقومها ثم انه دفعها فى صدرها القاها وزعق على الجوار وأمرهم بخنقها فتواثبوا اليها الجوار وقد وضعوا المخدة على رأسها مع وجهها وعصروا على نحرها وصبروا عليها ساعة حتى خرجت روحها فامر الملك الاسود بدفنها من غير أن يكفنها ويغسلها فلم تكن الا ساعة حتى دفنوها فى التراب وتمت هذه الاسباب وخرج الملك الاسود بعد هذه الفعال الى قصره وجلس على سرير مملكته وهو يهمهم غضبا وقد زاد لذلك الامر حنقا وسخطا وأخبر الوزير عمرو بن نفيلة بجميع ما جرى وما تم من التدبير وكيف انه قتل المتجرده وما فعل هذه الاحوال المكدره

وقال له أنا ما فعلت هذه الفعال الا لتكون العداوة مجدده ولا يكون بينى وبين بنى عبس ملجا أبدا ثم انه أحضر ملوك العرب الحاضره وكتب برأيهم الكتب وأرسلها الى سائر ملوك العرب فاتوا اليه من كل قفر وسبسب وكل منهم أتاه بفرسانه وجيشه ولما اجتمعت العرب كان آخر من أتى ذو الخمار وجلس الملك وجميع الملوك عنده وقرأ عليهم الكتاب الذى أرسله الربيع بن زياد فقالوا له جميعا وما بلغ من قدر هذا العبد حتى انك تجمع هذا الجيش من أجله لا هو كسرى ولا قيصر فواحد منا يسير بعشرة آلاف ويأتيك به وبمن معه ﴿قال الراوى﴾ فهم فى الكلام واذا بزعقة قد علت فسألوا ما هذا الصياح فقيل ان أموال الملك أخذت وكذلك أموال جميع العرب وقد طلعت عليها ألف فارس ساقتها عن بكرة أبيها ﴿قال الراوى﴾ والسبب فى ذلك الحال ان عنتر لما سار بالرجال ما زال سائر حتى قرب من الحيرة واذا هم بعبد قد أقبل فتبينوا واذا به من عبيد المتجردة وقد عرفه قيس حين أقبل وهو طائر العقل وبجانبه الخذروف بن شيبوب لان عنتر كان أنفذه الى الحيرة فى صفة جاسوس فصادف دخوله ساعة ما حل بالمتجرده من النحوس فخرج هذا العبد من الحيرة وسار حتى يعلم مولاه فاتفق الخذروف هو واياه بعدما عاين ذلك الجيش الذى على الحلة ورآه وما زالوا يقطعون المهاد وهم كثير والبكاء والانتحاب حتى أقبلوا على الملك قيس وهما يشققون الثياب فعند ذلك وضعوا على رؤسهما التراب ونادوا بالويل وفقد الاحباب فلما نظر الملك قيس الى ذلك الأمر انذهل وتحير فزعق عنتر على الخذروف وقال ويلك كيف هذه الفعال وصفتها فقال له يا مولاى وصل للملك الاسود كتاب بجلية الخبر وكيف تصالحتم أنتم وعنتر وانكم قد عزمتم على قتاله وسرتم الى نهب أمواله والغارة على أطلاله فلما سمع بذلك الخبر زعق من شدة الغيظ وزمجر وقال وكانى ما صالحت قيس الا حتى يشدد مع عنتر ويتفق هو واياه على أن يوصلوا الى الاذية والضرر ثم قام ودخل على مولاتى المتجرده ونار الغيظ فى قلبه متوقده وقص عليها جميع ما جرى من الاحوال فقالت له ترفق بهم يا ملك فهم أصهارك على كل حال فلما سمع الملك مقالها أمر بخنقها بعدما رفسها فى صدرها ألقاها على ظهرها فلم تكن الا ساعة حتى قتلت لوقتها وصار يقول أنا أجعلها عداوة منى حقا ثم خرج وأعلم الوزير بذلك الرأى والتدبير وكاتب العرب فاتت من كل قفر وسبسب وكذلك بنى حمير وبنى همدان وبنى سليم وبنى شيبان وسبيع بن الحارث الملقب بذى الخمار وقد اجتمع عليه ثلثمائة ألف فارس كرار ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع قيس ذلك الخبر كادت مرارته أن تنفطر ولطم هو واخوته على وجوههم حتى برز الدم من مناخيرهم وأما عنتر فانه بهت وتحير وقال لعن الله أبا سبال الاسود على ما فعل من الفعال التى لا تحمد لما عجز القرنان عن قتال الرجال رجع الى قتال النساء ربات الحجال فوحق من أرسى الجبال وعلم كم وزنها من مثقال وبقدرته أضاء النهار وأظلم الليل لآخذن بثارها ولا بليه بحروب لا تبرد نارها ثم انه طيب قلب الملك قيس وهدأ ناره ووعده باخذ ثاره وبعد ذلك ساروا وهم من فعال الاسود فى زمجره الى أن أشرفوا على الحيره ونظر عنتر من بعيد الى تلك العربان فاكمن هو ومن معه فى بعض التلال الى أن سرحت الاموال فعند ذلك خرج عليها وساقها عن بكرة أبيها وكانت شئ كثير من النوق العصافيريه واليمانية والخراسانيه وقطعتان من الغنم والخيل وجرحوا من كان معها من الفرسان فى ذلك المكان جراحات بالغات وسلم عنتر جميع الاموال الى خمسمائة فارس ممن كان معه من الرجال وتخلف هو فى خمسمائة فارس الى ملاقات الابطال وسارت الخمسمائة فارس بالمال ووقع الصياح كما ذكرنا وخرج الاسود ومن معه كما قدمنا فلما بقى بظاهر الحيرة سأل العرب عن الخيل المغيرة فقالوا له نحن ما عرفناهم لاننا انهزمنا لما رأيناهم فقال الاسود وحق النار والمعبد الاكبر ما فعل هذه الفعال الا عنتر أما هو الذى أسرنى عند وادى الرخم ومياه بنى الاجرم وأنزل بى وبمن معى الضير لما تعرضت للملك زهير وكنت فى عشرين ألف فارس فاسر منها سبعة آلاف فارس وفاق علينا كل الفيق والسبعة آلاف الاخر قطعها بالسيف فلما سمعت أمراء العرب من الملك الاسود ذلك المقال زاد بهم الوجد والبلبال وقالوا أيها الملك ما هذه الاقوال أى شئ هذا المقال الذى ما يقوله انسان وأنت اليوم ملك الزمان وصاحب الجنود والاعوان والغلمان وكيف تجهل

بهذا العبد الزنيم الذي ليس له قدر ولا شان وهو أقل وأذل ان يقاس بمثلك ياملك الزمان أو يسير من
جبال الخيرة والتناصب بهذه العصابة الحقيرة ويغير على الاموال ﴿قال الراوي﴾ كل ذلك يجري والعرب
الذين هربوا من الوقعة وقت الكفاح يستغيثون من ألم الجراح فقال لهم الاسود ويلكم وكم يكونوا هذه
الرجال الذين غاروا على الاموال فقالوا له أيها الملك قد رأينا منهم ما يذهل العين وتقول انهم أكثر من
ألفين فلما سمع الملك الاسود ذلك المقال جهز في ساعة الحال عشرة آلاف فارس من الابطال وقال لهم
الحقوا بهؤلاء الانذال ولو وصلوا الى أعلى الجبال ولا ترجعوا الا بالمال واتوني بعنتر ومن معه من الرجال
وهو في السلاسل والاغلال حتى أعذبهم أشد العذاب وبعد ذلك اقتلهم وأنزل بهم المصاب وأرمي لحومهم
للذئاب والكلاب فهذا ما كان من هؤلاء ﴿قال الراوي﴾ وأما ما كان من عنتر ومن معه من الاصحاب
فانه قدم المال بين يديه كما ذكرنا وتأخر هو ومن معه كما قدمنا ووقف ينظر لاقبال عدوه وقد أثنى رجله على
قربوص سرجه وهو منتظر اقبال الرجال وما حوله الا كل ملك وأمير ريبال فلم تكن غير ساعة حتى ان
الخيل طلعت والاسنة لمعت وبيض الصفاح شعشعت وهم ينادون ويلكم يا مأخوذين يا مخذولين أين تمضون
بالاموال وأي أرض تحميكم أو جبال تأويكم ثم مدوا أعينهم فلم يجدوا للمال أثر وما رأوا الا رجال وأبطال
فاطلقوا نحوهم الاعنه وقوموا اليهم الاسنه فلما نظر عنتر الى تلك الفرسان التفت الى من معه وقال لهم
لا أحد منكم يتكلم بسبب وابصروا مني العجب ثم انه ساق جواده الابجر نحوهم الى أن قاربهم فنظروا
الى كبر جثته وعرض أكتافه فاندهلوا المنظر اليه لان ما فيهم أحد منهم يعرفه ولا يحقق صفته لانهم
عرب متجمعة من سائر الاقطار وخرجوا في خدمة الملك الاسود الى هذه الاخطار فلما أقبلوا على عنتر
ونظروه من دون أصحابه قد بدر فقالوا له من أنت ومن أين أتيت وكيف أغرتم على الاموال وعلى الملك الاسود
تعديت فلما سمع عنتر ما قالوه علم انهم ما عرفوه فقال لهم يا قوم ما نحن ممن يقدر على هذا الامر العظيم وأما نحن
فمن بني تميم وما نحن الا قاصدينكم وأتينا اليكم وقد لقينا في طريقنا هذه الخيل التي غارت عليكم وهم سائرين
والاموال بين أيديهم وهم يلتفتون الى من يأتي اليهم فقلنا لبعضنا بعض قفوا بنا نحن في هذه الارض حتى اذا
نفرت الخيل خلفهم فيظنوا اننا كنا معهم فنحترق بنارهم ونغرق في بحر تيارهم ﴿قال الراوي﴾ فلما
سمعت العرب كلام عنتر ومقاله سبوه وأكثروا من ملامه وقالوا له تكذب يا وغد قبيلته ويا زنيم عشيرته
أصدقنا بالصحيح والا تركناك طريح ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عنتر كلامهم قال لهم وهو يستهزئ بهم
اعلموا يا وجوه العرب ان البغي له مصرع ومن بغى وحاد عن الحق فهو في الهلاك يقع لاننا ما نحن ممن
يقدر على هذه الفعال في حق الملك الاسود ملك العربان ونائب الخاقان كسرى أنوشروان فان أخاه
كان له علينا فضائل واحسان فاغدوا عنا والا حل بالباغي مصرعه فلما سمعت العرب من عنتر ذلك
المقال زعقت في وجهه جميع الرجال وقالوا له ويلك يا نسل الانذال ما هذا الكلام الملفق واللفظ المزوق
ثم انهم انطبقوا عليه وداروا بالخيل من حواليه وأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وعلت الضجة والرنه
فلما نظر عنتر الى حملتهم لم يعتن بهم ولا تقهقر بل استقبلهم بصدر جواده الابجر وقوم اليهم سنان رمحه
الاسمر وتبعته سادات بني عامر وبني عبس وركضت عليهم الخيول الضوامر وعملت السيوف البواتر
وتقلعت الزرديات والمشافر وسار الشجاع يتقدم والجبان نافر وغنى الحسام في الجماجم والمحاجر وعمل
الرمح الخطار وكثر من ركض الخيل الغبار وقدحت من حوافر الخيل شرار النار وأظلم الجو واسودت
الاقطار وطلب الجبان الفرار وخاف الشجاع من العار والذل والشنار وندمت الرجال على فوات الاعمار
وجرت الدماء مثل الانهار وباحت القلوب بالاسرار وأظهر عنتر شدته وأبهر الابطال بشجاعته وبقي صوته
كأنه الرعد اذا قعقع وحسامه مثل البرق اذا لمع والجماجم من ضربانه تتناثر والدم من سيفه يتقاطر فلم
تكن الا ساعة من النهار حتى أهلك من القوم أبطالهم وقتل رجالهم وأسر منهم المقدمين وربطهم على خيولهم
معارضين وكان الاسارى خمسمائة أسير منقادين وانهزمت الباقين وشردوا في السهل والجبل وهم مثل النعام

اذا جفل واحتوى عنتر ومن معه على الخيول والاسلاب والاسارى على خيولهم مربوطين وهم طالبون أصحابهم
وقد بلغوا مرامهم ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك الاسود فانه كان منتظرا
أصحابه حتى يعودوا اليه بطلابه ويبلغ من عدوه أربه وان يأتوه بالخيل الغائره وأعدائه أسارى فبينما هو
على ذلك الحال هو ومن معه من الرجال وهم لذلك منتظرين واذا قد وصلت اليهم المنهزمين وهم بالجراح
مثخنين وصياحهم قد علا وضجيجهم قد ملأ جنبات الفلا ولهم ضجة ورنه والدنيا من صياحهم منقلبه
فلما سمع الملك الاسود ذلك الصياح الذي انعقد أخذه القلق والضجر وسأل عن تلك الاحوال والخبر فقالوا
له أيها الملك هذه الخيل التي أنفذتها خلف الغائرين قد عادوا منهزمين وهم من كثرة الجراح عادمين فلما
سمع الاسود مقالهم أمر باحضارهم اليه فلم تكن الا ساعة حتى حضروا بين يديه وهم يكثرون من الصياح
ويشيرون بالايادي اليه فقال لهم ويلكم أخبروني كيف كان سبب هذه القصة التي أسكنت في قلبي
غصة وأي غصة وكيف كان حال هؤلاء الاعداء معكم وكيف كانت هذه الخيل التي غارت عليكم فعند
ذلك تقدم اليه رجل من القوم ودماه يجري عوم يقال له جهير بن جاهمة وقال له يا ملك نحن لما
طلبنا القوم بقوة وعزيمة فلحقناهم وقد وقفوا عن الهزيمة وهم مقدار خمسمائة فارس وكلهم حامية
للغنيمة فلما رأيناهم واستقبلناهم وطمعنا فيهم وزعقنا عليهم فخرج الينا من بينهم فارس أسود كأنه
طود من الأطواد أو أحد الفراعنة الشداد فقال لنا قولا مفهوما وقولا لا يفهم فلجينا عليه في السؤال
فحمل علينا واستقبلنا بسنان رمحه العسال وطال علينا واستطال فزادت بنا من شجاعته الوساوس وقتل في
حملته أكثر الفوارس فعند ذلك تبعه أصحابه ووافقوه على طعانه وضرابه فلم يكن الا شيء يسير حتى قتل
منا خلق كثير وأنزلوا بنا الذل والتعثير فلما عاينا ذلك البلاء المهين ولينا منهزمين ولولا هزيمتنا ما كنا
وصلنا الى هنا سالمين ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك الاسود ذلك ضاقت عليه المسالك وقال وحق من
أرسى الجبال ورزق العباد ما يقدر يفعل هذه الفعال الشداد ويعاند ذلك العناد الا ذلك الوغد اللئيم
والشيطان الرجيم عنتر بن شداد لانه بغى بغيا كثيرا وكلما طال عمره يقوى شره فلما سمع كبراء العرب
ذلك الخبر تعجبوا من ذلك الفعل المنكر واستعظموا أمر عنتر وأقبلوا على الملك الاسود وقد زاد به الغيظ
والحرد وقالوا له أيها الملك ما بقي تحقيق في هذا الأمر الا أنك تنفذ الى عنتر وتعرف حقيقة الخبر فان كان هو
الذي فعل هذه الفعال فقد جلب لروحه الذل والخبال ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك الاسود منهم
ذلك الخطاب قال هذا هو الصواب ثم انه استدعى في ساعة الحال برجل يقال له المرقال بن فائز وهو من أبطال
بني سليم وصهره عاطل بن المثنى السلمي وكان هذا المرقال فارس مناجز وفي الحرب ليس بعاجز فقال له الملك
الاسود ويلك يا مرقال أريدك في هذه الساعة ان تركب وتتجرد في مائة فارس من كل بطل مناجز وتتبع
الاثر وتكشف لنا الخبر وتبصر الذين ساقوا الاموال ان كان عنتر أم غيره من البشر وتعود الي بالخبر غير
بعيد حتى أدبر ما أريد ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع المرقال من الملك الاسود ذلك المقال قال له السمع
والطاعة وها أنا سائر في هذه الساعة ثم انه تجهز في مائة فارس وأخذهم معه وسار على أثر عنتر يتبعه ﴿قال
الراوي﴾ وكان عنتر بعد ما فعل هذه الفعال قد سار هو ومن معه من الرجال والاسارى معهم وهو قدامهم
الى أن وصلوا الى أصحابهم فلما نظروا الى ذلك الحال فرحوا بما معه من الاموال ونظر الملك قيس الى تلك
الخيول والعدد والرجال معه في الاسر والنكد قال الساعة تنقلب البلد ويخرج خلفنا الملك الاسود في
جيش ماله عدد لكثرة ما يلحقه من الحنق والحرد فقال عنتر دعه تخرج روحه ويقبر في لحده (قال الراوي)
الا انهم ما ساروا غير قليل وبين أيديهم تلك الاموال حتى أشرف عليهم المرقال فيمن معه من الرجال وقال
لقومه كفوا نريد ان نعرف هذه الخيل الغائرة من يقال لهم ثم انه التفت الى رجل من أصحابه وقال له تقدم الى
هؤلاء الانذال واسألهم عن أنسابهم ولا تخف من كثرتهم ولا تهبهم لو كان الملك الاسود أمرني بقتالهم
لقاتلتهم وخلصت الغنيمة منهم والتقيهم أنا وحدي وأترك لي ولهم حديثا يذكر من بعدي فعند ذلك أطلق

الفارس عنان جواده وقد ظن أنه بالسؤال يبلغ مراده ولم يزل يركض تقريبا وتخبيبا حتى وصل الى الخيل كما طلب وزعق على أعقاب بنى عبس و يلكم يا كلاب العرب وأخس من ضرب فى البيد اطنب من أنتم من سكان البرارى والفدفد حتى نهبتم أموال الملك الأسود ومددتم أيديكم الى قتل السادات فابشروا بكاس الموت والآفات ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع عنتر كلامه أقبل على أخيه مازن وقال له دونك وهذا الوغد الواهن فعند ذلك قفز اليه مازن وهو على جواد من الخيل الجياد وحمل عليه حملة الآساد وقال فى است أمك وأم الاسود ملك يا نسل الاوغاد كم تكثر من الكلام الهذيان ونحن فرسان بنى عبس الكرام المسمون عند العربان بفرسان المنايا والموت الزؤام دونك وضرب الحسام ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع السلمى كلام مازن اغتاظ وامتلا قلبه غيظا وفاض فقوّم سنانه وحمل على مازن وانقض عليه وطعنه فى صدره وقد أيقن عند طعنته اليه بفراغ عمره ونظر مازن الى طعنته فمال عنها بشدته وحسن معرفته وخبرته فمضت الطعنة خائبة بعد ما كانت اليه صائبة ثم عطف عليه مازن بحسن معرفته وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فمال عن جواده وقد عدم صلاحه و رشاده وأنشد مازن يقول صلوا على طه الرسول

ترنى أنا مازن المعروف نسبته * ليث الحروب اذا ما قومه عرف
أفنى الاعادى بسيف حده لم يزل * والضرب والطعن فى الاحشاء مختلف
ما كنت فى الحرب فرارا اذا اختلفت * سمر الرماح ولا فى الروع مرتجف
بل أوصل الطعن فى الهيجاء مبتدرا * وأقطع الرأس والاوراد والجحف

﴿ قال الراوى ﴾ فلما نظر المرقال ابن عمه وقد صار قتيل وعلى وجه الارض جديل التفت الى أخى المقتول وقال له دونك والأخذ بثار أخيك ولا تخلى العار يركبك و يشينك فعند ذلك برز الى مازن كانه شعلة نار وتحته جواد كانه الطير اذا طار متقلد بسيف بتار معتقل برمح خطار ودمعه على خده مثل الامطار الى ان وصل الى عند أخيه وهو ملقى بالقفار فوقف على رأسه وأنشد يقول

قتلت أخى ظلما وعدوانا فانى * أتيتك أبغى ثاره بسنانى * وفجعتنى فى أخ لا عشت بعده
وأنت على ظهر الجواد مدانى * ستبقى عفيرا فى التراب مجندلا * وعيناك فى وسط الفلاة ترانى
وآخذ بثارى منك يا وغد قومه * بطعن سنان أو بحد يمانى

﴿ قال الراوى ﴾ ثم انه بعد ذلك المقال جال على مازن وصال وحمل كل منهما على صاحبه وقد احتر زمن طعنه ومضاربه الا أن مازن ما زال يحاوله ويكر معه الى ان اضجره واتعبه وطعنه فى صدره أقلبه وعن جواده كركبه فلما نظر المرقال الى طعنة مازن وما كان منه وما قد فعل باخيه اسودت الدنيا فى عينيه ثم قفز بالجواد وقد حلت به الهموم والانكاد فخرج الجواد يتدفق من تحته مثل هبوب الرياح الى أن صار مع مازن فى البطاح وأنشد وقال

ابشر هلكت بسيف الباس والحرب * من كف ريبال مقدام على النوب
ليث يصول على الاقران مقتحما * و يشعل الحرب اشعالا من اللهب
ونحن بنو سليم شرفت مناقبنا * يوم الكريهة كشافون للكرب
فسوف آخذ منك الثار مقتدرا * بصارم كضراب النار يلتهب

﴿ قال الراوى ﴾ ثم انه بعد ذلك المقال حمل على مازن كانه قطعة من جبل وهو بالحديد مسربل ونظر عنتر الى المرقال فعلم انه بطل من الابطال وفارس فى الحرب وليث عند الطعن والضرب فخاف على أخيه من قتاله وعلم أنه ما هو من رجاله فعند ذلك قفز الى نحوهم بالحصان حتى صار معهم فى الميدان وصاح على أخيه مازن ارجع عن الميدان فقد كفاك ما لقيت من الاقران واترك هذا من نصيبى حتى أبرد بقتله لهيبى فلما نظر المرقال الى تلك الفعال وكيف ان عنتر رد مازن من ساحة المجال وطلب منه الحرب والقتال وقال له و يلك من أنت أيها الفارس حتى تحيل بينى و بين غريمى قبل ان أزيل بك الوسواس وأفرج بقتلك همومى فقال له

عنتر أنا سيد بنى عبس الاقيال فقال له المرقال وما الذى جرّاك على أخذ أموال الملك المحترم وهو ملك العرب والعجم وفى خدمته جيوش الفرس والديلم وقد أقبلت اليه الجنود لاجل قتالك لانك قد أخطأت فى تدبيرك وفعالك فلما سمع عنتر كلام المرقال وما تلفظ به من المقال قال له أنا ما حملنى على هذه الفعلة وهى عندى خفيفة الا فعال الاسود الكسيفة التى لا يفعلها الا أصحاب العقول الخسيفة لانه أجار قاتل والدى حصن بن حذيفة ولم يكفيه ذلك زمعانيه حتى أراد أن يقتلنى بعد خدمتى له ولاخيه وتجرأ فى حقى بهذه الافعال الشنيعة ونسى المعروف والصنيعة ولما عادت بنو عمى الى رجعوا لمعونتهم على واتفقت كلمتنا واحدة على رغم أنف أعادينا فعند ذلك عدا الى امرأة من بنات ملوكنا ذات ضلع أعوج وعقل أهوج ولسان عند الكلام متلجلج قتلها من غير ذنب ولا اجرام وفعل بها فعل أولاد اللئام وهى التى كانت زوجة أخيه الملك النعمان و بعد ذلك وحق ذمة العرب وشهر رجب لابد لى من هدم آثاره وخراب دياره وأخذ أمواله من البلدان ولو احتمى له كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان الا ان كان يسلم لى حصن بن حذيفة لاطفى بقتلته ما بقلبى من الحرارة و يرسل لى أموال بنى فزارة و يخرج من حق الملك قيس وقتلته لاخته المتجردة حتى أرحل عن دياره و يطيب قلبه والا فليبشر هو وكل من جمع من العرب بالو يل والحرب والفنا العاجل وهتك النساء والحلايل ثم ان عنتر أنشد يقول

ألست أحيد يوم التلاقى * لاولا ان جاءنى يوم المحاقى
سوف أفنى الاعدا بحد حسامى * وأوردهمو ضربا بحد الرقاق
ايعرف الاسود مقامى فى الحروب * عند باجالات الخيل العتاق
انى عنتر أبو الفرسان اسمى * الفارس المندوب مر المذاق
بطل تخشى الفوارس سيفى * وسنانى فى الحرب عند التلاقى
وكذا الملوك تسجدن خوفا * عندى ذكرى فى معرك الانطباق
سوف يبقى ذكرى وفعلى بعدى * يكتبوه فى الكتب والاوراق
وأنا عنتر بن شداد ليث * بطل لاما اضربى ترياق

﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع المرقال ذكره زاد فكره وحار فى أمره وخاف ان بارزه أسره وان قاتله قتله وعجل من الدنيا مرتحله فما كان منه الا أنه أقبل عليه بلين الكلام حتى يأمن من شرب كاس الحمام وقال له يا حامية عبس ان الملك الاسود لما أغرت على أمواله قد أنكرك وأنفذنى أكشف خبرك ان كنت أغرت على أمواله أم غيرك و بعد ذلك فقد صح الخبر وها أنا عائد اليه من ساعتى فيمن بقى من رفاقتى فلما سمع عنتر مقاله قال له وحق الرب الجليل ليس لى عن رجوعك من سبيل ولابد لى من أخذك أسير فقال له يا أبا الفوارس أنا أرجو الصلح بينكم وتزول هذه الاحقاد من قلوبكم فدعنى أسير كما قلت لك فقال له عنتر لابد لى من أسرك وان تحامقت ولم تسمع هذه الاقاويل تركتك قتيل وتصير على الثرى جديل وان أردت أن تسلم فدع أصحابك يسير والى الملك الاسود يخبروه بما نابك من الفعال وتكون سالمت مهجتك وحقنت من القتل دمك والا ان كان فيك للقتال فدونك والمجال فلما سمع المرقال كلام عنتر انذهل وتحير وقال فى نفسه ان هذا بطل جسور وان قاتلته تركنى هنا مقبور وهو ما يرجع عن تلك الاحكام وما لى الا أن أسلم روحى اليه من غير ملام ثم انه قال لعنتر يا أبا الفوارس أريد منك الذمام حتى انى أترحل بين يديك وأسلم روحى اليك فقال له عنتر لك الذمام الوافى والامان الكافى فلما سمع المرقال ذلك الكلام وحقق المقال التفت الى من معه من الرجال وقال لهم امضوا واقصدوا الملك الاسود واخبروه بما تجدد فعند ذلك ساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا ثم ان المرقال سلم روحه لعنتر لاجل الذمام فساقه عنتر بين يديه وهو راجل الى أن أوصله قدامه الى سادات بنى عامر فلما نظروا الى ما فعل عنتر فمنهم الامن تحير وانذهل فاقبل عامر بن

الطفيل عليه وجعل يشكره ويثني عليه وقال له لا كان يوما لا أراك فيه يا أبا الفوارس لقد شيدت مجد هذه القبيلة وأكثرت فيها حمدا وشكرا فهذه والله هي الشجاعة ومن مثلك تتعلم الفرسان الفروسية والشجاعه ثم انهم بعد ذلك عطفوا راجعين وعنتر يشكرهم على حسن ثنائهم ويوعدهم بالنصر على أعداهم وقال لهم يا سادات العرب وهل أنا الا بهيبتكم أغلب وبأسيافكم أضرب ثم جعلوا يجدون المسير والترحال وهم طالبين الجبال فهذا ما كان من أمر هؤلاء ﴿ قال الراوي ﴾ وأما ما كان من أمر الرجال أصحاب المرقال فانهم لم يزالوا سائرين ومجاري عليهم ذاهلين ومن شجاعة عنتر حائرين وهم يبكون على أصحابهم بدموع غزيره الى أن وصلوا الى أرض الحيره وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور فعند ذلك وقعت الضجة في الحيره وارتفعت من الناس أصوات كثيره فلما سمع الملك الاسود بذلك الصياح انزعج وانذعر وأشار الى بعض حجابه وأمره أن يكشف له الخبر فعند ذلك مضى الحاجب وغاب قليل وعاد وهو يامن بالصياح والتناد فقال له الملك الاسود ويلك ما هذا الحال فقال له يا ملك قد وصل من الرسل بعض الرجال الذين مضوا مع المرقال وهم في حالة الاذلال وقد أتوا وهم يبكون الخيل ويستغيثون من الذل والويل فلما سمع الملك الاسود هذا الكلام ومعانيه أمر أن يحضروهم اليه فادخلهم الحاجب وأوقفهم بين يديه فسألهم عن حالهم فقالوا له أيها الملك الغضنفر قد حلت بنا العبر وأسر المرقال وان الدواهي العظمى كلها من عنتر فهو الذي أخذ الاموال وقتل الرجال وهو في خلق كثير بعدد الرمال ومعه قيس بن زهير صاحب الرأي والتدبير في بني عبس المشاهير ومعهم أيضا بنو عامر الذين ما منهم الا كل شجاع ماهر والى حومة الميدان مبادر مثل عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة فارس الخيل والاحوص بن جعفر البطل الغضنفر وعلقمة بن علاقه ومروان بن سراقه وبقية الفرسان أصحاب الهمة والشجاعه ونحن قد أشرفنا عليهم حتى نبصرهم ونعاليهم واذا قد عطف علينا عنتر وأخوه مازن فقتل مازن منا اثنين وأسر عنتر مقدمنا في أقل من طرفة عين فهربنا نحن وطلبنا الفلاه ونحن لا نصدق بالنجاه ولو أراد أن يقبض علينا ما كنا اليك أتينا بل هو الذي تخلى عنا وفي صفات الرسول أرسلنا وقال لنا عودوا أنتم الى الملك الاسود وأعلموه بما جرى وتجدد وأنا الذي أخذت أمواله وقتلت رجاله فوحق ذمة العرب لابدلي من هلاكه وهلاك أبطاله وأخرب دياره وأطلاله وأسبي حريمه وعياله لأجل ما جار قاتل ولدي وأحرق بفعاله كبدي وما فعل به من الفعال المفسده حتى قتل مولاتي المتجرده فوالله لا أخذت عوضها الا رأسه ولا فجعت فيه الا أهله وأناسه فلما سمع ذلك المقال الملك الاسود زاد به الغيظ والحرد وقام وقعد ودار وأرغى وأزبد واشتدت به الآلام وصار الضياء في عينيه ظلام وقال ما بقي بعد هذه الاحكام صبر على هذا العبد نسل الحرام لولد الزنا ابن اللئام ثم انه في ساعته في الحال دعا بملوك العرب وجميع الابطال فلم تكن الا ساعة حتى حضروا اليه ووقفوا بين يديه وهم وهب بن موهوب وذو الخمار الفارس الوثوب وعاطل بن المثنى وحصن بن حذيفة الفزاري وزيد بن عدي وسنان بن أبي حارثة وجابر بن خداش وسادات العرب أبطال الهراش فلما صاروا هؤلاء الابطال المذكورين عند الملك الاسود حاضرين وبين يديه جالسين أقبل عليهم وأشار بيديه اليهم وقال لهم اعلموا يا سادات العرب ويا أرباب المناصب والرتب ان هذا العبد الاسود قد طغى وتمرد وقد تعدى طوره وقل خيره وكثرت شروره وقد أعانوه بنو عبس وبنو عامر حتى أصبح على مثلي جائر وأنا أريد منكم الجد في قطع عمره وقلع أثره قبل أن يسمع الملك كسرى بعجزنا عنه فلا تبقى لنا عنده قدر ولا قيمة اذا سمع بعجزنا عن هذا العبد ابن الزنيمه وها أنا قد أحضرتكم حتى تدبروا هذا الامر برأيكم فلما سمعت ملوك العرب هذا المقال تعجبوا من عنتر وكيف انه فعل هذا الفعل المنكر وأطرقوا الى الارض برؤسهم تتفكر وافي ذلك الحال فعند ذلك نهض من بينهم عمرو بن نفيله صاحب الافعال الجميله وقال الرأي عندي أيها الملك أن تنفذ من عندك الى عنتر رسول يكون فصيح اللسان يدري ما يقول واذا هو عاد اليك من عندنا بالجواب نعمل على قدر ما ترى من الخطاب فلما سمع الملك الاسود كلام الوزير قال له اذا كان الامر على هذا التدبير فتكون أنت الرسول والمشير فقال له السمع والطاعه

وها أنا أكتب الكتاب اليه من تلك الساعه ثم انه دعا بكاتبه وأمره أن يكتب وهو يجاوبه فعند ذلك جلس الكاتب بين يديه وجعل يكتب والوزير يمليه وهو يقول له اعلم أيها الطاغي الذي تجبر على الملوك وصار باغيا أما بعد فقد كثر على نفاقك وسوف أعجل محاقك مع ما تعلم أني ملك شديد فكيف تعاديني وأنت من بعض العبيد وخادم في مثل كسرى أنوشروان وهو ملك عظيم وسلطان جسيم فان وصل اليه هذا الحديث والخبر فهو يقلع منك الاثر والرأي انك تترك هذه الفعال وترد ما أخذت لنا من المال وتطلق من عندك من الرجال الذين في الاسر والاعتقال وتطأ بساطي من غير تعنيد ليزول ما فعلته من التنكيد والا فاهلاكك على بعيد فاقبل مني هذا الرأي السديد والقول المفيد وسلام على من أطاع ووافق ولعنتها على من عصى وشاقق ثم انه بعد ذلك الخطاب طوى الكتاب وجهز المسير تجهيز الملك الكبير بالاعلام والرايات والطبول والكاسات والخيول المسومات وأخذ معه من جميع التحف والآلات ثم سار من يومه في جماعة من قومه ﴿ قال الراوي ﴾ وكان مسير الوزير الى عنتر بهذه العصبه لما بينه وبينه من المحبة لانه ما دبر هذا العمل الا ليوصيه بما يفعل وكان عنتر قد وصل الى الجبلين وفرحت به أهل القبيلتين فلما قر به القرار اجتمعت الاحباب بالاحباب أقام الدبادبة على رؤس الجبال والشعاب وأقام يأكل ويشرب مع الملوك والاصحاب ولم يزل على هذه الوسيلة حتى وصل اليه الوزير عمرو بن نفيله فلما قرب من تلك الاطلال ونظرته الدبادبة من على رؤس الجبال فساروا الى عنتر وأخبروه بالخبر فعند ذلك ركب عنتر لما علم بذلك السبب وركبت معه سادات العرب وتلقوا الوزير وأكثروا له من التبجيل والتوقير وترجل عنتر وقبل في الركاب قدميه فقبله الوزير بنحره وبين عينيه وتقدمت أمراء العرب وسلموا عليه وأنزلوه دار وأمن حواليه فلما استقر به القرار وسارت العرب عنده حضار فعند ذلك أخرج الكتاب اليهم وقرأه عليهم فلما سمع عنتر ما فيه من التهديد والوعد والوعيد ضحك حتى استلقى على قفاه وأقبل على الوزير ومن معه من رفقاه وقال له اعلم أيها الوزير ما أبالي بهذا الهذيان لاني أنا كنت وحدي أسرته فيما تقدم من الزمان وفعلت ما فعلت بالنعمان وهو ملك العربان وأخذت أخاه الاسود في الأسر والاعتقال وما أطلقته حتى قاسى الذل والهوان وكثرت العجم والعرب وما جمعوا من الرجال وما باليت بهم في حال من الأحوال وكذلك الاسود فلا أبالي به ولا بمن معه من الابطال وأنا وحق من أنار الهلال وبقدرته خلق الانسان من صلصال وأرسل الغيث تكرما منه وافضال وأرسى شوامخ الجبال ويعلم كم وزنها مثقال ان لم يسلم لي حصن بن حذيفة الذي قتل ولدي وأحرق بفعاله كبدي والا عفرت خده في التراب أو أتركه أسيرا يقاسي الذل والعذاب وأترك دياره قفرا خراب وأما اجتماع العرب والعجم فما هم عندي الا مثل الغنم ان أردت ذبحها ذبحتها وان أردت تفريقها فرقتها فلما سمع الوزير من عنتر كلامه ضحك من سعة صدره وقوة جنانه وشدة اهتمامه ثم أقبل عليه وقال له يا أبا الفوارس والله لقد علمت بان هذه النوبة لم تنفصل وأنت على هذه الحاله وما كان مرادي آتي اليك في هذه الرساله ولكن الملك الأسود هو الذي غصبني بمجيئي اليك في هذه النوبة وبعد ذلك فما بقي يمكني المقام بعد سماع هذا الكلام ثم انه طلب الرحيل وقال له ما بقي الى المقام سبيل ولكن أريدك تمشي معي حتى أحذرك من شيء تقع فيه عن قريب ثم انه ركب على جواده وطلب المسير هو وأصحابه الى ناحية بلاده فركب عنتر وسار معه حتى يسمع قوله هذا والربيع بن زياد وسادات العرب قد ظنوا أنه خاف منه لئلا ينزل به العطب فاراد بهذا المقال أن يدفع عنه شر الاغتيال ولما خرجوا من الجبال أقبل الوزير على عنتر وقال له والله يا حامية عبس اني ما أريد لك ضرر وحق من أنار الشمس وأضاء القمر واني أعلمك ان أعظم أعدائك هو الربيع بن زياد القرنان الكياد وبعده حصن بن حذيفة وسنان بن أبي حارثة وهم الذين أحوجوا الاسود الى ذلك الأمور الحادثة وأحوجوه أن يجمع عليكم سائر العرب واني ما أتيت اليك بهذه الرساله الا من أجل هذا السبب وشفقة مني عليك من شرب كاسات العطب واعلم يا أبا الفوارس اني ما قلت هذا الكلام قدام الربيع بن اللئام الا لانه أرسل لنا كتاب بخطه وأعلمنا بما تجدد وأنا الذي قرأت كتابه على

الملك الاسود وكتب فى ذكر معانيه جميع أفعالكم وما أنتم فيه والرأى ان تكن منه على حذر واياك ثم اياك أن تطلعه على خبر أو تفهمه شيأ مما تدبر وأما الجيوش الذى يريد الاسود أن يرسلها اليك فلا تهتم من أجلها ولا تفزع من كثرتها فانا أكون وراءك بالمعاونه والمساعده وما أتركها تأتى اليك فى مرة واحدة بل أسعى فى تفريقهم وتشتيتهم ولا أترك الملك الاسود يرسل اليك الامن أعلم أنك تهلكه وتفرقه لانى عليك مشفق فلما سمع عنتر كلامه وحسن وداده شكره وأثنى عليه ودعا له ثم انه ودعه هو ومن معه وعظم شأنه وأوصاه أن يكتم سره وسار بمن معه من رفقائه وعاد عنتر وقد امتلا قلبه على الربيع ابن زياد غيظا وحنقا الا أنه ما أظهر ذلك لاحد من رفقائه خوفا على شمل العشيرة أن يفترق وما أحد كان معه فى هذه النوبه لوداع الوزير الاسبيع اليمن وولده ميسرة وصديقه عروة بن الورد الذى هو عنده بمنزلة الاخ الشقيق فقال لهم لا فيكم أحد يخرج هذا الكلام من فمه ولا يعلم به أحدا ولا يبديه فانا لابد لى من قتل الربيع بن زياد وأتركه أحدوثة بين العباد ثم انهم بعد ما دار بينهم هذا المقال عادوا الى الجبال وأقاموا ينتظرون ما يتجدد من الاحوال فهذا ما كان من هؤلاء ﴿ قال الراوى ﴾ وأما ما كان من الوزير فانه لم يزل سائر يقطع البر والقفار هو ومن معه من الجنود حتى وصلوا الى الحيرة وكان لوصولهم يوم مشهود هذا وقد جلس الاسود على كرسى مملكته وجلست من حواليه أرباب دولته وحضرت ملوك العرب ليسمعوا ما أتى به الوزير من السبب وأما الوزير فانه دخل على الملك الاسود وقبل يديه هذا والمجلس قد احتفل بالخلائق حتى يسمعوا مقال الوزير ما يبديه ولما جلس واستقر به القرار قال له الملك الاسود بعد أن حياه أيها الاب الكبير ابدلنا ما جئت به من الاخبار فعند ذلك قال له الوزير اعلم أيها الملك انى ما مضيت بهذه الرسالة الا لما حاقتنى انى اذا مضيت اليهم وعدت من عندهم ما أكتم عنك شيأ من تلك المقاله فقال الملك صدقت فى مقالك فقال حصن بن حذيفة اعلم أيها الوزير ان الملك ما أرسلك برسالته الا انتصحه فى دولته فقال الوزير من اذنك أيها الملك أتكلم فقال حصن ابن حذيفة تكلم فقال له الوزير اسكت يا حصن سكت حسك وسكنت عن قريب رمسك وخمدت أنفاسك وأنت الذى أوريت نار حرب عنتر وقتاله والله ما تقع الحرارة الا فى رأسك لان عنتر مراده قتلك أنت وسنان وحلف وشدد فى الاقسام فلما سمع حصن ذلك الخبر قال أيها الوزير الكبير أيهددنا عنتر وحق الركن والحجر انه عندى أذل وأحقر أن عبده الى كلب من كلاب البر الاقفر وسوف يعلم اذا نزل بنا قدم وصار بعد الوجود عدم فقال له الوزير لاى شئ الذى منعك عن لقائه يا جبان وكيف هربت منه وحق من خلق الارواح ومسيرها اليه بامره وسائر العالم فقرا اليه ما رأيت عمرى مثل عنتر ولا أقوى قلب منه ولا أصبر لانه قال والله ما أحمل على جيش الملك الاسود غير حملة واحدة حتى أتركها فى البر شارده ولاضيقن الاقطار على الملك الاسود بقوتى وجلدى حتى يسلم الى قاتل ولدى ولو ملكت أبطاله كلها ما اكتفيت بها ولا أريد الا حصن قاتل ولدى حتى أطفى بقتلته نار كبدى ولا بدلى من قتله وهلاكه ولو احتمله كسرى قلعته من ملكه وكذلك الملك الاسود ان لم يخرج لملك قيس من حق قتلة المجردة أخته والا تركته فى البر مطروح وأمعاه مبدده ولا أترك معه كبير ولا صغير حتى أدمرهم تدمير فلما سمع الملك الاسود ذلك الكلام زاد به الوجد والآلام وكذلك جرى على كل من كان فى ذلك المقام وزهقت نفوسهم وكثر بينهم الكلام ﴿ قال الراوى ﴾ وبعد هذا الكلام العجيب أقبلوا على الملك الاسود وقالوا له سر بنا اليه فى مرة واحدة حتى نترك ديارهم خامدة وننهب جسد هذا العبد بالصفاح وأسنة الرماح لتأكل لحمه وحوش البر وعقبان البطاح فلما سمع الوزير ذلك المقال ما هان عليه ذلك الحال وقال والله ان هذا غاية العار والذل والشنار بأن تكونوا ملوك الاقطار وقد تجمعتم من سائر البرارى والقفار وتسيروا كلكم الى عبد اسود ماله مقدار فان ظفرتم به كان عليكم العار وان هو ظفر بكم فضحكم بين البوادى والحضار ويعلو كم الذل والشنار عند ملوك الاقطار ويحل بكم من هذا العبد الوساوس لان عنتر فى ثمانية آلاف فارس فسيروا اليه فى ثمانية عشر ألف فارس ويكونوا من أشجعكم حتى يكون لكل رجل منهم رجلين ولكل مائة مائتين فقال حصن وحق الاله الذى يعبد لقد عظمتم أمر هذا العبد الاسود فقال عاطل بن المثنى وهو على عنتر بجرعه

الثكال والله يا ملك ان ذكر عنتر فضيحة بين الملا ولكن أتركنى أنا أسير الى لقائه حتى آتيك به وبمن معه من رفقائه والا أتركه طريحا فى الفلاه وأشتت جمع شمله وشمل أصحابه وأقرباه ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع الملك الاسود مقاله وما يبديه من أعماله شكره على فعاله وفى عاجل الحال اعتمد ما قاله من المقال وقد عول عليه دون الرجال وقال له أريد منك أيها الفارس والقرم المداعس أن تمضى اليه وتنزل به الوساوس وخذ معك من الجيوش ثمانية عشر ألف فارس من كل مدرع ولابس وبين معه شجاعتك وأرنا طرفا من براعتك فقال عاطل أى وأبيك سوف ترى ما يرضيك ﴿ قال الراوى ﴾ فعند ذلك جهز له الملك الجنود وهم بالرايات والبنود وعدتهم ثمانية عشر ألف فارس من كل ليث ممارس هذا وعاطل بن المثنى لم تسعه الدنيا من شدة الفرح واتسع صدره وانشرح ثم انه سار بتلك الجيوش التى كانها البحار الزواخر وعاطل فى مقدمتهم كانه النمر الوافر أو الاسد الكاسر هذا والرايات على رأسه ترفرف والبنود ومن حوله الجنود وهو بينهم مثل أسد مهول وهو مع ذلك يترنم بهذه الابيات وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

الا بلغ مقالى عبد عبس * وفعلى فى الملمات الثقالى
بانى فارس الهيجاء قدما * أبيد القرم فى وسط المجالى
وجربت الخطوب وجربتنى * كانى كنت فى الامم الخوالى
أنا المعروف فى العربان جمعا * مبيد الفرس بالسمر العوالى
ونحن بنو سليم اذ برزنا * نجيد الضرب بالبيض الصقالى
لنا شرف المعالى بالعوالى * ونسبتنا تزيد على الموالى
لئن عطى الزمان برفع مجدى * أخذت لعبد عبس فى المجالى
واشفى منه قلبى يوم حربى * اذا علقت بيمناى الشمالى
وتشهد لى الفوارس من سليم * اذا ما غادرته قود الجمالى
والا أتركه ملقى جديلا * عفير الخد من فوق الرمالى

﴿ قال الراوى ﴾ هذا وهم سائرين يقطعون القفار والمهاد والاوعار وهم على الخيول والجنائب طالبين جبال خشاخش والتناصب فهذا ما جرى لهؤلاء عند المسير وأما ما كان من أمر الوزير فانه لما نظر الى تلك الجيوش قال فى نفسه وحق المعبود الاكبر لابد لى من اعلام عنتر حتى يكون من أمره على حذر ثم انه كتب اليه كتاب يعلمه بما جرى من الاسباب وان الملك الاسود اليه قد جرد ثمانية عشر ألف فارس مع عاطل بن المثنى وهو مؤمل أن ينال منك ما يتمنى وهو فارس جبار وبطل كرار تحت الغبار ومعه ذلك الجيش الجرار فكن من أمرك على حذر واستيقظ لنفسك والحذر لا يمنع قدر ثم ان الوزير أرسل الكتاب مع عبد من عبيده الانجاب وهو واسمه سالم وكان مولاه يدخره للامور العظائم لانه كان عاقل لبيب وأركبه على نجيب وسيره تحت الظلام فسار يقطع الفيافى والآكام وقد أرخى للبعير الزمام ولم يزل يقطع البرارى والسباسب حتى وصل الى جبال خشاخش والتناصب ﴿ قال الراوى ﴾ وكان عنتر من يوم وصل الوزير وسار وهو مقيم فى الجبال وقد فرق الاموال على جميع الرجال وأقاموا فى نحر النحور وشرب الخمور وهم فى فرح وسرور ورقص وطرب والمولدات بين أيديهم بالمزاهر تضرب فلما وصل العبد الى الجبال وصار منها قريب ففى عاجل الحال ترجل عن النجيب فسمع أصوات المزاهر والمولدات تضرب بين الحرائر فعند ذلك تبادرت اليه العبيد من قريب وبعيد وهم الذين كانوا يرصدون البيد وقالوا له من أين أتيت والى أين تريد فقال لهم يا بنى الخالة الاجواد ما أريد سوى عنتر بن شداد فقالوا له لقد وصلت يا ابن العم وقدمت على خير مقدم ﴿ قال الراوى ﴾ ثم انهم أخذوه معهم وعطفوا به راجعين والى نحو عنتر مسرعين فلما وصلوا اليه أعلموه بقدوم العبد عليه وكان فى دعوة الملك قيس وهم فى شرب راح مع تناول الاقداح فلما علم عنتر بهذا المقال وثب من بين الرجال ثم وضع يده فى يد عروة وخرجوا من هذه الدعوة وتبادروا وهم بسيوفهم متقلدين لان عنتر ما بقى يأمن لاحد من العالمين ﴿ قال الراوى ﴾ فلما نظر العبد الى عنتر أقبل عليه وقبل يديه وأعطاه الكتاب وتأخر عنه بآداب ﴿ قال الراوى ﴾ فلما أخذ عنتر الكتاب فى يده

وراه أعطاه لعمرو ونفذ معه حتى أتى على آخره وفهم عنتر ما فى باطنه وظاهره ثم أقبل على أخيه شيبوب وأمره أن يكرم عبد الوزير ويخفيه عن الكبير والصغير وأما عنتر فانه جلس فى خيامه وقد وقفت بين يديه عبيده وخدامه وأنفذ خلف الملوك والمقدمين بأن يكونوا الى عنده حاضرين فحضروا جميعهم وهم لقوله سامعين مثل الملك قيس والربيع بن زياد وملاعب الاسنة والاحوص بن جعفر ومن يجرى مجراهم فى ذلك المحضر ﴿قال الراوى﴾ ولما تكاملوا وصاروا حاضرين أقبل عنتر على الملك قيس وعلى جميع ملوك العرب وقال له أيها الملك المسدد اعلم بانه قد أتى الينا خبر صحيح مؤكد من عند الملك الاسود بانه قد أرسل الجيوش الينا حتى ملؤا البر الفسيح وقد صار عندنا هذا الخبر صحيح وقد أرسل ثمانية عشر ألف فارس من كل بطل مناجز مع عاطل بن المثنى فما ترى من الرأى والتدبير أيها الملك الكبير وكيف الحال فى ملتقى هذا الجيش الكثير ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس كلام عنتر وما أبداه اليه قال له يا أبا الفوارس ما يكون الا مسيرنا اليهم ونلقاهم ونبيد أقصاهم وأدناهم وتكون أنت بين أيدينا فما لنا أو ما علينا فلما سمع عنتر كلام الملك قيس وما أبداه من الخطاب قال له يا مولاى ما هذا صواب فوالله ما تركتك تقاتل ولا أحدا من الملوك والقبائل الان كنت أنا أهلك ولا تنزل الا الملك مثلك واذا سار الينا الملك الاسود بنفسه سر أنت الآخر اليه بنفسك حتى يكون ملك لملك وأما اذا أرسل الينا من ينوب عنه فانا الآخر أنوب عنك وأسير اليهم فى خمسة آلاف فارس أمجاد ويكون معى أخى وولدى وسائر بنى قراد وأيضا يكون معنا أمير من أمراء بنى عامر وفرسانهم الاكابر اما علقمة بن علاقة أو مروان بن سراقة حتى نكون قد سرنا بأمير الى ذلك الجيش الكبير ويكون باقى الفرسان فى الحلة مقيمين لاجل حفظ الاموال والحريم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت سادات العرب كلامه فما منهم الا من شكر على حسن اهتمامه ثم انه تجرد فى ساعة الحال فى خمسة آلاف فارس أقيال وكل واحد منهم يردل راسه جماعة من الرجال وهم غائصين فى الحديد مكثرون من الزرد النضيد لا يبان منهم غير تداوير الرمق هذا وعنتر راكب على جواده الأبجر معتقل برمحه الأسمر متقلد بسيفه الضامى الابتر وقد أخذ عبد الوزير معه بعد ما خلع عليه ووهبه وكتب له كتاب لمولاه وعظم قدره وحياه وصار يشكره على فعاله وقد أثنى عليه ودعا له ولما أبعدوا عن الجبال أخذ عبد الوزير رد الجواب وصار طالب مولاه بلا اطالة وهو يقطع البرارى والقفار ليلا ونهارا يكن معنا له كلام وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه سار بمن معه من الفرسان الاجواد ومن كان تبعه من الشجعان فجاش الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره وأنشد يقول

أنا المصفح عن مجاهيل قومنا * وأردهم عن كل قرم أصلد
ونحن نعين فى الخطوب ضعيفا * حتى نسيره لفعل السيد
ونجيب داعينا الهياج بأجود * عجل الركوب لدعوة المستنجد
وأبيد شافة من أراد عنادنا * يوم الهياج بكل ليث أمجد
انى لعنترة الفوارس فى الوغا * من خير عبس من علاها مولد
أفنى الجيوش عند اقبال جمعهم * وأبيد فرسانهم بحد مهند
من كان ينكر فى الحروب مواقفى * فقصيدتى فى البيت غاية مقصد
لو كان لى فى هذا الزمان مقاوم * لاذلنى قهرا وكان لوى يد
لكننى بطل الحروب وقرمها * مفنى العداة اذا أتوا فى مشهد
اسمى أبو الفرسان عزمى باتع * وتسع الجمايل فى الدرين الاسود

﴿قال الراوى﴾ هذا ما جرى لهؤلاء من الاحكام وأما ما كان من عاطل بن المثنى ومن كان معه من تلك الجيوش والكتائب فانهم صاروا يطلبون جبال خشاخش والتناصب وعاطل يقول لرجاله ومن حوله من فرسانه وأبطاله أنتم تعلمون ان الملك الاسود عنده من ملوك العرب جمع كثير ومن الفرسان جمع غزير

وما اختار فى هذه النوبة غيركم فبينوا شجاعتكم وبراعتكم وشدة باسكم وفراستكم فلا تنكسوا أعلامكم وعمائمكم ولا تهدموا مجدكم وعزائمكم فان الملك الاسود قد اختاركم فبينوا أفعالكم فان ظفرتم بعنتر فزتم بالعز الاكبر وارتفع لكم الذكر الاكثر على جميع عرب البر الاقفر وتسودون بهذه الفعال الى أبد الابد ما قام قائم وقعد ﴿قال الراوى﴾ هذا وعنتر سائر وهم سائرين حتى بقى بينه وبينهم يومين وما زالوا مجدين فى تلك الارض حتى لاحت غبائرهم لبعضهم البعض فلما نظر عنتر الى ذلك الغبار الثائر علم انه غبار الجيش السائر فوقفوا عن المسير فعند ذلك دعا عنتر بابن عمه عمرو وأخوه جبلة وضم اليه مائة فارس كرار وقال له امض واكشف لنا هذا الغبار وما تحته من الاخبار وكان عمرو وأخوه جبلة قد أخرجه عنتر فى المجال حتى صار بعد من الابطال فاطلق عمرو عنان جواده وقد تبعه قومه وأجناده وهم موافقينه على بلوغ مراده ﴿قال الراوى﴾ وكان عاطل بن المثنى قد أنفذ قدامه ألف فارس نبيل مع ابن عم له يقال له جميل فسار جميل فى البر حتى وقع بهؤلاء القوم فطلبهم أشد الطلب ونادى بصوته ويلكم يا كلاب العرب وأخس من ضرب فى البيداء وتد ومد طنب اكشفوا لنا عن أحسابكم وبينوا لنا أنسابكم واعلمونا باخباركم من قبل أن أعجل بواركم وأعدمكم أحبابكم وأقابلكم بما لم يكن فى حسابكم لاننا نحن الاسود الجريه والليوث الحميه والابطال المسميه ﴿قال الراوى﴾ فما تم جميل كلامه حتى قفز اليه عمرو وصار قدامه وقال له اسكت يا ويلك لا أبا لك يا طنجير والموت حل بك نحن بنو عبس المشاهير ثم انه أقبل عليه بهمته واستجاده بطعنة فى لبته أخرج السنان يلمع من نقرته فصار جديل صريع يعج فى دماه ونجيع ﴿قال الراوى﴾ فلما نظرت فرسان بنى سليم الى ذلك الامر العظيم زعقوا على عمرو وقالوا له ثكلت أمك وقطعت مفاصلك فلقد قتلت فارس قبيلته وسيد عشيرته ثم انهم انطبقوا عليه وتبادروا اليه وأرادوا صرعته واتلاف مهجته فتلقاهم عمرو بهمته وكر على الفرسان وأجاد فيهم الضرب بالسيف اليمان ﴿قال الراوى﴾ ونظر أبو مالك الى ذلك فخاف على ولده من شرب كاس المهالك فحمل وأمر المائة فارس كذلك أن تحمل فحملت ولاعنة خيولها أرسلت وانطبقوا عليهم شمالا ويمين فلم تكن الا ساعة حتى قتل من بنى سليم مائتين وخمسين والباقين ولوا مدبرين فعند ذلك أخذت بنى عبس خيولهم والاسلاب وعادوا طالبين من لهم من الاصحاب فهذا ما جرى لهؤلاء من الاسباب وأما ما كان من عاطل بن المثنى وما تم على قومه من المصائب فانه لم يشعر الا والمنهزمين قد وصلوا اليه وصاروا الجميع بين يديه وهم فى غاية الذل والتنكيل وقد أعلنوا بالصياح والعويل ونعوا اليه ابن عمه جميل فلما سمع مقالهم استخبرهم عن حالهم وما الذى جرى لهم وما نالهم فقالوا وراءنا سيوف تقطع وأسنة تلمع ورجال للرؤس تنزع بقلوب لا تخاف ولا تفزع وما أشرف علينا الا مائة فارس لكن يقدمهم فارس كانه طود من الأطواد أو من بقايا قوم عاد فلما صارت أصحابهم مع أصحابنا فسألناهم عن أحسابهم واستخبرناهم عن أنسابهم فعند ذلك برز الينا فارس وهو الذى كان عليهم مقدم وحمل علينا حملة العدم وطعن جميل من غير تطويل تركه جديل وعلى وجه الارض قتيل وحملت علينا رفقته الباقين فقتلوا منا مائتين وخمسين فلما رأينا ما حل بنا من العذاب المهين ولينا مدبرين وأتينا منهزمين ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عاطل بن المثنى ما جرى لابن عمه جميل وقتله زاد همه وغمه ولطم على وجهه ورأسه ومزق لباسه ونزل عن جواده وقد احترق فؤاده ونادى وامصيبتاه واابن عماه وأعلن بالبكاء والعويل ونادى يا لثارات جميل ثم انه أطلق لجواده العنان وقوم السنان وسارت من خلفه الثمانية عشر ألف فارس كانهم الاسود العوابس وهم طالبين آثار بنى عبس وعدنان وقد ظنوا أنهم يلحقوهم فى بعض الوديان حتى يبلغوا منهم مرادهم ويأخذوا منهم بثارهم فجدوا خلفهم فى السباسب وعاطل فى مقدمة المواكب وهو لثار ابن عمه طالب ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من عاطل بن المثنى وأما ما كان من عمرو وأخيه جبلة فانه لما قتل ما قتل وترك الاعادى صرعى على وجه التراب أخذ الخيل التى لهم والاسلاب وعول على الرجوع والذهاب وخلفه من تبعه من الاصحاب الى أن التقى بعنتر وأخبره بما جرى له فلما سمع عنتر ذلك الخبر فرح

واستبشر وضم عمرو اليه وقبله بين عينيه وقال له يا ابن العم كانا بسيفك تضرب وبهمتك نغاب ومنك نتعلم الطعن والضرب وأنت الذى تزيل عن قومك الكروب ثم انهم ساروا حتى وصلوا الى مكان المعمعة فوجدوا القتلى على وجه الارض مبضعه والرقاب مقطعة ففرح عنتر بابن عمه عمرو وأثنى عليه وله شكر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عمرو مدح عنتر له وشكره فرح بعلو مجده وقدره وارتفاع ذكره ثم انهم ساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وكل منهم على متن حصانه وهو معتقل بسنانه وعمرو قد زاد به هيمانه فنطق بالشعر لسانه فانشد يقول

ولما لقينا من سليم كتائب * وهم طالبين الضرب حين أشرف
وجردنا بايدينا السيوف مع القنا * وكلا على طعن الرماح أعطف
تقول سليم لو أقمت بأرضنا * ولم تدر انى للمقام أطوف
تركنا جميلا غارقا فى دمائه * وأعضاؤه من خيفة الموت ترجف
وجعلته فى وسط القفار مجددا * يحوم عليه الوحش والطير يخطف

﴿قال الراوى﴾ فما تم عمرو كلامه وفرغ من شعره ونظامه حتى طلعت الخيل من قدامه وقد أطلقت الاعنه وقومت الاسنه وعلت من الفرسان الضجة والرنة ولمع على أجسادهم الحديد ثم برق على أبدانهم الزرد النضيد وهمهمت الفرسان الاماجيد وتبادرت الصناديد هذا وعاطل فى أوائل جيشه وهو يجر الرمح من خلف ظهره وقد أخرج من جلباب درعه وهو مع ذلك يزعق باعلا صوته ويالكم يا مذلولين لقد جلبتم لانفسكم الويل الطويل والفناء والتنكيل وذلك لقتلكم ابن عمى جميل فلما سمع عنتر من عاطل هذا الهذيان ونظر الى الخيل قد تبادرت والفرسان قد تكاثرت ومن حولهم انتشرت وسيوفهم قد أشهرت فالتفت الى سبيع اليمن وأخيه مازن وعروة وميسرة وقال لهم احموا أنتم ظهرى وتفرجوا على كرى وفرى ولا تتبعوا أنفسكم فى قتال فانا أشبعهم ضربا بالنصال ثم انه أطلق لجواده العنان وقوم بين آذانه السنان وقد صاح على تلك الفرسان فأوقفها وحمل عليها فارجفها ونادى يا أوغاد غير أمجاد أنا عنتر بن شداد واليوم أبدد شملكم وأفنى جمعكم ثم انه أطبق على بنى سليم فايقنوا عند حملته بالبلاء العظيم هذا وقد التفت المواكب بالمواكب ولمعت الاسنة كالكواكب وثارت الغبائر وصار النهار كالليل العاكر وعمل البتار وحل بالقوم الانبهار وكثر من الخيل العثار وسال الدماء كالغيث الهطال وطلبت الفرسان الفرار وقل منهم الاصطبار وتحير الجبان على فوات الاعمار وهلكت العبيد والاحرار وتهتكت الاستار وباحت القلوب بالاسرار وعميت الابصار وقد حل ببنى سليم الفنا والبوار هذا وعنتر قد أظهر شجاعته وقد أفناهم بشدته وبراعته وكثر بينهم الصواب والخطا وملك الموت قد قبض الارواح وما أبطا وجال عنتر بن شداد وصال فيهم بالجواد وأجاد الضرب بالسيوف الحداد والطعن بالرماح المداد وكانت بنى سليم قد وقع فيها المحاق وبليت من بنى عبس بالايطاق وقد بذلوا فيهم السيوف الرقاق وشكوهم بالرماح الدقاق ونثروهم على الغبرة وأظهر عنتر قوته وطرحهم خمسة بعد خمسة وعشرة بعد عشرة فلله دره من فارس بطل فانه نثر الرؤس مثل الحنظل والكفوف كاوراق الشجر ولم يزل القتال يعمل والدم يهذل والرجال تقتل وبنى عبس تسقى بنى سليم الموت المعجل ولم يزالوا وهم على ذلك العمل حتى تنصف النهار وحمى الهوجل وعقد الغبار وتقسطل وحل بالناس الخوف والوجل فعند ذلك انفصلوا من شدة الحر وافترقوا من توهج البر ﴿قال الراوى﴾ هذا وعاطل قد انبهر وتحير مما رأى من حملات عنتر وقد علم انه هو مقدم القوم الا انه ما صدق أن يبرد الحر حتى خرج الى مقام الكر والفر وهو على جواد أشقر عالى من الخيل مضمر ان أقبل أو أدبر حير النواظر والفكر وبين عينيه غرة تزهو كانها دائرة القمر وهمزته مثل لمح البصر يسبق خيل ربيعة ومضر وهو سليم النواظر مدور الحوافر صنعة الملك القادر متسع الكفل ما به عيب ولا فشل ولا يعتريه تعب ولا ملل ولا يلحقه كسل ولا يعباله ركب قوى العصب ذيال الذنب كثير الجرى والخبب وهو لابس على جسده زردية سليمانيه وهى

بالذهب مطليه وعلى رأسه بيضة عاديه ترد أسباب المنيه وهو متقلد بصفيحة هنديه أمضى من حلول الرزيه معتقل بقناة خطيه عليها سنان كانه رسول المنيه ﴿قال الراوى﴾ ثم انه وكز الجواد الى حومة الميدان قبل أن تحمل الجيوش ونادى باعلا صوته يا معاشر العرب ويا أرباب المناصب والرتب الا من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فابى خفا أنا أعرفه بنفسى أنا عاطل بن المثنى السلمى وقد أنفذنى الملك الاسود الى قتالكم وحربكم ونزالكم وقد أرسل معى هذه الجنود وتلك الرايات والبنود وأمرنى بقتالكم ونهب أموالكم وسبى عيالكم ونسائكم لانى أنا الفارس المذكور والبطل المشهور وأنا أحب الشجاعة وأهلها وأغار على الابطال أن تلاقى غير شكلها وها أنا قد برزت الى الميدان أريد منكم الحرب والطعان وقد منعت عنكم هذا الجيش الذى كانه الجراد المنتشر لانى ما أشتهى أن يفرط فى عنتر فرط ولا يصيبه من أجلى ضرر وأنا لو أردت أخذه بالمكاثرة كنت أطبقت عليه بهذه الجنود الحاضرة التى كانها البحار الزاخرة لاخذته وأخذت كل من حواليه أسير وأنزل بهم الذل والتعتير والرأى عندى أن يسلم نفسه الى قبل أن يحل به الانتقام ويشرب كاس الحمام حتى آخذه الى الملك الاسود الذمام وبعد ذلك فلا يحسب ان الرجال كلها سوى وان أبى قولى فلا يكن له عندى غير القتل دوى ثم انه بعد ذلك المقال صال وجال ولعب فى الميدان برمحه العسال حتى رمقته جميع الرجال وأنشد بعد ذلك وقال

رويدا بنى عبس الى حرب فارس * فسوف تلاقوا شدتى وطعانى
ستلقوا غلاما لا يحيد عن اللقا * اذا حار وقت الحرب كل جبانى
أنا البطل الكرار فى حومة الوغى * وفارسها المعروف يوم رهانى
فنحن أسود بنى سليم ضراغم * نكيد الاعادى عند كل طعانى
وسوف أجز اليوم رأس هجينكم * بحد حسام باتر ويمانى
أنا عاطل المندوب فى وقت اللقا * وليث سليم الفارس المتفانى
أبيد الاعادى يوم مشتجر القنا * وأطعن فيهم دائما بسنانى

﴿قال الراوى﴾ فلم يتم كلامه الا وعنتر برز اليه وصار قدامه وزعق فيه وقال له اسكت سكت حسك وأسكنتك المنايا رمسك وقطع الله منك اللسان يا ذليل يا مهان فأنا ممن يلين بالهذيان يا أنذل العربان وان كان أعجبك جنودك المجمعة فما هم عندى الا كالبهائم الراتعة ان أردت تفريقها فرقتها وان أردت قبض أرواحها قبضتها ثم انه أشار اليه يقول

ستعلم أنى سوف أردى سراتكم * وأشبعكم واطعنا بسمر اللهاذم
وأهلك منكم كل ليث غشمشم * وأتركهم واطعم النسور القشاعم
وأفنى جموعا جئت فيها تروعنى * وتعلم أنى أسدى كل الاكارم
قومى بنو عبس الكرام ومن لنا * حديث سرى فى عربها والاعاجم
أنا عنتر المعروف فى الحرب واللقا * وسوف ترانى اليوم عند التصادم

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عاطل شعر عنتر ونظامه اغتاظ منه ومن كلامه ثم حمل عليه حملة صادقة فالتقاه عنتر بهمة موافقة وكان فى يد كل واحد منهما سيف كانه صاعقة وصارت الاعين اليهما رامقة وهما فى كر وفر وأخذ ورد وهزل وجد ومضاربة ومخاصمة وتجريع الموت الزؤام وشرب كاسات الحمام الا ان عنتر قد حير عاطلا بجولانه وأضجره بكثرة ضربه وطعانه حتى علم تقصيره ولاصقه وضايقه وصرخ فى وجهه أرعبه ومد يده على أطواقه وقبض على خناقه وجذبه فى يده ونادى يا لعبس يا لعدنان واقتلعه من بحر سرجه ورفعه على قائم زنده وجلد به الارض كاد أن يرد أضلاعه عرض فانقض عليه شيبوب كانه البلاء المصبوب وأوثقه كتاف وقوى منه السواعد والاطراف ﴿قال الراوى﴾ فلما نظرت بنو سليم الى مقدمها وقد أسر وبعد

العزقهر انتخت لنفوسها وكبت رؤوسها فى قرابيص سروجها وعولت أن تشرب كاس حمامها واعتمدت
على رماحها وسيوفها وأطلقت الاعنة وقومت الاسنة وحملت الثمانية عشر ألف فارس وقد علت منهم
الضجة والرنة فالتقاهم عنتر بصدر الحصان وحملت بنو عبس وعدنان وصاحت من خلفه مثل العقبان
واختلف الضرب والطعان وتصادمت الاقران وتلاحقت الشجعان واندهل الجبان لما عاين الموت عيان
وتمنى انه ما كان وضاق الميدان وعمل الصارم اليمان وتحكم فى الجماجم والابدان وقدحت حوافر الخيل
شرار النيران وتناخت الشجعان وهاجت الاقران وصالت الفرسان والتقت الشجعان بالشجعان
وارتجت الارض من ركض الفرسان وتعثرت الخيل من كثرة الجولان وصارت تقع وتقوم وأظلم الجو
كالغيوم وتقابلت الابطال بالصوارم فى طالع مذموم وحكم عليهم بالموت الحى القيوم الذى حكم على الخلائق
بكاسات الفنا فسبحانه هو الذى يدوم ولا يفنى وجرت الدماء كالسيل وعاد النهار كالليل ومالت الجيوش
على بعضها كل الميل حتى كلت من تحتهم الخيل وتدفقت المواكب مثل السيل وثارت الغبار من ركض
الخيل فما كنت تسمع الا بريق أسنة الرماح مع صهيل الخيل ولمعان برق السيوف يحاكى نجوم الليل
ودارت الافلاك بشرب كاس الهلاك وعمل الصارم فى الجماجم والابدان والاحناك وقد سبق القضاء بذلك
وتقطعت الرقاب والاوراك ولم يبق لهم من الموت فكاك وصار الطعن متدارك واختلف الضرب فى المعارك
وبكى السيف بعدما كان ضاحك وعلى الحقيقة بانت المهالك واستدت المسالك هذا وعنتر يقصد الرايات
والاعلام ويهبر فى الابطال بالحسام ويفرق الجثث عن الاجسام ويبري بها برى الاقلام وهو يضرب فى
الجماجم ضربا شنيع حتى صار الدم نجيع هذا وسبيع اليمن وميسرة ومازن من ورائه وكذلك عروة يزعق
فى رجاله ورفقائه هذا وبنو سليم تتساقط عن ظهور الخيل واكتالهم عنتر كيل وأى كيل وأجرى دماءهم
مثل السيل ﴿قال الراوى﴾ ولم يزالوا فى ذل وويل حتى ولى النهار وأقبل الليل فعندها حل ببنى سليم
المحاق ووقع بهم الارجاف وقتل منهم فى ذلك اليوم بلا خلاف أكثر من ستة آلاف فلما رأى السالمون
ما حل باصحابهم من الويل هربوا باجمعهم تحت ظلام الليل فتبعهم عنتر ومن معه مقدار ثلاثة فراسخ ثم عاد
من خلفهم وهو فى هناء وسرور وملك المضارب والخيام وقد ساق الابل والانعام ثم أحضر عاطل بين يديه وقال
له ويلك أما كان فى حضرة الملك الاسود من هو أفرس منك ولا أثبت عند الصدام الا أنت برذايلك حتى
اخترت لنفسك هذا المقام اقد الآن نفسك والا ضربت رقبتك يا ابن اللئام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عاطل
كلام عنتر اندهل وتحير وقال له ما الذى تريد يا وجه العرب أخبرنى حتى أعرف ما يكون هذا الطلب وأفدى
عنقى منك بلا تعب فقال له عنتر أريد منك ألفين ومائة ثوب من ديباج وعشرين عقد جوهر وثلاثة
آلاف دينار من الذهب الوهاج ومائة رأس من الخيل العتاق وألف ناقة فقال عاطل وحق من جعلك من
أهل الغنى وجعلنى من أهل الفقر والفاقة ما تملك يدى الا فرد ناقة فلما سمع عنتر منه هذا الكلام قال له
أراك تتكلم بالهذيان يا ابن ألف قرنان لانك ما ذقت طعم الهوان وكذلك ما تعلمت سنة جميع العربان
ولكن سوف أحل بك الهوان وأهرى جلدك بضرب السياط وأذيقك العذاب ألوان ﴿قال الراوى﴾ ثم انه
أمر عروة أن يشده على جواد دوسار وابا الاموال والمكاسب طالبين جبال خشاخش والتناصب هذا وعنتر
قد أقبل على عروة وقال له يا ابن العم والله ان هذه الارض أحسن من أرضنا ولكن لابد أن نقيم فيها ونجعلها
وطنا لنا لان أرضنا ما فيها غير شجر أم غيلان وهذه الارض كثيرة المياه والغدران وفيها من جميع الشجر
والافنان وهى أكثر عشب وأغزر مرعى وأنا لابد لى أن أقيم فيها وأجعل أموالنا ترعى فيها هذا وهم سائرين
وبما نالهم من النصر فرحانين وقرت منهم بما كسبوا كل عين حتى قربوا من الجبلين وقد وصل خبرهم الى
الملك قيس ومن كان معه من المقيمين فركبوا الى لقاء القادمين وقد فرحوا بما وصل اليهم من الاخبار وتلقوا
عنتر ومن معه على بعد من الديار ﴿قال الراوى﴾ فلما وصلوا اليه وقد نظروا الى تلك الاموال التى بين
يديه وشاهدوا تلك الرجال وهم فى الاسر والاعتقال وفى أيديهم وأرجلهم القيود والاغلال وهم بحالة الذل

والخبال فعند ذلك تلقى الملك قيس لعنتر وهو فوق جواده الابجر وقبله فى عارضه ونحره وبعد ذلك
ضمه الى صدره وكذلك فعلت سائر الاصحاب من بنى عبس وبنى عامر وبنى غنى وبنى كلاب ﴿قال الراوى﴾
ثم ان الملك قيس بعد ذلك قال يا أبا الفوارس والله لقد أفقرت الذين أخذت منهم هذه الاموال وسقت من عندهم
تلك الخيل الغوال والنوق والجمال فقال عنتر يا مولاى ان هذا رزقنا أتى الينا وساقه المولى الينا وقد
استرحنا من التعب والعنا فلما سمع قيس كلامه فرح به وزاد ابتسامه وحل به الفرح والسرور وقال
له لازلت يا ابن العم مؤيدا منصور وعدوك مذلول ومقهور ﴿قال الراوى﴾ هذا والربيع بن زياد واخوته
قد انفطرت منهم المرائر وقالوا والله ما هذه الاسعادة زائدة أول وآخر مع هذا الولد الزنا نسل العواهر لان له
وجها تتخطاه المقادير والآفات ولم تقع به النائبات ولا بدان الزمان يهلكه وينزل به مصائبه ثم انهم بعد
ذلك الحال عادوا الى الجبال وقد وقعت بهم البشائر وعلت الاصوات من الاماء والحرائر وارتفعت منهم
الضجات وعلت الصيحات وقصد كل واحد منهم الى مضربه وتلقته أهله وقرابته ﴿قال الراوى﴾ هذا
وعبلة قد تلقت ابن عمها عنتر ووقعت فى صدره ودخلت معه خباءه وهى تقبله فى نحره وفى فاه وتقول له
لا كان يوما لا نراك فيه ولا زمانا مع غيرك نقضيه يا حامى الحريم وكاشف عنا كل هول عظيم هذا وعنتر قد
فرح بكلامها ونزلت الفرسان فى خيامها وحل بهم السرور وأخذوا فى نحر الجزور وسكب الخمور
وعنتر تيقن ان الملوك قد عجزت عنه وجميع الابطال خافت منه هذا وبنو عامر قد فرحت بصحبة عنتر
وقد أيقنوا بالنصر والظفر وأقاموا فى العز الدائم وقد احتوت أيديهم على شئ كثير من الغنائم لاسيما أموال
الملك الاسود التى نهبوها من الحيرة فى ابتداء الامر فهذا ما كان لهؤلاء من القصة المذكورة وأما ما كان من
جيش الحيرة فانهم لما انهزموا وحل بهم ما حل من عنتر البلاء والتعويق فسار كل منهم فى طريق وهم يكثرون
من البكاء والشهيق وفى قلوبهم مما حل بهم نار الحريق وهم منقطعون من عشرة وعشرين لا يدرون الى
أين يسيرون ولأى طريق يذهبون وما زالوا شاردين وهم فى البرارى تايهين حفاة عراة مجرحين ومما حل
بهم من الخوف صاروا يركضون الفلاة والذى قصر جواده قد نزل عنه وخلاه وصار يندب على ما أصابه وأصاب
رفقاه ولم يزالوا سائرين على هذه الوسيلة حتى قربوا من الحيرة وقد حل بهم الضيق والعطب مما قاسوا من
شدة التعب والنصب لانهم هانت عليهم أرواحهم لما فقدوا خيلهم وسلاحهم ﴿قال الراوى﴾ وكان الملك
الاسود يجمع عنده كل يوم ملوك العرب ويتحدثوا فى أمر عاطل وعنتر وما يجرى بينهما من السبب فقال الملك
الاسود لوزير ان عاطل ما يعود الا وعنتر معه أسير وكذلك بنو عبس وبنو عامر المغاوير وهم فى ثياب الذل
والتعتير ﴿قال الراوى﴾ هذا والملوك كلما سمعوا ذلك المقال يتندموا كيف ساروا الى لقاء عنتر فى الاول
وهم يتندمون غاية الندم وما فيهم الا من يقول بنو عبس فى هذه النوبة وبنو عامر يحل بهما الهلاك والعدم
ولابد أن ينقرضوا وقرض الى يوم اللقاء والعرض الا بنى فزارة فانهم لم يسمعوا ذلك الابرام والنقض لانهم يعلموا
ان عنتر ما يبالى بكل من على وجه الارض وحصن بن حذيفة يقول والله ان هذا يقين باطل لان عنتر ما يبالى
بالف مثل عاطل ولا يسأل عنه والموت يخاف أن يقرب من عنتر أو يدنو منه ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم جالسين
فى بعض الايام وهم يتحدثون فى مثل هذا الكلام واذا بالصياح فى القصر قد علا حتى ارتجت جنبات الفلا
والناس قد خرجوا من المدينة وهم يموجون كما يموج الموج على ظهر البحر بالسفينة فوجدوا المنهزمين قد
أقبلوا من صدر الفلاة وهم حفاة عراة لا يصدقون بالنجاة وهم فضيحة لمن يراهم مما حل بهم واعتراهم فعند
ذلك سألهم الناس عن قصتهم فاخبروهم بجميع حالهم وما تم عليهم فى سفرتهم هذا والملك الاسود قد سمع
بذلك الخبر فكادت مرارته أن تنفطر وانقلبت الحيرة بالبكاء والاعوال على من قتل من الرجال فاقبلت
بقية العربان وهم بحالة الذل والهوان وقد أخبروا الملك الاسود بما جرى وتجدد وما حل بهم من النكد وكيف
شتتهم عنتر فى كل بر وفدفد وأخبروه بان عنتر التقاهم وانزل بهم الوساوس وليس معه غير خمسة آلاف
فارس وان الملك قيس ما حضر القتال لا هو ولا من عنده من الابطال بل قال له عنتر يا ملك أنت نظير

الملك الاسود واذا هو سار اليك بنفسه وأتى الينا وهجم بجيشه علينا سر أنت الآخر اليه وأقبل بكليتك عليه واليه تجرد ﴿قال الراوى﴾ وأما نحن أيها الملك فقد رأينا منهم أهوالا عظيمة وأمور جسيمة وما رأينا الى النجاة طريق مستقيم الا عندما عولنا على الهرب والهزيمة ورأينا سلامة نفوسنا هى أولى غنيمة وكانت سفرتنا ميشومة رديه ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك الاسود ذلك السؤال حل به الانذهال وقامت عليه القيامة وعض على يديه أسفا وندامة وأطرق رأسه الى الارض وتفكر فقال حصن بن حذيفة من شدة حنقه على عنتر والله لقد بغى هذا العبد السوء وتجبر وقد انسلخ من صفات البشر وصار فى صفات عفاريت بنى منقر فعندها قال الملك وهب بن موهوب لما رأى الملك الاسود وهو كثير الاسف والكروب وهو جالس بين أكابر عشيرته وأرباب دولته مطاطى الرأس زائد الوسواس كثير الافتكار لا يأخذه هدو ولا قرار فقال له يا ملك لا تضيق صدرك ولا تهتم فى أمرك فانا ومن معى نمضى اليه ونأخذ روحه من بين جنبيه ونقلع أثره ونصرم عمره ونلعن والديه فقال الملك الاسود لا كان الملك الاسود ولا استكان ولا عمرت به أوطان ولا اسعده الزمان ولا كان يوما تسير فيه وتذل الى عبد زنيم ووغد لئيم وتساوى نفسك بعبد فقير صعلوك وأنت يا ملك من أكبر الملوك وأنت ما تدخر الا للملمات الثقال وكشف النائبات الهوال فقالت أمراء بنى شيبان نحن يا ملك نسير فى هذا الشان وتكون معنا بنى فزارة وكاهنا اسنان ونمضى كلنا اليه ونأخذ روحه من بين جنبيه ونعفر خده ونلعن أباه وجده فقال الملك الاسود أنا مالى غرض فى مسير بنى فزارة ولا تدخل عقلى هذه العبارة لانهم بنو عمه على كل حال وان قتلوه وأنزلوا به وبمن معه الخسارة فيبقوا يقولوا ان الملك الاسود ماله عندنا اجارة لان هذا واحد من بنى عمنا فما قدر يلقاه الابنا ويرتفع بذلك قدرهم وينحط قدرنا وتطمع فرسانهم فينا غاية الطمع ولا يبقى لنا وجه عند العرب أجمع وأنا الآن أريد أن ألقاه الا برجالى وسائر عسكرى وأبطالى حتى انى أكون قد وفيت بفعالى وتبقى تهابنى جميع العربان اذا سمعت بفعالى فى هذا الشيطان ثم انه لما فرغ من ذلك التدبير والمرام دعا بفارس دولته وشجاع قبيلته خداش بن علاقة فارس بنى شيبان وكان أشجع من الشجعان وفريد العصر والاوان وكان طوله سبعة أذرع بالهاشمى عظيم المنظر مهول المخبر وقد خاض الاهوال ولقى بصدره صناديد الرجال مدخر اليوم المجال واذا نزل الى خصمه فى قتال ما قط يطلب منه انفصال يطعن العدو الموصوف فى قلبه ولا يخاف شجاعا ولا يرهبه ويقبض على قوائم الفرس الجارى فيوقفه ويهز الرمح الاصم فيقصفه لانه ما لاقى جيشا قط الا وكسره ولا بطلا الا ودمره وهو سيف الملك الاسود فى الشدائد وعمدته فى الاوابد ﴿قال الراوى﴾ ولما ان الملك الاسود دعا به اليه وصار بين يديه قال له يا خداش سر انت فى هذه المرة اليه حتى تعلم فرسان العربان انك أقوى منه جنان وأثبت منه فى الميدان عند الضرب والطعان فاعزم عليه فانا لولا أعلم انك كفؤ لهذا الامر ما قدمتك اليه فانت حاجبى وعمدتى وسيف نقمتى وعليك معولى فى رخائى وشدتى وأنت تعلم ان الملك يحتاج سياسة وناموس والا يصير بين الملوك موكوس وان لم يظهر له سطوة وعلو باع وقدر وارتفاع والا اندرس رسمه وضاع وأخاف أيضا أن يبلغ خبرى الى كسرى أنوشروان وما جرى لنا مع هذا الرجل من ذلك الشان فتنفتح عند أهل خراسان وربما يغضب علينا او يحل بنا الهوان وأنا أريد ان آخذ هذا الرجل بغير بنى فزارة لانهم قد ذلوا مما حل بهم من الخسارة واستجاروا بى فانعمت عليهم بالاجارة وان أنا انفذتهم اليه ونصروا عليه لقالوا ما حصلت اجارة الملك فى شىء معنا ولا قدر على الذى به وعدنا ولا وصلنا اليه الا بايدينا ولا كانت نصرتنا عليه الا منا والينا وانى يا أمير خداش أريدك تسير اليه وتقدم عليه وتأخذ معك ثلاثين الف فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس ولكن تجتهد ان يكون الذكر اليك والنصر على يديك حتى تقر بذلك عينيك وتأخذ الطبقة العليا على سائر العرب وتصير الحرمة لنا على كافة من ضرب فى البيد اوتد ومد طنب ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع خداش كلام الملك الاسود نفخ الشيطان فى معاطفه وطغى وتمرد وذلك لاجل ما يعرف من نفسه على طول الابد وقال يا ملك أنا كما تعهد وأنت أخبر الناس من ثم كل احد ولكن يا ملك

الرأى عندى أمر هذا العبد الاسود فانا أمرى ما يخفى عليك أيها الملك المسدد مما ظهر قدامك من شجاعتى وقوتى وبراعتى وما كنت أفعل بالملوك فكيف يهون عليك تقاومنى بذلك الرجل الصعلوك ومثلى ان قاوم هذا العبد الاسود والصلد الانكد ولكن يا ملك طاعتك فرض على وهذا الامر من أقرب الاشياء الى وان أمرتنى ان آتيك بعنتر وبنى عبس الجميع لرفيع منهم والوضيع ويكونوا الكل مقرنين فى الحبال النساء منهم والرجال والشباب التى لهم والاطفال ﴿قال الراوى﴾ ففرح الملك الاسود بذلك المقال وفى عاجل الحال أرسل معه من العربان ثلاثين ألف عنان من كل فارس ممارس وقرم مداعس وسيره سير الملك القناعس بخلاف ما سير عاطل بن المثنى فانه جهزه بكل ما يحتاج اليه من السرادقات الملونة والرايات المختلفة وكذلك من خلفه الطبول والآلات والزمور والبوقات وقد دقت الكوسات وخفقت على رأسه الرايات وانجرت بين يديه الجنائب العربيه وفى أعناقها السلاسل الفارسية بالجلال الحرائر الابريسميه وسلمه خزانة السلاح وأكثر له من آلة الحرب والكفاح وجرد الجيوش بين يديه بالدروع والجواشن والخيول الملاح الصوافن وهم على جرائد الخيل يتدفقون مثل اندفاق السيل وما فيهم أحد غريب وكل منهم ابن عم ونسيب ومع كل واحد الفرس والنجيب والزرد معهم بكثرة على ظهور الجمال والعدد والاسلحة فوق البغال وسار معهم الملك الاسود مقدار فرسخين حتى تغوطوا البر والفدفد وأبعدوا عن البلد وقال له ابصر كيف تكون من أمرك لانك تعلم انك فارس دولتى وسيف نقمتى ونصرتك من نصرتى واعلم ان انكسارك انكسار قلبى ومهجتى وانحطاط لمنزلتى ورتبتى ثم انه ودعه وأوصاه على من معه وأمره بالاحتراز من فرسان الحجاز ثم انه دعا الى مدينة الحيرة وسار خداش وهو فى تلك الجنود الكثيرة وقد تقدم فى أوائل الجيش وصاروا يقطعون القفار والبيد وهو مسربل بالحديد كأنه البرج المشيد أو كشيطان مريد راكب على جواد شديد وهو من جياد الخيل يتدفق من تحته مثل السيل وهو مع ذلك ينشد ويقول هذه الابيات

الخيل تعلم انى من فوارسها * ما كنت عند اختلاف الطعن منحرفا
وسوف يعلم نذل القوم أى فتى * تخوفنى الاعداء والنفس مختلفا
أنا الهمام الذى اذا سل صارمه * سل النفوس من الاجساد واتلفا
أجود بالمال لا ابغى به عوضا * وان فخرت فحسبى ذلك الشرفا
وأبذل السيف فى الهيجاء ان كرهت * قصد الكريهة من هيجائها أسفا
أخبر بنى عبس انى سائر لهموا * أردهم جنهموا بالسيف للتلفا
أنا الخداش عقب الحرب معركة * السيف منى لروس القوم مختلفا

﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء فى مسيرهم وأما ما كان من الوزير فانه لما رأى تلك الجيوش التى سارت وملأت الدكادك قلق الوزير لذلك ولم يكن له من الرأى الصواب الا انه كتب الى عنتر كتاب وهو يقول له خذ حذرك من هذه النوبة واجتهد حتى تأسر خداش وتضيفه الى عاطل بن المثنى وتفعل بهذه الجيوش شيأ تذكر به على طول المدا ﴿قال الراوى﴾ ثم انه طوى الكتاب وأنفذه مع العبد سالم فسار يقطع الرسوم والمعالم وهو لكثرة السير مواضب حتى أشرف على جبلين خشاشب والتناصب وقصد الى أبيات عنتر من غير أن ينظره بشر فلما أشرف عليه قبل الارض بين يديه وسلم اليه كتاب الوزير فعند ذلك ترحب به وحياه وأخذ الكتاب من يده وناوله لعروة فقراه وفهم رموزه ومعناه ثم انه أخذه معه وسار الى الملك قيس وسادات العرب حتى يعلمهم بذلك السبب فلما دخل عليهم أشار بيده وسلم عليهم وقال لهم يا سادات العرب قد أتانا كتاب وهو يخبرنا انه قادم الينا جيوش مثل البحر العباب وقد أتيت اليكم حتى أطلعكم على هذه الاسباب فما عندكم الآن من الرأى والجواب فعند ذلك تكلم كل واحد ما فى باله من الخطاب فقال قيس ما فى الامر الا اننا نسير كلنا اليهم ونلقى عدونا ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر ذلك المقال أشار بيده

الى الرجال وقال وحق من أنبع الماء الزلال وأرسى الجبال لاسير الى لقاء هذه الجيوش القادمة غيرى ولو انها عدد ذلك أضعاف وأكن فى خمسة آلاف ولا سار له منكم احد أبدا ولو سقيت كاس الردا ثم ان عنتر انتخب رجال قومه وتأهب للسير من يومه وتودع من الملك قيس وسادات العرب وصار يقطع البرارى والسبسب وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

كبرت وربتنى الحروب وأظهرت * مشيبا بدا فوق المفارق ما كفى
ما العيب فى شيبى اذا خضت قسطلا * واقتحمت الابطال حولى بلا خفا
قسمت حياتى بين سيفى وصارمى * فامسى سكرانا وأصبح زاحفا
وتنظرنى عند الطعان مكرما * وتبصرنى عند اللقاء متناصفا
وان كان لونى بالسواد يعيبنى * فلى فى عداد المكرمات مواقفا
خليلى ما الانسان الا ابن يومه * وبالفضل يعلوا كل من كان عارفا
وانى لاعطى السمهرى الحرب حقها * اذا القوم من خوف المنية راجفا
وأقحم مهرى فى عجاج غبارها * فتبصره مثل الرياح العواصفا
اذا سار تقريبا ترى البرق دونه * ويسبق بالجرى البروق الخواطفا
أنا عنتر العبسى غير مقصر * عن المجد والعلياء والعز سالفا

﴿ قال الراوى ﴾ فلما فرغ عنتر من شعره أطربت الفرسان من نظمه ونثره وقال له عروة بن الورد لازدالله فاك ولا كان من يشناك فشكره عنتر على قوله ونزلوا للراحه وأعطوا العلوفات الى خيولهم وأكلوا من زادهم ولما فرغوا من المأكول والمشروب أقبل عنتر على أخيه شيبوب وقال له يا ابن الام أريدك تسير فى هذه الليلة ولا تقر ولا تهدا وتطلب جيوش الاعدا وتبصر متى يشرفون علينا وتكشف لنا الاخبار وتعود الينا على الآثار فقال شيبوب سمعا وطاعة فها أنا سائر فى هذه الساعة ثم انه سار من أول الليل فى الظلام وعول على قطع الربا والآكام وبات عنتر ومن معه فى ذلك المكان الى أن ظهر الضوء وبان فعند ذلك ركبوا وساروا يقطعون القفار الى آخر النهار هذا وعنتر قد زادت به الكروب من أجل غيبة أخيه شيبوب واذا به قد أقبل اليه مثل ريح الهبوب ورجليه تلطم شحمة أذنيه حتى وصل الى عنتر ووقف بين يديه فعند ذلك فرح عنتر باقباله وسأله عن حاله فقال له يا ابن الام اعلم أن الجيوش قد قربت اليك وبينك وبينهم يومين ويقدموا اليك فخذ حذرك واحترز على نفسك أنت وجيشك فلما سمع عنتر من أخيه تلك الاخبار أقبل على عروة بن الورد لانه به يستشار وقال له اعلم يا بالابيض اننا نريد أن ندبر هذه الاحوال حتى لا يطول بنا المطال وأنا قد رأيت من الرأى الذى به نقتدى ان تأخذ أنت ألف فارس ويسير بك أخى شيبوب فى عرض هذه البيدا فما يصبح عليهم الصباح الا وأنتم خلف الاعدا واذا أشرفوا علينا عن معهم من القوم فانفذ ولدى ميسرة ورتب معه ابن أخى مقرى الوحش فى ألف فارس يكمنوا عن يمين القوم وأنفذ علقمة بن علاقة وأخى مازن فى ألف فارس ويكونوا كامنين عن يسار القوم وألتقيهم أنا وابن عمى عمرو فى ألفين فارس وأكون مختفى فى أطراف الفوارس لانهم اذا أشرفوا علينا ورأونا فى قلة فيطمعوا فينا ويظنونا نحن طليعة لقومنا فيحملوا بجمعهم علينا فاستجرهم أنا الى أن يلتقوا فى وسط الكمنا فتخرج أنت برجالك من خلفهم وتملك أثقالهم ورجالهم ومضاربهم وخيامهم ففى ذلك الوقت تصرخ الكمنا صرخة واحدة تتزلزل منها الجبال ثم تخرج باقى الكمنا من اليمين والشمال وفى ذلك الوقت أشتهر انا بروحى وأحمل عليهم بسيفى ورمحى وأزعق فيهم وأبادر فلا أخلى الاول منهم يلحق الآخر ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع عروة كلامه أبدى ضحكه وابتسامه وفعل ما أمره به عنتر وأخذ شيبوب بين يديه وصار يقطع البر الاقفر فعندها سار به شيبوب وقد عرج به فى عرض البيدا والخيل من خلفه لا تقر ولا تهدا وأرادوا بذلك ان يطلعوا من خلف القوم حتى لا يبقى عليهم عتب ولا لوم فهذا ما كان من عروة وما جرى له ﴿ قال الراوى ﴾ وأما ما كان

من عنتر ومن معه من أبطاله فانه أقام فى ذلك المنزل وهو كثير الأفراح الى أن بدت غرة الصباح فعند ذلك دعا بولده ميسرة وسبيع اليمن وسيرهم ألف فارس من الشجعان وأمرهم أن يكمنوا فى تلك الكثبان وأوصاهم أن يخفوا أنفسهم ويكونوا على حذر من عدوهم وأيضا دعا بعلقمة وأخيه مازن وسيرهما فى ألف فارس وأمرهم أن يكمنوا فى تلك الكثبان وبعد ذلك سار عنتر فى الألفى فارس التى بقيت معه من العسكر ولم يزل يقطع القفار الى أن تعالى النهار واذا بالغبار قد بان وثار وظهر للنظار وتزوبع حتى سد الاقطار وسمعوا دق الكؤسات ونعير البوقات هذا وقد بانت الرايات وظهرت الاعلام والفرسان قد جردت المشرفيات وأقبلت الجيوش بكمالها وارتجت الارض بزلزالها وخداش فى مقدمة الجيش كانه الاسد الكاسر فعند ذلك مد عينيه فنظر الى جيش عنتر على ذلك القدر فاندهل وتحير وبتلك الرجال احتقر ثم التفت الى من حوله من الرجال وقد أخذه الاندهال ثم قال يا للعرب يا أهل الفضل والادب والله ان هذه محنة عظيمة وفعلة ذميمة ونحن الساعة ما أتينا بهذه الجيوش الا لهذه الشرذمة اليسيره والعصابة الحقيره فوالله ان هذا عار وذل وشنار وبعد هذا فما أرى بينهم لعنتر خبر وما أظن الا هذه الرجال طليعة للجيش الذى لعنتر ثم انه بعد ذلك دعا بفارس من الشجعان الاشاوس وقال له امض يا ابن العم الى هذه الطليعة برسالتى وحذرهم من سطوتى وابصر ان كان عنتر فيهم حذره واعلمه بخبرى وأنذره وقل له يا ويلك يا عبد السوء دع عنك هذه اللجاجه التى مالك بها حاجه لانك عاديت الملوك وتريد ان تلقى كل فارس فتوك حتى رميت نفسك فى بحر عميق وقد أقبل اليك هذا الجيش الذى كانه نيران الحريق فاستغنم نفسك قبل البوار والاحل بك الدمار وأقبل على مقدمنا خداش سيد الفرسان حتى يعطيك الامان من قبل أن تشرب كاسا أمر من العلقم وتندم حيث لا ينفعك الندم ﴿ قال الراوى ﴾ فعند ذلك أطلق الفارس عنانه وقوم سنانه وساق حصانه حتى قرب من جيوش عنتر وصاح بصوته وجهر وقال يا عبس أين عنتر الراعى العبد الاسود الباغى فدعوه يحضر الى حتى يسمع ما أقول ويتبع مقالى ان كان له معقول ﴿ قال الرواى ﴾ فلم يتم ذلك الفارس مقاله حتى صار عنتر قدامه وطعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره فلما نظر خداش الى ابن عمه وقد مال وانقلب نادى بالعرب ائتونى بهذه الطائفة اليسيره حتى أبرد بهلاكها كبدى وأضرب رقابهم بيدى فلم يتم كلامه حتى برز من الجيوش مقدار سبعة آلاف وصاروا قدامه وحملوا على بنى عبس حملة واحده وأوقدوا نار الحرب بعدما كانت بارده وخداش ينادى يا ويلكم لقد جلبتم لانفسكم المنية وأحاطت بهم الرزية سلموا أرواحكم الينا قبل حلول الاجل والاحل بكم الموت المعجل فقد أضرمتم على أنفسكم نار تحرق الكبار منكم والصغار ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع عنتر كلامهم ونظر الى حملاتهم واقدامهم فعند ذلك أمر فرسانه بالحملة عليهم فجردوا السيوف وحملوا مرة واحدة هذا وعنتر مختف فى جانب الجيوش وهو ساكت لا يتكلم بل ينثر الجماجم والقمم ويبدل الفرسان من الوجود الى العدم ويجندلهم فى جنبات الفلا ويطعم الطير والوحش من لحوم القتلا وهو يضرب ضربا ينثر به الرؤس ويطعن فى الصدور ويسلب النفوس وقد أوردهم كاس الحمام والوجوه أضاحكة صارت قتام ووقعت الدقة فى تلك الفرقة وسمعوا من بنى عبس فى أعقابهم زعقة وأى زعقة فلما نظر خداش الى رجاله قد انكسرت ورجال عنتر عليهم استظهرت وعنتر لا يسمع له خبر فكادت مرارته أن تنفطر وصاح فى بقية الجيوش وحمل فيمن حوله من رفقاه وطلب بنى عبس وترك باقى الجيش وراه هذا وعنتر قد وثب هو وأصحابه وثبات الكرام واستقبلوا وجوه الاعداء بضرب الحسام حتى هشموا العظام وثار العجاج والقتام وانقطع من الطائفتين الكلام وعنتر ينثر بالحسام حتى ترك الجماجم تحت الاقدام وفلق الهام وبرى الرقاب عن الجثث مثل برى الاقلام وسار عنتر يقاتل ويناجز وكذلك أصحابه فعلوا مثل فعاله وهى تدافع عن أنفسهم والجيوش فى وسط الكمين ولما نظر خداش الى أعدائه قد تأخروا الى ورائهم أعلن بالندا فيمن قدامه وفيمن وراه وهو يقول يا ويلكم يا بنى عمى خذوهم أسارى وقودوهم أذلة حيارى ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمعت الفرسان كلامه حمل كل واحد على من كان

قدامه الآن الفرسان الماجدات وخيلهم دفعت على الضجة من خلفهم وارتفعت وخيل عروة عليهم قد طلعت وقد احتوت على الأثقال والمنهبت وطلبت الاعداء من كل جانب ومكان واليهم أسرعت وضججهم قد قلب الجبال والقيعان وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان هذا وعروة قد سلم الاموال الى مائة فارس من الفرسان الاقيال وأمرهم بحفظهم من جميع الرجال وحمل يعين عنتر في بقية الفرسان ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر خداش الى هذه البلوى ضاقت أخلاقه واندهلت عيون أصحابه وهمت رفقاه أن ترجع الى لقاء عروة السميدع واذا بغبار ميسرة قد طلع من الميمنة وخلفه الفرسان التى كانت معه فحملت وهى كأنها أسد من حديد وصارت تنادى يا لعبس الاماجيد فلما نظر خداش الى ذلك الغبار انذهل بصره وحار وقد بقى باهت وحلت به الحسرة وتاه عقله وأخذته الفكرة واذا بمازن وعلقمة قد طلعا من الميسرة وانكشفت عن رجالهم الغبرة فعند ذلك زعق عنتر وأعلن بالندا ونادى يا أوغاد غير أمجاد أنا عنتر بن شداد ﴿قال الراوى﴾ فلم تكن الا ساعة حتى اختلطت الفجوج وثار الغمام وبقيت الدنيا تموج وكانت وقعتهم مثل وقعة يأجوج ومأجوج وتمايلت الابطال من على السروج وقد امتزجت بنى عبس فيهم أى مزوج وطعنوا فيهم بالمزاريق مثل حرب الزنوج فلله در ذلك اليوم وما جرى فيه من الحرب الشديد وصار الجبان يطلب الهرب ويعوج والشجاع قد تقدم وجال وأكثر الهيوج وعنتر ترك الفرسان فى الدم تموج وصبغ الارض حتى غطت المروج وصار يطرح الابطال من على السروج وكان عنتر قد جعل قصده من خداش وقصد الى نحوه فى مقام الهراش وصمم عليه ليعدمه فؤاده ثم طعنه بعقب الرمح نكسه عن ظهر جواده ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك أقبل عليه شيبوب كأنه الغضنفر وفى عاجل الحال أوثقه كتاف ثم جعل ينادى يا ويلكم يا بنى شيبان عن من تقاتلوا يا أنذل العربان وصاحبكم قد أسر وحل به الهوان وهذه عساكر بنى عامر قد أتت لتعين بنى عبس فالسعيد منكم يطلب الهرب قبل أن يقع بكم التعس والنكس ﴿قال الراوى﴾ فلما نظرت تلك العربان الى خداش قد أسر وصاحب العلم قد قتل وهم قد بقوا مثل الغنم بلا راعى تبددوا فى الفلاه وصار كل واحد يدافع عن نفسه ويطلب النجاه فما كنت ترى فى ذلك الوقت الا كفوف طائرة وخيول غائرة ودماء تجرى من الابطال فائرة وعظمت الحرائر وتفطرت المرائر فكم رأس من على بدنه طائر وكم من شجاع ثابت وجبان نافر هذا والجيوش قد حل بها الضيق وانهزم كل منهم فى طريق وتمزقت رجال خداش غاية التمزيق ﴿قال الراوى﴾ هذا وبنى عبس تضرب فى أقفيتها ضرب أمر من نار الحريق حتى صارت الارض من الدما مثل لون العقيق ولم يزل عنتر ومن معه من الرجال الكرام وهم خلفه يضربون بالحسام حتى أقبل عليهم الظلام وبعد ذلك رجعوا عنهم وقد تشتتوا فى البر والآكام وعنتر قدام الفرسان وهو فرحان بما نال من بلوغ الآمال وهو مع ذلك ينشد ويقول هذه الابيات

سقيت الحيا يا دار عبلة باللوى * وحييت يا دار الشربة فانعم
فكم من دجا حرب كشفت ظلامه * بكل رقيق الشفرتين مصمم
ولى عزمة ما تنثنى عن مامة * بأن لست عن قتل الجبان بمجرم
وانى لكشاف الكريهة فى الوغا * صبور على مر اللقا والتصادم
رجعت وللحظا تحت وريده * عيون تشكى فرقة الروح بالدم
وكم مثلها حرب يشيب ضرامها * كانى منها موضع الريق بالفم
وان كان شيبى قد أعاب شبوبتى * فاشبت من تفريق جيش عرمرم
وما الفخر الا ما يجود به الفتى * بمال وأطراف الوشيج المقوم

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من شعره طربت الفرسان من نظمه ونثره ولم يزالوا سائرين وهم يجمعون الخيل الشارده لانه لما قتل أصحابها وبقيت مبدده فما وصلوا الى أصحابهم حتى طلع الصباح فتلقوهم بالهنا والافراح وجمعوا الغنائم على بعضها والاموال وعادوا طالبين الجبال ولم يزالوا سائرين وهم بما نالوا فرحانين

حتى وصلوا الى الجبالين واذا بالملك قيس ومن معه من الرجال خرجوا الى لقاء عنتر ومن معه من الابطال وبين أيديهم المولدات بالدفوف والمزاهر والناس معهم بخلوق الزعفران وهم فرحانين بنصرة عنتر على تلك الجيوش هذا والملك قيس قد تقدم الى قدام وأقبل على عنتر وهناه بالسلامة وكذلك الربيع بن زياد واخوته وهم يريدون اعدام مهجته هذا وعامر بن الطفيل استقبله وجعل يضمه الى صدره ويقبله الى أن دخلوا الجبال ونزلوا للراحة فقال لهم عنتر دونكم والغنائم فهى لكم مباحة فعند ذلك تعجبوا من فعاله وحسن مروءته وخصاله ثم انه قسم بينهم الغنائم بالسوية وأخذ قسمه كواحد منهم على تلك النية وبعد ذلك دخل على عبلة فتلقته ووقفت فى صدره وقبلته فى عارضه ونحره وقالت له يا ابن العم لا عدمنا عزماتك القوية ولا فقدنا همتك السنية فلما رأى عنتر منها ذلك التودد والاكرام فرح وزاد به الابتسام وقال لها يا بنت العم ما دام انى أراك سالمة فكل الدنيا ملكى وسوف أفنى جميع أعداك وكل من يشناك ﴿قال الراوى﴾ ثم انه بعد ذلك المعنى خرج من عندها وقد نال ما يتمنى وأحضر خداش وعاطل بن المثنى وقال لهما أريد منكما أن ترسلوا الى أصحابكم وتأتونى بالفدية والا ضربت رقابكم وما أنا طالب منكم فضة ولا ذهب ولا أطلب الا ما جرت به سنة العرب وهى الخيل والجمال والعبيد والاموال فقالوا له ان كان ولا بد عن هذا المقال فاطلب منا ما تريد من المال فقال عنتر ما أريد من كل واحد منكم سوى ألفى ناقة ومائة رأس من الخيل المسومه ومائة عبد ومائة أمة واعلموا انى ما طلبت منكم الا على قدر حالكم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع خداش كلام عنتر وما طلب قال له جزاك الله خيرا يا وجه العرب فوحق من جعلك من الاغنياء وغيرك من أهل الفقراء الملك الاسود ما فى مراعيه ألفا ناقة وهو الحاكم على جميع العربان وسكان المناهل والغدران فكيف نقدر على هذا السبب ونحن من صعاليك العرب فقال لهما عنتر وأنا لو أعلم أنك من صعاليك العرب ما كنت أسرفت عليكم فى الطلب ثم ان عنتر لما سمع منهما ذلك المقال أمر شيبوب أن يعيدهما ثانيا الى الشد والاعتقال حتى يأتوا بالفدية والمال وأقام عنتر بن شداد مع أكابر قومه الاجواد وهو فى أكل وشرب وجميع القوم فى محبته فهذا ما جرى لهؤلاء من الامر والسبب ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من الملك الاسود وملوك العرب فانهم كانت قلوبهم متعلقة بخداش الفارس الغضنفر وبالجيوش التى سارت معه الى لقاء عنتر وهم كلهم يجتمعون كل يوم وفى ذلك الامر يتحدثون ويقولون لقد أنفذ الملك فى هذه النوبة سيفه القاطع ودرعه المانع وكانكم بالجيوش وقد أقبلت وخداش قد أتى وعنتر معه أسير ويأتى باهله وناسه الصغير والكبير وتكن رأس عنتر محمولة على رأس السنان ويأتى ببنى عبس وعدنان فى حبال الذل والهوان هذا والزبير كلما سمع مقالهم يتعجب من حديثهم ومحالهم ويقول لعن الله يا لحاكم وأماتكم ولا أحياكم فوالله لابد لعنتر أن يخرب دياركم ويمحق آثاركم ويسقيكم كؤس الردا ولو كنتم بعدد رمل البيدا ﴿قال الراوى﴾ فلما كان فى يوم من بعض الايام وملوك العرب قد تجمعت فى ذلك المكان وهم يتحدثون بمثل ذلك الهذيان واذا بالصيحة قد ارتفعت والزعقات قد علت والناس قد انزعجت والمنهزمين من الوقعة قد أقبلت وهم حفاة عراة مشتتين فى اقطار الفلاة مجرحين مهشمين وقد علا منهم البكاء والانين وما فيهم الا من هلك من المشى فرسه ونزل وساقها قدامه وهو من التعب كاد أن ينقطع نفسه وهم كلهم على تلك الحالة وبقى أكثرهم رجاله ﴿قال الراوى﴾ فلما رأتهم العربان وسمعوا بكاهم وعويلهم فسألوهم عن حالهم وما الذى جرى عليهم ونالهم وأى شئ الذى أهلكهم ونهب خيلهم وجمالهم فقالوا لهم ما فعل هذه الفعال الا عنتر الذى أفنى رجالنا وأباد أبطالنا وأهلك أجنادنا وجندل أقيالنا وبقى هذا الحال حالنا فقال لهم خداش ما فعل الله به فقالوا أنزل عنتر به الذل وأخذه أسير وأنزل به الذل والتعتير وهو يهينه ويضرب به مثل الحمير فلما سمع العربان بذلك الامر والمعنى ضجوا وقالوا اذا كان هذا فعل عنتر بخداش وعاطل بن المثنى فلا بد له أن يدهمنا على غفلة منا ثم انهم ساروا الى الملك الاسود واعلموه بكل ما جرى وتجدد وكان عنده جميع ملوك العرب وسادات من سكن البرارى والفدفد مثل الملك وهب

ابن موهوب وسبيع ابن الحارث الفارس الوثوب وسنان بن أبي حارثة وحصن بن حذيفة فحلت بالجميع
والهيبة والخيفة ثم انهم نهضوا واستقبلوا القادمين من المنهزمين وهم في البر منقطعين واذا بهم قد أقبلوا من
عشرة وعشرين وهم فزعانين خائفين مافيهم من يلتفت الى أخيه والوالد لا يقبل الى أبيه ﴿ قال الراوى ﴾
فلما نظر الناس الى ذلك الامر الذى هم فيه وكل منهم له شأن يغنيه فعندهم على ذلك الحال وقع بجميع
الملوك الانذهال ثم ان سبيع بن الحارث تقدم الى المنهزمين ونظر اليهم وهم حائرين وقال لهم ياويلكم
ماوراءكم أذل الله حالكم فما الذى تم عليكم ودهاكم ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمعوا منه ذلك السؤال أعادوا
عليه ماجرى لهم من الاحوال وما أنزل بهم عنتر من الذل والخبال وعرفوه بما فعل عنتر فى ساحة المجال وكيف
قتل أبطالهم وهلك أقيالهم بعدما احتوى على ثقلهم وما كان من الاموال خلفهم ﴿ قال الراوى ﴾ فلما
سمع منهم ذلك الخطاب غاب عن الصواب وأخذهم ودخل بهم على الملك الاسود وهم مشققين الثياب وقد
علا منهم البكاء والانتحاب فلما دخلوا عليه اسودت الدنيا فى عينيه وقال لهم ويلكم كيف جرى عليكم
وحل بكم هذا التدمير وأنتم فى هذا الخلق الكثير ﴿ قال الراوى ﴾ فعند ذلك أطلعوه على جلية الخبر وبما
فعل بهم عنتر وكيف أكمن لهم الكمنا وكيف أسر خداش وأبلاه بالذل والعنا ثم أعلموه بانه قد قتل منهم
أكثر من عشرة آلاف فارس من غير خلاف والذى رجع منهم على هذه الاوصاف وها أنت تنظر الى حالنا
وقد قتلت رجالنا ونهبت أموالنا فلما سمع الملك الاسود بما جرى على جيشه وتم عليه سالت الدموع من
أماق عينيه ثم انه أطرق الى الارض وقال مابلى أحد بمثل هذه البلية ولا أصابت أحدا هذه الرزية ونحن
قد بلينا من هذا العبد الاسود بالانطاق من البليات فوحق من أنبت لعباده النبات وجعل لهم قوت
مابقى عنتر يبالى بعد هذه النوبة باى موتة يموت ثم انه سكت وأطال فكره ودموعه تجرى على خده فعند
ذلك قال له حصن بن حذيفة أيها الملك المنتخب مابقى بعد هذا السبب الا مسيرك فى هذه العرب وتكبس
عنتر فى الجبال وتنزل به الذل والخبال وتأخذ من معه من الرجال فلما سمع الوزير هذا الكلام أقبل
على حصن بالملام وقال له أما تستحى من هذا الكلام كيف يسير الملك بنفسه فى هذا الجيش العظيم لذلك
العبد الزنيم وربما انه يتحصن فى الجبال اذا رأى هذا الشان لانى أعلم انه اذا رأى الغلبة قتل من عنده من
الفرسان وأنا الرأى عندى أن يسعى الملك فى خلاص الامراء التى عنده مأسورين وبعد ذلك يرسل الى قتاله
جيشا من جنده وأقياله ويكون معهم فارس من الرجال المشهورين قد بان سعده فهو يعفر خده ويخرج
روحه من جسده ﴿قال الراوى ﴾ فلما سمع الملك الاسود كلام الوزير استصوب رأيه فيما به يشير وقال له أيها
الوزير والاب الكبير أبصر لنا من يمضى الى عنتر برسالتنا وينظر أى شئ يطلب منا برأيه فديه لمن عنده
من الرجال فقال الوزير سمعا وطاعة وها أنا مبادر فى هذا الامر من تلك الساعة ثم ان العرب تفرقت على
هذا الحال وفى قلب كل واحد منهم نيران الاشتعال هذا والوزير قد عاد الى محله وقد زادت أفكاره من أجل
عنتر وأراد أن يرسل اليه خبرا بما جرى من الاسباب واذا بعبيده قد دخلوا عليه واعلموه بان رسولا من عند
عنتر قد وصل اليه وهو يطلب الحضور الى بين يديك فلما سمع الوزير ذلك المقال قال ائتونى به فى عاجل
الحال فعند ذلك تجارت العبيد وأتوا بالرسول حتى يسمع الوزير منه مايقول ﴿قال الراوى ﴾ وكان السبب فى
انفاذ هذا الرسول وماحمل من المقال وذلك ان عنتر لما ان عاد سالما الى الجبال وفرق الغنائم والاموال على
الرجال وجرى له مع خداش ماجرى وبعدما طلب منه الفدا شد عنده الاسرى وأقام فى أكله وشربه وهو فى
فرح وسرور ومع أهله وصحبه ﴿قال الراوى ﴾ ولما كان بعد ثلاثة أيام وهو بعز واكرام مع بنى عبس وبنى عامر
الكرام أقبل على عروة وقال له ياأبا الابيض ماهذا القعاد عن بلوغ الاغراض فقال له وما الذى تريد
ياأبا الفوارس من الحوائج حتى نقضيها فقال عنتر نسير الى الحيرة ونضرب رقاب كل من فيها ونغلق أبوابها ونملك
جميع نواحيها ونسبى حريم الملك الاسود ونتركهم حيارى ولكن مانفعل شئ من هذا الشان حتى نضرب رقاب
جميع الاسارى ﴿قال الراوى ﴾ فلما سمع عروة ذلك المقال علم ان السكر قد غلب عليه وغير منه الاحوال

فقال له يا ابن العم تمهل وتأن فى أمرك ولا تعجل لان الحوادث غير مأمونه والليالى لم تزل خؤونه فلما سمع عنتر
مقاله اشتد به الغضب وقال له ويلك ياأبا الابيض لأى شئ تخوفنى وتهددنى وعما أريد أفعل ترجعنى وماذا
يفيد قعودنا عن هؤلاء الكلاب الذين هم عندنا فى الاسر والعذاب ولأى شئ لم تأت بهم فى هذه الساعة ونضرب
منهم الرقاب ﴿قال الراوى ﴾ ثم انه انفذ فى عاجل الحال وأحضر خداش وعاطل والمرقال ثم أمر ثلاث
عبيد أن يجردوا سيوفهم وان يقفوا على رؤسهم ففعلت العبيد ما أمرهم وأيقنت الاسارى بدمارهم ﴿قال
الراوى ﴾ ثم انه أقبل على عاطل وهو فى ذلة الاسر والقهر وقال له ياويلك يا ابن الانذال أنت طالب الاسر
فوحق من له النهى والامر ويعلم عدد القطر لئن لم تعجل أنت وأصحابك بالفدا والا سقيتكم كأس الردا وآمر
هؤلاء العبيد ان يضربوا رقابكم وأفجع فيكم أهلكم وأحبابكم ﴿قال الراوى ﴾ فلما سمع الاسرى ذلك الامر
ورأوا عينيه تتوقد فى وجهه مثل الجمر قالوا له أيها الامير ها نحن بين يديك فى ذلة الاسر وغلبة القهر فاقطع
علينا ماتريد من المال واتركنا عندك فى الاعتقال وانفذ من عندك رسول يأتيك بالفدا وقد بلغت الآمال
فلما سمع عنتر مقالهم ورأى خضوعهم واذلالهم قال لهم أريد من كل واحد منكم ألف ناقة وألف رأس من
الغنم وألفى ثوب من الديباج الملم ثم جعل يقطع عليهم أموال ماتقدر عليها الملوك العوال ﴿قال الراوى﴾
فلما نظرت منه الاسارى شدة الطلب والجد كتبوا جميع ماقال الى الملك الاسود واعلموه بجميع الاسباب
وماهم فيه من العذاب ثم أنفذوا كتاب مع عبد من عبيد عنتر فسار العبد يقطع البرارى والقفار الى أن وصل
الحيرة آخر النهار ولم يزل العبد سائرا حتى دخل دار الوزير عمرو بن نفيلة كما ذكرنا ﴿قال الراوى ﴾ الا ان العبيد
لما خرجوا اليه وادخلوه الى عند الوزير وأوقفوه بين يديه قبل الارض وأوصل الكتاب اليه فلما نظر
الوزير الى ذلك الكتاب الذى وصل من عند عنتر فرح به واستبشر وأكرم العبد عنده وصبر الى الغدا وأخذ
الكتاب وصحبته العبد ودخل به على الملك الاسود وأعلمه بما جرى وتجدد وقال له هذا الكتاب قد وصل من
عند عنتر ثم أعطاه اليه حتى يفهم مافيه من الخبر ﴿قال الراوى ﴾ فعند ذلك أمر الاسود بقراءته ففتحه الوزير
وقراه وأسمعهم اياه فلما سمعت العرب بذلك الحال أخذهم البكا والاعوال مما جرى على خداش وعاطل
والمرقال وأخذتهم الفجعة على مالهم وغشى على الملك الاسود وحلت به العبر وأمر باحضار العبد الذى أتى
من عند عنتر فلم تكن الا ساعة حتى حضر فقال له الملك الاسود ويلك أى شئ يعمل عنتر الآن فقال له العبد
وكان شجاع عند الضرب والطعان اعلم يامولاى ان سيدى منهمك على عمل الولائم والاكل والشرب والضحك
واللعب ومرام سيدى أن ينهب أموالك ويقتل رجالك جزاء بما فعلت وكيف انك لحصن بن حذيفة أجرت
فقال له الاسود ويلك والمال الذى أخذه منهم ما كفاه حتى أرسل يطلب سواه فقال له العبد أنا ما أخبرتك ان
مولاى مواظب على جز الجزور وشرب الخمور وهو فى فرح وسرور وقد فرق الاموال على ماعنده من
العرب وهو مايكفيه كافية لأجل هذا السبب ثم قال العبد ويلك يا ملك الزمان وأنت كل الناس تعلم انك ملك
العربان وتعلم أن سيدى عنتر جاره لا يضام وثاره لا يرام فكيف يفعل حصن فعل أولاد اللئام ويقتل سيدى
غصوب غدرا ويأتى اليك تعطيه الذمام وكل من كان حاضرا فى هذا المكان يعلم صدق قولى والاحكام ترى
ياسيدى أنت ماتعرف قدر مولاى عنتر فى الحرب والطعان والمروأة وصدق الكلام واطعام الطعام فلما
سمعت العرب ذلك الكلام شهدت لعنتر بالجود والاكرام والمودة وحسن الشيم دون فرسان هذا الزمان
وأما الاسود لما سمع هذا القول ومعانيه قال يحق له ان يفعل هذه الفعال ويطلب هذه الاموال لانها الا هى
من ماله ولا من مال أبيه ﴿قال الراوى ﴾ فعند ذلك أقبل الملك الاسود عليهم بعدما مدحوا عنتر وشكروه وقال
لهم مايكون الرأى وما الذى على به تشيرون فقالت بنو شيبان نحن نفدى صاحبنا خداش من الاسر والهوان
ونفديه بالمال ولا ندعه فى الاسر والاعتقال وقالت بنو سليم ونحن أيضا نفدى عاطل والمرقال ونرسل لعنتر
ما أراد من المال فلما سمع الملك الاسود مقالهم فقال لهم هذا شئ لا يكون أبدا لانى أنا الذى أرسلتهم الى هؤلاء
الاعداء ومن أجلى حل بهم الردا وأنا أحق منكم بوزن المال والفدا ثم انه فى ساعة الحال أمر الرجال أن

يأتوه بالنوق والجمال وأمر أيضا باحضار الاغنام والعبيد والجوار الحسان والخدام فعند ذلك مضت أصحابه وأحضروا جميع ما ذكره عنتر في كتابه (قال الراوي) فلما نظر الملك الاسود الى ذلك المال الذي هو مقبل اليه وسائر الى عنتر غصبا عن عينيه ندم على ما فعل وتأسف عليه وكيف خرج هذا المال غصبا من بين يديه وقال والله ان هذا مما يدل على طمع عنتر فينا ويقول ما أنفذ الملك الاسود هذه الاموال الا مما قد حل به من الفزع والانذهال ثم قامت عليه القيامه وأكل كفيه على عنتر غيظا وندامه ثم أقبل على الوزير وقال له أيها الاب الكبير دبر أنت برأيك هذا الامر العسير وأبصر من يحمل هذا المال وبه يسير فقال الوزير اذا كان الرأي يا ملك على هذا الحال فما لهذا الامر مثل المنهال لانه صاحب رأي وأفعال وهو صادق في المقال (قال الراوي) وكان هذا المنهال من أعظم الناس في الاصلاح وما توجه في أمر الا ويرزق فيه النجاح لان له عقلا رجيح ولسانا فصيح وكان أيضا يحب عنتر بن شداد فاشتهى الوزير أن يرسله بهذه الاموال والبدار حتى يجدد عهده مع عنتر ويخبره بجميع ما جرى وتدبر (قال الراوي) فلما سمع الملك الاسود كلام الوزير وما به يشير فاستصوب رأيه وما أبداه من التدبير وسلم ذلك المال الى المنهال وأمره بالمسير الى عنتر ومن معه من الرجال فعند ذلك امتثل أمره وانشرح لذلك صدره ثم انه لما تجهز للمسير أقبل عليه حصن بن حذيفة كالمشير وقال له يا منهال خوف عنتر من الملك اذا وصلت اليه بقدر ما تقدر عليه واعلمه بكثرة العرب الذين هم حواليه وانه أنفذ الى كسرى يأتيه بالعجم ويستنجد عليه الاكراد والديلم فلما سمع المنهال من حصن ذلك المقال اغتاظ منه وتغيرت منه أحواله الا انه ما التفت اليه ولا كانه سمع مقاله ثم انه بعد ذلك سار يقطع البراري والقفار وقد أمر عبدا لعنتر أن يسير الى مولاه ويعلمه بقدوم المنهال اليه فعند ذلك سار العبد يقطع التلال حتى وصل الى الجبال ودخل على مولاه عنتر وأعلمه بقدوم المال وانه في صحبة الامير المنهال فلما سمع عنتر من العبد ذلك الكلام فرح وطابت منه الاحوال وركب في ساعة الحال فيمن عنده من الرجال وهم سبيع اليمن الفتى الريبال وولده ميسرة وعروة وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنه وقيس والربيع بن زياد وعمرو بن مالك وبنو عبس وبنو عامر الانجاب وبنو غني وكلاب وما فعل عنتر تلك الفعال الا محبة للامير المنهال لانه علم انه ما سار في هذه النوبة اليه الا خدمة له ومحبة فيه فلما وصل المنهال وقرب من الجبال فاستقبله عنتر ومن معه من الرجال وعاد به الى أن وصلوا الى الجبال وضربت لهم الخيام وأكرمهم غاية الاكرام وأضافهم هو ومن معه على أكل الطعام وشرب المدام مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك قبض منه المال وفرقه على جميع الرجال وأغنى من معه من الابطال وبعد ذلك سأل عنتر من المنهال عن الذي تجدد من قبل العرب المتجمعة عند الملك الاسود فقال المنهال والله يا أبا الفوارس ما ينامون الليل وهم من فزعهم منك في هم وويل فلما سمع عنتر ذلك الكلام زاد به الفرح والابتسام وقال له أيها الملك الكبير وحق اللطيف الخبير ما على قلبي خوف من أحد منهم لا كبيرا ولا صغيرا لا بقليل ولا بكثير ولكن أريدك أن تحمل هذه الرسالة مني وتقول للملك الاسود عني بان عنتر يقول لك بأي سبب تنفذ الى رجال ليس بيني وبينهم معامله ولأي شيء لم تنفذ الى سنان ابن أبي حارثة وحصن بن حذيفة وتدع عنك هذه الامور الحادثة لانهما هما اللذان شردوا عن جفوني نومي وقتلوا ولدي وأحرقوا عليه حشاشة كبدي فانهم لو قتلوني أو احلوا بي الاسر لكان قضي الامر وان أنا أخذتهما أسرى أوف مقام الحرب قهرتهما فيبقى ذلك الوقت مني لهما ان شئت قتلتهما وان شئت أطلقتهما والا أنفذهما الى اسارى حتى أرجع عن محاربتك ولا أدعو الى أذيتك (قال الراوي) فلما سمع المنهال من عنتر ذلك المقال قال له الزم أنت يا أبا الفوارس هذا المقام وقد كفيت شر العتب والملام ثم انه أقام عنده بعد ذلك الكلام ثلاثة أيام وعاد بعد ذلك الى الحيرة بعد ما أطلق عنتر الاسارى (قال الراوي) ثم ان عنتر ودعه وعاد الى الجبال فيمن معه من الرجال فعند ذلك تقدم اليه الربيع بن زياد بوجه بشوش ضحوك وقال له ومن مثلك يا ابن العم وقد أخذت جزية الملوك فلا زلت أبد الدهر مسرور وعدوك مكمود مقهور فلما سمع عنتر مقاله صار ضاحكا متبسما وعلم أنه لو قدر عليه لشرب من دمائه ثم قال له يا ربيع أنا عملت على قدر

طبعي وعلو مجدي وسوف يبقى حديثي يذكر من بعدي على انني بسيوفكم أضرب وبهمتكم أغلب فلما سمع قيس ذلك من عنتر انذهل وتحير وتعجب من مقال عنتر هذا والربيع أخذه الضحك على فعلهما الجميع وعلم أن ذلك المقال من حلم عنتر لانه يعلم ما يصنع معه الربيع من المكر والغدر فهذا ما كان من هؤلاء وما كان لهم من الاحوال (قال الراوي) وأما ما كان من المنهال فانه سار هو ومن معه من الرجال الذين كانوا في الاسر والاعتقال وقد رد عليهم عنتر خيلهم وسلاحهم وفرحوا بخلاصهم وسلامة أرواحهم حتى وصلوا الى الحيرة واخبروا الملك الاسود بوصولهم فخلع عليهم وطيب قلوبهم ثم انه بعد ذلك الحال التفت الى المنهال وقال له الآن أخبرني ما الذي فعل عنتر من الفعال وما قال من المقال فاعاد عليه جميع ما حصل من الجواب والعرب يسمعوا ذلك الخطاب فلما سمع ذو الخمار تلك الاخبار انطلق في قلبه النار ونهض من بين رجاله وقال يا ملك الزمان أناله ولا مثاله والله لا يخرج اليه في هذه النوبة غيري وسوف يتبين لك شري من خيري (قال الراوي) فلما سمع الملك وهب بن موهوب ذلك المقال التفت الى الملك الاسود وقال له اذا اراد ابن عمي أن يسير الى عنتر سرت أنا معه فيمن عنده من الجيش وقلعنا منه الاثر وارسل أنت معي من أردت من الجيش حتى نبذل في أعدانا السيوف البواتر ونأخذ روح عنتر من بين جنبيه ونجتهد أن يكون لنا النصر عليه فلما سمع عاطل من ذي الخمار ذلك المقال قال له الرأي عندي أنك لا تتعرض لعنتر بحال من الاحوال لانك والله ما أنت من رجاله ولا تعد من أشكاله ولو اجتمعت عليه سكان البراري والقفار من جميع العرب الاخيار ما نالوا منه الغبار فقال ذو الخمار يا عاطل لابد ما أجعل عنتر ملقى على الرمال فعند ذلك نادى الملك الاسود بين العربان وأعلمهم بمسير ذي الخمار الى لقاء عنتر الفارس الكرار فلما سمعت العربان بمسير ذي الخمار اعلمهم أنه بعد تحت الغبار بسبعة آلاف فارس كرار فرحت سائر الابطال فلما كان ذلك اليوم وسمع كلام عاطل وما أشار اليه اسودت الدنيا في عينيه وقال له اعلم يا عاطل أنك تكلمت بكلام باطل وأنت قد وقع بك الذل والخجل لانه أسرك وأنزل بك الزال ولكن سوف تسمع ما يصل اليك من الخبر وها أنا سائر لذلك العبد الاغبر أنزل به العبر فقال له عاطل أنا ما قلت لك الا ما علمت وها أنا أخبرتك بما أبصرت وشاهدت وبعد ذلك فانت أخبر بذلك الانسان واذا كذبتني فسوف تشاهد بالاعيان وأما عنتر فما يتزعج من هذه الفرسان المتواتره لانهما ما تحمل من جولانه جولة واحده لانه قال أنا ما بيني وبين القوم معامله وأنا في ثاري من دون الفرسان الا عند حصن بن حذيفة وسنان فان أراد الاسود ان يرجع عنتر عن القتال فيرسلهما اليه في الاسر والاعتقال (قال الراوي) فلما سمع الاسود ذلك المقال تغيرت منه الاحوال وقال ما أراد عنتر الا ويحط موضعي ولا كانت معاملته بعد هذه الفعال الا معي لانه يريد أخذ هؤلاء الرجال من يدي وهما قد استجاروا بي وطرحوا أنفسهما علي ويريد عنتر أن أتخلى عنهما حتى تتحكم فيهما الاعدا وأي قبيح أعظم من هذا وان كان عنتر ما يفعل ذلك الا لاجل قتلهما ولده فها قد قتل منهم ألف وأربعمائة قتيل بيده وكل هذه الفعال اسراف وما هو طالب بعد هذا الا الجور وقلة الانصاف والا لو كان عنتر عاقلا في الامور المناسبة كان وطئ بساطي وترك هذه المحاربة وكان شكا لي حاله وما طرقه حتى كنت آخذ له من عدوه حقه وكان يأتيه الامر كما يريد دون نصاح الفساد ولا كان أظهر لنا هذه العداوة والعناد (قال الراوي) ثم انه بعد ذلك الشان أقبل على حصن وسنان وقال لهما أنتم تعلمون انكما طلبة عنتر وأخصامه فليتجرد كل واحد منكما في أقوامه ويسير مع من يسير من يومه واهجموا على عنتر وكاثروه ولعلكما ان تقتلوه وتأسروه (قال الراوي) فلما سمع حصن مقال الملك الاسود وما اليه دعاه اصفر لونه وارتجفت أعضاه فقال له الاسود لا تفزع يا حصن من هذا الشان فها بني شيبان تسير معكما ومن معهم من العربان في ثلاثين ألف من الاقران وأنتم في خمسة آلاف فارس من كل بطل مداعس وهذا فارس الهيجاء سبيع معكما والملك وهب بن موهوب في ثلاثين ألف فارس وأظن اذا كان هذا الجمع معكم لم تعجزوا عن هذا الكلب الاكلب والذئب الاجرب وان ثبت اليكم احملوا عليه كلكم واقتلوه واسبوا ما معه من أناسه واسبوا

عياله واثنونى برأسه وان هو هرب كان قتاله أقوى بسبب لأنه ما يقدر يصعد الى السماء ولا له فى العرب ملتجأ ولا حما لكثرة ما عليه من الدما واذا عامت العرب انى مطالبه على التحقيق فما يبقى له محب ولا صديق فلما سمع حصن ذلك المقال خف عنه بعض الاثقال وقويت نفسه على لقى الأهوال الا كون ان سبيع بن الحرث معه هو ومن معه من الرجال ثم اقبل على الملك الاسود وقال له اذا وصلنا الى عنتر فلابد من برازه دون الجيوش فاما ان آخذه فى مقام القراع أو هو يقتلنى وأستريح من هذا الصداع ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع الملك الاسود ذلك المقال قال له اذا كان الامر على هذا الحال فخذوا أهبتكم للسير مع الرجال فعند ذلك قام حصن ومن معه من أصحابه وأمر بنى فزارة بأخذ الاهبة واما الملك الاسود فانه دعا بمفرج بن هلال ومن معه من الرجال وكذلك بنى شيبان وجميع ملوك العربان فلما حضروا بين يديه قبلوا الارض وسلموا عليه فقال لهم أريد أن تسيروا كلكم وتهجمون على عنتر وتأخذون منه بثاركم فقالوا سمعا وطاعة وكلنا نسير فى هذه الساعة وهذا مرادنا وأكثر أغراضنا ﴿ قال الراوى ﴾ ثم انهم خرجوا من عند الملك الاسود وأعلموا جنودهم بما قد تجدد فعند ذلك برزت الجيوش الى ظاهر الحيرة وأطلالها وتفرقت الناس الى قضاء أشغالها وبعد ذلك تجردوا فى خمسة وستين ألف فارس من كل بطل مداعس وفيهم مثل ذو الخمار والملك وهب بن موهوب الفارس الكرار وعاطل بن المثنى والمرقال وحصن بن حذيفة بمن معه من الرجال وخداش وجابر الفارس الصنديد وصفوان بن سعيد وعمرو بن ماجد ومسعود بن خالد وعكرمة بن جندل ومفرج بن هلال وسنان بن عبد العزى الفارس الرئبال وهلال بن ماجد ومسعود بن حامد وطارق بن سابق وسعدان بن أكال المرابر هذا والجيش قد سار كانه البحر الزاخر والموج الهادر الذى ليس له أول من آخر والكل غايصين فى الحديد والزرد النضيد ثم انهم بعد ذلك ودعوا الملك الاسود وساروا يقطعون البر والفدفد وكل كتيبة خلف مقدمها وأما بنو حمير وفارسها فقد سارت فى أوائل الجيش ولم يزالوا مجدين والى نحو عنتر طالبين فلما نظر الوزير الى تلك الخلائق والجيوش الذين قد ساروا الى لقاء عنتر انذهل وتحير وخاف على عنتر صديقه أن يدهموه على غفلة منه فما كان من الامر الا انه كتب اليه كتاب يخبره بما جرى من تلك الاسباب وما سار اليه من تلك الفرسان الانجاب وسمى لهم جميع أسماهم وأعلمه أن سبيع سائر معهم وانهم قد ساروا عن الحيره وهذه النوبه نوبة كبيره فخذ حذرك ودبر أمرك ثم انه أنفذ الكتاب مع عبده وامره أن يحترز على نفسه من ضده فعند ذلك ركب العبد على نجيبه وسار فى البر حتى ترك الجيش من خلف ظهره واستمر على الطريق المستقيمه وارخى الزمام للبعير وسار يقطع البرارى والهجير ولم يزل على ذلك الحال وهو يجد المسير والترحال حتى وصل الى الجبال وعندها قصد أبيات عنتر فوجده جالسا على باب المضرب فسلم عليه وناوله الكتاب ففرح عنتر وسلم عليه وسأله عن مولاه ثم أعطى الكتاب لعروة ابن الورد وأمره أن يقراه عليه فقرأه فعرف عنتر معناه فامر عروة ان يكتب اليه رد الجواب وقال له قل له عن لسانى أيها السيد نحن قرأنا كتابك وعرفنا خطابك فلا عدمناك وأطال الرب القديم لنا عمرك وبقاك فوحق ذمة العرب والعبد اذا طلب من الرب غلب فسار الى كسرى فى مرازبته وقيصر معه فى أبطاله والاسود وعشائره ومن معه من الفرسان ممن يقوم بناصرهم لا نزل بهم الذل والهوان لانى أعلم ان الاجل لا يزيد ولا ينقص بهذا العمل والموت اذا حضر لا يتقدم ولا يتأخر وسوف أريك ما يسرك على طول الايام والليالى بمن قد سار الى قتالى ولافرقنهم تفريق الغنم اذا الذئب عليها قد هجم ولاتركنهم جميعا احاديثا للامم فعند ذلك كتب عروة جميع ما قال عنتر ونظم فى الجواب ونثر وبعد ذلك طوى الكتاب وسلمه للعبد النجاب فاخذه وسار طالب أرض الحيرة وتلك الديار وبعد مسير العبد بذلك الكتاب نهض عنتر وسار الى الملك قيس ليعلمه بهذه الاسباب فلما وصل اليه وجد عنده جماعة من الاصحاب وهم بنو عبس وعامر وكلاب فلما وصل اليهم سلم عليهم وأعلمهم بمن سار اليهم وقص القصة عليهم وقال لهم أى شئ تريدون تفعلون وأى شئ ترون من الرأى فى هذه النوبة فقد سار اليكم فيها خمسة وستون الف فارس مع سبيع بن الحارث وهو الذى ليس له فى الحرب مقايس

وقد اجتمعت العرب على انه يعد بسبعة آلاف فارس فلما سمع الملك قيس تلك المعنى فقال اننا نسير اليهم فى هذه النوبة كا اونلتقى هؤلاء الأشرار ونكون على حذر من هذا الفارس الجبار المسمى بذى الخمار فلما سمع عنتر هذا المقال قال ما هذا رأى بصير لأن هذا خلق كثير ما لهم عدد وهم فى عدة كاملة ونحن فى قلة وان أبعدنا عن هذه الجبال فيكون رأينا باطل لاننا نخاف أن تميل علينا طائفة أخرى من الرجال فيملكون الجبال ويأخذون الاموال ويسبوا الحريم والعيال وأنا عولت على غير هذا الحال وهو انى آخذ معى أخى مازن وسبيع اليمن وولدى ميسره ومائتين فارس أخرى وأسير اليهم فلابد أن يكون لهم طلائع قدامهم فالتقيهم أنا وما أعود حتى أقتل مقدم الطليعة ونكون قد قطعنا ظهورهم بهذه الصنيعة فلما سمع الملك قيس ذلك المقال قال له افعل ما شئت يا أسد الدحال فعند ذلك تجهز عنتر وأخذ معه الرجال مثل ما أمر وسار طالب الطليعة وهو ناوى لهم على ان ينزل بهم المصيبة ﴿ قال الراوى ﴾ فلما مضى عنتر ومن معه من الرجال أمر الملك قيس فى عاجل الحال أن تنادى العبيد فى القبائل باخذ الاهبة للقتال فعند ذلك تفرقت العبيد وأعلمت القريب والبعيد فحملت الفرسان تفتقد العدد والدروع والزرد والبيض والخود وأقاموا على ذلك الحال وقد رتبوا الدبادبة على رؤس الجبال فهذا ما كان من هؤلاء وما تجدد منهم وأما ما كان من جيوش الملك الاسود فانها سارت جميع الرجال وهم يجدون الترحال ويقطعون الروابى والتلال وقد تقدم فى طليعة الرجال خداش وعاطل والمرقال وهم كانهم أسود الدحال وما عندهم أهون من الوبال ولم يزلوا سائرين حتى قربوا من الجبال واذا قد بانت لهم الخيل وعلى ظهورها الرجال ﴿ قال الراوى ﴾ فلما نظر عاطل بن المثنى الى ذلك الحال أرسل فارس الى الملك وهب ليعلمه بتلك الاحوال ويخبره أنهم قد أشرفوا على طليعة عنتر فعند ذلك مضى الرسول الى الملك وهب ابن موهوب ووقف عاطل ومن معه وقد تجهز للحروب فبينما هم على ذلك الحال واذا بالخيل قد ظهرت من فم الوادى من قريب وبعيد وقد ظهرت الرجال وهم كانهم سد من حديد وقد برق على أجسادهم الزرد النضيد وعنتر بن شداد فى أوائلهم بذلك الهيكل والطول وهو مع ذلك ينشد ويقول

أسير الى الاعدا بالبيض والقنا * وأشبعهم ضربا ببيض قواضب
ألا مبلغا عنى سبيع رسالتى * ووهب بن موهوب الطغاة الكواذب
بانى أمير فى البوادى كلها * مبيد الاعادى عند اشتباك القواضب
وقد ذقتمونا مرة بعد مرة * وعلم بيان المرء عند التجارب
وانى أنا عنتر بنى عبس الذى * رقيت الى أعلا السماك الكواكب
سبيع لقد حدثت نفسك باطلا * وأوردتها فى مهلكات المصائب
سبيع لقد أوردت روحك للردا * وأنت على هذا الحساب لكاذب
نسيت فعالى يوم وقعة عامر * وأضحيت مرميا فوق أعلا الترائب
أنا عنتر العبسى أحمى عشيرتى * على ضامر كالريح صلب الجوانب
وربى أعطانى النصر فى كل موقف * اذا كنت فى يوم الحروب أضارب

﴿ قال الراوى ﴾ فلما فرغ عنتر من هذه الابيات حمل على عاطل حملة الاسد الوثاب وقاربه حتى حك الركاب وقال له ويلك يا نسل الكلاب من أمس أطلقت من مخاليب الحمام وأنت اليوم تريد منى الصدام فبينما عنتر مع عاطل فى الكلام واذا بنبلة قد وقعت فى جواد عاطل فتأخر الى وراه وتقهقر ونفضه الجواد من على ظهره ورماه فوقع عاطل من أعلاه فانذهل عنتر وتحير واذا با خيه شيبوب قد انقض عليه مثل البرق اذا برق وبرك على صدر عاطل شد زنوده مع المفاصل وقال لاخيه عنتر أنا الذى أشد أسيرى بيدى وأوثق شداده لانى أنا الذى قتلت جواده ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع عنتر كلامه زاد ضحكه وابتسامه وتركه يكتف عاطل وحمل على الاعداء كانه البلاء النازل فانذهل من حملته كل شجاع واحمرت من الدماء جميع البقاع وهمهمت

السباع وتاها لجبان ذلك اليوم وضاع فبينما الناس فى ذلك الامر والحال واذا بصائح من وسط المعمعة يصيح بالعدنان أنا قامع الابطال والشجعان فعندها التفت الامير عنتر ينظر من صاح فى المجال واذا به سبيع اليمن قد أسر المرقال وقد سار معه فى الامر والاذلال فلما نظر عنتر الى ذلك الامر الذى قد جرى فرح بذلك واستبشر واذا بصائح يصيح عن يمين الجيش ويقول أنا الاسد القسورة ميسرة بن عنتر عندها التفت عنتر اليه واذا به قد أسر خداش وهو ينقاد بين يديه ولما علم عنتر بهذا الحال سطا بسيفه على الابطال وأطاح الرجال فى المجال وخاضت الخيل فى الدماء وقد حل ببنى شيبان الويل والعماء عندها ولت الاعداء الادبار وطلبت الهرب والفرار ثم تبعتها بنو سليم وقد عاينت من سيف عنتر البلاء العظيم وهو يصرخ فى أعقابهم و يطعن فى صدورهم وأجنابهم وظهورهم ولم يزل وراءهم أكثر من فرسخين و بعدها رجع مع أصحابه وهم منصورون وقد حازوا الغنائم والاموال بعد أن شتتوا أصحابها فى أحاقيف الجبال و بعدها جمع عنتر قدام الخيل والاسارى والابطال مربوطين بين يديه فى الحبال وهو فرحان بما ناله من بلوغ الآمال وهو ينشد ويقول

أيا صاحبى عرج على عرصة الحما * فتلك قباب شرعت وخيام
بها ن رأيت الشمس تطلع فى الدجا * وتجلين عن تلك الخيام ظلام
و بين قباب ذلك الحى خودة * تميس بقد واضح وقوام
اذا خطرت يهتز لين قوامها * ولا نقض ان ألقى هناك حمام
فيا قلب ان تصبر والا فت جوى * ومن مات فى عشق فليس يلام
رعى الله أيام الشباب التى مضت * ان العمر يفنى والزمان غلام
أنا القاتل الهلاك كل كتيبة * اذا ما أصبت الخصم ليس يضام
أخوض عجاج الحرب فى بعزمة * يقصر عنها ذابل وحسام
سل حمير عنى وهمدان اذ أتت * وفرسانهما والجيشان قيام
ومن أطفأ النار التى أوقدوا العدا * وكان لها فى الخافقين ضرام
طفاها فتى من آل عبس وفخرهم * يخوض عجاج الحرب وهى قتام
وكم كربة فرجتها بمهند * والموت ما بين النفوس حمام
وروحى فدا أبناء عبس وعامر * وانى بعزم صادق ومقام
فبلغ أخى النعمان خبر بلية * سأتركه لا يستطيع كلام

﴿ قال الراوى ﴾ ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى الجبلين فالتقاهم الملك قيس واخوته والاخوص ابن جعفر و وجوه عشيرته وانطلقت الالسن بشكر عنتر والثناء عليه وأخذوه بالاحضان وأنزلوه فى الخيام واستقر بهم المقام فامر عنتر باحضار عاطل فحضر اليه فقام عنتر وضربه الضرب الوجيع حتى ترك دمه نجيع وقال له ويلك يا كلب يا لئيم رجعت الى خساسة أصلك يا زنيم ثم انه شده وتركه فى الاعتقال وقدم من بعده خداش والمرقال ومازال يضربهم حتى أنزل بهم الذل والخبال و بعد ذلك شدهم بجانب عاطل فى الحبال وبعد ذلك قاموا فى لعب وانشراح الى أن طلعت غرة الصباح فاقبل عنتر على الملك قيس وقال له أيها الملك قد رأيت من الراى الذى نبلغ به مرادنا والآمال انك تنادى فى الرجال والابطال بان يأخذوا أهبتهم للحرب والقتال وكلهم يستعدوا ويخرجوا الى الجبال ولا يبقى هاهنا الا الحريم والعيال فلما سمع الملك قيس من عنتر ذلك المقال استصوب رأيه فيما قال وعلم انه ما تكلم الا بالصواب من قبل أن تأتى الجيوش من سائر الهضاب وتملك عليهم الربا والرحاب ويبقوا محصورين فى الجبال و يضيق عليهم الحال عند الحرب والقتال ﴿ قال الراوى ﴾ ثم ان الملك قيس فى عاجل الحال زعق فى الفرسان والابطال فتأهبت وخرجت الى ظاهر الجبال وهم للحرب مستعدين وساروا عن الجبال أكثر من فرسخين عندها قال لهم عنتر

انزلوا هاهنا حتى يأتيكم الغريم ولا تبعدوا عن الاموال والحريم لاننا ما ندرى كيف يكون الحال اذا أتت هذه الجيوش التى كانها السيل اذا سال فعند ذلك نزلوا فى ذلك المكان وأقاموا ينتظرون قدوم العربان ﴿ قال الراوى ﴾ وقد كنا ذكرنا لكم قبل هذه الوقعة التى تذكر ان عاطل بن المثنى قد أنفذ الى الملك وهب بن موهوب وسبيع بن الحارث يخبرهم بالخبر وهو يقول لهم انه وقع ابطاعة عنتر فاما منهم الامير ركب وتحضر وسار فى أوائلهم سبيع بن الحارث وقد هدر و زمجر وهو يقول يا ترى اللات والعزى تظفرنى بعنتر حتى أفتخر باسره على سائر البشر واشفى ما بقلبى من الغصص والضرر أو يأسرنى مثل العادة و ينزل بى الذل والكدر ثم انه سار فى أوائل الخيل والابطال من خلفه مثل السيل وقد قلعت فى عاجل الحال الخيام ونشرت الرايات والاعلام وسارت المواكب يتلو بعضها بعض وقد ملؤا بكثرتهم جنبات الارض طولا وعرض والخيل من تحتهم تتسابق وقد صارت المواكب تتدافق والملك وهب بن موهوب يقول لهم جدوا فعنتر مأخوذ بلا محالة وما يكون الا افتخار لكم دون غيركم الا انهم ما ساروا فى تلك القفار غير ساعة من النهار حتى اقبلت عليهم المنهزمين وهم مشاة مجرحين وقد رموا امامهم من العدد وهم يصيحون بالويل والنكد ﴿ قال الراوى ﴾ فلما نظرت الفرسان الى ذلك الامر والشان تقدم ذو الخمار اليهم والملك وهب ومن معهم من الشجعان وكذلك حصن بن حذيفة وسنان وسألوا المنهزمين عن حالهم وما تم عليهم ونالهم فاخبروهم بما حل بهم من الوساوس وان عنتر قد التقاهم وهو فى مائتين فارس وأنزل بهم الذل والخبال وأسر عاطل وخداش والمرقال وأخذ منا مائة أسير وابلانا بالذل والتعتير وشتتنا فى جنبات السحر وهذا حالنا كما ترى ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع ذو الخمار منهم هذا المقال تغيرت منه الاحوال و زادت نيرانه اشتعال وقال والله ما هذه الا مصيبة قويه ثم انهم ساروا يقطعون المهاد حتى أشرفوا على بنى عبس وعنتر بن شداد وهم فى تلك الكتائب والمواكب فركبت بنو عبس وتبادرت اليهم من كل جانب وصاحت الشجعان وتبادرت الاقران هذا وعنتر قد ركب جواده الابجر وقد هدر و زمجر ولما انكشفت الغبرة حتى رتب أصحابه ميمنة وميسرة وقلب و جناحين وقد وعدهم أن ينزل باعدائهم البلاء المبين وكان عنتر قد جعل فى الميمنة عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة فارس الخيل و جعل فى الميسرة علقمة بن علاثة الفارس الغضنفر و بجانبه الاخوص بن جعفر وأوقف الملك قيس بين القبيلتين وترك بنى عبس فى الجناحين ووقف هو فى مائتين فارس من الشجعان فى وسط الميدان ووقف ينظر براز الفرسان فلما وقعت العين على العين فد سبيع نظره فرأى عنتر وهو واقف بين الجيوش والمائتين فارس الذين خلفه كانهم الجن أو الابالس وعنتر متكى على رمحه وقد أثنى رجله على قربوص سرجه وهو واقف منتظر من يبرز اليه ﴿ قال الراوى ﴾ عند ذلك انتخب سبيع ألفين فارس من بنى حمير وتقدم هو الى نحو عنتر وقد أراد أن يبين فروسيته لاقرانه فعند ذلك رد عنتر رجله فى الركاب واقتلع رمحه من التراب و زعق فى بنى عمه فحملوا وللسيوف فى رقاب الاعداء بذلوا فلما أن رأى سبيع الى هذا الحال زعق زعقة ارتجت منها الجبال ودوت لها الاقطار وتلك الارض وتزلزلت طولا وعرض وانطبقت الفرسان على بعضهم البعض والتحم بين الطائفتين القتال وقد حمل ذو الخمار والتقى بعنتر فى ساحة الميدان واصطدما اصطدام الجبال وتضاربا بالسيوف الصقال وتطاعنا بالرماح الطوال وقد جرى بينهما عجائب وأهوال وذهب الغل من قلوبهما و زال وقد طلب كل واحد منهما صاحبه وذاق طعانه ومضاربه وقد جرى بينهما طعان ما أذهل الفريقان هذا و بنى عبس و بنى حمير قد جرت بينهما العبر وطارت الرؤس منهم كالاكر وسمحوا بالابدان و زاد الحرب نيران وعلا الصياح من الفريقان وصالت الفرسان وكان لهم يوم من أيام الزمان اناعت به الارواح بيع الهوان هذا وميسرة ابن عنتر قد سطى على بنى حمير وأظهر فيهم العبر وسبيع اليمن قد أبدى مضاربه وما قصر وأما مازن فقد ترك الجماجم تتحدر هذا وعمرو قد هدر و زمجر وصاح فى رجاله وما قصر هذا وقد فاض الجميع و زخر و زاد

الغبار واداوا اعتكر وصفقت موجات بحار الجيش وامت الخيل بالجماجم كالاكر وثبت الفارس الصنديد
وجال على خصمه واستظهر وطاب الجبان الهرب فى البر الاقفر وقد زاد الغبار سوادا واعتكر وزعق الغراب
على فناء الاعمار حتى ان الرفيق أنكر رفيقه غاية الانكار وتساوت العبيد بالاحرار وقد حكم عليهم بذلك
الملك الجبار الذى يفعل بعباده مايشاء ويختار ﴿ قال الراوى ﴾ فلم تكن الاساعة من النهار حتى وقع فى
بنى حمير الفناء والدمار وحل بهم الانبهار وقل منهم الاصطبار بعد ان أرادوا الثبات تحت الغبار فوقعوا فى
بحر من النار وقد هلك منهم جماعة مالها مقدار وعادوا الباقين على الاعقاب وطلبوا الفرار وقد حل بهم
البوار لما راوا من بنى عبس حرب مثل شعل النار ﴿ قال الراوى ﴾ هذا وعنتر وسبيع قد أوسعا فى الميدان
وأخذوا فى الجولان وتأخرت عنهم الفرسان هذا وبنو عبس قد وقفت فى البر بعد ما كسرت بنى حمير وجعلوا
ينظرون ما يجرى بين ذو الخمار وعنتر وهم فى صدام وزام وتجريع الموت وشرب كاس الحمام الى أن أظلم
عليهم الظلام فعند ذلك افترقا عن الصدام وعاد كل واحد منهم الى الخيام هذا والملك قيس قد التقى بعنتر
وله شكر وقال له يا أبا الفوارس كيف لقيت خصمك لانه كان فى ذلك اليوم من قسمك فقال له عنتر ياملك
وحق من أوسع البقاع وتفرد بالوحدانية والارتفاع ماهو الافارس وقرم مناع ولكن أيها الملك وحق من
له القدرة لابد أن آسره وأنزل به المضرة لانى قد أسرته كم مره وأطلقته ولكن والله ياملك ما قابلت فى العرب قط
مثله ولارأيت من يفعل كفعله على ان جميع ما عنده من الشجاعة فى الميدان بغير صناعة ولكنه صاحب
قوة وجنان وجسارة على الفرسان وفى آخر النهار بان لى منه التقصير وقد عرفت ذلك منه معرفة
الرجل الخبير ولولا ان الليل قد أتى بالظلام والا قد نلت منه المرام ومع ذلك فما رأيت أن أبيته فى الميدان
لانى خفت عليكم من كثرة الجيوش والعربان لئلا أن يميلوا عليكم فى سواد الليل اذا رأونى قد استظهرت عليه
وحل به الويل ثم ان عنتر بعد ذلك الكلام أخذ معه رجاله عشيرة وقد تجرد لحرس قومه وكذلك سار معه
عروة بن الورد ورجاله وتولى الحرس مع عنتر ليحملوا اثقاله ﴿ قال الراوى ﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وأما
ما كان من ذو الخمار فانه لما عاد من الصدام ومقام الاخطار افتقد أصحابه فوجد قد فقد منهم الفين فارس
كرار فقال لهم لعن الله أبا لحاكم ياويلكم ما الذى جرى عليكم حتى أطمعتم بنى عبس فيكم وانتم فى جملة فوارس
وهم فى مائتين فارس فوالله لولا اشتغالى فى هذا اليوم بعنتر لكنت كسرت هذا الجيش وبعد ذلك لابد لى فى
غداة غد من برازه وأبدل بالذل اعزازه فعند ذلك أقبل عليه الملك وهب بن موهوب وهناه بالسلامة من
غائلة الحروب وقال له كيف رأيت خصمك ياذا الخمار لانى رأيته فارس جبار وبطل مغوار فقال له ياملك
وهب والله ماهو الا بطل شجاع وقرم مناع فوحق اللات والعزى والهبل الاعلى ماينتج الزمان بمثله ولا
أحد عند الحروب والطعان يفعل كفعله عند ملتقى الابطال ومداراة الاقيال وكل ما فيه من الشجاعة
صبر وصناعة وقوة وبراعة ﴿ قال الراوى ﴾ ثم انه بعد ذلك المقال تولى حرس من معه فى جماعة من الرجال
وأشعلوا النيران وتحارس الفريقان وقد علا منهم الصياح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم
بنوره ولاح وذكرت قامة سيدنا محمد زين النبيين الملاح صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما طلع نجم فى السماء
ولاح فعند ذلك ثارت الفرسان الاوقاح وقد ركبوا الجرد القداح واعتقلوا بعوامل الرماح وترتبوا فى مقام
الحرب والكفاح ولما ترتبت الصفوف وتعدلت المياه والالوف وقد سارت الجيوش فى مقابلة بعضهم
البعض فعند ذلك دعا الملك وهب بن موهوب وسبيع بن الحارث برجل من أصحابه يقال له سعد بن كثير
وكان من الشجعان وهو فصيح اللسان وقال له امض يا ابن العم الى عنتر فاذا حضرت قدامه فقل له سبيع
ابن الحارث يسلم عليك وما أرسلنى بهذه الرسالة الا شفقة منه عليك وهو يقول لك ان الابطال تغار على
الابطال وليس الناس كلهم سوى ومن لم يحسب لاحد حساب كان القتل له دوى وبعد ذلك فانا ما أريد أن
أخرق ناموسك ولا بينى وبينك دم ولا مطالبة حتى أنزل بك ناحوسك واعلم ان الملك الاسود قد ندبنى الى
قتالك وقد ذقت بالامس من حربى ما أهالك فان كنت اعتبرت بما جرى لك وتريد أن تحقن دمك وتصلح

حالك فسلم الى زودك حتى أدخل على الملك الاسود وأطفى عنك هذه النار التى تتوقد وان أبيت فتكون
على نفسك قد تعديت لانى ما أعود عنك حتى اقودك أسير وأنزل بك الذل والتعتير ﴿ قال الراوى ﴾ فلما
سمع الفارس من ذى الخمار ما به قد أشار أجابه بالسمع والطاعة وسار الى عنتر من تلك الساعة فلما وصل
اليه وبقى بين يديه قال له ياحامية عبس وعدنان أنا رسول ومعى كلام واريد قبل ما ألقيه اليك أن تعطينى
الذمام ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع عنتر كلامه ضحك وأعطاه ذمامه ولما نظر الحميرى الى عنتر وكبر جثته
انذهل وتحير من عظم خلقته وقال فى نفسه وحق من له البقاء والدوام ماهو الا بطل همام ولا يقيم سبيع
ابن الحارث مع هذا الفارس ولا يوم من الايام ثم انه بلغ الرسالة وما حمل من المقالة فلما سمع عنتر مقاله وما
أبداه ضحك من كلامه حتى استلقى على قفاه وقال له أيريد سبيع عتيق سبقى أن اسلم اليه روحى وقد ذل
لسطوتى ورمحى وأكون عتقته مرة واثنين وثلاثة وقد تركته بين العرب شماتة ومثلى أنا من يسلم نفسه بلا
قتال الى احد من الرجال حتى كانت العرب تقول عنى لعن الله أباسباله ومن المصائب لا أقاله أى شئ
الذى جرى عليه حتى يسلم نفسه لخصمه من غير قتال وهو قاهر الرجال ومدمر الابطال ولكن لابد لى
ما أتلاطم أنا واياه فى الميدان ويبان الشجاع من الجبان لانه قد أظلم وتعدى وضمن للملك الاسود قتلى أو أسرى
وأنا أيضا قد ضمنت للملك قيس أن أقرنه مع الاسرى وأخليه عبرة لمن يرى وأما هذه الجيوش الذى معه ماهم
عندى الا مثل الغنم السائبة ولم يحملوا من حملاتى حملة واحدة حتى أشردهم فى البر هاربين وأكثرهم
مجروحين فعند ذلك عاد الرسول الى ذى الخمار وأعلمه بجميع الاخبار فلما أن سمع سبيع هذا المقال
هم أن يبرز لى الميدان ويطلب فارس عدنان ﴿ قال الرواى ﴾ واذا بعنتر قد حمل على الميمنة وقلبها على
الميسرة وهو قاصد بحملته حصن بن حذيفه لانه كان فى الميمنة ونظره عنتر وأبصره فلما حققه عنتر بالنظر فما
وجد عنده هدو ولا مصطبر فعند ذلك مال على الميمنة وقد صرخ صرخة مذعرة ومالت معه الفرسان
مثل عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة فارس الخيل وحملت خلفهم بنو عامر وأطلقت الاعنة وكذلك حملت
بنى عبس وثبت الرجال المشهورة وعلت من الفرسان الضجة والرنة ﴿ قال الراوى ﴾ فلما حملت بنى عامر
وبنى عبس التفت أكثر من عشرين ألف بين أيديهم لان حصن بن حذيفة لما رأى عنتر قد حمل وقصده
حلت به البهتة والخيفة وعلم أنه طالبه وان وقع به يعطبه فلم يكن له غير الهزيمة والفرار وقد تبعته بنو فزارة على
الآثار ولما نظرتهم بنى شيبان تبعتهم فى الوديان وقد تبعوهم بنو عبس بقوائم السيوف وقد أسقوهم
شراب الحتوف هذا وعنتر وعامر بن الطفيل قد أنزلوا ببنى فزارة الذل والويل وتركوا العاطب منهم أكثر
من السليم وكذلك فعل بنو سليم وطرحوا أجساد ساداتهم على الوهاد ونهبوا أرواحهم بالرماح المداد
وقطعوا الرقاب بالسيوف الحداد وركضت الصافنات الجياد وجالت بنو عبس جولان الآساد فلله در
عنتر بن شداد وما فعل فى ذلك اليوم وتلك الساعة من الجلاد لانه نهب بحسامه الاجساد وفعل بهم فعل
جبابرة قوم عاد وبعد ذلك عاد من تحت الغبرة بعد ما كسر الميمنة وطلب القلب وكان فيه وهب بن موهوب
﴿ قال الراوى ﴾ وأما ذو الخمار فانه لما نظر الى عنتر وقد حمل على الميمنة وكسر جيشه حمل الآخر على ميسرة
بنى عبس بسطوته وقد أبادهم بشجاعته وفتك فيهم بحسامه وفرقهم من قدامه فعاد يطلب القلب بحملته
﴿ قال الراوى ﴾ وكان فيه الملك قيس واخوته والربيع بن زياد وعشيرته فلما مال ذو الخمار نحوهم
وأراد أن ينكس أعلامهم واذا بالصيحة قد علت والضجة قد ارتفعت فعند ذلك التفت ينظر ما الخبر
واذا بابى الفوارس عنتر وأصحابه من خلفه كأنهم النار ذات الشرار لانهم لما حملوا على القلب وطلبوا
الرجال الكرام فنكسوا الرايات والاعلام وقد أدرك عنتر صاحب العلم الاحمر وطعنه فى صدره
أطلع السنان يلمع من ظهره ولما مال العلم وقتل صاحبه فعند ذلك انهزمت الجيوش وقد حل بهم التعس
والنكس فعاد عنتر وأصحابه طالبين بنى عبس فلما سمع ذو الخمار صرخته ونظره وقد أشرف عليه ترك
بنى عبس وعاد اليه وتلقاه هو ومن معه من رفقاه فعند ذلك عمل بينهما الحرب وقد دارت طاحون

الطعن والضرب واشتد البلاء والكرب وعمل الصارم العضب وثبت الفارس الندب وانتثرت الجماجم والرقاب وشابت الشباب وتقنطرت الرجال من على ظهور الدواب وزعق عليهم البوم والغراب وقد عدمت الاحباب وعظم المصاب وطاب الطعان والضراب وقد عادت الفرسان على الاعقاب وكثر الحنق وزاد القلق وما عدت تسمع سوى حس الصارم على الدرق وقد انتثرت الرؤس مثل نثر الورق ولمع صارم المنايا وبرق وأصابت الاسنة فى النحور والحدق وطلب الجبان الهرب لما رأى الموت والعطب وقد تغيرت الوجوه وخاب ما كانوا أملوه وقد حمل الملك قيس الفارس الغضنفر وأهلك من أجله قد حضر وطلب أبو الفوارس عنتر وكذلك فعلت بنو حمير وطلبت معاونة سبيع بن الحارث بكل ما تقدر عليه وزادت نيران الحرب شرر وقد طلع الغبار واعتكر وبان الشجاع واشتهر وهرب الجبان وطلب الفرر وقد فعل عنتر فى ذلك اليوم فعلا منكر وقد طير الرؤس كالاكر والكفوف مثل أوراق الشجر وصبغ بضرباته الصور ﴿قال الراوى﴾ فبينما هو فى الحرب يجول وهو يجندل الابطال والفحول واذا بعامر بن الطفيل قد لاقاه وهو مخضب بدماه ﴿قال الراوى﴾ وكان عنتر لما حملت الطوائف على بعضها بعض انفصل من براز ذى الخمار وجالا طولا وعرضا الا انه لما نظر ذلك الوقت الى عامر بن الطفيل وهو فى حالة العدم والويل ودماه يجرى مثل السيل قال له ما وراك يا عامر فقال له يا حامية عبس جرحنى سبيع الغادر وأراد أن يهلكنى لولا ملاعب الاسنة قد أدركنى والا كان قتلنى أو أسرنى وقد تركته فى قتاله وأنا اعلم أن ما هو من رجاله ولا يعد من أشكاله ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر ذلك المقال قصد ذلك المكان الذى خرج منه عامر بن الطفيل وشق الرجال وجعل يخترق الجيوش ويجندل الابطال فى ساحة المجال حتى التقى بسبيع بن الحارث وملاعب الاسنة وقد أشرف على الهلاك لان ذا الخمار كان فارس فتاك وقد أدركه عنتر وصدمه وزعق فيه وهاجه ووقع الحديد على الحديد وقد بان الضعيف من الشديد وأوسعا بين الجيشين وهما يتمازان على ظهور الجوادين وفتحا لهما فى الحرب ميدانا وأجادا الضرب والطعانا حتى حير وابعضهما بعض الاثنين وباحا بالاسرار وجرت الدماء من أجسادهما مثل الانهار وقد اشتد الحرب وزاد البلاء والكرب وقد التصقا وافترقا واصطدما والتزما وكان كانهما سبعين تهاجما أو جبلين تصادما حتى كلت من تحتهما الخيل وتعبت سواعدهما والحيل ﴿قال لراوى﴾ فبينما هما على ذلك السبب واذا بالملك وهب ومن معه قد عاد من الهرب لما انقطع من خلفهم الطلب ولما أقبلوا حملوا وطلبوا القتال وقد كثر على بنى عبس الاهوال وقد هاجتها تلك الابطال وأقبلت القبائل التى كانت انهزمت وسارت تقاتل لمعاونة سبيع لما تبينه هو وعنتر فى ضربات السيوف الفواصل وحملت على بنى عبس بقلوب حنقة ونيات متفقة وضربت بسيوفها البارقة فقطعت كل خوذة وطارقة وطاعت الارواح من الابدان مفارقة وطعنت الفرسان بالرماح الخارقة وصارت الدماء من أبدانهم متدافقة ﴿قال الراوى﴾ هذا وعنتر وذو الخمار قد انفصلا عن الحرب والقتال وحمل كل واحد منهما مع قومه وكان ذلك الوقت أوان العصر وقد اشتد بينهما الحرب وحل بهما الحصر ولم ير أعظم ما جرى بينهما فى تلك الساعة لانه قد بين فيه الشجاع الشجاعه والجبان قد انقطعت أمعاؤه وما كانت الا ساعة ما تقاس بالساعات انباعت فيها الارواح ببيع السماح وجرت الدماء من أنابيب الجراح وهبت للموت نسمات الارياح وقد سمحوا بالارواح بعد ما كانوا بها شحاح وعلا منهم الصياح ونفذت فى الصدور الرماح وقطعت الرقاب بالبيض الصفاح وجرت الدماء ذلك اليوم فى البطاح وحام الغراب على القتلا وناح ولم يزالوا على ذلك الرواح حتى ضجروا من الكفاح وقد ولى النهار وأقبل الليل واسودت الاقطار وقد انفصلت الطوائف وأمن قلب كل خائف وعادت جيوش الملك الاسود بالذل والتعتير وقد هلك منهم خلق كثير وعادت بنى عبس على قلتها راجعة وهى بالنصر فارحة وجميع الرجال والامراء كلهم يثنون على عنتر ولكنه قد زاد به الغيظ والحرد كيف ما نال من سبيع غرض ولا أشفى منه مرض ثم انهم باتوا يتحارسون الى الصباح وقد ثارت الرجال تطلب الحرب والكفاح وقد ركبت بنى عبس

وبنى عامر وكذلك ركبت جيوش الملك الاسود وهى كانها البحار الزواخر الا ان قلوبهم خافقة ونياتهم غير موافقة ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر سبيع الى جيوشه ونياتهم باردة عن الحرب والقتال تغيرت أحواله وما منهم الا من يذكر عنتر وفعاله وقد وقع الفزع فى قلوبهم من قتاله فلم يجد ذو الخمار له صبر بل غضب وجرد وقال لابد لى من الخروج اليه وأخذ روحه من بين جنبيه ثم انه قفز الى الميدان وهو راكب على جواد غايظ بين عينيه غره كانها كوكب الزهره له على الجولان قدره سالم من كل عيب كانه الغزال عند وثبته ويسبق النعام بسرعته ويذعر القلوب لنهضته كانه الدولاب عند دورانه وعليه درع ضيق العيون كانه حصن من الحصون يردع عن صاحبه أسباب المنون وعلى راسه بيضة عادية كانها الفضة النقية وهو متقلد بسيف أبتر حسن الصقل مجوهر يأخذ بالبصر وفى يده رمح معتدل عليه سنان كانه لسان ثعبان ﴿قال الراوى﴾ ولما سار بين الصفين ونظرته الفريقين صال وجال وساق جواده فى حومة المجال ولعب برمحه الاسمر وقد اشتهر بنفسه وافتخر وحمل الى نحو الامير عنتر وهو كانه الاسد الغضنفر ثم انه أنشد يقول صلوا على طه الرسول

أنا الفارس المقدام فى حومة الوغا * اذا سبحت جرد الصوافن فى الدم
وما كنت فى بذل المكارم باخلا * وفى الحرب أتى كل قيل مقدم
وقد طال ما صدت الفوارس فى الوغا * وقد قدت منها كل ليث غشمشم
هنالك أروى الذابلات بمرهف * حسام غداة لروع لم يتثلم
سيلقى زعيم القوم ليثا غضنفرا * جريئا على الاقدام عند التقادم
لابد ان أدعيه ملقا معفرا * بضربة فصال أو بطعنة لهدم
فهذا فعالى عند كل كريهة * اذا نادت الابطال هل من مصادم

﴿قال الراوى﴾ ثم انه ما تم كلامه حتى برز اليه الامير عنتر وصار قدامه وقال له ويلك يا سبيع أنت ضاع معك المعروف ولكن لابد ما انزل بك الحتوف وأوريك كيف تعود وأنت خاسر وقلبك ملهوف ثم أشار اليه يقول صلوا على طه الرسول



أيا عبل انى فارس ذو حمية * أفوق على الابطال عند التقدم
ولا تنكرى شيبى وتزرى قوتى * فلى همة تعلو على كل مقدم
سأقسم بالبطحاء والركن والصفا * وأركانها والمروتين وزمزم
لاصطلى نار الحرب فى حومة الوغا * وأسقى العدا كاسا مرارة علقم
أقيم لآل عبس على الناس كلها * بجودى وعزمى فى الوغا وتقدم
اذا نادت الابطال فى الحرب من لها * أنادى أنا والموت للموت مرغم
وفى الكف منى صارم ذو حقيقة * متى ما يقدم فى الضريبة يقدم
وأردى كبش القوم منى بطعنة * ترى الرمح منها يرجف الارض بالدم
أنا الموت الا اننى مانع الحيا * أنا البحر الا اننى غير علقم
أنا عنتر العبسى والموت فى يدى * أجرع به الاعداء شربا بلهدم

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من شعره انطبقا الاثنين على بعضهما كانهما جبلين وافترقا كانهما بحرين وقد زعقا زعقتين مهولتين اصغت لها الخيل آذانها واضطربت الفرسان وارتعبت وقد ظنوا الحاضرين ان السماء قد انشقت وقد انفسحا بعد ذلك الصياح انفساح الكباش للنطاح وعادوا الى الجد بعد المزاح وتكافحوا أشد كفاح وجرى بينهما ساعة تقشعر منها الجلود ويلين من حرارتها الحجر الجامود لانهما التصقا التصاق جبال الاخدود وافترقا افتراق وادى زرود وقد ظن كل منهما انه مفقود تقلبا على السروج حتى تعامت الفرسان منهما كيف الدخول والخروج وامتدت الاعين نحوهما ترمق حتى تبصر

من يسعد منهما ومن يشقى فما سمعت الأذان ولا تحدثت الركبان بأعجب ما جرى لهما في الميدان ولم يزالا في مهاجمة ومصادمة حتى تحكمت الشمس في قبة الفلك وتعب كل منهما وهلك وقد اشتد بهما العطش والظمأ وتلهفت الاكباد على شربة باردة من الماء وخذلت منهم المناكب وأظهروا الاهوال والعجائب وعمل بينهما الحرب وأسرفوا بالطعن والضرب ولم يزالا على ذلك العيار حتى مضت جوهرة النهار وغطست الشمس في بحر الاعتكار عند ذلك افترقوا عن الحرب والقتال وكل واحد منهما بعض أنامله غيظا وحنقا ❊ (قال الراوي) ❊ فعند ذلك أقبل ذو الخمار على عنتر وقال له يا فارس عدنان يكفيك ما شاهدت مني في الميدان وها أنت قد عرفتني في معترك الوغا عند الطعان فهل لك في المسامحة لنستريح من تلك المهاجمة والمصادمة (قال الراوي) فلما سمع عنتر كلام سبيع وعلم مقصوده ومرامه قال له ويلك يا سبيع دع عنك هذا الكلام لانه عار عليك وملام وعد بنا الى القتال مادام ان الليل قد أقبل فما بقي بيننا انفصال الا ببلوغ الآمال (قال الراوي) فلما سمع ذو الخمار من عنتر هذا الكلام وما أراد قال له دونك والجلاد يا ابن شداد ثم انهما عادوا الى ما كانا عليه من شرب كاس الحتوف وقد تماشقوا في أيديهما بالسيوف وتضايقت عليهما الصفوف وبرقت الصوارم بالظلام وكثر بينهما الصياح والكلام وما بقي في الطائفتين الا من كثر همه وغمه وهم يقولون لابد أن صاحبنا يغلب خصمه وان كان يجري ذلك فنحن مكسورين ونعود خاسرين (قال الراوي) وأما حصن بن حذيفة فانه لحيرته ركب واستعد الى الهرب مخافة من العطب وقد علم بأن عنتر لا يغلب وكذلك سنان قد ركب جواده وقال لبني فزارة ان رأيتم ذا الخمار وقد أسره عنتر فما بقي لكم عن الهرب عائق لان بعده ما يفلح هذا الجيش ويفنيهم عنتر بحسامه الابتر ورمحه الاسمر ونخاف أن يقع واحد منا في يده فهو لا يبقيه مما في قلبه وما زال ذو الخمار وعنتر مع بعضهما من أول الليل الى وقت السحر عندها وقع بذي الخمار الملل والضجر وعلم أن أصحابه من بعده يطلبون الهرب والفرر وعلم عنتر منه انه تعب وانقهر فانطبق عليه بهمته وفاجأه بعظم شدته وفي عاجل الحال قلب سنان الرمح الى وراء وطعنه في صدره بعقب الرمح واتكا عليه فطيره من السرج خمسة أذرع ووقع على قفاه وقد صار أعلاه فيه رجلاه ولو كانت منيته على يديه كانه أسقاه كاس فناه وأراد أن ينكب عليه ويشده كتاف ويقوى منه السواعد والاطراف (قال الراوي) واذا بشيبوب قد أقبل كانه القضاء المنزل وفي عاجل الحال برك على ظهره وحل من على وسطه حبلا منقوعا بماء الخل كان جاعله لمثل ذلك العمل وشد سواعده والاطراف فعند ذلك علت الضجات في ظلام الليل ومالت الجيوش على بعضها بعض مثل السيل وقد اصطدمت الرجال على ظهور الخيل وعظم الحرب والويل وفي دون ساعة صار القتام صبابا وصمت الاسماع فلم تسمع خطابا وفر الوحش من أقطار البر سرابا ووقعت ضربات السيوف خطا وصوابا وقطعت جماجما ورقابا ونهبت الارواح أي انتهابا وسلت من الاجساد أي استلابا وقد اختلطت أجساد القتلى لادماء مع ترابا وشابت الرجال من الهول بعدما كانت شبابا وسقاهم القضاء والقدر من المنية كاسا شرابا وخرست الالسن فلم ترد جوابا وتمنى الجبان أن ليته كان ترابا هذا وعنتر قد نهب الارواح وانصب على العدا وصاح ولم يزل على ذلك الايضاح الى أن طلع الصباح وقد اكتست الفرسان من الدم أعظم وشاح وقد انصب عنتر على العدا وقصد الى ناحية بني فزاره وصرخ في جنباتها فولت حيارى على أعقابها وقد عادت تطلب لانفسها الهرب وحصن بن حذيفة وسنان في أوائلهم وقد أيقنوا بالعطب وكل واحد منهما يكد فرسه وقد انقطع من شدة الفزع نفسه وكانت طلبت بنو حمير خلاص ذي الخمار وقد وقع بينهم وبينه ضرب يذهل النظار وطعن يقصر الاعمار ويحير الافكار (قال الراوي) هذا وعنتر يخترق معمعة الحروب وهو طالب الملك وهب بن موهوب وقد علم انه ان قتل أو أسر انحلت الكروب ولم يزل يهبر الرجال ويرمي الابطال في عرصات المجال حتى وقع بالملك وهب وكان تضاحى النهار فانطبق عليه انطباق النسر الطيار وزعق في وجهه فحس ان عقله قد طار وخيم عليهما الغبار فولى من بين يديه هارب وقد تبعته المواكب والكتائب وقد غاصوا خلفه في القفار والسباسب

(قال الراوي) هذا وعنتر قد صاح في بني عبس فتبعوهم ووطنت الرجال على الموت نفوسهم وعنتر في أوائلهم وهو يهدر كالاسد القسورد ولم يزالوا في قتال وثبات وقد أسقوا الاعداء كاس الممات حتى تفرقت المواكب في الطرقات وتبددت في الفلوات ورجع عنتر وبنو عبس المشاهير ومعهم أوفى من خمسمائة أسير وعادت تلك القبائل ومن لهم من الاصحاب وقد فعلوا أفعال السادات الانجاب وقد جمعت الغنائم والاسلاب وعادوا يطلبون الجبال وعنتر في مقدمتهم كانه أسد من أسود الدحال (قال الراوي) ولم يزالوا في تلك البراري سائرين حتى وصلوا الجبلين ودخلوا اليهما فرأوهما شماتة للحاسدين ووجدوا الديار بلاقع وهي قاع صفصف الا فيها ناطق ولا سامع فبهتوا وصاروا اليها ناظرين وهم مما حل بهم سائرين هذا وقد شخص عنتر الى الديار لما رأى تغير الآثار ولم يدرك لعلة أخبار ولحقه الانبهار وفاض دمعه وانسكب ولم يدر كيف طرقتهم هذه النوائب ولا من نهب الحلة من البشر ومن هو الذي على هذا الامر جسر (قال الراوي) هذا وقد علا من بني عبس البكاء والنحيب وعلا منهم الصياح وبقي كل منهم مريب فبينما هم على ذلك الحال واذا قد نزل اليهم عبد من أعلا الجبال وكان قد هرب لما جرت هذه الاحوال وهو يكثر من البكاء والاعوال (قال الراوي) فلما رأوه تبادروا اليه وعما جرى سألوه وقال له عنتر ما الذي أغار عليكم من البشر فقال له العبد يا حامية عبس ما ندري الا وخيل غارت علينا وطرقتنا عند السحر وهجمت علينا هجوم القضاء والقدر وهم ينادرن يا لشيبان وقد قلعوا الحلة بما فيها من الاموال والولدان وأخذوا سائر ما هنا من النسوان وقصدوا البر الاقفر وهذا ما جرى انما من الحديث والخبر (قال الراوي) فلما سمع عنتر ذلك صعب عليه وكبر لديه وتعجب من هذه الاحوال وقال هكذا الدهر ما يبقى على حال وطبعه التغير والانتقال (قال الراوي) وكان السبب في ذلك الحال ان ذا الخمار لما كان مبارزا عنتر في الليل والناس مشتغلين اليهما بالنظر فقال سنان بن عبد العزى فارس بني شيبان للملك وهب بن موهوب اعلم أيها الملك انني قد رأيت من الرأي السديد والقول المفيد انني أسير في خمسة آلاف فارس من خيار الجيش في هذا الليل العاكر والناس مشتغلين ببراز سبيع بن الحارث مع عنتر وامضي من خلف بني عبس بالرجال وأطلب الجبلين الذين هم بهم مجتمعين وأجد الترحال وأكبس عليهم ما دامت الحلة خالية من الابطال وأسبي من فيها من العيال وأنهب النياق والجمال وأجعل أموالهم لمن معنا مباح وأطلب بهم مدينة الحيرة عند الصباح فاذا وصل اليهم هذا الخبر فيعطفوا راجعين ويعودوا عنكم وهم خاسرين فتكونوا أنتم عليهم منصورين وبهذه الفعلة غالبين وأما أعداكم تحل بهم الرزيه وتبقى عزائمكم قويه فتمكنوا بهم ولم تبقوا لهم بقية لاسيما اذا سمعوا بهذه الأمور فيحل بهم الذل والثبور فلما سمع الملك وهب بن موهوب ذلك الخطاب رآه غاية الصواب وقال افعل ما بدا لك نجح الله أعمالك فعند ذلك انتخب سنان من قومه خمسة آلاف فارس مثل الاسود العوابس وقطع بهم عرض البر وتلك المهاد والناس مشتغلين بالحرب والجلاد وقد سترهم الليل بالسواد (قال الراوي) وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى بني عبس الاجواد وكذلك بني عامر الانجاب وبني غني وبني كلاب وأطبقوا عليهم في هدو الليل ولم تكن غير ساعة حتى دارت بهم تلك الرجال والخيل وقلعوا الاحياء بما فيها وقلبوا أطرافها ونواحيها وقد أنزلوا بكل من فيها الذل والخبال ونهبوا الاموال وسبوا النساء والاطفال ولم يتركوا فيها ولا عقال وضربوا في أقفية العبيد ضربا مثل فتوق الاعدال فاعانتهم على سوق النوق والجمال وغادوا على الطريق الذي أقوامهم وبني عبس مشتغلين بالقتال ثم انهم قصدوا الى مدينة الحيرة وتلك النواح والناس في ضجة الحرب والكفاح فلم يلتفت اليهم أحد بل انهم ساروا الى الصباح حتى بقي بينهم وبين مكان المعمعة ثلاثة فراسخ من الانفساخ ووقفوا لينظروا ما يجري من أمر العشائر ولمن يكون النصر عند الاواخر (قال الراوي) فبينما هم كذلك في هذا الانتظار واذا بالمنهزمين قد أشرفوا عليهم في نصف النهار وفي أوائلهم حصن بن حذيفة الغدار وسنان بن أبي حارثة نسل الاشرار فسألوهما عن الاخبار فاخبروهما بجميع ما جرى لهما وما

صار وان عنتر اسر ذو الخمار وان الجيوش قد انهزمت والجموع كلها تفرقت والكتائب قد تمزقت والملك
وهب بن موهوب ومن معه من الجماعة قد انهزمت في وقت الحروب ولما اجتمعت العشائر و وقفت عن
الهزيمة وقد فرحوا بما حازت أيديهم من الغنيمة ونظروا الى حريم بني عبس الانجاب و بني عامر و بني كلاب
و رأوا الى أموالهم وكيف صارت في أيديهم فنسوا بذلك ما جرى عليهم و تبدلت الاتراح منهم بافراح ونظر الملك
وهب بن موهوب الى خداش وعاطل والمرقال وقد خلصوا من الاسر والاعتقال فلما رآهم هناهم بالسلامة
مما كانوا فيه من الخطر والامر المنكر وقال في هذه النوبة قد أمنت على ابن عمي سبيع القسور وعلى من معه
أسروا علم انه ما دامت السبايا معنا أمنا عليهم من الضرر ثم انهم ساروا جميعهم وقد قويت لذلك قلوبهم وأمنوا
على أنفسهم وقد ظنوا أن عنتر ما يلحقهم في طريقهم ولا يعدمهم توفيقهم الا أن حصن وسنان وهما في أشد
العذاب وقد علموا ان عنتر البطل المهاب و بني عبس وغني وكلاب ما يتخلوا عن حريمهم وعيالهم وأموالهم
(قال الراوي) فبينما هم في جد المسير وسرعة التشمير واذا بالغبار من خلفهم قد علا وانعقد وقد غطى ملا
البر والفلا والبر يضج بالصياح ولمعان بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وبعد ساعة انكشف الغبار
وبانت الخيل للنظار وفي مقدمتها عنتر الفارس الكرار والى جانبه سبيع بن الحارث الغدار الملقب بذي الخمار
ومن خلفهم بني عبس وخلافهم من بني كلاب و بني غني و بني حمير وصار سبيع بن الحارث من أصدق البشر
في محبة الامير عنتر وقد سار معه حتى أنه يعينه على كشف هذا الخبر (قال الراوي) وكان السبب في ذلك
الامر والنظام ان عنتر ابن شداد البطل الهمام لما سمع بذلك من العبد وان الذين قد سبوا العيال والنسوان
كانوا من بني شيبان فأخذ عنتر الغيظ والضرر لما سمع بهذا الخبر فصاح في بني عبس الانجاب وبني عامر
و بني غني وكلاب وقال لهم شدوا الاسارى بالحبال واتركوا عندهم بعض الرجال وجدوا بنا هذه الساعة
خلف الاعدا بالالحاق فوالله لا تبعتهم ولو وصلوا الى أرض العراق ولاقيمن الحرب فيهم على قدم وساق
ولاشتت شمل بني شيبان في جميع الآفاق وأنا أعلم أنكم ما تلحقوا حريمكم الا قرب مدينة الحيرة وأرض النجف
ولا بد ما يأتيكم النفير من عند الملك الاسود ويلحقكم باجناده التي ما لها عدد فان أنتم فزعتم من كثرة العدد
و زيادة المدد فاحموا أنتم ظهري وانظروا كيف أفعل بهم في كري وفري وسوف أدع الناس تتحدث بهذا الحال
عني الى أبد الابد (قال الراوي) فعند ذلك نادت العرب كلها من فرد لسان وقالوا والله يا فارس عبس وعدنان
ان هذا الامر ما يمكننا القعود عنه ولا بد لنا منه ثم قالوا كلهم وأي عيش يطيب لنا بعد أخذ أموالنا وسبي حريمنا
وعيالنا (قال الراوي) فبينما هم في هذا الكلام وذلك الاتفاق واذا بسبيع بن الحارث قد صرخ صرخة زلزلت
الآفاق من ضيق الخناق ومن شدة الوثاق وقال يا حامية عبس وعدنان هل لك أن ترثي مما أنا فيه من هذا
الهوان حتى انني أكون لك من جملة الغلمان والخدام وأسير في هذه النوبة بين يديك مثل بعض الخلان حتى
أفعل ما تقر به عينيك فان مثلي ما تخيب فيه الصنيعة ولا ينكر منه كرم الطبيعة وقد أحببت أن لا أفارقك الى
الممات وأكون معك في سائر الملمات وأنا وحق الواحد الخلاق وباعث الغيث للآفاق و باسط لخلقه
الأرزاق وهو القاهر للعباد لا عدت أضمر لك شر وعناد وأصافيك طول ما عشت بالوداد وان خنتك بعد هذا المقال
فما أكون ولد حلال (قال الراوي) فلما سمع عنتر من سبيع بن الحارث ذلك المقال فرح فرحا شديدا ما عليه من
مزيد وفي الحال حله من الاعتقال وكل ما فعله معه في ذلك الزمان لم يخطر له على بال و بعد ما أفرج عنه
شدته وأطلق سراحه أعطاه جواده وعدته وسلاحه وآلة حربه وكفاحه (قال الراوي) ثم انه عانقه وفي
وجهه قبله وضمه الى صدره وقد نادى سبيع بن الحارث المنتخب وقال يا فرسان العرب اعلموا ان حامية
عبس عنتر قد آمنني بعد الخوف والكدر وانه قد عفى عني بعد ما قدر ولو شاء لانزل بي البؤس والضرر بعد
ما قاسيت منه ذلك الامر المنكر (قال الراوي) ثم انه تقدم الى من كان أسر معه من بني حمير وكانوا نحو من
خمسمائة فارس وأكثر وقال لهم يا بني عمي ويا من بهم يزول همي وغمي اعلموا ان عنتر صفا لي وأطلقني من
عقالي بعد ما أراد أن يوصل الاذية الي ثم انه ميل عليهم بهذا الخطاب حتى جعلهم لعنتر من جملة الاصحاب

والاصدقاء والاحباب وذلك من بعد اطلاقهم من وثاقهم وكانوا قد أيقنوا بلحاقهم فبدا عند ذلك صلاحهم
وردوا عليهم خيلهم وسلاحهم وعطفوا راجعين في ذلك اليوم وهم طالبين آثار القوم ولم يزالوا كلهم سائرين حتى
وقعت العين على العين وأشرفت على بعضهما بعض الطائفتين هذا وعنتر قد استوحش لعبلة التي هي عنده
مثل نور العين أو الروح التي بين الجنبين وهو لم يصدق أن يراها سالمة من حلول البين فعند ذلك جاش
الشعر في خاطره فباح بما أكنت عليه ضمائره فانشد يقول

دار لعبلة أشرقت بثناها * حتى تجلى عنكم غماها * دار يفوح المسك من عرصاتها
والند والكافور ما يثناها * والفل والياسمين فيها طالع * والعود والطيب الزكي جناها
دار لعبلة شط عنك مزارها * يرى قوائم من دونها ما وراها * يهون علي ان ترد جراحها
عيون الاواسي اذا حدت بلاها * يا صاحبي قف بالمطايا ساعة * في دار عبلة وسل معناها
بل كيف نسل خزينة عادية * شفى الجنوب ترابها وثراها * يا عبل قد هاج الفؤاد بذكرك
واشتاق قلبي طيب عطر شذاها * فاني في الحرب الضروس موكل * باعدام نفس ما أريد بقاها
وساعدني فيها سبيع بن حارث * ابن موهوب فادى نعمة وفاها * كنا ولاة طعانها وضرابها
حتى تجلت عنكم غماها * قسما بحياتك يا عبلة انني * من أجل وجهك لا أجيب نداها
سأبيدهم بمعاجد مهندي * وأجعلهم طعم الوحش فلاها * وأبيد كل سميدع وغشمشم
شرس المراس ولا أخاف اظاها * أنا عنتر العبسي فارس قومه * أحمي حماها اذا يدور رحاها
وسيعلم الاسود بأني فارس * أردوا جيوشه ولا أخشاها * فوحق مكة والحطيم و زمزم
والمشعرين ومن صفا بصفاها * لا بد لي أن أخلي أرضها * سكنا الوحش البر ثم ظباها
وأبيد جمع القوم في وسط الفلا * وأطعن برمحي نحرها وكلاها

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات ترنمت لها جميع السادات وقالوا له لا ارد الله فاك ولا كان من
يشناك ثم انه زعق زعقة كاد البر لها أن ينقلب و يقع من على جواده كل فارس منتخب ونادى ويلكم يا أنذال
العرب وأخس من ضرب في البيداوتد ومد طنب الى أين تنجوا بالهرب ومثلي لكم في الطلب فأين الذي
تعدى علي وسبا حريمي فدعوه يبرز الي فانه غريمي (قال الراوي) فلما سمعت منه ذلك النداء تلك الفرسان حملت
كلها عليه فرد عنان وكان في أوائلهم ابن عبد العزى سنان فبرز اليه قبل كل انسان وصار معه في مقام الجولان
وصاح عليه وهو يكثر من الفشار والهذيان وقال له اسكت يا جبان يا عبد يا مهان عن من تعني بهذا الكلام
المعجرف الضعيف وفي هذا اليوم أرغم انفك وأقطع رأسك ومن كان له دين لا بد أن يستوفيه ومن عليه شيء
لا بد أن يعطيه ولا بد ما نأخذ الثار ونكشف عن نفوسنا العار وها أنا سنان بن عبد العزى غريمك وأنا الذي
تعديت عليك وسبيت حريمك (قال الراوي) فلما سمع عنتر من سنان كلامه وما أبداه من مرامه اسودت
الدنيا في عينيه وما بقي يعرف ما بين يديه ثم انه انقض عليه وقوم سنان رمحه في يديه وتقدم الى عنده وهجم
عليه الى أن حاذاه وزعق فيه وفاجاه وطعنه بين ثدييه خرج السنان يلمع من بين كتفيه فمال عن الجواد
يكدم الارض والمهاد وقد ترشرش دمه طولا وعرض وسار يختبط بعضه ببعض (قال الراوي) وفي ذلك
الوقت سمعت عبلة صوت الامير عنتر وهو يقعقع في ذلك البر الاقفر فعاشت روحها بعد الممات وقوي
جنانها وزاد ابتسامها وصاحت به يا صاحب العز القوي والسنان الملتوي والسيف الجلي والرمح السمهري
لا شلت يداك ولا كان من يشناك يا ليث الصدام دونك وهؤلاء اللئام جرعهم كاسات الحمام وخلصني من
هذا المقام (قال الراوي) فلما سمع عنتر من عبلة هذا الخطاب وهي تنادي به بين الاعراب انذهل عقله
وغاب عن الصواب ثم انه لباها عندما سمع نداها والخطاب وحمل كأنه الاسد الوثاب اذا خرج من الغاب

وتبعته بنو عبس الانجاب وجاءت أيضا بنو عامر وغنى وكلاب وحمل معه ذو الخمار ومن تبعه من بنى حمير الاخيار وهو ينادى يا لحمير حتى سمع صوته كل من حضر فلما سمع الملك وهب بن موهوب صوته ورأى شخصه وهو يقاتل مع عنتر قتالا منكر ويجندل الابطال وقد هاج فى الحرب كما تهيج فحول الجمال وقد صفى لعنتر نيته وأخلص له وداده وهمته وحمل يزعق بصوته ويبذل مهجته ويصيح على أبطال عشيرته ويستنجد بفرسان قبيلته فناداه الملك وهب ومن معه من رفقته لبيك يا ذا الخمار ها قد سمعنا نداك وحملنا لحملتك على أعداك ثم انهم فى عاجل الحال صار والجميع الى جيوش عنتر وقد اختلطوا بهم وهم ينادون يا لعبس يا لحمير وحملوا باجمعهم ووضعوا فى الاعدا أشفار السيوف وسقوهم شراب الحتوف فكان أول من انهزم حصن بن حذيفة وقد تبطن فى البر والفلاه وهو لا يصدق بالنجاه وصار يضرب بالسوط كفل حجرته الغبرة وهو يقول لعن الله من كان أصل هذه السفره وأما بنو فزارة فانهم قد أحاط بهم الذل والخسارة ووقع الفناء فى بنى شيبان وقد تفرقوا فى كل جانب ومكان وجاءت بنو عبس بحريمها بعدما بلغت مناها من غريمها وترجل عنتر الى عبلة وضمها الى صدره وأعادها الى هودجها بعدما قبلها فى وجهها وفمها (قال الراوى) وبعد ذلك أقبل الملك وهب بن موهوب الى عنتر وسلم عليه فترجل له عنتر وقبل صدره وبين عينيه وشكره وأثنى عليه وشكر بنى حمير وصفت القلوب من الكدر وقد نزلوا جميعا وانتشروا فى الارض وجمعوا الغنائم والاسلاب وسائر الاموال والذهاب وعادوا راجعين وهم بخلاص حريمهم فرحانين وبالنصر مسرورين وعنتر أفرح الناس فى بنى حمير وبما نال من النصر وقد افتخر به سائر العساكر وسار عنتر فى مقدمة العشائر فعند ذلك تذكر عنتر ما صار اليه وكيف أجهد وحده حتى انقادت الجيوش كلها بين يديه فعندها جاش الشعر فى خاطره فباح بما أكنت عليه ضمائره فانشد يقول

لعبلة نشر المسك والشهد ريقها * وثغر حكى الدر فى اللون والشكل
اذا ابتسمت لاح الضيا من جبينها * وفاق بياض البرق ينثر بالوبل
بكيت وأبكانى المشيب على الصبا * وقول العدا انى تقاصرت عن فعل
فان شاب رأسى فالحروب تقر لى * اذا اختلفت بيض الصفاح القنا الذبل
اذا جالت الابطال فى حومة الوغا * تصيب المنايا كل حاف وذى نعل
أخوض عجاج الحرب غير مقصر * بعضب صقيل فى التجارب والفعل
غدوت أخوض الحرب فى عرصاتها * يوم المقامة بالقضاء الفاصل
أجول على الاعداء بالسيف والقنا * بالطعن والضرب بين البيض والاسل
ولكن بضرب السيف فى ساحة اللقا * رقيت على أهل المراتب والفضل
أنا عنتر العبسى فارس قومه * علوت بعزمى فوق من كان من قبل

﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت العرب من عنتر ذلك الكلام ترنمت الفرسان عجبا ومالت الابطال طربا ثم انهم لم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى وصلوا الى الجبلين وقد اطمأنوا وقرت منهم العين هذا وعنتر قد نصب خيامه والقباب وفرق على جميع الرجال الانعام والخيل والاسلاب وأعطى لبنى حمير نصف الغنيمة لانها كانت غنيمة عظيمة لها قدر وقيمة وأقاموا فى تلك الارض مع بعضهم البعض وهم فى أكل طعام وشرب مدام وقد قويت شوكته على جميع الانام وقد صارت عدتهم ثمانية عشر ألف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قال الملك وهب بن موهوب يا أبا الفوارس اعلم ان كل ذلك بسعادتك يا ابن شداد بلغك الله السؤل والمراد ونصرك الله على جميع الاعداء والاضداد فقال عنتر يا ملك أما زيادة لعددفهى بسعادتك أول وآخر وأما الفخر فما هو الا لهؤلاء الامراء والاكابر وملوك هؤلاء العشائر وأشار بيده الى بنى حمير وبنى عامر فانطلقت الالسن بحمده وشكره وقد شاع بينهم فخره وذكره ﴿قال الراوى﴾ هذا ما جرى لعنتر ومن معه من كل فارس مسيدد وأما ما كان من أمر الملك الاسود فانه كان يجلس كل يوم فى

مرتبته كما جرت عادته ويتحدث هو وعشيرته وأرباب دولته فى حديث عنتر وسطوته وما لقى القبائل من شجاعته وقوته وبراعته فيقول الملك الاسود من شدة بغضته له وحسرته وعلى يد ذى الخمار تكون موتته هذا والعشائر قد اقبلت الى مدينة الحيرة وهم ينادون الجيرة يا ملك الزمان الجيرة وكذلك خداش وعاطل والمرقال وهم كلهم حفاة عراة فى أسوا حال وفى أوائلهم حصن بن حذيفة وسنان شيخ الضلال فسألوهم الرجال عن حالهم وما جرى عليهم ونالهم فقالوا لهم يغنيكم حالنا عن الخبر وما نحن فيه من الضرر وذلك ان عنتر قد أبادنا ودهانا ونحن على غفلة من أمرنا واذانا وأخذ ذو الخمار أسير من بيننا وتركه عنده ذليل حقير ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم شرحوا له القصة من أولها الى آخرها وكشفوا له عن باطنها وظاهرها وكيف كان سبوا الحريم والنسوان وكيف لحقهم عنتر وقتل ابن عبد المزى سنان وكيف كسرهم وأنزل بهم الهوان ﴿قال الراوى﴾ لهذا الديوان فانزعج الملك الاسود من على سرير ملكه وضاقت لذلك حضيرته واغتاظ على أهله وعشيرته وقد دعا باكابر دولته فاتوا اليه ووقفوا بين يديه وأعادوا قصتهم عليه فقامت قيامته وزادت بليته واشتدت حسرته ومن كثرة الهم والغم الذى دخل عليه كاد أن يهلك وغشى عليه فلما أفاق من غشوته وصحى من سكرته التفت الى وزيره عمرو بن نفيلة العدوى وقال له أيها الاب الكبير أما تنظر الى ما دهينا به من عنتر هذا العبد الحقير وما فعل بالامراء وما فى الامر الا انى أسير الى الملك كسرى وأستنجد به عليه بعدما أعلمه بهذه القصة ولا أدع فى قلبى من هذا الامر غصة ولكننى أخاف أن يرانى بعين العجز والنقصان ويقول لى أى شئ أعمل فيك يا شاه تازيان وأنت ما بقى لك عند العرب قدر ولا شان اذا كنت عجزت أنت ومن معك من الفرسان وجميع ما تحت يدك من العربان عن لقاء عبد حقير صعلوك فكيف يكون حالك اذا شققت ملكا من الملوك ﴿قال الراوى﴾ فقال له الوزير أيها الملك لا تقل اننا عجزنا عن عبد أسود من جملة العبيد فوالله اننا ما عجزنا الا عن بطل من الابطال الصناديد وعنتر والله ماهو الا جبار عنيد وهو فارس الزمان وفريد العصر والاوان لاسيما أهله وقبيلته والفرسان الذين صاروا فى محبته من سادات العرب الذين ما منهم الا كل فارس منتخب مثل ملاعب الاسنة فارس الخيل وابن خالته عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ومروان بن سراقة أصحاب القوة والرشاقة ومثل الاحوص بن جعفر الاسد القسور وخالد بن ربيعة صاحب الهمة المنيعة ومسروق بن طارق ومن كان اهم من الفرسان موافق وسيار بن بكار الذى هو بطل جبار وقد اتصل اليهم ذو الخمار وايضا الملك وهب بن موهوب ومن يقاومهم فى الحروب فان أنت سرت اليهم أيها الملك ينخرق ناموسك وتقل هيبتك ولا يبقى لك حرمة بين أرباب دولتك فقال الملك الاسود والله لا بد لى أن أسير اليه وأقدم عليه حتى انى أخرب دياره وأقلع آثاره ﴿قال الراوى﴾ فما اتم كلامه وما عزم عليه من الشان حتى وثب عليه شيخ من مشايخ العربان وقبل يده وقال له أيها الملك قد قيل فى الامثال السوابق فيما سلف من القول الصادق من لم ينظر فى العواقب فما له فى الدهر صاحب وان أردت أن تأخذ هذا الرجل أسير وتتركه عندك ذليل حقير فاستنجد عليه بفارس العصر وأوحد الدهر أمير هذه الارض وغفيرها طولا وعرض البطل الهمام والاسد الضرغام النسر الحوام والغيث الهاطل الذى شاع ذكره بين القبائل وملك بسيفه جميع الغدران والمناهل الذى قهر الجبابرة وأذل الملوك القاهرة المسمى بالهامان بن علقمة الهمدانى الذى ماله فى زمانه ثانى وهو فارس بنى همدان الذى ماله مقاوم فى الميدان ولا يقهره قط انسان فاذا وصل اليك هذا الفارس المنتخب كفاك الله شر عنتر وشر من معه من العرب لان ماله غيره من الفرسان العتاه وان لم يأت اليه هذا الفارس ويلقاه ويبلغك ما تتمناه ويحضر به الى بين يديك والا فارحل من هذه البلاد واتركها لعنتر بن شداد ﴿قال الراوى﴾ وكان هذا الفارس المسمى بالهامان كان فارسا لا يطاق وعلقما مر المذاق وماله الا ركوب الخيل العتاق وشن الغارات فى سائر الآفاق وقد قتل كثير من الفرسان وخافت منه سائر العربان حتى انهم جعلوا له عليهم جزية فى كل عام وسموه بفارس الانام وكان له عند عنتر دم ودين وكان لا يصدق أن يراه مما كان اعتراه لان عنتر كان قتل له أخ وابن عم وقتل جماعة من

كبار قومه وأنزل بهم الهم والغم وكانت زوجة عمه تبكي على ولدها بين يديه ليلا ونهار وهي تبكي بالدموع الغزار ﴿قال الراوي﴾ وكان ابن عمه الذي قتله عنتر يسمى المجاج وكان فارس العجاج وليث الهياج وكان الهامان اذا أراد أن يشرب المدام ما تتركه أم المجاج أن يتهنا من كثرة البكا والملام فيقول لها يا خالة كفي عن البكا والعويل فلابد ما أسير الى غريمك وآتيك به أسير وأجعله قتيل عفير فتقول له والله ما يهدا لي حواس ولا يقر لي قرار بين الناس حتى أموت وأسكن في القبور والارماس ان لم تأخذ لولدي بالثار ويبرد ما بقلبي من لهيب النار فيقول لها من تريدين تأخذين ثار ولدك حتى تنطفي نار كبدك فتقول له ما أريد ذلك الا من قيس بن زهير أو من بعض أخواته أو من العبد عنتر بن شداد الذي قتل ولدي وعجل منيته أو انك تحضره الي حتى انني آكل قطعة من لحمه أو أشرب من دمه فلما سمع هذا الكلام صار يعدها بأخذ الثار ولابد أن يكشف عنها العار وكان مع ذلك الامر يشتهي أن يلتقي عنتر لما بلغه عنه أنه فارس غضنفر في الحرب مشتهر ﴿قال الراوي﴾ ومازال الشيخ يتكلم بذلك الكلام قدام الملك الاسود ومن عنده حضر في هذا المقام وذكر الهامان بذلك الخطاب علم أنه ما نطق الا بالصواب ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك كتب له في عاجل الحال كتاب وأعلمه بما هو فيه من الاخبار وعرفه بأنه يريد يستنجد به على عنتر وقصد بذلك اعلامه بجميع ما جرى بينه وبين أقوامه وما حصل له من الانكاد وضمن له المال الجزيل والعطاء الجميل ويقول له اعلم أيها الفارس الهمام والبطل الدرغام ان الذي أعلمك به ان هذا الشيطان الذي اسمه عنتر قد عصى علينا وبغى وتجبر وكسر لي جيوشا كثيرة وكل من أنفذته اليه أنزل به العبر وقد خرق ناموس مملكتي وقد أراد أن يؤذيني أنا وأكابر دولتي وقد تغلقت في وجهي جميع الاسباب ولما ذكرت بين يدي فاحتجت أن أكتب اليك هذا الكتاب لما ضاقت بي الاسباب وقد ثبت عندي انك من الفرسان الانجاب وأنا أريد منك المبادرة لتكشف عني هذه الغمة المكدرة وتجلي عن العرب هذه الظلمة الباهرة وتنقاد كلها بين يديك وتقر بذلك عينيك ﴿قال الراوي﴾ ثم انه طوى الكتاب بعد ما كتب فيه ما أراد من الخطاب وسلمه الى فارس من فرسان العشيرة وركب نجيبه وسار يطلب الطريق المستقيمة وهو يقطع البراري والوديان طالب حي بني همدان وجد في مسيره حتى وصل الى هذا المكان ورأى تلك القبائل بما فيها من الخيل والجمال ونظر الى كثرة الرجال وما عليها من الهيبة والاجلال وهم أكثر القبائل مالا وأحسنهم حالا وذلك من كثرة غاراتهم على العربان وغزواتهم في كل مكان ﴿قال الراوي﴾ فلما أشرف عليهم ذلك الفارس من الوديان دارت به الرعيان من كل جانب ومكان وقد سألوه عن حاله وأمروه أن يفصح لهم عن مقاله فقال لهم أنا رسول من عند الملك الاسود الى البطل الهمام الامجد وهو الامير الهامان بن علقمة الهمداني الذي ما له في زمانه ثاني فقالوا له العبيد مرحبا بك من قادم وأهلا بك من خادم ثم انهم انطبقوا به الى وسط الاحياء حتى يعلموا مولاهم بما كان من تلك الاشياء ﴿قال الراوي﴾ وكان الهامان حاضرا في ذلك الحي وعنده الشجعان وهم في وليمة عظيمة الهاقدر وقيمة وقد جمع فيها سائر السادات وبين أيديهم الاماء والمولدات وهم يضربون بالدفوف والعبيد يلعبون بالخناجر والسيوف واذا قد أقبلت عليهم الرعاة من البر والفلاه ومعهم ذلك الرسول الذي من عند الملك الاسود وهو ينادي ويقول أيها الملك الامجد ها أنا رسول من عند الملك الاسود ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الهامان بذلك الامر والشان فرح بذلك واستبشر وأمر به اليه أن يحضر فلما صار بين يديه عرض كتاب الملك الاسود عليه فتعجب من ذلك الحال ثم انه التفت الى بعض غلمانه وقال احملوه الى دار الضيافة وأكرموه فعند ذلك حملوه وعظموا قدره وبجلوه وأصلحوا له الطعام وزودوا له في الاكرام هكذا مدة ثلاثة أيام ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الهامان بعد ذلك جلس في مرتبته ودعا بأكابر دولته ووجوه عشيرته ومن يعتمد عليهم في مشورته وأمر باحضار الرسول الى بين يديه فلما حضر سلم عليه وناوله الكتاب فسلمه الى من يقرأه عليه ليفهم الخطاب فقرأه عليه حتى أتى على آخره وفهم ما في باطنه وظاهره ثم انه بعد ذلك التفت الى رسول الملك الاسود وقال له قد بلغ عنتر الى هذا الحد حتى صار يشاقق الملك الاسود ويكسر جيوشه ويفعل بهم هذا الفعل الانكد

فقال له الرسول اعلم أيها البطل الامجد والقيل الاوحد انه قد فعل أكثر مما سمعته في هذا الكتاب وما يخشى من أحد ولا يرتاب لانه قد أسر الفرسان مثل سبيع بن الحارث الحميري وعاطل بن المثنى السلمي والامير المرقال والملك وهب بن موهوب وأذل رقاب العرب وأنزل بهم الويل والعطب ﴿قال الراوي﴾ فقال له الهامان وفي كم يكون هذا الرجل من الفرسان وهو نازل في أي مكان فقال الرسول أيها القرم المداعس ما هو الا في خمسة عشر ألف فارس لكنهم أبطال في الحرب قناعس ما منهم الا كل مدرع ولابس وهو من جملة ما اجتمع عنده من الشجعان مثل سبيع بن الحارث الحميري وغشم بن مالك العامري الملقب بملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل المدعو فارس الخيل وخائض الليل وعلقمة بن علاقة ومروان بن سراقة ومن يجري مجراهم من أصحاب الفروسية والرشاقة وقد قويت يا مولاي شوكته وعظمت قوته من يوم علق قصيدته على البيت الحرام وقد صار يعد نفسه من الملوك العظام وقد حدثته نفسه أن يأخذ الملك الاسود أسير ويملك منه الديار ويقلع منه الآثار وقد عجزت عنه الابطال وأطاعته سائر الاقيال ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الهامان بن علقمة هذه القصة فقال هذا رجل أوحد الدهر والاوان ونتيجة العصر والزمان وما الناس الا رجلان رجل يصف نفسه بما يكون منه ورجل تصفه الناس ويقولون عنه في ذلك أقوال وان الارض جبلا ومن يفتخر بغير فعل يرى عجبا ومن يقل ليس مثلي كان مدعو راوقد كذبا وأنا اذا سرت الى هذا الرجل ونصرت عليه وبلغت منه الارب احتويت على طرف من الدنيا وذلت لي رقاب العرب وأخذت الطبقة العليا على كل من بعد منها ومن اقترب وأكون قد أخذت ثار ابن عمي وكشفت عني همي وغمي ﴿قال الراوي﴾ ثم انه لما فرغ من ذلك الكلام أمر من كان حوله من الرجال الكرام أن يتأهبوا للحرب والصدام وقد شرع بتجهيز الجيوش في الوقت والساعة وأمر بالمسير لجميع فرسانه وقومه وأمر باخراج السلاح وآلة الحرب والكفاح وقد ولى على حلته ابن عمه الذي يحمل كل همه وغمه ثم انه اعتد في ألفين وسبعمائة فارس أبطال قناعس ما منهم الا كل مدرع ولابس وهم من خيار بني همدان كأنهم زهر البستان غائصين في الحديد والزرد النضيد راكبين على خيول عربية ومتقلدين بسيوف هندية ومعتقلين برماح خطية وقد خلف على حلته كاذ كرنا ابن عمه الخاطف ابن قدامة وأوصاه على حلته وخيامه وسار وهو راكب على جواد من الخيل الجياد وعلى جسده درع ومغفر وهما من الذهب الاحمر مرصعين بالدر والجوهر وفي يده رمح أسمر من عمل سمهر وعلى عاتقه سيف أبتر صقيل المتن مجوهر وسار يقطع الفياف والقفار فاشتاقت نفسه الى نشيد الاشعار وكان خلفه هذا الجيش الجرار وقد أدركه فرحه العجب والافتخار فأنشد يقول

جفاني الكرى مذ جفاني الحبيب * فدمعي يفيض وقلبي مريب * وطرفي يراعي نجوم السماء
كأني عليه حريص رقيب * لأن حبيبي يفوق بالجمال * لبدر منير وغصن رطيب
أصاب فؤادي بنبل الجفون * وكان بهجره لدي مصيب * وقلبي رهين بما شاقني
وفعل خليلي تركني كئيب * فما لي شفا سوى قبلة * وما لسقامي سواه طبيب
أرى الارض ترجف من سطوتي * ولكن قلبي بنار لهيب * ترى القوم مني بوجه الثرى
هوى بالدما مارق خضيب * وقومي بنو همدان ليوث لوغا * جدودا لما ذكرهم ما يغيب

﴿قال الراوي﴾ ثم انه لما فرغ من ذلك الكلام وما قاله من الشعر والنظام سار يقطع البراري والآكام ومازال بقومه على تلك الوسيلة حتى وصلوا الى مدينة الحيرة وبلغ الخبر بقدومه الى الملك الاسود فخرج لاستقباله من البر والفدفد واستقبله عند رؤياه وأكرمه وحياه وكان لدخوله يوم مشهور وقد دارت به العشائر والجنود ونشرت على رأسه الصناجق والبنود وقد زينت البلد بسائر الآلات والعدد وضربت الطبول ودقت الكؤوسات ونعرت البوقات وفرحت الملوك والسادات ونقل اليه كل ما يحتاج من الاقامات وسائر الطعام والحلويات وأخرج للخيل العلوفات وضربت له ولقومه الخيام والسرادقات

وارسل له الوسائد والفروشات وكانت أشياء كثيرة وأنزله هو وبنى عمه على ظاهر الحيرة وقد بات تلك الليلة بانعم مبيت الى أن أصبح الله بالصباح وقد أراح هو وعشائره واستراح فى تلك الربا والبطاح ولما كان من الغد ركب وسار الى داخل البلد وهو قاصد القدوم على الملك الاسود وكان قد جلس على سرير مملكته وجلست من حواليه سادات العرب وأكابر دولته فلما دخل عليهم الهامان فى ذلك المقام لم يبق أحد من الرجال الاوقام قائما على الاقدام وتزحزح له الملك الاسود من على سريره وزاد به سروره وأعطاه يده فقبلها بعد ما أمره بالجلوس فى حضرته فصعد على سرير مملكته وجلس على يمينه فى أكابر دولته فجعل الملك الاسود يحادثه ويشكو له من عنتر وقصته وشرح له ماقاسى من نوبته وقال له فى آخر كلامه وقد رجوتك أن تكشف ظلامتى وتشفى من عنتر غلتى وتفرج كربتى وتبلغنى أربى وتزيل هذا الغم عن قلبى فاجابه الهامان بين ذلك الجمع الكثير وقال له والله يا ملك لقد عظمت شيأ يسير ورفعت قدره وهو حقير ومن هو هذا العبد حتى تذكره بالتفضيل وتعلى محله وهو ذليل وما هو بطل جليل وأنا يا مولاى بهمتك وعلو سعدك وطول بقائك ورفع مجدك آخذه لك أسير وأقوده بين يديك ذليل حقير وأتركه على وجه الارض مجندل عفير فشكره الملك الاسود على مقاله وقال له مثلك من أذل الرجال وأسر الابطال ثم انه خلع عليه كلما كان على بدنه من ملابسه وجميع الثياب وقد أركبه على فرس نوبته بين أكابر دولته وهو بمركب ذهب مرصع بالدر والجوهر ونوره كاد أن يلتهب وقد خلع أيضا على أكابر قبيلته وعلى سائر أهله وعشيرته ثم انصرف من عنده وهو كما ذكرنا بهذا الزى والمنظر بعد ما حمده على ذلك وله شكر هذا والملك الاسود يقول فى نفسه ان سار هذا الرجل فيمن قد صحبه من بنى عمه وأقاربه وقدم على عنتر وحاربه ونصرت بنو همدان على بنى عبس وعدنان فهذا نقص فى حقى وحق من عندى من الفرسان وتنقص منزلتى عند كسرى أنوشروان وعند سائر العربان اذا عاينوا ما يجرى من ذلك الامر والشان ومالى الا انى أجرد معه وزيرى فى أربعين ألف فارس من كل بطل ممارس وهو فى زى الملوك الاشاوس حتى انه اذا انتصر عليه كان الاسم له دون غيره وان جميع الناس يقولون لولا معه وزير الملك الاسود فى جيوشه وعشائره ما كان قدر على ذلك الوغد الانكد ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الملك الاسود جرد مع الهامان عشائره وقد أمر وزراءه بتجهيز جيوشه وعساكره وأخرج لهم العدد والسلاح وفتح لهم خزائن الاموال وقد أنفقها على الرجال هذا وقد برز الوزير عمرو الى ظاهر البلد وخرجت له دولته كما أمر الملك الاسود هذا كله يجرى والوزير عمرو فرحان بمسيره الى عنتر بن شداد وما هو مصدق متى يراه ببصره حتى يحسن معه الوداد وكذلك أخرجت الى البر خيام الهامان وقد حمله الملك الاسود بالطبول والبوقات والخيام والسرادقات والبيارق والبخاتى والجمازات وعقد على رأسه الصناجق والازدهارات وبازات من الذهب الاحمر ومن كل شئ مفتخر وقد جعله غاية التجميل وكان فى صدر كل بازة درة تضئ مثل ضوء القنديل ونشرت على رأسه الرايات وانجرت بين يديه الخيول المسومة العربيات وسار وهو فى هيبة بهية ما سمع بمثلها السامعون ولا نظرت الناظرون ولا تحدثت بها المتحدثون الأان حصن ابن حذيفة قد لحقه من ذلك الحسد وزاد به الكمد حتى تقطع منه الكبد لما رأى الى ذلك الامر والشان والتفت الى سنان وقال له ما تقول فى هذه النوبة وما يتم لنا من الآثار فانا الذى تبين لى من الاخبار وحق الملك الجبار اننا نفتح بهذه الجيوش السد الاقصى ولو كان فيها جيوش بعدد الرمل والحصى ولاسيما وفيها هذا الجبار الذى هو الهامان فارس الاقطار وأنا قد تبين عندى أنه ما خلق بين البشر الا لقتل ابن شداد عنتر فقال له سنان يا حصن لا تحدث نفسك بهذا الهذيان ولا يغرنك الشيطان فوحق من بسط الارض والمهاد وجعل الجبال لها أوتاد ورفع السبع الشداد انى قد ثبت عندى من دون هؤلاء العباد ان هذه الاموال والبوقات وتلك الخيول والجمازات ماهى سائرة الاهدية لعنتر بن شداد وقد أرسلها له الملك الاسود على سبيل الهديه وبعد ذلك ترى رأس الهامان على الارض مرميه تلعب بها أرجل الخيل العربية فى أقطار البرية ولابد ما تأتى الينا المنهزمين الى هذه المكان بالذل والحرمان والخيبة والنقصان ﴿قال الراوى﴾ ان هذا الديوان

العجيب المطرب البديع الغريب حتى نسوقه على الترتيب ثم ان هذه الجيوش سارت والغبائر قد ارتفعت على رؤسهم وثارت والوزير الى جانب الهامان وهو يعلم بانهم مع عنتر مخاطرين فى هذا الشان ﴿قال الراوى﴾ ولم يزالوا سائرين الى أن أقبل الليل فنزلوا ليأخذوا لهم راحة الرجال والخيل ولما نظر الوزير الى تلك الجيوش والاجناد وقد امتلات بهم الارض والمهاد فلم يجد له صبرا على ذلك الايراد وقال لابد لى من اعلام عنتر بن شداد من جهة مسير هؤلاء العرب التى ملأت البرارى والسبسب ومسير الهامان بن علقمة الهمدانى الذى ماله فى زمانه ثانى ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الوزير كتب الى عنتر يعلمه بما جرى من تلك الامور والاسباب وهو يقول له فى الكتاب أما بعد أيها الفارس المهاب والاسد الوثاب فانى أريد أعلمك بكل ماجرى وتجدد وما صنعه الملك الاسود وهو أنه من شدة غيظه والحرد أرسل كتبا كثيرة الى عرب البر والفدفد وهو عليك بالعربان قد اتنجد ومن جملتهم فارس من الفرسان يسمى بالهامان بن علقمة الهمدانى وأنا من شفقتى عليك ومحبتى لديك أرسلت لك من غير توانى وقد أعلمتك بهذه المعانى وقد سير الاسود معه فى خمسين ألف فارس أبطال وأنا أرجو من الله الكريم المتعال وأكون أنا فى أول الرجال وينزل بنا الذل والخسارة والخبال وينهب جميع ما معنا من الاموال وترجع الجيوش من قدامك منهزمين الى الحيرة وأنا ما كتبت لك هذا الكتاب الا وقد صحت منى عليك البصيرة فاذا قرأت كتابى هذا فخذ حذرك ودبر أمرك وما يلحقك كسل ولا يأخذك عن كسرتهم فشل لانى أعلم أنك عليهم منصور ثم ان الوزير دعا بعبده سالم النجاب وكان ذلك عبد حبيب من الاحباب ثم انه سلم اليه الكتاب وأمره أن يسير ويقطع البرارى والهضاب ويوصله الى عنتر البطل المهاب وان يكتم سره ويخفى أمره فخرج العبد من وقته وساعته واستوى فى الحال على ظهر ناقته وأرخى لها زمامها وصار يركض فى فلواتها وأخذ فى عرض البر من جانب الجنود وسار يقطع البيدا فى تلك البرارى الواسعة حتى يخفى أمره بما يريد أن يفعله ومازال يركض فى البرارى والسباسب حتى أشرف على جبل خشاخش والتناصب ونظر الى تلك الجيوش التى قد اجتمعت فى حى الامير عنتر ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك استقبل أبياته لانها كانت معروفة بطول العمدان فسأله العبيد وقالوا له أنت من أى البلدان فقال أنا رسول للامير عنتر بن شداد ﴿قال الراوى﴾ فجعلت العبيد تتجارى بين يديه وكل منهم يجرى بما يقدر عليه حتى أوصلوه بين يدى عنتر بن شداد فلما رآه عنتر فرح به واستبشر هذا والعبد قد قبل يديه ودعا له وسلم عليه فاخلا له عنتر مكانا برسمه وأمر العبيد بالانصراف وسأله عن حاله فاخرج له كتاب الوزير بلاخلاف ﴿قال الراوى﴾ فدعا عنتر بعروة بن الورد فحضر الى بين يديه فاعطاه عنتر الكتاب فقرأه عليه ولما علم ما فى الكتاب شكر الوزير على حسن ثنائه وصفائه ووداده وعلى ما هو فيه من ترك أخباره ثم انه كتب اليه رد الجواب يقول فيه أيها السيد المهاب طب نفسا وقر عينا بكل الاسباب واعلم انه لو سار الى الملك الاسود بنفسه هو ومن عنده من الفرسان وكسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان أو قيصر ملك عباد الصلبان واعتدوا على بالشر والطغيان فوالله ما أرفع لهم قدرا ولا شان ولا أقيم لهم بين العربان رأس ولا عددتهم عندى بناس وأما أنت فتعيش وتبقى ولا ترى بؤسا ولا شقا وأدام الله لك العز والبقا ثم انه أنعم على العبد ورده الى مولاه أحسن رد وما علم به من العشيرة أحد ثم ان عنتر لما فرغ من ذلك الامر والمرام قام قائما على الاقدام وأخذ عروة بن الورد وسار هو واياه حتى دخلوا على الملك قيس بن زهير فوجدوا عند الملك وهب بن موهوب وسبيع بن الحارث الفارس الوثوب والاخوص بن جعفر الفارس المندوب وملاعب الاسنة الاسد القسور وعامر بن الطفيل وعلقمة بن علاقة خواص الليل والمجلس قد احتفل بتلك الملوك والشجعان ﴿قال الراوى﴾ ولما دخل عنتر الى ذلك المقام قاموا له قائمين على الاقدام وتلقوه بالرحب والاكرام ثم انه تقدم الى صدر المجلس بين يدى الملك وهب بن موهوب وبين الملك قيس وجلس وصار الملوك يحدثونهم واياه فاخذ يشرح لهم القصة ويعلمهم بالخبر الذى أتاه وقال لهم يا سادات العرب قد جاءنا خبر من الاخبار وذلك ان

الملك الاسود قد أرسل لنا جيشا جرار وفرسانا ما عليهم عيار وقد استنجد علينا بالهامان بن علقمة الهمدانى
الذى تزعم العرب ان ماله فى حربه ثانى وقد سير فى صحبته الوزير عمرو بن نفيلة فى خمسين ألف فارس من
كل مدرع ولابس فانظروا يا ملوك العربان ماذا يكون فى هذا الامر والشان واعتدوا للقاء هذه الكتائب
والاقران فقال عروة بن الورد يا أبا الفوارس ان هذا الجيش كلهم قاصدين اليك فدبر نفسك وها نحن بين
يديك لانك اذا أشرت علينا برأى قبلناه وما ملك امتثلناه ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع عنتر كلام عروة
أشار اليه وشكره وأثنى عليه وقال أنا ما أضرب الا باسيافكم ولا أضرب الا بهمتكم وأنا والله ما على قلبى من
الاسود ولا من الهامان ولا من كسرى أنوشروان صاحب الايوان ولا من قيصر ملك عباد الصلبان اذا هم
قصدوا الى بمن معهم من الفرسان ويجمعنى أنا واياهم الميدان وسوف أجعل لى ولهم حديثا يذكر ما بقى
الزمان يتحدث به الناس فى كل وقت وأوان ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمعت أمراء العرب كلام عنتر ما منهم الا
من انذهل وتحير وقالوا والله يا أبا الفوارس ما نبخل بارواحنا عليك ولو طارت رؤسنا بين يديك فلما سمع
عنتر مقالهم شكرهم ودعا لهم وقال لهم يا بنى عمى نطلب من الله أن يخيبهم فى أمورهم ويرمى كيدهم فى
نحورهم ويقابلهم على أفعالهم ويغنمنا أموالهم وعلى انهم ما هم قياسنا ولا كفؤانا وسوف نوردهم تلافهم
ثم انهم بعد ذلك المقال استشاروا على ما يكون من الفعال فقال عنتر الرأى عندى أننا نخرج الى ظاهر الجبال
ونقاتلهم دون الحريم والعيال ﴿ قال الراوى ﴾ فعند ذلك ركبت الرجال وخرجوا على الخيول الغوال
وساروا ثلاثة فراسخ وأقاموا ينتظرون الجيوش فعند ذلك قال عنتر يا وجوه العرب مرادى أن أكون طليعة
لهذا السبب فقالوا له يا أبا الفوارس أنت لا تبرح من عندنا لانا ربما دهينا من جهة عدونا ونخاف أن يقصدونا
من طريق أخرى فقال عنتر لا تخافوا يا سادات العرب فانا لابد لى من هذا السبب وأنا ما أكون الا قريبا
منكم وما أبعد عنكم ثم انه سار فى جماعة من الفرسان حتى ينظر وما يكون من الامر والشان ﴿ قال
الراوى ﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الهامان فانه لم يزل سائرا بتلك الجيوش وهو يقطع البر
الاقفر حتى أشرفوا على طلائع عنتر وكان عنتر قد وقف وتأخر وأرسل تلك الرجال قدامه حتى تكشف له الخبر
فلما أشرفت طليعة عنتر على طليعة الهامان ونظروا الى تلك الجيوش وهى قد ملأت القيعان وبان للاسنة والزرد
لمعان والسيوف تلوح مثل الكواكب والكؤسات تدق من كل جانب فعند ذلك عادت طليعة عنتر اليه
وهم يلوحون بالسيف اليه وقد أيقنوا بشرب كاسات الحتوف وأعلموا عنتر بقدوم تلك الجيوش فعند ذلك
رجع الى عشائره وأعلمهم بقدوم الهامان وعساكره فتبادرت الرجال الى لبس الحديد وقد تدرعوا بالزرد
النضيد وثاروا كأنهم الاسود العوابس وهم لامعو اللوابس وركبوا على ظهور الخيل مثل النار المستعرة
فعند ذلك رتبهم عنتر ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ووقف هو وشيبوب بن الحارث وعامر بن الطفيل
وملاعب الاسنة والاحوص بن جعفر فارس الخيل وولده ميسرة وسبيع اليمن وأخيه مازن وعروة بن الورد
وقد وقفوا الجميع فى مقدمة الجيش وبين أيديهم عنتر ومن ورائهم ملوك العرب على كل جواد منتخب
وهم الملك قيس والاحوص والملك وهب وكلا منهم فى عدته غارق فى لامته محترز على نفسه ومهجته الا انهم
ما فرغوا من ذلك الترتيب حتى أقبلت الجيوش وقد وقعت العين على العين وبانت لبعضها بعض الطائفتين
ودقت الكؤسات ونعرت البوقات ونفرت الاسود من الغابات وبقوا كلما طلعت عسكر وقفت فى ذلك
البر الاقفر حتى تكاملت الخيل وجميع الجيش ولم يزالوا سائرين على ذلك الشان حتى أقبل الوزير
والهامان على جيوش عنتر ونظر الهامان الى ذلك الجيش عندما أقبل فاخذه فيه الطمع ثم أقبل على الوزير
وقال له ان هذه النوبة نوبة ذميمة ومحنة عظيمة كيف اننا نسير بهذه الجيوش الكثيرة الى هذه الشرذمة
اليسيرة فقال له الوزير أيها البطل المداعس لا تحتقر بهذه الفوارس لانها هى التى أذلت الرقاب وأهانت
الامور الصعاب وفرقت الجيوش فى الروابى والشعاب والرأى أن تكون منهم على حذر والا حل بك
القضاء والقدر ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع الهامان كلام الوزير حل به الذل والتعتير وقال له أيها الوزير

مثلى لم يخاف عند الكفاح وسوف أريك كيف أحمل عليهم بلا سلاح واقبض منهم الارواح وأسقيهم
كاس الحمام وأفرق شملهم بعد الالتمام ﴿ قال الراوى ﴾ ثم انه فى عاجل الحال ادعى بابن عم يقال له
دارمة بن حنظلة وكان جبارا من الجبابرة وهو فارس بنى همدان ولا له من يقاومه فى الميدان الا ابن عمه
الهامان فلما صار بين يديه قال له اخرج يا ابن العم الى هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم وحذره من بأسى
وقوة مراسى وقل له يا عنتر ان الزمان ما هولك وعن قريب تهلك واعلم ان هذا الهامان ما هو مثل غيره
ولا أنت فى الحرب نظيره لانه قد أخذ جزية الملوك وزل كل فارس فتوك وما فى الرأى الا أن تسلم نفسك
اليه من غير نكد حتى يتوسط فى أمرك مع الملك الاسود فان هو أجابك الى ما تدعوه اليه كان بها والا
فاحمل عليه واقتل كل من كان حواليه من الفرسان ولا تعود الا وهو معك أسير من بعد ما تنزل
بكل من معه البلاء والتعتير فقال له السمع والطاعة وسوف ترى ما يجرى عليه فى هذه الساعة ثم انه
أطلق عنان جواده وهو غارق فى عدة جلاده ولم يزل سائرا قدام الجيش الى أن وصل الى أبو الفوارس عنتر
ونادى أيتها الشرذمة اليسيرة والعصابة الحقيرة الا من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا
دارمة بن حنظلة بن عم الهامان الذى ما له مثال فى هذا الزمان وهو الذى أنفذنى اليكم من شفقته عليكم
وهو يحذركم أنتم واسودكم من شدة باسه ويأمره أن يسلم نفسه اليه قبل أن يقطع رأسه ويخمد أنفاسه
﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع عنتر كلامه وما أشار اليه اسودت الدنيا فى عينيه وهم أن يبرز له ويقضى عليه
واذا بشيبوب بن الحارث قد انقض عليه وهو يقول يا أبا الفوارس لا تتعب نفسك فما هذا الفارس من أبناء
جنسك ﴿ قال الراوى ﴾ ثم انه انقض على دارمة وهو كأنه الاسد الرئبال وهو يقول له ويلك يا ابن
الانذال يحق لك أن تذكر عنتر بن شداد فابشر الآن بالبوار من يد ذو الخمار ثم انه ضايقه ولاصقه واكربه
وألهبه وطعنه فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره ﴿ قال الراوى ﴾ فلما نظر الهامان الى ابن عمه قتيل
وعلى وجه الارض جديل اسودت الدنيا فى عينيه وكاد أن يغشى عليه ولم يبق يعرف ما بين يديه ثم انه ادعى
بدرع وركب على رأسه بيضة عادية ترد أسباب المنية وتقلد بسيف أبتر مصقول مجوهر واعتقل برمح أسمر
من عمل سمهر وعلى رأسه سنان كأنه لسان ثعبان وقدموا له حصان أصفر مدور الكفل فصار على
ظهره وقد أوقره لعظم جثته وزعق فيه فر به مثل البرق اذا برق ونادى باللعرب أنا الهامان بن علقمة
الكاشف كل نائبة معظمة وأنتم يا بنى الاشرار قد حلتم لانفسكم الويل والدمار بقتل بن عمى الفارس الكراز
ولكن أبشروا بقلع الآثار وخراب الديار ﴿ قال الراوى ﴾ فعند ذلك قفز اليه ذو الخمار وقال له ويلك
اقصر من هذا الفشار ولا تقول الهزيان فى موضع الافتخار فلما سمع الهامان كلامه عرفه بصوته وقال له
ويلك يا ذو الخمار ما الذى حملك على قتل ابن عمى يا غدار فابشر الآن بالدمار وقلع الآثار ﴿ قال الراوى ﴾
ثم انهما انطبقا على بعضهما بعض وجالا طولا وعرض وصبرا على تلك الشدائد وعضت الخيل على
الشكائم وأذهلا بفعلهما النظار وغابا عن الابصار وامتدت اليهما الاعناق وشخصت الى نحوهما
الاحداق وقام الحرب على قدم وساق ﴿ قال الراوى ﴾ فعند ذلك قام شيبوب فى بداده وزعق فى جواده
وكز الجواد بالركاب فشب به الجواد فوقع ذو الخمار من على ظهره الى الارض والمهاد وغاصت يده الى حد
ابطه فى التراب وقد خبله درعه ولباسه فانطبق الهامان عليه بهمته وجعل حمائل سيفه فى رقبته وقاده
أسير ذليل حقير وقد حل به الويل والتعتير ﴿ قال الراوى ﴾ ثم انه سلمه الى بعض بنى عمه وقد أيقن
بزوال همه وغمه هذا والضجات قد علت من بنى همدان وفرحوا بنصرة الهامان ثم ان الهامان عاد
الى الميدان وهو يهدر كانه الاسد الغضبان وصال وجال وطلب البراز والنزال فعند ذلك قفز اليه عنتر
مثل النار وهو يتأسف على ذو الخمار وصاح فيه اسكت يا ابن اللئام فدونك وضرب الحسام ﴿ قال
الراوى ﴾ فلما سمع الهامان كلام عنتر ونظر الى ذلك القدر والهيكل فعلم ان عنتر فارس العصر ونتيجة

الدهر فقال له ويلك يا عنتر اعلم اني أحب الشجاعة واهلها لان
الابطال تعشق الابطال الذى مثلها ومثلك من تتأسف عليه
الاخوان اذا أتت نوائب الزمان واذلم تتلافا مى قصتك
وترجع عن ما أنت فيه من عزيمتك وتسمع
منى النصيحه والابقيت فضيحه وأحل
بك العار بين البوادى والحضار
وأحل عليك أقطع
رأسك من بين
كتفيك





﴿ تم الجزء السابع والعشرون من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شداد ﴾ .

﴿ الجزء الثامن والعشرون ﴾

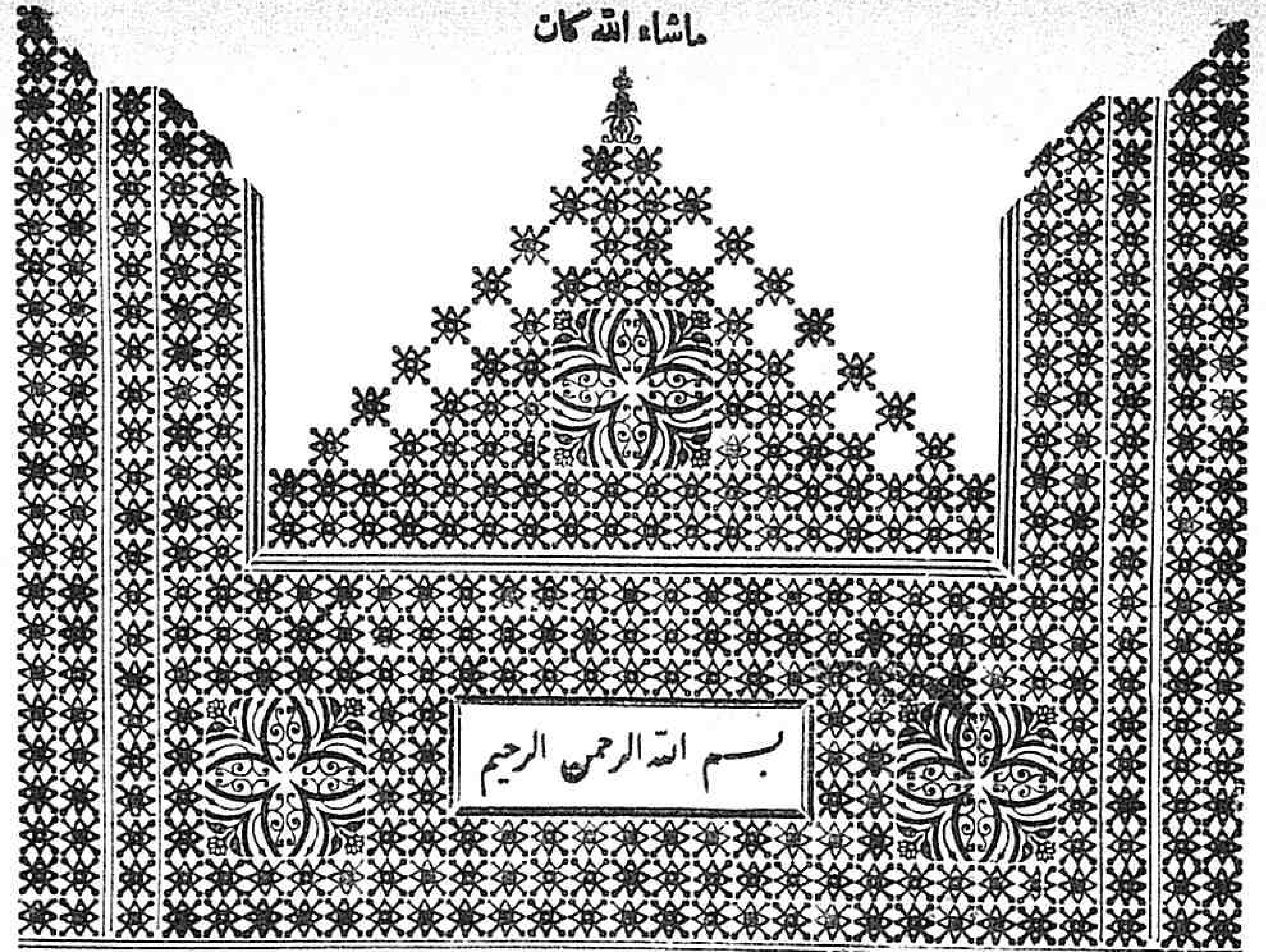
من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من
انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث
النزال الامير عنترة بن شداد
وهي السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليـــه





﴿ محل مبيعه ﴾
(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين افندى شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

﴿ الطبعة الثانية ﴾
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)



(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه زاد ضحكه وابتسامه وقال له عنتر ان مثلى ما يخفى على مثلك وأنت زعمت انك قد ضمنت للملك الاسود قتلى أو أسرى وأنا أيضا قد ضمنت للملوك الذين معى قتلك أو أسرك فدع عنك طريق الخداع وخذ فى معاناة الحرب والقراع يبان الشجاع من الجبان و يتفرج واعلينا هؤلاء الشجعان و يشهدوا النا بالزيادة والنقصان و بعد هذا المقال فما يكون بيننا انفصال الا ببلوغ الآمال فدونك والقتال وخل عنك المحال ثم انهم بعد ذلك انطبقا على بعضهما بعض و زعقا زعقتين دوت لهما الارض (قال الراوى) هذا وقد اندهشت الفريقين وحارت منهما كل عين وأخذوا فى الانطباق والافتراق والمجالدة والسباق هذا والغبار عليهما قد ثار ولمعان سيوفهما تلمع تحت القتام مثل شرار النار وشخصت الحضار نحوهما بالابصار ولا بقى يسمع من الاثنين غير صهيل السيوف على الدرق والغبار من فوق رؤسهما قد تسردق وزاد بهما الغيظ والحنق (قال الراوى) ولم يزالا الاثنين فى هزل و جد وصد و رد وانطباق وافتراق فتارة يكونان فى الميمنة وتارة يكونان فى الميسرة وهما فى هدير و زمجرة الى أن مضى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه وقد كلت من تحتهما الجوادين وقد طال الوقوف والنظر بين الفريقين وقد افترق الاثنين بعد ما أيقنا بذهاب الروحين (قال الراوى) ثم ان الهامان أقبل على الامير عنتر وقال له يا عنتر اعلم ان الظلام قد أقبل والليل قد أسبل فعول بنا على الراحة من الطعن والضرب بالصفاح واذا أقبل النهار عدنا الى ما كنا عليه من الحرب والكفاح فقال عنتر لا وحق من خلق الغرب والشرق ان الراحة ما هى لك مباحة وما بقى بيننا انفصال الا ببلوغ الآمال و بعد ذلك ان كان ولابد من الراحة فانزل بنا فى هذه الساحة فان ما نام منا براحة و يقعد كل واحد منا قدام جواده الى الصباح و بعد ذلك نعود الى ما كنا عليه من الحرب والكفاح ولا نزل على هذه الحال حتى يبلغ أحدنا الآمال (قال الراوى) فلما سمع الهامان من عنتر ذلك المقال اندهش وحار واحتاج أن يجيبه على ما قال والاعارته بذلك فرسان العرب ثم انهما بعد ذلك أركز والرمحين ونزلا عن الجوادين و بركا على الركبتين وهما يتهامزان و بالشر يتواعدان (قال الراوى) فعند ذلك أتى لكل واحد منهما جماعة من قومه بطعام وشراب وأخذوا من عندهما جواديهما وعادوا الى من لهم من الاصحاب هذا والفريقان قد أضرمت

النيران و بات الحرس يعمل بين الفريقين وهما يكثران الصياح الى ان أصبح الله بالصباح فعند ذلك ثارت الجيوش وترتبت ميامن ومياسر وأتوا الى عنتر والهامان بجوادين فركبوهما وجالا فى الميدان حتى تحيرت منهما الشجعان وتعب الجوادان فعند ذلك وقفا للراحة والفرسان مما عاينوا ما جرى بينهما ترتاعه هذا والهامان قد تحير من عنتر وفروسيته و يتمنى هلاكه وصرعته فعند ذلك أشار عنتر يقول صلوا على طه الرسول

صبوحى صبوح الخيل يوم التصادم * وغرس سنانى فى صدور الضراغم
وكاسى وطاسى ذابلى ومهندى * يفلق هامات الرجال القشاعم
أنا مانع ان فخرت لمفخر * وفى غيرها تبنى بيوت المكارم
بحسبك انى قد سدت أخوم كلها * لكل أناس سادة ودعائم
فهذا أوان السمر سلت سهامه * معابلها والمرهفات السلاجم
يا عبلة انظرينى عند اشتباك القنا * اذا نادت الابطال هل من مصادم
وثار عجاج الفرقدين بهسين * لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم
وشرع فيها كل أسمر ذابل * وجرد فيها كل أبيض صارم
وجارى منهمان عزيز جنابه * فنام وما جار الذليل بنائم
أنا عنتر العبسى ذو البأس والندى * أمير بنى عبس السراة القشاعم

(قال الراوى) فلما فرغ الامير عنتر بن شداد من هذه الابيات والهامان يسمع منه هذه الالفاظ المعربات فأجابه على عروض شعره يقول صلوا على طه الرسول

سرى طيف سعدى بالخيال الملازم * فذكرنى هجر الحبيب المصادم
وعاداه انى انى بعدهنى * يبارزنى عبد لئيم مقاوم
وما يعلم انى اذا الحرب شمرت * وثار عجاجات الغبار غمائم
أوفى الاعادى ضربا بأبيض باتر * وأورد هم طعنا بأسمر لهذم
أنا ابن سرات الناس شرقا ومغربا * أنا ابن الاماجد والليوث الضراغم
أنا الفارس الضرغام أحمى شكيمتى * على ضامر كالقدح صلب الدعائم
أصول عليهم فى الوغا بمهند * ضريبته تشفى صداع الجماجم
تركت الاعادى يوم مشتجر القنا * تعج نجيعا للاسود الضراغم
وما كنت رعيبا اذا الخيل أقبلت * واصطدمت فى النقع اى تصادم
بل أردى الأبطال يوم مجالها * بأسمر خطى وأبيض صارم

(قال الراوى) فلما فرغ الهامان من شعره والمقال عادوا الى الحرب والقتال بعد ما استراحت الخيل للمجال وانطبق كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعانه ومضاربه وغاصا فى الاوابد وصبروا على الشدائد وعضت الخيل تحتهما على الشكائم والمراود (قال الراوى) ومازالا كذلك حتى وقفت الشمس فى قبة الفلك وزاد بهما العطش والظمأ وقد طال الانتظار مما دخل على قلب عنتر من الحنق وطول مقامه فى ذلك القتال الذى له اتفق فعند ذلك هجم على صاحبه وعليه انطبق حتى حك الركاب بالركاب وقد التهب قلب عنتر غاية الالتهاب وقام عنتر فى ركابه وتمطى فى بداده وفتح يده ليضرب خصمه وكان مرجه على ركابه الايسر فانقطع سير الركاب باذن مسبب الاسباب فوقع عنتر من فوق الجواد كأنه طود من الاطواد فانطبق الهامان على عنتر من شدة حنقه وحرقته فأخذه أسير وقاده ذليل حقير (قال الراوى) ثم انه سلمه الى بنى عمه وأمرهم أن يشدوه كتاف و يوثقوا سواعده والاطراف فعند ذلك قادوه والى عمرو بن نفيلة احضروه فلما نظر اليه وهو فى ذلك الحال الذميم نال قلبه عليه منال عظيم غير انه ما أمكنه يسعى فى خلاصه وقال له كيف رأيت نفسك يا أسود وقد حل بك فناك وكل ذلك لمشاققتك للملوك وتجبرك على كل غنى وصعلوك فابشر الآن

بقرب الاجل والموت المعجل (قال الراوى) ثم انه بعد ذلك أمر بالتوكيل عليه وان يوثقوا رباطه ويقيدون رجليه الى أن يفرغوا من قتال تلك العشائر والجمع المتكاثر فعند ذلك قيدوا عنتر وقد بلى بالاسر والضرر هذا وبنو عبس قد علا منهم الصياح والبكا وقد أيقنوا بالاسر والفنا هذا والهامان قد رجع الى اقرانه ووقف فى ميدانه وأظهر سطوته واهتمامه ونادى يا بنى عبس دعوا عنكم الحرب والجلاد واتركوا مشاققة الملك الاسود وعودوا الى ما كنتم عليه أصلح لكم وأنا أعطيكم الذمام وأحلف لكم انى ما أخلى الملك الاسود يؤذيكم لان ما كان الغرض الا عنتر وها أنا قد أنزلت به الضرر فلا تحملوا الانفسكم البليه فتحيط بكم الرزيه (قال الراوى) الا ان الهامان ما تم كلامه حتى قفز اليه عروه وصار قدامه وقد علم انه ما هو من رجاله ولا يعد من أشكاله بل انه أراد أن يفدى عنتر بنفسه (قال الراوى) ثم انه خرج خروج المسلوب ودمعه على خده مسكوب وهو يقول لا حياة لى تطيب بعد فراق الحبيب فلما نظرت بنى عبس الى ذلك الحال زادهم الخبال وعلموا انه ما فعل ذلك الا من كثرة ما لحقه من النيران فكثر الصياح عند براز عروه الى الهامان مما حل به لاجل عنتر عنده لانه صادق معه فى المحبة ومقيم معه على المودة والصحبة وبقى سبيع اليمن وعروه وميسرة دموعهم منحدرة وعولوا أن يلقوا أنفسهم الى الهلاك ويرموا أعداهم فى ضيق الخناق وعلموا ان ركنهم بعد عنتر قد انهدم وعزمهم قد انصرم هذا وعروه قد صار مع الهامان فى مقام الجولان وزعق فيه وقال يا أنذل العربان والله لولا تصاريف الزمان لطال عليك أن ترمى أبو الفوارس عنتر فى ذلة الاسر والهوان ولكن العبد لا يقدر أن يمحو طوارق الحدثان وها أنا قد خرجت الى الميدان فاما أن أرزق عليك النصر والظفر واما أن أضاف مع الامير عنتر لانى قد آلمنى فقده ولا حياة لى تطيب من بعده ثم ان الامير عروه أشار اليه ينشد يقول صلوا على طه الرسول

لاعشت من بعد الشفيق بلذة * وأراه مقرونا بذل وهوانى * اما أفوز بثاره يوم اللقا
أو أن أذق كأس المنية دانى * أف لدهر خاننى لفراقه * من بعد عيش صاف وأمانى
كم أذل فى يوم الحروب فوارسا * بالصارم الهندى وبالمرانى * كم من مقدم جحفلا ذو صولة
أرداه عند تطابق الجولان * كم ذل فى يوم الهزاهز فارسا * أرداه مجندلا بحد يمانى
ما كان عنده تكاسل يوم اللقا * ما كان رعديدا ولا بجبانى * ما كان ذا فشل اذا اشتجر القنا
فى حومة الهيجا فى الميدانى * بل يردى الابطال عند مجالها * بالصارم الهندى وبالمرانى
يا ويح نفسى كيف أبقى سالما * من بعد عنتر حامى الاظعانى

(قال الراوى) فلما سمع الهامان من عروه ذلك المقال ترنح ومال وقال له ويلك لقد جلبت لانفسك البليه واحاطت بك الرزيه واليوم أنزلك اليه فى الشداد وأشهركم بين العباد وأسبى حريمكم والاولاد جزاء لما جلبتم لانفسكم يا أوغاد غير أمجاد (قال الراوى) ثم انه بعد ذلك الكلام أطبق على عروه فى ساحة الميدان وحاربه حتى أتعبه وأكربه والصق ركابه بركابه ثم جعل حمائل سيفه فى يده وقبض على خناقه بيده وزعق بالهمدان أنا قاهر الفرسان وهز عروه واقتلعه من بحر سرجه وأخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه الى بعض رجاله وعاد فى الحال الى الجمال فعند ذلك هم ميسرة بالخروج اليه فمنعه الملك قيس وحلف عليه وقال له يا ولدى بحرمة النسب وبذمة العرب لا تخرج الى هذا الجبار ولا تبلينا بفراقك مع فراق أبيك فنحن بأنفسنا نفديك (قال الراوى) هذا والهامان يجول فى الميدان ويطلب براز الاقران والابطال قد فزعت منه وتوقفت جميع الرجال عنه فعند ذلك حمل على فريق من بنى عبس وحده واقتحم الغبار بقوة ساعده وزنده فحملت بنى عبس عليه من الميامن والمياسر وحملت جميع العشائر كأنها البحار الزواخر وطلعت الغبار الى الافواه والمناخر فكم من رأس طائر وجواد بصاحبه عاثر وصار الدم فائر وعظمت الحرائر وتفطرت المرائر وأظلم الجو واسودت الاقطار وطلب الجبان الفرار وخاف الشجاع من العار والفضيحة والاشتهار وندمت الرجال على فوات الاعمار وجرت الدماء مثل الامطار وباحت القلوب بالاسرار وقل الاصطبار وهانت المنية على العبيد والاحرار وولى النذل من خوف البوار وعميت الابصار واشتدت الاخطار ودار طاحون الآفات وعملت

المرهفات فى جماجم السادات وهمت سباع الغابات وضاقت على الخيول أقطار الفلوات وأيقنت النفوس بشرب كأس الممات وعملت السيوف الهنديات فى الدروع السابغات وتوقدت نيران الحروب المسعرات من أشفار السيوف القاطعات وأسنة الرماح السمهريات فكم من شجاع أيقن بالممات لما رأى تلك الامور الهائلات فسبحان من حكم على تلك الصور بالبلاء والآفات وشرب كأس الممات هذا وقد ضاقت بهم الفلوات ودارت عليهم طاحون الآفات وزعق فيهم بوق الشتات وصيرت بنى عبس وبنى عامر وبنى حمير صبر أولاد العربيات واختاروا لانفسهم شرب كأس الممات وعلت منهم الزعقات وقلت منهم الحركات وهلكت العبيد والسادات وقبضت الارواح وتحسروا على ما فات وتعثرت الخيل بالدما فبقيت ألوانها مختلفات والسيف يعمل من سائر الجنبات (قال الراوى) ولما نظر الوزير الى ما حل ببنى عبس من التدمير وكيف فاض عليهم الجيش الكثير فخاف عليهم من الهلاك والتلاف وكان حولها أكثر من عشرة آلاف الا ان العدد عليهم كثير والجمع غزير هذا وبنى عبس قد صبروا بالرغم لا بالرضا وحملت الرجال على بعضها بعض وارتجت جنبات الارض وحام عليهم كأس المنايا وحمل سبيع اليمن وميسرة وتركوا الجماجم على الارض منتشرة وحمل نازح بن أسيد ومازن فارس البيد وحمل ملاعب الاسنة فارس الخيل وحمل أيضا عامر بن الطفيل فكردس الخيل وأجرى الدما مثل السيل (قال الراوى) ولم يزالوا فى حرب الى ان أقبل ظلام الليل فعند ذلك انفصلوا عن بعضهم البعض ونزل كل فريق فى مكان من تلك الارض وأضرموا النيران وتحارس الفريقان وبات الوزير عمرو بن نفيلة وكانت عليهم ليلة طويلة وقد حل بهم الهم الاكبر من خوفه على عنتر لانه كلما سمع بكاء الصبيان وضجيج النسوان من بنى عبس ومن معهم من العربان فحل به البلاء وهو فى هم عظيم وحزن مقيم وكثرت عليه الهموم والفكر وهو حائر ما يدرى كيف يعمل على خلاص عنتر حتى يفكه من الاسر والضيق ويفرج عن بنى عبس ما حل بهم من التعويق (قال الراوى) فبينما الوزير يتفكر فى ذلك الامر ومعانيه واذا هو بالهامان قد أقبل اليه وجلس بجانبه وسلم عليه ثم قال له اعلم أيها الوزير والسيد الكبير ان أمر هؤلاء الرجال قد طال تحصنهم فى الجبال وأنا ما بقيت أبطل عنهم القتال حتى أنزل عليهم الذل والنكال وآخذهم عن آخرهم فى القيود والاغلال وأسبى نساءهم والعيال وأنهب جميع ما لهم من الاموال ولكن قلبى خائف على عنتر ومن معه من المأسورين ربما يتسبب لهم بسبب يخلصون به ويفوتنا المقصود والارب وأنا أريد أن أخفف هذه الاثقال عن قلبى وأرسلهم الى الملك الاسود فى القيود والاغلال وأرسل معهم مائتين فارس صناديد واذا وصلوا هم اليه يفعل بهم ما يريد وبعد ذلك أتفرغ للقتال بمن بقى من الرجال وادخل خلف بنى عبس الى الجبال وأقتل الرجال وأسبى الحريم والعيال وأنهب جميع الاموال ولا أترك منهم من يخبر بخبر (قال الراوى) فلما سمع الوزير ذلك المقال صعب عليه ذلك الحال ولكنه أجاب الهامان الى ما يريد وقال له هذا رأى سديد افعل ما شئت ودبر ما هويت فعند ذلك ادعا الهامان بمائتين فارس من بنى همدان وقدم عليهم بطل من الابطال يقال له فياض بن هلال لانه فارس شديد وبطل صنديد ثم انه سلم اليه عنتر وعروه وذو الخمار وقال له أريدك يا ابن العم أن تسير بهؤلاء الاسارى وهم فى ذل الوثاق حيارى وتقطع بهم البر والفدفد حتى توصلهم الى الملك الاسود لتحظى منه بالجائزة السنيه ويعطيك أوفى عطيه ولك أيضا من الغنائم التى معنا القسم الوافر فانهض لما أمرتك به وبادر فقال السمع والطاعة ثم انه ودعه وسار من تلك الساعه بعد ما سلمه الاسارى وهم قد أيسوا من أنفسهم وأيقنوا بهلاكهم ووبالهم لانهم يعلموا ان الملك الاسود ما يبقى عليهم والهلاك قدام أعينهم (قال الراوى) فهذا ما جرى لهؤلاء (وأما) ما كان من أمر الوزير فانه نال قلبه منال عظيم وحل به خطب جسيم وبقى حائرا فى أمره وقل صبره وجلده وجعل يتفكر فى أمر عنتر وكيف يكون السبب فى خلاصه وفكاكه من يد قناصه ثم انه فى ساعة الحال قام أسرع من الطير وكتب كتاب الى الملك قيس بن زهير وهو يقول له الذى أعرف به الملك قيس بن زهير بان قلبى قد ناله من أجلكم مشقة عظيمة وكذلك لاجل عنتر وما حل به من الضرر والذى أعلمك به ان

الهامان قد أنفذ عنتر ومن معه الى الحيره مع ابن عمه فياض فى جماعة كثيرة وهم مائتين فارس عوابس وقد سيرهم الى الملك الاسود حتى ينزلوا بعنتر الهلاك والنكد والهامان قد عول على انه غد القتال يتجرد ويقتل رجالكم وينهب أموالكم واعلم انى ما كتبت اليكم هذا الكتاب الا والقوم قد سار وا وتمت الاسباب وأنا والله متأسف على عنتر حاميتكم كيف يهلك فان أردتم كسر هذه الجيوش وتفريق هذا الجمع المتكاثر وقتل الهامان ومن معه من الجيش وتخليص الاسارى وعنتر فساعة اطلاعكم على هذا الكتاب لا تتهاونوا فى هذه الاسباب بل انفذوا من عندكم ألف فارس يكونوا ليوث عوابس ويكون معهم أمير كبير وصاحب رأى وتدبير واتركوهم حتى يسيروا فى هذا الليل ويظنوا أنهم بلغوا القصد والنيل ويدعوهم حتى يتغوطوا فى البر ويعبرون من وراء الجيش ثم يسيرون الى أرض الحيرة ويقفوا خلفهم على الاثر ويطلعوا على صحة الخبر فاذا لحقوهم يضعوا السيف فيهم ولا يخلوا منهم أبيض ولا أسود ولا يتركوا منهم احد ويخلصوا المأسورين ويعودوا من ورائنا ونحن بهم مشتغلين ويضعون السيف فى عشائرنا فأول من ينهزم أنا واطرح الهزيمة فى الجيش حتى يتشتتوا فى البر الاقفر وتخرجوا أنتم ذلك الوقت من بين الجبال وتنزلوا بهم الذل والخبال وتقتلوهم وتأخذوا ما معهم من الغنائم والاموال وقد فزتم بالنصر والظفر (قال الراوى) ثم انه بعد ذلك طوى الكتاب وسلمه لعبده سالم النجاب وقال له يا سالم لى عندك حاجة وأريدك تركب فيها مركب النجابه وأنت اذا أسرعت يا سالم فى هذه القضيه ونجحت على يديك أعطيتك خلعة سنيه وألف دينار مصريه لانها أهم من كل الحوائج وأريد أن يكون قضاؤها على يديك هذه النتائج (قال الراوى) فلما سمع العبد كلام مولاه أجابه الى ما يهواه وقال له يا مولاى وما هى الحاجة حتى أبادر اليها من غير لجاجة فقال أريد أن تأخذ هذا الكتاب وتمضى به الى ملك بنى عبس وتعود الى بجوابه قبل طلوع الشمس ولا تسلمه الا اليه فى يده وتوعده بالنصر والسلامه ولا تعد من عنده الا بعلامة واذا قضيت هذه الحاجة على يديك فيكون لك عندى الذى ضمنته اليك (قال الراوى) فلما سمع العبد كلام مولاه وعلم المقصود قال له يا مولاى ومن ليلتى أعود فقال له واياك أن تغفل فى مسيرك فينفسد الامر وينعكس تدبيرك فسر يا ولدى من هذه الساعة فقال يا مولاى السمع والطاعة ثم انه اخذ الكتاب وقلع ثياب الحضر ولبس ثياب السفر لانه كان عبد مذكور وللمهمات مدخور سيما لمثل هذه الامور وكان لا تلحقه اللواحق ولا تدركه خيول السوابق (قال الراوى) ثم انه سار حتى انه أبعد عن الجيش وترك الخيل من وراه وجد المسير فى البر الاقفر كأنه الطير الذى يطير لانه رأى الناس فى خلق كثير والاخ لا يعقل على أخيه والولد لا يلتفت الى أبيه (قال الراوى) ولم يزل العبد سائرا الى أن وصل الى جدار الجبال التى بنو عبس نازلون بها فوجدهم فى أشد الحرس وهم على أرواحهم حذرين وكان الذى متولى الحرس تلك الليلة على الجيش والاجناد مالك بن قراد ومعه مائة فارس من بنى عبس الاجواد منهم عمرو أخو عبلة وسبيع اليمن وميسرة ومازن وهم متفرقين مواكب وراكبين خيلهم خوفا على أنفسهم من عدوهم حتى انهم لو طار بينهم طائر ما فاتهم (قال الراوى) فلما نظر وابنى عبس الى اقبال العبد فى سواد الليل وهو يتدفق مثل السيل فعند ذلك استغربوه وتبادرت اليه الرجال الاجواد وتقدم اليه مالك بن قراد وزعق فيه قف عندك يا نسل الاوغاد تكلم من قبل أن يحل بك الموت والنفاد فعند ذلك وقف العبد حتى وصلوا اليه وداروا من حواليه وقالوا له من أنت أيها الذليل وما الذى أقدمك علينا فى ظلام الليل فقال لهم من أنتم من بنى عبس الامجاد لان معى رسالة لا أسلمها الا لمن أعرفه من السادات الاجواد فقال له مالك بن قراد وأنت من تكون أيها الامير فقال له أنا سالم عبد الوزير وقد أتيت اليكم فى بعض التدبير فلما سمع مالك مقاله وما أشار اليه ضمه الى صدره وقبله بين عينيه وبكى عند نظره اليه وتذكر ذلك الوقت عنتر لما عرف أنه عبد الوزير وكان كيف يأتى اليه لاجل التدبير فقال له العبد فما ثم الا السلامة والخير وأريد أن ترسلنى الى الملك قيس بن زهير ولا تعلموا بى أحدا من العباد واحذر وأن يعلم بى الربيع بن زياد أو أحد من اخوانه فأهلك أنا ومولاى وعنتر ورفقته فقال ورقة بن زهير ولكن كيف يكون العمل والتدبير حتى نوصلك الى

قيس أخى من حيث لا يعلم بك كبير ولا صغير فعند ذلك قال لهم سالم يترجل واحد منكم عن جواده ويخلع لباسه وعدة جلاده ويعطينى اياها ألبسها وأسير أنا وأنت يا مولاى وتنفذ قدامنا الى أخيك بعض الغلمان وتأمره أن يخلى لنا مكان حتى أمضى وأدخل عليه وأسلم الوديعة اليه وآخذ منه علامة بالوصول اليه فلما سمع ورقة مقاله تعجب منه ومن فطنته واحتياله وقال والله لو لم تكن هذه المعرفة فيه ما كان أرسله الوزير فى أمره الذى يخفيه ثم انه التفت الى عمرو أخى عبلة وقال له ترجل يا عمرو عن جوادك واقلع ملبوسك ليتم الامر فعند ذلك ترجل عمرو عن جواده وقلع لباسه وعدة جلاده فلبسهم سالم وسار معهم الى ما هو عليه عازم وأرسل ورقة رسول الى أخيه ليعلمه بالامر الذى عول عليه فعند ذلك سار الرسول حتى وصل الى الملك قيس ودخل عليه وأعلمه بما قد أتى فيه فلما سمع الملك قيس ذلك الخطاب صرف كل من كان عنده من الاصحاب فلم تكن الا ساعة حتى دخل ورقة والعبد بين يديه فتقدم العبد وسلم عليه بعدما قبل يديه فترحب به الملك قيس وقربه اليه الا انه ما كان يعرفه لان الملك قيس ما عنده خبر من قصة الوزير مع عنتر فلما أقبل العبد وتقدم اليه بأدب قال له من تكون يا وجه العرب فقال له يا مولاى أنا عبد الوزير عمرو بن نفيلة وقد أتيت بكتاب ثم دفعه اليه فلما قرأه قيس جرت دموعه من أماق عينيه ولكنه فرح لما اطلع عليه فقال له العبد يا مولاى انى أريد الرواح ومرادى أعود الى مولاى قبل الصباح حتى لا يطلع على أحد فى هذا الامر والمعنى فتهلك كلنا فعند ذلك كتب اليه الملك قيس رد الجواب وسلمه اليه وشكر الوزير وأثنى عليه وعرض على العبد شيأ من المال وسأله فى أخذه فلم يقبل ولا عقال وقال يا مولاى أنا ما قصدى الا سلامتكم من الاعداء وهذا يكون لى عندك وديعه فى وقت غير هذا الوقت وأنا يكفينى ما ضمن لى مولاى لانى أعلم انى قد بلغت المنى فلما سمع الملك قيس كلامه تعجب من جودة خبرته واهتمامه فعند ذلك ركب العبد وركب رسول ورقة وسار والى أن خرجوا من الجبال فلما وصلوا الى طلائع بنى عبس وقد تم لهم الامر عند ذلك ترجل سالم وخلع ثياب عمرو ولبس فى الحال ثيابه وقد زال عنه خوفه وارتيابه ثم أعطى ساقيه للريح وطلب البر الفسيح وعبر من خلف الجيش وطلب الفلاة فلم يمض من الليل نصفه الا وهو عند مولاه فوجده فى قلق وسهر من أجل غيبته فلما دخل عليه وصار فى حضرته فرح برؤيته وساله عن قصته فحدثه بما تم له فى غيبته وأعلمه ان الملك قيس قد فرح برسالته ثم انه أعطاه الجواب ففرح بتلك الاسباب وأقام ينتظر آخر الامور وقد حل به الفرح والسرور هذا ما كان من أمر الوزير وخبره (وأما) ما كان من الملك قيس فانه قد أصبح وحالته مستتره ثم انه دعا بعامر بن الطفيل وسبيع اليمن ومازن وميسرة وملاعب الاسنة الفارس الغضنفر فلما حضروا التفت الى ميسرة وقال له أتحب أن تخلص أباك من المهالك فبكى ميسرة وقال له يا مولاى وأين لى ذلك فقال عامر بن الطفيل ومن أين لنا بهذه الامور وهى أقصى مرادنا ونريد نفدى أخينا عنتر بأموالنا وأرواحنا فلما سمع قيس كلامهم قال ابشروا بأسركم واعلموا ان خلاصهم على يديكم ثم انه أعلمهم بما جرى له من الاسباب وقرأ عليهم الكتاب ففرحوا فرحا عظيما وعلموا ان حالهم مستقيم (قال الراوى) ثم ان عامر بن الطفيل أقبل على الملك قيس وقال له يا ملك أنا أسير فى خلاصه وخلاص من معه من رفقاه ولو تلفت روحى فى هواه فان خلصته فقد فزت بالامنية وان مت فهى المنية التى كتبت على فقال قيس ما ثم الا الخير والسلامة وسوف ينزل على أعدائكم الندامة لان الذين سار وا معهم مائتين فارس فلو انطلق واحد منكم لقتالهم أنزل بهم الوساوس وما ثم عليكم شئ فيه صعوبة ولا ضرر من هذا الجيش المحتقر بعد خلاص أبى الفوارس عنتر حتى تفوزوا بالنصر والظفر (قال الراوى) ثم انه فى عاجل الحال دعا برجال عامر وهم المائتين فارس وأضاف اليهم أخاه ورقة وميسرة وعامر ابن الطفيل فى ثمانمائة فارس كأنهم الاسود العوابس من كل بطل مداعس وليث ممارس فساروا الجميع ألف بطل لا يبالون بالموت المعجل ثم ركبوا وساروا وأقل من طرفة عين وطلعوا فى ظلام الليل العاكر وما زالوا وشيبوب وولده الخذروف بين أيديهم يرشدوهما على أقرب الطرقات ويتغوطوا فى البر والفلوات وخلفهم تلك العساكر حتى ساروا من خلف العشائر وأبقوا ابنجاح وساروا جميع الرجال على طريق الحيرة

وتلك الاطلال وهم تابعين الآثار وطالبين أن يلحقوا أبا الفوارس عنتر ومن معه من الرجال الاخيار (قال الراوى) فلما ساروا على ذلك الدرب الذى ركبوه قال لهم شيبوب كل من لقيتموه اقتلوه حتى لا يعلم بكم بشر ولا يصل خبركم الى أحد من ذلك الجيش المحتقر ثم انهم وكزوا خيولهم فى تلك الظلام وهم سائرين على هذا الترتيب ويطلبون من الله الفرج القريب وان يلحقوا الاعداء ويرتاحوا من الدهر والتعذيب هذا ما كان من أمر هؤلاء وما جرى لهم (وأما) ما كان من بنى عبس وأحوالهم (قال الراوى) فان الربيع بن زياد لما نظر الى الملك قيس وقد أنفذ الالف فارس حمل الهموم والوساوس وبقى حائر ونزل فى بدنه البلاء النازل لا يدرى بأى سبب أنفذ الملك قيس هذه الخيل الذى يقدمها ميسره وعامر بن الطفيل فقال للملك قيس يا ملك الزمان لاى شئ أنفذت هذه الجيوش والفرسان ونحن محتاجين اليهم فى هذا الاوان فقال الملك قيس فى أمر يكون لك فيه الخير فقال الربيع يا ملك الزمان ألك عنى سر تخفيه فقال الملك قيس اعلم يا ابن العم ان هذه الجيوش قد أحاطت من حولنا وقد طال الحصار علينا وأنا خشيت من الهلاك وسوء الارتباك لانهم كل يوم يزيدون وتقوى منهم الشدة وتأتيهم نجدة بعد نجدة وأنا لما نظرت الى ذلك خفت على أهلنا من المهالك فافتكرت فى نفسى من خوف الذل والويل فأرسلت ألف فارس وقدمت عليهم ميسرة وعامر بن الطفيل وأمرتهم ان يقطعوا البر الاقفر ويفرق الالف فارس فى جنبات الجيش من بعد ما يعلموا ان الليل قد اعتكر ثم يحملوا وينادون يا لعبس يا لعدنان فتدوى لاصواتهم البرارى والقيعان ونحن نحمل عليهم من بين أيديهم بسيوفنا ونزعق فى وجوههم بجمعنا فيتشتتوا بين أيدينا ويضرب بعضهم بعض ويتفرقوا فى جنبات الارض وأنا ما فعلت هذا الامر الذى قد تدبر الا حتى لا تقول عرب البر الاقفر ما كان يحمى بنى عبس الا عنتر فلما غاب عنها هلك أكثرها واندثر (قال الراوى) فلما سمع الربيع ما تكلم به الملك قيس وما أشار اليه ضمه الى صدره وقبله بين عينيه وانطلا ذلك الكلام عليه وقال له لله درك من ملك أمير ويحق للعرب ان تسميك قيس الرأى فانك لم تزل برأيك تدفع عنا الاعدا وترفع عنا الردا فهذا ما كان من الملك قيس والربيع وما دار بينهما من المقال (قال الراوى) وأما ما كان من ميسرة وعامر بن الطفيل ومن معه من الرجال فانهم ساروا وسلكوا البر الاقفر وشيبوب والمذروف ساروا يقفوا الاثر وهما بتلك الامور أدرى وأخبر ثم سار بهم الى أن طلع الصباح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح فاخذ بهم فى أقرب الطرقات وقد أمنوا على أنفسهم من النائبات فانشد عامر بن الطفيل يقول

أقول وفيض الدمع حرق مهجتى * أعنى على شوقى ولو بالتعلل
فهل مبلغ عنى همام عشيرتى * لعنترة مع ذى الخمار المفضل
فانى باذل النفس فيهم محبة * وانى مجد السير غير منكل
ألم تعلموا انى قتيل صبابة * وان الهوى يضنى الفؤاد المقلقل

(قال الراوى) ثم انهم جدوا مسيرهم فى قطع القفار حتى أدركوا القوم نصف النهار وهم سائرون بعنتر وما عندهم ممن لحقهم خبر لان قلوبهم قويه بما وراءهم من الجيوش المسميه فلم يشعروا الا والغبار قد ظهرت من خلفهم مثل هبوب الرياح وبان من تحتها لمعان أسنة الرماح وسمعوا قعقعة اللجم واصطفاق القنا وركض خيلهم قد قلب الدنيا (قال الراوى) فلما نظر فياض الى الخيل وقد اندفعت والفرسان من فوقها تزاحفت فنادى يا بنى عمى خذوا اهبتكم فهذه خيل قد قصدتكم مسرعة وما أظنها الا الاعداء وقد لحقوا بنا فى هذه البيدا فلما سمعت الفرسان من فياض ذلك المقال أخذت أهبتها للحرب والقتال وشرعوا فى أيديهم الرماح الطوال فلم تكن الا ساعة من الزمان حتى أدركتهم الخيل وعليها الفرسان وهى تنادى يا لعبس يا لعدنان يا آل عامر وميسرة قدامهم كأنه الاسد الكاسر وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أبشروا بالخلاص من ذلة الاسرى * بضرب المهند الفصال * برجال من نسل عبس كرام
* وبنى عامر السراة الرجال * أنا سمى ميسرة عند لظاها * لاعبا بالرمح فى وسط المجال

فابشروا بفناكم على الرمال جمعا * فانا مهلك الاعداء فى يوم النزال

(قال الراوى) فلما سمع فياض ذلك انغاظ وأيقن بالبلاء والامراض الا انه أظهر الجلد وحقن ما حصل له من الكمد وزعق على ميسرة وقال له اسكت يا وغد قومه ولئيم عشيرته ثم انه مال الى نحو ميسرة بجواده وأراد أن يطعنه فى صدره فانطبق عليه ميسرة كأنه النار المسعرة وأطلق وعلت منهما الضجة والرنة وتجاولا طولا وعرض واشتد بينهما المجال والركض هذا وميسرة قد زاد به الحنق فزعق فى خصمه وعليه انطبق وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فلما نظره أصحابه وقد صار على وجه الارض قتيل فعلموا ان بلاءهم طويل وما لهم الى الخلاص من سبيل فعند ذلك حملوا الجميع حملة رجل واحد وقد أيقنوا بالنوائب والشدائد هذا وعامر بن الطفيل قد زعق على الخيل وأنزل بها الذل والويل فانطبقت عليه كأنها النار المسعرة وحمل سبيع اليمن ومازن بن شداد والفتى ميسرة واقتحموا العجاج والغبرة وقاتلوا بشجاعة ومقدرة (قال الراوى) وفى هذا الوقت سمع الامير عنتر طنين السيوف البواتر وصياح الفرسان يا لعبس يا لعدنان فبقى كأنه فى منام أو أضغاث أحلام فقال لعروة يا أبا الابيض هذا الذى نسمعه فى اليقظة أم فى المنام فقال عروة لاشك انهم أصحابك وما تم عروة وعنتر ذلك الكلام حتى فنيت المائتين فارس على التمام هذا وبنو عبس قد تبادروا الى نحو الاسرى مثل النار المسعرة وكان السابق الى عنتر ولده ميسرة فوجد شيبوب حله من وثاقه وكسر قيده وعجل فى اطلاقه فانكب ميسرة على أبوه وضمه الى صدره وقبله فى عارضه ونحره (قال الراوى) هذا وقد داروا به الرجال فى عاجل الحال بعد ما فكوهم من القيود والاغلال وسارت بنى عبس وبنى عامر يقبلون عنتر ويهنوه بالسلامة والنصر والظفر والخلاص من الاسر وعنتر يشكرهم ويثنى عليهم ويوعدهم بالنصر ثم سألهم عن العشائر وما حل بهم من الضر فقال ميسرة يا أبتاه ان العشائر لهم استلاطه والعدا بنا محتاطه ثم أعلمه بان الوزير هو الذى دبر ذلك التدبير وقد أشار علينا اذا سهل هذا الامر العسير نرجع اليهم من ورائهم ونضرب بالسيف فى أقفيتهم ونبيد أقصاهم وأدناهم ويحمل الملك قيس عليهم بالسيوف والقنا وقد أنزلنا عليهم الذل والفنا قال فلما سمع عنتر هذا الكلام أخذه الضحك والابتسام وقال راح باه على قولة مجازاتى لهذا الوزير الهمام ثم انهم عادوا راجعين والى نحو أهاليهم طالبين وعنتر قدامهم وهو مثل الاسد الامين ولما تمادى بهم المسير تذكر عنتر اشتياقه الى الديار والاطلال وعبلة وما له من الاهل والعيال فأنشد وقال

يا طائرا فوق الاراك مغردا * أنسيتنى أم عاقك اليوم عائق
أراك تجاوبنى على منزل العلا * اذا لاح ضوء الصبح بالنور شارق
فبى مثل ما تشكى فقم نصطحب معا * فانك ذو عشق وانى عاشق
وغنى وهيمنى الى العشق اننى * لشعرك والالحان يا طير شائق
* فمن مبلغ عنى عبيلة اننى * مشوق اليها كلما طار شائق
عدمت عتاق الخيل ان لم أخض بها * غبار المنايا بالرماح الخوارق
عليها رجال من آل عبس وعامر * سراة لهم فى رتبة المجد سابق
* كهول وشبان على أجسادها * سوابغ دروع كالضياء الشارق
فان لم أجندل من أعداى فوارسا * وأفنيهموا جمعا فنومى طالق
أنا عنتر العبسى حامى عشيرتى * بأبيض فصال وأسمر خارق

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره طربت الفرسان من نظمه وشكروه على هذه الاوزان وساروا يقطعون البرارى والوديان فهذا ما جرى لهم من الامر والشان (وأما) ما كان من هامان فانه لما طلع النهار زحف يطلب الحرب والقتال وتبادرت اليه الابطال وصبرت بنى عبس على الاهوال ومازالوا معهم فى قتال ونزال الى ان ألزموهم الجبال فعند ذلك علا من النساء الصياح وقد أكثروا البكاء والنواح خوفا من

الاسى والانتضاح وما زالوا وهم فى حرب وصدام الى ان أقبل الظلام فرجعوا عن الحرب والصدام ودخلوا
المضارب والخيام وأما الهامان فرجع فرحان وأمل انه عند الصباح ينهب أموال بنى عبس وعدنان ولما طلع
النهار وأشرقت الشمس بالانوار واصطفت العشائر والابطال تروم الحرب والنزال وأراد الهامان أن يزحف
على بنى عبس وينزل بهم الهوان واذا بزعقة قد وقعت فى جيشه والفرسان وصار الضرب فيهم باسيف اليمان
والطعن بالرمح المران فخفلت جميع أبطاله والفرسان وتقهقرت جميع الابطال والشجعان فثار الهامان وهو
خائف فزعان وسأل عن ذلك الامر والشان فلم يجبه انسان (قال الراوى) وكان السبب فى اختباط ذلك
العشائر من أبى الفوارس عنتر لانه كان جد فى قطع الربا والآكام حتى أشرف عليهم وقت الظلام وكان الوزير
تلك الليلة خائف فزعان وقلبه على بنى عبس لايهلكهم الهامان ولما أتى عنتر على المضارب والخيام قال لمن
معه اعلموا يا بنى الاعمام انا قد أشرفنا على هذه العشائر فى ذلك الليل البهيم وبيننا وبينهم تفاوت عظيم فالرأى
انه نصبر عليهم حتى يتذرنوا فى منامهم ونتفرق عليهم من أربع جنباتهم ويكون مع كل فرقة أمير وننزل
بهم الذل والتعتير وبعد ذلك نبعد عنهم فى جانب من الارض وهم يقتلون فى بعضهم بعض وبعد ذلك أقبل
على شيبوب وقال له وانت يا أبا رياح كل من خرج من المعمعة وطلب البطاح اطلبه واضربه بنبلة اعطبه حتى
ينزل عليهم الذل والنكال ونقلع آثارهم ونفرقهم فى الجبال فقال له شيبوب أنا معول على هذا الحال (قال
الراوى) فعند ذلك استصوبوا مقاله ثم نزلوا على الارض واراحوا الخيل فى هدو الليل وبعد ذلك أدركوا
الركوب لبلوغ المطلوب فكان الليل ولى واقبل الفجر واستهلا فقام الهامان وصف عشائره ولم يدر
ما كان له من اعدام دساكره وبنو عبس متحضرة اليه لتبادره وقد صاح عنتر فى بنى عبس الغر الى ذلك الامر
وصاحوا كأمرهم عنتر وكان أول من حمل ذو الخمار وهدر وزعق واعلا صوته يالحمير فأجابه عامر بن الطفيل
بصوت مذعر وزعق ملاعب الاسنة من الجانب الآخر فأجابهم عنتر بصوت فلق الحجر وقد عمل الصارم البتار
ووقع الفنا فى القوم الاشرار وسمع الملك قيس الاصوات قد قلبت البر الاقفر فعلم انه أتى أبو الفوارس
عنتر وقد كبس القوم فعند ذلك خرجوا من بين الجبال وهم كأنهم الاسود الكواسر وهم ينادون يالعبس
يالعامر ثم انهم بذلوا سيوفهم فى تلك العشائر وقد اقبل ذلك الوقت عنتر وأصحابه الى المعمعة وتركوا الرؤس
مقطعة والجثث مبضعة وأنكر الاخ أخاه والولد أنكر اباه وأهله وأقرباه فيا لها من ساعة ما كان أبشعها على
الهامان ومن معه من الفرسان ولم تزل السيوف تعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى ان تضاحى
النهار وقد امتلأت الارض من جثث القتلا ولما وقعت العين على العين وطاب وفاء الدين هذا وقد قتل من
عشائر الملك الاسود عشرون ألف واكثر وبقى الهامان فى وسط المعمعة متحير فبينما هو على ذلك الحال واذا
بالوزير قد استقبله وهو يرتعد من الفزع وقد أظهر الخوف والهلع وقال له كيف هذا الحال الذى تدبر لقد
أردت أن أمنعك من انفاذ عنتر كأن مانعا يمنعنى لاجل ذلك الامر الذى تقدر والسعيد فى هذا الوقت من يطلب
لنفسه النجاة لان ما يقاتل موضع الغلبة ويناضل الا كل قليل العقل جاهل فبينما هم على ذلك الشان واذا
بعنتر قد فاجأ الهامان ثم صاح فيه مثل الاسد الغضبان وقال ويلك يا أخس العربان أتظن انك أسرتنى فى
موقف الطعان ثم طعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره ثم مال الى الوزير وسلم عليه وشكره وأثنى
عليه وقال له أيها السيد المحترم انهزم حتى تتبعك هذه الامم فعند ذلك طلب الوزير النجاه فى وسيع الفلاه
فتبعه الجيش من وراه وكل واحد قد أيقن بفناه وسار فى بحر من الهموم راسخ وتم السيف يعمل مقدار
أربع فراسخ وعاد عنتر ومن معه وهم يجمعون الخيل الشارده والعدد المبدده وعادوا الى بين الجبلين وما
منهم الا من هو قرير العين هذا وقد سبق الخذروف الى عبلة وبشرها بخلاص عنتر من هذا الامر المنكر
ففرحت وخلعت على الخذروف خلعة مثمنة وخرجت ومعها جميع النسوان ولطخوا بالزعفران صدور الخيل
وقد زال عنهم الهم والويل ثم دخلوا الى الجبال واجتمعوا الجميع بالاهل والعيال وفرحت النساء بالرجال ووقعت
عبلة فى صدر عنتر فجعل يقبل خدودها ويضم نهودها (قال الراوى) فلما استقر بهم القرار وأنست بهم

الديار فسكبوا عند ذلك الخمر العقار فهذا ما جرى لهم من الامر والشان وأما الملك الاسود ومن معه من الفرسان
فانه كان كل يوم يبشر نفسه بالنصر على بنى عبس وعدنان على يد الهامان فبينما هو فى بعض الايام واذا بزعقة قد
وقعت وضجة قد ارتفعت والمنهزمين قد أقبلت وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور وهم خلف
بعضهم متواصلين وأكثرهم حفاة مجرحين وقد أقبل الوزير وهو ذليل حقير بحالة الذل والتعتير ولم يزل
حتى نزل قدام الملك الاسود وهو يبكى ويتنهد فانزعج الملك من الوزير ومن حاله ونزل من على كرسى مملكته
وسأل الوزير عن حاله وقصته واستخبر عن الهامان وجماعته فأخبره عند ذلك الوزير ان عنتر قتل الهامان وأحل
به التدمير ثم أعاد عليه القصة من أولها الى آخرها كأنه كان حاضرها (قال الراوى) فلما سمع الملك الاسود كلام
الوزير الى آخره تحير فى أمره واشتعلت سرائره وقال ما بقى أحد أنفذه الى قتال عنتر ولا يسير اليه فى هذه
النوبة الا أنا ومن هنا من العشائر وانما فعلت هذه الدعوة وفعلت هذه الفعال والا ما أبلغ آمال فقال له
الوزير هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب فقال الاسود أنا أمضى الى كسرى وأشكو اليه قصتى وأعلمه
بنوبتى وأسوق لعنتر وبنى عبس العرب والعجم والترك والديلم وأبلغ منيتى ودع تنحط عند كسرى مرتبتى ثم
انه تجهز من وقته وساعته وسار فى خواص دولته الى ان وصل الى مدائن كسرى أنوشروان ودخل عليه
بعد الاستئذان وخدم وسلم بأفصح خطاب وقبل الارض والتراب فنصب له سرير من الذهب كما جرت
عادات ملوك العرب وقال له كسرى فيماذا أتيت يا شاه تازيان فقال له اعلم يا ملك الزمان بأنى قد قهرت فى
هذا الاوان وقد تعصبت على خمس قبائل من العربان وقد كسروا لى جميع العشائر وكل هذا من بنى عبس
وعبدهم عنتر ثم أخبره بجميع ما جرى وتدبر فلما حكى الملك الاسود ذلك الكلام وسمعه الملك كسرى زام
كما يزوم الاسد الضرغام وصار الضياء فى عينه ظلام وقال له يا شاه تازيان نحن قد رجعنا الى المنهاج الاول مع
عنتر وبنى عبس وعدنان فوحق النار والنور وتربة جدى سابور لابد ما أفنى هذه القبائل وأحل بهم البلاء
النازل ولا أدع منهم لا فارس ولا راجل ثم انه رجا مرزبان يقال له شهربان بن مهران وكان من الجبابرة
الشجعان وقال له اعلم انه قد تعدى على الدولة شلح من شلوح العرب وقد أذل فرسان البلاد وأهلك العشائر
والاجناد يقال له عنتر بن شداد وهو أفرس من سائر العربان وكسر للملك الاسود عشائر وفرسان بعدد رمل
الكثبان ومرادى ان تسير اليه وتأخذ روحه من بين جنبيه أو تأتينى به أسير وتحضره الى ذليل حقير لكن
تأخذ معك أربعين ألف من الفرسان المعودين بالحرب والطعان وتكون أنت المقدم عليهم وصاحب الامر
والشان وتى وكابلشاه تازيان العربان (قال الراوى) فلما سمع الحاجب شهربان من الملك كسرى ذلك
الكلام زاد به الفرح والابتسام وقبل الارض وقال سمعا وطاعه وها أنا أسير من تلك الساعه وأصرم عمره
وأكفيك يا ملك شره ثم انه فى عاجل الحال جرد معه أربعين ألف من الابطال بالسيوف الصقال والرماح
الطوال وسار يقطع الارض بجيوشه والملك الاسود راكب الى جانبه ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى
الحيرة ودخل الملك الاسود ومن معه من الفرسان وكذلك المرزبان شهربان فلما نظرت الخلائق الى هول
جثته وعظم صورته استهولته وقالوا هذا والله يهلك عنتر وينزل بالعبيد هذا وقد ضربت له الخيام فى ذلك
المقام وأخرج لهم الاسود الطعامات والعلوفات ولم يزالوا على ذلك الاكرام مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع
نادى الملك الاسود فى الناس بالرحيل وسرعة التحويل ورحل الملك الاسود وسار يقطع البر والفدفد وهو
فى تسعين ألف من بنى لخم وجذام ورحل من بعده المرزبان فيمن معه من الفرسان وكذلك بنو شيبان فى
عشرين ألف عنان وتبعهم عاطل بن المثنى فى عشرين ألف من بنى سليم من عظم ما حل به من الضيم وهو
سائر فى مقدمة الفرسان ينشد هذه الابيات

ألا يا لقومى من يكن لى مساعدا * اذا اشتبكت زرق الرماح الصلائد
فلى قلب محزون على ما أصابنى * من ذل قوم عند وقع التجالد
عسى ان أنل ثارى وأكشف كربتى * بطعن سنان أو بضرب مهند

فوالله الى البارى ومن ثبتت له * منازل للحج العظيم والذكر
سأتركهم جزر السباع تنهشهم * سباع الفلا بين الفدافد والوعر
ألم ترى الهامات أصبح ثاويا * وساداتهم تنقاد فى ذلة الاسر
قفى وانظرى ياعبل فعلى وصولتى * وعزمى يفنى القوم بالبيض والسمر
أنا البطل المعروف بالبأس والقد * أزيد مع الايام فخرا على فخرى
على حد سيفى النصر قد لاح نوره * ولا أحد غيرى متوج بالنصر
وفى الحروب ليس يقارعنى * عبيد ابها الابطال بالكر والفر

(قال الراوى) فهذا ما كان من عنتر وميسرة وما جرى له من الامر والشان (وأما) ما كان من الملك الاسود والمرزبان شهربان فانهما على ماهما عليه من الجد مدة عشرة أيام وقد تقدم عند ذلك المرزبان وقال فى نفسه انه يلتقى عنتر ويسقيه كأس الحمام حتى يكون الذكر له من دون الانام وبعد ذلك نزلت الجيوش للراحة وأكل الطعام وكان ذلك الوادى الذى نزلوا فيه واسع وهو كثير الخيرات والمنافع هذا وعنتر سائر فى ذلك البر والوهاد واذا به قد أشرف على ذلك السواد قال فعند ذلك أكمن برجاله عنتر فى بعض المواضع حتى يرحل الجيش ويكون فى أثره تابع وقد حدثته نفسه أن يسوق له قطعة من الخيل والجمال واذا تبعه أحد من الجيوش ينزل به النكال واذا بسرية خيل نحو مائة وخمسين فارس وهم فى الحديد غواطس وهم مكدين الخيل والجنائب قاصدين جبلين خشاخش والتناصب وكانت هذه المائتين وخمسين فارس أنفذهم الملك الاسود يكشفون الاخبار وينظرون ما قد جرى وسار والمقدم عليهم قتادة بن سوار فسارت هذه السرية على ما ذكرنا وعنتر مكمن كما قدمنا فامهل عليهم حتى ساروا قدامه مقدار فرسخ وأراد أن يتبعهم ويعدمهم السعادة والتوفيق فقال له عروة يا أبا الفوارس الامر فى ذلك اليك فما فينا من يخل بروحه عليك ثم انهم خرجوا من الكمين وجدوا خلف هذه السرية فلما نظر قتادة الى بنى عبس قد ملئت الارض فى طولها والعرض فقال قتادة لاصحابه هذه جيوش كثيرة وقوم غزيرة فدونكم والنجاة فى ذلك البر والفلاه فعند ذلك أطلقوا أعنة خيلهم واذا بعنتر انطبق عليهم ومعه الفوارس العبسية وناداهم ياويلكم سلموا أنفسكم قبل حلول الرزية فأنا الفارس الاسود والصلد الانكد فلم تكن الا ساعة حتى أخذهم عن آخرهم وشدوهم على خيولهم وبعد ذلك أشرف الملك قيس ومعه الجيوش وقد تحير مما فعل عنتر فعند ذلك أحضرهم بين يدى الملك قيس المسدد فلما حضروا قال لهم فيما ذا أنفذكم الملك الاسود فقالوا له نكشف أخباركم ان كان عندكم خبر بمسيرنا أم لا فقال لهم عنتر تبا لرأيه الخسيف الضعيف فوالله قبل ما يخرج من الحيرة كان الخبر عندى بمسيره ثم ضرب رقاب مائة وأربعين وأما العشرة الباقين فقطع منهم الآذان وأناف الجميع وشوههم وفعل بهم أقبح تشنيع ثم علق الآذان والاناف فى أعناق العشرة الباقية منهم بلا اخلاف وأركبهم على خيولهم عرايا بعدما أنزل بهم هذه الرزايا وقال لهم سيروا الى قومكم وأخبروهم بالذى جرى على أصحابكم وقولوا للاسود لابد من أخذه وأعدم مهجته وأقتل جيشه وأملك محل مملكته ثم انه أطلق سبيلهم فساروا حتى وصلوا الى الملك الاسود وأعلموه بما جرى وتجدد وصاحوا بالويل والثبور وعظائم الامور فقال لهم الاسود ما هذه المصائب فقالوا له عنتر أبادنا وقتل منا الاصحاب والفرسان والاحباب فقال الاسود كيف جرى هذا الشان فأعلموه بما جرى وكان فلما سمع الاسود هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام ونادى فى الجيوش بالرحيل والجد والتحويل فعندها دقت الكؤسات ونعرت البوقات وسار الملك الاسود بتسعين ألف فارس فى الحديد غواطس كلهم بالعدد الكوامل والسيوف الشوامل وتبعته الجيوش والقبائل (قال الراوى) فهذا ما كان لهم من الايراد (وأما) ما كان من عنتر بن شداد فانه لما أخذ السرية وشوهها هذه الشوهة وفعل ما يريده ويشتهيه فرتب الجيوش قلبا وجناحين وميمنة وميسرة وجعل فى الميمنة بنى عامر يقدمهم ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل وفى الميسرة بنى حمير يقدمهم ذو الخمار والملك وهب بن موهوب وفى القلب الملك قيس والاحوص

أنا الفارس المقدام أحمى عشيرتى * على ضامر كالقدح ضافى مقلد
اذا ازدحمت أسد الرجال فى الوغا * أبيدها فى كل قاع وفدفد
وما كنت وغدا اذا اشتبك القنا * أنا عن داعى الصياح بقاعد
وانى أرد الخيل صفر وجوهها * وفرسانها ما بين مثنى ومفرد
الا مبلغا عنى الزنيم رسالة * بان أرد القرم يحث باليد
ساتيك منى ضربة بمهند * نظل بها فوق القفار مبدد

(قال الراوى) فهذا ما كان من الاسود ومن معه (وأما) ما كان من الوزير فانه صعب عليه هذا الامر والشان فقال لابد لى ما أعلم عنتر بهذه الجيوش وأكون على ذلك مبادر لاجل ان يبقى على نفسه محاذر ثم انه كتب كتاب يعلم عنتر بتلك الاسباب وقد أخبره فيه بجميع ما جرى وما كان وأعلمه بعدد من سار اليه من الفرسان ودعا بعبده سالم وسلمه ذلك الكتاب فسار العبد ليلا ونهار يقطع البرارى والقفار الى ان وصل الى عند عنتر وقد رآه فى أكله وشربه ولا على باله من الاسود ولا من بعده (قال الراوى) فبينما عنتر فيما هو فيه اذ وصل ذلك العبد اليه من عند الوزير وسلم عليه وناوله الكتاب فسلمه عنتر لعمر وه وأمره أن يقرأه ولما علم عنتر ما فيه من الشان شكر الوزير هو ومن معه من الاخوان وسار عنتر الى الملك قيس ودخل عليه فوجد عنده سادات العرب حضور والكاسات عليهم تدور فقال لهم يا سادات العرب لكم البشارة قالوا بشرك الله بالخير يا أبا الفوارس وكفيت شر كل عدو ومخالس أخبرنا ما هذه البشارة قال لقد بشرتكم بغنيمة عظيمة لها قدر وقيمة فقالوا من أين هذه الهديه فقال لهم قد أشرف عليكم الملك الاسود بسائر المرزبان وجيوش كسرى أنوشروان مع مرزبان يقال له شهربان بن مهران وله منذ خرج من الحيرة خمسة أيام فما الذى تدبرون من الامر والشان فلما سمعوا كلام عنتر ما منهم الا من انذهل وتحير واستعظموا ذلك الجيوش فقال الملك قيس الرأى يا أبا الفوارس فى ذلك رأيك وما فينا من يخالف قولك ولا فعلك فلما سمعت العرب كلام الملك قيس قالوا كلهم هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب فقال لهم عنتران كنتم سلمتم الامر الى فالرأى أننا نسير من هنا ونسلك القفار ويكون معنا الحريم مع العيال ونستقبلهم على بعد من الحيرة وقد تيسرت هذه الامور والعسيرة فاستصوبوا رأيه وما أبداه من القيل ونادوا فى قومهم من وقتهم بالرحيل فعند ذلك هدت البيوت والمضارب ورحلوا فى البر والسباسب ومعهم جميع الحريم والعيال وعنتر يقول فى هذه المرة غنمنا الحيرة وما فيها من المال ولكن ما فى الامر الاشئ واحد فقال الملك قيس وما هو يا أبا الفوارس فقال أسبقكم أنا وعروة فى مائة فارس وأبعد عنكم وأنتم سائرين وأبصر لا يكون للقوم كمين قال الملك قيس افعل ما تريد فما لنا عن رأيك محيد فالتفت الى عروة وأمره بالمسير وأخذوا معهم مائة فارس من كل بطل نحرير وتقدم الاميرعنتر قدامهم فى المسير وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

سرى طيف من أهوى ومن بان لى صر * وذكرنى ما كان غاب عن الفكر
وجدد أشواقا تقادم عهدها * فباح اشتياقا كان فى عالم السر
وقد كان قلبى يا عبيلة صابرا * فلما سرى طيف الهوى خاننى صبرى
سأقسم انى ما أنا لكى ساليا * فلا تهجرينى واقبلى فى الهوى عذرى
وبالله يا ذات الوشاح تعطفى * ولا تتركى قلبى يقلب فى الجمر
ولا تهجرى صبا اذا غبت ساعة * تيقن ان الموت أحلى من الهجر
وها أنا قد جديت فى طلب العلا * لاجلك حتى لا تقادين فى الاسر
وسوف أبيد الجمع فى حومة الوغا * بطعن رماح أو مهندة بترى
ولو أن المنايا أعرضت لاقتحمتها * بكل همام ماجد ضيغم بسرى
يروم هلاكى ظالما متعديا * فماذا تشيرى يا ابنة العم فى أمر

ابن جعفر وما فرغ من هذا الترتيب حتى أشرفت الرايات وانتشرت فى الفلوات ونزل الملك الاسود ومن معه من العربان وكذلك المرزبان شهربان وقد تقدمت الجهال يريدون الحرب والقتال فنظروا الى الامير عنتر وهو فى المقدمة على ظهر جواده الابجر وهو فى مائة فارس كأنه الليث الكاسر فطمعوا فيه وأطلقوا الاعنة اليه وهم ينادون يا أسود يا حجام سلم الينا روحك لندخل بك على الملك الاسود ونصلح حالك والاحل بك الدمار وقلع منك الآثار قال فلما سمع عنتر منهم ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وانطبق على أقربهم وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فوقع عن الجواد يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه ثم طعن الثانى أرماه والثالث أهواه ولم يزل على ذلك العمل الى أن تضاحى النهار وقد أفنى منهم هو وأصحابه خلقا كثيرا ما عليهم عيار وكان الذى طمعوا فى عنتر نحو عشرة آلاف من مجمعة العرب والالزام فقتل عنتر هو وأصحابه منهم ألفين تمام والباقى طلبوا الانهزام وطلبوا اعلام الاسود وتركوا الصدام فقال لهم الاسود مالى أراكم منهزمين وفى البرارى جافلين قالوا عنتر أبادنا وأهلك أجنادنا فصاح فيهم فولوا منه منهزمين هذا وقد أقبلت جميع الفرسان للحرب والطعان وتقدمت الفرسان من جيوش العجم والديلم وأهل خراسان فقال عنتر لعروة لا تحملوا على هؤلاء اللئام فعند ذلك أكب عروة رأسه فى قربوص سرجه وحمل ومن معه من رجاله كل فارس بطل وحمل عنتر فزعق وزلزل السهل والجبل وحمل الامير مازن وميسرة وسبيع اليمن وانطبقت جيوشهم من خلف ظهورهم وبذلوا فى الاعداء سيوفهم وقد أحلوا بهم الهوان فلم تكن الا ساعة حتى قتل من الاعداء ألف وخمسمائة انسان فعند ذلك غضب المرزبان شهربان وقال لرجاله لاى شئ أنتم تعرضتم لقتالهم أما قنعتم بى وأنا أكفيكم أمرهم وأصرم عمرهم وكان ذلك عند اقبال الظلام وافتراق الجيشان (قال الراوى) ولما مضى من الليل نصفه استدعى الملك الاسود بخواص دولته وقد اجتمع رأيهم أن يكاتب المرزبان لعنتر ويقول له اعلم أن الامر صار فى يدى لانى نائب كسرى أنوشروان والرأى أن تسلم الى نفسك بأمان فان فعلت ذلك الشان فتكون قد نجوت من الهوان وان أبيت فتكون على نفسك قد تعديت فلا يكون جواب هذا الكتاب الا ما ذكرت لك من الخطاب وسلام النار عليك ولهيبها يحرق وجهك ودخانها فى محاجر عينيك وشرارها واصل اليك ثم استدعى بحاجب من الحجاب وسلمه الكتاب وقال له أوصله الى ذلك العبد وأتينى منه برد الجواب فركب الحاجب وهو بالزينة الفاخرة والاهبة الظاهرة ومعه الغلمان والحشم والفرسان وسار الى أن قرب من الجيوش وأخذ الاذن بالدخول على أبو الفوارس عنتر فلما صار بين يديه سلم الكتاب اليه فأخذه عنتر بيده وأمر عروة أن يقرأه فلما أتى على آخره وعرف معناه صاح عنتر فى الحاجب أرعبه وقال له ويلك ثكلتك أمك وعدمك قومك والله لاتركن هذه الجيوش الاول منهم لم يهتد الى الآخر وقال لعروة يا أبا الابيض اجزع أنفه واحلق لحيته واقطع أذنيه وعلقهم فى رقبته ثم قال له قل لصاحبك اجهد جهدك فلعن الله أباك وجدك فها أنا صابر على جوركم ولابد أن أحلق لحاكم وأقطع آذانكم وآنافكم وأعلقها فى رقابكم وسار ذلك الحاجب بذلك الشؤم القبيح فلما رآه أصحابه وقعت فيهم الدهشة والحيرة والانذهال وتعجب المرزبان من تلك الفعال ثم أمر الناس أن يأخذوا الاهبة للحرب والقتال وقفز الى محل الجولان وطلب مبارزة الفرسان وصال وجال حتى هدى مرج الحصان ثم انه لكز الجواد بالمهاميز الحديد وبرز على عنتر بن شداد بلغة الفارسية فخرج اليه عنتر كأنه رسول المنية واستقبله بصدر حصانه وساواه فى ميدانه فأخذا فى الانطرار والانطباق فامتدت اليهما الاعناق وشخصت لهما الاحداق وهما فى كر وفر وصدود ورد وملاحمة ومهاجة هذا والمرزبان كأنه النار المحرقة أو الصاعقة المبرقة وعنتر يحاوله وفى الميدان يطاوله حتى انه أضجره وأبهره فعند ذلك هز المرزبان حربة من حرابه وقام فى ركابه وصاح فى عنتر وزجها اليه فخرجت من يده لها رنين وشهيق كأنها حجر المنجنيق هذا وعنتر لما رأى الحربة وصلت الى صدره فأخرج رجله من الركاب وانقلب فصار لجواده لبب حتى جازته تلك الحربة ووقعت الى الارض غابت فيها الحد الى النصاب فعاد عنتر الى سرجه وقد تعجب المرزبان من خفته فقذفه بحربة ثانية فخرجت من يده كأنها رسول الحمام

فنظرها عنتر وانقلب فصار لجواده حزام ولما جاوزته عاد الى سرجه وصرخ على المرزبان أذهله وفى أمره خبله وقال له ويلك يا ابن الزانية الى كم هذا الاحتمال وأنت تروم قتلى والوبال ثم انطبق عليه كأنه القضاء المنزل واستجده بطعنة فى جانبه الايسر طلع السنان يلمع من الجانب الايمن فمال عن الجواد يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه فلما رأت العجم الى مقدمها وهو قتيل وقد صار على وجه الارض جديل قامت قيامتها وأكبت رؤوسها فى قرابيص سروجها وحملت على عنتر حملة واحدة فالتقاهم كأنه النار المحرقة أو الصاعقة المبرقة وطعن فيهم طعنات خارقة فعند ذلك حمل ذو الخمار وعروة وغشم بن مالك وميسرة وسبيع اليمن ومازن البطل المغوار وتمام المائتين فارس من الابطال وصاحوا فيهم بصوت منكر وطعنوا فيهم طعن القضاء والقدر فلما نظرت طوائف العرب الى هذا فعلة همت أن تحمل فمنعها الوزير عمرو بن نفيلة عن محبته فى عنتر وقال للملك الاسود أليس المرزبان قال لك انه لا يريد منك نجدة ولا مساعدة وهذا أعظم ما يكون من القبيح ان يكون مائتين فارس تحمل عليهم العرب فقال له الملك الاسود وكيف يكون التدبير أيها الوزير أما تعلم ان ذا الخمار بعد بسبعة آلاف فارس وهو من الفرسان الموصوفة وأما فروسية عنتر ما عليها حساب ولا يكل من الطعان ولا من الضراب وأنا ما أترك هذا يتم علينا من عنتر ويهلك أجنادى بسيفه الضامى الابتر لانه قد تعدى وظلم وأباد فرسان العجم هذا وقد قام الحرب على ساق وقدم وتطاعنوا بالرماح الدقاق وكذلك الحراب الرشاق وما زال بينهما الحرب والصدام الى ان أقبل الليل بالظلام وعادوا للمضارب والخيام ورجع عنتر فى أوائل أصحابه وهو ينشد ويقول

الا فاسألى يا عبلة عنى وعنهم * وقد جارت الابطال فى المهمه الصلد
أتونا بنو الاعجام يبغوا قتالنا * على صهوات الخيل الادهم الجرد
حصدتهم و بالسيف حتى كأنهم * هشيم ذرته الريح فى يابس الجعد
وخافتهم ما بين حيران تايها * و بين طريح ما ينال من الجهد
فكم فارس جندلته فى حومة الوغا * بأسمر خطى وبالصارم الهندى
ولما أتانى المرزبان اسرعتى * ومن حوله قوم غطارفة أسد
تخالفته فى القاع وحوش تنوشه * سباع الفلا تنهش اعضاءه مع الجلد
أنا قاهر الابطال عند نزالها * بضرب حسام أبتر ماضى الحد
ستذكرنى الفرسان عند رجوعها * ساداتها تكد الخيل فى جريانها جد
أنا عنتر المعروف بالمجد والثنا * أموت ويبقى لى أحاديث من بعد

(قال الراوى) فتلقاه الملك قيس واخوته وشكروه على فعاله وفصاحة شعره ومقاله ونزلوا فى الخيام والمضارب ووقعت لهم الهيبة فى قلوب الجيوش والكتائب وتقدموا لاجل أكلهم الطعام وترتبوا الحرس فى الليل والظلام واجتمعت أكابر عرب بنى شيبان وتلك الخلائق عند الملك الاسود داخل السرادق وقالوا ان الذين كنا نطلب منهم النجدة انكسروا وقتل المرزبان وبات الملك الاسود وفى قلبه النيران وقد انخرقت هيبته قدام من له من الفرسان وخاف من غضب الملك كسرى أنوشروان ويلومه كيف لم يعين المرزبان ومازال الحرب يعمل للصباح وكان أول من ركب عنتر الجحجاح وانحدر الى محل الحرب والكفاح وصال وجال ومد واستطال وأنشد وقال

الا يا عبلة اترثى لشيبى * فانى بالحوادث لا أبالى
وحقك لو نظرت رجال كسرى * تجول على خيول كالسعالى
وقد جمعوا كتائبهم وجاؤا * بكل غضنفر وافى السبالى
وكم اقحم والابجر فى لظاها * يسبق الريح فى يوم القتال

(قال الراوى) ثم انه صاح فى الملك الاسود أرعبه وقال له ويلك أنت تأكل خبز كسرى أنوشروان وجاعل روحك على العرب سلطان ورفعت الرايات والبنود وجمعت العشائر والجنود على فرد شلح من شلوح

العربان كما زعمت يا جبان وحق ذمة العرب الاقيال لاسلخن جلدك وأجعلنه دلوا الى سقي الخيل والجمال وأحل بك الذل والويل ويلك كيف تجير قاتل ولدي وحشاشة كبدي ويلك ما يخلصك من يدي اذلم تسلمني حصن غريمي وتخرج من حق الملك قيس وتعطيه دية أخته المتجردة والا أفنيتكم عن آخركم ويلك يا ذليل يا مهان حيث ما قدرت على الرجال جعلت قدرتك على البنات والنسوان فوالله لاجعلنك حديثا ما بقي الزمان وأجعل في موضعك على العربان الملك قيس سيد بني عدنان ثم انه التفت لحصن وقال له يا جبان الحجات لهذا الطغير وأضرمت هذه النيران لم لا تبرز لي أنت وعشيرتك فتبا لكم لقد خابت قبائل أنتم حماتها وعربان أنتم ساداتها يا لئام غير أمجاد يا كثيرين الغدر والفساد (قال الراوي) فلما نظر الأسود اليه وهو يجول والفرسان ناظرون ولم تقدم عليه زعق الاسود وأذلنا الى الابد مما فعل هذا العبد الاسود ويلكم احملوا بجمعكم عليه واتوني برأسه من بين كتفيه هنالك حمل حصن في بني فزارة ثم حملت بني سليم وفي أوائلها عاطل الاسد الجسيم وحملت بنو شيبان وفي أوائلها مفرج بن هلال فالتفت ذو الخمار لعنتر بن شداد وقال له بحق الصحبة والوداد الا ما تركتني أنا ومائة فارس من قومي الاجواد نلتقي هؤلاء القوم اللئام الاوغاد قال له عنتر لا تقسم علي بعد ما رأيت حصن بن حذيفة قد خرج الي ولا بد لي من الخروج اليه عسى آخذ ثاري وأشفي بقتله المكروب وآخذ بثار ولدي غصوب فقال له ذو الخمار اذا كان الامر كما ذكرت فنلقاهم أنا وأنت ويكون معنا مائة فارس وذلك ليدخل الرعب في قلوبهم يا أبو الفوارس واذا حمل بقية العشائر حملة أمراءنا في سائر العساكر قال له عنتر افعل ما بدا لك وبهذا الحال ما أخالف مقالك ثم ان عنتر قال للملك قيس لا تتحرك من مكانك ومن حولك جندك وفرسانك حتى ترى الاسود حمل بمن معه من الفرسان هنالك احمل أنت بمن معك واطلب الميدان وعاد عنتر وما مهل والى جانبه ذو الخمار هنالك حمل عنتر بن شداد وذو الخمار ومن خلفهم المائة فارس فعند ذلك اختلط الجمع ووقع في القلوب الرعب وطاب الطعن والضرب وطرح عنتر الرجال وكر على بني فزارة في المجال ونكس منهم الاقيال وأباد الابطال وعينيه تدور على حصن في المجال وذو الخمار قد فتك في بني سليم وأنزل بهم الفنا والضيم وميسرة ومازن وسبيع اليمن وعروة فتكوا في بني شيبان وأهلكوا منهم الشيوخ والشبان ونكسوا منهم الاقران وطلع الغبار الى العنان وتعجبت الفريقان لذلك الامر والشان لان عشرين ألف التقاهم بمائة فارس وكانت المائة راجحة عليها وأوصلت الاذية اليها هذا وأما صرخات عنتر وذو الخمار فانهما زلزلا الاقطار وداما على ذلك العيار الى ان صار نصف النهار واذا بحصن خرج من تحت الغبار وطلب الفرار وبني فزارة من ورائه مجدين في الهرب وعنتر خلفهم في الطلب وهو في أعقابهم مثل السلهب وكان حصن انجرح جراحات أشرف منها على العطب لان عنتر لما وقعت عينه عليه طلبه وصار يبتر الفرسان الذي بين يديه حتى انه قاربه وأدركه فلما حصن اذا وقع به عنتر أهلكه فعند ذلك أدار عنان حجرته الغبرا وطلب البر والصحرا هنالك زرقه برمحه عنتر الصنديد وكان منه بعيد فوقع الرمح بين كتفيه فأشرف منه على العدم فلما رأى نفسه تألم ولى وانهزم ودخل بين تلك الخلائق والامم وعاد عنتر طالب بني سليم رآها هاربة قدام ذي الخمار وقد أبلاهم بالذل والدمار وهو كأنه الصاعقة وهم بين يديه متفرقة هنالك طلب عنتر ابني شيبان رآهم متفرقين في البراري والكثبان ومن خلفهم زعقات ميسرة ومازن وعروة والهطال وسبيع اليمن الفارس الرئبال فالتقاهم عنتر من بين أيديهم وبذل سيفه فيهم وأوردهم ذلهم وفناهم فما وصلوا الى اعلام الملك الاسود حتى ملئ الارض من قتلاهم البر والفدفد وعاد عنتر وذو الخمار ومازن وميسرة وعروة والهطال وسبيع اليمن الفارس المغوار وطلبوا مضاربهم والخيام لما أقبل الظلام هذا والملك الاسود منكس الرأس كثير الهم ذليل النفس وهو يقول أيكون في الدنيا أسوأ حال منا من دون الامم فوالله ما بقي لنا مقدار لا عند العرب ولا عند العجم من بعد ما فعل عنتر بنا هذه الفعال وسقى فرساننا كؤوس الوبال ونخاف أن تحمل باقي العشائر تذل وتنكسر ويقولون مائة فارس كسرت عشرين ألف فارس وأكثر وقد وقع الرعب بين انا من الابطال والفرسان مما فعل معنا هذا الاسود الشيطان فقالوا له وجوه دولته

والفرسان الذي قتل مقدمها المرزبان هذه الفعال التي تفعلها ما تقام بها دولة ولا يتم بها مملكة وصولة وقد أحرقت بالملك كسرى بهذا الامر الذي فعلته وجرى لاي شيء ما حملت بهذه العشائر التي كأنها البحر الزاخر وكنا طحناهم طحن الحصيد وان دمتم على ذلك يلتقطكم عنتر واحدا بعد واحد كما يلتقط الطير الحب الزائد (قال الراوي) وأما حصن بن حذيفة فانه أيقن بعطبه لما يعلم ان الذي جرى كان بسببه خاف على نفسه لان عنتر لا بد أن يطلبه وان وقع في يده يعطبه فقال أما ترى يا ملك ما حل بنا من العذاب الاليم وما فعل اليوم هذا العبد الزنيم وذلك بسبب قعودك عن الحملة انخرق ناموسك وركبتنا المذلة فكيف يكون حالك من الملك كسرى أنوشروان اذا اعلمك على قتل حاجبه شهربان فقال الاسود والله اني استحيت أن أكون في مائة ألف عرب وعجم وأحمل بهم على عبد راعي غنم مع انكم حملتم عليه بعشرين ألف فارس فالتقاكم بمائة فارس فتبين لكم انه وافي عليكم لان ما فيكم من يرجى لشدة ولا يكون فيه نخوة ولا نجدة وكلامكم هذيان وتفعل أعظم من فعالكم النسوان وما مسكت أنا العشائر اليوم عنكم الا ان كان حنقا مني عليكم وما أعرف عنتر من ذلك الاسراف الاوقت ما حمل بمائة فارس على عشرين ألف فارس فقال مفرج بن هلال صدقت يا ملك الزمان وبالحق نطقت ولكن من الرأي لا تترك علينا وعليك اسم الهزيمة من عبد لا قدر له ولا قيمة وما زالوا يحموا الملك الاسود بمثل ذلك الكلام والعتب والملام حتى قال لهم اليوم مضى أمره وولى أكثره وبقي يا قوم أيسره وفي غداة غد فاترك حجة لجمعكم وأعطيكم الاذن بالحملة عليهم كلكم ولكن لا بد ما أرسل الى ذلك الباغي كتاب وأسمع ما يرد انا من الجواب ثم انه رجع ونزل في المضارب والخيام وترجلت العشائر في الليل والظلام وعلم الوزير انهم ان حملوا بذلك الجمع على عنتر يخسر فكتب اليه يعلمه بما جرى من حصن وسنان وأما سنان يقول لحصن اعلم بان الملك الاسود كان كف يده عن الحملة بهذه الجموع والفرسان ولكن أشغلوا قلبه بهذا الامر والشان (قال الراوي) وأما الوزير فانه كتب لعنتر يقول له اعلم ان القوم اتفق رأيهم على الحملة بهذه الجموع والفرسان فخذ حذرك ودبر يا ابن شداد أمرك ثم انه أحضر لعبد سالم وأمره أن يوصل الكتاب لعنتر فقال السمع والطاعة وسار في الوقت والساعة وكان عنتر رجع من المعمعة والزبد خارج من أشداقه وشرار النار يتطاير من أحداقه وهو يهمز ويهيج كما يهيج الجمل حيث انه ما نال من حصن الامل وأما الربيع فكما انظر الى ذلك الحال انفطرت مرارته وكذلك أهله واخوته ولما نزل عنتر ونزلوا ذلك العشائر هنالك وصل عبد الوزير اليه وقد ناوله الكتاب وأخذه عروة بن الورد وقرأه عليه فشكر الوزير على ما به أولاه ودعا له على حسن صنيعه وكتب كتابا رد جوابه يقول له لا عدمتك بتعصبك وفضلك واحسانك وامتنانك وسوف ترى ما يسر قلبك من عبدك وترى ضربا يهد وطعنا يقد فلما وصل الى مولاه العبد كان الوزير كتب كتاب ثاني فيه تحذير وتهديد ووعد ووعيد وقال للوزير أريدك تمضي بهذا الكتاب لعنتر بن شداد البطل المهاب وتجتهد أن ترضيه على أي وجه كان ويسلم الي نفسه وأنا أعطيه الامان لكن يقدم الي في الوقت والحال أصلح بينه وبين حصن بن حذيفة على ما كان وآخذه أنا وأدخل به الى الملك كسرى أنوشروان وآخذ له الذمام منه والشفاعة فقال له الوزير السمع والطاعة ثم قال للملك الاسود أريدك تحملني بكلمات قدر عليه حتى تقع في الهيبة حين أقدم اليه فقال له الملك الاسود نعم ما أشرت وما به أيها الوزير ذكرت ثم انه جمله بالكؤسات والزمور والبوقات والاعلام والرايات وأنفذ معه الجنائب ومن الذهب اثني عشر قضيب وكذا من الفضة شيء عجيب واصطحب معه خمسين من أكابر العرب من كل أمير منتسب وسار الوزير يقطع الارض والرحب بموكب يسر القلب والنفس حتى انه قارب فريق من بني عبس ووصل الخبر بقدوم الوزير بالرسالة لعنتر فركب اليه وتلقاه وأنزله وحياه وجمع الفرسان لتسمع الرسالة وما أتى به الوزير من المقالة فقال له الوزير اعلم يا أبا الفوارس ان سيف السلطان طويل وان ساعده كالشمس التي تحتها الناس كثيرا وقليل وأنا أشور عليك أن تدخل على هذا الملك وتطأ بساطه على الطاعة وتندم على ما فعلت من فعالك حتى يصلح حالك

ويكف أذيته عنك وعن رجالك ولو أنه أمر الجيوش بالحملة لحملوا عليكم حملة واحدة وتركوا الارض منكم خامدة فانظر ماذا ترد من الجواب وحسن الخطاب ثم ان الوزير غمزه بعينيه وحاجبه أن يأخذ كلما أتى به من عند صاحبه فقال عنتر قبل كل شئ يجب أن تخلع هذه الزينة والاثواب فانا أحق بها منكم وسوف ألقاكم كلكم ولم أزل حتى أملك الاسود وأجهد جهدي وآخذ ثار ولدي ومرادي أحمل سلطان وأملك الارض بطولها والعرض ولولا أنت رسول ولك على أيادي جميلة من أيام الملك المنذر وولده النعمان وما يجب في حقك مشقة ولا هوان والا كنت جعلتك مطروح على هذه الارض والصحصحان فعودوا الى ملككم ولا يلحقكم خوف ولا فزع وقولوا له يقول عنتر بن شداد الفارس الصميدع وحق من أمر الماء فنبع انني ما أخشى منه ولا من سيده كسرى ولا كل من تحت السماء وفوق الغبرى ثم انه أمر ولده ميسرة وبعض الرجال أن يأخذوا كل ما صحب الوزير من الاموال فأخذوا كل ما كان مع الوزير ومن بصحبته من كل أمير وهو يقول له تفعل معي هذه الفعال سوف ترى عقب هذه الاحوال ثم انه دنا اليه وقال له الوزير وهو بين يديه ما أنا أعود لعشائرنا وأنا على هذه الحالة هنالك يجتمع عند الملك الاسود الامرا وذلك ليسمعوا جواب الرسالة هنالك اكبسنا أنت ومن معك في الليل والظلام وابذلوا في جميع عشائرنا الحسام الصمصام فاذا وقع الصوت بهم أول من يهرب أنا ونستريح من الذل والعنا ثم رجع عنه وهو يقول له اقبل نصيحتي واياك فقد نصحتك أول وآخر وباطن وظاهر فقال له عنتر لا تطل الكلام أنا تركت روحي في هذا المقام وعصيت على العرب وعلى الاعجام ولا أخاف من جميع الانام ثم انه أخرجهم من عشائره حفاة عراة له مشاة فساروا حتى وصلوا للملك الاسود على تلك الحالة واذا بالمجلس منعقد بامراء بني شيبان وبني فزارة ولخم وجذام وهم جلوس في انتظار الوزير يسمعون ما يبدي من المقالة هنالك دخل الوزير وهو يلطم على رأسه وهو عريان من أثوابه وكذلك أهله وأناسه فاندهش الملك الاسود لذلك وأحل به وسواسه وسأله عن الامر والحال فهل الوزير وأخبره بما جرى من عنتر وكيف انه أخذ خيولهم وحل بهم العبر فبينما هم على مثل هذا الخبر واذا بضجة قد وقعت والدنيا قد انقلبت وماجت المواكب وظهرت الاهوال والمصائب وطوائف بني عبس قد حملت والسيوف جردت ونار الحرب أضرمت والرماح في الصدور أخرقت وهزت كل صارم مهند وعنتر في أوائلهم يطلب الى سرادق الملك الاسود لانه بعدما مضى الوزير أخبر الملك قيس بالكبسة فاستصوب رأيه وأمر العشائر فركبت وحملت على جيوش الاسود وسمعت بني لخم وجذام ضجيج في العشائر وذو الخمار يصيح بالجبير وعنتر يزعق بصوته المجهر فقال الملك الاسود ما هذه الامور اركبوا يا هؤلاء القوم ولا يبقى عليكم عتب ولا لوم فكان أول من هرب حصن بن حذيفة لانه حلت به المذلة والخيفة وتبعه قومه من بني فزارة وولت بعدهم بنو سليم تحت ظلام الليل البهيم وحل بهم الرعب والضيم وكذلك ولت بنو شيبان وقد حل بهم الذل والهوان فلما رأى الاسود الى ذلك علم انه قد وقع في بحر المهالك فطبق على جواده وطلب الهرب وتبعته المنهزمون من العرب هذا والسيوف تعمل بهم في ظلمة الليل والغياهب والصياح أخذهم من كل جانب وعنتر يصيح وذو الخمار يجاوبه بذلك الصوت المجهر فما بقي أحد من العدا الا وطار فؤاده وما صدق أن يصير على ظهر جواده وملك عليهم عنتر وأصحابه الفلوات وسد عليهم الطرقات وما أضاء النهار على الناس حتى قتل من جيوش الاسود شئ ماله قياس وحازوا بنو عبس الاموال والخيام وشالوا الجميع على الجمال وقال عنتر ما بقي بعد هذه النوبة الا بلاد الحيرة نأخذها ونجلس الملك قيس على كرسي الملك الاسود فوق سريره وندبر حالنا مع الملك كسرى فاستجودوا رأيه وعطفوا راجعين وهم بالمال والعيال سائرين حتى وصلوا الى الحيرة وملكوها واحتووا على كل ما كان فيها ونادى عنتر الامان والاطمئنان وطيب قلوب الرجال والنسوان واستقروا وطاب لهم المقام وأما عنتر فانه جاش الشعر في خاطره فانشد يقول هذه الابيات

لقد كان قلبي يا عبيلة صابر * لما رأت عيناي من واكف تجري
اني لأرى الشامتين تجلدي * ويحلم حلما ما يذم ولا يدري *

فبالله يا ذات الدلال تعطفي * ولا تتركي قلبي يذاب في الجمر
فلا تلومي ان غبت عنك ساعة * أيقنت ان الموت أحلى من الهجر
وها أنا قد جدت في طلب العلا * لاجلك حتى لا تقادين في الاسر
واني مبيد الجمع في حومة القنا * وابذل للموالي العطا مع النصر
سلكت سبيل العالمين بأسرهم * بكل همام ماجد ضيغم يسر
مالي أرى أناسا يستمطرون دمي * فماذا تشيري يا ابنة العم في أمر
وحق الاله الخالق الباري الذي * منازله للحج أعظم للذكر
سأتركهم جزرا للسباع تنوشهم * ضباع الفلا بين الفدافد والوعر
وآتيك بالاسرى بويل وذلة * وأداتهم تنقاد في ذلة الاسر
قفي وانظري يا عبلة حربي وهمتي * أنا مجيد الضرب بالبيض والسمر
أنا البطل المعروف بالمجد والثنا * ولا ينثني عن فعل خير لدى العسر
على حد سيف النصر قد لاح نوره * وما أحد غيري متوج بالنصر
ولي عزم لا يستطاع بلاغة * منيف على أعلا السماكين والنسر
أنا عنتر العبسي فارس قومه * تقر لي الابطال في البر والبحر
ولي راحة أجرى من المزن ساكبا * اذا هطلت في البحر من فيضها تجري
حويت العلا والعقل والجود والثنا * وسائر ملوك الارض قد عرفوا قدري
وفي الحرب مالي من مساو اذا التقت * لميدانها الابطال بالبيض والسمر

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه أمر الملك قيس باصطناع الولائم وترويج الطعام وشرب المدام مدة من الايام حتى طاب لهم المقام وهم في أكل الطعام وشرب المدام والتدبير في الكلام فهذا ما كان لهؤلاء العربان (وأما) ما كان من الملك الاسود فانه ما دام في هزيمته الى المدائن وانقلبت الارض والاماكن وكان أول من دخل الاسود وحصن بن حذيفة وسنان والوزير والناس تجر بعضها بعض ووصل الخبر الى الملك كسرى فانزعج وتزعزع عن سرير مملكته وقد اكتمل الديوان بأرباب الدولة ودخل الملك الاسود على الملك كسرى وقبل الارض ونادى يا ملك قد قتلت الرجال وهلكت الابطال وملكت الاموال والارض والاطلال فلما سمع كسرى هذا المقال انزعج وقال من فعل هذه الفعال فقال له عنتر وقيس بن زهير وبنو عبس وعامر وغني وكلاب وحمير وعنتر عنده اليوم عشرون ألف فارس وأكثر وملك بلاد الحيرة وأجلس الملك قيس على كرسي المملكة فقال كسرى وأين المرزبان شهربان ومن معه من الاربعين ألف عنان ما فعل بهم الزمان فقال له دمره عنتر وأسقاه الهوان لانه بارزه وقتله وعلى وجه الارض جندله واجتمعنا عليه بعدما قتله تسعون ألف وأكثر فكسرنا ذلك العبد الاغبر حتى انه كسر العلم الاكبر وشتت العشائر ثم شرح له ما جرى لهم مع عنتر فلما سمع كسرى من الملك الاسود هذا الكلام صار الضيا في عينيه ظلام فقال له قد بلغني انك صاهرتهم وتزوجت المتجردة زوجة أخيك منهم وقد صرتم أصهارا وحبائب فما الذي أوجب هذه الحروب والمصائب فاحك لي بالصحيح عن هذه الحالة ولا تخف علي شيأ من المقالة فلما سمع الاسود من كسرى كلامه فلم يجد له كتم من أعلامه وقال والله ما جلب لنا البلاء والمحن الا حصن بن حذيفة يا ملك الزمن لانه قتل ابن عنتر وهرب منه أيها الملك المفتخر واستجار بي هو وبني فزارة لاني متزوج أخته وقد لزمتني بنصرته فتجردت لاخذ ثاره وكان قد قتل عنتر منهم مقتلة عظيمة وأسر بعد ذلك منهم ألف وثلثمائة وذبحهم على قبر ولده غصوب وأحل بهم المصائب والكروب وأرسل يقول لي ولم ارض ذلك ان لم أسق بني فزارة كأس المهالك وأقتل حصن قاتل ولدي حتى يشتفي فؤادي منهم وكبدي فلما رأيت بغيه عليهم وقتل ساداتهم وحماتهم أردت أن أمنعه وأصده عنهم فلج في طلبي وقد قامت هذه الفتن بينه وبيني (قال الراوي) فلما سمع الملك كسرى كلامه وفهم مقاله

قال له أني أرى الذنب عليكم والتعدي والبغي كان منكم ولاي شي تقتلون ابنه حتى اجرت هذه الحروب بينهم وبينكم هنالك تقرب حصن وقبل البساط قدام كسرى وبكى وتأخر لورائه وقال له وحياتك ياملك ماقتلناه قصدا وانما كنت غائبا وسكران وقد قتل منا من قتل وفعل بنا من المذلة مافعل وقد رضينا أن نترك ماقد مضى ونصطلح بين يديك ونكون ياملك الزمان لهم في الرضا وها أنا وقومي بين يديك فان قتلتنا أنت فانت أحق واولى لاننا الخدم والعبيد وأنت السيد المولى (قال الراوي) فلما سمع الملك كسرى من حصن بن حذيفة مقاله رق له وأرثى لحاله قال له اذا كان قتل منكم هذه المقتلة ولم يكف يده فها أنا ارغم انفه وأمن أبوه وجده ثم أقام كسرى يتفكر ما الذي يفعل في حق بن شداد عنتر ثم انه رفع رأسه الى الوزير وقال ما الذي ترى من الرأي والتدبير فقام وقبل الارض وقال له ياملك الزمان ان عندنا شغلا شاغلا عن هذا الامر والشان ولم تعلم ماجرى وقد ملكت بلاد العجم الى حدود أصفهان وتلك البراري والآفاق ومابقي في يدك سوى بلاد العراق فلما سمع الملك كسرى هذا الكلام تحير وجرى دمعه على خدوده وقال للوزير ومتى سمعت هذا الخبر وتلك البلاد محفوظة بالجند والعشائر فقال الوزير ياملك الزمان لقد اجتهدت بروحي أن أطفي هذه الفتن فما قدرت على ذلك حتى انه لايدخل على قلبك هم ولاغم وقد انكسر لنا أربع سرية وعادت المنهزمين الى هنا وقد انضافت من أبناء العرب هذه المحنة فقال له كسرى ومن أين خرجت علينا هذه الخوارج والحساد وبلادنا محفوظة بالعشائر والاجناد وخوارزم والعجم وأعمالها مسلمة اشروين بن جروين وكذلك أصفهان وأعمالها مسلمة لاسفيدار ومن له من العشائر والبنين فقال له وزيره غلامك شروين هو الذي عصي عليك وقد عول على قتالك وأخذ البلاد من يدك ودبر الحيلة وقتل غلامك اسفيدار وملك أصفهان وتلك الديار وقد أطاعته أكثر البلاد حتى صار تحت يده ثلاث كرات ومنع الحمل والعداد وكلما جردت له جيشا كسره وهزمه في البراري ودمره وقد كسر لنا أربع عشائر وشتتهم بتلك الارض والبيد وها أنا قد أخبرتك افعل بعشائرك ماتريد فلما سمع كسرى ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وقال ان هذه محنة عظيمة وأحوال شنيعة ذميمة لان العرب والعجم قد عصيت علي وان غفلت عن ذلك راح ملكي من يدي فكيف يكون الرأي والشان فقال له الموبذان ان سمعت مني وترجع بلادك اليك ويحضر غلامك شروين بالسلاسل والاغلال الى بين يديك وذلك لك الفرس والديلم وقد أطاعوك العرب والعجم ومايأتيك بغلامك شروين في الذل والانكاد الا أبو الفوارس عنتر بن شداد الذي في زمن أبوك قتل الخوارج وله الفعال المرضيه وأقام به الدولة الكسرويه فعند ذلك ضحك الملك كسرى وكذلك ضحك كل من حضر بتلك المكان وقال كسرى صحيح الذي قال اذا كبر الرجل قل عقله وزاد به خرفه فقال له الموبذان لم ذلك ياملك الزمان قال بسبب ذكرك لعنتر حامية عبس وعدنان وهو الآن علينا عصيان ونريد منه نجدة ونصرة فكيف يأتي ويطيعنا ويدفع عنا المضرة فقال الوزير ياملك الزمان ان كان ضحكك لاجل ذلك فأنا أضمن حضور عنتر الى هذه الارض والمسالك ويكون لك من الطائعين وترسله لذلك الجبار شروين وهو يأتيك به أسير مقيد في العذاب المهين فانه فارس الفرسان وفريد هذا العصر والاوان والدليل على ذلك انهم حملوا عليه في هذه المرة تسعون ألف عنان وفي الجملة كان حاجبك شهربان وصحبته أربعون ألف انسان فقتله وقد انزل به الهوان وكسر العجم والعربان وشتتهم في الارض والكثبان وهذا أعظم دليل وبرهان وعلي أن أحضره أنا اليك طائعا بين يديك ويرد عليك ويحبك فلما سمع كسرى هذا المقال تلألأ وجهه بالفرح وزال ماكان به من الذل والترح وقال دبر هذا الامر برأيك ومعرفتك وفي ذلك الوقت والحال جهزه بخمسة آلاف خيال بزينة فاخره ونعمة عظيمة باهرة وجنائب بمراكب الذهب وبالسيوف والدرق المكوكبه وصحبتهم هديه ماسمع بمثلها السامعون ولايصفوها الواصفون كل ذلك لعنتر ولقيس بن زهير وأكابر بني عبس وعدنان ومن عندهم من المقدمين والاعيان وكان أرسل لعنتر خاصة لنفسه مائة رأس من الخيول البيض القرطاسيه وكأنهم الحمامات الرعبيه ماتقدر ترفع رؤسها مما عليها من الذهب والفضة والحلي والحلل وعشر كؤسات وأربع بوقات من الذهب وسارت القوم في زينة

عظيمة وانقلبت لذلك المدينة فلما رأى حصن بن حذيفة ذلك انفقعت مرارته وزادت بليته وحصل لحصن كربة وهم وخاف من كسرى أن يقبضه والى عنتر يسلمه وقال لعمه سنان بن أبي حارثة كيف ترى هذه الامور الزائدة وما وقع لذلك العبد من السعادة الواردة وأنا خائف أن يسلمني الملك كسرى اليه لانه محتاج له ومعول على النصر على يديه فقال له سنان حاشا وكلا أن يكون ذلك أبدا وان كان قدر علينا بشيء فما لنا سبيل لدفع الاذى (قال الراوي) وسار الموبذان والى جانبه الوزير البهلوان وقطعوا البر والفلا وعدوا بحر الفرات هنالك سبقت البشائر لعنتر بخبروه بقدوم الموبذان والوزير البهلوان فتأهب للقائهم وركب وركبت لركوبه ملوك العرب منهم الملك قيس بن زهير وذو الخمار الغضنفر وركب عامر بن الطفيل والملك الاخوص بن جعفر ووهب بن موهوب وركب كل بطل وثوب وقد سار واحتى التقوا بالوزير والموبذان وترجلوا عن الخيل في تلك المكان وسلموا على بعضهم البعض وضموا عنتر بن شداد بالاحضان وقبلوا صدره وبين عينيه فقبل عنتر من الوزير والموبذان يديهما وقال له الموبذان ياحامية عبس وعدنان لقد أرسلني كسرى بهذه الهدية الحسنة اليك ويقول لك ما كان ظنه فيك ذلك بأن تقتل رجاله وتخرب أرضه وأطلاله فقال له عنتر أيها المولى المسدد فلا يعتب علي بذلك بل انه يعتب على الملك الاسود لانه أجار قاتل ولدي وأحرق بفعله نار كبدي وما كفاه حتى انه قتل المجردة وأقام بجهله هذه الامور الزائدة وأرسل لقتالي العشائر والاجناد وأراد قتلي بغيا وعناد فنصرني عليهم الرحيم الرحمن وبقيت عشائرهم في البراري والقيعان واستجار وامن حربي بالقمان كسرى أنوشروان وأنا والله ما علي بالي من الانس ولا من الجان فقال له الموبذان العفو والجميل ياحامية عبس وعدنان فكان الذي كان وما أتينا اليك بسبب المعاتبة بل أتينا نصلح الامر والشان واعلم بأن الملك كسرى خرج عليه خارجي ملك منه البر والصحرا وقد ملك خوارزم العجم وأصفهان وأطاعوه خلق كثير من الجند والفرسان ومنع الحمل والعداد واذل بفعله العشائر والاجناد وكسرهم وشتتهم في الربا والمهاد هنالك قال ما لنا سوى عنتر بن شداد نستعين به على ذلك الخارجي الذي ملك البلاد ولو لم يعلم الملك انك سيفه ماكان دعاك لنصرته ولا استعان بك لدفع نائبته لانه يعلم انك سيفه القاطع ودرعه المانع ثم انه قدم له الهدية ورفع على رأسه الرايات والاعلام الكسروية وقدم له تلك الجنائب الذي بمراكب الذهب وقد كاد البرهم أن يلتهب ودقت الكؤسات ونعرت البوقات وقدم الخلع لقدام عنتر بعدما رمي عليه خلعة بالدر والجوهر وقال له اخلع على من شئت من العشائر والملوك هنالك خلع عنتر على الملك قيس بن زهير واخوته وعلى الملك الاخوص بن جعفر وعامر بن خالته وكذلك ملاعب الاسنة صحبته وعروة وميسرة ومازن والملك وهب بن موهوب وابن عمه ذو الخمار وخلع على كل من له قيمة ومقدار حتى انه خلع على الربيع بن زياد وقد انفقعت مرارته وقال لاهله واخوته أنا أظن بأن ذلك الاسود قد قربت منيته وزالت دولته وقد ازدادت سعادته وان سائر الملوك خافت من سطوته ثم انهم أقاموا ثلاثة أيام وقد أكرم عنتر الوزير والموبذان غاية الاكرام وتجهز للسفر وقطع الاماكن نحو كسرى وبلاد المدائن وتركوا المال والعيال في الحيرة على حالتهم وخلفوا عندهم ورقة ابن الملك زهير وعلقمة بن علاقة وألف فارس منهم خمسمائة من بني عبس السادات الانجاب وخمسمائة من بني عامر وغني وكلاب ثم انهم ساروا بالعدد الكاملة والنعم الشاملة وساروا غير قليل حتى قاربوا المدائن فعند ذلك سبقت البشائر للملك كسرى وأخبروه بقدوم عنتر في ذلك البر والصحرى فجلس على كرسي مملكته وعلى رأسه التاج وأفخر زينته وكان ذلك التاج برأس الايوان ولمعان جواهره يأخذ بالاعيان وهو في سلسلة من الذهب طولها مائة ذراع ماحاز مثلها ملوك الارض والبقاع وأكابر دولته وأبطاله عن يمينه وشماله وهم متقلدون بالسيوف الفواصل والرماح الذوابل والعدد الكوامل وكان كسرى أمر العشائر كبيرا وصغيرا يخرجون لاستقبال عنتر الفارس النحرير فخرج كل من في البلد حتى انها خرجت النساء والبنات ودقت البشائر ونعرت البوقات ونشرت الاعلام والرايات ودخل عنتر المدائن ومن معه من العرب في ساعة ماحكي بمثلها طول الزمان ووقع عليه النثار من الدرهم

والدينار فكان له يوم يعد من الاعمار ومازال على ذلك الديدان حتى وصل الى باب من الابواب وقد قارب الديوان وأراد أن يترجل عن الحصان وكان عنتر عارفا ذلك المكان لانه دخله قبل ذلك مرتان فلما أراد النزول عن الحصان منعته الوزراء والحجاب وقالوا له أمر الملك بأن تدخل من سائر الابواب وأنت راكب على جوادك هنالك دخل عنتر وهو راكب حصانه وكل من هنالك مشاة حتى أهله وجميع أعوانه ولما دخل عنتر الدهليز الاول رآه مطليا بالذهب الملون ودخل الدهليز الثانى واذا به أعجب من كل عجب وكذلك الدهليز الثالث من البلخش وفى الرابع الزمرد وفى الخامس الياقوت وفى السادس الجوهر وفى السابع المسك والعنبر وقد فرشت بسطة الدهاليز بقطع المخمل والاطلس وكان كسرى أمر أن ينصب بين يديه سدة لطيفة من العود القمارى مرصعة بالدر والجوهر وعليها مرتبة مزركشة وحشوها ريش النعام ومن فوقها شراريب باللؤلؤ الكبار وهى تأخذ بالابصار هنالك ترجل عنتر اليه ودنا منه وقبل طرف الكرسى وجلس كأنه سبع خرج من غابته فتبسم له كسرى وتعجب من فعاله وجلست ملوك العرب وكل من كان من أهله فعند ذلك أمر باحضار الطعام فحضر فى الوقت والحال وأكلت الغلمان والرجال خاصا وعاما وفرغوا من أكلهم الزاد وأقبل كسرى على عنتر بن شداد وقال له أيها البطل الوثوب اعلم ان اعادة العتب مما يجدد الحقود فى القلوب وأنا أعلم ان نائبى هو الذى أخطأ وعدا الصواب وقد استحق الضرب والعذاب ولكن لاجلى تهبه خطيئته وتعفو يا ابن شداد عن ذاته وهذا حصن بن حذيفة قاتل ولدك قد بلغنى أنك قتلت منهم ألف وثلثمائة رجل على قبر ولدك وقد أشفيت قلبك وكبدك وان كان ما تجعلك هذه الامور فأنا وحق النار والنور أسلم بنى فزارة اليك وتفعل بهم ما تقر به عينيك وارمى رقابهم بيديك فلما سمع حصن من الملك كسرى هذا الكلام حل به الرعب والسقام واذا بكسرى يقول وان سمحت نفسك فهب لى دمهم واسمح لى واصفح عن جرمهم فيكون أجمل وأليق بكرمك وأحسن وأوفق بمروءتك وهم على كل حال بنو عمك ولحمك ودمك (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك كسرى هذا الكلام نهض قائما على الاقدام وقبل الارض وقال أما الملك الاسود فما بينه وبينى مطالبة يا ملك الانام وانما طالبته مع ابنى عمى الملك قيس واخوته على شأن اختهم وهى بنت الملك زهير المتجردة فعند ذلك التفت الملك كسرى الى الملك قيس بن زهير وقال له يا قيس أما تعلم أن الاسود غلامى ونائب أرضى وبلادى والحاكم على العرب من بعدها ومن اقترب وقد جمعتم الجموع عليه وكسرتم له أربع عشائر وما خفاكم هذا الاخراق بشاه تاريان وأخرقتم بحاجبى شهربان وبلغنى انكم أخذتم الحيرة وملكتم مكان الاسود من المال والعبيد والخدام وبعد ذلك كان الذى كان فعند ذلك قام الملك قيس واثبا على الاقدام وتقدم الى قدام الملك كسرى أنوشروان وقبل الارض بين يديه وقال له أيها الملك الهمام أدام الله بقاك وبلغك الله الآمال من أعداك وجعلنى من الاسوى فداك فما كان بينى وبين الاسود معاملة الا انه هو الذى أجرى الشر بيننا وبينه وجار بنى فزارة قاتلين ولد ابن عمنا الامير عنتر ويعلم أننا نحن الجميع أولاد عم من لحم ودم وكنا أصهار له فكان يحسن التدبير بيننا وبينهم وكان يفصل هذا الامر الذى نما بيننا وبينهم فكان الذى كان ووقعت الحروب بيننا وبينه فلما أعياه الامر من الرجال بطش بربات الحجال فقال الملك كسرى لقيس هو الذى أخطأ وأذنب بهذا الامر الذى تجدد وما قصدنا الا الصلح والارشاد واطفاء هذه النار وابطال العناد فعند ذلك تصالحوا الجميع مع بعضهم البعض وهللوا بالدعاء لملك الارض هنالك أمر الملك كسرى بتجديد الولائم والمسرات وقدموا الغلمان ما راج من الطعام فأكل منها الخاص والعام وهى أطعمة مختلفة الالوان فراحت من الملك التفاتة فرأى عنتر وهو بارك على ركبتاه وهو يقطع ويبلع فلما أكلوا الجميع من الطعام قدمت لهم أوانى المدام ودارت عليهم أولاد السهارجة بالطاسات والكاسات والاباريق كل هذا والملك كسرى يتعجب من عنتر وهو كلما طاف عليه بقنانيه أو سلاحية يشربها وهو على هذه الحال حتى تكاملت مسرات المدام وبعد ذلك أقاموا ثلاثة أيام نهارهم يقضوه على مائدة الملك كسرى ولياليهم بين الاهل مع الاخوان وبعد ذلك التفت الملك كسرى الى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أنا ما أرسلت لك الا لامر تجدد وهو أن غلاما من

غلمانى وهو من مماليك أبى يقال له شروين بن جروين فلما انقضت مدة أبى وملكت التخت بعده فاستخلفت ووليت ونصبت ووهبت فمن جملة ما أوليت شروين بن جروين نائبا على خوارزم وأسفيدار نائبا على أصفهان ففى هذا العام أرسل الوزير على حكم العادة يطالب الحمل والخراج فعصى فأرسل له الوزير عشائر وأجنادا أربع مرار وهى ترجع العشائر مهزومة من الانكسار وبعد ذلك يقول ارسل الى المال والا أخذت سائر بلادك مع الاطلال وكيف تكون هذه العشائر حولى وأذل نفسى له وأنا الاسد الجسور فلا كان ذلك لا وحق النار والنور لاقطعن رأسه وأدبرن على قتله واهلاكه وظن بعقله انه ينال أربه وبعد ذلك دبر حيلة وقتل وزيرى اسفيدار وقال بنفسه اذا قتلته بلغت النفس آمالها هنا لم يبق من أخافه وأصنع ذلك الوقت ما أريد (قال الراوى) وكان لهذا الجبار شروين بن جروين بنت يقال لها شهرمان وكانت أحسن أهل زمانها وفريدة عصرها وأوانها هنالك شاع ذكرها فى الارض والهضاب وخطبتها الخطاب وهو لا ينعم لاحد بزواجها لان أباها قد شغف بحبها وكان بلغ وصفها للملك اسفيدار صاحب بلاد أصفهان وتلك الديار فتعلق قلبه بها وهام وبات وهو مشتغل بها مستهام قال فاستدعى بوزيره اليه وأقبل بكلامه عليه وقال له اعلم أيها الوزير ان الملك ما جعل الوزير الا ليحمل عنه الاثقال والتصرف فى سائر الاحوال وقد دخل على قلبى ما أهمنى بسبب بنت شروين بن جروين وقد عولت على خطبتها من أبيها والاتصال اليها فما الذى تراه من الرأى والتدبير أيها الولى الوزير فقال له الوزير اخطبها فان أنعم بها كذلك عسى يجتمع الشمل بها ويصير أبوها من قبلك وتملك الارض والمسالك فلما سمع هذا الكلام من الوزير قال له أنا كنت أشرت بذلك ولكن أنت السفير بالهدايا واخطبها الى منه فقال له سمعا وطاعة وتجهز من وقته وساعته وأخذ التحف صحبته وخرج وزير اسفيدار بزينة كاملة وهمة عظيمة شاملة بالعبيد والخدم والخيل بالسروج المرصعة بالدر والجوهر والركابات الذهب وسار الوزير يقطع الارض والآكام حتى انه وصل الى خوارزم العجم ووصل لشروين بن جروين خبره ففرح لذلك وانشرح فؤاده وصدره فأخرج وزيره وأكابر دولته ورجاله واستقبلوا وزير الملك اسفيدار وأكرمه غاية الاكرام ودخل على شروين دخلة مرضيه وسلم عليه وقدم له الهديه ففرح به شروين وقربه غاية التقريب اليه وأقبل بكليته عليه وسأله ما سبب انزعاجه وما الذى أقدمه الى أرضه وبلاده فقال له أتيتك خاطب راغب ويكون نسيبك اسفيدار وتبقى فى قبضتك الارض والديار وتصير المملكة واحدة ويدك ويده على الخير والشر متساعده لا تخيب قصد قاصديك ولا رجاء راجيك ومن أحسن الظن فيك فلما سمع شروين ذلك نزل على قلبه كالماء الزلازل وقد وجد لقتل اسفيدار سبيل فأقبل على الوزير وقال له أيها السيد النبيل فهو أجل من خطب وأجل من يكون فيه يرغب وما أعدها له من اليوم الا أمه فقال له الوزير ما تكون عنده الا عزيزة مكرمة ثم انهم فى الوقت والحال عقدوا العقد وصح الخبر بتلك الارض والبلاد وأمر شروين الوزير ان يعود من وقته وساعته ويأتى اليه بالملك اسفيدار فى صحبته ويكون عنده مدة زواج ابنته وبعد ذلك يأخذها ويرجع لمدينته فعاد الوزير لصاحبه وهو فرحان بانقضاء حاجته فسار الوزير يقطع البرارى والقفار فبعد ذلك استدعى شروين بوزيره وقال له لقد وصلت لما ذكرت من قتل الملك اسفيدار وأملك بعد قتله الارض والديار وأدبر بعد ذلك على قتل سيدى كسرى وأملك بعده البر والبحرى فاذا دبرت على هلاكه وقتلته هنالك أكون قد احتويت على مملكته فقال له وزيره افعل ما بدا لك عسى تبلغ ما تروم بفعالك هنالك استدعى شروين بأكابر دولته ومملكته فلما حضروا قال لهم قد بلغنى ان الملك اسفيدار ما خطب من ابنتى الا ليقتلنى اذا تزوج ابنتى ملك مملكة وقد حدثته نفسه انه يقضى على سيده كسرى ويملك البر والبحرى وقد علم ان هذا الامر يتم له وأنا خلفه وأرسل يخطب منى بنتى وتبقى هذه الاراضى بكفه وينال أربه وأنا قد عولت أن أقلع شافته وأقطع ذريته فما الذى ترون فقالوا له نحن لك سامعون ولقولك وأمرك طائعون لاننا أرواحنا نفديك فقال لهم اذا كان الامر على ذلك ها أنا أرسلت خلفه من أجل الزفاف ليأتى لهذه الارض والمسالك فاذا أتى الينا وقدم علينا فانا نطبق عليه وعلى من معه بالسيوف

ونسقيهم شراب الحتوف فاذا نحن قتلناه ملكنا نحن مملكته ونحتوى على أمواله ونعمته وندفع لكسرى خراج البلاد ونكون مقيمين فى بلدته بعد ما أخبره بما كان عول عليه من فعاته قالوا له أجبناك لذلك ولم يعلموا ما فى قلبه ونيته فلما رأى منهم الاطاعة قال أخبروا بعضكم البعض بهذه الاشاعة هنالك علموا بعضهم بهذا الخبر وكل منهم اقتل اسفيدار أضمر (قال الراوى) فهذا ما جرى من شروين وأما وزير الملك اسفيدار فانه عاد يقطع البر الاقفر وهو فرحان مستبشر وقد حل به السرور بانقضاء حاجته ولما قرب من الديار أرسل بشيرا قدامه من وقته وساعته يخبره بان صديقه الملك شروين أجابه لزواج ابنته ففرح لذلك الملك اسفيدار فرحا شديدا ما عليه من مزيد وركب باكابره وتلقى وزيره وزادت أفراحه وسروره ولما التقوا ببعضهما بعض ترجلا عن الخيل الى وجه الارض وأخبره وزيره بأن الملك شروين أجابه لزواج ابنته وتجهز الملك اسفيدار للسفر من وقته وساعته وأخذ المهر والصداق بصحبته وسار يقطع الطريق بتمكين حتى قرب من بلاد شروين هنالك أرسل المهر قدامه والصداق وكان شيأ يبهت الاحداق فعند ذلك احضر شروين أكابر دولته وأوصاهم أن يأخذوا الاهبة لقتلته ويميلون بعد ذلك على أهل ورفقته ولما وقعت العين على العين والتقى بعضهما الجمعان تقدم شروين الى اسفيدار ليسلم عليه وقربوه العشائر والاجناد فاظهر له المحبة والوداد وهو غافل عما بقلبه من البغضة والسواد فضربه على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه فمال اسفيدار عن الجواد الى الأرض المهاد يخور فى دمه ويضطرب فى عنده وأطبقوا عشائر شروين على أصحاب الملك اسفيدار وأوقعوا فيهم الدمار واسروا منهم قدر ألفين رجل وسار بعشائره نحو بلاد الملك اسفيدار وما زالوا يقطعون الارض طولا وعرض طالبين أصفهان وفى أوائلهم شروين والمرزبان وكانوا مائتين ألف عنان حتى قربوا أصفهان واحتاطوا بأبوابها من كل جانب ومكان فلما رأوا أهلها الى ذلك وحققوا ان صاحبهم اسفيدار شرب شراب المهالك سلموا اليه البلد واعطوا له كل ما اراد وأطاعه العباد واحتوى على خزائن الملك اسفيدار وعياله وأطاعته رجاله وما بقى بين يديه من يخالف أمره ولا يخشاه ويحذره هنالك بغى وزاد شره وحدثته نفسه على سيده كسرى أن يقتله ويأخذ الملك منه فقطع الحمل وعول أن يركب عليه فوصل الخبر الى الوزير البهلوان وكذلك الموبذان شق ذلك عليه وكبر لديه ولم يعلم الملك كسرى بذلك الخبر فأراد الوزير أن يحمل ذلك الاثقال فجرد له عشائر وابطال فالتقاه شروين وكسره فجرد له ثانى عشائر أعظم من الاول فدمره وثالثا ورابعا قهره فقامت على الوزير قيامته وعاد من الغيظ بعض راحته وأراد أن يعلم الملك كسرى بما جرى فوجد الملك الاسود قد أتى منهزم من عنتر والعرب والهاربين عبرة بين الورى فلما نظر الوزير هذه الاسباب المتواترة والامور الذى كانت عليهم مقدرة وعلم ان الملك كسرى نال قلبه منال عظيم وحل به رعب جسيم فعند ذلك أخبره بما عنده وقال له أيها الملك قد تجدد عندنا ما هو أعظم من هذا وشرح له جميع ما ذكرناه وما فعل الخارجى شروين وما وصفناه (قال الراوى) فتزعزع الملك كسرى عن الكرسى الذى هو عليه وفرت الدموع من عينيه وكثر فى حضرته الكلام وتكلم الوزير والموبذان بما كان من الالزام وقال له يأتى بشروين الى هذه البلاد الا ابو الفوارس عنتر بن شداد (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الكلام قام قائما على الاقدام ودعا للدولة الكسروية بالبقاء والدوام وضمن للملك كسرى أن يحضر له هذا الخارجى شروين ولو كان فى عشائره مهما كان ولا بد من حضوره الى بين يديك يا ملك الزمان ولو كان احتمى بالنمرود بن كنعان ففرح كسرى بذلك الشان وسيره وبصحبته الوزير البهلوان وأرسل معه من العشائر عشرين ألف عنان وعنتر سائر فى أوائل الخيل يقطع تلك البرارى والقفار وعلى رأسه الاعلام ومن ورائه الفرسان من عرب وعجم والى جانبه الملك الاسود والملك قيس ووهب بن موهوب وذو الخمار والاخوص ابن جعفر وهم يقطعون البر والآكام هذا والربيع بن زياد انفقعت مرارته وزادت به بليته وقال لاخيه عمارة ما رأيت أعظم من هذا العبد سعادة ولكن هذا حكم من بيده المشيئة والارادة فاذا يقال له بالذى سارت فى ركابه العرب والعجم وهم طايعين لامره مثل الخدام وأما عنتر حامية عبس وعدنان فأفرح الخلق بهذا

الامر والشان ثم انه عاد على الوزير البهلوان وقال له أيها السيد المهاب من الرأى والصواب أن تكون جميع العشائر تسير لسيرك وتنزل لنزولك وأنا أسير فى المقدمة وأكشف البرارى والآكام ويكون معى أربعة آلاف فارس ألفين من العرب وألفين من العجم ويكون بصحبتى ابن عمى الملك قيس وولدى ميسرة وأخى مازن الاسد الريبال وعروة بن الورد وابن أختى الهطال وكذلك سبيع اليمن فحل الرجال لاننا نخشى أن ندهى بداهية ونحن لا نعلم فقال له الوزير نعم بما ذكرت أيها الاسد الغشمشم ثم انه ودعه وسار وهو ومن خلفه أربعة آلاف فارس كرار وهم يقطعون البرارى والقفار ولما تمادى به المسير فى تلك الارض والاطلال فانشد وقال وهذه الابيات محفوظة بتاريخ عرف المرور

يعاتبنى فى الثار قومى وانما * فى ثارى أشياء تكسبهم حمدا
أسد به ما قد أخلوا وضيعوا * ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدا
وفى جفنة ما يغلق الباب دونها * مكللة لحما مدفقة تردا
وفى عبلة عقد عتيق جعلته * حبابا لبيتى ثم أخدمتها عبدا
وان الذى بينى وبين بنى أبى * وبين بنى عمى لمختلف جدا
فان أكلوا لحمى وفرت لحومهم * وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم * وانهم هووا غيى هويت لهم رشدا
وان زجروا طيرا بنحس تمر بى * زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم * وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالى ان تتابع لى غنى * وان قل مالى لم أكلفهم رفدا
وانى لعبد الضيف ما دام نازلا * وما شيمة لى غيرها تشبه العبدا

(قال الراوى) فلما سمعت السادات هذه الابيات تمايلوا من فوق الصافنات (وأما) ما كان من الخارجى شروين فانه وصلته الاخبار من العراق وكان له جواسيس عند كسرى وتلك البرارى والآفاق أرسلوا يخبروه بمجىء ذلك الجيش العرمرم وانهم أربعة آلاف من العرب والعجم وفى أوائلهم عنتر بن شداد الفارس الادهم فلما سمع شروين هذا الخبر حل به الانذهال وتحير وفى الحال جمع أرباب دولته وأكابر مملكته وقال لهم ما ترون لهذا الجيش الذى أرسله كسرى بصحبة ابن شداد عنتر وقد بلغنى انه أسد قسور وهو فارس البدو والحضر فقال له وزيره أنت شاققت ملك الارض كسرى وعولت أن تأخذ مملكته وكسرت له أربع عشائر ولم تخف سطوته وما داخلك رعب ولا طرب وقد حل بك الرعب من شلح من شلوح العرب فقال هذا ابو الفوارس عنتر بن شداد وقد بلغنى ان معه من العرب والعجم أربعة آلاف فارس فقال له الوزير وكيف تكون حالنا اذا التقى الينا الملك كسرى بالخلق والامم من العرب والعجم (قال الراوى) فلما سمع شروين هذا الكلام فقال له أنا ما أنا اعمى القلب وانما بلغنى ان هذا الرجل الذى هو عنتر بن شداد فارس الارض فى طولها والعرض ولولا يعلم الملك كسرى انه فارس عظيم وبطل جسيم لما جعله مقدما على عشائره وانما رأس بلا حيلة ما لها منفعة وأنا ادبر على أخذه وآخذ من معه مرة واحدة وبعده أكسر هذا الجيش كله وأفرقه فى البر والبيدا ثم انه نادى بأخذ الاهبة للقتال واعتد للطعن والنزال وتجمعت كتائبه وأبطاله ومواكبه وهم بالبيض المشطبة والخيول المهضبة والدرق المكوكبة والسيوف المذهبة والالتوت الهنديه وساروا وشروين سائر قدامهم على جواد كأنه لون الظلام وهو لابس أنفر السلاح وهو يقطع الارض والبطاح ثم انه أحضر بين يديه قائد جيشه وكان شيخا من المشايخ الكبار وهو مجتهد فى عبادة النار وكان يسمى سوار بن كلبهاد وكان شيخا عارفا بعواقب الامور من كثرة التجارب وقال له شروين كن أنت فى مقدمة العشائر حتى أتقدم قدامك وأدبر الحيلة على ذلك العبد عنتر فقال له الشيخ سوار سمعا وطاعة وأوصاه بحفظ نفسه فى الوقت والساعة ثم انه

أحضر بين يديه مرزبان من المرازبة الثقال وكان كلب جبار لا يجرى الا على الوبال لا يعرف حرام ولا حلال شديد العبادة فى النيران يقال له بين المرازبة شهرمان طوله سبعة أذرع بالهاشمى عنيد بين المجوس وضم اليه سبعة آلاف من الفرسان ما فيهم الا كل بطل عرمان وقال له سر بمن معك وكن طليعة العشائر حتى تشرفوا على عساكر كسرى لانه قد بلغنى أن فيها ابن شداد عنتر ومن معه أربعة آلاف فارس غشمشم وهم عرب وعجم فاذا أشرفتم عليهم وقدمتم اليهم ووقعت العين على العين وقربت من بعضهما بعض الجيشين ترجلوا عن خيولكم وارموا السلاح من أيديكم ونادوا كسرى يا منصور وهذا لاجل تحكيم الامور واستأمنوا اليهم فاذا تمكنتم منهم وصرتم معهم فاصبروا عليهم اذا الليل أظلم واعتكر وغرقوا فى المنام ونام ذلك العبد عنتر فتكونوا أنتم أخذتم سلاحهم وخيولهم وتعودوا بعد ذلك اقبض أرواحهم وشدوا السالمين منهم على خيولهم وأتونى بهم فى الحال على الاثر وبعد ذلك نزحف ونلتقى بقية العشائر وتكون قد انكسرت حدتهم بأسر ساداتهم ويفشلوا بأخذ قاداتهم هنالك نطبق عليهم ونطحنهم طحن الحصيد وندوسهم دوس الجلاميد فقال له المرزبان لله درك هذه همم الرجال وعزيمة الابطال وتجرد المرزبان بسبعة آلاف فارس وسار واحتالوا على عنتر (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من ابن شداد عنتر فانه لما فارق وزير كسرى وسار معه الاربعة آلاف فارس وهو يقطع البر الاقفر والى جانبه الملك قيس الاسد الغضنفر وولده ميسرة من الجانب الآخر ومازن وسبيع اليمن وعروة بن الورد والابطال والجميع خلف ظهره يقطعون الارض والدمن ومازالوا سائرين ذلك النهار وثانى يوم الى أن أشرفت عليهم غبرة القوم وبان من تحتها بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وحمحمة الجرد القداح وبرق الحديد والزرد النضيد فلما نظر عنتر لذلك فرح واستبشر وأطلق نحوهم الابجر وأطلقت من خلفه الاعنة وقومت الاسنة الا انهم لما قاربوا القوم وأرادوا الحرب هنالك زعقت السبعة آلاف فارس ونادوا كسرى يا منصور ورموا من أيديهم السلاح وأظهروا الفرح والسرور وترجلوا عن الخيل ودنوا من عنتر بن شداد القسور وقبل المرزبان رجله فى الركاب وفعل مثل فعاله جميع الاهل والاصحاب ثم ان المرزبان بكى واشتكى وقال لعنتر الاسد الجسور لقد بغى ذلك الرجل وتكبر على سيده القان كسرى الذى رفعه واعلا مقداره فوالله لو قدرت لقطعت أثره وأخمدت أنفاسه وها أنا قدمت اليك لعل أن يكون هلاكه على يديك يا فارس العرب ويا من له شرف المنازل والرتب فلما سمع ذلك عنتر فرح بذلك واستبشر وقال للملك هذه دلائل السعادة بمجىء هؤلاء الابطال الى طاعتك بغير قتال وهى بشائر سعادتك ثم ان عنتر أمرهم بالنزول بهذا المقام هنالك ضربت لهم المضارب والخيام وأركزت الرايات والاعلام وكان هجم عليهم الليل بالظلام وأخذوا الراحة لهم وللخيل بالمنام وسأل عنتر المرزبان وقال له كم عدد جيش شروين قال له خلائق وأمم وهم ثلثمائة ألف من العجم ما فيهم الا من حل به الرعب والعدم وأكثرهم ما أطاعوه الا كرها ومن جملتهم أنا لانه لئيم غدار وقتل صديقه أفيدار ولكن أخذه بالمكر والخداع ليس بالحروب والقراع وما بينكم وبينهم الا حملة واحدة وترى الارض منهم خامدة لان أكثرهم ما تواخذ معه الا خوفا من سطوته ونحن أيضا كنا لهم طائعين فلما رأينا هذه الفرصة أتينا اليكم هاربين ففرح عنتر والملك قيس بذلك الكلام وتفرقت الناس للمضارب والخيام وأخذوا الراحة بالمنام وأما المرزبان فانه أقام فى مضرب عنتر وصحبته من قومه خمسون نفر وكان عرفهم بما جرى بينه وبين صاحبه شروين وما تقرر فلما جن الليل والظلام اعتكر وثقل فى نومه أبو الفوارس عنتر وذلك من شدة التعب والسفر فلم يشعر الا والمرزبان وأصحابه داروا به من الشمال واليمين كأنهم النار المسعرة والسيوف بأيديهم مشهورة وأطبقوا عليه أخذوه أسير وشدوه كتاف وصار ذليلا حقير ثم انهم داروا على فوارس بنى عبس وقد أحلوا بهم التعس والنكس فسمع الملك قيس ضجة العشائر فخرج وقد انذعر والسيف فى يده مجرد ومشتهر حتى ينظر من عشائره الخبر فما حس الا وعشرون رجلا دارت به بلا خلاف وشدوه كتاف وكذلك ميسرة ومازن وعروة وسبيع اليمن والابطال وما كان أحد يخرج من خيامه الا والعجم داروا حوله وشدوه كتاف حتى كتفوا بعد عنتر ألفا وخمسمائة فارس

تحت الليل الدامس والباقين لما سمعوا الضجة فى البر والفلاه ركبوا خيولهم وطلبوا النجاة وعرفوا ان العجم قد غدروا بهم والمرزبان أخذ الجميع أسارى وقد شدوهم بالعرض على خيولهم وعادوا راجعين من ذلك الأرض ومازالوا سائرين حتى قربوا من شروين وسبقت البشائر اليه ففرح وقرت بذلك عينيه وأشرفوا أصحابه عليه بالاسارى وفى أوائلهم أبو الفوارس عنتر وهو مقيد من تحت بطن جواده الابجر والى جانبه أخوه مازن وولده ميسرة وسبيع اليمن وعروة بن الورد والملك قيس بن زهير هنالك تقدم مقدم العشائر وهو المرزبان الذى عمل الحيلة على عنتر وقال له يا مولاى هذا عنتر بن شداد الذى ذكره عم البلاد وهذا الملك قيس صاحب الرأى الزاهر وهؤلاء أهله وعشيرته المفاخر ولما نظر شروين الى عنتر استعظم صورته وقال اسود البدن جامع الزبل حلاب اللبن ما الذى حملك أن تسير الىّ وتتعرض لحربى وقتالى أما بلغك همتى وفعالى وقد كسرت لكسرى أربع قبائل وأجناد وملكت بالسيف هذه البلاد وذلت لى العباد وما كان لى كسرى أفرس منك يا ابن اللئام الاوغاد وحق النور والنار وما فيهما من الشرار لاقتلنك أشر قتلة وأمثلن بك أقبح مثله حتى لا يرجع مثلك عبد صعلوك يسير الى حرب الملوك (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه زاد غيظه وغرامه وقال له اسكت أخرس الله لسانك وأضعف عزمك وجنانك يا أخس المجوس ويا لئيم يا منحوس تقول لمثلى هذا المقال وأنا عنتر منكس الابطال نهار المجال لم لا صبرت يا جبان حتى يقع بينى وبينك الحرب والطعان فى حومة الميدان وتأخذنى فى طابق الجولان وكنت ترى ما يحل بك من المذلة والهوان وانما أخذتنى غدرا بغفلتى وملكتنى عند المنام فهذا فعل اللئام فتبالك يا أخس العباد ويا ملعون الآباء والاجداد فلما سمع شروين من عنتر ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وهم أن يرمى رقبته وكذلك أهله مع رفقته هنالك تقدم وزيره اليه وأقبل بكلامه عليه وقال له أيها الملك لا تعجل على مثل هذا الجبار ولا ينبغى له الا التمهل وكأنك تريد أن تلقينا بنار لا تخمد وقد بلغنى أنه سائر فى أبطال العرب وما ندرى ان نغلب أو نغلب والرأى ان هذا الفارس تبقيه حتى انه نخلص من هذا الامر الذى نحن فيه فان كانت الفرصة لك فى المعامع فما يمنعك عن قتله مانع وان كانت الكسرة عليك تكن قد زرعت الجميل مع هذا الفارس النبيل وكذلك أهله وقبيلته وتبقى تأكل من ثمرته ومازال الوزير يلاين قلبه بكلامه حتى انه لان ورجع لرأيه ومشورته ثم ان شروين دعا بسوار قائد جيوشه وهو الشيخ الذى ذكرناه وكان هذا سوار مربى دولة الاكاسرة الكبار منهم والصغار وكان ذا رأى صحيح وعقل رجيح وكان ربى الملك كسرى على كتفه وليس هو راضى أن يكون شروين يعصى على سيده كسرى ولكن جرى ما جرى وما يقدر يعصى له أمرا فلما حضر بين يديه قال شروين يا شيخ الدولتين وكبيرها ومربى الملوك الاكاسرة ومشيرها خذ اليك هذا الرجل ومن معه من الاسارى فما آمن عليهم أحدا غيرك بين العباد لانك رجل حافظ الوداد وأريدك تتولى حفظهم بنفسك ولا تأمن عليهم أحدا من أبناء جنسك حتى اذا كسرنا العشائر نرسلهم الى خوارزم فان نصرت عليهم أقلع جميع آثارهم وملكنا أرضهم وديارهم وان نصروا علينا كان أمرهم الى غيرنا (قال الراوى) فعند ذلك تسلم الشيخ سوار بن كابهار لعنتر وعروة والملك قيس وميسرة وسبيع اليمن ومازن وبقية الاسارى وهم بحالة الذل والخسارة وقد ساروا يقطعون البر والفلاه وما عنهم الا وقد أيس من الحياة ورحل من بعدهم المرزبان وهو بتلك العشائر التى كأنها البحار الزواخر وكانت ثلثمائة ألف وأكثر وقد أطبقوا البر الاقفر فهذا ما جرى لهؤلاء وأما المنهزمون الذين نجوا عند أسر عنتر فمازالوا يقطعون البر والصحرا حتى انهم أشرفوا على عشائر كسرى ونادوا بالويل والثبور وعظائم الامور ووقعت بقدومهم الزعقات وركب الوزير والملك الاسود وركب سبيع بن الحرث وغشم بن مالك والملك وهب بن موهوب وعامر بن الطفيل وسألوهم عن الخبر فخبروهم بأسر عنتر والملك قيس فارتعد الوزير وتحير وضاقت به الفكر لانه قد كان مؤملا بالنصر والظفر على يد عنتر فلما سمع بهذه الحالة غلقت فى وجهه الابواب وتحير من هذه الامور وهذه الاسباب وماج الجيش واضطرب من هذا السبب فاستدعى بالملك الاسود ومن معه من ملوك العرب وقال لهم ما هذا الفزع والرعب الذى حل بكم ووقع

أما تخشوا المذمة والعار والفضيحة فى سائر الاقطار وأنتم هنا أربعون ألف عنان عرب وعجم ويفقد منكم ألف وخمسمائة رجل تحل عزائمكم والهمم فأين السادات الكرام الذين يخشون المذمة والملام سيما وأنتم تعلمون ان الاشياء دول تارة يكون لكم وتارة يكون عليكم فان كانت النصرة لكم سدتم الى الابد ماقام قائم وقعد وان كانت عليكم فالهرب والفرار بين يديكم اذا دهمكم مايعجزكم من الحيا ولا تتركوا عليكم اسم الهزيمة من غير حرب ولا قتال فتتعاير بين الرجال فعند ذلك انتخت العرب لنفوسها وبذلت للموت غزير ناموسها ثم ان الوزير استدعى بالمنهزمين وسألهم كيف كان أسر عنتر فشرحوا له القصة والخبر وماجرى عليهم من الامر المنكر وكيف التقيهم الطليعة وهى تنادى كسرى يامنصور وكيف انها رمت سلاحها وأقبلت على عنتر بن شداد بارواحها فلما أعطيناهم الذمام وغرقنا فى المنام فجرى علينا منهم ماجرى وما انهزم منا سوى من ترى فصفق الوزير بيد على يد وكاد أن يختنق من الغيظ ويكمد وذلك من شدة الغبن والقهر وعلم ان عنتر أخذ بالحيلة والمكر ثم ان الوزير نخا العشائر حتى ركبت خيولها وجردت نصولها وزعقت بوقاتها ورنت طبولها واصطفت العشائر ونشرت الرايات والاعلام الكسروية ودقت الكؤسات السلطانية وماساروا غير ذلك اليوم حتى أشرف عليهم الخارجى شروين بمن معه من القوم وتقطعت الغبائر وبانت الابطال والعشائر وظهر الخارجى شروين وعشائره وانتشرت أبطاله وعساكره والرايات على رأسه مشتبكة وأبطاله حواليه محتبكة ووقف على نشز عالى وقد منع الفرسان ذلك اليوم من الطعان والضراب وضربت المضارب والقباب ونظر الوزير الى الخارجى شروين تحت الرايات والاعلام فزادت به البليات والآلام لانه نظره من بعض المماليك الخاسرة فطمعت نفسه أن يملك مثل الملوك الاكاسرة فعند ذلك أقبل على ملك العرب الاسود وقال له من الرأى أن نكتب لهذا الشقى كتاب ونهديه الى الصواب ونسمع مايرد لنا من الجواب وأقول له أنت تعلم ان الملك كسرى زباك وأحسن اليك أعظم من أملك وأباك وجعلك عمدته عند شدته فخاب فيك أمله وقتلت بعض أكابر دولته والشمس لاتتغطى عن الخلق والبشر فلا يغرك أسرك لابن شداد عنتر والرأى ان تسير صحبتى وتدوس بساط الملك من غير تعنيد وأنا الضامن لك كلما تريد وترجع الى بلادك وأنت مكرم من قبل أن يحل بك الندم ثم كتب الوزير جميع ماذكرناه داخل الكتاب وأرسله صحبة حاجب من الحجاب فسار ذلك الحاجب حتى أتى الى شروين وسلم اليه الكتاب فلما قراه وفهم رموزه ومعناه فقال له ويلك أنا طمعت بمملكة الاكاسرة من غير مقدرة حتى ان الوزير يخبرنى بهذه الصفة وحق النار والنور والظل والحرور وائن ملكت الوزير لاسلخنه وأحشى بالتبن جلده ودع كسرى يظهر لى كلما كان عنده فلابد لى من كسر عشائره وجنده ولا بقى لكم عندى قيمة بعد أسر ذلك الشيطان عبده عنتر فعاد الرسول وهو على ذلك الحال بالخيبة والاذلال وأخبر وزير الملك كسرى بكلما جرى فقامت عليه القيامة وانحمق وكاد من الغيظ يتمزق ثم انه أمر العشائر بالركوب اليه والحملة عليه هنالك دقت الكؤسات وزمرت البوقات ونشرت الاعلام والرايات وتقدم الوزير بنفسه والملك الاسود عن يمينه والملك وهب بن موهوب عن شماله وأقام ذو الخمار فى القلب وعليه الزرد والحديد وفى الميسرة ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل بعشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس كأنهم قطع الجبال بالسيوف الصقال والرماح الطوال وزحف الوزير البهلوان والملك الاسود فى بقية الابطال ونظر شروين الى ذلك الحال فرتب الآخر عشائره يمينا وشمالا وزحفت الزحوف وأبرقت السيوف وصهلت الخيل وتزاعقت الرجال وحملت واهتزت الارض وتزلزلت وتراموا بالنبال فى مقاتل الرجال وتصادمت الخيل فى المجال وثار من تحت حوافرها الغبار وأظلمت الاقطار وقد بربرت الاعجام بلغاتها وتضعضعت عشائر كسرى لاجل قتلها وانفرشت عليهم عشائر شروين بكسرتها وزعقت الفرس بأصواتها فى البرارى فادوتها وثبتت لها العرب بحسن صناعتها وقاتل ذو الخمار فى ذلك اليوم قتالا أدهش الحضار ولله در غشم بن مالك فانه كردس الفرسان فى المعارك ولله در عامر بن الطفيل فانه ترك دما الاعداء كالسيل وكثر الهلع وزاد الفزع ووقع الرعب والجزع وصارت الفرسان تهوى وتقع والرقاب من الاجساد تقع وأظهر عامر بن الطفيل فى عشائر شروين

العبر حنقا منه لاسر عنتر وأما ذو الخمار فانه ركب مراكب الخطر حتى ندم هنالك من حضر فيا لها من ساعة غاب عنها ابن شداد عنتر مما وقع فيها من البلاء المنكر ومازال القتال يعمل والدم يهمل والرجال تقتل الى أن أقبل الليل وانسبل ودارت الجيوش بعشائر كسرى وملكت عليهم البرارى والصحرى وامتلأت الارض من القتلى ورأت ماحل بها من البلاء فعلمت أنها هالكة وكم جهدها مالاقت من عشائر شروين وهى عليهم متداركة وانفصلت العشائر عن بعضهم البعض وترجلت ونزلت فى تلك الارض وباتت عشائر شروين فرحانة بالنصر وباتت عشائر كسرى ميقنة بالقهر وقد بان فيهم الذل والتعتير وحل بالملك الاسود وكذلك الوزير الندم والتدمير ومازالوا بتلك الارض والبطاح حتى أصبح الله بالصباح هنالك ركبوا الجرد القداح وطلبوا الحرب والكفاح وتقدمت المواكب وجاءت الابطال والكتائب وظهرت عشائر شروين من كل جانب وسدت الطرق والمذاهب وطمع شروين بهم وبكى الوزير على نفسه وعليهم وحملوا على بعضهم البعض وصار الابرام بينهم نقض وكثر فيهم الجراح ومزقتهم الاعداء بعوامل الرماح وثبت ذو الخمار فى بنى حمير وعامر بن الطفيل فى بنى عامر الغرر والملك الاسود الهمام فى بنى لخم وجذام ومازالوا على ذلك الحال وهم يمانعون عن أرواحهم بالحرب والقتال الى أن كثر عليهم العدد وزادهم المدد ومابقى فى العرب الامن قد أيقن بشرب العطب وأكثرهم عول على الهزيمة والهرب (قال الراوى) فبينما الناس فى شدة الهلاك وسوء الارتباك واذا هم بصيحات عاليات وضجات مرتفعات من وراء عشائر شروين الخارجى وتلك الفلوات هنالك بهتوا فى الحال وانفصلوا عن القتال لينظر والاخبار فرأوا ضرب الحسام البتار وحققوا الاخبار واذا هم بصوت أبى الفوارس عنتر الفارس المغوار وقد ملأ تلك الارض والاقطار وهو يزعق وينادى يالعبس الاجواد ها أنا عنتر بن شداد وكذلك ولده ميسرة ومن بصحبته من السادات الانجاب وقد أطلقوا من السلاسل والاصفاد وهم ينادون كسرى يامنصور اليوم دمك ياشروين مهدور فلما سمعت عشائر الملك كسرى هذا النداء عاشت أرواحهم وقد أيقنوا بسرورهم وأفراحهم وأجابوهم على ندائهم وصاحوا فى وجوه أعدائهم ورأت عشائر شروين ذلك البلاء المبين وقد أتاهم من بين أيديهم ومن ورائهم فحاروا فى أمورهم وتفكروا فى رجوع عنتر وكسر ذلك العشائر (قال الراوى) وكان السبب فى خلاص عنتر ورجوعه كلام عجيب وأمر مطرب غريب نريد أن نذكره على الترتيب فان ذلك الشيخ سوار بن كامهار الذى ذكرناه ربى الملوك الاكاسرة الكبار لما تسلم عنتر بن شداد وأصحابه وأوصاه شروين بحفظهم وأخذهم وسار بهم يقطع الارض والآفاق وعنتر وأصحابه معه فى الوثاق فلاح من الشيخ سوار التفاتة فرأى عنتر الاسد الهدار دموعه على خدوده كالامطار فقال له الشيخ سوار مالك تبكى ودموعك غزار وأنت البطل المذكور وفى سائر الناس مشهور وتبكى اذا نزل عليك الذل والدمار فقال له عنتر اعلم ياشيخ أنى ما أبكى خوفا من الموت وانما بكائى كيف ندبنى الملك كسرى الى نصرته فى هذه الكرة ولا كشفت عنه غمة ولا أجلو هذه الظلمة وقدمنى على هذه العشائر وجعلنى عمدة له فخاب ياشيخ أملى وآماله وعدمنى ملك الفرس فى هذه الطريق وزال عنه السعد والتوفيق فلما سمع الشيخ سوار ذلك بكى وأن واشتكى وقال لعنتر يافارس الورى ما أنت بأخوف منى على الملك كسرى لانى أنا ربيته على كتفى وقد عشت فى دولة أبيه ونعمته فلما سلم لى هذا الكلب شروين بن جروين خوارزم العجم جعلنى كسرى قائد جيشه وأمينه وأمرنى بالمسير صحبته فلما غره الطمع فيمن أحسن اليه وصرت متفكرا فى سوء فعاله وماعزم ذلك الكلب عليه من أعماله فهل لك ياعنتر كفاية اذا حليت وثاقك وخاصتك أنت وأهلك ورفاقك ورددت عليكم خيلكم وسلاحكم وأسيرا دهما بن معى بصحبتكم ويبقى عددنا ألفى فارس ونطلب أعقاب عشائره ونتفرق عليهم من الاربع جهات ونذهمهم فى الليل الاسود الدامس ونزعق بينهم كسرى يامنصور وقد هانت كل الامور ونضع السيف فيهم فيشتغلوا بنا وتحمل عشائركم من قدامهم وقد بلغنا المنى ففيك تلتقى عشائركم وتحمل عليهم وتدمرهم فاخبرنى بالصحيح وأنا أطلقك وأفعل مع الملك كسرى ومعك الجميل المليح وأعتقك وأستريح فلما سمع عنتر من الشيخ سوار كلامه

وما أبداه فقال له عنتر فرج عني أيها السيد الجواد وردّ على آل الحربي مع الجواد وانظر ما يفعل عنتر بن شداد بتلك العشائر والاجناد ولوأنهم ملء الارض والمهاد وكيف آخذ شروين في الاسلاسل والاصفاد والا ما أكون أنا عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد (قال الراوي) فضحك الشيخ سوار من كلامه وأطلقه وكذلك رفاقته وقد تعجب منه ومن سعة صدره وفي الحال رد عليهم خيلهم وسلاحهم وآلة حربهم وكفاحهم ولما جرى ذلك ردّ اليهم أرواحهم وكنا ذكرنا عدد الاسارى التي أسر واوهم ألف وخمسمائة وانضافت اليهم التي كانوا صحبة الشيخ سوار وعنتر بن شداد فيه الكفاية وساروا على آثارهم راجعين والى قتال شروين ومن معه طالبين حتى أشرفوا على العشائر كما ذكرنا ورأوا جيوش كسرى معولين على الحرب فعند ذلك أقبل عنتر وهو يزعق ويقول يا كلاب الفرس ويا أنذال الاعجام أنا عنتر فالق الجماجم فسار يخترق الصفوف ويرمي من الاعجام القحوف ويصدم الخيل يكردسها ويزعق في الفرسان ينكسها هذا والوزير البهلوان والملك الاسود ومن معهم من العربان عاشت أرواحهم وأيقنوا بفلاحهم ونادى في العشائر بالفرح والسرور وانطبقت تلك العشائر واتسع المجال على ذي الخمار فبذل في الاعداء سيفه البتار ونظر الخارجي شروين لعنتر وقد خاص وعاد من وراء العشائر والشيخ سوار بن كاهار بجانبه فعند ذلك زادت أحقاده ومصائبه وعلم أنه هو الذي أطلق عنتر ومن كان معه من كل ليث قسور فخرج من تحت الاعلام وعطف على عنتر كأنه الليث القسور وفي يده عمود من الحديد وزنه تسعون منا وأكثر وقد ذكرنا طول هذا الجبار شروين سبعة أذرع بالهاشمي فلما حذف عنتر بالعمود لحاد عنه عنتر الشجيع المهاب فغاص لحد نصفه بالتراب وعاد عنتر كما البرق لسرجه وقد بطل من الخارجي دخله وخرجه هنالك قاربه عنتر وضايقه وحك الركاب بالركاب ولاصقه وأبعد عنه مقدار قصبة وضربه بعقب الرمح قلبه وعلى وجه الارض كبكبه واذا بميسرة ترجل اليه وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وقد أخذوه أسير وقادوه ذليلا حقير هنالك تنكست راياته والاعلام وولت عشائره وطلبوا الانهزام وعادت العرب لنهب الاموال والخيل والجمال هذا والملك الاسود والوزير البهلوان يشكرون الامير عنتر وجمعوا الغنائم من البر والآفاق وشدوا شروين بالوثاق وعادوا على آثارهم طالبين بلاد العراق وقلوبهم على من لهم من الاهل والرفاق وسبقت المبشرون الى الملك كسرى يخبرونهم يقطعون البر والصحراء فلما بلغه الخبر أمر بتزيين البلد وفرح بذلك كل أحد ودقت الكؤسات ونعرت البوقات ورنت الطبول ونشرت الاعلام والرايات ونظر شروين لنفسه وهو أسير هنالك همعت الدموع من عينيه وبكى بدمع غزير فنظر اليه عنتر الفارس النحرير فقال له لم تبكي أيها الملك الخطير فقال له يا أبا الفوارس أنا بك مستجير فان الذي جرى مني كان خطأ كبيرا وها أنا معترف بذنبي واذا حضرت قدام القان كسرى لابد له أن يقطع أنفاسي ويعدمني أولادي وناسي وأنا يا أبا الفوارس مستجير بك وأريد منك الذمام ولواني أخطأت معك ولكن ما أعلم أنك من الناس الكرام الذين يفتخرون بالذمم والعطاء واطعام الطعام وها أنا أسير بين يديك وقد فوضت أمري اليك فقال له عنتر وصلت يا فتى ولك مني الامان والذمام ولا تخش من رعب ولا آلام وهذه يدي لك بالوفا على ما قلت لك من الكلام وان شاء الملك العلام أدع كسرى يردك الى بلادك بالخير الجزيل والعز النبيل ويفعل معك هذا الجميل وما زالوا وهم يقطعون الارض والاماكن حتى وصلوا الى المدائن وكان دخولهم البلد في يوم مشهود وفرحت بعنتر العشائر والجنود وكان طالع مسعود وخفقت على رأسه الرايات والبنود ونثر على رأسه المال الممدود وقد جلس لهم كسرى على سرير مملكته ومن حوله أكابر دولته ودخل عنتر والوزير البهلوان لداخل الايوان وعنتر قائد الموبذان حتى أحضر قدام القان كسرى أنوشروان فرفع رأسه اليه ونظر له نظرة الغضب وأخذه من فعل عنتر بن شداد العجب وقال له يا أبا الفوارس هذا أسيرك وقد بلغني ما فعل بحقك وكان أراد قتلك وتدميرك وما فعل في حقي وحق الملك اسفيدار فالذلك يوجب قتله والدمار هنالك خدم عنتر وقبل الارض بين يديه ثم انه أقبل بكليته عليه وقال العفو يا ملك الزمان والقصد أن ترده لارضه والمكان وان عاد عصى عليك ورجع كما كان أكون أنا المطالب به

وأعيده اليك وهو في الذل والهوان (قال الراوي) فزاد بالملك كسرى من عنتر تعجبه وحسن مودته وصفى باطنه وحسن مروءته فأطلقه لاجل خاطره وأعتقه ورد عليه أمواله ورجاله وأعاده لارضه واطلاله بعد ما أخذ عليه العهد والميثاق وعاد الى بلاده قطع الارض والآفاق وجعل الشيخ سوار بن كاهار وكيلا وانه لا يقطع أمرا دونه ففعل ذلك وساروا وهم يقطعون الارض والمسالك وكان الملك كسرى أنفذ معهم ناظرا يطالعه بالاخبار يوما بيوم ووقتا بوقت وساعة بساعة على التكرار (قال الراوي) فهذا ما كان من أمر هؤلاء بتلك الارض والبلاد (وأما) ما كان من الامير عنتر بن شداد فانه أقام أياما قلائل وهو في منادمة الملك وبعد ذلك طلب منه الاذن بالرحيل فأذن له بعد أن دفع له من المال شئ جزيل وقد أعطى كسرى خراج خراسان ذلك العام الى أبي الفوارس عنتر الهمام ولمن معه من العرب والفرسان ففرق عنتر الجميع على من كان صحبته من قبائل العربان فنطقت الالسن لعنتر شاكرين وخلع كسرى على ملوك العرب أجمعين وساروا وهم متعجبون من هذه الاموال الغزيره حتى انهم وصلوا الى الحيره وأقاموا بها الليالي والأيام وقربهم المقام وجلس الملك الاسود على سرير مملكه وردوا عليه كلما كان من أمواله واجتمع بأهله وعياله وكفى جميع العرب من خزائنه وأمواله فعند ذلك تفرقت العرب لاوطانها وأراضيها وغدرانها وسارت بنو عبس وصحبتهم بنو فزارة وحصن بن حذيفة كثير الخوف والحذر من أبو الفوارس عنتر هنالك سبق الخذروف وولداه شيبوب يبشرون بقدوم عنتر وبني عبس الغرر وما زالوا سائرين حتى وصلوا القبيلة وشاع الخبر والتقت المقيمين بالقادمين والتقتهم العبيد والاحرار وفي أيديهما الدفوف والمزاهر ووقعت البشائر في العشائر وطلبت بني فزاره منازلها وأطلالها ونزلت بني عبس أرض الشربة وتلك المقام ونصبت الرايات والاعلام وأقام عنتر في أكل طعام وشرب مدام (قال الراوي) الى يوم من بعض الايام وعنتر بن شداد جالس بصدر المجالس وهو كأنه الاسد العابس وولده ميسرة وابن أخته الحطاط بجانبه وبقية أهله وأصحابه بين يديه واذا بعبد من بعض عبيد الملك قيس بن مسعود سيد بني شيبان وعليه ثياب الذل والهوان وعليه آثار السواد وهو كثير البكاء والتعداد وهو ينادي وأميراه واسيداه وابسطاماه حتى دنى من عنتر بن شداد وقبل يده وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يا حامية عبس فارسها وراجلها * عند اشتباك القنا والخيل تصطدم

قتل خليلك بسطام وقد نفذت * فيه المنايا وذلت بعده الحرم

أمسى قتيلا على المهاد مجندلا * تجول من حوله العقبان والرخم

واذلنا بعد حامينا وفارسنا * يا ويل شيبان قد زلت بها القدم

جارت علينا بنو الانذال واحتكموا * فينا ولا ناصر يرجى لمن ظلم

فرحوا الاعادي وقد أشفوا قلوبهموا * منا ومالوا على السادات وانتقم

مالوا على الاهل ميل المبغضين لنا * وأكثروا في رجال الحي قتلهم

ومنك نرجو أبا الفوارس تدركنا * فأنت خصم الى من طال بأسهم

فانهض الى أخذ ثارات الخليل فقد * حل الجميل علينا منك والهمم

أبو الفوارس لا تأتيك نائبة * ودمت في آل عبس صاحب العلم

(قال الراوي) فلما سمع عنتر الهمام من العبد هذا النظام وأخبره بقتل صديقه بسطام ما بقي يعرف اليمين من الشمال وبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وقال للعبد كيف كانت هذه المصائب وكيف امتدت لبسطام أيدي النوائب قال له يا حامية عبس وعدنان قتله الملك الهيلقان حامية بني رميش وتلك المكان وكان السبب لقتلة الامير بسطام كلام عجيب وكان الامير بسطام نظر لجارية من بعض بني رميش خطبها من أبيها فانعم له في الوقت والحال فيها وأعطاه يده ونا كحه ووقع الرضا على شئ من الحطام وشهدت عليهم بذلك مشايخ الحي الكرام وكان المهر ألف ناقة سود الحدق طوال الوبر ومائة نجة من المسك والعنبر ومن أصناف أثواب الحرير شئ كثير ثم انه خلع على أكابر الحي وعقر ومد السماط لكل من هنالك حضر وباتت الناس

فى أكل طعام وشرب مدام وكان الهيلقان بجمعه مستهام فبينما هؤلاء القوم فى السرور والافراح واذا قد تغيرت الافراح انزاح كما قال بعضهم وأى نعيم لا يكدره الدهر هنالك كبسهم الهيلقان بخمسة آلاف عنان ووضعوا السيف فى الصغار والكبار وسبوا الاموات والاحرار وكان الامير بسطام ذلك الوقت سكرانى وهو طافح من خمر الدنان فركب على ظهر الحصان وتلقى الفرسان وهو ينادى أنا الامير بسطام حامية بنى شيبان واذا بالملك الهيلقان قد فاجأه وقاربه وداناه وطعنه فى جانبه الايسر جدله على الارض قتيلا معفر واحتوى على العروس والمال وترك المنازل العامرة اطلال ورجع لارضه والاوطان وترك القوم ملازمين الندب والاحزان واجتمعت الابطال والفرسان عند الملك قيس بن مسعود سيد بنى شيبان هنالك أرسل الملك قيس بن مسعود المفتخر يخبر أبو الفوارس عنتر وقال يا أبو الفوارس بادر انصرتنا عسى على يديك تنكشف كربتنا وتأخذ بالثار وتكشف عنا العار (قال الراوى) فلما سمع الامير عنتر الهمام من العبد ذلك الكلام زادت بليته واشتدت مصيبته وقال ان لم أكن آخذ الثار وأكشف العار ما أكون أنا عنتر ابن شداد فارس الحرب والجلاد ثم انه فى الوقت والحال ركب بخمسمائة خيال وساروا وهم يقطعون البرارى والقفار وشيبوب بين أيديهم يقتفى الآثار وقد زاد بعنتر الهيام وسار يبكى على الامير بسطام وأنشد يقول

أسفى على بسطام الطعانى * البطل الندب قوى الجنان
أسد ضرغام اذا التقت * سمر العوالى مع مواضى السنان
اذ لم أرد السيف فى يوم اللقا * مخضبا من دم الهيلقان
ما كنت من شداد عالى النسب * ولا تعاليت فوق متن الحصان
يا آل قحطان عنتر جاءكم * يبيدكم طعنا برأس السنان
اليوم ترونى وترهبوا سطوتى * وتيقنوا بالخوف بعد الامان
قتلتم الى بسطام غدرا وقد * كان شجاع الحرب يوم الطعان
فوحسرتاه كيف ماقد علا * على جواده واستمد العنان
لكنها الاقدار دارت به * أسقته من صافى عتيق الدنان
* فتيقنوا بالموت يا أمة * خانت وما الخوان الا الجبان
فعنتر العبسى أنا الذى * قتلكما عندى باعلا مكان
وضمنت أخذ الثار من خصمه * وعند لقاء الخصم أوفى الضمان



(قال الراوى) ومازال عنتر سائر بمن معه من القوم مدة احدى عشر يوم قاربوا حلة بنى رميش وذلك المكان هنالك أقبل شيبوب على أخيه وقال له أقم أنت ومن معك بهذا المكان حتى أسير وأكشف لكم الاخبار وأرجع على الآثار فأجابه الى ذلك وسار يقطع الطرق والمسالك فما غاب عنهم سوى بقية ذلك اليوم ورجع وعاد حتى وصل الى أخيه عنتر بن شداد فناداه هات ما عندك وخبرنا يا أبا رياح بالذى رأيت فى تلك الارض والبطاح فقال له اعلم انى لما سرت من عندك أيها الاسد العرين دخلت الى الحلة بجملة الفقراء والمساكين وسرت وسط المضارب والبيوت فى زى سائل طالب القوت فرأيت الحلة يا أخى ترتج بالابطال وتموج ومازلت داير بالحلة من مكان الى مكان وانا أنادى وأقول أين من يسد رمق الجيعان حتى رأيت الملك الهيلقان وهو جالس كأنه الاسد العابس وهو بالحديد مسربل كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو قاعد فى طول الرجل القائم والشر يلوح على وجهه بعلائم والرب الكريم سترنى فما فيهم بحمد الله من عرفنى ومن الصواب أن تكونوا مكمنين الى الصباح حتى تخرج أموالهم للبر والبطاح وتغيروا على المال فعند ذلك يقطع الصوت وتخرج لكم الرجال هنالك يقع الحرب والقتال فلما سمعت من بنى عبس شيبوب مقاله أجابوه الى ما ذكره لهم استحسنوه ثم انهم باتوا على ذلك النية الى ان سار وقت السحر هنالك أفرغوا على أجسادهم السلاح وركبوا على الخيل الجرد القداح وما فرغوا من ذلك حتى أصبح الله بالصباح وقد طلعت الشمس

على الروابى والبطاح وخرج المال الى البر وبقى مباح هنالك هجمت بنى عبس على المواشى والجمال وفى أوائلهم عنتر ليث البطاح فساقوا الاموال القبيلة وطعنوا بأذقية العبيد بالرماح طعنا مثل فتوق الاعدال وكان هرب بعض العبيد نحو الديار والاطلال وكان هروبهم عند اشتغال بنى عبس بذلك المال وفى دون ساعة ثار الصياح وركبت الابطال والعبيد تنادى وتقول أخذت الاموال فى البرارى والتلال وتسارعت الفرسان وفى أوائلهم الملك الهيلقان كأنه الاسد الغضبان وقد أرغى وأزبد وهو يخط الارض باقدامه ويحرثها بابهامه وهو يزعق ويقول خابت آمالكم ففى هذا اليوم أجازيكم على فعالكم وأفعل بكم أبشع نكال وأخلى منكم أرضكم والاطلال وهم مجردون فى أياديهم الصفاح ومقومون بايديهم أسنة الرماح وأزعجوا بصياحهم الربا والبطاح فلما سمع عنتر ومن معه نداءهم ورأوا الى هذا الجمع قد أتاهم وكانوا بالغنيمة مائة فارس من الفرسان وعطفوا على الاعداء بأربعمائة عنان وكانت الاعداء التى من بنى رميش عشرة آلاف فارس ما منهم الا كل بطل ممارس فصاح عنتر يالثارات الامير بسطام البطل الهمام وزعقت بنو عبس الثار الثار البدار البدار فلله در عنتر وولده ميسره كردس الاعادى خمسة وعشرة عشرة وكذلك الامير مازن يا ما قتل وسبيع اليمن يا ما فعل ومازال بينهم الحرب والصدام الى أن أقبل الليل بالظلام ورجعوا بنى رميش وفى أوائلهم الملك الهيلقان ولكنه فى غاية الذل والهوان وهم يقولون له ما عمات معنا من الخير والانعام بقتل الامير بسطام وثانيا عدمنا الرأى باتباعنا لبنى عبس وعدنان وان جرى لنا غدا معهم مثل ما جرى لنا فى هذا اليوم لم أبقوا منا ولا انسان لانهم اليوم أبادوا فرساننا ونكلوا بابطالنا وانهم بلونا بالذل والعار وخربوا أرضنا والديار وسبوا ما لنا من العيال ونهبوا ما لنا من الاموال وقد ضاقت صدورنا وحرنا فى أمورنا (قال الراوى) فلما سمع الملك الهيلقان من بنى عمه هذا الكلام قال لهم اعلموا يا بنى الاعمام أن الحروب ثارات وساعات وأوقات مقدرات والشجاع لا يحدث نفسه فى كل وقت بالغلبة والنصر وانما الرجال تصبر على البلاء والخطر فهذه عزائم الرجال ولا هى همم الابطال وما يقتل منكم ومنهم الا من يكون دنا أجله وقرب الى المقابر مرتحله وموت الرجل فى الحرب قتيل أخير مما يموت على فراشه ذليل ومن تكون هؤلاء الانذال حتى حل بكم منهم الخوف والاذلال فاين الهمة الرميشية والفروسية الجاهلية القحطانية وها أنا عند الصباح ابرز لقتالهم والتقط يا بنو الاعمام أبطالهم وتعاينوا فعالى من فعالهم وأبلغكم آمالكم وأبلغ آمالى وباتت الفريقين فى تلك الارض والبطاح الى ان أصبح الله بالصباح وتواثبوا للحرب والكفاح بعدما ركبوا على الخيل الجرد القداح واصطفت الابطال والفرسان وبرز الملك الهيلقان وصال وجال وأنشد وقال

لابد من حرب طعن الاسمر الاسلى * والضرب بالابيض فوق الهامات والقلل
أنا الهزبر وكل الناس تعرفنى * بالهيلقان وأنى الفارس البطل
يا آل رميش اشهدوا لى اننى بطل * ألقى الاسود نهار الروع فى الدحل
يا آل عبس ابرزوا لى وانظروا بطل * ليث يحاكى القضاء فى الحرب والاجل
فاين أسودكم يبرز لى أسد * بالهيلقان سمى حقا بلا زلل
فاليوم أقتله صرعا وأقهره * وبعد هذا فلا يسلو ولا يسل

(قال الراوى) فلما تم الهيلقان كلامه ونثره ونظامه حتى برز اليه عنتر وصار قدامه ولما نظره بالعين قال له يا كلب هذا اليوم آخر مالك من الايام ولابد من قتلك فى ثار الامير بسطام ثم أجابه على شعره يقول

أنا البطل الكرار فى حومة الوغا * اذا عثرت فرسانها بالجماجم
ودنت الرجال مع الرجال وأرعدت * بكأس المنايا من حدود الصوارم
ولاحت علامات الشجاع بلا خفا * وذل الجبان النذل منكسو رنادم

فأنى أصليها واقهر كماتها * بطعنة عسال وضربة صارم
ولا أنثنى يوم الوغا عن ملمة * وأنى الكرار ونعم مقاوم
رويدا لقد حدثتك نفسك باطلا * وأنت التى أضمرت أحلام نائم
فتلق فتى لا ينتج الدهر مثله * ولا تنطقوا عن سواه الملاحم
اليوم تلقى فارسا أنت طالبه * وتبقى طعاما للنسور القشاعم
وأخلى بنى قحطان ينوحك حسرة * بين النساء يندبن عليك المآتم
أنا عنتر العبسى فارس قومه * مردى الاعادى بالسيوف الصوارم
ونحن بنو عبس الكرام ومجدنا * على أعلا العلا من فوق أعلا الدعائم
نحيد طعن الرمح فى حومة الوغا * ولا أنثنى يوم العطايا المكارم

(قال الروى) ولما فرغ عنتر من نظمه ونثره صرخوا على بعضهما بعض صرختان عظيمتان تنعقعت لهما الجيشان ورفعت الخيل رؤسها ولعبت بأذنابها وظنت الفرسان أن السماء فتحت أبوابها ونزل عليها سخطها وعذابها وحملا على بعضهما بعض حملات الاسود وأظهرا ما كان فى القلوب من الحقود ثم ان عنتر قام فى ركابه وتمطى فى بداده وضربه بالسيف على وريديه أطاح رأسه من بين كتفيه فلما نظرت عشائره اليه وأصحابه ورأت ما حل به من عظيم مصابه صاحت وولولت وعلى عنتر بن شداد حملت وهم يقولون شلت أناملك يا ولد الزنا ونتيجة الخنا لقد قتلت سيد كريم وبطل عظيم ثم انها رمت الخود عن رؤسها ووطنت على الحرب نفوسها وأطلقت الاعنة وقومت الاسنة وقد انطبقوا على عنتر هنالك حملت بنو عبس الغرر وتكردست على عنتر المواكب ومالت عليه الفرسان من كل جانب ولما نظر ميسرة لوالده وقد دارت به الجحافل صرخ فى بنى عبس بصوت مثل الرعد فحملت وفى أوائلهم عروة بن الورد وحملت الخمسمائة أصحاب عنتر بن شداد واشتد بينهم الحرب ووقع بينهم الطعن والضرب حتى انكسرت حدة بنى رميش وذلوا بنى طى وقحطان فولت أبطالهم من الميدان وسائر فرسانهم والشجعان وولى الجميع الادبار وطلبوا الهرب والفرار وقد حل بهم الدمار وما كان لهم صبر ولا قرار وضاق بهم كل مكان بعد قتل ملكهم الهيلقان وعادت بنى عبس وعدنان جمعت الخيول والاسلاب وقد أحلوا ببنى قحطان العذاب وأسروا منهم سبعمائة أسير والباقين تركوهم ما بين مهزوم وعفير ولما جمعوا الغنائم والاسلاب وقطعوا من الاسارى الرقاب وبعد ذلك هجموا على المضارب والقباب ثم قتلوا من تخلف من المشايخ والشباب ونهبوا ما هنالك من الاسلاب وعفوا عن النساء والبنات الكواعب الاتراب وعادوا وهم زائدين السرور والافراح وقد تباشروا بالنصر والفلاح وما زالوا وهم راجعين والى نحو ديار بنى شيبان طالبين والغنائم تنساق أمامهم وعبد الملك قيس ابن مسعود سيد بنى شيبان يجرى امامهم وهم يقطعون البر والقفر والعبد يشاهد كلما وقع وجرى لان عنتر ما مكنه من الرجوع الى ديار مولاه بل قال له اصبر حتى نأخذ الثار ونسير لسيدك ونحضر المعزى (قال الراوى) فبينما عنتر ومن معه من بنى عبس يقطعان البر والفلا وهو مع أصحابه فى حديث الهيلقان وقومه بنى رميش اذ لاح لهم غبار وقد ملأ الارض والاقطار وبان من تحته لمعان أسنة الرماح وسمعوا قعقعة السلاح هنالك أمر عنتر أخاه شيبوب يكشف له الخبر فغاب وعاد على الاثر وقال له هذا الملك قيس بن مسعود ومن معه من بنى شيبان وجملتهم يا أخى تسعة آلاف عنان وقد أتوا طالبين آثار الامير بسطام وما يعلمون انك قتلت الملك الهيلقان وأسقيته كأس الحمام فعند ذلك تلاقوا الفريقين مع بعضهم البعض وترجلوا عن الخيل فى الارض والتقى الملك قيس بعنتر وقبله فى صدره وبين عينيه هنالك قبل عنتر بن شداد يديه وقال له ها أنا قد أخذت لك الثار وأزلت عن قلب بنى شيبان العار ثم أخبره عنتر بما ذكرناه وقال له قتلت لك الملك الهيلقان وأذقته الموت ألوان ورجعنا بالغنائم قاصدين والى أياديك الكرام واردين لنخبرك بما رزقنا الله من النصر المبين والفتح والتمكين فلما سمع الملك قيس بن مسعود من عنتر هذا الخبر حل به السرور واستبشر

ولما فرغوا من الحديث والكلام نزلوا فى المضارب والخيام بتلك المقام وأركزت الرايات والاعلام وأمر عنتر العبيد والخدام بترويج الطعام فى ساعة الحال أقبلت الأطعمة صحبة العبيد والغلمان فأكلوا وباتوا فى ذلك المكان وعند الصباح قد ركبوا على الجرد القداح وساروا يقطعون البر الاقفر هذا وعنتر على ظهر جواده الابجر والى جانبه الامير هانى بن مسعود الغضنفر والملك قيس أبو بسطام من الجانب الآخر فلما زاد بعنتر الوجد والهيام أنشد وجعل يقول

قف يا خليلى بالعقيق وسلما * على من له الاحراق فى القلب تضرما
فذلك خليل فارس فى الورى * اذا امتزجت يوم الهياج ملاحما
تشد به خيل اذا ما تلاطمت * نهار العدا والجو أقتم مظلما
وتبكيه شجعان اذا ما تراسلت * سهام المنايا بين خيل معلما
وتندبه الشجعان فى كل محفل * اذا طرقتهم فى الصباح مأتما
خليلى قد صرت رهينا على الثرى * بقلبه سبع القفار وقشعما
همام غدا يبكيه فى الحرب مثله * اذا نادت الابطال للموت دائما
أيا صاحبى فقدى لبسطام هدنى * وأجرى دموعى فوق خدى سجما
ستندبه الخيل العتاق لانها * به فقدت قرما هماما مقدما
يبيد العدا فى حومة الروع ماجدا * له الهمة العليا وكان لناجما
يا سيدى بسطام يا فارس الثرى * عليك سلام الله من محب متيما
سقى تربة من كل هطل مازن * لها نسمات من عطير مختما
فمن لبنى شيبان اذا قصدتها العدا * صباحا وفيها كل نحرير مقتما
لفقد صاحبى قد انهمل دمعى لفقده * على صحن خدى دائما متسجما
ترى من يرد الخيل عند هجومها * ومن يضرب الهامات والجو مقتما
عليك سلام الله يا فارس اللقا * ويا أسد من حربه الاسد تهزما

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات انهملت من الفرسان العبرات وبكى الامير هانئ بن مسعود وانتحت العشائر والجنود وبكوا الجميع وبكى أبوه الملك قيس بكاء شديد ما عليه من مزيد وأشار يرد على عنتر ويرثى ولده بسطام بهذا الشعر والنظام

وهى جلدى من بعد فقد الحبائبى * وعز اصطبارى يوم قل المصائب
وأصبحت أبكى ربعهم وديارهم * واندبهم ما بين خل وصاحب
أيا ولدى بسطام يا غاية المنى * قد كان ذخرى عند يوم النوائب
أيا ولدى بسطام قد ضمك الثرى * وكنت لنا فى النائبات تحارب
بعدك فاض الهموم بخاطرى * وانحلتنى وأشعلت منى مذاهب
وخلفتنى أدعو لمن لا يجيبنى * وشمس لقد غابت وعزم طالب
أدير بطرفى نحو خل اعلنى * أرى وجهه لعل يكون بين القرائب
اذا ثارت الحى أبدوا تعجبا * يحل بقلبى النار من كل جانب
أقول وقد وافى الرحيل الى اللقا * لقد قرح القلبين دمع السواكب
وقد حان حينى ومن يكن لى مسعدا * وكهفى قد أمسى عفير الترائب
وحصن بنى شيبان أصبح هاويا * وقد بان عنه خلهم مع أقارب
فمن لبنى شيبان ان أصبحوا العدا * بساحتهم يرجون سبى الكواعب
وأصبح نقع الجو أسود قاتما * ودارت بنا الفرسان من كل جانب

وانتدبت شجعانها ورجالها * وقد أقبلت فرسانها والجنائب
فمن ذا يرد الخيل يا أوحد الوغا * ويا من نمى في مجدها والاعارب
سيندبك السيف اليماني اذا غدا * بكف جبان لا يرد النوائب
وتبكيك قوم أسرعوا الملة * يريدون كشف الضيم يا نعم صاحب
ستندبك الاظعان اذا ما تبادروا * يروموا القرى يا واحد وأنت غائب
وتندبك القصاد يا فارس الورى * اذا ما أتوا يبغون منك المطالب
أيا فارسا قد هد ركني افتقده * وخلفني مظني عظيم المصائب
أيا عنتر العبسي بسطام قد غدا * رهين الثرى من دون كل الاعارب
يا كاشف الكربات أنت ذخيرتي * وكهفي اذا اشتدت على المصائب
غدا الفارس المشهور في كل مشهد * وخلفني أندبه بين النوادب
فلو كان يفدى كنت أفديه بمهجتي * ومالي وخلاني وجمع حبائب
ولو كان من يفدى به لفديته * بروحي وجسمي وكل القرائب
ولكن بهذا قدر الله في الورى * ولا يدفع المقدور يا ابن الاطايب
وكل امرئ لابد له من مسيره * بطن الثرى مفقود بين الحبائب
ألا يا حمامات الاراك قفي واسمعي * لأبكي على من هد ركني وجانبي
وخلفني أبكي ليال طويلة * وأبكي على التشتيت بين السباسب
أبكي على من ضمه اللحد هاويا * وقد كان للخلان كفؤا مصاحب
سقى قبره بالغيث والمزن دائما * لانه من قوم كرام أطايب
وسلامي عليه ما حييت وان امت * مقيم على عهدي ولست بكاذب

(قال الراوي) فلما فرغ الملك قيس بن مسعود من انشاده بكت عشائره وأجناده هنالك أشار الامير هاني ابن مسعود يقول

ما بال دمعي على الخدين بسيلا * لمصاب قد جل عما أقولا * الى فرقة الخلان مالي تصبرا
ولا أستطيع صبرا لجهولا * وان تذكرت فيما جرى لي * سقيم الفؤاد مني عليلا
وقضينا من الزمان مراما * وانتهينا ماذا يقول العذولا * يا القوم قد هد بسطام ركني
وتركني من بعده في نحولا * سقى قبره الغيث والهطل دوما * من رب مجيد ونعم الجليلا

(قال الراوي) وما زالوا وهم سائرون قاصدون قبر الامير بسطام حتى وصلوا اليه وترجلوا ونزلوا عليه ثم ان عنتر فارس الارض والآفاق ذبح على قبر بسطام ثلثمائة من النياق وبكوا بكاء شديدا ما عليه من مزيد وعول وعول عنتر على الرحيل قال له الملك قيس مالك أيها الاسد النبيل ما تسير لارضنا والبلدا لاجل نجدد بك عهدا فقال له عنتر أما تعلم ان قبيلتي ما يسرهم ذلك واني خائف عليهم من عدو يأتيهم فقال له الملك قيس بن مسعود ان فراقك عندي أعظم من فراق الارواح من الاجساد فلا عدمتك من خل وصافي القلب والفؤاد فودع بعضهم البعض وثار كل فريق منهم لما له من الارض وما زال عنتر الاسد الريبال سائرا بمن معه من الابطال الى ان أشرفوا على أرضهم والتقت بهم المقيمون من أهلهم ودخل كلا منهم في مضاربه وقر بعنتر بن شداد القرار وآنست به الاهل والديار ليوم من الايام وعنتر جالس بعد ما أخذ ثار الامير بسطام والخيمة مشرعة والاذيال وعبلة الى جانبه ووجهها يغلب نور الهلال والمكان عابق من المسك الاذفر والقدح من الخمر في يد عنتر وهو يحكي لعبلة كيف أخذ ثار بسطام من الهيلقان وكيف قتله وكسر له أبطاله والفرسان وهي تقول له نعم ما فعلت يا ابن العم فوالله لقد زاد عند الناس مدحك واذا بشيبوب أقبل وهو فرحان ويضحك فقال له عنتر ما هذا الضحك يا شيبوب قال له اعلم أيها الاسد الريبال ان الامير عروة أتاه ولد من الملكة ودعة بنت سهم النزال

فلما سمع عنتر بن شداد هذا المقال فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال وحق ذمة العرب انك فرحتني بهذا السبب ثم انه أمر أخيه شيبوب انه يذبح مائة ناقة بعزم وتمكين ويفرقهم على الفقراء والمساكين ويذبح مائتين أخريين ويجعلها وليمة للملك قيس واخوته وللربيع بن زياد واخوته وتكون الوليمة على غدير ذات الارصاد ويأكلوا من وليمة عنتر بن شداد وكان ذلك اكراما منه لعروة ومحبة ونخوة ففعل شيبوب ما أمره به أخوه عنتر وقام في الوقت والحال ونحر النياق وطبخ الطعام وقد أكل الخاص والعام واختلطت الحرائر بالاماء وكذلك العبيد والسادات وضربت الدفوف وعلت الاصوات وانتهبوا الاوقات وما منهم الا من فرح لعروة بهذا الولد وحل بهم السرور وزال النكد وفرح عروة بما فعل عنتر في حقه ونهض وقبل يديه فهناه عنتر وقبله بين عينيه وأنشد في حق عروة هذه الابيات يقول

دامت لنا هذه الافراح والنعم * فان أعداءنا بالذل والنقم
ولا برحنا مدى الايام في دعة * بدولة الملك الضرغام ذي الكرم
مولاي قيس لك الشجعان صاغرة * وسيف عزمك مشهور على الامم
فقد أتى عروة الضرغام يهنانا * وافى غلام جليل زائد الكرم
انا به قد سعدنا في محافلنا * وزادت أفراحنا بالفارس العلم
يا عروة حميت لنا من كل نائبة * وعش سعيدا على الاعراب والعجم
يا من به شرفت عبس بأجمعها * وزدت جود الاهل والجود والكرم

(قال الراوي) فلما سمعوا بنو عبس من عنتر هذه الابيات زادت بهم الافراح والمسرات ونهض عروة على الاقدام وأشار لعنتر يمدح ويقول هذا النظام

كفيت يا ذا المعالي سائر النقم * وزدت في درج العلياء والكرم
أبو الفوارس لا تأتيك نائبة * ولا برحت مدى الايام في نعم
لا زال سعدك مقيما في مشارقها * وعز بها ملوك العرب والعجم
لكم نظرت الشجعان ما خفقت * اليك يا فارس الهيجاء والهمم
وكم كشفت الحرب يا أملي * بصارم يفلق الهامات والقمم
أولاك ربك ما ترجوه من نعم * بين الانام وقد سارت لك الامم

(قال الراوي) فشكره عنتر وأثنى عليه وأمر له بخلعة رميت فوق كتفيه ووهبه خمسمائة ناقة من النياق العصافير وخمسين جوادا بلامتها وعدتها والى عروة قدمها وقضوا نهارهم بالمسرات والافراح وزالت عنهم الهموم والاتراح وكان عروة سمى ولده زيدا فما مضى أيام قلائل حتى كبر وانتشى وترعرع ومشى وطلع ولدا نجيبا صاحب عزم واهتمام أحب ما عليه الحرب والصدام بعد ما علمه عروة أبوه قراءة الكتب والخط بالاقلام وظهر باعطافه روايح بني عبس فطلع آفة من الآفات وبلية من البليات وسار أبوه عروة كل يوم يخرج به الى الميدان ويعلمه الحرب والطعان ويخرج به الى الصيد والقنص وانتهاز اللذات والفرص ليوم من الايام خرج زيد بن عروة على حالة الانفراد وغرق في البراري والوهاد فرأى روحه تائها في البراري والفلاه فسار الى أن غابت الشمس وقد تاه عن طريق بني عبس فأشرف على حلة من بعض الحلل كأنها البحر الزاخر وهي قبيلة عامرة لا يعرف لها أول من آخر فلما رآها حل به الفرح وزال عنه الذل والترح وما زال حتى قارب المضارب والخيام ورأى بعض الرجال فرمى عليه السلام وقال لهم من يكونوا هؤلاء القوم من العربان فقال له نحن فرقة من بني شيبان والمقدم علينا في هذه البراري والفدافد الامير كوكب بن خالد وهو رجل سيد وكريم وباذل ماله لكل مسافر ومقيم قال فلما سمع زيد بن عروة منه هذا المقال حل به الفرح والسرور بهذه الامور فان الامير كوكب صاحب عروة وأبيه من قديم وبينه وبين عروة وداد مستقيم قال والسبب ان عروة كان صاحبه في بعض غزوات وان عروة خلص كوكب هذا من القتل في بعض الوقعات فلما سمع زيد بن

العبدهذا الكلام سار معه الى بين يدى الامير كوكب فتلاقته العبيد برافة ولطافة وأخذوا به وأنزلوه فى بيت الضيافة وقد وقر وه لما رأوا من هيبته وتعجبوا من جماله وصورته وأخذوا الجواد يسيروه وجلس زيد بدار الضيافة وقبلوا يديه وقد فرح به الامير كوكب وآنسه وأكل الزاد معه وقال له شرفت بك المنازل وهذه الديار وطابت بك يا ابن أخى المزار ثم انهم بعدما أكلوا الطعام قدموا له آنية المدام وبات زيد بليلة هنية وهو من الخمر نشوان فعند الصباح أراد الرجوع الى ديار بنى عبس وعدنان بعدما تودع من الامير كوكب وأصحابه وأهل حلته وقصد ناحية أهله وبلاده بعدما لبس عدة حربه وآلة جلاده وأراد أن يركب جواده فنظرت عيناه جارية خماسية القد تفاحة الخد مياسة القد كأنها قضيب بان أو غزال عطشان فأنشد يقول

بيضاء طيبة الحديث كأنها * قمر توسط جنح ليل أسود
وترى عيناها نرمق مقلة * سوداء تعرف فى تمادا الاثمد

(قال الراوى) وكانت تلك النظرة أعقبته ألف حسرة ورشق منها بسهام ووقع فى بحر الغرام وهى أيضا وقعت عينها عليه فوافق شكلها شكله واحتوى عليها قلبه وهى احتوت على خاطره ولبه فتبسمت فى وجهه فأحرقته وألهبته فعند ذلك أنشد يقول

لما نظرت الى محاسن وجهها * سبقت على النار فى أوصال
بيضاء يحكى البدر ضوء جبينها * يزهو كمثل المرهف الفصال
تشفى بخائم من أراد عناقها * بريق عذب الرضاب زلال
تفوق كأن الشمس طلعة وجهها * بسلاف خالصة من الجريال

(قال الراوى) فلما سمعت الجارية هذه الابيات علمت على انه من أجلها فتبسمت عن شقائف كأنهما مرجان ورمته بسحر من طرف فتان فبينما هو كذلك اذ مر به بعض العبيد فقال له زيد يا مولد العرب من تكن هذه الجارية فقال له هذه الربابة بنت ماجد بن حسان فقال له زيد هى ذات خدر أم ذات بعل فقال له بل هى ذات خدر قال فلما عرف اسمها واسم أبوها لم ينطق بحرف واحد ثم اعتمد على عدم الرحيل وبات ليلته بكرب زائد ثقيل فلما كان من الغد دخل عليه الامير كوكب بن سيار عم الجارية الربابة فقال له زيد اعلم يا عماه أنى قد جئتك خاطب لابنة أخيك الربابة فان أنعمت بالزواج بلغتنى غاية المراد فلما سمع كوكب من زيد ذلك فرح واستبشر وقال له أنت غاية المطلوب وأعز المرغوب ثم انه أحضر أباها وأعلمه بذلك الشان فلما سمع ذلك أجاب وقام دخل على ابنته الربابة واستأذنها فى ذلك فأجابت ولم يحصل خلاف فرجع الى زيد وقال له قد أجبتك فيما تريد فقال له زيد اقطع على المهر فقال له حتى يحضر أبوك وهذه يدى اليك فلما سمع ذلك زالت حسرته وركب من وقته وساعته وقلبه من الفرح قد طار وهو ينشد ويقول

يا من تعلق بها قلبى من الناس * حلت بقلبى محل العين فى الرأس
استغفر الله ربى فى هواك فما * على منه بحمد الله من بأس
قل للغزال الذى أهواه يرحمنى * رعت قلبى وقد قطعت أنفاسى
بحسن وجهك يا من لا شبيه لها * لا تشمتين العدا يا أحسن الناس

(قال الراوى) ثم سار زيد الى ان وصل الاحياء وكان أبوه عروة من أجله على مقالى النار وهو لا يقر له قرار لانه ما علم أين سار فبينما هو كذلك واذا قد وقع الصوت بقدوم زيد فقال عروة ما الخبر فقيل له ولدك زيد قد حضر فنهض اليه وضمه الى صدره وقبله بين عينيه وسأله عن غيبته فأخبره بقصته وما جرى له من الامر والشان وكيف نزل فى بنى شيبان ونظر الى الربابة وأعلمه بجميع الاسباب فلما سمع عروة من ولده ذلك الكلام تجهز من يومه وأخذ معه رجاله الكرام وسار مع ولده يجد السير فى الآكام وزيد ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ولما تهيأ للرحيل جمالها * وجدتها سيرا ففاضت مدامع
وقالت وعيناها تسح مدامعا * فديتك خبرنى متى أنت راجع

فقلت لها والله ما من مسافر * يسير وما يدرى به الدهر صانع
صبرت وقلبى للفراق معذب * وقد غلبتنى زفرتى والمدامع

(قال الراوى) فلما سمع عروة شعر ولده وما أنشده من النظام علم أنه فارس همام وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى بنى شيبان فعلم سيار وكوكب بقدومهما فخرجا الى لقائهما واستقبلوهما من أبعد مكان وساروا بهما الى الخيام وزادوا لهما فى الاكرام وأمر المولدات باصطناع الطعام ففعلوا ذلك وأكلوا وشربوا المدام وبعد ذلك نهض عروة قائما على الاقدام وجدد الخطبة وقال يا وجوه العرب انى راغب فى ذلك النسب فقالوا قد وجب فقال عروة لابى الجارية اقطع المهر يا سيد قومه فقال والله لا كان ذلك أبدا واعلم ان ابنتى لك أمة ولولدك جارية مستخدمة ففرح عروة وقال له جوزيت خيرا بل نحمل مهرا بنتك ألفين ناقة مثل مهر بنات الملوك وخمسين رأس من الخيل الجياد وعشرين ثوبا من الديباج ومائة عبد ومائة أمة وأنت المحمود المشكور ففرح أبو الجارية وحمد ربه وقبل كل واحد صدر صاحبه واتفق الامر ولا بقى خلاف وأجلوا لهما اجلال الزفاف ثم مضى عروة وولده وبنى عمه الى ديارهم وأنفذ عروة الذى اتفقوا عليه وأرسل يطالبهم بها فقال أبوها السمع والطاعة ثم انه جهز أمر ابنته وعقد لها رصافية من الذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر وجللها بثوب أطلس مدثر وركبها على جمل أحمر وركبت جميع بنى عمها والعبيد بين يديها وساروا يجدون وهم متقلدون بالسيوف ولا يخشون من طوارق الحتوف وساروا تمام ذلك اليوم ومن الغد ضاحى النهار واذا قد طلع عليهم غبار ومن تحته سبعمائة فارس كرار يقدمهم فارس عنود فى تقاطيع الاسود غارق فى لامته متقلد بصمصامته كما قال فيه بعض واصفيه حيث قال



وصارم فى حده موج موجة * يقصر فى مصاحبه ويطول
ترى فوق جنبين الفرند كأنما * تنفس فى الانفاس فهو صقيل
حسام غداة الروح يجلى كأنه * من الله فى قبض النفوس رسول
كأن قرون الدر يكسون قرنه * فوالله كم قرن هناك جديل
وان لاحظ الابطال وامتد الطلا * بحسام يناهى حده ويطول

وكان تحته جواد سابق رقيق كأنه القبة المبنية أو العروس المجلية كما قال

سبقت الريح لما كان تحتى * حصان لا يقاومه حصان
اذا سار يطوى الارض طيا * صبور عند الفات العنان

وكان هذا الفارس يقال له زيد بن جعفر وهو فارس جبار وبطل مغوار شديد البأس صعب المراس وكانت سائر الفرسان تفزع من صولته وتخاف من هيبته وهو قد شردهم من أوطانهم لكثرة غزواته لانه كان يغزو بلاد الحجاز وبلاد اليمن وكان فى هذه المرة معه سبعمائة فارس من كل ليث ممارس كأنهم الجن الابالس يقدمهم فارس كأنه عامود فى تقاطيع الاسود غارق فى لامته متقلد بصمصامته ومعتقل برمح أسمر من عمل سمهر وتحته جواد سابق وصولته على خصمه موافق وهو على صهوته كأنه الاسد الادرع وعليه درع منضد وكان هذا الفارس يقال له زيد بن سلمة بن عمرو بن جعفر بن يربوع بن حنظلة فلما أقبلت عليه تلك الجارية الربابة وهى تحمل الى بعلها زيد بن عروة فقال لجماعته والله يا بنى عمى هذه غنيمة سائرة وأموال حاضرة فدونكم والحملة فعند ذلك كبوا رؤسهم فى القرابيس وحملوا مثل الابالس وهم ينادون يا ابن يربوع الغنيمة الغنيمة وقد أقبلوا البر بصياحهم وهم يقولون يا ويلكم خلوا عن المال والعروس وانجوا بأنفسكم سالمين وبأرواحكم غانمين وهو ينادى أنا ابن سلمة القرم الوثوب والفارس الموهوب لصديقى النيل ولعدوى الويل ثم أطبق عليهم بقلب قوى وجنان جرى فعند ذلك حمل أبو الجارية وحملت من ورائه بنى شيبان ووقع القتال وجرى الدم وسال وساءت بهم الاحوال وكثر القيل والقال وقد أطبق زيد بن سلمة على أبو الجارية وتعلق بدرعه وجذبه أخذه أسير وسلمه الى بنى عمه ذليل حقير وحمل على بقية الخيل فرقها بطعن

مثل نار أنار بريق فلم تكن الا ساعة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وحاز زيد بن سلمة الهودج والاموال وعاد يطالب أرضه وقد أعجبته نفسه فأنشد وقال

لمن الديار كوشمة المتوسم * أمسى ينوح بها الغراب الاسحم
مدت بها ريح الصبا فتنكرت * أعلا بقيتها قومها المتقادم
كانت أنيسات بهن فاصبحت * قفرا فيالك فى الخليط المنسم
آه وآه من ورط الصبابة والجوى * لذعت فؤادى مثل لذع الارقم
فاسأل بنى يربوع عنى فى الوغا * أهل الحروب وكل مالاسهم
قومى سراة الناس عند مجالهم * يوم الهياج بكل أدهم ملجم
أبدا أخوض الحروب بعزمة * تشفى صدورهم برأسى مضرم
نقلوا الصوارم فى الحروب ويقتدى * والخيل ناقشة الحوافر بالدم
يخرجن من حال الدروع عوابس * مثل السباع بكل أسد ضيغم
وبكل مسداد الكعوب منازل * يسمو على الاقران غير معلم
ففرقت جمعهم بهمة فارس * تحت العجاجة فى الغبار الاقتم
وأخذت كل خيولهم ورجالهم * بمهند يفرى الهمام المقدم

(قال الراوى) وسار وهو فرحان بما وصل اليه فهذا ما جرى لهؤلاء وأما زيد بن عروة فما علي باله من أحد بل انه فرحان ومنتظر هو وأهله زفاف الجارية واذا قد وصل الصياح اليهم باخذ الجارية فصعب ذلك عليهم وفى الحال نادى عروة بن الورد فى رجاله وأبطاله وأما ولده زيد فبقى مسلوب العقل طائر الفؤاد فسار معهم عند ذلك ميسرة بن عنتر ومازن وسبيع اليمن وأسد بن مجيد وسابق ولاحق وكان عنتر غائب هذا وميسرة بن عنتر بين أيديهم غائص فى شكته غارق فى لامته وهو ينشد ويقول

لقد علمت رجال الحى أنى * أفلق هامة البطل الشجاع * وأخرق صدر أعدائى برمحى
اذا اغتم عن القيل الفزاع * وانى فى الحروب لهيب نار * لها فى كل معركة شعاع
فقولوا لابن جعفر ان حربى * يكثر من نسائهم النواع
وانى فارس الهيجاء حقا * أبدد شملكم وسط البقاع

(قال الراوى) فلما سمع عروة بن الورد وولده زيد شعر ميسرة فرحا وتعجبا من سعة صدره وساروا وخبوا وتقربوا فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من زيد بن سلمة بن جعفر فانه سار بالاموال وهو يفتخر بنفسه ويعلو على أبناء جنسه فبينما هو كذلك واذا بخيل بنى عبس قد طلعت عليهم زهم ينادون يا ويلكم ابشروا بالدمار وقلع الآثار فنحن بنو عبس الكرام فرسان المنايا والموت الزوام (قال الراوى) فلما سمعت الجارية بذكر بنى عبس فرحت ونادت هيا يا زيد أنا عروستك أخذت بيد الاعداء فارنى طرفا من شجاعتك وما أنت عليه من قوتك وبراعتك فلما سمع زيد بن عروة كلامها وما أبدته علم مرامها وحمل على أخصامه وهو مع حملته ينشد ويقول

خلوا الضغائن واذهبوا قبل اللقا * فأنا الهزبر الضيغم المفضال
قومى بنو عبس الكرام أولو النهى * شرف الفخار لهم على الابطال
لهم الشجاعة والبراعة والعلا * والمجد والاحسان والافضال
الضاربون الهام فى حومة الوغا * شرفت بهم عدنان فى الابطال

(قال الراوى) ثم انه ركب رأسه فى قربوس سرجه وحمل وغاص فى أوساطهم وطعن فارسا أرداه والثانى أهواه والثالث عن جواده رماه والرابع تركه قتيل فى البر والفلاه ومازال يضرب فى صدورهم وهو يطعن فى نحورهم هذا وميسرة لم يتحرك ساكن بل نزل عن جواده ووقف يتفرج على زيد بن عروة وينظر الى طعنه وضربه وصدامه فلما رأى ما قد جرى وأنه دارت به الرجال وأحاطت به الابطال صرخ ميسرة فى وجوههم

صرخة دوى لها البر وحمل يطلب الكر والفر وحمل بعده عروة بن الورد وقد احترق فؤاده على ولده وحمل بعده مازن وسبيع اليمن وسابق ولاحق وحملت المائة فارس وحمل بينهم القتال وعظم النزال وحملت الرجال على الرجال والابطال على الابطال واختلط الجمعان وامتزج الفريقان وكثر ضرب الصارم اليمان والطعن بالسنان ولم يزالوا على مثل ذلك الشان فى الجد والطعان حتى كشفوا الرجال عن زيد بن عروة وخلصوه من تلك الغمة ونظر بنو يربوع الى مائة فارس كأنهم الاسود العوابس وقد تكلفوا بقتال السبعمائة فارس وفى أوائلهم ميسرة بن عنتر والى جانبه عروة بن الورد وولده زيد صاحب القريحة وهم كأنهم الاسود الضراغم أو النسور القشاعم وقد احتدمت الحرب ووقع الطعن والضرب وزاد الكرب والتحمت الكتائب وعملت القواضب وظهرت العجائب ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن حجز بينهم الظلام وخفيت مواضع الاقدام وانفصلوا الجمعان ونزلوا عن ظهور الخيل فى الميدان وقعدوا يتحادثون وقد أضرمت من الطائفتين النيران ولم يزالوا على مثل ذلك الحال الى أن برق النهار وظهرت منه الانوار وركبوا على ظهور الخيل الجرد القداح بعد ان غاصوا فى السلاح وتقلدوا بالصفاح ومدوا الى بعضهم البعض عوامل الرماح واذا بزيد بن عروة قد برز الى بين الصفين وأشهر نفسه بين الفريقين ونادى يا بنى يربوع من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفا انا أعرفه بنفسى انا زيد ابن عروة بن الورد العبسى قومى من بنى عبس الكرام والفوارس العظام المسمون بين العرب بفرسان المنايا والموت الزوام ها قد برزت الى الميدان وموقف الحرب والطعان وكان قد بات طول ليلته ما يغمض له جفن ولا التذ بمنام ولا يستطعم بطعام وكيف انه لم يقدر على خلاص زوجته وأمرأبيها مع بنى يربوع لان الذى أسره كان فارس كرار وبطل مغوار لا يهاب الممات ماله همة غير شن الغارات وكبس الديار العامرات وسبى الحرائر المخدرات وهو ابن عم عتبة بن شهاب اليربوعى الا أن زيد لما ان نادى بذلك النداء وطلب البراز وسأل الانجاز واذا بفارس قد برز اليه طويل القامة عريض الهامة وهو أسد نبيل فى تقاطيع الفيل وحمل عليه من غير خطاب ولا جواب وطعنه طعنة شاذة فانحرف عنها زيد وقاربه بالحصان وضربه بالسيف على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه فزعقت بنى عبس زعقة الفرح لا سيما أبوه عروة زال عنه الترح فبرز اليه الثانى قتله والثالث جندله والرابع زمله والخامس اهلكه وما أمهله والسادس عجل الى المقابر مرتحله والسابع سقاه كأس أجله والثامن دمره والتاسع محقه والعاشر قطع عنقه ومازال يقاتلهم وعلى وجهه يجندلهم ولما علم زيد بن سلمة اليربوعى أن هذا الغلام هو زوج الجارية صاحبة الهودج قال فى نفسه اذا لم أخرج أنا اليه وآخذ روحه من بين جنبيه والا ما تحصل لى هذه الجارية فخرج اليه زيد فى عدته غائص فى لامته وعلى رأسه بيضة عادية ترد أسباب المنية متقلد بصفيحة هندية ومعتقل بقناة خطية وتحته جواد ضمر بحافر كالدرهم نسب فلما نظر ميسرة الى هذا الفارس العظيم علم أنه جسيم وعلم أن ضان بنى عبس ما فيهم من يلقاه غيره فخرج الى زيد بن عروة وقد خاف عليه لا سيما عروة فانه خاف على ابنه من الويل والعطب ائلا يحرق بناره ويلتهب لما برز الى فارس يربوع فلما خرج اليه ميسرة فاطمأن على ولده قلبه وسكن روعه هذا وميسرة قد وصل الى زيد وقال له عد مكانك فانه قد لحقك جانب من التعب فأنا اقضى أشغالك فرجع زيد وزعق ميسرة بفارس بنى يربوع فأوقفه عن الحملة وقال له أى شئ الذى أطمعك فى أموال بنى عبس وحريمهم حتى انك سرت اليهم من دون غيرهم فقال له أطمعنى عزمى وجنانى وسيفى وسنانى وأنت يا أسود يا زنيم ياوغد يا لئيم أبعدت عنى خصمى ووقعت أنت من قسمى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يقاتله ويجاربه ويطاعنه ويضاربه نهارا طويلا واعتركا مليا وتطاعنا طعنا شفيا وتضاربا ضربا وفيا ثم أفسحا فى الارض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وانطبقا كأنهما جبلين تصادما أو بحرين تلاطما وعلا عليهما الغبار وتقسطل النقع المثار فبينما هما فى طعانهما وضرابهما واذا بغبرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت وبريق الخود لمعت

ساعة وانقشعت وقد ظهر من تحتها عشر فوارس ما منهم الا كل ليث ممارس يقدمهم فارس الجلاد ومبيد الابطال الشداد أبو الفوارس عنتر بن شداد والكل ينادون يالعبس يالعدنان يالعبيلة يازبيد يا أسد الشجعان قال وكان السبب ان عنتر كان غائب عن الحي هو وأخوه شيبوب وجرير والخذروف وعمه مالك وابن عمه عمرو ومجيد بن مالك وابن أخته الهطال وعياض بن ناشب وبهيج بن حازم وورقة بن زهير وأخيه الحرث وكانوا ركبوا في طلب الفرجة على الغدران وأوسعوا في البر للصيد والقنص وانتهاز الفرص وغابوا جملة أيام فلما قدموا وافى أوائلهم عنتر البطل الهمام فنزلوا في مضاربهم والخيام وسأل عنتر عن ولده ميسرة وأخيه مازن وصديقه عروة فأخبروه بزوجة زيد ولد عروة وكيف انها أسرت في بني شيبان وكيف مضى عروة وولده زيد وولدك ميسرة وأخيك مازن وسبيع اليمن وسابق ولاحق وقد ساروا في مائة فارس وقد سمعنا بأن العدو الذي سبى زوجة زيد في سبعمائة فارس فلما سمع عنتر ذلك الخبر صعب عليه وأراد أن يسير وحده وفي ركابه أخوه شيبوب وولده الخذروف فأقسموا عليه رفاقته العشرة أنهم يسيروا معه فساروا وشيبوب يقتفي لهم الآثار كأنه النعام الذكر ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا ولما رآهم بنو عبس فرحوا وانشرحوا ولوحوا العمائم في الهواء من شدة السرور والذي لهم قد استوى الآن عنتر لما رأى الى ولده وهو مع زيد بن سلمة في الميدان احترق فؤاده بالنيران فعند ذلك قفز اليه وولده ميسرة وصاح فيه وانطبق عليه وضايقه ولاصقه وزعق فيه أدهشه وهجم عليه الى أن حك ركابه بركابه وضربه على جرع رقبته أطاح رأسه عن جثته ثم انه حمل على بقية الخيل قلبها على أعقابها وردها تتعثر بجماجم ركابها وأطبق عليهم ميسرة ومن معه من رفقاه وطعنوا في ظهورهم وخرقوا بالرماح صدورهم ونحورهم فلما رأت بني يربوع مقدمهم قتيل وعلى وجه الارض جديل ولوا الادبار وهربوا يمينا ويسار وركنوا الى الهزيمة والفرار وبني عبس وراءهم وهم يقتلون ويأسرون الى أن أبعدوا الاعادي عنهم وقد غنموا خيلهم وأسلابهم واجتمعوا وهنوا بعضهم بعض بالسلامة وقبل عروة يد عنتر وله حمد وشكر وفرحت الجارية وأبوها بخلاصهم من يد الاعادي وساروا بعد ذلك طالبين الديار وميسرة بن عنتر ينشد ويقول

سلوا بني يربوع عن فعلنا * اذا ما التقينا جميعا معا * وقدناهم في خمار الضنا
على كل خصانة أربعا * صعونا الى الحرب جهلانا * سمعنا الى الداع لما دعا
فناديت قومي بهذا النداء * فكانت كما انجم تلمعا * وصلنا عليهم بحرب شديد
يشيب من هوله المرضعا * وما كان الا كلمح البصر * وأكثرهم في الفلاة صرعا
أصول اذا صال ذو همة * وأرمي الهمام اذا ما رعا

(قال الراوي) وقد عادوا وهم مسرورين فرحين والى حالهم راجعين ولما وصلوا عملوا الولائم والدعوات ثلاثة أيام على التمام في أكل طعام وشرب مدام وزفت الجارية على زيد بن عروة ودخل بها وبلغ أربه وأقاموا في الديار في أرغد عيش وهناء وسرور برهة من الزمان الى ان كان يوم من الايام وعنتر جالس في حلته وحوله جماعة من أهل عشيرته واذا قد قدم عليه الاسد الرهيص يطلب منه ما كان عليه من الرسم وهي مائة ناقة وثلثمائة من الغنم وعشرة من الخيول الجيدة الحسنة وهو يتمنى أن يأكل لحمه ويشرب دمه فقربه وأدناه وأحسن اليه في ضيافته وأكرم مثواه وعنده نجم وسأل عنتر الاسد الرهيص عن حاله فقال له يا حامية عبس أي شئ حال من لا يرى الليل في ظلامه ولا النهار في ضيائه وابتسامه فتأسف عليه عنتر وطيب قلبه وهون عليه ما يلقاه وندم على ما فعل في حقه وأكرمه غاية الاكرام وأعطى له ألف ناقة وألفين رأس من الغنم ومائة من الخيل واعتذر له بعد ذلك وسلم اليه من العبيد عشرين تسوق له الاموال فركب وسار وأخذ المال كما ذكرنا وودعه عنتر وسار يطلب أهله والاطلال وكان في هذه المدة قد تعلم رمي النبال حتى كان يصيب بها على الحس في الطير والارانب والغزال ولكن عنتر لم يعلم ذلك ولا عنده خبر ولم يدر ما يجري به القضاء والقدر (قال الراوي) وكان عنتر جالس في يوم من الايام وعبلة الى جانبه وهو يشرب فضلة خمر كانت عنده واذا بالصياح في الحلة قد ارتفع فانزعج عنتر لذلك وتزعزع وهم أن يركب ويكشف الخبر واذا بأخيه شيبوب قد أقبل وأياديه

مشبكة على رأسه وهو ينادي واسيداه واعظم مصيبتاه قد انهدم ركن أخي عنتر بعد ذلك وعمت المصائب لفقدك فقال له عنتر يا أخي ما الخبر فقال له يا ابن الام قتل عروة بن الورد وهو العزيز عليك وقد أخذت رأسه وهذه جثته قد أقبلوا بها عشرة من الرجال فلما سمع عنتر ذلك قامت قيامته ووقع عن قامته ثم غشي عليه ولا بقي يعرف ما بين يديه وانقلب الحي وقد انفجع لعروة الرجال والنساء وكثر الخوف والاسا قال وكان السبب في ذلك ان عروة بن الورد كان يحب زيدا ولده محبة عظيمة لانه كان بارعا في الجمال وليس له غيره على كل حال وكان كل يوم يركب ويركبه معه ويبعد به عن الاوطان ويجاوله في الميدان ويعلمه أبواب الحرب وخدائع الطعان والضرب وباقي النهار في الصيد والقنص وانتهاب اللذات والفرص الى ان كان في بعض الايام وقد خرج به على جري العادة وأبعد به في البر والآكام وكان معه عشر فوارس من عربه يتفرجون على ما يجري بينه وبين ولده من الكر والفر والفروسية واذا بخيل قد ظهرت عليهم من صدر البرية وهم خمسمائة فارس كأنهم الاسود العوابس وفي أوائلهم فارس طويل في تقاطيع الفيل كأنه البرج المشيد غائص في الحديد والزرد النضيد وهو يزعق ملو جلده يالضبيان يا أرباب الضراب والطعان أنا حسان بن ثابت صاحب الدين القويم والثار العظيم فلما رآه عروة قال يا أولاد العم هذه خيل قد طلعت علينا وكأنكم بها وقد أتت الينا وأريد من يخرج اليهم يعلم من هم من العرب وما مرادهم فلم يتم كلامه حتى خرج من العشرة فارس وأحمى جواده حتى صار في وجه القوم وزعق فيهم وقال من أي الناس أنتم ومن أي عرب قبيلتكم اخبرونا قبل حلول النوائب وانزال الرزايا ثم وقف يسمع الجواب واذا بمقدم القوم قد زعق به وقال له ويلك نحن من ضبيان وقد أتيت أطلب قتل عروة وآخذ منه ثاري وأكشف عني عاري لانه قتل أخي عامر وألبسني العار بين كل باد وحاضر قال وكان السبب في ذلك ان عروة بن الورد لما كان في أول منتشاه سار الى بني ضبيان وسطا عليهم وقتل أخا هذا الغلام وكان هذا صغير السن فلما بلغ هذا الغلام مبالغ الرجال نظرت عيناه الى جارية من بنات عمه يقال لها ريحانة بنت وشاح بن رامح وكانت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال فوقعت في قلبه وأخذت خاطره ولبه وانه قد خطبها من أبيها وسأله فيها فقال له يا ابن العم ما أنت الا أفخر من خطب وأجل من فيه يرغب ولكن ما يخطب البنات الابكار بات الخدور والاستتار الا من ينتفي عنه العار والذل والشنار وأنت رجل عليك عار بدم أخيك ابن امك وأبوك الذي قتله عروة بن الورد العبسي وان لم تأخذ له بالثار لا تتعرض لخطبة البنات الابكار فلما سمع حسان ذلك هاجت بقلبه نيرانه وتجددت عليه أحزانه وقال له يا عماه أريد أن تشهد عليك العرب من حلتك أني متى أخذت ثاري انك تزوجني ابنتك وتوصلني بكريمتك فأشهد أبو الجارية عليه وصافحه وأعطى يده وناكحه وقام حسان من حضرته واجتمع ببني عمه وعشيرته وشاورهم في أمره وأطلعهم على سره وجهره فقالوا له كلنا نبذل المجهود ونفوسنا بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك فطاب قلبه بذلك وجعل له عيونا وأرصادا تأخذ له أخبار عروة بن الورد وأخبروه بأن عروة كل يوم يخرج من الحي ومعه ولده زيد يعلمه الحرب ويخرجه في الطعن والضرب فلما سمع حسان ذلك الخبر فرح به واستبشر وركب في خمسمائة فارس من صناديد بني ضبيان القناعس وسار الى ان قارب ديار بني عبس وأكمن في تلك الارض وما زال كمنا الى ان طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح وخرج عروة بن الورد كما ذكرنا ومعه ولده والعشر فوارس من خيله كما وصفنا فعند ذلك خرج حسان بن ثابت بالخيل التي معه وأطبقوا على عروة بن الورد وأصحابه وولده زيد وأنفذ عروة ذلك الفارس يكشف له الخبر فمضى وعاد اليه بجلية الاثر وأعلمه ان القوم من بني ضبيان والمقدم عليهم حسان بن ثابت وهو يطالبك بدم أخيه عامر الذي قتلته أنت في الزمان الغابر فلما سمع عروة ذلك ضحك عجبا منه بنفسه ثم حمل في العشرة الذين كانوا معه وقد أكب رأسه في سرجه ونادى يا أوغاد غير أمجاد أنتم تتعرضون لبني عبس الكرام الضاربين بحد الحسام وجئتم تطالبون بدم قتيل له زمان طويل ونحن بسيوفنا نطول ودم خصمنا مطلول وأسيرنا لا يفدى الا بشفار النصول فلم يتم عروة كلامه حتى قفز اليه حسان وسار قدامه وقال ويلك يا ابن الورد أما علمت أن صاحب الثار لا ينام ولا بد له أن يستوفيه على مدى

الايام وأنا ماخرجت من قومى الاقاصدا اليك حتى انى أأخذ روحك من بين جنبيك لانك قد فجعتنى فى أخى ابن امى وأبى ثم انه جال وصال وأوسع فى المجال وأنشد وقال

كنا كغصنين فى خرنوبة بسقت * حمابأحسن ماياتى به الشجر * حتى اذا قيل ما ابست فروعهما
وطاب غرسهما واستظهر الثمر * حكما على ريب الزمان وما * يبقى الزمان على شئ ولا يذر
كانجم الليل كان بيننا قمر * يجلى الدجى فهو من بيننا القمر

(قال الراوى) فلما سمع عروة شعر حسان زعق وقال يا ابن اللخنا لقد سعيت برجليك الى حتفك ثم ان عروة أجابه على عروض شعره يقول صلوا على طه الرسول

لقد سمعت رجال الحى انى * أفلق هامة البطل الشجاع * وأمنع صاحبى وأذب عنه
وأحمى حوزة الخل المطاع * وانى فى الحروب لهيب نار * لها فى كل ناحية شعاع
وسيفى صارم عضب ثقيل * يداوى الرأس من ألم الصداع

(قال الراوى) ثم أطبق كل واحد منهما على صاحبه وما لا طويلا واعتركا وبيلا ووقع بينهما الكر والفر والاخذ والرد والهزل والجد وقد استظهر عروة على حسان ونظره أصحابه وهو من تحت النقصان وقد استولى عليه عروة فى الجولان فانطبقت الخمسمائة فارس على عروة وحملت حملة واحدة وزعقوا الثار الثار فلما انظر العشرة فوارس حملوا عليهم وردوهم عن عروة ثم جالوا بينهم ساعة من النهار وكان قد انفرد من الخمسمائة فارس مائة فارس للعشر فوارس الذين مع عروة وانطبق باقى الخمسمائة على عروة وهم اربعمائة فارس فلما رأى عروة تلك الفرسان أيقن بالمهالك وحار وتخبل وقد استدت فى وجهه أبواب الحيل فانطبق عليه حسان واستجاده بطعنة فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فمال عروة عن الجواد يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه وقتل من أصحاب عروة سبعة وبقى ثلاثة مع زيد ولده وترجل حسان وقطع رأس عروة وأخذها وعاد الى دياره وقد بلغ أوطاره وخمد ناره وقر قراره فوقعت البشائر والافراح وحمل حسان رأس عروة الى عمه وقال له ياعم هذا رأس الذى عايرنى به فأنعم لى بزواج ابنتك الجارية رفيعة الحسب حتى يصح بيننا النسب فأجابه الى ماطلب ونحروا الجزور ونحروا النحور وكبوا الخمور وزفت الجارية على حسان بن ثابت الذى كان بها ولهان وبعد ثلاثة أيام اجتمع مشايخ العشيرة الى عند حسان وقالوا له يا حسان أنت قتلت عروة بن الورد وقد أضرمت علينا نارا تحرق اكبارنا والصغار والعبيد والاحرار وكأنك ببنى عبس وعنتر وقد قلعوا الابيات بما فيها والمضارب والاوتاد وهم يذبحونا ويسبوا النسوان والاولاد ولا يقبل منا عنتر فداء ولا يسمع منا مقال فقال حسان يا بنى عمى أنا ما قتلت عروة الا وقد علمت ان عنتر يطلبنى ولولا أعلم انى له كفؤ ما تعرضت له ولا قدمت عليه فلما سمعوا القوم كلام حسان سكتوا عن خطابه وجوابه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من زيد بن عروة والثلاث فوارس فانهم أخذوا جثة عروة وحملوها وعادوا بها الى الاحياء وقد أقلقوا الدنيا بالبكاء وجدوا بالانتحاب الى ان وصلوا ووقعت الزعقة كما ذكرنا وأتى شيبوب الى عنتر كما وصفنا فانغاظ عنتر وقام الى جثة عروة وصار يقبلها ويبكى ويقول وحق ذمة العرب لاخرب ديار من فعل هذه الفعال هذا ونساء الحى صارخات وزيد بن عروة مشقوق الثياب كثير البكاء والانتحاب وأهل الحى ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور هذا وعنتر سأل عن الذى كانوا مع عروة وعن الذى قتله فقالوا له يا حامية عبس قتله حسان بن ثابت وكان قد خطب بنت عمه فعايره أبوها بعجزه عن أخذ الثار فسار وقتل عروة وأخذ رأسه وعاد الى أهله وناسه (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الحديث صعب عليه وكبر لديه فاتفق رأى زيد بن عروة يرثى اباه بهذه الابيات وهو يقول صلوا على طه الرسول

ولما نعى الناس الى عند قتله * تمكن منى الحزن وانقطاع الظهر
وأصبحت من حزنى عليه كأننى * سكران دارت على نشأة الخمر
تركنى وحيدا ليس لى من مساعد * فياليتنى معه موسد فى القبر

(قال الراوى) فلما سمع عنتر من زيد تلك الابيات شق أثوابه وعلى بكاه وانتحابه حتى برز الدم من مناخيره وصارت عيناه كأنها لظى الجمر اذا أضرم ثم أرغى وأزبد فأرعب كل من رآه ونادى واحرباه عليك يا أبا البيض فوحق العلى الاعلى لاقتل قاتلك أشرها قتلة ثم نادى بأعلا صوته وأخاه واصديقاه واسنداه واعروتاه ياسيفى الصقيل يارمحى الطويل فبكت بنى عبس لبكائه ومزقن العمائم واقامت فى الحى المآتم ثم ان عنتر حفر لعروة قبرا ودفنه فيه ونحر عليه النحور وقد أباح للصعاليك لحمها والضعفاء والارامل والايتام ثم انه عانق القبر وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

سقيت الحيا يا قبر عروة والندا * الى أن يرى من فوقك الغيث مرتفعا
ففيك الذى كان سيفى على العدا * وعنه فؤادى لايزال مروعا * ولما تفرقنا كأنى وعروة
بطول الليالى لم نبت ليلة معا * فشملى أضحى بعده متفرقا * وقل اصطبارى اليوم قد عاد بلقعا
وسيفى مغلولا ورمحى محطما * وركنى مهدوما وقلبى مفجعا * نعى عروة الناعى فزاد تقلقى
وأيقنت انى ميت است عانعا * فياليتنى من قبل مصرع عروة * فقدت جميع المال والاهل أجمعا
ويا ليتنى لا كنت أحييت بعده * فان فؤادى لايطيق التفزعا * بنيت لهذا المجد بالسيف عنوة
وها قد بددت أركانه متضعضعا * أدافع كل الحادثات جلادة * وسهم المنايا ما أرى منه ممنعا
ولولا يقينى اننى لاحق به * لابكيت ما لاح الصباح وأطلعا * ولكن مشيب الرأس أعلم بانه
* بدى الداعى الى الموت يوم اذا دعا *

(قال الراوى) ولما سمعت بنى عبس هذا النثر والنظام انهملت من دموعهم العبرات وبكت بنى عبس الكرام ثم ان عنتر عاد من القبر وقال لشيبوب قدم الى الابجر فما كانت الا ساعة حتى أرمى السرج على ظهره وشد حزامه وأصلح عدته ولجامه فاستوى عنتر على ظهره بعدما أفرغ عليه عدته وغرق فى شكته وتقلد بلامته ونادى يا بنى عبس الكرام يا فرسان الانام ويا أبطال الزحام الثار الثار واجلوا عنكم العار فاجابت بنى عبس نداه وركبوا الخيل الغوال وتقلدوا بالنصال ولم يتخلف عن الركوب الا الملك قيس واخوته وسارت بنى عبس وآل قراد وزيد بن عروة قدام عنتر على المائة فارس التى كانت لابيه وقد أخرجوا أيديهم من الدروع وأجروا على خدودهم سواكب الدموع وسار عنتر والى جانبه ولده ميسرة وأخيه مازن وسبيع اليمن وأسد بن ماجد والمطال وجابر بن حامد وسابق وأخيه لاحق وهم ليوث الوغا وأسود البيدا فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من بنى ضبيان فانهم بقوا تحت القلق حتى وصل اليهم الخبر ان عنتر سائر اليهم وقادم عليهم وقد جمعوا حلفاءهم وأصدقاءهم وأقصاهم وأدناهم وقد صار وايدا واحدة وحصنوا حريمهم وأموالهم فى الجبال وفى الشعاب وأقاموا لهم ديادبة على الطرقات وبقوا على الخيل جرائد منتظرين البلاء وحسان بن ثابت قد مات فى جلده من عنتر ونظر الى بنى عمه فرآهم تحت الخوف والحذر فقال الى زوجته أنا مرادى أن أرحل من هذه الديار ولا أقابل عنتر ولا من معه من الأشرار فقالت له افعل ماتريد فأنا عن رأيك لا أحيد فأخذ زوجته وأركبها على جواد سابق وركب أيضا هو جواده وخرجوا تحت الليل ولم يعلم بهما أحد وسار افى البر على وجوههما فلما أصبحوا بنى ضبيان فلم يروا لهما خبر ولا وقعوا لهما على اثر فاجتمعوا الى وشاح بن رامح وقالوا له ما قصر معنا حسان قتل عروة وأخذ ابنتك وهرب وتركنا فى المصائب من عنتر وناره التى ما يخمد لها شرر فقال لهم وشاح يا بنى الاعمام قد جرى به القضاء بما فيه وكان الذى كان من زلة القدم ولا بقى ينفع الندم فكونوا على أهبة الحرب وحاموا عن نسوانكم وعن أولادكم فها أنا قدامكم فقالوا بنى ضبيان يا أمير والله ما فينا من يتخلى عنك ولا عن الحريم حتى تلعب الخيل برؤسنا وتضيق نفوسنا (قال الراوى) فبينما القوم فى المشاجرة واذا بالديادبه قد ظهرت تخبر أن خيل بنى عبس وصلت فاضطربت بنى ضبيان وعلا منهم الضجيج والالتهاب وكثر البكاء والانتحاب ووثبوا الى الخيل ركبوها والى الزرديات لبسوها والى سيوفهم تقلدوها والى الرماح اعتقلوها وركبت معهم بنو الوحيد وبنى باهلة وبنى هلال وبنى عاتكة وأقبلوا طالبين بنى عبس

يقدمهم وشاح بن راجح والخيل خلفه متتابعة والقبائل الى اللقاء مجتمعة ولم يبعدوا عن الديار حتى ظهرت لهم فرسان بني عبس من تحت الغبار يقدمها ليثها الكرار وفارسها المغوار وأسدها الهدار من زعزع الجبابرة وقهر الملوك الاكاسرة الذي أباد شجعان البلاد وقهر جبابرة العباد الرفيع العماد الطويل النجاد الامير عنتر بن شداد وقد أخرج يده من جلباب درعه وهو يزعق يا بني عبس الثار الثار هذا يوم كشف العار وساعة الافتخار والطعن بالاسمر الخطار قال ولما وقعت العين على العين انطبقت بنو عبس على بني ضبيان من غير كلام ولا خطاب وقد التقوا القوم بقلوب صلاب ووقع الضرب خطأ وصواب وصار عنتر يهبر الرجال هبرا ويجزرهم جزرا حتى فاضت الارض بالدماء وأبلى أعداه بالويل والعما وكثر العطش والظما وتحسرت النفوس على شربة من الماء وامتلأت الاراضي بالقتلاء والدماء تسيل من حسامه وكلما قتل فارس يقول يا لثارات عروة ويتذكر أيامه وصارت الابطال تهرب من قدامه وأما ميسرة كسر الاعداء كسرة وأي كسرة وهو يبيدهم خمسة خمسة وعشرة عشرة وأما مازن وربيع اليمن فقد أنزلا على العدا الموت والمحن ودحرجوهما عن المنازل والوطن وأدخلوهما الى المقابر بلا كفن وأما زيد بن عروة والهطال خذل الرجال فكل منهم عن الاعداء صال وجال وفرقوا الاعداء في البراري والتلال وطرحوا الفرسان يمينا وشمالا وذاقت بني ضبيان في ذلك اليوم أشد النكال (قال الراوي) ولم يزل الامر على ذلك الحال حتى ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال وقتل من بني ضبيان ألف وخمسمائة غلام ولزم بني عبس الى المضارب والخيام ولولا قدوم الليل والظلام ما كان بقي منهم لا شيخ ولا غلام ورجعت الطائفتان وتحارسوا الجمعان وأوقدوا النيران وداموا على ذلك المنهج والرواح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت بني ضبيان وفي أوائلهم فارسهم الامير وشاح وقد اصطفت الصفوف وتعدلت المئات والالوف وكذلك بني عبس تعدلت ولهلاك أعدائها أقبلت هنالك برز عنتر الى محل القتال وصال واشتهر بين الابطال بعدما عقد شراريب درعه خلف ظهره وهو يسحب الرمح من وراه وتظاهر على جواده وبان منه حمقه وأحقاده وتذكر صديقه عروة وحسن وداده ونادى يا بني ضبيان أبشروا بخراب دياركم وقطع آثاركم وقلع أصولكم وفروعكم لاجل قتلكم خليلي عروة بن الورد منسوب الاب والجد فمن كان يزعم منكم انه من الشجعان فليبرز الى الميدان ومقام الحرب والطعان ثم انه صال وجال وأنشد هذه الاقوال

يا عين ابكي عند كل صباح * واني افقد الفارس الجحجاح * قد كان ذخري في الحوادث كلها
يوم النزال فكان مثل جناح * قد كان سيفا لي يصول على العدا * حتى رماه الدهر بالاتراح

(قال الراوي) ولما فرغ عنتر من شعره ونظامه حتى برز الامير وشاح وصار قدامه وصاح به وقال ويلك يا عنتر الى متى هذا البغي منك على العرب اما آن أن تنهد اركانك ويعدموك أصحابك وخلانك وأهلك وجيرانك ثم انه أطبق عليه ومد سنان رمحه اليه فتلقاه عنتر بقلب أشد من الصخر وجنان أجرى من تيار البحر وما تركه يفتل عنان ولا ينطق بشعر ولا أوزان حتى هجم عليه وضايقه ولاصقه وسد في وجهه جميع طرائقه وطعنه بالرمح في صدره أخرجه يلمع من ظهره ونادى يا لثارات عروة وبعد ذلك جال وصال وطلب الحرب والقتال ونادى فما أحد خرج اليه وعلموا ان كل من برز له قضى عليه فحملت القبائل بأجمعهم وأظهرت أحقادهم فلما نظر عنتر الى القبائل كلها وقد حملت صاح في الخيل وعليهم حمل وتبعه ميسرة سيد الابطال وربيع اليمن والهطال ونزلوا على الاعداء بجملتهم وبنو عبس قد احتاطوا بهم من وراهم ومن قدامهم وغاصوا تحت العجاج وزاد الارتجاج وكثر الهياج وطلع القتام كأنه الليل الداج وخاضت بني عبس في بحر العجاج وقد تلاطمت كتلاطم الامواج وقدحت حوافر الخيل نارا كالسراج وذبحت الانفس أفرادا وأزواج واشتدت الشدائد وعظمت الاوابد وفي دون ساعة صار الغبار ضبابا والقتام سحابا وأهلك عنتر الرجال وأباد الابطال وهو مثل البرق الخاطف والرعد القاصف ولما تعالى النهار ولت بنو ضبيان الادبار وركنت الى الهرب والفرار بعدما هلك منهم كل فارس كرار وأسروا منهم بني عبس ستمائة أسير وأنزلوا بهم الذل

والتعثير وقلع عنتر الاحياء فيها وهو متحسر على حسان بن ثابت كيف تخلص وولى ولم يبلغ منه أملا ثم عاد عنتر طالب بني عبس وقد سأل عنتر من بعض الاسارى عن حسان فقال له يا حامية عبس وعدنان انه أخذ زوجته وهرب ولكن قد وصل الينا خبره انه قد استجار بدفانة بن هود بن شماس وقد أجاره من دون الناس ووعده بالنصر والظفر على بني عبس الغرر قال فلما سمع عنتر هذا الكلام صار يأكل كفيه من الندم وسار حتى وصل الى الديار وعدل الى قبر عروة وذبح الاسارى ثم زاد بعنتر البكاء والانين والاشتكاء فأنشد وقال صلوا على باهي الجمال

أعيناي اذا لم تبكيا لعروة * فعودوا الى لهو وقولوا غويا كما * وان كنتما لا تبكيان لفقده
حرام على النوم وقت كرا كما * سأبكي خليلي عروة كل ليلة * اذا ما حمام الايك هيج شجا كما

(قال الراوي) ثم ان عنتر جد في طلب حسان وصاح في رجاله وأبطاله وأقياله وطلب المسير واذا بالملك قيس أقبل اليه وهناه بالسلامة لانه كان علم بقدومه وبكى على عروة ومسح أطراف عنتر ولين الكلام كل ذلك حتى انه يسأله عما هو فيه وما الذي قد عزم عليه قال له يا حامية عبس الى أين عزمت فقال أنا مرادي أطلب الثار من حسان بن ثابت الاثيم الغدار فقد بلغني أنه قد نزل على دفانة بن هود بن شماس وقد أجاره من دون الناس وضمن له أن يكون من أعوانه وأنصاره وأنزله بجواره وها أنا سائر اليه أقلع شأفته وأبيد غارته (قال الراوي) فلما سمع الملك قيس كلامه فما أمكنه أن يرده عن مرامه بل ودعه وقال له محفوظا وبعين الله ملحوظا وسار عنتر في خمسمائة فارس وجد بهم في وسيع البيداء وهو قاصد بلاد الاعداء (قال الراوي) فهذا ما كان من عنتر فارس عبس وعدنان (وأما) ما كان من الامير حسان بن ثابت وبني ضبيان فانه لما هرب في الليلة التي ذكرناها هو وزوجته وما زال يدور قبائل العرب ويستجير بهم فما أحد يجيره ولا يكون نصيره لما علموا أن عنتر بن شداد غريمه وما زال حتى وصل الى قبيلة يقال لها قبيلة بني قردع فنزل على سيدها دفانة بن هود وكان هذا دفانة أوحد أهل زمانه وفارس عصره وأوانه تحمل اليه العرب الغفارات وتخشى جانبه السادات ولما دخل عليه واستجار به فما سأله دفانة عن حاله حتى قضى حق ضيافته في ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع سأله عن حاله فأخبره بقصته وأطلعه على حالته فقال له يا وجه العرب قد أجرتك ولو كان خصمك من أكبر الملوك فقال له حسان أيها السيد أنا خصمي ما هو ملك عظيم الشان ولا هو من أكابر الفرسان بل هو عبد من العبيد الاوغاد يقال له عنتر بن شداد وهو يطالبني بفارس قتلته وعلى الثرى جندلته يقال له عروة بن الورد وكان قد جار علينا من قديم الزمان وقتل أخي وكنت أنا صغير ولما بلغ عمري خمسة عشر سنة خطبت ابنة عمي فقال لي عمي يا ولدي أنعم بك وأكرم غير أنك مجل بالعرفان ان أخذت ثارك وكشفت عنك عارك وقتلت قاتل أخيك وأتيت الى حضرتي أزوجك ابنتي وقاسمتك في نعمتي فقلت له يا عماه وثاري لا أعلمه عند أي اعراب فقال عند عروة بن الورد العبسي فلما علمت ذلك أكمنت لعروة حتى خرج وقتلته وأزلت به العبر وكشفت عن أهل قبيلتي العار وأخذت لاخي بالثار وتزوجت بابنة عمي وقد زال همي وغمي وبلغ الخبر الى عنتر فسار الينا بفرسان بني عبس الغرر وأخذ من بني ضبيان ستمائة أسير بعدما قتل ألفين وأكثر وسافر الى قبيلته وذبح الاسارى على قبر عروة من شدة صداقته له ومحبته وقال انه ما يقعد عني حتى يأخذني ويذبحني أنا الآخر على القبر وأنا قد استجرت بك منه ومن مكره وغدره (قال الراوي) فلما سمع دفانة ذلك من حسان بكى من عظم ما جرى عليه واعتراه الهم والغم والاحزان وقال له طب نفسا وقر عينا يا أمير حسان فلك مني حصن حصين وجبل راسخ مكين وأرسل الى قومك يأتون اليك وينزلون عليك وآخذ لكم بالثار وأكشف عنكم العار وأبذل في أعداكم الحسام البتار وأفني أعداكم بطعن الاسمر الخطار (قال الراوي) ففرح حسان بقوله وأرسل الى قومه وعشيرته والى بني الوحيد وبني باهلة وبني هلال قال فلم تكن الا أيام قلائل حتى قدمت الثلاث قبائل وهم يبكون وينتحبون مما جرى عليهم من عنتر بن شداد ومن قتل منهم ومن أسر وما أخذ من الاموال والنوق والجمال فاستقبلهم دفانة بأعز استقبال وأنالهم أشرف منال وضمن لهم النصر والظفر وبلوغ المنال

من بني عبس وعنتر وأن يكشف عنهم العار ويزيل عنهم الشنار فشكروه على مقاله وجازوه خيرا على ذلك الاحسان ونزلوا عنده في أعز مكان وقد أمنوا من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فهذا ما جرى لهؤلاء من الايراد (وأما) ما كان من عنتر بن شداد فانه سار يقطع الارض طولا وعرض وهو في ستمائة فارس صناديد وليوث أماجيد من بني عبس الاجاويد قال ولم يزل سائرا الى ان وصل الى ديار القوم وقرب منهم فقال له شيبوب اعلم يا ابن الام انك قد توسطت بلاد الاعداء وما في هذه الارض قبيلة الا ولهم عليك ثار والرأى عندي أن تكمن أنت في بعض المواضع أنت ورجالك الى أن أسير أنا وآخذ لكم الاخبار وأنظر ان كان حسان أجاره دفانة أم لا فلما سمع عنتر مقالته استصوب فعاله وقال له لا كان يوما لا أراك فيه يا ابن الام ثم انه عدل الى بعض الوادي ونزل فيه بخيله ورجاله وفرسانه وأبطاله هذا وشيبوب قد أخرج ثياب حيلته ولبسهم وقد تعمم بعمامته وجعلها على رأسه مثل الطبق وأرخى لها عذب وركب بعض النوق وعول على المسير فقال عنتر أي شيء هذا الزي يا ابن الام فقال له اني أريد أن أدخل على القوم في زي شاعر فسار عنتر يضحك واليه ناظر فسار شيبوب حتى أشرف على الاحياء واذا به يراها تموج بسكانها وترتج بفرسانها والمضارب قد ملأت الارض ذات الطول والعرض فحار شيبوب لما رأى تلك الاماكن وقد اندهش مما عاين ولم يزل يخترق المضارب والخيام حتى وصل الى ديار دفانة بن هود فأنكرته الفرسان والجنود وتواثبوا اليه العبيد مثل الاسود وقالوا له ما حالك يا غلام ومن أي الناس أنت فاننا حريصين أن لا نترك أحدا يلم بساحتنا ولا يقرب نحو أبياتنا ولا نأمن الا من نعرفه وان كان من أعدائنا لابد من موته وتلفه فقال شيبوب يا قوم أنا رجل شاعر من أرض بني سنبس وقد بلغني خبر عن سيدكم دفانة فأتيت اليه قاصد والى رحابه وارد أسأله أن يزيل عني ما نزل بي من الفقر ومن الفاقة لما سمعت عنه من الكرم والمروءة والشجاعة والقوة فلما سمعوا العبيد مقاله رقوا لحاله وأخذوه الى بيت سيدهم دفانة وكان ذلك الوقت جالس وعنده حسان بن ثابت مع سادات قومه والخمرة تدور عليهم والقينات يزعقن ويضربن الدفوف والمزاهر واذا بالعبيد قد دخلوا على سيدهم دفانة وقالوا له أيها السيد الامجد والبطل الاوحد اعلم انه قصدك شاعر من بني سنبس يطلب من احسانك وفضلك وقد أتينا به اليك وأحضرناه الى بين يديك فقال دفانة أسرعوا به الينا وأدخلوه علينا فخرجت العبيد الى شيبوب وأخذوه بعد ما عقل ناقته بفاضل زمامها وسار شيبوب الى ان بقي قدام دفانة وأرخى أكمامه وأفصح لسانه وقال حياكم الله مزيد التحيات وعمكم بالبركات وطارت عليكم طيور السعادات أين هو الملك دفانة بن هود بن شماس الذي سار ذكره بالكرم والجود على ألسنة جميع الناس وخص بالشجاعة والقوة والبراعة وشدة البأس واذا جلس فاق بحسنه جميع الجلاس واذا ركب جواد خضعت له جميع الاجناس (قال الراوي) فلما سمع دفانة كلام شيبوب قال له ها أنا قصدك يا شاعر العرب وسيد أهل الادب فقل ما بدا لك وابشر باصلاح حالك فقبل شيبوب الارض بين يديه ومازال واقفا على قدميه ثم انه أنشد يقول

يامن له كرم يفيض على الورى * مادام كفك بالنوال يجود * فاضت لنا من سحب كفك مزنة
من وبلها توفى الغمام مزيد * أنت الذي عم الخلائق فضله * مكارم لم يحصها التعديد
يامن له أيام فضل في الورى * بيض اذا كان الزمان يسود * أنت الذي عم الخلائق وفده
مكارم لم يحوها التعديد * والمال مثل عزمكم من جودكم * هذا وذاك على الجمور يزيد
أسد تذل له الاسود وتتقي * سطواته يوم الحروب الجيد * وتراه في يوم الوغا لا ينثني
ماضي العزيمة في الزمان وحيد * حزت المناقب عن أبيك وانما * بالفرع طاب الاصل والمولود
وجازت حدود المدح بعض صفاته * وعلت وليس لحدها محدود * يا أيها الملك الذي من لم يفز
بهباته يوما فليس يعود * بقصيدتي ألقت عليك مفاضة * ماجاز مثل حديدها داود
وماكنت أخشى أن أكون كأنني * فلقد دعاني في يديك الجود * اني وجدت الخلق أنت ملاذها
طرا واني بالنوال أعود * فاسلم ودم في نعمة موفورة * أبدا عليك مديدها ممدود

أمطر علي سحاب جودك انه * قطر على كل الانام يجود * فالناس ان راموا محاسن عيدهم
فلنا بوجهك كل يوم عيد * فوحق جودك لا سواه لانه * ما قبله فيما سمعنا جود
فاذا حييت مسلما وبقيت لي * أبد الزمان فانني مسعود

(قال الراوي) ولما سمع دفانة شعر شيبوب اهتز له طربا ومال عجبا وقال أحسنت يا شاعر بني سنبس ثم انه خلع ما كان عليه وأعطاه لشيبوب وأتاه العبيد بثياب غيرها ثم ان دفانة أجلس شيبوب الى جانبه وأمر له بمائة ناقة وعشر رؤس من الخيل وقال له يا أخا العرب أنت قد وصلت الينا وأنا مشغول فقال له شيبوب وما الذي يشغلك يا مولاي فقال يا شاعر قد نزل عندنا أقوام مستجيرين وأجرتهم ونحن على أهبة القتال معتدين للحرب والنزال وقد وصل الينا الخبر ان عنتر عبد بني عبس سائر الينا وقادم علينا وهؤلاء الاقوام ما أتوا الينا الا من شدة بأسه خائفين ومن سطوته فزعين ونحن هكذا منتظرين الاعداء وخيولنا مسرجة وملجمة ولوقت الحاجة متقدمة ثم جعل دفانة يحدث الى شيبوب وهو يدير عينيه في القبائل والابيات وتلك المنازل ويفرز العشائر والجحافل الى ان كان من الغد عند الصباح ودع شيبوب دفانة وطلب الرواح واذا قد دخل على دفانة عبد من عبيده يقال له سارح وكان من خواضين الليل وسارقين الخيل وكان قد دخل على بني عدنان ودور بني قحطان وهو داهية من الدواهي وان ركض بقدميه يصطاد الغزلان بيديه فلما دخل ذلك الوقت نظر الى سيده فرأى شيبوب وهو يودعه فقال يا مولاي من هذا الذي قربته منك غاية التقريب وأعطيته من عطائك أوفى نصيب فقال له دفانة اعلم ان هذا من بني سنبس وانه شاعر لبيب وقد مدحني بقصيد عجيب فأعطيته هذه العطية وهو والله يستاهل أكثر منها ولا عليه منيه فلما سمع العبد كلام مولاه صبر الى شيبوب وصاح صيحة كادت الاكباد منها أن تذوب وصفق بيديه وضحك حتى كاد أن يغشى عليه وقال يا مولاي هذا ما هو شاعر ولا من بني سنبس ولا من بني كلاب هذا من بني عبس وعدنان هذا آفة الزمان هذا محنة العربان هذا مخرب الدور والقصور هذا أبو الدواهي والامور هذا أبو الحيل الواصلة هذا أبو الاقاويل الفاضلة هذا صاحب التدابير القاتلة هذا صاحب النكات المضحكة هذا صاحب الافعال المهلكة هذا الريح المهول هذا الاسد الوثوب هذا اللبوة الطلوب هذا البلاء المصبوب هذا القضاء المسكوب هذا أخو عنتر هذا شيبوب (قال الراوي) فلما سمع دفانة من عبده هذا الخطاب صاح في العبيد دونكم وهذا الشيطان قال فلما سمعوا العبيد ذلك الكلام داروا به وقبضوه وجعلوا عمامته في رقبته ثم أمرهم بصلبه فنصبوا العبيد له خشبة عالية وأخذوه اليها ليصلبوه واذا بالزعقة قد وقعت والضجة قد ارتفعت والعبيد من المراعي قد أقبلت وصاحت وولولت فوقفوا العبيد عن صلب شيبوب وقال دفانة ما الخبر يا ويلكم وما الذي جرى عليكم وما نالكم فقالوا له يا مولانا ان عنتر بن شداد قد طرق هذه البلاد وغار على الاموال وقتل جماعة من الرجال فلما سمع دفانة هذا الخبر أمرهم أن يشدوا شيبوب في بعض أعمدة البيوت وقال وذمة العرب لا أصلبه حتى آتي آخذ عنتر أخيه وأصلب الاثنين على خشبتين ثم أمر العبيد باحضار الجواد فقدموا له جواده وغاص في عدة جلاده وقد زعق وقال الخيل يا أرباب الخيل فثارت القبائل وقد ركبت الخيول الصواهل واعتقلوا بالرماح الدوابل وقد تقلدوا بالسيوف الفواصل وتجاروا ويطلبون الصياح قال وكان السبب في مجيء عنتر وغارته على الاموال انه انتظر شيبوب أخيه فما عاد اليه منه خبر ولا ظهر له أثر فضاق لذلك صدره وقال والله ما غاب الا بسبب من الاسباب ثم انه قال لابن أخته الهطال كيف يكون العمل فقال له اركب يا خال حتى نغير على الاموال ونشرع في أمر القتال فان كان شيبوب سالما عاد الينا وان كان قد وقع في شدة أدركناه قبل أن يثير الحرب فلما سمع عنتر مقاله ركب في رجاله وقصدوا الى المراعي وأخذوا الاموال وطرحوا في أقفية العبيد ضرب مثل فتوق الاعدال فعادوا العبيد على الاعقاب كما ذكرنا وأخبروا دفانة بالخبر وتبادرت الرجال كما وصفنا وركب دفانة وهو مثل ثنية الجبل المشيد من كثرة ما عليه من الحديد والزرد

و ركبت معه قبيلته و ركب حسان بن ثابت فى عشيرته ولم يزالوا يركضون حتى أشرفوا على عنتر وأصحابه
ولما نظرهم دفانة احتقرهم وداخله فيهم الطمع فقال وحق اللات والعزى ما هذا الا رجل مجنون والا ما كان
سار فى هذه العصابة اليسيرة وأنتم الساعة يا حسان قهركم عنتر وأنتم أربع قبائل فقال حسان يا هؤلاء لا تحتقر
بهذه الطائفة على قلتها فهى التى اذلت رقاب الجبابرة وأخمدت أعناق جميع الاكاسرة لاسيما هذا العبد الزنيم
والوغد اللئيم الذى هو فارس عبس وحاميها فقال دفانة يا حسان لولا يقال انى معجب بنفسى ما تركت أحدا
يعاوننى من أبناء جنسى وكنت خرجت اليهم وحدى وأكون خالى من السلاح وآلة الحرب والكفاح
وأخطف منهم الارواح ولابد لى من أخذ عنتر برقبته وأمحقه وأعجل مصرعه و بعد ذلك أصطاده مع
أخيه شيبوب وأسقى كلا منهما كأس منيته ثم أترك نساء بنى عبس تشق عليهما الجيوب اذا علموا بصلبه
وصلب أخيه شيبوب ثم ان دفانة استدعى بعمه خالد وكان من الفرسان المذكورة والابطال المشهورة
وقال له يا عم أخرج لهؤلاء القوم وحذرهم من بأسى وقوة مراسى وقل لعنتر و يلك يا عبد السوء لا تظن أن
الزمان كله لك ولا تظن أن دفانة مثل من لاقيت من الفرسان ولا مثل من رأيت من الشجعان فارجع من
حيث أتيت ولا تتكل على نفسك تعديت لحسان قد صار جارنا وشمله ذمامنا ونحن نحميه ونرد عنه أعاديه
فقال له السمع والطاعة لا تعرف هذا الامنى وانا أتيتك به أسير وأقوده بين يديك ذليل حقير ثم خرج خالد
وهو غائص فى الحديد غارق فى الزرد النضيد متقلد بسيف صقيل عريض ومعتقل برمح مديد وتحته جواد
شديد له قوائم كأنها أعمدة وسار فى زيه وأعجابه حتى قارب عنتر وأصحابه وكان عنتر وقف بعد المسير
وهو منتظر من أعداء النفير فدارت به خيل دفانة وخيل حسان واحاطوا به من كل مكان وعنتر ليس مبالى
لا من كبير ولا من صغير ولا من قليل ولا من كثير وانما حسرته أن تقع عينه على حسان أو يخرج الى طابق
الجولان ومقام الضرب والطعان فهو كذلك واذا هو بخالد عم دفانة قد أقبل ونادى بأعلا صوته وقال أيها
الشرذمة القليلة والعصابة اليسيرة انا خالد بن شماس ذو القوة والبأس قد أرسلنى ابن أخى دفانة اليكم
شفقة منه عليكم وأنا قد أتيت أحذركم وأنذركم وأما أسودكم الزنيم أريد أعرفه ان ماله فى أرضنا مطمع وان
أبى أن يرحل أخذته أسير وأقوده ذليل حقير و بعد ذلك أمحقكم بسيفى محقا وأبددكم غربا وشرقا قال فما
تم خالد كلامه حتى قفز مازن أخو عنتر وسار قدامه وهو غائص فى الحديد والزرد النضيد وأطلق عنان الجواد
وساروا خالد فى مقام الطراد و زعق عليه وقال له ثكلتك أمك وعدموك قومك وأهلك الله يا أقل العباد
وأخس العرب الاوغاد ثم انه دنا من خالد وطعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره فمال عن الجواد
كأنه طود من الاطواد ثم ان مازن صال وجال فى حومة المجال وأنشد وقال

نحن الذى علا ذكرنا والفخار لنا * بالبيض طورا و بالخطية السمر * الباذلون نفوسنا كلها هما
لو انصف كانت دونها القدر * هل منكم بطل يدنو الى بطل * فى يده ذكر يعلو على ذكر

(قال الراوى) فلما نظر دفانة الى عمه قتيل وعلى وجه الارض جديل اسودت الدنيا فى عينيه وقال الآن
طاب اللقاء لهؤلاء الاوغاد ثم انه دعا ببقية دروعه وكان بينهم درع داودى ضيق العدد كثير الزرد كأنه أعين
الجرد لا يعمل فيه الصارم المهند وأفرغه على جسده ونزل على رأسه بيضة عادية ترد أسباب المنية بالذهب
مطلية وتقلد بصفيحة هنديه وطارقة قديمة بهلولية واعتقل برمح طويل سنانه كأنه قنديل و ركب على
جواد أصفر مثل لون الذهب قوى العصب ولما صار على ظهره زعق بين أذنيه فخرج من تحته مثل السهم
اذا مرق أو النجم اذا زرق وسار فى الميدان ومقام الحرب والطعان ونادى يا بنى عبس من عرفنى فقد اكتفى
ومن لم يعرفنى فانى خفا أنا دفانة بن هود بن شماس الذى حويت الشجاعة والفروسية ولابد لى ما أفنيكم
فى ثار عمى وأقطع شافتكم وأبيد غارتكم ثم انه صال وجال وأنشد وقال

يالئاما فاقوا على كل اللئام * سوف أفنيكمو بحد الحسام * ثم أسقيكمو الكاسات حتى
وادوى الارض مثل سيل الغمام * بحسام يشفى الصداع من الرا * س و يطفى نار الوغا بالضرام

لى فخار ليس يخفى الى الحشر * ساميا فى العلا كبدر التمام

(قال الراوى) فلما سمع مازن شعره ومقاله أجابه على رد شعره وقال

لنا شرف الفخار على البرايا * بانساب تهون لها الصعابا * وانى أفخر الاقران طرا
وأكرمهم وأزكاهم نصابا * لنا خيل تراها مقبلات * على الاعداء تقرب اقترابا
وانى مازن من آل عبس * وما زالت صوارمنا الضرابا * قتلتم عروة غدرا قتيلا
ودمع العين ينسكب انسكابا * وسوف نبيدكم جمعا بعضب * يقد الهام منكم والرقابا

(قال الراوى) ثم انطبقا الاثنين وتطاعنا بالرمحين وتضاربا بالسيفين حتى احتجبا عن كل عين وشخصت
اليهما الاحداق وقام بينهما الحرب على قدم وساق وانطبق دفانة على مازن بصدر حنق وفؤاد قلق لاجل
قتله عمه ولاصق مازن وضايقه وطعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره فوقع مازن يخور فى دمه
و يضطرب فى عندمه وجعل يدور من حواليه ولما نظر الى ذلك عنتر وان أخاه مازن صار قتيل وعلى
وجه الارض مجندل جديل حار فى عقله وغاب نقله والطم على وجهه ومزق أثوابه وعلا بكاه وانتحابه وقال
وا أخاه وا ركناه والله لقد رميت بسهم من سهام القضاء والقدر عند الشيوخة والكبر وفى كل يوم أرى من
زمانى عبر تبقى للناس سير فيا ليتنى من قبل هذا كنت أدركنى الموت الاحمر ولا أرى ذلك البؤس والضرر
ثم أنشد وقال

كل يوم أسقى بكأس دهاق * كأس صبر فى الطعام مر المذاق * طال حزنى على شقيق وخلى
وأخى صاحب الخيول العتاق * قسما لا سلوت عنه ودمعى * جاريا مدد ميامن الآماق
كيف أسلو أخى ويذهب حزنى * وهو سيفى قد كان عند التلاق * ففؤادى قد ذاب من ألم الحزن
وقلبى من ناره فى اشتياق * يا همام مضى فخاف فى القلب * لمثواه شعلة الاحتراق *
مازن فارس البرية فى الخلق * وهمام فى ذروة العز باق * فارسا كانت الفوارس عنه
فى مجال الهياج والانطباق * يا بنى عبس اندبوا فارس الحرب * واذكروا المشهور فى الآفاق
كيف يحلو من بعد مازن عيشى * بعد ما بان شخصه للفراق * كيف صبرى عنه وما كان الا
عدتى فى شدتى واختناق * كيف لا أصطلى مكابدة الحرب * وأفنى الفرسان عند التلاق
يا سراة الرجال يا آل عبس * ذا قتيل رمى بسهم الفراق * فانجزوها حرب عوان وصولوا
صولة تهلك الرجال البواق * كان كالبدر فى السماء ولكن * خانه فى الطلوع صرف المحاق
يا دموعى فيضى عليه وجودى * بانهمال فمهجتى فى احتراق * كل شئ يفنى وحزنى باق
* ما أنار الهلال فى الآفاق *

(قال الراوى) ثم ان عنتر قفز بالابجر بعد كلامه ونظامه وصرخ بدفانة وقال له يا لئيم قومه و وغد عشيرته
والله لقد جلبت لنفسك العار لقتلك هذا الفارس الكرار أبشر بقطع الاعمار وخراب الديار وقلع الآثار
وأشتت شملكم فى سائر الاقطار ثم انه أنشد وجعل يقول

مقالة عبلة و يلك يا عنتر الهلا * نعست وما عهدى بك اليوم ناعس * أتقعد عن ثار الخليل وقد ترى
صريع العوالى وهو قرم ممارس * فقلت لها لا تعجلى وتبينى * فمالى اذا التقت على الفوارس
وانى أرد القرم يكبو برأسه * وفيه سنان ذو ضياء مقابس * وأحمل الامر الثقيل وأصطلى
لنيرانها والجو مسود عابس * وألقى اليهم طارقات بعزمة * اذا كثرت فى الطارقين الوساوس
ألا افترقوا عن تهجمت قسطلا * يهاب لظاه الفارس المتداعس * وانى لاشرى الحمد أبغى رباحه
وأترك خصمى وهو حيران ناكس * وان ذكرونى فى المحافل كلها * فذكر حديثى نزهة فى المجالس

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه وجالا طويلا واعتركا مليا
وغاصا فى الاوابد وصبرا على الشدائد واختفيا فى الغبار وغابا عن الابصار وقدحت حوافر خيلهما شرار

وصارت منهما الافكار وتحسر كل واحد منهما على مفارقة أهله والديار الى ان أقبل الليل بظلامه وقد افترقا على سلامة وما فيهما الا من عض كفيه على خصمه ندامة وشاهد دفانه من عنتر ما بهره وأبهره وأذهله وأعمى بصره وقال يا فارس عبس الليل قد أقبل والظلام قد أسبل فاعدل بنا لنأخذ راحة الى الصباح ونعود الى الحرب والكفاح فقال عنتر وحق فالق الاصباح ومسير الرياح ومركب الارواح في الاشباح ما بقي لك من بعد أخي مازن براح الا باتلاف الارواح وحق زمزم ومنا ومن جعل البيت الحرام آمنا لا برحت من هذا المقام الا بالانفصال وبلوغ المرام كيف أعود عن القتال وأخي مطروح على وجه الارض والرمال وأما اذا كان لا بد لك من الراحة فترجل عن جوادك وأنا أفعل كذلك ويبقى كل واحد منا في مقابلة الآخر الى الصباح ونعود الى الحرب والكفاح فأجابه دفانه الى ذلك وقد وقع في قلبه فزع عظيم ثم نزلا عن الجوادين وأركزا الرمحين وقد أقاما وكل منهما ناظر الى صاحبه شذرا ويرمقه حذرا ولما مضى الليل بالغلس وبدا الصبح يتنفس ركبا على ظهور الخيل الملاح وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وانتشقا الصفاح التي هي أقرب لقبض الارواح وتضاربا بالسيوف حتى أشرفا على شرب كاسات الحتوف وكثر المصائب وما زال الامر بينهما حتى صارت الشمس في قبة السماء وزاد بهما العطش والظما وتعب دفانة وكل وذهب عزمه وملّ فصاح به عنتر أذهله وأرعشه وخبله وضربه بالسيف على صدره أطلع الحسام من خرز ظهره فمال عن الجواد قتيل وعلى المهاد ماقي جدبل وجال عنتر حوله وصال ووقعت الصرخة في بني قريع بعد قتل سيدها دفانة وقالوا لحسان لقد كانت طلعة هذا علينا مشومة وهي أشأم الطلعات وقد كنا في ديارنا آمنين حتى انك جاءت لنا هذا البلاء المبين فلا بد من برازك الى هذا الفارس الجبار تأخذ لسيدنا منه بالثار فلما سمع حسان من القوم ذلك الكلام لم يجد له صبرا على هذا الملال والملام وقد عزم أن لا بد له من الخروج والبراز مع عنتر فارس الحجاز وخاف منهم انه اذا لم يبرز لعنتر يقتلوه أو يقبضوه والى عنتر يسلموه فأراد أن يموت موت الكرام ولا يكون لئيم ويعيش عيش اللئام فعند ذلك قفز حسان بالجواد وما زال الى ان بقي قدام عنتر بن شداد وصار معه في الميدان ومقام الحرب والطعان ووقع على مصرع دفانة وأنشد وقال

خل عنك القتال يا نذل قوم * وذليلا من دون كل الرجال * وارتجع عن مقام حرب وضرب
وطعان المثقف العسال * أنا أدعى حسان في موقف الكر * وساقي الفرسان كأس الوبال
ومبيد العدا بكل حسام * ماضي الحد مرهف فصال * آه واحسرتاه من فقد ليث
حرمانى على الثرى في الجبال * وأنا سوف آخذ الثار عنه * من لئيم في الاصل راعي الجمال
وعزيز على أن أفتديه * بالئيم بقية الانذال * هل بسام الرماد بالدرق درا
أو كلاب الفلا بأسد الدحال * غير ان القضاء له غفلات * ترى الطير هاويا من أعالي

(قال الراوي) فلما فرغ حسان من شعره وسمعه عنتر قال له يا ابن الملعونة يا قرنان من هو الذي قطاعة الانذال والله الذي لا اله الا هو ذو الجلال لو كنت تعقل على كلام ما قلت مثل هذا المقال يا من يهرب من قبيلة الى أخرى ويدور على أهل المدن والقرى وبعد هاته كلم بمثل هذا الكلام وزيادة ولا بد من قتلك ولو كنت على ظهر الغمام أو احتميت مني بالبيت الحرام أتظن انه من بعد قتل عروة خليلي ومازن أخي بقي لك في هذه الدنيا مقام لا وحق من أنزل القطر من الغمام ثم انه استلب الرمح من التراب وهجم على حسان هجوم القضاء والقدر وطعنه برأس السنان من قبل أن يفتل العنان فوقعت الطعنة في صدره خرج السنان يلمع من ظهره ونفضه من على رأس الرمح المداد فسار على بسيط الارض والمهاد فلما رأت الشثار الى ذلك جاءت والى أعنة خيلها أرسلت وهجمت على عنتر مثل السيل اذا انحدر وهي من كثرة عددها لا تنحصر فلما رأى عنتر ذلك اقتحم الغبار وخاض المقام المرار ونظر فرسان بني عبس الى ذلك فحملوا واقتحموا الغبار وسطوا سطوة الاسد الهدار وفي مقدمتهم ميسرة وسبيع اليمن والهطال وزيد بن عروة الفتى الريبال وصاح ابن غالب وسابق بن غياث وجندلة بن فارس وسابق وأخوه لاحق وعمر وأخوه عبد الله وأبو مالك بن قراد وانقلبت جميع

القبائل وهزت التواصل واضطربت الجحافل وحقت الحقائق وبان الكاذب من الصادق وانهرق الدما وصار الوجود عدما وأبقوا يرفعون الارض من السما ولحق الفرسان الويل والعما وقد عضت الخيل على ألجامها وانقطعت من شدة الجري أحزامها وعرقت أجسادها وصبرت الفرسان على ما كان من جلادها وانفطرت قلوب آسادها وذهب صلاحها وكثر فسادها ودام على الابطال كيادها وطال عنادها وعدمت القوم رشادها وضاقت على الهارب الارض بجبالها ومهادها وملت النفوس من ضرب بلادها وعدمت من السواعد شدادها وصارت الصدور مثل الارض والرماح أوتادها وعظمت الصرخات وزادت الضجات وعلت الصيحات والزعقات وارتفعت الاصوات وسالت الارواح منتهبة والنفوس بالحرام منتهبة والاجساد عن السروج منقلبة فلله در بني عبس من قبيلة ما أعظم نخوتها وأشد عزمها على قلتها (قال الاصمعي) وأما ميسرة بن عنتر وسبيع اليمن والهطال فانهم أبادوا الابطال وأهلكوا الاقيال وشتتوا الاعداء يمينا وشمال ولم يزالوا كذلك الى وقت الزوال وتقهقرت القبائل وتفرقت في القفار فأول قبيلة طلبت الفرار بني ضبيان وبني هلال وتبعتها بني قريع ونظروا من سيف عنتر البلاء وقد طلبتهم بنو عبس وهم خلفهم في الفلا وملكوا بيوتهم والاموال ومواشيهم والعيال وخاص عنتر أخاه شيبوب وهو لا يصدق أن يراه سالما من الكروب وسأله شيبوب عما جرى له فأخبره بقتلة مازن فبكى شيبوب عليه وأتى عنتر الى وسط المعمعة وأخرج أخيه مازن وقد درسته الخيل فدرجه في قطع من الاديم وحمله على بعض الجمال وعادوا وهم سائرون بالغنائم والاموال الى ان وصلوا الى أرض الشربة والعلم السعدي وقد تجددت على عنتر الاحزان من أجل عروة ومازن وندبت النوادب وقامت المآتم وعظمت المصائب ودفنوا مازن على العلم وكان عنتر أحضر جماعة من بني قريع معه في الاسر فذبحهم على قبر مازن ولما حضر الى الاوطان قام اليه الملك قيس والتقاه وفي أخيه مازن وصديقه عروة عزاه فشكره عنتر وأثنى عليه ومن شدة غيظ عنتر قطع الركوب والمنادمة ولزم بيت الاحزان على فقد عروة ومازن وما كان له من غصوب والغضبان فاستقام على ذلك مدة من الزمان هذا وبنو زياد فرحا بما أصاب عنتر من هذا السوء والضرر وصار الربيع يقول أتبع الله الماضين بالباقين وأما عنتر فكان يبلغه ذلك ويكتمه ولم يزل كذلك مداوم الاحزان سنة كاملة من الزمان وهو بينهم الليل والنهار هذا والعرب تسمع وتأتي تعزيه في عروة وأخيه وقد أبطل الغزوات وأقل من الغارات فصار الفقراء يقترضون من الاغنياء وبعض الناس تداينوا وصارت عليهم الديون فمضوا الى عنتر وقالوا له يا أبا الفوارس قد أضربنا قعودك في هذه السنة وقد هلكوا علانا الدين فنظر اليهم وهو باكي العين وقال لهم اعلموا ان فقد مازن وعروة قد أقعدني ولكن شدوا حيلكم ثم أنشد وجعل يقول

لقد لامني عند القعود رفاقتي * وقالوا ألا تغزو اذا الخيل شدت
فقلت لهم ان كان عروة فيكمو * ومازن يحميكم اذا الخيل كرت
فاني قدير ان أصول بمرهف * وأضرب في الهيجا اذا الاسود كلت
لقد كان يوم الروع يحمي دياره * فلم أر أمثاله يوم حلت *
ولم يك وقافا اذا الخيل أقبلت * ولم يك كلالا اذا البيض سلت
لقد عدمتك المشرفية مازن * وان أصبحت منها برغمي تخلت
فقتله مازن ثم عروة هدني * وقتل غصوب هد حيلي فذلت
وقتلة غضبان سبب كسر خاطري * ولم يتولى ثارهم غير همة *
وسلمى تنادي وبك يا زيد اجني * عمر وتتمنا عند المنية قوات
فقال لها يا عمة جاءت العدى * سراة على الخيل السراة وكرت
وعهدي بعمر وفي الرماح تنوشه * وأثوابه من دمه قد تروت



اذا ذكرت يوما غصوبا ومازنا * وعروة والغضبان بالرزايا جلت
سأبكي عليهم ما حييت بدمعة * وأندب أياما تقضت وولت
وكيف حياتي بعد أسد تغيبت * فلم أر أمثالهم يوم حلت

(قال الراوي) فتباكت السادات وزادت بهم الحسرات وندموا على ما فات ومازال عنتر يندب عروة ومازن الليل والنهار وهو مقيم في الديار فعند ذلك تقدم اليه ولده ميسرة وقال يا أبتاه أنا أمضي معهم ونطلب من الله الارزاق المتيسرة فأمره عنتر وقال له يا ولدي امض مصاحب السلامة مع هؤلاء الرجال فانهم رجالنا على كل حال قال فقبل ميسرة يد أبيه وسار في جماعة من الابطال يطلبون المعاش والمكسب والغزو على بعض أحياء العرب فبينما هم سائرين في بعض الطرقات اذ طلع عليهم هودج في وسط البر والآكام وهو مجلل بالحلل ومن داخله عروس كأنها القمر المنير وحوله أربعين ناقة محملين قماش وأموال ومعهم مائتين فارس مثل أسود الدحال وهم حول الهودج يلعبون وتحت سيوفهم ينقلبون فلما عاين ميسرة الى تلك الاحوال علم أنها عروس سائرة الى بعلها في منازله والاطلال ونظر الى ما معها من الغنائم والاموال فهاله عظم ما رأى من تلك الامور والاثقال فحمل عليهم وهو يقول يا ويلكم يا أيها الرجال اتركوا ما في أيديكم من المال واطلبوا لانفسكم النجاة قبل ان يحل بكم الوبال ثم كب رأسه في قربوس سرجه وصاح وزعق وعلى الهودج والعبيد انطبق وضرب العبد الذي ماسك زمام الناقة بيده أطاح رأسه عن جسده وأخذ بزمام الناقة التي عليها ذلك الهودج فطلبته الرجال ودارت من حواليه يمينا وشمالا لما أن رأوه قد فعل تلك الفعال فكر ميسرة عليهم وطعن في وجوههم ونحورهم واكتالهم كيلا رأى كيل وأجرى دماهم مثل السيل وطحن العبيد طحن الحصيد ورمى جثثهم على وجه الصعيد وساعدته أبطال بني عبس الصناديد قال وكانت هذه الجارية بنت أكال الاكباد وهي سائرة تزف على بعلها امرائر بن ملجم بن حنظلة الطائي والمقدم على الرجال السائرة جنادة بن زياد المعروف بأكال الاكباد وهو أخو تلك الجارية التي في الهودج قال ولما ان وقع بهم ميسرة صاح بهم صيحة أبيه المنكرة ومازال يقاتلهم ويناضلهم حتى أبادهم وأهلكهم ونظر جنادة ابن زياد أخو تلك الجارية هذه الفعال فخرج الى ميسرة يرده عن القتال فلم يمكنه ميسرة أن يصول ولا يجول بل طعنه بالرمح في صدره تركه مقتول وبعد ذلك ولت أصحاب الهودج هزائم بين الجبال وقد تركوا الجارية بهودجها وما معها من الاموال فحازت بنو عبس المتاع والجمال والخيل الغوال وعادوا وهم كاسبين ولما معهم من الاموال غانمين ومازالوا سائرين الى ان وصلوا ديارهم وقر فيها قرارهم فبلغ الملك قيس فعالهم وما قد دخل الحي معهم من أثقالهم فعظم ذلك عليه وكبر لديه وخاف من بني طي وبني كندة أن تطلب قتالهم وتغزيهم في أطلالهم فركب جواده ثم دارت عبيده من حواليه وسار الى ان وصل الى خيام عنتر ودخل عليه فقام له عنتر وسلم عليه فقال له الملك قيس يا أبا الفوارس اعلم ان ولدك ميسرة جاب لنا نارا لا يخمد لها شرار وجلب لنا أبطال تذهل عقول النظار ويحرق منا الكبار والصغار ويشيب لطول حربهم الولدان وتيتم الاطفال وترمل النسوان وكأنك والله ببني طي وبني كندة قد جاؤا الينا مثل السيل ويطالبونا بثارهم الذي كانت أخفته نفوسهم ويحملون بهذه الفعال حجتهم فقال عنتر يا ملك طب نفسا وقر عينا فاذا جاؤا الينا وقدموا علينا بعشائرهم خرجنا اليهم وفصلنا أمرهم مثل عادتهم وأسقيناهم كأس التلاف ولو كانوا مثل عددنا أضعاف فقال الملك قيس سألتك يا حامية عبس بحق من أطلع الشمس وفضل اليوم على أمس الا ما أنعمت علي بالعروس وأموالها وما كان معها حتى انني أنفذها الى أهلها ونعيد عليها أحوالها ونطفي عنا ما جدد علينا ولدك من النار ونعتذر اليهم لعلهم يقبلوا منا الاعتذار فعند ذلك تبسم عنتر من ذلك المقال وقال له أيها الملك المفضال وتربة ولدي الامير الغضبان الذي كان سيد الفرسان وأخيه غصوب قاهر الشجعان ومازن عروس الاقبال وعروة زين الرجال والابطال لو طلبوا من الجمال بعرة أو من المال وبرة أو من الخيل شعرة لم أعطهم منها ولا ذرة ولا أفعل ذلك الا بعد ضرب يهد الجبال وطعن يقد الدروع

الثقال (قال الراوي) فوثب الملك قيس لما سمع ذلك الكلام وخرج من عند عنتر وهو حردان كيف انه لم يقبل له كلام قال فهذا ما كان من الملك قيس وعنتر بن شداد والامراء الاجواد (وأما) ما كان من الخيل الذين انهزموا من ميسرة فانهم ساروا حتى وصلوا الى أكال الاكباد ودخلوا عليه ونعوا ولده بين يديه وأخبروه بسبي ابنته فعظمت مصيبته وفي عاجل الحال كتب الى الامير ملجم بن حنظلة الذي هو زوج ابنته وعرفه بما جرى من قضيته وكيف ان فرسان بني عبس سطوا عليهم وأخذوا من الطريق عروسته قال فلما بلغه ذلك قامت عليه قيامته وقام من وقته وساعته وشخر ونخر وطار من عينيه الشرر وفي عاجل الحال أرسل الرسل الى جميع حلفائه وكل من يعتمد عليه في شدته ورخائه من سكان البراري والفلاة فأتت اليه عدة قبائل وأتته بنو الاسد وبنو القين وبنو كندة الاسود العوابس ومازالوا حتى اجتمعوا في خمسة وثلاثين ألف فارس ما فيهم الا من له على بني عبس دم جديد وقديم ويريد كل واحد منهم أن يحل بهم العذاب الاليم وأيضا أكال الاكباد جمع خلقا كثير وساروا قاصدين أرض بني عبس في هذا الجمع الغزير قال وبلغ الخبر الى الملك قيس ان ملوك اليمن قد سارت اليك مع الملك زياد بن أكال الاكباد والملك ملجم بن حنظلة وقد قصدوا الهجوم عليكم وسائرين اليكم ليأخذوا منكم بثارهم ويخلصوا عروستهم وينفوا عنهم عارهم قال فصعب ذلك على الملك قيس وجمع من بني عبس الاكابر وحدثهم بحديث تلك العشائر فدخل على قلوبهم الفزع الاكبر والخوف والضرر وقالوا له أيها الملك أي شئ السبب في قصدهم الينا وقدومهم علينا فقال يا بني عمي السبب في ذلك ميسرة بن عنتر الذي فعل هذا الفعل المنكر وأنا ما بقيت أرحل من هذه الحلة ما دام لي على الرحيل مقدرة وأخليها له ولابيه عنتر ولا بقي لي معهما مجاورة ومن أجله تأتينا العربان وتقصدنا من كل جانب ومكان فقال له الربيع بن زياد وكان كلامه له دخول وكياد والله لقد صدقت يا ملك الزمان فما عادتنا سائر العربان من أول الزمان الى هذا الاوان الا من أجل عنتر ولولاه ما قدمت علينا هذه العشائر واني أنا الآخر قد تغير عندي هذا الخبر وأريد أن أرحل معك وأسكن في البر الاقفر وقد بلغ هذا الحديث الى أبي الفوارس عنتر فتنغص صفو عيشه وتكدر وقال لابنة عمه عبلة الاترين الى قيس وما يقول في حقي من الكلام والمقال وجحد ما بنيت له ولقومه من المنازل الغوال فقالت له عبلة ارحل بنا يا ابن العم عنهم واترك لهم هذه الديار فقال عنتر ان رحلت في هذه الساعة فيقولوا انه ما رحل الا خوفا من الجيوش القادمة وأما اذا كسرتهم أولا وأرحتهم من تلك الاقوام رحلت عنهم بسلام قال ثم انه جمع بني عمه ورجاله وأطلعهم على ما كان من أحواله وأخبرهم باخبار الجيوش السائرة اليهم وعن سبب قدومهم عليهم وقال لهم ان هذه العشائر التي قادمة علينا وقد أتاني خبرها انها جيوش غزيرة ونريد ان ننفذ الى حلفائنا والى من يكون من أصحابنا الذي يحفظنا ويرعانا (قال الراوي) فبينما هو يدبر في ذلك الامر والمرام واذا بالملك قيس قد وصل اليه وبداه بالسلام وقال له يا أبا الفوارس قد كنا في غنى عن هذا التعب والعنا فقال له عنتر يا ملك ان كنت أنت قد خفت من لقاهم ارحل أنت ومن تشتهي كما قلت ولا تنظرهم ولا تراهم ودعني أنا ومن يعز علي للقاهم حتى أفني أقصاهم وأدناهم فقال له الملك قيس اني أرحل أنا وعشيرتي والطلب كله علي ولاخوتي ولكن الرأي عندي اننا نتساعد عليهم ونلقاهم كان تستصوبوا رأيه فيما به قد أشار وقالوا له ان هذا رأي صواب فعند ذلك كتب في عاجل الحال كتاب وأرسله مع نجاب الى من لهم من الحلفاء والاصحاب وقد اجتمع من بني عبس ستة آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس ثم ان الملك قيس أمر بتحصين المال والعيال وان يصعدوا الى أحاقيف الجبال وأتت الى بني عبس حلفاهم من سائر القيعان واجتمعوا من كل ناحية ومكان وأما عنتر فانه أنفذ أخاه شيبوب وجرير يكشفوا له الاخبار فغابوا أياما قلائل وعادوا اليه على الآثار وأخبروه أن العشائر ما لهم عدد بل هم مثل موج البحر اذا أرغى وأزبد فهنالك أقبل عنتر على ولده ميسرة فوجده قد اشتمل بعدته وهو غارق في لامته فقال له يا ولدي خذ معك مائة فارس من الابطال الشداد وكن طليعة لنا في البر والمهاد وكل من رأيتموه اضربوه بالسيوف الحداد ولا تردوا سيوفكم عن الاعداء

وارموهم بالعناد واحملوا صلاحهم فساد واعلم ان ارسالك لى الاعداء ماهو بخاطرى لانك فضلة ما أبقى لى الزمان من الاولاد فامض فاننى حصنتك برب العباد الذى جعل الجبال أوتاد وبسط الارض والمهاد فركب ميسرة كما أوصاه أبوه وتبطن فى البر والقفار ولم يزل سائرا الى أن التقى بطليعة ملجم بن حنظلة صاحب البنود والرايات وكانوا أربعمائة فارس وهم على الخيل العوابس والسابقات بواتها بحواصيحات هائلات وهجم ميسرة عليهم وقد صدم مقدم الطليعة وأبهره وضربه بالسيف على صدره أطلعه يلمع من ظهره فانهزمت بعده أصحابه فى القفار وأحلوا بهم الهوان وضربوا فى أقفيتهم مثل ضرب الثيران فلم يجدوا لهم بين أيديهم عدوا ولا فرار فولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وحملوا بنى عبس خيلهم وأسلابهم قوة واقتدار وعادوا راجعين وفى سيرهم مجدين والى قومهم بنى عبس طالبين قال فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من المنهزمين الذين انهزموا من بنى طى فانهم لما وقعوا فى الحذر عادوا على أعقابهم خائبين فى البر الاقفر الى أن التقوا بملجم بن حنظلة وكان تابعا لهم على الاثر فاخبروه بما تم عليهم من ميسرة بن عنتر فصرخ وجلب وزمجر وصاح فى جيشه فصفوا عشيته تلك وما زالوا سائرين الى ان أصبحوا فى أرض بنى عبس وكان قدومهم عند طلوع الشمس وقد نزلوا ذات اليمين والشمال حتى ملؤا الروابى والتلال قال فلما رآهم الملك قيس انزعج وقد داخله مما حل به الخوف والفزع وسمع بذلك عنتر فأتى اليه وسكن روعه وطيب خاطره مما نزل به ودخل عليه وقال أى شئ هذا الخوف يا ملك الزمان دع عنك هذا الوجل والرجفان واعلم ان هيبتنا قد سكنت فى قلوب جميع العربان ويكون على علمك انى ما أبالى بجميع الفرسان ولو التقت على خلق البطان وأتتنى عشائر كسرى أنوشروان وعساكر قيصر ملك عباد الصلبان وان كنت قد خفت من ملتقاهم فدعنى أنا وأصحابى للقاهم فان قتلونى وأحلوا بى المنون فدبروا أنتم لانفسكم من بعدى كما تشتهون وافعلوا ما تريدون قال فهذا ما جرى بين الملك قيس وعنتر الهمام (وأما) ما كان من الملك ملجم ومن معه من فرسان الانام فانه دعا بالقطريف بن مناهب فحضر الى بين يديه وكان له محاوب وكان بطلا من الابطال وقيلا من الاقيال وقدمه على عشرة آلاف فارس لهم فى الحرب مقدرة وأمره أن يكون بهم فى الميسرة ودعا بعد ذلك بزياد كالح الاكباد وضم اليه عشرة آلاف من الفرسان الشداد وأمره أن يكون فى ميمنة الحرب والجلاد ورتب عشرة آلاف من الفرسان الشداد وقدم عليهم الفرقوع بن نجاد وتركه فى القلب حتى انه يكون فى مقابلة عنتر بن شداد وجعل باقى الجيش فى الجانبين وأراد بذلك يقضى له على بنى عبس من الثار والدين وكذلك فعلت بنى عبس فى جنودهم مثل أفعالهم وخفقت أعلامهم وكان فى المقدمة عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد وبين يديه ولده ميسرة وابن أخته الغطال وسابق ولاحق فحول الرجال وخلف الملك قيس تحت راية العقاب ودارت من حوله اخوته والاصحاب وعنتر وقف فى القلب وعلى رأسه التنين والازدهار الذى كان على رأس الملك كسرى ملك الاقطار ولما صفت الصفوف وتعدلت الميماه والألوف برز عنتر بين الصفين وأشهر نفسه بين الفريقين وكان راكبا على ظهر جواده الابجر وهو الذى كان كلما كبر زادت قوته ولا يمل ولا يضجر ثم انه زعق زعقة حير بها الطائفتين وسمعتها الجيشين ثم نادى وقال من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفا أنا ابو المعالى العماد أنا قادح الزناد أنا حامى بطن الواد أنا مفتت الاكباد أنا مدحرج الرؤس من فوق الاجساد أنا مرمل النساء من الرجال الشداد أنا ميتم الاولاد من الآباء والاجداد أنا القاهر فى الحرب سائر العباد أنا حامية بنى عبس عنتر بن شداد فاين أصحاب العزمات أين أرباب النخوات أين الملوك والقادات أين أصحاب البنود والرايات ثم انه صال وجال وأروى طرفا من شجاعته للاقيال ولعب بالسيف الصقيل وطعن فى صدور الفرسان بالرمح الطويل فادهش الناظرين وحير عقول جميع الحاضرين وبعد ذلك جاش الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره فانشد هذه الابيات الحسان

ولما رأيت الخيل تمرح كأنها * جداول زرع قد علا فى التنبت

فناديت جاءت أسد عبس غطارفا * اذا طردت طالت قريبا وكرت
بكل حسام فى العظام مصمصم * وسمر القنا قد سارعت واستمرت
وكم خضت فيكم قسطلا بعد قسطل * وقدت ملوكا فى حبال وذلت
بحمد الله شخصا كلما صاب معرك * تولى فرارا مثل كلب بنى مزنة
فكم أرويت الرمح من دم كندة * بطعن اذا ما العين رأته ولت
وكم خضت فيكم جحفلا بعد جحفل * وأرويت طيرا من حسامى وحلت
ولو ان قومى أنصفتنى رماحهم * فعلت فعالا تذكره كل ملة

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من الشعر والنظام نادى هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزاهز فلا يبرز للميدان الا كل بطل مناجز وما يتأخر هذا اليوم الا كل عاجز فلما سمعوا بنى طى وبنى كندة منه حديثه علموا أن ليس لهم به اطاقة ولا لهم على حربه استطاقة فاحتاجوا أن يحملوا كلهم لانهم علموا انه اذا قتل أحدا من ملوكهم كسرهم وبدد شملهم فلم يمهلوا دون أن حملوا وكبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا من وقتهم وساعتهم عن بكرة أبيهم ولم يبق الا الملك ملجم بن حنظلة والملك زياد بن أكال الاكباد لكونهم ملوك تمام فثبتوا تحت الرايات والاعلام ومعهم نفر قليل من الفرسان المذكورين المدخرين للحرب والصدام هذا وعنتر قد تلقاهم وفتك فيهم بشجاعته وسار تارة يطعن فى الميمنة وتارة يطعن فى الميسرة وهو يعمل عمل النار المسعرة وكذلك يفعل مثل فعله ولده ميسرة وكان لهما على الحرب قوة ومقدرة وسار عنتر يقصد القلب والجناح ويجندل فيه من الابطال الاوقاح ويكر على من هناك من الشجعان ويعود الى وسط الميدان وقد أعانته على ذلك بنى عبس وعدنان ومن معهم من الفرسان وكان لهم ساعة تقشعر منها الابدان من كثرة ما انتشر فيها من جثث الفرسان وساروا أكوام فى وسط الميدان (قال الراوى) فبينما هم فى تلك الاحوال والحروب قائمة على ذلك الشان وهم فى ذلك القتال والقلعان واذا بغبرة قد ثارت عليهم حتى ملأت تلك الروابى والقيعان وكان اقبالهم من ناحية ديار بنى عبس وعدنان وكانت جيوشا قد سدت التلال والكثبان قال فتسارعت اليهم الرجال بعد أن كفوا عن الحرب والقتال ومضى منهم من يكشف الاخبار والاحوال فتلقوهم وتبينوهم واذا هم من بنى الشريد وبنى جشم وأهل تلك البادية يقدمهم عمرو وضهينة ومالك والحكم ومعاوية وفى أوائلهم النسر المعمر شيخ العرب دريد بن الصمة الذى بلغ من العمر الطويل ما بلغ ولم ينقص عليه شئ من تلك العزيمة والهمة قال ولما رأى سوق الحرب قائم والطعن بين الطائفتين دائم صاح واحرباه عليك يا أبا الفوارس ويا من ليس له فى هذا الزمان مقايس ولما ان نادى بذلك النداء حمل هو ومن معه وتلقوا الاعداء وقد أثاروا نار الحرب واصطلاها وشك بطعناته صدور الرجال وكلاها وزعق فى الرجال فخاضت الجحفل وجودت فى القتال هنالك حمى الوجل وكثر القسطل وداخل الجبان الفشل وانقطع الرجاء والامل وظهر من عنتر العجب ولم يلحقه ملل وكان ميسرة فى ذلك اليوم بطل وأى بطل ولم يزل القتال يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى ذلك النهار وارتحل وأقبل الليل وانسدل وافترقت العشائر بعضها من بعض وقد امتلئت من أجساد القتلى جنبات الارض وعادت بنى عبس وبنى هوازن يقدمهم دريد بن الصمة وقد ظفروا وانتصروا وأما بنى كندة وملوكها قد تحسروا وخسروا لانهم قتلت شجعانهم وانهدمت أركانهم وعاينوا من بنى عبس وبنى هوازن ما شيبوا ولدانهم هذا وعنتر قد عاد فى مقدمة العربان كأنه لابس حلة أرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهو يزأر كما يزأر الاسد الغضبان ومع ذلك ينشد ويقول

سقيت الغيث من قطر الغمام * الا يا دار عبلة على الدوام
نزلت من الحجاز بغير أرض * وطفت من القباب مع الخيام

خيالك يا ابنة مالك قد أتى * وطيفك يدنيني في منام
أعبلة لو سألت لجمع طي * وكندة أخبروك بني الكرام
سلي سيفي ورمحي عند حربي * وعند الضرب كيف بهم أحام
على ظهر الابجر ليث غاب * أقدمه الى الموت الزؤام
ويحميه فتى شروس عبوس * بأبيض فاصل في الكف ضام
تخال المرهفات به صباحا * يجاوب صوته رسل الحمام
واني حامية عبس المكنى * لكشف النائبات على الدوام

(قال الروى) ولما فرغ عنتر من ذلك الشعر والنظام طربت السادات ولحقها الهيبة ولم يزالوا كذلك الى ان نزلوا في الخيام وأضرموا النيران وأكلوا شيأ من الطعام وتحارسوا الجهات وأخذوا الراحة للمنام ولم يزالوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وركبوا على ظهور الخيل الجرد القداح وتأهبوا الى الحرب والكفاح واذا قد برز عنتر الى الميدان واشتهر بين الفريقان وقال أين الليوث الضراغم أين الاسود القشاعم أين حماة بني طي اليوم أكوي قلوبهم بنار الحرب كي أين فرسان اليمن أين سادات بني قحطان وتلك الدمن ابرزوا الى الجولان في الميدان ان كنتم تدعوا أنكم فرسان وشجعان فقالوا العرب لبعضهم البعض والى متى يهددنا هذا القرنان ابن ألف قرنان ثم انتخت منهم الاقران وهمت بالبراز الشجعان واذا قد بان لهم غبار من بين تلك التلال والقفار وبعد ساعة تقطع وظهر من تحته رجال وأبطال وطلبوا مكان الحرب والقتال وهم ينادون يالثارات الكلاب في مثل هذا اليوم طاب الطعان والضراب وفي مقدمتهم عامر بن الطفيل الفارس القيل وهو ينادي ويقول هذا الفيل يا أبا الفوارس ويا زين المجالس ويا من لم يزل لقبيلته حافظا وحارس قال وكان السبب في قدوم دريد بن الصمة وعامر بن الطفيل العبيد الذين كان أنفذهم عنتر فان عنتر لما رأى ما حل بالملك قيس من ذلك الامر المنكر أنفذ عبدين من عبيده الى شيخ العرب دريد بن الصمة في بني هوازن والى عامر بن الطفيل وفي ثاني الايام وصل شيخ العرب دريد بن الصمة في بني هوازن وفي خامس الايام وصل عامر بن الطفيل ببني عامر وبذلك كان السبب لتأخير العبدين فان في عودتهما أخبرا بني عامر بالخبر كما أوصاهما الامير عنتر ولما وصل عامر بن الطفيل في بني عامر ورأى عنتر كما ذكرنا في محاولة الاقران وكان أول من برز من سادات بني كندة الاعيان يسمى مروان فلما حاذا عنتر وتقابلا الفارسان نادى بعنتر وأكثر من الهذيان وقال له يا عبد السوء انما تأخرنا عن برازك وقتالك الا أنفت أنفسنا منك ومن أمثالك وعار علينا أن نبارز عبدا من أمثالك قال فتبسم عنتر من مقاله تبسم الغيظ وقال له يا ابن اللخنا ان قولك هذا قول من هو غير عاقل لانك تتمنى أنت وسائر ملوك اليمن من بني كندة وبني طي أن تكون نساؤهم وبناتهم مني حوامل فكم من فارس أبلج وملك متوج تركته طعاما للنسور في الميدان ومضى عليه الزمان كأنه ما كان فعند ذلك حمل الفارس على عنتر حملة منكرة فالتقاه عنتر بعزمة باهرة وفتحا في الحرب أبوابا حسان وجالا وأوسعا في الجولان وكان لهم ساعة من ساعات الزمان وهما لا يفترقان ولا يتأخران وفي الحرب لا يقتصران بل كأنهما من الجان ودام بينهما الحرب والطعان وارتفع عليهما في ذلك الوقت الغبار حتى غابا عن الاعيان وما بقي يظهر من الاثنين الا بريق السيفين ولا يسمع منهما الا شخير الجوادين وما زال كذلك هذا والقلوب اليهما متعلقات واذا بتلك الغبرة قد تمزقت والى نحو السماء تعلقت وظهر من تحتها عنتر البطل الصنديد وهو كأنه البرج المشيد وخصمه مجندل على الصعيد (قال الراوي) وكان السبب ان عنتر أتعب خصمه وأكربه وأهوى له بالسيف ان يضربه فوقاني فاستتر خصمه بدرقته فقلب عنتر سيفه الضامي كلمح البصر وضربه تحتاني فوقع السيف على خاصرته خرج من خرزة ظهره فوقع الى الارض نصفين ورمقته كل عين هنالك برز الغطريف بن مناهب الملقب بقارع المناقب وخرج كأنه باشق وهو الذي كان كسر بني عبس سابقا في أول مرة بقوته وفروسيته وشجاعته فخرج ولحقه الغيظ على

عنتر وفي يده رمحه وهو من الحديد يلعب به وهو كأنه البرج المشيد ومتقلد بثلاث أسياف لاجل قتاله أحدهم في ركابه عن يمينه والثاني عن يساره وأما الثالث هو الذي في اعتقاله وعليه ثلاث دروع من الزرد مضاعفة العدد كأنها عيون الجرد لا يقطع فيهم الصارم المهند ولا يخرقها الرمح المسدد وعلى رأسه بيضة عادية ململمة بحليه ترد أسباب المنيه وعلى كتفه درقة خلنجانيه مكوكبة بهلوانيه وهو راكب على حصان أدهم كأنه الليل اذا أظلم بغرة كالدرهم ومقل كالعندم وحمل في عاجل الحال على عنتر من شدة حنقه من غير تأني ولا تظلم وكذلك عنتر الآخر حمل عليه وأطلقا العنان وقوما السنان وداما على ذلك الحال ساعة من الزمان حتى تعجبت من فعلهما الفريقان وتطاعنا بالرماح حتى تقصفت وامتشقا الصفاح التي هي أعجل لقبض الارواح وعلا منهما الصياح ولم يزالا على ذلك التلاطم وهما في الجد والكد والتلاحم وفي أيديهما الصوارم وتعجب منهما كل قاعد وقائم على ما جرى بينهما من الضرب المتراكم وذهبت من تحتهما البهائم وارتعدت من فعالهما الابدان ولم يزالا على ذلك العيار الى أن قرب آخر النهار وعنتر كان له في زيادة واستظهار وأما الغطريف كل ومل وانمحى رسم قواه واضمحل وأيقن بحلول الاجل والموت المعجل وبان لعنتر منه التقصير وعرف منه ذلك معرفة خبير فزعق فيه زعقة عظيمة وضربه ضربة مستقيمة فوقع السيف على رأسه ودام السيف يقطع الى حد أساسه فوقع عن الجواد قطعتين وانجدل صريعا من الجانبين كأنه جزر جزار أو نشر بمنشار فصار يخور في دمه ويضطرب في عندمه فتعجبت الفرسان لتلك الضربة وقالوا والله لقد نكب هذا الفارس نكبة وأي نكبة ولما فعل عنتر ذلك الفعال عاد عن مقام القتال لاجل استقبال من ورد عليه من الابطال فتلقاه عامر بن الطفيل وسلم عليه وهناه بما ناله من الظفر وما نال أعداؤه من الذل والويل





{ تم الجزء الثامن والعشرون من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بني عبس عنتر بن شداد }

الجزء التاسع والعشرون

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من
انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ايث
النزال الامير عنترة بن شداد
وهي السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليه



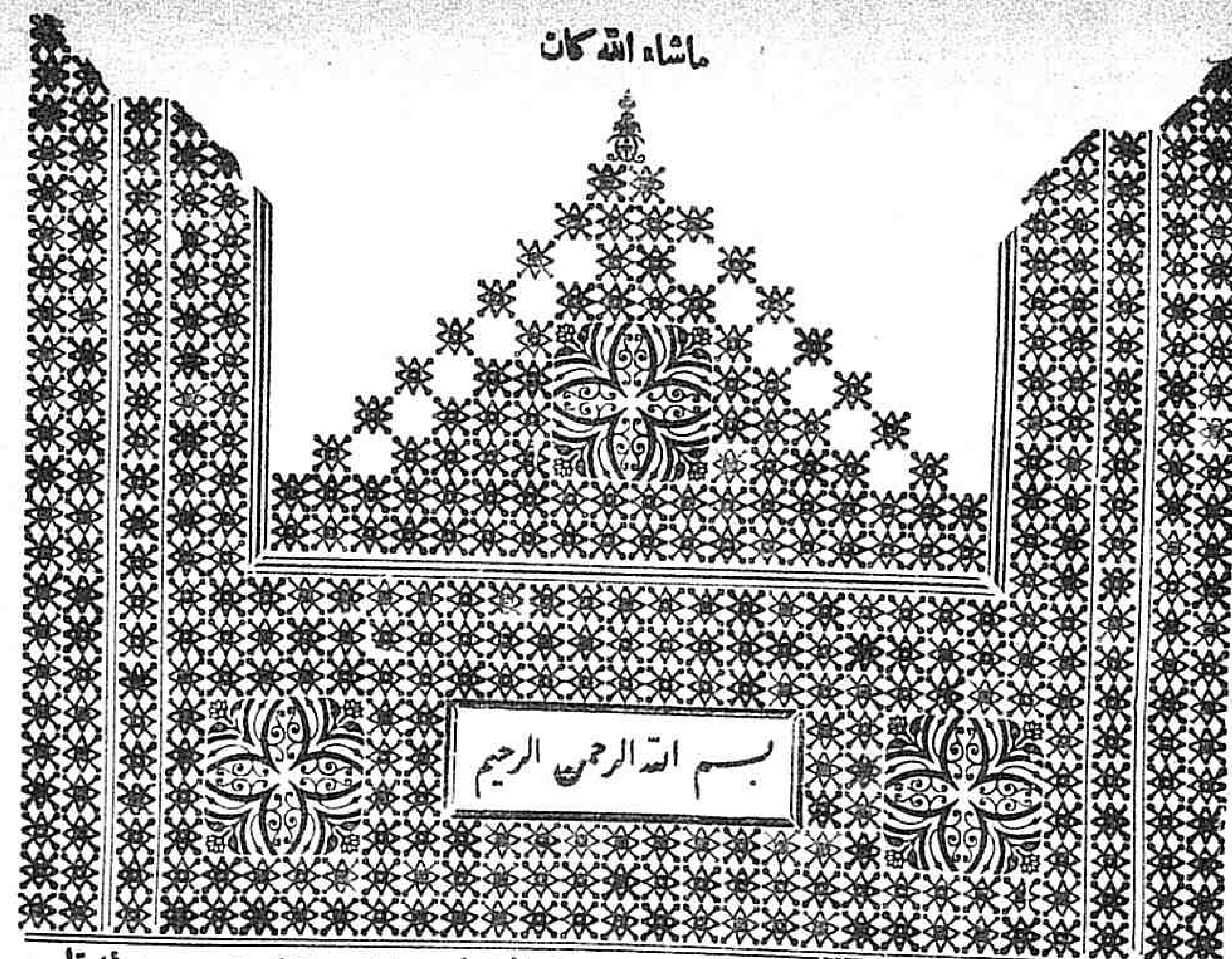


م

محل مبيعه

(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين افندى شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

الطبعة الثانية
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)



(قال الراوى) وكان عنتر أعلم دريد بن الصمة وولده ميسرة الذى له فى الحرب قوة ومقدرة على أنه قاصد العودة الى الميدان ومحل الضرب والطعان فاذا رأيتموهم قد حملوا على احملوا عليهم واحموا ظهرى فاننى أريد أقصد ملجم بن حنظلة وكذا زياد أكال الاكباد أروى من دمائهما أسنة الرماح المداد فأجابوه أصحابه كلهم الى ذلك المقال وقد أيقنوا أنهم اذا فعلوا هذه الفعال تنقضى جميع الاشغال ثم ان عنتر رجع على عقبه وقد أرمى الرمح من يده وجرد سيفه الضامى من غمده واستوثق من الدرقة وكانت من الحديد مصفحة مجلدة من جلود وحوش البحار وأصلها شديد ومن فوقها رمانة بولاد وزنها تسعة أمنان بوزن تلك البلاد فوكز الابجر بهامزه والدرقة بيده تخرج من تحته كأنه الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب فطلب القلب ومجمع الرايات فتراعقت عليه الرجال من سائر الجنبات فلم يعتنى بهم ولا التفت اليهم ولا الى جمعهم ولم يزل على ذلك الاهتمام الى ان وصل الى تحت الاعلام وهى مجتمعة فى مكان واحد كأنهم قضب الآجام ولم يزل يضرب فيها بالحسام حتى برى منها سبعة أعلام وتساقطت الى الارض وتمددت طولا وعرض وبعد ذلك طلب ملجم بن حنظلة وضربه بالسيف على رأسه كاد أن يهدم أساسه فجاءت الضربة بصفحة الشئ يريده الله من بقائه وعدم تعجيل منيته فوقع على الارض تحت أرجل الخيل وقد أيقن بالهلاك والويل ثم ان عنتر طلب بعده زياد بن أكال الاكباد ولم يمهله الى أن لحقه وضربه بالسيف على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه ولم تكن الا ساعة حتى تلاحقت به بنو عبس كأنهم القطا وهم لا يعرفون الصواب من الخطأ وكذلك بنى هوازن وبنى عامر ما منهم الا كل فارس مبارز وبطل مناجز وهز وافى أيديهم السيوف وهجموا على الصفوف وسقوا الاعداء شراب الحتوف وجزروا الرجال جزرا وهبروهم هبرا وسقوهم من العذاب كأسا مرا قال فتلقتهم بنى قحطان تروم الضرب والطعان فدهمهم عنتر وولده ميسرة وهما كأنهما النيران المسعرة وسار يهتك الاقران ويقتل الشجعان وقد طلعت على رؤسهما الغبار الى العنان وصارت مثل الدخان هذا والعجاج حالك وكثير من الرجال هالك فيالها من ساعة ما أعظم شأنها وأشد أركانها شابت الرؤس وضاقت النفوس وكثر الدعاس وقوى المراس وصارت خيل بنى عبس وحلفاؤهم تدوس أجساد الناس

ولم يزالوا كذلك حتى سالت الدماء نجيع وطارت الرؤس هلوعا وسالت الدماء على السواعد سائلات وضرب بالقوم المثل وكثرت الاقاويل وصار العزيز ذليل هذا والضرب جزرا والطعن هبرا والنظر شذرا وأخذوا بنى عبس من أعدائهم كثير من الاسرى وقد بقيت الوجوه مثل العلق اذا أظلم الآفاق ولم تزل نار الحرب تشعل والسيوف تعمل حتى أظلم الظلام ولم يبق من بنى كندة وبنى طى وبنى قحطان لا شيخ ولا غلام الا كلهم ولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار ولا ثبت قدام بنى عبس لا شيخ ولا غلام قال فعند ذلك احتاطت بنى عبس بأموالهم والغنائم وأسلابهم والبهائم هذا وجميع العربان تشكر عنتر وتثنى عليه وتكثر من الدعاء اليه وكذلك ولده ميسرة البطل القسور وصار عنتر يشكر تلك القبائل التى قدمت وتسارعت الى معاونته ويثنى على شيخ العرب دريد بن الصمة العالى العزيمة والهمة وكذلك عامر بن الطفيل الفارس القبيل وأصحابه الانجاب وهم بنى عامر وغنى وكلاب ثم انه ابتدأ يعرفهم بما هو عازم عليه من جهة رحيله من أرض قومه وانه راحل عنهم من يومه وبما قالوه فى حال غيبته وبما لقيه من العيب والمذمة وما تكلم قيس فى حقه من الفساد وبما قال له الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد ثم أنشد هذه الابيات الحسان

خليلى مربى على دار عبلة * انسأل رسما قد جفى عن أحبتى
لاسائلا ربعا بالقا من ذوى الفضا * الى الربوة العليا محل ربابتى
سلامى على أرض الشربة اننى * مفارقكم يا اخوتى وعشيرتى
فوالله لاحليت أرضا اكن بها * مضاما ولا يعرفن أهلى عشيرتى
ستذكرنى قومى اذا جالت العدا * عليهم جهارا فى الدجا والعشيتى
هناك بيان الفعل حقا وتذكروا * فعالى وأهوالى وبأسى وشدتى
الا بلغا عنى وقولا لكندة * دعوا الحرب ان الحرب نار وزفرتى
فلا تبتغوا حربا لعبس فانهم * أسود الثرى فى الحرب غير أذاتى
ولما رأيت الخيل تعثر بالقنا * وقد تهلت منها الذمائم غلقى
أقبلهم سوقا الى الطعن كثرة * انا الحرب عند أنياب زرو كرتى
أنا لا أرى أن تقشعروا زائدى * اذا هى من هول الحروب اقشعرتى
وانى أرم أحمى جميع عشيرتى * وأوقفهم فى المجد اذهى ولت
وقفت فيهم فى موقف لو وثقوا به * جبال الفلاة ذاك الوقت دكتى
ومروان لما رام حربى تركته * يعج نجيعا جزر وحش الشربتى
وملجم فى الهيجاء تركته مجندلا * وغطريف طى خر من هول ضربتى
ولما رأى شخصى زياد فى الوغا * تولى فوا تا يبتغى للمنية *
وطاعنت قحطان وبددت شملهم * بأسمر عسال فولت هزيمتى
وجندلت أبطال المفارق فى الوغا * بعزمى وبأسى فى الحروب الشديدتى
وقد علمت كل الخلائق اننى * علوت بمجدى فى الورى لا بجدتى

(قال الراوى) فلما سمعت الفرسان شعر عنتر فقالوا له أحسنت يا أبو الفوارس ويا زين المجالس لا فض الله فاك ولا كان من يشناك والله لقد صدقت فيما به نطقت ولكن يجب عليك أن تغضب على قومك لانك سيفهم القاطع ودرعهم المانع فوالله ان فارقتهم لا ترى منازلهم بلاقع ويطمع فيهم كل طامع فقال عنتر يا بنى عبس بطول ما احمى عليكم وانا فى حياة الدنيا أنتم فى حرز عظيم وعز عقيم حتى اذا علمت قبائل العرب وأشرارها قد دهمتنى المنية واصطلتنى الرزية فى ذلك الوقت ما يلومون بنى عبس ولم يجتمع منهم بعدى اثنين فى طريق ويتفرق شملهم غاية التفريق ثم انهم عادوا الى الديار ونزلوا فيها وقر بهم القرار فعند ذلك أمر عنتر بذبح النوق والاغنام وأمر عبيده وخدامه بترويج الطعام وترويق المدام واقام باكرام جميع العربان

وأكرمهم غاية الاكرام وعم الخاص والعام مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع تفرقت العرب الى منازلها وطابت أماكنها بعد ما طلبه دريد أن ينزل عنتر عنده وكذلك عامر بن الطفيل حلف عليه واجتهد معه فلم يطع أحدا منهم وكان ذلك تخفيفا عنهم فانصرفوا الى حال سبيلهم وقد خلى سر عنتر فادعى بعمه مالك بن قراد وولده عمرو وأخوه زخمة الجواد وسلم اليهم أموال عبلة وأمواله ونوقه وجماله وكلما يملك من الفضة والذهب والمال مع المكسب وادعى بعد ذلك بولده ميسرة وقال له يا ولدي كلما اكتسبت من المصاغ والفضة والذهب قد سلمته الى أعمامي وهو عندهم فان احتجت الى شيء خذ منهم وأمرك نافذ فيه مثل أمري ونهيك مثل نهيي وأوصى اليه ولو أراد هلاكها جميعا لا تمنعوه منها فقالوا سمعا وطاعة ثم وهب لغلمانه من الاموال غير قليل وأعتقهم وقال لهم لا تفارقون ولدي ميسرة وكونوا معه فقالوا له سمعا وطاعة وأقام ميسرة عند بني عبس والناس يبكون لفراق عنتر بكاء شديد ثم ودع عنتر الناس وكان أكثر وصيته لبني عبس ولده ميسرة وزيد بن عروة بن الورد ثم انه التفت الى ولده ميسرة وقال له يا ولدي ان رأيت من بني عبس ضيم لا تجاورهم أبدا وارحل عنهم أنت وأصحابك الى دمشق فاني ماضي اليها أزور صاحبها الحرث الوهاب سيد بني غسان لانني كثير الشوق اليه وهو كذلك لانك تعلم ما فعلت معه من الجميل والخير الجزيل واياك يا ولدي أنك تذل لاحد من الأنام الا وتقطع رأسه بالحسام ودعه يكون من الاعداء أو من بني الاعمام فقالوا له العبيد الذي قد أعتقهم وأكثر الرجال والفرسان ان لم تأخذنا في صحبتك ونكون في ركابك ورفقتك والا ما يهدي لنا حال ولا تحرمنا من رؤيتك ودعنا نشرح من طلعتك فقال عنتر لا أسير الا وحيد فريد ولا يكن معي أحد صاحب رأي سديد أقل ما يقول الملك قيس في حقي قد أخذ عنتر فرسان الحي معه ليغفروه والا كنت أخذتكم معي ثم انه قال لهم ان كان مرادكم صحبتي فصاحبوا رجال صديقي عروة وولده زيد وان رحل عنكم ولدي ميسرة فصاحبوه وانظروا كيف تكونوا معه ثم ان عنتر سار وقد أخذ معه شيبوب وولده الخذروف وسبيع اليمن وأمه مسيكه وأبوها وأخوتها وبنت عمه عبلة وجعل هودجها محاذي هودج مسيكه بالمسير ثم انه أقبل على عبلة وقال لها يا بنت العم رحلت وتركت الديار للملك قيس والربيع بن زياد فهو من اليوم يتبع رأي الربيع واخوته ويدبروا رأيهم كيف يشاؤن وأما أنا الا عبد للملك زهير وأولاده وان بقيت منهم بنت عمياء مكسحة تبعتها وعدت الناس الى طاعتها فسمعوا أهل القبيلة منه ذلك الكلام فبكوا على فرقته وحسن مودته ودخلوا على الملك قيس وقد أخبروه بما نطق به عنتر وكيف انه رحل من بينهم قال فبكى الملك قيس عليه بكاء شديد وزادت أسفا وتنكيد ثم نهض أن يقوم ويسترضي عنتر ويتلافا قلبه فقال له الربيع وعمارة اترك هذا الاسود الزنيم والبغل اللئيم ودعنا نستريح من مقاساته ومعادات العرب فأنت تعلم ان جميع العربان ما عادونا الا من أجله ولا بد له من بعد غضبه أن يرجع الينا ونقتله وعلى وجه الارض نجندله ونريح العرب منه فدعه يمضي من حيث لا يرجع ولا بقينا نرى وجهه الاشنع ولم يزلوا بني زياد على الملك قيس بمثل هذا الكلام حتى انه قعد عن المسير خلف عنتر لاجل ما بينهم من العداوة والضرر ثم ان عنتر قدم سبعة جمال وحمل عليهم ما يعز عليه من المال وحمل عشرة جمال للأكول والمشروب وأخذ معه خميسة أمة عبلة وأخذ أيضا عبيدا وأماما من أجل خدمته وأخذ معه أمه زبيبة وأخوه شيبوب وابنه الخذروف وأبقى جرير عند ميسرة ولده وأخذ معه من الخيل الابجر والاصفر والاشقر وفرس زياد بن أكال الاكباد ونعامة وكوكب وأمه سكاب وخمس قباب من الاديم وسبع قباب ابريسم وسرادق كبير كان للملك كسرى مكاز وشادروانات وهؤلاء الذين كان أهداهم له الملك كسرى وبعد ذلك رحل عنتر من ديار بني عبس وصار يقطع البراري والقفار والسهول والاوعار وهو يجد المسير في الآكام ليلا ونهار وشيبوب والخذروف في ركابه كأنهما ذكرا النعام الى ان وصلوا الى الرحبة وقد أقاموا بها أيام وبعد ذلك سار الى السبخة وأقام بها ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع حمل وسار الى ان وصل الى حصن قيصر فأقام به ثلاثة أيام ثم رحل في اليوم الرابع وسار الى ان وصل الى مكان يقال له القيقيل وكان طوله ميل وهو كثير العشب والكلأ والماء والمرعى فأقام هناك في أكل وشرب ولهو وطرب مدة أيام ثم صاح بأخيه شيبوب وقال له يا أخي اسبقني الى دمشق واعلم الحرث الوهاب بوصولي

اليه وقدومي عليه فقال له سمعا وطاعة ثم قام من وقته وساعته وأخذ ولده الخذروف في صحبته وركب البر الاقفر فلم تكن الأيام قلائل حتى أشرف على دمشق وبقي قريب منها ونظر الى البساتين والاشجار وسمعا أصوات الاطيار وتغريد البلبل والهزار وروائح الازهار وهدير الماء الهدار (قال الراوي) فدخلا الى دمشق فرأوا الندب والمأتم والبكاء في جميع الرسوم والمعالم والاسواق مغلوقة والقلوب من أهل دمشق محروقة فارتاع شيبوب والخذروف من ذلك قال فبينما هما باهتين والى هذا الحال شاخصين واذا هما بخيول مصبوغة وسروج مقلوبة وجوار منشورات الذوائب لاطمات الخدود مهتكات الوجوه يدعون بالويل الطويل والثبور وعظائم الامور قال فتقدم شيبوب الى بعض الناس وسأل عن الخبر وقال ما بال الناس في هذا الامر المنكر فقيل له يا فتى قد قتل صاحب دمشق الحارث الوهاب سيد بني غسان فلما سمع شيبوب ذلك الكلام زاد به الوجد والغرام وعظم عليه وكبر لديه وعاد من ساعته الى أخيه عنتر وترك ولده الخذروف يكشف له الخبر وكيف كان هذا السبب في قتلة الملك الحارث الغساني وما جرى له من المصائب (قال الراوي) وكان السبب ان الحارث الغساني لما عمر الرصافة وعمرت جعلها هي لنزهته وسكن فيها مدة من الزمان ورحل طالب دمشق وقد علت مرتبته وعظمت هيبته وخافته ملوك البلدان من أهل الشام في مدته وصار له العز والسداد والجزية تحمل له والعداد من أقصى البلاد وانه في بعض الايام أرسل ابن عم له الى بني تنوخ في بعض الاعمال وطالبهم بالجزية فاكرموه وأقام عندهم أياما وليال وما معه غير العبيد وحملوا اليه المال فكان شيء كثير من ثياب ومال وطيب وذهب وفضة ثم عاد طالب دمشق والمال بصحبته فتبعوه قوم من بني تنوخ لما كثر في أعينهم المال لكثرته ونظروا الى عدم الرجال الذين معه وفي صحبته فنزلوا عليه وقتلوه وكلما كان معه من المال أخذوه ووصل الخبر الى الملك الحارث بقتل ابن عمه وأخذ المال منه وكان في خدمة الحارث من بني تنوخ اثنين اخوة وكان أحدهما اسمه مالك والآخر اسمه شمال فاحضرهما الحرث الى بين يديه وقال لهما انني قاتل أحدكما في ثار ابن عمي فقال أيها الملك وما ذنبنا ونحن عبيدك حتى تقتلنا ونحن ملازمين خدمتك والذي جرى على ابن عمك لم يكن بعلمنا أتقتلنا يا ملك بذنب غيرنا فقال الحارث لا بد لي من ذلك فانظروا من فيكم مختار الحياة لنفسه وآخذ ثاري من الثاني وبعد ذلك فلا بد لي ما أكتفي بقتلة واحد منكم حتى اني أسير الى أهلكم وأقطعهم عن آخرهم فقال شمال أيها الملك ان كان ولا بد لك من ذلك فاقتلني أنا ودع أخي مالك فانه خير مني وأنا أولى بذلك فقال مالك بل اقتلني أنا يا ملك ودع أخي شمال فأنا لا أرضى أعيش بعده على هذا الحال فقال الملك أنا أرضى بأنكم تضربون القرعة ما بينكم فمن وقعت عليه القرعة قتلته ثم ان الحارث قارع بين الاثنين فوقعت القرعة على شمال فلما ان علم انه مقتول قال لاخيه مالك يا أخي اقرأ والدتي مني السلام وقل لها ان ولدك شمال شرب كأس الحمام ثم انه بكى وأنشد هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

ومابعد الاقامة في ديار * وما الليالي الدهر بالفائده * فبلغ تنوخ وساداتها
وبلغ سرت بني زائده * ويا مالك بعد موتي فسير * وبلغ سلامي الى الوالده
ويا أم شمال لا تجزعي * أرى الموت شرب لمن وارده * واصبر أجل من غيره
سفوحا ونيرانها خامدة * ومالي في الناس من أسوة * وحسبك من أسوة واحده
فكم من تكون على ولدها * تبيت وهي ساهرة قاعدة * فلم يدفع الموت أشفاقها
ولا هي من ربها جاحده * وأنهم قتلوا مالك * لكنت لهم حية راصده

(قال الراوي) فبكى مالك بكاء شديد وقال أيها الملك اقتلني وأطلق أخي والا اقتلني معه فلم يقبل وأمر السياف فضرب رأسه وطرد مالك من خدمته وأخذ ماله ومال أخيه ونجى مالك على ظهر جواده ولحق بأهله بني تنوخ ودخل على والدته ونعى لها أخيه شمال وأنشدها شعره فقالت له لا صحبتك من هذا اليوم حتى تأخذ بثار أخيك ممن قتله فقال لها كيف الوصول الى قتل الحارث فقالت له يا مالك أما سمعت قول أخيك ولو أنهم قتلوا مالك لكنت لهم حية راصدة فقال مالك لله درك ما أخبرك بالشعر والنظام ثم انه ركب من ساعته على ناقته وأخذ

معه سيف كان ورثه من أبيه ومازال حتى وصل الى دمشق ثم أتى الى رجل خمار ونزل في بيته وأقام عنده ليلا ونهار
وهو يبكي وينشد الاشعار فرق له قلب الخمار وقال له ألست من أى العرب وماجرى لك من المصاب فقال
له يافتى أنا رجل غريب من بنى تنوخ الشجعان وقد قتل أخى الحارث سيد بنى غسان ظلما وعدوان بلا ذنب
ولا عقاب وتركنى هكذا كما ترانى بالبكاء والاحزان فقال له الخمار يافتى عندى رجل حاله مثل حالك فهل لك
أن أجمع بينك وبينه فقال مالك افعل ماتشاء فأخذ بيده ودخل على ذلك الفتى فرآه يبكى فجلس مالك الى جانبه
فقال مالك للرجل يافتى من أى الناس تكون فقال من همدان وقد قتل لى الحارث ولدا وأنت من أى العرب
تكون فقال أنا من بنى تنوخ الشجعان وقد قتل لى الحارث أخا من غير ذنب وكان يقال له شمال وأنا اسمى مالك
فقال الرجل وأنا اسمى لبيد وقد قتل لى الحارث ولدا وأتيت آخذ ثاره منه فدعنا الساعة نشرب ونطيب عيشنا
فلعل تسهل مصائبنا وتذهب عنا غربتنا وأقيم أنا وأنت ههنا ندبر الحيلة في أخذ ثارنا لعلنا نقتل الحارث
وينجلى عنا عارنا فأنا عندى رأى جيد وهو أننا نطلع اليه في عيد الميلاده ونقتله ونبعد عن بلاده (قال
الراوى) ثم ان الحارث كان عادته انه كان يخرج وحده في هذا العيد لايتبعه أحد لا أبيض ولا أسود وكان يرفع
المظالم عن الرعية والذى يكون له حاجة يقضيها له أو مظلمة يرفعها عنه ويطلب بذلك التقرب الى المسيح ثم ان
الاثنين مالك ولبيد أقاموا عند ذلك الخمار شهرا كاملا فلما كان عيد الميلاده خرج كل واحد منهما وقد أخذ
معه خنجرا ولما خرجا من بيت الخمار وقفا للحارث في طريقه واذا به قد طلع من داره قبل طلوع الشمس ولم يكن
معه أحد من عشائره بل هو وحده كما جرت عادته فتلقاه الرجلين فقال مالك للبيد تقدم أنت اليه واشغله واجعل
انك مظلوم واشغله بالحديث وأنا أكفيك أمره ثم ان مالك أكمن وهو مستظهر بخنجره وتقدم لبيد وكلمه واشتغل
والحارث معه في السؤال فطبق عليه مالك وضربه على عاتقه أخرج الخنجر من علائقه ثم ثنى عليه بأخرى وقطع
أمعاه وأخرج مافى وعاه فتواثبوا اليهم واجتمعوا الحاضرين وقبضوا على الاثنين وسلموهما الى نائبه فحبسهما
في قلعة دمشق وأقاموا بعد ذلك ثلاثة أيام وهم قائمون الاحزان ثم انهم أنزلوا الرجلين من القلعة وقد أحضروهم
الى القتل فأنشد مالك التنوخى يقول

ياأخوتى بالغوا ولاتدعوا * بنو تنوخ اذهبا رجعوا
الاتجدوا مثل ماوجدت أنا * ولى زمان قد مسنى الوجع
يابنى غسان قد قتلت سيدكم * فاليوم لاخوف من الموت ولاجزع
حله صفاح الحديد من قدم * في أصواعق للحتوم قد سطع

(قال الراوى) وبعد انشاد مالك قتلوا الاثنين وحان عليهما الحين ثم انهم أقاموا على الحارث البكاء والنواح
وقد ذهبت عنهم الافراح وحلت بهم الاتراح هكذا مساء وصباح وفى تلك الايام التى نحن فى ذكرها وصل
شيبوب أخو عنتر وولده الخذروف وجرى ماجرى وعادوا الى عنتر وأعلموه بالخبر وأطلعوه على جلية الاثر
فعظم ذلك عليه وكبر لديه ثم انه سار حتى دخل الى دمشق ونزل فى الميدان الاخضر وطلعت اليه أهل البلاد
والعوام وسلمون عليه وقبلوا يديه ودخل الحاجب الى حليمة بنت الحارث بشرها بوصول عنتر بن شداد
ففرحت بقدومه الى ذلك البلاد ووقع الصياح فى دمشق الشام بوصول عنتر وانزاله فى الميدان الاخضر قال
فطلعت اليه أرباب الدولة وأكابر البلد والقسيسين والرهبان والبترك الكبير والمطران وسلمون عليه
وأخرجون له الاقامات والعلوفات وحدثوه بقتل الحارث فبكى عليه بكاء شديدا وتأسف عليه ثم انهم أدخلوه
الى البلد وأنزلته حليمة فى دار عالية البناء واسعة الاركان وهى نزهة للناظرين هو ومن معه أجمعين وأنفذت
اليه الفرش والمأكل وكل مااعتاده وجميع مايحتاج اليه وقد أقام عنتر مخدوم مكروم شهر كامل وهو يأكل
ويشرب ولما ان كان بعد الشهر أنفذت حليمة وطلبته اليها ولما حضر نصبت له كرسى من الذهب الاحمر مرصع
بالدر والجوهر فجلس عليه عنتر وأحضرت له الطعام من خاص سائر الالوان فأكل حتى اكتفى وبعد ذلك
قالت له ياحامية عبس اعلم انه من عام قتلت المرزبان وأبوالدوح وكثرة الجيوش لذى لاياس بن قبيصة

ماعدت ذكرتنا ولازرتنا ونحن مشتاقين الى طلعتك وندعولك فى السر والجهر لانه مارد علينا الملك الا أنت
فلا أعدمنا الله طلعتك فقال لها عنتر ياملكة أنا قد أشغلنى عنكم ماجرى علينا من الاحكام وصروف الليالى
والايام وقد عدمت الاخ والاولاد ومافتت الاكباد ولقد صعب على والله فقد أبوك ونسأل الله أن يطيل
عمرك ولايعدمنا شخصك فاعلمينى من خلف بعده على الرعية وسياسة الملك فقالت له ياحامية عبس قد
خلف ولدا وتركه طفل صغير عمره تسع سنين وأنا خائفة من صاحب الحيرة وعشائر العراق أن يأتوا ويجتمعوا
بدمشق ويأخذوها ويقتلوا أخى فقال عنتر كانوا فعلوا هذا الفعال اذا لم أكن أنا حاضر ههنا ومادمت مقيم بها
مايقدروا يقربوا الى جهة الشام من شدة بأسى وقوة مراسى فقالت حليمة اعلم ياأبو الفوارس أن الرب القديم
قد من علينا وبقدومك الى الشام فقال عنتر لحليمة احضرى أخوكى حتى انى أنظره فعندها أحضرت حليمة
الغلام الى بين يدين عنتر الطر الهمام فأخذه وأقعده فى حجره وبكى عليه ساعة زمانية ودخل عنتر الى المجلس
الذى كان يجلس فيه الحارث وأنفذ من ساعته خلف الحجاب والوزارة والنقباء والاصحاب وأرباب الدولة
فحضروا ووقفوا بين يديه ثم انه أمر العبيدات تنادى فى جوانب دمشق بالحضور الى مجلس الحارث فتسارعوا
الناس يهرعون الى القصر مثل الجراد المنتشر وجلسوا أرباب الوظائف فى مراتبهم المعروفة بهم وأبصر عنتر
سريرا فأمر الخدام ان يضعوا عليه المساند والوسائد وأجلس ابن الحارث على ذلك السرير وكان اسمه عمرو وقال
عنتر يامعاشر العرب من بنى غسان وبنى قحطان اعلموا أن هذا الصبى بن الملك الحارث وما فيكم الا من يعلم
ماصنع أبوه من صيانة الحريم ومن انصافه لكل مظلوم ورد الغريم وتعرفوا أيضا منزلته كيف كانت وما كان
يفى بينه من المودة والاحسان وهذا ولده وهو وارث الملك من بعد أبيه وأنا قد أجلسته مكان أبيه ومن
عانده فقد عاندنى ومن أولاه فقد أولانى فبايعوه على الملك مثل مابايعتم أبيه وأنا أحامى عنه بسيفى الى أن يكبر
وآخذ وأسير به الى قيصر ملك الروم وآخذ له منه الشام ومايليها من الرسوم فقالت العرب المتنصرة وأهل
البلد لله درك ياأبو الفوارس اشهد علينا باننا بايعناه وقد أقررنا انه ملكنا وصاحب حلنا وعقدنا كما كان
أبوه من قبله وهكذا نحن نكون تحت أمره كما كنا تحت أمر أبيه كرامة لك ومالنا حاكم غيره فقال لهم عنتر وأنتم
اشهدوا على انى أكفيكم مؤنة أهل الشرق والغرب والعجم والترك والديلم والروم والافرنج وان أحد عاداكم
فأنا لكم وبين أياديكم فعند ذلك آمنت الناس وانصرفت العوام وهم فرحانين بفعل عنتر وقعاده عندهم قال
ودخل عنتر الى حليمة وقال لها والله ياملكة ان أخوكى له رونق عظيم وهو على سدة الملك مقيم وقد أطاعه
الخاص والعام وارتفع مقامه الى أعلا مكان فقالت حليمة لاأعدمنا الله طلعتك ياحامية عبس ويا كاشف كل
هم وبأس ثم أنفذت حليمة الى عبلة وزبيبة ومسيكه وأحضرتهم فى دارها وأجلستهم على سريرها وقدمت
لهم الطعام المختلف الالوان وكان طعاما لم رأوا مثله قط ولا أكلوا شكله فأكلوا منه بحسب الكفاية وحليمة
تلقمهم الى أن شبعوا وبعد ذلك دار عليهم المدام بكاسات من الذهب الاحمر وأباريق من العسجد وخلعت
عليهن الخلع الثمينة والثياب البهية من خلع الملك قيصر وقدمت لكل واحدة منهن عشر جوار روميات
كأنهن الاقمار وثلاث نوافج من المسك وخمس طبلات من العنبر وثلاث عقود من الجوهر ثم جلسنا
يتحدثن وزبيبة تشكرها وتثنى عليها ثم هموا بالانصراف فودعتهم حليمة وسارت كل واحدة منهن الى منزلها
ودخلت عبلة على ابن عمها ومعها تلك الاموال فوجدت قد أتى الى ابن عمها من الاموال والتحف والهدايا من
كبار الشام شئ كثير ففرحت بذلك الا انها تحيرت مما نظرت وعاينت وشاهدت وعنتر أيضا تعجب مما
رأى مع عبلة من التحف التى قد أعطتها لها حليمة ونظر عنتر الى تلك الجوار كأنهن الاقمار فقال عنتر والله يابنت
العم مافى خزائن أبوكى ولاملككم قيس مثل هذا فضحكت عبلة وقالت ياابن العم انها أعطت مسيكة وأعطت
أمك مثلها فضحك عنتر وقال وأمى الاخرى ثم انه قام الى منزل أمه فوجد شيبوب وولده الخذروف عندها
والجوار حولها وقد عظموها ورفعوا قدرها فأقبل عليها وهناها بما أعطتها حليمة فنهضت اليه وتبسمت فى
وجهه وفرحت به وضمته الى صدرها وقبلته ثم قالت له ياولدى أقر الله عينك ولا أشمت بك عدو الا انى

بوجودك ارتفع قدري وعظم شأني ففرح بقولها وقبل رأسها وعنقها ويديها ورجليها وطلب منها الدعاء ومضى من عندها ثم أقبل الى ابنة عمه عبلة فتقدمت اليه وقبلته فأخذها الى حضنه وضمها وقبل ورد خدها والثم ترياق ثغرها واخذها على ركبته وسار يتحدث معها هذا وقد نفذ أمره في دمشق وأعمالها فلو أراد أن يملكها لملكها لأن ما تم أحد في دمشق الا وهو خائف منه ومن سيفه قال فبينما هو جالس مع عبلة يتحدثون واذا بشيبوب قد دخل عليه وقال له يا ابن الام خادم رومي كأنه القمر يريد الدخول عليك فقال له دعه يدخل فعند ذلك ترجل الخادم ودخل على عنتر وحط بين يديه رزمة فيها ثلاث خلع مقصبات من ملابس الحارث كل واحدة لون وثلاث عمائم وثلاث مناطق ذهب بفصوص الياقوت وثلاث نوافج من المسك الاذفر وعشر طبلات من العنبر وفرسين سابقين بعددهما من الذهب ورمحين مصفحين بصفائح الذهب الاحمر وعمودين من الذهب وكل عامود له حرابة مدمكة بالذهب الاحمر وزرديتين منمسين بالذهب ثم قال له يا مولاي ستي حليمة تسلم عليك وتقول لك هذه عدة أبوها وهي لك هدية ففرح بها غاية الفرح وقبلها وسمى الفرسين الواحدة غراب والثانية عقاب ثم قال ستي الملكة حليمة تريد من فضلك ومن احسانك أن تكون كل يوم تقعد وتضع أيديها في سدة الملك ولا تترك أحدا من الجند ينقطع عن الخدمة الا في كل يوم يأتون الى الديوان ويسلمون عليك فقال السمع والطاعة وانصرف الخادم وثاني الايام عملت حليمة سماط كبير ودعت عنتر اليها فحضر وأكل وشرب ولما ان كان من الغد لبس أفخر ثيابه ودخل الى القصر وكانوا قد فرشوه الفراشين بالفراشات المثمنة وأقاموا الغلمان على رأسه كأنهم الولدان الحسان ووضعت المباخر من الفضة والذهب وفيها من العود القماري ونصبت الكراسي من العاج والابنوس والحديد الصيني وفيهم ذهب وفضة ودخل عنتر وجلس على سدة الملك وقد أقبلت الحجاب والنواب والوزراء وأرباب الدولة ويسلمون عليه وجلس كل شخص في محله وامتلئ المجالس بالناس وأقبل عمرو بن الحارث ومعه الخدم والغلمان وهو كأنه غصن بان وعلى رأسه تاج الملك فقام له عنتر ووقف بين يديه وأقبلت الامراء وصاروا يسلمون على الملك وهو يرد سلامهم ويأمرهم بالجلوس ولما استقر قراره قام عنتر قائما على قدميه وقال يا معاشر الامراء والاجناد والوزراء سادات الاجواد اعلموا ان كل من كان له ديوان ومراتب فلا يغيرها ومن كان له مال يستوفاه فلا ظلم ولا جور وكل من تعدى أو حقد على رفيقه أخذت روحه وخمدت نفسه فقالوا أجمعين سمعا وطاعة يا أبا الفوارس ودبر أنت ما أردته من عقلك وأنت الحاكم علينا الى ان يكبر ابن ملكنا فقال عنتر يكون ذلك واذا كبر أخذته ودخلت به الى بلاد الروم وأخذت له التشريف والخلع والانعام وأدع البلاد بحكمه وتحت يده وان لم يرضى قيصر بهذه الاحكام هممت رقبته بحد الحسام وأخربت بلاده وأهلكت عشائره وأجناده وان زل بعد ذلك من بأسي واستجار بي جعلته تحت حكم هذا الصبي وقعدته هذا في سدة الملك وجعلت قيصر في خدمته فعند ذلك وقع الدعاء في قلب كل من كان حضر الا انهم شكروه وسارت حليمة في كل وقت ترسل الى عنتر المال والجواهر وأقام عنتر يدبر الملك ستة شهور وقد تواصلت الاخبار بموت الحارث الوهاب الى بلاد الروم ووصلت أيضا الى الملك كسرى ملك العجم وأيضا علم صاحب الحيرة الملك الاسود بقتل الحارث الوهاب وأرسل الملك الاسود الى الملك كسرى وتشاوروا مع بعضهم بعض في أخذ دمشق ويسيرون اليها في جيوش العرب والعجم والديلم ولما عولوا على ذلك أتتهم جماعة من الجواسيس وأخبرت ان عنتر بن شداد هو الحاكم في ذلك البلاد وكانوا قد جيشوا الجيوش قدر بمائة ألف فارس من كل بطل همام مع كسرى ملك الاعجام وقد عولوا على المسير والجد والتشمير الا انهم لما سمعوا بان عنتر هو المتصرف فيها فارتخت عزائمهم وقالوا ما لنا بعنتر ولا بحربه طاقة لا سيما صداقتنا معه ومعنا عهد منه لا ننقضه وأما الملك قيصر ملك الروم لما وصل اليه الخبر قال ومن هو المتولي على البلاد الآن من بعده فقالوا له ولده وهو طفل صغير فقال قيصر كان الواجب أنه يأتي الى قبل أن يجلس لاجل ما كنت أعطيه الخلع والتشريف فقالوا له اعلم أيها الملك أن عنده من أرض الحجاز اليوم فارس غيور وبطل جسور قد أذل العباد وقهر الفرسان الشداد وهو فارس عبس المسمى عنتر بن شداد وهو الذي أقعده على الملك وبايع له جميع العشائر والاجناد وقال اذا لم

يرض الملك قيصر بما فعلت والا سرت أنا اليه واستلبت منه ملكه ونعمته وضربت رقبته ان لم يدخل تحت طاعتي ويقف في خدمتي وقد عزم أنه يأخذ ابن الحارث ويأتي به اليك فقال الملك قيصر وكيف تركوه ملوك العراق يتمكن من ذلك فقالوا له اعلم أيها الملك أن الملك كسرى ونائبه الاسود لما سمعوا بموت الحارث اهتموا وأرادوا أن يسيروا بالعشائر من عرب وعجم ويأخذوا دمشق فلما سمعوا من الجواسيس ان عنتر هو الحاكم على الشام انحلت عزائمهم وبردت شوكتهم وقالوا ما لنا بعنتر طاقة (قال الراوي) فلما سمع ذلك قيصر قال أما عنتر فخلاص مني المأسورين وقاتلنا يومين وأخذ الرهائن من خيار الاقوام وفعل فعل الكرام وحق المسيح ائن أتى عنتر وطلب مني الولاية لابن الحارث لم أرد طلبته وأقضي له حاجته وأبلغه كلما طلبه ولا أترك عشائري تبتلي بحربه ولا بقتاله وأعطيه الخلع والاموال ولا أرده من عندي الا وهو منشرح القلب ولا أبتلى منه بطعن ولا بضرب (قال الراوي) وكان بمدينة بغداد قرية يقال لها قرقيسة وبها ملك من ملوك الروم من أقارب الملك قيصر وهو شيطان مريد وجبار عنيد وكان يفرق الاموال على البطارقة ويأمرهم بفساد العشائر والابطال وكان مراده أن يتقوى على الملك قيصر ويقتله ويأخذ ملكه فعلم قيصر ما قصده وأنه قد عزم على هلاكه فاستدعى بعض البطارقة والرهبان والعمالقة وأرباب الدولة ومن له قوة وقدرة وقال لهم اذا نظرتم صاحب قرقيسة قد دخل وهو حامل سلاحه فاقبضوا عليه هو وجماعته فقالوا السمع والطاعة فلما كان في ميعاد القدوم وأقبلت جميع ملوك الروم وكان بالجملة صاحب قرقيسة وكان خاطر الملك كما ذكرنا وأقبل الملك هابيل على بطارقته وجماعته وكل من كان في صحبته وهموا أن يتواثبوا على الملك قيصر في حال دخولهم عليه فأجابوه الى ذلك فلما كان وقت الجلوس ودخل هابيل على الملك قيصر وأرادوا جماعته أن يفعلوا ما أمرهم فكانت دولة الملك قيصر أسبق الى القبض عليهم فقبضوهم وأرادوا ان يسقوهم شراب المهالك فلم يمكنهم الملك قيصر من ذلك وقال لهم قيدوهم واجعلوا في أعناقهم الاغلال والباشات الثقال ففعلوا ذلك وسلموهم الى بعض البطارقة ودخلت جماعته وأصحابه وبطارقته وفرسانه وهم يريدون الهجوم على قيصر فسمعوا أن صاحبهم قد قبض عليه هو ومن معه وهم في الحديد والاكتاف الشديد وسمع الملك بدخول ما تبقى منهم فأمر بالقبض عليهم كلهم فقبضوهم بأجمعهم كما ذكرنا وقيدوهم كذلك وشدوا عليهم الوثاق وضاق بهم الخناق وقررهم الملك فقروا له بجميع ما كان عزم عليه صاحبهم هابيل فعزم قيصر على قتله فسأله فيه بعض خواص الملك وضمنه فقال الملك وحق المسيح ما أطلقه ولا أسلم اليه عفا لا طول الابد ثم ان الملك أنفذه الى قلعة وهي في جانب بحر الفرات يقال لها قلعة زربيا فسجنوه فيها وأما أصحابه وحجابه الذين أتوا معه فانهم بذلوا في نفوسهم مالا كثيرا للموكلين بسجنهم فأخذوه منهم وأطلقوهم فساروا الى القلعة التي فيها صاحبهم هابيل وقد توصلوا اليه وأشاروا عليه أن يبرطل الموكلين به بالمال ويعطيهم الاموال ليخلصوه فأمرهم بذلك وبرطل هابيل بالاموال وبذل على نفسه التحف والجواهر الغوال حتى خلص ونزل في المركب وسار الى ان وصل الى انطاكية بمن معه من أصحابه وسار يغير على القرية ويأخذ منها اموال وينهب وسار يقطع الطريق ويأخذ القوافل وأموال التجار نهبا ويفرق على أصحابه ومن يجتمع عليه حتى صار معه مال بكثرة وبقي معه عشائر مستكثرة وسار الى انطاكية فخرج اليه صاحب انطاكية فقتله وهربت عشائره فقال له أصحابه بحق المسيح ارحل بنا لا يسمع قيصر فيجد في طلبنا أو انه يرسل خلفنا عشائر مثل البحر الزاخر فعند ذلك رحل وسار الى حلب فركبت عليه عشائر حلب فكسرها ونهب خيولها وصار يجتمع عليه كل زنديق حتى صار معه عشرين ألف فارس فأخذهم وسار بهم الى الفرات وحاصر بلادها وأقام عليها أيام فأعطوه أصحاب البلاد مال كثير ورحل عنهم فقال له واحد من أصحابه وكان اسمه قابوس مقدم عند النصرانية معتبر عند أهل الملة المسيحية فقال له اعلم أيها الملك أنك ضيعت أيامك وشهورك وأعوامك وقد سارت معك هذه العشائر القبيلة والغلمان وأن الحارث الغساني صاحب دمشق الشام قد مات وهي الآن بلا ملك وان سرت اليها وملكتها ملكت انطاكية وسائر البلاد أقصاهم وأدناهم قال فلما سمع هابيل من حاجبه ذلك

الكلام رآه صواب ورحل من ساعته بهذه العشائر التى كأنهم الجراد المنتشر وقد انضاف اليه عالم كثير
وجمع من العرب مالا غزير فهذا ما جرى من هؤلاء (وأما) ما كان من عنتر فانه اعتمد أن يأخذ الملك عمرو بن
الحارث ويرحل الى مدينة القسطنطينية ويدخل به الى الملك قيصر فسمع بخبرها بيل صاحب قرقيسة وانه قد
عصى على الملك قيصر وانه يريد أن يأتى الى دمشق ويأخذها ويقتل عمرو بن الحارث وبعد ذلك يصل الى
انطاكية ويأخذها ويبيع ما فيها ثم ينقلب على ملك الروم ويأخذ موضعه فلما سمع عنتر ذلك حلف أنه لابد
ما يأخذ قرقيسة ويجعلها لعمرو بن الحارث بعد ما يقتل صاحبها وكان قيصر قد سمع عن هابيل أنه خلص من قلعة
زوبيا وأنه قطع الطريق وخان الرفيق وسار طالب قرقيسة وانطاكية والبلاد كلها بأجمعها فأنفذ الملك
قيصر جيش جرار مع وزيره فسبق وقعد على قرقيسة وأما عنتر فانه جيش الجيوش من سكان البلاد وقد أخذ معه
عمرو بن الحارث وسار يجد المسير ليلا ونهارا حتى وصل الى مدينة قرقيسة فوجد وزير قيصر نازل عليها فلما سمع
بوصول عنتر وعمرو بن الحارث ومن بصحبته فركب وقد التقاهم من وقته وساعته وسلموا على بعضهم وأخبروا
عنتر بما جرى من هابيل المجنون وانه أفنى البطارقة وأهلك العمالقة فوعده عنتر انه يأخذه أسير ويتركه
مجندل عفير ثم انهم أنزلوا العشائر ونزلوا حول قرقيسة وباتوا تلك الليلة فى أكل طعام وشرب مدام وأخذ الهم
الراحة بالمنام ولما أصبح الصباح ركبوا الخيول وساروا فى ذلك البر وركب البطريق هابيل فى ثلاثين ألف
فارس شداد كأنهم من قوم ثمود وعاد وكان أول من استفتح الحرب البطريق هابيل وطلب البراز وسأل الانجاز
فخرج اليه عنتر بن شداد فارس الحجاز ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وجالا طويلا
وأبعدا ميلا وغاصا فى الاوابد وصبرا على الشدائد وأخذا فى الطعان والضراب ولم يطل بينهم الخطاب حتى
ان عنترة أتعبه وأكربه وطعنه فى صدره أطلع الرمح يلمع من ظهره فوقع هابيل على الارض صريع يعج
علقما ونجيع ولما رأت الروم الى هابيل صار مجندل عفير ولوا منهزمين وللنجاة طالبين ولم يبق لهم اقامة
فتبعوهم أصحاب عنتر وأصحاب الوزير ونهبوا منهم شئ كثير وباتوا تلك الليلة وهم كثير والافراح والسرور
والانشراح وأجلس عنتر عمرو بن الحارث على سرير الملك وانفذ خلف وزير الملك قيصر والحجاب وأرباب
الدولة وأوقفهم فى الخدمة لعمرو بن الحارث وقال لهم اعلموا أنى قهرت هابيل وفرقت عشائره وأريد أن أجعل
هذه المدينة لعمرو بن الحارث لاجل أن يبقى معه دمشق والرحبة حتى تقوى جنده وتكسر عشائره وهذه
قرقيسة قد حصنوها أهلها فزعا منا وطلبوا أن يدمروا علينا فما عندكم من الراى فقالوا له يا أبا الفوارس اكتب
اليهم كتاب وحذرهم وانذرهم وهددهم فكتب عنتر كتاب يقول فيه اعلموا يا أهل قرقيسة ومن حضر منكم ومن
غاب ان هابيل صاحبكم قد قتلناه وكسرنا جيشه وأبدناه فانه كان قد عاد الملك قيصر وعصى عليه فان عاديتم
الملك غضب عليكم المسيح بن مريم وحلنا عليكم مع انى أنا وحدى فى الكفاية لكم ومايعظم على العبور اليكم
فسلموا الى المدينة بلا عناد فأنا فالق الجماجم وفارس العرب والاعاجم وفارس بنى عبس وعدنان وشجاع
أهل هذا الزمان وأنا أقسم بالله ان لم تسلموا الى المدينة لم تلاقوا منى خير وأهجم عليكم وآخذ أموالكم وأسبى
نساءكم ولم أبق منكم ديار ثم انه أنفذ الكتاب مع بعض غلمان الملك قيصر فعبر فى شختور وكان المتولى على
حصن قرقيسة قد أخرج مائتين خشبة ووضعها حول الفرات ومنع الناس من العبور فلما جاء الشختور قال
أنا رسول فساروا به الى المتولى على قرقيسة فأخذ منه الكتاب وقرأه وفهم رموزه ومعناه فقال المتولى وحق المسيح
لولا أنك رسول لرميتك من أعلا السور ثم انه مزق الكتاب وقال له ارجع الى صاحبك وقل له لو أقام ههنا ألف
عام وعمرت أعمار النسور ما تمكن من العبور ثم انه رد الرسول بالكتاب ولما رجع الرسول الى عنتر وأخبره
بذلك الخبر فغضب عنتر وركب فرسه الابجر وخطف رمحه فقالوا له الى أين يا فارس العرب وسيد من ضرب
فى البيد أوتدا ومد طنب قال مرادى أدخل الفرات على ظهر جوادى وأعبر الى الجانب الآخر وأورى أهل
قرقيسة ما أفعل ومن هو أقدر على الحرب وأصبر ومن يربح ومن يخسر اذا أشهرت هذا الحسام الذكر
فقالوا له يا أبا الفوارس لا ترمى نفسك فى الفرات فانه عميق ولكن اصبر حتى نعمل زوارق ونعبر عليها فقال

عنتر معاشر الناس ائتونى بالاخشاب والنجارين حتى نعمل زوارق لاجل نعبر عليهم الى هؤلاء القوم المخالفين
(قال الراوى) وكان الى جانب قرقيسة قصر عال يقال له قصر بنى هريج وفيه رجل من العرب وله احد عشر
أخ وكان عارفا بصناعة الزوارق فأنفذ اليهم عنتر وأحضرهم جميعا وأشار عليهم فى شغلهم الزوارق فما أصبح
الصباح الا وقد عملوا نحو عشرين زورق وفى ظرف أيام قلائل اجتمع زوارق بكثرة وعبر عنتر عليهم الى الجانب
الآخر ومعه عشرة آلاف فارس من كل مدرع ولابس غائصين فى الحديد والزرد النضيد وكان عبورهم
فى الليل ولما انبسط النهار وزعق عنتر زعقة عظيمة ارتجت لها البطاح وكذلك العشرة آلاف فارس زعقت
معه وحملت وهدرت فوصلوا الى السور وكان على الفرات ألف رجل يحرسون المكان فحال العشرة آلاف
بينهم وبين البلد وحالت عليهم فرقة من عشائر عنتر فما منهم الا من طلب الحرب والهزيمة وكانت لهم أوفى غنيمة
وكان عنتر يضرب الرجل بالعامود فيهرسه ويخسف هامته ويخرج مخه ويفجع فيه أهله وعشيرته وقد أنزل
على الجيش البلاء وأدخلهم أبواب قرقيسة وهم يطحنون بعضهم بعض ومن وراءهم عنتر وعشائره وقد أهالهم
ما رأوا من فعاله وهو قد تمنع الصور بزعقاته وأهلك الفرسان بسطواته فدخل الرجال الى الحصن وتحصنوا
فيه وقد رفعوا الاحجار على الابراج وترجل الرجال عن خيولهم وأحاطوا بحصن قرقيسة أكثر من أربعين
ألف فارس وخيال وقد دام القتال وعظم النزال وتقطعت الاوصال وظهرت الاهوال وعنتر فى أوائل
الفرسان والحجارة تنزل عليهم مثل الامطار وهم يتقوها بالدرق الى نصف النهار ونزلوا بالفرات على الزوارق
وهم عدد التراب وقد جاءتهم نجدة من الروم سبعة آلاف فارس وامتلأت بهم الارض ذات الطول والعرض
وكان عنتر ضرب للملك عمرو قبة على الفرات واجتمعت الناس من حوله ثم ان عنتر جرد من العشائر خمسة آلاف
فارس وأمرهم بلبس الحديد وأعطاهم خمسة آلاف سلم وأمرهم أن يلصقوهم الى جانب السور فقال له الوزير
لله درك يا حامية عبس وشكره على ذلك سائر الفرسان ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح صف عنتر
الجيش وقدم رماة النبال بين يديه وجعل من خلفهم عشرة آلاف فارس كلهم مستترين بالزرد ولا يبان منهم
غير تداوير الحدق فكادت قرقيسة منهم أن تنقلب وأهلها من عظم الزعقات المرتفعات ومن الصيحات
العظيمات ونظرت أهل قرقيسة الى ذلك فوقفوا على الاسوار وأرادوا أن يرموهم بالاحجار فطلع عليهم خمسة
آلاف نبلة من قوس واحد فحجبت الشمس مثل السحاب وبقى النشاب كأنه الجراد المنتشر وما بقى
أحد على السور بل هربت الرجال وأول من وضع رجله على سلم السور من الابطال كان عنتر ولحقوه
الرجال على السور وصاروا يدلون على السلالم التى تقدم ذكرها ولم يزالوا على ذلك حتى نزلوا فى المدينة
ووقع السيف فى البلد وأمر عنتر المنادى أن ينادى أن لا يتعرض أحد لاهل البلد أبدا وبذلوا السيف فى
الاجناد وأصحاب المناصب ففعلوا ذلك ووضعوا السيف فيهم فتحصنوا أهل قرقيسة فى الحصن الشرقى وكان
هذا برج حصين ينظرون منه الى الزوارق فطلعت اليه الرجال والعشائر وطلبوا منهم الامان ففتحوا لهم الباب
وأدخلوهم وكانوا ألف رجل تمام وسلموا القلعة الى الملك عمرو بن الحارث وأقاموا فيها عشرة أيام فبينما هم كذلك
واذا برسول من عند الملك قيصر قد أتى لهم ومعه مائة فارس ولما وصل الى العشائر سأل عن عنتر وعن الملك عمرو
فأرشد اليه ولما دخل وجد عمرو جالس والامير عنتر عنده جالس على كرسى من الحديد الصينى والوزراء
والامراء والحجاب مع أرباب الدولة كلهم قائمين فسلم الرسول بالرومى فردوا عليه السلام وفرحوا به وحيوه وبعد
ذلك سأله عمرو عن حاله فقال له اعلم ان ملك ملوك النصرانية وسيد أهل ماء المعمودية قد ولاك مكان أبيك
وهو يسلم عليك وقد عرض له اليك حاجة وهو أن تجمع عشائر الشام والعرب الذين عندك من المتنصرة
وتلقى ابن عمه هابيل وتقتله ولا تبق عليه واقطع رأسه واخمد أنفاسه ولا تقابل الملك الا برأسه وان طلبت عشائر
يرسل اليه عشائر ليس لها أول يعرف ولا آخر يوصف فقال عمرو اعلم أيها الحاجب بان هذه الحاجة قد قضيت
بسعادته وقد قتلنا هابيل وقد شرب كاس منيته وأخذنا مدينته وأهلكنا قومه وعشيرته ونحن ما نحتاج
الى نجدة أبدا الان معنا البطل الامجد والفارس الاسود الذى مثله فى هذا الزمان لا يوجد وهو عروس الطراد

وخية بطن الواد أسد الآساد أبو الفوارس عنتر بن شداد فقال له الرسول ومن هو هذا الرجل العجيب الفارس الغريب فقال عمرو وهذا هو الذي تراه فعند ذلك غمز الرسول الى عنتر بعينه فصار من خلقته وتعجب من طول قامته ونظر الى وجهه كأنه قطعة من جبل شامخ أو طود باذل فصاح على وجهه وقال لعمرو وهذا من الانس أم من الجن فقال بل من الانس وهو جليل الشأن صنعة مكون الاكوان الواحد المنان ثم انه حدثه بحديثه وفعاله وحربه ونزاله فقال له الرسول ما اسم هذا الفارس الجواد قال اسمه عنتر بن شداد سيد الشجعان وهو من قبيلة بني عبس وعدنان ثم ان عمرا خلع على الرسول فقال الرسول أيها الملك قد أتى معي أموال كثيرة نخذها وفرقها على العشائر وان شئت أعطيها الى عنتر قال له عمرو أيها الحاجب جملك المسيح برضاه اعلم اننا أخذنا من هذين البلدين أموال ما تأكلها النيران قبل لي أيدي الملك وقول له مملوكك ما يروم الا رضاك فعند ذلك تودع الرسول من عمرو وسار طالب انطاكية وهو راكب في السفينة وكان قد أخذ معه رأس البطريق هابيل ورؤس سبعين من البطارقة الذين كانوا عصوا معه على الملك قيصر ولم يزل الرسول سائرا حتى وصل الى القسطنطونية ودخل على الملك قيصر وقبل الارض ووضع الرؤس قدامه وأخبره بالذي جرى بعدما سلم عليه ففرح بذلك فرحا شديدا ثم حدثه الرسول بما فعل عنتر في هابيل وفي عشائر الروم والذي جرى من الاول الى الآخر قال ولما سمع الملك قيصر ذلك قال أريد أن أنظر الى هذا الرجل وأشاهده وأعطيه الخلع والاموال ثم انه خلع على الرسول خلعة عظيمة وأقام ثلاثة أيام في القسطنطونية ورده حتى يأتي بعنتر اليه ويحضره بين يديه هذا ما جرى للرسول وأما عمرو بن الحارث وعنتر فانهما أقاما بعد الرسول ثلاثة أيام وجمع من العشائر والجحافل وساروا وكان مع عمرو مال كثير وخير غزير وخلع على عنتر وقد أعطاه الاموال العظيمة وسار طالب دمشق وما زال سائرا حتى أشرف عليها بالعشائر وقد تقدمت العشائر بين يديه ودخل البلد وكان لقدومه يوم مشهود ودخل وجلس على سرير مملكته ودخل عنتر على ابنة عمه ففرحت بقدومه وقالت له يا ابن العم ويا كاشف كل غم أريد أنك تخلف أخي وولدك وقومي حتى يدخلون الى الشام ويستريحون من تلك القفار والآكام فقال لها الامر اليك افعلي ما بدا لك وعول عنتر أن ينفذ خلفهم أخاه شيبوب والى عنده يجيبهم واذا بالرسول الذي للملك قيصر قد دخل على عمرو بن الحارث قال فاشتغل قلبه من قدومه وأنفذ يطلب من ساعته أبا الفوارس عنتر فلما حضر أجلسه الى جانبه وقال له يا حامية عبس اعلم ان الملك قيصر قد أنفذ خلفك من القسطنطونية يطلبك وقد اشتهى أنه يراك ويشاهد صورتك فقال عنتر السمع والطاعة أنا أسير معك فقال عمرو بن الحارث أنا أسير معك يا سيد الفرسان لاجل أن أكون حاكم بلاد الشام وتكون تحت حكمي وأمري فقال يا مولاي سر على بركة الله وعونه ثم ان عنتر نهض وأعلم عبلة بذلك فقالت له يا ابن العم أخاف عليك من بلاد الروم لئلا يقضي عليك قضاء وأخاف يا ابن العم على روحي أيضا فقال عنتر يا عبلة لا تخافي فوحق ذمة العرب وشهر رجب لو كنت نائمة ما أحد من الانس ولا من الجن يقدر أن يوقظك ولا في يقظتي يرعبك ثم انه استخلف أخيه الامير جرير وكان أرسل أحضره عند سفرته الى قرقيسة يخلفه على أمواله ومراعيه وكانت في موضع يقال له التيه وهي أرض غزيرة الى جانب نهر الشريعة وكانت هي ربع أموال عنتر وأكثر أمواله خلاها وفي بني عبس عند ولده وأعمامه ثم ان عنتر كان عليه راية العقاب فسميت ثنايا العقاب ثم بعد ذلك رحل هو وعمرو بن الحارث في صحبة الرسول وقد أخذ في ركابه أخوه شيبوب وولده الخذروف وأخذ عمرو معه الهدايا والتحف والخيل والنجب والسيوف وحمل ألف ناقة وأربعمائة حصان كلها عربية وطلع الجيش جميعه لوداعه وركب معه أربعة آلاف فارس كلهم غائصين في الحديد والزرد النضيد وجدوا في السير بهذه الهمة وعنتر في المقدمة غائص في شكته غارق في لامته راكب على جواده الابجر وعلى عاتقه رمحه الاسمر متقلد بسيفه الضامي الابتر وهو سائر في تلك الآكام وشيبوب وولده الخذروف قدامه كأنهما ذكرا النعام ثم ان الرسول تقدم قدامهم حتى يعلم الملك قيصر بقدومهم ولم يزالوا سائرين الى ان أشرفوا على القسطنطونية وشيبوب يتعجب من كثرة عشائرهم وقلاعهم فقال لاخيه يا ابن الام لو أننا نقيم في هذه البلاد سنة كاملة كنت أعرف أرضهم وجبالهم وأما

الرسول فانه ما زال سائرا حتى وصل الى الملك قيصر ودخل عليه وأعلمه بقدوم عنتر بن شداد الاسد الحارس ومعه عمرو بن الحارث فلما سمع الملك قيصر بذلك أمر بأن ينصب لهم كراسي من الفضة والذهب في الايوان الاكبر وأن يضعوا ستوره فلما فرشوا واكتمل أمر باحضار عنتر اليه وعمرو بن الحارث الى بين يديه فقال عمرو يا أبا الفوارس خذ من أصحابك مائتين رجل ودعهم يدخلوا على الملك في أفخر ملبوس وأحسن زينة وأكمل نفوس فقال نعم يا مولاي ثم ان عنتر لبس الخلعة التي أعطاها له الملك كسرى أنوشروان وجعل على رأسه عمامة وأرخى له ثلاث عذبات أيضا وتمنطق بمنطقته التي كانت للملك المنذر أبي الملك النعمان وكانت كلها مرصعة بالدر والجوهر وكانت تساوي ملك الشام ومصر وعلق فيها الخنجر وشد وسطه بمنديل ابريسم وجمع أذياله في دور منطقته وركب معه عمرو وفي خواص دولته وبني عمه ودخلوا الى القسطنطونية قال فتلقاهم الملك وأصحابه ورعيته وحجابه ورؤساء مملكته وكان يوم عظيم ما صار مثله في جميع الاقاليم ودخلوا القسطنطونية فلم يبق أحد من القسطنطونية حتى خرج ظاهر البلد وتلقوهم ونشروا عليهم الاعلام والرايات ودقت الكؤسات وخفقت البيارق والازدهارات وكان يوم لا تدركه الصفات واندهلت عقول أهل البلد وتقدمت الجاويشية قدامهم بالتتوت المذهبة والدرق المكوكبة وقد حار أهل المدينة واندهلوا من صورة عنتر والناس ينظرون اليه ويتعجبون من طول قامته ومن كبر جثته وعظم هامته وارتهاج عينيه ووسع حدقتيه وغلظ سواعده ومنكبيه وتقليص حاجبيه فعند ذلك أخذتهم الحيرة منه ومن اطاعة شيبوب اليه وانقياده بين يديه وعلت زعقاتهم وعيطاتهم عند نظرهم اليه فقال لهم عنتر أبعد الله شركم يا ويلكم أي شيء حصل بكم حتى تطيلوا الي بالنظر فقال له الوزير يا حامية عبس من محبتهم لقدومك عليهم ومجيئك اليهم ويتعجبون من عظم صورتك بين البشر فتبسم من ذلك عنتر (قال الاصمعي) في تاريخ العرف المورود وقد كان طول عنتر العبسي سبعة أذرع هاشمي وعرضه ثلاثة أذرع وطول شنباته نصف ذراع ووجهه ثلثي ذراع وفمه ربع ذراع وكل عين من أعينه فتر فسبحان من خلق الانسان من ماء مهين فتبارك الله أحسن الخالقين ونرجع الى سياقة الكلام ولم يزالوا سائرين في ذلك العالم العظيم حتى وصلوا الى باب القصر ودخلوا وهو مفروش بالبسط الرومية والوسائد المبهية وعاينوا بطارقة وكهول بأعمدة الحديد والتتوت والدرق وعلى رؤسهم الطاسات الفولاذ وهم كأنهم نيران محرقة أو صواعق مبرقة فلما ساروا الى الباب الثاني رأوا الحجاب والبطارقة بأنواع الملابس وبأيديهم أعمدة الحديد وهم بالمناطق الذهب ثم دخلوا الى الباب الثالث فعاينوا غلمان شباب بملابس الاطلس الاحمر بأيديهم الحراب واقفين عن يمين الباب وشماله فلما وصلوا الى الباب الرابع واذا عن يمينه وشماله غلمان ملاح حسان كأنهم الاقمار أو حور الجنان وفي أيديهم عصي الصولجان محلاة بالذهب الاحمر مرصعة بالياقوت والجوهر ودخلوا الى الباب الخامس فرأوا غلمان عظام طوال الاجساد وهم بالمناطق الذهب المحلاة بالياقوت والجواهر وبعد ذلك دخلوا الباب السادس واذا به عن اليمين وعن اليسار أنواع السلاح وغلمان بأيديهم قضبان الذهب وعندهم الملاهي وآلة الطرب ودخلوا الى الباب السابع التقتهم البطارقة وفي أيديهم من أصناف الحديد والاعمدة والصوارم وقد تعجب عنتر مما عاين ورأى من الزينة والحشمة وكذلك أخيه شيبوب والخذروف (قال الراوي) وكان الملك قيصر قد أمر أن ينصب سرير من الذهب الاحمر وكراسي من الفضة البيضاء والعاج والآبنوس وغيرها من أفخر الفروش وأمر أرباب دولته وأكابر أهل مملكته أنهم ينهضوا ويتلقوهم ويكرموا مثواهم ففعلوا ذلك وكان ذلك اليوم يوم عظيم غريب وأمره عجيب وكان على عنتر خلعة عظيمة من ملابس الملك كسرى ترهج بالذهب الاحمر وفي وسطه منطقة مرصعة بالجوهر ورأته أرباب دولة الملك قيصر فبهتوا فيه وتنافروا من بين يديه ونفر فرسه الابجر فزعق عليهم عنتر ففرقهم ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على الملك قيصر فعند ذلك زعقت البطارقة وأولاد العمالقة وأمروه بالنزول فترجل الرسول وعنتر والملك عمرو وجعلوا يمشون على البسط الرومية وتلك الفرشات الملكية الى ان أشرفوا على الايوان الصغير مقابل الايوان الكبير فوجدوه شاهقا في الهواء من عمل أكابر الروم والملك قيصر في صدره على سرير

عالى يرقى عليه بدرج عالى وعلى رأسه تاج والولدان عن يمينه وشماله وجميع الحجاب على رأسه قيام والايوان كان بالذهب وفيه الصور المختلفات الالوان وهى صورة المسيح عيسى وأمه مريم البتول وجماعة من الحواريين ومن تابعهم من المتقدمين وكانوا الحجاب واقفين بعواميد من الذهب والفضة والغلمان بعكاكيز الآبنوس من حول السرير الذى فيه قيصر فاندهش عنتر من عظم ما رأى من تلك العصا والسرير الذى تدهش النظار هذا والملك قيصر قد عاين عنتر ونظر الى هول صورته وطول قامته وكبر جثته وعرض مناكبه وطول سواعده وسعة وجهه وانزعاج عينيه فبهت الملك ومن حوله ينظرون اليه وعاين عنتر ملابسهم وحسن تيجانهم وقد أخذته فكرته وأوما ساجدا بحشمة وأدب فاستحسن الملك قيصر فعله وأدبه وعقله وأخذ الرسول والحجاب بيد عنتر الى بين يدى الملك قيصر وقدموا له كرسيا من الذهب الاحمر فجلس عنتر عليه ورجليه فى الارض وهو مطاطى الرأس هذا والملك قيصر وأرباب المملكة ناظرين اليه واذا بالخدام قد طلعوا بصوانى الذهب والفضة وفيها أطباق المأكول معجون باللبن الحليب وسمن البقر وهو مغطى بمناديل الابريسم فحطوه وجعلوا بين يدى كل ملك صينيه وبين يدى عنتر سبع صوانى والرسول والحجاب والنواب واقفين بين يديه وأمر الرسول أن يجلس ويأكل معه وجاء بعد قليل من ألوان الطعام أصناف شتى فجعل عنتر يأكل لقمة كبيرة هائلة غير قليلة فبهت قيصر وصار ينظر اليه وكلما أكل عنتر لونا صار يأكل من غيره والملوك قد اكتفوا من الطعام وعنتر يأكل ويتبسم وهو ينظر الى الطعام بعينيه ويقطع ويبلع وهو لا يتحرك وهم يتعجبون وصاروا يقدمون بين يديه الطعام حتى ان عنترا أكل عشر موائد فى كل مائدة خمس صحف وعشر بواطى ثم رفع يده ومن حيائه اقتصر ولم يشبع لانه ما أكل مثله فى دنياه الا عند الملك كسرى فعند ذلك كلمه الملك قيصر بغير ترجمان بالعربية وقال له يا عربى ما حملك أن تاتى من بلاد العرب لتقتل ابن عمى من الشام وتاخذ منه بلده قرقيسة وتهلك أجناده الكرام فقال له عنتر أيها الملك المسدد والهمام الامجد والسيد الاوحد ما قتلته الا لما بلغنى أنه معاندك وخرج من سجنك هارب وتغلب على ديارك واستخف ببطارقتك على هلاكك وقلع آثارك وخراب ديارك ويأخذ البلاد من يدك ويصير هذا الكلب ضدك وأيضا أراد يتعدى على خادمك وابن خادمك وهو عمرو بن الحارث الغسانى ملك الشام وقرقيسة والرحبة لانى يا ملك كنت مارا على أرض الشام فبلغنى موت الحارث الغسانى فاردت أن أكافى ولده عمرا وأقعده على المملكة بعد أبيه لاجل ما فعل معى من الجميل فاجلسته موضع أبيه وسلمت دمشق له بعدما كانت العرب تريد تنزل عليه وتاخذ دمشق بالسيف من يديه فحميته ولما علموا انى شديت معه امتنعوا ولم يجسر أحد يسير اليه وقد سمعت به وأردت أن أسيره اليك فعلمت بهذا فسرت به اليه ونصرته عليه وقتلت الذى تعدى عليك وعليه وبعد ذلك عولت أن أجيبه اليك وأحضره بين يديك فكان خيالك هو السابق ورأيك أولى وهو الموافق ثم جئنا الى حضرتك وها أقدا كلنا طامعك وشملتنا نعمتك فتبسم الملك قيصر من كلامه وأعجبه سرعة جوابه وساله عن حسبه ونسبه فقال له أنا من بنى عبس الكرام الضاربون بالحسام المسموت بين الأنام بفرسان المنايا والموت الزوام وأمى بنت الملك النجاشى سلطان الحبش والسودان وأبى سيد من سادات بنى عبس وعدنان وانى أخذت بنت عمى عبلة وملكتها بالحسام المشطب وأدخلت روحى فى الحسب والنسب وتزوجت بابنة عمى ولكن ما تزوجت بها حتى قتلت خلقا كثيرا من أجلها والآن جميع الملوك والفرسان اذا سمعوا ذكرى يفزعون من شجاعتى ويخشون سطوتى فقال له الملك قيصر الآن أريد منك أن تفرجنى على طرف من شجاعتك حتى تثبت عندى مقالتك فقال عنتر السمع والطاعة فى غد أريك فى الميدان ما يحير أبناء الروم من قسس ومن رهبان عباد الصلبان وتعلم أنت انى فارس هذا الزمان وحاوى قصب الرهان فقال له الملك قيصر الامر اليك يا فارس عدنان (قال الراوى) وقام عنتر من حضرة الملك فتسلموه الخدام الذين رتبهم الملك لخدمته وأدخلوه الى دار شاهقة فى الهواء فلما رأى ذلك قال أريد خيامى وقبابى فقالوا له انزل ههنا فان هذا الموضع قد أعده الملك لك وان خيامك وكذلك قبابك محفوظة فدخل عنتر فوجد خيله وهم مع عبيده وخيامه وقبابه ورجاله وكلما كان له قد أحضره فى الدار وقد نقل اليه من أنواع الفرش الرومية من الخز والديباج ومن الكراسى

المذهبات ومن المأكول والمشروب ما يسر القلوب وبات عنتر تلك الليلة فى أرغد عيش باكرام ولما كان من الغد أدخلوه الحمام وأزالوا ما كان عليه من السفر وأحضروا له خلعة سنية فلبسها وركب وأخذه قوم آخرون وساروا به الى الميدان فرأى الميدان اتساعه فراسخ وقد امتلأت بالعشائر وعليهم الزرد والجواشن والبيض والجنود والمغافر فعند ذلك أمر الملك قيصر المقدمين بالبراز وسال الانجاز فبرز رجل من الروم مشتمل بعدته غارق فى لامته ومعتقل برمحه ومتقلد بسيفه وبيده درقته وهو كأنه الجبل الهائج وهو على جواد من الخيل الجياد بقوائم شداد ولونه مثل العاج ولعب البطريق برمحه وسيفه وصال وجال واذا برسول من عند الملك قيصر قد وصل الى عنتر وقال له لا تبرز الى هذا البطريق الساعة حتى تنظر فعاله فامتثل أمره ورجع الى جانب الملك ووقف فجال البطريق ولعب بالرمح وطرحه فى الهواء والتقاه فبرز اليه رجل فطعنه بعقب الرمح أرداه وثانى فاهواه وثالث ما أمهله ورابع بنفسه أشغله ولم يزل يبرز اليه فارس بعد فارس حتى رمى خمسين فارس من الابطال وعنتر ينظر الى طعانهم ويرمق بطرفه الى فرسانهم فعاين من الروم جبابرة أوقاح ورآهم يقاتلون بسائر السلاح ويطعنون بالقنطاريات والرماح فعند ذلك قال عنتر لاخيه شيبوب امض الى الدار وائتنى بالدرقة التى لى وهات رمحى الحديد والثلاث دروع وهم درع بن الجلاح اليثربى ودرع الملك الحارث ودرع الملك المنذر رضى وعادوا معه خمسة غلمان من الروم يحملون الثلاث دروع والرمح وكان الرمح أنابيب من حديد مركبة على ذكر وانثى وانثى فى ذكر وحمل شيبوب الدرقة وخرج وتقدم الى عنتر وأخذ الانابيب وركبها فى بعضها بعض وقد تحير منه قيصر وقد فرغ عنتر على بدنه الثلاث دروع ولما ركب رمحه فى بعضه بعض أربعة وعشرين كعبا فبقى كأنه صارى مركب فقال له الملك قيصر هذا رمحك يا عنتر وبه تقاتل فقال عنتر نعم وبه ألقى الملوك والجحافل فقال له الملك قيصر انه دنا أجل من قاتلته وطعنته بهذا الرمح من ساعديك وكنت تقضى عليه قبل أن يصل هذا الرمح اليه هذا وعنتر غاص فى عدته ولبس درعه وركب البيضة على رأسه وهامته وحزم جواده الابجر وباس غرته فرفع رجله عن الارض من ساعته وفى الحال بقى على ظهره أخف من الريح الهبوب وعلق الخنجر ونفخ الابجر من عظم جثته وحمل شيبوب الدرقة وحده ثم قال عنتر اشيبوب ناولنى الدرقة لانه لم يقدر يشيلها فانحنى عنتر ليأخذ الدرقة من شيبوب فتعلق شيبوب بكلية يديه فجذبه فرفعه معها وحذفه فى الميدان كأنه حجر منجنيق وسقط فى موضع بعيد المكان ولكن نزل قائم على قدميه وجميع الامم ناظرة اليه فضحك الملك قيصر وقال وحق المسيح ما رأيت أعجب من هذه الشياطين هذا شيبوب وأخيه ثم ان عنتر حذف الدرقة فى الهواء وسار تحتها وشيبوب معارضه يركض كأنه السهم اذا مرق أو الرمح اذا رشق فاندهلت الروم من سرعة جريه ومن خفته وسعيه فقال الملك قيصر يا أبا الفوارس وهذا الآخر الذى جرى معك ومع فرسك الابجر هو من الشياطين أو من الآدميين فقال عنتر يا ملك هذا أخى فلا تعجب منه فانه يسبق الخيل العتاق ويقبض الوحش بيده من البر والفلاه واذا جرى تضرب أكعابه شحم أذنيه وله ولد يسمى الخذروف أعجب منه وقد خرج أقوى من أبيه وأخف واذا نظر الغزال وقف يلعب بساقيه فى الهواء كما تلعب الطيرة بأجنحتها بين الارض والسماء ويمسك الجفل من الجبل بيده ويصطاد الارانب برجليه فقال له الملك قيصر أريد منك يا أبا الفوارس انك ترينى من فعال هؤلاء الاثنين طرفا مما ذكرت فقال عنتر سمعا وطاعة ثم ان عنترا استدعى بشيبوب والخذروف وكان لحق أباه ومعه عشرة من بنى عبس فلما كان ذلك اليوم وخرج عنتر فى ميدان الملك قيصر واشتهى الملك أن يحضر له شيبوب فحضر فقال شيبوب كنت أنت واقف على عجل واذا أنا طلبتك أسرع لى بلا مهل (قال الراوى) وقفز عنتر الى الميدان وقد شخصت اليه الاعيان وجميع الشجعان والفرسان ونظرته القسس والرهبان وعباد الصلبان وأمر الخذروف أن يقف الى جانبه وأطلق عنتر الحصان الى أن ابن عريكته فى الميدان وعطف على البطريق المقدم ذكره وقال له خذ لنفسك الحذر فدار البطريق القنطارية الى صدره وزعق بجواده وقصد لعنتر بالطعنة فلما قاربه قبض على الرمح من يد الرومى كسره وحذف الرومى بقطعة منه فى صدره كاد أن يخسفه وقد وقع الى الميدان فتركه ملقى على الصحصحان وصال عنتر وجال وطلب البراز والنزال فقفز اليه بطريق

آخر يده صفيحة هندية ترد أسباب المنية وحمل على عنتر فصدمه فالتقاه عنتر وحاذاه ولاصقه وقاربه وقبض على أطواقه مع خناقه وجذبه اقتلعه من سرجه وحذفه من يده ألقاه بعيدا نحو العشرة أذرع على ظهره من غير أن يجلد به الارض فقام وهو ينفض التراب عن رأسه وعن أثوابه ويتعجب مما أصابه فخرج اليه بطريق ثالث من البطارقة الكبار وكان فارسا جبارا فصبر عليه حتى قاربه ومد يده اليه وقبض عليه اقتلعه وحذفه وراه فبرز اليه بطريق شديد الباس صعب المراس قوي الجنان وحمل على عنتر ودمدم بكلام الرومية وهمز وزمجر فمد عنتر يده بشدة باسه وجعل يده على رأسه واتكأ بقوة مراسه فكبس عليه فلم يقدر يتحرك لا هو ولا الجواد فعلم أنه من القوة في مكان عظيم فناداه الصفيحة يا فارس العرب فأطلقه عنتر بعد اعترافه ورفع يده من على رأسه وأكتافه ولم يزل عنتر كذلك الى نصف النهار وقد أتعب ألف فارس كرار وقد خلع الملك قيصر على عنتر من الخلع الغوال ورجع الى القصر وهو راكب الى جانبه وكانوا الخدام أحضروا السماط ومدوه على الفرش والبساط ولما حضر الطعام أكل منه الخاص والعام وبعده قدموا المدام وشربوا حتى غسق الظلام وعنتر يحدث الملك بحديث العربان وما جرى عليه من القتال وما قاسى من الشدائد والاهوال والحرب والنزال ولم يزل كذلك الى أن دخل عليه النوم فنهض الملك وسار الى مكانه وكذلك عنتر مضى الى الدار التي جعلت برسمه وكان في ذلك اليوم قد رأى في مجلس الملك جارية مليحة تخجل الشمس والقمر وتذهل الفكر ولما رآها عنتر أطال اليها النظر وتنهد وتحسر فلما نظر قيصر اليه ما خفي عليه حاله فصبر حتى انصرف من بين يديه ودعا بتلك الجارية وارسلها اليه وكان مقصود الملك أن تحمل من عنتر وتأتي له بولد ذكر حتى يفتخر به قيصر ويكون مثل أبيه في الشجاعة وكانت هذه الجارية من سراري الملك الخاص أصنع أهل زمانها في ضرب قطع الآلات ولما دخل عنتر قامت تلك الجارية ووقفت في صدره وباست يديه ولكن فزعت من خلقته وعظم صورته وأما عنتر فانه فرح بها فرحا شديدا واختلى بها في تلك الليلة الى الصباح ولما أصبح الصباح ودخل عنتر على الجارية وكان خاليا من السكر والمراح قال لها في أي وقت أتيت الى هذا المكان وما الذي جرى لي معك يا عابدة الصلبان فقالت له يا مولاي أنا من سراري الملك الخاص وقد أنفذني اليك من محبته ورغبته فيك واعلم أن تقدمي اليك رفعة لشأنك وتعظيم لمكانك فعلم عنتر ما مراد الملك قيصر فزاد به الغيظ والحرد وكره أن يكون له في بلاد النصارى ولد ولحقه من ذلك أمر وبيل وعول على قتل الجارية والرحيل فهو كذلك واذا بالخدام دخلوا عليه لاجل السلام على الجارية وأخذوها وأدخلوها الحمام وأفرغوا عليها ماء الورد وكذلك عنتر أخذوه وغسلوه وأشربوه ماء التفاح وزال عنه عكسه وخلعوا عليه خلعة من ملابس الملك قيصر وقد أمر واله بفرس ما ركب مثلها ملوك بني الاصفر وأخذوه الى الميدان يتفرج على ما يجري بين الفرسان والملك كان في ذلك اليوم نصب حلقات من الذهب وصارت الفرسان تطعن فيها من بعيد ومن قريب فمنهم من يخطي ومنهم من يصيب فلما رأى ذلك عنتر تقدم الى الملك قيصر وقال له أيها الملك كم عندك من هذا الحلق فقال عندي أربعمائة وسبعون حلقة وكل حلقة مائة مثقال من الذهب وزنها فقال عنتر قل لغلمانك أن تنصب الجميع وأنا أكر عليهم كرة بطل شجيع وان لمست منهم واحدة اكسروا سيفي ورمحي فقال الملك وكل حلقة أصبتها أخذها فعند ذلك أسرعوا الخدام وجعلوا ينصبون الحلق حلقة بعد حلقة وكلما أصاب عنتر حلقة يأخذها فما مضى نصف النهار وكبت الشمس في قبة الفلك الا والحلق كله مع شيبوب في مخلاة الابجر فتعجب من ذلك الملك قيصر وقال وحق المسيح ما هذا فعل بشر (قال الراوي) ورجع الملك قيصر بعد ذلك الى قصره ولما استقر بهم المقام قدموا لهم الخدام الطعام فأكلوا حتى اكتفوا وبعد ذلك أمر الملك باحضار المدام وما زالوا على ذلك الشان حتى غابت عنهم الاذهان وبعد ذلك غلب عليهم المنام وتفرق شمل الناس وقام عنتر يتمايل من الراح وهو بغاية الفرح والانشراح ودخل على الجارية الرومية ولم يزل معها الى الصباح فلما طلع النهار وفاق من سكره قال في نفسه أنا أعلم ان الملك ما أرسل هذه الجارية الا يريد أن تعلق مني بولد يشابهني في الشجاعة والقوة والبراعة فاضمر عنتر على قتل الجارية ولا يبقي عليها ولكن عندما يطلب السفر ثم انه أخبر أخاه شيبوب بهذه

القضية بقتل الجارية لما يقرب رحيله من القسطنطونية (قال الراوي) وان الخدام أخذوا عنتر وأدخلوه الحمام فاغتسل وقد ألبسوه خلعة مليحة الهندام وركب جواده وحملت الغلمان سلاحه وعدة جلاده وسار الى الميدان وكان الملك أمر بالصراع فترجل ملوك الروم وتصارعوا صراعا عظيم فرأى فيهم عنتر رجل كبير الجسم فقال الملك قيصر لعنتر أريد منك اليوم يا أبا الفوارس أن تفرجني على الصراع في هذا الاتساع فان عندنا من المصارعين ناس كثيرين ولهم صراع بتمكين فقال عنتر لكن أريد منك أيها الملك المنتخب أنك توصيهم على الادب وأن يستعملوا الانصاف وأما اذا بغوا أوردتهم موارد التلاف فقال الملك قيصر تقتلهم يا عنتر قال نعم أيها الملك المفتخر اذا بغى على أحد من الرجال ولم يفترق ويقر بالعجز والخبال أنزلت به الويل والوبال قال فعند ذلك حذرهم الملك قيصر من عنتر ثم قال لهم كل من قهره يتكى بتأخر ولا يعارضه فانه يسقيه الموت الاحمر هنالك ترجل عنتر وخرج الى الميدان وصارت الرجال يخرجون اليه واحد بعد واحد وهو يصرعهم بقوة كفه والساعد وكان قد جمع أذياله في منطقته وتشدد حتى صار كأنه قطعة جلمد فخرج اليه بطريق كأنه منجنيق وقبض على زند عنتر وهزه فجذبه عنتر اليه وعصر على زنوده بقوة كف طرى الزندين الا أنه ما وقف حتى مال من شدة ما جرى عليه وزعق ووقع مغشيا عليه ساعة وأفاق ودخل تحت أفخاذ عنتر ليبلغ منه الامل فعصر عليه وزعق يا عبس ونظر عنتر الى الروح وهي تخرج بكثرة فصاح من صميم فؤاده وتألم في قلبه وفي عاجل الحال ضرب الرجل دست آخر فطلعت روحه وانصرع ومال على الارض فزعقت الروم بأصواتها وعلت منها غيطاتها وارتفعت زعقاتها وولت على وجوهها من هول ما عاينت وقد تعجب ملك الروم قيصر وكان صراع ميشوم منكر ثم انه قال من يخرج الى هذا الاسود عنتر فلم يجاوبه أحد فلما أبصر قيصر توقفهم عن عنتر قال يا عنتر أريد أن أتفرج على أخيك وابنه في أمر السباق في الميدان فأمر عنتر أخيه شيبوب وولده الخذروف بالسباق لاجل فرجة الملك قيصر فأمرهما عنتر بذلك وأمر الملك أن يحضروا لهما جوادين سابقين من خيول العربان وأحضر الملك قطعة من الغزلان وقال أريد أخيك يسبق الخيل وابن أخيك يلحق الغزلان فقال حبا وكرامة يا ملك الزمان ثم تحزما وتربعا الاثنين ورفعوا شعورهما عن أكتافهما والملك ينظر اليهما ثم بعد ذلك أطلقوا الخيل والغزلان وهما كأنهما ذئبان ولم يزالوا سائرين الى أن توسطوا الميدان وشيبوب بين الفرسان والخذروف بين الاقران والملك واقف في رأس الميدان وفي يده من الدنانير كيسان وقال أن من سبق الى عندي أعطيته ما في يدي ولم يزالا الى أن بقي بينهم وبين الملك رمية نشاب فتخطى شيبوب الخيل وسار قدامها مثل السيل وزعق على ولده الخذروف فصار يقفز على الارض والكثبان على ذلك الصحصحان وسار قدام الغزلان وتقدموا الى الملك وسلموا عليه فناولهما الكيسان وخلع على الاثنين وتعجب منهما وقال وحق ديني لو كانت العرب كلها هكذا لكانت ملكت الدنيا بأعاليها فقال له الوزير أيها الملك ان هذين الاثنين اذا سمعت الابطال بذكرهما تخاف من شرهما فاذا كروا بين الملوك تنكس رؤسهم ثم انه حدث الملك قيصر بما جرى لعنتر وكيف أذل الفرسان من العرب والعجم وسجد لشعره جميع الامم وخضع له كل سيد محتشم فقال الملك ما أنا وحق ديني الاقدس سمعت بفعاله وانه ما في زمانه من مثاله ثم انه خلع عليه وقال له الملك قيصر يا أبا الفوارس اجعل اقامتك عندي وأنا أجعلك مقدم مملكتي والحاكم على أهل دولتي فقبل عنتر الارض مرارا وقال له يا ملك ما يقر لي ههنا قرار ولا يأخذني اصطبار لاني ما أنا معتاد سكنى الجدران وما أسكن الا في البراري والقفار والمهامه والاوعار ولا يمكن أن أفارق الاصحاب والخلان بل اني أجعل بالي على عمرو بن الحارث الفارس الهمام وأكون له من جملة الخدام وما أقطع زيارتي عنك في كل عام (قال الراوي) فلما هما بالقيام من عند الملك قيصر أرسل الى أخذ الجارية فلم يجدها فسأل عنها بعض الجوار فقالوا أخذها بعض الخدام وما ندري أين مضت فاغتم لذلك قيصر وسأل أيضا عليها من عنتر وقال له هل عندك من الجارية خبر التي أوهبتها لك أو تعرف سبب عدمها من عندك فقال له عنتر والله يا ملك ما أعلم لها خبر ولا شان فقال الملك عدمت ولا أعلم هي في أي مكان وما ندري ما السبب

فى فقدها ياسيد الفرسان فتأسف عنتر وصعب عليه وكبر لديه وقال له ياملك الزمان لقد ضيقت صدرى لانى لما مضيت من عندك سألت عن الجارية فقالوا أرسل طلبها الملك فعلمت ان الجارية جاريتك لاجل خدمتك فلما سمع الملك قيصر من عنتر ذلك الكلام فقال له فداك يا أبا الفوارس فقال له عنتر أيها الملك اريد منك أن تنعم على بالرحيل فقال له الملك قيصر اصبر قليل (قال الراوى) وكان السبب افقد هذه الجارية حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك انا كنا قدمنا قبل هذا الكلام حديث الملك خلنجان ملك البحر ومقدم الافرنج لما ساروا الى الملك كسرى مع الملك قيصر فى أيام أن سار الحارث الوهاب فى بنى غسان الى ديار بنى عبس وعدنان ليأخذوا بثار ولده بدر النصرانية وأسر أخوه الملك النعمان وهم عمرو بن هند والملك الاسود وكسر عشائر الملك النعمان بغدر بنى فزارة وسار عنتر ودريد كما ذكرنا وأخربوا بلاد الشام وساروا فى طلب قيصر الى الفراة والتقيا بالملك قيصر فى الطريق وقتل الملك خلنجان فى أرض العامريات واخوته سوبرت ونوبرت واصطلح عنتر مع قيصر كما ذكرنا فى الكلام وأخذ الرهاين وكان لهم أخ صغير أصغر منهم وأجل كأنه القمر اذا اكتمل وكان اسمه كوبرت فأخذه الملك قيصر بعد ما قتلوا اخوته فلما صار عنده أنعم عليه وأحبه وقربه اليه وافرغ عليه الاحوال وشغف بحبه الشغف العظيم لاجل ما كان فيه من الحسن والبهاء والكمال والقد والاعتدال وهو كأنه غصن بان أو قضيب خيزران يسحر كل قلب ان رأى جماله ويسر كل لب بكماله وبهائه واعتداله وقد سرقت منه الغزلان أحداقا وعنقا اذا شفاه حمر وشامة خضراء وسنان مفلجة وردف ثقيل مرجرج كما قال فيه هذه الابيات الحسان

وشادن من بنى النصارى * له لحاظ بها رميت
أحلف فى المعجزات عيسى * فذاك يحيى وذا يميت

وكما قيل فيه أيضا هذه الابيات الحسان

أهوى فرنجيا مقلتاه زرقا * مثل الصارم الابتر * سطوا على العشاق من لحظه
الحسن والقد بريق عنبر * لعبلة فى الحسن كنه * أشجع فى الهيجاء من عنتر
نجل الزهراء من وجناته * يحكى به المريخ والمشترى * سألت منه الوصل أطفى به
جسما عليلا بالجوا مسعر * فقال جد بحرب ان شئت ان * تنل وصلا من بنى الاصفر

(قال الراوى) ومن حب الملك قيصر له جعله من بعض حجابه وخواصه وأحبابه وأقطع له أقطاع وزاد له فى الارتفاع وصار له فى قلب الملك قيصر الحب الشديد الذى ما عليه من مزيد وقد نشأ كوبرت وصار فارس شجاع وقرم مناع ولا يثبت بين يديه شجاع فى مقام الحرب والقراع وعلت منزلته عند الشجعان وهابته الاقران وخافته الفرسان حتى صار يلتقى ألف فارس فى الميدان وخافت وخشيته واتقته فى الحروب السادات وهجم على الاسود فى الغابات وفزعت منه الامراء ولما علم الملك قيصر ما صار من كوبرت قربه اليه وأدناه حتى صار من خواص ندماه فلما أتى عنتر بن شداد وعمرو بن الحارث صاحب دمشق وتلك البلاد كما تقدم من الحديث فوقع فى قلب الحاجب كوبرت من عنتر أمر عظيم وخطب جسيم وتذكر قتلة أخيه على يد عنتر فقامت برأسه الحمية وقوة الشجاعة والفروسية وبربر بلغة الافرنجية وغضب غضب الملوك البحرية وهدر وزمجر وتهدد وتحسر وحدثته نفسه أنه يجتهد فى قتله وكلما نظر الى الملك قيصر وهو يزيد فى اكرام عنتر ينقطع كبده وتنفطر مرارته (قال الراوى) والعجب ما فى هذه السيرة العجيبة ان الجارية التى أنفذها الى عنتر الملك قيصر كانت تهوى كوبرت وهو يهواها وكانت له عاشقة وبه واثقة وكانت هيبة الملك التى كانت تمنعهما عن بعضهما بعض ولا يقدرا على النظر الى بعضهما الا فى مجلس الملك قيصر فلما جرى ما جرى من هذه الامور والاسباب الذى تحير عقول أولى الالباب فصار كوبرت يرصدها فى الطريق ويشكو لها ما بقلبه من النيران والحريق وتشكى اليه الاحزان مما تقاسيه من ألم التفريق وأخذوا على بعضهما العهود والمواثيق واتفقوا على ان كوبرت يأخذها ويوسع بها فى القفار ويدخل بها الى جزائر البحار ويعيشا فى تلك الارض والامصار ولما

استوثق كل واحد منهما من رفيقه ما وجب عاينوا اليوم الذى عولوا فيه على الهرب وأجاب كل واحد منهما صاحبه الى ما طلب ومن عظم ما أخذه من الوسواس والافتكار تغيرت أحواله وغلب عليه الاصفرار فنظر اليه قيصر وما هو فيه وقد صار بعض البياض أصفر فقال له يا كوبرت ما بالك وما الذى تم عليك ونالك فانى قد هالنى أمرك وما الذى أنت فيه من تغير أحوالك فقال له ياملك وحق المسيح الذى أذل لك رقاب العباد ما أمرضنى الا عنتر بن شداد وهو الذى أحرق منى القلب والفؤاد ثم انه قبل الارض وصلب على وجهه ورفع رأسه وقال أيها الملك وحق الانجيل وما فيه من التحريم والتحليل اننى أنا اليوم فى صفة قتيل واننى ياملك حامل هم ثقيل فرق له قلب الملك لما رأى اصفرار وجهه الذى ليس له عديل وقد اسودت مقلتاه فصارتا كأنهما كحلت بالتكحيل واحمرت وجنتاه حتى حكت الورد الذى ليس له مثيل ورقت شفتاه حتى صارت أرق من نسيم العليل فقال له بعد ان نظر الى دموعه وهى تسيل أخبرنى ما هذا الذى تجده لك من المرض وأنا وحق المسيح أبلغك الغرض فقال ياملك ما أمرضنى فى الفؤاد الا عنتر بن شداد لانه ياملك الزمان سابقا كان قتل اخوتى سوبرت ونوبرت وخلنجان وتركنى على فقدهم أقاسى الذل والهوان وأنا اتكمد بحسرتى وزادت بليتى وقلت حيلتى وأنا اسأل من انعام ملك الزمان وفريد العصر والاوان وأريد من بعض انعامك والافضال أن تمن على عبدك بالمسير والارتحال وأسير الى بعض ديورة الجزائر وتلك البلاد وأكون بها مقيم مدة مقام عنتر بن شداد فى هذه الارض والبلاد لانى أخاف ياملك الزمان ان يبدو منى شئ من الفساد فاغدره وأقتله فى بعض الاوقات جزاء بما فعل فى اخوتى وأنزل بهم الآفات فيضيق صدرك لاجل ذلك ويكون سبب موتى وهذا سبب ما أنا فيه ياملك الزمان من الاعلال والامراض والاسقام ثم انه قبل الارض بين يدى الملك قيصر بعد هذا الكلام (قال الاصمعى) وجهينة اليمانى رواة هذه السيرة الحجازية العجيبة المطربة الغريبة ولما وقف الملك قيصر على آخر مقال الحاجب كوبرت وعرف سؤاله أمر له بمركب كبيرة من السفن الخواص الذى للملك قيصر وهى كاملة العدة وقدمير الرجال وأمرهم بطاعته ولا يعارضه احد اينما توجه فى سفره فأجابوه الجميع بالسمع والطاعة ثم انه خرج من تلك الساعة وحمل جميع ما يعز عليه الى المركب من وقته (قال الراوى) وقد قصدا الجارية فى اليوم المعين ولما عادت من عند عنتر كجرى عادتها أرسل عنتر شيبوب وولده الخذروف خلفها ليقتلوها فمضى شيبوب والخذروف وسبقاها وأكمنا لها ليهلكوها فدبر الله فى ملكه ما يشاء وحكم بما أراد ولما أتت الجارية قبل أن تصل الى الموضع الذى فيه الخذروف وأبيه مكمنين فالتقاها كوبرت وأخذها وسار فى الحال هو واياها ونزلوا فى المركب ورفع الشراع وسار بالبحر الزخار وقد نال كوبرت ما أحب واختار وبعد ذلك طلب قيصر الجارية بحكم عادته فما وجدها ولا علم لها خبر ولا وقع لها على اثر وعدنا الى سياقة الحديث والخبر (قال الراوى) ولقد وجدنا فى بعض التواريخ ان عنتر لما هم بالقيام من حضرة الملك قيصر أنفذ الوزير اخذ الجارية من مقصورة عنتر فلما دخل عنتر الى المقصورة فما وجد الجارية فسأل الجوار عنها فقالوا أخذها الملك قيصر فأحس عنتر أن قلبه قد انفطر وقال لاخيه شيبوب ويلك يا ابن الملعونة الحق الجارية فى أى مكان كانت فاقتلها فانى أخاف أن تكون حملت منى وتجيب ولدا يشبهنى وأنا ما اشتهى أن يكون نسلى فى بلاد الروم فعندها انطلق شيبوب مثل الريح الهبوب فادرك الجارية قبل دخولها الى القصر الذى للملك قيصر فبادرها بضربة من خنجره فى ظلام أرماها فى وسط الخدام وعاد الى أخيه عنتر واعلمه بما دبر ففرح عنتر واستبشر بقتل الجارية هذا والعبيد قد طلبوا شيبوب فما وقعوا له على أثر وعادوا فلم يجدوا للجارية خبر ولا بر وا على الارض الادماء فاعلموا الملك قيصر بقتلها وعدمها ومن هنا عدنا الى حديثنا الاول (قال الراوى) وكان كوبرت قد جعلها فى ركض الخدام خلف شيبوب ونزل بها الى المركب وفتح الشراع وسار واى البحار لا عريريده الله من سلامة الجارية وكانت ضربة شيبوب غير قاتلة وان كوبرت لما نظر فيها الروح وحملها الى المركب صار يلاطفها ويريد صلاحها وعالجها حتى برئت جراحها (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من عنتر بن شداد القسور والملك قيصر فان عنتر صار عند الملك فى أعز مكان وصار يركب فى كل يوم معه الى الميدان ويعلم على الفرسان ويسود على

الاقران والشجعان والملك قيصر فرحان به مدة من الزمان الى ان كان يوم من بعض الايام والملك قيصر فى الميدان وعنتر بن شداد فى معاركة الفرسان وقد رفعت على رأسه الصلبان وعنتر اقرب اليه من كل انسان والحجاب والبطارقة والقساقسة والشمامسة والرهبان والجميع سائرين الى الميدان واذا قد بان لهم من أمواج البحار قلع مركب سائرة كأنها الطير الطائر وهى الى ساحل القسطنطونية قاصدة وقرب بعدما كان متباعد فوقف له الملك قيصر وعشائره وأجناده ونوابه وحجابه ورهبانه وبطارقته ناظرين الى نحو المركب (قال الراوى) وما استوافى الوقوف غير قليل واذا بالمركب قد التصقت بالمينة وأرخوا المراسى ومدوا الانقالات وطلع من المركب مائة راهب بالقلانس والدراعات والبرانس الملونات وأطواقهم بالذهب معلمات وطلع بعدهم قسيس نحرير وله قدر وتوقير وعلى رأسه صليب من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر ثم ان القسيس المقدم ذكره ركب حمارا أشهب بمركب ذهب ودارت حوله الرهبان والقسوس يقرؤن الانجيل وبعضهم يضرب بالناقوس ويشيرون له بالتعظيم والتبجيل (قال الراوى) ولما ظهروا من المركب بهذا الزى والمخبر نظروا الى الصليب الجوهر والعلم الاخضر الذى على رأس الملك قيصر قصدوا اليه وعنوا بالقدوم عليه وتقدم اليه راهب من تلك الرهبان وأقبل الى ناحية الملك قيصر وصلب على وجهه وأبدى السلام والتحية والاكرام فقال له الترجمان عن لسان الملك قيصر تكلم بما جئت به يافلان فقال الترجمان بعدما قبل الارض مرة ثانية بين يدى ملك الزمان وقال أيها الملك الكبير هذا رسول الملك الليلمان بن مراير صاحب البحر والجزائر قد أتى اليك قاصد ونحوك وارد فقال الملك قيصر بكتاب أو بخطاب فقال بكلام وخطاب والرب عالم بالصواب ويدبر الامور بالصواب ويصلح الامر الفاسد برد الجواب (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا الكلام والخطاب أمر حجابه وخواصه بتلقى الرسول فسارت وحركت الخيول والتقته بأحسن ملتقى ودعوا الملك بطول العمر والبقاء وعزموا أن يدخلوا بالرسول الى القسطنطونية ويزيدون فى اكرامه الى أن يعود الملك من ميدانه فأبى الرسول عن ذلك وقال ورب سائر الممالك أنا ما معى اذن من صاحبى أن أدخل الى بلدكم ولا أذوق شيأ من زادكم الا بعد ما تقرأوا كتابى وأسمع ما يكون من رد الجواب وأعود من هذا المكان من يومى أنا وجميع أصحابى (قال الراوى) فانفذوا بعض الحجاب ومعه جماعة من الرهبان وأعلموا الملك بما قال الرسول الذى قدم من عند الملك الليلمان فامر الملك فى تلك الساعة أن يضرب له سرادق وقد اشتغل سره من سبب هذا الرسول الطارق فنصب السرادق الكبير وجميعه طير ووحش وتصاوير وسقفه من الديباج وأطرافه من الحرير ونصب فى وسطه سرير من الذهب الاحمر مرصع بأصناف اليواقيت والجوهر يصعد اليه بدرج وقد بسط فيها البسط الملك قيصر ورفع على رأسه التاج والعصابة الجوهر ووضع كرسى عالى وجلس عليه عنتر وجميع خواص مملكته وسائر الحجاب والبطارقة قيام فى خدمته وكذلك أصحاب صولته وأرباب دولته فعندها أمر الملك باحضار الرسول وأذن له فى الدخول وأقبل الرسول اليه والرهبان والقسس قد استدارت حواليه وقد صاحت الشمامسة بين يديه بقراءة الانجيل وما فيه من التحريم والتحليل ولم يزل كذلك حتى وصل الى الملك قيصر وقد نظر أبا الفوارس عنتر فتزحزح له الملك وأخذه الى جانبه وقد أخذ يسأله ويستخبره فيما أتى من سؤاله وفى الحال أمر الملك باحضار الطعام فاحضرته العبيد والخدام فقال الملك للقصاد دونكم والطعام وأدوا ما حاجتكم من الكلام فقام الرسول قائما على الاقدام وصلب على وجهه ودعا ببقاء الملك على الدوام وقال له ياملك النصرانية وسيد أهل ماء المعموديه أسالك بالمسيح وبالسيدة أم النور وبالانجيل وسبعين مزمور وتعفينى من الزاد فاننى عبد مامور وفى عنقى عهود وأيمان من الملك الليلمان وعلى شهود ممن قد أتى معى من القسوس والرهبان انى لا أقرب لك زادا دون أن تقرا كتابى وترد بعد ذلك جوابى (قال الراوى) فلما سمع الملك قيصر هذا الخطاب ازداد غيظا والتهاب ونادى هات الكتاب فناوله الكتاب وهو ملفوف فى ثوب من الحرير معلم بالذهب ففضه وقراه وعرف معناه ثم حذفه من يده من عظم غيظه وشدة حرده وأخذه الوزير بعدما أمر قيصر أن يقرأه على الكبير والصغير فامتثل الوزير الكلام قيصر ونهض قائما على الاقدام وابتدا بقراءة الكتاب وقال أما بعد فانى قد

كتبت الى ملك النصرانية وسيد أهل ماء المعموديه نشر المسيح أعلام نصره وآمنه فيه من حوادث دهره وجعله الحق معه وعاما طاعا وله رعاء وجعل له من قسقسة القسوس نورا مشعشعا وجعل له حظا من رجيع البترك والرهبان الى أن تقوم الناس ليوم الساعة والمحشر وملكه الارض فى طولها والعرض ودامت له طاعة جميع البلدان ورايات أهل الصلبان بدعوة الحواريين وثواب الرهبان والقسيسين آمين الذى أعرفك به اياها الملك الرحيم ان وصل الى ابن عمى وجدهى زغمى وهو كوبرت أخو الملك خلنجان وقد ذكر لى انه قاتل اخوتى وأولاد عمى ومقيم عندك فى أمان وهو عنتر بن شداد العبسى نسل الاوغاد فساعة وصول كتابى اليك وقبل أن تضعه بين يديك تقبض عليه وترسله الى مع الرسول وهو مقيد مغلول حتى آخذ بثار أولاد عمى واخوته وثار الافرنجية وازيل عنها عارها وعار أهل ماء المعموديه والشريعة المرعية وان كنت تحتج بحجة باردة وترد الرسول بلا فائدة فانى أقصد اليك بعشائر وكتائب وعساكر فى مراكب يكون وقوعها عندك فى القسطنطونية وآخرها عندى والسلام على من قد عرف قدر المسيح وعرف الحق ورجع عن القبيح (قال الراوى) فلما فرغ الرسول من قراءة الكتاب بلسان الروم الذى هو عن لسان العرب مدغوم ومعجوم فأمره الملك قيصر أن يعيده بلسان العرب ليسمعه عنتر بن شداد ويعرف ما فيه من الابراد والاوعاد فجعل الوزير يقرأه فصلا بعد فصل وعنتر يسمعه وقلبه يتقطع ولما اتى على آخر الكتاب وعلم عنتر أنه هو المطلوب عاد سواده الى بياض ثم انقلب وثار من عينيه شرار النار واللهب وبقى حائر أى شئ يرد من الجواب وبقى يسمع ما يبديه الملك من الخطاب ونظر الملك قيصر الى وجه عنتر فرأى عيناه كأنهما برك الدم الاحمر فعلم بحاله وما قد ناله فعند ذلك قال الملك قيصر للرسول ياأبانا أما أخبر الملك عن عنتر انه مقيم عندى فقد صدق بما كذب وأما قوله انه قتل خلنجان واخوته فصدق أيضا فى كلمته لانهم قتلوا فى طاعة المسيح ودفنوا فى البر الفسيح وهذا الرجل لما قتلهم كان من أعدائنا وأما اليوم فهو من أصدقائنا وحلفائنا وقد أكل طعامنا وتحرم بذمامنا وأنا قد حلفت له بالانجيل والسيدة أم النور ذات التبجيل بانى لا أوذيه ولا أتعامل عليه ولا على عدمه من الوجود ولا أنقض ما بينى وبينه من الايمان والعهود وأيضا فان هذا الرجل الذى بين أيديكم ما هو بحكمى حتى انى أقبض عليه وأسلمه اليكم فاذا سمع الملك كلامى وعرف مرادى وأجار ذمامى ورعى احترامى والى نظر بعين الصواب والامر الذى لا يعاب يرجع عن هذا الخطاب واذا طلب قتالى قاتلته وان حاربنى حاربته فما هو أشد منى باس ولا أقوى منى مراس ولا أكثر منى عدد ولا أزيد مدد ويعطى النصر المسيح لمن يشاء ويختار ثم انه أمر للرسول بخلعة سنية وعشرة آلاف دينار فأبى الرسول أن يقبلهم لاهو ولا أحد من الرهبان مخافة من الملك الليلمان بل انه قال ياملك أريد منك أن تتم لى برد الجواب حتى انى أعود من حيث أتيت على الاعقاب فقال له الملك ما يحتاج الى كتاب بل انك تحدثه بما سمعت من الخطاب ورد انت الجواب فعند ذلك عاد الرسول الى المركب الذى اتى فيه وشرعوا القلوع من ساعته وساروا فى البحر حتى انهم غابوا عن أعين الناظرين فعند ذلك قال عنتر ياملك الزمان من يقال له هذا الذى قد أتى من عنده هذا الشيخ الكبير الرأس والآذان فقال الملك ياأبا الفوارس وياسيد الاقران هذا قد أتى من عند الملك الليلمان وهو ملك عظيم الشان شديد البطش والسلطان حاكم على جزائر كثيرة وبلدان ومسيرة بلاده والارض الذى هو فيها أربعة أشهر طولا وعرض وهو صاحب مراكب كثيرة وهو يحكم على البر والبحر بجيوش وأجناد ولاجل اتساع جزائره وبلاده هو فى نفسه جبار اثيم وشيطان رجيم ماله فى هذا الزمان عديل ولا يقاومه شجاع وهو ثعبان أرقط وبلاء مسلط (قال الروى) فلما سمع عنتر كلام الملك قيصر قال له ياملك الزمان وكيف الوصول الى هذا القرنان من البحر الزخار فقال له بيننا وبينه أربعون يوما على التمام ليلا ونهارا اذا كان الهواء معتدل بلا كدار فقال له عنتر وبعد الاربعين يوم نشرف على الجزائر والضياع والحصون والقلاع فقال له عنتر والارض التى لهم مثل أرضنا هذه تحمل الخيل عند الجولان وقت الحرب والطعان فقال نعم ياأبا الفوارس فقال عنتر وهذا الملك ما هو تحت طاعتك ولا هو من أهل ولايتك فقال الملك بحق المسيح

الكذب ياأبا الفوارس قبيح ماهو الا ملك وحده وحاكم على جيوشه وجنده فقال عنتر يا ملك فلم لا تسيرني اليه
حتى انى أزل قدميه وانهب أمواله وأسبي عياله وأقطع بهذا السيف أوصاله وأبرى لحمه وأكسر عظامه
وأحكمك فى عياله وأمواله وجزائره ودياره وقد انسر قلبه بكلامه وتعجب من قوة جنانه وشجاعته وسعة
صدره وبراعته فقال له ياأبا الفوارس لابد لنا من القتال لهذا الملك الجبار والطاغى الغدار وكأنك بعشائره
وقد أقبلت ومواكبه وقد تبادرت فقال عنتر اذا كان الامر ينتهى الى القتال والحرب والنزال فسيرنى أنا
اليه فى بعض المراكب حتى أضمن على روحى بانى لا أخلى من أبطالهم لا ماشى ولا راكب فعند ذلك قال الملك
قيصر لا وحق المسيح ياأبا الفوارس ما يبقى أحد منا الا ويسير اليه وأكون أنا من جملة الجيوش والعساكر فقال
عنتر لا وحق من لا يعلم له أول من آخر وهو الواحد الاحد الفرد الصمد القاهر العالم بما يختلج فى الصدور والضمائر
ما سير الى ديار هذا الظالم الغادر الا أنا بعض هذه العساكر واترك لى ولهم حديثا يسطر فى الدفاتر وتحدث
به الاوائل والاواخر بما يجرى بهذه الجزائر من حسامى الباتر وبعد هذا أيها الملك ماههنا امر يزعج لك خاطر
واذا كنت أيها الملك تريد أن تسير اليه بجميع ما عندك من البشر فلاى شئ يصلح عبدك عنتر (قال الراوى)
فعند ذلك فرح الملك قيصر بمقالته وانسر سرورا عظيما وأمل أن يصل الى كل ما يريد فأمر الملك من يومه
الحجاب باصلاح العدد والقواضب وقد أمر بحضور مقدمى المراكب فلما أقبلوا عليه قبلوا الارض بين
يديه فأمرهم أن يجهزوا خمسمائة مركب سوابق حربية بالفولاذ والطوارق ويجهزوا عددها وجميع آلاتها
وانجازها فى أسرع ما يكون من الاوقات فأجابوه بالسمع والطاعة وتجهزوا من تلك الساعة (قال الراوى)
ومن يومه فتح الملك خزائن السلاح وفرق آلات الحرب والكفاح على عشائره فكانت أربعمائة ألف فارس
من كل بطل مداعس وشجاع منافس وبعد الثلاثة أيام أقلعت المراكب وهى كأنها العرائس المجلية بالستاير
والطوارق والبنود القسطنطونية والرايات والمناجيق السلطانية والقرائب والطوارق والتوت الطيلقانية
فأمر الملك أن تدق الطبول والكؤوسات والزمور والبوقات وخفقت الصناجق ولمعت البيارق وأقبل
عنتر كأنه البرج المشيد مسربل بالحديد غائص فى الزرد النضيد وهو متقلد بحسامه الضامى الابتر معتقل
برمحه الاسمر راكب على ظهر جواده الابجر وشيبوب والخذروف فى ركابه والفرسان والحجاب يمشون بين
يديه فأقبل الملك قيصر على عنتر وقال له ياأبا الفوارس هذه الجيوش كاملين آلة الحرب والجميع يسيرون بين
يديك فى هذه المراكب وأنت عليهم مقدم وحاكم وكل من خالفك أقتله ولا تكن بقتله مطالب فقال له عنتر
أيها الملك الكبير والسيد الخطير أنا أى شئ أعمل بهذه العشائر كلها وأنا وحياة رأسك وطيبة نفسك وعيشى
عليك لا أسير لهم الا فى عشرين ألف فارس وبهم تنفصل الاحوال وأقضى الشغل وأبلغ الآمال فقال الملك
قيصر لا وحق دين المسيح ما أدعك تخاطر بنفسك ولا سيما والقوم من غير أبناء جنسك وهم خلق كثير وعالم
غزير وجزائرهم كبيرة وعساكرهم كثيرة فقال له عنتر يا ملك أنا قد أقسمت بالايمان الكبار انى لا أسير اليهم
الا فى عشرين ألف فارس أخيار وسوف تصل اليك الاخبار بما يفعل عبدك فى أعدائك اللئام الاشرار
وكيف أفنيهم بهذا الحسام وأسقيهم كؤوس الحمام وأنزل بهم الويل والعذاب سرمدا ولا أترك فى الديار منهم
أحدا فأجابه الملك قيصر الى مقصوده وأطاعه على ما اختار فعند ذلك قال له شيبوب ياابن السوداء المشبهة
بالظلام اذا كنت أقسمت بهذه الاقسام فدعنى أنا انتخب لك الفرسان الذين هم بين الرجال التمام وانتخب
لك بطل مقدام تعتمد عليه عند الصدام والا فصحبتى عليك بعد اليوم حرام فقال عنتر افعل ياشيبوب ما تريد
واحكم فى حكم الموالى على العبيد فعند ذلك تقدم شيبوب الى وسط الجيوش والجحافل وانتخب فارسا بعد
فارس وكل من هو فى القتال طائل وصار لا يعدل عن صاحب الاولاد والنسوان وينتخب الرجال الكوامل
ويعدل عن الشباب ولم يزل كذلك حتى فرغ عشرين ألفا من الشجعان وهم نقاوة من سائر الفرسان فقال
عنتر وأى شئ فائدة بهذا الذى سويت وهذه الرجال الذى لها انتقيت فقال له شيبوب أنا أعلمك ياابن الام بان
هؤلاء جميعهم روم ونحن معهم على غير دينهم وانهم يعبدون الصليب والانجيل ونرى أن نلتقى بهم أهل ملتهم

ولا نأمن أن يخامروا علينا ويوصلوا الاذية الينا والى الاعداء ينقلبون ونصير الجميع يدا واحدة علينا
فانتخبت الذى رأيت له نساء وأولاد ومن له لهفة الى هذه الديار لاجل نسائهم وأولادهم يقاتلون معنا وينصحون
ويبذلون مجهودهم فى القتال ويكونوا من تحت أمرنا وعن طاعتنا لا يبرحون فعند ذلك قال عنتر والله
ياشيبوب انك نظرت موضع النظر واستحذرت علينا فى أوقات الحذر (قال الراوى) هذا والملك قيصر قد
تعجب من كلام شيبوب مع عنتر وقد تحير من معرفتهم وذكاوتهم وفطانتهم فأمر الملك الرجال والابطال الذين
انتخبهم شيبوب بالمسير فى صحبة عنتر بن شداد وأكثر معه من لحوم القديد والزاد وكذلك الخيول العربية الجياد
ونادى يا معاشر العشائر والاجناد ما المقدم عليكم الا عنتر بن شداد وهو المتولى عليكم من قبلى وأمره فيكم
كأمرى وكل من خالفه انتقمت من أولاده وخربت دياره بعد سبى أهله وعياله فأجابوا الجميع من تلك
الساعة لعنتر بالسمع والطاعة وبعد ذلك استدعى الملك قيصر بولده الاكبر هرقل وهو ولى عهده والموصى له
بالملك من بعده فأحضره بين يديه فلما حضر قبله بين عينيه وقال لعنتر ياأبا الفوارس هذا ولدى يسير فى
صحبتك وهو من تحت أمرك وطاعتك وأمر ولده بالطاعة لعنتر وانه لا يخالفه فيما يأمره ولا فيما يدبر فأجاب
هرقل بالسمع والطاعة ونزلت العشائر من تلك الساعة وترتبوا فى المراكب ونزلوا سائر السلاح وآلة الحرب
والكفاح من سيوف ورماح وقواضب وأحضروا مائة سفينة تحمل الخيول ومائة سفينة برسم الماء والزاد
ومائة سفينة لاجل الحاجة اليهم فى تلك البلاد وقد ساروا فى ثلثمائة سفينة والجميع مزينين بالستائر الحرير
الملونات والبنود والاعلام والرايات وقد امتلأت بقية المراكب بالرجال والفرسان والابطال وهم مستعدين
للحرب والقتال وبعد ذلك أقبل عنتر وهرقل بن الملك قيصر وخواص مملكته وحجابه وتوابعه وأرباب دولته
ونوابه ونزلوا فى المراكب السلطانية وهم على صفة القلاع المبنية وفى صدورهم وظهورهم موانع الصلب
من الحديد لاجل الصدام وقت القتال الشديد ونزل الملك قيصر وودع ولده وأمر بحسن الوفاء والطاعة
لعنتر فى كل ما نهى وأمر ثم أمرهم أن يأخذوا الحذر وأن يكونوا مستيقظين فى أمورهم متأهبين (قال الراوى)
وفى تلك الساعة دقت الطبول والكؤوسات ونعرت البوقات وجذبوا المراسى وشرعت القلوع وصاحت
الروم باختلاف لغاتها وسار ثلثمائة قلع فى لجج البحار وقدامهم عشرين ألف فارس كرار وغابوا عن
الابصار وجدوا فى المسير ليلا ونهار غدوا وابتكار (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من
الملك اليلمان فانه لما وصل رسوله اليه وأعاد بما سمعه من الملك قيصر اليه فقام وقعد وأرغى وأزبد وصرخ
صرخة عظيمة من شدة غيظه والحرب زنادى فى جيوشه وأبطاله وعشائره وأقرانه وفرق عليهم العدد
والسلاح والزرد واستعد بفرسانه وأجناده فكان عددهم ستين ألف فارس وأمرهم بالنزول الى المراكب
ونزل اليلمان مع رجاله وأبطاله وأمر بفرد القلوع وصاحت تلك الجموع وساروا طالبين الملك قيصر وفى
نيتهم أن يكسروه بهذه الجيوش ولم يعلموا بانه منهم أشطر ولم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين مدة خمسة عشر يوم
وفى اليوم السادس عشر توقف الريح عنهم وطلع عليهم من صدر البحر ضباب حتى انتشر فسد الاقطار وصار البحر
هادى ووقفت جميع المراكب على المراسى وأقاموا ستة أيام وهم فى أكل لحوم وطعام وشراب مدام فلما
كان اليوم الثانى والعشرين هبت الارياح من سائر أقطار البحار فنفخت القلوع وسارت مراكبهم من يومهم
وليلتهم ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح أشرفت عليهم مراكب الملك اليلمان وقد وقعت العين
على العين وظهرت مراكب الاعداء والتقوا بمراكب الملك قيصر وعنتر بن شداد وتعارفت الجيشان
وارتفعت الزعقات وعظمت الضجات وعلت الصرخات واختلفت الاصوات وتراشقوا بالسهام وكثر
بينهم الكلام وفى دون ساعة التصقت المراكب وجردت القواضب وقل خطاب المخاطب وتصادمت
المراكب كتصادم الجبال وثبتت لبعضها البعض تلك الرجال وتناطحت كتناطح الكباش وكثر الفزع
والارتعاش وأخذهم الخوف والاندهاش وانقطع قلب الجبان من الجزع وطاش وعدم البطل الصنديد
رعاش وعظمت الاهوال والبليات وفر الجبان خوفا من الممات وقوى قلب الشجاع على البليات وزادت

المصائب يوم الثبات وعلقت الكلاليب وصدت الاثقالات هذا والطائفتين ينادون بعيسى ومريم وبالصليب الذى هو عندهم معظم هذا ومراكب الملك قيصر قد دارت بهم المراكب وتكاثروا عليها من كل جانب فعند ذلك وثب عنتر كأنه الاسد الغضبان أو النمر الحردان وهمز بنفسه فسار فى وسط مركب من مراكب أعداهم وصرخ فى أصحابها فارتجفت أعضاهم وقل عزمهم وقواهم وكثر صياحهم لما أيقنوا بتلافهم ونظر بقية أصحاب المراكب الى ذلك فتراجعت اليه من كل جانب وعنتر يضرب فيهم يمينا وشمال ويريهم العجائب والاهوال ويبرى بسيفه الاوصال ويقرب الآجال ويعدم الرجال وقد أنزل فيهم المصائب وأوقع الافرنج فى البلاء والمعاطب هذا وهرقل بن الملك قيصر يصيح فى الابطال ويحرضهم على القتال ويشجعهم على الابطال وهو يقاتل ويناضل ولما نظرت الروم اليه وهو يفعل تلك الفعال صاحت الفرسان واصطدمت الشجعان واشتد القتال وعظم النزال هذا وعنتر يضرب فيهم ضربات مثل نار الحريق فهذا قتيل وهذا غريق وهذا مقتول بالسيف وهذا مختنق وحل البطاريق منهم ما لا يطيق وانخذلت الافرنج ونزلت عليهم الروم وجرى عليهم القدر المحتوم وانسدل الظلام وراق الليل وأزهرت النجوم وانفصلت الطوائف عن بعضها البعض ورجعت كل مركب الى أصحابها وعنتر فرحان والتقى بالملك هرقل بن قيصر وأخبره عنتر بكبس القوم بظلام الليل فقال هرقل افعل يا أبا الفوارس ما بدا لك نجح المسيح أعمالك فعند ذلك انتخب خمسمائة فارس شجعان وأخذهم وطلع بهم فى مركب كبير وصار يوصيهم على الحرب والكفاح وبعد ذلك زحف عنتر وشيبوب والخذروف فرسان البطاح ونظر اللعين الى مركب عنتر برز يطلب القتال دون رفقاه فصرخ على عشرة مراكب أن تخرج الى لقاه وكل مركب فيها ألف فارس عتاه واحتاطوا بعنتر فصرخ فيهم وقاتل قتال من كره الحياة وقتل الفرسان ونثر رؤسهم الى البحر خمسا وعشرا فقصدته المراكب من كل جانب وعنتر يضرب فيهم يمينا وشمال ويريهم عجائب وأهوال ويبرى بسيفه العظام والاوصال ويقرب الآجال ويعدم الرجال وقد أنزل فيهم المصائب وأوقع بالافرنج البلاء والمعاطب (قال الراوى) هذا وهرقل ابن الملك قيصر يصيح فى الابطال ويحرضهم على القتال ويشجعهم على الاهوال وهو بينهم يقاتل ويناضل هذا وعنتر يضرب فيهم بالحسام الفصال ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشتعل ولم يزالوا على ذلك الحال الى أن ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال فرجعت المراكب عن بعضها البعض وصبروا الى أن أصبح الصباح فزحفت عشر مراكب أخرى الى نحو مركب عنتر واحتاطوا به يمينا وشمال فصرخ عنتر الفارس الهمام وقاتل قتال من كره المقام ونثر بسيفه الكفوف والمعاصم وبرى الجماجم فعند ذلك قصدته المراكب من كل جانب وانشبوا فى مركب عنتر الكلاليب وتقدم بطريق هائل المنظر تذل له الفرسان من قوة بأسه ومازال حتى قاربه فعند ذلك حذف الوهق على عنتر ورماه فى رقبته وجذبه اليه فوجده كأنه عامود حديد وهو عن مكانه لا يحيد (قال الراوى) ولما نظر عنتر الى ذلك مسك حبل الوهق بيده وجذبه بشدة حيله وقوته فكلت يد البطريق وخذلت سواعده فما شعر الا وعنتر قد جذبه اليه وفى عاجل الحال صار مرميا بين يديه فسلمه الى شيبوب والخذروف فشدوه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف ثم حمل على عنتر أخو البطريق وهو كأنه المنجنيق وكان فى يده حربة فهزها حتى بان طرفها ثم رمى بها عنتر والخلائق تراه فخرجت من كفه مثل الشهاب الثاقب أو السهام الصائب حتى لحقت عنتر وقربت منه حاد عنها بمرفقه وسرعة حركته فدخلت فى صدر علج من علوج الروم فقتلته وعبرت فى كتف آخر أخرقته فحق عنتر على ذلك البطريق فهجم عليه بشدة سطوته وضربه بالصامى على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه فعند ذلك مالت الافرنج على عنتر وتكردست مثل أوائل المطر وهو بينهم مثل الاسد اذا هدر وكسر فقاتل قتال المجنون وفعل فيهم فعل من قد أيقن بشرب كاس المنون والتصقت مركبه الى العشر مراكب المقدم ذكرها فى الاول وداروا به كما يدور البياض بسواد الحدق وربطوا المراكب بالكلاليب والحبال واشتد الحرب والقتال وعظم النزال وكثر الزلزال وزادت الاهوال وقتلت الرجال وتعلق عنتر بمركب من المراكب فصار فيها

والتقى بالابطال وأبلاهم بالمعاطب والبلاء والمصائب وأنزل بهم الويل والخبل ونثرهم نثر الحرمل ولم يزل يضرب فيهم بالحسام ويرميهم بالمصائب حتى ملك المركب منهم قوة وقهرا وعاينت الافرنج منه ضربا لا يبقى ولا يذر فرموا أنفسهم الى البحر وكان قد ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجع عنتر بالمركب وقد أضافها اليه فتلقاه هرقل وشكره وأثنى عليه فقبل عنتر يديه وأكثر من شكره وحمده وباتوا يحرضوا بطارقة الروم على النصح فى القتال والثبات على ملاقاة الاهوال الى ان أصبح الصباح فزحفت المراكب الى بعضها البعض وكثر الابرام والنقض والتقتهم مراكب الافرنج وكثر بينهم الهرج وظهر الجد وخفى المزاح وقد تصادمت الاشباح بالاشباح وذهبت من الاجساد الارواح وأما عنتر فانه أمر القبطان أن يصدم بمركبه مركب يقال له الضراب والغراب الادهم يزيد على وصف الغراب الادهم وهجم فى وسطه ونثر من الافرنج الرؤس والرقاب وألحق الشيوخ بالشباب وهو يخطف أرواحهم كما يخطف اللحم العقاب وهدر وزمجر وطلع الزبد على أشداقه واحمرت آماقه لكل من رآه سبحان خلاقه (قال الراوى) وكانوا هؤلاء الافرنج من عميق الجزائر وهم من شداد العشائر وعمرهم ما رأوا مثل قتال عنتر لان قتاله يفطر المرائر فاندهلت عقولهم وحاروا فى أمورهم ولم يزل عنتر يضرب فى تلك الاجناد ويسقيهم كأس الاعطاب وقد ضرب فيهم ضربا تتعوذ منه العجم والاعراب ولم يسلم منهم الا من ألقى نفسه فى البحر من هول هذا الامر وكذلك قاتلت الروم قتالا غير مذموم وصبحوا الافرنج صباحا ميشوم وعنتر بن شداد فى شدة القتال وهرقل ينادى يا أبا الفوارس قد ملكت المراكب بلا محال فالتفت اليهم واذا معهم دون الالف فارس رجال الافرنج كالاطواد ومن بقى من قوم عاد فعند ذلك انطبق عليهم عنتر بن شداد وهو ينادى يا لعبس الاجواد وبيده سيفه الضامى الذى لو ضرب به جبل قده هذا وقد طلبته الابطال وهجمت عليه الرجال وطلعت عليه طائفة أخرى وهم ألف بطريق بكل سيف ثقيل وترس وثيق هنالك عمل الحسام وانفلق الهام وكسرت العظام وانقطع الكلام وعنتر قد وقف وقفة كريم النسب من أشرف سادات العرب وطلب منهم القتال والعمل وبطلت الحيل وطلع الزبد على أشداقه وصار يتساقط زبده فتقطر واحمرت آماقه وكثر العدد عليه وقصدوا الالف بطريق بالسيوف اليه هذا والملك هرقل خاف من العطب ومال من خوفه الى آخر المركب والمركب يموج فى لجج البحر الزاخر كموجات الطائر فى جو السحاب وعنتر يطوقهم بالدم الاحمر والدم من أجسادهم دافق على أقدامهم والمفارق وبعضهم رمى نفسه فى البحر فصار غارق ولروحه مفارق وسيف عنتر فيهم ماحق ورمحه خارق وجنانه منطلق دافق وما أتى آخر النهار وأقبل الليل بالاعتكار حتى رأت الجمع مفرق والعدد قد تمزق ونظرت باقى مراكب الليمان الى ذلك وما حل بها من المهالك فرجعوا الى حول المراكب من كل جانب (قال الاصمعى) والقد سألت شيبوب بنفسى وقلت كم دخل الى عنتر بهذه المراكب من الرجال فقال وذمة العرب خمسة آلاف وستين رجلا من الابطال والذى قتلوا ورموا أرواحهم الى البحر من خوف سيف أخى عنتر كانوا مثلهم ثلاثة أمثال وصارت المراكب تنظر الى مركبنا حذرا وترمقها شذرا ولقد عاينت من أخى الهول المنكر هذا وعنتر يجول على ظهر المراكب ويتذكر ما جرى عليه وما قد وصل اليه ويتذكر عبلة والديار وما جرى عليه من قيس من الامور والاخطار فهزه الشوق فأنشد يقول

أيا طير اخبر لقيس وقل له * بأنى ليث الحرب فى البر والبحر
وخبره فعلى بالقوم وقل له * رفيقى سيفى والفرنج لحمى ظهرى
ويخبر أمواجا من المالحة * وأمواج دم فوق مركبنا تجرى
وأرديت أنا مائتين وألفين بعدهم * وخلفتهم فى البحر صرعا الى الحشرى
ومن يك مثلى يحتمل سائر الاذى * ويصبح فى أرض مهانا بلا شكرى
ولا ذنب لى الا بأنى حافظ * وأرعاهم جهدى ويسعون فى ضرى

(قال الراوى) فقال له الملك هرقل لافض الله فاك ولا كان من يشناك فلله درك من بطل همام خطير وفارس نحرير وصاحب المواقف المشهورة والمقامات المذكورة والخصائل المنشورة والاحاديث المخبورة وما أحوالك عن الخلق مستورة بل هى فى الآفاق منشورة فضحك عنتر من قول هرقل ابن الملك قيصر من وصفه اليه وشكره وأثنى عليه هذا والملك هرقل قد تحير من عظم فعال عنتر وما عاين منه من ذلك الأمر ثم ان عنتر قال للملك هرقل والله يا ابن الملوك الكرام وحق الرب القديم العلام لو كنت على وجه الارض وأنا فوق ظهر الجواد كنت نظرت ما أفعل بهؤلاء الاوغاد المحاقين اللحا أولاد اللئام كيف أحلق رؤسهم بالحسام فصدقه الملك هرقل فى مقاله لما شاهد أفعاله وزادت فرحته به وما ناله هذا وقد هجم الليل وراق وطبق بظلامه الآفاق وقد أوقدت النيران فى المراكب وتحارسوا وتصايحوا من كل جانب الى أن مالت الكواكب الى الزوال وطلع الفجر وزالت الغياهب وكان قتال المراكب فى هذه الثلاثة أيام من غير مشاهدة الملك الليمان الا أنه سمع ما فعل عنتر فخرق عليه ومنه تكدر ولما ان رأى من عنتر ما أهاله تغيرت عند ذلك أحواله وعظمت عليه أموره وزاد بلباله فصاح فى رجاله وأبطاله وقد أمر أصحاب المراكب جميعها بالحملة فعندها ضجت القسوس والرهبان بقراءة الانجيل ورفع الصلبان وانطبقت المراكب التى للملك الليمان على مراكب الملك هرقل ابن الملك قيصر وضيقت عليهم من كل جانب هذا والبحر من تحتهم قد علا وأزبد فزادت المصائب وضرب الموج مراكب الافرنج ففاض الماء الى وسط المراكب هذا وقد زمجر عنتر بحسامه الجماجم والرقاب وقاتل قتال الكرام أولوا الالباب وفعل من الاهوال ما رأى أحد مثلها من الابدال هذا وشيبوب قد حار واندهل والخذروف قد طاش عقله وتخبل ونادى بأبيه شيبوب يا أبت ما لنا ندور مثل الرحا وننتقل وقلبى خائف وقد ضاقت بى الحيل هذا والافرنج قد أبدت الروم وقرب منهم الاجل وأحرقت بقنطارياتها صدورها والمقل وقد ضربت بالسيوف وحارت فى العمل وطعنت بالرمح ودنى المرتحل هذا وعنتر رمى رؤسهم مثل الحنظل وقد هتك ستر المبوس وسل من الاجساد النفوس هذا كله يجرى وعنتر يقاتل قتال النحرير الا أن الخلق عليه كثير والجمع غزير وقد صارت المراكب كلها محتاطة بمركبه وصارت الاعداء من حوله كأنها الحلقة الدائرة وقد ضايقوه أشد مضايقة وصارت الارواح للاجساد مفارقة وغربان المنايا عليهم ناعقة وطيور الحمام عليهم زاعقة وهو يحمى ويخى الرجال الذين معه فى المراكب ويتحسر مما قد عاين من قتال البحر هذا وقد ملكت الافرنج من مراكب الملك قيصر ثلاثة مراكب قوة وقهرا وحرقوا بالنفض مركبا آخر ومركبين قد أشرفوا على الاسر هذا والملك الليمان يحرض الابطال على القتال ويخى الرجال فترمى أرواحها على الهلاك والوبال وقد داخلهم الطمع فى مركب هرقل بن قيصر وأرادوا أن يأخذوا الملك هرقل منها أسير وقد لاح لهم علائم النصر والظفر فقال الخذروف لابيه شيبوب والله يا أبتاه ان قلبى قد خفق وما رأيت عمرى مثل هذا اليوم الذى اتفق لان نفسى قد صارت مثل العلق فقال له أبوه وأنا والله ما بقى فى رمق ولقد خفت على نفسى ألف مرة من الغرق فياليتنا كنا على البر ودع السماء على الارض تنطبق حتى كنا نتسابق مع الريح حتى يعلم أينا أسبق فبينما هم على ما هم عليه من الحزن والقلق واذا بالبحر قد هاج عليهم أعظم هياج وقد تلاطم بالامواج وأظلم حتى كأنه الليل الداج ولا بقى يبان من المراكب لا لوح ولا سياج فعندها احتاجوا الجميع الى ضوء السراج وقد تباكت الروم والافرنج الاعلاج وتخلوا عن الحرب والقتال وقد صاروا بين أمواج كأنها الجبال فعند ذلك تغيرت منهم الاحوال وخابت الآمال وقصرت الآجال وطال عليهم المطال وغلى عليهم البحر كغليان المرجل وبطل القتال والعمل وصار الظلام كأنه السرداق وقد ضربت الامواج المراكب ففرقتها عن بعضها بعض وصارت تلعب فى البحر طولا وعرض وقد اشتغل كل واحد منهم بنفسه عن أبناء جنسه ولم يزل الظلام دائم عليهم وموجات البحر زاخرة وواصلة اليهم مدة ثلاثة أيام بلياليها على التمام وشيبوب يقول لاخيه عنتر وحق خالق البشر رب الاواخر والاوائل يا ابن الام ما أظن اننا بقينا نسلم من هذا البلاء النازل ولا نرجع نرى الديار والمنازل ولا فعل أحد ما فعلنا نحن بأرواحنا وأنفسنا بمجيئنا الى هذه الديار وحق خالق

الخلائق ورازق العباد وما تأسفى على زوجى ولا على أولادى الا كيف نموت فطيس فى الماء ويشتفوا منا بنى زياد والربيع وأخيه عمارة القواد فقال له عنتر وقد تنهد وتحسر وأظهر الجلد لا تخاف يا شيبوب وكن جليد وخل عنك كلام كل بليد وان كان لك أجل مديد ما تعمل فى جسدك الصوارم الحديد ومازال الريح عليهم عمال وهو قائم والعقل منهم هائم تمام الثلاثة أيام فلما ان كان فى اليوم الرابع انجلى ذلك الظلام وسكن هيجان البحر والغليان باذن الله الواحد الديان الحنان المنان الذى لا يشغله شأن عن شان وقد انكشف البحر وبان فلم ير من تلك المراكب ولا قارب بل ان الريح شتتهم وبعضهم ضربتهم أمواج البحر ففرقتهم وقد ألصقوا عند ذلك بعض مراكبهم الى البر وأنزلوا خيولهم وأموالهم ورجالهم وأثقالهم ونزل عنتر وقد افتقد ما معه من المراكب فوجد قد عدم منهم ستين مركب بما فيها من الرجال والاموال والاهل والاقارب ومراكب سالمين من المعاطب وكذلك مراكب الخيل والجنائب فعند ذلك فرحوا وقد رموا مراسيهم وأوثقوا حبالهم وطلعوا الجميع على البر وضربت لهم السرادقات والخيام ونشروا الرايات والاعلام وقد رفعت الصلبان وصلبت القسس والرهبان وعظمت عندهم الفرحات ودقت الطبول حتى أزعجت البر ورنت الكاسات ونعرت البوقات والزمور من انزعاج البحر والغليان وقد أقاموا خمسة أيام بلياليها ولما كان فى اليوم السادس شاور الملك هرقل الامير عنتر فى الرحيل الى ديار الاعداء اللئام فأنعم بذلك وأجاب فدقت الطبول والكاسات ونشرت عليهم الاعلام وخفقت البنود والرايات وصهلت الخيول الصافنات وتقدمت من الفرسان السادات وقد ساروا وعنتر سائر قدام القادات ومن لهم بالحروب عادات وقد ساروا وعنتر سائر وخلفوا لحفظ المراكب بعض الفرسان وسار عنتر فى مقدمة الجيش وأخيه شيبوب وولده الخذروف بين يديه فعند ذلك تذكر عنتر ما جرى له من نوائب الزمان والضير وما فعل معه بنو عبس بعد ذلك الصنيع الذى صنعه فعندها تحسر وفكر كيد بنى زياد تفكر فجرت دموعه على خدوده كالمطر وقد افتكر عبلة فزادت بلابله وأنشد يقول هذه الابيات

كم توردونى عتابا غير مستمع * وأنعق العمر بين الناس والطمع
وكم أجد على الايام معترضا * ما يحدث الدهر والايام من فزع
واست أحيد عن صبرى وعن جلدى * لو داس من فوق أنفى الموت لم يدع
أقبل النقص والايام مقبلة * والبيت فى ذروة العلياء مرتفع
لا ركبن من الاهوال أعظمها * وكلما يحفظ الرحمن لا يضع
وكم أكون كمن يسعى وغايته * ومنتهى سعيه المردى والتبع
أيذهب العمر لا يزال معاندى * خصمى وجارى بقربى غير منقشع
وبين جنبى عزم يقتضى همما * لو ضمها صدر هذا البحر لم يسع
فلا رعى الله أرضا لا أكون بها * وكم لست بصبرى من أسى وجع
كم عاين الدهر من صبرى مكتمل * وليس يوجد صفو العيش فى الجزع
وكم سقانى من كأس على ظمأ * أمر فى الطعم من صبرى ومن سلع
وما رمانى بسهم من نوائبه * الا ملكت بصبرى هامة الدرع
سل الاخلاء عمن صحبتهموا * يوما من الدهر الا والوغا تبع
* أنى مسيئتهم متبعها * حتى كان لم يخن دهرى ولا يضع
وسلهموا عن وفاء ثقاتهموا * حوا ولم يشر فى عرضى ولم يبع
وقد تفكرت فى شأنى وشأنهموا * فبان لى ذنبى عندهم ورع
فآه من زفراتى كلما صعدت * فى الصدر كانت كوقد النار فى الضلع
يسوقها أسفا قد بان من ندم * شئ على وصم المغبون فى الطمع
* وليس ذلك فى عام أقمت به * حيا وأفناه صرف الدهر والجزع



ولا على شدتى أخشى عواقبها * والناس قسمان ذو بأس وذو ورع
لكن على درة تزهو جواهرها * فى عقد كل نظام غير منقطع
كم لمت قومى لا بل كم أنذرهم * من اقتدامى واحلامى لمرتبع
فلم أجد باياس غير مرتحل * عنهم لهم اسوة بالغير مبتدع

(قال الراوى) فلما فرغ الامير عنتر من انشاده والنظام طربت الرجال وتشكره الملك هرقل ومن كان حوله من الابطال وقد ساروا طالبين ديار الملك الليلمان وقد كانوا جدوا فى ذلك الاهتمام لاجل الحرب والصدام فهذا ما كان منهم من الكلام (وأما) ما كان من الملك الليلمان نسل الحرام فانه لما قاست تلك الزوابع غرق من مراكبه شئ كثير من كثرة ما نالهم من الظلام والريح العسير وما سلم منهم الا اليسير فعندها طلعوا من البحر وساروا الى جزائرهم وقد كثر بينهم الكلام ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى جزيرة الكافور وقلعة البلور وقد التقى الملك الليلمان بولده مرجوان ولم يكن له ولد غيره فى ذلك الزمان فلما التقاه وقع فى صدره فعانقه وباس يديه وهناه بالسلامة من غير ندامة ثم ان الملك دخل الى قصره وجلس على تخت ملكه وقد جمع حواليه أرباب دولته وقص عليهم قصته وما جرى على مراكبه من الغرق وقتل رجاله وعدم اجناده وما قاسى فى حربه مع عنتر ونزاله وكيف كانوا قد استظهروا عليه وأخذوا بعض مراكبه وكيف هاج عليهم البحر وأبدى عجائبه وقد أظلم الجو وغابت كواكبه وكل منا قد أيس من الحياة وانقطعت ما تربه وبعد ذلك يجب علينا أن نحذر الحذر ونتأهب لملتقى العدا فى الحرب والجلاد وكذلك الاسود عنتر بن شداد ومن معه من العشائر والاجناد ان كانوا سلموا من الغرق وأتوا الى هذا المكان ثم بعد ذلك أمر الرجال بأخذ الاهبة للحرب والقتال وقد سير المراكب الى سائر البلاد والقلاع وقد جمع ملوك تلك الارض والبقاع وأمرهم أن يكونوا على أهبة الحرب والقتال والقلاع فما كان أكثر من ثلاثة أيام حتى أقبلت العشائر وانقادت العساكر وهم مثل السيل اذا سال وقد أمر الليلمان باخراج الاقامات والعلوفات وتجهز فى مائة ألف فارس عتاة لابسين الحديد متدرعين بالزرد النضيد وهم من كل فارس شديد وقرم عنيد وهم بالسيوف الهندية والقنطاريات الافرنجية والبيض العادية والدروع الداودية وتحتهم الخيول العربية ورحلوا طالبين عشائر الملك قيصر وابنه هرقل وعنتر بن شداد فارس الطائفة العبسية وقد ساروا ذلك اليوم والثانى والثالث وفى اليوم الرابع أشرفت عليهم غبائر وزوابع فتبينوهم واذا هم أصحاب البلاد والقلاع التى حولهم وهم هاجين خائفين وجيوش الروم لهم طالبين فاخبروا الملك الليلمان بذلك فامرهم باخذ الاهبة للقتال وركوب الاهوال فتأهبوا كما أمرهم ونزلت الرجال للراحة وذلك بسبب الخيل لتعينهم وقت القتال فما لبثوا أكثر من ساعة حتى طلع عليهم الغبار وتزوبع وثار وأظلمت منه الاقطار وانجلا ضوء النهار ساعة وقد بانت راية الملك قيصر واشتهر الامر وظهر وتقطع الغبار وتمزق فى الاقطار وصهلت الصافنات وعملت الرياح عمائلها فى خفق البنود والرايات ودقت الطبول وضربت النقارات ونعرت البوقات ودقت الكؤسات وركب الملك الليلمان وحوله القسس والرهبان وتبادرت الفرسان والشجعان وضربت كؤساته ونعرت بوقاته ونشرت أعلامه وراياته وتقدمت حماته وكماته ولما وقعت العين على العين وتقابلت الجيشين واصطدمت الفريقين وحان الحين وزعق عليهم غراب البين ودقت النواقيس من الطائفتين وضجت الرهبان وكل قسيس ومطران وقد ارتجت بهم الارض وجالوا طولا وعرض وصهلت الخيول ولمعت النصول وامتلأت الطلول وجالت الفحول واشتاقت الى القتال الرجال وهمهمت الابطال وغنى الصياح وقلعت الارواح وخافت من القتال الاشباح ولمع السلاح وأخذوا فى القتال والكفاح وتقدم الليلمان وقوى قلوب الشجعان ورتبها فى الميدان وقل الكلام وقد أراد الليلمان أن يبرز الى القتال والجولان فسبقه عنتر الى ساحة الميدان وطلب براز الاقران فعندها برزت اليه الفرسان وصارت تخرج من تحت الاعلام والبنود وعنتر يفترسهم افتراس الاسود ويطعن فيهم بطعن لاتدركه الاوهام ولايعرفه أحد من أهل هذا الزمان ولم يزل فى الميدان ينهب أرواح

الفرسان من الابدان حتى صارت الشمس فى قبة الفلك وهو قد لاقى الاهوال والاخطار وقد أهلك مائة فارس كرار ورأى ملك الافرنج عنترة ليثا مغوار وأسدا هدار فلما رأى ذلك غضب وصارت عيناه مثل النار وصرخ صرخة أرجف بها قلوب الحضار وأزعج خواطر النظار وعزم على البراز فى بقية ذلك النهار الا ان عنتر الليث الكرار لم تمهل عليه الافرنج دون أن حملت بجملتها وأقبلت بقنطارياتها وهم طالبين المجال كانهم قلل الجبال وجردوا مشرفياتهم فصرخ عند ذلك هرقل فى أجناد الروم فارتجت تلك الارض وانزعجت سكان تلك التخوم وكان ذلك اليوم يوما مشوم وقد قدحت الخيل شرار النار وأظلم الجو واسودت الاقطار وطلب الجبان الفرار وخاف الشجاع من العار والفضيحة والشنار وندمت الرجال على فوات الاعمار وجرت الدماء مثل الانهار وباحت القلوب بالاسرار وتهتكت الاستار وقل الاصطبار وهانت المنية على الاحرار وولى النذل من خوف البوار وعميت الابصار وتكدرت الاقطار واشتدت الاخطار وأقبل آخر النهار وشيبوب وولده الخذروف يحمون جواده من الاضرار وهم كأنهم شعل النار وقد تمنوا ان ذلك اليوم يدوم ولايشاهدوا أمواج البحار ولم يزالوا يدورون حوله ويحمون ظهره كيف ما مال ودار حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد خسرت خيالة الافرنج وتضعضعت وتأخرت وقد عاينوا من عنتر العبوس ماشيب منهم الرؤس لانهم بلوا بفارس لا كالفرسان وشجاع قد فاق على الشجعان وكانت طعناته تهد الاساس وضرباته تضيق الانفاس وما ولى النهار وأقبل الليل حتى فعل عنتر فعال تحيرت منه الابصار وجرى له من الافرنج يوم يذكر ما بقيت الشمس والقمر وقتل من خيالة الافرنج خلق ليس عليهم من عيار ولولا عنتر كانت عشائر الروم طلبت الفرار وهربت الى سائر الاقطار وقد انفصلت الطوائف عند اقبال الظلام ونزلت فى مضاربها والخيام وقد حمل الليلمان من عنتر ما لا تحمله الجبال وأطاق فى قلبه نار الاشتعال وعلم انه قليل من الاقبال لانه كان يقول اذا ما أحد من سائر الابطال يقدر يتقدم ويقف قدامه فى قتال ولا فى نزال فأقسم بالصليب والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لا أحد يفتح باب الحرب غيره باكر النهار ولا يبرز لعنتر سواه ليأخذ للفرسان منه بالثار ثم انه بات فى تلك الليلة وهو متفكر فى الحرب والكفاح وهو لا يصدق أن يصبح الصباح ومازال على ذلك الافتكار حتى بان ضياء النهار وركبت الجموع ولمعت الدروع واصطفت المواكب فرق ولمع صارم الحسام وبرق وهم الليلمان بالخروج الى الميدان من شدة الغيظ والحنق واذا بعنتر اليه قد سبق وجال وصال وطلب القتال وسال البراز وطلب الانجاز واتكا على رمحه فى وسط الميدان وقد رمقته أعين الفرسان وأنشد يقول هذه الابيات الحسان

ألا يا كلاب اليوم دونكم حربى * سأفنيكموا بالاسمر المران والعضب
فدونكموا الليث الذى لا يرى له * مثيل ليوم الحرب والطعن والضرب
أنا عنتر المعروف فى كل موقف * اذا نفرت نفس الجبان من الحرب
رضيت ورب البيت أن يبرز لى * ألوف بطعن الرمح من الشرق والغرب
وانى فى الميدان كفؤ لجمعكم * ملى وانا انصر من فارج الكرب

(قال الراوى) فما أتم عنتر هذه الابيات حتى برز اليه فارس كأنه الاسد الغضبان على جواد شديد الجريان أشقر اللون مليح الكون بصاص الشعرة سابل الغرة وعلى الفارس درع مكوكب ذهب وفى صدره مراية من الجوهر نورها يأخذ بالبصر وكان فوقها ثوب أطلس أصفر مليح المنظر محشو بالمسك والعنبر تغلب من حسن وصفه البشر وأكمامه قد عقدها الى وراه بشراريب ابريسم اخضر وقد أخرج الفارس يده من جلباب درعه وبقى فى ذلك الزى والمنظر وعلى صدره صليب عجيب بالذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وله عينان كأنهما عيون غزلان وعلى رأسه وأكتافه خمس لؤلؤات كبار كل واحدة قدر مثقال تساوى كل واحدة ألف دينار من الذهب كل من رآهم يأخذ نفسه العجب وكان هذا الفارس هو الملك الليلمان فتوسط الميدان ونادى يا أسود الجلد ويالون القطران ويا ولد الزنا ويا ابن الاما لقد أكثرت الكلام وأطلت المقام ويا ولد الحرام دونك

وضرب الحسام لاسقيك كأس الحمام وأفصل لحمك من العظام فلما سمع عنتر هذا الكلام وما ذكره الليلمان لم يخاطبه بلسان بل حمل عليه حملة الاسد الغضبان أو النمر الحردان فالتقاه الملك الليلمان بقوة قلب وجنان الا انهما لما تصادما صرخا صرختين رفعت لهما الخيل رؤسها ولعبت بأذنابها وارتجفت أجسادها وقد ارتعدت قلوب ركابها وظنت الطائفتين أن السماء قد فتحت أبوابها وأنزلت عليهم عذابها ثم انقطعا بعد ذلك الصراخ والصياح كما تنفسح الكباش للنطاح وعادوا وقد جردوا على الارض عوامل الرماح وتكافحا أشد كفاح وقد تحير من فعالهم العقول الصحاح وكان لهما ساعة تذهل منها الارواح الا ان الملك الليلمان قد عاين من عنتر انه فارس ليس كالفرسان وشجاع لا يقاس بالشجعان وبطل لا يمل من الجولان ونظر من نفسه التقصير وعرف عنتر منه ذلك معرفة خبير فجد معه في المطاولة والمطابقة وأخذا في الكر والفر واحتك الركاب بالركاب وبطل الخطاب وقل الجواب فقام عنتر في ركابه ومطى في ركابه وضربه بصارمه المهند ضربة بطل أمجد طير راسه عن الجسد فمال عن الجواد معفرا في السبسب فلما نظرت الافرنج الى ملكها قتيل وهو على الارض منطرح جديل حملت على عنتر بجملتها وقد أظهرت شدتها وأمرهم هرقل الروم بالحملة والتقى حدتها هذا وعنتر انطبق على الافرنج وطعن فيهم طعنا أقوى من الصخر وجنان أجرى من تيار البحر فما طلع فارس الا أرداه ولا شجاع الا أعدمه الحياه وما أدرك بطلا الا وعجل فناه فعندها ارتجت الافرنج وحملت وضربت طبولها وأزعجت من البر فلواتها والى المعمعة طلبت وعلى الهلاك عولت والكاسات الحمام نهلت وللسيوف ولرسل المنايا أرسلت وللاعلام نشرت والاسنة خرقت والرماح تحطمت والصدور تخسفت والدروع تمزقت وفرت والناس فجت والوحوش هجت والافرنج خسرت وعلى أنفسها تحسرت وحملت الروم على ابكايتها وصابت على وجوهها من حنقها وانهملت سحائب الموت على الافرنج فاقتها ودخلت عين الرزايا عليها فأزعجتها وحمل عنتر على الفرسان وهجم على الشجعان وصدمها بصدره وقت القتال وهاج فيهم كما تهيج فحول الجمال ونادى بأخيه شيبوب وهو في أوائل المعمعة وقد تصور بهم ملك الموت بصورته وكان عنتر ما لقى فارسا الا وقعه ولا شجاعا الا وصرعه ولا رجل مذكور الا وفى الحياة أخمده ولا بطل همام الا وبالحسام بضعه لانه كان في ذلك الزمان وسالف العصر والاوان لا رجل أشجع منه ولا أجلد منه ولا أنجب ولا أفصح ولا أنجح ولا أفرس ولا أعبس من عنتر بن شداد لانه كان يقتل الفارس والمائة والالف من القادات ويرجع سالما من الجراحات فلما كان ذلك اليوم لم يزل يقبض الارواح حتى تأخرت الافرنج وطابت الرواح ورأت لانفسها الفرج من ذلك المضيق والحرج فلله در عنتر وما فعل لانه أخرق الصفوف وسقى الافرنج كاسات الحتوف وقطع منها الاجساد والكفوف وقد تكردست عليه المئات والالوف وما تأخر الافرنج عن موضع الحرب والضرب وقد تخلصت من البلاء والكرب وكان تأخرها سبب نجاتها فخلت أموالها وأثقالها واتبعت الهرب ورأت سلامة أرواحها أوفى طلب وتبعها عنتر الحجاج وكذلك الملك هرقل بعشائر الروم وهم يطعنون في ظهورهم بالرماح الذابلات أوفى من ثلاث ساعات وعادوا وقد التقى هرقل بعنتر بن شداد فقبل صدره وأثنى عليه وقد تذكر عنتر ملاقات الابطال وقتاله للاقران وكيف قتل الملك الليلمان فأنشد يقول هذه الابيات

ذكرت عبيلة في وقت حرب * ولي في الحرب أوقات كرام * أنا العبسي قتال اللئام
غداة البين عاودني غرام * وها أنا عاشق اذا اشتعلت * وأصبح حبها بقلبي برام
لقد كذبت نفسك فاصدقيها * بقبضته معا اليد الحسام * فتكسر أهلها من نصل سيفي
وهمت بها وألقيت الزمام * وفي حربي رددت الخيل عنها * لها مثلي يدوم بها مقام
غداة الروع حين سمت الينا * فقد نظم الركائب بالحزام * فقلت لها أقصري عنها وسيري
علوج حول ذي ملك همام * كتائب جيش افرنج وروم * كتائب تبتغي رسل الحمام
وان وقوف مرجع مرفقيه * قلائده سباسب كالحزام * تكر عليهم والمهر كريم

وبعضهم مو مقتنص بالاجام * يقدم وهو مضطرب ضروم * بوادرها انتشار يعي السهام
عجوز من بني حام بن نوح * أخوه وأمه من نسل حام * وراكبه ينادي يا لعبس
غداة الروع أمثال النعام * وخيل تحمل الابطال شعثا * كأن جبينها حجر الظلام
وهي خيل مسومة عليها * تثير النقع بالموت الزوام * عناجيج تخب على رباها
كأن ضياءها شعل الضرام * بأيديهم مهندات بتار * حماة الروع في رهج القتام
ويسكن كل صوت غير صوتي * حريق في حريق في ضرام * فخلوا واتركوا حربا عوان
على طرف كسرحان الظلام * وخيل سقتها بالرمح قهرا * وصوت مهندي عند الزحام
يرددن التفجع وهو دام * تركت نساءهم تبكي عليهم

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من أبياته طربت له الشجعان غاية الطرب وقال له شيبوب لا رد الله فاك ولا كان من يشناك ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى الخيام وقد انسدل الظلام هذا وهرقل يقبل صدر عنتر الهمام ويهنيه بالسلامة من القتال والصدام فأثنى عليه عنتر وشكره ونزلوا في المضارب والخيام وأخذوا الراحة وأكلوا الطعام وعزموا على المنام بعد ما أقاموا لهم حرسا من الاعداء اللئام ورقدوا الى أن طلع الفجر وقد أقاموا ذلك اليوم كله يجمعون في الاسلاب والخيل والذهاب وكل مال جسيم وملك عظيم وحولوا الجميع ثم انفذوه الى مراكب وعزموا على الرحيل طالبين جزيرة الكافور وقلعة البلور وقد انجرت العشائر والفرسان طالبين أثر عشائر الليلمان وقد أمر عنتر الناس بالرحيل فدقت كؤسات الرحيل وأزعجت الخيل الارض بالصهيل ونشرت الرايات ونعرت البوقات وضربت الكؤسات ورفعت الاعلام على رأس الملك هرقل وعنتر سائر في المقدمة وبين يديه كبار الجحافل فجاشت عبلة بخاطره فزادت بلابله فأنشد يقول هذه الابيات

وتسارعت نحو الديار تعاقد * فيظنها الانعمين رسوم * طلل لعبلة بالحجاز مقيم
الناطق بالمبروم والمجذوم * واني فارس جلد على الابطال * أفراخ خيل في الزحام قشوم
كرام عظم في خليج لجم * علي والحي ارتفعت لمن جروم * وكأن ظعن الحي لما أقبلت
الليلمان معفر مكدوم * وعشية في الجيش أسلم جيشه * دخلت وفيها موقد مكتوم
بلغت بهم أحلافهم وفعالهم * قد كان ذا رأى له وحريم * ولقد أتى في جحفل ومثاله
روم وافرنج للقتال تروم * وهما جاءه البحرين تواعدت * والضرب بالهامات والتقديم
حتى استغاموا في الفرار هزائما * والمهر يحتى في الدماء يعوم * ما زلت أضرب فيهم بمهند
بلغ العلا من ذاهب ومقيم * هذا هو الشرف الذي من ناله * وخيولهم بهم تقع وتقوم

(قال الراوي) وسار عنتر والملك هرقل في عشائر الروم طالبين جزيرة الكافور وقلعة البلور فهذا ما كان منهم وما جرى لهم (وأما) ما كان من عشائر الملك الليلمان فانها لم تزل في هزيمتها الى ان وصلت الى جزيرة الكافور وقلعة البلور وأعلنوا بالويل والثبور وعظائم الامور ودخلوا على سرجوان ابن الملك الليلمان ونعوا اليه أبيه وأكابر قومه وذويه وكان سرجوان هذا الشيطان في صورة انسان وهو ولي عهد أبيه وصاحب حله وعقده والموصى له بالملك من بعده والحاكم على عشيرته وجنده فلما أن نعوا له أبيه بين تلك الاجناد وأخبروه بان الذي قتله عنتر بن شداد فعند ذلك غشي عليه واسودت الدنيا في عينيه ونادى يا ويلكم اخبروني بأمركم وما الذي تم لكم فقالوا يا ملك قتلت الرجال ونهبت الاموال والملك تركناه ملقى على وجه الارض والرمال فدع عنك السؤال وانتخ نخوة الرجال أصحاب المنازل العوال فقال لهم يا ويلكم أنتم سرتم في مائتي ألف عنان والملك بشجاعته ورأيه الصائب كان فيكم وفي كم كانوا أعداكم فقالوا له يا ملك ما نظن انهم يصلون الى عشرين ألفا من الرجال ولا قتل الملك وكسرنا الا فارس أسود على جواد أدهم وفي يده صارم مهند الا انه ما حمل على جمع الا تبدد وصارت الرجال بين يديه تشرد مثل الغنم قدام الاسد ومعه رجلين مثل العارضين

يحمون جواده بالنبال ولم تخطئ به الهم عن الاكباد وهذا آخر ديننا والمقال فدبر نفسك واعتد للقتال فالقوم لك قاصدين واليك واردين وبعد يومين تراهم على جزيرتنا نازلين فلما سمع سرجوان مقال الفرسان علم أنه قد داخلهم الفزع والخذلان فنهض من وقته وساعته مثل الاسد الغضبان وقال وحق الصلبان وبيعة نجران ويوحنا والراهب سمعان وصلاة القديسين وما أنزل في القربان من البركة والبرهان مابقيت أرجع حتى ما أبقى من هذا الجيش من يركب على حصان وأفري رؤسهم والابدان وأقودهم أسارى في حبال الذل والهوان بعد قتلي لهذا الاسود الكشحان وأصلبه على قلعة البلور بعدما أقطع منه اليدان وأتركه حتى تأكل محاجر عينيه النسور والعقبان وبعد ذلك أسير الى القسطنطونية وأقتل الملك قيصر المهان وبعد ذلك يبان الملة النصرانية أينا أعظم وأقدر شجاعة وأعلا مكان وبعد هذا المقال أمر العشائر باخذ الاهبة للقتال وكان قد وصل اليه بعد مسير أبيه عشائر بعدد الرمال لانهم قد اجتمعوا في الجزائر وأتوا اليه على الاستعجال فرأوه قد قتل وعلى الارض مجندل وقد وقع ما سمعتموه من الاقوال فعزوه في أبيه وهنوه بالملك الذي صار فيه فأعرضوا العشائر ذلك اليوم عليه وكانوا مائة ألف جبار من الجبابرة الاعيان ففتح خزائن السلاح وفرق عليهم آلة الحرب والكفاح وخفقت الرايات ونعرت البوقات ودقت الكوسات والطبول ورفعت الصلبان وظهرت البطارقة والقسوس وأمر البطرق بدق الناقوس بعدما صلى عليهم صلاة الاموات وحرضهم على القتال والثبات وبرزت العشائر بعدما جلس كوبرت على كرسي البلد وترك عنده عشرة آلاف فارس من الفرسان القناعس وقد أوصاه بحفظ البلد وعلى مافيها من النساء والصبيان ومن الغد عول على الرحيل وقطع ذلك البر الطويل ولم يزل سائرا الى وقت الزوال فنزل هو ومن معه من الرجال لاجل الراحة والمنام ليريحوا انفوسهم والخيل لاجل ما تعينهم وقت الحرب والقتال وباتوا تلك الليلة وأصبح رحل طالب عشائر الملك هرقل بن الملك قيصر وابن شداد عنتر ولم يزل في جد السير الى أن تضاحا النهار فثار من بين أيديهم غبار الاعداء فأمر عشائره بالنزول في البيداء وقد أعجبه ذلك المكان وقال هذا يصلح للجولان وضربت السرادقات والاعلام والخيام وأركزت البيارق وركبوا ظهور الخيل وتقدمت السادات والملك سرجوان راكب وقد اشتبكت حوله البطارقة وعلى رأسه الصلبان والرايات وانكشفوا الطائفتين وحققوا بعضهم بعض برأى العين فعند ذلك لم يجدوا الجيشين ثبات اسبب الحقد والكسرات فحملت طائفة الافرنج بقلوب ونيات وعزمات صافيات والتقتها جيوش الملك هرقل بشدتها وأظهرت حدتها وسطوتها فقويت قلوبها بعنتر لانه سيف نقمتها وشجيع مملكتها واصطدمت الجيشان وتقابلت الفريقان ورفعت على رؤسهم الصلبان وضجت القسس والرهبان من كل جانب ومكان وأجرت الارض بالدماء وفارت كالغدران وتقابضت الرجال بالاحا وتعلقت الفرسان فما كنت ترى في ذلك اليوم الا رأس طائر ودماء فائر وحصان بصاحبه غائر وشيخ مطروح وغلام مذبوح وفارس مجروح وفؤاد مقروح ودم مسفوح وهذا يغدو ويروح وهذا يبكي على نفسه وينوح هذا وعنتر قد أخرق الصفوف وأورد الافرنج موارد الحتوف وطير بضرباته الجماجم والقحوف وطلب الملك سرجوان والرايات والاعلام عكوف وشيبوب بين يديه والخذروف وهم يرمون الاعداء بالنبال ويصيبون بها لبات الرجال ويحامون عن الابحر يمينا وشمال وعنتر طالب العلم الاخضر والصليب الجوهر ليقتل حامله وينال ما هو مؤمله وكان هذا برأى شيبوب فارتفعت عليهم الاصوات الى العنان وخروا للاذقان وأشاروا اليه الافرنج بالدعاء والتبجيل والقوم يضجون من كل جانب وحملت الكتائب وتكردست المواكب وعزت المطالب وقاتل الملك سرجوان وقتل الابطال وجندل الفرسان وقد دارت به القسوس والرهبان والشمامسة والمطران والبخور قد عقد كالدخان بتلاوة الانجيل والتوراة ولم يزالوا سائرين سيرهادي قليل حتى جاء البطرق وقرب القربان وترجل الى الملك سرجوان وملس على رأسه وصلى عليه صلاة الموت وتلا عليه من الانجيل بعدما بخره بقطعة من رجيعه صغيرة وبخره ثلاث مرات ونهاه ذلك اليوم عن القتال وأمره بتبطيل الحرب والنزال فأجابه الى ذلك وسمع

منه المقال وافترق الخلائق بعدما وقع الانفصال ورجع عنتر وقد غاظه وزاد بسبب أنه ما نال مراد ولا شفي له فؤاد وشيبوب يهون عليه الامور وعشائر الملك هرقل قد نزلت ودارت من حوله من كل مكان والقسس قد نفرت ودقت نواقيسها وتلت تقديسها فقال عنتر لشيبوب ويلك يا ابن الام اخبرني عن أصحابنا وما جرى على عشائر الافرنج مع الروم فقالوا يا أبا الفوارس قد عزم البترك أن يصلي عليهم صلاة الموت المشؤم لانها صلاة قد اخترعوها آباؤهم وهم متبعين ذلك الفعل المذموم فقال عنتر ويلك من يصلي عليهم صلاة الموت المشؤم ما يرجع يفلح ولا يقوم وحق الذي ملكه يدوم وما أظنه عليهم الا مقال مشؤم على الافرنج لا على الروم أذل الله سبالهم على قبيح فعالهم (قال الراوي) ولم يزالوا في الخيام وتناول الطعام حتى أقبل عليهم الظلام وقد عزموا على المنام وقد أضرموا الفريقتين النيران الى وقت الصباح فلما أضاء الفجر ولاح ركبت الابطال الجرد القداح وأشهروا في أيديهم الصفاح وتفاخروا في لبس السلاح ومدوا عوامل الرماح وطلبوا الحرب والكفاح واختلطت العشائر وارتفعت الغبائر وتقابلت الفرسان والجنود وصار الغبار مثل الرواق الممدود وتصادمت الافرنج والعلوج والروم قد حملت من كل فج وأظهرت العجائب وطعنت في الصدور والجوانب وغاصت الاسنة في الاحشاء والترائب وكلت الزنود والسواعد والمناكب وقاتلت الافرنج ذلك اليوم قتال من كره طول الاعمار وعمل القتال الى أن صار نصف النهار وعنتر يجول فيهم عرضا وطول واذا به قد التقى بالملك سرجوان وهو في وسط المعمعة يجول ويحرض أصحابه على القتال فحمل عليه عنتر حملة أسد قسور وليث غضنفر ووقع بينهم ضرب يعمي البصر ويحير النظر حتى حل بالملك سرجوان العبر والتعب والخذلان والضجر فعندها صاح عنتر عليه صيحة أذهله وزعق عليه بصوت يفزع الاموات وحمل عليه حملة رجل جبار وطعنه بالرمح في جانبه الايسر أطلع السنان يلمع من جانبه الايمن فمال عن الجواد كأنه طود من الاطواد وصار يخبط على المهاد (قال الراوي) ولما نظرت اليه الافرنج وهو قتيل وعلى وجه الارض جديل ماجت عند ذلك واضطربت وعلى وجوهها اصلبت وانطبقت على عنتر بن شداد واقتحمت وعليه هجمت وقد بطل المجال وجرى الدم وسال وحل بالجميع الوبال وزادت نيران الحرب اشتعال وكان حطبها اجساد الرجال والرماح وشرارها بريق السيوف الصقال ودخانها غبار المجال وقد انعقد اضيق المجال ومما معه أسنة تسابق الآجال (قال الراوي) وانه ما جلا ذلك اليوم غبار الظلام وأجرى الدماء كالغيث الهطال الا أبا الفوارس عنتر الريبال لانه أعطى بذلك النهار السيف حقه والرمح صدقه ولم يزل يطعن في صدور الافرنج بالسنان ويجندل الابطال في وسط المجال وقد حير بفعله عقول الرجال حتى قربت الشمس على الزوال وقد افترقت الطائفتين عن القتال وقد تحارسوا الفريقان وأوقدوا النيران وصاروا الافرنج يشكون حالهم الى الملك سرجوان ابن الملك للبيلمان وقد صار واحيارى مما حل بهم من الخسارة فصار سرجوان يعدهم بالنصر على أعدائهم وانه عند الصباح يبرز الى الميدان ويقتل عنتر الجحجاح ويأخذ منه بالثار ويكشف عنهم العار فشكره البطارقة والقسس والرهبان وعلقوا عليه ثلاثة صلبان الواحد من الذهب الوهاج والثاني من خاص العاج والثالث مرصع بالدر والجوهر لم يوجد مثله عند قيصر وقد صلوا عليه صلاة الموت وداروا عليه القسس والرهبان من كل جانب ومكان وصاروا يبخروه ويقرؤا عليه القاس الاكبر وكل ذلك خوفا من أبا الفوارس عنتر وهم يتلون الانجيل وما زالوا على ذلك الرواح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك ركبت الفرسان على الجرد القداح واعتقلوا بعوامل الرماح وتقلدوا بالبيض الصفاح واصطفت الفريقان ورتبوا جيوشهم يمينا وشمال فعند ذلك خرج من عشائر الافرنج فارس في الحديد غاطس وعليه زرديه ترد أسباب المنيه بذهب مطليه وهو راكب على جواد أشهب ذا صهل كاد أن يتكلم وله غرة كالدرهم فعند ذلك صال وجال حتى حير عقول الابطال وصار يتقلب على ظهر الجواد وحارت من فعله سائر الاجناد حتى توسط الميدان وصار بين الصفان ونظرت

الى الطائفتان فأعانوه النصارى من نظر الاعيان وقد سأل البراز وطلب الانجاز ونادى بلسان عربى فصيح ولفظ مهذب مليح يا عشائر الروم هل من مبارز هل من مناجز من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفا أنا الملك سرجوان بن الملك اليلمان الذى قتل أبى عبد شداد ولابد ما أفنيكم وآخذ منكم بالثار واكشف عنى العار فما أتم كلامه حتى برز عنتر اليه وصار قدامه وحمل عليه من غير شعور ولا نظام وتجاولا مع بعضهما فى الآكام وقد احتارت من فعلهما سائر الشجعان وشخصت لهما الاعيان ومازالا فى كر وفر حتى بان من سرجوان التقصير وعرف عنتر ذلك منه معرفة خبير وهجم عليه ولاصقه وضايقه وطعنه بالرمح فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره فوقع على الارض جدلا معفرا فلما رأت عشائر الافرنج الى ابن ملكهم سرجوان صار على الارض والكثبان حملت على عنتر جملة رجل واحد وقالوا الهشات أنا ملك يا ولد الزنا وتربية الامة اللخنا وعنتر لا يفهم كلامهم ومال عليهم وحملت من وراءه عشائر الروم وفى أوائلهم الملك هرقل بن الملك قيصر فعند ذلك صلبت الافرنج على وجهها ومالت بكليتها ووقع الطعن والضرب وقل الخطب ومازال السيف يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن دخل الظلام وتفرقت الافرنج فى هذا اليوم يمينا وشمالا وتعبوا من هذا المرام فلما أقبل عليهم الغيهب شكوا حالهم الى أرباب المنصب فوقع بينهم الاتفاق أن يرحلوا تحت الغسق ويطلبوا بلد الكافور وقلعة البلور ويتحاربوا قدام المال والعيال وبذلك ينالوا ما يحبوه ويختاروه فعند ذلك رحلوا من ساعتهم فى وسيع المهاد من خوفهم من أبى الفوارس عنتر بن شداد فلما وصلوا الى بلد الكافور وقلعة البلور التقاهم كوبرت ابن الملك شهرمان وسألهم عن هذا الشان فعند ذلك أوضحوا له البيان وقالوا له قتل سرجوان ابن الملك اليلمان والذى قتله عبد أسود يسمى عنتر بن شداد فلما سمع كوبرت هذا الامر والعناد أمر العشائر بالخروج خارج البلد ورتب الصفوف وفرق آلات الحرب والسيوف لاجل أن يأخذ ثاره ويكشف عنه عاره وبعد ذلك فى مدة قريبة غير بعيدة طلع عليهم غبار وثار وسد منافس الاقطار وانكشف الغبار عن أبى الفوارس عنتر فلما رمقت بعضها بعض الطائفتان أبرز عنتر الخيام وصف عشائره وأجناده وجعل الملك هرقل تحت الرايات وبعد ذلك برز الى الميدان وطلب مبارزة الشجعان فما برز اليه احد بل حملت الافرنج حملة واحدة وكوبرت يطعن بالفرسان ويجندل الاقران وأيضا عنتر حمل وخاض القسطل وكذلك الملك هرقل والروم قد حملت ومازال الدم يبذل والرجال تقتل وكان ذلك اليوم عنتر أظهر فروسيته وتعجبت الفرسان من فعاله ومواكب الافرنج كلت من أعماله وعملت على الانهزام والحصار من أبى الفوارس عنتر ولولا قدوم الظلام كانت جرت عليهم هذه الاحكام ولما افترقوا اجتمعت الافرنج على الملك كوبرت بن شهرمان وهم فى غاية الذل والهوان فعند ذلك وعدهم كوبرت بأخذ الثار وكشف العار وعند الصباح يبرز لعنتر الكشحان ويسقيه كأس الهوان ولما سمعوا الافرنج ذلك الكلام ثبتوا لتلك الاحكام ومازالوا على ذلك الايضاح حتى طلع الصباح فعند ذلك خرج من عشائر الافرنج فارس بالحديد غاطس راكب على جواد أبيض من الخيل الجياد ونادى لا يبرز لى الا عنتر بن شداد الذى قتل اخوتى وهم سوبرت ويوبرت وخيلجان وقد نشأت عند الملك قيصر برهة من الزمان وعرفتم ما أعطيت عنده من الرفعة وعلو الشان فليبرز الى فارسكم الاسود الذى طغى وتمرد (قال الراوى) فما أتم كلامه بذكر عنتر بن شداد حتى انه قفز بجواده وصار قدامه وقطع عليه كلامه وأخفى غيظه وأظهر ابتسامه ولما رأى حسنه واعتدال قوامه استحى من صدامه وضحك خجلا وسال لعابه لما رأى جماله وحن اليه قلبه وأنشد وقد انفرجت عنه الدبلة لما رآه يشبه فى حسنه بنت عمه عبلة فأنشد وجعل يقول

جفانى الكرى منذ جفانى الحبيب * فدمعى يفيض وقلبى مريب
وطرفى يراعى نجوم السماء * كأنى عليه يجينى رقيب
وحبى كالبدر فى تمه * وظبى عزيز وغصن رطيب *
له بالجفون مواضى السهام * ومقصد ما جئت يرمى الكثيب

أصاب فؤادى لما رنى * وما هو فى هجره لى مصيب * فيا من تكامل فى حسنه
أجرنى فحالى حال عجيب * وقد سار نحو الفتى اليلمان * مليك همام عزيز نجيب
فجندلته هاويا فى الثرى * تهب عليه الصبا بالنحيب * ترى السيف فى راحتى مجذب
أقد به الهام قدا عجيب * فيا وقعة شاب فيها الوليد * اذا ما تداعت لديه النحيب
أنا أسد الحرب عند الهيجاء * اذا لاح وسط العجاج القريب
وتنظر لعبس سراة الوغا * وفعلهم أنجم لا تغيب

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره انطبق على كوبرت أسرع من الحمام وتقاتلا الاثنان وتضاربا بالسيفان ومازالا على هذا الشان الى أن كلت من كوبرت اليدان وضعفت منه الزندان ونظر منه عنتر حالته وقد ضعفت قوته فصار يترفق به ويلين له العنان ويمزح معه فى الميدان ويعف عنه كأنه بعض النسوان ثم طعنه بعدما خرج من خلفه لانه صرخ فيه أذهله وحيره وأضجره وأبهره وطلبه طلب شجاع قسور ثم قلب سنان الرمح الى وراءه وطعنه كما ذكرنا خلفه فى تلك الفلاة وقد طار من فوق سرجه الى فوق ثلاثة أذرع وهمز عنتر واختطفه من الهواء والتقاه على زنده فأخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه الى شيبوب الخطير فشده كتاف وبعد ذلك أخذه وأخرجه من المعمعة وهو مشرف على التلاف فعند ذلك ولت الجيوش متفرقين حتى وصلوا الى البلد وأغلقوا الابواب وصعدوا الى الاسوار ونزلت عشائر الملك قيصر وعنتر حول الجزيرة وضربوا خيامهم هذا وعنتر فرحان بتسهيل الامر الا ان البلد حصين فأقاما على البلد عشرة أيام وفى ليلة الحادى عشر أخذ عنتر فى ذلك الوسواس حتى ضاقت منه الانفاس لاجل بعده عن الديار فقال له شيبوب ويلك يا ابن الام قدم لى جوادى الابجر فقد زاد على فؤادى الفكر فقدم له جواده وخرج يحرسهم والليل قد بدا سواده وشيبوب وولده والفكر قد غاب عليه وهو يحدث أخيه فبينما هما فى الكلام واذا قد لاح لهما ضوء مصباح وهى نار بعيدة تارة تخفى وتارة تظهر فقال عنتر وذمة العرب الاخيار لقد اشتغلت منى الاسرار رؤيتى هذه النار لان بلد أعدائنا حصين وها أنت ترى ما فيهم من الحذر والسماع ما يغنى عن النظر والنار فى هذا الوقت تزيل الفكر فقال شيبوب وأى شئ هذه النار ونحن غربة فى هذه الديار ومن أين حصل لك افتكار فقال عنتر يا مذلول الشارب تخاف من مكيدة أو حيلة أما تذكر ما جرى لنا فى بلاد اليمن على مياه عراعر وما الذى دبرت لنا الساحرة نسل الفواجر فقال شيبوب وحق الاله القادر الساعة تعرف ان مالك معاند فى هذه البلاد فاصرف هذا الهم عن قلبك فقال عنتر لا شك ان هذه النار لبعض السحرة وقد خفت أن يحصل لنا أمر يعيقنا فسر الآن يا شيبوب بين يدى الآن واطلب النار وأنا لابد لى ما أكشف ما عند هذه النار من الاخبار فعند ذلك سار شيبوب وابنه بين يديه وقد قطعا عليه الكلام وعنتر وراءهما حتى انتهى بهم المسير الى أجمة مشتبكة بالشجر وقد سار وقت السحر واذا هو بمرج واسع وذلك المرج قد فتح فيه عيون النرجس كأنه مقلة سكن والقمر قد أشرق وأضاء كما قال فيه الشاعر هذه الابيات

انظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر * والروض منتظم النبات كأنه
حل العقود وذروة كالاصفر * أماغيث قد تقاطر وبله * من لؤلؤ مثل العقيق الاحمر

(قال الراوى) ولم يزل شيبوب وابنه يسعيان فى الشجر وعنتر وراءهما فى الاثر حتى خرج من تلك الاشجار الى مرج قد أشرقت جنباته وتكاملت صفاته وتمايلت أغصانه وقد فرشت أرضه بالازهار وقد حوى ذلك المرج ما حير الابصار وفى وسطه نهر جار وعلى جانب النهر قصر عالى البنيان وله باب بمصراعين حديد وشباك ضيق العيون حديد فتقدم عنتر وأخوه الى جانب النهر واذا بجسر منصوب فترجل عنتر عن الابجر وربطه بعد ما أن شد لسانه بشعره حتى لا يصهل ثم قال لاخيه اعبر يا اخى حتى أكون لك تابع ومحامى ففعل شيبوب ولم يتأخر وتبعه أخيه عنتر وقد حدثته نفسه أنه باق وحده (قال الراوى) ثم انهم دنوا من الشباك فسمعوا من داخله كلام عربى فصيح وهو يقول وحق المسيح والسيدة ذات الوجه المليح لقد اجتمع على قلبى هم عظيم وأصابنى

خطب جسيم فلما سمع عنتر وأخيه ذلك الكلام والخطاب تقدما الى عند الباب حتى يكشفا الخبر لاجل أن يعلما ان كان المتكلم أنثى أم ذكر واذا بقائل يقول للمتكلم الاول يا مالكة نحن قد عرفنا ان قلبك مشغول لاجل الملك كوبرت وما جرى عليه من الاعداء فعلم عنتر ان المتكلمة امرأة تحاورها فقالت لها وحق المسيح ما عندي من أمر الملك كوبرت لاهم ولا غم الا ان وجدي زائد والهم الى قلبي وارد وعائق من قبل الملك صافات صاحب جزيرة الواحات لايغره الطمع فينا ويروم أخذ الملك من أيدينا لانه ملك عظيم وجبار رجيم وحاكم على جزائر وأقاليم من حد الاندلس والجزائر الخاليات الى مقاطع بحر الظلمات وأما أسر الملك كوبرت فما جلب لقلبي مضرة ولا آيست منه في هذه المرة لاني وحق المسيح قادرة أخلصه من يد قناصه قبل طلوع الفجر وتريه عندكي في داخل هذا القصر فقالت لها الجارية وبتها فكيف تقدرين على ذلك وهو الآن في قبضة هرقل بن الملك قيصر فقالت لها ويلك ومن هو هرقل ومن قيصر هذا حكمه في يد فارس الحجاز عنتر بن شداد الذي لولاه ما رفعت راية على رأس ابن الملك قيصر هذا وعنتر تحير وزادت به الفكر مما قد سمع وأبصر وكذلك شيبوب الآخر وولده الخذروف القسور واشتغلت منهم الخواطر وبقي كل منهما غائب غير حاضر الا ان عنتر قال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ما بقيت أبرح من هذا المكان حتى يتضح لي الامر عيان (قال الراوي) هذا والجارية قالت يا مالكة وهذا عنتر الذي لكوبرت أسر ما هو على دين المسيح وانما هو رجل بدوي همام يعبد رب الانام ويعظم قدر البيت الحرام الذي يحجون اليه الناس في كل عام وهو رجل أسود وله قلب أقوى من الجلمد وكان في صباه عاشق ابنة عمه وهي تسمى عبلة بنت مالك وقد قاسى في حبها شدائد وأهوال لانها بديعة الجمال ومازال بها مستهام حتى بلغ منها المرام ولو ان لي من يوصلني اليه ويقص قصتي عليه ويبلغه مني السلام ما أصبح علينا الصباح الا وكوبرت عندي في هذا المقام فلما سمع شيبوب منها هذا الكلام فزاد به الغرام وقال لاخيه عنتر البطل الهمام وحق الملك العلام ما بقيت أبرح من هذا المقام حتى أكشف عن باطن هذا الكلام فقال له عنتر افعل ما بدا لك نجح الله أعمالك وبلغك الله آمالك ثم ان عنتر تواري هو وابن أخيه الخذروف وقلبه على هذا الامر ملهوف وتقدم شيبوب الغضنفر ونادى بصوته الجهور وقال يامن هي زينة كل محضر فها أنا شيبوب أخو عنتر حامل رسالتك واكشفي لي ظلامتك حتى أوصلها اليه وأقص قصتك عليه فلما سمعت الجوار كلام شيبوب رجفت منهم القلوب وزادت بهم الكروب وسكتوا عن الكلام وقد التجمت كل واحدة منهم بلجام فقالت المتكلمة ويلكم أي شيء هذا الفزع وكيف أخذكم من هذا الصوت الجزع ونحن ههنا آمنين وقصرنا عالي حصين ولا علينا لاحد طريق ولا سلم ولا تسليق ثم انها نادت الى جارية من بعض الجوار وقالت لها خذي بكفك شمعة وطلي بها من شباك وتأملي بين الاشجار واكشفي لنا الاخبار ولا تخافي من اضرار وانظري الى هذا المتكلم ولا تخشي من بأس وابصري هو من أي الناس فان كان شيبوب أنا أعرفه من بين سائر الاجناد وان كان الامر صحيح وأرسله الى المسيح وأطلع على نيتي وقضى لي حاجتي فان قلبي يستريح فعند ذلك أخذت الشمعة بيدها وسارت كما أمرتها ستها والجوار من حولها والملكة من خلفهم والجميع خائفين وفي هذا الامر متعجبين حتى وصلت الجارية الى الشباك فنظرت الى شيبوب الفتاك ولم يأخذها خوف ولا ارتباك فنادته من أين أنت يا غلام وما سبب قدومك في هذا الظلام وما قصدك وما مرامك لانك أزعجتنا بكلامك فوحق المسيح ما لك فينا مطمع ولا لك الينا مطلع فقال لها يا ستاه لا تخشي ضرر فانا شيبوب أخو عنتر وقد سمعتك في هذا المحضر تقولين لمن عندك حاضر لو ان لي من يوصل خبري الى عنتر فاتيت اليك حتى تحمليني ما تريدي وتبلغي ما تشتهي فلما سمعت الجارية كلام شيبوب زالت عنها جميع الكروب وتقدمت الى عند الشباك بسرعة وقالت لجاريتها هاتي ناوليني الشمعة حتى أنظر ما جرى وأفعل على قدر ما أرى ثم ان الجارية قدمت عليها وناولتها الشمعة التي كانت في يدها فلما صارت في يدها أوقعت على ذلك قلبها وفي عاجل الحال طلت وبأعينها تأملت والى شيبوب قد نظرت فعرفته جيد المعرفة وهو على تلك الصفة ثم انها التفت لجوارها وقالت لهم وحق المسيح والزنار ان هذا هو شيبوب العيار أخو

ذلك الفارس الكرار ثم انها نادت برفيع صوتها أيها الاسد القسورا كشف لنا عن صحة الخبر وانبئنا عن ولدك الخذروف وعن أخيك الامير عنتر واقدم الى ههنا يا ولد الزنا وازل عن قلبنا الهم والعنا فقال لها شيبوب بعد ان تحير وزادت به الفكر يا وجه القمر أي شيء هذه الالفاظ المفرقة واني أراك عارفة بنا جيد المعرفة فمن أين لك هذه الصفة فقالت له يا ويلك أخباركم عندنا من مدة أعوام فدع عنك كثرة الكلام واتني بعنتر الى هذا المقام فقال لها شيبوب يا ابنة السادات الامجاد وحق من بسط المهاد ورفع السماء بلا عماد ها هو معي حاضر والى كلامك سامع والى وجهك ناظر فقولي ما شئت فانه يبلغك مرادك ويقهر أعاديكي وحسادك ثم ان شيبوب نادى يا ابن الام أدن منا وبادر واسمع ما تقول هذه الجارية بنت الاكابر من تلك الاخبار التي تذهل النواظر وتحير الخواطر وتبقى مثلا بين البوادي والحواضر فعند ذلك نادت الجارية يا أبا الفوارس بحياة عينين عبلة أجب أخاك وادن مني حتى أراك فعند ذلك أقبل عنتر وهو متيم ولما أتى اليها حياها وعليها سلم وقال لها وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما كانت هذه الجارية الا خليلتي مريم التي هي بدر التمام فقالت له بلى وحق المسيح المعظم فقال لها عنتر ومن أوصلك الى هذه الديار وجاء بك الى جزائر البحار فقالت له حديثي عجيب وأمري مطرب غريب وان كنت تريد سماعه فامنن علي بطلعتك وشرفني في هذه الساعة بنقل اقدامك حتى اني أفتح لك الباب وأشرح لك سائر الامور والاسباب فقال لها عنتر اما الذمام فأنت في ذمامي وجميع من عندك لاجلك وأيضا هل الجزيرة كلهم في أمان من حسامي الضامي فما لك علي من حق الصحبة والجود والكرم النامي وأما دخولنا من خلف هذا الجدار فيكون ذلك عند اقبال النهار (قال الراوي) فعند ذلك قالت الجارية يا أبا الفوارس أنا آتي اليك وأقبل يديك وأقص قصتي وما جرى لي عليك ثم انها نزلت وفتحت الاقفال لما انتهت في الكلام والمقال ثم تقدمت وقالت له أيها البطل الهمام نحن على العهد والذمام فقال لها عنتر وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وذمة العرب الكرام لكي ولكل من معكي الذمام (قال الراوي) فلما سمعت الجارية من الامير عنتر هذه الاقسام خرجت ومعها الشمع والخدام الى ان وقفت قدامه بعدما أبدت السلام وقبلت اقدامه ثم انها أخذت الامير عنتر وسارت به الى جانب النهر وجلست هي واياه على روضة من رياض الزهر ووقف شيبوب والخذروف وأشهر كل واحد منهما في يده خنجرا خوفا عليه من طارق وفي دون ساعة حضر من الطعام شيء كثير وأتوا به الجوار والخدام وقد رصوه بين يدي عنتر البطل الهمام والاسد الضرغام فأكلا منه الكفاية وشربا بعده المدام وشيبوب والخذروف قيام ثم ان الجارية مريم ابتدأت تحدث أبا الفوارس عنتر وكيف كان أمرها وما جرى عليها من الامر المنكر من قبل عنتر وكيف أخذها كوبرت ونزل بها البحر وجد في المسير وما جرى من الاول الى الآخر هذا وعنتر وشيبوب اليها باهتين ومن حديثها متعجبين وقد حدثته أيضا أن كوبرت هو اليوم صاحب جزيرة الكافور وقلعة البلور وهو يا مولاي عندك أسير وهو ذليل حقير (قال الراوي) فلما سمع الامير عنتر كلامها طيب قلبها ووعدها باطلاقه وبات عندها بأفراح الى أن أصبح الله بالصباح فنهضت عند ذلك مريم وقالت اني أريد منك ما وعدتني به من المسير قبل طلوع الفجر وتدخل معي القصر لا زلت في سعادة ونصر فأجابها عنتر وقد أمر شيبوب بالعبور فقال له وحق الرب الغفور الذي عرفنا الايام والشهور وخلق الظلام والنور ما أخاطر بروحي وأدخل خلف هذا السور وأنا غريب من هذه الديار ولا أعرف أي شيء يجري لي من الامور فعندها قالت مريم لما سمعت هذا الكلام أدخل يا شيبوب الى خلف الجدار فوحق دين المسيح والزنار ما ينالك منا الا ما تحب وتختار (قال الراوي) فعند ذلك صاح فيه عنتر وقال له ادخل يا نسل الاشرار ولا يكون عندك خوف ولا احذار فعبر شيبوب منهم على مغص حتى صار وادا خل القصر خلف الجدران فنظر والى قصر مشيد نزهة لمن يراه وفيه برج عال غريب ونظر والى ستر عجيب ومن خلف تلك الستر من غرائب التصاوير من كل صورة غريبة وقد رأوا من الشبابيك بستان فيه شقائق النعمان ونرجس وسوسان وفيه من كل فاكهة زوجان وفيه من غرائب الازهار وقد صفت في جنباته ألوان الجلنار وهو نزهة للنظار وقد حوى من الفواكه ما تحير منه الابصار

من حسن ازهاره الائقة وروائحه العابقة وقد حوى من نرجس وياسمين ومن التفاح والرمان والعنب والجوز ومن السفرجل والخوخ ومن شجر اللوز والمشمش وغيره من الاقحوان وقد أينع من الخضرة ألوان والاترنج قد حال عليه الحول ونزهة الزمان وابتهج القرنفل والمنثور ولما أشرفت عليه الاشجار وهذا مما يطول شرحه وقد اختصرنا في وصف هذا البستان وهو كما قال فيه الشاعر هذه الابيات

جاء الربيع يقوده أشجارى * واستبشرت فرحا به الاطيار * غنى الحمام مطربا فكأنما
دارت عليهن سائر الازهار * وردو زهر قد يلوح ونرجس * وبنفسج وشقائق وبهار
فكأن أخضره الربيع زمردا * وكأن أصفره البديع خضار * ياصاحبي قل الملامة واقتصر
* عني فما يحسن بي الاقتصار *

(قال الراوى) وذلك القصر واسع الفنا عالى البنا كأنه قد سبك من اللجين تحير في وصفه كل عين وعلى ذلك القصر تماثيل وأفنان له تأويل والمسرات به مجتمعة والانوار به لامعة وهى عليه مشعشعة وطيور الهنا عليه حائمة وقد كتب عليه فيه قائمة هذه الابيات

دام بك العز والاقبال يادار * معزوزة في فنون الايك أطيار
دمت بالعز والافضال في دعة * مامال نجم بأفق الجو سيار

(قال الراوى) هذا وخيام العز عليه مخيمة وأصناف الطيور باختلاف اللغات على أركانه مترجمة وبغرائب جواهر الكلام معربه ومعجمه وفي ذلك المكان ايوان وعليه شدة منصوبة عالية مرفوعة فعند ذلك تقدمت مريم الى الامير عنتر وأمرته بالجلوس على تلك السدة من غير حذر وقد حار مما عاين وأبصر وما رأى مثلها عند كسرى وقيصر الا ان ما استقر به المقام حتى أحضرت بين يديه مائدة من الطعام بصحف من الياقوت الاحمر مرصعة بفصوص من الجوهر ولما مريم أحضرت الطعام وصار قدام عنتر قامت قائمة على الاقدام وأنزلت الموائد من على رؤس الخدام وقد شدت في وسطها زنارا من الابريسم الاخضر والاحمر ثم انها قدمت المائدة قدام عنتر ولما قدمت المائدة وتلك النعمة تأخرت ووقفت فوق رأس عنتر لاجل الخدمة هى والجوار فقال لها عنتر لا وحق من أظلم الليل وأشرق النهار بل انك تجلسين وتأكلين معنا الطعام والا فما لنا حاجة في هذا الاكرام الذى فعلتيه معنا على التمام (قال الراوى) فلما سمعت مريم من عنتر ذلك الكلام أقبلت وقد أبدت الابتسام ولما هم عنتر أن يأكل من ذلك الطعام صرخ به الخذروف ألا يا ابن شداد احذر أن تتقرب الى هذا الطعام فقال له عنتر ويلك يا ابن الاخ اى شئ سبب هذا الخوف من الطعام فقال له ياعم فيه من بعض السموم القاتلات فقال عنتر لاى شئ ما حصل لنا ذلك الاوهام عندما أكلنا البارحة الطعام فقال الخذروف طعام البارحة ياعم كان قد أعد لهم ولا كان لهم علم انا نحن اليهم واردين ولا عليهم قادمين والآن قد عرفوا أننا معهم في القصر حاضرين فأتونا بهذا الطعام عن يقين فعند ذلك قال عنتر لله درك ياخذروف أنت أحذر من شيبوب أبيك وأخبر منه (قال الراوى) فلما سمعت مريم من الخذروف ذلك الكلام تغير وجهها وقالت لعنتر يافارس الاقطار أنا أقسم بالسيدة أم النور والمسيح الذى ما ولد من أب مذكور ما أنت في قلبي الا أجل السرور فاترك عنك ما تخفي الصدور واعلم انني ما نويت لك أمرا من الامور وحق ما في الانجيل من التحريم والتحليل ما أشغلت لك هذا الطعام ثم انها مدت يدها الى سائر الصحف وكانت من الفضة مطلية بالذهب الاحمر مرصعة بالفيروز الاخضر ثم انها جعلت تأخذ من كل اناء غرفة وجمعت ذلك كله في اناء واحد وبادرت الى أكله جميعه ثم انها طيبت خاطره وقالت له دونك يافارس الجلاد والزاد وأزل ما في قلبك من الهم والانكاد فعند ذلك مد يده عنتر الى الطعام وقد زال عنه الوسواس والاوهام وكذلك أخاه شيبوب والخذروف ولده أكلوا من ذلك الطعام ولم يخشوا خوف فلما اكتفوا ارتفعت موائد الطعام والانعام وغسلوا أياديهم من الزاد (قال الراوى) ثم ان مريم أمرت جوارها باحضار المدام والكاسات والاباريق وقد دروقت الخمر العتيق الذى له سنين وأعوام وقد فعلت معهم في المدام كما فعلت في الطعام وبعد شربها ملأت الكاس وقدمته الى عنتر

فتناوله منها وقد شربه وتناوله من يدها وكذلك شيبوب وولده الخذروف وهم قدام عنتر جلوس ولم يزل عنتر يشرب من ذلك المدام الى أن شرب ما أحضرته على التمام ولما تحكمت معه الخمرة فرح قلبه في ذلك المقام وأعجبه ذلك الوقت شرب المدام ولما علمت مريم منه ذلك أمرت الجوار باحضار الملاهى في ذلك المقام فأتوها بما طلبت وقد غنت الجوار بسوط شجى وألحان قد أخذهم الطرب والهيمان تخيل لهم أنهم في منام هذا وقد دارت عليهم الاقداح بالسرور والافراح وان عنتر بهذا الحال فرحان مسرور وقد هانت عنده سائر الامور وهو يتناول كاسات الخمور (قال الراوى) ولما نظر شيبوب الى أخيه عنتر وقد أسرف في الشراب وزاد به السرور وصار من كثرة الشراب عادم الصواب وما بقي يقدر على رد الجواب ولا القيام والذهاب ناداه يا ابن الام تأن على نفسك ولا تملأ من الخمر جوفك وأنت في بلاد عدوك وكان شيبوب خائف من مكيدة تصل اليهم وعينيه تدور في القصر يمينا وشمالا حذرا على أخيه من الوبال هذا وقد عرفت مريم منه ما هو فيه فأرسلت بعض تلك الجوار وكلمتها بلغتها في الحال من غير أن يفهم عنتر وشيبوب ما قالت فمضت الجارية وغابت قليل وعادت ومعها حق من الذهب الاحمر عليه قفل من الفضة البيضاء الحجر فأخذت مريم الحق وفتحته وأخرجت منه ثلاث خرزات كبار كل واحدة كأنها بيضة اليمام وقالت له يا أبا الفوارس اعلم انك ما بقيت تلتذ عندنا بطعام ولا شرب مدام من الوهم الذى دخل على قلبك من كلام الخذروف لكن خذ هذه الخرزة واعلم أن لها منفعة ولا عند الملوك مثلها ولا يوجد عند السلاطين شكلها وذلك انها ان كانت في يدك وحضر طعام عندك وتوهمت انه مسموم فهذه الخرزة تدور في يدك ثم انها تعرق ويسيل منها ما يتقاطر فتعرف من ذلك ان الطعام مشغول يعمى النواظر واذا بقيت على حالها فاعلم أنه غير مشغول فكل منه وأنت طيب الخاطر (قال الراوى) فلما سمع عنتر من مريم هذا الكلام زال عنه الشك والاوهام وقد شكر مريم وأثنى عليها وحياها في ذلك المقام ثم انها بعد ذلك أتت بشريط من الذهب ووضعته في الخرزة وقالت لعنتر لا تدع هذه الخرزة من عنقك لا في سفر ولا في حضر ففرح عنتر بذلك فرحا شديدا فأخذها منها ووضعها في الجيد وقد أعطت الخرزة الثانية الى الخذروف فوضعها في عنقه من غير فزع ولا خوف ثم انها وضعت الثالثة في الحق وقفلت عليها القفل كما كان فقال لها شيبوب يامولاتي لم لا أعطيتني الخرزة الثالثة حتى أكون أنا الآخر في أمان فقالت له أنت وولدك واحد وانك أنت ياشيبوب ما يخاف عليك من الحدثان لانك شيطان في صورة انسان (قال الراوى) ثم انهم عادوا الى ما كانوا عليه من تناول الاقداح واللعب واللهو والانشراح والمحادثة والطرب والمزاح الى ان كان آخر النهار طلب منها الامير عنتر الاذن في الانفساح والمسير الى العشائر بعد ما قال لها ياست الملاح اعلمي بان الملك هرقل بن الملك قيصر الساعة من أجلي في هموم واتراح لان ما عنده عنى خبر ولا علم بمسيرى لهذا المرج الاخضر وأنا خائف عليه ان يبقى على قلق وهو في انتظار وقد عولت على المسير اليه والقدوم في هذه الساعة عليه وانني أريد من احسانك أن تنعمي لي بالمسير في هذا الوقت والساعة فقالت له مريم وقد نهضت على الاقدام يافارس بني عبس الكرام اعلم ان حق الضيافة ثلاثة أيام فلاى شئ كرهت عندنا المقام فقال لها عنتر وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وخالق الضياء والظلام انني أعود اليك عن قريب ان شاء رب الانام ويكون بعد ذلك عندك المقام أكثر من عشرة أيام (قال الراوى) ثم ان عنتر بعد ذلك الكلام أمر أخيه شيبوب أن يقدم اليه الجواد فقدم له الابجر من غير ملام فوثب على ظهره وساق الجواد باهتمام وشيبوب وولده الخذروف بين يديه كأنهما فرخ النعام هذا ومريم حواليه لاجل علو قدره والشان ولما خرج من ذلك المكان وأبعد عن البستان وقف وأمر مريم بالرجوع فقالت له يا هل ترى لهذا الفراق رجوع واهتمام عن قريب وتلاقى في الرجوع فقال لها أى وحق رافع السموات غدا يكون هنا اجتماعنا على هذه الزهورات فعند ذلك غمضت عينها وفتحتها وأشارت اليه مودعة بدموع غزار وهى تقول صلوا على طه الرسول

سر في أمان الله يامن يرتجى * وأجل من ركب الجواد وأسرجا
فالقلب من بعد الفراق معذب * والنار تشعل في الحشا متأججا

أنت الذي ترجى لكل ملمة * أنت المفرج هم كل قلب مزعجا
أنت الهنا أنت المنا أنت السخا * أنت الرجا والمرتجي والمرهجا
فلئن رحلت فأنت غير مودع * ولئن رجعت لنا أنالك مرتجى

(قال الراوي) فلما فرغت مريم من شعرها وسمع عنتر مقالها وقد نظر الى تغيير أحوالها ضمها الى صدره ووعدها بسرعة العودة اليها وخلاص الملك كوبرت وفكاكه من الاسر والاعتقال ثم انه سار وشيبوب بين يديه وهو أخف من النسيم اذا سرى وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى العشائر ودخل على الملك هرقل بن قيصر فلما رآه فرح به واستبشر وقام له على الاقدام وأجلسه بجانبه وسأله عن حاله وما كان سبب غربته فحدثه عنتر بقصته من وقت مسيره الى حين عودته وأخبره أيضا بحديث الجارية مريم وما فعلت في حقه من الكرامة والنعم وما كان منها من الاحكام وما وعدها من الابرام (قال الراوي) فلما سمع الملك هرقل من عنتر ذلك الكلام زاد به الفرح والابتسام وقال له يا فارس عبس الكرام كيف طاب لك عندنا المقام وهنالك عيش وطعام ولعب وطرب وشرب مدام وأنا ما كنت مهملك في ذلك المقام فقال له عنتر يا مولاي وحق البيت الحرام ومنى وزمزم والمقام وما لك في عنتر من الاكرام والانعام وما شربت قدحا من المدام الا وتحضرك في ضميري من دون الانام فقال له الملك هرقل يا حامية عبس وحق المسيح الذي أتى من غير بشر انك شوقتني الى هذا القصر وحسنه والمرج الاخضر والنظر الى تلك الجارية مريم فقال له عنتر وقد تبسم اعلم يا مولاي بان الجارية قد أخذت على العهد والميثاق انني لا اتأخر عنها ولا انعاق فقال له الملك هرقل وحق المسيح لا بد لي من المسير في صحبتك وأكون شريكك في لذتك فقال له عنتر يا مولاي هذا من أسعد أيامي اذا سار مثلك امامي (قال الراوي) ثم ان عنتر نهض وقد طلب المنام وهرقل قد زاد له في الاكرام وباتوا في هنا وأفراح حتى ابتلج ضوء الصباح فركب الملك هرقل وهو زائد الافراح وطلب خيام عنتر ودخل عليه وابتداه بالسلام فزاده عنتر تحية واكرام وجلسوا يتحادثون فيما يرام ولما انبسطا في الكلام قال له الملك هرقل يا أبا الفوارس البارحة ما ذقت منام مما حصل عندي من الاوهام فقم بنا على الرواح حتى نغتنم السرور والافراح فاجابه عنتر الى ما يقول وقد قاموا وركبوا على الخيول وتقلدوا بالنصول وقد اظهروا للعشائر أنهم سائرين يكشفون لهم الاخبار ثم انهم ساروا على حالة الانفراد من العشائر والاجناد هذا وشيبوب والخذروف بين أيديهم سائرين الى ان وصلوا الى قريب المرج المتقدم ذكره ورأوه رأى العين فأرسل عنتر شيبوب والخذروف فسارا الى ان وصلوا الى المرج والقصر ولما رأتهم الجارية استدعت بالخذروف وقالت لها اعلمني بالخبر فقالت لها قد وصل عمي عنتر ومعه الملك هرقل ابن الملك قيصر وهم نزول على الملك الاخضر (قال الراوي) فلما سمعت الجارية مريم من الخذروف ذلك القول تبسمت وقالت لها دعهم يأتوا على الرحب والسعة والكرامة والدعة فعند ذلك رجع الخذروف يجد عنتر قارب المرج فأعلمه بذلك فساروا الى ان وصلوا الى الروضة والشجر فعند ذلك تلقتهم مريم بالافراح وقد جلسوا عندها في تلك البطاح وقد انبسطوا في الحديث والكلام ثم انها غمزت الجوارات فمضوا ويهيئوا الطعام ويفرشوا المقامات ويحضروا المدام فمضوا الجوار وجلست هي واياهم ساعة من النهار واذا بالجوار قد أتوا اليها وأخبروها انهم قضوا الاشغال فعند ذلك نهضت مريم قائمة على الاقدام وقالت انهضوا بنا يا موالينا الى مكان أعددته لكم نخدمتكم حتى نتشرف برؤيتكم فعند ذلك نهض عنتر هو والملك هرقل بن قيصر بين الشجر وجواد الملك هرقل مع الخذروف وشيبوب يقود جواد أخيه عنتر وما زالوا سائرين حتى خرجوا من المكان وهذا البستان الاخضر وقد كسى بالزهور والاثمار شيء تحير فيه الفكر والجارية الى جانبهم تمشي على قدميها وجوارها بين يديها وما زالوا وهم سائرون حتى لاح لهم في ذلك المكان قلعة عالية البناء مشيدة الاركان لا يعلوها الطير الطائر ويعجز عن ادراكها الناظر صخرها أنعم من الارجوان وهو لون العقيق والمرجان وذلك المرج من تحتها يشفي النفوس ويزيل عن قلب الصب العكوس فلما نظر عنتر الى ذلك المكان البديع والبناء الرفيع وسار طالبها وعنتر ينشد ويقول هذه الابيات

عليها الظل ممدود السرادق * والزهر مفروش النمارق * أشجارها وأثمارها
وقطوفها مثل المخانق * والزهر قد نشرت على * وجناته ظرف الشقائق
مرجان يسل به الشقا * لحسن أنواع العقائق * قد غردت أطياره
في نغمة تحيي الخلائق * ما بين قمري يصيح * قد آمنت خطف البواشق
* بلابل قد بلبلت * ألحانهن لكل عاشق * والاقحوان غصونه
بين السوالف والمفارق * ومراود الامطار قد * كحلت بها عين الحدائق
والقلعة العليا حكت * علو السماء على الخلائق

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات تقدمت اليه الجارية مريم وقبلت يديه وشكرته على هذه الصفات وقالت له لله درك يا أبا الفوارس فما أفصح لسانك فانفذ سنانك وأطلق عنانك هذا ولم تزل سائرة بين أيديهم في ذلك المرج والجدران الى أن وصلوا الى آخر ذلك المكان فرأوا فيه دارا عالية فأدخلتهم وكانت تلك الدار طيبة المعاني مبشرة لسكانها بالاماني مزورة بالسباج والعاج وهي بالذهب الوهاج على ترتيب الحصن بأبراز وأبراج وفي وسطها بحر عجاج متلاطم بالامواج (قال الراوي) وقد اندهل الملك هرقل وعنتر مما عاينوا وأبصروا من ذلك القصر فقال عنتر لهرقل يا ملك الزمان ما ملك الافرنج الا ملك عظيم لانهم أكثر العالم أموال وأحسنهم أحوال فادخلوا القصر وقربهم القرار حتى نصبت لكل واحد منهم كرسيا من الذهب الاحمر الوهاج هذا وقد بسطت في الديار فرش من الحرير ألوان حتى بقي ذلك المكان كأنه روضة من رياض الجنان وصفت أواني الذهب والفضة وأوقدت مجامر العود والعنبر وما استقر بهم المقام والقرار حتى أحضروا لهم الطعام على رؤس الخدام فقالت يا مولاي اذا حضر الطعام بطل الكلام فعند ذلك تقدم كل واحد منهم وأكلوا الى أن اكتفوا وشالوا أياديهم من الطعام وأمرت الجواري بعد ذلك باحضار الاواني والاباريق فأحضرت وهي ملآنة من الخمر العتيق الصافي مما عتق في الزمان وصنعته مشايخ القسوس والرهبان وحفظته من اختلاف فصول الزمان وهو يصلح لدفع السقم من الابدان كما قيل فيه هذه الابيات

أدر الكأس أيها القمر الساقي * وقل هذه سلافة خمر * واجلها في غلائل من لجين
يلبس الشار بين ثياب حمر * فهي صفرات في الكاسات شهبا * وهي بيضاء في الكؤس وحمر
تأمل لي واسقني وقل هاك أنسا * واعطف راحما من غير قهري * مع ندماء وجوههم تشبه البدر
وقوامهم مشبوهها السمر * فهم يهدينا خمرا ونظما ونثرا * ولكل منهما لطائف خصر
خمرة تجعل النفوس ملكا * وتزيد العقول جواهر سر * ان في الكأس لجة في نهار
قد خط في نورها مصابيح در * فترى لؤلؤا يسير على الماء * يحكي اللؤلؤ الذي في البحر
كل كأس بدور تطالع شمس * منه حتى تغيب في فم بدر

(قال الراوي) هذا وقد انبسطوا في الكلام وانتشوا من شرب كأس المدام فقال عنتر يا مريم انني أريد أن أسألك عن حال فلا تخفيه عني يا وجه الهلال فقالت له اسأل يا فارس الزمان ويا حامي بني عبس وعدنان حتى أجيبك بالصدق وأنطق معك بالحق فقال لها عنتر يا مريم ان هذه الجزيرة قد درناها وما خلينا فيها مكان فما وجدنا الى هذه القلعة من سبيل ولا امكان ولا رأينا لها مسلك لانسان الا ان كان معه دلائل وعرفان فقالت مريم وقد تبسمت من هذا الكلام والشان يا فارس عدنان تصعد فوق هذا الباب الذي في البستان لانه سرداب طالع الى القلعة معقود من فوقه ازج مصنوعة نقر في الصخر صنعة اليونان الكهنة من قديم الزمان وهو بأدراج عراض صنعت لبلوغ الاغراض يعدمنها الفارس الوثاب لكن هنالك سرداب له ثلاثة أبواب فيها مهالك قواتل صنعة الحكماء والعقلاء أولي الالباب فلما سمع كلامها تحير وبقي في فكر فقال لها عنتر من يوصلني الى ذلك يا وجه القمر (قال الراوي) ثم انهم بعد ذلك الخطاب عادوا الى ما كانوا عليه وصاروا

يتناولون كؤوس الشراب فبينما هم على ذلك الايضاح واذا بالباب المقدم ذكره يتحرك فكان من داخله من يريد أن يفتحه بلا مفتاح فعند ذلك نهض عنتر على قدميه وقد اسودت الدنيا في عينيه وجذب سيفه وصاح في أخيه شيبوب وقال له ويلك انهض وقدم الابجر وأسرع وعلى نفسك احذر فنهض شيبوب وأتاه بالابجر وأسرع فقام عاجلا وقد سار على ظهره هذا وشيبوب وولده الخذروف وقد سحبوا الخناجر والسيوف وتبعهم هرقل ابن الملك قيصر وشيبوب يقول يا ابن الام أما قلت لك أولا قلبي فزعان وخائف من هؤلاء النسوان فقال له عنتر يا شيبوب سر قدامي ولا تتأخر وتفرج على قتال لا يبقي ولا يذر ويبقى من بعدي يؤرخ ويذكر ثم ان عنتر نظر الى الملك هرقل فوجد لونه تغير فقال له يا مولاي تخاف وأنت معك ابن شداد عنتر ثبت جنانك ولا تحذر فوحق الركن والحجر والبيت الحرام المطهر لو خرج من هذا الباب عدد أمة ربيعة ومضر للقيتهم بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر اذا زخر ونثرت جماجمهم نثرا وراق الشجر وأترك دماءهم يسيل مثل هطل المطر وسط هذا المرج الاخضر ولا أترك أحدا يصل اليك ببؤس ولا ضرر فشكره هرقل بن قيصر (قال الراوي) هذا ولما رأت الجارية مريم الى ذلك تغيرت أحوالها وتقطعت أوصالها وقامت مسرعة قائمة على أقدامها وسارت الى نحو عنتر وهي في أذيالها تتعثر ونادته يا أبا الفوارس ما هذه الفعال وما الذي تغير عليك من الاحوال أما سبق بيننا منك الذمام عندما أكلت معك الطعام فلأي شيء سللت سيف الحمام فقال لها عنتر وحق البيت الحرام ما أنا الا مقيم على العهد والذمام لك ولمن عندك من الرفاق ان لم ننظر منك غدر والاضيقة صدر فقالت له مريم يا فارس العرب والعجم فوحق المسيح بن مريم الذي أتى من غير ذكر انني على العهد مقيمة يا أمير عنتر فقال لها اعلمي أن ما وقع عندي من الارتياب الامن حيث تحرك هذا الباب فقالت له يا أبا الفوارس هذا أمر ما يحصل منه مضره بل يأتيك منه الفرج والمسره واعلم يا مولاي ان عندنا في هذه القلعة جوار نهد ابكار وكنت قد وصفت لهن صفاتك في حال اجتماعك وقد اشتاقوا الى مشاهدتك فاذا أذنت لهن بذلك والا رجعوا من حيث أتوا وأقم أنت على مسرتك (قال الراوي) فلما سمع كلامها الامير عنتر سكن ما به من الغيظ والضرر وقال ان كان الامر على هذا المعنى فأمريهم بالخروج الى ههنا ومنا وبشريهم منا بالسرور والهنا والمنى ثم ان عنتر أثنى رجله من على ظهر جواده الابجر وكذلك ابن قيصر وهم يطيلون النظر الى نحو الباب واذا به قد فتح وخرج منه عشر بنات نهد ابكار كأنهن الاقمار وفي أوساطهن جارية كأنها البدر بين الكواكب وهي كأنها الشمس الضاحية في السماء الصاحية قد كسفت حسن الجميع بغرائب جمالها البديع وعلى رأسها تاج ملوكي مكلل بالجوهر لبس ملوك الافرنج وقد شدت وسطها بمنديل أخضر مكلل باللؤلؤ الرطب على ردف كأنه خارج من صور وتلك الجوار عن يمينها وعن يسارها ولما نظر عنتر الى هذا الجمال طاش عقله وزال لبه هذا والجارية قد أقبلت وهي تمشي في حلل البهاء والكمال وتنقل أقدامها بتعجيب ودلال والجوار بين يديها وخلفها عند القدوم وهي بينهن كأنها القمر بين النجوم ومازالت تمشي وتتمخطر في ذلك المرج الاخضر حتى قربت من عنتر فلما رآها اندهش وتحير لانه نظر قمر الا كل الاقمار وكان يغلب ضوء وجهها على ضوء النهار وعلى تلك الجوار الثياب الملونة مقلدين بعقود الجواهر المثمنة والكلاليب الذهب بايديهم يرفعنا أذيالها وهي بينهم كأنها البدر اذا بدر ولما وصلت الى عند الملك هرقل بن قيصر وأبي الفوارس عنتر وأبهاوجه كأنه البدر التمام اذا انجلى عنه الغمام ثم انها لما وقفت بين أيديهم سلمت وعلى وجهها اصلبت فردوا عليها السلام وزادوا لها في التحية والاكرام فعند ذلك نهضت اليها الملكة مريم على الاقدام (قال الراوي) ولما حققها عنتر تاه عقله وتحير من حسنها وهام ثم انها جلست بين السادات الكرام فملأت له الكاس عنتر من صافي المدام وقد غلب عليه السرور والافراح وناولها بيده الراح ثم أنشد وجعل يقول

قلبي الى من يحب يختلج * ودمع عيني كأنه لجج

(قال الراوي) ولما سمعت الجارية من عنتر هذا البيت النفيس قبلت يديه والاقدام وأخذت قدح المدام وجلست الى جانبه وجوارها بين يديها قيام هذا وعنتر قد حار من حسنها وجمالها وانبهر من قدها

واعتدالها ومن حسن صورتها وبهائها وكمالها وأما الملك هرقل فانه غاب عن الوجود وبقي حاضرا في صفة مفقود وقد نسي العشائر والجنود ولا بقي له عقل موجود ثم ان الامير عنتر أخذ القدح من يدها وملأها ثاني وثالث وهو يناولها وهي تتناول منه وتشرب وهو يلذو يطرب وأما الملك هرقل فانه في محبتها قد هام وغرق في بحور الاوهام ومابقي يقدر يرد كلام وقد انعجم لسانه عن الخطاب والمرام وعنتر يقول للجارية شرفتينا بنقل أقدامك الينا يا بدر التمام وقد صار لك المنة علينا والفضل لدينا والسلام وان هذا اليوم علينا أبرك الايام (قال الراوي) فلما سمعت الجارية من عنتر هذا الكلام نهضت قائمة على الاقدام وصارت تتمايل كأنها قضيب بان أو غزال عطشان أو حورية خرجت من الجنان وقد غفل عنها رضوان ثم انها تقدمت وخدمت وقالت بلسان عربي فصيح ولفظ مهذب صريح وحق السيدة أم النور والمسيح وما أعتقد من الدين القويم الصحيح لقد شرفت بكم الديار ورقينا من السعادة أعظم منار هذا وعنتر قد تعجب من فصاحة لسانها وعذوبة خطابها وبيانها لان الافرنج وغيرهم من الملوك كانوا يعلمون أولادهم اللغات لاجل هذه الحالات فقال عنتر في نفسه وحق الواحد المنان الذي كل يوم هو في شان ولا يشغله شان عن شان ما لهذه الجارية مثيل في هذا الزمان ولا أفصح منها لسان ولا أثبت جنان ثم انه قال لمريم من يقال لهذه الجارية ست النسوان وما هو أبوها من الملوك والفرسان فقالت له يا فارس الزمان هذه الملكة مرعان بنت الملك الليمان الذي قتلته في الميدان وهي أخت الملك سرجوان الذي جندلته في حومة الميدان قال فلما سمع عنتر من مريم هذا الكلام عرف أنها بنت ملك همام وقد علم ما لهذه الجارية الا الكرامة والانعام فعند ذلك نهض اليها قائما على الاقدام وقد زاد لها في الاعظام وكذلك الملك هرقل ابن الملك قيصر عرف أنها من أهل السيادة والمقام فتقدم اليها وزاد لها في الاكرام وقد غرق في بحر الهوى والهيام وقد تعلق به مرض ماله دوى غير الوصال والالتئام وبعد ذلك شرعوا في تناول الكاسات من المدام هذا وقد غنت لهم سائر البنات وترنموا بأصواتهم الجنكيات ورفعت الجوار الافرنجيات وقد صفت لهم الاوقات بتناول الكاسات وطيب اللذات وأخذهم الفرح والطرب والمسرات وعنتر قد طاب قلبه وتملى في هذه الاوقات وشرب من صافي العقار البكر المفرحات وهو يصيح من الفرح بلسان العربيات وقلب الملك هرقل قد التهب وقد وقع من حب الجارية في بحار الهوى والعطب قال ولم يزالوا على مثل هذه الحالات الى أن بقي من النهار ثلاث ساعات فقال عنتر للملك هرقل أيها الملك الهمام ما تعول بنا على المسير من هذا المقام من قبل أن يدركنا الظلام ويغلب علينا السكر فلا نقدر على المسير ولا القيام فقال هذا هو الصواب والرأي الذي لا يعاب ثم ان الامير عنتر التفت الى شيبوب وأمره بحضور الخيل ثم قال لمريم يا زينة الملاح وكوكب الصباح عن اذنك نسير ونطلب الرواح فقالت له يا أبا الفوارس الامر في ذلك اليك وما ههنا أحد يحكم عليك فعند ذلك تقدمت الملكة مرعان الى عند الملك هرقل وقد سقته من كاسها ولثمت فمها بعصابة راسها وقالت له يا ملك النصرانية وسيد أهل ماء المعمودية بهذا أسبق اليك من السيد المسيح الوصية في حق الملكة المرعية حتى تخربون بلاد النصرانية وتهلكون ملوكهم بالكلية ولو فعل بنا غيركم هذه الفعال كنا استنصرنا بكم على الضلال وبعد هذا يا ملك النصرانية أسألك في اطلاق الملك كوبرت من الهوان حتى يكون لكم من بعض الغلمان ولا يخرج من حكمك مدا الازمان فلما سمع الملك هرقل هذا الكلام تقدم الى عندها وضمها الى صدره وقبلها بين عينيها وقال لها يا روح الارواح وحياة اشراق نور وجهك الوضاح وجمالك يا روح الارواح مالي في أسر كوبرت لا قليل ولا كثير بل ان أمره الى هذا الفارس الجواد الامير عنتر بن شداد وأنا لاجلك أسأله في اطلاقه من أسره ووثاقه فان أجاب الى هذا الامر العسير والاعتذار اليك من قلة الحيلة والقبول في ذلك التقصير (قال الراوي) فلما سمع الامير عنتر من الملك هرقل ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام وقال له يا مولاي وحق رب البيت الباقي على الدوام الذي لا تدركه الاوهام لو أن في قبضتي كل من تحت السماء من الرجال والابطال وسألتني فيهم كنت أطلقتهم لك من الاعتقال اكراما لك ولهذه الملكة

وجه الهلال وصاحبة هذا القوام الميال ثم انه قال يا ملكة طيبي نفسا وقري عينا فقد قبلنا سؤالك وأجبناك الى مقالك وغدا يكون الملك كوبرت ههنا ان شاء رب الارض والسماء ثم انهم ركبوا وساروا وقد ذهبت الملكة مريمان وفي قلبها من الملك هرقل النيران وما فيهما من عاد الا وقد ترك عند صاحبه قلبه والفؤاد وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى العشائر ونزل الملك هرقل في مضاربه وأجلس الى جانبه الامير عنتر (قال الراوي) ولما استقر بهم الجلوس وقد اطمأنت منهم النفوس قال عنتر لاخيه شيبوب ويلك ائتنا بكوبرت الى هذا المكان فما كان بأسرع ما حضر بين أيديهم في ساعة الحال ولما حضر قبل الارض بين يدي الاثنان وسلم على الملك هرقل وعنتر بافصح لسان واعتذر اليهما من فعله الذي قد كان فقال له الامير عنتر مرادنا نطلقك فقال كوبرت يا فارس عدنان وحاوي قصب الرهان أنا ممن لا يضيع عنده الاحسان وأنا أقسم بحق مكون الاكوان الذي خالف بين الليل والنهار وبين الملك والاديان ان هذه يدي لك بالوفا عمر الدهور والازمان واتخذني من بعض أصحابك والاخوان حتى اسير في ركابك أنا وجميع أهل مملكتي وأرباب دولتي وعشيرتي ولا أخرج لك من خلاف وأنت تكون عوني في أموري وشدتي (قال الراوي) فلما سمع عنتر من الملك كوبرت هذا المقال علم انه صادق في جميع الاحوال فقال له الامير عنتر يا كوبرت اعلم ان هذه المدينة مدينتك وهذه القلعة قلعتك وهي تحت أمرك ونهيك وطاعتك لكن نستحلفك باعظم الايمان الشداد أن تكون من تحت طاعة الملك قيصر ولا تخرج من حكمه ولا يكون عندك عناد وتحمل اليه الخراج والعداد من سائر الاقاليم والبلاد والا وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ضربتك بهذا الحسام على وريديك طيرت به راسك من بين كتفيك فقال كوبرت يا أبا الفوارس اذكر اليمين الذي تريده حتى انني أنطق به من غير تفنيد فقال شيبوب يا ابن الام أنا الذي أحلفه فقال له عنتر افعل ما بدا لك فتقدم شيبوب الى الملك كوبرت وأجلسه في ساعة الحال وقال له يا ملك احلف وقل هذه الاقوال وحق المسيح الذي أتى من غير ذكر وبيعة قمامة والدير المعمور والاسلحت البطرف في عيد الشعانين ولعنت الشمامسة والمطارين وطحنت لحم الجمل في بيت قمامة وأحرقت من على رأس شلحا الجاثليق القمامه وكسرت الابريق الذي يجمع فيه البطرق الشخاخ والرجيع وأغضبت مريم وعيسى والحوار بين الجميع (قال الراوي) فلما سمع الملك كوبرت من شيبوب هذه الايمان قال وحق المسيح ان هذه أيمان لا أستطيع أن أسمعها من انسان ولا تدخل لي في أذان فكيف أنغصص وأتجرع عليها واذكرها بلسان حلفوني بغير هذه الايمان فقال له الملك هرقل وعنتر ما نرضى الا بهذه الايمان وما زالوا به حتى انه حلف بتلك الايمان التي ذكرها شيبوب وقد صفت منهم القلوب فعند ذلك أطلقه عنتر من القيود والوثاق وقد أنعم عليه وجاد له بالاطلاق وأطلقه بعد الاسر والهوان هذا والملك كوبرت قد فرح بما جرى واستبشر وعلى فعالهم حمد وشكر ثم أركبه الملك هرقل على جواد أشقر عال من الخيل مضمر بمركب من الذهب الاحمر من خيار جنائب أبيه الملك قيصر فركبه كوبرت وسار طالب الملك الاخضر وما عنده مما جرى خبر الا انه فرحان بما حصل له من الخلاص والفكاك بعدما كان في ضيق الخناق ووقعوه الى الاشراك وما زال مجدا المسير الى أن أتى الى باب القصر وهو فرحان بالخلاص والنصر وقد فتحت له الابواب وقد اجتمعت عليه الاهل والاصحاب وعلت الضجة من جميع الاقطار بالفرح الكامل والاستبشار هذا ولما جلس الملك كوبرت على سرير مملكته وقص قصته على أرباب دولته وأخبرهم بكل ما جرى له مع عنتر في حال غيبته ثم ان مريم صارت تحدثه بما جرى لهم مع عنتر في ذلك المكان وكيف وقد سألت فيه الملكة مريمان ثم انه صعد الى القلعة وأرسل أحضر أرباب دولته ومدبرين مملكته ومن يلوذ به من أهله وعشيرته فما كانت الا ساعة حتى حضروا الجميع من كل جانب ومكان وبصحبتهم البطرق والرهبان والقسوس والبطارق والمطران ولما أن حضروا الجميع في ذلك المحضر عرفهم بالصلح الذي وقع بينه وبين عنتر وقد قص عليهم الخبر فما منهم الا من فرح واستبشر وزال عنهم الهم والغم والضرر وفي دون ساعة شاع في القلعة الخبر وبان الامر وظهر وما زالوا في سرور وأفراح الى أن طلعت

غرة الصباح ودقت اليه الكؤسات ونعرت البوقات هذا ولما سمع الملك هرقل وعنتر صوت البوقات والطبول عرفوا الحال والمأمول (قال الراوي) وكان الملك كوبرت قد ركب عند الصباح الخيول الجرد القداح وركب معه سائر الفرسان من أكابر عشيرته والشجعان وخرجت معه القسوس والبطارق والرهبان والمطران وقد أخرج قدامه الاقامات والعلوفات وسار طالبا الملك هرقل وعنتر ومن معهم من أكابر الافرنج والملوك والسادات هذا ولما أقبل تلقاه الملك هرقل وعنتر بالرحب والسعة والانعام وأنزلوه في سرادق الملك هرقل والخيام وقد زادوا له في الاكرام وحيوه بأحسن تحية واعظام ثم أحضروا ما راج من الطعام وأكلوا ومدوا أواني المدام وأقام الملك كوبرت عندهم ذلك اليوم في أرغد عيش وأهنا مقام ولما كان في اليوم الثاني دعاهم الملك هرقل الى القصر وزادهم في الكرامات وقد صفت لهم الاوقات ونهبوها باللذات عشرة أيام متواليات وبعد ذلك شكا الملك هرقل حب الملكة مريمان الى عنتر وباح اليه بسره والكتمان وهم على خلوة في ذلك المكان فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام استدعى بالملك كوبرت في عاجل الحال ولما استشاره في خطبة الجارية والاتصال قال له يا مولاي لا بد من مشاورتها في المقال فان رضيت وأجابت كان ذلك عناية من السيد المسيح وان أبت فانت الناصح (قال الراوي) ثم ان الملك كوبرت نهض من وقته وساعته وسار الى ان دخل على الملكة مريمان وشرح لها أمر الزواج من غير جحود ولا انزعاج فكانت هي الى هذا المقال أشهى من العطشان الى الماء الزلال فأجابت بالسمع والطاعة وكان عندها من قومها جماعة فخرج من عندها وأتى الى عنتر وأطلعه على الخبر ونهض عند ذلك الامير عنتر وبشر الملك هرقل بن الملك قيصر بذلك الخبر ففرح واستبشر (قال الراوي) وقد حضر الملك كوبرت في ذلك المكان وأحضروا البطرق والمطران وأمروا بزواج الملكة مريمان بالملك هرقل بن قيصر ملك عبدة الصلبان فعقدوا من ذلك الوقت عقدة النكاح على قاعدة شريعتهم والايضاح وقد زاد سرورهم والافراح وقد دخل عليها في تلك الليلة من غير مطال وقد شاهد الملك هرقل من اللطافة والحسن والجمال حتى سكر ومال وقد هاج كما تهيج فحول الجمال لانه رأى عنده صورة كصورة القمر الزاهر وقد بقيت الملاح عنده مثل الليل لعساكر لان خالقها قد أفرغها في قالب الجمال فصار هرقل كأنه في منام أو أضغاث أحلام وهو في أمور تشرح وأحوال تفرح وفي تناول كاسات المدام وشرب الراح الى ان أصبح الله بالصباح فخرج الملك هرقل من عند الملكة مريمان وأتى الى عند الامير عنتر فالتفت الى الجارية مريم التي هي السبب في هذه النعم وقال لها أسمعينا الساعة شيئا من ألحانك وحسن لفظك وانغامك فقد اشتقنا الى سماع كلامك فعندها دقت الجنكات ولعبت العيدان ورقصت الجوار الافرنجيات وزادوا في الطرب ذلك اليوم وتلك الليلة ثم ان مريم أنفذت عودا محكوك مبرود صنعة أبناء الهنود وحكمت أوطاره ووضعته في حجرها ومرت عليه بأناملها واتكت عليه بجوز نهود صنعة مدبر الوجود وضربت عليه طرائق حتى حيرت من الحاضرين الافكار وطابت منهم القلوب وغابوا عن الوجود فأنشدت مريم تقول

شجتك بالتغريب في تغريدها * فظننت سعدا كان بعض عبيدها

وكأن نغمة صوتها في فمها * وكأن رقة صوتها في عودها

ففتنت الاكباد من حسن صوتها * والف بين قريبها وبعيدها

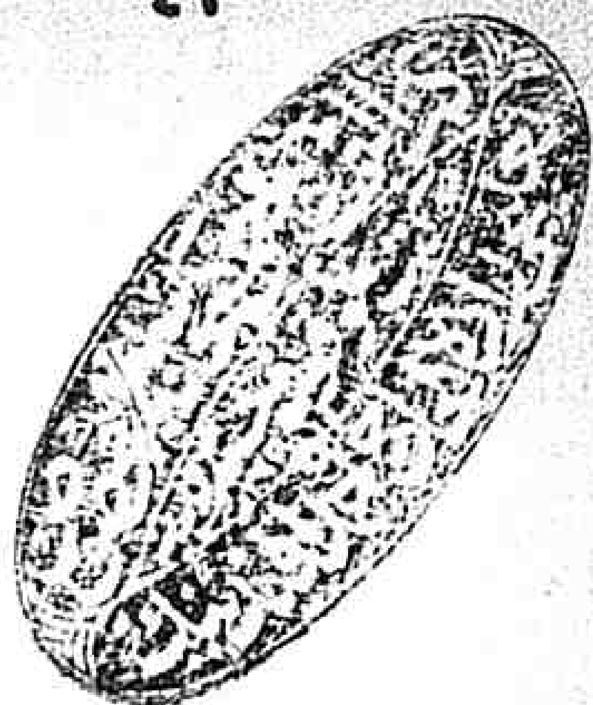
كملت صنائع وصفها فكأنها * ورثت أصول العلم من داودها

تسبي العقول فصاحة وصباحة * فصير بين طريفها وتليدها

من بهجة مكسوبة منسوبة * تفني لعين الحاسدين عيونها

واغار من لثم الكؤس لثغرها * وأذوب من لمس الحرير لجلدها

(قال الراوي) فلما فرغت الملكة مريم من هذه الالفاظ الحسان طرب كل من كان في ذلك المكان ثم انها غيرت الايقاع وأشارت أيضا بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات



تحدر دمع العين من أعين السحب * وقهقه صوت الرعد من سحب الحجب
ولاحت بأرجاء السماء بوارق * من الشرق تبدو تارة ومن الغرب
الى أن بدا جيش من الصبح مسفرا * ولاح بأنوار مطرزة لذهب
وغردت الاطيار من فوق فرعها * فهيج أشواق المحب الى الحب
وقد أبدت الارواح نفحات عطرها * الينا وقد جاء السرور بذى القرب
فتى مجده من أين يقاس بغيره * على قمة الجوزاء والمرتقى الصعب
وتفهم من ألفاظه كل نغمة * تلذ بها الاسماع من منطق عذب
وان كنت قد قصرت فى وصف مدحه * فان لسان الحال من جوده ذنب
فلو كانت الايام عن طيب نشره * به نشرت بين الترائب والصلب

(قال الراوى) ولما فرغت الجارية مريم من أبياتها دنت من الامير عنتر وقالت له بسم الله يا فارس العرب بنى غير سوء الادب فقال عنتر يا شيبوب قدم الجواد الابجر فقدمه اليه فركب وسار والملك كوبرت وجميع الجوار مع مريم فى خدمة عنتر والملك هرقل بن قيصر وفى ايدى الجوار الشموع وهى فى مناور من الذهب الاحمر وهو الشمع المكوفر الذى فيه اسرار وهو اذا انطفت الشمعة من يد الذى يكون ماسكها يهزها فيعود ضوؤها كما كان سرعة ولا يتأخر (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا منازلهم بسلام وقد انصرفوا الجماعة وانضجع عنتر بعد ذلك ونام واختلى الملك هرقل بالملكة مريم بدر التمام وتمنى أنه لا يفارقها مدى الايام وقضى ليلته معها بالبوس والعناق ولا التمام وقل عنهما العناء والكلام وجرى بينهما العتاب والملام وبعد ذلك دخلوا الى دار السلام وما أدرى بعد ذلك كيف جرى بينهما من الكلام وعند الصباح أقبل عليه الامير عنتر وهناه بعرسه وسأله عن ليلته وانسه فقال له وحق المسيح ما كانت الا ليلة تعدل ليال وبهمتك فيها بلغت المرام ففرح عنتر بذلك وقال له يا ملك ما أنا الا من بعض غلمانك ثم أقبلت اليهم أكابر البلد بالهدايا والتحف وشئ يعجز عنه الوصف اذا وصف ثم انهم أولموا الولائم عشرة أيام متواليات وهم فى أفراح ومسرات وخلعوا على المقدمين والسادات من أحسن الخلع والملابس الملونات وصفت لهم الاوقات فعند ذلك تقدم كوبرت الى هرقل والامير عنتر وقال لهم يا موالى هل تنعمون معى بالصعود الى القلعة وتتشرفون على ما فيها من الخزائن والاموال والتحف الغوال فأجابوه الى هذا المقال وقد رأوه عين الصواب فعندها نهض عنتر وهرقل وأكابر الروم مثل الحجاب والنواب وأصحاب الرأى الصائب وبين أيديهم الغلمان بالسيوف والحراب حتى وصلوا الدار التى خرجت منها الجوار وهو باب من الفولاذ بقنطرة معقودة على عواميد من الرخام معدودة مختلفة الالوان فتقدم كوبرت وقد فتح الباب ودخل قدامهم فى هذا المكان (قال الاصمعى) حدثنى من أدركته فى زمانى من معمرين بنى عبس وحكى لى ما سمعه من شيبوب أخو عنتر وقد قال لما فتح الباب وحصلنا من داخله نظرنا الى درج نقرفى حجر أحمر وهو مرتفع بعضه فوق بعض لا يكاد أن يطوله انسان اذا كان على ظهر الحصان وبيده رمح من الرماح الطوال وقد بنى سلم عريض قد أحكمته الصناع وعرض السلم عشرون ذراع وطوله ثلاثون ذراع بالاتساع وقد أحكموه الاجل طلوع الخيل قال شيبوب فسرنا عن عين الباب مقدار مائتين ذراع فرأينا باب ثانى أعظم من الاول بغاية التركيب وأحسن ولكنه مع هذا التركيب والصناعة المستحكمة من خشب القاقلى والقمارى والمسامير من الفضة والذهب وهذا الباب أعجب من كل عجب وهى قد صنعتها الكهناء فلما فتح الباب رأينا فارس طويل كأنه من أولاد قابيل وبيده سيف صقيل اذا ضرب جبل هده وهو مائل بكليته الينا ومقبل بصدره علينا فخيل لنا أنه انسان حامل علينا بغير ارتياب عند دخولنا من هذا الباب وهو طويل عريض شجاع وقرم مناع فلله در تلك الصناع التى أتقنوا تلك الايقاع وهذا الفارس راكب على جواد من أخير الخيل الجياد فصاح أخى عنتر عند نظره الى كوبرت وقال له ما هذا الفارس الواقف فى طريقنا وماله حامل علينا وقصده يعيقنا فقال كوبرت يا أبا الفوارس ما هذا بطل من

الابطال وما هذه الا صورة من النحاس الاصفر قد احتكمته حكماء اليونان من قبل هذا الزمان فقال عنتر اذا كان هذا التمثال كيف حمايته لهذا المكان فقال كوبرت اعلم يا أبا الفوارس أن هذا التمثال اذا وصل اليه انسان يدور بسيفه مثل ريح الشمال فلو صادف بسيفه هذا الجبل لقده قطعتين فقال عنتر وحق من لا تراه العين ان هذا التمثال أعجب ما يكون ثم انه قال لكوبرت تقدم اليه وارجع حتى ننظر ماذا يصنع فسار كوبرت قليل حتى تقرب من المهلك واذا بالتمثال قد دار كالدولاب وانقض مثل الكواكب فحار عنتر وقد أخذه العجب وقال لكوبرت وأى شئ يكون طلوعنا من هذا المكان وقد حصل لنا مثل هذا الشيطان ووقف لنا فى الطريق ومنعنا عن التوفيق فقال كوبرت أنا أبطل حركته ولا أدعه يتحرك ولا يفعل شيأ من صناعته فقال عنتر افعل ما بدا لك وأرنا ما تصنع من أعمالك وفرجنا على أفعالك فتقدم كوبرت الى التمثال ومد يده الى طاقة بالقرب من هناك ومن داخلها اسرار الحركات والاعمال وفى وسط تلك الطاقة درة وفى فم الدرة حلقة موصولة فى طابق من الرخام بصناعة وهندام فتقدم كوبرت ومسك الحلقة وأقام اللوح الرخام فبان من داخل اللوح سلسلة من الذهب الاحمر متصلة بساقية على البحر بقواديس من الفضة الحجر تحمل الماء وتصب فى حيضان من المرمر بمجار من النحاس الاصفر تصب فى مساقى من الرخام الاحمر والاصفر والابيض وتلك الفساقى بوسط القلعة المقدم ذكرها بمجارى أخرى من الرصاص متصلة الى بستان ملآن من الازهار والنبات والاشجار والخيل والاثمار وفى جانب تلك السلسلة سلسلة أخرى متصلة بساقية أخرى بقواديس من الذهب تملأ من الزيبق متصلة بذلك التمثال المقدم ذكره الذى فى يده هذا الحسام الفصال فاذا دارت الساقية وصبت من الزيبق فتبطل حركة هذا التمثال ويجرى فى هذا المكان فيتقوى هذا التمثال على قتل الرجال واذا أراد ابطاله الذى يعرف بحاله فيتقدم الى السلسلة ويسحبها ويلفقوا بها الساقية المتقدم ذكرها وتبطل دورانها فيقف الزيبق فتبطل حركة هذا التمثال ثم انهم يعبروا الى هذا المكان من غير امهال ولما صنع كوبرت ما صنع من ابطال حركة التمثال عبر الملك هرقل وعنتر والجماعة فى أسرع حال وكان آخر من عبر شيبوب وولده الخذروف ولما عبروا وتقدم كوبرت وعنتر ينظرون الى ذلك واذا به قد عبر الى طاقة أخرى ورفعها بيده فنزلت تلك الطابقة المقدم ذكرها وحصلت فى مستقرها فجرى الزيبق فى هذا المكان ودار القتال كما كان هذا وعنتر قد انبهر وحار مما عاين وأبصر من تلك الاحوال والصور ثم انهم بعد ذلك الامر الذى يذهل العقول قد صعدوا من المراقى الى باب حديد آخر غير الاول عند ما دخلوا منه الى وسط القلعة فنظر عنتر الى قلعة عالية البناء شاهقة فى الهواء فقال عنتر وحق من خلق الخلائق من الماء وجعل البيت الحرام آمنا وحمى ما هذا المكان الاقرب عهد من السماء ثم انه نظر بعد ذلك فرآها مبنية من الصخر الاحمر مركب حجارتها نقر محكمة بأبراج عالية وسيعة أمينة وأركان عالية منيعة وهى حصينة وكانت هذه القلعة بين مدائن أربع وكانوا الى ملك من ملوك الافرنج يقال له الملك صافات وكانت كل مدينة منهم حولها أربع جزائر وكانوا هؤلاء الجزائر يقال لهم الواحات وكان ما أحد من ملوك الافرنج له سبيل وكانت الملك يقال له جنطيائيل ملك الاندلس لانه كان بطل صنديد وكان الملك صافات من تحت أمره ويحمل اليه الخراج والعدد فى كل عام وكان الملك صافات أحب ما اليه من هذه المدائن الاربع الاجزيرة الواحات لانه كان يقيم بها أكثر الاوقات لانه منها خرج وفتح المدائن الاربع فكان أولهم قلعة البلور وروضة المدائن الكبرى التى ما مثلها فى سائر القرى ومنها قد استظهر الاسكندر على سائر الورى وكان فيها قصره الاعظم الذى فيه سائر النعم وكان طوله خمسة فراسخ وعرضه اثنين تحيرت فى وصفه الناظرين وكانت أرض القلعة مفروشة بالرخام الاحمر والاصفر وحيطانها من حجارة المرمر ولها أربع صوامع كبار وكان عليها رجال لاجل المنع والحصار وفيها بستان قد اجتمع فيه من سائر الاشجار وفيه من غرائب الاثمار والماء يدور فيه دائر ما يدور من أسفل الاسوار وفيه قصور عاليات وأركانها مشيدات وعلى حيطانها تصاوير ونقوش ترد البصر المدهوش ويشتاق لرؤيتها النفوس وأكثر أشجارها من الفواكه والازهار (قال الراوى) وكان الملك صافات كلما رأى هذه المدينة وما حوت من

الاصناف المختلفات ما يعرفون عليه الخروج منها بل يخشى الكلام من أكابر البلد أن يرده بين العجز والهوان فكان يخرج فى كل وقت الى ظهر المدينة وينصب الخيام والسرادقات ويأمر باحضار العشائر من سائر الجهات وقد ذكرنا أن هذه المدائن الاربع تحت حكمه فأولهم قلعة البلور والثانية رومة المدائن الكبرى والثالثة قلعة الصنم والرابعة مدينة كبرونة ولما كان فى هذه الايام بلغه خبر قتال الافرنج مع الاروام ومجىء هرقل بن قيصر فى هذه العشائر التى لا ترام وكيف أتى معه عنتر بن شداد البطل الهمام وكيف قتل الملك اليلمان وابنه مرجوان وملكوا قلعة البلور وجزائر الكافور وما حوته من البساتين والقصور والاماكن والنهور وبلغه أن الملك كوبرت صادقهم بعد الحرب الشديد وصار وابعد المعاندة فى عيش لذيذ والذى أتى له بالخبر قال احذر على نفسك واجمع العشائر والاجناد من قبل أن يأتيك الملك هرقل والامير عنتر بن شداد (قال الراوى) فخرج فى هذه الايام وجمع العشائر من الخاص والعام وما حوته يده من العساكر والالزام فأقبلت اليه الافرنج وهى مثل البحار الزواخر ما لها أول من آخر وهى مقبلة الى طاعته وسائرة الى خدمته ولما تكاملت الفرسان فأعرضهم عليه فكانوا مائة ألف وسبعين ألفا من الافرنج المجربات وهم راكبون على الخيول العربيات لابسين الدروع والزرد العاديات وبأيديهم الحراب الخطيات والقنطاريات والخلنجيات والدرق المركبات ومتقلدين بالسيوف المشرفيات الهنديات وهم كأنهم السباع الضاريات اذا خرجوا من الغابات وفى سروجهم الدبابيس الاندلسيات وعزم على الرحيل بعد أن استخلف بعده ابن عم له يقال له ميخائيل وترك عنده خمسين ألف بطل من كل فارس نبيل وأمره باليقظة والاحتراز وسار بعد ذلك يطلب جزائر الكافور وهو مثل الاسد الهصور وفى تلك الساعة رجع ذلك القسيس الذى أنفذه الملك كوبرت وأخبره بقدوم هذه العشائر كما ذكرناه وسمع بذلك عنتر فاز ورمنه البصر وهدر وزمجر فعند ذلك أمر عنتر الملك هرقل بالرحيل فدق كاس التوحيل ورحل معهم كوبرت فكان عدة الجيش مائة ألف فارس من كل مدرع ولابس هذا والامير عنتر قد سار فى المقدمة على جواده الابجر معتقل برمحه الاسمر وشيبوب بين يديه وولده الخذروف والجميع يتقربون بالخدمة اليه فعند ذلك جاش الشعر فى خاطره فأنشد يقول

تعلق القلب عبل غير تعليق * وأنت معها رهين غير موثوق

(قال الراوى) وسار الجيش سيرا عنيفا ثلاثة أيام حتى أتوا الى مرج فسيح وماؤه يسرح وزهره قد فتح فقال كوبرت لعنتر يا أبا الفوارس انزل بنا فى هذا المكان لاجل راحة الخيل والرجال للحرب (قال الراوى) فأمر العشائر بالنزول فى ذلك الصحصحان ونزلت العشائر والفرسان ونصبت السرادقات وضربوا المضارب والخيام وقد أقاموا على أكل طعام وشرب مدام وأراحوا واستراحوا يومين تمام ولما كان فى اليوم الثالث انقشع دواف الكلام ورحلوا طالبين جزائر الواحات وقد سارت من خلفهم الفرسان والشجعان من سائر الجهات والامير عنتر سائر فى أول الابطال وهو مثل الاسد الرئبال وقد أخرج يده من جلباب درعه وهو يهمهم همهمات الاسد من شدة الغيظ والحرد ولما انسعت عليه القيعان تذكر الاهل والاوطان والاصحاب والخلان وقد جالت عبلة فى خاطره فباح بما أكنت عليه ضمائره فأنشد يقول

من حاكم بينى وبين عذولى * الشجو شجوى والنحول نحول
أصبحت فى بحر الهوى متفردا * وأنا أخاف عقوبة التعطيل
عجبا لقوم لا تلين قلوبهم * لحريق قلبى فى الهوى ونحول
فى أى جارحة أصون حبيبتى * سلمت من التعذيل والتنكيل
ان قلت فى عينى أصون مدامعى * أوقلت فى كبدى فثم غليل
والشيب لما أن سكن بمفارقى * فعلمت أن نزوله لرحيل
ان كنت تركت الحى لا عزلى * وبدت برأسى محنة التنكيل
حتى اذا ما العين غن لحظه * أومى يقاربه لكل سبيل

شيب تبدى مثل صبح طالع * وفراق أحبابى وفرط نحول
ولقد سريت الى العدا فى جحفل * قد حصنوا بذوابل ونصول
لى قاب يحكى العاج مفضضا * فى غرة فيه وفى تحجيل
يحلو بتحليل اللجام كأنه * ملك يحلى الرأس فى التعديل
حتى اذا سمع العداة صهيله * ولوا وقد خابوا بكل سبيل
فرت جيوشهم تجد كأنها * أسد تجدوراء كل هزيل
ياعبل انى عاشق فتحكمى * فى مهجتى ياغاية المأمول
ياعبل مازال الزمان معاندى * وأنا الجسور زمانه لجهول

(قال الراوى) ولما فرغ الامير عنتر من انشاده وترنح الملك هرقل بن قيصر على ظهر جواده وقال وحق المسيح ما هذه الا فصاحة وافرة وشجاعة باهرة فلله درك يا أبا الفوارس فما لك فى هذا الزمان مقايس ولا منافس لا فى الفصاحة ولا فى البيان ولا أجرى منك جنان ولا أثبت منك قلب فى الميدان فالله يبلغك آمالك ويصلح صدرك وشأنك وينصرك على كل ما تؤمل من العدا والحساد فدعا له عنتر وله شكر وترجل اليه وقبل وجنتيه فقبله هرقل بين عينيه ولم يزالا سائرين وهما يقطعان السهول والكثبان ويتحادثان فيما يكون وما كان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من أخبار الملك صافات فانه لما رحل بعشائره والاجناد وخرج من أرضه وبلاده طالب الملك هرقل وعنتر بن شداد ومازال كذلك حتى تقاربت العشائر من بعضها البعض وطلعت غبائرها واسودت منها أقطار الارض وكان اجتماعهم فى مكان يقال له وادى الآس فعلا منهم الضجيج لاجل اختلاف الاجناس ونعرت بوقاتهم مع دق الكؤسات فهربت الوحوش من الغابات وارتجت سائر الجنبات ولمعت بروق الصوارم مع سحب الغبائر المرتفعات وصهلت الخيول العربيات فشوقت الى الحرب قلوب السادات وهان على الابطال شرب كأس الممات وقد جرت لهم فى الحرب عادات وما فيهم الامن لاح له وجه الطمع والنصر بعلامات لما خفقت البنود والرايات فكانوا كما قيل فيهم هذه الابيات

جيش بدا عند الصباح المسفر * والخيل تركض بالرياض العنبر
والطل من فوق الشقيق كلؤلؤ * رطب على فص عقيق أحمر
والآس فى أرجائها كزبرجد * والياسمين معبق ومعنبر
والارض قد كسيت بحلائل وعرائس * ناهيك عن ذهب يصاغ بجوهر
وكتائب قد أقبلت وعساكر * ومقادم أكرم بها من عنصر
والبيض تلمع فى العجاج كأنها * برق تلألأ فى سحاب ممطر
وليوث غاب مثل آجام الفلا * يسعون فى حرب الكمى الاحور
متقلدين صوارما مصقولة * خضرا تصاغ من الحديد الاخضر
والارض ترجف من زلازل ركضها * من وقع حافرها بوسط المحجر
والوحش قد جفلت كذا من وكرها * والطير محجوب الغبار الاكدر
والموت قد نسج الغبار سرادقا * أطنابهن من الوشيج الاسمر

(قال الراوى) وفى تلك الساعة أشارت الطوائف الى بعضها البعض بالحملة من غير اطالة ولا مراسلات بل انطبقوا عليهم مثل البحار الزاخرات وكانت لهم ساعة عظيمة لا تشبه الساعات ومدت القناة والقنطاريات ولمعت أسنة الرماح السمهريات وطارت الرقاب بمضارب السيوف المشرفيات وسقطت الجماجم على أغصان هيا كل القامات وجرت الدماء مثل السحائب الممطرات وزمجرت الافرنج بلغات مختلفات واستغاثت

بالقسوس والرهبان وارتفعت على رؤس الطائفتين الصلبان وصاروا بالمسيح ومارى حنا المعمدان وزعقت الروم باسم عيسى ومريم وطعنت باسنة الرماح فى الاجساد وودعت الارواح الاجساد توديع الفراق وصعدت الغبار حتى أظلمت الآفاق ونزلت عليهم الاقدار والاحكام بانقطاع الآجال والارزاق ولسعتهم أسنة الرماح الدقاق وتجلت لهم المنون والمحاق وعجزت عن ذلك ألسن الحذاق وفى آخر النهار ترجل الملك صافات وقاتل مع أجناده قتالا حارت منه أعين الناظرات وسطا على الفرسان سطوة الغضب وخطف أرواحهم ونهب وفرق المواكب سرب ونظر عنتر الى فعاله فخاف على رجاله فصدمه صدمة الاسد الضرغام وجرى بينهما حرب تحيرت منه الاوهام وتشيب منه الاطفال قبل الفطام وما فرق بينهما الا الظلام وعادت الطوائف الى الخيام وقد ربحت الروم على الافرنج اللئام بقتال عنتر الفارس الكرار وخسرت دساكر الملك صافات وظهر عليها علائم الانكسار ولولا خوفها من الملك صافات لكانت طلبت الفرار ولكن صبرت على البلاء خوفا من العار وكسبت دساكر الروم بعض خيام الافرنج والرجال ولكن رجعت وهى تشكو الى عنتر مالاقت من القتال الا انها صارت تشكره وتثنى عليه وتشير بالدعاء اليه فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من الملك صافات فانه رجع وهو فى أعظم البليات وجمع أرباب دولته ومن يعتمد عليه من بطارقته وقد استشارهم فيما يفعل فى دفع هذا البلاء الذى عليه قد نزل وهل يقيم قدام الاعداء أو يرحل لانه نظر منهم ذلك اليوم فى القتال ما حير منه البصر ويذهل النظر فقال له أرباب دولته ومن يعتمد عليه من رؤساء مملكته أيها الملك ما فى هذا الامر الا أننا نصبر على قتال الاعداء ولو جرعونا كؤس الرداء فان رزقنا عليهم النصر فى غد والا التجأنا الى ذلك الجبل الطويل ونطاولهم فى القتال ونرسل الى ابن الدير والشاهد ونسأله أن يكون عوننا على هؤلاء الاعداء ومساعد ومتى وصل الينا هان أمر هؤلاء الاعداء الينا فقال الملك صافات وحق المسيح لقد أشرتم بالصواب وما هؤلاء الكلاب الا هذا الاسد الوثاب وكان هذا الفارس الذى ذكروه الافرنج فى نفسه شيطان فى صورة انسان ما كأنه الا من عفاريت سيدنا سليمان وله حديث عجيب وأمر مطرب غريب لان أمه كانت من بنات ملوك الافرنج الكبار وكان أبوها ملك يحكم على أقاليم وأمصار وعشائر وأنفار فى جزائر البحار وكان عاش عمرا طويلا حتى كبر سنه ودق عظمه ولم يرزق من ظهره ولد ذكر يجعله ولى عهده ويرث الملك من بعده فعندها جمع أرباب دولته ورؤساء مملكته الذين يعتمد عليهم فى شدته وقص عليهم قصته وعظم بليته من ضعف قوته وزيادة حسرته وانقضاء مدته وما رزق ولدا من زوجته وقد آن أوان رحلته وقال فى آخر كلامه وكنت أطلب من المسيح أن يرزقنى بولد مليح حتى يكون ولى عهدى ويرث الملك من بعدى فقال له الحاضرون أيها الملك الرأى ان تنفذ الى الديور والصوامع النذور واكسى الصوامع والكنائس من الامتعة والستائر واطلب من المسيح هذا الولد ولا تكن من رحمته آيس فاجابهم الى ما ذكروا وفتح خزائن أمواله وفرقها على الرهبان وأهل الديوره والقسوس والمطران وزار الكنائس والديوره والصوامع واجتهد وتعبد وطلب من المسيح هذا الولد فرزق من زوجته فى هذا العام ببنت مليحة جميلة صبيحة فاغتم لذلك غما شديدا وكان مؤملا ان يرزق ولدا رشيدا حتى يدوم ملكه ويذكر الا انه لما رزق هذا البنت هبة المسيح وطاف بها الكنائس والديوره والصوامع وسائر المواضع وطاف بها معابد الرهبان والقسوس والمطران ولم يزل يحسن فى تربيتها ويجتهد كل الاجتهاد حتى كبرت وبلغت الارشاد فطلعت على زيارة الديوره والصوامع وسارت بين الرهبان والقساقسة وكل مطران زاهد ولم تزل على ما هى عليه أياما وليالى وهى تكثر من زيارة دير كان قريبا من مدينتها وكان به راهب من الرهبان يقال له الراهب سمعان فأحبته تلك البنت حبا شديدا ما عليه من مزيد حتى صارت من محبته فى هيمان ومن محبتها له أظهرت الترهب وصارت منفردة لوحدها وهى ملازمة هذا الراهب صاحب الدير وتفعل مع الرهبان والقسوس فعل الخير وتنفق عليهم المال الكثير وفرح أبوها بذلك وأمها وأجابوها الى ما طلبت من فعلها الى أن وجدت الخلوة بالراهب وحدثته بقصته وطلبته الى نفسها فعند ذلك أجابها ولم يعرض

عنها ولم تزل فى صحبته مدة يسيرة وكان أبوها وأمها يقدمان اليها فى رأس كل شهر ويقصدون زيارتها وما مضى على ذلك الأيام قلائل حتى مات ذلك الراهب وكانت قبل موته حملت منه وقد كبرت بطنها وبان عليها حملها وقل نشاطها وزاد بها الكسل فسألتها أمها عن ذلك وقد تغيرت أحوالها فقالت لها يا أماه ما أعلم لذلك سبب الا انى أحدثك بحديث عجيب وهو انى كنت فى بعض الليالى راقدة فى ظلمة الديور وكان قلبى بايت فرحان مسرور واذا بالشاهد والراهب الكبير قد أقبل الى وهو مدعو روضر بنى من وسطه بعامود النور وهذا الذى جرى لى من الامور وحق العذراء أم النور فعلقت منه من ليلتى وهذا تمام كلامى وقصتى (قال الراوى) فلما سمعت أمها كلامها فرحت وزاد ابتسامها وأعلمت أباها بالخبر ففرح بذلك واستبشر وأتى اليها وصار يمس على بطنها بيده ويتبرك بها وقال لها الآن يا بنية من بقى يفاخرك من بنات الافرنجية وقد حملت من راهب الدير والربان (قال الراوى) ولما انقضت مدة الحمل أتاها الطلق كما أراد خالق الخلق ووضعت مولودا ذكرا كأنه فلقة القمر فقالت لابيها يا أبتاه ماذا نسمى هذا الغلام فقال سموه ابن الشاهد والدير لان وجهه فيه علامات الخير (قال الراوى) فسموه بذلك الاسم وانتشى هذا الغلام وخرج فارس همام وأسد درغام وتفرس على أقرانه وكمل علاه وفرحت به أهله وأصدقاه حتى ملك سائر البلاد وذلت له رقاب العباد وصارت ملوك الجزائر تهاديه وبالتحف والاموال تداريه وكان شجاع بلاد الاندلس وفارسها وحاميها وكان من جملة من يتحفه بالاموال والهدايا والتحف الغوال هذا الملك صافات ملك جزائر الواحات ويطلب بذلك كف أذاه عن بلاده ودفع شره عن دساكره وأجناده وكان بينهما مودة قديمة ومحبة عظيمة وكان الملك صافات له عنده قدر وقيمة ولما جرى له مع عنتر ما جرى وشاور أرباب دولته فيما ترى فأشاروا عليه أن ينفذ الى هذا الفارس ويسأله أن ينجدهم بشجاعته فى الصدام فاجابهم الى هذا الخطاب وقد رآه عين الصواب فأنفذ اليه جماعة من الحجاب وأقام ينتظر رد الجواب وهم فى هموم واكتئاب فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من عنتر وعشائر الملك هرقل ابن الملك قيصر فانهم نزلوا فى الخيام وهم فى فرح زائد وابتسام وقد عولوا أن ما بقى لاعدائهم ثبات ولا مقام (قال مجد بن هشام) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الفرسان على ظهور خيولها وقد اشهرت مضارب نصولها وشرعت على الخيل ذبولها وطلبت عنتر بن شداد جميع العشائر والاجناد وكان عنتر فى أوائل الجيش راكبا على ظهر جواده الابجر مثل ملك الموت اذا تصور هذا وقد طلبت الافرنج عنتر بن شداد فحملت عليها الروم وعنتر فى أوائلها وعمل فى ذلك اليوم عملا حير الشجعان ودحرج الرؤس كالاكر ولم يزل معهم فى القتال بالصارم الذكر مدة سبعة أيام وثمان ليال دارت الحرب بينهم قائمة على ساق وقدم والرؤس تتناثر من على قامات الابدان الى عاشر الايام وفى اليوم الحادى عشر ضعفت الافرنج وقل نشاطها وظهر عليها الانكسار وعولت تطلب الهرب والفرار فبينما هم كذلك واذا بغبار قد ثار واسودت منه الاقطار وأحدقوا اليه بالابصار وقد أملوا أنهم أنصار وأما الفرسان القادمة لما رأوا الطوائف فى المعركة والرماح بينهم مشتبكة ورأوا طائفة الروم على الافرنج فائقة فاكبت رؤسها وحملت مثل الابالس وفى مقدمتها الفارس المغوار والبطل الكرار وهو ابن الدير والشاهد لانه لما وصل اليه رسل الملك صافات فما وجد واله قرار ولا ثبات بل سار فى هذا الدساكر الجرار ولما وصل بهذه الفرسان كما ذكرنا فى هذا الديوان ونظر عنتر الى عظم همته صدمه صدمة أعظم من صدمته ولما رأى الملك صافات الى تلك الحالات زعق على الافرنج فحملت وعلى القتال عولت ونار الحرب أشعلت وعنتر يشجع فرسان الروم ويحمل حملات تزعزع الجن من تحت التخوم وينثر بسيفه الجسوم ويترك الرجال تقع وتقوم حتى انسدل الظلام وقد طلبوا الانفصال من الحرب فما مكنه ابن الدير والشاهد بل قوى عزمهم على الاهوال والشدائد هنالك حقت الحقائق وحمل السيف الماحق والرمح الخارق وعلم عنتر مراد الافرنج اللئام فبذل فيهم الحسام وأجرى دماءهم من الاجسام ولم يزل السيف يعمل والدم ينذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وهى تغلى كغليان المرجل حتى صار قريب السحر وبان لهم ملك الموت وظهر وثارت الرؤس

كالاكر وضاق الميدان والخدر وتصادمت الشجعان والتقى الجمعان وخرق السنان الامعاء والمصران وعمل الحسام اليمان فى الجماجم والابدان حتى صار كيمان وأدبر الدبران ومالت كفة الميزان وسط السرطان واشترى المشترى الارواح بأبخس الاثمان وانحط سقاء الدلو بعد ارتفاعه الى محل الزبرقان وحار الحوت عند ماحق بحر الحيوان وفارقته الثريا والخلان وزحزح زحل عن موضعه وطلب الامان وطبقت الآفاق من الاشرار صنعة الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شان فسبحان من يخضع له كل سلطان وكانوا كما وصف فيهم بعض فضلاء الزمان حيث قول

اكرم بذى ودوف راح المنى * مستصغرا ولعذرها مستكبرا * أمست تعاذلنى الغزالة والدجى
متلاطم الامواج جياش القرا * والبدر فى أفق السماء كأنه * فلك قد اتخذ النجوم معسكرا
وكانما الزبرقان تقدم صحبة * بطل أتى بكتيبة متقاطرا * وكانما الجوزاء حين تفرقت
أجسادها عقد لها متفترا * والليث قد مد الذراع كأنه * يبغى الوثاب مقدما ومؤخرا
وترى السهام كانه الجاسوس فى * جنب الجبين محاذرا أن يظهرا * والقلب مكسور الخطا فكانه
عان نواقا قيده مستأمرا * وتخال ميزان جله من جديه * حل المريخ ضم خال احمرا
وسهيل يخفق دائما فكانه * قلب الجبان رأى الوغا متأخرا * وتقابل النسران هذا واقع
وأخاه طار ملحقا ومحذرا * حتى اذا برز السماك مصمصما * وغدا يكر برمحه متدبرا
وافا أخوه الاعذل المشهور فى * طلب النزال بلاسلاح يذكرا
ودنا خميس من خميس يرتمى * غار الصباح على الصباح فأسفرا

(قال الراوى) ومازال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل ودماء الفرسان تبذل من الجراح والابطال تتأسف على فراق الارواح وتتناهل من شرب الموت أقداح من سمر الرماح وحدود بيض الصفاح حتى جرى الدم وساح على الروابى والبطاح وازورت المقل الصحاح وعدم القوم الفلاح وخاف الشجاع الافتضاح وولى الجبان وطلب الرواح وقد سمعوا القوم بالارواح من بعد ما كانوا بها شحاح الى أن أنار ضوء الصباح وقد تكسرت من الضرب الصفاح وتقصفت من الطعن الرماح الا عنتر فانه ما استراح الى ان قفز الى الميدان وجال بين الصفين واشتهر بين الفريقين ولعب برمحه بين العسكرين وسل سيفه الابتر وهد أمرج جواده الابجر وجاشت عبلة فى خاطره فحن الى قربها والنظر الى وجهها فانشد وجعل يقول

طربت وهاجنى صوت النوائح * غداة ثار منها سفوح ونازح * ومالت بى الاعداء حتى كاننى
تردد فى صدرى من الوجد قازح * بذكر قلبى عبيلة حيث دونها * صحاصح بيد بعدها لى صفائح
لعمرى لقد أعذرت لو تعذر يننى * وميزان صدقى بعد ذاك راجح * عبيلة كم من يوم صعب شهدته
له منظر بادى النواجذ كالح * وبكر فلاة لم تخف واستطامت * ولا اقتنصها من قبل مهرى ناكح
كشفت خمارا لصون عن خروجها * صح اللثام الشرف فى العرب جائح
وأنكحتها يقظان من نسل لاحق * فأمست به من عقمها وهى لاقح
من الشهب فى ادراكه الشهب طامع * فناظرة نحو الكواكب طامح
أخوض به بحر العجاج لدى الوغا * وأورده حوض الردا وهو طامح
وقومى منسوج الحديد عليهموا * بكالحهم فيه العدو المكافح
وان مشوا فى السابقين جيتهم * بسلول وقد هاجت بهن النوائح
* تزاحف زحفا الذراع كثيبة * تطاعنها أو يذعر القوم طائح
ولما التقينا بالجزائر تصفقت * وطاحت بهم فى السابغات الطوائح
ودرنا كما دارت رحى على قطبها الرحا * وجارت على هام الرجال الصفائح

وذمنا على ضرب النصال ولم تزل * تسيل الدما حتى بدا الصبح كاسح
تداعت بنو عبس بكل مهند * صقيل يهد الهام والموت لاقح
* وكم بطل كان سنانه * شهاب بدا فى ظلمة الليل واضح
تركناهموا مابين أنين ومربد * وبين قتيل غابت عنه النوائح

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من انشاد هذه الابيات نادى بصوت سمعه جميع السادات أبرز وايا أرباب العزمات فأنا أقسم برافع السموات العالم بما مضى وما هو آت المنزه عن البنين والبنات ما أرجع الى وطنى ويكون فيكم عزمات الابعد قتل ملككم صافات وآخذ جزيرة الواحات فدونكم الآن والبراز ومرعة الانجاز وكان عنتر يشير اليهم بالكلام والملك صافات وابن الدير الشاهد قيام ما يعلمون ما يقول بل نظروه يجول ويأخذ الميدان عرضا وطول فعرفوا أنه يريد البراز كما جرت عادة أبطال الحجاز فهم الملك صافات أن يحمل عليه فنزل ابن الدير والشاهد عن الجواد وتقدم اليه وصلب على وجهه وقبل يديه وقال وحق المسيح لا سبقنى اليوم أحد الى البراز حتى آتيك برأس هذا الأسود فارس الحجاز فلما سمع الملك صافات هذا الكلام زاد فرحا وابتسام وخلع عليه وخرج بعدها الى الميدان وهو راكب على ظهر حصان يسبق البرق فى اللمعان وعليه درع مضىء وعلى رأسه بيضة لامعة مشرقة ساطعة معتقل برمح أسمر له سنان يظهر كما قال فيه الشاعر حيث يقول

مزقت فى معرج الهيجا شمولها * فى مارق يوم بيض البيض محترق
بكل أبيض ماضى الحدين تحسبه * صبحا عليه من دما الابطال كالشفق
الاعلى غمده أن لا يراجعه * الا اذا عاد محمرا من العلق *

(قال الراوى) وكان تحته جواد أدهم مجتمع مملم بحافر كالدرهم اذا صهل كاد أن يتكلم كلون العندم (قال الاصمعى) ولما برز الى الميدان فى تلك العدة وهذا الشان صاح على الحصان فخرج من تحته مثل هبوب الرياح أو البرق اذا برق ولاح فالتقاه عنتر بقلب لا يخاف ولا يرهب وقد اعتركا فى الميدان ساعة من الزمان وقد ثار على الاثنين الغبار وتسردق ودام الضرب واختلف وكثر الضجر والاسف وخشى عليهما من التلف وقد نظر ابن الدير والشاهد أنه فارس ثقيل العيار وبحر لا يدرك له قرار فدار اليه القنطارية ورمى روحه عليه وطلب الانجاز فصبر عنتر عليها الى ان قاربته وقد ثبت الى أن حاذته وضربه طيرها من يده وقد أذهله وأبهره وبعدها صاح عليه واستقبله بسنان أصلب من الحجر وابن الدير قد حار وانبهر وأراد أن يلوى عنان جواده ويرجع فضربه عنتر بالضامى الابتر على قنة وقد استتر بطارقته فقطعها السيف نصفين ونزل الى البيضة قدها ووصل الى رأسه شقها شطرين والى جسده تركه قطعتين ورماه على الارض دلوين وبعد ذلك أشار عنتر الى الروم برأس السنان فحملت من كل فج ومكان وقد حملت على طوائف الافرنج وهى تصيح بفرد لسان وصارت تستغيث بالذبح ولما نظر هرقل بن قيصر الى فعال عنتر حمل الى نحوه باقى رجاله وقد جردوا البيض الرقاق وشرعوا أسنة الرماح الدقاق وخاضوا فى بطون القتلا بالخيل العتاق وقد نثر عنتر برأس السنان الابطال ومددها وهتك بسيفه الدروع وبددها ولعب بمهج الفرسان وقطع بسيفه المفارق والاوصال ولما نظرت الافرنج الى ملكهم قتيل وعلى وجه الثرى جديل فعولوا على الهرب وقد عاينوا من عنتر الموت والعطب فتبعهم الملك صافات وتخامنها المقادم والقادات حتى طيب خواطرها على القتال وقد اقتحمت واشعلت نار الحرب وأضرمت وحارت الخواطر وانذهلت والدما من الجوارح انهملت والرماح الطوال انحطمت والمرائر تفطرت والعزائم فترت والانذال تأخرت والابطال تقدمت والصدور تخسفت والاعلام تنكست والخيل فرت والرجال تقنطرت والجبال اهتزت والارواح راحت والدماء ساحت والرؤس طاحت ولم يزل السيف يعمل الى أن قارب الظلام وخفيت مواضع الاقدام فعند ذلك رجعت كل طائفة تطلب مضاربها والخيام والدماء تسيل من الاجسام وهم يتأسفون على من قتل لهم من السادات والاجناد

والملك هرقل وعنتر قد نزلوا فى السرادق الكبير وكان من الديباج الحرير وقد تركوا أمر القتال وتدبير الحرب والنزال فقال عنتر لهرقل يامولانا وحق خالق العباد ورافع السبع طباق لابد عن قتل الملك صافات نسل الاوغاد وأفنى من معه من الاجناد وأجعلهم عبرة بين العباد وتدوس أجسادهم الخيل الجياد لاننى علمت لولا ثبات هذا القرنان كانت الافرنج قد انصرفت الى ديارها من زمان خوفا على أولادها والنسوان ففرح الملك هرقل بكلام عنتر وقد انشرح بهذا القول صدره واستبشر وقام طالب خيامه وقد زالت عنه أوهامه فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من الملك صافات فانه رجع الى خيامه وجمع أكابر قومه وشكا اليهم حاله وما عاين من عنتر وقتاله فقالت له أرباب دولته وأكابر مملكته وحق المسيح الموجود والرب القديم المعبود ما قتل اليوم فرساننا وأباد أبطالنا الا هذا العبد الاسود والحجر الجلمد لانه فتك فينا بسنانه العسال وحسامه النصال فقال الملك صافات عندما سمع هذا المقال ان كان خوفكم من هذا العبد الاسود فأنا غدا اتركه قتيلا ممددا أو آتى به أسيرا مقيدا وقد هان الامر وتدبر وانقضت الاشغال وانكسر هذا الجيش ومال فطاب قلب الرجال لما سمعوا من ملكهم هذا الكلام ورتب الحرس بعد ذلك ونام الى أن بان ضوء الصباح فركبت الابطال الجرد القداح وقد جردوا الصفاح وتبادروا الحرب والكفاح ولما ترتبت صفوفها واعتدلت ألوفها كان أول من طلب الحرب واعتدل للطعن والضرب الامير عنتر بن شداد وقد ركب الجواد الى أن سار بين الفريقين واشتهر بين الطائفتين ولعب بسيفه بين الجيشين حتى حير العقول والاذهان وطلب براز الابطال والشجعان وقد أخذ الميدان عرضا وطول وأشار ينشد ويقول هذه الابيات

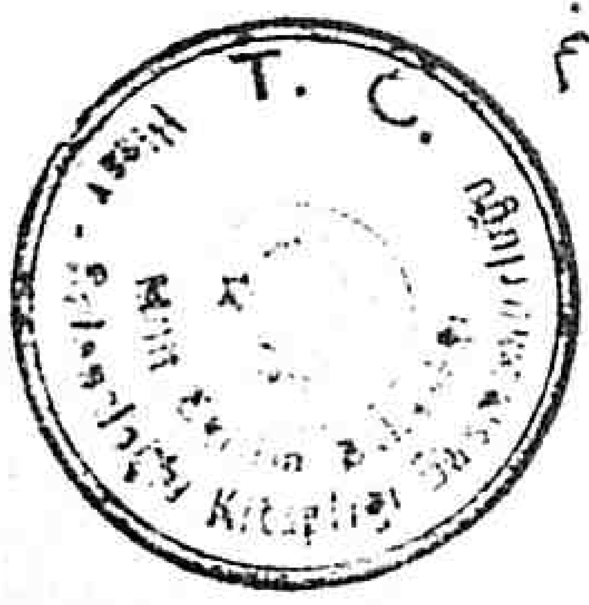
أرى كبدى من لوعة البين محرق * وجفنى من ماء الصبابة غارق
فلا دمع جفنى مطفئا نار لوعتى * وقلبى وأحشائى تذاب وتحرق
لما الله من يلحا محبا الى الهوى * وأحشاؤه من لوعة البين تخفق
سقى الله أياما نعمنا بقربها * من السحب هطالا يسح ويدفق
عبيلة فى قلبى من البين لوعة * وقلبى من حر الصبابة مشفق
فمن مخبر عنى العداة بأننى * أصول بعزم صادق ليس يفرق
وكان فتى أبناء معد وغالب * وراياتهم فوق الرؤس تخفق
كأن هبوب الريح فوق فروعها * صواعق رعد للاعادى تحرق
وحولى من أبطال عبس فوارس * وجوههم مثل الاهلة تشرق
لهم يوم كسرى والاعارب وقعة * سال الدما على الارض يزهق
رجال غطاريف أسود غوالب * ليوث لهم قلب الاعادى تحرق
لهم صولة يوم الهياج بعزمة * يقصر عن ادراكها كل حاذق
ولو قصدتهم عند اللقاء رأيتهم * أسود عبس فى الغبار المسردق
ان ساروا اهتزت الارض من تحتهم * اذا ماجت الفرسان فوق السوابق
فهاهم بنو عمى وذخرى ومعشرى * علوت بهم على كل خصم مسابق
تراهم فرسان المنايا وكم لهم * وقائع مخبورة بغرب ومشرق
ألا أيها الافرنج والعلج فاسمعوا * نظامى ولا تتعرضوا للمطابق
ان استقام الحرب والضرب منهموا * اذا سارت الفرسان فالحرب زاهق
فدونكم الكأس الذى قد نهلتموا * تروها الكم لانه بلا تدافق

(قال الراوى) وما فرغ عنتر من شعره حتى تمخضت جيوش الافرنج وترجل منهم أوفى من ألفين فارس وبينهم فارس راكب على حصان شجاع طويل القامة والباع ثابت الذراع وعليه درع ضيق العدد وله لمان وبريق مليح رشيق يرد أسنة الرماح والمزاريق كأنه ملك الموت لا يبقى على عدو ولا صديق (قال الراوى)

وعلى رأسه بيضة عادية ملمومة مجلية ترد مضارب السيوف الهندية وبيده قنطارية خلنجية بالذهب مطلية وتحته جواد من خيول البحر الجياد يصلح ليوم الطراد مليح الثبات وكان هذا الفارس الملك صافات صاحب جزائر الواحات ثم انه صال وجال ولعب فى الميدان عرضا وطول وزعق زعقة عظيمة ونادى بلسان الافرنج هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزاهز فلا يبرز الا عنتر فارس الحجاز فما أتم كلامه حتى انقض عليه عنتر انقضاض الباز ولكز جواده بالمهماز ولاصقه بلا فزع ولا ارتجاج ونادى دونك والفارس الكرار والبطل المغوار ليرتك العجب والاغترار فعند ذلك تقدم الملك صافات ودمدم وسب عنتر وشتم وكان جبارا لا يلتقى لشجاعته عند اللقا شديد القلب صبورا على مرارة الطعن والضرب وحمل على أبى الفوارس وصال عليه وجال وطلبه ومال بكليته لديه وصرخ صرختين رفعت الخيل لهما رؤسها ثم أشار الى عنتر وقال له دونك يا أسود والقتال حتى تذوق من سنان رمحى الوبال فمال عنتر اليه وجال وجرى بينهما حرب وطعن وكفاح ونظر عنتر انه فارس جحجاح فزعق بنفسه وصاح ورمى نفسه على البلاء وخاطر فى طلب العلا وقارب خصمه ودنا ولم يزالا كذلك حتى حلت الركاب بالركاب والتقيا بضربتين أخف من نظر العين الا أن عنتر كان السابق فصادف سيفه قلب الملك صافات خرج من نقرة ظهره ولما حلت بالملك صافات هذه النكبة والبلية صلبت الروم على وجوهها من عظم تلك الصرخة وخار قلبها الفزع الا انها لما رأت ملكها قتيل وعلى وجه الارض جديل فصاحوا صيحات عاليات وحملت الفرسان من سائر الجهات وضجت الطوائف من كل مكان وحملت عشائر قيصر مثل النيران وفى مقدمتها فارس عبس وعدنان وقد اختلط الجمعان وكذلك المشايخ والشبان ونشط من كان كسلان وضاق بالفريقين وسيع المكان وقال عنتر لاخيه وولده ويلكم احموا أنتم اليوم ظهرى حتى أفرجكم على كرى وفرى وانظروا ما يجرى من فعلى ثم حمل يصدم تلك الامم وينكس علما بعد علم ويضرب بسيفه القمم ويخترق الصفوف ويجدع الانوف حتى انه لحق حامل العلم الاخضر والصليب الجوهر وطعنه طعنة ليث قسورة فمال العلم وانكسر ولما رأت الافرنج علمها انكسر وملكهم مجندل معفر وضربات عنتر لا تبقى ولا تذر ولت الخيل برؤسها وطلبت الهرب وعنتر لهم فى الطلب وقد غاصوا فى الفلوات على ظهور الصافنات وما ساروا غير قليل حتى وصلوا الى بحر عجاج متلاطم بالامواج فوقعت الفرسان على ذلك النهر وقد منع عنتر وأجناده عن بلوغ مرامه والعبور فى تلك البلاد واستدت فى وجوههم المذاهب وعظمت عليهم المصائب الا أن عنتر نزل فى ذلك المكان وحوله تلك الجيوش والفرسان وضربوا الخيام والمضارب ونزلوا فى الخيام وقد زادت بهم الاوهام فعند ذلك قال عنتر يا قوم الذين هربوا من قدامنا من عشائر الملك صافات كيف دخلوا فى هذا الماء ونجوا من الآفات ولا لهم مراكب فى المكان حتى نقول انهم دخلوا بهم الى ديارهم والاوطان وما كنت أشتهى أن أعرف أخبارهم لكن نسأل من بعض هؤلاء الاسرا من أقارب الملك صافات ونسألهم عن ذلك الماء وكيف عبروا الماء بين وكيف كان مجيئهم لما أتوا الى قتال الملك قيصر بالفرسان فعند ذلك أحضر عنتر بطريق وسأله فقال البطريق يا مولاى وحق المسيح ما أقول لك الا الصحيح لاننا قصدناكم وعدنا ههنا ما كان فى هذا الوادى قطرة من الماء وأنا ههنا ربيت وانتشيت فما رأيت ولا سمعت ان هذا الوادى كان فيه ماء أبدا فضاق صدر المقدمين واشتغل قلب هرقل وعنتر بن شداد لانهم قد أرادوا أن يرجعوا الى أرضهم وبلادهم فأتاهم شئ ما كان لهم فى حساب وحصل لهم مثل هذه الاسباب وأقاموا فى ذلك الوادى عشرة أيام وهم فى هموم وأوهام فقال عنتر للملك هرقل يا مولاى هذا الماء لابد له من مدخل ومن مخرج وأنا أريد غدا أركب وأقصد رأس الماء وأنظر من أين يأتى والى أين يلتقى فقال له هرقل ما هذا الا رأى جيد يا أبا الفوارس الا أنه ما يهون علينا أن نفارق أصحابنا وحاميتنا بل نحن ننفذ خمسة من تحت الماء وخمسة من فوق الماء حتى يحققوا خبر الوادى والماء من أين يأتى والى أين هو غادى ويبين لنا صحة الاخبار وبعد ذلك نعمل على قدر ما نرى ونعرف الآثار فقال عنتر افعل ما بدا لك حتى نتابع رأيك وأفعالك ولما انفصل الحال قال شيبوب يا أخى أنا أسير مع أحد الرجال وولدى الخذروف أيضا يمضى

مع الفرقة الاخرى بلا مطال وقد رآه عين الصواب وما زالوا حتى طلع الفجر وعاد الملك هرقل ودعا بعشرة من أبطاله وفرسانه الشداد وأمرهم بالسير خمسة انحدار وخمسة أصعاد و يكشفون خبر هذا الماء الجرار ولا يعودون الا بحقيقة الآثار وأقاموا بعد رواحهم في الانتظار مدة سبعة أيام تمام فحصل لهم من ذلك أوهام ولا طلع لهم خبر ولا بان فضاق لذلك صدر عنتر والتهبت به الهموم والفكر وخاف على أخيه و ولده من صروف القضاء والقدر وكذلك هرقل بن قيصر (قال الراوى) فبينما هم في الكلام واذا بشيبوب قد ظهر من بين الآكام وهو كأنه ذكر النعام وهو أشعث أغبر من قطع ذلك البر الاقفر وفي دون ساعة صار بين يدى أخيه عنتر بن شداد ففرح به واستبشر وقال له هات يا شيبوب ما عندك من الخبر (قال الراوى) وأعجب من هذا الكلام ان عنتر سأل أخاه شيبوب عن الخبر واذا بغبار الخذروف قد ارتفع وظهر من تحته مثل البرق اذا لمع وما زالوا سائرين حتى ان الخذروف صار قدام عنتر وسلم وترجم وبالغ في السلام لابن الملك قيصر هذا وشيبوب يقول له يا مولاى لما سرت مع أصحابك سرنا سبعة أيام حتى أدركنا آخر هذا الماء فنظرته يخرج من ذيل جبل لاحق بعنان السماء أنعم من حجر المسن لا يتعلق عليه النمل ولا يدرك علوه ناظر ولا يلحق به الطائر ولما حققت هذا الخاطر تركت أصحابي ورجعت على الاثر وهذا ما عندى من القول والخبر فقال له الملك هرقل بن قيصر لما انتهى في الكلام وما تصل البطارقة الى هذا المكان فقال له يا مولاى بعد ستة أيام ان كان عليهم خبر وسلامة فتبسم هرقل من كلامه وقد تعجب من قوة اهتمامه وجريه على أقدامه ثم قال للخذروف أنت متى فارقت أصحابك والخيل فقال له يا مولاى من أول الليل فقال عنتر تفارق الخيل من الليل وتصل آخر النهار وتقول ما يصلون الا بعد ستة أيام فقال الخذروف أى وحق البيت الحرام ولو أنهم على ظهور الغمام فاشتغل سر عنتر بذلك الكلام وخشى أن يطول عليه المقام وما زالوا مقيمين خمسة أيام وهم يسألون ولا يحققون عن أحد خبر ولا بان لهم أثر فلما كان في اليوم السادس أقبلت بطارقة الروم ومعهم ثلاث رهبان وقد أتوا بهم من بعض الديورة وذلك المكان فلما حضروا قدام هرقل وعنتر سألهم عن الوادى والماء الذى فيه هل هو محدث أو قديم فقالوا وحق المسيح هذا شئ ما عرفه أحد من الجماعة الا في هذه الساعة وما رأيناه الا بعد قتلة الملك صافات فلما سمع هرقل هذا الخبر ضاق صدره وتحير وقال لعنتر كيف يكون التدبير في هذا الامر العسير فقال له عنتر يا مولاى ما في الامر الا اننا نعود على آثارنا ونطلب أرضنا وبلادنا فقال هرقل يا أبا الفوارس نحن نمضى ولم نحتو على هذه الجزيرة وقد وقعنا والله في حيرة لانه بعدنا يخرج منها جيوش وأجناد وينهبون القرى ويقتلون كل من فيها من العباد وربما قتل الملك كوبرت و بلغوا منه المرام وأخذوا منه بالثار عوضا عمن قتل منهم في هذه الديار ويضيع تعبنا يا أبا الفرسان ويا حامى بلاد عدنان ولا نكن قد عملنا شيأ من الاحسان (قال الراوى) فبينما هم في الكلام واذا بأحد الرهبان تقدم وكان أكبرهم سن وأيام وقد مضى عليه مائة وسبعون عام وقد أشار على عنتر وهرقل بالسلام وقال لهم ان أردتم معرفة هذا الوادى وهذا الماء الذى فيه من أين قادم أحضروا بالراهب الذى على دير الصنم وهو على جنب قلعة العلم فانه يا مولاى راهب هذه الاقطار وأقدم كل راهب في هذه الديار فقال له الملك ولم سمى هذا الدير الصنم والنصارى كلهم ما تعبد الاصنام ولا تحلف وتعتقد عقولهم الفاسدة التى تهلكهم يوم القيامة الا في عيسى بن مريم وأمه الطاهرة البتول فقال الراهب اعلم يا مولاى ان هذا الصنم الذى في هذا الدير فانه ما يعبدونه وحق الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولد ولكن يا أمير هذا الدير له موسم في كل عام هكذا على طول الدوام وهو لا يفتح الا في يوم واحد من دون الايام وانه عندهم عيد ويجتمع فيه كل من كان في هذه الاقاليم من الامم وانهم يحملون الى ذلك الدير في محبتهم النذور ويكون يوم فتحه بعد شهور ويحصل عندهم الفرح والسرور ويدخل اليه الاكابر والانصار والملوك وكل فقير وفقيره وكل غنى وصعلوك ومالك ومملوك ويأتى الى ذلك من سائر الاودية والجبال والاقاليم والبلاد والقلالى والصوامع والاديرة والكنائس ثم ان الراهب الكبير يحرضهم قدام ذلك الصنم ثم انه يحدثهم ويحثهم على عبادة عيسى بن مريم ثم انه يحدثهم بخبر الحواريين الاثنى عشر

وذلك بعد ما يقرأ عليهم فصلا من الانجيل المكرم العظيم ويفسر لهم ويقرؤهم ويقرؤه كلهم التبجيل والتكريم واذا انقضى ذلك الموسم وفرغت أيام زيارة الصنم غلق ذلك الراهب باب الدير بعد ان يكون قد حصل له ما يكفيه عامه بالتمام والكمال ولم يفتح بعد ذلك الى أحد من الانام لا لشيخ ولا لغلام وهذا يا مولاى حديث الدير وما كان من الصنم وغير ذلك ما أعلم (قال الراوى) ولما سمع عنتر والملك هرقل ما به الراهب تكلم أمر بالمسير مع ذلك الراهب الى دير الصنم وأمرهم باحضار الراهب فقال الراهب لهرقل يا مولاى انه ما يرد علينا جواب وما يرضى يفتح لنا الباب وحق المسيح لانه كابر متكبر على البشر وما أحد منا يطلع على خبر فقال الملك هرقل لعنتر يا أبا الفوارس كيف يكون التدبير في هذا الامر الخطير فقال له شيبوب أنا الرأى عندى أن ترسلوا خمسمائة فارس تحط على هذا الدير وتطلب الراهب وتحتاط به من كل جانب وتأمره بالحضور فان أجاب فهو عين الصواب وان أبى يخربون الدير حجرا بعد حجر ويحضرونه الى هذا المكان فقال عنتر وحق علام الغيوب لقد أصبت في هذا الرأى يا شيبوب (قال الراوى) فعند ذلك أمر الملك هرقل لخمسمائة فارس من خواص الجيوش وسار معهم ذلك الراهب وتقدم وانتخب الفرسان ولما اجتمعوا أمرهم بالمسير ولا أحد منهم يتأخر و يأمرون الراهب بالحضور وهو مبجل وان لم يطلع أخربوا دير الصنم وسحبوه الى ذلك المكان وهو ذليل مهان فأجابوا بالسمع والطاعة وقد ساروا من تلك الساعة طالبين الدير ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا قلعة ذات العلم وأتوا الى باب الدير ووقفوا على الباب وتقدم ذلك الراهب وطرق الباب طرقا شنيعا فطل الراهب من طاقة الدير فنظر الى ذلك الراهب والخيل معه وهم في صحبته فقال لهم ما الذى تريدون والى أين أنتم سائرون فقال له الراهب يا أبا الرهبان شعشعونا اعلم انه قد نزل علينا ملك من ملوك النصرانيه وهو الملك هرقل ابن الملك قيصر صاحب القسطنطونية وهو الذى قد سيرنا اليك وهو يأمرك بالمسير اليه والحضور بين يديه فعجل في المسير حتى انه يسألك عن أمر هذه الديار واعلم انك ان لم تنزل وأنت مكرم هدمت هذه الفرسان الدير بالنوت وأخذوك معهم بعد ان تسحب وتلطم والرأى عندى أن تبادر الى خدمة هذا الملك المكرم وارفع عن نفسك الملام وتتكلم و بعد ذلك أنت أخبر بشأنك فقال الراهب مالى سبيل الى النزول ولا أقدر أخالف الصنم فيما يقول (قال الراوى) فلما سمعوا كلامه العنيد طلعوا باب الدير بالعواميد الحديد والنوت وقد تبادرت اليه الفرسان من قريب وبعيد ولما نظر الراهب الى هذه الاسباب نادى يا قوم لا تكسروا الباب تمهلوا الى أن أنزل اليكم وأرد الى ملككم الجواب فوقفوا عند ذلك عن كسر الباب فقال لهم لا تعجلوا على في النزول اليكم حتى انى أدخل على الصنم وأسمع منه ما يقول وما به يتكلم فقالوا له افعل ما تريد فها نحن لك في الانتظار وان أبطأت علينا كسرنا الباب بهذه الاعمدة الحديد وجعلنا عاليها أسفلها فعند ذلك تقدم الراهب ونزل اليهم وقد عرف أن لا بد له من الخروج اليهم وان أبى يهدمون دير الصنم وقال لهم يا قوم اعلموا ان الصنم قد أمرنى بالمسير الى هذا الملك الكبير ثم انه خرج اليهم وعاد غلق باب الدير وركب معهم وساروا به على الآثار وما زالوا سائرين به الى ان أوقفوه بين يدى الملك هرقل وعنتر





﴿ تم الجزء التاسع والعشرون من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شداد ﴾

الجزء الثلاثون

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث النزال الامير عنترة بن شداد

وهي السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليه

م



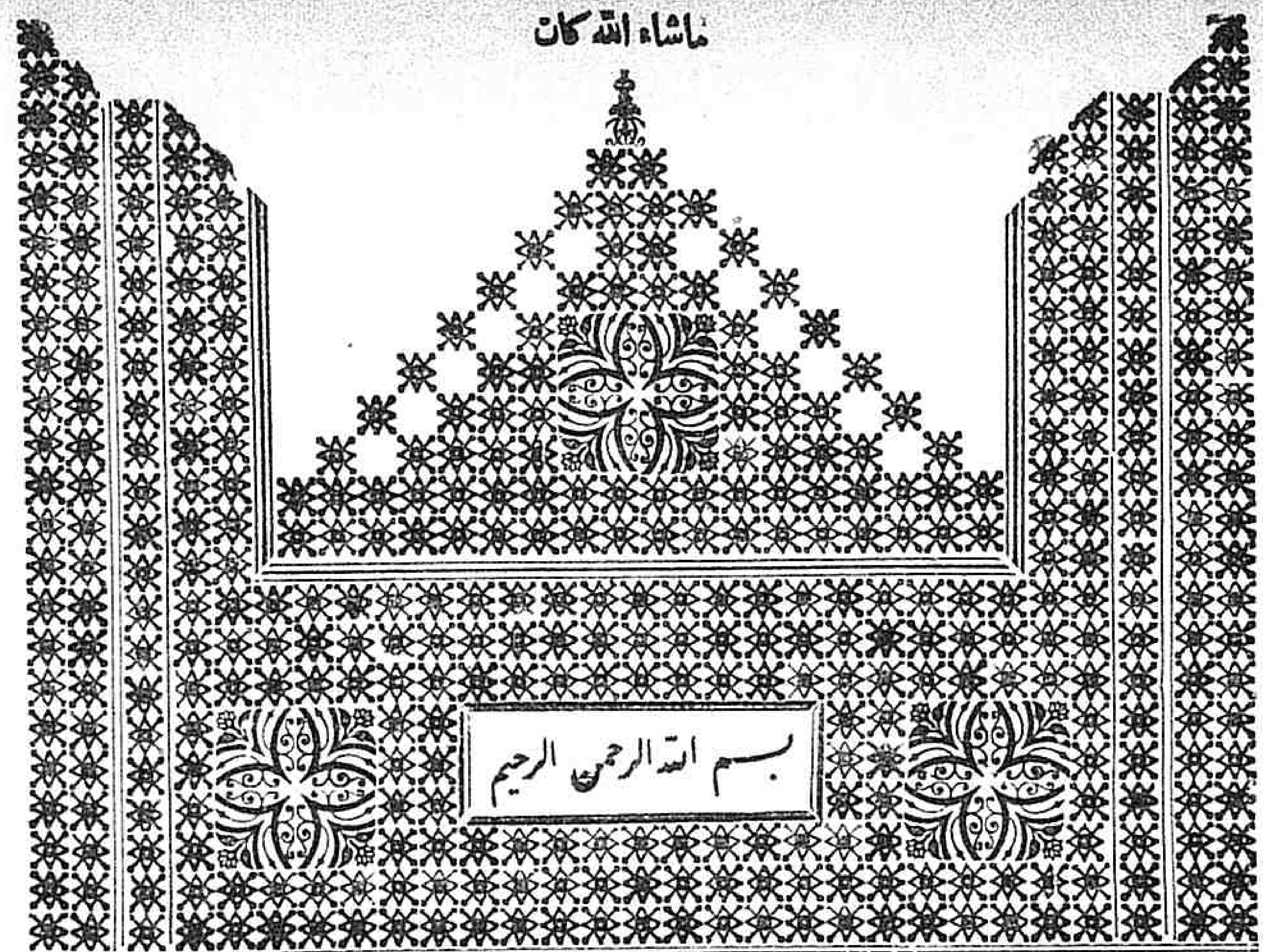


محل مبيعه

(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين افندى شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

الطبعة الثانية

(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)



(قال الراوى) ولما سار فى حضرتهم سلم الراهب وخدم وكان اسم الراهب متى بن يوحنا ويلقب بشمعونا هذا ولما سلم وترجم قال له يا ملك ما حاجتك منى أيها الملك المحتشم فقال له الملك هرقل يا أبونا أريد تخبرنا عن هذا الماء الذى هو فى ذلك المكان هل هو من قديم الزمان أو انه حدث فى هذا الاوان فقال الراهب يا ملك الزمان اى شئ غرضك فى هذا الشان فقال له أنا قصدى أن أسير بهذه الجيوش الجراره وأفتح جزيرة الواحات فقال الراهب اعلم أيها الملك الجليل مالك الى هذا الامر من سبيل لان عندنا منقول فى الانجيل والتوراة بان هذه الجزيرة ما تفتح الا بعد قتل الملك صافات وبهذا أخبرت القسس والرهبان وهو مؤرخ من قديم الزمان من عهد ما رحنا المعمدان فلا تتعب نفسك فيما لا تصل اليه ولا تتمكن منه ولا تقدر عليه واعرض عن هذا الامر واستريح فهذا رأى عليك مليح وحق المسيح فقال الملك هرقل لعنتر وقد اندهش وتحير أى شئ تقول يا حامية عبس فى هذا الامر الذى تعسر فعند ذلك التفت عنتر وقد أزورت عيناه ودمات شفتاه وهمهم ودمدم وبربر وزمجر وطار من عينيه الشرار وصاح بالراهب ويلك يا ابن الانذال ويا راهب المحال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر والاله الذى ماله ولد ولا زوجة ولا أحد ولا مستقر ان اخفيت عنى من سؤالى لفظة واحدة والا ذكرت لى حجة باردة ضربتك بهذا الضامى ضربة أخمد أنفاسك وأهد أساسك فلما سمع الراهب ذلك الكلام التجم بلجام واجتمع فى بعضه البعض واشتبكت أضراسه وانزعجت حواسه واضطرب بدنه وغاط فى لباسه لما نظر الى الامير عنتر بن شداد ورأى قده وشكله وعرضه وطوله ولكن ثبت جنانه وأطلق لسانه وقال للامير عنتر يا فارس الزمان لا تعجل فقد صح الخبر وبان الامر وظهر وأنا أريد منك بحق القسم الذى قد أقسمت به وبالحديث الذى تكلمت به انك تخبرنى من أين أتيت الى هذه الديار وأى أرضك من الاقطار فقال عنتر أنا من أرض الحجاز ومسكنى البر الاقفر وأتيت من أرضى وبلادى خدمة الى الملك قيصر فقال الراهب يا فارس دع عنك التطويل وأمهل علىّ قليل حتى انى أعود الى الدير من أجل أمر عندى قد ظهر وأعود اليك بصحة الخبر فقال الامير عنتر أجبتك الى ما تريد ولكن القصد أن أنفذ معك جماعة من أصحابى القعود حتى انك تسرع الىّ وتعود فأجابه الراهب الى ذلك المطلوب والمقصود فسار معه عشرة من الفرسان

وفى جملتهم شيبوب فأتى الى الدير وفتح الباب ودخل أخذ حاجته ورجع معهم من وقته وساعته حتى وصلوا الى الامير عنتر والملك هرقل بصحبته وجلس الراهب وأخرج كيسا من الاطلس الابيض وأخرج منه كتاب مجلد وجعل ينظر فيه تارة وينظر فى الامير عنتر تارة ويحدد اليه بالنظر وبعد ذلك نظر لشيبوب وولده انكدروف والحجاب جميعهم وقوف ثم قال للامير عنتر يا حجازى بحق النبى الذى يظهر فى آخر الزمان الذى اسمه محمد الذى يأمر الناس بالاسلام ويرمى عن الكعبة الاصنام فقال الامير عنتر يا راهب نعم فقال الراهب هل ظهرت وقعة ذى قار بين الامم ونصرت العرب على العجم فقال عنتر نعم وحق البيت والحرم تفرقت العجم فى كل سهل وجبل وقتل منها كل فارس بطل فقال الراهب أتعرف بأى اسم نادت العرب تحت الغبار الاسود قال الامير عنتر نعم كان نداءهم يا آل محمد يا آل محمد وأنا والله ما كنت حاضر ولكن أسأل الله تعالى أن يعمنا ببركات هذا النبى الامجد فقال الراهب سمعت أن ايوان كسرى انشق من على رأسه هل هو صحيح أم لا فقال عنتر ابن شداد أى وحق الواحد الجواد فقال الراهب بأى اسم تعرف أنت يا فتى بين العباد فقال له أنا اسمى عنتر ابن شداد ومقامى بأرض الحجاز وتلك البلاد فقال الراهب وحق الاله المنزه عن الصفات البشرية وعن اللغات انك أنت الذى على يديك فتح جزائر الواحات بعد قتل الملك صافات فتبسم عنتر من هذه المقالات وقال أما الملك صافات فقد جندلته على الارض ومات فلما سمع الراهب هذه المقالات فقال يا فارس عدنان الآن أريد أن أعرفك يا ولدى عن هذه الامور المخفيات وهو ان على باب البلد الشرقى من قلعة ذات العلم أسد مصور على عامود رخام وعليه صورة صنم فأرسل أنت من يقلع العامود ويرمى الاسد وقد غار هذا الماء وبان تلك الطريق وها أنا عرفتك بما عندى من الخبر وحق من أنبع الماء وأنبت الشجر (قال الراوى) ثم ان الراهب بعد ذلك رمق بطرفه الى السماء لما انتهى من هذه الكلمات وقال اللهم يا رب الارضين والسماء ويا من علم آدم الاسماء يا من أحاط بكل شئ علما يا من خلق ابراهيم وموسى ويا من رفع الجبال وأرساها يا من أحصى الخلق جمعا يا من أخرج من ظلمة الاحشا نسمة تسعى بحق المولود الذى يظهر بين زمزم والصفا وهو نبيك محمد المصطفى اقبضنى من هذه الساعة على دينه من غير رياء ولا اخفاء يا قادر على جميع الاشياء أشهد أنى على ملته مصدقا برسالته ثم انه توجه الى القبلة وشهق شهقة خرجت روحه ومات وقضى نحبه ولحق بربه فعند ذلك اقشعرت الجلود من أقسامه لما شرب كأس حمامه وأمر عنتر بن شداد بغسله ودفنه الا ان الامير عنتر طالت عليه حسرته وتمنى انه يطول الله فى مدته حتى يقاتل بين يدى هذا النبى العظيم بشجاعته وأن يموت على ملته ثم ان عنتر أرسل الى قلعة ذات العلم وكانت خراب من زمان الاسكندر وأبو العباس عليهما السلام وكان أيضا سكانها أقوام من الجان فغزى عليهم الاسكندر وخرب هذه القلعة والاركان والذى أسلم على يديه بقى مقيم فى هذا المكان الى الان الامير عنتر بن شداد أرسل الى أخيه شيبوب وجماعة من الرجال الى القلعة وقد طلعوا الى أعلا البرج فنظروا الى ذلك الاسد الذى هو على ذلك العامود فرموا الاسد وصورة الصنم على المهاد فعند ذلك غار الماء فى وسيع الآفاق وبعد مدة ثلاثة أيام ما بقى من الماء فى الوادى ولا قطره ففرحوا ببلوغ المنى وزال عنهم الهم والعنا (قال الراوى) وبعد ذلك أنفذ الملك هرقل والامير عنتر أخذوا جميع ما فى الدير من الاموال واستوروا الصلبان والرحال وأخذوا أيضا الصنم المذكور وهو من الذهب الاحمر وعيناه من الياقوت الاصفر ولما بانت الطرائق للسالكين دخلت الجيوش مثل البحار الزواخر طالبين جزيرة لواحات وزادت بهم الافراح والمسرات (قال الراوى) وكان سبب اجتماع الماء فى هذا الوادى سبب عجيب وأمر مطرب غريب ولا بد أن نذكره على الترتيب ولما قتل الملك صافات وولت جيوشه منهزمات ودساكره متفرقات وكان له ابن عم يقال له ميخائيل بن سامات ويلقب بحمار المسيح بين الملوك والسادات وكان بطلا عظيما من الابطال خبيرا بالمكر والاحتيال فاعتمدت الافرنج كلهم عليه ومالوا بكليتهم اليه وكان عارفا بطلاسم الماء فطيب قلوب الافرنج ووعدهم أن يبعد العدا عنهم وانه ما يمكنهم من القدوم الى تلك الاطلال والرسوم من غير حرب ولا قتال ففرحوا بهذا المقال وحلفوا كلهم بالمسيح والانجيل انه هو الحاكم عليهم

ولما وصلوا الى هذا الوادي وعبر والى تلك الجزيرة سار حمار المسيح بنفسه الى تلك الجبال فرأى صومعة وعليها فارس وفرسه منحوت من الحجر فأخذه واقتلعه وألقاه على وجه الارض فخرج الماء من ذيل الجبل وتلاطمت أمواجه وثار عجاجه ومانجى منه الا من كان على ظهر جواده وكان هذا الطلسم صنعة ملوك اليونان وقد ادخروه بذلك المكان واندرس الملوك فى ذلك الزمان وقدم الاوان وتغير الحدثان وسكن الجبل والوادى قوم من الجان ولما وصل جيوش اسكندر الى هنالك قطعت الجان الطريق فأهلكهم الخضر عليه السلام باسم الله الاعظم وقد خربت القلعة وبقى منهم جماعة مؤمنين على دين الاسكندر ومازالوا مقيمين وبها ساكنين (قال الراوى) وعدنا الى سياقة الحديث والخبر وسار ذلك الجيش وفى المقدمة الامير عنتر وبين يديه شيبوب والمذروف وعنتر قد تذكر الاوطان وما لقى من نوائب الزمان وتذكر عبلة ومشيب رأسه وبعد الديار ففاضت دموعه على خديه غزار وانهطلت مثل الامطار فصار يترنم بهذه الاشعار

طال التجافى عن رسوم المنزل * بين الغريب وبين ذات المجمل
واذا تحمل أهلها وتمايلت * فيها بدورا كالصباح المنجلى
لعبت بها الاهواء بعد نسيمها * والطامسات بكل حول مسبل
فوقفت فى غدرانها متحيرا * أبكى الفراق كمثل من لم يعقل
ولقد شجتنى فى الطلول حمامة * تبكى بشجن لا بدمع مهمل
وأثارت الاشجان منى بالاسى * لما وهج للمصطلى غير طائل
تنعى كشبه حمامة فى أيكة * فاضت دموعى فوق ظهر المحمل
من أجل واضحة الجمال عزيزة * تسبى العقول بعارض متهلل
أى عيش عيشى اذا كنت منه * بين خل وبين وشك راحل
ولقد رأيت الموت ثم لقيته * متسربلا والموت غير مسربل
وقحمت فى وسط العجاج مصمما * مالى مجير غير حد المنصل
فحكمت عبلة من فتى متدرع * ماضى العزيمة ماجد متفضل
وكم ضيغم جندلته بمهند * وأقول لا شلت يمين المنصل
ولقد سمعت نداء قومى قد علا * وبكما يبغون منه الاخيل
ناديت عبس فاستجابت بالقنا * وبكل أبيض ماض لم يمهل
بكل ممدود الكعوب مثقف * فى كف كل سميدع لم يجهل
فأتوا لعنتر والرماح شواجر * والخيل تعثر فى رؤس القتل
وأنا ابن شداد الكريم نجاده * من آل عبس طاعنين العنصل
ان المنية لو تصور شخصها * لى فى العجاج طعنتها فى الاول
واذا دعيت الى الكريهة لم أقل * بعد الكريهة ليتنى لم أفعل
وبلاء الجمع فى فؤادى مدة * زينا فاعمل بالاعز الاجمل
واحذر مصاحبة اللئام وقربهم * ان الكرام عن اللئام بمعزل
واحذر جار السوء لا تأمن له * واذا كبا بك منزل فتحول
خير المنازل منزل تحظى به * اما نصاح به واما تفضل
واذا أردت مفارقة المحلة * فاختر لك الجيران قبل المنزل *
بئس النزول على الطريق مجيرا * يوما ولو كنت الاعز الافضل
واعلم بان الضيف مخبر أهله * بمبيت ليلته وان لم يسأل
والجار احفظه وارعى حقه * وأكرم صديقك بالفعال الاجمل

والق الضيوف بمرحب وتحية * وابسط اسانك للضيوف النزل
واذا توليت الامور فكن بها * واجهد لقومك بالنصيحة واجل
واذا هممت بفعل سوء فانثنى * واذا هممت بفعل خير فافعل
ياعبل كم من غبرة باكرتها * بالسيف كانت عمرها ما تنجلى
انى لعنترة اذا اشتبك القنا * وترى مواقفى العقول فتذهل
كل فج من البلاد كأننى * أسطو وأحمى ساعدى والمفصل
كم من بطل كتيبة جندلته * بالسيف ضربا مال فوق الجندل
لا تنكرى يا عبل فعلى عادتى * ضرب الجماجم بالحسام الفيصل
أشفيت نفسى من أعادى مهجتى * وقهرت كل متوج ومكلل
وبلغت كل فضيلة تعجز الورى * عنها بحد مهند وبذابل *
ماكل من طلب المعالى نالها * ما نالها الا السعيد الاول *

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات قال له يا شجاع الزمان ويا حاوى قصب الرهان ويا قاهر الابطال والشجعان قد أحسنت بهذه الاوزان ولم يزالوا سائرين على تلك الحالات حتى انهم أشرفوا على مدينة الواحات فشاهدوا جزيرة عظيمة تضج بسكانها وترتج بقطانها ونظروا الى مضارب وخيام وسرادقات ومراتب وخيل مسروجة وجنائب تحت السلاح والزرد وضجيج قد علا وانعقد (قال الراوى) وكان السبب فى هذه الحالات حمار المسيح بن سامات كان ابن عم الملك صافات وكانت وصلت اليه الاخبار فى تلك الايام ان الجيوش كسرت الطلسم الذى للماء وعبروا طالبين اليه فى جيش لا يرام فلما تحقق هذا الخبر أمر من كان عنده بالخروج الى ظهر البلد بجميع مالهم من السلاح والزرد وخرج فى عالم عظيم لا يحصى لهم عدد وهم يزيدون عن مائة ألف فارس مثل الاسود العوابس وأقبلت أيضا عشائر الملك قيصر وفى مقدمتها الامير عنتر وضاقت بهم تلك الارض وامتلأت طولا وعرض وكثر الابرام والنقض ودار الحرب الشديد الذى يذوب الجلاميد ويشيب من هوله الوليد وأظهر الامير عنتر بن شداد فى ذلك اليوم جميع الاهوال ومدد الرجال فى المجال وجندل الابطال ورماهم على الرمال فعند ذلك عظمت الاهوال واهتزت الجبال من شدة القتال وقصرت الآجال وصارت العيون تدمع والقلوب تخشع والآناف تجزع والارض للجبان تكرع والبيض على الرؤس تشعشع وأنفس حل بها الهلع والالسن خرجت من الفزع والمرائر انفطرت من الجزع ورق حبل رجاهم وانقطع وكان صياح الجميع لا يكاد أن يسمع وعاينوا من الامير عنتر قتال لا يندفع وهو يفلق الجماجم ويقطع وطلب الجبان الهرب والفرار فما رأى للنجاة مطمع والشجاع خاطه الفزع وكان جواد الامير عنتر يثب ويفزع فلله در الامير عنتر بن شداد من ليث أروع وبطل سميدع وكان فعاله فى ذلك النقع مرتفع كما قال فيه الشاعر أسد بن أدرع هذه الابيات الحسان

ولرب نقع حكى شهب الرماح بها * نجوم أفق الى غسق الدجى جنحت
قد حدث فيه من الآثار ضوء علا * فأثرت فيه قدوم الدهر قد نفحت
جادت بطعن القنا فى الحرب أيديهم * فكلما جودوا طعنا بها سمحت
والخيل تغدو ثقال الامن جماجها * تشكوى الشكائم فيها كلما سرحت
حمل الاديم صقيلات ملابسها * كأنها فى دماء الاسد قد سبحت
تغدو غضابا اذا الاسود العجاج بها * حتى اذا شاهدت ريح الصبا فرحت
تحملت أسد الهيجاء مائتة * ثغورها فى وجوه الموت قد كلحت
لا يستشرون فى الهيجاء سوى خطب * حتى اذا استبشرت فى معرك صلحت

(قال الراوى) ومازالت الخيل تعض على شكائمها وتقطع شديد حزامها وعنتر غارق فى لحم الخلائق وعظمها

وقد سقطت الابطال عن ظهور الخيل وحل بعشائر الافرنج الحرب والويل وقطرت الدماء مثل السيل وثقل على الابدان الحديد وملت من الحرب الفرسان الصناديد وبانت أعلام ملوك الموت قريبا وبعيد وصار النهار مثل الليل وتسردق سرادق الويل والسيوف تقطع والرماح تخرق والنبال ترشق والدروع تمزق والدماء تهرق والفرسان تزعق والبلاء عليهم قد أحدق والحسام يقطع والرجال تصرع والبنود ترفع والسنان يلمع والعيون تدمع هذا وعنتر يجول ويصول ويلعب ويشتت الابطال عرضا وطول واذا به قد التقى بحمار المسيح في وسط المعمعة وهو يقتل في الرجال والابطال فصدمه عنتر صدمة الاسد الرئبال وزادت بينهما الاهوال وسطا عليه عنتر واستطال وكانت سطوته سطوة من لا يبالي بالنوازل وطعنه طعنة جبار خبير بالمقاتل فصادف السنان صدره خرج يلمع من ظهره فانقلب عن جواده يختبط في دمه ويضطرب في عندمه ويبحث الارض بيديه وقدميه هذا ولما عاينت الافرنج ان حمار المسيح قد سقى كاسات العطب ألوت رؤس خيلها وطابت الهرب وتبعتها الروم أشد الطلب ودخلوا الافرنج الى البلد وأحاط فيهم الويل والنكد ومن عظم ما حل بهم من هذا المصاب غلقوا جميع الابواب وصعدوا فوق الاصوار ورموا بالنبال والاحجار فتأخرت الروم الى ورائها عن الجدار وأقاموا على الحصار مدة ثلاثين نهار وعنتر يقول طال علينا المطال واشتقنا الى العيال فقال شيبوب يا ابن الام تريد تفتح هذه الجزيرة وتتيسر هذه الامور العسيرة فقال عنتر ويلك يا ابن الانذال والا في أي شئ جئنا وقطعنا هذه الجبال ولقينا هذه الاهوال الا لاجل فتحها على ان هذه البلد حصينة بالجيوش والاجناد وأنا أرى هذا الدير منيع والعالم فيه مثل الجراد وما أظن أننا نبلغ منهم مراد الا بالصبر وطول القعاد فقال شيبوب وحق خالق العباد ورافع السماء بغير عماد ان قبلتم مشورتي تبلغون من الاعداء المراد فقال عنتر وكيف أخالف مشورتك وهي صلاح قل ما عندك يا أبا رياح يا مجلب الافراح فلا زال لنا في رأيك الرباح فوحق الاله القديم ما فينا من يخالف مقالك فقال شيبوب يا ابن الام تأمر هذه الجيوش ان تقطع هذه الاشجار وتخرب هذه الرسوم الذي فيها من الدور والقصور والآثار وبعد ذلك تصح لنا الاخبار فقال عنتر واذا فعلنا ذلك أي شئ يصل الى أعدانا من الاضرار وأي شئ ينالنا نحن من المسرة والاستبشار فقال شيبوب اذا نظر أهل هذه الجزيرة الى تلك الفعال وقطع أشجارهم وخراب ديارهم والرسوم والاطلال ما يهون عليهم هذا الشان وربما طلبوا منكم الامان وبهذه الفعال تبلغون الآمال والرأي أن تبادروهم بالخطاب وتعرفوهم بالحال فان أجابوا الى ما تريدون والا فاقطعوا بعد ذلك الاشجار قال فاستصوب عنتر هذا الكلام وأمر بعض الاسارى أن ينادوا يا أهل الجزيرة ويعلمهم بما اتفقوا عليه وبعد ذلك أمر العشائر بالزحف الى نحو البساتين والاسوار فزحفوا عليهم كامواج البحار قاصدين الجدران والاشجار وفي أيديهم المعاول والفئوس من سائر الالوان ولما نظرت أهل الجزيرة الى زحف الرجال فظنوا أنهم طالبين القتال فحققوا فوجدوا العشائر طالبين البساتين والاشجار فالتهبت قلوبهم بالنار وسمعوا المنادي بلغة الافرنج يقول يا معاشر أهل الجزيرة من أهل الواحات ان الامير هرقل ملك البلاد وأمير الدولة عنتر بن شداد أهلك الاجناد فاذا سلمتم اليهم البلد لكم ولاموالكم وأولادكم الامان وجميع النسوان فأزيلوا من رؤسكم الطمع والعصيان والجزع والا قطعنا أشجاركم ولا ننفعكم أرضكم ودياركم وأخربنا ذلك الحصار وهذا الملك هرقل قسم بحق المسيح والحواريون الاثنا عشر الذي كانوا له تبع وبكل فارس رئبال أنه ما يرحل عنكم حتى يرمي صوركم ويقتل رجالكم ويسبي نساءكم وعيالكم وان أبا الفوارس عنتر قد أقسم بالركن والحجر والبيت العتيق المطهر أنه لابد أن يمحقكم بالسيف الابتر ولا يترك منكم بشر وقد حذرتكم غاية الحذر (قال الراوي) فلما سمعوا أهل الجزيرة هذا النداء أيقنوا بالضرر والردا وتطايرت الارواح وقد طلبوا الاشجار وصياحهم قد أوهج الاقطار فنادوا عن لسان واحد الامان الامان ثم نادوا يا ملك قيصر يا منصور وكل من عاداه صار مقهور قال فعند ذلك دقت الكؤوسات ونعرت البوقات ودقوا الناقوسات وجاءت البشائر الى الملك هرقل وفرح بذلك قلب الامير عنتر وأجابت الافرنج الى ما طلبوه

وقد عزمت على العودة الى ديارها وبلادها وفي دون ساعة فتحت الابواب التي للمدينة وخرجت القسوس والرهبان والبترك الكبير والمطران ولا تخاف انسان الا وقد أتوا الى هذا المكان حتى انهم يأخذون من الامير عنتر والملك هرقل العهد والامان ولما وصلوا الى السرادق أمر بلقائهم بأحسن ملتقى فخدموا بعد ذلك ودعوا بطول العمر والبقا وأخذوا عليهم العهد والميثاق وانصلح الامر والشان وجددوا على بعضهم بعض العهود وزالت من بينهم الحقود (قال الراوي) وكان الامير شيبوب وأخيه الامير عنتر والخذروف حاضرين فعند ذلك دقت الكؤوسات بعد خفق البنود وركب الملك هرقل في عشائره والجنود والامير عنتر بن شداد الى جانبه كأنه أسد من الاسود وقد دخلوا الى البلد في يوم مشهود ونثر عليهم مال ممدود وأخذت جميع العالم في الدعاء وقد تعجبوا من الامير عنتر بن شداد ومن عظم خلقته وكان عليه ذلك الوقت خلعة من ملابس الملك كسرى وعمامة خضراء كأنها روضة من رياض الحضرة وبين يديه أخوه الامير شيبوب وولده الخذروف وفي أيديهما الخناجر والسيوف والعالم وقوف ينظرون الى الامير عنتر وقد هان عليه الامر وتيسر وقد دخلوا قصر الملك الغريب الصفات الذي كان للملك صافات وجلس الملك هرقل على سريره وقد صنعت لهم الولائم والدعوات وطابت لهم الاوقات مدة عشرة أيام وبعد ذلك استحضر والرجال وفتحوا خزائن الاموال فحارت منهم النواظر من ذلك الملك الباهر ثم قال الملك هرقل للامير عنتر بن شداد ما هذا الا ملك عظيم وأقاليم لا يقاس بالاقاليم وكنا ذكرنا ان الملك صافات كان له أربع قصور مفروشة بالحرير في كل قصر ايوان وتاج وبدلة وسرير فاحتوى الملك هرقل على الجميع وساروا الى القصر الكبير فوجدوا هناك فرش عظيم وتاج يساوي ثلاثة أقاليم وهناك منطقة من الجوهر وبدلة مرصعة بالياقوت والدر وفيها معلق خنجر وكانت هذه البدلة والمنطقة والتاج للملك الاسكندر وسرير من العاج قوائمه من الذهب الاحمر يطلع عليه بمراقي من الزبرجد الاخضر ولما أن صار القوم في وسط هذا القصر نظروا الى باب قصر من الحديد عال مقفول بأربعة أقفال فأمر الامير عنتر بفتحه فتقدم واحد من الغلمان حتى انه يفتحه وأراد أن يأخذ المفاتيح وكانت معلقة فما قدر وتقدم آخر وتأخر ثم تقدم بعد ذلك آخر وتأخر وما بقي أحد في تلك الارض الا وتقدم حتى انه يفتحه فمن الهيبة يرجع بعود بلا مقصود وبعد ذلك عجز الجميع فدنا الملك هرقل بعدهم ابن قيصر فلم يستطع على ذلك وتأخر وكذلك شيبوب أخو عنتر وولده الخذروف وقد بقوا باهتين وقوف فعند ذلك نادى شيبوب باخيه عنتر وقد اندهل وتحير وقال ويلك يا ابن الام تقدم وخلصنا من هذا الامر الذي وقعنا فيه فان أنت عجزت عن هذا الامر رجعنا من هذا المكان بالخيبة والحرمان فعندها تقدم الامير عنتر وهمهم وزمجر وهو في هموم وفكر وهم أن يأخذ المفاتيح فتخيل للقوم أنها اليه نهضت فزاد فرحه واستبشر وركب المفتاح الاول فانفتح القفل سريع وما طول حتى انها فتحت الجميع ولما شرعت الابواب دخل الامير عنتر وأخوه شيبوب وولده الخذروف وقاموا الغلمان وقوف ودخلوا الى ذلك البيت فما رأوا فيه سوى جواد أدهم كأنه الليل الادغم أو الغراب الاسحم وهو مشبوح في سلسلة من الحديد وفي يديه قيود وعلى القيود أسماء مكتوبة وطلاسم مرسومة مضروبة والجواد قائم عيناه مثل المشاعل فقال عنتر لشيبوب هذا من خيول البحر وأنا أريد آخذه وأركبه لاجل أريح جوادي الابجر لانه كبر وثقلت جثته (قال الاصمعي) فلما سمع الجواد ذلك الكلام تكلم بلسان فصيح وقال يا ابن شداد ما أنا جواد أصلح للطراد بل أنا ملك من ملوك الجان الامجاد وكنت أسرت على يد الخضر عليه السلام وكان سلمني الى الملك الاسكندر وكان التقاني عند قلعة ذات العلم بعد أن جرى لنا معه أمور وحروب تحير كل عاقل دروب وأشرفنا على شرب كأس النقم يا فارس العرب والعجم وحبسني الخضر عليه السلام وكان قال لي بعد ذلك أنت تقيم مسجون ههنا في هذا المكان حتى يظهر عنتر بن شداد فارس عبس وعدنان ويفكك من القيود ويسيرك الى عند فرسان وجنود وهذا سبق في علم الله المعبود والآن يا أبا الفوارس ما يقدر أحد يخلصني سواك يا صاحب الجناب الرفيع والعز الكبير المنيع (قال الراوي) ولما سمع الامير عنتر بن شداد هذا الكلام اندهل من ذلك وتحير وقال ويلك يا ابن القوم الكرام أنت من الجن

والجان قد قتلوا الى ولدى الغضبان وقد ابلونى عليه بالاحزان وأنا أكبر مرادى أن أقتل مثلك وها أنا فى هذه الساعة أردت أن أتقدم اليك وأطير رأسك من بين كتفيك فقال له الجواد وأى شئ الفخر فى قتلى يا ابن شداد ولا بينى وبينك دم ولا ثار فقال له عنتر نعم الجان قتلوا ولدى الامير الغضبان فى وادى صارخ وتلك القيعان فقال له الجواد اعلم يا أبا الفوارس انى آتيك بقاتل ولدك وأضمن لك أن آخذ لك منه بالثار وان أطلقتنى سلمتك قاتل ولدك اليك وأقر بهذا الفعل عينيك فقال الامير عنتر بن شداد أريد منك أن تحلف لى برب العباد خاف له بمثل ما اشتهى وأراد فرق قلب الامير عنتر اليه لما رأى ما هو فيه من الاسر والضيق وأخذ عليه العهود والمواثيق فلما استوثق منه باليمين قال له يا أخا الجان كيف السبيل الى فك القيود وفتحهم فقال له المفاتيح تحت بلاطة متركبة على طابقة من الجهة الشرقية فارفع لواب الطابق شمال تنظرهم من غير اهمال فعند ذلك بادر الامير عنتر بن شداد وأخرجهم وجرد عنه السلاسل ومن القيود أطلقه فقال الجواد اعلم يا فارس الجلاد الوعد بينى وبينك على رأس قلعة العامود المعمر وقلعة ذات العلم فقال له الامير عنتر سر فى رعاية الله أيها القيل المحتشم فعند ذلك صفق الجواد بكفيه فى الارض وطار فى الهواء والامير عنتر والملك هرقل قد ذهلوا مما جرى وما أقاموا فى تلك الجزيرة غير عشرة أيام ونقلوا الاموال الى الخيام وتركوا رجالا من قبل الملك هرقل حاكما على تلك الجزيرة وعلى المقاطعات وحلفوه على طاعة الملك كوبرت وقد أمن من الكربات وان لا يقطع الحمل والوهبات ثم رفعوا الاحمال على ظهور البغال ورفعت على رأس الملك هرقل الرايات وخفقت البنود والصناجقات ولم يزالوا سائرين حتى تنصف النهار وأدركهم المساء وقد قاربوا مكان الميعاد الذى وعدهم به أخوهم الجان فبينما هم كذلك واذا بغبرة مقبلة من صدر البرية عظيمة وتحتها ملك الجان وكان اسمه ساهب بن عقهب وهو مقبل الى عند الامير عنتر ليوفى له الوعد وما وعده وعاهده من أخذ الثار الا ان الامير عنتر بن شداد لما نزل بالخيام واستقر به القرار واذ قد دخل عليه ملك الجان وسلم على الامير عنتر وقال له يا فارس العصر وفريد فرسان البدو والحضر نرجو من انعامك أن تشرف أرضنا بوطئ أقدامك لان المسافة بيننا قريبة وهذه قلعة ذات العلم غير بعيدة حتى اننا نأتيك بقاتل ولدك الذى كان عزيزا عليك واستطالت يدهم اليك فانهم أعداؤنا فان الشرط الذى كان بيننا والايمان قد تهيأ الشغل فيه واكتمل وأنا أريد المسير أنا وابن عمى الى غرمائك وأعدائك (قال الراوى) فعند ذلك أجابه عنتر الى ذلك وقال له اعلم يا أخا الجان انه قد خطر بقلبى أمر وانى أريد أن أسألك فيه وان كان فيه سوء أعلمنى فقال له قل يا أبا الفوارس ما تريد من السبب فقال له هذه الصورة صورتك فقال له صورتى غير هذه التى تراها وان أردت ذلك فاركب جوادك وانظر ما تفعل من الاهوال بأعدائك فعند ذلك ركب عنتر وشيبوب والخذروف فى ركابه فلم تكن غير ساعة الا والجان قد أتت وهى تركض فى تلك البطاح وهى طالبة الحرب والكفاح فقال عنتر بعد ان ركب جواده الابجر وشيبوب والخذروف فى ركابه فسمعنا أصوات هائلات وصيحات مرتفعات وزعقات متواليات من الجان الضاربات الغواصات تخيل لهم ان الارض قد انطبقت عليها السموات ولا نرى لهم بأعيننا حركات فقال عنتر يا ساهب والله ما نحن الا كأننا معكم فى الاسر فقال له ملك الجان أى شئ هذا الكلام يا ابن شداد ان أعداءك هم الذين يكونون فى الاسر والاصفاد فقال عنتر وحق ذمة العرب الاجواد ما أنا الا صادق فيما قلت لاننا ما نبصر بأعيننا الابيض ولا الاسود بل نسمع صيحات وعيطات فقال له ملك الجان يا فارس الزمان وتحب أن تبصرنا عيان فقال له نعم يا ملك الجان فعند ذلك أخرج ملك الجان مكحلة وميلا من الذهب وكحل عنتر وشيبوب والخذروف (قال الراوى) ولما انهم اكتحلوا الثلاثة فقال عنتر والله لقد رأينا خلائق غير قليل وجيوش كثيرة بخلاف الآدميين وأجناس مختلفات ومن طوائف الجان منهم أبدان بلا رؤس ورؤس بلا أبدان وبعضهم على صورة الطيور من النسور والعقبان وهم على سائر الالوان وبعضهم على صور الجمال والخيل والبغال وبعضهم على صور الجاموس وبعضهم بأربع رؤس وبعضهم على صور القطط وعلى صور الحيات وشئ على صفة الكلاب وشئ على صفات السباع قال عنتر وقد رأيت فارسا راكبا على جواد قد علا فى الهواء وطلب

القتال وهو على جواد أدهم كأنه الغراب الاسحم وعليه درع من الزرد مضاعف العدد كأنه عيون الجرد لا يعمل فيه الصارم المهند وقدميه تدق الارض من طول قامته وكبر جثته وعظم هامته ومازال يكر فى الابطال ويسقيهم كاسات الوبال ويبيدهم بالصارم الفصال ولم تكن غير ساعة حتى ظهر غبار عالى المقدار وتحته من الجان جيش جرار وهم مثل الآدميين لكنهم عدد التراب وفى دون ساعة اختلط بعضهم ببعض وقد جالوا طولا وعرض ووقع بينهم القتال وكثرت الاهوال فما كنت ترى الاقتتال شديد يلين له صم الجلاميد وكان أحدهم يأخذ النار من فاه ويضرب الفارس الذى عداه فيحرقه فى عاجل الحال ويتركه ملقى على الرمال فلم تكن أكثر من ثلاث ساعات من النهار حتى انكسرت أعداء عنتر والملك ساهب فى أقفيتهم هو وقومه وقد صارت أعداهم متفرقات فى الفلوات شاردات وفى أثرهم صيحات تذهل العقول وتترك من يسمعها مذهول وبعد ذلك عاد ساهب وهو على جواده ومعه خمسة مثل الاطواد وهم مقيدين مصفدين فى الاصفاد ولما وصل الى عنتر قال له يا أبا الفوارس اعلم ان هؤلاء أعداءك فبرد بقتلهم فؤادك وأطفئ نار حشاك وهم الذين قتلوا ولدك الغضبان وأحرقوا قلبك بالنيران فلما سمع عنتر منه هذا الامر والشان ما بقى يعرف اليمين من الشمال وقال له عنتر يا أخا الجان اعلم انى أشتهى أن أقتلهم بيدى لعل أن ينطفئ نار كبدى فقال له يا فارس الزمان ويا حامية عبس وعدنان اعلم ان حسامك ما يقطع فى الجان ولو كانت تقطع فينا كانت قطعت معك فى وادى صارخ وتلك القيعان يوم قتلوا ولدك الغضبان فقال له عنتر يا أخى اعطينى سيفك حتى انى آخذ ثارى بيدى وأكشف عنى عارى فناوله الملك ساهب الحسام فأخذه عنتر منه وقد أبدى الابتسام وتقدم عنتر اليهم وقد زادت بهم العبر والسيف فى يمينه مشتهر وكان هذا السيف مطلسم منقوش فتقدم عنتر الى واحد منهم وضربه بذلك السيف قسمه نصفين وتركه دلوين وقد ضرب الآخر جعله شطرين وقد قرت منه العين وقد ضرب الباقى على أعناقهم طير رؤسهم ولما فعل ذلك تذكر ولده الغضبان تجردت دموعه من الاجفان وقد تذكر ما جرى له مع أعداه فى هذا المكان فأنشد يقول

دار لعبلة فوق المنصب العالى * ومجدها صاعد المشترى الغالى
سقى الدار كانت أخلاف بها قرت * فقدروا وأبرق سحب المزن هطال
وكم عبلة علمت انى فارس شرس * ليث كمى وفى العزمات رئبال
أخوض بحر المنايا وهو ملتطم * بكل أبيض فصال وعسال
وأقحمها اذا ثارت ولها شرر * من نفخ حاميها زادت اشتعال
وأورد الخيل علقم النقع من ظمأ * بحر الهلاك فتنهل بئس انهال
أسرت كل الفوارس عرب مع عجم * ونجم سعدى من فوق السها عال
يا عبل ان كان قد وقع الفراق بنا * وحال من بيننا بحر واجبال
وكان بين جسمى نيران مضرمة * ما تنطفى يا منى قلبى وآمالى
وقد سقم جلدى من بعد قوته * وغير البين بين الناس أحوال
وقل صبرى الذى أرجوه يعيننى * عدمته وتزايدت أفكار بلبال
والشيب فى مفرقى يا عبل ينذرنى * وهو الرسول يخبرنى بارتحال
يا عبيلة ما هدركنى فى الزمان ولا * أضنى فؤادى سوى فقد الاشبال
يا عبيلة فقد غصوب زادنى حرقا * لهفى عليه طريحا فى الثرى بال
ومصرع الفارس الغضبان أورثنى * جوى ودمعى على الخدين سيال
من كان سيفى ورمحى فى الحروب اذا * سطت على صناديد أقيال
لهفى عليه وقد رموه مجندلا * فى أرض صارخ رهنا بين اجبال

جارت عليه الليالى والزمان معا * والدهر مازال فى ادبار واقبال
قتلته أسياف قوم لاشبيه لهم * ولا مثال ولا شكل ولا حال
من معشر الجن أعظم الرحمن خلقتهم * وصوروا من حميم ثم صلصال
أشباحهم كجذوع النخل هائلة * ترتاع منهم أسود ثم أشبال
لانهم أضرموا الحرب موهجة * يطير منها شرار هائل عال
وصارت أشخاصهم بالنبل ترشقنا * حتى تفانوا بنى عمى وأخوال
تبكى عليه سيوف الهند معطلة * تحت العجاج ويندب كل عسال
وينتحب كل قرم أمجد لهم * مضمر من جياد الخيل صهال
وقد علوت بأخذ الثار ياولدى * بأخذ ثارك ياسؤلى وآمالى
أخذت ثارك ياغضبان مقتدرا * بحد سيف صقيل المتن فصال
وصرت أطعن فى لباتهم حنقا * بأسمر من رماح الخط عسال
جرعت قاتلك كأس الموت يشربه * بصارم الملك الشهير العال
لو كنت أفتر عن ثارى لما نسبت * لى آل عبس ولا السودان أخوال
ضربت رؤسهم بالسيف مقتدرا * فساح دمهمو على الارض سيال
أنا الشجاع الذى مارأيت منزلة * الاوار كبها سعدى واقبال

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من انشاده وملك الجان سلهب يتعجب من فصاحته وقوة جنانه وقد شكر عنتر وأثنى عليه وقبله بين عينيه ثم ان عنتر أخذ منه الاذن فى المسير الى الجيش وأن يمضى الى ابن الملك قيصر فأذن له ملك الجان وقال له يافارس عدنان لو فعلنا ما فعلنا ما جازيناك على ما أوليتنا من الاحسان ثم أخذ منه الاذن فى المسير وقد قبل عنتر فى الركاب قدميه فأرمى عنتر روحه عليه وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وأمره بالرجوع الى الاوطان وهو فرحان باقتداره وأخذ ثاره على الفرسان والشجعان وشيبوب والخذروف بين يديه يقطعون القيعان الى أن وصلوا الى الجيش وقد دخلوا الى عند الملك هرقل بن قيصر ففرح برؤياه واستبشر ونهض له قائما على الاقدام وقد أخذه بالاحضان وأجلسه الى جانبه وسأله عن عجائبه وما تم عليه من الجان وما لاقى من الاهوال فى ذلك المكان فحدثه بجميع ما جرى وكيف أخذ ثاره من الجان وقد برد حر ناره فى ذلك الزمان فتعجب الملك هرقل من عظم سعادته وقوة عزيمته والامكان وقد باتوا تلك الليلة فى ذلك المكان وقد فرحوا بالامن والامان وعلوا الشان وقد راح عنتر واستراح الى ان بدت غرة الصباح فعند ذلك أمر الناس بالرحيل والرواح وقطع الروابى والبطاح فبينما هم على ذلك واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار والارض منه تدكدكت والمياه قد تغيرت وتكدرت والزوابع قد ارتفعت وقد سمعوا دق كاسات ونفير بوقات وكان ذلك جيوش افرنجية وعساكر اندلسية وفى دون ساعة انكشف ذلك الغبار وبان من تحته عشائر قد ملأت الاقطار والجميع يعبدون المسيح ويشدون الزنار وهم مثل قطع النار وهم يجدون المسير فى تلك القفار (قال الراوى) وأعجب ما فى هذه السيرة الحجازية انه كان المقدم على هذه العشائر الافرنجية والجيوش الاندلسية ملك يسمى عنان ابن الملك جنطائيل صاحب مدينة الاندلس وقدامه القسس والشمامسة والمطران الكبير والراهب صافير والبطارقة الكبار والعمالقة الطوال وهم قد أتوا عازمين على الحرب والقتال (قال الراوى) وقد كان السبب فى هذه الاحاديث هو أمر عجيب أعجب من كل عجب يجب أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب لتعتبر به أهل الذكاء والمعرفة لما فيه من الاقوال وذلك انى ما جمعت هذه السيرة والفتها الا على قاعدة الصدق والخبرة والاخبار المذكورة وذكرت ما جرى فيها من الامور المشهورة التى قد أخذت عن أصحاب التواريخ فى تواريخهم وثقاة المحدثين من أهل السير حديثهم وقد جمعت حديثا كأنه الدر والجوهر النفيس وسبائك الذهب لايليق سماعه الا لذوى البصائر والعلماء والفضلاء والملوك الاكابر لانه نزهة

للناظرين وانشراح للخاطر لم يجمع أحد مثلها من أهل السير لما فيها من الاحاديث والامثال والعبر وغرائب الاقوال وقوة الفصاحة والشجاعة وجودة الفكر وفنون الغرائب والكلام المعتبر وذلك بأننا قدمنا فى هذا الديوان من قبل هذا الكلام ان عنتر لما انمسك فى بلاد الشام وكانت مسكته على يد شيخ بنى فزارة سنان لما كمن له فى رحيق الرمل وضيق ذلك المكان ورتب له هناك الروم والافرنج وجماعة من بنى غسان وقد غدروا عليه وعلى من معه وكانوا أربعمائة فارس من بنى عبس وعدنان وكان السبب فى مسكته من ذلك المكان ولده ميسرة وأخيه مازن الاسد الفاتك لما تعاملا وأخذا اسماء وهربا وهى زوجة مجيد بن مالك وكانت قد أكثرت البكاء والانين والاشتكاء وما هدأت لها لوعة ولا انشفت لها دمعة حتى سألها سنان شيخ بنى فزارة الطائفة الغدارة عن سبب ما هى فيه من تلك العبارة فقالت له اعلم ان هذا ميسرة بن عنتر وهذا أخيه مازن بن شداد وانهما قد سرقانى من الخيام من عند بعلى وهربا بى الى الشام وهذا ما ترى من ذلك الحال ثم انها قد حكت على جميع ما جرى لها فلما سمع سنان منها ذلك الكلام فرح وقد انشرح وقد زالت عنه الهموم والترح فسكها وقال لابد لعنتر أن يلحقهما الى هذا المكان ويأتى ومعه جماعة من بنى عبس وعدنان ولما سمع عنتر بخبرهما أتى اليهما فمسكهم سنان وكان ما كان من أمر عنتر ولحق أخوه وجرى له ما جرى وأقام عند الملك الحارث الغسانى وقد فرح بقبض عنتر وبه استبشر وقد أرسل الحارث للملك قيصر يعلمه بانه قد احتوى على عنتر ومعه أربعمائة فارس وقد سأله هل يبقى عليهم أو يرسلهم أو انه يهلكهم أو ما يكون الحال (قال الراوى) وان من القضاء والقدر ان فى تلك الايام رأى الملك قيصر منام ورأى فيه ذلك الذى جرى وتدبر وأخبر بان المسيح له قد نصر وقال له اعلم انه قد آن أوان الغزوات وهو أن يخرج ويملك أرض مصر ويملك أنوشروان والحجاز ويملك جميع تلك الامصار وتكون جماعة من أرض الحجاز لك أعوان وأنصار وفى تلك الايام قد وصلت اليه مراكب من جزائر البحر وفيهم ذلك المعتدى الذى كان يسمى سيرون مكيد وكان ابن أخت ملك الاندلس جنطيائيل وكان فارس مليح زائد العزمات والثبات وقد كانوا يسمونه رجال الاندلس فارس الناسود ولما وصل ذلك الفارس الى الملك قيصر أرسله هو وجماعة من عنده الى الملك الحارث وقد وصاه أن يبقى على عنتر وبعد ذلك جرى ما جرى وقتل الملك النعمان لما تحايل عليه الملك كسرى أنوشروان وطمعوا فيه الروم كما ان النصارى قد طمعوا فى دولته وقد جهز واعشائرهم والجنود لما أنهم سمعوا ان عشائر العجم فى يوم ديقار كان كسرها هانى ابن مسعود وكان فى ذلك اليوم فى ثمانية ألف من الفرسان وقد كانت العجم فى مائة ألف عنان فأرادوا الروم وملك بنى غسان أنهم يسيروا الى العراق ويملك البلدان وبعد ذلك يسيرون الى مداين كسرى أنوشروان ويملكونها الى أقصى خراسان فلما سمع الملك كسرى فأرسل اليهم اياس بن قبيصة فى كثير من الفرسان وصحبته رستم فارس الزمان وقد تقاتلوا الاعيان فقتل رستم فارس البحر بالعمد ولما ملك أبوالدوح البلد وقتله عنتر ومن معه من الفرسان لما أطلقوا عنتر النسوان ولما قتل فارس البحر هربوا أصحابه وطلبوا الفرار خوفا من العار ونزلوا من انطاكية فى المراكب وساروا طالبين الجزائر ومازالوا الى أن وصلوا الى الاندلس وتلك البلدان والديار وأعلموا الملك جنطيائيل بهذه الاخبار وقد نعوا اليه قتل ابن أخته الفارس الكرار ولما سمع جنطيائيل هذا الكلام ما هان عليه قتل ابن أخته وصعب عليه وكبر لديه وقام وقعد وأرغى وأزبد وكفر وجحد وتمرد وقد حلف بدينه والمعبد الاكبر وما على الكنيسة من الصلبان والصور وبالمسيح بن مريم وبكل من شد وسطه وتزنر لاسار الى هؤلاء الاهو بنفسه ويأخذ الثار قبل كل شئ من الملك قيصر ويحق شماتته ويبيد غابرته ويخرب دياره ويزيل عنه عاره ويملك رومة الكبرى وقسطنطونية العظماء ويسير بعد ذلك الى أرض الحجاز ويملكها ويخرب قلعتها ويأخذ العراق وخراسان ويقتل كسرى أنوشروان ويملك سائر البلدان الى قز وقاشان والنهر وما وراء النهر ويخرب بيوت النيران ويجدد ملة الصلبان ويبطل الاصنام وجميع الاوثان ويقتل هذا الذى ولد فى آخر الزمان وهو بأرض الحجاز الذى يصير نبيا ويعبد الدين القويم ويبطل الطريقة المسيحية والملة المريمية ومن شدة ما حصل له وتزايد به من غيظه على ابن اخته

الذى قتل فى أرض الشام وقد حلف أنه يأخذ فى ثاره من سائر الانام (قال الراوى) وكان هذا الملك جنطيائيل ملك شديد وفارس جليد وبطل صنديد وليث عربيد وكان طويل القامة عريض الهامة كبير الجثة وافر البدن قوى الاطراف مليح الانعطاف واسع المحاجر طويل الاظافر وقد كان طوله اثنى عشر ذراع لا يفزع من الموت ولا يرتاع من الفوت ولا يمل من الحرب والفزاع وقد كان أبوه من نسل العمالقة يقال له الملك المطاع ابن الملك القعقاع وكان على ما ذكرنا طوله اثنى عشر ذراع بالهاشمى وقد عاش هذا القعقاع من العمر ستمائة عام فى زمان المسيح وقد تولى ابنه من بعده المطاع وقد عاش من العمر ثلثمائة عام على التمام الا ان ابنه جنطيائيل الفارس الدرغام كان عمره فى ذلك الزمان مائتين وسبعين عام الا انه كان عظيم الخلقة واسع المنخر غليظه قبيح المنظر أصابعه تزيد عن شبرين كبير اليدين طويل الرجلين واسع الجبهة مجاق العينين وقد كانت له آذن كدور رحاتين وعنقه أطول من عنق البقر وكل من رأى صورته ينذعر وهو فارس عظيم وبطل جسيم وشيطان رجيم لا يقدر يقاومه فارس لان خلقته خلقة الجن والابالس عظامه صفح ما فيها مخ بل انها صم وهى عظام خلقة البارى ذى الجلال والاكرام لا تحمله الخيول البحرية ولا العربية ولا الهجن البجاوية ولا تحمله الا الافيال العتية لطول هامته وعرض منطقته لان عرض دور منطقته ثلاث أذرع من أذرع الرجال وكان من الاقيال لانه آفة من الآفات وبلية من البليات وهو مصيبة عظمى كأنه صاعقة من السماء ولا يقاتل ولا يناضل بسيف ولا بسكين الا بعامود من الحديد الصينى ويقاتل بالحراب والمزاريق وقد كان وزن عاموده أربعمائة رطل وتسعة أمنان وطوله بالذراع الهاشمى تسعة وعرضه أربعة وقد كان بعد أبيه قد غار على البلاد وملك المهاد وقد كان ملكه الى حد فلسطين الى فاس الى تونس الى القيروان الى الاسكندرية الى دمياط الى مدينة أسيوط الى الاهواز واسنا والمنصورية وقوص وبقاره واصوان وطوخ الترامس وضبوا وأم القصور وأنصنه الى الاشمون الى بلاد اخميم الى بلاد النوبة والى بلاد السودان الى كباجة الى تكرور والى ذرواه ومراوه والى قربطة الى الواحات الى الصعيد الى مدينة البهنسه الى اهناس وكل هذه البلاد كانت تحت يده وطائعة لامره وتخاف من شره ومن شجاعته وفروسيته وعظم براعته ويحمل اليه الخراج (قال الراوى) ولولا الاطالة لشرحت لكم ملك بعد ملك وجزيرة بعد جزيرة ومدينة بعد مدينة ومدائنه وبلاده وكم عدد أجناده وجيوشه وقد كنت أذكر لكم الديار المصرية وجزائرها وسائر بلادها وأماكنها والجزائر الشرقية والبحرية والغربية والقبلية وأذكر لكم بلاد الحجاز والسودان وأرض الصعيد وملك النوبة وتلك البيد وما اشتملت عليه تلك الامصار والبلاد ولكن اقتصرنا على هذا الكلام خوف كثرة التطويل والا خشيت على النفوس لا يحصل لها ملل من كثرة القال والقيل بل اقتصرت عن هذا المنهل القليل ولقد أتيت فى هذه السيرة الحجازية بكل نادرة عجيبة وكل حكاية غريبة وهى كاملة المعانى والبيان عظيمة القدر والشان لا يسمعها الا أهل البصائر والعرفان ومن لهم عقول حاضرة والباب ولا يفهمها الا أهل الخطاب ولا تقرا الا بين أهل المعرفة والافهام لانها كالزهر فى الرياض (قال الراوى) الا ان الملك جنطيائيل صاحب هذا الملك العظيم الجسيم لما حلف بدينه وتلك الايمان أقام مدة من الزمان الى أن سمع بقتل الملك الليمان وابنه سرجوان وقد سمع بان عنتر بن شداد فارس الحجاز شجيع بنى عبس وعدنان ومعه جماعة من بنى غسان ومعه من أبطال الروم من كل فارس قسور وبصحبته الملك هرقل ابن الملك قيصر وأنه قد ملك جزيرة الكافور وقلعة البلور وأقعد فيها كوبرت وقد أطاعته سائر الجزائر التى تليها وسار وقد ملك مدينة الواحات وجزائرها وقتل الملك صافات ورتب عليهم دفع الخراج والمال والعداد وانه قد فتح القصر وتلك البلاد والجزائر والمهاد ما هان عليه قتل الملك الليمان وابنه سرجوان وقتل الملك صافات صاحب الواحات لان تلك البلاد كانت تحت يده وخراجها يحمل اليه وقد كان له ولد يسمى منان وقد كان فارس عظيم فى الميدان وشجيع الوقت والزمان الا انه لما سمع بذلك الشان وما أخذ عنتر من المدائن وسائر البلدان والجزائر صعب عليه ذلك وقد أرغى وأزبد وقد خرج الزبد على أشداقه وقد حلف بالمسيح والانجيل الصحيح أنه لا يترك

من هذه الجيوش والعشائر أحد لا أبيض ولا أسود ويقتل أبا الفوارس عنتر وكذلك هرقل بن الملك قيصر وبعد ذلك يسير الى قيصر ويملك بلاده ويهلك عشائره وأجناده ويفنى منهم كل فارس همام ويملك انطاكية وأرض الشام ومن وقته وساعته استدعى بابنه عنان وقال له سر من وقتك وساعتك الى هذا الرجل الاسود المسمى بعنتر واقتله واقتل هرقل بن قيصر واقتل جيوشه وامحق منهم الاثر ولا تترك لهم ذكرا ويكون المسيح فى عونك والمعبد الاكبر فلما سمع عنان من أبيه ذلك المقال أجاب بالسمع والطاعة وقال له أنا اسير فى هذه الساعة ثم انه نادى فى جيوشه بالتبريز وقد فرق على عساكره الاموال وفرق عليهم العدد والخود والبيض والدرق والسيف والرماح والخيول ولما اكتمل أمر بتجهيز المراكب واعتدلت الفرسان وقد صار عقد متهم وهم راكبين والزردلابسين وقد تجهزوا فى المراكب وقد سارت تلك المراكب والكتائب الذين هم بعدد السيل وقد رفعت على رأس ابن الملك جنطيائيل الصلبان والبيارق وسائر الاعلام وقد دقت النواقيس وتقدم كل مطران وقسيس ثم ان الملك ودع ولده وقد أمره أن يكون من أمره على حذر وأن يقتل هرقل بن الملك قيصر وهذا الاسود الذى يسمى فارس عبس وعدنان عنتر وقد سارت المراكب فى تلك البحار ولم يزالوا يجدون المسير ليلا ونهار وقد طاب لهم الريح السيار الى أن أشرفوا على جزائر الواحات وتلك الديار وقد لاح لهم البر ودخلوا المينه ونزلوا من المراكب وركبوا الخيل وساروا ليلا ونهار الى أن قابلوا عنتر وبان له ولاصحابهم الغبار وعلا وزاد الى أن اسودت منه الاقطار وامتلأت بهم الارض وتلك الديار ولم تكن غير ساعة من انهار حتى انكشف ذلك الغبار وبان للابصار عن بريق الزرد ولمعان الخود والرايات والصلبان والبيارق والاعلام والصناجق على رأس عنان فارس الزمان ابن الملك جنطيائيل وعباد المسيح والانجيل وقد وقعت العين على العين وقد ناح عليهم غراب البين ولما رأى الملك هرقل الى تلك الجيوش اصفر لونه وارتعب كونه وكذلك كوبرت خاف وانذعر وأما جيش الروم لولا الفضيحة والخوف من عنتر كانوا هربوا والى الفرار ولوا فقال لهم عنتر مالى أراكم قد انزعجتم وما الذى رأيتم حتى انكم فزعتم من هؤلاء الطناجير المحلقين اللحا وأى شئ يكونوا هؤلاء الانذال المخرقين الآذان والادبار فوحق الواحد المنان العظيم السلطان الدائم على الدوام الذى لا يشغله شأن عن شأن أنا وحدى أفنيهم بهذا الصارم الذكر ولو انهم بعدد المطر وورق الشجر أو بعدد أمة ربيعة ومضر أصدمهم بصدر حصانى الابجر وحسامى الماضى الابتر ورمحى الاسمر وسوطى الاذعر وأترك لى ولهم حديث يذكر تتحدث به الناس سيرا بعد سير وأدعهم عبرة لمن اعتبر وأنتم لا تباشروا حرب ولا قتال وانظروا كيف أنثر رؤسهم مثل ورق الشجر وأخلى الدماء تسيل فى هذه الجزيرة مثل سيل المطر وأى شئ هؤلاء الطناجير يعدون مثل فرسان البشر فما بينكم وبينهم الا صيحة من صيحاتى وحملة من حملاتى وقد شتتهم فى هذه الجزائر ولا أخلى الاول منهم يلحق الآخر فقالوا له يا أبا الفوارس نحن ما فزعنا من هؤلاء الاشرار وانما فزعنا من ملكهم الغدار لانه فارس مغوار ما يقع على فروسيته غبار وهو أسد كرار لا تحمله الخيول العربية ولا الخيول البحرية ولا الهجن الا الافيال العتية ولا يقاتل بهند ولا يناضل الا ان كان بالعمد وهو شديد البأس صعب المراس قوى الرأس أطول ما يكون من الناس وهو ملك الاندلس الى أقصى بلاد فلسطين والجزائر البحرية والقبلية والغربية والشرقية والمصرية وهذه الارض التى نحن فيها من تحت يده وتحمل اليه الخراج والعدد وابن الملك قيصر كان لا يتعرض لاجله الى هذه الارض لان هذا يا أبا الفوارس يخاف منه كل من فى الارض وان له عشائر بعدد الرمال وأبطال مثل السيل اذا سال وأما ابنه عنان فانه فارس العصر والزمان وشجيع هذا الاوان الا انه أقصر باعا من أبيه فى الميدان وكأنك به وقد أتى الينا فى الابطال والاجناد وعشائره ومن له من الاقيال ولو كنا علمنا بان هذا يجرى علينا ما كنا أتينا ههنا ولا كنا سرنا ولا التقينا الملك الليمان وكنا أقمنا فى أرضنا وبلادنا وكانت عشائرنا كثيرة وأجنادنا غزيرة ولما سمع عنتر منهم هذا الكلام قال لهم لا تخافوا من هؤلاء الفرسان فما كأنهم الا غنم أو نعامات سارحات وها أنا بين أيديكم وستروا ما تقر به عينيكم وأما ما ذكرتم من أمر هذا الفارس وملكهم جنطيائيل الذى ما يحمله الا كل فيل

فلا تفزع من طوله ولا من عرضه وسوف أقده بحسامي الذي لو ضربت به جبال لهده وأما فيله فلا تحمل همه فاني معود بقتل الافيال وأناقي القيود والاغلال لا سيما في كل نائبة اسمي فيها باسم النبي المفضل فاني أسأل الله تعالى بجاه محمد صلى الله عليه وسلم أن يمد لي في العمر حتى يبعث هذا النبي الكريم وأقاتل بين يديه كل جبار أثيم وشيطان رجيم ولا تفزع يا ملك الزمان ولو انطبق على خافق البطاح فانهم أملي وفي قتالهم أوفى فلما سمع الملك هرقل من عنتر ذلك الكلام فرح واستبشر وأمل بالنصر والظفر وفي دون ساعة زعق وزمجر وأمر أصحابه بالحملة على تلك الدساكر وكذلك الملك كوبرت زعق في دساكره فزمجرت والى حروبها انتصبت وقد زعق في تلك الدساكر وحمل ودعس فيهم بجواده الابجر يضرب بالعمد وما قصر وقد ترك الجماجم تتساقط كأنها الاكر فلله دره من أسد قسور وليث أغبر وشجيع غضنفر وأما عشائر الاندلس فانها لما وقعت عينها على عشائر الملك هرقل فزعق في أوائلهم عنان وحمل ذلك الجيش وقد ثار الغبار واعتكر وقد دقت النواقيس وصاح كل مطران وقسيس وحملت البطارقة والعمالقة وقطعت السيوف الخود البارقة وقد صارت النفوس زاهقة والارواح من الاجساد مفارقة والفرسان بأخصامها عالقة وسوق المنايا بعد الكساد نافقة وقد سالت الدماء على الحصى والجلمود وغاصت الاسنة في العلائق والكبود وقد تنكست الاعلام والبنود وقد ركضت حوافر الخيل فوق الاضلاع ومزقت الجلود وتبدلوا بالعدم بعد الوجود وسارت الوجوه من شدة القتام سود وقد تضاربت الافرنج والروم باللات والعامود وسار الجبان مفقود وقد كان القوم بين فاقد ومفقود وشقي ومسعود وزادت زعقة الشجعان وساروا مثل الاسود واقشعرت الابدان وتمزقت الجلود وقد فاضت منهم المدامع على الخدود وانكسرت الصوارم ومالت البنود وأما عنتر فقد أشعل نار الحرب واصطلاها وضرب بسيفه الرقاب أبراها وأنزل الدم من النحور وأجراها وأطعم من لحومها بعدان قراها وتلقى الابطال بالضرب وأجرى دماها وقد نثر بسيفه الضامي رقابها ومزق كلاها وقد جالت الخيل بفرسانها ولعبت بأبطالها وقد تصادمت أقيالها وتبدل نهارها بلياليها وعشائر الروم قد انحصرت وأخلصت الى القتال نياتها وقد زعقت أصواتها بعيسى ومريم وقد علت زعقاتها وطعنت صدور الاعداء بقنطارياتها وفلقت جماجمهم بمشرفياتها وقد طحنت رجال الاندلس بسمهرياتها واسودت الاقطار من سائر جنباتها وقد ركضت بخيلها وأخلصت أعناتها وزاد بلبالها وقد حامت الطيور على أجسام ساداتها وكان ملك الموت قد أدار عليهم من المنايا كاساتها وكان رسوله عنتر وقد أسقاهم علقم شرابها فلله در عنتر بن شداد فانه كان كالنار المسعرة ذات الشرر التي لا تبقي ولا تذر وقد جال فيهم بجواده الابجر وضرب فيهم بحسامه الضامي الابتر وشيبوب والخذروف بين يديه يحمون جواده الابجر وقد ترك الافرنج على الثرى عبرة لمن يرى واعتبر وأما الملك عنان لما رأى فعل عنتر في الميدان حمل وخرج من تحت الاعلام وبرز وبان بعد ان كان تحت الصناجق والاعلام وقد صار يطلب الكفاح والصدام وقد كثر الصياح والزحام وعظم القتال واشتدت الاهوال وقد زاد الحرب اشتعال وكثر القيل والقال وهلكت الرجال وقد جاء الحق وذهب المحال ولما نظرت عشائر الاندلس الى ذلك الحرب والقتال لله در كوبرت وما فعل في ذلك المقام من الفعال فانه فلق الهام وقد نثر الرؤس من الاقوام وخلا جماجمهم مدحرجة تحت الاقدام وقد جرى بينهم عجائب تشيب الاطفال وأحوال تحير الاوهام ولم يزالوا على هذا الحديث والكلام وهم في صدام ولزام وتجريع الموت الزؤام الى أن ولى النهار وأقبل الظلام وعادوا الى المضارب والخيام وقد استظهر الروم على عشائر عنان ولولا الخوف من العار كانت قد طلبت الهرب والفرار ولما رجعت عشائر الروم فما كان فيهم الامن يثني على أبي الفوارس عنتر فأثنى عليهم وهم قد شكر لانه قد وعدهم بالنصر والظفر ففرح الملك كوبرت واستبشر وكذلك الملك هرقل بن الملك قيصر وكل منهم لعنتر حمد وشكر فهذا كان من هؤلاء (قال الراوي) وأما ما كان من الملك عنان فانه لما عاد من الميدان ورأى الارض قد مائت من أصحابه فغاب صوابه وقد داخله الفزع وحل به الجزع وقد أوقدوا النيران وتحارس الفريقان فعند ذلك شكت أهل الاندلس الى الملك

عنان مما لقيت من عنتر ومما قاست من الموت الاحمر في ذلك اليوم الاغبر وما فعل فيهم من العبر وقد أخبروه بمن قتل ومن أسر فقال لهم لما سمع مقالهم وسمع شكواهم واذلالهم أقبل عليهم وقال لهم ما أفنا كم وبدد شملكم وفرق جمعكم الا هذا الاسود والبغل الانكد المسمى بعنتر وفي غداة غد أبارزه وأقتله وأقتل لكم من بعده هرقل ابن الملك قيصر وكذلك كوبرت الفارس الغضنفر وكل من معهم من العشائر وهل أرسلني أبي ملك الزمان لا لاقتل هؤلاء الفرسان وقتل سرجوان بن عم الملك ان ولم أدع منهم انسان ولم يزالوا على ذلك الرواح الى ان أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس من على الروابي والبطاح فعند ذلك ركبت العشائر واصطفت وترتبت الفرسان وقد هجمت الطوائف بالجملة على بعضها بعض واذا بفارس قد برز من عشائر الاندلس راكبا على جواد أحمر عال من الخيل مضمر أقبل وأدبر أفتن الناظر اذا نظر بين عينيه غرة تزهر كأنها دائرة القمر جريه أسرع من لمح البصر وأسبق من خيل ربيعة ومضر جديد النواظر مدور الحوافر صنعة الملك القادر متسع الكفل لا يوصف بالتعب ولا بالملل ولا بالنصب ولا بالفشل وعلى جسده زردية بالذهب مطلية لا تعمل فيها السيوف الهندية ولا الرماح الخطية وهو معتقل بقنطارية خلنجية متقلد بصفيحة هندية وعلى رأسه بيضة ذهبية عادية وفي ظهره مرآة تخطف النظر ومن خلف ظهره صليب من الجوهر وهو كأنه الاسد العابس وقد ترجل في ركابه أوفى من ألفي فارس ومازال الى أن توسط الميدان فرجعت من حوله تلك الفرسان ثم انه أشار الى طوائف الروم بالبراز وطلب الانجاز وطلب الملك هرقل والملك كوبرت وعنتر فارس الحجاز فلم يتم كلامه حتى سار عنتر قدامه وهو راكب على ظهر جواده الابجر متقلد بسيفه الضامي الابتر معتقل برمحه الكعوب الاسمر وقد حمل عليه كأنه الاسد الغضنفر فتلقاه عنان كأنه النمر القسور فجال عليه عنتر بنية غير فاترة وقد طلعت على الاثنين الغبرة وقد كانت لهما وقعة عسرة تذهل من الشجاع بصره وقد أبصروا الارض عليهما ضيقة منحصرة وقد نزلت عليهما من الله أقداره المقدرة وقد ضاقت منهما النفوس من أسباب الفنا هذا كله والفارسان قد أظهرا عجبا حتى كانت الخيل منهما تعبا وقد مشيت بعد الجري خببا وقد صارت الانفس علقا وسالت الاجساد عرقا وقد جاعا الاثنين وعطشا وحارا واندهشا وقد مضى النهار مندرجا وقد صار البر ضيقا حرجا وقد طلب من شدة الظما فرجا وكان هول ذلك اليوم من أعجب العجب حرجا ولما رأى عنتر منه ذلك حاذاه وساواه وقد طعنه بالرمح في أحشاه أطلع السنان يلمع من قفاه وقد مال عن الجواد فعند ذلك زعق عنتر ونادى يالعبس الاجواد أنا عنتر بن شداد فانجدل صريعا يخبط بدماه عاقما ونجيعا ولما رأت الافرنج الى ابن ملكها قتيل وعلى وجه الارض جديل زعقت بالانجيل وأكبرت قسوسها في قرابيص سروجها وقد وطنت على الموت نفوسها وقد دقت نواقيسها وقد طمعت على عنتر بالافرنجية وزعمت أنها تسقيه كأس المنية فعند ذلك نزل الحديد على الحديد وقد بان الضعيف من البطل الصنديد وقد حملت الابطال الاماجيد والبطارقة الصناديد وقد قدح الشرار من الجلاميد وقد جرى الدماء على الصعيد وبانت أعلام ملك الموت قريب وبعيد وقد عرف الشقي من السعيد والشجاع من الجبان البليد وقد جال فيهم عنتر وطرحهم على الصعيد وقد أهلكهم وفرقهم ومزقهم وصلبوا على وجوههم وأمطرت سحائب الدماء على أهل الاندلس ودمدمت رعود المنايا على الاجساد فأهلكتهم وقد حمل عنتر بن شداد على الفرسان وهجم على الشجعان وأجرى أدميتهم على الارض فصبغ بها الميدان وقد أهلك الفتيان وقد هاج في الحرب والقراع كما تهيج السباع وشيبوب والخذروف يحمون جواده وظهره بالنبال فلله در عنتر ما فعل وكم أهلك في ذلك اليوم وقتل لانه أخرق الصفوف وسقى أهل الاندلس شراب الحتوف وقد مزق من عشائرهم أكثر الصفوف وقد وضعت أهل الروم في أهل الاندلس السيوف وقد قويت قلوبهم بعنتر شجيع المشارق والمغارب فلم تكن غير ساعة حتى ولت أهل الاندلس الادبار وركنوا الى الفرار وقد تركوا أموالهم وأثقالهم وطلبوا الهرب وقدروا سلامة نفوسهم ونجاتهم أوفى مكسب فتبعهم عنتر وهو يطعن في ظهورهم بالرماح المداد هو ومن معه من الروم الشداد الى آخر النهار وقد عادوا الى

أما كنتم والخيام وقد أهلك عنتر عالما لا يقع عليهم عيار وقد تذكر عنتر عند عودته ما قاسى من الاهوال وهجومه على المهمات الثقال خطر على قلبه من الشعر ارتجاز فأنشد وجعل يقول هذه الابيات

أعطنى رمح الحسامى * فلقد طال مقامى * واذا نادى منادى * اهتزت فرسان الانام
أين أبناء الكريهة * أين أبناء الكرام * فترانى أطأب السوط * لكل ليث فى صدام
وعلى جسمى حديد * محكم عند الضرام * وألبست الجسم درعا * صان لحمى والعظام
وسارت الخيل رفقا * مثل سير الغمام * واذا لاقيت جيشا * طاب لى شرب الحمام
وتركت الروم صرعا * فى الثرى مثل النيام * وأنا عنتر حقا * بطل عند الصدام
وترى النار تضرم من * بين سرجى ولجام * هكذا العيش والا * فعلى الدنيا السلام
ابلغوا جنطيائيل عنى * بالحروب غير ضام * سوف أتركه صريعا * ثاوى الجنبين رام
واذقه كأس حتف * من سنانى وحسام * لو رآنى الموت يوما * من عظم صدام
لى عزم طول عمرى * زائد فى كل عام

(قال الراوى) ولما سمع الحاضرين من عنتر هذا النظام لحقهم الطرب والهيام وأما هرقل بن الملك قيصر فانه ابتهج وقد مضت عنه الهموم وقال له لا فض الله فاك ولا كان من يشناك وجعلنى من الاسواء فداك ونشر المسيح عليك أعلام نصره وأمنك من حوادث دهره ثم انه نهض فى عاجل الحال وقبل صدره وبين عينيه فقبل عنتر يديه وقد شكره وأثنى عليه ثم انه أمر من معهم من الرجال بلم الخيل الشاردة والاسلاب المبددة وحملوهم على البغال وقد عادوا بعد ذلك الى الموضع الذى كانوا فيه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من أمر الملك جنطيائيل ملك الاندلس الكلب اللعين الغدار فانه كان قاعدا لابنه هناك فى الانتظار حتى انه يأتيه بعنتر وهرقل وكوبرت ومن معهم فى الاسر والاضرار لان ابنه عنان كان بطل عظيم وعلج جسيم ولم يزل يطمن نفسه بهذا الكلام الى ان كان فى يوم من بعض الايام فلم يشعر الا وقد أقبلت اليه المنهزمين وهم كلهم منهزمين وهم فى البرارى والجزائر صارخين متقطعين من عشرة وعشرين وهم كأنهم فى يومهم كالبحر الزاخر والاول منهم لا يلتفت الى الآخر ولما وصلوا الى المدينة أكثروا من البكاء والعويل وقد أعلنوا بالويل والتنكيل وقد أكثروا من الحزن الطويل فسمع الملك جنطيائيل الضجة فسأل عن ذلك الخبر فقالوا له أيها الملك قد وصلت الجيوش وهم مكسورين والفرسان متقطعين بعد ما كانوا مجتمعين وقد أخبروا أيها الملك أن ابنك عنان قد قتل فى الميدان وقد قتله فارس الفرسان وشجيع العصر والزمان فارس عبس وعدنان الذى قد ملك تلك البلدان والجزائر وهو عنتر بن شداد الذى أتى به الملك هرقل بن قيصر من أرض الحجاز لانه فارس همام وبطل ضرغام (قال الراوى) فلما سمع جنطيائيل منهم هذا الكلام استوى عنده الضياء والظلام وقد غاب عنه الصواب لما سمع ذلك الخطاب وصار كأنه فى منام ساعة من الزمان وأفاق وتفل على الارض من فمه وقد مد لسانه كأنه الثعبان ونفخ وسال ريقه على تلك الكثبان فأحرق ما حوله من الحشيش الاخضر من شدة غيظه وما دخل على قلبه وغم على عقله ولبه ثم انه دعا ببعض المنهزمين من تلك الاعلاج والفرسان ولما حضروا قال لهم كيف قد قتل ولدى عنان فى الميدان فقالوا له يا ملك الزمان اعلم انه قد قتله فارس اسود له قلب أقوى من الجلمد وقد طعنه بالسنان فى صدره أطلع الرمح عشرة أنابيب من ظهره وبعد ذلك حمل علينا فى ساحة المجال وقد قتل الابطال وجندل الافيال وهو كأنه الجمل اذا هاج وقد سمعناه وهو بالعربية يقول ويلكم يا أوغاد غير أمجاد أما علمتم أنى عنتر بن شداد فارس الارض والبلاد وما دخلت الى دياركم حتى أملك سائر بلادكم وأقتل ملككم جنطيائيل هذا الكلب الطويل الهبيل وأملك بلاد الاندلس والغرب الكبير ثم انه كان يطاعن الفارس العظيم ويقبضه ويخطفه من على الجواد ويضرب به الارض يخلط بعضه فى بعض ثم انه صار يضايق الناس فى المجال ويمسك فارسا بيده اليمين وفارسا بيده الشمال ويضرب بهما الاثنين فيقتل أربع رجال ويطلع الزبد على أشداقه فى الميدان وتحمر عينيه حتى تبقى كأنهما شرار النيران

وما كأنه الا مارد أو شيطان أو من عفاريت سيدنا سليمان لانه أسود يشبه الابنوس ولا يقدر عليه لا علج ولا فارس لان ما مثله أحد فى هذا الزمان مقايس ولا يوجد مثله ممارس لان صدماته تهد الجبال ويطعن طعنات تقرب الآجال وجواده اذا رأى الفرسان قد ازدحمت عليه يفتح فاه كأنه الغول أو الاسد المهول ويصدم الفارس فى الميدان فيكسره ويرميه عن ظهر الحصان فتدهكه الخيل وانه يعين صاحبه على لقاء الشجاع ويبيد الفتيان فلا يصعب عليك أيها الملك من هذا الانسان فما مثله شيطان الآن يكون أنت يا ملك الزمان وليس له ضد ولا مقايس سواك ولا يقمعه فارس الا أنت لانك أقوى منه فى الميدان ولا فينا أحد يلقاه فلما سمع منهم ذلك المقال صعب عليه ولا بقى يعرف ما بين يديه ولا عينه من الشمال ثم انه بعد ذلك سحب عامودا وبطش فى الرجال فقتل عشرة من الابطال والباقى هربوا من قدامه فى عاجل الحال وقال لهم يا ويلكم يا أنذال لمثلى يقال له هذا المقال وتصفون هذا البدوى حلاب النوق وراعى الجمال ولولا خوفى من المسيح ما أبقيت منكم بطريق صحيح الا ملقى على الثرى طريح يا ويلكم أكون أنا الملك جنطيائيل بن الجلاع بن القعقاع وتفزعون من هذا الاسود عند القراع وأى شئ يكون هذا الاسود الميشوم ومن معه من العرب والروم وأنا الاسد الغشوم وسوف تنظرون كيف أخلى أنفهم مرغوم ولا مثلى يقاس بكل من فى بلاد العرب وأنا ملك الشرق والغرب وسوف ترون ما أفعل بهم فى الميدان وأنا على ظهر فيلى سيروان وسوف أقتل هذا العبد المسمى بعنتر أخو السودان وكوبرت ومن معه وكذلك هرقل بن قيصر ولما سمعوا كلامه الجميع سكتوا ولا عاد تكلم منهم لا وضيع ولا رفيع وقالوا له أيها الملك ها نحن كلنا بين يديك نقاتل معك وسوف ترى منا ما تقر به عينيك ثم انه فى ساعة الحال أمر بالتجهيز الى ساحة المجال للحرب والقتال وأن يكونوا على أهبة النزال ففعلوا ما أمرهم به ملكهم جنطيائيل ولبسوا الزرد والخود بلا تطويل (قال الراوى) وزعقت البوقات السلطانية وعرض الملك عشائره فكانوا سبعمائة ألف بطل فترك فى المدينة مائة ألف فارس من كل مدرع ولابس وللحرب ممارس وأجلس مكانه ولده الصغير عبد المسيح لانه ذو عقل رجيح ولسان عربى فصيح هذا وقد ركب جنطيائيل على ظهر سيروان الفيل وقد رحل من مدينته طالب هلاك جيش الروم وفى مقدمة عشائره القسس والبطارقة والاعلاج والشمامسة والشجعان والراهب الكبير والمطران والملك جنطيائيل على رأسه الصلبان والاعلام عليها صورة مريم ابنة عمران (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من كوبرت وعنتر وهرقل ابن الملك قيصر فانهم لما كسروا ذلك الجيش أقبل عنتر على كوبرت وابن الملك قيصر وقال لهما ما قعودكما عن هذا الطنجير جنطيائيل ولما لا نسير الى ديارهم ونخربها ونمحى آثارهم ونقتله ونسبى حريمه وعياله ونأخذ ذخائره وأمواله وأى شئ هو هذا الكلب الطويل حتى نتركه الى هذا الديار يسير ولاى شئ لم نسر بجمعنا اليه ونقتل جيشه الكبير ولا نخلى منهم لا قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير ونملك بلاد الاندلس الى أقصى الغرب الكبير فقالوا له نعم يا أبا الفوارس ما به تشير ثم انهم تجهزوا فى ساعة الحال فى مائة ألف عنان من الابطال فقال عنتر ولو يكون عشائر الاندلس بعدد الحصى والرمال لافنيتهم بعون الملك المتعال وأفنيهم بالحسام والقنا وسوف ترى أيها الملك منى ومن جيش الاندلس الكثير وما يجرى لى مع هذا الطويل بن الانذال جنطيائيل ففرح ابن الملك قيصر بهذا المقال وعلم أنه يقدر على هذه الفعال ثم أنهم قسموا الجيش قسمين فانتخبوا مائة فارس من الاعلاج الشداد وقد ركب عنتر على ظهر جواده الابجر وشبوب والخذروف بين يديه كأنهما ذكر النعام اذا اندعر هذا والامير عنتر قد تذكر دياره فتلهبت أحشاؤه وتأمل نحو الشام فنظر برقا يلمع فتذكر عبلة ففاض دمعه وانهمع وزاد به الوجد والغرام فأنشد يقول هذه الابيات

أبرق نجد أضاء يا سعد أم هيتا * أم نور عبلة بدى يا برق هنيتا
أم نورها قد أضاء يا برق فى غسق * كما تشب على أيدى المصاليتا

فاق ذكرها أول وآخرها * فعاونتها بنات الروم سميتا
قد صاغها الله من حسن وقال لها * خوضى المحافل تركيبا وتثبيتا
وسحر أجفانها قد زادنى سقما * أخافت فيهما كهاروت وماروتا
ايا عارضا رائحا يغدو بوارقه * أقصد الشام دمشق فيه ذا نحيتا
يابرق ان جزت أرض الشام لى رشأ * تحمل تحيتها عنى تحيتا
ان منك قد سألت عنى فقل لها * كان سيفى لوقد النار كبريتا
ياعبل انى اذا ماجلت فى رهج * تسمع له الاذن ارعادا وتصويتا
سار وى الروم ضرب السيف مبتدرا * تخر له الاسد الضرغام مبهوتا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره وانشاده واذا بهرقل ابن الملك قيصر قد مال وترنح فوق جواده وقال له وحق المسيح مالك مثيل فى الفصاحة ولا فى الثبات فى الميدان فالله يبلغك أمانيك ويكمد حاسديك فدعا له عنتر وأثنى عليه وله شكر ثم انهم ساروا بعد هذا الكلام وهم يقطعون البرارى والآكام مدة خمسة وثلاثين نهارا على التمام وهم يقطعون المهاد والارض والبلاد وفى أوائلهم عنتر بن شداد حتى تقاربت العشائر من بعضها بعض وطلع غبارها فاسودت منه الاقطار وخفقت البنود والازدهارات فكان ملتقاهم بعضهم البعض فى مكان عظيم يقال له وادى الرميم هذا وقد علا الضجيج لاختلاف اللغات ونعرت البوقات ودقت الكؤسات وهجت الوحوش من الغابات وارتجت سائر الجهات والجنبات وخفقت الاعلام والرايات من هبوب الرياح العاصفات ولمعت بروق الصوارم المرهفات مع حلل سحائب الغبائر المرتفعات وصهلت الخيول الصافنات واشتاقت الى الحرب قلوب السادات وهان عليهم شرب كأس الممات ومافيهم الامن لاح له وجه النصر بعلامات وخفقت البنود والرايات هذا وقد انكشفوا الطائفتين وحقق بعضهم بعض برأى العين ولم يجدوا الدساكر ثبات بسبب الحقد والكراهات والملك جنطيائيل فى مؤخرة الجيش راكب على فيله وساير كأنه الاسد القسور لان أكثر الخيل كانت منه تنفر فلاجل هذا ماتقدم امام الجيش هذا وقد أمر عشائره بالحملة فحملوا على بعضهم البعض وجالوا طولا وعرض فارتجت من تحت حوافر خيولهم الارض وعظمت الاهوال واهتزت الجبال وقد تقاربت الآجال وصدمت الرجال واشتدت المخاوف والاوجال واختلف الطعن يمينا وشمال ونزل الشجاع فى سرجه وبال وانقطعت من الجبان الآمال وعظم الويل والوبال وبان الصدق من المحال وتصادمت الشجعان واختلط الجمعان وتقاتلوا الطائفتان وتطاعنوا الجيشان وعمل السيوف اليمان الى أن غابت الثريا والزبرقان ودبر السرطان ومالت كفة الميزان وانباع المشترى بأبخس الاثمان وطار عقل عطارد الصباح فأخذه بعد الامان وسمى سهيل السماك وتفرقد الفرقدان وزاد على الثور تشمم الاسد فقطع منه مواصلة الابدان وضربت الجوزاء الجدى فانصدعت بعد ان كانت كالسندبان وهجم على المريخ سلطان الضياء فخضع برأسه وطلب الامان وخضعت السنبلة وتجارى على الجدى من الثور كرأس العقبان وانحط سقاء الدلو بعد ارتفاعه محل كيوان وحارت النواظر والاوهام وكان يوما من أيام الزمان انباعت فيه الارواح ببيع الهوان وقد صارت الارض من دماء الفرسان كالارجوان وضجت عمار تلك الارض والسكان وهمهمت أسود الحرب وزادت الزعقات ودمعت عين الجبان وتمنى انه لاكان وضاق الميدان وصحا السكران ولله در ذلك اليوم من يوم عظيم الشان زاد الكرب على الفرسان وحمى فيه الحديد على الابدان والامير عنتر بن شداد يجول فى الميدان أى جولان ولا يعفو عن قتل القسوس والرهبان ولا البطارقة ولا المطران ولا العلوج ولا العقبان ولا الشيوخ ولا الشبان وقد بلغ العرق الى الاذقان والامير عنتر ينثر الجماجم من على قامات الابدان ويزيد وقيد الحرب نيران ودمدم فارجف قلوب الشجعان وفرق شمل الافرنج اللئام عباد الصلبان بتواتر الطعان وجندل الاقران وصبغ بأدميتهم الميدان ولم يزالوا على ذلك الشان الى أن أذن الله تعالى للنهار بالارتحال وأقبل الليل بظلامه والانسدال

هنالك افترقوا عن الحرب والقتال والطعان والنزال وعادوا الى الخيام وأكلوا شيأ من الطعام وقد بحت الروم فى ذلك النهار تحت الغبار بقتال فارس عبس وعدنان البطل الكرار والاسد الهدار وحارت أهل الاندلس وظهر عليها الانكسار ولولا خوفها من الملك جنطيائيل لطلبت الهزيمة ورجعت الى وسط الديار بل صبرت على الروم خوفا من البوار ونهبت عشائر الملك هرقل بن قيصر بعض خيام الافرنج والرجال ولكن رجعت عشائر قيصر وهى تشكو الى الامير عنتر مالاقت من القتال الا أنها تشكره وتثنى عليه وتشير بالدعاء اليه (قال الراوى) وأما صاحب الفيل الملك جنطيائيل فانه جرد على عشائره ووبخهم على مافعلوا وكيف انهم تقهقروا وقت الحرب والقتال وقال لهم ياويلكم أما أنتم رجال ولا فيكم نخوة الابطال أما تخشوا من العار والقيل والقال حتى يكسر وكم هؤلاء الانذال فقالوا له أيها الملك جنطيائيل اننا جهلنا أمرهم حتى وصل الينا شرهم وحق المسيح والانجيل وزبور داود وذات التجبيل فى غداة غد ندهمهم ونحمل عليهم بأجمعنا بعدما يقرأ علينا الانجيل فلا نخلى منهم لا كبير ولا صغير ولا كثير ولا قليل وأول مانقتل هذا الاسود المشهور المسمى بعنتر لانه مثل الموت الاحمر الذى لايبقى ولا يذر ونقتل كوبرت وهرقل بن الملك قيصر ولا نخلى من هذه العشائر من يخبر بخبر ففرح الملك جنطيائيل من مقالهم واطمأن لافعالهم ثم انهم قاموا الى المنام بعدان أكلوا الطعام ورتبوا لهم حرسا فى الظلام ولم يزالوا على هذا الرواح الى أن أصبح الله بالصباح ركبوا الجرد القداح واعتقلوا بالرماح وطلبوا الحرب والكفاح فعند ذلك دقت الكؤسات والنواقيس وزعق كل راهب وقسيس وشماس وبطريق ونعرت البوقات وخفقت الرايات هذا وقد حملت العشائر من سائر الجهات وطعنت بالرماح السمهريات وجردت السيوف المشرفيات وطاب لهم شرب كأس الممات وضاقت بهم الارض والسموات والفلوات ودارت عليهم طاحون الآفات وحملت عشائر الروم على العشائر الاندلسيات وثبتت للطعان فى اللبات وحمل عنتر وزعق بين أذنى جواده الابجر زعقات عاليات وصاح صيحات مرتفعات حتى رجت الجبال والفلوات وشيبوب والخذروف بين يديه يرميان بالنبال فيصيبان بها نحور السادات وصبرت عشائر الروم صبر أولاد العربيات وعمت المصائب واسودت الاماكن والجهات وخاضت الخيل بالدماء فتغيرت ألوانها المختلفات هذا والسيف يعمل من سائر الجهات وتزلزلت الارض من ركض الصافنات وتهامروا مثل السباع الضاريات وعملت الرماح والقنطاريات فى صدور السادات وارتعدت الابدان من شدة الاهوال الحادثات وندم الجبان على الثبات وأخذت الحيرة للشجاع والانبهات وطارت الجماجم بضرب المشرفيات وحارت المسامع من اختلاف اللغات وكان النهار قد ضاق عن مثل هذه الصفات وعظمت المصائب والآفات وأيقنت النفوس بالممات فيالها من ساعة لاتشبه الساعات ووقعة لاتشبه الوقعات واسودت فى أعينهم سائر الجهات وامتلأت أبدانهم بالجراحات وقلت منهم الحركات هذا والامير عنتر يثب وثبات ويسوق عشائر الاندلس سوق الغنم السارحات وينثر الفرسان من على السروج بطعنات صادقات وحمل كل بطريق اثنين بضربات قاطعات وفتك فى البطارقة والشمامسة والقسيسة وهو يكثر الصرخات والزعقات فتولى الخيل من زعقاته لما تسمع تلك الاصوات وترمى ركابها الى الارض من شدة مايدخل عليها النائبات لما تسمع من تلك الصيحات العظيمات هذا والرجال تظن من شدة زعقاته ان الارض انطبقت عليها من السموات ولم يزالوا على هذه الاشياء الهائلات الى أن أذن الله للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالظلمات باذن رب البريات هنالك افترقوا من الحروب والكربات لما أمسى المساء ومافيهم من يعرف أحسن اليه الدهر أم أساء هذا وقد رجعت عشائر الاندلس خائفات من ضربات عنتر المسرعات فوبخهم الملك على هذه الفترات فقالوا وحق المسيح ماعمرنا رأينا مثل هذا الاسود لانه داهية وبلية عظيمة وكانت زعقته كأنها الصاعقة من السماء أو سخطة نزلت على هذه البلاد فكلما نطلبه من كل جانب ونقول اننا نغرقه بالقنا والقواضب فيصيح فى المواكب فيشتتها وتولى الخيل من صيحاته باعنتها وكان المسيح قد غضب علينا حتى أرسل هذا الشيطان الينا والا لوكفينا أيها الملك شر هذا الاسود فى القتال الذى كأنه فحل من فحول

الجمال فقال الملك أنا ولا انى أخاف ان يعايرونى سائر ملوك البلاد ويقولون الملك جنطيائيل برز الى عبد شداد والا كنت من أول ماوقعت عينى عليه أهلكته وضربته بعمودى هذا محقته ولكن لابد لى منه فى ساحة المجال وأقتله وآخذ بثار ابنى عنان الفارس الريبال لانى أراكم فشلتم أنتم بكثرتكم عن قتاله ولا تقدرون على أهواله وحربه ونزاله ودع تقول الشجعان ملك الاندلس بارز عبدا اسود فى الميدان وأنا وحق المسيح ان ضربته بعمودى هذا أقضى عليه ولكن لا كلام حتى يطلع النهار وأبرز الى الميدان وأقتل هذا الاسود ابن اللئام ثم انه أمر بحضور عدته والحراب والمزاريق والعمد الذى يقاتل بهم وان يحضر والعزردية المذكورة الطويلة السواعد وان يأتوا بفيله سيرون فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من فارس عبس وعدنان وليث الميدان وشجيع الزمان فانه عاد بالربح لا بالخسران وأما كوبرت والروم فانهم شكوا لعنتر ما يجدوه من الكثرة وقالوا له يا أبا الفوارس العشائر كثيرين ونحن قليل ولا يحصى لهم عدد فيا ليتك ان ترجع تلك الفرسان الى المدينة فعند ذلك شجعهم عنتر وقال لهم لا تخشوا من أحد وأنا أعلم ما ثبات هذه العشائر الجزيل الا عاد كهم جنطيائيل هذا الكلب الذليل وأنا ان شاء الله الملك الجليل فى غداة غد أصرم عمره الطويل وأقتل فيله وامحق عمره وأجعل طوله بعرضه لان نفس هذا القرنان تكبر عليه انه يبرز فى الميدان لانه يقول فى نفسه انه ملك الارض فى طولها والعرض وسترون كيف أجندله فى هذه الارض وأخلط بعضه فى بعض وان هو خرج الى الميدان فرقت أنا هذه الاجناد ولا أزال أخرق الجيش حتى ألتقيه وأنثر رؤس ما حوله من الاقران وأقتل بطارقته والرهبان الى أن التقى هذا القرنان وسيجرى بينى وبينه ما يريد الرب القديم رب زمزم والحطيم فاذا فرغت من هذا النذل ابن اللئام أفنى بعده هذه العشائر ولا أخلى منهم لا كثير ولا قليل وأترك العالم تتحدث بفعالى جيلا بعد جيل (قال الراوى) فلما سمع الملك هرقل وكوبرت والعشائر من الامير عنتر هذا الكلام فرحوا بما وعدهم من النصر والظفر وتقدم اليه هرقل بن الملك قيصر وأثنى عليه وله شكر فقبل عنتر يديه ووعده بما تقر به عينيه وبعد ذلك بات الجيشان يتحارسان وباتت الروم فى أحسن ما يكون الى ان أصبح الله بالصباح فهنا ركب الجيشان الجرد القداح وطلبا الحرب والكفاح وصف عنتر جيوشه ميمنة ورتبهم ميسرة وقلبا وجناحين وأمل أن يسقى ملك الاندلس كاس الحين وينزل به الشين فلما تجحفت الصفوف وترتبت الألوف واذا قد ترجل على التحقيق أوفى من عشرة آلاف بطريق ويقدمهم فارس طويل راكب على فيل عظيم قال وكان ذلك الفيل مثل الجبل العظيم أعلاه جبل وأسفله جندل وهو مثل سواد الليل البهيم أكبر ما يكون من الافيال يحمل عشرين من الرجال وكان له آذان مثل الدرق واسع العينين غليظ الرقبة كبير الخرطوم طويل الزلوم فى مشافره سيف يمانى ثقيل رزين شديد المعانى له أنياب كأنها مدارى وكان الفارس الذى عليه لابس زردية تردأسباب الرزية شغل العمالقة بالذهب الاحمر مجلية مرصعة بالدر والجواهر المعدنية وعلى عنقه صليب من الزمرد الاخضر وعلى رأسه خوذة عاديه ململة كسروية فى قدر القبة المبنية وعلى كتفه ذلك العمود الذى ذكرناه وعلى جانبيه الحراب السمهرية ومن عظم هذا الفيل لا يقع فى جلده الحسام الصمصام ولا طعن الرمح اللهدام ولا تخرق جلده السهام الا ان ذلك الفارس راكب عليه وهو يحرث الارض برجليه قال وكان هذا الفارس هو ملك الاندلس جنطيائيل فلما توسط الميدان رجعت تلك الرهبان التى ترجلت فى خدمته والشجعان الا انه لما توسط الميدان ورمقته تلك الفرسان وعشائر الروم وما لهم من الرهبان ونظروا الى كبر جثته وطول قامته فاقشعرت منهم الابدان وتعجبت القساسة التى للروم والرهبان والبطرق الكبير والمطران هذا ولما نظر عنتر اليه والى غلظه وطول يديه فقال والله ما هذا القرنان الاعظيم الخلقة فى هذا الزمان ليكونن لى معه شان وأى شان تتحدث به الناس الى آخر الزمان وأول ما أجعه فى فيله هذا الذى يسمونه سيروان وبعد ذلك أنزل بصاحبه الشين وأسقيه كاس الحين وأضربه بسيفى هذا على وسطه أجعله دلوين وأتوسل كما سبق لى مع غيره بالنبى محمد الذى يكون سيد الكونين ورسول الثقلين (قال الراوى) الا أن جنطيائيل لما برز الى الميدان لعب بعاموده حتى حير



الفريقان وأذهل العينان وجعل يدمدم بالافرنجية واللغات الاندلسية ويطلب البراز وسرعة الانجاز فلم يجسر أحد يبرز اليه ولا يدنو منه ولا يقف قدامه ولا بين يديه لعلمهم ان الخيل تنفر من الفيل ولا يطيقوا الثبات قدام ركاب الملك جنطيائيل فلما رأى أن أحدا لم يبرز اليه ولا قدم عليه صعب ذلك عليه وكبر لديه وجال بفيله وحمل على عشائر الروم فزلزل بحملته الارض من تحت التخوم فشمت الخيل رائحة الفيل واليه نظرت فهربت منه ونفرت ونخرت وتأخرت من بين يديه وتقهقرت قدامهم فضربهم بسيفه الفصال ولم يزل فى حملته حتى قتل مائتين وخمسين من الرجال الابطال وبعد ذلك رجع الى الميدان ونادى باللغات الاندلسية يا ثارات ولدى عنان وجعل يشتم بالافرنجية ويطلب البراز وأول ما طلب عنتر فارس الحجاز وبعده يبرز اليه كوبرت ومن يكون تحت يديه من الفرسان وكذلك هرقل بن الملك قيصر ومن معه من الشجعان وطلبهم كلهم أن يبرزوا اليه الى الميدان حتى يأخذ بثار ولده عدنان وصاح بصوت مثل الرعد القاصف وجعل يلعب فوق ظهر فيله مثل الريح العاصف وصار يشتم عنتر ويبربر عليه ويطلبه أن يبرز الى بين يديه هذا وقد سمع كوبرت ما تكلم فاعلم بذلك أبا الفوارس عنتر وأخبره بما شتم وبما منه اليه قد جرى وصدر فلما سمع ذلك صعب عليه واحمرت عينيه وقامت شعرات شاربيه وابيضت شفتيه وصار عبرة لمن ينظر اليه وانه لم يجد على ذلك مصطبر دون أن قفز على ظهر جواده الابجر وجال فى ذلك الوقت جولانه المعروف وأنشد يقول

أحن الى ضرب السيوف القواضب * وأصبو الى طعن الرماح الكواعب

واشتاق كاسات الموت اذا صفت * ودارت على رؤس السهام النوائب

ويطربنى والخيل تعثر بالقنا * حداة المنايا وارتهاج المواكب

وضرب وطعن تحت ظل عجاجة * بجنح الدجا عند امتداد السلاهب

تفاوز رؤس السمر وسط ظلامها * وترهج منها كالنجوم الثواقب

وتلمع فيها البيض من كل جانب * كلمح بروق فى ظلام الغياهب

لعمرى الفخر والمجد والعلا * ونيل الامانى مع بلوغ المآرب

لمن يتقى للحرب منه بهمة * لها فى أعالى المجد أعلا المراتب

وأهجم فى أبطالها وسراتها * بقلب صبور عند وقع المضارب

وأجرد عضبا باترا ومثقفا * بعزم جرى لا يخاف النوائب

وابنى بحد السيف مجدا مشيدا * على غيهب العلياء بين الكواعب

ومن لا يروى رمحه من دم العدا * اذا اشتبكت سمر القنا والقواضب

ويعطى القنا الخطى فى الحرب حقها * ويغزى بحد السيف عند المناكب

أعيش كما عاش الذميم بذلة * وان مات لا تندب عليه النوادب

ولا تندب البيض للجبان تأسفا * سوى الفارس المندوب بين المواكب

أنا البطل المعروف فى حومة الوغا * وفارسها المقدام بين الاعارب

يهيد الاسد العرين والضيغم الذى * يكشر عن انيابه والمخالب

الاسود الضاريات اذا سطت * ومفترس الاشبال وسط السباسب

أنا عنتر العبسى ابن زبيبة * أنا الاسد الموصوف بين الكتائب

ستنظر ما تلقى وان كنت ناكرا * ويصدق ظنى فيك يا نسل كاذب

سأقسم بالمبعوث من نسل هاشم * محمد المختار زين الاطايب

نبى حباه الله بالصدق والوفا * وأيده بالمرتضى ليث غالب

وان كنت لم أدرك أوان ظهوره * فانى لهم ممن يحب مناسب

وحبى لهم فى خاطرى وضمائرى * قد فزنا بذكره عن سطيح بين الاعارب

فصلى عليك الله ما هب الهوى * وما ناح قمري وسارت ركائب
فدونك يا جنطيائيل قيل سميدع * سرى ذكره في شرقها والمغارب
محب لآل المصطفى معدن الوفا * مقيم على حسن الوفا غير كاذب

(قال الاصمعي وجهينة وحازم المكي) لما سمعوا هذه الابيات من عنتر بن شداد ولما فرغ الامير عنتر من هذا الشعر والنظام سل في يده الحسام يريد الحرب والصدام بعد ذكره لسيدنا محمد رسول الله الملك العلام وهمز الابجر فتأخر به وشخر ونخر وتقهقر قال فلما رأى عنتر جواده على ذلك الحال ترجل عن ظهره وقد حصل له انذهال وزاد به الغرام لما ذكر سيدنا محمد البدر التمام ومصباح الظلام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام قال ومما نقله الاصمعي المصنف لهذا الكلام ان الامير عنتر البطل الهمام قد استنجد بسيدنا محمد خمس مرات في المهمات العظام كان الله يؤيده ويستجيب منه الدعوات حين يذكر سيد السادات وصاحب المعجزات الباهرات وسأذكرها لكم مع الاشتيات فكانت المرة الاولى وهي أصح الاقوال لما قتل الفيل المجنون فيل كسرى وقطع السلاسل والاغلال ونادى يا آل محمد النبي المفضال واتكا في السلاسل فطارت قطع من يديه ورجليه في عاجل الحال وفعل ما فعل من قضاء تلك الاشغال وفي المرة الثانية لما قتل العبد زنجير الشرير الخنزير وأنشد الشعر بلا انكار وصاح يا آل محمد النبي المختار وذكر ابن عمه علي الفارس الكرار وضرب العبد زنجير بحسامه الضامي البتار أطاح رأسه عن جسده في وسط القفار والثالثة لما قتل الثعبان قدام الملك عبد هياف والرابعة لما قتل طود الاطواد واستنجد وصاح يا آل محمد سيد العباد ورسول الملك الجواد وكبس يده ولكمه بين ثدييه فكسر لوح صدره وعجل منيته وقضى عليه والمرة الخامسة في نوبة هذا الملك جنطيائيل لما قتله وقتل فيله قبله (قال الراوي) ورجعت الى سياقة الحديث الاول بعد الصلاة والسلام على نبينا المرسل الان عنتر لما ترجل عن جواده الابجر أخذ الطارقة بيده الشمال وجرد في يمينه سيفه الضامي الابتر وحط عليه كأنه الاسد اذا اندعر فعندها صاح به شيبوب أنت تجننت والاصرت مهبول والا يمكن لما كبرت ما بقي لك عقل في رأسك ولا معقول اخبرني ماذا تريد أن تصنع حتى انك ترجلت الى هذا الاسد الادرع والله لو انك من أولاد قابيل ما كنت ترجلت لهذا الملك جنطيائيل الذي كأنه شيطان رجيم وتحته هذا الفيل العظيم وانا أخشى عليك أن يدوسك ويسقيك كأس منيتك ويعجل في هذه البلاد رحلتك والا لو انك ذو عقل أو تدري ما تفعل ما كنت ترجلت الى هذا الشجاع البطل فقال له عنتر ويلك يا أبا رباح أي شئ هذا الكلام الذي تقوله لي والملام هو أنت نسيت فعلي بالجبابرة العظام فاني وحق من له البقاء والدوام وهو الواحد العلام لالقيت هذا الفارس الابلا سلاح وترى ما أفعل به في هذه البراري والبطاح وتبقى تحدث به الناس سير ويأخذوا منه عبر ويسمعون بفعلي ويتعجبون منه ومني ثم انه خلع ما كان عليه من لباس الزرد وقلع الخودة عن رأسه ورمى سائر الحديد المنضد ولبس حلة حمراء وتعمم بعمامة وتمنطق بمنطقة الملك كسرى ثم انه رفع أذياله في دور منطقته ووثب كأنه الاسد فلما رأت الروم الى ذلك انبهرت وحارت منه وتعجبت وصلبت على وجوهها مما عاينت وتحدثت مع كوبرت وهرقل ابن الملك قيصر وقالوا لهما أما تنظر والى ما فعل في هذا اليوم الامير عنتر واحتقاره بالملك جنطيائيل الذي راكب على هذا الفيل الطويل فاني وحق المسيح خايف عليه لا يقتل وينزل به التنكيل لانه ان هلك عنتر ما نفلح بعده ويحل بنا كل أمر وبيل والا يا ملك أي شئ هذه الفعال الذي يفعلها واحتقاره بالرجال فقال لهم الملك هرقل لا تفزعوا من هذا العمل لاننا قد سمعنا عنه وأيضا شاهدنا فعله ان عمره ما فزع من بطل لا من صغير ولا من كبير وان هذا الملك ما هو عنده الا حقير وانه بلغني عنه من الامور النفائس أنه عاش هذا العمر كله ما قهره فارس ولا رأى له طول العمر في الحرب مقاس واليوم يكون آخر عمر جنطيائيل ولو ان المسيح بيده قائد الفيل وسترى ما يفعل به هذا الفارس النبيل قال فبينما هم على ما هم فيه من ذلك الكلام واذا بزعقة شديدة تزعزع منها البر الاقفر وكانت الخيل من شدتها تكاد أن تنفطر وظن الفريقان أن السماء قد انشقت وان المواعيد قد حقت وصرت الخيل لها أذناها

وارتعدت من الرجال أبدانها ونفرت الخيل من تحت ركابها وولت من هول تلك الزعقة أصحابها واذا بها صرخة عنتر عند نزوله لجنطيائيل فولى من تحته الفيل فصاح جنطيائيل في الفيل وضربه بسوط كان في يده طويل فاضطرب الفيل في بعضه البعض وأراد أن يهيج براكبه في جنبات تلك الارض فرده صاحبه بذلك العمد الذي في يده وأخذ يجول به طولا وعرض وهو على ذلك الحال الهائل حتى قارب عنتر ووصل اليه وهو راجل وزعق عليه ثانيا وهدر وزمجر فرآه جنطيائيل وهو كأنه الاسد اذا اندعر وقاربه وحمل عليه ودرقته وحسامه بين يديه فصعب ذلك الامر عليه ورآه خالي من السلاح وعليه تلك الثياب الحرير الملاح فعلم انه قد احتقره فعند ذلك امتلا قلبه حنق وفاض ثم انه استلب من تحت فخذه حربة من تلك الحراب الفلاط وزجها الى عنتر بعدما صاح بصوت يفلق الحجر ونادى يا للمسيح أنا قاتل اليوم عنتر (قال الراوي) فعند ذلك احترز عنتر من حربته وسبحها على ظهر درقته وكسر حدها بخبرته وحسن صنعته ومعرفته فلما رأى جنطيائيل الى ذلك غضب واطرقته حيث ما صابت لعنتر طعنته ثم انه زج اليه حربة ثانية وقال في نفسه لعل ان تكون لمنيته قاضيه ورماها اليه بحيله وقوته وقد نقل الناقل عن أخيه شيبوب انه قال رأيته بعيني وقد خطفها من الهواء وضرب بها جنطيائيل فجاءت بالتحرير والاستوى في وسط زلومة الفيل فلم يكن له منها سلامة ولا دوى الا انها دخلت في جبهته خرجت تلمع من خاصرته قال فوقع الفيل وقد اختبط بعضه في بعض فلما رأى الملك جنطيائيل الى ذلك غاب عن الدنيا ولم بقي يعرف السما من الارض ولا الطول من العرض فلما وقع من على فيله خطف عموده ووضعه على عاتقه وجرى على قدميه حتى قارب عنتر وحذفه به انه يقتله ويعدمه مهجته فانحرف عنها عنتر بخفته ورشاقته فوقع العمود الى الارض غاب فيها الى نصفه وقد سلم منها عنتر وتعجب عجب عظيم من شدة حيل هذا الجبار الجسيم وفي عاجل الحال هز عليه عنتر وهز في يمينه حسامي الضامي الابتر وصاح فيه فتخبل وارتعد من زعقته وانذهل وكان بزعقته قد استغاث واستنجد ونادى باعلى صوته يا آل محمد يا آل محمد سيد الانام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام وضربه بالضامي بهمته وشدته فجاءت الضربة في سرته قسمته نصفين ووقع الى الارض دلوين فعندها زعقت عشائر الروم من الرهبان والقساقسة لاشلت يداك يا أبا الفوارس وقد علت منهم الضجات وكثر منهم الفرح والمسرات وصاحوا يا للمسيح والانجيل من هذا الفارس النبيل وأما عشائر الاندلس فانها لما رأت ما حل بملكها تخبلت وانذهلت وبربرت عند ذلك بلغتها وحملت تريد الخلاص لانفسها ما نظرت فتلقاها عنتر بن معه من عشائر الروم والاجناد وأعانه على ذلك كوبرت والملك هرقل يحث الفرسان على الحرب والطراد وحملت تلك الخلائق كأنها الجراد ورفعت أصواتها هذا وقد صاحت عشائر الافرنج وتدفقت مثل موجات البحار فتلقتها عشائر الروم مثل شعل النار فاهتزت الاطلال والدمن وعظمت المصائب والمحن وفارقت الرؤس البدن وتكردست الطوائف على بعضها بعض وارتجت من تحتهم جنبات الارض هذا والغبائر قد خيمت والجهات قد اظلمت والرجال تصادمت والجماجم انتثرت والبطون تفجرت والقنطاريات تحطمت والسيوف تكسرت والدماء انسكبت والارواح سلبت والروم والافرنج باختلاف لغاتها تجاوبت والمواكب من جميع الجهات قد تفرقت والقتلى قد صارت أكداس أكداس وضاقت في ذلك اليوم الانفاس وزاد الامر عن حد القياس وكثر الخطب والبأس وزاد عليهم الوسواس وعاد من كثرة الغبار كالاغلاس وبطلت من الرجال الحواس ولمع السيف في العجاج كالمقباس وأشعلت نار الحرب واشتد بالناس الخطب وزاد البلاء والكرب وكان ذلك اليوم يوم صعب عم الناس فيه الطعن والضرب من الشرق الى الغرب وغنت السيوف في الرقاب ووقع الضرب خطأ وصواب وقطعت الاعصاب ونزل على الطائفتين في ذلك اليوم العذاب وسكروا من غير شرب شراب وما ولى النهار وأقبل الغلس وما بقي أحد من الفريقين نفس بل ضاع رسم الشجاع واندرس ونظر ملك الموت في وجوههم وعبس وما شفي ذلك اليوم الا غليل الا فارس عبس الادهم وطرازها المعلم ولما رأت عشائر الاندلس منه ما حل بها من النقم صاحوا يا للمسيح من قوة هذا الجبار الذي قتل ملكنا وتركه ممدود

في القفار ثم قالوا لبعضهم وحق المسيح ان هذا ما هو انسان وانما هو شيطان أو عفريت من عفاريت الجان فيا ويلكم اهربوا والا افناكم بسيفه والسنان ويلحقكم ملككم الكبير وولده عنان وقد رأيتم ما فعل بالملك من العبر وما هذه فعال بشر وحق المسيح ومزماردا واذا لم تهجوا من بين يديه في القفار والا ما يبقى منكم ديار ولا نافخ نار ثم انهم نادوا على بعضهم بالهرب قبل أن يجد خلفكم في الطلب لانه اذا تبعكم لا يخلى منهم لا رأس ولا ذنب فعند ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فتبعوهم عشائر الروم الى آخر النهار ورجعوا من خلفهم وأخذوا المال والخيام والانعام وجمعوا الخيل الشاردة من تلك البرور والآكام ولما رجعوا واجتمعوا على بعضهم البعض ترجلوا كلهم الى وجه الارض وقبلوا يدين أبا الفوارس عنتر فقبل صدورهم وبين أعينهم وقد فرحوا ودقوا الناقوس وتباشرت بذلك الرهبان والقسوس وبعد ذلك تشاوروا هل يرجعون الى منازلهم والديار والا يسير والى مدينة الاندلس وتلك الجزائر والبحار ويملكوا ما حولها من البلاد والامصار فاتفق رأيهم على المسير الى مدينة الاندلس يملكوها وكل العشائر التي تعصى عليهم يملكوها فعند ذلك استراحوا في ذلك المقام عشرة ايام وبعدها ساروا في تلك القفار طالبين جزائر الاندلس وتلك الديار (قال الراوي) هذا ما جرى لهؤلاء وما صار (وأما) ما كان من المنهزمين فانهم لما وصلوا الى الديار وهم مشققين الثياب متقطعين حايرين يبكون بذلة وانتحاب وهم في البراري متفرقين من عشرة وعشرين فلما وصلوا الى بلادهم أعلنوا بالويل والثبور وعظائم الامور فلما سمع أهل المدينة ذلك النداء وشاع بينهم ذلك القيل والقال فاجتمعوا اليهم وسألوهم عن سبب ذلك التنكيل وأين ملككم جنطيائيل فقالوا نحن نخبركم بالحال فقد فنيت الرجال وقتلت الابطال ولا بقي حال من الاحوال فقالوا لهم من فعل بكم هذه الفعال فقالوا فارس يسمى عنتر وهو لون القطران وهو شيطان في صورة انسان وشجيع ما يلتقي مثله في هذا الزمان فانه أول ما لاقى ملكنا جنطيائيل فقتل من تحته الفيل وتركه مجندل على الارض عفير وقتل بعده ثانيا الملك جنطيائيل وضربه على وسطه بسيفه الصقيل جعله على الارض شطرين وأرماه في وسط القفار دلوين قال فلما سمع المقيمون من المنهزمين ذلك الكلام قالوا لهم كيف جرت عليكم هذه الاحكام لانكم رحتم بعشائر عدد ورق الاشجار ومعكم الملك جنطيائيل الذي هو سلطان الاقطار ورجعتم وهذا الحال حالكم وقد حل بكم الدمار فحكوا لهم كيف جرت عليهم هذه الاحكام ولم يزالوا حتى وصلوا الى الملك عبد المسيح ولد جنطيائيل وأعلموه بالخبر ففاق لذلك وتحير ثم سألهم عما جرى لهم وما حل بهم ونالهم وذكروا له كيف قتل أباه عنتر وكيف أفنى من كان معه من تلك العشائر فقال لهم البطريق من الذي فعل بكم هذه الفعال وأحل بكم الهوان هل بعلم سحر أو معه مردة من مردة الجان فقالوا له وحق المسيح ما قاتلنا بسحر ولا معه مردة ولا أهلكنا الا بسيفه والسنان ورأينا معه في ركابه اثنان كانهما الجان يضربا بسهام فيخرقا بها الصدور ويقطعا بها النحور ويقلعا العينان وهما دايرين من حواليه بجانب جواده في الميدان فلما سمع الملك ومن حوله من أهل الاندلس ذلك القول تقطعت ظهورهم وحاروا في أمورهم وبعد ذلك استشاروا في شيء يفعلوه هل يقيموا حتى يأتي اليهم أو يمضوا اليه ويقاتلوه ثم قالوا لهم وهذا الاسود ما سمعتم أي شيء في نيته هل هو يرجع الى دياره أو الينا يرحل فقالوا سمعنا انه قاصد الى ديارنا وبلادنا لانه قد أخذه الطمع في عشائرنا وأجنادنا هو ومن معه من العشائر والاجناد والرهبان والقسوس وكوبرت وهرقل في أثرنا راحلين وقد حلف هذا الاسود بدينه والهه الذي يعبده لا بد له من أخذ هذه البلاد ولو أقام عليها عشرة أعوام وبعد ذلك يسير الى البلاد القريبة ويفتحها ويسير بعدها الى الديار المصرية ويملك سائر البلاد وهذه الديار الى أقصى الصعيد وتلك الامصار فقال لهم الملك وهذا الاسود يعبد المسيح ويقول بالدين الصحيح فقالوا له أيها الملك انما هو رجل بدوي من سكان الصحرا والفدافد وما يعبد الا الاله الواحد ويزعم ان ليس له ولد ولا والد فقال لهم وأي شيء حمل هذا الاسود على هذا الشأن هو يريد يعمل ملك أو سلطان حتى انه يملك سائر البلدان وأي شيء يكون لملك قيصر وليس هو من أهل ملته ولا يسجد للصلبان ولا يعبد الصور ولا يزور الكنايس ولا يعتقد في المعبد ولا الديورة ولا الراهب الاكبر فقالوا له وحق المسيح لولا هذا البطل الاسود

ما قدر هرقل ابن الملك قيصر ولا كوبرت الآخر يفتحوا الاقلعة ولا بلاد ولا كانوا ملكوا جزيرة من هذه الجزائر ولا قدروا على ملك من هذه الملوك الاكابر وما كانوا قدروا على هذه الامور ولو أقاموا عليها أعمار النسور وحق الانجيل والسيدة أم النور والراهب صافور وكنيسة الزرزور لوان هذا الاسود عندنا وفعل معنا هذه الاشياء لكنا ملكناه سائر الدنيا ثم انهم قالوا الآن خذوا حذركم والا تروه قريبا عندكم يبيد أقصاكم وأدناكم ويقتل رجالكم ويجعل فناكم (قال الراوي) فلما سمع الملك عبد المسيح ذلك الكلام ضاق صدره وحار في أمره وزاد فكره وفي عاجل الحال أمر باحضار أكابر دولته ورؤس مملكته وسائر وزرائه ورهبانه وقساقسته وقال لهم ان أبي قد ولاني عليكم برضاكم وانتم تعرفوا أن لا أولى عليكم الا ما يكون من أمركم ورضاكم وانتم الآن لامري سامعين وعلى ما آمركم به لقولي طائعين فماذا تكونوا به علي مشيرين (قال الراوي) فعند ذلك ماجوا في بعضهم البعض وأطرقوا رؤسهم ساعة الى الارض وقالوا كلهم عن لسان واحد ها نحن بين يديك بجمعنا وأنت ملكنا وابن ملكنا ومهما أمرتنا به امتثلناه ولو أمرتنا نخوض البحار لخضناها فقال لهم أنتم تعلموا أن هذا الاسود قتل الملك الاليمان وابنه سرجوان وكيف اتفقت له هذه الامور وفتح جزيرة البلور وكيف ملك جزيرة الواحات وقتل الملك صافات وقتل ابن الدير والشاهد وكان ربه على ذلك كله مساعد وبعد ذلك أرسل أبي ذلك الجيش مع أخي عنان فأهلكه هذا الاسود في الميدان وأفنى جيوشه ومن معه من الفرسان وبعد ذلك سار اليه أبي جنطيائيل فقتله وقتل فيله وأحل بهم العذاب الوبيل وأخبرونا الذين كانوا حاضرين أنه من فرط ضربه جعله على الارض قطعتين وسار في عاجل الحال دلوين ولولا عناية المسيح مع هذا الفارس الاسود ما كان قتل كل هذه الملوك وختم بابي المسدد ولا كان فتح لا قلعة ولا بلد واني قد عولت أن أفعل أمرا فلا تهملوه وشاوروا أنفسكم ان رأيتموه صواب افعلوه وان كنتم ما تروه لائق لا تفعلوه فقالوا أخبرنا أيها الملك ما هو فقال لهم قد عولت على مصالحته واترك قتاله ومعالجته ونرده بالحسنى عن بلادنا لا يهلك عشائرنا وأجنادنا ويحاصرنا ويملك بلادنا فقالوا له أيها الملك لقد قلت بالصواب وأتيت بأمر لا يعاب فاننا وحق المسيح وما مسح الذبيح والمذبح كنا خائفين من هذا الاسود وشره لا يدوس بلادنا فقالوا له أيها الملك هذا رأى سديد قال ولما دار بينهم الكلام بهذه العبارة فرحت سائر الرهبان وفي ساعة الحال دقت الكؤسات وجهزوا الاقامات والعلوفات وأقاموا على هذه الحالات ينتظروا ما يأتي من تلك الاشارات الى ان كان يوم من بعض الايام وهم على ما هم عليه من الاتفاق واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وبعد ساعة انكشف وبان للناظرين واذا ببريق زرد ولمعان خود وعشائر ما لكثرتها عدد ولم يزالوا في سيرهم الى أن أشرفوا على البلاد وقد أقبلت تلك العشائر كانها الجراد يقدمها فارس عبس عنتر بن شداد وتلك الفوارس سائرة كانها العرائس المجلية وعلى رؤسهم البيارق والصناجق القسطنطونية فعند ذلك دقت الطبول الرومية ونعرت البوقات النصرانية ولمعت الاسنة على رؤس القنطاريات وخفقت البنود والرايات وأضاءت الطوارق ولعبت الارياح في الاعلام والبيارق (قال الراوي) وأقبل الامير عنتر بن شداد في مقدمة تلك العشائر كأنه برج مشيد أو جبل قد تسربل بالحديد غائص في ثياب الزرد النضيد وهو متقلد بالصمصام الابتر معتقل برمحه الكعوب الاسمر راكب على ظهر حصانه الابجر وشيبوب وولده الخذروف في ركابه كانهما ذكرا نعام وكل واحد منهما كانه أسد ضرغام والى جانبه اليمين هرقل ابن الملك قيصر والملك كوبرت الى جانبه الايسر ولما رأت أهل مدينة الاندلس الى ذلك الحال قالوا لملكهم عبد المسيح الصلح هو غاية الآمال فقد زال عن قلوبنا الهم والوبال فعند ذلك خرج الملك من المدينة الى ملاقاتهم هو وأرباب دولته وبين يديه رهبانه وقساقسته وفتح باب البلد من وقته وساعته وخرج لاستقبالهم البترك الكبير والراهب الذي يسمونه صنافير ولا بقي شماس ولا مطران الا وخرج ذلك اليوم من أجل ذلك الشان (قال) فهنالك دقت كاسات الفرح والمسرات بالصلح والبشارات ونعرت البوقات ورفرفت على رأس الملك الاعلام والرايات وفتحت سائر أبواب البلد وقد آمنوا على أنفسهم

وأخرجوا المألوفات والزاد والشيء الفاخر من أطعمة تلك البلاد (قال الراوي) هذا وقد ترجل الملك عبد المسيح
من وقته وساعته وترجلت بين يديه أكابر دولته ورهبانه وقساقسته وسعى على قدميه نحو ابن الملك قيصر
فعند ذلك ترجل هرقل وكذلك أبو الفوارس عنتر وترجل معهم كوبرت الآخر فعند ذلك تقدم الملك عبد المسيح
الى الامير عنتر وقبل يديه فقبل عنتر صدره وبين عينيه وكانت قد نصبت لهم الخيام فنزلوا فيها واستقر بهم
المقام وأكلوا ما راج من الطعام ولم يزالوا الى أن فرغوا من ذلك الاهتمام فاستأذنهم الملك عبد المسيح في
دخولهم البلد وكان ذلك طلبا للراحة من الهم والنكد ففرح هرقل وانشرح وزالت عن قلبه الهموم والترح
وكذلك كوبرت الآخر فرح فرحا شديد وقالوا كلما نحن فيه من سعادة عنتر الفارس الصنديد وكان فرحهم
الذي أطاعهم ملك الاندلس من غير قتال ولا حرب ولا نزال هذا وقد أدخلهم الملك الى البلد على حسب
الطاعات وأنزلهم في القصور والقاعات وقدم لهم السماطات وعليها من أنخر الطعامات وزادت
بينهم الافراح والمسرات وقد أتت الخدام بالمأكول والمشروب في أواني الذهب والفضة والجواهر والمعادن
التي نورها قد أضاء وفيها من سائر ألوان الطعام فأكل منه الخاص والعام وبعد ذلك قدموا آنية المدام
ودارت عليهم بالكاس والجام وكانوا قبل ذلك قد أخلوا لعنتر وكوبرت وهرقل بن الملك قيصر ومن معهم من
أكابر العشائر دارا عظيمة واسعة البناء شاهقة في الهواء هذا وقد أقام لهم الملك من عنده رجال يحفظون لهم
خيامهم وما فيها من الاثاث والانقال ولما أخلا لهم الملك تلك الدار وكان السعد بها قد دار فأمر الخدام أن
ينقلوا اليها من الفرش شيء ما عليه من الزينة والديباج والستور الحرير والتخوت والكراسي والاسر والاواني
وغيرها مما يقوم عليه عشرين الف دينار وأكثر من ذلك المقدار وبعد ذلك لما استقر بهم المقام وقد أكثر
لهم من جزيل الانعام وبقى الملك كل يوم يركب ويركبوا معه تلك الجماعة ويفرجهم على مدينة الاندلس وما
حولها من بساتينها وأشجارها وأثمارها وجريان أنهارها ولم يزالوا يخرجوا من مكان ويدخلوا الى مكان
الى أن أدخلهم الى بستان عظيم القدر والشان ما مثله في سائر الاقاليم كأنه جنة النعيم فيها أنهار جاريات
وأشجار باسقات وأطيار زاعقات تسبح رب الارض والسموات وقد اجتمع في ذلك البستان من غرائب
الصفات ولو شرحنا وصف ذلك البستان لطال الامر وكل اللسان ومن التطويل كلت الهمم (قال الراوي)
فتعجب الملك هرقل وعنتر وكربوت ومن معهم في ذلك المقام حضر من ذلك القصر والبستان الذي ما يجتمع
فيه الا كل حبيب لانهم ما شاهدوا مثله هذا وقد أجلسهم الملك عبد المسيح في مكان عال فيه لواوين وشاذروان
وهو قصر عظيم ما يوجد مثله في ذلك الزمان منظم بانواع الفصوص الملونه الغالية الاثمان وهو ما بين فروشات
مطرزات ومساند محشو بريش النعام وأجلس هرقل في الصدر كأنه بينهم عظيم المقدار وجلس عنتر بجانبه
اليمين وجلس كوبرت بجانبه اليسار هذا وقد أمر الملك بمد السماط ووضعوا فيه من سائر الطعامات المفتخرات
ومن سائر أصناف الحلويات وتقدم الامير عنتر وأكل من ذلك الطعام الذي ما رأى مثله الا عند كسرى وقيصر
وبعد أن فرغوا من أكل الطعام قدم اليهم آنية المدام ودارت عليهم الكاسات والطاسات وطابت لهم
الاوقات وانبسطت السادات وما بقوا يعرفوا هم في أرض أم في سموات وغابت عقولهم عن ادراك
الموجودات ولم يزالوا على تلك الحالات مدة ستة أيام متواليات وبعد ذلك قام ملك الاندلس وخدم ودعا
لابن الملك قيصر بدوام دولته والنعم وسأله أن يقدر عليه خراج في كل عام يحملوا اليه بالرضا والاكرام ولم
يزالوا على ذلك مدة شهرين تمام وبعد ذلك أحضر لهم الهدايا والانعام من تحف تلك البلاد العظام وأعطاهم
أموال ما تأكلها النيران فشكروه على نعاله وزادوا له من الثناء والاحسان وأرادوا أن يعودوا الى ديارهم
والاوطان فقد طالت غيبتهم عن الاهل والخلان فقال لهم الملك عبد المسيح أيها الملك الجليل أريد من
احسانكم أن تصبروا على قليل حتى انني أكاتب ملوك البلاد التي تحت طاعتنا ونعصر من يطيعنا ومن هو
الذي يعصي علينا فمن أطاع فله ما لنا وعليه ما علينا ومن عصى أعلمنا كم فافعلوا فيه ما أردتم حتى يحمل الخراج
الينا قال فلما سمعوا منه هذا الكلام أطاعوه وسمعوا القوله وأقاموا الليالي والايام وقد فرح هرقل بما ملك من

تلك البلاد والجزائر وعلم أن هذا كله بسعادة عنتر الاسد الكاسر هذا وقد كتب الملك عبد المسيح الى سائر
الجزائر والبلاد المغربيه والاقاليم البحريه القصيه منها والدنيه وهو يعلمهم بما جرى من الخبر وانهم دخلوا
تحت طاعة الملك قيصر وسارت بالكتب القساقسة والرهبان لانهم عند الافرنج عظماء الشان فلم تكن الا
مدة ليلة من الزمان حتى أطاع وأجاب صاحب برقا وصاحب تونس والقيروان وكذلك هرمس صاحب
سكندريه وحاكم الديار المصريه وكان أول من أقبل صاحب برقا ميخائيل بالطبول والاعلام والصناجيق
والصلبان فتلقوه وبجلوه وأنزلوه وأكرموه غاية الاكرام وأتى بعده الملكين صاحب تونس وصاحب
القيروان بالطبول والزمور والكؤسات والبوقات فأنزلهم صاحب الاندلس بأعلا مكان وقد فرحوا
جميعهم بهذا الشان وكان اسم صاحب تونس مطروس واسم صاحب القيروان كردوس ولم يلبثوا الا قليل
حتى أقبل صاحب سكندريه وكان يحكم على الديار المصريه وكان اسمه هرمس بن المرنوس وكان له ولد يسمى
المقوقس وقد أتى طاعة العبد المسيح بن جنطيائيل وأيضا الى هرقل الملك النبيل وكان سبب طاعتهم لما سمعوا
ما فعل عنتر بالملك جنطيائيل وكيف قتله وقتل فيله وكسر عساكره وفعل بهم ذلك الفعل الوبيل (قال
الراوي) وهؤلاء الملوك الذين ذكرناهم هم الذين أجابوا الى طاعته والباقي عصوا عليه وعولوا على مخالفته
وقد طمعوا في مملكته هذا وقد فرحت الملوك باجابتهم الى بعضهم البعض وماجت الشعائر التي أتت معهم
حتى ملؤا تلك الارض ودقوا الطبول والكؤسات وزمرت البوقات والزمور وفرحوا بهذا الامر الملوك
والسادات وقد ذكرنا أن هؤلاء ما أتوا الا خوفا من عنتر بن شداد الذي اشتهرت شجاعته في سائر البلاد
وكيف علا على الشجعان وساد وسمعوا ما فعل بالملك جنطيائيل وقالوا لولا أن هذا الشيطان عظيم وشجاع جسيم
ما كان قدر على هذه الاقاليم وخافوا منه على بلادهم وأن يسبي نساءهم ويأخذ أموالهم وأولادهم وتعجبوا
أيضا كيف ملك جزائر الواحات وقتل الملك صافات فأتوا اليه خوفا من هذه النكبات ودفعوا عنهم بالصلح
هذه النائبات واتفقوا على وزن المال وبعد ذلك قدموا الطعامات المفتخرات وجلست الملوك والسادات
وبعد المدام والاباريق والطاسات وهم في فرح ومسرات والامير عنتر طالت به الغيبات فصار يتحسر
حسرات متتابعات ويتمنى الرجوع الى بلاد الشام هذا وهم في غاية الاكرام مدة عشرين يوم على التمام
وكانوا هؤلاء قد أتوا ومعهم الاموال والانعام شيء ما تأكله النيران من قماش اسكندراني وتفاصيل مصري
وأيضا أتى من تحف القيروان وبرقا وتونس وسائر البلدان وبعد ذلك حلف عليهم صاحب برقا الملك ميخائيل
ابن مكحول أن يأخذهم معه الى دياره ويتشرف بخدمتهم بنفسه فأجابوه الجميع بالسمع والطاعة ولم يتأخر
أحد من الجماعة وساروا معه من تلك الساعة وفي مقدمتهم الامير عنتر على ظهر جواده الابجر وقد ضاق
لطول غيبته صدره وحار في أمره وشيبوب والخذروف بين يديه والى جانبه الملك عبد المسيح وقد أحبه حبا
شديد وصار ينادمه ويسأله عن أهله وبلاده وهو يحكي له على ما جرى له وهو يتعجب من أحواله والى جانبه
الملك هرقل بن قيصر والى جانبه الملك كوبرت وهو كأنه الاسد القسور وهو يقول وحق خالق العباد كل ما
فتح انا من البلاد بسعادة أبي الفوارس الامير عنتر بن شداد الذي كأنه نار خرجت من زناد (قال الراوي) ولم
يزالوا سائرين الى ان قربوا من مدينة برقا فلاقتهم أهل المدينة بالفرح والمسرات ودقت الطبول بالفرح
والبشارات وانتشرت على رؤسهم الاعلام والرايات وكان لدخولهم يوم ما رأوا مثله في هذا الزمان وطلعت
أهل المدينة ومن حولها من البلاد الى ملتقاهم والفرجة عليهم وقد تجمعوا من سائر الجزائر والوهاد وأدخلوه
في زينة ما فرح بها ابن شداد عاد وزينت المدينة بالزينة الفاخرة وقد ترجل ملك المدينة ميخائيل وسار ماشي
في ركاب عنتر وأراد أن يقبل في الركاب قدميه فاستحى عنتر ورمى روحه عليه وكذلك فعل هرقل وكوبرت
وترجلوا كلهم اليه ومشوا الجميع حواليه حتى وصلوا الى مرج فائح لزهر في جنباته قد فتح وزاد فيه انحدار
الانهار وتزاعقت الاطيار على سائر الاشجار وهذا البستان ما كأنه الا روضة من رياض الجنان وجلس
عنتر وهرقل وكوبرت في صدر المجلس وجلسوا الملوك عن أيمانهم وشمالهم وهم ينظروا ويتأملون عنتر بن

شداد ويتعاينوا حسن أوصافه ويتعجبون من خلقته وغلاظ سواعده وكبر أطرافه ويتميزوا الى أعطافه ويناد موه ويستحكوا منه ما جرى له وهو يحكى لهم ما كان من مبتداه وما اتفق له فى منشاه (قال) وقد أمر الملك ميخائيل بمد السماطات فمدوها وأتوا بالطعامات ووضعوها عليها وكان لحومها من سائر الوحوش والاطيار مما يحير النظار وقد وضعوا فيها من جميع الالوان وهى فى أوانى الفضة والذهب فتقدموا وأكلوا هذا وعنتر قد أكل من ذلك الطعام وتلك الالوان التى هى الذمن العافية فى الابدان وهو قد برك على ركبتيه وأطرق الى الارض بعينيه وصار يكمش بالخمسة ويدفع بالراحة ولا يحرك فيه وقد أكلت الملوك والوزراء وسائر الاكابر والامراء وقد أكل من ذلك الطعام الخاص والعام وبعد ان اكتفوا من ذلك رفعوا أيديهم من الموائد بعدما أكل منهم القائم والقاعد وبعد ذلك دخلوا أولاد البطارقة بآنية المدام فى طشوت الذهب وأوانى الفضة وأقداح البلور العظام وأباريق المعادن المدمكة التى ما توجد عند أحد غيرهم من الانام وصبوا الخمر فى الكؤس كانه اللهيب يحاكى وجنات الحبيب وتجاذبت الملاهى من سائر الجنبات ودارت أقداح الشراب والكاسات حتى خامرت الخمرة العقول ووجد سرور وليس له محصول الا عنتر فانه كان فى ذلك الحال وهو ما ينظر ذلك النعيم الا خيال لان جسمه حاضر وقلبه غائب فى الديار والاطلال وشوقه الى عبلة قد طال هذا والملوك تباسطه وتمازجه وتحسن وداده ولم يزالوا فى بسط وانشراح ودوران كاسات الراح مدة عشرة أيام على التمام والملك ميخائيل يزيد لهم فى الاكرام فعند ذلك قامت الملوك على الاقدام وشكر والملك ميخائيل على هذا الاكرام وقام من بينهم صاحب تونس الملك المطروس وقال أشتهى أن تشرفوا أرضى بوطئ أقدامكم وأن تجبروا خاطرى وتأكلوا ضيافتى فيسيروا معه الى تونس ويقيموا عنده عشرة أيام وهم فى أعظم ما يكون من الانعام والاكرام وصاحب تونس أفرح الخلق بالامير عنتر ومن صحبه من الملوك (قال الراوى) ولما كان فى اليوم الحادى عشر قام ملك القيروان على الاقدام ووقف قدام الملوك وترجم وتكلم وقرر عليه حمل فى كل عام بعد أن يمضوا الى دياره ويأكلوا ضيافته ويجبروا خاطره كما فعلوا مع اخوته (قال الراوى) فلما سمعت الملوك هذا الكلام قاموا الكل على الاقدام وأجابوه الى ما أراد فأقبل هرقل بن الملك قيصر على أبى الفوارس عنتر وقال له يا فارس عدنان قد بعدت عليك الاوطان وان كنت أنت تحب عبلة وفى حبها ولهان فأنا الآخر زائد الاشجان ومنطلق فى قلبى أشقة النيران وقد زاد بى الغرام لاجل الملكة مريمان والى رؤية ديارها والاوطان ولكن يا أبا الفوارس لو أعطيناك كلما تملك من مال ونوال ما جازيناك على بعض ما فعلته معنا من الفعال وكل طاعة هذه الملوك لنا من جملة سعادتك والاقبال وان من تمام جميلك والاحسان دعنا نمضى مع هذا الملك الى مدينة القيروان ونرجع بعد ذلك نسير الى ديارنا والاوطان فقال عنتر مهما تقوله يا ملك كان (قال الراوى) ولما فرغوا مما كانوا فيه من ذلك الامر والشان ركبوا وساروا فى صحبة الملك كردوس صاحب القيروان ولما تكامل سيرهم سبعة أيام وصلوا الى القيروان ودخلوا المدينة وأجلسهم الملك بقصر دار المملكة وأقاموا عنده أيام وهم فى أعظم ما يكون من الاكرام ولو شرحنا ذلك لطال الكلام وبعد ذلك أقام هرمس ملك اسكندرية والحاكم على الديار المصرية وقال لهم يا معاشر الملوك وسائر الاكابر والاصاغر ما بقى الا أنا كم هرمس يريد من احسانكم وانعامكم ان تشرفون ابلاده بوطئ أقدامكم لعلى أحظى بخدمتكم ويكون ذلك من تفضلاتكم ونعمكم وأفرح فارس عبس وعدنان على مدينة سكندرية وما حولها من البلدان فأجابوه الجميع الى ذلك ثم انهم جهزوا المراكب وزينوها بالبيارق والصناجق والبنود هذا وعنتر قد كره الحياة وبغض دنياه حيث أبعده هذا البعد عن محبوبته عبلة وصار فى قلبه من ذلك دبلة هذا وهرقل وكوبرت وسائر الملوك يشكروه ويثنوا عليه وشيبوب والخذروف واقفين بين يديه وقد نزلوا بتلك المراكب ولم يتأخر من أجناد الملوك لا قسيس ولا راهب ولم يزالوا سائرين بهم الرؤساء حتى أشرفوا على مدينة سكندرية هذا وقد علم بهم نائب المدينة فخرج الى لقائهم وخرجت البنات من خباها وماجت المدينة بأسرها وكان لقدومهم يوم مشهود وزينت البلد بالاعلام والبنود ونعرت البوقات ودقت الكؤسات وخفقت على رؤسهم الصناجق والرايات وقد

طلعت الملوك من المراكب وهم كتائب ومواكب يقدمهم أبو الفوارس عنتر وعن يمينه هرقل ابن الملك قيصر بوجه مثل دائرة القمر وصارت أهل الاسكندرية وتلك البلاد يتعجبون من هيبة عنتر وغلاظه وطول قامته وانزعاج عينيه وهول منظره وكبر هامته هذا وقد مسك صاحب اسكندرية يد أبى الفوارس عنتر وجعل يده الاخرى فى يد ابن الملك قيصر ثم تقدم الملك هرمس بين أبطاله ورجاله وعنتر عن يمينه وهرقل عن شماله وعبد المسيح أمامه وبقية الملوك ماشيين وراءه وقدامه وهم يشقون الاسواق والحارات وأهل البلد قد علت منهم الزعقات وأكثروا من الصياح والضجات والناس قد صاروا من أعالى الاسوار والاسطحة والحيطان يتفرجون على شجيع عبس وعدنان وفارس العصر والاوان هذا وعنتر يدور بعينه فى مدينة اسكندرية فرآها كأنها النجمة المضيئة بحيطان وقصور وأبراج ولم يزل الملك هرمس حتى وصل الى قصر المملكة فرأوه قصر عظيم ما مثله فى سائر الاقاليم وهو يشرف على البحر والجزيرة ولما رأوه لحقهم من رؤيته الانبهار والحيرة لانهم نظروا الى قصر من عرعر مصفحة بالذهب الاحمر مطعمة بسائر المعادن من الزمرد والياقوت وقضبان المرجان وفصوص الجوهر ونظروا فيه الى أربع قاعات عظيمة مرخمة فى كل قاعة ستة عشر أبواب متقابلة بعضها وقناطرها معقودة مقسومة وبين الكل فساقى وشاذروانات يتحدر منها الماء كأنه الغدران وبدائرهم سباحات من رخام مطعم من سائر الالوان شئ قائم وشئ نائم وقد أوصلوا الى نصف البنيان وألوانه مختلفة شئ أخضر مسنى وشئ أحمر عندمى وشئ أسود سجى وشئ أبيض لجى ما مثله فى سائر الوديان ودائر على تلك البركة عشر مناطق طيور مسموعة والقلب الى سماعها يرتاح وهى زاعقة متجاوبة بأعظم الصياح قال ولما رأى عنتر الى ذلك تعجب ومن منادمة الطيور أخذه الفرح والطرب هذا والملك هرمس قد أجلسهم على تلك الاسرة العاليات والمقاعد المرتفعات بعدما خلع عليهم الخلع الغاليات من القماش الاسكندرى والشقق المذهبات وقد أجلس عنتر وهرقل وكوبرت فى صدر تلك الاسادات والملوك عن أيمانهم وشمائلهم فى تلك الحضرات ثم أمر بمد السماطات فوضعت بين يدين تلك الملوك والسادات وعليها ما يكون من أفخر الطعامات وهى من سائر الطيور والمأكولات من الدجاج المبثن والاوز الملاح العظيمات ومن سائر لحوم الوحوش البريات والغزلان فأكلت الناس من تلك الاطعمة المختلفات هذا وعنتر لما نظر الى تلك الاطعمة الشهيات جعل يأكل لقم كبارها ئلات وقد طاب له ذلك الطعام لانه ما أكل مثله الا عند كسرى وقيصر ملك الاروام ولم يزالوا الناس على ذلك الحال حتى اكتفوا واشتال الطعام وبعد ذلك أتوا بآنية المدام فى السلاحيات العظام وصارت الكاسات عليهم دائرات وغنت المطربات ورقصت الجنكيات من عظم الفرح والمسرات ولم يزالوا على تلك الحالات أربعة وعشرين يوم متواليات وهم فى كرامات زائدات قال ثم بعد ذلك طلبوا الاذن فى الرواح والعودة الى البلاد بعد أن رتب عليهم الامير عنتر الخراج والعداد وذلك برضاه كما اشتهى وأراد فعند ذلك قدم الملك هرمس لعنتر مائة رأس من الخيول الجنائب ما تقدر ترفع رؤسها مما عليها من الآلات والمواكب والدروع والقباب والقنطاريات والقواضب وعشرين من البغال الغوال على كل بغل صندوقين مال والبعض منها قماش مصرى وتحف سكندرى غوال وقال هذه هدية منى لابى الفوارس عنتر وأما حمل الخراج يكون للملك قيصر فحلف هرقل أنه لا يأخذ منه مال ذلك العام الا يكون كله لعنتر على التمام فقال الملك هرمس سمعا وطاعة ولكن لابد ان تأخذ للملك الكبير شئ يسر به الفؤاد وهذا يكون خارجا عن الخراج والعداد الذى رسم به الامير عنتر بن شداد هذا وسائر الملوك يهدوا الى عنتر كما انهم يهدوا الى هرقل بن الملك قيصر ومنهم من أهدى له شئ كثير وبعد ذلك أقبل هرمس ملك سكندرية وقال لعنتر يا فارس العرب القصية والدنية ما نقيم عندنا فى هذه الديار المصرية وأنا أرسل رجال يأتون بزوجتك وسائر بنى عمك وتسكن فى بلدنا وان أردت زوجتك أخت المقوقس ابنتى وأقاسمك فى مملكتى وأسلمك جميع نعمتى فقال له عنتر أيها الملك دامت نعمتك ويسلم لك المقوقس ابنتك وانما تعودنا نحن على سكن البلدان ولا نأوى جدران ولا حيطان ولا نسكن الا فى البرارى والقيعان وتعيش أنت وتبقى يا ملك الزمان قال فبينما هم فى ذلك الكلام

وإذا برسول قد دخل عليهم وقبل الأرض وابتدى بالسلام وقال له أيها الملك المفضال اعتد للحرب والقتال واجمع ما عندك من العشائر والرجال فقال وما ذلك أخبرنا من قد طلبنا من الملوك الثقال وعندنا فارس عبس الأسد الرئبال الذي ما تقدر تقابله أسود الدحال وكان هذا البطريق من خواص الملك هرمس فقال له اعلم أنه قصدنا الحكيم الملك كندريوس صاحب البهنسا ابن كرماس قال وكان السبب في ذلك أننا كنا قدمنا في هذا الديوان بأن هذا كندريوس بن كرماس صاحب البهنسا والملك سندارس صاحب اهناس كانا الاثنان أولاد عم الملك جنطيانيل صاحب الفيل وذكرنا أنه أرسل ابن عمه عدنان وبان غباره لعنتر وهرقل في الميدان وأخبر هرقل لعنتر فارس عدنان بأن ابن عمه كندريوس بن كرماس صاحب البهنسا واهناس وقال عنتر لهرقل أنت أمه وأنت أولاد عمه وبعد ذلك طيب قلوبهم عنتر ووعدهم بكسر ذلك الجيش ثم أنه بعد كسرهم وأحل بهم الهوان بعد أن قتل بن الملك جنطيانيل في ذلك الجيش وهو المسمى بعثمان وبعد ذلك سار اليه أبوه الملك جنطيانيل في ذلك الجيش الثقيل فقتله وقتل فيله وانهزمت عشائره في ذلك البر الفسيح وأتوا الى ابن ملكهم هذا عبد المسيح وأخبروه بما كان من ذلك الأمر الصحيح وبعد ذلك صالح عبد المسيح لعنتر واستقال من قتاله واستعذر وكذلك كوبرت وهرقل بن الملك قيصر وأرادوا الرجوع هم وعنتر بن شداد فأعاقهم عبد المسيح وقال حتى أعلم أمر ما تحت يدي من البلاد وكان مراده أن يثبت قواعد ملكه ومن لا يطيعه يسير اليه عنتر ويهلكه فأجابوه هؤلاء الملوك الكبار الذين يحكمون على تلك الأقاليم والأمصار ففرح عبد المسيح فرح عظيم بإجابة ملوك تلك الأقاليم والأمصار وكانوا كلهم بواسطة عنتر قد أجابوه ودخلوا تحت طاعته وصاروا يسيرون الى ملك بعد ملك ويأكلون ضيافته فلما سمع هذا كندريوس صاحب البهنسا صعب عليه وقامت في أم رأسه مقل عينيه وقام وقعد وأرغى وأزبد وكفر بالمعبود وجحد بالصور المصورة في الحيطان وجد وكان في نفسه شيطان مريد وجبار عنيد وكان يحكم على بلاد كثيرة من أرض الصعيد وما كان يبارز فارس قط في ميدانه إلا ويخطفه من على ظهر حصانه لأنه علج عظيم وفارس بجاح وكان يقاتل بسائر السلاح وما قهر قط في زمانه ولا أخذه أحد في ميدانه لأنه كان من نسل العمالقة الطوال وكان أشجع من جنطيانيل في القتال وأثبت عند الطعن والنزال وكان عارفا أيضا برمي السهام وأثبت أهل ذلك الزمان في ضرب الحسام وكانت تخافه سائر ملوك الصعيد ويخشاه القريب منهم والبعيد وكان يحكم على حد اخميم واسوان والى النوبة والحجاز وتلك الفلاة والبيد (قال الراوي) وأنه لما سمع بما فعله ابن عمه عبد المسيح وبزعمه رأى أن تلك الفعال أمر قبيح فجمع وزراءه وبطارقته وأمراءه وأكابر دولته وقال لهم أما ترون الى ما فعل ابن عمي عبد المسيح وكيف صالح هذا الأسود الذي يسمى عنتر وبأنه من قتاله يستريح وما كفاه ما لحقه من العار في سائر البلاد حتى أرسل الي يطلب مني الخراج والعداد وأن أباه ما كانت الملوك تطيعه وتزن اليه المال إلا أنهم كانوا يخافون من سطوتي في الحرب والقتال ولما سمعوا أنه قتل وحلت به الرزيه وكان أرسل الي يستنجدني وكنت أسير اليه وآخذ روحه من بين جنبيه فوا أسفاه على ابن عمي جنطيانيل حيث طلع هذا ابنه عبد المسيح جبان ذليل وإلا لو كان عنده تدبير الملوك وما فعلوه من الأمر المتروك كان أرسل أعلمني بما جرى عليه حتى كنت أسير الى هذا الفارس الأسود وأتجرد لقتاله وقتاله وأفعل به كما فعلت بأمثاله فقالوا له أكابر دولته أيها الملك أن ابن عمك من جبانته ومهانته ومن خوفه من هذا الأسود لا يقتله ويعدمه مهجته فاحتاج أن يداري عن نفسه بوزن المال والخراج عن مملكته فقال لهم إني قد عولت أن أكاتب أهل البر الطويل وأعلم الملوك الذي كانت تحت طاعة عمي جنطيانيل ونجمع لنا جيش كثير ونسير الى عنتر في جحفل كثير ونقتله ونقتل أيضا هرقل وكوبرت الحقير ونفني عشائرهم وأجنادهم وبعد ذلك نسير ونملك بلادهم ونأخذ مدائن الواحات ونخلص ثار الملك صافات وإذا قتلنا عنتر سرنا وملكنا قلعة البلور فقالوا له أيها الملك لقد قلت الصواب وننظر ما يردون الملوك من الجواب قال فعند ذلك كتب كتب كثيرة وأرسلها الى من تحت يده من البلاد وأرسل يطلب منهم العشائر والأجناد قال وكان من جملة ما كاتب تدرس صاحب دهشور وكان بطريقا عظيما وأرسل أيضا الى

سومخال صاحب الأشمونين الشيطان الرجيم وكتب أيضا الى قراقيش والى صاحب اخميم وكتب الى كردوس صاحب اسوان وكتب الى ملك النوبة ومن تحت يده من السودان هذا وقد سمعت أهل الصعيد بقتل جنطيانيل وتولية ابنه عبد المسيح الذي يزعمون أنه ذليل جبان فماجت بهذا الأمر تلك الأرض وكاتبوا بعضهم البعض وقد أتى الملك مكشوح ملك البجاة والملك عفاق ملك النوبة وتلك الفلاة هذا وقد التمت العشائر من سائر البلدان واعتدوا جميعهم بالعدد الكاملة وكان اجتماعهم على أصوان ولما قدمت عشائر النوبة وتلك البلاد وعلى رؤوسهم الخود العادية وبأيديهم الدرق والسيوف المجلية الصقال وقدامهم القساقسة والرهبان وقد رفعوا الصلبان هذا والملك كندريوس قد ركب بينهم كأنه برج مشيد وقد تسربل بالزرد النضيد وقد أكثروا من الزمور والطبول حتى ارتجت بهم الأرض عرضا وطول ولما تقابلت الملوك في تلك الأرض سلموا على بعضهم البعض وأقبلوا على الملك كندريوس وقالوا له وحق المسيح الجليل من يوم هلك الملك جنطيانيل دخل على قلوبنا حزن طويل وما العجب إلا كيف تصادق عبد المسيح هو وعبد أسود وهرقل ابن الملك قيصر ووافقهم أن يوزن لهم الخراج والعداد ويصالحهم على ما له من البلاد فقال لهم خلوا عنكم أنتم ابن عمي عبد المسيح وما فعله من هذا الأمر الذي هو غير صليح فقد صالحوه ملوك الغرب والشرق والجزائر البحرية وكان سبب ذلك ميخائيل صاحب برقا وأيضا صاحب تونس وهرمس ملك اسكندرية والحاكم على الديار المصرية القصية والدنية ومن العجب كيف أطاعه هؤلاء الملوك الثقال بلا حرب ولا قتال وحملوا له الخراج ولم يقع بينهم وبينه احتجاج وقد أرسل أيضا يطلب مني أنا الآخر طاعته وأنا ملوك الأرض تتعلم مني الشجاعة أيظن أني مثله ذليل جبان ولا أثبت للحرب في الميدان فلما سمعت ذلك كاتبتكم وجمعتكم لأجل تسيرون معي اليه كلكم وتقتلوه وتقتلون هذا الأسود معه وتنهبون من الأموال كلما جمعه وأنتم معكم هؤلاء الأفيال وعليها هؤلاء الرجال الأقيال فاستعدوا وسيروا اليهم بجمعكم حتى أجمع بقية من عندي من العشائر وأتبعكم لأنه قيل لي عن هذا الأسود أنه ما يفزع من أحد ولا يهوله من العشائر كثرة العدد وإذا لم نجمع على هذا الشيطان المريد كل من في أرض النوبة وبلاد الصعيد والأمانة للمارد قال فلما سمع الملوك من كندريوس ذلك المقال صغوا اليه وشكروه وأيقنوا ببلوغ المرام ثم أنه أمر بعد ذلك الوقت أن ينتدب عشرين بطريق كل واحد منهم مثل الفتيق وقدم كل واحد منهم على عشرة آلاف ما فيهم من يفزع من الموت ولا يخاف وقدم على الجميع بطريق جبار ما يقع على فروسيته غبار يقال له بواص وكان طاغيا كفور ورفع له صليب من الذهب الأحمر وهو مرصع بالياقوت والجوهر ورفع على رأسه علم من الحرير الأصفر مرقوم فيه صفة الشمس والقمر هذا وقد حمله بالخيام والسرادقات وخفقت على رأسه الأعلام والرايات ودقت الكوسات ونعرت البوقات وأوصاهم أن لا يكونوا فاترين العزمات فأجابوا بالسمع والطاعة وسارت العشائر من تلك الأرض وهي يتلو بعضها بعضا حتى قربوا من الباب الكبير فخرجت اليهم منها البطارقة والأمراء وفي أوائلهم بطريقها وكان اسمه فقريطوش فتلقاهم بالإكرام والإنعام وكان قد خرجت اليهم في جمع كثير من العشائر والجيوش وتجملوا كلهم بالسرادقات والخيام ورفعوا على رؤوسهم الأعلام والرايات وساروا الكل حتى وصلوا الى برنش وأعمالها فخرجت اليهم بطارقتها ورجالها وفي مقدمتها بطريقها الكبير وقد تجمل بالسرادقات والخيام الحرير وسار معهم في عشرة آلاف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس والكل قد استعدوا للقتال والحرب والنزال وقد ملؤوا الدنيا شرقها والغرب وراهم ذلك البطريق الذي قدمنا ذكره في تلك الضجة القوية وأتى وأعلم هرمس ملك اسكندرية قال فلما تكلم ذلك البطريق بذلك الكلام وسمعوه الخاص والعام فرحت الملوك والعشائر بعضهم البعض واضطربت طولا وعرض وقالوا وحق المسيح بن مريم والصليب المفخم ما هذا الأمر عظيم وخطب جسيم حيث جمع كندريوس هذه العشائر وأتى الينا بهذه العساكر وقد غفلنا عنهم حتى تسببت هذه الأسباب وعملوا شيء ما كان لنا فيه حساب وما كان الصواب إهمال أمرهم حتى وصل الينا شرهم ولكن ما بقي إلا مسيرنا اليهم بجمعنا وجيشنا وأجنادنا ونتبعهم ولا ندعهم

يدوسوا أرضنا ومواضعنا قال فلما سمع عنتر ذلك الكلام حلف بمن أرسى الجبال ويعلم كم وزنها مثقال لا سار اليهم أحد من الملوك الثقال ولا سار اليهم الا هو في بعض العشائر والابطال (قال الاصمعي) الان القسيس لما ذكر للملوك ذلك الكلام وحلف عنتر بتلك الاقسام انه لا سار اليهم الا وحده ويلاقي تلك العشائر ويشتتهم في سائر الاراضي والجزائر ويبيد الكل في الميدان فلما سمعوا منه ذلك تعوذوا بالكنائس والصلبان فعند ذلك أقبل عليهم هرمس وقال لعنتر يا أبا الفوارس ان كلامك زادنا الوسواس فلا بد ما يسير معك مائة ألف فارس وأول ما يسير أنا بحشمي وأبطالي وعشائري وأرسل الى مصر أخبر ولدي المقوقس بهذا الخبر وأدعه يرسل لنا جيش ونسير كلنا الى هذا المعجب بنفسه وندعك تقتله وتريحنا من همه وغمه وتفعل به كما فعلت بابن عمه (قال الراوي) وكذلك قال الملكين أصحاب تونس والقيروان وملوك بلاد الغرب وتلك البلدان ووافقهم على ذلك القول ميخائيل صاحب برقاء وكان قد ازداد غيظاً وحنقاً وارتفعت سائر الملوك أن ترسل الرسل الى بلادها وتجمع عشائرها وأجنادها قال فعند ذلك وثب عنتر من بين ذلك الجمع الكثير وقال لهم أي شيء هذا التفسير ولا يسيرون وأنا أسير اليهم ولو انهم بعدد ورق الشجر وقطر المطر وألقاهم بحد هذا الحسام الذكر وأدعهم عبرة لمن اعتبر وتنظر وا من عندكم عنترما يؤرخ منه ويذكر وتتحدث به الناس واذا لم أفرق هذه العشائر القادمة عليكم في البر والفدفد ولا يأمنوا العرب الذين أتى منهم عنتر على طول الابد ثم انه لما فرغ من ذلك الكلام حلف وشدد في الاقسام بمن له البقاء والدوام وخلق سائر الانام لا أقام غير ذلك اليوم تمام ومن الغد يسير الى البهنسا وأهناس ومعهم هذا الجيش وملكهم الذي يسمى كندريوس بن كرماس ويقتله ويقتل بطارقته ورهبانه ويفني عشائره وسائر أعوانه ويقتل أيضا ملك النوبة والبجاة ويشتت شملهم في الفلاة في كل أرض لاني ذكرت لكم قبل هذا الوقت أني معتاد بقتل الاقيال وأرى أمرنا وسفرنا قد طال ومرادي العودة الى الديار والاطلال (قال الراوي) لهذا المقال وكذلك قال كوبرت وهرقل بن قيصر انهم يسير والآخرين في غداة غد فيمن معهم من الجيش وكانت عشائر كوبرت وهرقل معهم وهم لم يفارقوهم فلما حلف عنتر وأجابه كوبرت وابن الملك قيصر فقال عبد المسيح وأنا الآخر أسير فيمن معي من الرجال وأقاتل ابن عمي وأعاون ملوكنا على هذه الاحوال (قال الراوي) وانهم لم يزالوا في قيل وقال الى أن مضى الليل وأتى النهار وأرسلوا الملوك الى بلادهم يأتوا منها بالعشائر والابطال ولما انهم فرغوا مما دار بينهم من الكلام والمقال افتقدت الجيوش عددهم وسلاحهم وأصلحوا سيوفهم ورماحهم وركب قدامهم أبو الفوارس عنتر على صهوة جواده الابجر وتقلد بسيفه الضامي الابتر وأعرضوا عليه جميع الجيش فكانوا مائة ألف وأكثر وأرسل معهم الملك هرمس أيضا عشرين ألف من الابطال المسمية من أهل مصر واسكندرية وقد نشرت على رؤسهم الصناجق والاعلام والرايات والقيصريات والصلبان الاندلسيات وعقد على رأس عنتر صنجق كبير مطرز بالذهب والحرير وسار في همة قوية كأنهم الليوث العوابس وعليهم الدروع الداودية والبيض العادية متقلدين بالسيوف الهندية وخرجوا من مدينة اسكندرية وسارت ملوك العرب لوداعهم وقعدوا ينظروا عشائرهم تأتي من بلادهم ويسيرون اليهم ويكون في أرض الصعيد اجتماعهم ولما خرجوا من اسكندرية واتسعوا في تلك الارض والملوك والكتائب يأتون بعضها لبعض وعنتر بينهم كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل أو بلاء الله اذا انحدر ونزل وهو بالحديد مسربل وشيبوب والخذروف بين يديه سائرين كأنهما ذكر النعام ولم يزالوا يجدوا المسير الى ان وصلوا الى دير هناك في سفح الجبل الآخر يسمى دير المسيح بينما هم سائرين واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وأظلم منه ضوء النهار وبعد ساعة انكشف وتقطع وبان من تحته بريق زرد ولمعان خود كثرتهم ما يحصى لهم عدد وفي الحصر والعيار يزيدون عن ألفين فارس قهار يقدمهم علج غضنفر في عنقه صليب من الذهب الاحمر فلما أشرفوا عليهم طمطموا بالرومية وشتموهم بالافرنجية قال وكانوا هؤلاء طليعة جيش الروم وكانوا قد أرسلوهم قدامهم من أرض الفيوم فلما رأوهم لم يمهلوهم دون أن حملوا عليهم فتلقاهم عنتر وكان قد خرج اليهم يكشف الخبر وهو على ظهر جواده كوكب بن الابجر ونثر جماجمهم بسيفه الضامي

الابتر وكذلك فعل كوبرت الفارس الغضنفر وحلفوا هؤلاء الاثنين لا أحد من الجيش يبرز اليهم دونهم فلم تكن الا ساعة مثل لمح البصر حتى تركوا الالفي فارس عبرة لمن اعتبر وخلوا جماجمهم مثل الاكر فلله در عنتر وما فعل وكم أهلك في ذلك اليوم من علج وبطل وكذلك كوبرت هجم عليهم وتشبه بعنتر وفعل مثل ما فعل وتمكنوا هؤلاء الاثنين في الالفين وحان عليهم الحين وناح عليهم غراب البين وجعل عنتر كل رجل اثنين وعنتر قد التقى ببطريقهم الكبير وهو يصول ويجول وله وجه مثل الغول ومن شدة ما حمل عليه بقي لا يسمع ولا يرى فحمل عليه عنتر وصبر الى ان حاذاه وحك الركاب بالركاب وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه فوقع الى الارض يخور في دمه ويضطرب في عدمه قال ولما نظرت النصارى الى بطريقها قتيل وعلى وجه الارض جديل ولت الادبار وركنت الى الفرار لانهم لم يجدوا لهم على حرب عنتر طاقة ولا لملاقاته استطاقة فأوجعوا في البراري والقيعان وهم يتعوذوا بالكنائس والصلبان ورجع عنتر وكوبرت بعد كسرهم لذلك الجيش وقد ملوا أسلاب القتلا وعاد عنتر الى جيشه وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان فتلقاهما هرقل بن الملك قيصر وأثنى عليهما ورحب بأبي الفوارس عنتر وكذلك فعل عبد المسيح هو وكل من في ذلك المكان حضر وشكره على ذلك الفعل المليح جميع الجيش (قال الراوي) لهذا الخبر هذا ما كان من هؤلاء وما صار لهم من ذلك الامر والخبر المبين (واما) ما كان من المنهزمين فانهم ولوا منكسرين وفي البر مشتتين حتى وصلوا الى ملوكهم ومقدميهم من عشرة وعشرين وأعلموهم بكسرهم وما حل بهم من هذا البلاء العظيم وقتل بطريقهم وقالوا لهم ما تلقانا الا عبد اسود وهو جبار جسيم وما كسرنا وقتل بطريقنا الا هو وحده وما كان معه أحد من جنده الا نفر واحد فلا رحم المسيح لا أباه ولا جده لان هذا الاسود وحق المسيح له ضربات تهد الجبال وصرخات تزلزل الارض والتلال قال فلما سمعوا ذلك المقال صعب عليهم وكبر لديهم وحلفوا بالصليب والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل أن لا بد لهم أن يقتلوا هذا الاسود ويسقوه كأس الحمام هذا وقد ركبت العشائر على خيولهم واعتدوا الفيالة على أفيالهم وجعلوا يجدوا السير في تلك الربوات ودقت الكؤسات ونعرت البوقات وبقيت الارض تموج كأنها يأجوج ومأجوج وهم في ذلك العدد الذي ذكرناه فهذا ما كان من هؤلاء وقصتهم قال (وأما) ما كان من الامير عنتر وهرقل بن قيصر ومن بصحبتهم فانهم بعد كسر الطليعة قدامهم في تلك البراري والقيعان جعلوا يستعدوا للحرب والقتال وانهم ما أقاموا غير يومين على هذا الحال وفي اليوم الثالث رحلوا أول النهار واذا قد طلع عليهم غبار حتى سد الاقطار وانكشف بعد ذلك عن عشائر البهنسا والفيوم وركض خيلهم قد أزعج الارض وهم بعدد الكواكب والنجوم والعشائر كأنهم الجراد المنتشر أو السيل المنحدر وقد أبرقت الدنيا من المشارف والمغارب من كثرة الرماح والطوارق ولمعان السيوف القواضب والرايات مثل الكواكب فلما رأى عشائر هرقل الى غبارهم في عاجل الحال ركبوا خيولهم واعتدوا لقتالهم واعتقلوا برماحهم وتقلدوا بصفاحهم وركب عنتر في ذلك اليوم جواده الابجر وتقلد بسيفه الابتر واعتقل برمحه الكعوب الاسمر وركب في جانبه هرقل ابن الملك قيصر وجعل يرتب الجنود والعشائر ميامن ومياسر لانه بهذا الامر عارف وخابر وأوقفهم قلبا وجناحين وأمرهم أن يكونوا عند حملاتهم صفين وأن يعتدوا لملاقات الطعن والضرب ووقف الملك عبد المسيح والملك هرقل تحت الاعلام والرايات ودقت من خلفهم الطبول والكؤسات وما فرغ عنتر من هذا الحال وترتيب الجنود والعشائر للقتال حتى ان جيش الاعداء قد أقبل وراياتهم قد انتشرت وأعلامهم ظهرت وصلبانهم على رؤسهم قد ارتفعت ولغاتهم بلسان الروم قد طمطمت والجنود من بعضها لبعض قد تقاربت ولم يزالوا كذلك حتى وقعت العين على العين وحان الحين وزعق على رؤس الطائفتين غراب البين وتقدم عنتر الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين فلما نظرت الاعداء الى طوله وكبر هامته وانزعاج عينيه وغلظ أطرافه وهول خلقته أوقع الله الرعب في قلوبهم من هيبته وأطلقوا أعنة خيلهم وقد أيقنوا بذلهم وبالهم ولكن

عزموا على هزيمتهم وقد ألقى الله تعالى في قلوبهم الخوف فخرج من بينهم بطريق كأنه الفنيق على جواد
عتيق وهو مسربل بالحديد والزرد النضيد وعليه درع مذهب يكاد من ضياء الشمس أن يتلهب وهو
لا يبان منه غير قد او بر الاحدق وهو يطمطم بالافرنجية ويتكلم بعد ذلك بلسان الطائفة الرومية وقال ارسلوا
واحداً منكم الى ما يكالمه في أمركم وشأنكم حتى ينظر ما انتم عليه وما مرادكم وما هو الذي أزعجكم
وأخرجكم من بلادكم فقال عنتر لكوبرت أظن ان هذا القرنان ينادي انا بطلب الحرب والطعان فقال
كوبرت يا ابا الفوارس ما هو الا قد أتى يطلب رسولاً يمضي الى ملككم ويعرف ما يقوله فقال عنتر امض أنت
اليه وقل لهم يقول لكم عنتر بن شداد الذي قد أتى انه لا يرجع حتى يفني كل من في هذه البلاد لاني وحق خالق
العباد ومن كسا الليل حلة السواد ما أرجع عنهم حتى أملككم هذه البلاد ولو ان معهم جنود ثمود وعاد
وأهلك هذه العشائر الجميع ولا أخلي منها رفيع ولا وضيع أو يعطوا الطاعة ويزنوا الخراج والعداد والا
ما اكون حامية عبس عنتر بن شداد فقال كوبرت لعنتر السمع والطاعة وسار حتى وقف بالبعد عنه فلما رآه
احترز على نفسه منه وخاف ان يخرمه وما علم انه يخيب ظنه ولا علم ما خفي عليه انه فارس شديد وكان كوبرت
كما قدمنا بطل صنديد قال وكان هذا البطريق يسمى بواص بن مارث وقد ارسله البطريق الكبير الذي قدمه
على جيشه صاحب البهنسا الملك كندريوس الآن كوبرت لما صار مقابل ذلك البطريق وله جنان أشد من
نار الحريق فقال له ما الذي أرسلكم الينا وأقدمكم علينا حتى قتلتم فرساننا وأجنادنا وطمعتم في أرضنا
وبلادنا فما الذي تطلبونه منا فأفيقوا لانفسكم وارجعوا بجيوشكم عنا فقال له كوبرت انما دخلنا الى
هذه البلاد الا حتى نهلك عشائركم والاجناد لما علمنا انكم عصيتم عن حمل الخراج والعداد دون غيركم من
الاراضي والبلاد وان مقدم جيشنا الامير عنتر بن شداد حلف بمن جعل الجبال أوتاد اذا لم تفعلوا مثل ما فعل
غيركم من الملوك والا يهلككم بأجمعكم ولا يدع منكم لا غني ولا صعلوك ويشتت شملكم ويهدم أوطانكم
ويخرب كنائسكم ويقتل رهبانكم فقال له البطريق هو مسيحي أو من اي البلاد فقال له كوبرت هذا
فارس الحجاز الذي يسمى عنتر بن شداد هذا الذي قتل الملك جنطيائيل هذا فارس الآفاق هذا الذي قهر
فرسان الهند والسند واليمن والعراق قال فلما سمع بواص ذلك الكلام صار الضياء في عينه ظلام وحلف
وشدد في الاقسام ان هذا الفارس أعجوبة بين الانام ولكن ارجع اليه وقل له لا يطمع في بلادنا كما طمع في
بلاد غيرنا فاغتاظ كوبرت ولما سمع ذلك الكلام قال له يا ابن اللئام لمثلنا يقال هذا الكلام ونحن فرسان
الصدام فلما سمع بواص من كوبرت ذلك الكلام صار الضياء في عينه ظلام وفي عاجل الحال جرد سيفه من
غمده وهزه حتى لمع الموت من افرنده وضرب به كوبرت كاد يقسمه نصفين ويرميه على الارض قطعتين فزاغ
عنها كوبرت بمعرفته وشدته فنزلت على جواده فبرت عنقه وحمل عليه أيضاً انه يضربه ثانياً يقتله فزعق
عليه الامير عنتر بن شداد ولم يتركه يتم له هذا الامر وصاح في كوكب بن الابجر الذي كان يطير بلا اجنحة
فخرج من تحته مثل البرق الخاطف العيان ووصل اليهم وفي عاجل الحال قدم عليهم وطعن بواص في صدره أطلع
السنان يلمع من ظهره وخلص كوبرت مما كان فيه من شدته وأركبه على جواد بواص بهمته وحماه من الروم
حتى صار على صهوته ثم جال في تلك المواكب وزعق فافترقوا قدامه كتائب وفرق ولما رأت الجنود الى عنتر
وقد قتل بواص بقوة حربه وجلاده وأركب صاحبه على جواده ونظروا الى ما فعل من تلك الاوصاف فحمل
عليه موكب قدر عشرة آلاف فعند ذلك تلقاهم كوبرت وعنتر بلا مخاف وهو على ظهر جواده كوكب بن الابجر
وزعق فيهم زعقات عاليات دوت تلك الارض والفلوات وضرب فيهم ضربات قاطعات وأخوه شيبوب
وولده المذروف بين يديه يرموا بالسهام في اللبات هذا وقد حمل معه فرقة من الروم وأحلوا بالافرنج البلاء
والهموم وطعنوا فيهم بالقنطاريات وبذلوا فيهم السيوف المشرفيات وكان لهم ساعة لا تقاس بالساعات هذا
وعنتر يحمل فيهم حملات عظيمات ويضرب فيهم بسيفه الظامي الابتر فاندهلت الافرنج لما رأت الى تلك
المصائب الهائلات وأبصروا الى انسان ما كأنه الا من الجن الطيارات فصلبت على وجوهها وانساقت

قدامه كأنها الغنم الجافلات (قال الراوي) فلما رأت بقية الجيوش ما حل بأصحابه حملوا بأجمعهم يعينوهم على
ما نابهم وتقدمت أصحاب الافيال بما تحتها من الافيال وعلى ظهورها ما ذكرنا من تلك الرجال وفي أيديهم
المزاريق والقوس والحراب والنشاب (قال الراوي) فلما نظر الملك هرقل وعبد المسيح الى ذلك الحال حملوا
على جميع الجيوش ومن معهم من الابطال فاشتدت الاهوال وعظم الزلزال وقل القيل والقال وجال
الفارس الريبال وجاء الحق وذهب المحال والتقى الجمعان وأطبقت الفريقان وزاد القتال وازدحمت
الألوف وقطعت الأنوف وزهقت النفوس وكان يوم عبوس وثار الغبار وأظلم ضوء النهار وقل الاصطبار
وقدحت حوافر الخيل شرار النار وقد طمطمت السودان بلغاتها وقسقست القساقسة والرهبان ودمدمت
أسود الحرب وزادت هيمان ونقط الدم من الابدان وبقيت الارض كحلة الارجوان مما سال عليها من
أدمية الفرسان وظهرت الشجعان واختلف الطعن بالرمح والسنان وقاتلت أصحاب الافيلة قتال شديد
ما عليه عيار وكانوا قد فرقوهم أربع فرق وصار لهم همهمة وزمجرة وجعلوهم فرقة في الميمنة وفرقة في الميسرة
وجعلوا فرقة في القلب وفرقة أمام العشائر وتصايحت النوبة والجاه والبربر فلله در أبي الفوارس عنتر وما فعل
في ذلك اليوم الشديد الاغبر فانه هو الذي أوقد نار الحرب وقتل الافرنج والسودان وبقي تارة يقاتل بالميمنة
وتارة يقاتل بالميسرة ولله در كوبرت الفارس الغضنفر وكذلك هرقل بن الملك قيصر فانه قاتل بنفسه وما قصر
ورمى الفرسان على الارض مثل الاكر ولم يزلوا على ذلك العيار ثلاثة أيام ليلاً ونهار وهم قوم يقاتلون وقوم
يتأخرون ولاجل الراحة في ذلك البر والقفار وبعد ذلك ظهر على هرقل وكوبرت وعشائرهم الانكسار
ولولا عنتر الفارس الهمام كانت عشائرهم من أول يوم طلبت الفرار والانهزام لانه هو الذي يحمل عنهم الاثقال
ويحميهم في الحرب والقتال لان أكثر خيلهم عطبت مما يرموهم السودان بالحراب والنبال الذين هم على
ظهور الافيال فلما كانت الليلة الرابعة شكوا اليهم من هذا الحال وان خيلهم ما بقت تنفع في المجال فوعدهم
عنتر انه في غداة غد يقاتل في الافيال ويسقي الرجال الذين هم على ظهورها كاسات الخبال فعند ذلك اطمأنوا
لما سمعوا منه هذا المقال وعلموا أنه يقدر على هذه الفعال وبعد ذلك نزلوا في الخيام وأخذوا لهم راحة وأكلوا
الطعام وأقاموا لهم حرساً يحرسهم من الاعداء في الظلام وكانت كما ذكرنا خيلهم قد قتلت من حراب السودان
الذي هم راكبون على الافيال وبقي أكثرهم رجالة وهم على أرجلهم يقاتلون ومن شجاعة عنتر يثبتون الى ان
كان اليوم الخامس فتبادروا الى القتال وابتدروا الحرب والنزال فبينما هم على ذلك الحال واذا بغبار قد
أقبل من خلفهم وثار حتى سد منافس الاقطار ساعة من النهار فرمق الجيشان الى هذه الغبائر المرتفعات
واذا بها قد انكشفت عن جيش جرار كأنه البحر الزخار والبر قد انزعج من دق الكاسات ونعير البوقات
وخفقان الرايات وقد ارتفعت على رؤوسهم الصلبان واشارتهم تدل على انهم مائة ألف عنان وهم جيوش
مصريه ويقدمهم الملكين ميخاييل صاحب مدينة تونس وهرمس صاحب مدينة اسكندريه (قال الراوي)
وكان السبب في قدوم هذه الجيوش المصريه ان عنتر لما حلف وشدد في الاقسام لا رحل بغير هذه
الجيوش وصحبته عبد المسيح وكوبرت وهرقل بن الملك قيصر ومعه هرمس وعشائر اسكندريه فارسل بعد ذلك
الى والده المقوقس ملك الديار المصريه يطلب منه جيوش وكذلك بعث ميخاييل الآخر فلم تكن الا أيام قلائل
حتى أتى من عند صاحب مصر ستين ألف فارس وراجل ما منهم الا كل ليث مقاتل وبعد ذلك بشيء قليل واذا
قد أتت أربعين ألف لصاحب برقا ميخاييل لانهم سمعوا أن قد وصل من عند كندريوس صاحب البهنسا عسكر
ثقيل وانه قد بعث لسائر بلاده والى الصعيد يستنجد بالعشائر ويستحثهم على القدوم من قريب وبعيد فقالوا
في أنفسهم نحن نساعد عنتر بن شداد على كسر عشائر تلك البلاد خير لنا مما نساعد ونطيع ملوك الصعيد
وتدوس بلادنا وتفعل فيها ما تريد ويطمعون في برقا واسكندريه ويغرهم الطمع في الديار المصريه فعند ذلك
تجهزوا وساروا بهذه العشائر والاجناد حتى وصلوا الى تلك البلاد والكل قد أتوا الى نصرة عنتر بن شداد
وتقربوا منهم وترجلوا على وجه الارض وسلموا وتعانقوا بعضهم البعض فقالوا لا عدمنا همتكم ونشر المسيح

أعلام نصره عليكم ثم انهم حكوا لهم على ما جرى عليهم من قتال السودان وكيف عطبت خيلهم مما برموهم به من السهام فى الميدان ولولا هذا الامير نمر الفارس الرئبال كانوا أهلكوا جميع ما معنا من الرجال والابطال وقد وعدنا فى هذا اليوم أنه يقاتل فى الافيال ولولا ما معهم من الافيال كنا جندلنا أكثرهم على الرمال فقالوا لهم لا تفزعوا من هذا الحال والمطال فقد أتت معنا خيل كثيرة خالية بلا رجال (قال الراوى) لهذا المقال هذا وقد نزل على أعدائهم الذل والخبال لما نظروا الى قدوم هذه العشائر والابطال لكن شجعهم ملك الحبشة وقال لا تفزعوا من هذا الحال ولا تخافوا ممن قدم عليكم من هذه العشائر والرجال ففى هذا اليوم ترونهم بين أنياب الافيال وينزل بهم الذل والوبال لاننا فى هذا اليوم قد عولنا نقدمهم بين أيدينا للحرب والقتال ونصبر عليهم الى أن يدوسوهم بأرجلهم وبعد ذلك نحمل بعشائرنا عليهم فلم ندع منهم انسان ونقتل الابطال والشجعان ونفنى من معهم من العشائر ولا نبقى على احد من هؤلاء البيضان ونقتل حاميتهم هذا الذى يسمى عنتر فقالوا له وحق المسيح الذى ولدته أمه من غير ذكر ان المسيح يخاف منه وان لم تفعل ما قلته والا ما يبقى منا من يخبر بخبر (قال الراوى) وفى ذلك الوقت اصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف وصفت عشائر البهنسه قدامها ما قدمنا ذكره من تلك الافيال وعلى ظهورها الرجال ترمى بالحراب والخشوت والنبال فلما نظرت عشائر هرقل الى تلك الحال تغيرت منهم الاحوال وخافوا على انفسهم من الافيال الا يدوسهم ويحل بهم الوبال (قال الراوى) فعند ذلك ابتدر قدام تلك العشائر الاسد الادرع والليث السميدع الامير شيبوب وهو كأنه البلاء المصبوب وجرى قدام تلك الجيوش على قدميه ومسك قوسه وكنانته بيديه ووقف الافيال من بعيد بمقدار رمية سهم وجرى عليه ورمى مقدم الافيال فلم تخطئ بالقضاء والقدر حتى دخلت مقل عينيه فعاد الفيل على عقبه راجعا من ساعته وعينه قد غارت وحلت به بليته والافيلة جميعها لما عاد راجعا تبعته وولوا جميعهم منهزمين وقد ألقوا الى الارض الرجال الذين على ظهورهم وكانوا رجالا كثيرة فداسوهم وحيروهم فى أمورهم فاعترضتهم ركاب الخيل فداستهم أيضا الافيال مع خيولهم وأحلوا بهم الوبال قال فعند ذلك قال عنتر لاصحابه دونكم واياهم دمروهم وعجلوا فناهم وقطعوا خراطيمهم بما فى أيديكم من السيوف فانها اذا قطعت مشافرها شربت كأس الحتوف وعندها حملت جيوش الروم وفى أوائلها ملكها هرقل وكذلك كوبرت وجيوشه ففعلوا مثل ما فعل وحملت أيضا جيوش مصر واسكندريه وقاتلوا اقوى قلب وصفاء نيه وجعلوا يقتلون فى الرجال ويفتكون فى الافيال وعظم القتال واشتد النزال وزادت الاهوال وقلت الرجال وفقدت الابطال وقام الحرب على ساق وضربت الاعناق واشتد الخناق وظهر المحاق وكان ذلك اليوم كأنه يوم التلاق خمدت فيه النفوس وبانت الفرسان وكل الجبان وذل العزيز وهان واختلطت بعضها ببعض الطائفتان وزعق على رؤسهم غراب البين وحان الحين وقلعت العينين وطاب وفاء الدين وقطعت المعاصم وانتثرت الجماجم واشتد الزحام وقل الكلام وعظم المرام واشتهر البطل الهمام ورشقت الحراب والسهام وسقوا الابطال كاسات الحمام وضاقت الصدور وعظمت الامور وصار النهار من شدة الغبار كالليل البهيم وقل الاصطبار وتهتكت الاستار وعظمت الرزيات وصارت الانفس فى النازعات وبربرت السودان وغنت العيدان ورفعت جيوش هرقل وكوبرت أصواتها وضربت طبولها وبوقاتها وطعنت بقنطارياتها وطمطمت بلغاتها وفارس عبس عنتر هو وحماتها وهو ينثر من جيش البهنسا ملوكها وساداتها فحارت مما حل بهم فى ذلك اليوم الافكار وعميت منهم الابصار وزاد عليهم الغبار فولت جيوش البهنسا الادبار وركنوا الى الفرار وتبعهم عنتر وأجناده الى آخر النهار وقتلوا شيأ كثيرا من الافيال وأهلكوا جمعا غير قليل من الرجال ورجع عنتر وأصحابه وسائر من معه والجيوش والملوك تتبعه وملوا الخيل والاسلاب والمال وسائر الدواب وجميع الملوك تثنى على الامير شيبوب فيما فعل من ذلك الامر المهوب وأيضا على ولده الخذروف وعلى حاميتهم عنتر البطل الموصوف وبعد ذلك نزلوا واستقروا فى الخيام وأخذوا لهم راحة وأكلوا الطعام وانطرحت الناس لما أظلم الظلام بالليل للمنام ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح

جاست الملوك فى خيامها وجمعت أكابرها ويقدمها ابن شداد همامها واستشاروا هل يرجعوا أو يرحلوا وراءهم فاتفق رأيهم بمشورة عنتر أن يسيروا وراءهم الى بلادهم ويفتكوا فى بقية عشائرهم وأجنادهم وان عصوا عليهم حاصروهم وأهلكوهم وان أطاعوا يطلبوا منهم الخراج والعداد ويكون ذلك بهيبة عنتر بن شداد ثم انهم ساروا وتبطنوا فى تلك البرارى والقفار وتبعوا منهم الآثار (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما دار بينهم من الكلام (وأما) ما كان من القوم الذين حل بهم الانهزام فانهم ساروا أكثر من يومين ليلا ونهار واذا قد لاح لهم من بين أيديهم غبار وتزوبع حتى سد الاقطار وقد أظلمت منه الاقطار وبعد ذلك انكشف عن جيش الصعيد والبهنسا وعلى رؤسهم الرايات وبين أيديهم دق الكؤسات ونفير البوقات وقعقعة الصلبان يحملها القساقسة والرهبان وفى مقدمتها كندريوس بن كرماس وأخوه صاحب مدينة اهناس (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم هذين الملكين بمن معهم من تلك الجيوش لما انهم أرسلوا بواص ومعه ثلث الجيوش واتبعوا عنتر وفعل بهم ما فعل من تلك الامور الكبائر وبعد مضيهم من عنده فى ذلك البر والفجاج كاتب هؤلاء البطارقة والاعلاج وصار يجمع الجيوش على عنتر ودساكره الى أن التقى بالرجال المنهزمين وهم فى البر منقطعين من عشرة وعشرين وبعضهم فى البرارى تايهين فقال لهم يا ويلكم ما هذا الحال وأين العشائر والابطال فقالوا له أيها الملك يكون على علمك ان داستهم الافيال وأهلكهم هذا الذى يسمى عنتر بن شداد وأحل بهم الوبال وشىء هلكوا فى المعمعة بالحرب والقتال فقال لهم يا ويلكم أنتم كنتم فى خلائق بعدد الرمال تهلككم هذه الشرذمة الحقيرة وتهلك منكم الرجال والابطال فقالوا له أيها الملك لا تقل شرذمة حقيرة فوحق المسيح ما هى الا عصابة كبيرة ثم انهم أخبروه على ما أصابهم من أمر الحرب والقتال وكيف قتلوا بعده الرجال والابطال وكيف قلع شيبوب عين كبير الافيال فولى وتبعته رفقته وارموا ما على ظهورهم من الرجال وحمل عنتر ومن معه من العشائر بأسرها وضربوا فى الافيال بالسيوف على خراطيمها ومشافرها فلما رأوا الى قتل الافيال هجموا علينا فى عاجل الحال وداسوا خيلنا ومن عليها وأبادنا عنتر وعشائره فى ساحة المجال فهلك منا فى تلك الوقعة نصف العشائر ومنهم جماعة كثيرة تشتتوا فى البرارى والجزائر قال فلما سمع كندريوس بذلك ما هان عليه واسودت الدنيا فى عينيه وما بقى يعرف ما بين يديه وقال سوف ترون ما أفعل فى عنتر ورفقته وكيف أقتل هؤلاء الملوك الذين أتوا صحبته وآخذ بثار عمى جنطيائيل وأقتل ابنه هذا عبد المسيح المهان الذليل وتروا كيف أمحق منهم الاثر ولا أدع منهم من يخبر بخبر ثم انه ضم الرجال الى الرجال وزعق فى ساعة الحال وحث العشائر على المسير والارتحال وتقدم قدام الدساكر يقطع البرارى والقفار وما سار غير يوم واحد كامل وثانى يوم الى نصف النهار واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وبعد ساعة انكشف ذلك الغبار وبان ما تحته وانجلا للابصار واذا هو بيرق زرد ولمعان خود وجيوش ما لكثرتها عدد وكانت هذه العشائر المقبلة عشائر الامير عنتر والملوك التى معه وعدتهم مائتين ألف وأكثر وكان عدة عشائر البهنسا ثلثمائة ألف عددها قد انحصر لانه كان أول مسيرهم فى النوبة الاولى ثلثمائة ألف فارس فجرى عليهم ما جرى من سيف عنتر وحلت بهم المناحس وأيضا كان معهم خمسمائة فيل الذين قدمنا ذكرهم وكان كما قدمنا على شيبوب فناهم وقتل من العشائر مائة ألف وقد امحت آثارهم وصار وادوارس فلما تقابلوا بعضهم لبعض عاد المنهزمون من جنبات تلك الارض واجتمعوا هؤلاء وهؤلاء فصار عدتهم أربعمائة ألف وساروا قاصدين عشائر الامير عنتر وهرقل بن الملك قيصر على هذا الوصف الآن لما انكشفت هذه الغبائر وبان ما تحتها للنواظر ونظرت الجيوش الى بعضها البعض فماجت واضطربت فى تلك الارض ودقت من الجيشين الكؤسات حتى تزلزلت الارض من سائر الجنبات ولم تجد الجيوش لها ثبات مما تقدم من سبب الحقد والكسرات بل حملت من سائر النواحى والجهات وكلهم يزعقون ويرفعون أصواتهم بقول حنا ومريم وتخضبت الوجوه بالدم وتبدلت بعد الوجود بالعدم وبربر الشجاع وهمهم وزعق البطل الشديد وتقدم وخاف الجبان الضعيف القلب وانهزم وكانت ساعة يا لها من ساعة بانت فيها من الشجاع الشجاعة وصارت نفس الذليل مرتاعة

وارتفعت الزعقات وعلت الضجات وعظمت الصرخات واختلفت الاجناس والاصوات وقل خطاب المخاطب وتصادمت الكتائب بالكتائب ومالت المواكب على المواكب وأحاطت جيوش البهنسا بجيش الروم من كل جانب ومكنوا منهم القنا والقواضب وكثر فيهم الفزع والارتعاش وأخذهم القلق والاندهاش وانقطع القلب من شدة الفزع وطاش ودمدم عنتر بين الطائفتين وهاش ولولاه كان فنى من جيوش الروم أكثر من نصفهم وكان قد حل بهم حتفهم لانهم تأخروا اكثر من شوط جواد الى خلفهم وطمعت عساكر البهنسا فيهم وأحلوا بهم الهموم ودمدمت السودان وساعدتهم على ذلك أهل الفيوم وعظم بينهم الوسواس وقد قويت قلوب الجيوش بشجاعة الكندريوس بن كرماس هذا وجيوش الملك كوبرت والملك هرقل قد لحقهم الفزع وداخلهم الهلع لانه قد اجتمع عليهم سائر الاجناس من عبدة الصلبان وافرنج وروم وعرب وأهل الصعيد وسودان ومن يدعى الشجاعة من اهل تلك البلدان ولولا حمايتهم الامير عنتر الفارس الكرار كانت تطلب الهزيمة والفرار وما ثبتها الا هذا الفارس الادرع والبطل السميدع مما فعل من الحرب فى ذلك النهار (قال الراوى) الناقل لهذا الكلام فبينما هم على ذلك الحال وقد ملت نفوسهم من الحرب والقتال واذا بغبار قد ثار وسد الاقطار وبعد ساعة انكشف وبان عن عسكر جرار مثل البحر الزخار وهو مقبل من ناحية الجبل الاخضر وتلك الديار وبعدها انقطع وبان من تحته حديد يلمع وأسنة تشعشع ورايات تونسية وصناجق قيروانية وهم كانهم الاسود الحاليه وهم راكبين على الخيول العربيه ومعتقلين برماح خطيه ومتقلدين بسيوف هنديه (قال الراوى) وكان المقدم على هذه العشائر التى أقبلت مع الملكين صاحب تونس والقيروان وكان السبب فى قدومهما هو انه لما سار عنتر بالعشائر والفرسان وقد حلف وشدد فى الايمان لا سار الا فيمن جمعه من تلك الشجعان وسار بهم كما ذكرنا وبعدها قد تتابعت من خلفه الفرسان الذين قد جمعهم هرمس صاحب اسكندريه وملك الديار المصريه وكانوا هؤلاء الملوك أرسلوا الى مدينة تونس والى مدينة القيروان فأتتهم من الفرسان خمسون الف عنان وساروا بهم خلف الامير عنتر حتى ينجدوه على من قدم عليه من الجيش وقد ساروا يقطعون تلك البرارى والتلال الى ان لحقوهم على تلك الحال من أمر الحرب والقتال ولما أقبل تلك الرجال ما خفى عنهم ماهم فيه من الاحوال (قال الراوى) لهذا المقال فعند ذلك حققوا ملبوسهم وقد وطنوا على الموت نفوسهم وكشفوا عند ذلك رؤسهم ونادوا يا للمسيح بن مريم ولما رأت جيوش البهنسا الى ذلك الحال حل بها الاندهال والذل والخبال وقد قالوا لكندريوس وحق المسيح والانجيل ما أنت بعد ذلك الا ذليل وما أنت الا من أعظم الجهال فقال يا فتيان وما معنى ذلك الشان فقالوا له اعلم ان لو كان فيك عقل الرجال ما كنت حاربت هؤلاء الملوك الثقال لاسيما هذا الفارس الذى كانه الاسد الرئبال ولم يخطر الموت له على بال وان لم تسمع منهم ما يقولون وتجيبهم الى ما يريدون والا سرنا اليهم واتفقنا عليك وأخذ روحك من بين جنبيك وندخل تحت طاعة هؤلاء الملوك ونعيش كما يعيش الفقير والصعلوك (قال الراوى) فلما سمع الملك كندريوس منهم ذلك الكلام خاف على نفسه من شرب كاس الحمام فأجابهم على ذلك المرام وقد بطل الحرب الذى كان بينهم والخصام وفى عاجل الحال نزلوا عن الخيول وانتشروا عرضا وطول ودقت الطبول وقد زعقت جميع الفرسان ونادت عن فرد لسان يا حامية عبس وعدنان نريد منك الامان يا فارس الفرسان ويا حاوى قصب الرهان ويا مذل الملوك والاقران فى حومة الميدان ثم نادوا يا عنتر يا منصور يا رب أدمه علينا بالهنا والسرور ثم انهم تقربوا من بعضهم البعض وقد تعانقوا فى تلك الارض وما بقى أحد من ملوك أرض الصعيد والنوبه والحبشه الا من عانق عنتر وقبل يداه وقد اختلطت الجيوش المصريه والسودان والافرنج والروم وسائر ملوك البلدان وبعد ذلك نزلوا فى الخيام واستقر بهم المقام وروجوا لهم الخدام سائر الطعام وروقوا صافى المدام وزادهم كندريوس فى العز والاكرام مدة من الايام فلما أن عزموا على السفر والرواح قدم الملك هديه للامير عنتر من جميع الشئ المفتخر ومن المعادن والجواهر وأيضا من الخيول العربية وقد اعطاه أوفى عطيه بعدما قرر عليه الخراج والعداد فى كل عام فأجابه كندريوس على

ذلك المرام وقام قائما على الاقدام وقد قبل الارض بين يدى عنتر البطل الهمام (قال الراوى) ثم ان الامير عنتر بن شداد أرسل جميع ما اتى له هديه من تلك البلاد والذى قدموه له الملوك والسادات الى جزيرة الواحات وقد أراد الرحيل والجد والتحويل فودعه الملوك ومن معهم من الفرسان وكذلك فعلوا بكوبرت والملك هرقل بن قيصر ومن معهم من ذلك الجيش وقد تفرقت الملوك الى بلادها وكذلك من معها من أجنادها وقد نزلوا فى مراكبهم وقد خدمتهم الرياح باذن الكريم الفتاح وسخرها لهم رب الارضين والسموات وما زالوا فى تلك السفائن سائرين وهم فى عز وتمكين الى ان وصلوا جزائر الواحات فعند ذلك طلعت اليهم جميع الرؤساء وهنتهم بالسلامة والمسرات وقد طلبوا منهم البشارات كما جرت به العادات ثم انهم أرسلوا من هناك بشيرا الى قلعة الكافور ومدينة البلور حتى يبشر بقدومهم ليزدادوا فرحا وسرور (قال الراوى) لهذه الامور ولم يزالوا على هذا المرام حتى أقبلوا على قصر الملكة بسلام ولما استقر بهم المقام صنع لهم الملك كوبرت الطعام وروق لهم المدام وبعد ذلك اجتمع عنتر بالجارية مريم وسلمت عليه وقبلت يديه وأسافل قدميه وكذلك الملك هرقل ملك عبدة الصلبان قد اجتمع بالملكة مريمان وقد أقاموا فى هناء وأمان مدة عشرة أيام متواليات وهم على أكل طعام وشرب مدام وأفراح ومسرات هذا وقد كانت أخبارهم فى تلك المدة لم تنقطع عن الملك قيصر ثم انهم بعد ذلك جهزوا أموالهم وعبوا رحالهم وجعلوها فى الصناديق وقد جمعوا ما هناك من الاسلاب والاموال والهدايا والتحف وغير ذلك وما كانوا كسبوه من الغنائم فى تلك الرسوم والمعالم وقد تقدمت الجارية مريم الى عند الامير عنتر تودعه فلما ودعته وقبلت يديه فقبلها الآخر والثم خرطومها وقد زال عنها همها وغمومها فدعت له بطول العمر والبقاء وازالة الهم والشقاء وبعد ذلك تقدمت الملكة مريمان وأخذت فى وداع الجارية مريم وكانوا كما قال الشاعر فى هذه الابيات

يقولون دار الاحبة قد دنت * وأنت كئيب ان ذا لعجيب
فقلت وما تغنى ديار كريمة * اذا لم يكن بين القلوب قريب
فكم من بعيد الدار يقضى مراده * وآخر بجنب الدار مات غريب

(قال الراوى) ثم ان الجاريتين تودعا من بعضهما بعض ولما فرغا من ذلك الوداع افترقوا من بعد الوداع ورحلوا من ذلك المقام وطلبوا البر والآكام ولم يزالوا سائرين ليالى وأيام وهم سائرين فى تلك البرارى والآكام وقد انتشروا فى جنبات تلك الارض خوفا من الضيق والازدحام (قال الراوى) لهذا الكلام ثم انهم لم يزالوا سائرين وفى السير مجدين الى ان وصلوا الى ساحل البحر وقد تقدمت الاكابر ومن معهم من المقدمين والعشائر فنظروا الى المراكب وهى مثل العرائس وعليها من تلك الآلات النفائس فنزلوا على جانب البحر واستراحوا ثلاثة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام ولما ان كان فى اليوم الرابع على التحقيق طلع جميع الاحمال والاموال والصناديق وجميع ما معهم من السرادقات والخيام وما أتى معهم من الخيرات والانعام وانزلوها الى المراكب المقدم ذكرهم الذى صحبوها من القسطنطينية وأنزلوا الخيول والجمال ورفعوا القلوع وسارت المراكب وسخر الله لهم الرياح الطيبة من كل جانب ولم يزالوا سائرين ليلا ونهار غدوا وابتكار مدة عشرين نهار وبعد ذلك لاحت لهم كنائس البلد وقصورها العالية الاسوار ونزلت الرؤساء من القلوع الى قدام الملك هرقل والامير عنتر بن شداد وقبلوا الارض بين أيديهم وهنوهم بالسلامة وقالوا لهم فى غداة غد تكونوا فى مدينة القسطنطينية وتدخلوا البلدة ببركة المسيح ومريم الزكية فخلع عليهم الملك هرقل الخلع السنية وأعطى الامير عنتر كل واحد منهم ألف دينار وساروا طول الليل على موجات البحار الى ان أصبح الله الصباح ورسوا على الساحل فزادت منهم الافراح ووصل الخبر الى الملك قيصر بوصول ولده وعنتر ففرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وأمر بأن تزين البلد والاسواق والحارات وأكثر من المواهب والصدقات وخلع على الامراء والسادات وركب وقد رفعت على رأسه الاعلام والرايات وتجارت الفرسان والقادات وضربت الطبول والبوقات وما زال سائرا بالجيوش والاجناد حتى التقى ولده هرقل وعنتر وكانوا قد خرجوا

يا الفرح والاستبشار فتلقاهم الملك قيصر بالخلع وأخذ ولده الى صدره وقبله بين عينيه وكذلك ترجل عنتر اليه وقبل فى الركاب قدميه فانحنى الملك قيصر وقبل رأسه وأثنى عليه وأخذه الى جانبه وسأله عن أحواله فحدثه بكل ماجرى له فى بلاد الغرب والصعيد من الحرب والطعان وكيف انه قتل الملك الاليمان وابنه سرجوان وملك جزائر الكافور وقلعة البلور وكيف أسر كوبرت وكيف أخذ عليه العهد والايمان وحكى له على ماجرى له فى جزائر الواحات وقتل الملك صافات وابن الدير والشاهد وملك قلعة رومة المدائن ودير الصنم وماجرى له فى الاندلس مع الملك جنطيانيل وابنه عنان وكيف أخذ ثار جده الغضبان من قاتل الجان والكلام الذى تقدم ذكره من أوله الى آخره هذا والملك قيصر يتعجب من قصته ومن سعادته وقال ما أسعد هذا بفتى من دون البشر لانه صاحب عز وظفر وشجاعة وقد أعطاه الرب القديم الطاعة ومازالوا سائرين حتى وصلوا الى البلد والخلائق على الجدران يدعون لهم بالنصر والامان ويشيرون الى عنتر بالبنان وكان يوم دخولهم البلد يوم عظيم ماسمع بمثله فى سائر الاقاليم ونزل الملك قيصر فى قصره وهو زائد المسرات والافراح وأكرم عنتر غاية الاكرام ودام على لذاتهم الى أن أظلم الظلام وسار عنتر الى دار كانت قد أعدت برسمه فقام الى الصباح وركب الى خدمة الملك قيصر وهو متقلد بسيفه الابتر معتقل برمحه الاسمر راكب على جواده الابجر فلما تقرب من الايوان وبقى قدام قيصر وهم أن يترجل أقسم عليه لايفعل ثم انه أجلسه بجانبه على التخت فى الايوان وقد أتتهم الخدام ووقفت بين أيديهم على الاقدام وكان الملك قيصر من حبه فى أبى الفوارس عنتر أحضر الصناع والدهانين وقال لهم أريد منكم أن تصوروا الى صورة هذا الفارس ولونه وكبر جثته وقدره وهيئته وجواده وعدته وتصوروا صورة شيبوب وولده الخذروف وحليته ومايصنع من صناعته فأجابوه بالسمع والطاعة ثم انهم أخذوا من معادن الرصاص والقزدير والحديد والنحاس والفضة والذهب ماكفاهم وترتبوا اشغالهم واجتهدوا فى قليل من الايام حتى صوروا صورة عنتر وأخيه وولده ولما تمت دهنوه بالدهان الذى يعرفوه حتى صارت تلمع كالمرآة وبعد ذلك داروا وأصلحوا شأنهم بالمبارد حتى رتبوا الاصابع بأظافرها والسواعد والمرافق والزنود والرجلين وأركبوا عنتر على ظهر جواده وجعلوا يده على قبضة حسامه والرمح على كتفه وشيبوب وولده من حواليه وجعلوا أعينهم من الياقوت الاصفر وشفايفهم من العقيق الاحمر وأسنانهم من اللؤلؤ الرطب وأضاف اليهم الدهان ثانيا وجعلهم كلهم سمر الالوان فلما تكاملت الصور ورآها الناس فأخذتهم البهتة والدهشة وظنوا أنه عنتر ورفقته وصنع الملك قيصر ديوان وصارت أعيان العشائر والوزراء يصعدون الى الديوان يتفرجون ويرجعون على أعقابهم فقال لهم الملك قيصر مابالكم فقالوا له اعلم ياملك الزمان ان عنتر واخوته قد تغيروا من حالة الرجال وقد صار لكل واحد منهم تمثال (قال الراوى) فعند ذلك نهض الملك قيصر ومن كان عنده من الرجال ودخلوا على الصور فلما رآها الملك قيصر تعجب غاية العجب هو وبطارقته الحضار وخلع على الصناع وأعطاهم ألف دينار (قال الراوى) ثم ان الملك قيصر دعا باحضار أبى الفوارس عنتر فما كان الا قدر ساعة حتى حضر فاستقبله الملك قيصر أحسن استقبال وقال له يافارس عبس وعدنان بحياتى عليك ياأوحد الزمان لايحصل عندك غيظ مما ترى من الاشغال ثم انه أخذه وسار حتى دخلوا على هذا التمثال (قال الراوى) فلما رأى عنتر الى صورته وصورة أخيه شيبوب والخذروف ولده اندهش من ذلك وتحير وأخذه الوهم والفكر والتفت الى الملك قيصر وقال له ياملك أنتم عندكم من يصور هذه الصور الآدمية ويتعدى على القدرة الربانية ولايخاف من الاثم ولا من الخطية فقال له الملك قيصر ياأبا الفوارس اعلم ان الصور فى ديننا حلال ونحن لانصور الاصورة من نحبه ومن شدة محبتك عندى صورت صورتك حتى أبقى أنظرك كلما يجئ على بالى تذكارك لانى ماأقدر أمنعك عن أهلك وديارك وأعيقك بغير اختيارك فقال عنتر على بالحكيم الذى صور هذه الصور حتى أرمى عنقه وأقابله بما يستحقه فأخذ الملك بخاطره وهدأ روعه وسكن غيظه وغضبه وبعدها جلسوا الاكل الطعام وقد أتتهم الخدام بالمدام ولما أكلوا اكتفوا أتوهم بالمدام وجلسوا يتعاقدوا فى الحديث والكلام فعندها تقدم عنتر الى عند الملك قيصر وقبل يده وأثنى عليه

وله شكر وطلب منه الاذن فى السفر فأذن له فى ذلك بعدما خلع عليه وأعطاه مناه وأكرمه وأرضاه وكذلك شيبوب والخذروف وخلع أيضا على عمرو بن الحارث وأعطاه التشاريف والاحكام بولاية أرض الشام ودقت له الكؤسات وانتشرت البيارق والاعلام وسار معهم قيصر مرحلة كبيرة وقلبه مع عنتر بن شداد وبعدها حلف عليه عنتر ورده وأحسن له الوداد وساروا يقطعون البرارى والقفار وفى قلب عنتر على عبلة لهيب النار وشم روائح القرب من الديار ولم يزالوا فى سيرهم مجدين حتى أشرفوا على دمشق الشام وطلعوا أهل البلد الى استقبالهم الشيخ والغلام وقد فرحوا بالملك عمرو واندهشوا مما رأوا معهم من الاموال الذى تدهش النظار وهبت عليهم نسمات الاسحار وشرفوا المنازل والديار وزينت البلد لقدومهم بالاقمشة الغالية الاسعار ودخل عنتر على عبلة ففرحت به الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وقالت له يا ابن العم أخبرنى بشرح حالك وماتم عليك وماجرى لك مع الملك قيصر وماأعطاك من الاموال والبدر وكيف أخذت لعمرو مملكة الشام كما كان أباه على بنى غسان فأخبرها بجميع ماجرى له من أوله الى آخره وأطلعها على ظاهره وباطنه ففرحت عبلة بعلو منزلته واستقر الملك عمرو فى دولته وفرحت به عشيرته وشكروا عنتر على مافعل ودبر وأقام عنتر بدمشق الشام أيام وليالى وهو فى خيرات وانعام وهو كل يوم فى صيد وقنص واغتنام اللهو مع الفرص وهو على ماهو عليه من هذه الاحكام واذا بغبار وثار حتى حجب الشمس عن الابصار وبعد ساعة انكشف للنظار وظهر من تحته مائة فارس كرار والمقدم عليهم ورقة بن الملك زهير فلما تحقق كل منهما صاحبه رمى نفسه من على ظهر جواده الى الارض واعتنقوا بعضهم البعض وبكا عند اللقا وفرح بالملتقى وقال ورقة يا ابن العم ندم أخى على فراقك وقد أنفذنى الى خدمتك وأمرنى أن أسألك فى الرجوع الى حالتك قال فلما سمع عنتر من ورقة هذا الكلام فرح واستبشر وقال له يا ابن العم ما كنت الا سائرا اليكم فى هذه الايام ثم انهم عادوا جميعهم الى مدينة دمشق الشام ونزلوا فى الخيام وأكرمهم غاية الاكرام مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع برز عنتر الخيام والسرادقات واستأذن عمرو بن الحارث فى العودة الى أهله فقال له الملك عمرو ياأبا الفوارس وحق المسيح ان فراقك مايسهل على ولكنى ماأقدر أمنعك عن أهلك ثم سار معه للوداع ثلاثة أيام وودعه عنتر وأقسم عليه أن يزوره فى كل عام وسار عنتر طالب أرض الشربة والعلم السعدى ولم يزل سائرا الى ان أشرف على الديار فوجد الحى يموج بسكانه ويرتج بقاطنه والخيول مهملة والسروج مقلبة والنساء متهتكه والرجال فى البليه وهم يبادون واسيداه واملكاه فانزعج عنتر لذلك وطاش عقله وتحير وتقدم الى الملك قيس وسلم عليه وعانقه وبعد ذلك سأله عن الخبر فنعى اليه أخوه الحارث وزوجته لبنا فنال عنتر من ذلك منال عظيم لان الحارث كان عنده بمنزلة أخيه مالك فسأله عن الذى قتله فقال قيس يا ابن العم قتله رجل يقال له العيقفور بن عرعر أخو الخيثعور الذى قتلته أنت من قديم الزمان وكان السبب فى قتلة الحارث ان زوجته لبنا قالت له فى بعض الايام يا ابن العم انى قد اشتقت الى أهلى وأريد منك أن تنعم لى بزيارتهم حتى أبل شوقى اليهم فأجابها الى ماطلبت وأركبها فى هودج مجلل بالحرير وفى أعلاه قبة من الذهب الاحمر وزمام من الابريسم الاخضر وسلمها الى عبد من عبيده وركب الحارث على ظهر جواده راعيا بعدة جلاده وسار معه خمسين فارس من الفرسان المعروفين بالحرب والجلاد ولم يزالوا سائرين يقطعون البر والوهاد الى ان وصلوا الى أرض بنى زهران وسمع بهم شامة بن يقظان فخرج اليهم واستقبلهم أحسن استقبال وفرح بابنته وضمها الى صدره وشكر الحارث على فعله التى أتى بها اليهم ليبلوا منها شوقهم وأقام عندهم ثلاثة أيام وعادوا راجعين طالبين ديار بنى عبس وعدنان وسار أبوها لوداع الحارث يوم كامل وحلف عليه ورده قال ولما نظر العيقفور وأصحابه الى الحرث وقدومه الى صهره وما فعل فى حقه ونظره الى هودج لبنا عند المسير وذكر محبة أخيه لها وكيف قتل عنتر أخيه من أجلها انصعب ذلك عليه وكبر لديه وطاشت فى رأسه رياح النخوة لاخذ الثار وكشف العار فقال لقومه يابنى عمى اعلموا انى قد تجددت على مصيبتى وعظمت رزيتى عند قدوم الحارث علينا

وأنتم تعلموا ان الحارث هو كان السبب فى قتل عنتر لاخى الخيشعور وأخذ زوجته على رغم أنفه وجلب لنا العار والآن قد وجدنا فرصة لاجل أخذ الثار فالحقوا بنا الحارث بن زهير نقطع عليه طريقه ونحرمه توفيقه فأجابوه بنى زهران وبنى كهلان وجدوا خلفه فى البرارى والقيعان فبينما الحارث سائر بزوجته وهو فرحان بعودته وما عنده علم ان أحدا يأتى اليه ولا يقدم عليه فهو كذلك واذا بنواصى الخيل قد طلعت وفرسانها قد بدرت وهى تنادى الثار الثار البدار البدار أين تنجوا من هذه القفار وقد آن لنا أن نستوفى ديوننا فلما سمع الحارث منهم ذلك قال لمن حوله يابنى عمى هذه خيل بنى زهران قد أتوا يطلبونى بالثار الذى لهم على من قديم الزمان وقد طمعوا فينا لقلتنا وبعدنا عن ديارنا والاوطان فوقوا كرام ولا تعيشوا لئام عندها حملت بنو عبس بالصوارم والقنا وودع الحارث زوجته ابنا وقال لها هذا يوم الفراق الذى ما بعده تلاق عندها أخذت فى يدها الخنجر الذى يسبق القضاء والقدر وقالت ها هو فى يدى فان غادرتك يد الزمان أسقيت نفسى كأس الهوان ولا أدع بعدك يملكنى انسان عندها عاد الحارث وقد أدركه العيقفور فقال له الحارث ويلك ياوغد قومه ولئيم عشيرته لحقتنى فى هذه الديار لتأخذ منى بثارك وتكشف عنك عارك فلم يجاوبه العيقفور بجواب بل انه حمل عليه ومد السنان اليه هذا ولبنا قد شرعت سجاف الهودج وقد أجرت الدموع وفى قلبها لهيب النار واذا بصرخة من تحت الغبار واذا بها من العيقفور وهو كأنه الاسد الغيور واستمد الحارث بطعنة فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره فمال فى الفلاه وتخضب بدماه وبعدها مالت الفرسان على بنى عبس فقتلت منها اثنى عشر فارس وهجوا الباقين فى الفلوات وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور بعدما قتلوا ثلاثين من أصحاب العيقفور ونظرت لبنا الى ابن عمها فرمت نفسها عليه وتلطخت بدماه ونادت واسيداه وابن عماه والتفتت الى العيقفور وهو واقف على رأسها يريد أخذها فقالت له شلت أناملك وقطعت مفاصلك فلقد قتلت سيد قومه وملك عشيرته ورئيس قبيلته ثم انشدت تقول

يا ليتنى من قبل ما أنظره فى الثرى * أساوى من دارت عليه الدوائر
لعمرى ما بالموت عار على الفتى * وقد شهدت له فى الحروب الاكابر
ومن كان ممن يحدث الدهر جازعا * فلابد من يوم يرى وهو صابر
وليس لمخلوق من الموت مهرب * وليس على الايام والدهر غائر
وكل مخلوق أو جديد الى البلا * وكل امرئ حقا الى الله سائر
فانعيك يا مولاى حيا وميتا * أخا الحرب اذا دارت عليه الدوائر
مليك بنى عبس فوالهفى له * لقد ناله ما كنت منه أحاذر

(قال الراوى) هذا وبنو زهران لما ان سمعوا من لبنا هذا الشعر والاوزان وذلك الكلام حارت منهم الافهام وصاروا يتعجبون مما قالت لبنا من هذا اللفظ والكلام وما حصل لها على الحارث من الآلام ونظروا ما قد جرى لها من الاحتراق فرفعوها على هودجها على أن يسيروا بها الى أهلها فضربت روحها بذلك الخنجر فى صدرها طلعته يلمع من ظهرها فلما راوها بنو عمها وقد فعلت هذه الفعال بنفسها علا صياحهم وارتفع نواحهم وواروها مع الحارث فى قبر واحد وعادوا الى أبيها وأخبروه بفعلها فقال لله درها ثم حزن عليها هو وأمها فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من المنهزمين من بنى عبس فانهم بعد قتل الحارث مازالوا سائرين حتى وصلوا الى الحلة وأقاموا الصياح وأخبروا الملك قيس وبنى عبس بالجملة فشقوا الجيوب وقطعوا الشعور ولطموا الخدود وهدم الملك قيس القباب وقطعوا المضارب والاطناب وفى ذلك الوقت قدم عنتر بن شداد كما ذكرنا وسأل عن الخبر كما قدمنا فأخبروه بتلك القصة فدخل على قلبه ألف غصة مما لحقه من الوجد والزفير ولم يجد له بدا من المسير لاخذ الثار وكشف العار فركب من وقته وساعته فى فرسان عشيرته وأخذ معه زيد بن عروة فى رجال أبيه وأخذ ورقة بن زهير ونوفل أخيه وترك الملك قيس فى الحلة وحلف عليه وسار عنتر فى ستمائة فارس من كل مدرع ولابس بالدروع والجواشن والخيول الصوافن ومعه جماعة من أصحاب

الحارث بن زهير ليدلوه على قبره وساروا مجدين وهم يكثرون من البكاء والانين الى ان وصلوا الى قبر الحارث فلما رآه عنتر بكى وانشد يقول

يادهر سيفك فى الاحبة يقطع * زرقا بهجة مدة تولى بمضجع * قد هده طول البعاد ومنعه
ألم الفراق وقلبه يتوجع * يادهر ما أنصفت فى حكم الهوى * سهران ويحك والاحبة هجع
رحلوا وما تووا واستقل ركابهم * سحرا وقلبى نحوهم يتقطع * ساروا ولم أدر متى يكون اللقا
قسما بهم لاقت حين يرجع * هذا منازلهم بقاع بعدهم * نعق الحمام عليهم ويشجعوا
يادار أين القاطنون وأهلهم * آثارهم بالقبر بين تجمعوا * ياعين سحى بالبكا من أجلهم
ياعين جودى بالعقائق أدمعوا * أين العمالقة الجبابرة التى * خلوا قصورها خلاة بلقعوا
أين الاكاسرة الاول وآثارهم * ذهبوا ودارهم وابقاع تفزعوا * هذا قضاء الهنا فى خلقه
والناس كلهم واعليهم أجمعوا * هذا هو السر الذى غمر الورى * والله يفعل ما يشاء ويصنعوا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات أبكى العيون وأثار الشجون وأقام على قبره ثلاثة أيام ونحر على قبره مائة ناقة مما ثلات الاصنام وفى اليوم الرابع رحلوا طالبين أرض بنى زهران فهذا ما جرى لبنى عبس من الامور العظام (قال الراوى) وأما بنو زهران فان كبراءهم اجتمعوا على العيقفور وقالوا له والله لقد أضرمت علينا نارا تحرق الكبار منا والصغار وجلبت لنا بقتل الحارث البوار لان بنى عبس ما تقعد عن أخذ ثارها فقال لهم يابنى عمى أنا حاسب هذا الحساب وانهم يأتوا الينا بالسيوف والحراب وها أنا سائر الى بنى عمى بنى نبهان وفارسهم المهلهل حتى يعينونى على بنى عبس وعدنان ونرميهم بالتعس والنكس وان كانوا ما يأتون الينا سرنا نحن اليهم فلما سمع بنو زهران ذكر المهلهل طابت قلوبهم وانكشفت كروبهم وعلموا أن ما فى الفرسان ولا العربان من يقاومه فى الحرب والقتال لانه ذلت له بنى قحطان ثم ان العيقفور ركب ومعه جماعة من رؤساء عشيرته وسار يجد السير الى ان قدم على المهلهل ودخل عليه فعندها فرح بقدومه وأكرمه غاية الاكرام وأقام عنده ثلاثة أيام وبعدها تقدم اليه العيقفور وشكا اليه قصته وكيف قتل الحارث بن زهير وقد أتيت اليك مستجيرا بك أيها الامير فقال له طب نفسا وقر عينا ثم انه صاح من وقته وساعته فى كبراء عشيرته وأمرهم بالمسير فى صحبته فأجابوه الى طلبته وركبت معه فرسانه والشجعان وهم كأنهم العقبان وركب الملك المهلهل بن مسروق على جواد أدهم مهندم ملمم بغرة كالدرهم اذا صهل كاد أن يتكلم وهو فى عدة كاملة وساروا مجدين وهم يقطعون الروابى والمناهل الى ان أشرفوا على أرض بنى زهران فاستقبلوهم من أبعد مكان وأكرموهم وزادوا لهم فى الاحسان وأنزلوا الملك المهلهل فى أعز مكان (قال الراوى) لهذا الديوان ثم انهم نحروا لهم النحور ودارت بينهم الخمور ودام عليهم الفرح والسرور والكاسات عليهم تدور ثم أقاموا على ذلك المرام ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قال لهم المهلهل يابنى عمى نحن ما أتينا كم لاجل ضيافة على هذا الحال بل أتينا نطلب الحرب والقتال وشرب دماء الابطال ونسير الى بنى عبس الاقيال قبل مسيرهم الينا فى الاطلال فنقدم عليهم قبل ما يقدمون علينا ونذيقهم الوبال ففرح قومه بذلك المقال وساروا وهم فى عشرين ألف عنان وكانوا أربع قبائل وهم بنو بجيلة وكهلان وبنى الرهاط وزهران وسار الملك المهلهل يقدم الفرسان وهو مدل بشجاعته ويقول فى نفسه ان جميع الفرسان دونه وكلها فى قبضته ولما تمادى به المسير أنشد وجعل يقول

انى أنا الموصوف فى قومه * تعرفنى الابطال عند النزال * أجندل الابطال من هيبتى
وأردى الشجعان وسط المجال * وكم بطل جندلته فى الثرى * معفر الخدين دامى العوال

(قال الراوى) ولما فرغ الملك المهلهل من هذه الابيات شكرته وأثنت عليه سائر السادات ثم انهم ساروا يجدون المسير وهم قاصدون بنى عبس المشاهير فى الجد والتشمير وكذلك بنى عبس المشاهير حتى التقوا بعضهم البعض وانفرشت من الطائفتين الابطال وقد ملأت تلك الارض فعندها حملت العشائر والتقت العساكر

وكانت بنو عبس تنادي يالثارات الخيشمور بن عراعر هذا وقد عمل بين الطائفتين القتال واشتد الحرب والنزال وتكسرت في أيديهم النصال وعظم الزلزال ولم يزالوا كذلك الى ان اقبل الليل بالانسدال وولى النهار بالارتحال وافترقوا الطائفتين عن القتال واوقدت النيران وتحارسوا الفريقان فلما كان عند الصباح تواثبوا الى الحرب والكفاح وقد ركبوا الجرد القداح واشهروا في أيديهم البيض الصفاح واعتقلوا بسمر الرماح فهم على ذلك الشان واذا بالعيقفور بن عراعر قد برز الى الميدان ومحل الضرب والطعان ونادى ويلكم يابني عبس أظننتم ان الايام لكم تدوم ابشروا بهذا اليوم المذموم فانا العيقفور أخو الخيشمور وانا الذي قتلت الحارث بن زهير وتركت لحمه رزقا للوحوش والطير وفي هذا اليوم أبيد خياركم واهلك كباركم وصغاركم فما تم العيقفور كلامه حتى سار ميسرة بن عنتر قدامه وصار يجول ويصول ويأخذ الميدان عرضا وطول وينشد ويقول

أنا الاسد المعروف عند الجحافل * وكلهم وبي عارف غير جاهل
اذا طردت الخيل الفوارس في الوغا * أبيدهم وابالمرهفات الفواصل
وكل رديني تخال سنانه * سناقيس في مرتب غير آفل
ولابد ما أفني جمعكم بمهند * والقيكمو بين الحصا والجنادل

(قال الراوي) ثم انه بعد شعره حمل على العيقفور بشدة مرامه وأطبق عليه بحسن اهتمامه وجالا حتى علا عليهما الغبار بقتامه وسار فوق رؤسهما مثل السحاب وغمامه وعدلا في الحرب عن طريق السلامة واعتمد كل واحد منهما على ضرب حسامه وكانت لهما ساعة أشبه الساعات بيوم القيامة هذا وعنتر متطاول الى الغبار وقلبه الى ولده قد طار وهو يترجى أن ينصر على خصمه في لقاه لانه ما بقي له ولد سواه فهو كذلك على ذلك الحال وعينه محدقة الى محل الحرب والقتال واذا بزعقة عظيمة وقائل يقول يالعبس وعدنان فتبين عنتر من هو ذلك القائل واذا هو ميسرة وقد ضرب العيقفور على صدره أطلع السيف من خرزة ظهره ثم انه جال في الميدان ومحل الضرب والطعان وطلب براز الشجعان وقتال الفرسان وأنشد بفصاحة اسانه يقول

كم من فتى ى اسلاح رامح * متقدم يوم الوغا ومكافح * يمشي كمشي القوم في الصحاصح
غادرته بشرب دم ناصح * ورفقته يوم الوغار واجح * وقومه بأوجه كوالح
سمر القنا بيض الصفائح * بيد بها مثل الشوارح

(قال الراوي) ثم ان ميسرة لما فرغ من ذلك الشعر والنظام طلب القتال والصدام فخرج اليه المهلهل بن مسروق وهو بفؤاد محروق ودمع على العيقفور مدفوق وهو ينشد ويقول

ابكوا على الارواح قبل هلاكها * برجوعكم جمعا الى الاوطان * فقد قتلتم سيدا في قومه
حلو الشمايل من بني زهران * من كان يسمى بالفخار على الورى * وبصنعة المعروف والاحسان
واذا التقت حلق الابطان رايته * شديد العزيمة ثابت الاركان * حتى رماه الدهر منه بصرفه
فثوى صريعا في محل طعان * لهفي عليه وليتني من يومه * مالم أرى من طارق الحدثان

(قال الراوي) ثم ان المهلهل بن مسروق لما فرغ من ذلك الانشاد حمل على ميسرة بن عنتر بن شداد وطلع على الاثنين الغبرة في تلك الوهاد وبقيت الاقطار مكدرة وكانت لهم ساعة عسرة ضيقة محصرة ثم ان المهلهل جال على ميسرة واستجاده بطعنة في صدره طلع السنان يلمع من ظهره فمال عن الجواد الى وجه الارض وقد تأثرت دمائه طول وعرض فلما رأى عنتر الى ذلك احترق قلبه وفؤاده وغاب عنه رشاده وغشي عليه وهو على ظهر جواده وأما المهلهل فانه صال وجال وأنشد وقال

لئن قتلوا منا همام عشيرة * فأني ليوث الحرب عند الكتائب
وعادتنا ضرب الجماجم والطلا * اذا اسودت الاقطار من كل جانب
ولولا سحاب الحرب خاضوا غمامها * جميعا ونادوا كل أشوس غالب

سيعلم وغد القوم اني أذيقه * حمام بحد السيف بين المواكب
وما الفخر في جر الجيوش واغا * يزين الفتى الاقدام يوم النوائب
فكم فيكمو ذو منعة غيرتأ كل * يبادر نحوي سرعا غير هائب
فاني أجندل العداة بمرهف * ضربته تبرى عظام الترائب

(قال الراوي) فما اتم المهلهل هذا المقام حتى برز اليه ابن أخت عنتر الهطال ولما صار في وسط المجال نزل الى ميسرة فرآه ملقى على ظهره فقبله وضمه الى صدره واشار يرثيه بهذه الابيات يقول



لقد صار قلبي معدن الهم والاسا * وعبرة عيني تستهل على نحري
وكم سامني دهري بشطر أحبتي * فلما تقضي شطره عاد على شطري
ألا ليت امي لم تلدني وليتني * سبقتك اذ كنا الى لحدنا نسري
فقد كنت لي ذخرا اعيش بظله * فلما دني فاضت دموعي ولم أدري
أرى كل حزن سوف يبلى جديده * وحزني عليك اليوم باق مدى الدهري
فان كنت مقتولا فسوف أبيدهم * وأشفي غليلا قد تمكن من صدري
فما الدمع أشفي للصدور من القنا * وان كان ماء العين أنهرا وبحري

(قال الراوي) ولما ان الهطال فرغ من ذلك الانشاد عاد الى ظهر الجواد وطلب قاتل ميسرة وحمل عليه حملة منكرة فلما رآه المهلهل طالبه وقد حمل عليه ولكن تبين له منه بعين الفراسة انه ما بقي يعرف ما بين يديه وكان قد سمع ما أنشده من شعره فضاق لذلك صدره وأجابه يقول

ستعلم اني سوف ألقيك بعده * تخطفك العقبان في مهمه تفري
كأني همام في الحروب مبادر * أصول على الاعداء بالبيض والسمر
وأنا ابن مسروق برمحي وصارمي * أبدد شمل القوم في السهل والوعر

(قال الراوي) ثم انهم لما فرغوا من ذلك الشعر والنظام حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه وجالا طويلا واعتركا ميلا هذا كله وعنتر مغشى عليه وهو راكب ما يعرف ما بين يديه وكان في ذلك قد أفاق من غشوته وقد انقلبت من أجل قتل ولده حالته وقال من الذي برز الى قاتل ولدي وأخذ معه في المجال فقالوا له ابن اختك الهطال فاستقبل لذلك باله وما بقي يعرف يمينه من شماله وجعل يحدق بعينيه نحو الغبار ودموعه على خديه غزار وبنو زهران قد فرحوا بالمهلهل وأبدوا الاستبشار وامتدت الى الفارسين الاعناق وشخصوا نحوهم بالاحداق وقام الحرب بينهما على قدم وساق عندها أطبق المهلهل على الهطال واكر به في مقام المجال وطعنه في جانبه اليمين أخرج سنان الرمح من الجانب الشمال ونفضه لقيه على الرمال قال فعلت الضجة من بني زهران وأيقنوا بالنصر والامان ونظر عنتر الى مصرع ميسرة والهطال وما قد حل بهم من الوبال فعلم ان منية اخوته قد حانت ومنيته قد دانت فهم في عاجل الحال الحصان الى ان صار في الميدان ووقف على مصرع الاثنان وتذكر الحياة واشتاق الى الوفاة وتهاطلت عبراته وتمنى الوفاة عند هزه بالجواد وقد صار بهتان من فعل هذا الشيطان وبكى من فؤاد معلول بدمع مهطول وأنشد يقول

أرقد وقد نام الاخلا وهاجتني * من الليل هم في الفؤاد وجيع
وفارقت أحبابا وذخرا لشدتي * فسرت حزينا والفؤاد مروع
وكم عبرة كفكفتها بعد عبرة * أتت واستهلت عبرة ودموع
فافاض عذب من شروق مدامعي * على فارس مما أحب يروع
كأن لم يحاربني ولم يمس ليثه * أراموا لم يصبح ونحن جميع
سأبكي على القيل الغضنفر ميسره * كما لاح ورق في الغصون وقوع

اذا ما بكت عيناى ذكرنى به * حنين حمام فى الغصون سجوع
غدرت هذيل فابتدرونى بحارث * وفى الصدر منى علة وقطوع
ودمعى على الاطلال يهمل جمة * وقلبى فيه حسرة وولوع
ومن مقتل الغضبان وابن سعادتى * وفقد غصوب سرت منه وجيع
ومن مازن أصبح فؤادى مصدوع * وسارت أجفانى تفيض دموع
فمن ذا يعيش يوما لذيذا اذا رأى * أحبابه منه مستبقين ضجوع

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره زعق على المهلهل وقال ويلك يا لئيم قومه ويا أخس عشيرته والله لآخذن بثار هذين الفارسين من سائر قومك الجميع الرفيع منهم والوضيع فلما سمع المهلهل كلامه ونظر الى حسرته استهول خلقته وكبر جثته فزعق عليه يا أسود يا زنيم اما حل لزمانك ان يزول ولمدتك أن تحول أتحسب ان الزمان كله لك أما تعلم انه كما أضحكك يبكيك وكما يسرك يضرك وكما حلى لك غرك وكما شدك بأولادك أحرقهم عند الكبر فؤادك واليوم هذا آخر أيامك وسوف آخذ للعرب منك بالثار وأكشف عنهم العار فلما سمع عنتر منه هذا المقال قال له الويل لك ولابيك ولعن الله قومك وذويك أتظن ان قتلك لولدى ولابن أختى يكون لك من يدى خلاص أو بقيت تنظر منى مناص ثم انه حمل عليه وهو ينشد ويقول

طاب الحمام لفقد السيد البطل * خير الفوارس من خاض بالاسل
أعنى لبسرة الندب الهمام اذا * طارت قساطل نار الحرب تشتعل
كم قد أباد لدى الهيجاء من بطل * يوم الكريهة والابطال فى وجل
وبعده فارس الهطال خيرقتى * مردى الكماة غداة الروع بالامل

(قال الراوى) فلما سمع المهلهل شعره أجابه وهو يقول

اليوم أسقيك كاس الموت والوجل * بأبيض الحد ماضى الشفر كالشعل
أرديك فى حومة الميدان مجندلا * بين اختلاف القنا والطعن بالاسل
أنا ابن مسروق والمعروف سيمته * ما عدت يوم الوغا من فارس بطل

(قال الراوى) ثم انطبق كل واحد منهما على صاحبه وتلقى طعنه ومضاربه وأظهر فى الحرب عجائبه وتزاعقا وتهاجما وتلاطما وتصادما وهاجا كما تهيج الجمال ورأى عنتر خصمه شديد وجبار عنيد وكلما اشتد فى قتاله قويت أوصاله فطاوله فى الميدان وشرع معه فى الضرب والطعان وقلبه من الهم ملآن ثم انه صرخ فيه أرعشه وقاربه حتى حك الركاب بالركاب وضربه بالصارم القرضاب على قمته نزل السيف الى نصف قامته فانقلب من على ظهر الجواد كأنه طود من الاطواد فبرد غليل عنتر بن شداد وداس عليه بحوافر الجواد عندها حملت عليه بنو هوازن وهم ينادون يا أسود يا زنيم يا بغل يا لئيم أذاقك الله العذاب الاليم ثم حملوا فى عشرين ألف وهم مثل الليوث العوابس فصرخ عنتر فى وجوههم ونادى يا أولاد الزوانى اليوم أملأ منكم البيدا وأشفى غليل قلبى من الردا ثم انه حمل وحملت خلفه بنو عبس الاجواد والتحم بين الطائفتين القتال والطراد وانطبقت الجيوش على بعضها البعض حتى زلزلت أقطار الارض هنالك دارت الدوائر وبان الرابح من الخاسر وثبتت بنو زهران فتلقتها بنو عبس وعدنان وكان لهم يوم تشيب فيه الولدان هذا وعنتر ما وقع بفارس الا حطمه ولا ببطل الا قتله ولم يزالوا على ذلك المرام الى ان أقبل عليهم الظلام وافترقوا عن ضرب الحسام وعادت بنو عبس بعددها القليل وقد فعلت الفعل الجميل وقتلت من أعدائها أوفى من ألفى قتيل وعاد عنتر وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهو يهتز مثل الاسد الغضبان وعادت بنو زهران وبنى قحطان وقد بان فيهم النقصان وعلموا انهم مع بنى عبس فى خسران فاجتمع المشايخ منهم يتشاورون فيما يفعلون فقال بعضهم الرأى عندنا ان نجعل دروعنا قبورنا ونقاتل عن حريمنا حتى نفنى جميعنا والان انهزمنا منهم وطلبنا الفرار ما يبقى منا ديار ولا نافخ نار ثم جعلوا يشجعون أنفسهم حتى أصبح

الصباح فركبوا على الجرد القداح واعتدوا للحرب والكفاح فحمل عليهم عنتر ليث البطاح وتبعته بنو عبس الاوقاح ففرقوا عددهم وأبادوا مددهم وحمل عنتر على الاعلام فكسرها وطعن فى القوم بهرها ولم يزل يقتل من كل فارس نبيل وبطل جليل وقد أشبعهم ضربا وطعنا وطعن العشائر طعنا وقد أبادهم بالصارم البتار ورجع عنتر ومن معه من الرجال ومعهم ستمائة أسير من بنى زهران فضرب رقابهم عن بكرة أبيهم الى ان أحيا بنى أسد ونزلوا عليهم نزول البرد فهجوا من بين أيديهم وتركوا لهم المال والنوال فقال لهم عنتر يا قوم هكذا حال الغنم اذا شمت رائحة الاسد شردت فى البر والفدفد ثم انهم أقاموا على مياههم ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قد حمل هو ومن معه على أبياتهم فقتلوا منهم خلائق لا تحصى وقاموا الاحياء وسبوا النساء والولدان وصاروا رزقا ومغنما للشجعان وتركوا ديارهم بلاقع لا فيها ناظر ولا سامع ثم انهم رجعوا الى موضع المعمعة وأخذوا ميسرة والهطال ودرجوهما فى الاكفان وحملوهما على ظهور الجمال وعادوا طالبين أرض الشربة والعلم السعدى وعينا عنتر تفيض بالدموع ولما تمادى به المسير أنشد يقول صلوا على طه الرسول

فهما قليل فولوا وقد * قتلت الهمام الفتى المعلما * وجرت أبيض ماضى الحديد
يلين لهزته مخذما * تركت مهلهل تحت العجاج * ومن بعده الفارس الاشيما
وقرت عيونى بثاراتهم * وسارت نساهم اذ مغنما * جلبت بنى عبس فى حربها
الى حرب جبانها علقما * فصبحت هوازن فى دارهم * خوارج من كواثر أقتما
فناديتهم باختلاف الطعان * اذا حملنا ساعة أضرما * أقمت سناء النار وسط الديار
وأسقيتهم صرفها محتما * فيا آل عبس فمن فعالكم * من الناس من قد سمى أكرما

(قال الراوى) فلما سمع القوم هذا النظام تعجبوا من فصاحته وقوة قلبه ووقاحته فعندها تقدم اليه ورقة ابن زهير وقبله بين عينيه وقال له لا فض الله فاك ولا كان من يشناك يا أبا الفوارس ويا زين المجالس فلقد جلوت ظلامها وأزلت غمامها فلا عدموك محبيك ولا أفلح معاديك ثم انهم ساروا ورحل يطلب ديار قومه ومنازل عشيرته وأصله وقبيلته فبينما الامير عنتر سائر واذا بغبرة بين يديه قد أقبلت وعجاجة ارتفعت والى الجو تعلقت وبعد ساعة تمزقت وبان من تحتها بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وصلصلة الحديد والزرد النضيد وقدامهم فارس شديد كأنه عامود من العواميد وهو طويل القامة عظيم الهامة والى جانبه فارس يشابهه فى الزى والمنظر الا انه أوطى قامة وأكثر هامة ولما نظروا الى عنتر والى كثرة الاموال الذى معه وذلك السبى الكثير طمعوا فيه وتوقفوا عن المسير ونظر عنتر الى حسن خيولهم وعددهم فطمع فيهم وفى قلة مددهم فوقف دونهم وقال يا بنى الاعمام مرادى من يكشف لنا خبر هؤلاء القوم اللئام ومن أى العرب هم حتى نبقى على يقين وتزداد عندنا معرفتهم البراهين فان الانسان لا يخلو من عدو ولا صديق ولا سيما فى مثل هذا البر والطريق فبينما هو معهم فى الكلام والجدال واذا بفارس من بين تلك الابطال أطلق نحوهم حصانه وقوم بين آذانه سنانه ولم يزل حتى تقرب منهم ووقف ونادى يا وجوه العرب أخبرونا بانسابكم فان كنتم من أعدائنا فابشروا بالندامة وان كنتم أصدقائنا فابشروا بالسلامة فهذه الخيل التى ترونها من بنى قضاعة أهل القوة والشجاعة والمقدم عليها الامير عمرو وذو الكلاب الفارس الندب وأخته الهيفا قناصة الرجال فأنتم من تكونوا من الابطال فعجلوا فى المقال واكشفوا لنا عن حقيقة هذا الحال قبل أن يحل بكم الوبال فما تم هذا المقال حتى برز اليه من بنى عبس فارس رئبال يقال له أسد بن ماجد فانقض عليه مثل العقاب الشارد وكان عنتر قد أخرجه اليه فلما تقرب منه وحاذاه فأطلق لسانه وناداه وقال له يا فتى ميز أمامك وانظر من قدامك فنحن فرسان بنى عبس وعدنان ومقدمنا فارس العصر والاوان الفارس الاسمر والبطل القسور فارس الجلاد وحية بطن الواد أبو الفوارس عنتر بن شداد (قال الراوى) فلما سمع الفارس هذا الكلام صار كأنه التجم بلجام وعاد راجعا الى صاحبه وأعاد عليه هذا الخطاب وقال له أيها البطل الهمام

هؤلاء بنو عبس الكرام فرسان المنايا والموت الزؤام والمقدم عليهم عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد قال فلما سمع عمرو ذو الكلب هذا المقال اهتز على سرجه ومال ونادى يا للعرب يا لها من غزوة بها تقر العين وأوفى مالى على هذا الفارس من الدين هذا قاتل ابن عمى المتعجز بن فايز القضاعى وهو الذى قبض عليه وسلمه الى خفاف بن ندبة وأوصل الاذية اليه وكان هذا عمرو ذو الكلب له حديث عجيب لانه كان قد فعل فى العرب شئ كثير غريب ما فعله أحد من قبله ولا من بعده وذلك من شدة تجبره وجهله وله أخ يسمى عنان وكان جبارا من جبابرة الفرسان وكان محنه الله يأكل لحوم السباع وكان يهجم عليها فى الغابات ويقبضهم بيديه ويقرض حلوقهما بأسنانه ويشرب دماءهما وكان قد أفنى منهم شئ كثير وما زالت هذه الصفة صفته حتى انتهت مدته فأعطوه خبر أسد قد تغرب فى البرارى واعتاد على لحوم الانسان فسار اليه وهجم عليه ولطمه بيديه وجذبه الاسد بين فخذيه وقرض حلقه فى عاجل الحال ومات وقضى عليه فلما نظر أخيه الى جواده وقد عاد خالى منه علم ان السبع أكله فركب جواده وسار حتى دخل على الاسد فى أجمته ونظر واذا بأخيه تحت الاسد وهو يرتع فى جثته عندها تقدم الى الاسد وزعق عليه وضربه بالسيف بين عينيه أخرجه يلمع من بين فخذيه ثم انه أخذ ما بقى من لحم أخيه وواراه فى التراب وحلف انه يقتل فى ثار أخيه مائة سبع وصار يهجم الغابات ويقتنص الاسود العتاق ويذبحها على قبر أخيه حتى هابته سادات العرب من ذوى المناهى والرتب وحملت اليه الاموال تدارى بها وتتقى منه الاهوال ثم انه أخذ كلب من كلاب الصيد وعمل فى رقبته طوق من الذهب الاحمر وقلادة من الجوهر وقد حلله بحال من الديباج مرقوم بالذهب الوهاج ووكل به مائة عبد من العبيد الانجاب وأمرهم أن يطوفوا به على قبائل العرب ويقولوا هذا كلب الامير عمرو بن جلهمة القضاعى وقد جعله غفيرا على سائر قبائل الشام الى أرض الحجاز واليمن وأرض العراق فلا احد منكم يخاف على مال ولا عيال ما دام غفيركم على هذا الحال (قال الراوى) فلما سمعت العرب هذا النداء وتلك الاشارة حملت اليه الغفارة وما منهم الا من يقبل عليه ويقبل الارض بين يديه فلما طال الزمان عليه سمته العرب عمرو ذو الكلب وسمى بين قبائل العرب بهذا الاسم الصعب وقد كانت له أخت تسمى الهيفا وقد اشتهرت بين أقرانها وكانت أحسن أهل زمانها وانه قد تهنى بها لما رأى شدة أعصابها فعلمها الفروسية والكر والفر والهزل والجد وفرسها فى أبواب الحرب وخدائع الطعن والضرب فصارت وحدها تكبس الحال وتنهب الاموال وتقتل الشجعان والابطال واتفق انه كان لها ابن عم يسمى قتادة وهو بطل من الابطال وكان مع ذلك صاحب حسن وجمال فنظرها فى بعض الايام فأرمته من قسى حواجبها بسهام فانشد يقول

دعنى أمتع طرفى منك بالنظر * فنور وجهك يجلى ظلمة البصر
قد كنت عنها غنيا عند رؤيتها * واليوم ليس عيان الشئ كالخبر
أما السماء فما فيها سوى قمر * فرد ويا رب كم فى الارض من قمر

(قال الراوى) فلما سمعت الهيفا شعره زعقت زعقة وبادرته فى عاجل الحال وقالت له ويلك لمن تغنى بهذا الكلام يا وغد العرب ويا كثير الجهل وقليل الادب فقال أغنيت اليك يا حبيبة القلب والفؤاد فهل لك أن تجعلى بينى وبينك ميعاد فلما سمعت كلامه وفهمت مرامه عظم عليها وكبر لديها عندها هجمت عليه وأدخلت يدها تحت عنقه والاخرى مسكت بها رجليه ثم شالته الى حد رأسها وضربت به الارض فأدخلت عظامه بعضها ببعض وطرطش دمه مخه طولا وعرض وهى تنشد وتقول

أظننت أنى أعد من النساء * وذوى الخدور ربات حجال
كلا وحق المروتين وزمزم * ان كنت الا لبوة الرئبال
أفرى الجماجم يوم مشتجر القنا * وأجندل الابطال بالفصال
ذق كأس حتف عاجلا من هيفاء * تلقى الرجال بأسمر عسال

(قال الراوى) ثم انها ولت تهتز غضبا وتستبط عجبا فعند ذلك وقعت الصرخة فى الحى بقتلته وان الهيفا

قتلت ابن عمها واسقته كأس منيته فركضت الناس لينظروا ما الخبر ويقفوا على جلية الاثر فنظروا ما فعلت به من ذلك الامر وخرج أيضا أخوها الامير عمرو فرآها تدمدم وتزمجر فسألها عن الخبر فاخبرته بقصتها فتعجب من تلك الفعلة التى فعلتها ومن ذلك اليوم هابتها الرجال واختشت حومتها الابطال وكانت تركب هى وأخوها الى القبائل ويغيروا على سكان المياه والمناهل حتى دخل أكثرهم تحت طاعتها واستهابوا حومتها (قال الراوى) فبينما هم فى بعض الايام واذ قد قدم عليهم جماعة من العبيد الموكلين بالكلب وأيديهم على رؤسهم وهم ينذبوا غاية الندب ويدعوا بالويل والثبور وعظائم الامور فقال لهم ما بالكم وما الذى دهاكم ونابكم فقالوا أيها السيد كنا كما أمرتنا نحن وجميع العبيد والعرب تحمل الينا الغفارة المقيمين والسفارة واذا قد طلع علينا خمسمائة فارس فى الحديد غواطس يقدمهم فارس طويل فى تقاطيع الفيل وعظم جسمه ونعم ضخمه فلما رأينا تلك الاموال ورأينا خلفهم الابطال قدمنا اليهم نروم خطابهم حتى يردوا جوابهم وقد تبيناهم وعن أحسابهم وأنسابهم سألناهم واذا هم من بنى سليم الذين لم يرفعوا أذيه ولم يشكوا قط ضيم والمقدم عليهم عمرو بن لاطية السلمى فطلبنا منهم الغفارة بعد ان بجلناهم وخاطبناهم بالامارة واذا بمقدمهم قد صاح فينا وزعق علينا وقال يا ويلكم أنحن ممن يعطى غفارة ونحن فرسان المنايا وأسود الغابات ولو انه عار على أنى أعوص سيفى بدم كلب كنت قتلته وقتلتكم معه وأنزلت بكم الكرب ولكن أنا أعمل فيه علامه وأوقع به وبكم المذلة والندامه حتى اذا وصل الى صاحبه علم ان الهوان به لا بكلبه ثم انه يا مولاى نزل الى الكلب وقطع آذانه وعلقها فى عنقه وشرم مناخيره ونزع ما عليه من جميع لباسه بعد ان كاد يهد أساسه ويقطع راسه (قال الراوى) فلما سمع عمرو من العبيد ذلك الكلام ورأى كلبه مقطع الآذان مشوه الاحوال زعق يا لقضاعة يا لقحطان فأجابه جماعة من الابطال والشجعان فقال لا بد لى أن أقطع رأس عمرو وأقتله وافعل به كل أمر صعب وأدور به فى قبائل العرب ولا تركت من سليم من يمشى على قتب ثم انه صرخ فى بنى عمه وسادات قبيلته وركب من وقته وساعته فى ستمائة فارس أشوس عوابس ما منهم الا كل مدرع ولابس وهو فى أوائلهم وأخته الهيفا الى جانبه وكذلك سادات قومه وأهله واقاربه ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على ديار بنى سليم وما كان عمرو بن لاطية يظن ان عمرا ذو الكلب يسير اليه ولا يقدم عليه فبينما هو فى دياره واذ قد وقعت الضجة فى العبيد وهم قد هربوا من المراعى بتلك البيد وهم يصيحوا يا أميرنا نجدنا فقد حل بنا الويل والتدمير وقد أقبلت علينا خيل ونحن فى المراعى فما ثبت قدامها الامير ولا راعى فعندها نفرت الرجال وسمع عمرو بن لاطية ذلك فسأل عن الحال فقالوا له ان عمرا ذا الكلب وأخته الهيفا قناصة الرجال قد غزونا فى جماعة من الابطال وقد قتلوا جماعة من رجالنا وأبادوا عبيدنا وموالينا (قال الراوى) فلما سمع عمرو بن لاطية بذكر عمرو ذى الكلب زادت ناره اشتعال وزاد به الكرب والبلبال فركب وقد غاص فى عدته وخرجت رجاله الى نجدته وأطلق لجواده عنانه وقوم بين أذنيه سنانه ولحق القوم وهم فيما هم فيه من الحرب وقد أبادهم بطعناته وضرباته وعمرو ذو الكلب وهو ينادى يا أوغاد غير أنجاد يا قليلى الادب أنتم تقطعوا آذان غفير العرب فلما سمع عمرو بن لاطية مقاله فتعين عليه قتاله ونادى يا لسليم الكاشفين الضيم أى شئ هذا الفشر ثم انه صاح فى قومه وحمل وفعلت سادات قومه مثل ما فعل وحملت الرجال والابطال والتقاهم عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال فكان لهم يوم عظيم ما جرى مثله فى تلك الاقاليم ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشتعل الى أن أقبل الليل بظلامه الحالك وولى النهار بضيائه الضاحك وافترقت الطائفتان وانفصلوا من بعضهم البعض الجمعان ولولا اقبال الليل كان قد حل ببنى سليم الويل الا ان عددهم كثير وبنى قضاعة فى خلق يسير فتحارسوا الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فكان أوّل من فتح باب الحرب والكفاح عمرو بن لاطية فقفز الى مقام الطراد وميدان الحرب والجلاد ونادى يا آل قضاعة ويا معدن الجهل والرقاعة أنا عمرو بن لاطية الذى منعت عمرا ذا الكلب واليوم أقطع من

الدنيا عمره ورزقه فدعه يبرز الى الميدان ومحل الضرب والطعان حتى يبان الشجاع من الجبان (قال الراوى) فلما سمع عمرو ذو الكلب من عمرو بن لاطية ذلك الكلام عرف ما يريده من المرام فبرز اليه وصارهو واياه في مقام الصدام ومحل الضرب والخصام وصارا يأخذان في المقاربة والالتزام فنادى عمرو بن لاطية الى عمرو ذى الكلب باويلك يا لئيم غير كريم أى شئ هذا الفشار العظيم على أمر بنى سليم أما تعلم انى أمير هذه القبيلة ولى فيهم المكرمة والوسيلة ثم نادى يا بنى عمى خذوه على أطراف الرماح وقطعوه بشفار الصفاح ثم حمل فى بنى عمه وأراد أن يظهر على بنى قضاعة ربحه هذا وعمرو ذو الكلب قد التقاهم فى بنى قضاعة الذين هم أهل القوة والشجاعة فكان لهم ساعة وأى ساعة وقد بلى كلا منهم بما لا يطيق دفاعه فعند ذلك تحاربوا وتضاربوا بعد أن تقاربوا فلم يرى الا رأس طائر وحصان غائر ودم فائر وغبار طائر وبلوا بنو سليم من بنى قضاعة بحرب لا يستطيعون دفاعه ولم يزل السيف يعمل والدم ينذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه وقد سالت الدماء على الارض مثل السيل وقد حل ببنى سليم الحرب والويل وأتتهم كل بلية غريبة مما حل بهم من تلك المصيبة هذا وقد رجعت الطائفتين كل منهم الى مقامه واستقر فى مقامه وأكل ما قدر عليه من طعامه وتحارس الفريقان الى أن أصبح الله بالصباح وطلع النهار بنوره الوضاح وكان أول من فتح باب الحرب عمرو بن لاطية وقفز الى الميدان ومحل الضرب والطعان ونادى يا بنى قضاعة يا أهل التعدى والوقاحة أنا عمرو بن لاطية السلمى أنا الذى منعت عن كلبكم حقه وقطعت آذانه وذنبه وشققت مناخيره وقطعت من الدنيا رزقه وذلك استحقارا بصاحبه وسيبا القطع ما ربه وسوف أرغم أنفه وأعجل حتفه فلما سمع عمرو ذو الكلب نداه زاد غيظه وهز بجواده غضبا وقد زاد غيظا وتلهبا وانطبق عليه انطباق الغمام وسارهو واياه فى فرد مقام وهو محل الحرب والصدام وجاء الجد ومضى العتب والملام فتجاولا حتى أذهلا سائر الانام وصار النهار عليهم ظلام فعند ذلك أطبق عمرو ذا الكلب على عمرو بن لاطية انطباق الاسد الادرع والليث السميدع وألهبه وأكربه وجاوله حتى أتعبه وطعنه فى جنبه أقلبه فمال عن مركبه يخور فى دمه ويطرب فى عندمه وحمل بعد ذلك على بنى سليم وتبعه بنو قضاعة وأنزلوا عليهم البلاء والضيم فقاتلوهم ساعة من النهار فلم يجدوا لهم قدامهم اصطبار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار ولما اتسعوا اقدامهم فى القفار عادوا الى حلتهم والديار ونهب أموالهم وأخذ نوقهم وجمالهم وعفى عن حريمهم وعيالهم وعاد طالبا ديار بنى قضاعة وقد تبين للعرب ما هو عليه من الشجاعة وفرحت بما عمل أقاربه وهو سائر وأخته قناصة الرجال الى جانبه حتى التقى بعنتر بن شداد وجرى بينهما من ذلك الايراد وعاد اليه الفارس الذى أرسله يبصر الخبر وعاد اليه وأخبره ان هذا الفارس هو ابن شداد عنتر وعلم عمرو ذو الكلب ان هؤلاء القوم من بنى عبس فقال لمن معه من الرجال الاخيار ابشروا يا بنى عمى بأخذ الثار وكشف العار فان عنتر الذى قتل ابن عمى المتعجز بن فائز وأريد اليوم آخذ بثارى وأكشف عنى عارى فكونوا على أهبة الحرب والقتال فانى سمعت انه فارس ليس له مثال وليس يقاس به أحد من الرجال واعلمكم يا بنى عمى ان هذه القبيلة تسميها العرب الموت الزؤام ولنا عندهم ثار وقتالنا لهم غاية الشرف والفخار لانهم قد أذلوا الرقاب وخاضوا الامور الصعاب فان نحن نصرنا عليهم كما نصرنا على غيرهم كان لنا الشرف الاكبر والعز الافخر ولا يبقى أحد فى العرب يضاهينا فى الفخار ولا يساوينا فى علو المقدار (قال الراوى) فما تم عمرو ذو الكلب كلامه حتى زحف اليه عنتر فى بنى أعمامه الى أن بقى بينه وبينه رمية سهم انشاب فعندها زعق عنتر وأعلن فى الخطاب ونادى يا بنى قضاعة من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى فأنا ما بى خفا أنا عنتر بن شداد الذى تهاب سطوتى الملوك الشداد فخلوا ما معكم من الاموال وانجوا بأنفسكم سالمين من قبل أن يحل بكم من يسقيكم الوبال ويذيقكم العذاب المبين ويبددكم عن آخركم أجمعين أو تصبحوا نادمين وان أردتم القتال والحرب والنزال فليبرز الا فارسكم الاوحد وبطلكم الاجد عمرو ذو الكلب الذى طغى على الرب وتمرد وبغى على السادات وأهل الرتب وقد استحسن شيأ ما فعله قبله أحد من العرب الا الآن كان وزربن

جابر المكنى بالاسد الرهيص وكان قد صنع كذلك واتخذ له كبش وأخذ به غفارة العرب فلما سمعت به سرت اليه وذبحت الكبش فى داره وأكلت لحمه بغير اختياره وبعد ذلك أخذته برقبته ولا التفت اليه وأسرته أول وثانى وثالث وبالنار لحاته وأطلقته لسؤال عمرو بن معديكرب وأخته ريحانه وكذلك بلغنى ان عمرا فعل مثل فعاله فلعله ما سمع بفعالى ولا ذاق حربى وقتالى وها أنا قد نصحته ان قبل النصيحة والا تركته بين العرب فضيحة وله الامر فى ذلك ان أراد السلامة من شرب كأس المهالك (قال الراوى) فلم يتم عنتر كلامه حتى قفز اليه عمرو ذو الكلب وصار قدامه وكان قد ركب جواده واعتد بعدة جلاده وطلب الجولان فى حومة الميدان ثم انه جال وصال ولعب برمحه العسال وكان غليظا طويلا من الرماح فهزه فى يده وقصفه ولحقه فى تلك البطاح ثم انه أخرج مزودا كان معه على كفل الجواد وأخرج منه أنابيب حديد فركبها بعضها فى بعض بتركيب شديد حتى صارت رمحا من ثمانية عشر أنبوب وأخرج من قربوص سرجه سنانا أزرق له لمعان ورونق وركبه على رأس الرمح وصرخ بعنتر صرخة تكاد القلوب لها أن تنفطر وارتج لها البر ثم انه صار معه فى مقام الكر والفر ونادى به يا عبد السوء اذا افتخرت بغير فخر فكم رجال ذللتها وفرسان فى الحرب قهرتها تبا لك يا وغد قومه ولئيم عشيرته أتعيرنى بأسرك للاسد الرهيص الذى كنت على ذبح كبشه حريص وكنت قدرت عليه وأسرته وبما كان عليه من التقدير لحاته وأما أنا فقد أخذت جزية الملوك وعفوت عن كل غنى وصعلوك ولا بد لى اليوم أن آخذ منك الثار وأحللك بلباس العار وأقضى منك دينى وتقر بقتلك عينى وآخذ بثار ابن عمى فايز القضاعى الذى أسرته لما دخلت الى اليمن فى تلك النوبة وسلمته الى خفاف بن ندبة فضرب عنقه وعدت الى خساسة أصلك وقبيح فعلك لانك أخذت سيدا من سادات العرب سلمته الى عبد مثلك ماله حسب ولا نسب فاليوم أعجل حمامك واسقيك كأس انتقامك ثم انه أنشد يقول



ذكرت سعاد عند يوم فراقنا * وقلت لها كفى عن التعس والنكس
دعينى ففى قلبى من الهجر لوعة * فجودى بوصل منك تحيى به النفس
ولا تبعدى بالصدود والجفا * ولا تلزمينى من حبك غير حابس
فقالت أما والله والركن والصفا * وبالله واللوح المعظم والكرسى
ألم تشفنى من أسود تقتلنه * تسميه أبطال الوغا حامية عبس
وتأخذه فى الحرب والذل والاسى * وتتركه بين الدكادك والرمس
والا فمالى منك نيل ومقصد * وحالى أبدا منك بالتعس والنكس
فقلت لها كفى سأترك عنترا * رهين بقاع الارض تهوى به الرمس
واسألى الفرسان عنى اذا التقت * وحامت ومالت بالدروع وباللبس
أجول على مهر من الخيل سابقا * تراه كلمح البرق والطير الملس
فلا تفتخر يا وغد عبس على الوغا * ببأسك لما ان لقيت بنى الفرس
فقحطان لا ينسون فعلى وموقفى * وكل بنى الدنيا من الجن والانس
سأترك عبلة تندب الآن دائما * عليك وتبكى مع نساء بنى عبس
أنا عمرو وقد شاع فى الناس ذكره * واسألوا عنى حسامى مع الترس

(قال الراوى) ثم انه لما فرغ من ذلك الشعر والنظام انطبقا على بعضهما البعض كأنهما قطعتا غمام واعتركا فى ذلك المقام حتى صار الضياء فى أعينهما ظلام وبعد ذلك افترقا للراحة والكلام فأجابه عنتر وهو يقول

فدع يا عمرو ذكرك بافتخار * فأنت تعد من سقط المتاع * وانى مقسم قسما عظيما
وأحلف ما دعى لله داع * لعين بن عبلة أسقى حسامى * نجيعا منك فى يوم الفزاع
ألا يا عبل لو عاينت فعلى * اذا جال الشجاع على الشجاع * لشاهدت العداة اليوم ضربى
وطعنى للدحال بلا خداع * قضاعة سوف أتركها حيارى * بقاع الارض تأكلها السباع

عمرو الكلب فيها كاس ماقى * عليه الطير مع وحش الضباع * أبى شداد والحسب المضاهى
ومن هو كان عالى الارتفاع * فهذا السيف من تلك المواضى * وهذا النور من ذاك الشجاع

(قال الراوى) ثم انهما لما فرغا من الشعر والنظام عادا الى ما كانا عليه من الكر والفر والثبات والفرار والمستقر والرد والصد والهزل والجد والمطابقة والحرب والصدام والمماسكة والالتزام وشرب كاسات الحمام وتجريع الموت الزؤام وتطاعنا طعن الحنق ولمع على رؤسهما صارم المنايا وبرق وصارت الاعين مثل العلق وتعبت السواعد وزادت الاوابد وعظمت الشدائد وهما فى ضرب يهد وطعن يقد الى ان أظلم الظلام وأقبل الليل بالغسق وغابت الشمس تحت الشفق وعاد كل واحد منهما عن صاحبه وافترق وطلب الراحة والانفصال فقال عنتر لا وحق الملك المتعال لا تطمع نفسك فى راحة فما هى للسماحة وان كان ولا بد من ذلك فانزل قبالى وأنا انزل قبالك فما بقى بيننا انفصال حتى يبلغ أحدنا الآمال فأنا ما جرى لى بهذا عادة أن أفارق خصمى الا بالانفصال ثم انه أثنى رجله ونزل وفعل عمرو ذو الكلب مثل ما فعل فأتوهما الفرسان من قومهم بطعام وشراب فأكلا وأخذا لهم راحة على تلك الارض والتراب حتى أصبح الصباح وأضاء بكوكبه ولاح وركب الاثنان وقاموا لاستيفاء الدين وفتح باب الحرب وأخذا فى معاناة الطعن والضرب وانطبقا على بعضهما بعضا وجالا طولا وعرضا حتى تدكدكت من ركض خيولهما الارض حتى كلت منهما العزائم وضعفت الايادى عن قبض الشكائم ثم قوى الحر ونفخ عليهما الهبر فوقفا للراحة والكلام حتى ينشد كل منهما شعرا ونظام فعندها أنشد عنتر يقول

يا جاهلا بمكانة الشجعان * مهلا ستبقى رهين القيعان * يا ابن الزنا أما سمعت بهمتى
وصولتى ومجالتى ومكانى * من أى قوم أنت لا سقوا الندا * فتنال كاس الموت عند طعانى
اليوم آخر عمرك انقضى * كفى كعوب أمله بسنانى * أوما علمت بأننى أسد الوغا
لما غدت كل الورى تخشانى * أوما علمت بان دهرى صارم * فى راحتى والعالمين بنانى
أوما علمت بان مجدى باذخ * حتى علا شرفا على كيوان
والاسد تخشانى وتعرف همتى * وأنا الصبور واذا الزمان غشانى

(قال الراوى) لهذا الكلام لما سمع عمرو ذو الكلب من عنتر ذلك الشعر والنظام صاح عليه يا ولد الحرام مثلى تقول هذا الكلام وأنا الليث الهمام والاسد الدرغام شجاع المعامع يوم الزحام ثم انه أجابه على شعره وجعل يقول

ألا يا وغد عبس سوف تلقى * همام لا يخاف من القراع * وتشرب شربة فيها حمام
اذا علقت ذراعك فى ذراع * لانى فارس بطل مكر * تقرلى الفوارس فى القراع
سألت الرب يجمعنا قريبا * وقد وافى بقرب الاجتماع * وفى كفى ثقيل المتن عضب
يداوى الرأس من ألم الصداع * سأشفى منك نفسى يا لئيم * وأكشف ما بقى من قناع

(قال الراوى) فلما سمعا من بعضهما بعض ذلك الشعر والنظام وتفاوضا فى القول والكلام حملا على بعضهما بعض وأوسعا فى المجال طولا وعرض ولاقى كل منهما صاحبه وتلقى طعناته ومضاربه ثم انهما انطبقا الاثنان كأنهما بحران وافترقا كأنهما جبلان وحان عليهما الحين وزعق على رؤس الاثنين غراب البين وكان لهما ساعة يا لها من ساعة تعلمت منها الفرسان الشجاعة والبراعة (قال الراوى) ثم هدر كل واحد منهما كأنه أسد هدار أو بحر زخار وعلم عمرو ذو الكلب ان عنتر فارس مغوار وبطل كرار يزيد الدرهم قنطار ولم يزالا على هذا العيار الى أن مضى النهار بالانوار وغابت الشمس فى الاصفرار وأقبل الليل بالاعتكار فافترقا عن القتال والنزال ونزلا للراحة كما تقدم ولم يزالا على ذلك الحال مدة ثلاثة أيام ولم يبلغ أحد من صاحبه مرام الى ان كان اليوم الرابع عند الصباح وقد بقيا أشباحا بلا أرواح عندها قال عمرو ذو الكلب بالله يا أبا الفوارس تمهل على وتصبر فى هذا المقام المنكر فأنت والله أوحد البدو والحضر وما لك فى زمانك مثيل يا ذا البطل الجليل وقد شاهدت منك الغرض الذى ماله عوض وأنت والله فارس الزمان وأعجوبة

العصر والاوان مع ما شاهدت فى بنى قحطان من الفروسية والاقتدار على الشجعان وها أنا مقر لك بالفروسية وعلو الشان يا فارس عبس وعدنان وحق ذمة العرب الكرام وزمزم والمقام والبيت الحرام قد تعبت ووقع فى مناكبى التعب وقد عاينت منك العطب ثم انه من تعبه وقع الى الارض وترجل عن جواده ورمى حسامه وعدة جلاده وسعى الى عنتر وقبل ركابه وسأله من فضله أن يتخذه من بعض أصحابه فترجل عنتر عن جواده وقد زال ما كان من التهابه واعتنقا بعضهما بعض وأعطى له الذمام والامان وصار عمرو من جملة أصحابه والخلان فقال له يا حامية عبس رضيت بان يكون ذهاب ما بقى من عمرى بين يديك ولا أبخل بروحى عليك فأنت والله فارس الزمان وتاج بنى عدنان فوالله لقد قاتلت بنى عدنان الفرسان وبنى قحطان وخولان وبنى قرادة وذبيان وبنى الريان والاعجام والعربان ما رأيت أصعب منك ولا أشد عصب وحق ذمة العرب قد وقع فى مناكبى التعب ودب فى زندى العيا والضنا (قال الراوى) ففرح عنتر بذلك فرحا شديد ما عليه من مزيد ووعده أن يكون له بمنزلة الاخ الحبيب والصديق والنسيب وقال له يا وجه العرب أنا قد اغتلس الدهر أولادى وفزع عليهم فؤادى فلعل أن يكون عليك اعتمادى وتكون عوضا عما مضى ثم عاد كل منهما على ظهر جواده وعاد عمرو الى قومه وهو يكثر من شكر عنتر وحسن وداده وقال لاخته قناصة الرجال يا أختاه اليوم أنا عبسى ما أنا قضاعى ولا قحطانى وانى أريد أن أقضى بقية عمرى مع هذا الفتى الكريم الفارس العظيم فقالت له أخته وأنا أيضا معك وأوافقك ولا أفارقك وكذلك قالت الفرسان من بنى قضاعة الذين معهم فى ذلك المكان وأجابوا بالسمع والطاعة لاجل علو الشان ودخل بنو عبس وصحبتهم بنو قضاعة فى ذلك المكان قاصدين ديارهم والاوطان الى ان وصلوا الى أرض الشربة والعلم السعدى فالتقوهم بنى عبس بالاجلال والاكرام وخرجوا الى لقائهم أهل الحلة النساء والرجال وعنتر لا تنشف دمعته على ولده ميسرة وابن أخته المطال وما بقى فى الحى الا من بكى لبكائه وأتى اليه وعزاه الا الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد الكثير السكات فانهما ما كانا نسعهما الدنيا من كثرة الفرح لانهما كانا أعداءه هذا والربيع يقول لاخيه أتبع الله المقيمين بالماضين لان سعادة عنتر ولت وأيامه قد اضمحلت وليس الزمان له وحده وما كان أعطاه له قد استرده وأنا أعرف بأن أجله قد اقترب وموته قد وجب هذا وعنتر قد دفن قتلاه فى جانب العلم السعدى وجعلهما فى قبر واحد وذبح على قبرهما مائة ناقة وجعل لحمهما مباح للفقراء وأهل الفاقة وقد تحمل على قلبه من حزنه عليهما ما ليس به طاقة لكن جعل يتسلى مع عمرو ذى الكلب وزيد بن عروة وقد أنزل بنى قضاعة فى أبياته وقد صار يقضى أوقاته وقد جعلت عبلة تسليه وتحسن مداراته وتشغله عما هو فيه من الهموم وتزيل ما بقلبه من الغموم وتقول له ان الله العظيم أخذ ما أعطى وهو أحق بالاخذ والعطاء وما دمت أنت تعيش لنا وتبقى فما يدخل على بنى عبس لا باس ولا شقا (قال الراوى) ولما كان يوم من بعض الايام ركب عنتر وركب فى صحبته عمرو ذو الكلب وأخته الهيفا وزيد بن عروة ورجالهم الكرام وطلبوا الصيد والقنص وغابوا فى البر ثلاثة أيام وعادوا الى الاحياء ومعهم من الوحش شئ كثير وهم فرحين لقتلا عنتر وما نزل بهم من الآلام حتى انهم وصلوا الى الاحياء وقربوا من الخيام واذا بالدنيا منقلبة وقد علت الضجة من النساء والاماء والخدام وذلك النواح والعياط فى أبيات بنى قراد فسأل عنتر عن ذلك الحال ممن لقيه من العبيد فقالوا يا مولانا قد قتل أخوك شيبوب وأنزلت به الكروب فاندهش عنتر وحار ولحقه الانبهار واذا بالخذروف قد أقبل وهو مشقوق الثياب بادى الانتحاب وقد حثى التراب على رأسه وقد انزعجت سائر حواسه ودموعه تجرى على خديه كأنها الامطار وقد أهلك نفسه مما يدق على صدره من الاحجار فلما رآه عنتر لم يتمالك عقله دون ان رمى روحه ولطم على وجهه الى أن برز الدم من منخريه وقعد ساعة كبيرة مغشى عليه وهو لم يحرك يديه ولا رجليه لان أخاه شيبوب كان عدته وعمدته فى الشدائد ومساعده على الاوابد ثم ترجل عمرو ذو الكلب وبكى وأن واشتكى وكذلك فرسانه ولما أفاق عنتر من غشوته قام ودخل الى مضربه والخذروف فى صحبته فرأى شيبوب مذبوح وهو جسد بلا روح فلما رآه عنتر صاح ووقع مغشيا عليه وكذلك جرى على ولده الخذروف

مثل ذلك واجتمع مشايخ بني قراد وعملوا على شيبوب مأتم عظيم وأكثروا من النوح والتعداد ولما أفاق عنتر من غشوته قال ائتوني بعبيد أخي شيبوب وكل من كان عنده في البيت فأتوا بالجميع الى حضرته فسألهم عما كان من أمره وقصته فقالوا له يا مولانا اعلم انك لما مضيت الى الصيد والقنص وتخلف شيبوب خلفك في الاحياء قدم عليه عبد من العرب واستجار به فأجاره وسأله عن حاله فقال اني عبد من عبيد بني محارب وكنت أعشق أمة وهي تعشق غيري ففررت من ذلك ودخلت عليها ليلا وهما نيام فذبحتهما مثل الاغنام ولم اجد من التجي اليه من الانام ويجيرني على طول الايام الا أخوك عنتر البطل الهمام والاسد القمقام ثم انه بكى وانتحب غاية الانتحاب فرحمه شيبوب ورق له وأجاره لما رآه بتلك الذلة والاكتئاب ولما كان عند الصباح رأيناه مذبوحا وراسه مرمي عن بدنه وقد فارقته الروح والعبد الذي قد استجار به ما وجدناه ولا علمنا له خبر ولا وقعنا له على أثر (قال الراوي) فلما سمع عنتر هذا الخبر بكى وتحسر وقد لحقه الاسا والضجر وأشار يرثيه بهذه الابيات

أبكي عليه وأعدد * والدمع من جفني نهران * فلا حضرت لاجلهم
سيفي ورمحي وحصان * وأنا الهمام لدى الوغا * أخو الشجاعة والطعان
ولكم أبيد فوارسا * في الحرب بالعضب اليمان * وعزيمتي فوق السها
وفي علوا الفرقدان * لي في مقامات الحروب * قصائد مثل الجمان
أسمى بعنترة الفتى * ليث الوغا بطل الزمان * دهري مضى مع سعادتي
* والعمر مني عادفان *

(قال الراوي) ولما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام دفن أخاه شيبوب في جانب قبر ولده ميسرة وابن أخته الهطال ونحر على قبره شيء كثير من النوق والجمال وحزن عليه حزنا شديدا ما عليه من مزيد حتى انه بقي لا يرد جواب ولا يعطي أحدا خطاب وامتنع عن الطعام والشراب مدة أيام وليالي تمام ولا يعلم من هو قاتل أخيه حتى انه يمضي اليه ويأخذ روحه من بين جنبيه وهو لا يدري من فعل هذه الفعال ويأخذ ثاره منه ويطفي ما بقلبه من الايقاد لانه ذائب القلب محترق الفؤاد (قال الراوي) وكان السبب في هذه الامور العجيبة والاحاديث الغريبة وهو ان عنتر لما جرى له في أيام صباه ما جرى من سرقة الابجر لما سرقه المختلس بن ناهب السلال وأوصله الى اللقيط بن زرارة ومضى اليه شيبوب وكشف خبره والتقى السلال عائدا في الطريق وعاد خلفه وأعلم به أخوه فقتله ودمره وسار والى اللقيط بن زرارة وخلصوا من عنده الابجر والجروة سكاب وقد ذكرنا هذا الكلام فيما تقدم في هذا الكتاب وكان ذلك في أيام نزولهم على بني عامر وكان هذا السلال الذي هو المختلس يقال له جابر وبعد موته وسكنته المقابر كان له أخ يقال له سارح وكان داهية من الدواهي من أصحاب الفضائح وكان لا الخيل خواض النهار والليل وانه في بعض الايام بينما هو دائر بين أطناب الخيام واذا قد وقعت عينه على جارية من بنات العرب الحرائر يقال لها زبيدة بنت مبادر وكانت من نساء السادات الاكابر ولما رآها أحبها ولم يجد بدا من خطبتها فجمع أكابر عشيرته وقصد أباها وهو جالس في خيمته فقام اليهم وتلقاهم ورحب بهم وأكرم مثواهم فكلموه في أمر الزواج فأطاعهم ولم يدع عليهم احتجاج وقال يا ولدي أنت أكرم من خطب وأجل من فيك رغب ولكن يا ولدي انت مأسور وخطبة البنات العربيات لم يكن فيها مثل هذه الامور فاذا أنت اجتهدت في أخذ ثارك كانت لك أمة وجارية من جملة الخدمة فقال سارح وثاري يا عم عند مين من الرجال اعلمني به وأنا أمضي اليه وأقضي منه الاشغال فقال ثار أخيك جابر الذي قتله عنتر لما مضى اليه وسل حصانه الابجر فقال يا مولاي اعطني يدك وعاهدني انني متى مضيت وقتلت شيبوب أو عنتر تزوجني ابنتك فأجابه الى ذلك وأعطاه يده وعاقده وعاهده ثم اتفق الامر بينهما على الزواج ولا بقي لاحد منهما احتجاج وبعد ذلك لما اتفق بينهما الكلام ما أقام سارح في الحي غير ثلاثة أيام ثم انه أخذ أهبته في المسير والجد والتشمير ولبس جبة صوف مهلهلة الاذيال وشد وسطه بمنطقة من الاديم الطائفي وتعمم بعمامة خام وشد خنجره من تحت

ثيابه على وسطه وسار من مياه بني قحطان حتى وصل مياه بني عدنان وقصد ديار بني عبس وكان دخوله اليهم عند غروب الشمس وسأل عن أبيات عنتر فدلوه فسار حتى وصل اليها وتقدم الى أبيات عنتر وسأل عليه من بعض العبيد فقالوا له غائب في الصيد فقال وأين أخوه شيبوب فقالوا له حاضر ثم انهم أرشدوه اليه فتقدم اليه وكان شيبوب وأمه زبيبة وولده الخذروف وأخوه جرير في مكان واحد ولهم مضارب وخيول وجنائب وهم على رابية عالية فقصد سارح الى أبيات شيبوب وشد وسطه ببعض أطناب البيت واستجار بصاحب البيت فطلع شيبوب اليه وسلم عليه وقال له يا فتى قد أجرتك من كل قبيلة فما بقي من اليوم لاحد عليك سبيل ثم أدخله بيت الضيافة وقال له قد أمنت ممن تخافه ثم سأله عن حاله وما صار له وما جرى عليه فقال يا مولاي أنا عبد من عبيد بني محارب ثم أعاد عليه الحيلة التي دبرها وانه قصدهم يستجير بهم لكونهم أمنع العرب جارا وأحماهم ذمارا فقال له شيبوب ابشر يا غلام عليك الذمام من كل من أكل الخبز وشرب الماء ولما كان ثالث يوم من الضيافة وقد أمسى المساء وجلس شيبوب لاجل المحادثة والكلام الى أن اقترب نصف الليل وطلع نجم سهيل وطاب لشيبوب السهر لاجل القضاء والقدر الى ان غلب عليه سلطان الكرى ونام وكان عنده سارح ابن اللئام فلما رآه قد غرق في النوم وثب اليه وركب على صدره وذبحه وقطع أذنيه وأخذهما معه علامة كما وقع الاتفاق وخرج من المضرب وجعل يمشي على يديه ورجليه الى أن خرج من الخيام واختفى في الظلام وستر عليه الملك العلام ولما كان من الغد دخل الخذروف على أبيه فوجده مذبوح فزعق وصاح وقلب الحي بالصياح وفي ذلك الوقت الاغبر وصل أبو الفوارس عنتر وجرى من القصة ما ذكرنا ودفن أخوه كما قدمنا وأشار يقول صلوا على طه الرسول

لقد صار قلبي معدن الهم والاسا * وعبرة عيني تستهل دما يجري
وقاسمني دهري كشطرين في الحشا * فلما تقضى شطره عادلي شطري
فياليت أمي لم تلدني وليتني * سبقتك اعجالا الى ظلمة القبر
لقد كنت لي ركنا أعيش بظله * فلما هوى فاضت دموعي على نحري
وقد كنت لي سيفا على سائر العدا * فعدت رهين القاع ملقى على الصدر
أرى كل حزن سوف يبلي حزينه * وحزني عليك اليوم باق مدى الدهر

(قال الراوي) ثم انه حرم على نفسه اللذات وتمنى أخوه عنتر الممات وأقام يتجسس الاخبار حتى يعرف من هو قاتل أخيه من القوم الاشرار ويأخذ منه بالثار وهو من أجل ذلك على لهيب النار (قال الراوي) فهذا ما كان من عنتر وما صار له من الاقوال (وأما) ما كان من أمر سارح السلال فانه لما فعل هذه الفعال لم يزل سائرا وهو يقطع البراري والتلال حتى وصل الى حلته وحكى لهم ما جرى له من قصته وكيف قتل شيبوب ولم يجد عنتر ولو كان حاضرا كنت قتلته الآخر ففرحت قومه بهذا الخبر وعملوا الولائم ونحروا النحور وسكبوا الخمور وداموا على الفرح والسرور ثم بعد ذلك طلب سارح زوجته من أبيها فأنعم له بها فعملوا له الولائم وزفت زوجته عليه ودخل بها وطاب له المقام فهذا ما كان منه (وأما) ما كان من عنتر فانه لما زادت به الاحزان والآلام نظر الى جرير والخذروف وقال لهما اما القصد الآن تكشفا ما بقلبي من الكروب واحسرتاه على أخي شيبوب وما كانت جسارته على كل أمر مهوب فتنهد وتحسر وكاد قلبه أن ينفطر وقال لهما اذهبا واكشفا الخبر عن قاتل أخي وطوفا الحلل والقبائل ولا تعودا الا بالخبر ولو دزتما عاما كاملا في البر الاقفر فقالا سمعا وطاعة ثم انهما خرجا في تلك الساعة وقد أخذا ما يحتاجان اليه من آلة الحيل وخرجا يطلبان المنازل والحلل فلما كان في بعض الايام والخذروف سائر في البراري والآكام فجاءت طريقه على بني ضبية فوجدهم في مهرجان والجوار يغنين بالدفوف والعبيد يلعبون بالسيوف وهم في فرح وسرور وقد مدوا السماطات والكاسات عليهم تدور فتقدم وسأل بعض الرعيان عما هم فيه من الامور وقال له يا ابن الخالة أراكم في هذا المهرجان أعندكم عرس لاحد من الشجعان فقال له الراعي نعم يا ابن الخالة وهو لرجل شجاع وقرم مناع يقال له سارح أخو المختلس السلال وقد

أخذ ثاره وكشف عاره وقتل شيبوب أخا عنتر عوضا عن قتل أخيه وأنزل به العبر وهذا العرس من شأنه وهذه النوبة نوبته وليلة غد يدخل على زوجته (قال الراوى) فلما سمع الخذروف بذلك لم يكذب خبر بل رجع على الاثر الى عمه عنتر وأعلمه بالخبر ففرح واستبشر ثم انه نبه رجاله وايقظ أبطاله ونادى لعمرو ذى الكلب وزيد بن عمرو وعمه مالك وولده عمرو وأمرهم بالمسير لاخذ الثار وكشف العار وأعلمهم عنتر كيف طلع خبر قاتل أخيه وانه عند بنى ضهية والذى قتله سارح بن ناهب أخو المختلس الذى كان قد قتله عنتر فركبوا وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا حتى أشرفوا على ديار بنى ضهية وشنوا الغارة على مراعيهم وساقوا أموالهم ونوقهم وجمالهم فوصل الخبر من الرعيان الى الحلة فركبت رجالها واعتدت أبطالها وكانوا قد بعثوا الى حلفائهم يحضروا العرس عندهم فركبوا جميعهم وخرجوا على أنهم يردوا الغاره عن أموالهم وحريمهم ولم يزالوا حتى لحقوا عنتر ورجاله فلما نظر عنتر الى الغبار وهو من خلفه قد ثار قدم الغنيمة بين يديه واستقبل الاعداء بصدره وصار ينادى يا لثارات الامير شيبوب البطل الموهوب وجالت معه الرجال وزادت الاهوال وحمل عنتر ذات اليمين وذات الشمال يجندل الرجال فى ساحة المجال وجال وصال وأظهر العجائب فى ساحة المجال ولا زال فى قتال ونزال يهد المناكب والاوصال حتى مضى خيام النهار بالارتحال وأتى الليل بالاسدال ولم يبلغ أحد من رفيقه آمال وافترق الناس بعضهم بعض وقد امتلأت بالقتلى جنبات الارض وأوقدوا النيران وتحارس الفريقان الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء بكوكبه ولاح ركبوا القوم للحرب والكفاح وتعدلت الصفوف وأبرقت السيوف فتقدمت الفرسان والسادات الى بشر بن عبد اللات الدهى والمرقال بن جندلة الصهوى يشكو لهما حرب بنى عبس وما لاقوا منهم من الصدام الذى يسموهم العرب فرسان المنايا والموت الزوام لاسيما وفيهم الاسد الضرغام الذى خضعت له الاسود الاحال وخافته جبابرة الرجال وأذل ركاب الشجعان الابطال وشهدت بفروسيته الاقيال ونحن فما فينا من هو كفؤ له غيرك فليخرج اليه واحد منكما ويقتله وينزل به العطب ويفتخر بذلك بين قبائل العرب والسادات من ذوى الرتب فان كنتم عجزتم عن قتاله وحربه ونزاله فاعلمونا بهذا الامر حتى اننا نطلب الهزيمة والفرار ونخلى له الاموال والديار (قال الراوى) فلما سمع بشر بن عبد اللات هذا الكلام وهم فى نفسه أن يبلغهم المرام فسبقه المرقال بن جندلة فارس العشيرة وحامى القبيلة من كل أمور خطيره وقال يا بنى عمى طيبوا انفسكم وقروا عيونكم فانا انزل اليه وأقدم بكليتى عليه وآخذ روحه من بين جنبيه وأخرج اليه فى المجال وأدعوه الى مقام الحرب والقتال فاذا أجاب وخرج الى النزال قدته اليكم قود الذلول من الجمال فلما سمع بنو عمه كلامه طابت قلوبهم بقوله ومرامه ثم ان المرقال بن جندلة الضهوى لبس درعا ضيق الزرد كثير العدد مذهب الاكمام مليح النظام قوى اللحام يردعن لابسه أسباب الحمام فلبسه وترك على رأسه بيضة عاديه مكوكبة مجليه ترد أسباب المنية وتقلد بسيف بتار قاطع الاجساد والاعمار واعتقل برمح خطار وركب على جواد كرار كأنه الطير اذا طار لو سبقته الرياح تركها وسار ما يلحق البرق له غبار كأنه الفلك الدوار والنجم السيار صنعة الواحد القهار ثم انه قفز الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى يا لعبس يا لعدنان أنا المرقال بن جندلة الضهوى الفارس القوى الليث الوفى قاتل الابطال ومجندل الاقيال وحامى الجار وكاشف العار فلا يبرز الى الا فارسكم الغدار وليثكم الكرار حتى أطير رأسه بهذا الحسام البتار ثم انه جال وصال ولعب برمحه العسال ثم أنشد وقال

سلوا الخيل عنى حين أعلو متونها * وأسرى بها نحو الاعادى مسرعا

أليس أنا الموت المحيط على العدا * اذا اشتبكت زرق الاسنة مشرعا

أبيد كماة الحرب فى موقف الردا * وأمنحهم فى السلم أفضل موضعا

(قال الراوى) فما أتم المرقال كلامه وما أبداه من شعره ونظامه الا وعنتر بن شداد قد صار قدامه ونادى يا ويلكم يا بنى ضهية اما كفاكم ما مضى من فعالكم ومن هجومكم أول مرة على فرسى الابجر وما أخذتكم بما فعلتم فى حقى من الامر المنكر حتى قتلتم من كان عدتى وأراكم قد استنجدتم على وجمعتم القبائل الى قتالى وظننتم

انى أخاف من كثرة عددكم أو أجزع منكم أنا الذى أبدت الامم وأذللت العرب والعجم ثم انه أجابه بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

ياويل نفسى لقد غر الزمان بها * من ذى حروب همام نسل ذى شرس

لا يستريح بترك النائبات معا * انى أخوض دما الابطال بالفرس

انى وان طال عمرى ما أصالحكم * حتى تكونوا للوحش مقتبس

انى سأدنى بسيفى من يعاندنى * واحتوى كل ليث باسل شرس

(قال الراوى) ولما فرغ الامير عنتر من هذا الشعر والنظام انطبق كل واحد منهما على الآخر ومالا على بعضهما فى الاثر بطعن وضرب يعمى البصر وجالا طويلا واعتركا ميلا وصبرا على الشدائد وغاصا فى الاوابد وأظهر عنتر صولته وطلب خصمه الرجوع من بين يديه وقد خاف من كاس المنية أن تصل اليه ولما زاد به الامر طلب الهرب فلم يجد له الى ذلك من سبيل هذا وعنتر بين يديه وأينما مال يميل عليه وقد ضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه ثم انه بعد ذلك قاربه وتمطى فى كعوب الرمح وطعنه فى جانبه الايسر أطلع السنان من الجانب الآخر ونفضه قلبه وعن جواده كركبه وبعده طلب البراز وسأل الانجاز فلم يبرز اليه أحد فعند ذلك احترق قلبه حتى كاد أن يذوب وتفكر أخيه شيبوب فحمل على الميمنة قلبها على الميسرة وهو كأنه النار المسعرة ورجع بعد ذلك الى مجاله وعمرو ذو الكلب يتعجب من فعاله وشدة أقدامه وفعاله فى صدامه (قال الراوى) هذا وعنتر قد أشفى غليله من الاعداء ومددهم فى جنبات البيداء ولما قصروا عن مجاله صار ينادى أين الابطال المشهورين أين الفرسان المذكورين فلما سمعوا بنو ضهية هذا المقال أقبلوا على سارح بالملام وقالوا له هذا ما جلبت لنا من الوبال لاجل ثارك من هذه الصناديد الاقيال فلا كنت ولا كان أخيك ولا بارك اللات والعزى فيه ولا فيك فلم لم تبرز الى خصمك وتكفينا شره فى المجال فلما سمع سارح هذا الكلام أخذته الحمية والنخوة الجاهلية وقفز الى قدام عنتر بالجواد وسار معه فى محل الطراد وزعق بعنتر وقال له يا وغد قومه ها أنا قاتل أخيك واليوم ألحقك به فلما سمع عنتر انه قاتل أخيه اسودت الدنيا فى عينيه وانطبق فى عاجل الحال عليه ولاصقه وضايقه وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه من تحت علائقه وحال على شلوه لما رآه على الارض قتيل وبالتراب معفر جديل وانفرج ما بقلبه من الكروب وتفكر فيما مضى على أخوه شيبوب فعندها بكى وأن واشتكى وأنشد يترنم ويقول

انى أنا عنتر العبسى اذا افتخرت * يوم الوغا كل انسان فافتخر

كانوا كارض وكنت الغيث فوقهم * ولو تمكنت خضت الغيث مقتدر

لو أن عادا وفرعون وعوج معا * يوم المعامع قدامى لما صبر

اذا تداعت فى الهيجاء فوارسها * وجال ذكرى رأيت الدم ينحدر

انى ملأت بسيط الارض من جثث * تبقى سنين لمن ينظر لها قبر

من قال بعدى بان الدهر ينتج من * مثلى فقد خاض بحرهوله خطر

(قال الراوى) ثم انه لما فرغ من ذلك الشعر والمقال جال وصال وطلب البراز والحرب والقتال واجتمعت فى ذلك الوقت سادات بنى ضهية وتقدموا الى بشر بن عبد اللات الدهى وقالوا له أيها السيد الهمام والبطل الضرغام أنت تعلم اننا قد استجرنا بك على هذا الفارس الهجام لعلمنا بصبرك وقت الحرب والصدام فان أنت كفيتنا شره وصرمت عمره فقد علت بين العرب رتبتك وارتفعت فى الآفاق منزلتك وأخذت الطبقة العليا على سائر العرب من بعد منها ومن اقترب فلما سمع بشر بن عبد اللات الدهى كلامهم وما أبدوه له من مرامهم قال لهم يا وجوه العرب وأهل الفضل اعلموا اننى ما توقفت عن الخروج الى الميدان ومقام الضرب والطعان وقتالى بعنتر بن شداد حتى تقروا بالعجز عن الجلاد فاذا كنتم قد عجزتم عن قتاله وضربه ونزاله فها أنا أخرج

اليه واجعل عزه ذلا وألقيه طريحا فى الفلا وبعد ذلك ركب وأطلق العنان وقوّم السنان وساق الحصان حتى صار فى حومة الميدان ونادى لعنتر بقوة الجنان ويلك يا عبد السوء أما وصل اليك خبرى ولا سمعت بشئ من ذكرى حتى كنت تمنيت عن المسير لى والقدوم على فابشر الآن بالدمار والذل والشنار وقلع الآثار ثم أشار اليه بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

أنا البطل الكرار فى حومة الوغا * أجندل أبطال الوغا بحسام
ولا أنثنى عن موقف الحرب دائما * ولا حائدا فى الحرب يوم صدام
وياطالما صدت الاسود براحتى * وجرعتها باليد كأس حمام

(قال الراوى) فلما سمع عنتر مقاله وشعره قال له يا وغد قومه ويا لئيم عشيرته كم ملك تركته يكدم الارض والتراب بعدما سمع منى غليظ الخطاب ثم انه أطبق عليه ومال بكليته عليه وجالا طويلا واعتركا ميلا وغابا فى الاوابد وصبرا على الشدائد وأوسعا فى المجال وتضاربا بالنصال وتماسكا بالايادى لما عجزا عن القتال وتماركا عراك الاذم وقد طبق عليهما الغبار وخيم ثم انهما افترقا عن بعضهما بعض ووقفا للراحة على بسيط الارض وكل واحد ينظر الى صاحبه فعند ذلك طعنه عنتر بين ثدييه طلع السنان من بين كتفيه فانطبقت الفرسان عليه من كل جانب فعندها زعق عمرو وذو الكلب يا بنى عبس انجدوا فارسكم الاوحد وشجاعكم الامجد وسيفكم المهند فعند ذلك حملت بنى عبس لما سمعوا ذلك المقال وحمل عمرو وذو الكلب وأخته قناصة الرجال واشتد الحرب والقتال ودامت المصائب والاهوال واصطدمت الخيل فى طابق المجال وجرى الدم وسال وتنكس الفارس الريبال وقطعت المفاصل والاوصال ورويت الاسنة من أدمية الابطال وكثر القيل والقال وهربوا بنى ضهية الى البيوت والاطناب وعفر عنتر وجوه فرسانهم على التراب وجعل ينادى فى بنى عبس ابذلوا السيف فى هؤلاء الكلاب ولا تبقوا على أحد من الشيوخ ولا من الشباب (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولت الطائفتين بنى ضهية وبنى دهم وطلبوا الفرار وهجوا فى البر وأوسعوا فى القفار فعند ذلك دخل عنتر ومن معه الى الخيام وقد اشتفى ما فى قلب عنتر من الآلام وقلعوا الاحياء بما فيها ولم يترك فيها غير رسومها ونواحيها والتقى بعمرو وذو الكلب وشكره على فعاله وحمده على جميله وأعماله وأثنى عليه وعلى قومه وعشيرته ورجاله وعادوا بعد ذلك راجعين والى ناحية ديارهم طالبين وعنتر بن شداد سائر قدام الخيل فى تلك الوهاد وهو حزين القلب باكى العين على أخيه شيبوب وقد تقرحت جفونه من ذلك الدمع المسكوب وتذكر ما جرى له مع بنى دهم وبنى ضهيه وما فعل بهم من تلك الرزية فبكى وأن واشتكى وأنشد يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

سل ضهية عن عبس وفعلهم * بالامس اذ هربوا منا وما رشدوا
ونحن بنى عبس خيار الناس كلهم * يوما وقد جمعوا فى الحرب واجتهدوا
نحن الفوارس لا تخفى فعائلنا * نفنى الاعادى حتى تحسن البلد
نسعوا عليهم بأسياف مهندة * مثل الصواعق تفنى كل ما تجد
وقد حملنا ونار الحرب مشعلة * وسمرها والعوالى بيننا تقد
وقد قحمنا على الجيشين كلهمو * ونحن نحمى لظاها كلما بردوا
طورا نكفكفهم بالطعن اذ هربوا * وبالسيوف نناديهم اذا وردوا
ونحن نسقى نقيع الموت سادتهم * حتم المنايا وفى حيضانها بردوا
حتى اذا ما رأونا مضوا هربا * منا وخلوا لنا الاموال والخود
لنا التمتع مغدانا ومسرحنا * يوم الهياج وان جاشوا وان حشدوا
الصابرون اذا ما الخيل احفلها * هز القناة وهياج الحرب تتقد
والمطعمون اذا ما الغيث أمسك عن * أهل البلاد ولا يلقون ما بردوا
فليس تنظر فوق الارض مثلنا * فى الحرب والباس والعليا فلم تجدوا

(قال الناقل) فلما سمعت العرب ذلك الشعر والنظام تعجبوا من شجاعته وبراعته وقال له عمرو وذو الكلب لله درك يا أسد الحروب ويا كاشف الكروب فأثنى عليه عنتر وقد شكره على ذلك المقال ثم انهم بعد ذلك ساروا بالغنائم والاموال طالبين الديار والاطلال الى ان وصلوا الى أرضهم والاحيا وانقلبت لقدومهم الدنيا وفرحوا بهم جميع محبيهم وأصدقائهم واستبشر بحضورهم نسائهم وامائهم ونظر وامامهم من الاموال شيئا ما نا كله النيران ويكل عن وصفه اللسان (يا ساده) ونزل عنتر بن شداد فى أبياته وقد كثرت على أخيه شيبوب حسراته وزادت زفراته واستقبلته ابنة عمه عبلة ووقفت فى صدره وقبلته فى عارضه ونحره ثم جعلت تهنيه بالسلامة وقد فرحت بقدومه وزادت فى كرامته وبعد ذلك لما استقر به المقام ركب الملك قيس وأتى اليه لاجل العزاء والسلام وقال له يا أبا الفوارس طول ما أنت تعيش لهذه القبيلة وتبقى فلا عيبها الابؤس ولا شقا ثم انه رجع من عنده وهو يكثر من شكره وحمده (يا سادة) هذا وقد نظر عمارة الى ما وصل اليه عنتر من الاموال والخيل والجمال ونظر الى كثرة تلك الرجال فانشقت مرارته من الغيظ والبلبال وأخذه الهم والنكال وقال لاخيه الربيع النكاد يا أخى ترى أنظر قتلة عنتر بن شداد وأرى مصرعه وافرح بذلك قبل موتى ولوانه بيوم واحد ويفرح لى بذلك الصديق ونغم العدو والحاسد ولا نرجع نراه بعد هذه النكره وابلغ أنا الهنا والمسره (يا ساده) فقال له الربيع النكاد اعلم يا ابن الام ان عنتر قد دنا بواره وقرب أجله ودماره وانخماد ما كان يتوقد من ناره وانقطاع ذكره ونثر عمره أما ترى الى حماته وقد قتلت وأولاده وقد ذهبت ونعمته وقد سلبت وتداولت فسمع أحد محبين عنتر هذا الكلام فبلغه اليه بالكمال والتمام فما غيظه وتكاثرت عنده الاضغان والاحقاد وقد ناله من الغيظ ما لم ينل احدا من البشر فقال له عمرو وذو الكلب يا أبا الفوارس لا تحمل على قلبك هم ولا غم ما دمت سالم فلا يزالوا اليك محتاجين وبسيفك على الاعداء مستظهرين فقال له عنتر يا أخى وحق همتك ومحبتك وأياديك الجميلة لو وصفت لك ما صنعت فى بنى زياد من أول الزمان من الجميل والاحسان لكنت تتعجب من مجازاتهم بالقبيح والخذلان وأول ما عمل الربيع معى من القبائح عمل على بنت عمى عبلة حيلة وفضائح وسار بها الى عند مدرج بن هلال ثم أحكى له على تمام القصة وقال له ولو شرحت لك أعمال بنى زياد معى ومع ابنة عمى اطال عليك المطال وتتعجب من تلك الاحوال فقال له عمرو يا أبا الفوارس هذا يدل على خساسة أصلهم ورداءة فصلهم وشؤم تدبيرهم والفساد وأنت باختيارك ان أردت الرحيل عن بنو عبس رحلنا من عندهم وتركناهم للعربان وديارهم مسكن للبوم والغربان وأنا وقومى نتبعك وما نفارقك أينما سرت وسرنا معك فشكره عنتر على كلامه وتسلى معه عما مضى من أولاده وأهله وخلانه وصار يتسلى به عن سائر السادات وصفت بينهم المصادقة والمنادمه واغتنموا اللذات والافراح والمسرات وكانت الهيفاء أخت عمرو وقد ألفت بعبلة من دون نساء الحلة وزاق لهم الزمان وصفا وصاروا روحين فى جسد واحد وجعلا على بعضهما بعض المعتمد وكانت عبلة تحدثها بما جرى عليها طول الازمان وما قاست من السبى والهوان والتشتت من مكان الى مكان وما قاساه عنتر من تحت رأسها من مجاهلين العربان وكم قتل من الشجعان والفرسان وهى تسمع حديثها وتتعجب من تصاريف الايام وصارت تسليها باطيب الكلام وتقول لها يا أختاه مضى ما مضى وكان وكل هذا مقدر من الكريم الديان وامتزجوا بالمحبة والوداد وصارت الهيفاء عندها مثل الروح التى بين الاجساد وأشفق عليها من الوالدة على الاولاد وكانت عبلة تخبرها بما جرى لبنو عبس من الحروب والقتال وما لقيوا من الاهوال وما قد فعلت بنو زياد معها من القبائح والاوغاد وكيف عمل عليها الربيع حيله وأكمن لها الرجال وسباها عند مفرج بن هلال وعمل على قتلها ودفنها فى الرمال وأخذ ما كان عليها من الاموال والجواهر والهيفاء تتعجب من هذه الاحوال فبينما هم على ما هم عليه من هذه الاحوال واذا بعمرو أخو عبلة قد دخل عليها وهو يبكى وعيناه فى أم رأسه وقد انزعجت من كثرة الغيظ حواسه فقامت عبلة اليه وقبلته بين عينيه وقالت له ما حالك وما الذى جرى لك فلا كان من يشنأك وأهلك الله سائر أعداك فقال لها عمرو يا أختاه قد كفانا ما لقينا من أول الزمان وتعب معنا حامينا عنتر حتى تبدل خوفنا بامان واستقر بنا القرار

وآنست بنا الديار وبعد ذلك ما انقطع عنا كلام الاعداء والاضداد والمبغضين والحساد الذين هم لنا من الاوغاد لاسيما بنى زياد وهم أشد لنا عداوة من دون العباد وهم الربيع وأخيه عمارة القواد (قال الراوى) فقالت له عبلة وما الذى جرى وما سمعت من المعاندة والانكاد فقال لها يا اختاه انى قد خرجت فى جماعة من بنى عمى ونحن نطلب المعاش والمكسب كما فعلوا الذى سبقونا من فرسان العرب فوقعنا فى بنى فهد فسقنا أموالهم وأخذنا نوقهم وجمالهم وخيلهم ورجالهم فخرجوا الينا فرسانهم وأقبلوا الينا أبطالهم فكسرناهم وانتصرنا عليهم وعدنا سالمين وبغنائمنا فرحين وعاممنا من الاموال مسرورين فلما وصلنا الى الديار وأشرفنا على الاطلال صادفنا الربيع بن زياد واخوه عمارة القواد فسمعت الربيع يقول لاخيه الذى هو عمارة الاترى عمرو أخو عبلة وكيف بقى فى هذه الشجاعة وكيف أخرجه عنتر بن شداد حتى انه صار يغزى القبائل بكبس العرب والجحافل ويشن الغارات على الامياه والمناهل ونسى ما عليه من العار وما لبس من لباس الذل والشنار فقال له يا عمارة يا اخى قد انصرم حبل عزهم وانهدم ركن مجدهم وكأنك وقد هلك عنتر بن شداد عبدهم فقال الربيع والله يا وهاب ما يهلك عنتر الا وتبقى بنو قراد مثل الكلاب وتبقى عبلة مثل الامه ويبقى أخوها عمرو مثل الحرمه ولا بد لنا ما نتحكم فيهم مثل ما نريد ويبقوا عندنا مثل بعض العبيد وتأكلهم العرب بعد عنتر ويبقوا عبرة لمن اعتبر عند القريب والبعيد (قال الناقل) فكان عمرو أخو عبلة يحدثها بهذا الكلام ودموعها على خديها سجام وقال لها والله يا اختى لما سمعت كلامهم انفطرت مرارتى ومت بحسرتى ولولا خفت من الفتنة أن تقوم بهذه الاشاره لكنت قتلت الربيع وأخيه عماره وأوقعت بهم الذل والخسارة واسترحت من شرهم على طول الزمان وأوقعنا بهم الذل والخسران وأخذنا ثارنا منهم بعوامل الاشطان (قال الاصمعى) فلما سمعت عبلة من أخيها ذلك الكلام اعتراها الغم والغرام ودخلت الى المضرب وبكت حتى بلت عقودها وزاد بكاها وتعديدها وانصرف أخوها عمرو وتركها على حالها وهى زائدة فى بكائها وعويلها (يا ساده) وكان السبب فى ذلك الدعوة التى أتى فيها عمرو أخو عبلة انه خرج فى تلك الايام يريد الغز والى بعض احياء العرب وصحبته أربعين فارس من أصحاب المنازل والرتب وعولوا فى البرية على المسير وساروا حتى أشرفوا على احياء قوم يسموا بنو فهد وكانوا خلقا كثير وجم غفير وطلب أموالهم عن معه من تلك الرجال الاجواد وهم كأنهم الآساد وقد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وعلت بينهم الضجة والرنه واقتطعوا من الاموال ألف ناقة وساقوها من غير تمهل ولا عاقه ومعهم من العبيد جماعه قال ولما انهم أبعدوا فى تلك البطاح ثار من وراهم الصياح واذا بالخيل قد أقبلت والابطال تلاحقت والاقيال تدفقت وهم ينادون يا مأخوذين يا مذلولين لقد جلبتم لانفسكم الدمار وخراب الديار وقلع الرسوم والآثار قال فزعق بهم عمرو أخو عبلة ومن معه وصاح عليهم وحمل وحملت أصحابه معه حملة واحدة ونادوا اخسؤا يا كلاب العرب وأخس من ضرب فى البيدا وتد ومد طنب فنحن بنو عبس الكرام الضاربين بالحسام المعروفين بين العرب بالموت الزؤام ثم انهم عطفوا على الخيل وانصبوا عليهم انصباب الويل وانزلوا بهم الحرب وكالوهم كيل وأبادوا كل شجاع وقيل فعند ذلك اسفرت الصفاح وحملوا على أعداهم بالرماح وجرى الدم وساح ونادى الشجاع لا براح وسالت الدماء من الجراح فلله در بنو عبس الكرام وما فعلوا فى تلك المعمعة من الصدام وما عملوا فى ذلك اليوم من الضراب وكان عمرو يرد الفرسان ويطعن فى صدور الاقران ونادى يا أوغاد غير أمجاد أنا عمرو بن عم عنتر بن شداد فلما سمعوا بنو فهد بذكر عنتر أخذهم الهم والفكر وأيقنوا بالتعس لما سمعوا ذكر عنتر وبنو عبس وبقوا يعثروا فى ذلك البر الاقفر وما بقى لهم على الحرب مصطبر وكان عليهم يوم منكر وحاز بنو عبس الغنائم والاموال والخيل والجمال بعد هزيمة بنو فهد وطلبهم الانفلال وتفريقهم بين الروابى والتلال وعادت فرسان بنو عبس طالبين الديار والاطلال وهم فرحانين بالسرور والاقبال وخلفوا عند أعداهم الويل والخبال ولم يزالوا يقطعون البرارى والقفار الى أن وصلوا الى الديار والتقاهم الربيع بن زياد وقال عمارة ما قال من الكياد وجاء عمرو الى أخته وأعاد عليها ذلك المقال فضاق لذلك صدرها وحارت فى أمرها ودخلت

الى مضربها وبكت حتى بلت الدموع عقودها وعاد عمرو وتركها على حالها من بكاها وعويلها (قال الناقل) وكان عنتر يتسلى بزيد بن عروة عن أخيه شيبوب وقد نزل بقلبه منزلة أبيه وكان قد أحبه وسار يوداده ومصافيه واشتغل أيضا بعمرو ذو الكلب وصار لا يأكل ولا يشرب الا معه وقد أحبه قلبه وأتى به ولم يزالوا على ذلك الحال وهم فى أهنى عيش وافضال وقد انصرف عنتر بن شداد يوم من الايام الى أبيات بنى قراد فوجد الهيفاء أخت عمرو ذى الكلب خارجة من عند عبلة وهى طالبة مضرب أخيها وذكرت له جميع ما جرى على عبلة من كلام الربيع بن زياد وأخاه عمارة القواد فتعجب أخوها من احتمال عنتر لذلك الكياد وقال يا اختاه انى لاعجب من عنتر الفارس الهمام كيف يصبر على نجاسات هؤلاء الانذال اللئام فقالت له والله يا أخى ما عنتر عندهم الا مثل الدرة اليتيمة التى ما يعرف لها أحد قيمة لاسيما عبلة التى لم أحسن أن أصف معانيها وقد ذكرت له يا أخى ان عمارة بن زياد قد عاد أن يعاند أخيها وعنتر بن شداد وأنا أقسم وحق الرب القديم رب موسى وعيسى وابراهيم لو أنى من عبلة لكنت أفعل مثل ما فعلت بقتادة بن عمى لما انه نظر فى نظرة أسقيته ألف حسرة فقال لها أخيها يا أختاه نحن عند القوم ضيوف وقد آمنا عندهم من الحتوف بصحبة هذا الموصوف فهذا ما كان من عمرو وأخته وما جرى بينهم من الكلام (قال الراوى) وأما ما كان من عنتر البطل الهمام فانه لما دخل مضرب عبلة وكانت له فى الانتظار وقد تحملت له الجلد والاصطبار ولما وجدها جاريه الدمعة باديه اللوعة زاد بلباله وتغيرت أحواله وزاغت عيناه فى أم رأسه ودبت شفتاه وضاع حواسه وبقى عبرة لمن يراه من أهله وناسه وقال لها يا بنت العم لا أبكى الله عينا كى ولا كان من يشنا كى ما هو الذى وصل اليكى من الاخبار حتى أجريتى دمعكى الحدار فقالت له عبلة والله يا أبا الفوارس وتربة عمى شداد ما أنا فيما أنا فيه من الهم والانكاد الا من كلام الاعداء والحساد لان الماء ينام فى الاناء والاعداء لا تنام عنا ولكن وحياة عمى شداد وتربة أخيك شيبوب ما بقيت تطيب منا القلوب ولا يجتمع المحب على المحبوب الا بعد أن تبلغنى من الاعداء المراد والمطلوب فقال لها عنتر يا ابنة العم اخبرينى ما الذى تجدد من الاخبار واطلعينى على جلية الآثار الذى تجدد وأوجب هذا الغيظ والحرد فان كان من الملك قيس أو بعض اخوته ومن يجرى مجراه تركته عبرة لمن يراه وزحمت بك وطلبت عرض الفلاه وأخذ معزل عن جميع العرب وأسكن البر والسبسب ولا أرجع أبصر منهم أحد بل الزم الانفراد وابذل سيفى ورمحى فى الاعداء والحساد وان كان هذا الغيظ من بنى زياد فمن قريب ألحقهم بأهل المقابر وأمحقهم بسيفى الاكابر منهم والاصاغر وأرحل من هذه البلاد وأسكن البرارى والوهاد وأتجنب أرضا فيها المشاجرة والعناد ثم أشار اليها يقول هذه الابيات صلوا يا حاضرين على النبى صاحب المعجزات صلى الله عليه وسلم

أيا عبـلة بغيض المجارى * فتشتعل النيران بين ضمائرى
أيا عبـلة انى لو أهانك سيدا * لاذلته ذل العبيد الاصاغر
أيا عبلة لا تبكى على فعل ما مضى * وكونى على ذلك الرضى بالتصاجرى
فعما قليل تسمعى الندب والبكا * على من يعاديكى بسكن المقابرى
وتبقى بنى عبس بعد عيش ذليلة * نساؤهم وابنائهم بين الحرائرى

(قال الراوى) فلما سمعت عبلة شعره قالت له اعلم يا ابن العم ان أخى عمرو أتانى باكى العين حزين الفؤاد يشكوا من جور بنى زياد لانه لما أتى من سفره التقوا به بنى زياد وتحدثوا فى عرضى وعرضك بالكلام القبيح وأنا والله ما بقيت أحمل منهم مثل ما حملت ثم انها بكت وأنت واشتكت وصاحت فى وجهه وولولت ووعدها بكل ما طلبت وقد سلاها بأحسن الكلام اللذيذ وانه ينتقم لها من كل من يعاندها من الاحرار والعبيد وأراد عنتر ابن شداد أن يبلغ مراده ويطفى بوصالها نيران فؤاده فما مكنته من ذلك لاجل اليمين الذى حلفته فبات عنتر تلك الليلة وحده الى الصباح واذا بعبد من عبيد الملك قيس أتى اليه ودخل عليه وخدم وباس يده وتقدم وقال يا مولاى ان الملك قيس يدعوك اليه ليأخذ أخبارك ويطلع على أسرارك وما جرى لك فى أسفارك فاجابه عنتر

بالسمع والطاعة وخرج طالب الملك قيس من تلك الساعة فالتقاه عمرو وذو الكلب خارج الخيام فابداه
بالسلام وسأله عن حاله وما جرى له وناله واستخبره عن مبيته فى ليلته وأمسه وما حل من الهم فى نفسه
فاحكى له على ما جرى له بينه وبين عبلة وقال له سر بنا الى الملك قيس نجدد به عهدا ثم أخذه وسار حتى دخلوا على
الملك قيس فوجدوا عنده اخوته وأكابر عشيرته وكل منهم جالس على مرتبته وهم يتذاكرون ما جرى لهم من
قديم الزمان وما تجدد لهم من الاحزان فبينما هم كذلك واذا بعنتر دخل عليهم فى هذا المقام فقام الملك قيس
اليه فى سائر اخوته الكرام وقام الربيع بن زياد منافقة للجماعة فجذبه أخيه عمارة من ذيله اجلسه وقال له
أقعد فما يكون قدر هذا العبد ولد الزنا حتى تقوم له ففهم عنتر بذكاوة عقله جميع ما هم فيه وقد أخذه عليهم
الاحقاد وكذلك عمرو وذو الكلب علما ان أمرهم ينتهى الى الفساد ثم انهم جلسوا سائر السادات وأخذت
مواضعهم أصحاب الرتب والقادات والعبيد بين ايديهم كما جرت العادات وهم يتذاكرون ما جرى من
الوقائع السالفات وتذكر الملك قيس قتل أخيه الحارث هذا وعنتر بجانب عمرو وذو الكلب وقد احتفل المجلس
والملك قيس يبكى وينتحب فانقلب المجلس بالبكاء والنحيب وقال ورقة بن الملك زهير والله يا بنى عمى ان هذه
دلائل قطع الآثار وخراب الديار وما كانت تحترمنا العرب وتهابنا الا بهيبة حامينا عنتر بن شداد الاسد الغضنفر
وهذا السيد الآخر الذى قد من الله به علينا وزال عنا العنا وانجلت عنا الاحزان وآمنا من طوارق الازمان
وأشار الى عمرو وذو الكلب (قال الراوى) فلما سمع عمرو وذو الكلب كلامه قام قائما على أقدامه وخدم ودعا
وتكلم وقال يا سادات العرب من بنى عبس وعدنان لقد أصبحتم مثلا بين العربان بهذا البطل الباسل
والسيد الاجل الذى قهر الفرسان بشجاعته وأوقع الخوف فى قلوب العرب والعجم بجسارته وفصاحته
وبراعته وأنا من بعض عتقائه وقد صرت من غلمانه وأصدقائه فاطرحوا عنكم العتاب والملال والقيل
والقال واعلموا ان الماضى لا يعاد واصرفوا عنكم الضغائن والاحقاد وتفكروا فيما مضى من الآباء والاجداد
فانى ما طاب الى المقام عندكم وأقمت بأرضكم الا لأكون فداء لانفسكم وعبد الملك قيس سيدكم فلما سمع الملك
قيس بهذا الكلام جعل يشكره ويثنى عليه وجلسوا القيام وتباسطوا فى الكلام وبنى زياد تتعجب من
عمرو وذى الكلب وطول قامته وعظم هامته وفروسيته ومن عنتر الذى قهره فى ميدانه فقال عمارة ايه يا أخى
لو رأيت أخته الهيفاء وما حازت من الحسن والجمال والقد والاعتدال ولها عيون أحد من السيوف الصقال
والله يا أخى كنت أشتهى أن أتزوج بها وأتسلى بها عن عبلة وأستفيق من سنة الغفلة فقال له أخرس أخرس
الله لسانك وأضعف الله جنانك هذا وكأنك ما تستحى يا مذلول الشارب ان تكون لهذه الفارسة مخاطب
فأقسم بالله ان تعرضت لها قتلتك وأنا والله كرهت الحياة من رقاعتك وتصعبت الناس علينا الاجل حماقتك
هذا والجماعة مشتغلين عليهم بالكلام ولكن عنتر بالحد كله من بنى زياد وما يخفى عليه أمرهم واختلف المجلس
باعادة الحديث وتفكروا أما كان عليهم مكتوب وقد تعجبوا من قتلة شيبوب فقال الملك قيس يا بنى عمى لقد
عدمنا رأيه وتدبيره على الحقيقة وبعد تفرق كلامنا فى طريقه وبلغنى أن عنتر من حين ذكر شيبوب هطلت
الدموع من عينيه والجماعة ينظرون وما يقدروا ان يحركوه وتجددت أحزانه وعمى عليه واسودت الدنيا
فى عينيه وأخذ الملك قيس يسأل عمرو وذا الكلب كيف كان قتال عنتر لبنى ضهبة وعمرو يحدثه بما قاتل وبما
فعل مع أعدائه وكيف قتل سارح قاتل أخيه وكيف أخذ الاموال وعفا عن الحريم والاموال قال نجد
هذا وقد فتح عينه عنتر ونظر الى الجماعة الذين حواليه وهم فى ذكر الوقعة الذى جرت والكائنة الذى صدرت
فقال عنتر يا بنى عمى وحق من رفع السماء وسمى نفسه بالعلى الاعلى ما أنا جاهل فيما مضى ولا أتعرض الى
حكم القضا بل آخذ بالرضا لان الآجال مقدره والامور مدبره لان خالق سلط على من لا ينام عن ذكرى
ولا يغفل عن كشف سرى ويطلب هلاكى وأنا يا بنى عمى قد ضاق صدرى وعمى بصرى وحرت فى أمرى وما
فى كل وقت يكون العقل حاضر فى رأس الانسان وأنا أقسم بحق من رفع السبع الطباق المتكفل لعباده
والارزاق لئن لم تنتهى أعدائى من سوء الاخلاق لشتتهم فى الآفاق لانى كل ما وصلت قطعوا وكلما حلت

وعفوت عنهم جهلوا وطمعوا فينا وكلما عدات ظلموا وها هو الملك قيس يسمع خطابى ويردلى جوابى والا رحلت
عنكم وتركتكم ولا أعود أبدا أرجع اليكم فلما سمع الملك قيس ذلك علم ان النوبة عظيمة وأيقن ان المنام
الذى رآه صحيح وكان قد رأى منام مهول وان شملهم لابد أن يتفرق فقال الملك قيس يا أبا الفوارس نحن قد اجتمعنا
انصرف ما قد تجدد من الاحزان وقطع حبل الجفا والهذيان ونوصل حبل المودة بين الاحبة والخلان فقد مضى
ما مضى وأنا خائف عليكم مما قد رأيت لكم فى المنام فقال له عنتر يا ملك ما على من تلك العشيرة أضر من
الربيع بن زياد وأخيه عمارة الفواد وفى رؤسهم تقع الحرارة فلما سمع الربيع هذا الكلام رجع الى خبثه
ومكره والمحال وعلم أن عدوه ما يبلغ آمال فقام الى عنتر وقال له يا ابن العم لم تزل فى قلبك الغصص من جهتنا
ونجمنا عندك غير مسعود فما الذى وصل اليك عنا من النميمة حتى ما جعلت لنا قدر ولا قيمة فقال له عنتر
يا ربيع لما قدم ابن عمى عمرو وأخو عبلة من السفر قد أشعلت فى قلبه لهيب الجمر فأنا والله قد فنى منى الصبر
وها انى ذلك الامر فقال الربيع بخبثه ودهاه والله يا أبا الفوارس ما كان كلامنا معه الا على سبيل المزاح والمجون
ولا ذكرناك أنت بسوء ولا مكروه وهؤلاء السادات تشهد على مقالى وأنا أعلم انك حليم على قبيح فعالى وما
نحن الا فى ظلك وظل سيفك وسنان رمحك قال المؤلف عندها لان عنتر عند سماع هذا الكلام وفتر عما كان
عليه قد عزم من الفعال وقال له الربيع أنت يا ابن العم تاجنا وحصننا وعليك بعد الله اعتمادنا فى الشدائد
الكبار فقال عمرو وذو الكلب يا بنو عبس الكرام ابطلوا عنا هذا الكلام واتركوا الملك قيس يحدثنا بما رأى
فى المنام فامتثلت الجماعة كلامه وامتدت العيون الى نظر الملك قيس وسؤاله فقال الملك قيس اعلموا يا بنى
عمى انى ما جمعتكم الا بهذه الاسباب التى أنا عنها فى نار الالتهاب فوحق من يعلم كل سر مكنون انى لو قدرت
اليوم انى أضع عنتر فى بياض العيون ما كنت على ذلك مغبون (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الكلام
قام قائما على الاقدام وقبل الارض بين يدى الملك قيس وقال يا ملك اشرح لنا ما فى خاطرك وبين لنا ما رأيت
فى منامك ولذيذ أحلامك وأفرج عنك ما تجده من اجتماعك فقال الملك قيس يا بنى عمى انى من يوم قتل
أخى الحارث حملت هما عظيما ونمت تلك الليلة وأنا فى جحيم فرأيت كأنى طائر بين السماء والارض وكان
حولى طيور مختلفات الالوان من بواشق وصقور وغربان ونسور وعقبان واذا قد أقبل على هذا الطير
وحوش وتقابلوا عليهم من ثعالب وضباع ونمور حتى امتلأ بهم البر والبقاع واحتاطوا بتلك الطيور من كل
جانب ويسار وايجدوا عليهم فى الطلب وهذه الطيور تطلب الهرب حتى تفرقوا وصاروا مثلا يضرب وتفرقوا
بين الشعاب والارغام والبرارى والجبال والوحوش تخطفها من اليمين والشمال فانتبهت أنا خائف من هذه
الاهوال والى الآن وأنا موسوس من هذه الاهوال فأفيقوا والزموا السداد ودعوا عنكم هذا العناد
واسلكوا طريق المحبة والوداد ثم جعلوا بنو عبس وبنو زياد وآل قراد يتحدثون فى التفريق والاجتماع ولم
يزالوا كذلك حتى أقبلت العبيد بالطعام فقطعوا ذلك الكلام وأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وتمت الامور
والاحكام وبقوا كلهم كذلك الى قدوم الظلام وتفرقوا الى بين منازلهم والخيام وسار عنتر وعمرو وذو الكلب
الى أبياتهم ودخل عنتر على عبلة فسألته باجتماعه على الملك قيس فأخبرها بما جرى وقال يا بنت العم وحق
من خلق العباد وسطح المهاد وأشقى وأسعد وأهلك الجبابرة والاضداد الذى أعز وأهان وجمع وفرق وأيس
لاحد فى مراده مراد لاوريكى فى بنى زياد ما أفعل من النكاد واجعل بياض نهارهم كله سواد فقالت له عبلة
لم لا ترحل بنا من عندهم وننزل عند بعض أصدقائك فقال عنتر والله ما أرحل حتى أشفى قلبى من بنى زياد وأوف
بقولى وآخذ حقك من غريمك وأبر قسمك وأنفذ عينك فهذا ما جرى ههنا من الكلام (قال الراوى) وأما
ما كان من بنى زياد اللئام فانهم بعد انصراف عنتر أقاموا بحضرة الملك قيس فقال الربيع بن زياد يا ملك
أتحسن لعنتر أن يتكلم فينا هذا الكلام الشنيع وأنت الآن حصننا المنيع وركننا الربيع فقال الملك قيس
يا بنى عمى مالى الى معادات عنتر من سبيل لاسيما وصار له مثل هذا البطل النبيل وقد صار هذا الامر بينكم
قليل وهو لقلع آثارنا دليل فقال عمارة أكون أنا الوهاب وأذل الى العبيد الكلاب خصوصا هذا العبد

المرتاب وذمة العرب لابدلي من قتله قريبا غير بعيد لان كلامه فينا بالاساءة يدوا اليوم في مجلسك أردت أقوم اليه وآخذ روحه من بين جنبيه ولكن خفت منك ومن عتبك وملامك وفسخ عرضك وذمامك فقال قيس يا عمارة لا تتعرض لعنتر بن شداد فيقتلك ويحل حمامك والله لو فعلت ذلك لا كلتنا العربان وما كان عمرو والكلب وأخته قناصة الرجال يدعوا منا انسان وقد انفض المجلس كل منهم يتكلم بما قدر عليه من القشار فلما كان ثاني يوم ركبت بنو عبس الى غدير ذات الارصاد كما جرت عاداتها وقدم جرير الى أخيه عنتر جواده الابجر واذا بعبد من عبيد الملك قيس التقاه وكان هذا العبد يقال له ناصح وقال لجرير اعلم أخيك عنتر وأوصيه يحترز على نفسه من بني زياد لانهم بعدما عاد أخيك الى الديار تكلموا مع الملك قيس في حقه وقال لابد عن قتله وأعجل من الدنيا مرتحله ومولاي قيس قال وقال من الكلام ثم أعاد العبد عليه القصة من أولها الى آخرها وقال في آخر كلامه وأنا من محبتي في أخيك قد أوضحت لك الخبر فقل لاخيك يأخذ حذره بقدر ما يقدر ولا يعقل ان الشجاعة تنفعه مع القدر لانه يصم الآذان ويعمي البصر ولقد أفلح من قال شعر

اذا لم يساعدك الزمان بنفسه * فحاذر وباعده ولا تتقربا

ولا تحتقر دهرا لضعيف فانه ربما * تموت الافاعي من سموم العقربا

فلقد هدهد قبلا عرش بلقيس هدهد * وأخرق فار السفينة وأخربا

(قال الناقل) فلما سمع جرير هذا الكلام شكره على فعاله وقال له لاعدمتك يا ابن الحلال من ناصح ثم انصرف العبد من عنده وأما جرير قدم الجواد لاخيه عنتر فركب وعجلة توصيه بسرعة العودة الى الديار لانها تلك الايام ما بقت تجد عنده اصطبار ولا بقر لها بعده قرار وصار جرير في ركابه وهو يحدثه بما جرى من الربيع وأخيه عمارة السقيع من الكلام الشنيع في حضرة الملك قيس وهو يقول له يا ملك كيف ترى ما حل بنا من هذا العبد ابن اللئام فحمل عنتر من ذلك هما عظيما عند سماعه هذا الكلام وقال لاخيه اكتم الساعة أنت ما سمعت فلا بد ما أقتل الاثنين أشر قتلة ثم سار قليلا واذا بعمرو ذي الكلب وأخته الهيفاء قد أقبلا يطلبوه وعن خبره يسألوه فقال يا عمرو يا أخي ايش جرى لك مع عائلة الملك من الوداد فقال عنتر ايش أقول لمن الله بني زياد الجميع أولهم عمارة آخرهم الربيع فقد سمعت بالامس اكثرتهم انافي الظاهر كان وذلك بخلاف ما أخفته منهم لنا الضمائر فوالله اني لاسكنهم في هذه الايام المقابر ثم حدثه بما جرى له منهم وما سمعه من العبد وقال لقد أخبرني بذلك من كان حاضر عنهم وأوصاني أن لا أكون مطمئن منهم وقالت القناصة بعدما سمعت هذا الكلام يا أخي وحياة عيني عبلة ان أردت أن أخطفه من سرجه وأقتله أشر قتله افعلت وقد حدثتني بجميع ما جرى منهم أختي وكنت أقسمت لا تأخرت عن بني زياد وأشتت نسائهم في سائر البلاد وأقطع عنك هذه الفتنة والعناد وآخذ ثار أختي عبلة منهم وأتركهم عبرة لسائر العباد وأروي الارض من دماء هؤلاء الاوغاد فقال عنتر لا يا أختي لا تحركي ساكن انما أريد أن أنجز أمرهم واشفي صدري منهم وأطلب أرضنا والاوطان فوالله ما طلبت نفسي سماع الزور والبهتان ومن جرد في وجهك حسام طعنته في صدره بالسنان ثم انهم ساروا وهم على مثل ذلك الكلام واذا بالملك قيس وقد التقاهم والربيع بن زياد من بر الخيام ولما رآه الملك قيس ميل اليه وسار بجانبه وجعل يحادثه ويؤانسه وسأله عن ليلته وشغل قلبه وعنتر شكره وأثنى عليه وسار في ركابه وهو يقول يا أبا الفوارس قد بقي عندنا من الاحزان مالم نقدر نصفه بلسان وأنا عزمت أن أعمل وليمة وأجمع فيها السادات والفرسان ونصرف عنا الهموم والاحزان بمعاشرة هذا السيد الذي قد صار صديقنا وأولانا الجميل والاحسان لاننا من يوم عرفناه ما حضر معنا على بساط الهنا والمسرات بل ندفع به السيآت والمصائب الهائلات ولا جلس معنا في أوقات اللذات وعسى أن يكون الزمان عنا قد غفل فقال له عنتر نحن على ما عزمت تابعين أفعالك غارقين في احسانك وافضالك ثم انهم صاروا كمجرى العادة الى أن تضاحى النهار فعادوا الى الديار وقد أعلم عنتر لعمرو ذي الكلب بهذه الاخبار وما وقع بينه وبين الملك قيس من الكلام وقال له والله يا أخي تالله ما بقي يصفى لهم ولا للملك قيس أيضا وذلك من أيام عملوا الدعوة وأرادوا قبضي وتسليمي الى الملك

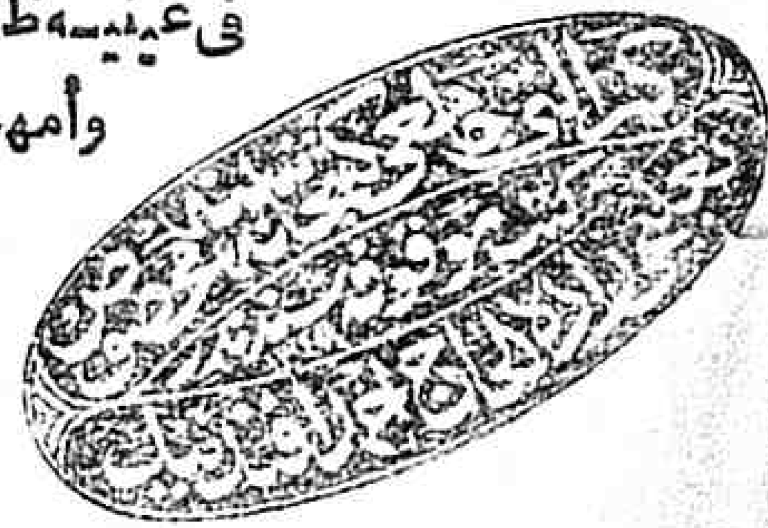
الاسود ونصرني الرب القديم عليهم وأنا كاره صحبتهم فقال عمرو ذو الكلب يا أخي اذا كان كذلك فدعنا فقتل عمارة والربيع ولا نبالي برفيع ولا وضيع فقال عنتر يا أخي قلبي ما يحدثني الا بقتل الربيع وعمارة الصقيع وبعد ذلك نقضي الدين من الجميع قال محدث هذا ما جرى ههنا من الكلام بالتحرير (وأما) ما كان من الملك قيس ابن الملك زهير فانه عجل بتعجيل الدعوة وما علم أنه يحدث من بعد الامور أمور وان لكل شئ انتهاء اذا جرى به المقدور الآن الملك قيس ما جاء عليه نصف الليل حتى صف الكاسات والطاسات وقدم الطعام وروق المدام واجتمعت السادات على الجنك والنايات وجلست الناس على قدر الطبقات وجلس الملك على سرير ملكه وأخرج ذخائره وفتح خزائنه وجعل يخلع على الاصحاب والخلان وطاب بذلك صفو العقود وتجديد العهود وأنفذ خلف عنتر وأمره ان يحضر معه عمرا ذا الكلب وأخته الهيفاء وكان عنتر ذلك اليوم عند عمرو وهم يتعاهدون ما جرى عليهم من غدرات الزمان واذا بعبد الملك قيس قد دخل عليه وقال له يا مولاي الملك قيس يدعوك اليه أنت وصديقك عمرو فقال عنتر اذهب فها أنا خلفك فذهب العبد الى مولاه وأما عنتر فركب جواده الابجر وأخذ عمرا ذا الكلب معه وصار الى الملك قيس فرأى السادات محدقه والامارة والقادات فبذلوا المجهود عندما دخلوا السلام فقام لهم الملك قيس على الاقدام وقام لهم كل من حضر عنده الوليمة وحيوهم بالتحية والاكرام وجلسوا عن يمين الملك قيس وكان الربيع وأخوه عمارة جالسين من الجهة الثانية وأخذ كل واحد منهم مكانه وقر قراره ودارت عليهم الكاسات ورقصت المولدات ودار بينهم الهزل والجد ونهبوا أوقات اللذات وطابوا من سماع المغنيات وزادوا في عنتر بالشكر والثناء هذا والربيع وعمارة قد انفطرت مرائرهم فعند ذلك نهض عنتر وهم جالسون وهو ينظر الى الربيع وقد توهم ان ماله عنده لا قدر ولا قيمة فسمع الربيع يقول لعمارة يا وهاب هذا وقتك انظر عنترة وحيدا فريدا وقد وجدنا منه فرصه وهو الآن سكران فقال عمارة وحق ذمة العرب أنا لابد لي من قتله وأصرم عمره فلما سمع عنتر هذا الكلام اسودت الدنيا في عينيه ولا بقي يعرف ما بين يديه وتحقق صدق ما وصل اليه من الكلام الذي ألقي اليه فسل حسامه الضامي الابتر ووثب ولحق الربيع قبل أن يثور وضربه قسمه قسمين ولما نظر عمارة أخيه وهو الى مقطوع قطعتين فثار والحسام مجرد وأراد يهجم على عنتر فضربه عنتر بالضامي الابتر شطه شطرين وانقسم مثل أخيه قسمين وقد هلك الربيع وعمارة في ساعة واحدة وحلت بهم الخساره فلا رحم الله الاثنين ولما قتل الربيع وعماره وقعت في بني عبس الخساره ونظر الملك قيس الى تلك الحال فعظم ذلك عليه وكبر لديه ولطم على وجهه ورأسه حتى برز الدم من أنفه وأضراسه وخرق ما كان عليه من لباسه وبهت كل من حضر من جلاسه بما فعل عنتر وأيقنوا بحلول العبر والبلاء المصور وانقلب المجلس بما فيه وخرجت المدللة بنت الربيع زوجة الملك قيس وابنته الجمانه وقد هتكوا ما كان عندهم من الامانه وهلبت الخيل وانقلب الحي بالحزن والويل

وقطعت الذوائب وندبت النوادب وقامت الاحزان والشجون والهوان والمصائب وحس

قلب الملك قيس بالشتات وشرب كأس الممات وتحسر على ما فات وصار الضياء

في عينيه ظلام وصدف المنام وكثر البكاء والعويل ولطمت الجمانه





وأمها المدلله وزادوا في البكاء والاعوال والنواح

والتعداد وقامت عليهم القيامة وأيقنوا

بكل ندامه ومزقوا ملبوسهم

وحثوا التراب على رؤسهم

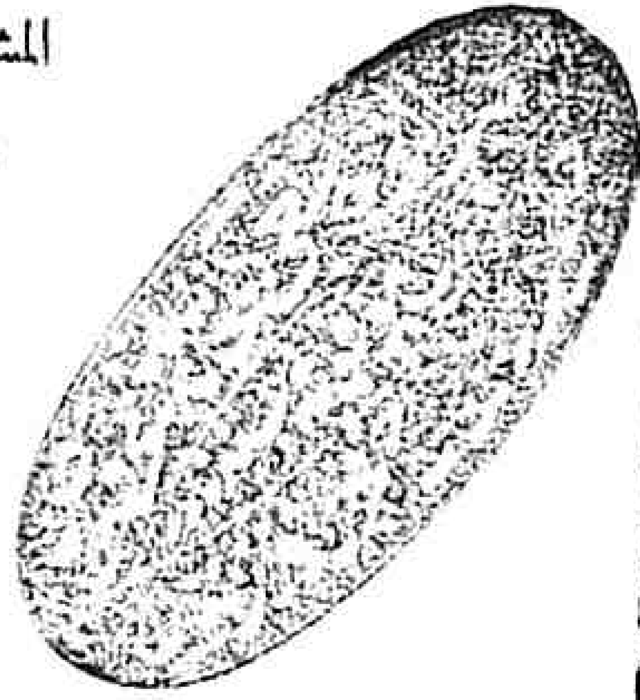
هذا ما جرى ههنا

تم الجزء الثلاثون من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بني عبس عنتر بن شداد

- ٩ - عنتر الثلاثون

الجزء الحادى والثلاثون

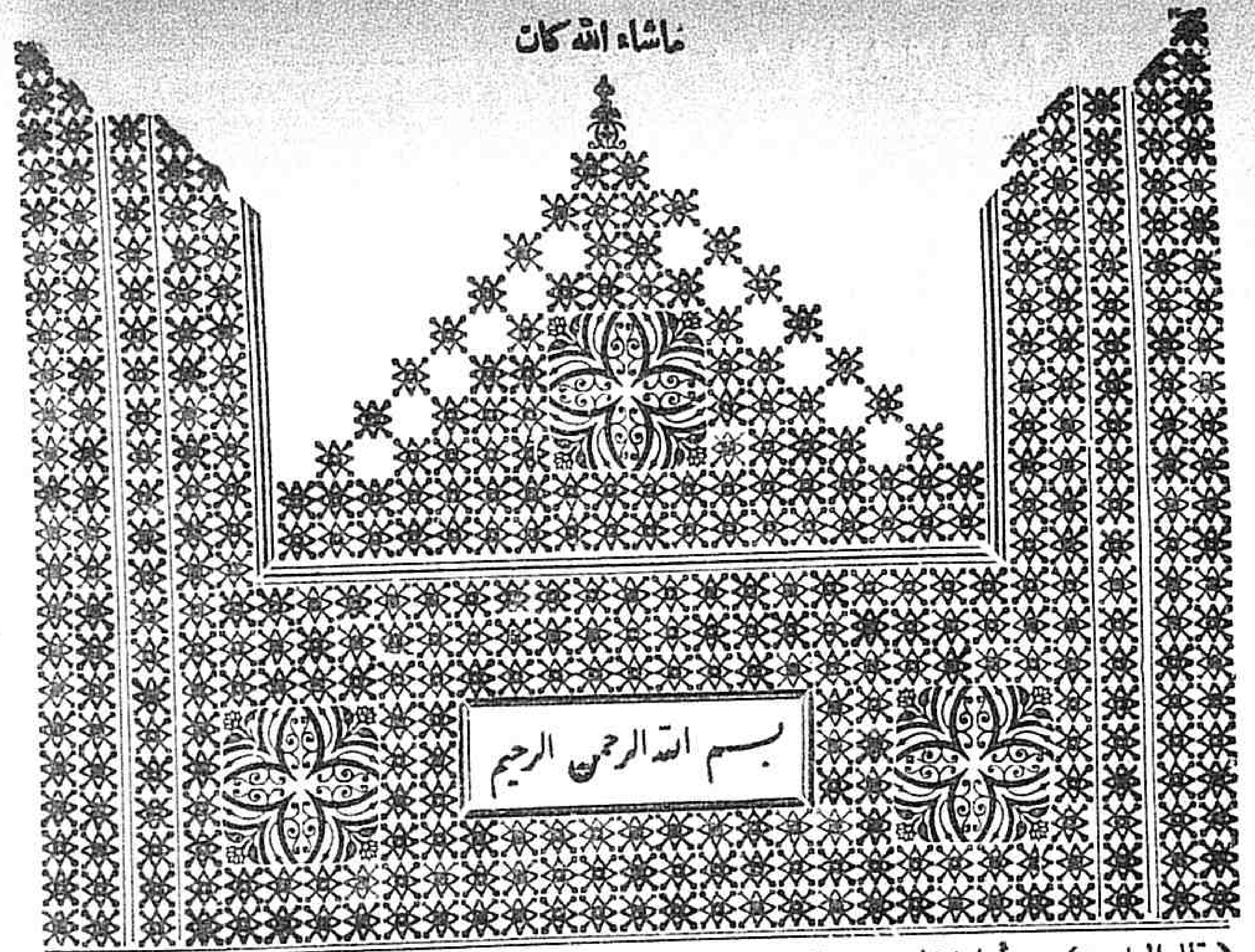
من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من
انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث
النزال الامير عنترة بن شداد
وهي السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليـــه
م



﴿ محل مبيعه ﴾
(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين افندى شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

﴿ الطبعة الثانية ﴾
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)

ماشاء الله كان



﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من عنتر لما قتل عمارة والربيع أولاد زياد وتركهما عبرة للعباد أظهر عمرو وذو الكلب اهتمامه وجذب حسامه وبعد قتلهما طلب عنتر الخيام وفي يد كل واحد منهما الحسام وقدمت العبيد اليهما الخيل فركبا وعزما على كل من تبعهما مدد وعلى الصعيد ومازالوا سائرين الى أن وصلوا الى أبياتهما وجدا قناصة الرجال قد اعتمدت بعدهما عندما سمعت الصياح هذا وعبلة قد بكت على عنتر وخافت عليه من البؤس والضرر وماسكتت حتى رأته مقبلا مع أصحابه كأنه الاسد القسور وقد أقبل عمرو وذو الكلب بجانبه وهو يقول له عن اذنك أقيم الحرب على ساق وقدم وأفنى بنى عبس وأشبع منهم الرخم وعنتر يهدر هدير السباع اذا كانوا جياع واذا بورقة بن الملك زهير وقد دخل عليه والدموع تتناثر من أماقى عينيه وهو يقول له يا أبا الفوارس قد بيضت وجهك اليوم وأرحت نفسك من العتب واللوم ولكن أخى الملك قيس يقول لك اما أن ترحل أنت أو يرحل هو و يفوت لك الاطلال فقال له أنا أرحل فى عاجل الحال ولا بقيت أجاور بنى عبس ان كان قيس أو خلافه لا وحق الملك المتعال ولا أتكل الا على حسامى الفصال ورمحى العسال ثم انه فى عاجل الحال هدم خيامه وطوى أعلامه وكذلك فعل عمرو وذو الكلب وقناصة الرجال وفرسان بنى قراد الابطال ورحل عنتر من بنى عبس وهابتهم العين والنفس وزعق فى تفريقهم غراب البين وحان منهم الحين وأما عنتر فسار بمن معه من الرجال يطلب له منزلا ينزل فيه ومسكنا يأويه وهو يقول اذا أبعدت عن بنى عبس سوف يروا ماينذوقوا من الهوان فقال عمرو وعلى ماذا عولت أن تنزل يا أبا الفوارس فى أى مكان فقال عنتر نقصد أرض العراق ونقيم هناك ونتوكل على الملك الخلاق وننزل على جانب الفرات وأفنى ماهناك من الجبابرة العتاه وما بقيت أجاور عبسيا أبدا ولو شمتت بى العدا فقال عمرو الاحراليك وها أنا بين يديك فسار بالظعن والعيال والحريم والاموال وقطع المنازل والاطلال والعرب تجفل بين يديه وسارت تتدفق من قدامه ولا تقبل عليه وهم راحلين من منهل لمنهل وهم يقطعون بين أيديهم الوديان والطلل ومازالوا كذلك وعنتر بين أيديهم الى أن وصل الى بحر الفراة مقابل مدينة عانه ونصب بين الفرات ومدينة عانه وكان هناك خليج يسمى العارضيات فنزل عنتر وضرب خيامه ونصب

أعلامه ومد أطنابه وعلا قبابه وسرح أمواله ونوقه وجماله وأقام فى ذلك المكان المخصب والمرعى والكلا والماء العذب وقال أنا أقيم فى هذه الارض وأحميها طولا وعرض ولابد لعبس أن تندم على بعدى غاية الندم لانهم كانوا فى أمان واطمأنان ثم انه شرع مضربا من الحرير الاصفر باعمدة من الصندل والعود القاقلى مطلى بالذهب الاحمر وأطنابه من الحرير الاخضر ونصبه الى جانب الفرات وقد فرش فيه من الفرش والزرابى والنمارق من أخضر وأصفر وأحمر حتى صار بهجة لمن يراه وكان هذا المضرب وجميع مافيه من هذه الاشياء التى ذكرناها كان أخذه عنتر من الملك كسرى أنوشروان وكان اسمه نصف الدنيا وصار يصف فيه الطاسات والكاسات وهو كل يوم يشرب هو ومن معه من الفرسان ويلهو ويطرب وكان عنتر قد نظر الى الهيفا هذه المدة ونظرها بعين المحبة والمودة والادلال وطول الصحبة وصار من محبتها حاصل وصار الحب على وجهه له علائم ودلائل وتجدد عليه ما كان فى زمن عبلة من الخصائل ومازال على هذا الحال الى أن قر قراره على جانب الفرات وتحدث مع عمرو أخيها فى زواجه لاخته واستشاره فيما يريد أن يفعل ففرح عمرو بذلك وما صدق أن صح له هذا الامر وقال له يا أبا الفوارس أنا من جملة غلمانك وخدمك وقناصة أمتك وسار عمرو وتحدث مع أخته بهذا الحال وأخبرها بما قال عنتر من المقال ففرحت بهذا الكلام غاية الفرح واتسع صدرها وانشرح وقالت له يا أخى المراد ما أستغنى عن زوج وأنا ما أريد زوجا أوفى من عنتر وما أطلب أعظم من هذا الفارس الغضنفر ففرح عمرو باجابة أخته بالزواج لعنتر وسار اليه وأعلمه بالخبر ففرح الآخر بفعله واستبشر من ساعته وأخذ بيد عنتر على الزواج وصافحه وناكحه واتفق الامر على ذلك وكل منهم أراح واستراح ومن تلك الليلة ضربت خيمة الزفاف وانقضى الامر ولا بقى اختلاف وكان كله مخفى عن عبلة لان عنتر كان يقضى نهاره هو وعمرو وذو الكلب فى أكل وشرب ونعيم زائد ولم يزل على ذلك الى أن مضى من الليل القليل ولما جرى ماجرى لقناصة الرجال من ذلك القيل والقال وزواج عنتر لها ولما انقضت سبعة أيام من الولائم دخل بها وأقام الى آخر الليل وأتى الى عبلة وقت السحر وما عندها من ذلك خبر وأقام الامير عنتر على ذلك المنهاج وهو مع قناصة الرجال وحاله مكتوم وقد التقوا بعضهم البعض وبقوا روحين فى جسد وأقاموا على ذلك مدة أيام وهم فى أهنى عيش وانعام ونسى بنى عبس الكرام ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من عنتر وأما ما كان من الملك قيس وبنى عبس فانه بعد رحيله أمر بدفن الربيع وعمارة فدفنوهم وحزنوا عليهم ونحروا على قبورهم النحور ودام أمرهم فى حزن وثبور ثم انه بعد ذلك جمع قومه وأهله وعشيرته وما يلوذ به من يومه وقال لهم اعلموا يا بنى عبس ان العرب بعد رحيل عنتر تطمع فينا فكونوا الآن على أهبة الحرب والنزال وخذوا حذركم من أحد يطرقكم وكونوا محترزين على أموالكم وعيالكم لانى والله خائف عليكم لان سائر العرب ما كانت تهابكم الا لاجل حاميتكم وابن عمكم عنتر فارس البدو والحضر والآن نفذ فى بنى عبس سهم القضاء والقدر فلما سمعوا بنو عبس من الملك قيس كلامه ما بقى أحد منهم الا وقد تحسر على فراق عنتر ولا بقى أحد منهم يقدر أن يخرج من الابيات وقد وقع بهم الخوف والفزع وخافوا أن تخطفهم العرب خطف النسور والعقبان ببعد عنتر عن الاوطان وأيقنوا بالفناء والدمار وقطع الاعمار وضاقت بهم جميع الاماكن وحرموا شرب الخمور هذا وقد وصلت الاخبار الى جميع العرب الاخيار بان الامير عنتر على بنى عبس غضبان وتركهم وراح ونزل على بحر الفرات وتلك الوديان مقابل أرض العراق وديار بنى شيبان فتباشرت بذلك جميع العربان ونووا على أخذ الثار من بنى عبس الاخيار وان ينتقموا غاية الانتقام ويكونوا يدا واحدة على هلاكهم والارغام وكانت العرب جميعهم من بنى قحطان لا يقدروا ان يمسوا بنى عبس وعدنان بسوء ولا ضرر مخافة من أبى الفوارس عنتر ولما اتفق لهم هذا الاتفاق وبلغهم ان عنتر سار الى العراق اجتمعت خمس قبائل من العربان ونووا على هلاك بنى عبس والقاعان فهذا ما كان منهم وما اتفق من الكلام العجيب الذى سطر فى الورق بان فرقة من بنى عبس وعدنان كان مائتى فارس أعيان يقدمهم الامير قراوش بن هانئ وابن عمه بشر النبهانى والامير مجيد بن مالك صاحب الوجه الضاحك

وعياض بن ناشب وغالب بن ثابت طاعوا بن معهم من الفرسان قاصدين الغز وعلى احياء العربان وكان ذلك بخلاف رأى الملك قيس بن زهير ولما ساروا وجدوا المسير بالجد والتشمير الى أن وصلوا الى حلة من بعض حلل العرب يقال لها بنو فهد ولما حصلوا فى مراعيهم غاروا على أموالهم وأمروا رجالهم بالجملة وتراكضوا مثل العقبان وصاحوا يالعبس يالعدنان ثم انهم قطعوا من المراعى ألف ناقة وقد ساقوها بعظم استطاعة وصاحوا على العبيد والرعيان ويلكم يا أولاد الزنا انى سوقوا المال قدامنا والا خضبنا من دماكم سناننا ثم انهم ساقوهم وعطفوا راجعين وهم مما قد كسبوا فرحين هذا وقد وقع الصوت فى الحلة فصاحت الرجال وركبت الابطال وقد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وجدوا خلفهم الى أن أدركوهم وصاحوا عليهم الى أين تسيرون بأموالنا يا مذلولين ونحن لكم طالبين فعندها برز اليهم من بنى عبس فارس كأنه الليث العابس وقال له يا ويلكم يا لئام نحن من بنى عبس الكرام أسود الحرب وصناديدها وليوثها وأماجيدها فلما سمعوا تلك الفرسان نداهم وعلموا أنهم من بنى عبس وعدنان ردوا الى قومهم وأعلموهم ان بنى عبس أغارت عليهم فعندها قفزت الحلة عن بكرة أبيها وعولوا على الحرب والقتال والطعن والنزال ولا زالت الفرسان سائرين حتى تلاحقوا ببنى عبس وعدنان وحملوا عليهم حملة واحدة فعندها تلقوهم بنو عبس وكان ذلك عند طلوع الشمس وصاحوا وفى أوائلهم قراوش بن هانى وقال يا بنى عمى دونكم وهؤلاء الأندال فنزلوا عليهم نزول السيل اذا سال وأثخنوهم بالطعان والنزال ولما حملوا على بنى عبس الذئاب الطلس وانصبوا عليهم انصباب السيل واكتالوهم كيلا وأى كيل وكردسوا الرجال من على ظهور الخيل وأنزلوا بركابهم الذل والويل وقد ردوا أعداهم غضبا ونهبوهم نهبا وبددوهم شرقا وغربا فعند ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتفرقوا فى البرارى والقفار وعاد الامير قراوش وأصحابه وهم فرحين وبالنصر والظفر مستبشرين هذا وقراوش سائر الى الديار وهو ينشد هذه الاشعار

قف بالمطى على الديار وقل لها * حييت من طلل وعز مقام
أرأيت منا كل ليث باسل * ذا هيبة كالاسد فى الآجام
نحن لنحمى فى الحروب حريمنا * بالطعن صدقا فى الورى وكرام
سل بنى فهد وجمع عديدها * عما لقت فى يوم حرب خصام
حتى انتهوا ومياه الجو ظاهرة * رغـم وايت نظامها كنظام

﴿قال الراوى﴾ الا أنه ما فرغ من هذه الاشعار حتى طلع من بين يديه غبار سد الاقطار وبعد ساعة تمزق وانكشف وبان من تحته خمسمائة فارس أسود عوابس كأنهم الاسد القناعس وهم فى الحديد غواطس ومن تحتهم خيول أخف من الغزلان وهم فوقها كأنهم العقبان يقطعون بها الارض والقيعان وعلى أكتافهم عوامل الاشطان يقدمهم فارس كأنه قطعة جلمود ودوف تقاطيع الاسود وهو غارق فى شكته غائص فى لامته وتلك الرجال والابطال كانوا أسد الدحال وهى من خلف مقدمها تسير وهم ينادون يا آل قشير خلوا يا ويلكم عن الاموال والغنائم من قبل أن تحكم بكم العظائم ولا نترك أحدا منكم يعود سالم فلما علم منهم الامير قراوش وسمع منهم هذا المقال فنبه أبطاله والرجال فتقدم هو من دون بنى عبس الكرام الى أن صار بين يدى الخيل وقال ويلكم يا لئام غير كرام من تكونوا من عرب الآكام حتى تهجموا على بنى عبس الذئاب الطلس والاسود العبس الذى قد أفنت الابطال ومددت الاقيال وقطعت منهم الاوصال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع مقدم القوم من قراوش هذا المقال قال له من تكون أنت من بنى عبس الرجال فقال أنا قراوش بن هانى صاحب الفضل والتهانى فارس الخيل لعدوى الويل ولصديقى النيل فلما سمع المقدم على القوم ذكر بنى عبس اهتز على سرجه طربا ومال عجبا ونادى يا آل قشير وهل تكون طلبتى الا أنتم يا أشرار الى أقضى منكم الاوطار وأستوفى بعض الثار ويقر منى القرار وكان هذا الفارس يقال له عبد العزى وكان فارسا جبار وبطل مغوار وكان عنتر قد أسره فى أوائل منشاه وقتل ابن عمه وأخاه وذلك فى أيام قتل عون بن بدر وخلاص

منه أموال مالك بن زهير الذى كان أرسلها الى بنى غراب ثم ان عنتر أسره ورماه ولما جرى ما جرى وطالت الايام فبقى فى قلبه علة تتردد ولوعة تتجدد وكانت العرب تعايره باسر الامير عنتر فيقول لهم تمهلوا على ولا بد لى من أخذ ثارى وأبلغ أوطارى وكان كلما أراد المسير الى بنى عبس تمنعه المقادير ولا يجد الى ذلك من سبيل فكان من القضاء والقدر والامر الذى قد تجدد وتدبر ان هذا الفارس ركب فى بعض الايام فى خمسمائة فارس من قوم بنى قشير وصار يكبس بهم بعض أحياء العرب وعليهم يغير ولما كسب ما كسب من الاموال والنوق والجمال وسار طالبا منازله والاطلال واذا به قد التقى ببنى عبس صدفة وجرى ما جرى من الكلام المسطر ولما تقابل الجيشان وتصادمت الاقران قال قراوش لبنى عبس يا بنى عمى الغنيمة الغنيمة وأما عبد العزى فلما رأى تلك الاموال وأبصر قلة الرجال داخله فيهم الطمع وعلم أنه فيما يريد قد وقع ولما تحقق انهم بنو عبس وعدنان تذكر ماله من الثار ثم انه قفز ما بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى بأعلا صوته وقال يا بنى عبس ألا من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا عبد العزى بن عبد اللات القشيرى وبعد هذا ما أبقى عليكم لان لى ثارا قديم عندكم ولكننى رأيت قلتكم فأخذتنى الشفقة عليكم وقد برزت فى الميدان ومحل الضرب والطعان لانى لو أمرت هذه الفوارس أن تحمل عليكم بجمعها لطحنتكم طحن الحصيد وشتتكم فى القفر والبيد بل انى طلبت منكم الانصاف وقلة الاسراف فمن كان منكم فارس كريم يعرف بين الفرسان فليبرز الى حومة الميدان ثم انه صال وجال ولعب برمحه العسال وأنشد وقال

اذا شئت أمطرت الدما لون عندم * وجندلت فرسان الهياج بلهذم
أنا ابن كرام الناس فى كل مشهد * أصول عليهم فى الوغا بتقدم
هلموا الى ضرب السيوف فاننى * حرمت وما طعنى على بمحرم
أنا فارس الفرسان ليس مقصر * أقطع رؤس الحاسدين بصارم
فمن كان منكم فارسا ذا حمية * يجول نهار الحرب عند التصادم
يجى يلتقى طعنى وضربى فى الوغا * ويصبر لمسول السنان المقوم

(قال مجد) فما أتم عبد العزى كلامه حتى صار الامير أسيد بن خزيمة قدامه وصاح فيه اسكت يا ابن اللخنا وتربية الزنا فقد أتيت بالبهتان والزور وتكلمت بكلام غير مشكور وأنت مدحور مذلول ولكن من أعتق مثلك فقد أخطأ وكان ذلك منه غيظا وقال له يا ويلك حامية أنا عنتر أطلقك من الاسر والضرر وتعود بعد ذلك الى الخبث والغدر فابشر بالدمار وخراب الديار ثم انه أجابه بهذه الاشعار

ما لفخر الا ضرب الهام بالخدم * لم أخش الحرب يوم الروع والعدم
أنا الذى ترهب الابطال سطوته * عند اشتباك القنا والخلق تصطدم
هل فيكمو بطل يدنو الى بطل * عاداته الضرب فى الابطال والقدم

﴿قال الراوى﴾ وبعد ذلك حملا على بعضهما البعض وجال كل منهما على صاحبه وقد احترز من طعنه ومضاربه وجالا طويلا واعتركا مليا وغاصا فى الاوابد وصبرا على الشدائد وقد علا عليهما الغبار حتى غابا عن الابصار وكان عبد العزى فارس جبار يرجح على خصمه الدرهم قنطار فاستجاده بطعنة فى صدره أخرج سنان رمحه يلمع من ظهره فوقع من على جواده وغاب عن ارشاده ثم ان عبد العزى صال وجال وطلب الحرب والقتال فلما رأى الامير قراوش الى ذلك ضاقت عليه المسالك لما رأى عمه هالك فصار النهار فى أعينه كالليل الحالك فعند ذلك خرج اليه وقد هانت عليه نفسه وأيقن بحلول منيته وصاح فيه وقال ويلك يا ابن الاندال لقد قتلت بطلا يسوى قومك وأهلك وبنى عمك ثم أنشد يقول صلوا على طه الرسول

لست أنسى والله ذات الوشاح * حتى تأتى بخدها الوضاح * ثم مالت كغصن بان ولاحت
مثل بدر أو مثل ضوء الصباح * فترشفت ثغرها شهد خمر * ورحيقا مازجه ماء القراح
ثم قالت يا فارس الخيل تخشى * فى الهوى من مقالة اللواح * قلت لا والحطيم والركن والبيت

هوانى الفارس الجحجاح * بينما نحن فى التعيش * اذ أتتنى رزية فى صباح
فجعتنى وأورثتنى خبالا * فسلبت الاشواق والافراح * وقطعت المهامه والقفر جدا
آخذ الثار فى نهار الكفاح * وأثير حرباً وانا وضربا * فى دجا الليل أو طلوع الصباح
وافتخارى يا آل عدنان دوما * اذا كنت فى جميع النواح * فابشروا يابنى القشير بليث
من بنى عبس ما مل من الكفاح * قاتل للرجال فى الحرب دوما * ومبيد العدا بحد الصفاح

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ شعر قراوش أجابه عبد العزى على عروض شعره بهذه الابيات يقول

لست ممن يعنى بذات الوشاح * لا ولا يشتغل بحب الملاح * دع صفات الخدود والقد يوما
ثم وصف الكاسات والاقداح * مع سليمى ومع سعاد وليلى * وجميلة وأهل الوجوه الملاح
وصف الحرب والقنا عند طعن * وضرب المهند الصفاح * قسما لو لقيت باسود ليث
عنتر فارس الربا والبطاح * لم أخفه فى موقف الحرب يوما * ومن الطعن أسقيه كاسا الطفاح
سوف أشفى نفسى وأبلغ سؤلى * من بنى عبس فى مقام الكفاح
وأنا الفارس القشيرى ليث * اسمى بقابض الارواح

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ عبد العزى من شعره ونظمه حمل على قراوش فى مقام الطعن والهراش وجالا طويلا واعتركا ميلا وتضاربا بأضر باأحر من الجمر وتطاعنا طعنا أمر من الصبر ودام بينهما القتال واشتد الحرب والنزال هذا وعبد العزى يصول وعلى قراوش يجول ويأخذ الميدان عرضا وطولا كانه الاسد الاكول الى أن أورثه الخبال وأشرف منه على الوبال وقد كثر منه الاغتياظ وقل من عزمه النشاط وقد استظهر عبد العزى عليه وتيقن أنه قد وصل اليه فبينما هما على ذلك الحال واذا بغبرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت وبانت بعد ساعة وانقشعت وظهر من تحتها بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح ثم انكشف ذلك الغبار وارتفع ذلك النقع لعربان وكان من تحته ألف فارس كانهم الاسود العوابس وعلى أكتافهم عوامل الاشطان وهم ينادون يا آل عبس يا آل عدنان والامير عنتر فى أوائل الفرسان كانه الاسد الغضبان أو النمر الحردان وقد أخرج يده من جلباب درعه لان الشجاعة أصله وفرعه وهو ينادى ويقول ويلكم يا أوغاد عودوا عن السادات الاجواد فقد أتاكم عنتر بن شداد فابشروا بالشتات والبعاد والتفريق فى سائر البلاد ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى مجىء عنتر بن شداد فى هذا البر والوهاد عبلة بنت مالك بن قراد لانها كانت جالسة بين اترابها واذا بعبد من عبيد الملك قيس قد أتاها وأعلمها بهذه النوبة العظيمة على لسان الملك قيس لان الملك قيس لما أتى من الصيد والقنص سأل عن عمه أسيد وابن عمه قراوش وابن أخيه مجيد بن مالك فقال له المتخلفون من بنى عبس اعلم أيها الملك المفضال أنهم طافوا فى سبعين خيال قصدوا الغزو على أحياء العرب لاجل المعاش والمكسب فلما سمع الملك هذا الكلام زادت ناره وعدم اصطباره ولما طالت غيبة الرجال زاد عليه الحال وأرسل خلف عنتر البطل الرئبال يحثه على قضاء الاشغال ولما سار العبد الى بحر الفرات لم يدخل على عنتر كما وصاه مولاه فسار الى عبلة وأعلمها بما جرى وقال لها يامولاتى اعلمى ان الملك قيس يقول لك ان بنى عبس ركبت فى سبعين فارس فى طلب غنيمة وانهم قد انقطعت عنا أخبارهم واختفت آثارهم فلما سمعت عبلة من العبد هذا الخبر صاحت بعنتر وقد بكت وانتحبت وقالت له اعلم يا ابن العم ان سبعين فارسا من بنى عبس وعدنان وفيهم مثل قراوش بن هانئ وبشر النعمانى ومجيد بن مالك والامير أسيد بن خزيمة فارس الزمان ساروا فى طلب المعاش والمكسب من بنى قحطان ولهم مدة طويلة من الزمان فما بان لهم خبر ولا جلية أثر واعلم ان الملك قيس قد أرسل اليك عبدا من عبيده الانجاب يعلمك بهذه الاسباب واعلم يا ابن العم ان جرى على بنى عبس كائنة وأنت حى يطمع وافينا العربان وأنا أريد منك أن تقف على آثارهم وتكشف أخبارهم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر من عبلة هذا المقال ونظر بكاها والاهوال فركب فى عاجل الحال وأخذ معه عمرا ذو الكلب وأخته قناصة الرجال وتمام المائة فارس من الرجال الاقيال

وسار وافى طلب بنى عبس حتى وصل اليهم وكشف عن قراوش بن هانئ المجال وهو مشرف على الهلاك وسوء الارتباك الا ان بنى عبس لما نظروا عنترعاشت أرواحهم وأيقنوا بنجاتهم وان عنتر لما أقبل حمل على الفرسان وطلب الميدان ثم صاح على قراوش فرجع الى وراه واستقبل هو سائر أعداه وجال وصال وطلب من عبد العزى الحرب والقتال والطعن والنزال فحمل عليه عبد العزى وهو يقول هذه الابيات

بنيت المعالى بالحسام وبالقنا * أجول غداة الروع يوما اذا خاف
ونحن أناس لانهمل ثارنا * وكل فتى منا على الضد عطاف
وقومى تثير الخير من ظهر القنا * وأهل السبق والجود فى الفخر قد طاف
أنا البطل الندب الهمام لدى الوغا * اسمى عقاب الحرب للقرم خطاف
وانى لاعطى الرمح فى الحرب حقه * وفى الكف ماضى أبيض اللون شفاف

﴿قال الراوى﴾ فما تركه الامير عنتر أن يتم شعره ومقاله حتى صاح عليه وقال له ياويلك يا أخس البشر أما كان لك عبرة مما جرى عليك من العبر حتى أتيت تتعرض لبنى عبس مرة أخرى حتى قتلت فارس كريم وبطل عظيم يساوى قوما كثير وجم غزير لكن وحق زمزم والحطيم ومقام الخليل ابراهيم لا تركت منكم الا كل فارس ذميم ثم انه أنشد يقول

فدع عنك يا رغد العشيرة كلها * افخار وأخسأ الانكس ويلك هتاف
فكل بنى قحطان تعرف بأننى * أنا الفارس الدعاس للحرب زحاف
ومن عظم بأسى تنثنى الخيل جرعا * وكل مقام فى الكريهة خواف
وان بارزونى كنت أول نازل * اليها وسدحاف الجبان وانتاف
وكم فارس خلفته رهينا فى الثرى * فتأتى اليه الوحش فى البر زحاف
فلا تفتخر يا وغد قحطان كلها * لان ليوث الحرب للنقع كشاف
وانى أنا الدر اليتيم وقيمتى * تغيب على من لم يكن قط عراف

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عبد العزى كلام عنتر انطبق عليه انطباق البحر اذا زخر ولكن أين الثرى يا من الثرى وأين المدن من القرى فجال معه عنتر ساعة زمانية الى أن عرقت الخيل وقل منها القوى والحيل وتطاعنا بالرمحين الى أن كلت منهما الساعدين وتضاربا بالسيفين حتى تثلمت الاثنين هنالك أيقن عبد العزى بالهم والخسران وقل الموت عنده وهان فصرخ الامير عنتر عليه فارهبه وانطبق عليه أرعبه واستجاده بطعنة فى دفانة صدره طلع الرمح يلمع من ظهره وبعدها حمل على بقية الخيل وانصب عليها انصباب السيل وحمل بعده عمرو ذو الكلب وأخته القناصة وبنو عبس من اليمين والشمال واحتاطوا ببنى قشير فانزل بهم بنو عبس الويل ولم يتركوا منهم الا القليل فولوا مدبرين والى النجاة طالبين فعندها جمعوا الاسلاب والخيل والنهاب وأخذوا أسيد بن خزيمة من حومة الميدان على جمل بعد ما صبروه وفى ثيابه لفوه وفى بعض الاماكن دفنوه ونحروا على قبره النحائر وبعدها أخذ عنتر يرثيه بهذه الابيات

ياالقومى من حرقة فى فؤادى * أحرمت عينى لذيذ الرقاد * قل صبرى وما انى استمادى
واعترانى الاسا وطال سهادى * كيف صبرى بعد فقد رفاقى * كان فى ناظرى مكان السواد
لو وجدنا الى الفراق سبيلا * أو دليلا يهدى لطرق الرشاد * لفديناه بالنفوس وبالمال
وجميع أصحابنا مع الاولاد * سوف أبكيك يا أسيد حين يفنى * منى ذاك أقصى مراد
كنت عندى فى منزلة ليس تنسى * فى مدا الدهر اذ ينادى المنادى * آه واحسرتى عليك والهفى
ياقتيل الاوغاد والاضداد * ياقتيلا ثوى بأرض الاعادى * مالك اليوم لا تجيب المنادى
فعليك السلام من حامية عبس * مادامت أيامنا فى ازدياد

﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامير عنتر بعد انشاده الاشعار سار وطلب البر والقفار الى أن قاربوا من الديار فودعهم

عنتر وسار بعدما سلمهم الغنائم والاموال من النوق والجمال وأرسل معهم السلام للملك قيس بن زهير ولما أمنوا على أنفسهم من الطالب والضير ساروا على أرض الشربة والعلم السعدى واعلموا الملك قيس بما جرى عليهم فى سفرتهم منه واخبروه كيف ان الامير عنتر أنجدهم وهم مشرفين على الهلاك وسوء الارتباك فندم الملك قيس على فراقه وتأسف وأراد أن يسير بقومه يترضاه ويأتى به الى حماه فهذا ما كان من بنى عبس وعدنان ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من عنتر والفرسان فانه سار بمن معه من الشجعان الى أن أتى الى منازله ولاوطان ولما أن استقر به القرار وأنست به الديار فبينما هو جالس ذات يوم من الايام واذا بالاسد الرهيص قد دخل عليه وسلم عليه وكان الاسد الرهيص لما كواه عنتر على عينيه صار يبكى الليل والنهار ولكن فى هذه المدة تعلم فيها ضرب النبال وصار يرمى بها الطير على الحس والكلام حتى اذا سمع الطير على أعالى الاشجار يصيح فيرميه بسهم يقتله وكان الامير عنتر لما كحله جعل له عليه رسما فى كل عام وكان يأتيه أرض الشربة والعلم السعدى ويأخذ رسمه منه ويعود الى حاله وعنده نجم فى صحبته ثم انه يعود من وقته وساعته وكان عنده نجم نارا محرقة وصاعقة مبرقة هذا والاسد الرهيص يأكل كفيه ندما وهو يطلب هلاك عنتر وعدمه ومازال الاسد الرهيص فى التعس والنكس الى أن سمع أن عنتر غضب من بنى عبس بعد ما قتل عمارة والربيع وصنع بهم أشنع صنيع ورحل بقومه الى بحر الفرات فعند ذلك أيقن الاسد الرهيص ببلوغ مناه وأقام يتشمم الاخبار وهو على تلك الحالة ﴿قال الراوى﴾ هذا وعنتر غارق فى أكله وشربه ولهوه وطربه وهو فى عز وأمان وهناء واطمئنان وكان خبره وصل الى وزير الملك قيصر فى هذه الايام فعزل عمرو بن الحارث الوهاب عن ولايته دمشق الشام وقد ولى موضعه ملك من ملوك الروم اللئام يقال له ضيغور بن قام ولما وصل الخبر الى عنتر البطل الهمام ركب وسار من وقته وساعته الى دمشق الشام ولما وصل اليها قتل ضيغور ومن معه من الروم اللئام وعاد عمرو للملك والاحكام فوصل الخبر الى قيصر فخاف وفزع من شر الامير عنتر وقد اندهل من ذلك الخبر فعند ذلك أحضر وزيره حتى انه يستشيره فأشار الوزير عليه بأن يرسل الى الامير عنتر الهدايا على مهل وأن يشكره على ما فعل لان الملك كان قد عول أن يرسل الى عنتر جيش كثير لما بلغه ما فعل من قتل الملك ضيغور وولى عمرو بن الحارث فلما أشار عليه الوزير بان لا يفعل اقتصر عن ذلك العمل وقال له الوزير أيها الملك عوض ما تجعل عنتر عدو والنا وشقيق اجعله لنا صاحب وصديق والان كنت ما تسمع كلامى والا وحق دينى تحتاج أن ترتب الخراج الى عنتر بن شداد لانه بلغنى خبر انه غضب على قومه ونزل على جانب الفرات والرأى عندى أن تسمع منى وتهدى له هدية حسنة وتميل قلبه فان هو حضر الى عندك فتكرمه وترحب به فلعله ينفعنا فى بعض المهمات وان أنت عاديته فربما ساعدته تنصره علينا لانه مسعود وما عاداه أحد الا ومات مكمود وتفكر يا ملك قبل هذه الايام ما فعل معك من الاكرام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيصر هذا الكلام من وزيره فتميزه بعين خبرته فرآه صواب واستهم من وقته وساعته فى تحصيل هدية وعزل مائة وخمسين جنيب من الخيل العربيه بمراكب الذهب وعشر جوار روميات ومع كل جارية صندوقين من القماش المفتخر وفى خدمة كل جارية عشر جوار من جميع الاجناس ومضارب وخيام وبوقات وأعلام وغلمان وخدام وأرسل الجميع مع الوزير وأوصاه بسرعة الجد والتشمير وأن لا يأتى من عند عنتر الا باحسن خبر فعند ذلك سار الوزير بهذا المال الممدود وسار الليل والنهار وهو يقطع الفيافى والقفار الى أن وصل الى جانب الفرات وقد قرب من المنزل الذى نازل فيه عنتر فعند ذلك أرسل الوزير من يبشره بقدومه فسار البشير الى أن وصل الى الامير عنتر بن شداد وأخبره بخبر الوزير فعند ذلك وثب عنتر كأنه الليث القسور وركب على ظهر جواده الابجر وركبت جميع رجاله وأقياله وسار عنتر والامير عمرو وذو الكلب عن يمينه وقناصة الرجال عن يساره ومازالوا يجدون المسير الى أن التقوا بالوزير ونظر الى ما معه من الاموال والخير والنوال ففرح عنتر بهذا الحال وقد ترجل فى عاجل الحال اليه واعتنقه الوزير وسلم عليه فانحنى الوزير وقبل صدره فقبل عنتر يديه وشكره وأثنى عليه ثم قال له لا تحسب يا أبا الفوارس ان الملك نسيك لما نزلت الى جواره وحللت بالقرب من دياره

ثم انه قدم الهدية اليه وأحضرها بين يديه وقال له هذه تقسمها ثلاثة أقسام القسم الاول اليك والثانى الى صديقك عمرو وأصحابه والثالث الى محبيك فلما سمع عنتر من الوزير هذا الكلام والمقال فاستحسن منه تلك الفعال ولا سيما لما رأى تلك الاموال والتحف الغوال فقال له أيها الوزير والسيد الكبير وحق ذمة العرب الكرام من معد وعدنان ما أنا للملك قيصر الا مثل بعض العبيد والغلمان وان كان له عدو وليس له به من طاقة وقد افترى عليه فأنا أسير اليه وآخذ روحه من بين جنبيه فقال له الوزير وحياتك يا أبا الفوارس هذه الهدية من عند الملك على سبيل المحبة والمودة ماهى من جهة عدو وانما أراد بها التقرب الى قلبك حتى تعلم ان الملك عنده جانب من حبك فحمده عنتر وشكره وأقام الوزير عنده عنتر فى الضيافة احدى وعشرين يوما وهم فى أكل وشرب وفرح ولعب وما مضى عليه يوم حتى ينظر الوزير الهدايا داخلة على عنتر من مدينة عانة ومن خرت برت ومن بنى بكر والرحبه وبنى وائل ومن الحلة والكوفة والبصرة والنصرة ونصيبين وجميع ما حواليه من البلدان وجميع حكامها تهاديه وتتقرب بالهدايا اليه فلما نظر الوزير الى ذلك قال وحق المسيح لو كان الملك قيصر نزل بنفسه فى ذلك المكان ما كان أحد يهاديه مثل هذا الانسان ﴿قال الراوى﴾ ولما انقضت أيام الضيافة طلب الوزير الانصراف والعوده الى بلاده بلا خلاف فخلع عليه الامير عنتر وقد أعطاه شيأ كثيرا من الاموال والخيول الغوال والنياق والجمال وقد اعتذر اليه من التقصير لديه وشكره وأثنى عليه ثم انه ودعه وسار طالب القسطنطونية وهو يقطع الفيافى والقفار الى أن وصل الى الديار ودخل على الملك قيصر وأخبره بجميع ما عاين وأبصر من الهدايا التى دخل بها عليه من أبى الفوارس عنتر فلما سمع الملك من الوزير هذا الكلام قال له أيها الوزير هذا رجل مسعود وما أعطى أحد مثل ما أعطى هذا الفارس الاسود ولابد ما يبقى ذكره بعد موته الى الابد ولقد سعدنا بمصادقته واسترحنا من شره ومعاندته هذا وقد أقام الملك قيصر مدة من الزمان وهو فى أمن واطمئنان الى ان كان يوم من بعض الايام واذ قد وصل اليه رجل بكتاب من رومة المدائن الكبرى من عند ابن أخيه وكان اسمه بلقام بن مرقص فأخذ الملك الكتاب وناوله الى الوزير فقرأه عليه وأسمعه ما فيه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان ملك من ملوك الافرنج يقال له بهمنة ابن نوران وكان هذا الملك أخو الخلجان الذى قتله عنتر من قديم الزمان لما كان عنتر ملك دمشق الشام واجتمع به وهو عائد مع الملك قيصر من حصار كسرى أنوشروان والتقاهم فى أرض العارضيات الذى نازل بها عنتر الآن وأخذ عنتر من قيصر الرهاين وسارت عسكره الى بلادها بعد قتل ملكها وكان له ثلاث أخوات منهم نوبرت وسوبرت الذين قتلوا معه ومنهم كوبرت الذى جرى لعنتر من تحت رأسه ما جرى وسبب قتله الى الملك الليمان وابنه سرجواز والملك صافات ملك جزائر الواحات وابن الدير والشاهد والملك ميخائيل والملك عان والملك جنطيائيل وما جرى فى هذا الديوان وسمعتوه أيها السادة أولو العرفان وطربت عند سماعه الآذان وكانوا كسروا كوبرت واصطلحوا معه بعد أسره وكان ما كان وكان لهم أخ أصغرهم عمرا وأشدهم بأسا وأقوى مراسا وكان لما قتلت اخوته صغير فلما بلغ مبالغ الرجال وطلع بطلا من الابطال فصار يغزو فى البحار وملك الجزائر ومن حولها من البلدان وأقرت له الجزائر بالفروسية والشجاعة والهمة وملك موضع أخيه وجلس على كرسيه فتجبر وطغى واستكبر وبغى وبقى يركب فى مائتين ألف فارس من كل مدرع ولابس وبعدها سأل عن سبب موت اخوته فأعلمه قومه وعشيرته بان قتلهم فارس من عرب الحجاز يقال له عنتر ابن شداد فارس البراز وأخبروه كيف حالهم وسبب هذا الفساد وتمرد وملك هذه البلاد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال وحق المسيح والدين الصحيح والراهب لوقا النكيح لابد لى من الغزو على قيصر وقتل عساكره واجناده ثم انه من وقته وساعته أمر رجاله وعشيرته أن تعمر المراكب وتوسقها بالذخائر والرجال والعدد والزرد والعمد الثقال وجميع ما يحتاج اليه من آلة الحرب والقتال فكانت هذه المراكب التى عمروها ألفا وستمائة مركب فى سنة كاملة حتى تمت له جميع

الاحوال و بعد ذلك ركب هو وجميع من تبعه من الرجال والابطال وشال المراسي وحل القلاع وسار في
البحر الكثير الانباع وجعل قصده أول الغزاه رومة المدائن الكبرى وكان الحاكم فيها بلقام مرقص كما
ذكرنا وهو ابن أخت الملك قيصر وكان هذا بلقام فارس شديد وبطل صنديد وكان شاب عاقل ولبيب
فاضل وبطل جبار وليث مغوار الا انه لما نظر الى تلك المراكب أقبلت الى المينا فامر بغلق أبواب البلد
ونصب على الابواب آلة الحرب والحصار من المنجنيقات والقرادات وكانت هذه المدينة من جملة المدن
الكبار المذكوره لانها بناية لفرس ولها أربعة وعشر ون برج وخمسة وعشر ون بدنه وطولها فرسخ بالعراق
وعرضها مثل ذلك هذا وقد دام عليها الحرب والقتال خمسة وأربعين يوما بليلا ونهار فلما نظر ابن أخت الملك
قيصر الى ذلك القتال الشديد والحرب المبيد تضايق غاية الضيق وتخلى عنه العدو والصديق فارسل
ذلك الكتاب الى الملك قيصر وأخبره بذلك الخبر فلما علم بذلك لحقه الفزع وخاف على المدينة ان لا تملك منه
فالتفت الى وزيره وقال له أيها الوزير الكبير أخبرني كيف يكون الحال والتدبير فقال له اعلم أيها الملك
المظفر ان ما لهذا الامر المدبر الا أبو الفوارس عنتر الاسد الغضنفر والموت الاحمر وهو ان ترسل اليه
وتعلمه بالخبر وكيف ملك الافرنجية وسطا على ملكنا الاجل أخذ ثاره وكشف عاره لانه أخو الخيلجان
الذي قتلته أنت وأنا أعرف يا ملك ان عنتر اذا اسمع بهذا الخبر فما يقعد عنه بل انه يأتي اليه ويقلع منه الاثر
﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك قيصر كلام الوزير قال له نعم ما أشرت به من الرأي والتدبير أيها الاب
الكبير ثم ان الملك من وقته وساعته أمر الوزير أن يكتب الى عنتر كتاب ويعلمه بجميع الخبر فلم تكن الا
ساعة حتى كتب الوزير كتابا الى عنتر وأرسله وذكر فيه جميع الاسباب وأرسله في ساعة الحال اليه من غير
تفنيد مع خيال فارس يجد المسير ليلا ونهار بلا هدو ولا قرار الى أن أشرفوا على بحر الفراه وقصدوا أبيات
عنتر ونزلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه وأعطوه الكتاب فتناوله منهم ودفعه لمن يقراه فقرأه وفهم مضمونه
ومعناه فتعجب عنتر من ذلك الشان وتفكر في تصاريف الزمان وأرسل في تلك الساعة الى الامير عمر و
ذي الكلب فاتى في الحال وصار بين يديه واعلمه بما جرى وقرأ ذلك الكتاب عليه وأخذ في المشورة في أمر الملك
قيصر ونوبته فقال له الامير عمرو يا أبا الفوارس من الواجب أن تصير الى نصرته وتكون من جملة جنده
ورعيته وتركب الى خدمته وأن تهلك جميع أعدائه وحساده وتقتل هذا العدو وتهد أركانه وأجناده ولو
يكون الملك كسرى هدم لنا ايوانه وقطع لنا عساكره وأعوانه لانه قد بدأنا بالاحسان وصار له علينا فضل
وامتنان (قال الراوي) فلما سمع الامير عنتر كلام الامير عمرو ذي الكلب استجاد رأيه وأنفذ في ساعة
الحال خلف الرجال والابطال لاخذ الاهبة للسير حتى يكشف عن الملك قيصر ذلك الامر العسير وينزل
بعدوه الذل والتدمير وكان صحبته من بني عبس الف فارس منهم زيد بن عروه وسبيع اليمن وأبطاله وجنده
وجده الامير مجير وخاله وانضاف اليه من بني غسان نحو من خمسة آلاف عنان لان الامير عنتر لما سار الى
الشام وقتل ضيغور بن قام ونصر عمرو بن الحارث وأخذ له موضع أبيه بالسيف فاختارت سادات بني غسان
أن يكونوا عنده في أعز مكان وقد صاروا مقيمين على مجرى الفرات بالمال والعيال ولما ان جرت هذه الامور
والاهوال وبعث الملك قيصر يستنجد به على الحرب والقتال بجميع ما عنده من الرجال والاقيال فعندها
تجهز الامير عنتر وركب في ساعة الحال في سبعة آلاف فارس رئبال وخلف على حفظ الحلة والمال
الهيفا قناصة الرجال وترك معها مائتي فارس من بني قضاعه وأمرهم لها بالسمع والطاعه وأوصاها بالمال
والنوال والاهل والعيال فقالت له سر يا أبا الفوارس وطيب قلبك من هذا الحال وقر عينك يا زين الرجال
فوحق الملك المتعال لو أتى كسرى بكل من العساكر والاقيال لما قدر وأن يأخذوا من مالك عقال فعندها
طاب قلبه وعلم انها كفؤ لذلك ثم انه شكرها وأثنى عليها وصار من وقته وساعته طالبا الملك قيصر وهو يقطع
الفلا والبر الاقفر الى أن وصل الى القسطنطونية العظمى ودخل على الملك قيصر وقبل الارض بين يديه ففرح
به قيصر وأقبل عليه وقال له أهلا وسهلا ومرحبا يا أبا الفوارس ويا زين المجالس شرفتنا بنقل أقدامك

يا من يكشف الادهم وبطلها الضيغم فشكره عنتر وحمده على ذلك وقال له أيها الملك أدام الله أيامك فانت
تعلم اني أنا واصحابي من بعض خدامك فعند ذلك أقبل الملك قيصر الى عنتر وقص عليه الخبر وحدثه بحديث
بهمنه أخي الملك الخيلجان وسوبرت ونوبرت الذين قتلهم عنتر من قديم الزمان وكيف انه خرج من بلاد الافرنج
في أربعمائة ألف مقاتل ومحاصر رومة المداين ثم انه حكى له جميع ما جرى على التمام فعندها وعده الامير
عنتر بالنصر والظفر ففرح الملك قيصر وخلع عليه وعلى كل من كان معه وقال عنتر وحق البيت الحرام
وزمزم والمقام لاجعلنهم أحدوثة بين الانام فعند ذلك أمر له الملك قيصر بالمضارب والخيام والجنائب هذا
وقد نزلت العرب الذين أتوا في صحبته على ظاهر البلد وأفرد الوزير لعنتر والعمرو وذي الكلب وسبيع اليمن
وزيد بن عروه ووجوه القبيلة الدور والقصور والملاح وأقاموا في الضيافة والاكرام والدعوات مدة سبعة
أيام متواليات وهم على أكل طعام وشرب مدام وعز واكرام ﴿قال نجد﴾ ولما ان كان في اليوم الثامن
أخرج الملك قيصر ستمائة ألف فارس وقال يا أبا الفوارس خذ معك هذه العسكر والفرسان تعينك على هذا
الامر والشان فلما سمع الامير عنتر من الملك قيصر هذا الكلام قال أيها الملك المفضال دعني من هذا
المقال وهون على قلبك هذا الحال فالامر يسير والخطب حقير واعلم أيها الملك انني وحق الرب القديم
ما عودت روحي أن أسير بعسكر كثير وأنا أقضي هذا الشغل بهذه الفرسان الذين معي وأعود ﴿قال نجد﴾ فلما
سمع الملك كلام الامير عنتر تعجب غاية العجب وأخذه الفرح والطرب وقال في نفسه وحق رب العباد
ما أقول ان على وجه الارض والمهاد أشجع من عنتر ابن شداد ثم انه قال له يا أبا الفوارس ما بالاحترازمن
باس ولا يذمه أحد من الناس فخذ الآن معك مائتي ألف فارس وأنت بهم حامي وحارس فقال له أيها
المظفر ان كنت قد جهزت مثل ذلك العسكر فايش بقيت تعمل بعبدك عنتر أنا ما أريد أقضي هذا الشغل
الا بروحي ولا أكاف أحدا مني ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك قيصر من عنتر كلامه ضحك وزاد ابتسامه
وقال له يا أبا الفوارس اذا كان الامر كما تقول فخذ معك مائة الف فارس والكل يكونوا تحت رأيك واحسب انهم
من جملة جماعتك وأنا أخبر الناس بقوة قلبك وشجاعتك فاستحى الامير عنتر منه وانتحى وقبل يديه فعند ذلك
أمر الملك قيصر الوزير الاكبر أن يحضر الجيش والعسكر ويسيرهم في صحبة الامير عنتر وأن يكونوا من تحت
أمره وطاعته فقال الوزير السمع والطاعه ثم انه خرج في ذلك الوقت وتلك الساعه وعرض العساكر
والدساكر ونقى من خيارهم خمسين ألف مقاتل لان الامير عنتر حلف لا يأخذ الا النصف من المائة ألف
فنقاهم وعرضهم ﴿قال الراوي﴾ هذا وقد باتت العساكر والاجناد تلك الليلة ظاهر المدينة وهم يفتقدون
العدد والزرد ولم يزالوا على مثل هذا الرواح الى أن أصبح الله بالصباح فعندها ركبت تلك العساكر
وتبادرت الدساكر وقد صار في صحبة الامير عنتر بعد استئذانه من الملك (قال الناقل) هذا وقد سارت الرجال
كانها البحار الزواخر وقد سار الامير عنتر ومن حوله الفرسان والاقران وعلى رأسه الرايات والاعلام والصناجق
في أيدي الخدام هذا وقد ضربت الكؤوسات ونعرت البوقات وارتفع ضجيج العساكر من جميع
الجهات حتى هربت الوحوش ونفرت في تلك البراري والفلوات ثم سارت العساكر ليلا ونهار وغدوا وابتكار
وهم يقطعون البراري والقفار الى أن قربوا من تلك الديار وهي مدينة رومة المداين الكبرى ﴿قال الراوي﴾
ولما قربوا منها نظروا الى تلك العساكر محيطة بالبلد من كل الجهات وأهلها في ذل عظيم وخطب جسيم وقد
أشرفت البلد على الاخذ والتسليم وكان ملك الافرنج قد قاتل أهل رومة المداين قتال شديد وذاقوا منه حرب
أكيد يذوب له الحديد وقد أقام على حصار البلد مدة تسعة شهور الى أن ضاقت منهم الصدور وحاروا في
جميع الامور وفرغ ما كان عندهم من الزاد والعليق الذي كان مذخور فعند ذلك وقع بهم الذل والاسف
والضرر والتلف وقد أيقنوا بالسبي مع من لم يعرف وكان لبلقام صاحب المدينة أخت يقال لها نورالمسيح ذات
عقل رجيح ووجه صبيح وحسن مليح وكانت أحسن أهل زمانها وفريدة عصرها وأوانها وما لها
نظير وهي مثل القمر المنير والغصن النضير بعيون كانها عيون المها وكالقضيب اذا انثنى وقد حازت

جميع الحسن والجمال المصون وكانت من شفقتها على أخيها ومحبته لها لم يسمح لاحد بها في هذا الزمان من الفرسان فلما طال عليهم الحصار وبلوا بالحرب والقتال الليل والنهار فعول على أنه اذا دجا الليل يأخذ أخته ويطلع بها ويطلب النجاه لكنه خائف من أهل رومة المداين وقد فزع انهم اذا افتقدوه تخلوا عن البلد ويسلموها الى الاعداء فرجع وقعد وزاد به الهم والنكد وخاف أن يطول عليه المطال وأن يملك ملك الافرنج البلد بغير اختياره وتنهتك بين الورى أستاره وتسبي حريمه وعياله فزاد به الهم واعتراه الخوف والهم وعند ذلك بكى وأن واشتكى وتشرق بالدموع وتنفس من قلب موجوع فقالت له أخته نور المسيح أقل من هذا البكاء والنحيب وكن كما قيل عند ارباب الفن والادب الصلاة على خير العرب

اذا النائبات بلغن النها * وكادت تذوب لهن المهج

وحل البلا وضاق الفضا * فعند التناهي يكون الفرج

﴿قال الراوي﴾ ثم قالت له يا اخي لعل أن يأتي فرج قريب ويخف عنا ذلك الهم والتعذيب وبعد ذلك يا أخي بأي وجه تروح الى الملك قيصر وايش الذي تقول له سيبت بلدك بمن فيها من العالم واتيتك بروحي سالم والله يا اخي ما يشكرك أحد من العالم بل تبقى معيرة في سائر البلاد والمعالم وعند سائر الخلق غربا وشرق والرأي انك تصبر على الحرب والقتال صبر الرجال الاقيال على المهمات الثقال ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك بلقام من أخته نور المسيح هذا الكلام تنبهت عزيمته وتحركت نخوته وفي ساعة الحال طلب الرجال والابطال وأحضر الشجعان والاقيال ووعدهم بالخلع والاموال وقال لهم يا قوم كانكم بالعسكر وقد أتت من عند عمي الملك قيصر ومن صبر فلم يخسر ولما سمع أكابر الروم مقاله وافقوه على فعاله وقالوا له أيها الملك لو أضرمت النار وقلت لنا أخذوها لاخذناها ولو أمرتنا نخوض البحار لخضناها ثم انهم خرجوا من عنده ومضوا الى الابراج والاسوار وقاتلوا قتالا لاعظيم يترك السالم سقيم والمعافي عديم ودام القتال بعمل وعظم النزال وكثرت الاهوال وزاد البلاء والبلبال هذا وقد اعتمدوا على رمي الصخور والاحجار من فوق الاسوار ورموا بالنبال فاصابت مقاتل الرجال وأهلكت الاقيال والملك بلقام كل يوم يخرج بخواص الرجال الى الميدان ويوقع الحرب والطعان فدام بينهم الحرب والقتال مدة أيام وليال الى أن ولى الجبان وطلب الهرب والفرار فعند ذلك تفطرت المرائر وأصابت السهام المحاجر وعاد الغبار ثائر وكاس الموت دائر وتهشمت الخواصر وحكم عليهم بالفنا عالم السرائر ﴿قال نجد﴾ هذا وقد دام الحرب والقتال على هذا الحال مدة أربعين يوم حتى فرغ الصبر وقل العتب واللوم وقتل من أهل المدينة أبطال وتجندل منهم أقيال وخافت الناس وزاد الامر عن حد القياس وحل بهم القلق والوسواس وطار منهم كل راس وانهدم الاساس وكثر الدعاس وضاقت منهم الانفاس ولمع صارم المنايا مثل المقياس فبينما هم على هذه الاحوال وقد أيقنوا بالسبي والاذلال والهلاك والوبال واذا هم بالعساكر وقد أقبلت والغبائر قد طلعت وتزوبعت ثم انها بانت وعلت ولم تكن الا ساعة حتى ضربتها الرياح فتقطعت وظهر من تحتها مواكب وكتائب كانها الجراد المنتشرة في الهواء وفي مقدمتها فارس الطراد عنتر بن شداد ومن خلفه فرسانه الاجواد وأبطاله الشداد وخلفهم خمسون ألف من الروم كانهم الاطواد ﴿قال الاصمعي﴾ فلما رأت أهل مدينة رومة المداين الى هذه العساكر التي كانها البحار الزواخر فرحت وتباشرت وأيقنت بالنصر على الاعداء من بعد ما كانت ولت وانكسرت فرجعت الى نحو الافرنج وحملت وعلى القتال عولت وساعدوهم أهل المدينة بالصخور والاحجار من فوق الابراج والاسوار وقاتلوهم قتالا يذهل النظار ويحير الخواطر والافكار فلما نظرت الافرنج الى هذه الاخطار زاغت منهم الابصار ورأوا أعداءهم وقد زادوا في قتالهم وقويت قلوبهم بقدوم الرجال والاقيال هذا وقد نظروا الى تلك العساكر والدساكر التي قد ملأت الارض في الطول والعرض فعند ذلك انكفوا عن الحرب والقتال وقد رجعوا الى ورائهم بمقدار فرسخ طريق (قال نجد) هذا والعساكر القادمون قد أطلقت أعنة خيلها الى أن وصلت الى عساكر الروم وفتحت لهم المدينة وأمروهم بالدخول اليهم فقال الامير عنتر للوزير أيها

الصدر المشير أنا والله ما أدخل الى هذه المدينة وبين أهلها أحضر اذا لم أقض حاجة الملك قيصر وأسقي ملك الافرنج الموت الاحمر وأخلي عسكره من بعده مشتتين في البر الاقفر وألحقه باخوته وأعدمه مهجته ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الوزير من عنتر هذا الكلام أبدى الضحك والابتسام وأيقن بالنصر والظفر وعلم بأن قلبه أقوى من الحجر ثم اقبل وقال له نعم ما أشرت به يا أبا الفوارس ويا زين المجالس ثم ان الوزير أمر بان تضرب الخيام خارج المدينة فضربت ومدت الطوابل للخيل ونزلت تلك العساكر كانها السيل وقد استراحت الرجال والخيل فلما نظر ملك الافرنج الى ذلك الامر المدبر وكيف انه قد رجع عن المدينة وعسكره تقهقر بعد ما أيقن أنه ملكها وظفر لان الملعون كان في نفسه ليثا قسور وفارسا غضنفر الا انه لما رأى ذلك الحال جمع أرباب دولته وكبراء مملكته معروساء عشيرته وأهل رأيه وأهل مشورته وقال لهم يا أولاد الكهانه لا يهولنكم ما قد رأيتم وحق المسيح الطاهر لم أخل الاول منهم يلحق الآخر وأجعلهم لكم غنيمه (قال المؤلف) فلما سمع تلك الاقوام مقالته صدقوا مقاله لما كانوا يعرفونه منه من تجبره وأحواله وكم صدم فرسان في مجاله فقالوا له أيها الملك وحق العذراء أم النور لو انك أمرتنا بهدم الجبال لهدمناها ولو خضت بنا البحار لخضناها ولو التقيت بنا أهل الارض للقيناها فلما سمع الملك كلام أصحابه طاب قلبه وانجلت أوصابه هذا والعساكر قد باتت تحرك بعضها بعض الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت الفرسان الجرد القداح وخرجوا يطلبون الحرب والكفاح واصطفت العساكر وترتبت الدساكر وتعبت الميامن والمياسر الا انها ما صبرت ولا امتهلت بل انها على بعضها البعض حملت ولاعنة خيلها أرسلت وللسيوف امتشقت وللرماح انتضت وشرعت والرجال للرجال طعنت وزعقت أسود الحرب ودمدمت ونزلت عليهم كاسات المنية ونهمت ووقعت المضارب على الجماجم فانتثرت وفاضت الدما وهطلت وقدحت نار الحرب واشتعلت والتقت الاسنة بصدورها وما فزعت وقاتلت قتال الاسود اذا استقتلت وطلع زوابع القتال والقتام وقد علت وامطرت الجيشان وحملت الفرسان والتقت الجمعان وعمل السيف والسنان في الجسوم والابدان وطعنوا بالاسمر المران وطارت الجماجم من على قامات الابدان ونقط الدم من على العيدان وسال على الارض مثل الغدران وبقت الارض كانها حلة أرجوان وزاد الخطب وعمل الصارم العضب وجال الشجاع الندب وفر الجبان من الكرب وقد فني كل شجيع وشب وطعنت الفرسان برأس السنان نواعم الابدان وحامت عليهم النسور والعقبان وتأخر النذل الجبان وتقدم كل بطل عرمان وضرب بالعضب اليمان فنثر الفرسان وجندل الاقران وبقيت الدماء على الارض تجري كانها غدران ودمدمت أسود الحرب وزادت هياج وفنيت فيه العشائر وعملت البواتر وصار الجبان حاير وبان الرابح من الخاسر وتهتكت الستائر وفتحت المقابر وفنيت الاصاغر والاكابر وقد دهس الامير عنتر في الافرنج دهس الاباعر ورحلهم الى المقابر ولعب برمحه في صدورهم والمحاجر وداست الخيل جماجمهم بالحوافر فلله در فارس بني عبس الادهم ويا له من أسد ضيغم لانه قهر الفرسان وجندل الاقران في حومة الميدان وأذاقهم الذل والهوان هذا والحرب قائم والضرب دائم والقتيل في الدم عايم وهبت عليهم نسمات السمايم وعنتر عليهم كالاجل وقد أفنى بضرباته وطعناته أكثر هذا العالم وأقعد كل قائم وأيقظ كل نائم وعادت الافرنج قدامه مثل البهائم وأبلاهم بالحرب الدائم ولم يزل على هذا الحال الى أن ولى النهار واستحال هذا وملك الافرنج قد نظر الى الارض وقد ملأت بالقتلى من قومه وأصحابه فغاب من هذا الفعل صوابه وداخله الفزع وقد حل به الهم والجزع وبعد ذلك افترق الجيشان ونزلوا العسكران وأوقدوا النيران وتحارس الفريقان فعند ذلك اجتمعت الافرنج والبطارقة والعلوج الزنادقه ودخلوا على ملكهم وشكوا اليه مما قاسوا من عنتر وما لاقوا منه من الموت الاحمر في هذا اليوم الذي كان عليهم أغبر ﴿قال الناقل﴾ فلما سمع الملك كلامهم ورأى شكواهم وسقامهم علم جميع أحوالهم فعند ذلك أقبل عليهم وقال لهم يا قوم أنا أعلم أنه ما أفنى جمعكم وأنزل الذل بكم كلكم الا فارس بني عبس الادهم وليثها الضيغم وأنا وحق ديني ان ناري ماهو

الا عند من دون الروم وهو الذى قتل اخوتى وأطال عليهم حسرتى فوحق عيسى ابن مريم لابرزن اليه وأذيقه كاس أمر من العلقم وأتركه مخضب بالدم وأوريه فى حومة الميدان العدم بضرب وطعان يذهل الاعيان ويزيل النعم ويترك الشجاع جبان وآخذ بثار اخوتى سوبرت ونوبرت وخيلجان فلما سمعوا الافرنج من ملكهم كلامه عرفوا قصده ومرامه ثم انهم قالوا له أيها الملك كفانا شره وشؤمه ودعنا نكفيك مؤنة قومه ولو أنهم بعدد النجوم الى تحت التخوم فقال لهم الملك أنا فى غداة غد أخرج الى برازه وأكفيكم شره وأصرم لكم عمره ثم انهم بعد ذلك تفرقوا الانام بعد ما أكلوا شيأ من الطعام ﴿قال الراوى﴾ هذا وقد أوقدوا النيران وتحارس الفريقان وما زالوا على مثل ذلك الحال الى أن أذن الله لليل بالارتحال وظهر النهار بالابتكار فعند ذلك ركبت العساكر واصطفت العساكر وهمت العساكر أن تحمل على بعضها البعض واذا بفارس برز من بين عساكر الافرنج يريد الكر والفر وهو راكب على حصان أشقر عالى من الخيل مضمر مدور الحوافر صنعة الملك القادر وعلى هذا الفارس ثوب من الزرد كثير العدد كانه عيون الجرد وهو مطلى بالذهب الاحمر وعلى رأسه بيضة عاديه كانها الفضة النقيه وسائر العدة التى عليه تأخذ البصر وتحير العقول والفكر وهو راكب على جواده كانه الاسد العابس وفى ركابه أوفى من خمسمائة فارس فلما توسط الميدان صال وجال ولعب فى أربعة جنبات المجال ونادى وقال يا معاشر الروم ألا من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفا أنا الملك بهمنة ابن الملك بوران أخو الملك خيلجان ملك الارض والبلاد الذى قتله عنتر ابن شداد وأنا ما خرجت اليوم الى حومة الميدان ومنعت الفرسان عن القتال الا حتى آخذ من عنتر بثارى وأكشف عنى عارى قال فحين ما استتم كلامه الا وعنتر صار قدامه وناداه ويلك يا عابد الصور يا أوحش البشر تلقى فارس البدو والحضر أبا الفوارس عنتر الفارس الذى أتيت تطلب منه الثار يا كلب يا غدار ثم حمل عليه والتقاه بقلب قوى وجنان جرى واصطدما والتحما وأخذا فى الصد والرد وتباعدا وتقاربا وتهاجما وتصادما الى أن جرى منهم العرق وازورت الحدق وبقيت أرواحهم كالعلق ﴿قال المؤلف﴾ وكان ملك الافرنج لما أن برز الى حومة الميدان أخذ تحت فخذه ثلاث حراب كل واحدة كانها شهاب الا أنه لما أراد عنتر حربه وعلم بانه فارس غضنفر فقال فى نفسه ما أنا الا أقاتل هذا العبد بهذه الحراب لانه بدوى تربية البرارى والهضاب ولا يعرف من أبواب هذا الحرب ولا باب ثم انه استلب حربة من تلك الحراب وهزها فى يده حتى تلوث طرفها وضرب عنتر بها فخرجت من يده كانها شهاب وكان الامير عنتر محترز امن حربته ولما أن وصلت اليه وقربت لجثته سبحها على رايق درقته بحسن صنعته وكسر حدها بخبرته فعند ذلك زج اليه الثانيه وظن انها تكون لعمره فانيه فلما رآها عنتر وهى اليه واصله اختطفها من الهوى بما أعطاه الله من الحيل والقوى وضرب بها صاحبها فخرجت من يده مثل الصاعقة المبرقه فالتقاها الملك بهمنة بالطارقة فخرقتها أسرع من البرق ودخلت فى وسط بدنه بتابوت صدره خرجت تلمع من ظهره فمال عن الجواد وسقط على وجه الثرى والمهاد وصار يلعب بيديه ويضرب الارض بكفيه وقدميه ولما نظرت الافرنج الى ملكها وقد قتل فحملت على الروم وهجمت واختلطت العساكر بالعساكر وطلعت عليهم الغبائر ودارت الدوائر وتهتكت الستائر وفتحت المقابر ونزل على الافرنج قضاء القادر وحكم عليهم بالفناء عالم السراير هذا وقد سارت تلك العساكر ما بين غالب ومغلوب وناهب ومنهوب وسالب ومسلوب وناكب ومنكوب وسالم ومعطوب ونزل على الفريقين ما حكم به عليهم علام الغيوب فلم تكن غير ساعة من النهار حتى ولت الافرنج الادبار وركنوا الى الفرار وقد لعب السيف فيهم الى آخر النهار فعند ذلك وقعت البشائر فى أهل المدينه وقد فرحوا بما تم عليهم وجرى هذا وقد رجعت الفرسان والاقران من القيعان فتلقتهم أخت الملك بلغام صاحب المدينه وهى بنت أخى الملك قيصر وتقدمت فى هذا النهار بالمسك والزعفران وقد دهنت جواد عنتر لانه وقع لها فى قلبها محبة عظيمه وقد ألقى الله محبته فى قلبها وزاد من فروسيته اتعجبها وذلك مما كانت تسمع عنه من فعله قبل ان تراه لانها كانت تسمع بما هلك من الجبابرة العتاه هذا والامير عنتر سائر ما بين تلك الفرسان لانه لبس حلة من الارجوان

هذا وجميع البطارقة قد ترجلت وصارت فى ركابه ومشت فى خدمته وكانوا كلهم من بطارقة الروم وعنتر بينهم كانه القمر بين النجوم وهم يدعون له ويثنون عليه والوزير الى جانبه والملوك من حواليه ولم يزالوا فى سيرهم الى أن دخلوا الى قصر المملكه هذا وقد نصبت لهم أسرة من العرعر المصفح بالذهب الاحمر فعند ذلك جلست الملوك والامراء والسادات الكبار مثل الامير عنتر والوزير وابن أخو الملك قيصر وكثر بينهم الانبساط ولم تكن الا ساعة حتى مدوا لهم السماط وفيه من سائر أنواع الطعام ما يرتع فيه الخاص والعام وأكثر والامير عنتر فى الكلام والاكرام الى أن اكتفوا من أكل الطعام وبعدها قدموا آنية المدام وهى كلها من أنواع الذهب والجواهر والياقوت الاصفر وانهم ما زالوا فى أكلهم وشربهم والمزاح الى أن أصبح الله بالصباح وقد داموا على مثل ذلك الرواح الى أن أقبل الليل وما زالوا على هذا المنهاج والاهتمام مدة سبعة أيام وفى اليوم الثامن عزم الامير عنتر على الرحيل وسرعة التحويل بعد ما شاور الوزير فى ذلك الحال فقال له يا أبا الفوارس وحق دينى لك عندى بشاره فقال عنتر وما هى البشاره فما زلت بالخير مبشر فقال له اعلم يا حامية عبس ان ابن أخى الملك قيصر بلغام صاحب هذه المدينة التى خلصتها له بقائم سيفك وقتلت أعداءه وحساده من بعد ما كان أشرف على الهلاك والدمار وخراب الديار وهو الآن احتار باى شئ يجازيك فما وجد عنده أعز ولا أحسن من أخته المليكه مريم وقد أراد أن يزوجك اياها ويأخذك له عمدة فى كل شدة ويروم اتصال النسب رعاية فيك من شدة محبته لديك وانها والله يا أبا الفوارس مليحة زمانها وفريدة عصرها وأوانها فما تشاء ترى من الراى يا بطل الزمان ويا قاهر الاقران ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامير عنتر ذلك الكلام أخذه الانذهال وتحير من تلك الافعال ونادى وقال معاذ الله يا مولاى أن آخذ على فعل الجميل برطيل وبعد ذلك فان الملك قيصر قد ملك عنقى ورقى بما أولانى من الجميل وقد غمرنى بعطائه واحسانه وأنا والله يا ملك ما أصلح أن أكون الا من بعض غلمانه وهذا شئ مكروه عند الروم وعند العرب والعجم مذموم ولا يجوز ان يتزوج الانسان من غير ابناء جنسه أيها المخدوم قال الناقل فلما سمع الوزير من الامير عنتر مقاله قال له صدقت يا أبا الفوارس ولكن الملك بلغام قال فى نفسه بان أخته وسائر أهل مدينته عتقاء حد سيفك وأمناء خوفك ولو ملكها أحد من الاعداء الاشرار كان تملكها كما يتملكون الجوار وكانت تبقى فى خدمته الليل والنهار ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر من الوزير هذا الخطاب سكت ولم يرد جواب بل انه قال له أيها الوزير مهما أمرتنى به قبلت ولا أخالفك فيه ولعلى على بعض احسانه أجازيه وكان أعجب ما فى ذلك ان الله تبارك وتعالى قد ألقى محبة الامير عنتر فى قلب هذه الجاريه حتى انها حرمت النوم وامتنعت من أكل الطعام وشرب المدام وقد زاد بها الوجد والغرام وقوى عليها الهوى والهيام ولما كثر وجدها والغرام أعلمت أخاها الملك بلغام وشرحت له حالها بالتمام وقالت له اعلم يا أخى انى من حبى فى هذا الفارس الكرار قد زاد بى الهم والاضرار وقل منى الاصطبار وان مضى هذا الفارس وراح من هذه الديار وما أنا معه فقد هججت على وجهى فى القفار ولا يعرف لى أحد اخبار ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع أخوها مقالها ورأى بكاها واعوالها فقال لها يا أختى وحق المسيح ان مرادى لو أخذك جاريه لاجل احسانه وفعاله فلعلنا نجازيه على أعماله حتى كنا نفتخر بشجاعته عند كل قائم وجالس ولكن سوف أتحدث مع الوزير فى مثل هذا التدبير واتركه يتحدث مع الامير عنتر فى هذه الامور والخبر ﴿قال الراوى﴾ وكان هذا الحديث بينه وبين أخته فى ظلام الليل فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فاتاه الوزير لاجل السلام فتحدث بلغام معه بذلك الكلام وقد أخفى ما حل باخته مريم من الوجد والغرم وقد أراد ان يتقرب الى الامير عنتر بزواج أخته ﴿قال الراوى﴾ بالسادة باكرام ولما سمع الوزير الاكبر من الملك بلغام هذا الخبر فوثب وقام يتمشى الى ان دخل الى الامير عنتر وأعلمه بذلك الخبر وقد فرح واستبشر وقال له ما خالفك فيما فعلته ومهما أشرت به على قلته فعند ذلك فرح الوزير باجابة الامير عنتر وفى ساعة الحال أخذه ودخل به الى قصر الملك وأخبر الملك بان الامير عنتر قد رضى بما جرى فلما سمع الملك بلغام بذلك الخبر ففرح بزواج أخته الى الامير عنتر وفى ساعة

الحال أخذ بيده وصافحه وناكحه وفى هذا الوقت دقت البشائر وقد فرحت الاماء والحرائر والاصاغر والاكابر وأما القصر فانه قد انقلب بالفرح وقد اتسع صدر كل من فيه وانشرح ومن تلك الليلة استهم الملك بلغام فى تصليح شأن الزواج وقد اجتهد فى عمايل العرس والفرح الدائم وعمل الولائم وقد فرح كل قاعد وكل قائم ورتعت الناس فى الولائم وأكلوا الناس الطعام وشربوا المدام ولم يزالوا كذلك وهم على هذا الحال مدة سبعة أيام تمام وهم فى عز زائد واكرام ولما كان فى الليلة الثامنة جليت الملكة مريم على الامير عنتر بن شداد وكانت ليلة تذكر فدخل بها فوجدها أبهى من الشمس والقمر وهى طيبة القناص ودرة الغواص ودخل بها الامير من ليلته وقد بلغ منها كل منتهاه من مراده وبغيته وبات عندها تلك الليلة التى تعد بليال وقد راق له الزمان بصفو عيش وخلو بال ولم يزل عنتر فى الانبساط والانشراح الى أن أصبح الله بالصباح هذا وقد وقعت بينهم المحبة وصار لعنتر فى قلبها منزلة ورتبة وصار الامير عنتر يبيت كل ليلة وهو فى ملك عظيم وحال مستقيم وفى جنة نعيم مدة سبعة أيام وفى كل ليلة يمتد بين يديه السماط وجميع من بصحبته من السادات وبنى قراد وهم يرتعون فى الضيافات والدعوات بالعز والكرامات وما زالوا على مثل ذلك الحال مدة ثلاثة شهور متواليات وبعد ذلك عزم عنتر على المسير وطلب الرواح بالخير فاخبر صهره الملك بلغام بذلك المرام وقال له أريد منك أيها الملك الكريم أن تبقى الملكة مريم عندك وأنا أبقى أزورك كل قليل من الايام ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع الملك بلغام من الامير عنتر ذلك قال له يا أبا الفوارس هذا شئ متعلق بالنساء وأنا أعلم أن أختى مريم لا تقدر تصبر عنك وحق دينى ساعة واحدة فى الصباح وفى المساء لكن ان شاء الله تعالى أشاورها فان هى رضيت بالقعود عندى حفظتها لك بطاقتى وجهدى وان كانت تطلب معك الرواح فيكون فراقك وفراقها أشد على من فراق الارواح ثم انه قام الملك بلغام على الاقدام ودخل القصر على أخته وأخبرها ان الامير عنتر يريد السفر الى عند الملك قيصر حتى يعلمه بما جرى وتدبر ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمعت الملكة مريم من أخيها ذلك المقال صعب عليها وضاق صدرها وتربعت يديها وقالت له يا أخى وحق دين المسيح انى لا أفارق بعلى وانما سار أكون معه بين أهله وعشيرته لانى ما أقدر على فراقه يا أخى وان كان تقول انك ما تعطينا مال ولا نوال ما أخذنا شئ ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع أخوها مقالها مع ما كان يعلم من أحوالها قال لا وحق السيد المسيح ان هذا الحديث الذى قد خطر ببالك ما هو قصدى وانما مرادى ان لو أخذ عنتر سائر ملكى وما تملكه يدى ولكن هو الذى أراد ذلك ثم انه خرج من عندها وأتى الى عند الامير عنتر وأخبره بهذا الخبر وقص عليه جميع ما جرى وتدبر قال الناقل فلما ان سمع الامير عنتر هذا الكلام المنتظم زاد فيها رغبة ومحبة ولكن اختشى من عتب عبلة وقناصة الرجال وخاف من تكدير عيشه وما هو فيه من الحال فسكت على مغص وعلم أن مريم ما لها فى القعاد بعده غرض فقال فى نفسه أنا أعلم ان هذه الجارية ما تطلب قعود البرارى والقفار من بعد سكن المدن والامصار ولكن أنا آخذها معى الى أن أصل الى الملك قيصر وأودعها عنده فى مدينة القسطنطينية لانها على كل حال ابنة أخيه وأنا أدخل عليها فى مثل ذلك وتكون بالقرب من هنالك وأكون قد أمنت من عتب قناصة الرجال وعبلة ابنة مالك ثم ان الامير عنتر قام على الاقدام ودخل على مريم وقد ضحك فى وجهها وتبسم وقال لها يا مريم وحق بارئ النسم ما عندى أعز منك ولا أسافر الا بك وما قلت هذا المقال الا كرامة لاخيك أن لا يكون ما يهون عليه فراقك وما أسير خطوة واحدة الا بك ﴿ قال الراوى ﴾ يا سادة يا كرام فلما سمعت الملكة مريم من الامير عنتر هذا الكلام فرحت وطاب قلبها وانشرحت وقالت له يا سيدى أبو الفوارس وحق سيد المسيح ومارى حنا المعمدان لقد كرهت من أجلك الاهل والاوطان وما بقى لى عنك صبر ولا سلوان يا بطل الزمان وفريد العصر والاوان ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع الامير عنتر منها هذا الكلام عذرها لاجل ما ذاق من طعم المحبة والهيام وقد علم ان الفرقة بين المحب والمحبوب صعبة ثم انه بعد ذلك جهز نفسه للمسير وقد علم بذلك الوزير فقال له نعم الرأى يا أبا الفوارس ما بقى غير التجهيز ثم أمر الفرسان أن يتجهزوا الى الرحيل والسفر وقد فرح بذلك واستبشر لانه طالت سفرته وكثرت غيبته لانه قد

أقام فى مدينة تدمر وفى المدائن تسعة أشهر وهو فى ألذ عيش وأهنا طيش هذا وقد صحى واستفاق من خمر العشق والمدام وتذكر هوى عبلة الذى سكن فى لحمه والعظام هذا والملك بلغام قد أخذ فى تجهيز أخته ثم أمر الخدام والغلمان بنقل سائر ما كان لاخته من الرحالى والاثقال والصناديق الذى تنقل فيها الاموال والجواهر والتحف الغوالى وكذلك الخيل والبغال وقد أقامت الخدام والغلمان تنقل فى مال الحريم الى ظاهر الخيام مدة ثلاثة أيام على التمام ﴿ قال الراوى ﴾ وفى اليوم الرابع رحلوا واستقاموا على الطريق وما بقى لاحد منهم تعويق هذا وقد خرج مع الملكة مريم من بنات الروم مائة وخمسين جارية كانهن الاقمار أو النجوم أو اللؤلؤ المنظوم ومن ورائهم من الدواب ثلثمائة بغل محملين قماش ومتاع وحلى وعقود جواهر ومن كل شئ فاخر وأشياء ليس لها أول ولا آخر ثم سار الامير عنتر والوزير الى جانبه والاعلام والرايات على رأسه تخفق ولم يجسر أحد من فرسان عنتر ان ينطق ﴿ قال الراوى ﴾ هذا وقد سارت العساكر والدساكر فى الليل والنهار غدوا وابتكار ولم يزالوا على تلك النية الى أن أشرفوا الى مدينة القسطنطينية وقد سبقت قدامهم البشائر الى الملك قيصر بوصول العساكر وأخبروه بما فعل الامير عنتر فى ملك الافرنج وعساكره ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ثم انه ركب من ساعته وخرج الى لقاء الامير عنتر هو وجميع من له من أرباب الدولة والوزراء وأهل الصولة وقد التقاه من مسافة فرسخ طويل من المدينة هذا وقد التقت المواكب بالمواكب والكتائب بالكتائب فلما نظر الامير عنتر مواكب الملك قيصر ترجل من على ظهر جواده الابجر وهرول الى أن وصل الى عند الملك قيصر وانحنى وقبل رجله فى الركاب فانحنى اليه الملك قيصر وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وأشار له بالركوب وحلف فعند ذلك عضده الوزير من تحت ابطه حتى انه ركب على ظهر مركبه وأخذه الملك قيصر بجانبه وقد أخذ يحادثه ويحاوره من دون سائر أهله وأقاربه ثم سارت المواكب وتتابعت الكتائب وتقدمت من كل جانب وقد اشتبكت الاعلام والرايات على رأس الامير عنتر بن شداد والملك قيصر ملك الروم صاحب الاقاليم والبلاد ومعهم الحجاب والامراء والنواب وهى ماشية على الاقدام وكلما تقربوا من المدينة ترجل اليهم الفرسان من كل جانب ومكان حتى لم يبق أحد راكب سوى الملك قيصر والامير عنتر وعنتر كلما هم وأراد أن يترجل يمنعه من ذلك الملك قيصر ولم يزالوا سائرين على هذا الحال والانتقال والحركة الى أن دخلوا الى قصر المملكة وقد نصبت لهم الكراسى من الفضة الحجر والذهب الاحمر والابنوس والعاج المنظم بالجوهر هذا وقد أتوا وجلسوا على قدر طبقاتهم وأجلس الملك قيصر عنتر على كرسى من الذهب بجانبه وصار يحادثه ويباسطه ويمازحه ويلاعبه ويستخبره عن أحواله وهو يجيبه الى سؤاله الى ان حكى له على ما جرى له وما تم له من أهواله ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع الملك قيصر هذا الحديث من عنتر أخذه الفرح والطرب وقد هز رأسه وتعجب من هذا الحديث والخبر وقد فرح بزواج ابنة أخيه الى الامير عنتر ثم ان الملك قيصر بعد ذلك أمر بمد السماط فمدوه من جميع الالوان وقد أكلت الناس وجميع الجلاس وقد أكل الملك قيصر مع عنتر بن شداد ﴿ قال الراوى ﴾ وما زالوا على أكل طعام وشرب مدام ورفع مقام وعز واكرام وهم على مثل ذلك المرام الى أن اكتفى الخاص والعام مدة عشرة أيام ولما كان فى اليوم الحادى عشر أمر الملك قيصر باحضار آنية المدام بعد ما اكتفوا من الطعام فنصبت الاوانى وقد صفت الاباريق والقنانى وترصصت الكؤوسات وملئت الطاسات وشربوا من ذلك المدام الذى صفى وراق وصار كانه دموع العشاق اذا جرت من الآماق فى ليال الهم والفراق ولم يزالوا على مثل ذلك الاكرام والانعام وهم فى أكل طعام وشرب مدام ورفع مقام الى أن كان فى يوم من الايام اشتاق الامير عنتر الى ابنة عمه عبلة والى زوجته الهيفا قناصة الرجال والى الاهل والعيال وسكان تلك الحلة والديار والاطلال ولما انقضت أيام الضيافة أقبل الامير عنتر على الملك قيصر وتنهد وتحسر وقال له أيها الملك المفضال وحق الملك المتعال انى قد اشتقت الى الديار والاطلال ومن فيها من الاهل والعيال فقال له

الملك قيصر يا أبا الفوارس انى يعز على فراقك لان قلبي فى كل ساعة يشتاقك فقال له الامير عنتر وقد وجد لكلامه مضرب أيها الملك انى أريد من جودك واحسانك وفضلك وامتنانك ان تخلى زوجتى الملكة مريم عندك وان تجعلها بين نسائك وأهلك وانا أجيء اليها فى كل قليل من الايام فان مالى الى أخذها من سبيل أيها الملك الجليل ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيصر ذلك الكلام من عنتر فرح به واستبشر وما صدق بهذا الخبر وقد أمل بذلك أنه يأتى اليها فى كل قليل ﴿قال الراوى﴾ ثم انه فى ساعة الحال أمر ان يخلوا الى الملكة مريم بيتا من داخل قصره الخاص والعام ثم أمر الخدام والغلمان ان ينقلوا جميع مالها من القماش والمتاع والاثاث والفراش وان يضعوهم فى ذلك المكان وبعد ذلك قد فعلوا ما أمرهم به الملك قيصر وفى اليوم الثانى استتم الامير عنتر الى السفر فخلع عليه الملك قيصر الخلع الحسان وخلع على جميع من كان عنده من الفرسان والاقران الذين هم من بنى عبس وعدنان وبنى قضاعه وبنى غسان وأكثر للامير عنتر من الاموال وزاده من التحف العوال ولمن كان معه من الرجال والابطال وقاد اليه الخيل المسومه العوال والنوق والجمال وقد أعطاه المضارب والخيام وجمله بالرايات والاعلام والجوارى والخدام وانعم عليه الى أن غمره بالعطايا والانعام وبعد ذلك ركب الملك قيصر الى وداع عنتر ومازال سائرا حتى أبعد عن مدينة القسطنطونيه مقدار فرسخ طريق فنزل الامير عنتر من على ظهر جواده الابجر وقبل فى الركاب قدم الملك قيصر وحلف عليه ورجعه بذلك الجيش والعسكر وقال أيها الملك المظفر وحق البيت العتيق المطهر لقد أغنيت عبدك عنتر وأسعدته بين البشر فلازلت مسعودا مظفرا بين العرب والعجم والبدو والحضر فعند ذلك قبله الملك قيصر بين عينيه وشكره وأثنى عليه ورجع وهو فرحان بهذا الحال وسار الامير عنتر طالب الديار والاطلال فيمن فى صحبته من الرجال والابطال وقد اشتاق الى عبلة بنت مالك والى جانبه الامير عمرو ذو الكلب وزيد بن عمرو وتبيع اليمن وباقى الرجال وقطعوا الطريق وهم يتسامرون بالحديث والكلام وقد أعطاهم الامير عنتر من الاموال مالا تحمله الجمال هذا وهم سائرون فى الليل والنهار يقطعون البرارى والقفار وتلك السهول والاوعار مدة واحد وثلاثين يوم الى أن قربوا من الديار وقد قل من الامير عنتر الاصطبار الى نظر الحبيب ولقياه عن قريب الى أن وصلوا الى بحر الفراه ودخلوا الى الحله فعند ذلك تلقته عبلة قبل الجميع فلما رآها ترجل اليها وأخذها فى حضنه وقبلها وسلم عليها هذا وقد فرحت الناس المقيمين بالقادمين وتعمرت المنازل بالنازلين وقد انشرحت الاوطان بالقاطنين وانشرحت الاهالى والجيران بالمحبين وقد باتوا فى هناهم والاكرام والعز والانعام ولما كان فى ثانى الايام صنع الامير عنتر دعوة عظيمة وقد ذبح فيها الذبائح وقد عزم كل غادو ورايح وقد انتفعت الناس فى أكل الطعام وشرب المدام وأقاموا على مثل ذلك المرام وهم فى عز واكرام سبعة أيام وثمان ليالى تمام وكان الامير عنتر قد أقام على بحر الفرات مدة سبعة أعوام وهم فى الذعيش وأهناه وقد خافته جميع العربان وأتته الهدايا من سائر الاضعان وقد صارت الملوك تهاديه وهو مقيم فى هذا المكان فهذا ما كان من عنتر وأصحابه الكرام ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من من الاسد الرهيص نسل اللئام فانه كان دائما يرتقب أخبار الامير عنتر ويسأل عنه كل من غاب أو حضر وكان قد وصل اليه خبر عنتر انه قد رحل الى بلاد الروم من أجل عدو قد ظهر للملك قيصر فبقى دائما يستنشق الخبر من المسافرين والحضر الى أن وصل اليه من العلم ان الامير عنتر قد عاد سالم غانم من بعد ان هلك فى بلاد الروم جميع الخوارج والطغاة وقد عاد بصحة العافيه وطيب الحياة وهو مقيم على جانب بحر الفرات وقد أقام فى ذلك المنزل المليح وهو سائر ملوك الأرض تهابه وهو مستريح ﴿قال الراوى﴾ فلما ان سمع الاسد الرهيص بذلك الخبر تأوه وقد زاد وجده وبلاه وأوقدت النار فى قلبه وأحشاه وقد تذكر ثاره وما جرى عليه وكيف كحله الامير عنتر أعمى له عينيه ولا ترك له بصرا يبصر به لا من قدامه ولا من خلفه ولا من بين يديه فزاد به الهم والبلبال وتغيرت منه الاحوال ومن عظم ما قد أصابه وجرى عليه عول ان يسير الى الامير عنتر ويتسبب فى هلاكه بكل ما يقدر عليه فعند ذلك دعا بعبده نجم فاتى اليه ووقف قدامه وقبل

يديه وقال له ما الذى تريده يا مولاى وايش الذى تدعونى اليه فقال له ويلك يا ولد الزنا وتربية الامة الخنا أما تعلم بما قد جرى على عبد بنى عبس اللئيم وأنظر كيف تركنى رهين وحزين ﴿قال الراوى﴾ وكان له من حين كحله الامير عنتر اثنين وعشرين عام وستة أشهر ثم انه قال للعبد ويلك يا ابن حام أنت تعلم ما جرى وكيف ان عنتر تركنى عبرة من دون الورى وقد آن لى ان آخذ منه بالثار واكشف عنى العار وأنا قد وصل الى الخبر انه مقيم فى بحر الفرات فى ذلك البر الاقفر والمهمه الاغبر وانه قد رجع وعاد من بلاد الروم وتلك المعالم والرسوم وهو سالم ومعه أموال وغنائم وأنا مالى نظر انظر به الطريق والا كنت سرت اليه وأعدمته السعادة والتوفيق وأنا عولت ان آخذك معى وأسير اليه وأكمن له فى بعض الدحال والغابات التى حواليه وآخذ روحه من بين جنبيه لان هناك يا نجم دحال يقال لها دحال العارضيات ولعلى ان أجد لى منه فرصة من الفرص فارميه بنبلة يكون فيها حمامه وقد انزاحت عن قلبى الغصص بموته وارغامه ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع العبد نجم من مولاه كلامه ومقامه رق له ورثى لحاله وقال له يا مولاى اذا كان الامر كما خطر ببالك فافعل الآن ما بدا لك فانى والله ما أخالف مقالك واتبعك فى جميع أحوالك فقال له الاسد الرهيص يا نجم وحق السميع العليم ما رضيت انى أموت الاكريم ولا أعيش لئيم فلعل الرب الكريم رب زمزم والحطيم رب موسى وعيسى وابراهيم ان يبلغنى من قتل عنتر العبد الزنيم والوغد اللئيم ما أريد وان يمكننى من هلاكه وصرعته واتلاف روحه ومهجته لانه اذا نزل القضا والقدر لا ينفع الحذر كما قال بعضهم حيث يقول صلوا على محمد الرسول

اذا اراد الله أمرا بامرئ * وكان ذا عقل وسمع وبصر * أصم اذنيه وأعمى قلبه
وسل منه عقله سل الشعر * حتى اذا أنفذ فيه حكمه * رد عليه عقله كى يعتبر
فلا تقل فيما مضى كيف جرى * فكل شئ بقضاء وقدر

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع العبد نجم من الاسد الرهيص ذلك القول فقال له يا مولاى اعزم بنا على المسير فى هذه الساعة فانا لك من تحت السمع والطاعه فقال له يا نجم أنا قد عزمت على ذلك ولو اننى أكون هالك هذا وقد شد العبد لمولاه على ناقة سفانة كانها النعامة الرفافه وقد عمل عليها جلالها ووضع الخطام فى رأسها واستوى الاسد الرهيص على كورها وقد أمل من الامور تيسيرها وقد أخذ قوسه وكنانته وهى ملآنة بالنبل المسموم وأثار العبد تلك الناقة وأخذ زمامها بيده وسار طالب أرض العراق والاسد الرهيص الى لقاء عنتر مشتاق ولما ان تمادى به المسير أيقن بكل خير ورفع صوته وأنشد يقول صلوا يا حاضرين على طه الرسول

تجافى منذ نفى عينى رقادى * وطار النوم عنها بالسهاد
وأسهر مقلتى وأعمى عيونى * وابلانى بهم فى فؤادى
فوا أسفا على أخذى لثارى * بحد البيض والسمر الصعادى
عسى الايام تسعدنى عليه * وتسعفنى على أقصى مرادى

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ الاسد الرهيص من أبياته جد فى قطع الفلاة الى ان وصل الى جانب الفرات وقد أكمنه عبده نجم فى دحلة مشتبكة الاشجار كثيرة الاطيار والانهار ﴿قال الراوى﴾ وكانت هذه الاجمه مقابلة خيام بنى عبس وعنتر وهى ما بين الفرات والانهر وكانت خيام عنتر مضروبة على جانب الفرات الآخر وهى بقرب الماء منصوبة وان الاسد الرهيص لما أنزله عبده من الاجمه خفق فؤاده من سماع ضرب المزاهر وغناء المولدات ورنات الجنكيات وهدير القدور ونبيح الكلاب وضجة النجع وتوريد البنات وكلام الفرسان عند أكل الطعام وشرب المدام وأهل الحلة تحت العز العزيز والحرز الحريز وذلك بهيبة حاميتهم عنتر الفرسان لان هيبة الامير عنتر كانت قد دخلت فى قلوب كل العربان وجميع من سكن البرارى والقيعان ﴿قال الراوى﴾ ولما نظر العبد الى ذلك فايقن انه هو ومولاه هالك فقال له والله يا مولاى لقد خاطرت بنفسك غاية الخطر ولا يليق لاحد ان يأمن القضاء والقدر وأنا والله ما أرى لك الى عنتر وصول ولا لك اليه سبيل وحق الملك الجليل فلما سمع الاسد الرهيص من عبده نجم ذلك الكلام قال صدقت يا عبد الخير فى هذا الخبر ولكن وحق الاله الذى علا ثم اقتدر اذا نزل القضاء والقدر عمى البصر واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه ولعل الله ان يكون

جعل قتل هذا العبد ومنيته على يدي وها أنا مختفي في هذه الاجمه والقوس والنبلة في يدي فاذا سمعته رميته بها وهي مسمومه فان أصابته فما أريد بعده مهله وقد رميت بالهلاك من بعده ولا أعيش ساعة واحدة لان النار في قلبي مضرمه وموقده فقال له العبد افعل ما بدا لك فاني ما أخالف مقالك ولا أراجعك عن فعالك وها أنا منتظر لاعمالك ﴿قال الراوي﴾ وكان بين الاسد الرهيص وبين مضارب عنتر وسع النهر وقدر رمية السهم وأكثر ثم انه أقام مكمن ذلك اليوم وهو منتظر الى ما يبدو من فعال القوم وما زال الى ان تهور الليل ومد رواقه وعسعس الظلام باغساقه فقال للعبد نجم ويلك أخرجني الى بر الاجمه وأشرف بي على الحي بحسن عزمك وقوة همه لاني أسمع أصواتهم بعيده عني فهيا قربني اليهم قليلا فلا جعلان الناس يتحدثون بفعالي جيلا بعد جيل فعند ذلك أخرجه العبد الى بر الاجمه وأتى به الى شفير النهر ولم يخش من نائبة ولا ملمه وأقعده مقابل أبيات الامير عنتر فقعد ينتظر القضاء والقدر وبرك على ركبتيه وأوتر قوسه على كتابديه وفوق النبلة في كبد القوس بكل ما يقدر عليه ﴿قال الراوي﴾ وأعجب ما جرى من الاتفاق والخبر وانفاذ المشيئة وأحكام القضاء والقدر الذي لا مهرب منه ولا مفر وكان عنتر في تلك الساعة نائم بجانب عبلة فسمع نبيح الكلاب وقد علا وكثر حتى دوت منه جنبات الفلا فعندها قام وخرج من المضرب وصاح على أخيه جرير وقال له ويلك انظر ما الخبر وما بال الكلاب في هذه الليلة تكثر من النبيح والصراخ من ناحية تلك الاجمه ﴿قال الراوي﴾ وتفق ان تلك الليلة كانت مظلمة شديدة السواد معتمه فقال جرير لاخيه والاسد الرهيص يسمع والله يا ابن الام ما أعلم ما الذي بدا لي لان هذا ظلام شديد ما انظر فيه ولا أقشع ولكن يا ابن الام أرى نبيحها كله من ذلك الجانب من النهر وهذا هو عندنا الى صوب الحي الا انه من شدة الظلام ما تبين لي شي ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عنتر كلام جرير وثب من موضعه وثبة الاسد الشرير وفي الحال لبس أثوابه وأخذ حسامه في يده ومشى الى جانب النهر وصار يمشي على شاطئه وهو يتكلم مع أخيه هذا والاسد الرهيص يسمع كلامه ويصغي اليه فسمعه وهو يقول لاخيه جرير ما هو الا من بعض الطامعين وقد قصد الينا يتجسس في جانب الحله ليسل بعض الخيل من بين أيدينا كانه قد سمع عنا اننا قد قل حيلنا وقوانا وأنا والله يا جرير وحق الملك القدير صاحب المشيئة والارادة والتدبير الذي هو بوساوس الصدور عليم وخبير وهو على ما يشاء قدير لو هجمت على أمم ربيعة ومضر لاذقتهم الموت الاحمر الذي لا يبقي ولا يذر والا فما أكون ابن شداد عنتر وهيهات وحق الملك الجليل أن يقدر سلال أو كاب محتال أن يقدم علينا بحال من الاحوال لان ماله الى مثل ذلك سبيل ولا يقدر يأخذ من حمى عنتر لا كثير ولا قليل ﴿قال الراوي﴾ ومن تمام القضاء والقدر الذي ما للعبد منه مهرب ولا مفر أن الامير عنتر لما ان قام من منامه قد أتته اراقة الماء فجلس الى الارض وجعل يتأمل طولا وعرض وفي حال جلوسه اتفق ان وجهه كان مقابل الاجمه التي فيها الاسد الرهيص وكان الملعون على ما أراد أن يفعله حريص (قال الراوي) وكان الامير عنتر اذا أراد أن يريق الماء يسمع له صوت وهدير كدوي الرحا في البئر لان هذا الامر من قوة همته وشدة عزيمته وكان اذا بال على حجر فيثقبه من شدة حيله وقواه الذي ركبه فيه الاله الا أن الامير عنتر لما ان قعد يريق الماء فصعد له دوي وهدير فسمعه الاسد الرهيص فلم يكذب خبره دون ان أخرج من كنانته سهما سقي بكأس الحمام وقد وضعه في كبد ذلك القوس واستوفز عليه الى أن حك الابهام في شاربيه وأطلقه على حس دوي اراقة الماء فخرجت تلك النبله من فم ذلك القوس تدوي مثل الشهاب الثاقب والبلاء الصائب اذا نزل من السماء طالب فلم يشعر الامير عنتر الا وتلك النبله قد وقعت في وسط مخصاه وقد دخلت وغاصت في وسط أمعاه كل هذا جرى والامير عنتر لا يتعتع ولا يتزحزح ولا توهم منها ولا تضعضع ولا تحرك من ذلك الموضع (قال الراوي) وكان أخيه جرير واقفا على رأسه ولم ير ما قد جرى عليه ولا عرف ما وصل من الاذى اليه غير انه سمعه وهو ينشد ويقول صلوا يا حاضرين على النبي طه الرسول

يا من رمى على الصوت ما أخطانا * فاصاب قدر بقنا وبددمانا * يا ايها الرامي بنبله قوسه
لاقيت منا شرنا وأذانا * فلقيت رمية النبل صبت لقربة * أخرقت منها الجلد يا شيطانا

أذيتنا فيها بضربة نبلة * وقطعت منها العرق والشريانا * أتلفتها بالنبل حين أصبتها
وخرقتها وقطعت منها رجانا * الله يقطع منك وفدك عاجلا * وتذوق ضر بادائما وطعانا
لو كنت أعلم من رماك لنحونا * يا نبل في ليل يريد خمانا
لاذقته كأس المنية عاجلا * وتركته للوحش والعقبانا

﴿قال الراوي﴾ فلما فرغ الامير عنتر من هذه الابيات سمعه الاسد الرهيص فظن ان السهم أخطا ووقع في قربة ماء السقا ومن عظم ما دخل عليه من الرعب والفزع والخوف والجزع انشقت مرارته ومات من وقته وساعته وخرجت روحه من جثته فلا رحم الله أرضا حوته ولا رحم الله أهله وعشيرته ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك تقدم اليه عبده نجم وكلمه فلم يرد جواب ولم يبد كلام ولا خطاب فدا الهه بيده وقبضه من زنده وحركه فوجده قد مات وحلت به الآفات وقد فرط فيه الفرط وفات فعند ذلك تركه مرميا في موضعه وبعده ولم يستمعه بل انه قد أسرع ونهض مثل البرق وركب على ظهر ناقته من شدة خوفه وعظم دهشته وقد أرخى لناقته الزمام من غير توان وصار طالب ديار بني نبهان وهو من الامير عنتر خائف وفزعان وهو لا يصدق انه ينجو من الموت والهوان فهذا ما كان وما جرى من الخبر وأما ما كان من أمر عنتر فانه قام على الاقدام وصار طالب أبياته وأخوه جرير يمشي قدامه وهو من خلفه وهو يتوكا على سيفه وهو يتململ مما جرى عليه وقد أظلمت الدنيا في عينيه وما زال وهو على مثل ذلك الحال الى ان دخل مضربه واعلم عبلة بما جرى له من تلك الفعال فانزعجت عبلة وبكت وانتحبت ولطمت وولولت وانقلب الحي بسكانه وانزعجت قطانه وخافت شيوخه وشبابه وتبادرت الى نحو الامير عنتر النساء والرجال واخذوا يسألونه عن سبب ذلك الحال وكذلك عمه مالك وولده عمرو وزوجة الجواد وسائر بني قراد قد سألوه عن حاله فاخبرهم بجميع ما جرى له وقال لهم وبعد ذلك ما أدري كيف دهيت وما علمت باطن هذا الامر ان كان من هذا الجانب أو من الآخر ﴿قال الراوي﴾ فلما ان سمع جرير منه تلك الاقوال فقال وحق ذمة العرب لا بد ما أكشف ذلك الحال ثم انه رمى ما كان عليه من لباسه وقد كثر وجده وضاقت أنفاسه وعلا بكاؤه وانتحابه وغاب عنه لاجل ما حصل لاخيه صوابه وقد رمى وحده في البحر سباحه ولم يركن الى هدو ولا راحه وما زال يسبح في النهر الى أن عبر الى الجانب الآخر وطلع الى البر ومشى يتجسس في ذلك القفر واذا هو قد وجد الاسد الرهيص مرميا على شفير النهر معفر والقوس والنبلة بجانبه وهو معبر (قال الراوي) فلما نظر اليه جرير عرفه وقد حقق معناه فصاح بعد ذلك واحرباه وجعل يلطمه على وجهه بحجر الى أن أدماه وصار عبرة لمن يراه ثم عاد جرير الى أخيه عنتر وأخبره بما رأى ونظر وحدثه بجميع ما أبصر فعند ذلك أيس الامير عنتر من نفسه وقد أيقن بحلول رمسه ثم انه أمر أخاه جريرا أن يأتيه بالاسد الرهيص الى عنده ففعل جرير ما قد أشار اليه ومضى وأتى به الى بين يديه فلما نظر الامير عنتر اليه وتفكر في أحواله وما تم له وما جرى له فتأوه من فؤاد مذبول وقلب بالهم مملول ومغلول وأنشد يقول صلوا يا حاضرين على طه الرسول

مرض العدو أسرني * وبضره وبموته نلت المنى * فبقي يموت وأشتفي
ويزول عن قلبي العنا * وأقول بعد حلوله * ونزوله دار الفنا
دعني أعيش مسربلا * بالعيش واكتسب الثنا * وأرى عدوي ميتا
وفي الحرير مكفنا * وأدعس برجلي قبره * وأقول تدري من دنا
وأنشد بشعري قائلا * وفي حديثي معلنا
من عاش بعد عدوه * يوما فقد بلغ المنا

﴿قال الراوي﴾ يا سادة يا كرام صلوا على البدر التمام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام صلى الله عليه وسلم ولما ان فرغ الامير عنتر من هذه الابيات نادى وقال ها أنا عشت من بعدك ولا نلت مني مرادك وقصدك ولكن يا فرحة فرسان العرب اذا مت وشربت كأس العطب ولكن قد جعل الله سبحانه وتعالى

لكل موته سبب وهذا حكم من عن الابصار احتجب ثم أمر أخاه جرير ابأن يجمعوا الاسد الرهيص الحطب ويحرقوه فى النار و يرموا رماده فى النهر بعد الحرق والتلف حتى لا يكون له قبر يعرف فلا رحم الله صداه ولا بل قبره وثراه و جعل النار مسكنه ومثواه هذا وقد قبل جرير من أخيه عنتر مقاله وتأسف عليه كيف تموت و يتلف حاله ولو أمكنه الفدا لكان بالروح يفديه ولا كان يموت وتعدمه جميع خلانه ومحبيه ﴿قال الراوى﴾ هذا وقد بات الامير عنتر طول ليلته وهو أرق متململ فى أمر عظيم وعلم ان حاله غير مستقيم فعند ذلك قالت له عبلة يا ابن العم أنت تتضجر من نبلة وأنت ما تهمك أسنة الرماح ولا شفار الصفاح فعند ذلك أخبرها جرير بجميع ما قد جرى من ذلك الخبر وما وقع له من الاسد الرهيص الكلب الخسيس وأعلمها بالقصة على جليتها فلما سمعت عبلة ما قال جرير عظمت مصيبتها وانزعجت مفاصلها وقد بكت ولطمت على خدودها وقلعت أثوابها وأكلت لحم زنودها ثم انها أكثرت من صياحها وناحت ونوحت وأنت وزعقت فاجتمع أهل الحى على بكائها وعويلها فعند ذلك قال لها الامير عنتر والله يا ابنة العم لقد وافانى الردى وما بقى لى حياة بعد هذا أبدا فقالت له عبلة يا أبا الفوارس شد عزمك وطيب نفسك ولا تأخذ على قلبك ولا تلتفت الى هذا وأمثاله فانت فيك دائم الدهر كل جرح مثل فم القربة فما كنت تبالى ولا تعبأ به ولا خفت الا من ضربة نشابة قد أظهرت منك الارتياب ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامير عنتر من عبلة ذلك الخطاب تأوه من فؤاد مذبول وأشار اليها يقول صلوا على محمد طه الرسول

ألا يا عبلة نوحى بعد فقدى * اذا ثار العجاج بكل قفرى * وقولى للشماتة ان تعدت
بى الايام فى سر وجهرى * رعاه الله من عبد نجيب * يلاقى فى الكريهة ألف حرى
وانى ليث هاف كل حرب * أبيد كماتها والخيل تجرى * وشربى من دم الابطال صرفا
على النغمات من بيض وسمرى * وقد شيدت لى بيتا رفيعا * من العلياء فى بر وبحرى
وسعدى قد هوى بعد ارتفاعى * وقد حط الزمان رفيع قدرى * وقد أمسيت حيرانا كأنى
أحس على حشاى لهيب جمرى * وقد آيست من رام رمانى * بسهم قصده اخماد ذكرى
* لحاه الله من رام معيب * احس بسهمه سما كجمرى * حديد ثقيل وقضيب متين
ومن عصب البعير وريش نسرى * وما اجتمع الجميع سوى لامر * لمصرع مهجتى ونجاز عمرى

﴿قال الراوى﴾ ولما ان كان من الغد أتى جميع أهله اليه ومشايخ قومه كلهم من حواليه وصاروا يبكون وينتحبون عليه ويتأسفون مما جرى عليه فعند ذلك قال لهم الامير عنتر بالله أقلوا من هذا الانين والاشتكا بحق رب العباد الذى أهلك قوم ثمود وعاد والنمرود بن كنعان والجبابرة الشداد وكل من سكن البرارى والوهاد فهذا حكم رب العباد الذى قضاه فلا اعتراض عليه فيما أمضاه والآن فقد فرغت الليالى والايام وانطوت كأنها أحلام ولو عاش الانسان فيها ألف عام فلابد له من شرب كأس الحمام ثم انه التفت الى عبلة وقال لها يا ابنة العم أنا والله ميت بلا محاله ومن بعدى والله ما بقى يقام لبنى عبس رايه ولا يبقى منها ابيض ولا أسود وتحفظهم العرب من كل بر وفدفد وتطالبهم بالثار من سائر النواحى والاقطار ولكن يا ابنة العم اسرعى واركبى حصانى والبسى درعى اليمانى واعتقلى برمحى وسنانى و يكون صوتى فى يدك واقصدى نحو بنى عبس وعدنان و يكون فى صحبتك الامير مالك أبوك وعمر وأخوك وأعامى بأحمية القلب انهم بعدى ما يعقوك وكذلك بنو عبس لا يقدروا يحموك ولا يرعوا لك جانب ولا يردوا عنك طالب ولابد لك من قريب يحميك ومن الاعداء يقيك فهذه موتى التى كتبت على فيا ترى كيف تكون موتتك ولكن يا ابنة العم اقصدى احد الرجلين اما ابن المهلهل الامير زيد الخيل وأما عامر بن الطفيل فان أحدهم يحميك ويرد عنك الاعداء ويقيك فاطلبيه لنفسك ولابد لاحدهم أن يخمد حسك ويسكنك فى رمسك لان بعدى ما أحد يعرف لك قرار ولا شان ولكن يحميك من انذال العربان فكونى لاحدهم أهلا ويكون لك بعلا واذا سرت فى البر والوديان فلا تكلمى أحدا من العربان واذا كنت على مثل هذا المعنى فلا يشك أحد فيك ولا يظنوك الا أنا فتهابك جميع

العربان وتخاف منك سائر الشجعان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت عبلة ذلك المقال أجابته لذلك السؤال ثم بكت وكثر منها النحيب والاعوال ﴿قال الراوى﴾ وأما المشايخ الحاضرون والامير عمرو وذو الكلب الفارس المكين فانهم لما سمعوا كلام الامير عنتر ما منهم الا بكى واستعبر وزاد بهم البكا والنحيب وتوقدت فى قلوبهم نيران اللهيب هذا وقد أقبل الامير عنتر على الامير عمرو وذى الكلب وقال له يا أخى مالى عندك وصية الا زيدا بن عروة واحتفظ عليه لاجلى أنا الآن أباه كان من أعز أصحابنا وكان من جملة الفرسان والشجعان وكان مثلك انما من أعز الاخوان ﴿قال الاصمعى﴾ ولقد بلغنى عن الامير زيد بن عروة ان الامير عمرو قد عطف عليه وصار عنده أعز من روحه التى بين جنبيه وصار يشفق عليه كل الاشفاق من دون الاصحاب والرفاق (قال الراوى) وكان الامير زيد طالع فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق و بطل تبطل عنده فروسيته حيل الشجعان وتقصر عنه الاقران لانه كان شاب شديد الحيل والقوى فلما ان سمع الامير عمرو وصية الامير عنتر امتثل قوله وأمره الا انه قد ضاق من ذلك صدره هذا وقد قسم الامير عنتر الاموال والنوق والجمال على بنى قضاعه وبنى قراد وقد أوصى الى الجوار والعبيد بالقسم الوافر الاوفر وكذلك الى زوجته قناصة الرجال لانه علم انها من بعده لم يبق لها مشفق ولا ناصر فحلفت انها بعده ما تملك عقال ولا مال ولا نوال ولا نوق ولا جمال ولا نظرت بعده الا شرور من غير سرور وادبار من غير اقبال وقد أوصى الامير عنتر لعمرى ذو الكلب على أخته قناصة الرجال و جميع من معه من بنى قضاعة الاقيال وأما بنو عبس الابطال فامرهم أن يقيموا فى ذلك المنزل الذى هم فيه حتى يشيع عبلة لى عند أهلها ويوصل بنى عبس شملها فقال له عمرو وذو الكلب يا أبا الفوارس نحن ما نكلفك الى هذا الامر بل تقيم أنت هاهنا حتى انك تبرى من الامك ولا تشمت فيك أعدائك وحسادك وأنا أوصل عبلة الى أى موضع أردت وأعود وحق الرب المعبود فقال عنتر والله لا رضيت بذلك أبدا ولا شمتت بى العدا الان والله ما بقى لى فى الحياة مطمع ولا لى الى الدنيا ومن فيها مرجع ولكن ها نحن مقيمون على ما نحن عليه حتى اننا ننظر ما بنا الدهر يصنع ثم انه لما زاد به الوجع أشار يقول كلام يقتضى هذا الامر وهو كلام يسمع وجعل يعدد على نفسه وينشد ويقول صلوا يا حاضرين على النبى طه الرسول

لقد هد الزمان عماد صبرى * وأضنى مهجتى وأباد أمرى * ومال على كل الميل حتى
لاولادى فقدت وحان أمرى * ولكن القضاء له أوان * اذا ما حل بالمقدور يسرى
فوا أسفا على سيفى وترسى * ومهرى الابجر الفحل الاعزى * ويا أسفى على قومى وقد
بلاقوا بعد عينى ضيق صدرى * الا يا دهر كم تبدى أمورا * تحير كل ذى فهم وفكرى
يفر الفارس الضرغام حتى * يظن الخلد فى دار المقرى * فلم يشعر بداهى الموت الا
دعاه أجابه طوعا وأمرى * ألا يا عل لكأس الموت يسقى * جميع الخلق فى بر وبحرى

فلما فرغ عنتر من هذه الابيات تباكت عليه جميع السادات والامراء والقادات وأكثروا عليه من التأسف والحسرات هذا وعنتر قال لعمرو ان هذا الكلام لا أسمعه ولا أمتثله قال له عمرو ولماذا يا أبا الفوارس فقال له اعلم يا أخى انى أخاف أن يقال عنى بان الامير عنتر حامية عبس وعدنان قد صار عند الموت بغير خوفا من العربان وقد فرغ من الرجال والابطال وان هذا ما أفعله وحق الملك المتعال ولا فعلت ذلك أبدا ولا أشمت بى العدا قال فعند ذلك سكت الامير عمرو عن الخطاب ولم يرد عليه جواب هذا والامير عنتر قد نهض بقلب أقوى من الحجر وهو فى ذلك الحال المنكر على غير الاستوى وألبس عبلة درعه وقلدها بسيفه وأعطاها رمحه وأركبها على جواده الابجر وركب هو فى الهودج الذى لعبلة على الجمل الذى كانت تركبه اذا سارت من منزل الى منزل ثم قوضوا أهله وأعمامه ومضاربه وخيامه وشلوها على نوقهم و جمالهم ثم ان عنتر التفت الى عمرو وذى الكلب الفارس الريبال ومن معه من الرجال وأشار يودعهم بهذه الابيات يقول صلوا يا حاضرين على النبى طه الرسول

الا حى المنازل من نظامى * وحى دار عبلة والسلامى * ديار تلعب الارياح فيها

وفيها الطير عاما بعد عامي * وقفت بها أنادي الحي جهرا * فما كانت مواجبة كلامي
دع الاطلال والبراق الخوالي * بصفاح الرمح وانتدب الحسامي * ألا يا عبل لا تنسي مقامي
اذا غابت طعنات السهامي * وابكي السيف والرمح الرديني * واهديني السلامي الى عظامي
أخبرك وقد طلعت علينا * كتائب نجد مع ابنا قطامي * تركت شبابهم في القاع صرعا
سكارى في مدمع تحت القتامي * ورمحي ما طعنت به كميّ * وأخطا في قعودي أو قيامي
ألا يا عبل لا لاقيت سوأ * ولا مكروها طول الدامي
ألا يا عبلة نوحي ثم أبكي على * البطل الهمام على الزحامي

قال فلما فرغ الامير عنتر من هذه الاقوال وسمعها الامير عمرو ومن معه من الرجال والابطال حتى زادبهم
البكا والاعوال وبكت الحيفا قناصة الرجال وتحسرت على الامير عنتر كيف غدرت به الايام والليالي هذا
والامير عنتر أعطى لعبلة سوطه وهو راكب ذلك الهودج ومن حوله سائر اهله وأعمامه وهم شاكرين مما
أعطاهم من خيرهم وانعامه وقد سار الامير عنتر وعبلة قدامه وسارت من خلفه سادات بني قراد الرجال
الاجواد يطلبوا أرض الشربه والعلم السعدي والخيل والمطايا بهم تجد وتجري والامير عنتر راكب وهو
يتمامل من شدة الاوجاع والآلام وعبلة قدامه ودموعها على خدودها سجام وهي كثيرة الهموم والاحزان
والامير عنتر يعاني الموت ألوان وكلما أرقليل بالاخيار كان مؤملا أن يوصل عبلة الى قرب الديار لعلها
تنجو من الردى والاخطار وتسلم من كيد الاشرار وهم سائرين في تلك الاراضي والسهول وعنتر يتأوه من فؤاد
مدبول وقلب بالفراق معلول فاشار بيده الى نحو عبلة وجعل يوصيها بهذه الابيات وهو ينشد ويقول
صلوا على طه الرسول

يا دهر سوء المنزل خونتنا * بنوائب كم فرقت اخوانا * ترمي عزيز القوم بعد العز في
ذل ويبقى واهما حيرانا * وتحط مرفوعا وترفع سافلا * ولكم أبدت فوارسا شجعانا
يا عبل دونك الابجر واتقي * منه الحزام وقلديه عنانا * واذا مررت على القبائل سلمي
يا سوط مثلي لا يلفظ لسانا * أما الجبان يقول ركبة عنتر * الا الشجاع يقول عنتر كانا
واذا وصلت الى جمالك فاخرقي * منك الثياب وشققي الاردانا * يا عبل قولي عند مشتجر القنا
قد كان عنتر حامي الاظعانا * قد كان عنتر عند كل ملمة * يخشى النزال ولم يهب أقرانا
يا عبل دونك والرحيل فانني * لا أستطيع أناضل الاقرانا * يا عبل لا ترتضي بعدي فارسا
فترى منه مذلة وهوانا * يا عبل ابك حتى تثور غبائر * وترى الكماة ساقطوا الميدانا
يا رامي السهم الرقيق قتلتني * غدرا وسهمك لم يكن خوانا * ليس الشجاعة بالفتى وانما
عند القضاء نزولها طيرانا * يا عبلة اني فارسا ذو هيبة * أحمي الحريم وأقتل الاقرانا
اني وقد أتت المنية بغتة * اسمي وصنعي موضع البرهانا * لا تيأسي مني عبيلة واعلمي
ما كنت الا دامغ الاقرانا * يا عبلة كل بطل كمي قد ثوى * في وسط معمعة برازه وانا
كظم الثرى من عظم طعنة عنتر * وثوى طريحا والها حيرانا * يا عبل جدي بالمسير فانني
قلق الحشا متوجع ولهانا * يا عبل دونك والرحيل فعجلي * بالمسير تلتقي راحة وأمانا
كم من فتى عدم الحيا من طعنتي * وثوى طريحا مائلا حيرانا * يا عبل لا تدعي الجواد ولبسه
ان كان فيك عفة النسوانا * يا عبل ابك فارسا متخضرما * يلقى الحروب ولا يخاف سنانا
بطل يكب الدارعين بضربة * ولكم فتى من طعنه حيرانا
لا يرهب الموت الزؤام لذي الوغا * ولغدرنا فوق العلا كيوانا
مردي القناعس آخذ أبصارهم * وسط القتام ومرمل النسوانا
نوحي عبيلة واندبي ليث الوغا * ندب الحزين الهائم الولهانا
يا عبلة قد أهوى بعنتر دهره * وأناله منه بعاجل ما كان

وابك على العبسي عنترة الفتى * ليث الطعان ومقري الضيفانا * لا تفرحي بعدي عبيلة واندبي
وابك على البطل الذي قد كانا * يحمي الحريم من العداة بأسه * ويجندل الابطال والشجعانا
لو كان قتلته بحرب لم يكن * لاقاه الا فارس الفرسانا * لله درك من كريم ماجد
مقري الضيوف وقاهر الاقرانا * واذا دعوت باسم عنتر فاعلمي * ما كنت الا مردي الشجعانا
والخيل تعلم والفوارس انني * ليث الحروب وفارس الميدانا * وسلوا الفوارس عن وقائع عنتر
وسلوا سعيد وبعدها عدنانا * أولاد بدر قد عرفن مواقعي * يوم الجفير وقتلة الفرسانا
وكذاك من في الحي قد شهدوا انما * يوم السباق وقتلنا الشجعانا * وبني ضهية مع فزارة كلها
وبني هلال وبعدها سلمانا * وبني مزينة عند مشتجر القنا * يوم الهجير وبعدها غسانا
والخيل كاشحة الوجوه عوابس * والنقع واقع في الديار عيانا * والخيل تعلم والفوارس انني
بطل الهياج وحامية عدنانا * وسلوا الاعاجم عن وقائع عنترا * وسلوا القبائل بعدها العربانا
وسلوا الشيبان وعوف وعامر * والبوث كندة بعدها ذبيانا * قد أفردت ريح الصبا وهوشت
ريح العدا يا اماني الغدوانا * هذا هو الفضل الذي يبقى له * طول السنين وسالف الازمانا
﴿قال المؤلف﴾ ولما ان فرغ الامير عنتر من شعره واستوفى نظمه ونثره فبكت عبلة عليه بحرقة وبكه وقد
صارت دموعها مثل الامطار وقد بكى الامير عمرو واخته قناصة الرجال لان عمرو كان أراد أن يقيم من بعد عنتر
في تلك الديار فهان عليه فراق عنتر يا اخيار فركب وسار خلفه مقتفيا منه الآثار الى أن أدركه بين تلك
الروابي والآكام ومازال سائرا معه مدة خمسة أيام هذا والامير عنتر كل يوم تتزايد به الاوجاع والآلام وقد أيقن
بعد الوجود بالاعدام هذا وقد أقبل الامير عنتر على الامير عمرو في سادس الايام وقال له يا أمير بحياتي على
قلبك أن تمضي الى ديارك وعشيرتك ولكن بأختك في قبيلتك فانا اعلم والله ان بني عبس ان تم عليهم كائنه
فما تقوم لهم من بعدي قائمة وتتعب أنت قلبك غاية التعب وأنت ما لك طاقة بعادات العرب ومالي عندك
وصية الا في زيد بن عمرو وقد أن تأخذ لي بثاري من بني نبهان ولا تخلي منهم انسان قال فعند ذلك بكى عمرو وذو الكاب
وقال له يا أبا الفوارس طب نفسا وقر عينا فسوف آخذ بثارك وأكشف عنك عارك ولكن أنا ما أفعل شيء حتى
تأتي اخبارك ثم انهما تعانقا وتباكيا وقد ودعه وسار يجد المسير في البراري والقفار وقد زادت لفراق عنتر ناره
وقد صار يطلب دياره قال ولما ان سار عمرو الى دياره عطف أقبل عنتر على أخيه جرير وعلى ابن أخيه
الخذروف وقال لهم يا اخوتي أريدكم ان تسيروا وتبلغوا خبري وتقصوني الى قومي وعشيرتي وأنا أعلم أنكما
ما بقيتما تجتمعان بصورتي واذا وصلتم فانعوني لهم ومزقوا الثياب بين أيديهم وبلغوهم سلامي وحيوهم وقولوا
لهم يحموا حريمي كما حميت حريمهم الان كانوا ما يقدرون ومن بعدي والله يفلحون ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك
سار الخذروف وعمه جرير وقلوبهم تغلي على عنتر بشبه نيران السعير وهم يبكون بدمع غزير وهم مشققين
الثياب بادين البكاء والانتحاب وأما ما كان من الامير عنتر فانه قد زاد به الالم فامر العبيد أن يسوقوا الجمال
والنعم وعبلة راكبة على صهوة الابجر وهي باكية حزينة على عنتر وهو في ذلك الهودج في همومه وأعمامه وبني
قراد سائرين من خلفه وامامه وما زالوا سائرين وهم على ذلك الرواح الى أن أصبح الله بالصباح فبينما هم
سائرين في تلك الروابي والبطاح واذا قد جازبهم موكب من كبار حلل العرب الثقال وقد عاينوا تلك الهوادج
والاموال وعبلة راكبة على الابجر ولكن حزينة على الامير عنتر فقال رجل منهم يا بني عمي ان هذا الجواد
جواد عنتر والسلاح سلاح عنتر الآن لراكب وحق من علا فاقتدر ما هو الامير عنتر لان القامه والله ما هي
قامته ولا هذه الهمة همته فان صدقني حذري ولم يخب زجري فان عنتر قد مات أو انه مريض ولا يطيق
الركوب ولا الثبات أو حل به آفة من الآفات وما هذه الا ركبة عبلة بنت مالك وابن عمها قد حلت به المهالك
فسيروا بنا فداهم حتى نكشف أخبارهم ونتحقق أمرهم ودعونا نصبر الى أين ينزل عنتر الى ارقة الماء وفي

موضعه نبصر ننظر وقد صح لنا الحال والخبر قال وكان الامير عنتر اذا بال فيثقب الارض بوله مقدار شبر واذا أراق الماء فتفور في الارض مقدار ثلاثة أشبار هذا وقد صارت الرجال خلفهم من بعيد وهم يقطعون القفار والبيد وهيبة الامير عنترة عهم عن الوصول اليهم وهم خائفين من القدوم عليهم ﴿قال الراوى﴾ فاتفق ان عبلة نزلت تريق الماء فلما فرغت ركبت وسارت هذا والفرسان ناظرين اليها الى ان أبعدت فأقبلوا على أثرها الى أن أتوا الى موضعها وقد عاينوا مكان اراقة الماء فيه واذا هم وجدوها مفروشة على وجه الارض لان المرأة اذا أراقت الماء على الارض انفرشت والرجل اراقته الماء في الارض تفور فقال الرجل ألم أقل يا بنى عمى وعرفتكم ان هذا الفارس ما هو عنتر وحق ذمة العرب انه قد صدق حذرى ولم يخط زجرى فان هذه عبلة بنت مالك ابن قراد لان الركبة ركبة امرأة وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب ﴿قال الراوى﴾ ثم ان ذلك الرجل قال لهم وان كان الامر كذلك فاحملوا بنا عليهم ثم انهم اتفقوا الجميع على أخذ أموالهم وأغاره عليهم ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم حملوا عليهم في ساعة الحال وأرادوا نهب الاموال وسبي العيال من بعد قتل الرجال وقد تبادروا الى الحرب والقتال وطلبوا الطعن والنزال فسمعهم الامير عنتر وهو يقاسى نزاع الموت الاحمر فعند ذلك صاحت عبلة بنت مالك وقالت يا ابن العم قد أدركتنا الاعداء والعرب تريد سبينا فانظر ماذا ترى ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامير عنتر بذلك المقال رفع سجاف الهودج في عاجل الحال وقد أطلع رأسه منه ونظر اليهم وزعق زعقة ارتجت منها البرارى والجبال وجاوبته تلك الاودية والجبال مع التلال وقد نادى وقال أيا أوغاد غير أمجاد ها أنا عنتر بن شداد واليوم أريكم كيف يكون الحرب والجلاد فوحق الملك الجواد لا بيدنكم في هذه الارض والوهاد قال فلما سمعت الفرسان صوته وعرفوا زعقته طارت عقولهم وحاروا في أمورهم وطلبوا الهزيمة في عرض البر الاقفر وهم يدقوا بعضهم ببعض وقد أوسعوا في جنبات الارض وهم يقولون اسرعوا بنا نطلب الهرب والنجاة لانها حيلة من هذا الشيطان الذى ما يقاومه في الدنيا انسان ولا يطيق لقاه أحد من الشجعان وقد أخفى نفسه حتى ينظر من يتعرض لأهله ويطلب شرهم فيسير اليهم ويخرب ديارهم ويمحق آثارهم فهذا ما كان منهم وأما ما كان من القوم فانهم ساروا من بعيد الى بعيد ينظرون اليه ثم انه قال لأعمامه ومن كان معه أجمعين هيا يا أبا الاعمام اسرعوا وسيروا والعل أن تصلوا المين فانا هالك لا محالة فاسرعوا ودعوا عنكم الاطالة فقال له عمه زخمة الجواد يا ابن أخى ازعجت روحك فنحن نبذل أرواحنا دونك فاطلب حميتك بسيفك ورمحك قال فلما سمع عنتر من عمه هذا المقال والايراد قال له صحيح يا عماه أنتم فرسان الحرب والجلاد ولكن ما أسماكم وأشهركم الا عنتر بن شداد فسيروا والآن على حالكم فعسى لكم أن تصلوا سالمين الى أرضكم ودياركم قال فعند ذلك تباكى الجميع وودعوه وسارت بنو عبس وتقدمت بين يديه وهو ينظر الى عبلة والدموع تتحادر من عينيه فلما غابت عنه وهو متكئ على رمحه بيديه فشهق شهقة ونفخ نفخة فارقت روحه جسده والجواد واقف تحته لم يتحرك من مكانه لان هذه كانت عادته عند تربيته وشأنه مدة حياته اذا نام ينام على ظهر حصانه ﴿قال الناقل﴾ هذا وهؤلاء العربان يظنون ان عنتر في قيد الحياة ولم يعلموا انه شرب شراب الوفاة الا كانه واقف يطلب منهم الحرب والقتال فقالوا لبعضهم يا ويلكم ارجعوا على أعقابكم من قبل أن تعدموا نفوسكم وتفقد كم أصحابكم فقال الشيخ يا بنى عمى انى قد تحيرت من هذا الامر المتدارك وانى ما أظن الا عنتر هالك ولو كان هو طيب في قيد الحياة ما سكت عن قتالنا في هذه الوديان لانه لا هو برعديد ولا جبان ولا ذليل ولا مهان حتى انه يقف هكذا عن القتال ويرهب الرجال والابطال ثم انهم وقفوا ينظرون آخر ما يكون من ذلك الحال هذا وبنو عبس قد تبطنوا في البرارى والتلال وأمنوا على أنفسهم من شراب الوبال وهم يظنون ان عنتر تابعهم على ظهر حصانه هذا والابجر لا يتحرك من مكانه بل تم كذلك الى أن تدانت الشمس الى الغروب وكلت الفرسان حتى كادت أجسادهم أن تذوب فقال الشيخ يا ويلكم أنا ما قلت لكم انى عرفت أمره وما أظن انه قد مات والرأى أن تقبلوا منى ما أقول لكم واحملوا بنا عليه ودوروا به من خلفه ومن بين يديه وان كنتم ما تقدروا على هذه الفعال ولا لكم جسارة عليه بحال من الاحوال

فاطلقوا الابجر يجرى هذه فانها طالب فان كان به أمر من الامور فانكم تبلغوا منه المآرب ﴿قال الناقل﴾ فعند ذلك امتثلوا ما أمرهم به هذا الشيخ من المطالب ونزل عن حجرته يدفعوها الى الابجر تلك الاسباب فقصدته الحجرة لكونها طالب فلما قربت منه ووصلت اليه شب عليها فوقع عنتر من عليه فعندها اطمأنت قلوبهم وقربوا منه وقالوا يا لك من فارس كريم فانك في حياتك وبعد مماتك صنت الاموال والحريم ثم انهم أخذوا عدته وسلبه وتركوه مرميا في تلك الفلا فقال لهم الشيخ يا بنى عمى أأخذتم سلبه وعدته وبعد ذلك تتركونه هكذا ملقى بالفلاة والرأى أن تواروه في التراب ويكون لكم في ذلك الاجر والثواب من الملك الوهاب عندها نزلوا من على خيولهم وحفروا له قبرا عميق ودفنوه فيه وأهالوا عليه التراب وكأنه ما كان فسبحان الملك الديان الذى قدر على عباده بشرب كاس الممات وصار عنتر مثل من له سنين وأوقات ﴿قال الراوى﴾ وكانت المدة الذى انجرح فيها حتى وقع في ذلك المكان خمسة أشهر وخمسة أيام وان الفرسان لما ستروا عنتر بالتراب عادوا على أعقابهم في البرارى والهضاب وأما جواد عنتر فانه هج من بين أيديهم في البر الاقفر ولا قدر أحد يمسكه وصار وحشا في الفلاة ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من أمر عنتر وأما ما كان من بنى عبس فانهم بعد مفارقتهم لعنتر ساروا وهم يظنون انه لاحق بهم على الاثر وما يعلموا بما قد حل به من القضاء والقدر ولم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى وصلوا الى الاحياء وهم من شدة الكرب لا تسعهم الدنيا هذا وقد حققت الحقائق ان عنتر مات وشرب شراب الآفات وأخبروا بما كان معه وما يكون من فرقته لدنياه عند ذلك ندبت النوادب وهاجت الخيل والجنائب وصاحوا وولولوا وعزم منهم جماعة على الرواح الى موضع الوقعة بعدما أكثروا الصراخ والنواح ورموا البيوت والمضارب وبعد ذلك ركب من اخوة الملك قيس ثلاثة أبطال وأخذوا معهم جماعة من بنى عبس الاقيال بعدما أوصاهم الملك قيس أنهم لا يعودون الا به وهو محمول على بعض الجمال وكان قيس لما بلغه ذلك الحال كاد أن يهلك نفسه مما حل به من تلك الاهوال هذا وقد سار اخوته ومعهم هؤلاء الرجال الذين كانوا مع عنتر أول الحال ليخبروهم بالمكان الذى لقيهم فيه تلك الرجال ثم انهم ساروا وملكوا القفار الى أن وصلوا الى ذا المكان فرأوا فيه قبرا فسيح فلم يخف عليهم ذلك فعلموا ان عنتر شرب شراب المهالك فنبشوا عليه وأطلعوه وهو ملفوف في ثيابه من غير أكفان فأدرجوه في نطع من الاديم الطائفى كانوا قد اتخذوه لهذا الشان ثم حملوه على الجمل وعادوا راجعين الى الاوطان وهم في كثير البكاء والاحزان وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى الديار ونزلوا فيها وقر بهم القرار وعملوا المأتم والاحزان ومضت عليهم أيام الحزن ولم يجدوا مثلها في ذلك الزمان وندبت النوادب وبكت الحبائب على الحبائب ولما فرغوا مما هم فيه من تلك المصائب حفروا له قبرا بجانب أبيه وقبر صديقه مالك وهو على ذروة العلم السعدى وتلك المسالك ودفنوه فيه وأهالوا عليه التراب وتباكت عليه الاخلاء والاحباب ورثته وندبته الشعراء والصعاليك وكان مما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

يا مقلتى بالدمع لا تقفى * وساعدينى بدمعك الهدف * على ابن شداد عنتر العبسى
لما أتاه فى شدة الحيف * حامى بنى عبس كلما نكبوا * مجيرهم من وقائع التلف
كان اذا جال يوم معركة * ترى فؤاد العدى يرتجف * لهفى عليه ما كان أشجعه
فى الحرب حين القنا ينعطف * كم فارس كان الاسود له * طوعا ومنه فى غاياتها تخف
من جاءه عنتر قد ولى هاربا * واللون بعد البياض صار مختلف * كان فارسا ذات الملوك له
وأتحفوه بسائر التحف * قد صرت بعد السرور منعثرا * فى مهمه عفيرا فيا أسف
عليك يا حامى الحريم اذا * رام العدو سبيهن بالشغف * قد كنت حمى لابناء عبس
وهم بذلك أسود عطف * واليوم أصبحوا بغير حامية لهم * من المرهفات البيض والحجف
يا حامية عبس طال ما سهرت * جفون أعدائك خيفة من التلف
وقد شمتت أعداك وصرت مجندلا * من كف أعمى باغ غير منتصف

فاضت دموع عيني كقطر السما * يا مقلتي بالدموع لا تقف

﴿قال الراوي﴾ و بعد ذلك تفرقت الناس الى منازلهم والخيام وقيل ان هذا العزاء بقي سنة من العام الى العام هذا وعبلة لم يقر لها قرار ولم تنشف لها دمعة لبعد المزار ولا بردت لها لوعة مما في قلبها من اللهيب وقد أقلقت الحي بالصياح ومما كانت تكثر من البكاء والنواح هذا وقد تسامعت العرب بموت عنتر فقد كرت الدماء التي لهم على بني عبس من أيام ذلك الفارس القسورة وقد تحركت العربان تروم أخذ الثار و يريدوا يكشفوا عن أنفسهم العار ﴿قال الاصمعي﴾ وكانت الخلفاء والاصحاب قد قدموا للعزاء وكل منهم كثير البكاء والانتحاب وكان من جملتهم عامر بن الطفيل وقد قعد للعزاء سبعة أيام فلما انقضى العزاء وأراد عامر السفر أخبروه بما قد أوصاهم به عنتر من أمر عبلة وقد فرح بتلك الفعلة وشرع من تلك الساعة بزواجه بعبلة وقد رسم لها بألف ناقة من خيار الاموال والنوق والنعم وألفي رأس من الغنم وخمسين عبدا ومائة أمة وخمسين رأسا من الخيل المسومة قال فلما انقضت تلك الاشغال رحل بها يطلب دياره والاطلال فلما وصل الى حلته ونزل بها واستقر به القرار دخل بعبلة فوجدها جنة الخلد وهي أحسن من البنات الابكار وقد صفي له زمانه بالاتصال وعاشا مدة وهما في أحسن ما يكون من الامكان وما كانت تكلمه في تلك المدة كلمة طيبة ولا تألفه يوما من الدهر فامتلأ قلبه عليها من القهر غيظا وحنقا بعدما كان أحبها حبا شديدا وتمت معه في العيش الرغيد ولكن لما بان له منها عين الجفا تكدر عيشه بعدما كان صفا ورحل بها الى قبيلة بني غيلم وقد أخذ ما كان لها من الاموال والنعم وقال لها اني يا أميرة أحمي حماك من العرب والعجم وقال لها هيهات أن يكون ذلك مثل ما كان ذلك الفارس الادهم لانه كان أشد منك وأبطش في الحرب والكرم وانه كان في فعله عند الفراش أشد ما يكون في الحرب والهواش وكان أشد منك بأسا وأقوى مراس ﴿قال الراوي﴾ ولحق عامر بن الطفيل من الغيظ والحنق لما سمع منها ذلك الكلام الذي لم يتفق تمنى انه لم يكن في تلك الايام ولم يخلق وقال في نفسه وحق ذمة العرب الكرام لابد من قتلها ودمارها وأسقيها كاس حمامها وألحقها بأسودها ولا أتحمل عارها الذي تزعم انه يحميها ويحمي ديارها وأقاموا على ذلك مدة كثيرة وقد لحق عامر من معاشرتها وسوء أخلاقها عليه الانذهال والحيرة ﴿قال الراوي﴾ فلما كان يوم من بعض الايام وهم على ما هم فيه من المباشرة والالتزام واذا بأفعى قد ظهرت من بين الخيام وفزعت اليها الشباب واهتموا لها غاية الاهتمام فسمع عامر ابن الطفيل الضجة وقام من على صدر عبلة وقد جذب في يده الحسام وغدا خلف الافعى بقوة عزم واهتمام فخطا اليها عامر خطوات متتابعات و زعق عليها زعقات هائلات حتى لحقها وقد سارت الى آخر الابيات فرجعت اليه ونفخت عليه حتى تطاير اشرارها من احداقها لما صارت بين يديه فتلقاها بسيفه وضربها به قطعها نصفين ورماها على الارض قطعتين ورجع الى عبلة وقد ارتخى عليها الليل وذلك مما تعب وضاق سبيله فلما رأت عبلة الى حاله ضحكت وتمايلت عجبا فقال لها عامر على أي شئ تضحكين يا ابنة مالك فقالت له ما هو الا اني تذكرت ابن عمي عنتر وكان قد جرى علينا كذلك وكان راكبا على صدري يوما من الايام واذا بأسد قد ظهر من جانب الحي وقد أتى من البر والآكام فصرخت العبيد والرجال وهرعت من كل جانب اليه الابطال فقام من على صدري وقد جذب في يده سيفه الصامي المهند وخرج الى ظاهر الحي ودنا من الاسد وضربه أطاح رأسه من على جسده وعاد الي وما تغيرت حالته ودنا مني وقد مضى باقي حاجته وأراك أنت قد قتلت دودة على باب الخباء من دود الارض وقد رجعت وأنت لا تدري الطول من العرض وقد بطلت حواسك وتقطعت من شدة التعب أنفاسك ولا بقيت تعي على أحد من أهلك وناسك ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عامر منها ذلك الكلام وتلك المعيرة التي تورث الاسقام زاد غيظه من الحنق والغبن والهيام وقال في نفسه لابد لي من قتلها والا جعلتني معيرة بين أهلي وأهلها وهي التي تفضحني بين العرب هذا وهو مما حل به زاد عنده الغيظ والغضب وبقي يتمنى انه في ذلك الوقت لم يخلق مما اعتراه من العطب وفاضت الدموع من محاجر عينيه وكاد من شدة الغبن أن يغشى عليه وما بقي ينظر ما بين يديه ثم انه خرج من عندها ومضى الى أهله

وحدث ابن عمه بأمر عبلة وما كان من قولها ومن فعلها فقال له نساء قومه ان هذا أمر منكر وان هذه المرأة لو هاديتها بالاسكندر والملك كسرى أو قيصر لم تذكر الا ابن عمها عنتر فقال لهم عامر لقد صدقتم يا بني عمي والله لقد فرجتم عني بعض ما أنا فيه من همي وغمي واتفق معهم على قتل عبلة و يفرج عن قلبه هذه الذبلة و يستريح من معيرتها بالجملة ثم انه صبر الى أن أقبل الليل وأمر عامر الجواري التي له أن يخنقوها و يحلوا بها الويل وآيس منها وقال قتلها ولا تفضحني عند أهلي وناسي فتركوها الجواري حتى عبر عليهم الليل ونامت فنزلوا اليها وتكاثروا عليها وخنقوها ولم يعلم بها أحد من الناس ﴿قال الراوي﴾ ومما وقع من الاتفاق أن أبوها وأخوها قد زاد بهم الشوق اليها وكذلك أمها وأتوا اليها يفتقدون أحوالها ويسلموا عليها لما استوحشوا اليها وكانوا قد أخذوا معهم شئ كثير من الارزاق الا أنهم ما وصلوا الى ديار بني عامر الا في ذلك اليوم الذي خنقت فيه عبلة وانهم سألوا عنها بعلها فانكر حالها فألحوا عليه في السؤال فلم يجدوا لها خبرا بالجملة فسألوا عنها من الجواري فانكروها وجحدوه فزادا تحيرهم وأكثروا الصياح والعويل وقد زاد بهم لاجل فقد ابنتهم الهم والتنكيل وقالوا ما بقي ينفعنا الا الملك الاسود ونشكي قصتنا اليه ونعلمه بما جرى على ابنتنا وتجدد علينا ثم انهم اعتمدوا الى الرحيل حتى يشكوا حالهم الى الملك الاسود ويخبروه بما جرى عليهم بعد موت حاميهم وما قد تجدد وما فعل في ابنتهم عامر بن الطفيل وما أنزل بهم من الذل والويل وساروا وتبطنوا بالقفار فبلغ خبرهم الى عامر فخاف أن يفشوا عنه هذه الفعلة بين القبائل و يركبه العار بقتل عبلة فركب وسار خلفهم لاجل يترضاهم ويردهم وعما عزموا عليه يصدهم ومازال تابعهم حتى لحقهم وأعاقهم عن المسير في الطريق وأحل بهم التعويق وأمرهم بالعوده الى الديار فلم يجيبوه ولم يطاوعوه على ذلك الحال واختاروا القتل بعد ابنتهم وحاميتهم وأغلظوا على عامر في الكلام وجذب عمرو أخو عبلة على عامر الحسام فلما رأى عامر منه ذلك الاهتمام حمل عليه وقد زاد به شره وكفره وطعنه بالسنان في صدره فاطلعه من ظهره فلما رأى مالك ما فعل عامر في ولده من تلك الفعال نادى قتلت ولدي يا ابن الانذال فلما سمع عامر منه ذلك المقال حمل عليه الآخر واستطال واستجاده بطعنة في فؤاده نكسه عن جواده فوقع الى الارض صريع يخور في دمه علقما ونجيع ثم انه تركهم مرميين في القفار تأكلهم الوحوش والاطيار وعاد راجعا الى الديار ولما استقر به القرار قيل أنه قتل أمها الاخرى وأحل بها الدمار وهجت بنو قراد الذين كانوا اصطحبوا مالك وطلبوا منازلهم والامصار وبعدها احتوى عامر على ما كان لهم من الاموال والنوق والجمال ومضت عبلة وأمها وأبوها وأخوها كأمس مضى وما بقي لهم ذكر بين الرجال فسبحان الله العزيز المتعال ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما جرى هاهنا وأما ما كان من أحوال بني عبس و بني فزارة فان حصن بن حذيفة وسنان بن أبي حارثة نظرا في أمر بني عبس وهما يؤملان أن يفعلوا بهم شيئا من تلك الامور الحادثة واجتمعا هما وحلفاؤهم أكثر من عشرة آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس وحصن بن حذيفة امام القوم راكب على حجرة أبيه الغبرة في ذلك اليوم وهي التي كانت السبب فيما جرى بين الطائفتين من الفتنة واللوم وهي تحته كأنها البرق الخاطف والسحاب الواكف وهي سريعة الذهاب خفيفة الركاب كأنها برق عطفت أو نسمة من الريح الدبور قد عصفت وهو غائص في شكته غارق في لامته يجر رمحه من وراء ظهره وقد تكبر وتجبر على أبناء جنسه و زاد بغيه وشره والراية على رأسه تظله وسادات بني فزارة و بني ذبيان حوله والكل ممتثلون أمره وسامعون قوله فوصلت أخبارهم الى بني عبس بان بني فزارة واصلون اليهم وقادمون عليهم بحدها وحديدها وعددها وعديدها وخيلها وجنودها يديرون منهم أخذ الثار وكشف العار لان في قلوبهم من بني عبس لهيب النار من يوم قتلوا سادات بني بدر وحذيفة وأخوته على جفر الهباءة وهو في قلب حصن ما نساه هذا وحصن و بنو فزارة قد ساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا فهذا ما كان من بني فزارة ﴿قال الراوي﴾ وأما ما كان من بني عبس فانهم قد اجتمعوا عند الملك قيس بن زهير ليأخذوا رأيه وما به عليهم يشير هل يقيموا في مكانهم أو يعلموا منه بالمسير فقال لهم يا بني عمي ان بني فزارة قد اجتمعت وفيكم قد طمعت و يرجون ان يأخذوا بثارهم منا وأن يكشفوا عارهم وقد اجتمعوا علينا هم وحلفاؤهم من سائر

البلاد واستعجزوا أمرنا من بعد فقد حامي‌تنا عنتر بن شداد ولابد ما تشمت بنا الاعداء والحساد ونحن ما بقى لنا أحد نلتجئ اليه ولا من يعز علينا ولا من نعز عليه فواحسرتاه عليك يا أبا الفوارس ويا من كان لنا حافظا وحارس فلما سمعت بنو عبس من الملك قيس ذلك الكلام ثم منه البكاء والنحيب والضجة والوجيب وتنادبوا بالبكاء على عنتر وتذكروا أيامه البيض الغرر وصار قيس يقول لهم يا بنى عمى الذى مضى فات وان ابن عمى عنتر انقضى ومات وسيطانكم غير بنى فزارة وسائر العرب من بعد منها ومن اقترب وما بقى لكم من تلتجؤن اليه ولا معول تعولون عليه الا مقابض سيوفكم وسنان رماحكم واتلاف نفوسكم وأن تجعلوا دروعكم قبوركم والرأى عندى من القول التمام انكم تموتوا كرام ولا تعيشوا لئام ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمعت بنو عبس ما قال الملك قيس وما أبداه من ذلك المرام أطاعه كل من كان حاضرا فى ذلك المقام فعند ذلك نهض أخوه نوفل من بين الجماعة وقال له يا أخى اننا مطيعون هذا الامر بالسمع والطاعة ولكن عندى رأى آخر ان أمرتنى ان أبديه لكم لان فيه السداد والامر الحميد والرشاد فقال له قيس قل ما بدا لك فاننا مطيعون ما تبديه من أقوالك فقال له نوفل الرأى عندى يا أخى اننا نسير من هاهنا بجمعنا وأموالنا وعيالنا ونرحل الى جبال الروم ووادى الرمل ونحصن حريمنا هنالك ونبقى جرائد بلا ثقل ولا عائق ونركب تلك الخيل العواتق لانك كما تعلم ان ابن عمنا عنتر فى أول منشئه فى معاداته للملك النعمان دخل عليه ومعه مائتا فارس فاحمى روحه هو ومن كان معه من الفرسان وأكل أموال العرب وأخذ الجزية من الملوك ذوى الرتب وقهر الفرس والعجم وأباد الترك والديلم وما أفتكر فى أحد من الناس لان ذلك المكان حريز ومكان أمين ما عليه قياس ولا يقدر عليه أحد الا ان كان من بابه واذا حصنا فيه الحريم ما يبقى الواحد منا يبالى بما أصابه واذا وقف فيه عشرة رجال بالعرض منعوا من يدخل اليه ولو أتى كل من فى الارض فلما سمع بنو عبس كلام نوفل أجابت الى مقاله وكذلك الملك قيس رضى بأقواله وقال ان هذا الرأى صواب وفى عاجل الحال قوضوا خيامهم والمضارب وساروا بالرماح والسيوف القواضب وسارت النساء فى الهوادج على ظهر الجمال وتبطنوا فى ذلك البر بالحريم والعيال ثم جعلوا قصدهم جبال الروم ووادى الرمال وقد حصل فى قلوبهم من الخوف أمر عظيم هذا وقد صار فى قلب الملك قيس نار لا تطفى ولهيب لا يخفى والبكاء والنحيب من بنى عبس قد علا وقد ملؤا بصياحهم جنبات الارض والفلا وقد تذكروا أيام حاميتهم عنتر وما أصابهم من بعد فقده من البلا فهذا ما كان من بنى عبس وما جرى لهم وما دبروه من تلك الامور ﴿ قال الراوى ﴾ وأما ما كان من بنى فزارة اللئام فانهم بعد تجمعهم والالتمام ساروا قاصدين ديار بنى عبس ليبلغوا منهم المراد ويقفوا آثارهم بعد حاميتهم عنتر بن شداد هذا وفى قلب حصن من بنى عبس لهيب النار لاجل قتل بنى عبس أباه حذيفة الغدار وكان قد أنفذ حصن وسنان الاموال الى كثير من القبائل وأعلموهم بما قد عزموا عليه من ذلك الامر والمرام وانهم قاصدون بنى عبس ليبلغوا منهم المرام هذا وحصن قد أنفذ يحث القبائل على المسير لاجل أخذ الثار وقد أرسل لهم الكتب مع الطراق والسفار وصار يحرضهم على المجىء بهذه الابيات

فسيروا لأخذ الثار يا سادات العرب * لان بنى عبس فناها قد اقترب
فان رمتموا أمرا فسيروا بنا لهم * انسقيهم كاسا من الموت والعطب
ونأخذ لنا بالثار منهم عنوة * ونبليهمو بالقتل منا وبالحرب
ونهلك بنى عبس ونفنى جماعهم * ونطعنهم بالرمح فى الصدر واللبب
ونسقيهموا كاسا من الموت مترعا * ونبليهمو بالويل والضرب والتعب
ونضربهم بالسيف فى وسط هامهم * ونفنيهمو جمعا ونسكنهم الترب
ونأخذ بثار من مضى من رجالنا * لانهمو أفنوا جموعا من العرب
الا يا بنى ذبيان سيروا وأنشدوا * على قتل قيس الرأى منا فقد وجب

فمن بعد عنتر ما بقى مسعف لهم * ولا رجل يرجى يكون لهم سبب
فهذا الذى نرجوه فى طول دهرنا * وهذا الذى كنا نريد من الارب

﴿ قال الراوى ﴾ ثم ان حصن أرسل كتبا كثيرة مع العبيد وغيرهم من الرجال الى الاحياء ومن لهم من الابطال يحرضهم على القدوم لبنى عبس حتى يحل بهم النكال فما وصل كتاب الى قبيلة من قبائل العرب الا وساروا بالفرس والنجب وكل منهم طالب بنى عبس لاخذ الثار وكشف العار هذا وبنو عبس قد ساروا كما ذكرنا طالبين جبال الروم ووادى الرمال على التحصن هناك لاجل القتال وما زالوا سائرين والى ذلك المكان طالبين فاتت طريقهم على أرض يقال لها أرض المصانع وفيها غدير من الماء نابع يتدفق ماؤه ويبرق حصاؤه وقد فاحت أزهاره وناحت أطياره وطاب مزاره فنزلوا فى هذا المكان لما رأوا من طيبة تلك الالوان ليستريحوا مدة من الزمان ولم يعلموا ما خبى لهم فى الغيب من حوادث الزمان ﴿ قال الراوى ﴾ فبينما هم نزول فى هذا المكان وتلك الديار واذا بالغبار من خلفهم قد ثار حتى سد منافس الهواء وتلك القفار وعجاجته قد طلعت وزوابعه قد ارتفعت وكان ذلك ساعة من النهار وبان ما تحت الغبار للنظار وانكشف عن فرسان بعدد الرمال وقطر السحاب وقد ساروا من كل فج عميق ووادى سحيق وأسنة تلك الفرسان تلمع وخودهم فى ضوء الشمس تشعشع وما فيهم الا كل بطل صميدع ومن كثرتهم قد سدوا أعين الشمس والفضاء وهم مقبلون مثل حلول القضاء وهم ألوف لا تعد ولا تحصى بعدد الرمل والحصى وفى أوائلهم كثير من بنى فزارة وبنى ذبيان وبنى مرة وبنى همدان وبنى شنيس وبنى زهران وبنى أسد وبنى شيبان وبنى غبر وبنى حنظلة وبنى نبهان وبنى غنا وبنى كلاب وبنى الوحيد وبنى ضبيان وبنى مشاجع وبنى صعصعة وبنى كلب وبنى وبرة وبنى يربوع وبنى ذهل وبنى جديلة وبنى زهرة وبنى السكاسك وبنى السكون وبنى زغبة وبنى رياح وبنى هلال وبنى كنانة وبنى جيهان وبنى طى وبنى عادى وبنى تميم وبنى قحطان وبنى أمية وبنى حمير وبنى سعد وبنى الجريش وبنى هوازن وبنى جشم وبنى مراد وبنى الاشجع وبنى الحكم وبنى وشاح وبنى باغض وبنى كهلان وسارت تلك القبائل من كل النواحى مقبلة وواصلة من سائر الوديان والشرح هاهنا يطول فى أسماء القبائل وذكرهم يطول ربما يصير الفعل من سماعه مذهول ﴿ قال الراوى ﴾ وكانت جملة القبائل التى اجتمعت على هلاك بنى عبس فى ذلك النهار وأتت طالبة منها أخذ الثار مائة ألف وثلاثة وثلاثين ألفا لانهم سدوا السهل والجبل وملؤا بكثرتهم كل واد ومنزل ولما ان رأت بنو عبس الى ما قد أتاهم من القبائل قال لهم الملك قيس يا بنى عمى لا تهدموا ما بنيتم من المجد على طول الابد والدهر فموتوا كرام ولا تعيشوا لئام وما بقينا نريد حياة بعد حاميتنا عنتر البطل الامجد والفارس الاسود الذى كانت ناره لا تخمد وكان يخشاه كل أحد وقهر مثل كسرى وقيصر وملوك بنى الاصفر وأتته الهدايا منهم من كل شئ مفتخر والآن قد أخذه منا القضاء والقدر الذى ما للعبد منه مهرب ولا مفر وما بقينا نلقى لنا محامى ولا من يجد فى نصرتنا الا ان يكون قوائم سيوفنا الى أن يموت كبيرنا وصغيرنا ولا يبقى منا الا عبد ولا أمير وهؤلاء القبائل قد أقبلوا اليكم فقابلوا الموت بوجوهكم ولا تلقوه بظهوركم فما خلد أحد منكم فى هذه الدنيا الساحرة التى قد أهلكت الملوك الجبابرة ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمعت بنو عبس من الملك قيس ذلك المقال طاب لهم الموت على كل حال وأيقنت بقرب الآجال وفى دون ساعة ركبت خيولها واعتقلت برماحها وذوابلها وتقلدت بصفاحها ونصولها واستقبلت الموت بوجوهها وعملت مجهودها وتصايحت جيوشها وجنودها ورفعت أعلامها وبنودها وتقدم الملك قيس امام بنى عبس وعن يمينه ويساره جيشه واخوته وأعمامه ومن خلفه أكابر قومه وسار بهم الى الميدان واصطفت الفرسان قدام الفرسان وكان حصن بن حذيفة وابن أبى حارثة سنان امام العربان الذين قدمنا ذكرهم فى هذا الديوان ولما ان رأى الملك قيس قد أقبل بمواكبه وعشائره وكتائبه صار يهدد قيسا بالقتل وخراب الديار وهو يكثر عليه من الهذيان والفشار ويقول له يا ابن زهير اعلم أنه ما بقى من أجلكم الا القليل ولابد ما يبقى بعد يشكم جيلا بعد جيل فيا طول ما نهبتم الارواح وضربتم فى وجوه العرب بالصفاح أنتم وعبدكم عنتر مساء

وصباح فأين حاميتكم الذى كنتم تكنونه بأبى الفوارس وتفضلوه على كل قائم وجالس فما حسبتم حساب انقلاب الزمان ولا أيقنتم بطوارق الحدثان أنسيتم يوم جفر الهباءة فان كنتم نسيتموه فانا ما أنساه ابن أبى حذيفة واخوته وأكابر عشيرته فوالله ما أنسى ما جرى لابى حتى أبقى حداه فقال قيس والله يا حصن ما ذاقت منا منالك المراد ولا زالت منك لولا الفؤاد وسوف ترى ما يقع لقومك منا عند الطراد واعلم أنه طاب لنا الموت ولا ذلنا كاسه استعذبناه من يوم فقدنا حاميتنا وعدمناه فيا حصن لا تذكر من مات وراح وسكن المقابر الفساح ولو كان عمل ما عمل ما بقى عليه جناح فخذوا فى أسباب الحرب والكفاح والبراز من كل فارس جحجاح وفارس وقاح والآن فهذا طريق نسلكه كل أحد ولا يخشى عليه لا أبيض ولا اسود وما هى الا موتة واحدة وكل الاشباح عليها واردة وما يموت الانسان موتتين ولا لكل واحد منا أن تصيبه هذه المين وجدوا فيما عزمتم عليه واتيتم بهذه الجموع المجمعة وها أنتم وفرسانكم وأنا فقد فرغ زمانى وبقى زمانكم ودونك والحرب واللقا لتنظر بعينك من يسعد منا ومن يشقى ولا تهددنى بكثرة القبائل وما قد جمعت علينا من الجحافل ولا تذكر لى فعل حاميتنا عنتر بعد ما مات وانقبر واغتاله القضاء والقدر وكان فارسا تكل اشجاعته الفرسان وتخاف منه وتخشاه ملوك الزمان فقال حصن وحق ذمة العرب الاكابر يا ابن زهير ما بقى لك من الموت ناصر واليوم تحمل عليكم هذه الجيوش وتقطعكم بالصفاح وضرب البواتر وتسبى ابنتك الجماء صاحبة الوجه الناضر والجمال الباهر قدام عينك وأنت اليها ناظر فان لى زمان وأنا عليك صابر حتى فقدتم ذلك العبد الزنيم والوغد الأثيم عبد شداد الذى كان يحميكم من النوائب وكنتم قد قدمتموه على كل صاحب ولكن الكلام معك يا ابن زهير فى هذا الوقت ضائع لان نجمك قد أفل بعد ما كان طالع ثم انهم أرادوا الحملة على بعضهم البعض حتى انهم يفنوا بنى عبس ويقطعوهم فى تلك الارض وكان النهار قد ضيق ووقع بهم الاياس وضيق الخناق فقال قيس يا ابن حذيفة اعلم ان النهار قد ولى ورحل وما بقى أحد يبلغ من صاحبه أمل ولكن اذا أقبل النهار يفعل الله ما يشاء ويختار ثم ان الملك قيس ألوى عنان جواده وعاد وما كانت عودته الا لانه قد خطر بباله خاطر وأمل ان يبلغ به المراد ولم يزل الى أن وصل الى قومه وقد أيقن بذهاب أمسه ويومه فاستقبله قومه وسألوه عما جرى وصار فاخبرهم بما كان منه ومن حصن بن حذيفة من الاخبار وما وقع له معه من العتاب والملام وما قالوا لبعضهم من المقال والملام ثم انه قال وانا يا بنى عمى قد خطر لى خاطر وربما نجينا به من قدام هذه القبائل والعساكر وكان قيس كما ذكرنا فى مبتدأ الكلام يسمى قيس الرأى وكانت بنو عبس تقتدى برأيه فى كل ما أراد فقالوا له قل ما شئت فاننا نتبع لك فى كل ما هويت فقال لهم يا بنى عمى ان كنتم تطيعوا ما أقول لكم من الخطاب فانما تجمعت علينا هذه الاعداء ليفنونا ويبلغوا منا الارب ويفنوا منا الشيوخ والشباب ويسبوا نساءنا والبنات الاتراب وهذا الامران فعلوه معنا نعاير به ليوم القضاء والحساب ولكن من الرأى الصواب أننا ندعهم لا ينتفعون بعدنا من مالنا بعقال ولا يبلغوا من نسائنا آمال وذلك ان كل انسان منكم يذبح ما عنده من النوق والجمال وتركب النساء على ظهور الخيل هم والعيال وتضرموا النيران فى الاثاث والمتاع والاقمشة والمصاغ وما به الانتفاع وأعلقوا بعض النياق الجمال وعرقبوهم بالسيوف الصقال وامنعوا عنهم أولادهم الصغار واطردوهم بالجنادل والاحجار واعقدوا الدخان فى ذلك الوادى يا رجال حتى كانه جهنم من شدة الاشتعال وذلك نفعله حتى لا تنتهبه الاعداء الانذال وبعد ذلك نركب الخيل الجياد ونهجم على الاعداء ونضرب فيهم بالسيوف الصقال والرماح الطوال ولم نزل نضرب فى ذلك الجيش الجرار الى أن ننفد نحن والنساء الاحرار والعبيد والمولدات والجوار ونفنى ونضيع بين تلك العشائر الكثار ومن كان له عمر مديد منا يسلم ومن أجله قد اقترب يهلك وبعد قال فلما سمعت الرجال من الملك قيس ذلك الخطاب رأوه صوابا وفعلوا كل ما به أمر من المقال وبعدها تحضروا على الحرب والقتال وما زالوا على هذا الرواح الى أن أصبح الله بالصباح فقاموا الى جمالهم أبركوها والى

الفصلان عن أمهاتها أخرجوها فصارت تحن الى بعضها البعض الى أن امتلأت عقاتها وضجيجها الارض وأخرجوا متاعهم وأطلقوا فيه النار وعادوا الى الجمال المعقولة بالسيف وعرقبوها فعندها شقت الفصلان فتعجبوا من ذلك الامر والشان وتبادرت الفرسان وساروا يذبحوا منها ويشوا على النيران حتى ارتفع لها غبار ودخان فلما ان رأى حصن بن حذيفة الى ذلك الحال قال لسنان بن أبى حارثة الاترى يا ابن العم الى ما فعلت بنو عبس وما هذه الاحوال فقال سنان ان هذا أمر عيان بيان ويعرفه كل انسان وذلك ان بنى عبس قد قل عندهم الماء والزاد فارادوا بذلك التخفيف وعدم النفاد وهم يرجون ويؤملون انهم ينجون من هؤلاء الفرسان ولم يعلموا أنهم قد دنا منهم القلعان وان تلك العشائر قد أحاطت بهم من كل مكان فبينما حصن مع سنان فيما دار بينهما من الكلام واذا قد ارتفع من الجبال الدخان وانعقد حتى صار مثل الظلام وزاد القتام وانقام (قال الراوى) وذلك ان بنى عبس لما تضاحى عليهم النهار وبان ورأت تلك العرب المجمعة قد اشتغلت بما وقع فى أيديها من الفصلان فاطلقت النار فى الاثاث والجمال وفيما كانت قد احتوت أيديهم من الاموال وبعدها ركبوا وخرجوا من بين الخيام وكل رجل منهم خلفه ماله من البنات والعيال ولما زادت النار فى هذا الوادى اشتعال ورأت الجيوش المجتمعة الى هذا الحال لم تجد لها بدا من نهب الاموال وهجمت الى داخل الجمال قبل أن يقع الحرب والقتال فلم تجد الا نارا زائدة الاضطرام والاشتعال ولم تر واشيا مما أملوه من تلك الآمال فعادوا راجعين على الاعقاب وقالوا هذا الامر ما كان لنا فى حساب ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من بنى عبس وما صار لهم من الارتياب فانهم هجموا على الخيمة التى فيها حصن وسنان وكان الملك قيس واخوته فى أول الفرسان فوجدوهم قد هموا للركوب وتجهزوا للضرب والطعان فعندها اغتنم قيس الفرصة وأراد أن يكشف ما بقلبه من الغصة فلاقى حصنا وهو خارج من باب المضرب وتمطى فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره فانقلب حصن على الارض وتكركب وشرب شراب العطب وأما سنان فان أسيد طعنه فى صدره أطلع سنان الرمح يلمع من ظهره وبعد ذلك انعطف على مالك بن بدر وطعنه فقتله وعلى الارض جندله وبعدها صاحت بنو عبس وعدنان وبذلوا فى الاعداء السيف والسنان واظهروا ما فى قلوبهم من الاحقاد وانحطوا على بنى قراد انحطاط العقبان فقتلوا منهم نحو المائتين فارس من الاعيان وبعد ذلك دارت بنى عبس سائر العربان وحملت عليهم من كل جانب ومكان وحملت بنو عبس وقد بذلت فى الاعداء سلاحها وقد أيقنوا بفسادها بعد اصلاحها وقد أحاطت بهم تلك القبائل والجحافل وتساوى بينهم الفارس والراجل فابدلوا بالذل اعزازهم وقتلوا منهم كل فارس نبيل وصار العز بذليل دثلثمائة قبيلة حملت على فرد قبيلة واحدة ونساء وعبيد وجوار وبنات أبكار فلم يكن لبنى عبس بهم طاقة ولا على حربهم فكانوا بينهم كالنقطة البيضاء فى الثور الاسود فلم تكن الاساءة حتى فرشوا به بنى عبس على الحصى والجندل وداسوهم فى الارض بسنابك الخيل دوس الحنظل وجرت دماؤهم على ارض مثل جريان الماء وكانت تلك الوقعة تسمى وقعة الفناء مما حل ببنى عبس من الويل والعنا ولم يسلم من بنى عبس الا من كان جواده سابق وأكثرهم قد حلت بهم البوائق فكان ممن نجى الملك قيس بن زهير فانه بعد قتله لحصن بن حذيفة وقد أشفى قلبه من تلك الامور المخيفة تاره وصار هائما على وجهه فى الوادى ونجا بنفسه وابنته خوفا من الفضيحة والشنار وأن يركبه بعد ابنته العار ولم يزل سائرا مدة أيام وليالى وهو غائص فى البر والآكام وصار يقتات هو وابنته من نبات الارض والهوام الى أن أقبل على بحر الفرات فعندها أرخى لجواده اللجام فهوى به فى وسط البحر كانه النعام أو مثل ريح الجنوب اذا خرج وقد جرى به فى الامواج واللجج فنجاه هو وجواده وأما ابنته فانها وقعت من خلفه فى البحر فهلكت وماتت موت الفجأة وأما قيس فانه لما طلع قصد البر والفلاة فارمته المقادير الى جزيرة كانت هناك قريبة من بلاد الروم فسار فيها يومين وليلتين وأصبح فى أرض واسعة ومياه نابعة وفى وسط تلك الارض صومعة

وفيها راهب من بعض الرهبان فدخل قيس الى الصومعة وقتل الراهب وجلس فى مكانه وموضعه وترهب قيس وانقطع من تلك الصومعة ومكث فيها ليالى وأياما ينتظر ما يأتى من حوادث الزمان فهذا ما كان من الملك قيس وما قدر عليه من الاحكام ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من بنى عبس وما وقع لهم من الكلام لما جرى لهم من ذلك الامر الذى اتفق قاتلوا أعداءهم الى أن أدركهم الغسق وافترقوا فى البر ثلاثة فرق الفرقة الاولى طلبت مكة والبيت الحرام والفرقة الثانية طلبت الجبال والآكام والفرقة الثالثة طلبت اليمن وقد خافت أن يحل بها ما حل بأصحابها من المحن فكان من الفرقة التى طلبت مكة زهير بن قيس وباقى بنى عبس وقد طلبوا البلاد وخافوا من العدى أن تقع منهم الاثر فقال لهم زهير يا بنى عمى ان قصدنا البحر وأتينا بأنفسنا اليه هلكنا مثل ما هلك أبى وان دخلنا بلاد اليمن عاث بنا المصائب والمحن لانكم كما تعلمون ان ما لنا فى تلك البلاد صديق ولا رفيق ولهم علينا ثار من قديم الزمان من عهد حامية عنتر وأبى قيس وجدى زهير بن جذيمة وما لنا الآن الا ان نقصد مكة والبيت الحرام ونلحق ببنى عمنا ونستجير بالبيت العتيق وتلك المشاعر العظام الى أن ننظر هذا الرجل الذى يشيعون عنه هذا الكلام انه يظهر فى تلك الايام ويدعو الناس الى الهدى والاسلام ومن بهائه تظله الغمام ويبين للناس الاحكام ويظهر لهم الحلال من الحرام ويرمى من على الكعبة الاوثان والاصنام وقد قرب الله أوان ظهوره وشملنا ببركاته ونوره فلما سمعت بنو عبس ما أشار عليهم زهير من هذا علموا ان رأيه تمام وان قوله سديد فقالوا له أيها الملك شأنك وما تريد فليس لنا عن هذا الامر محيد ونحن بين يديك أطوع من العبيد ثم انهم ساروا وقصدوا مكة والبيت الحرام بعد ما دار بينهم من الكلام وقد قطعوا البر والآكام ولما وصلوا الى مكة كان الموسم قد انقضى وتفرقت قبائل العرب وراح أوان الحج وانقضى ﴿قال الراوى﴾ وما جرى من الكلام العجيب الذى يذكر على قوافيه وقواعده بحسن الترتيب ان الفرقة الاولى كانت قد وصلت الى مكة وأعلموا أهلها بالخبر وقالوا لابى طالب عن موت حاميتهم عنتر وكان عبد المطلب قد انتقل بالوفاة وهو الذى كان يتعصب لعنتر وفى سائر أموره يتلافاه فلما علم أهل مكة بموت عنتر فمنهم الامن بكى عليه وتحسر ولحقهم عليه الاسف العظيم وصار لهم من أجله الغم المقيم وقالوا وحق زمزم والحطيم ومقام الخليل ابراهيم ما بقى مثل عنتر فى سائر الاقاليم فقالوا لهم بنو عبس ان قبائل العرب بعد موته قد اجتمعت علينا وأقبلت من سائر الجهات الينا وقد فعلوا فينا فعال الاذميم وقتلوا منا الاولاد وسبوا الحريم وتفرقنا وانهزمنا عن الاوطان وغاب ملكنا قيس ومعه جماعة من الاخوان فما ندرى ما جرى عليهم من نوائب الزمان وهذا كله لفقد حاميتنا عنتر الذى كان تهابنا لاجله جميع العربان ﴿قال الراوى﴾ فبينما بنو عبس مع أهل مكة فى الحديث وهم يشكون اليهم واذا بالفرقة الثانية التى فيها زهير بن قيس قد أقبلوا عليهم وسلموا عليهم وأخبروهم بما تم عليهم ونالهم ففرحوا بسلامة بعضهم البعض ووصولهم الى تلك الارض وجعلوا يتقاوضون بالسلام وتلقاهم أيضا أهل مكة بالتحية والاكرام ونزلوا عندهم فى أعز مكان ﴿قال الراوى﴾ وكان الموسم كما ذكرنا قد انقضى وكل من العرب سار الى دياره ومضى فنزلوا واطمأنوا على أنفسهم فى نزولهم بجوار البيت الحرام وطاب لهم هنالك المقام وقد سلموا مما أصاب قومهم وأهلهم من القتل والاعدام وذلك كان ببركة تلك المشاعر العظام وبركة انتظارهم الى المظلل بالغمام فهذا ما كان من بنى عبس وعنتر وما جرى لهم من تصاريف الايام ﴿قال الراوى﴾ وأما جرى من حديث عمرو ذو الكلب وأخته الهيفا لما ذكرتهما بنو عبس وعنتر فى هاتيك الايام وساروا عنهم ومات عنتر وجرت عليه هذه الاحكام ورحلت بعدهم بنو قضاعة وكل منهم يريد أن يصل اليها فى تلك الساعة ﴿قال الراوى﴾ وكان عمرو ذو الكلب أميرا لهم كما ذكرنا فى أول الخبر وقد تسلى عن الاوطان بعاشرته لعنتر فلما مات عنتر وحكم فيه القضاء والقدر عادوا راجعين الى أوطانهم وهى أرض شريف وتلك الوهاد ونزلوا فيها ونصبوا خيامهم ودقوا المضارب والاوتاد وكانت الهيفا أخت عمرو ذو الكلب حاملا من عنتر لاننا ذكرنا لكم انه تزوج بها قبل دخوله المرة الثانية من أرض الروم وهى بلاد الملك قيصر ولما وصلوا بلادهم ونزلوا فى أماكنهم تناسيا أنستهم الديار وأقروا فيها القرار

وفرحت أهاليهم واجتمع بأصحابهم شملهم ومضت عليهم الايام والشهور وقد اصطار جال ماندرى ما يفعل بها من الامور وقد قل نشاطها وكثرت آلامها وعياطها ومازالت هذه حالاتها الى ان آن أوان ولادتها فوضعت مولودة وهى كأنها الليلة الظلماء مهدلة الاشداق حمرة الاحداق مفتولة السواعد والاعضاء وهى أشبه الناس بأبيها عنتر بن شداد فلما ان رأتها أمها تشبه أباها وهى كأنها اياه قالت فى نفسها سبحان خالق البشر ثم انها عرضت هذا الامر على أخيها عمرو وقالت له أى شئ يا أخى تسمى هذه الطفلة التى كانت السبب لحركتنا والنقلة فقال لها يا أختاه سميها عنيترة عسى انها تخلف أبيها فى القوة والشجاعة والقهر ويشيع ذكره بعد الافتقاد وتطيعها سائر العباد فسموها عنيترة وقد أحسنوا فى تربيتها الوداد وكل ذلك محبة لابيها فربتها أمها أقناصة الرجال وأحسنت تربيتها بالنعم والدلال ومرت عليها الايام الى أن صار لها خمس سنين فصارت تعافر الكلاب والذئاب وتخاصم العبيد وترميهم بأسهم النشاب ومازالت كذلك الى أن بلغت من العمر عشر سنين وسارت أمها مع الهيفاء وأخوها عمرو واذا ركبا يركبوها ويأخذوها معهما ويخوضون بها القفار ليلا ونهار ويطاعنوها فى الميدان ويعلموها من أبواب الحرب الزيادة والنقصان الى أن تمهرت وبقيت من أرباب الشجاعة وبانت واشتهرت بالقوة والبراعة فلما تكامل عقلها وحسن حالها واشتدت أوصالها وصارت كل صباح تركب مع بعض رجالها وهى تظن ان عمرا أبوها ولم تعلم انه خالها ﴿قال الراوى﴾ وقد بلغنى عنها انها من حين كانت بنت خمس سنين وهى لا تركب الا معممة ملثمة وكانوا بنو عمها يعلمون انها جارية ويعرفون منها ذلك والغير ما يظن الا انها فحل ذكر وما كان أحد من أهلها ولا من غيرهم يقدر أن يمد يده اليها بسوء ولا يجسر ان يلم بساحتها عدوا ﴿قال الراوى﴾ وان خالها عمرو ذو الكلب ركب فى يوم من بعض الايام وخلفه أربعة آلاف فارس من الكرام وطلب الغزو الى بلاد اليمن وهاتيك الآكام والدمن ولما أن سار هو ورفقته سارت عنيترة فى صحبته ثم انهم جدوا فى المسير حتى أبعدوا عن بلادهم بأيام كثيرة فبينما هم على ذلك الجد والتشمير واذا قد اعترضهم أسد فى قدر الثور الكبير وله زفير وشخير وهو يهدر ويدبر كأنه رحاف بير وله شهيق وعياط وعزم نهيض ليس فيه تفريط فالويل كل الويل لمن به وقع وله أنياب ومخاليب كأنه خنجر وهو كما قال فيه الشاعر

عبوس هزبر الصبر به ظاهر * جرى على الشجعان للضد قاهر
برأس كرأس الغول عيناه فى الدجا * كجمر اللظى فى وجهه الشر ظاهر
يذل بأنياب حداد بواتر * كأنهما سيفان عند النواظر
ويسطوا بأسنان غلاظ كأنها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر
وطول يحاكى الثور فى عظم قدره * ولكنه يأوى ببعض الجزائر

﴿قال الراوى﴾ فلما عاين الامير عمرو الى ذلك الاسد هاله منظره وأراد أن يقتله وهم أن يترجل اليه واذا بعنيترة قد تقدمت اليه وكان عمرها خمسة عشر سنة وحلفت عليه وقالت له لا وحق ذمة العرب وشهر رجب والرب الذى اذا طلب غلب وعن العين احتجب لا يبرز اليه الا أنا وأسقيه كاس الفنا ولا أدع كلبا من كلاب البر يساويك وأنت الاسد الفحل ثم انها فى ساعة الحال ترجلت عن الجواد وأدارت أذيالها فى دور منطقتها وأخذت سيفها فى يدها وسارت الى الاسد بقلب أقوى من الجلمد وسواعد أقوى من العمد * قال فلما رآها الاسد وقد أقبلت نحوه همدر وزمجر وزعق زعقة تفلق الحجر فانزعج بها البر الاقفر ثم ان الاسد توطا الى الارض حتى ما بين طوله من العرض فقصدته عنيترة ولم تعتن به وهزت السيف حتى لمع الموت من افرنده وتضاحكت المنايا من حده وطلبته فوثب الاسد اليها بسرعة فاستقبلته عنيترة بضربة جاءت بين عينيه ثم صار السيف يهوى الى بين فخذيه وذلك من شدة الضربة وقوة الهمزة فوقع على الارض قطعتين وانقسم فرقتين ﴿قال الاصمعى﴾ وكان ذلك السيف الذى كان فى يدها عمل من صاعقة وكان قد اهداه لعنتر بعض الملوك العمالقة

وكان من خيار السيوف وكان قد أهداه عنتر لها عمر ولما رافقه وأعطاه عمر لعنيترة فلما اقتلت به الاسد تعجب منها كل أحد ثم انها تقدمت الى الاسد ومسحت السيف فى جلده ففرح بها اخاها وأظهر لها السرور والفرح واتسع صدره وانشرح وشكرها على فعالها وكذلك بنو عمها وأهلها وقال عمر وذو الكلب فى نفسه من داخل الفؤاد قد أخاف الله علينا عوض عنتر بن شداد ومن تشبه بابيه فما ظلم قال وكان كلما رأى فعالها يتذكر عنترا والدها ثم انهم بعد ذلك ساروا بالليل والنهار غدوا وابكار الى أن وصلوا الى أول بلاد اليمن وقار بوادى ارصنعاء وعدن فبانت لهم حلة من بعض حال العرب بشراعات واصلة من ذهب وكانوا قد أقبلوا عليها عند السحر فرأوها حلة عظيمة تذهل البصر بقباب وخيام وعبيد وخدم وأموال ونعم ومواشى على مداودها تمرح وأغنام تسرح وأهل الحلة فى هرج ومرج ودخل وخرج ﴿قال الاصمعى﴾ وكانت هذه الحلة لاخت الحارث أبو سبيع الحميرى وكانت عمة ذى الخمار وكان عنتر طول عمره ما طرق هذه الديار الان فرسان بنى قضاعة غاروا على تلك الحلة وما فيها من الاموال والخيل والعبيد والنوق والجمال وكان فى مقدمة الخيل عمرو وذو الكلب وأخته الهيفا فى جماعة من الابطال وعنيترة قدام الكل وهى كانها الاسد الرئبال فعندها صاح عمرو فى أصحابها وقال الخيل يا أرباب الخيل دونكم وهذه الاموال وهذه الغنيمة الذى لها قدر وقيمة ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت عنيترة من خالها ذلك الكلام أطبقت على رجال الحلة هى ومن معها وحطموا على الاموال فاقطعتها عنيترة وساقتها عن بكرة أبيها وتركتها وراءها وهمت أن تلوى عنان جوادها واذا بالنفير قد وصل الى الحلة والخيل قد طلعت من بنى حمير وفى أوائلها غلام أسمر كانه الاسد فى تقاطيع الاسود بقلب أقوى من الحجر الجامود وهيبة الامراء عليه وهو كانه هائشة بريه واسع الباع طويل الذراع لا يخاف ولا يرتاع أكحل العينين مقرون الحاجبين قوى العزمة كثير الهمه فلما قرب من خيل بنى قضاعة كشف اللثام عن وجهه وإذا هو كانه بدر التمام حسن القوام بادى الابتسام وكان هذا الغلام يسمى أسد الفلاة الحميرى وكان ابن بنت الزرقاء سيدة هذه القبيلة التى ذكرنا نسبتها فلما لحقهم صار ينادى بهم ويصيح ويلكم يا مذلول أين تنجون من أيدينا انتم ممن يغار على أموال مثلنا وتنهبوا أموال الحية الرقطاء والذئبة اللقا التى لا تمل من الشقا سيدة بنى حمير وقاهرة كل من سكن البر الاقفر التى لا ترهب الابطال ولا تخاف الاقيال ممدودة الى حد أرض تهامة أتظنون أنكم تأخذون أموالها وترجعون الى أوطانكم سالمين وتمضون من بلادها غانمين فان من دون ذلك جز المعاصم وبرى الغلاصم وفلق الجماجم وها أنا ابن بنتها أسد الفلاه وسالك طريق العلاء ثم انه أشار اليهم على هذا الحال وجعل يوبخهم وهو مع ذلك ينشد ويقول

فها نحن فرسان وقوم أعزة * ليوث كرام فوق كل الاعارب
ونحمى حمانا بالسيوف وبالقنا * ونسقى الاعادى من شراب المعاطب
وننهبهم بالسيف عمدا وبالقنا * وأحوالنا مشهورة فى الكتائب
أيسمع عنا فى البلاد باننا * عجزنا عن الاعدا وخوض المواكب
فمن ذا يحاربنا ويقصد حربنا * ونحن ليوث عند موقع المضارب
ومن ذا يفاخرنا وسادات قومنا * بنو حمير قوم كرام الاطايب

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ أسد الفلاة من ذلك الشعر والنظام وسمعت عنيترة ما أشار اليه من ذلك المرام أبدت من هذيانه الضحك والابتسام وقالت له فى است أمك وأمز قاء معك يا ويلك اقصر عن هذا الفشار يا مذلول الشارب وأخس فرسان الاعارب فنحن فرسان بنى قضاعة أهل المروءة والشجاعة والفروسية والبراعة ثم انها قومت نحوه السنان وقالت له دونك والطعان والتقى بعنيترة القضاعية التى افتخرت باجدادها العالية وأبوها عمر وذو الكلب الذى ذلت لهيبته فرسان العرب القصية منهم والدنية ثم انها حملت عليه وصوبت بالطعنة اليه واستقبلته وهى تقول



ونحن أولو العليا أصولى قضاعة * رجال اللقا فى الحرب والنقع ثائر
وفارسنا عمرو فهو خير فارس * له الاصل والفرع الطويل الظاهر
له الجود والافضال والبذل والعطا * وفرسانه شبه الاسود دوائر
اذا ما رأوا حربا يريد سرورهم * ومالوا اليها بالسيوف بواتر
وانى أنا عنيترة الوغا * جدودى قضاعة ليوث كواسر
أبى قاهر الابطال والبطل الذى * تذل له الابطال والحرب دائر
قضاعة قومى هم أجل قبيلة * وهم منهل للعز والخير وافر
وانى أحامى عن رفاقى وعترتى * وأهزم هذا الجيش والسعد ناصر
ونحن سراة الناس أولاد ماجد * ليوث الوغا ما بين بادى وحاضر

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغت عنيترة من شعرها حملت على أسد الفلاة وحمل هو أيضا عليها حتى طلع عليهما الغبار ودام بينهما الجولان ساعة من النهار وقدحت حوافر خيلهما نار وتطاعنا بالسنانين وتضاربا بالسيفين والاعين عليهما شاخصة وعقبان الآجال على رؤسهما واقعة هذا وعنيترة تصول وتجول وأسد الفلاة وقع فى أمر مهول وصار يجول ويصول وأما الجوادان فقد عرقا من الطراد واللقا واعتراهما النصب وأخذوا فى الهزل والجد والصد والرد وما كان غير بعيد حتى بان الفارس الصنديد من الجبان البليد ثم انكشف عنهما الغبار وبان للابصار واذا بعنيترة على أسد الفلاة قد استطالت وصاحت صياح اللبوة وانصبت عليه انصباب الغيث اذا هطل وضربته بالسيف على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه ثم جالت فى الميدان وقالت هل من مبارز هل من مناجز هذا موقف الطعان والضرب بالسنان ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك برز اليها فارس ثانى فقتلته وثالث جندلته ورابع أعدمته وخامس رمته وسادس فى أهله فجعته وسابع فى الحرب خذلته وثامن عجلت منيته وتاسع أهونته وعاشر فى الارض عفرته وما زالت على تلك الحالة حتى قتلت خمسة وعشرين فارس بالتمكين وتركتهم على الارض مطرحين قال ولما رأى بنو حمير الى هذا الامر المنكر والى ما حل بهم من العبر من بنى قضاعة وقد قتلت خمسة وعشرين فى ساعة أطلقوا الاعنة وعنيترة فى أوائلهم وخالها عمر وذو الكلب فى مائة فارس وتركوا الباقى حول المال والنوق والجمال ثم ان عنيترة نادت أنا لبوة العجاج الضاربة بالحسام الوهاج أنا قاتلة الرجال أنا مبيدة الابطال ثم صاحت وتكلمت ولم تطل الخطوب ولا كثرت من العتاب بل انها حملت كانها صاعقة نازلة أو كانها منية واصلة ثم صاحت فى فرسانها وقالت لشجعانها دونكم والقوم ودعوا عنكم العتب واللوم واتركوا الدماء على الدروع طراز ونجز وأمركم غاية الانجاز ثم انها انقضت على الفوارس وأذاقتهم ضربا يورث التلاف والوساوس وطعنت فى صدورهم أخرجتها من ظهورهم هذا وهى تحمل بتلك المائة فارس الذين من بنى عمها وكانوا فرسان الهياج وليوث العجاج وحمل معهم أيضا عمر وذو الكلب وعمل فى القوم كما تعمل نار الحرب وصارت الفرسان قدام عنيترة تكبكب ولها قلب أقوى من الحديد وأصلب ونكست الفرسان وأبادت الابطال وأهلكت الاقران وبددت الاعداء من القتلى فى ساحة الميدان ورأى عمرو منها فى ذلك اليوم العجيب وأسقت الفرسان شراب العطب وأقبلت أول القوم على آخرهم وشقت بطونهم وفطرت مرائرهم ورأى بنو حمير من عنيترة وأصحابها فرسان وأى فرسان يرون الموت مغنم والحياة مغرم ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك ولوا الادبار قدام عنيترة هزائم كانهم البهائم وتبعهم بنى قضاعة وهم فى ثلاثة آلاف وانفرد منهم ثلثمائة فارس بلا خلاف وساقت الاموال والنوق والجمال وما زال بنو قضاعة خلف بنى حمير حتى تشتتوا فى البر الاقفر وهم يتعثرون بالاطناب والخيام والقباب ولم تكن الا ساعة حتى وصل الخبر الى الزرقا لانها كانت نازلة على جانب واد من أودية تلك الارض وكان بعيدا عن موضع الوقعة مقدار فرسخ طولا وعرض وهى تتحدث مع أكابر قبيلتها ووجوه عشيرتها وهى فى أكل وشرب ولعب وانشراح

وأكل طعام وشرب مدام وقد ذهب عنهم الهم والأتراح وهم من اللهو والطرب لا يعرفون الليل من الصباح فلم تكن الا ساعة حتى نزلت بهم الاتراح ووصل اليهم الخبر بما حل بقومها من العبر ولما سمعت بهذا الخبر قالت لهم ويلكم ومن هو الذى قدم علينا من ملوك العرب وأتى الى أرضنا وتسبب بهذا السبب فقالوا لها يا مولاتنا خيل بنى قضاعة الاشاوس أتوا الينا فى خمسة آلاف فارس ومعهم فارس أسود أسمر أغبر مضار به تسبق الموت الاحمر وهو الذى لجميع الفرسان دبر كانه الموت اذا تصور وهو الذى أغار على ديارنا وساق أموالنا وأخذ نوقنا وجمالنا وقتل ابن بنتك أسد الفلاة وأعدمه الحياة وقتل جماعة من الرجال وأهلك الفرسان والاقيال قال فلما سمعت الزرقاء ذلك الكلام والمقال ما بقيت تعرف اليمين من الشمال وقالت لهم أما سمعتم بهذا الفارس بمن يكنى قالوا بلى سمعناه عند حملته يقول قدام أهله وعشيرته أنا عنيترة بنت عمرو ذو الكتائب أنا اللبوة الاسد القسور أنا بنت قناصة الرجال القضاعية أنا ذائقة البرية وهى التى قصدتك وقتلت أسد الفلا وأنزلت بأصحابنا البلا ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت الزرقاء ذلك الكلام صار الضياء فى عينيها ظلام ولطمت على وجهها ورأسها ورمت من يدها كاسها وانهدم منها أساسها وحيرت جميع ناسها وقالت لعبيدها ائتونى بجوادى وعدة جلادى ففى ساعة الحال أتوها بما طلبت من غير مطال فعند ذلك ركبت جوادها واعتدت بعدة جلادها ونادت بأعلى صوتها يا للرجال فخرج معها جميع من فى الحى من الابطال وكثر القيل والقال حتى تزلزلت الاطلال هذا وقد صاحت الاولاد والنسوان خوفا من السبى والهوان وهرعت الفرسان حتى تكاملت عدتهم أربعة آلاف وخمسمائة عنان وركضت الملكة الزرقا وطلبت ساحة المجال وسارت الرجال خلفها ليشاهدوا ما تفعل من طعانها وضربها وكانت هذه الزرقا فارسة العصر وفريدة الدهر وانها لم تزل على ذلك الحال سائقة وابلها دبروز مجرة حتى لحقت بنى قضاعة وعنيترة الفارسة القسورة فرأتها قد أحاطت ببنى حمير الوبال وأنزلت بهم الذل والخبال وقلعت الحلة باطنابها وأذاقت الحميريين مر شرابها وأسقت القوم كاس عذابها وأوقعت الخوف فى قلوب الرجال وأحاطت بهم الخبال حتى انهم صاروا يتنافرون ودارت طاحون الحرب دائرة والخيل من زعقاتها غائرة ونافرة وقد فعلت هى وخالها فعال الجبابرة وعملت عملا لا يبقى ذكره ليوم الآخرة ولما رأت الزرقاء الى ذلك غضبت غضبا شديدا ما عليه من مزيد ثم قالت لهم ويلكم يا أولاد اللئام غير أولاد الكرام تنهبون مالى وتقتلون رجالى وتسوقون نوقى وجمالى اليوم أنا أبين لكم فعالى ثم انها صاحت على أصحابها ويلكم يا لئام الارواح يا من فعالهم قباح أتنهزمون قدام فرسان بنى قضاعة الذين ما لهم نسب وتفزعون من بعض أنذال العرب وتذلون بين فرسان السبسب فلو حملت عليكم باقى أصحابهم كنتم بقيتم نهبا لخيلهم ودوابهم ولكن أنا الزرقا ✽ واليوم تظهر الفرسان حقا ثم انها حملت قدام القوم وقد أكثرت من العتب واللوم فعند ذلك التقت بهم بنو قضاعة تقدمهم عنيترة وخالها وأمها بقلب وفراسة فالتقى الجيش وتقابل الفريقان ودام بينهم الضرب والطعان وانطرحوا فى الميدان وجالوا على بعضهم الفريقان وقتلوا الفرسان والاقران وطلع الغبار الى العنان وانعقد على رؤسهم مثل الدخان ودام القتال وعمل الصارم فى الابطال وتطاعنوا بالرماح الطوال وجالت الخيل يمينا وشمالا وكثر فى الارض من شدة الركض الزلزال وقربت الآجال ﴿قال الراوى﴾ وكانت الزرقاء قد حملت على بنى قضاعة فى خمسة آلاف فارس من بنى حمير وكان الذين قد لاقوهم من بنى قضاعة ألفين وخمسمائة فارس غضنفر والباقى متأخرون يحفظون الاموال والجمال وكانت عنيترة قدام القوم كما ذكرنا وفعلت فى بنى حمير عملا يعجز عنه أبوها عنتر فى أول منشئه كما قدمنا لانها فى ذلك اليوم كالت الرجال كيلا ووى كيل وقل من بنى حمير عند ملتقى هذه الثلاثة الجبابرة القوى والحيل وصبرت بنى قضاعة على قتلها وطمعت فيها بنو حمير لكثرتها ولما علمت عنيترة ان جيش بنى حمير كبير وجمع غزير حملت طالبة مقدم القوم لان الزرقا كانت قد ساقت قدامها القوم وهى تقاتل وبنو قضاعة هاربة من قدامها وما زالت فى المواكب وتهزم الكتائب حتى التقت بعنيترة فى وسط الميدان

وأخذت معها فى الضرب والطعان وجالا ساعة وقد سترهما الغبار عن أعين النظار فرأت الزرقا من عنيترة حربا ما لها به طاقة ولا صبر ولا استطاعة وقد رأت أيضا عنيترة من الزرقا التقصير وعرفت ذلك منها معرفة خبير وأظهرت لها عنيترة الكسل والعجز والفشل حتى طمعت فيها الزرقا وبالت لها عليها مقتل فعند ذلك عادت الى نشاطها وأظهرت قوتها وانبساطها وحملت عليها عنيترة حملة صادقة وأقامت السنان والطارقة وطعنت الزرقا بعقبه فى صدرها فرمتها على ظهرها وقد غابت من الطعنة عن صوابها ولم تعرف رشدها من خطابها ثم ان عنيترة انقضت عليها مثل العقاب وأوثقتها كتاف وقوت منها السواعد والاطراف وسلمتها الى عبيدها وبعد ذلك حملت على ساداتها وأماجيدها من بنى حمير وأذاقتهم من كفها الموت الاحمر الذى لا يبقى ولا يذر وحملت فى تلك الساعة حملات أبيها عنتر قال ولما رأت بنو قضاعة الى عنيترة وقد أسرت الزرقا وضربت فيهم ضرب من لم يخف فقويت قلوبهم وحملوا حملاتها وتعجبوا من فروسيتها وذاقت بنو حمير من بنى قضاعة ساعة يا لها من ساعة وحرب ما لهم به استطاعة ونظروا الى سيدتهم قد أسرت والابطال قد قتلت فما كان لهم سبيل الا الهرب وتفرقوا فى البر والسبسب قال فعند ذلك تبعتهم عنيترة هى وبنو عمها وهى تنشد وتقول

ولقد تركنا آل حمير بالقنا ✽ عند القياصر تخور من الكرب

وزرقا لعقبان الفلا يأكلونها ✽ يجولون منها كل جزء بمخلب

فابشروا يا آل حمير فى الوغا ✽ فقد وافتكم عنيترة فى الحرب

﴿قال الراوى﴾ فلما سمعوا بنو حمير كلام عنيترة أوسعوا فى الفلاة وطلبوا لانفسهم النجاة وخافوا أن يذوقوا موت الفجأة هذا وسيوف بنى قضاعة تعمل فى ظهورهم أوفى عمل واشتد بهم الخوف والوجل وضاق فى أعينهم السهل والجبل وقد طار منهم العقل والمقل قال ولما أسرت عنيترة الزرقا انهزموا أصحابها غربا وشرقا فأمرت عنيترة بتقديم الاسارى بين يديها وان يعرضوهم عليها ففعلوا ذلك الشان واذا هم ألف وخمسمائة فارس والباقى انهزموا فى البرارى والقيعان وما بقى حولهم لا صغير ولا كبير ولا حاجب ولا وزير وانهزم كل من كان فى الحلة فانتهبتها ولم يتركوا شيئا من حواشيها وبعد ذلك رجعوا وعادوا طالبين بلاد شريف وهم بذلك الجيش المنيف وبنو قضاعة سائرة وبين أيديهم أسرى بنى حمير فى غاية الخوف وعنيترة وخالها عمرو وأمها القناصة فى أوائل الخيل وقد نالهم من فرحهم بالنصر غاية النيل وهى سائرة فى أوائلهم فرحانة بما بان منها من الفراسة والقوة والبراعة وهى أمام القوم وقد صارت لا تخشى من أحد لا عتبا ولا لوم وبان آثار نفسها فى تلك الحالات أشارت تنشد وتقول

رجعنا الى حفظ السلامة والنصر ✽ ومعنا من الاموال ما سعد للفقر

ولما التقينا مع بنى حمير رأوا ✽ رماحنا فى النحر منهم وفى الظهر

أسرت أنا الزرقاء فى حومة الوغا ✽ وعدت بها فى ذلة الاسر والقهر

وأنا لقوم لنا الفخر كله ✽ وقد مزجنا حوله العز بالنصر

أبى عمرو والمعروف فى حومة الوغى ✽ له الغاية القصوى فى البر والبحر

وأمى هى الهيفا وقومى قضاعة ✽ ونحن أصول للفخار مدا الدهر

لنا السعد والاقبال والمجد والثنا ✽ وبالجود والاسعاد تضعف لدى عمرى

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغت عنيترة من شعرها وسمعت الزرقا نظمها ونثرها وفهمت ما ذكرت من أمرها ونظرت الى بنى عمها نظرة الحنق وتمنت أنها لم تخلق وبكت وتحسرت ودموعها على خدودها جرت وقالت واأسفاه يا بنى عمى كيف أسرتنى هذه العاهرة الذميمة والوغدة اللئيمة نسل الخنا وفضلة أولاد الزنا ثم انشدت تقول

أنا أسرنى القوم اللئام تعديا ✽ واسمى سرى فى الناس شرقا ومغربا

حميت بلاد العرب فى صولة القنا ✽ وخافت ملوك الارض منى مهربا

وقاتلت جيش الفرس حتى لقيتهم ✽ وأشفيت نفسي من عداى تعجبا

(قال الراوى) ثم ان الزرقا لما انشدت هذه الابيات كانت بالقرب من عنيترة وهى بحالة الذل والارغام فلما سمعت عنيترة نظمها ونثرها قالت لها ويلك يا عاهرة النساء واخس من قسى ومن تمنى بامل وعسى تكلمى على قدرك وليس شبرك كفترك وأعيدى كلامك على نفسك واعرفى قدر من هى قدامك فقد أسرتك طفلة صغيرة السن من بنات فرسان العرب ولكن هى سيدة بنى قضاعة فى الحسب والنسب وأبوها أذل سادات العرب والفرس والديلم وقتلك فى كل فارس وبطل ونكس كل راية وعلم وجرى له مع القوم حديث يعلم وسعده قد كتب فى اللوح والقلم وهذا هو عمر وذو الكلاب المحتشم (قال الراوى) فلما سمعت الزرقا كلام عنيترة ندمت على لقاها غاية الندم لما علمت انها بنت هذا الاسد الضيغم ثم انهم ساروا الى بلاد شريف مدة اثنى عشر يوما ومعهم من الاموال ما سد الفضاء وملا المستوى وساروا حتى وصلوا الى ديارهم ونزلوا فيها وقر قرارهم وراح كل واحد الى بيته وانست المنازل بالنازل والاوطان بالقاطن وقد راحوا واستراحوا فعند ذلك أمرت عنيترة أن يضربوا للزرقاء أربع سكك من حديد ويعذبوها العذاب الشديد حتى يسمع صياحها كل قريب وبعيد وجعلت تطلب منها الفداء والاموال والنوق والجمال والزرقا تقول لعنيترة أيها السيدة الكريمة عمها طلبنى أحضره بين يديك ولا أبخل به عليك فارسلى أحدا من عبيدك الى بنى عمى يأتوك بالفدا والمال والنوق والجمال ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان منهم وأما ما كان من المنهزمين فانهم لما رجعوا عنهم بنو قضاعة عادوا طالبين أوطانهم فرأوا الغربان تنوح فى أبياتهم والوحوش ترتع فى ربواتهم وقد شمعوا من لحوم ساداتهم والديار قفرى خراب ومأوى البوم والغراب ولا فيها سارحة ولا رايح وقد صارت منازلهم فضايح (قال الراوى) ولما رأى الرجال الى ذلك الحال قال بعضهم لبعض يا بنى عمى البكا من شأن النساء والصواب انكم ترسلون الى سبيع بن الحارث وتعلموه بأمر عمته الزرقا وابوه القافهو يأخذ لكم بالثار ويكشف عنكم العار ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك استصوبوا هذا الرأى والمقال وأنفذوا اليه بعض الرجال يعلموه بهذه الاخبار وما جرى على عمته الزرقا من الاسر والاضرار وخراب الديار (قال الراوى) فلما سمع بذلك ذو الخمار وأعلموه بأسر عمته الزرقاء وبموت ابن بنتها أسد الفلا وما جرى لهم من الحرب والقتال من فرسان بنى قضاعة وما أنزلوه بساحتهم من الامور المرتاعة الا انه لما سمع ذلك الكلام شاط وامتلا قلبه هم وفاض ثم انه قال للرجل الذى أتاه ويلك ومن هو الذى أسر عمتى من ملوك العرب ومن تجرى عليها من ذوى الرتب فقال له الرجل والله ما أسرها أحد من ذوى الرتب ولا من الملوك وما أسرها الا عنيترة بنت عمر وذو الكلاب القضاعية التى أقر لها بالفروسية كل من فى البرية وهى التى قد مضت بعمتك ومن معها الى بلاد شريف وبين يديها عسكر منيف وقد سمعنا بانها تركتها بين أربع سكك من حديد ووضعتها فى العذاب الشديد (قال الراوى) فلما سمع ذو الخمار ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وصاح فى العرب يا لها من مصيبة ما أعظمها ومن بلية ما أشمها ولكن وحق ذمة العرب وشهر رجب لأنزلن ببنى قضاعة العطب وآخذ بثار بنى عمى وعمتى وعشيرتى ثم انه نادى فيمن معه من بنى حمير وقال لهم خذوا أهبتكم للسفر فوحق الواحد الاحد الفرد الصمد الدائم الى الابد لا خليت من بنى قضاعة من أحد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع بنو حمير مقاله أجابوه الى سؤاله وأخذوا أهبتهم للرحيل من غير بطء ولا تطويل وسار معه كل فارس نبيل ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بنى عبس وما جرى من الاهوال عليهم فانهم لما اجتمعوا فى مكة واجتمعوا بالبيت الحرام وقد أمنوا على أنفسهم من غدرات الليالى والايام وكان كما ذكرنا أن زهير بن قيس فى جملتهم وهو الحاكم عليهم والمشار اليه لديهم وان زهيرا كان اجتمع فى بعض الايام هو وبنو عبس الكرام عند البيت الحرام وقد افتكروا ما قد جرى على أهلهم وعليهم من تلك المصائب والآلام وواقعهم الندم على ما حكمت به عليهم الليالى والايام فقال لهم زهير يا بنى عمى اسمعوا منى ما أقول لكم من الخطاب وهو يكون غاية الصواب وهو اننا كنا جيرة العرب من بعد منها ومن اقترب وحكمنا نافذ على من ضرب فى البيدا وتداوم وطنب وقد جار علينا الزمان ورمانا بالذل والخذلان والعيشة بعد الاحباب غاية المصاب ولا بقى لنا عيش يطيب بعد فراق الاهل والحبيب فقوموا

بنا كرام ولا تعيشوا لئام ﴿قال الراوى﴾ ثم قال والرأى عندى أن تعودوا بنا الى لقاء الفرسان والعربان ولكن بعدما نشاور السيد عبد المطلب ونعلمه بذلك السبب ثم انهم قاموا من وقتهم وساعتهم وساروا الى السيد عبد المطلب وأعلموه بذلك السبب ثم انهم ينتظروا جوابه فقال لهم السيد عبد المطلب معاذ الله أن ألقى الفتنة بين قبائل العرب وأفنى منهم الفارس والراجل لا سيما وقد آن أوان ظهور سيد الانام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام سيد ولد عدنان الذى ينطق بفضله الغزال ويرمى الاصنام والاوثان ويبين الحلال من الحرام بأمر خالق الانام ﴿قال الراوى﴾ ولما سمع زهير بن قيس وبنو عبس هذا الكلام وما أبداه من النظام زادت بهم الآلام وحلت بهم الاوهام فقال لهم زهير يا بنى عمى أهل الميت أولى بالبكاء وما بقى أحد يقدر على أخذ ثارنا الا نحن بأيدينا لعل نبلغ من أعدائنا المنا فقال له بنو عبس صدقت أيها الامير فى هذا الرأى والتدبير افعل ما بدا لك فما فينا أحد يخالف مقالك ثم ان زهيرا لما سمع من بنى عبس ذلك الكلام جمعهم وخرجوا من مكة والبيت الحرام وساروا والكل يأخذوا ثارهم ويكشفوا عنهم عارهم فلم يزالوا سائرين فى ذلك البر والسبسب حتى بعدوا عن مكة مسيرة أربعة أيام وهم يقطعون تلك البرارى والآكام ولما كان فى اليوم الخامس وهم فى ذلك البر والسبسب واذ قد التقت بهم أربع قبائل من قبائل العرب فلما رأوا بنى عبس صاحوا عن أسان واحد يا للعرب هؤلاء بنو عبس الاوغاد اسقوهم كأس العطب وما كان يحميهم الا عنتر بن شداد ﴿قال الراوى﴾ وكانت هذه الاربع قبائل من بنى شيبان وبنى مذحج وبنى سنبس وبنى غيلان فلما وقعت العين على العين حان الحين وزعق عليهم غراب البين وتراموا باليدين وقال الخصم للخصم الى أين وكالتهم الفرسان كيلا وأى كيل وحل ببنى عبس البلاء والويل وتكردست عليهم الخيل وصبر كل فارس وقيل وكثر عليهم العدد وأتتهم العرب من كل قفر وسبسب واحاطت بهم جميع العربان وأتوهم من كل مكان وما بقى لهم أخ ولا صديق ولا صاحب ولا رفيق ومزقوهم أشد تمزيق واجتمعت عليهم سائر العرب من بعد منها ومن اقترب ووقعت الكسرة على بنى عبس وراح أكثرهم تحت السيف وما نجا منهم الا من أوسع فى البر وهرب ووقع فيهم الفنا وخاف عليهم الزمان حيفا وأى حيف وهج زهير بن قيس على وجهه فى نفر قليل من أصحابه وكانوا ثمانية عشر فارس والباقى راحوا دوارس وانقطع منهم الاثر حتى ما بقى لهم ذكر يذكر لانهم انقسموا على ثلاثة أقسام البعض قتل والبعض هرب والبعض أسر ولما انقطع حس بنى عبس واندثر وتسامعت قبائل العرب بما حل بهم من الخسارة تجمعوا وجاؤا الى بنى فزارة ونال هؤلاء بنى عمهم ولحمهم ودمهم فراحوا اليهم ومالوا عليهم وبذلوا السيف فيهم وقاتلت بنو فزارة نهارها وأحمت نفسها وديارها مدة أيام وليالى وبعد ذلك تكاثرت عليهم العربان وأحرقتهم بنارها وأهلكت كبارها وصغارها وقد فتكوا فيهم بالحسام البتار ونفذت فيهم أحكام الملك الجبار فلما رأى من بقى منهم ما حل بهم من البلاء والاضرار أخذوا فى وسيع القفار وولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وما نجا منهم الا القليل والباقى بين قتيل وجديل ﴿قال الراوى﴾ وكان عتيبة بن حصن بن حذيفة مع من نجا من الوقعة لانه كثير البكاء والعويل وقد ساروا طالبين أرض العراق وتلك النواحى والآفاق وهم هاربون على تلك الحالة الى أن وصلوا الى الحيرة فتقدم زهير ورجاله الذين قد سلموا الى مجالس الملك الاسود لانه كان سبق عتيبة بن حصن فاجتمعوا مع بعضهم وسلموا عليه وقد أرخوا العمائم فى الرقاب وبكوا بذلة وعويل وحكوا له ما جرى عليهم من العبر بعد حاميتهم عنتر فقال لهم الملك الاسود الله حكم على بنى عبس بتشتيت الشمل وفراق الوطن والاهل بعد ذلك الباع الطويل وهذا حكم من ليس له شبه ولا مثيل وفى الحال دعا بزهير بن قيس وخلع عليه وأمره مكان أبيه وصاروا عند الملك الاسود فى أعز مكان وكلما ركب يركبون لركوبه وهم الى جانبه وصاروا عنده أعز من أهله وأقاربه ولم يزالوا كذلك على هذا الحال فبلغهم انه قد بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصار له من العمر أربعين عاما وأنزل عليه الوحى والقرآن وظهرت معجزاته والبيان وبلغ خبره الى الملك الاسود وانه دعا الناس

الى طاعة رب الارض والسماء وبان له كثير من الآيات والمعجزات فلما سمع قيس بن زهير هذه الاخبار اقبل
على بنى عمه ومن معه من بنى عبس الاخيار وقال لهم يا بنى عمى انى اشتهيت أن أزور هذا النبى العربى لانى
كنت أسمع أخباره من أبى بان هذا النبى يكشف الضير عن العرب ويدعوهم الى توحيد رازق الوحش والطير
ويعرفهم الحلال من الحرام والنور من الظلام وأنا قد رأيت من الرأى أن نمضى اليه ونسلم على يديه ونشاهد
أنواره ونتملى بجماله وأكون من جملة أصحابه وأدخل فى هذا الدين القويم والصراط المستقيم ﴿قال
الراوى﴾ فلما سمع أصحابه ومن معه كلامه ومقاله أجابوه الى سؤاله وقالوا له نعم ما رأيت أيها الامير من هذا
الرأى والتدبير وقالوا له افعل ما بدا لك فاننا تابعون فعالك فعند ذلك قام زهير من عندهم ومضى الى الملك
الاسود وأعلمه بانه يريد المسير الى النبى محمد ويصران كانت العرب أطاعته أو قامت على مخالفته فلما سمع
الملك الاسود من زهير ذلك المقال قال له افعل ما بدا لك من الحال فلعلك تأتينا بعلم يقين وتكشف لنا عن
هذه البراهين ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك ودعه زهير وخرج طالبا المسير بمن معه من بنى الاعمام وهم بنو عبس
الكرام ولما عزموا على المسير وشدة التشمير عرضوا على عتيبة السفر فيمن معه من بنى عمه الابطال فقال
عتيبة امضوا قدامى وأنا الحقكم فى بنى أعمامى ﴿قال الراوى﴾ وكان عتيبة بن حصن قد قال لزهير ذلك
المقال لانه خاف ان رافقه فى الطريق أن يلتقى بهم أحد فيعرفهم ويعدمهم التوفيق أو يلقى أحدا من
العرب وسكان البر والسبسب فيسقيهم كؤس العطب ولا يدع منهم رأسا ولا ذنب ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك
سار زهير فيمن معه من بنى عبس وساروا عند مطلع الشمس وما زالوا سائرين ليلا ونهارا بلا هدو ولا قرار وهم
طالبوا النبى المختار الى أن وصلوا الى مكة وتلك الديار والبيت والحرام قاصدين زيارة سيدنا محمد عليه
أفضل الصلاة والسلام لاجل انهم يسلموا عليه ويسلمون على يديه ﴿قال الراوى﴾ وكان من جملة من تبقى
من بنى عبس أربعة عشر نفسا من غير الطالة سوى زهير وقضاعة بعضهم الا كرم بن رماح وسمرة بن وشاح
وعياض بن ناشب وناهض بن ناهب وقراوش بن عناشم وزخمة الجواد بن قراد والعيشوب بن ماجد
وفرقد بن حنالة وسعد ابن جبالة وحبيب بن جبير وقضالة زهيرا ولا دقيس لا غير وكان الوزير عمرو بن
نفيلة العدوى رضى الله عنه قد سمع بظهور النبى صلى الله عليه وسلم وأنه ظهرت آياته وبراهينه فترك زيد ابنه
مكانه ومضى الى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم على يديه وبعد مدة من الزمان وصل هؤلاء الاقوام الى مكة
وتلك الاوطان وهم بنو عبس وعدنان وزهير امامهم فاقبلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصلوا اليه
واستأذنوا فى الدخول عليه ثم تقدم زهير وحياه وسلم عليه ففرح بهم النبى صلى الله عليه وسلم وتبسم فى
وجوههم وحياهم وهو أكرم من يلقى الضيفان عند ملتقاهم وقال لهم يا فتيان بنى عبس وحماة بنى عدنان
ويا فرسان الزمان فيماذا أتيتم ولأى سبب علينا قدمتم فقال له زهير بن قيس أتيناك يا رسول الله لنسلم على
يديك فانا زهير بن قيس بن زهير فابى وجدى كانا معدن الجود والخير وهذا أخى وهؤلاء بنو عمى ﴿قال الراوى﴾
فعند ذلك عرض النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام عليهم فكان أول من بادر الى ذلك زهير بن قيس وأخوه فضالة
واقر بالشهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتبادرت بعده بنو عمه وأسلموا عن بكرة أبيهم ودخل الاسلام
فيهم قال ففرح النبى صلى الله عليه وسلم وأكرم زهيرا وبنى عبس غاية الاكرام وأكل هو واياهم الطعام وقال
النبى صلى الله عليه وسلم اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه ثم ان زهيرا جعل يحدث النبى صلى الله عليه وسلم بحديث
بنى عبس جميعهم وما جرى عليهم من القتال والشتات وكيف تفرقوا فى سائر الجهات ثم حدثه أيضا بحديث
عنتر بن شداد وما كان من فعاله الشداد وما كان تفعل بالعرب الجاهلية من التوى والعناد وكيف كان
يشتتهم فى كل شعب وواد فقال صلى الله عليه وسلم لو أدركت عنتر بن شداد لسدت به قطرا من أقطار البلاد
ثم انه قال لمن كان حوله من أصحابه حدثوا أولادكم بحديث عنتر البطل المغوار فهو يشجعهم على لقاء الكفار
ويترك لهم قلبا أصلب من الحجر على لقاء الفجار فلقد كان لبنى عبس عبد نجيب * روى هذا الحديثان عن
الحمزة عن الزبير بن العوام عن عمر بن الخطاب عن الامام على فحل الرجال ونقلهما حازم المكى عن الاصمعى

عن البخارى بالاسانيد الصحيحة فعند ذلك أقبل زهير على النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اعقد لى عقد
الامارة على قومى فقال له يا زهير ما تنعقد الراية الا على أربعين رجلا فى الاسلام فقال يا رسول الله كنا فى عالم عظيم
وكان لنا فى الفروسية خطب جسيم فاتتنا سيوف العرب وفرقتنا فى كل قفر وسبسب ولم يبق منا الا ما ترى
﴿قال الراوى﴾ فبينما زهير بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحدثه واذا قد أقبل عتيبة بن حصن فيمن
معه من بنى فزارة فلما وردوا على النبى صلى الله عليه وسلم وسمع ان زهيرا وبنى عبس أسلموا فعند ذلك بادر هو
ومن معه الى الاسلام ورغبوا فى دين الملك العلام فقال زهير يا رسول الله هؤلاء بنو عمى ولحمى ودمى فاعقد لى
عليهم عقدة الامارة فقال النبى صلى الله عليه وسلم الآن صحت لك الامرة يا زهير وأمرك يؤول ان شاء الله الى كل
خير ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم عقد له الامارة على بنى عبس وبنى فزارة وأعطاه راية سوداء مكتوبا عليها
لا اله الا الله محمد رسول الله وتجددت الامارة فى بنى عبس بعدما كانوا عليه من الشر والضير وصار عتيبة بن
حصن ومن معه من تحت راية زهير بن قيس وصفت قلوبهم لبعضهم البعض وبطل من بينهم الابرام والنقض
وكذلك وقع للاوس والخزرج وانبسطوا وصار والبعضهم أحبة مع ما كان منهم من العداوة والنكبة وقد أنزل
الله تعالى فى حق زهير بن قيس وعتيبة بن حصن وهذه الاقوام هذه الآية قرآنا عظيما وهو قوله تعالى واذكروا
نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها
وصحت الامرة لزهير بن قيس وكان الذين قد تأمر عليهم من بنى عبس وبنى فزارة اربعين رجلا وأيضا عقد عقد
الامارة لعتيبة بن حصن على بنى فزارة من تحت زهير بن قيس وأقبل عليهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لهم
اضربوا لكم الآن الخيام والاعتاب وقال لهم تعلموا القرآن والادب والسكون واضربوا لكم الاطناب والبيوت
فقالوا له اعلم يا رسول الله ان العرب شئ كثير ونحن قوم يسير وورائنا أولادنا ونساؤنا وباقى حلفائنا ونريد أن
نسير ونأتى بالاولاد والحريم ونجعل مقامنا عند زمزم والحطيم ونقرأ بين يديك القرآن العظيم ونقاتل بين
يديك من يخالفك من العربان ومن يعصى أمرك كائنا من كان ولو انهم كسرى أنوشروان وقيصر ملك
عباد الصلبان فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم افعلوا ما بدا لكم لا اعتراض عليكم فى اصلاح شأنكم سيروا
بارك الله فيكم وبالخير والانعام يجازيكم ﴿قال الراوى﴾ ففرحوا ابدعاء النبى صلى الله عليه وسلم وقبلوا يديه
المباركة وودعوه وساروا طالبين الحيرة حتى يأخذوا الحريم والاولاد ويعودوا بهم الى مكة المشرفة ويأمنوا من
كيد الاعداء والمبغضين والاضداد والحساد بجوار النبى صلى الله عليه وسلم زين العباد وساروا يقطعون
البرارى والقفار مدة احدى واربعين يوم الى أن وصلوا الى الحيرة وتلك الديار وعتيبة يقول لزهير يا ابن العم
دعنا نقصد الملك الاسود ونعلمه بما جرى لنا ونده أن ينفذ معنا من يخفرنا فى الطريق وينقذنا من كل
شدة وضيق الى أن نوصل الى ديارنا وأطلالنا قال فلما سمع زهير هذا المقال قال هذا شئ ما أفعله ولا أنا محتاج
اليه لان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لنا من كل أحد من أبيض وأسود وعنايته تمنع عنا من يطلبنا
﴿قال الراوى﴾ وما زالوا على تلك الوتيرة الى أن وصلوا الى الحيرة فرأوها منقلبة والخيل منهلبة والاعلام مائلة
والدنيا مرتبكة فقالوا ما هذا الخبر وما هذه الحالات فاخبروهم أن الملك الاسود قد مات وشرب شراب
الآفات وهذا الذى أعيا الملوك والسادات والاكابر والقادات فدخلوا الى وسط الايوان فرأوا أنه قد
تولى الملك المنذر ابن الملك النعمان على مملكة العربان وهو جالس على تخت المملكة وحوله أرباب الدولة
والاجناد والغلمان والناس يقبلون الارض بين يديه وفى عمه يعزوه وبالملك يهنوه وهو لا يبدى حركة ﴿قال
الراوى﴾ وكان هذا الولد من أخت قيس بن زهير وكان اسمه المنذر لان أباه النعمان لما قتله كسرى أنوشروان
وصلب أصحابه على قلل الايوان وذلك بعد ما رماه الى الفيل المجنون وطالبه بالمظالم والغبون وكان من أمره
ما كان وقد سبق ذلك الكلام بأيام وكان هذا الولد طفلا صغيرا وهو مع أمه فلما تزوج بها الملك الاسود بعد أخيه
النعمان أقامت معه مدة من الزمان ثم قتلها وعجل من الدنيا رحيلها فاخذه عمه الملك الاسود ورباه ولم
يترك أحدا سواه يربيه ولم يدع غيره يحكم فيه لانه على كل حال ابن أخيه وما زال على ذلك الحال وقد مرت عليه

الايام والليالي حتى كبر وانتشى وترعرع ومشى فعلمه الخط والبيان وتفرس مع الفرسان وصار يطاعنهم في حومة الميدان حتى أباد الاقران وقهر الفرسان وهو عند عمه الملك الاسود في ذلك الزمان حتى واراه التراب وكان له يوم عظيم الشان ماجرى مثله في سائر الاعراب وعمل المنذر لعمه العزاء سبعة أيام فلما كان اليوم الثامن سار في خواص قومه الى المدائن يجدد ملكته عند الملك كسرى أنوشروان وكان قد صحبه فرسان كثيرة من أصحابه وجنده لانهم كانوا يحبونه لكون ان اسمه المنذر كان على اسم جده ولما أراد المسير اجتمع اليه الملك زهير بن قيس فيمن معه من الفرسان وعتيبة في بني فزارة العربان فاستقبلهم أحسن استقبال واطلعهم على ماهو فيه من الحال وأخذ زهير بجانبه اليمين وعتيبة بجانبه الشمال لعلمه ان زهيرا سيد بني عبس وأيضا ابن خاله فلاجل ذلك قربه اليه واطلعه على حاله وأمرهم بالمسير معه الى المدائن وما زالوا سائرين الليل والنهار يقطعون السهول والاوعار الى أن وصلوا الى المدائن ودخلوا على الملك الايوان واستأذنوا في الدخول على الملك كسرى أنوشروان فلما أذن لهم دخلوا عليه وأومؤا بالسلام عليه وقبلوا الارض بين يديه فاذن له أن يكون مكان أبيه ملك العربان ففرح الملك المنذر بما ناله فعند ذلك أمر الملك كسرى بالخلع السنية أن تخلع عليه وان تقاد الجنائب بين يديه * قال فعند ذلك دقت البشائر وفرحت بذلك الاصاغر والاكابر لانهم كانوا يحبون المنذر لاجل أبيه النعمان وماساف اليهم من قديم الزمان من الجميل والاحسان هذا والملك المنذر قد فرح فرحا عظيما بتلك الخلع والانعام وأقام عند كسرى في المدائن سبعة أيام في انعام واكرام زائدين ولما كان في اليوم الثامن أخذ الاذن من الملك كسرى في المسير فاذن له ولمن معه في السفر وخلع عليه وعلى زهير وعلى عتيبة وعلى أرباب دولته وقد فرحت العرب بولايته لانهم كانوا يحبون الملك النعمان وذريته ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى الحيرة فخرج اليهم كل من في المدينة وقد أظهروا الفرح والزينة وقد فرحت لهم تلك البلد وفرح بولاية المنذر كل أحد ودخلوا الى بيوتهم في يوم عظيم ماراوا مثله في سائر الاقاليم وجلس المنذر بن النعمان وقد صار ملكا على سائر العربان فلما بلغ ذلك الى جميع عرب البر والقفار بولاية المنذر بن النعمان وانه قد صار ملكا على سائر العربان أتت اليه من كل قفر وسبسب ومعهم الهدايا والاموال والخيل والجمال وصاروا يدخلون عليه ويقدمون مامعهم من الاموال اليه وكان كلما دخل أمير أو ملك من ملوك العرب ومعه أنصاره نظروا الى زهير وعتيبة قاعدين عن يمينه ويساره فتهابهم ملوك العرب ولم يبق لهم يد تمتد اليهم بذلك السبب ولما أعطت جميع الملوك الخدمة للملك المنذر بن النعمان ونظروا كيف خدمته الليالي والايام وكيف نظروا بني عبس عنده في النعمة المخولة وكيف زهير وعتيبة عنده في أعلا المنزلة فلما بلغ ذلك الى جميع العرب ممن طلعت عليه الشمس مابقي أحد منهم يمد يده الى بني عبس لان الدولة صارت لهم وهم وزراء الملك المنذر وانكفت عنهم أيدي العرب من بعدها ومن اقترب هذا وزهير وعتيبة بن حصن عند المنذر في أعز مرتبة واعلا منزلة وما تقضى حوائج الناس الا على أيديهم وداموا على ذلك الحال أياما وليالي الى أن كان في بعض الايام اذ قد وصل اليهم اخبار مستكثرة بان قد انتشى في بني قضاعة فارس يقال له عنيترة وهو من أقارب عمرو ذي الكلب وانه قد هان له كل صعب ولم يوجد مثله في الشرق ولا في الغرب فقال زهير هذا والله عمرو ذو الكلب كان مصاحبا لعنتر بن شداد وهو مواخيه ولعل أن يكون من محبته فيه قد رزق ولدا ذكرا فسماه بهذا الاسم محبة في عنتر وبعد ذلك فلابد لنا أن نقتفي آثاره ونزوره في دياره ونكشف عن هذا الخبر ﴿قال الراوي﴾ هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من حديث ذي الخمار فانه لما سمع باسر لزقاء عمته وأتته العبيد بالخبر نادى في بني عمه وعشيرته أن يسيروا معه الى نصرته حتى يخلص الى عمته فلما سمعوا الامر أجابوا ولبوا وفي ساعة الحال ركبوا الخيل العوال واعتقلوا بالرماح الطوال وتقلدوا بالسيوف الصقال وساروا طالبين بني قضاعة بقوة واستطاعة وذو الخمار امام القوم حتى لايدع عليه عتبا ولالوم وهو ينشد ويقول

أتراع الخيل بالاجل الدقاق * وضرب الروس بالبيض الرقاق * وصوت طنين أطراف العتاق
وحس المرهفات بالانتشاق * ألذ الى وأحلى من حبيب * وابريق وكاسات دهاق

ظننتي يازنيمة أن تعيشي * تعادي السباع هناك باق * أسمي ذا الخمار وحد سيفي
اذا جردته بلغ التراقي * ولي ذكر سرى في الارض جما * واني فارس الخيل العتاق
وسرت الى الشام وأرض مصر * وكل الغرب والسبع الطباق * ولي في الحرب وقعات عظام
وضرب في الاعادي والرفاق * وبارزت الفوارس من معد * وقحطان واعراب الرفاق
وما الايام الا مزعجات * وماذا الدهر الاذو محاق
ويهدم غالبا ويحط جيدا * وتغلب أسدها عند التلاق

﴿قال الراوي﴾ ولما فرغ ذو الخمار من شعره طربت بنو عمه من نظمه وعرفت أنه مابعد عنتر فارس غيره يذكر ثم انهم ساروا الليل والنهار يقطعون الفيافي والقفار الى أن وصلوا الى بلاد شريف وتلك الديار ولما أشرفوا عليها ووصلوا اليها نظر ذو الخمار الى تلك الارض والبلاد وقال رحمك الله ياعنتر يا ابن شداد فوالله كانت ههنا منزلته لما دخل على هذه الارض بسبب ابن فائز وصار له مالكا وحائز وكنت أنا والله عنه عاجز لقد كان والله فارس الفرسان وفريد الوقت والزمان وقاهر الفرسان في ذلك الزمان فواحسرتاه على قبر حواه وبعد ذلك ماصفا لي الزمان ولا صرت له من الاخوان ولا تبعته ولا صاحبته الا أخذته مني نوائب الزمان ثم ان ذا الخمار قد خنقته العبرة فبكى بوجد وحرقة ولما هدا روعه وسكن هلوعه قال لاشك ان الهبل الاعلى رماني في يد هذه مثل نوبة عمرة بنت فايز تكون هذه ثاني مرة وأكون أنا على كل حال عاجز لان قلبي من هذه الشيطانة نافر وخائف أن أكون بعد الربح خاسر * قال ولما وصل بنو حمير وذو الخمار الى تلك الارض والديار وطلعت غبرتهم ونظرتهم الرعيان وحققوهم بالعيان فعند ذلك تجارت العبيد طالبين الخيام ليعرفوا عنيترة بتلك الغبرة التي كانها الغمام وما زالوا سائرين وهم متفكرون في تلك الغبرة حتى وصلوا الى مضرب عنيترة فوجدوها جالسة وهي على ذلك اللون والصفة والعبيد من حولها مصطفة وهم واقفون في خدمتها وخائفون من هيبتها وقد سكنت في قلوبهم سطوتها وأكابر بني قضاعة بين يديها وقالوا لها ياملكة ياحامية أرض قضاعة ياصاحبة القوة والبراعة قد أتت الينا خيل غائرة غير زائرة وهم يريدون الغارة علينا ويوصلون الاذية الينا ﴿قال الراوي﴾ ولما سمعت عنيترة من العبيد كلامهم وما أبدوه من نظامهم وخطابهم وثبت كانها الاسد الضرغام على العبيد بالكلام وقالت لهم ويلكم أما سمعتم كلامهم وفهمتم مقالهم فقالوا سمعنا مقالهم ومرادهم ورأينا في أولهم فارس في الحديد غاطس كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو للطعن احتفل وينادي الى أصحابه الغارة الغارة اكشفوا عنكم العار وأزيلوا عنكم الشنار يابني حمير أنا سبيع بن الحارث الاسد الهدار الملقب بذي الخمار ﴿قال الراوي﴾ فلما سمعت عنيترة ذلك المقال قالت ان صدقني حذري فهذا ذو الخمار عميد القناعس الذي يعد في الحرب بسبعة آلاف فارس ثم انها في ساعة الحال صاحت على فرسانها والرجال الذين مامنهم الا كل شجاع رئبال وقالت لهم دونكم وعدوكم ومن أتى يسبي حريمكم وينهب أموالكم ثم صاحت على العبيد ان يقدموا لها جواد من الخيل الجياد وأفرغت عليها سدرية زرد مضاعفة العدد كانها عيون الجرد وتقلدت بحسام مهند وركبت على ظهر جوادها وأخذت رمحها بيدها وركبت الفرسان لركوبها ثم انها سارت تطلب الطعان وقد تتابعت خلفها الفرسان ودارت بها بنو قضاعة يمينا وشمالا وقد علمت انها بهيبتها تبلغ الآمال الا انهم ماخرجوا من الخيام حتى ساق ذو الخمار النوق والجمال والانعام والاغنام وما كانت خرجت عنيترة من الحلة حتى وكلت بها مائة فارس من الابطال الشجعان الثقال وعشرين من العبيد كانهم الجمال ﴿قال الراوي﴾ ولما ساق ذو الخمار أموال بني قضاعة في تلك الساعة أوقف لها مائتي فارس تحفظها من كل ليث غضنفر ووقف ذو الخمار في عشرة آلاف فارس من بني حمير الان عنيترة لما نظرت الى ذلك الحال ماأهالها كثرة الرجال بل أكبت رأسها في قربوص سرجها وحملت بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرأ من تيار البحر اذا زخر وزعقت عند حملتها ياماخوذين يامذولين من أنتم من الفوارس والرجال القناعس حتى تغيروا على أموال بني قضاعة أهل

الفروسية والشجاعة وفيهم عنيترة بنت عمرو ذى الكلب الفارس الذيب أبو الزعازع وليث الوقائع مرددة الابطال الشداد ومهلكة الاعداء والحساد فارسة الخيل خلفة الاجواد خائضة الليل قاتلة أسد الفلا وقد أسرت الزرقا بين الملا أفنيت الجبابرة العتاه الذين نارهم لا تطفى وذكرهم لا يخفى فخلوا يا ويلكم عن الغنيمة وامشوا فى الطريق المستقيمة وانجوا سالمين ولا رواحكم غانمين والاحل بكم البلاء وشتت شملكم فى أقطار الفلا ثم انها حملت والى عنان جوادها أرسلت ثم أشارت تنشد تقول

سلوا الخيل عنى والحسام المهندى * ماذا لاقى القرن فى الحرب من يدى
أنا صورة الموت الذى من تصورت * له فارق الاوطان والاهل مخلدى
اذا الحرب سد الافق وارتبك العدا * أدير رحاة الحرب فى كل فدفد
واسقى الفوارس من يدى كل ساعة * من الموت كاسا وهو نار توقدى
وأفنى رجال الحرب بالسيف والقنا * وأتركهم فى الروع طعم الاساود
ترى القرن يوم الروع ان شاف سطوتى * يعود مروعا فى الفلاة كأجرد
أنا لبوة الفرسان فى حومة الوغى * أبى عمرو المعروف فى كل مشهد
خليلى ما الانسان الا ابن يومه * وكم فى الفلا شلو قتيل مهندى

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغت عنيترة من شعرها وسمع ذوا الخمار مقالها قال لها تكلمى على قدرك وقيسى قدرك بشبرك ثكلتك أمك وعدمك أهلوك يا ابنة الخنا وفضلة تربية اولاد الزنا فنحن سادات بنى حمير وفرسان البدو والحضر ومثلك انثى بازنيمة من يقدر على أسر الزرقا ولبوة القفا المسماة بالحمقا اللبوة الشمطا والحية الرقطا والذئبة المعطا ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت عنيترة خطابه وفهمت مقاله وجوابه قالت له ويلك من تكون من الرجال الدون أنت مصاب أو مجنون فقال لها أنا سبيع بن الحارث بن مزيد بن سبيع الفلا ابن أسد البيدا من خيار أبناء التبابعة فارس الاقطار ومشبع الاطيار المعروف بين سادات العرب ذوا الخمار ثم انه أكب رأسه فى قربوس سرجه وحمل على عنيترة وأشار اليها يقول صلوا على طه الرسول

دعى الفخر فالايام تبنى وتهدم * وتضحك محزونا وتعطى وتحرم
وترفع من قد عاش فى الذل عمره * وتنصف من غير اقتصار وتظلم
ومن كان غرا بالزمان حلت له * مشاربه عند الصفا وهو علقم
هدمت عتاق الخيل ان لم أخض بها * بحار المنايا والغبار رخيم
وأضرب بالهندى فى حومة الوغا * وأرجع يوم النقع وهو مسالم
وأبذل دون الحمير بين مهجتى * بسمر القنا والمرهفات تلعثم
علوت على أبناء جنسى تكرما * فمن ذا يضاهينى وعنى يقدم

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ ذوا الخمار من شعره همت عنيترة أن تحمل عليه واذا بفارس من بنى قضاعة قد سبقها وحمل عليه كأنه شهاب نار وقال له دونك والطعان فى حومة الميدان من أنت حتى تبرز لك عنيترة يا جبان وهى سيدة الشجعان وهى أم الزعازع ولبوة الوقائع التى ما سمعت بمثلها المسامع وأنا من بعض بنى عمها وعشيرتها ومن كبراء حاتها قال وكان هذا الفارس القضاعى الذى برز الى ذى الخمار فارس جبار وبطل مغوار لا يقع اليه فى الحرب عيار وكان تحته يومئذ جواد من أرق الخيول الجياد وشديد القوى والحيل له غرة كالقنديل وذيل كالمنديل قوى الركب طويل الذنب لا يأخذه تعب ولا نصب والفارس غارق فى لامته متسربل بالحديد والزرد النضيد متقلد بسيف مشطب كأنه الاسد الاغلب بيده رمح أسمر من عمل سمهر معتدل الكعوب كأنه أنبوب وعليه زردية من الزرد كثيرة العدد لا يعمل فيها المهند ثم انه حمل على ذى الخمار كأنه الاسد الهدار أو شعلة نار فتصادما وتلاحما وتصارخا وتهاجما وتقاربا وتباعدا وأخذا فى الشباط والمعاركة والعياط وتضاربا وتحاربا وعظم بينهما القتال وزادت الاهوال وحمى النزال وطلع عليهم الغبار

الى أن غابا عن الابصار وشخصت اليهما النظار فبينما هم على تلك الاخبار واذا بزعقة من تحت الغبار وقائل يقول يا حمير الشطار لا شقيت انا ذوا الخمار الاسد الكرار وقد بان من تحت الغبار وهو يقود الفارس القضاعى وهو أسير ذليل حقير ثم سلمه الى بنى عمه فشدوه كتاف وأوثقوا منه السواعد والاطراف وعاد ذوا الخمار الى الميدان ومحل الضرب والطعان وقال هل من مبارز فبرز اليه عمرو ذوا الكلب وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

أنا بن السيوف وأبطالها * اذا جالت الخيل اقيالها * ألفت الظاها وقد أظهرت
لهم الحادثات أهوالها * وأسقيتها الماز أبدا * وزلزلت فى الحرب زلزالها
فدونك والحرب من ضيغم * اذا نادت الحرب هيالها * واسقى رجالا كؤس الفنا
وتجرى المقاتل أمثالها * كريم النجاد حديد الحسام * يخوض الحروب وأهوالها
فدونك ليثا شديد القا * ويقهر فى الحرب أبطالها

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ذوا الخمار كلام عمرو ذى الكلب قال له اسكت يا كلبا كلب ويا ذئب اجرب ثكلتك أمك وعدمك أهلك وقومك من أنت من الرجال حتى تقول هذا المقال يا نذل يا ابن الانذال فلا بد لى من أسرك وأسر رجالك وأكبلكم فى الحديد وأوثقكم الوثاق الشديد ثم انه أجابه على على عروض شعره يقول

تهدد بالقتال وبالنزال * ليوث الحرب يوم المجال * سيوف الهند تعرفنى حقيقا
وأسد الغاب تهرب من قتالى * اذا ما قام سوق الحرب يوما * بضرب السيف والسمر العوالى
وانى من أناس فى البرايا * كرام للضيوف وللنوال * ونضرب بالسيوف اذا التقينا
ونطعن بالرماح وبالنبال * بنو حمير ترى فى وقت حرب * تكر على العدا وسط المجال
وان كنت تسمى عمر ذى الكلب * فان اسمى سبيع فى المحال
وانى ذوا الخمار فريد عصرى * وحيد فى الزمان بلا مثال

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ من شعره حمل على عمرو ذى الكلب وأخذا فى معاناة الحرب فتلقاه عمرو بضربات أحر من النار حتى علا عليهما الغبار وأخذا فى الهزل والجد والكر والفر حتى جرت الخيل من تحتهما خببا وجالا بعدا وقربا ﴿قال الراوى﴾ لهذه الاخبار واختصرنا فيما جرى فى حرب الاثنين فى ذلك النهار لانهما كانا صاحبتين عظيمتين كانهما أسدين ضاريين وما زالا على هذه الاخبار الى أن صار آخر النهار فعند ذلك انفصلا على سلامة وما أحد منهما علم على صاحبه بعلامة ونزل الفريقان وأوقدوا النيران وتحارسوا الجمعان وما زالوا على ذلك الى الصباح فركبت الفرسان وطلبت الحرب والطعان فعند ذلك حملت بنو حمير على بنى قضاعة بقلوب غير مرتاعة وحملت الرجال على الرجال والتقت الابطال وكثر بين الفريقين القتال وعظم النزال ودامت الاهوال واختلطت السمر العوال والتقت الصفوف بالصفوف وتكردست المياه والالوف وشربوا كاسات الحتوف وصار قلب الجبان ملهوف والشجاع يسعى ويطوف وكثر الحنق وزاد القلق وتمنى الجبان أنه لم يخلق وجرى الدم واندفق هذا وعنيترة فى حومة الميدان تجول وتصول وتمدد الاقران عرضا وطول وأكثرت الزلزال وساقت قدامها الابطال وطيرت قحوف الرجال وصارت تضرب فى بنى حمير ذات اليمين والشمال وهى تنادى أنا أم الزعازع ولبوة الوقائع وهى تزعق فى بنى قضاعة الابطال وتحثهم على الحرب والقتال فاجابوها بقلوب غير مرتاعة وحملوا على بنى حمير حملة صادقة فى تلك الساعة فلله در بنى قضاعة بين الرجال فكم أهلكوا من بنى حمير أقيال وعملوا فيهم أوفى عمل وكم أبادوا من كل بطل وفلقوا الجماجم والقلل ولم تنفع فى ذلك اليوم الحيل وقل من بنى حمير العمل وحان منهم الاجل وكثر عليهم الوجل وضاق عليهم السهل والجبل ووقفت عنيترة ورجالها وفرسانها قدامهم وقفة الغضب وأشبعتهم طعنا وضرب وتكردست الخيل على الخيل وانزلوا بركابها الذل والويل وكالوهم فى الحرب كيلا وأى كيل وصار نهارهم كالليل هذا والقتال يعمل والدم يتدفق والرجال تقتل ونار الحرب

تشعل وقد عامت عنيترة ورجالها فى بنى حمير أوفى عمل وما زالوا على ذلك الحال الى أن ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال ﴿ قال الراوى ﴾ فعند ذلك افترق الطائفتان عن القتال ونزلوا فى الخيام واستقر بهم المقام فافتقد رجاله ذو الخمار فوجد قد فقد منهم ألف وخمسمائة فارس أسد عوابس فوقع فى بنى حمير الارتجاف وأيقنوا بالتلاف وعلموا أنه مابقى لهم اسعاف وأيضا عنيترة وخالها فانهم لما نزلوا فى الخيام افتقدوا من قتل لهم من الرجال الكرام فوجدوا انهم قد قتل منهم خمسمائة فارس همام فلما علمت عنيترة بذلك صعب عليها وكبر لديها وقالت لخالها يا أبتاه أنا غداة غد أبرز الى أعدائنا الانذال وأريهم كيف يكون القتال وأول ما أقاتل ذو الخمار الخائن الغدار فلما سمع عمرو ذو الكلب من عنيترة ذلك قال لها وما ذو الخمار ما هو الا فارس جبار ما يوجد مثله فى سائر الاقطار فقالت له يا أبتاه لا كلام الاغداة غد أريك ما أفعل به اذا برزت اليه بنفسى وأحامى عن أبناء جنسى فاما أقطع حسه واما يقطع حسى لان من قال أنا وقع فى العنا وشرب كاس الفنا ثم انهم بعد ذلك أكلوا شيأ من الطعام وقاموا للمنام وباتوا يتحارسون الى الصباح فعند ذلك سارت الرجال تطلب الحرب والكفاح وركبت خيولها وجردت نصولها واعتقلوا بذوابلها وتقدمت فحولها وتدانت الخيل من الخيل وحمل كل فارس قبيل وعمل بينهم السيف الصقيل والسنان الطويل وكان بنو قضاعة لبنى حمير كيلا أى كيل وأحلوا بهم الذل والويل وتركوا دماءهم تجرى مثل السيل وأخرجوهم من أرضهم بالحسام وخلصوا منهم أموالهم بالجملة فبينما الناس فى قطع الجماجم وحز المعاصم واذا بمنادى ينادى من بين الرجال ياويلكم كفوا أيديكم عن القتال واذا بفارس منهم قد خرج وهو ضارب اللثام وعليه هيبة واحتشام وهو ينادى يا بنى قضاعة على مهلكم فانا أقضى هذه الاشغال عنكم وأنزل باعدائكم الذل والخبال والشناعة وأفنيهم فى هذه الساعة وان كنتم ما تعرفونى ولا لكم بى خبره فانا صاحبة الهمة والمقدره أم الزعازع عنيترة ابنة عمرو ذو الكلب فارسة المعامع ثم انها كشفت لثامها وجردت حسامها ونادت باعلا صوتها أين سبيع اليمن بن الحارث الخائن الناكس فليبرز الى مقام القتال ومحل الطعان وساحة الميدان حتى تنظرنى وتنظره الفرسان ويبين الشجاع من الجبان ويعلم من هو أقوى مناجنان ثم انها أشارت الى بنى حمير وانشدت تقول صلوا على طه الرسول

أنا العتاة ابن الفتى من لم يغـل * وان وقع فى الموت عينيه لم تغـل
ويضرب بالهندى فى وسط القلل * ويفنى الابطال مايخشى ملل
اذا الجبان حار من وقع الاسـل * وثار نقـع الحرب نارا تشتعل
أهجم فيها لا أخاف من وجـل * وأضرب بالقرم ولا أخشى زلـل
انى أنا الطاعنة بالسمر الاسل * وفكاكة الدروع فى يوم الوجـل
انى أنا ذات الوشاح والكلل * تخاف منى الاسد فى يوم الدحـل
انى اذا المـوت على القوم نزل * كنت كضرغام وليث وبطـل

﴿ قال الراوى ﴾ فلما فرغت عنيترة من شعرها طلبت البراز وسألت الانجاز ثم انها لبثت على جوادها بالله حربها وجلادها حتى لينت عريكة الجواد وكسرت حدته بالطراد وجالت بين الصفوف وتلك الابطال الوقوف فبينما هى تصول وتجول وكل واحد نظره اليها ناظر واذا قد برز اليها سبيع بن الحرث الباهر المكنى بذى الخمار كانه أسد هدار وهو فوق جواد مدخر ليوم الطراد معدود للحرب والجلاد وهو للحرب معدل وبالحديد مسربل ومتقل وفى يده سيف مسلول برمح تام فى الطول وهو ينشد ويقول

قد عامت ذات اليوم الجيد * انى أنا الطعان لا أحيـد
* وعن برازالحرب لا أعـود
الابرأس البطل الصنديد * والضرب منى هائل شديد
* تبرى به الهامات والقدود
وأضرب الشجاع فى الوريدى * أتركه تبكى عليه الغيد
وطعنتى فى النحر والكبودى * بها يفك الزرد النضـيد

﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمعت عنيترة شعر ذى الخمار ونظرت الى قامته بادرت اليه وصدمته وتلقته واحترزت من طعانه ومضاربه وعلمت انها ان أسرته أفنت عسكره وكسرته فعند ذلك علا عليهما الغبار وغابا عن الابصار واختفوا عن أعين النظار وجرى بينهم ضرب عوان فى طابق الجولان وتحيرت منهم الفريقان وتصادما كانهما مركبان قد التقيا فى بحر ملآن وأخذا فى الحرب والطعن والضرب وجرى بينهما كل أمر صعب وعاد القتام عليهم مثل الضباب وعقد على رؤسهم كثبان التراب وكلت منهم المفاصل والاعصاب وتضاربوا بالسيوف والتوت وقال الخصم لخصمه عند المضايقة من أين تفوت وتقلبا على ظهر السروج وتعامت الفرسان منهما الدخول والخروج وزاد منهم الهراج وعلا عليهم العجاج وضاق بهم الفجاج وازرقت الاحداق والاوداج وهانت عليهم الارواح وباعوها بيع السماح بعدما كانوا بها اشحاح وزاد منهما الصراخ وكلت الايدى وكثر النفاخ وحمى عليهم الحر وعاد صلاحهم الى فساد وتضاربوا بالسيوف الحداد والرماح المداد وأخذوا فى الكر والفر حتى حمى عليهم الحر وكلوا من البراز وطلبوا الانجاز واشتد بينهما الدهاش وضاقت منهم الانفاس وبرد الحواس ونظر ذو الخمار من عنيترة حربا ما عمره ما نظر مثله ولا ذاق شكله فوقع فى الاندهاش ونوى فى نفسه أنه ما عاد يذكر حربا مدة ما عاش فعند ذلك أيس من الخلاص لما ذاق حربا تشيب من هوله النواص ونادى المنادى لذى الخمار بالانتقاص وقل منه القوى والانتشاط وعدم الفرح والانبساط وما بقى له فسحة ولا انبساط فى الاشياع ولا وجد فى السلامة اطماع وكان طويل الباع فقصر عن القراع ومما قاسى من عنيترة من القتال الشديد والحرب الاكيد أيقن بالهلاك والتلاف فاراد الهزيمة من بين يديها والانصراف ثم عاد وقوى قلبه وخاف من العار وان العرب تعايره بالهزيمة والفرار فاخذ معها فى العراك والشباك وقد تيقن عند ذلك بالهلاك ﴿ قال الاصمعى ﴾ وكانت عنيترة كلما طال عراكها وقتالها تزيد قوتها ونشاطها وحربها ونزالها وكانت أقوى من ذى الخمار فى حومة المجال كانها اللبوة التى فقدت الاشبال لانها ابنة قاهر الرجال لا تكترث بالابطال ولا تضجر من القتال هذا وعنيترة قد شبعت من ذى الخمار الم وأورثته العدم وصارت تهمهم وتصدمه اذا اصطدم وهى مثل الاسد الضيغم وكلما هم سبيع أن يلوى رأس جواده وينهزم فتلزمه مالا يلزم وما زالت معه على هذا الشأن حتى خذل منهما الزندان وكلت السواعدان فرأى سبيع انه مع عنيترة فى حالة العدم فهجم عليها وقحم وقام فى ركابه وتمطى فى بدادة وجعل حيله كلها على سرجه فانقطع سير الركاب وعثر به الجواد فوقع على وجه الارض كانه طود من الاطواد ﴿ قال الراوى ﴾ فعند ذلك انقضت عليه عنيترة فوقع فى وسط الميدان وأخذته أسيرا بعد ان ضربته بالسيف على قفته فامرت عبيدها بشده كتاف فلما علم الامير عمرو ذو الكلب ذلك ترجل اليه وعلم انه ما بقى أحد من العبيد يقدر عليه فوقع فى ساعة الحال عليه وشد يديه مع رجليه شدا صعبا بعدما مزق جلده من الضرب وسلمه الى جماعة من الفرسان وركب عمرو جواده وطلب الميدان هذا وقد قويت قلوب بنى قضاعة لما بان لهم من عنيترة من الفروسية والقوة والبراعة ورأوها قد أسرت ذا الخمار وهو فارس الاقطار فعظمت فى أعين الناس وزال عنهم العنا والباس قال ولما رأت بنو حمير الى ذى الخمار وقد أسر وهو فى أيديهم ذليل حقير حملوا عن بكرة أبيهم وقد علموا انه ما بقى لهم من يحميهم فصاحوا وا أميراه واسيداه ثم انهم هجموا على بنى قضاعة بجمعهم وأرادوا خلاصه من يد قناصه فعندها تلقتهم بنو قضاعة وكانت لهم ساعة يا لها من ساعة قاتل فيها البطل بما عنده من الفروسية وقاتل الجبان على قدر الاستطاعة هذا وقد التقتهم بنو قضاعه وأنزلوا ببنى حمير الذل والشناعه وكشف الموت لهم قناعه ومد اليهم الموت باعه هذا وقد تقدمت من سادات بنى قضاعه فى تلك الساعه من هو مثل عمرو ذو الكلب الفارس الندب ومثل سعيد بن الديال الفارس الريبال ومثل داود بن سمات ومثل أسد بن ضبيان ومثل ربيعة بن فرقد ومثل ابن حازم ومثل عكاش ومثل المهاب بن مجالد ومثل كرار وكان هؤلاء الفرسان تضرب بهم الامثال فى ذلك الزمان

وقدامهم أم الزعازع وخائضة الوقائع وهم يقهرون الفرسان ويبيدون الاقران فى حومة الميدان ويدحرجون رؤس الابطال مثل الاكر وعنيترة مثل الاسد وقد ضربوا بفعالها المثل فى السهل والجبل وساقت لهم الموت المعجل ولم تزل النار قائمه وعقبان المنايا حائمه الى أن مالت الشمس الى الاصفرار وأتى آخر النهار قال فعند ذلك ولت بنو حمير الادبار وركنت الى الفرار وتفرقت فى الاقطار هذا وبنو قضاعة وراءهم وقد أهلكوا كبارهم وفتيانهم وأسقوهم كاس الممات وعجلوا فناهم وما زالوا يأسرون منهم ويقتلون مسيرة أربع فراسخ والضرب فى أقفيتهم راسخ ثم انهم بعد ذلك رجعوا عنهم لما دخل عليهم الليل وحل ببنى حمير الذل والويل وتركوهم على وجه الارض طرحى وحازوا غنائمهم وأموالهم وخيولهم وأسلابهم ونوقهم وجمالهم ووضعت الحرب أوزارها وخمدت لهيب نارها وبعد ذلك أمرت عنيترة الناس أن يسرعوا بالقلة الى تلك الوديان الفساح ففعلوا ذلك عند الصباح وأوسعوا فى البرارى والفلا حتى يستريحوا من روائح القتلى فلما سمع القوم مقالها استصوبوا رأيها ورحلوا فى ساعة الحال من ذلك المكان الى مقدار فرسخ بعيد عن حلتهم ونزلوا فى مكان والماء فيه كثير ونصبوا الخيام وركزوا الاعلام وداموا فى أكل طعام وشرب مدام وقد صفا لهم الزمان وراقت لهم الليالى والايام فصارت الناس ما تخاف الا بحياة عنيترة وأقروا لها بالسمع والطاعه هذا وقد أمرت بشيبوب بن الحارث الى جانب عمته الزرقا فى بعض المضارب ووضعتهما بالخيام ورتبت لهما عبيد وجوار لخدمتهم وجعلت الاسرى فى مضرب واحد بعيد عنهم وأقاموا على ذلك الحال وهم فى ذلك الضرر والاذلال ﴿قال المؤلف﴾ هذا كان من هؤلاء وأما ما كان من المنهزمين فانهم صاروا ألفا ومائتى فارس قد حل بهم الذل والوساوس وتفكروا بحالهم وما صار لديهم ثم انهم تشاوروا فيما يفعلون وبمن من الملوك يستغيثون فقال بعضهم لبعض اطلبوا بنا الملك المنذر بن النعمان واحكوا له ما جرى وكان وعرفوه بهذا الشان وكيف آذت عنيترة هؤلاء الفرسان فان كل قبيلة تضام او يحل بها نوائب الزمان تأتى اليه وتشكو ما جرى عليها حتى يأخذ لها حقها ويقابلها بما يستحقها قال فلما اتفقوا على هذا الاتفاق ساروا طالبين بلاد العراق وهم يقطعون البرارى والآفاق وما زالوا على هذه الوتيرة حتى وصلوا الى أرض الحيرة ودخلوا على المنذر ابن الملك النعمان وعرفوه بما جرى وكان فقال لهم ما الذى دهاكم ومن شره ما كم فقالوا أيها الملك قد بلينا بقوم كانهم الجبال وهم رجال وأى رجال أفنوا السادات والابطال وهم بنو قضاعة أهل الشدة والفراسة وأول ما فتك فينا حاميتهم عنيترة وأظهرت فينا المقدره وقد أسرت الزرقا فارسة الخيل وأباتها بالذل والويل ومضى شيبوب حتى يخلصها فاخذته أسيرا ذليل حقير وقد حملت علينا فرسان بنى قضاعه وقتلوا منا ألفين وخمسمائة بطل فى ساعة وما كان لنا على حربهم استطاعة وبلينا منهم بشى ما لنا قدرة على اندفاعه فافنونا بشفار السيوف ولم نقدر بين أيديهم على الوقوف وها قد أتيناك أيها الملك هاجين وهاربين والى النجاة طالبين وبك مستشفعين والى جنابك قاصدين فلما سمع الملك المنذر مقالهم رق لهم ورثى لحالهم وقال لهم قروا الاعين والانفس ولا تخافوا على أسراكم فانا لا بد أن أسير الى غرمائكم وأقتل رجالهم وأسبى نساءهم وعيالهم وأنهب أموالهم ﴿قال الراوى﴾ وكان الملك المنذر صاحب همة قويه وعزيمة عربية وهكذا كانت الملوك فامر باحضار العشائر وبقية الدساكر فجهزت الفرسان شأنها للقتال وعبت عدتها للحرب والنزال وداموا على ذلك الحال ثلاثة أيام وبعد ذلك عزموا على الرحيل وسرعة التشمير فخرجت العشائر والفرسان وهم حول المنذر بن النعمان وهو فى ستة آلاف عنان من بنى شيبان وسنبس وهمدان وترك فى الحيرة نائبه زيد بن عمرو بن نفيلة فى باقى العشائر والجيوش والدساكر ورحل الملك بهذه الشرذمة القليلة لانه خاف أن يسير فى جيش كبير فيخرق ناموس المملكه وقال ان سرت الى بنى قضاعة فى سبعين ألف عنان أخاف من معيرة العربان وملوك الزمان وأنا بهذه الفئة اليسيرة وهذه الجنود فامضى بهذا المراد وأعود ببلوغ الاغراض وازالة الامراض ثم انه سار يقطع البرارى والقفار والسهول والاوعار آناء الليل وأطراف النهار وهم طالبون بلاد شريف وتلك الديار ولم يزالوا مجدين المسير وسرعة التشمير أياما متوالية فى الاودية والبرارى الخالية الى أن

بقى بينهم وبين منازل بنى قضاعة نصف النهار فوصلوا الى مكان المعمعة التى تقدمت ما بين بنى قضاعة وبنى حمير والذئاب حول القتلى تعوى والطيور تحوم عليهم وتهوى فى تلك البقاع فعدلوا وأبعدوا هذا ولما علم الملك المنذر انه وصل الى أرض بنى قضاعة أمر العشائر بالنزول وأمر فى تلك الساعة أن يكتب كتابا يرسل الى بنى قضاعة بالحذر والتنذير من قبل أن الحرب بيننا وبينكم يسير فعند ذلك تقدم الكاتب وكتب عن لسان الملك المنذر ملك العرب يقول باسمك اللهم رب الارباب ومعتق هذا من الملك المنذر ملك الاعراب الى عنيترة ابنة عمرو ذى الكلاب الفارس الندب بعد السلام عليك وعلى جميع المقدمين وفرسان بنى قضاعة ومن فيها حاضر فى الساعة أقول انه ساعة وقوفكم على هذا الكتاب لا يكن لكم جواب الا انكم تطلقوا شيبوب وعمته من الاسر والعذاب ولا تخفوا من الاسباب فاترك دياركم خراب مأوى البوم والغراب وقد حذر من انذر وأنصف من حذر والا كنتم كما يقال عنكم فدونكم واللقاء ولا تظنوا أنى كمن لاقيتم من العربان والفرسان والملوك السفهاء وتنظروا بعينكم من يسعد ومن يشقى وأنا ما أخاف من كثرة القبائل ولا من الفارس والراجل والسلام على من أطاع ووافق واللعنة على من عصى ونافق ثم انه دعا بنجاب وأعطاه ذلك الكتاب ودعى بعشرة رجال أنجاب وأمرهم أن يسيروا مع النجاب فى الوقت والساعة فوصلوا الى أرض بنى قضاعة وسألوا عن عنيترة فدلوهم الخدام فسار النجاب اليها فى عاجل الحال وقصد المضرب واستأذن فى الدخول عليها فاذنت له بذلك الحال ولما تمثل بين يديها قالت له فيما أتيت وما معك من الاخبار فقال لها أنا نجاب وحامل كتاب من عند ملك الاعراب الملك المنذر بن النعمان الحاكم على قبائل العربان نائب الملك كسرى أنوشروان فعندها تقدم اليها وأعطاها الكتاب فاخذته منه عنيترة وناولته لزيد بن عروة فقرأه وفهمت معناه فقابلته بالتهديد والوعد والوعيد فعندها أمرت بصلبه ومن معه وأكثرت لهم من الاهانة والعذاب وفى الحال مزقت الكتاب وابيضت شفتها واحمرت عينها وتوردخدها وقالت له والله لولا المخافة من معيرة العرب يقولوا عنيترة استسنت سنة لكنت ضربت رقبتك وأطلت عذابك قبل قتلك فلا كان المنذر ولا استكان ولا عمرت به الاوطان ولعنت أمه وأم أبيه النعمان ولا كان كسرى صاحب الايوان ولا كانت بنو لخم وجذام وشيبان ولا جميع العربان المثلى يهدد المنذر بمثل هذا الكلام وأنا أم الزعازع وخائضة الوقائع والمعامع والاهوال ثم انها صرخت فى بنى عمها النفير فى هذه الساعة يا بنى قضاعة يا أصحاب القوة والبراعة يا أهل المروءة والفروسية فلم تكن الا ساعة حتى ركبوا وتأهبوا للمسير وقد اعتقلوا بالرماح وطلبوا الحرب والكفاح وما أبعدوا عن الحلة حتى طلع عليهم الغبار وسد منافس الاقطار وبعده تمزق وتقطع وانجلى وبان من تحته عشائر الملك المنذر بنى لخم وشيبان والمنذر فى أوائلهم ومن حوله الابطال والفرسان وكان سبب ركوبه الرسول لما طردته عنيترة سار اليه وهو فى أنواع العذاب وعرفه بتقطيع الكتاب فصاح الخيل يا أربابها فشدت على السروج ركابها وسار بهذا الجيش الجرار الى ان التقى بنى قضاعة فى تلك الساعة ووقعت العين على العين واطبقوا على بعضهم الفريقين وحان بينهم الحين وزعق عليهم غراب البين وترامت منهم اليدين وتوافوا من بعضهم البعض ما كان لهم من الدين وقلعت الاسنة الاعين وفجرت الابطال وزادت الفتن وصار الدرع لصاحبه كفن وقال الخصم لخصمه الى أين ودمدمت عليهم سباع البرية وكثرت البلية ونادت عنيترة فى بنى عمها يا بنى العم اجعلوها وقعة الانفصال واسقوا الاعداء كاس الوبال فعندها نخت الفرسان بعضها ببعض وارتجت من ركض خيلهم الارض وكثر الرفع والخفض وعملت الصفاح وطعن الرماح وامتلات بالقتلى البطاح ونادت الفرسان لا براح وتساوى عندهم المساء والصباح وتصادمت الابطال كتصادم الكباش للنطاح وبان الفارس الوقاح وولى الجبان وراح فكم من رأس قد طاح ودم قد ساح كل ذلك وعنيترة امام القوم وقد بطل العتب واللوم وتكردست الفرسان واهلكت الاقران وسقت الفرسان من سيفها كاس الهوان وزادت الحروب وهى تهدر وتزمجر وقد جعلت قصدها الملك المنذر وما زالت تخترق الصفوف وتخذل الكفوف وتطير القحوف وتمزق المئات والالوف الى أن

وصلت الى الملك المنذر وهو تحت الاعلام وقد طعنت صاحب العلم في فاه فاخرجت الرمح من نقرة قفاه وفرقت الرجال من حول الملك المنذر بالطعن المتواتر وقد بقي المنذر وحده وتباعدت عنه فرسانه وجنده وكانت عنيترة أخذت العلم قبل ان يقع وصاحت على المنذر أدهشته وخبلته وأرعشته وانقضت عليه وأخذته أسيراً رقادته ذليلاً حقيراً وما خلته يصل الارض بل رفعته على زندها ماعليه من لبسه وعدته وبقي في يدها كالطفل الصغير وهو بحالة الذل والتصغير ولما رأت قومها أمير تهم قد أخذت المنذر هجمت على بني لخم وجذام وشيبان وجودوا الطعن بالمران والضرب بالسيف اليمان وسقوا أعداءهم كاس الهوان وأسروا منهم في ساعة الحال ألفاً وخمسمائة فارس أقيال وقتلوا منهم ألفين في أقل من طرفة عين وحان عليهم الحين ونعق فيهم غراب البين ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك ولوا منهزمين والى ديارهم طالبين وتبعوهم بنو قضاعة مقدار فرسخين وبعد ذلك رجعوا عنهم وجمعوا الاسلاب والخيل والذهاب ونالوا من أعدائهم غاية المراد ثم ان بني قضاعة بعد ذلك ساقت الاسارى ذليلين حيارى والملك المنذر في جملتهم وهم طالبون حلتهم والملك المنذر يقول يا بني قضاعة أنسيتم ضيفة النعمان وفضله عليكم والشان وكيف كان نشلكم على جميع الفرسان وعلى أهل خراسان ﴿قال الراوي﴾ فلما سمعت عنيترة كلام الملك المنذر قالت له انت أمك وأم أبيك النعمان معك واست أم كسرى أنوشروان وسائر العرب وملوك خراسان فوالله لا أزال أقاتل سائر العربان العباد حتى أملك البلاد وأول ما أبدأ ببني شيبان حتى آخذ بثار جميع من قتل لنا من الفرسان وآخذ بثار أخي وأبي الذي كان يسمى عنتر بن شداد من بني نبهان ومن سائر العربان ثم انهم بعد ذلك الشان تموا سائرين في القفار طالبين الديار حتى وصلوا اليها فتلقتهم العبيد والاحرار وفرحت المنازل بالنازل والاوطان بالسكان واستقروا في المكان وأمنوا من غدرات الزمان فهذا ما كان من بني قضاعة وأما المنهزمون فانهم لما هربوا من تلك الديار وهجوا على وجوههم في تلك القفار وتموا سائرين يقطعون السهول والاوعار ليلاً ونهاراً من ضرب البتار وهم في ذلة وحيرة حتى وصلوا الى أرض الحيرة والقوا فيها النفير بعد ما بكوا بكاء شديداً كثيراً ونعوا الملك المنذر الى الكبير والصغير والامير والحقير وأخبروهم أنه في الاسر وكيف جرت عليه نوائب الدهر وقد قال القائل في المعنى هذا الشعر

وكم أسد مات من ذبابة * وملك أحوجه الدهر الى لبابة

﴿قال الراوي﴾ وكنا قد ذكرنا قبل هذا الكلام بان زهير بن قيس وعتيبة بن حصن قد صارا عند الملك المنذر من خواص دولته وأعز من أهله وعشيرته وأقاربه وندمائه فلما سمع زهير وعتيبة عن الملك المنذر ذلك الكلام صار الضياء في أعينهما ظلام لانهم كانوا مقيمين في الحيرة كما ذكرنا عند وزيره زيد بن عمرو بن نفيلة وهما عنده بمنزلة جليلة فقالوا أيها الوزير ما عندك من الرأي والتدبير في خلاص الملك المنذر مما هو فيه وانقاذه من أعاديه فقال الوزير الرأي أننا نأخذ العشائر ونسير اليه ويكون معنا بعض المنهزمين حتى يدلونا على الطريق لان عند المضيق يتبين كل صديق فقال زهير الامر أقرب من هذا يا وزير الملوك واعلم ان لنا صداقة عند عمرو ذي الكلب من أيام حامينا عنتر ومن الرأي انني أسير معك في بني عبس وبني فزارة لا غير ونأتي بالمنذر من غير تنكير لان عمرا ذا الكلب لا يقصر من جهتنا لانه مؤاخينا ثم ان الملك زهير في عاجل الحال أمر بني عبس وبني فزارة باخذ الاهبة للارتحال وفي ثاني يوم سار وأخذ الوزير معه وبعض أكابر بني شيبان وساروا يقطعون البر والقفار بعد ما أخذوا بعض المنهزمين ليدلوهم على الطريق وما زالوا سائرين قاصدين ديار بني قضاعة وزهير يحدث الوزير بصداقة عمرو ذي الكلب لعنتر وانه كيف أقام عندهم ليالي وأياماً في العلم السعدي وأما عنيترة هذه فلا نعلم ماهي وكان بنو عبس وزهير ما يعرفون ان عنيترة بنت عنتر ولا عندهم بذلك خبر وما تزوج بقناصة الرجال الا وهو على بحر الفرات ولا سمع أحد بزواجه ولا رآه الا ابن عنتر لما مات كانت قناصة الرجال منه حامل باذن من سير المحامل كما ذكرنا وولدت عنيترة بعد موته كما قدمنا وجرى ما جرى لبني عبس وتشتتوا في القفار واندرس رسمهم والآثار ومات من مات وعاش من عاش والذي بقي منهم ومن بني

فزارة أربعون انساناً أسلموا على يد النبي صلى الله عليه وسلم وأتوا الى الحيرة بعد ما جرى لهم أمور كثيرة وعلم الملك المنذر أنهم أقرباؤه وان زهيراً ابن خاله فاقام واعتنى وهو في أعلى المنازل وأحسن اليهم وما زالوا مقيمين حتى جرى ماجرى على الملك المنذر من الامور المقدرة وأسرته عنيترة كل ذلك وما يعرفون بحال عنيترة وأما زهير فانه طلب أن يسير الى عمرو ذي الكلب ويسأله في المنذر لاجل ادلاله عليه وسار زهير وعتيبة وسارت المنهزمون تخبر زهيراً بفعل عنيترة وكيف أسرت سبع الفلاة والزرقاء مع ذي الخمار وما فعلت من هذه الامور المحققة وهو يتعجب من تقلبات الليالي والايام وهو يقول ما الدهر الا عجب والايام تأتي بكل سبب وما زالوا سائرين الى أن وصلوا الى بلاد شريف فلما وصلوا الى الاحياء وقع النفير وركب من قضاعة الصغير والكبير للقاء بني عبس وملكهم زهير فعندها تقدم زهير امام القوم وقال لا بأس عليكم ولا لوم نحن بنو عبس وأنا زهير بن قيس ملك بني عبس فلما سمع عمرو ذو الكلب بذكر بني عبس وعرف زهير بن قيس قبل الارض بين يديه وقبل رجل الملك زهير في الركاب وكان على رأس الملك زهير راية أبيه العقاب وتحته جواد يسمى السحاب فعند ذلك تذكر عمرو أيام عنتر بن شداد ففاضت دموعه وكثر هلوعه وكانت أخته قناصة الرجال التقت بالملك زهير وقبلت ركابه وشكرته قدام ابنتها عنيترة وبكت على عنتر بن شداد وعظم بكاها وزاد وعنيترة تتعجب وقد حارت وأخذتها الدهشة والانبهار من فعالهم ونادت لعمرو ذي الكلب يا بتاه لم تفعل أنت وأمي هذه الفعال وتذلون لاحد من الرجال وأنا راكبة على ظهر جوادي الصهال وبيدي رمحي العسال وحسامي الفصال وأنا تخضع لي أسد الدحال فقال لها عمرو يا أم الزعازع ولبوة الوقائع قد ظهر الحق وعاد شائع وهؤلاء بنو عمك ومن لحمك ودمك وهم بنو عبس الفرسان وقد ظهر البرهان وبقي السر اعلان وظهر المغطى بعد الكتمان وعاد الى بيان وأنت ابنة مذل الفرسان عنتر بن شداد وقد رجعت الوديعة الى أهلها واللبوة الى شبلها والاولاد الى آبائها وأجدادها وأهلها وما وسعني كتمانها أكثر من هذا الحال فلما سمعت عنيترة من خالها ذلك الكلام قالت له وقد تحيرت يا والدي أراك تبعد نسبي أما أنت ابي وهذه أمي فقال لها عمرو وكل الناس باهتون والملك زهير ومن معه متحيرون والله يا عنيترة ان صدقت هذه فهي أمك وأنا خالك وأما أبوك فهو عنتر بن شداد فارس الطراد وشجاع الجلاد من بني عبس الاجواد وهؤلاء بنو عبس بنو عمه أهل الجود والخير وهذا المقدم عليهم الملك زهير وكلهم بنو عمك ولحمك ودمك وقد رجع الحق لاصحابه والسيف الى قرابه واعلمي انني ما أنكرت هذه الايام الا لما سمعت عن بني عبس انهم قطعوا عن دار الانسان والبعض منهم تشتت في القيعان والآن قد عاد الزمان وأنت لهم بين العربان ثم ان عمرا ذا الكلب ابتدأ وحدثهم بالحديث من أوله الى آخره وأطلعهم على باطنه وظاهره فلما سمعت عنيترة ذلك الكلام تعجبت وأظهرت الفرح والابتسام وترجلت في الحال عن جوادها وسلمت على زهير بحشمة وأدب وقبلت رجله في الركاب وأما زهير فانه لما سمع كلام عمرو ومنشأ عنيترة تعجب غاية العجب وأخذه من ذلك الكلام الطرب وقال الايام تأتي بكل عجب ولما ترجلت عنيترة ترجلت بنو قضاعة وكذلك ترجلت بنو عبس وزهير ومن كان معه من الفرسان ونزل الجميع في الخيام وأخذوا في اصطناع الطعام وترويق المدام ودامت الولائم سبعة أيام وقد حيا زهير لعنيترة وقال الحمد لله الذي أخلف علينا عنتر بن شداد حتى نرد كلنا عليه من الاحياء والبلاد ثم ان زهيراً حدث عمرا بان الملك المنذر ابن النعمان وان أمه المتجردة بنت الملك زهير ملك بني عبس وعدنان فلما سمع عمرو وعنيترة هذا الكلام أمروا العبيد أن يطلقوا الملك المنذر من الاسر والاعتقال وكذلك فعلوا بالزرقاء وسبع الحارث الفارس الرئبال كرامة للملك زهير ومن معه من الابطال وخلعوا عليهم الخلع وجددوا لهم الولائم ورتع القاعد والقائم وشربوا المدام وأقاموا على ذلك سبعة أيام وبعد ذلك سأل عن جلية الخبر فاخبروه ان عنيترة بنت عنتر فقال ما هو عجب ان تكون هذه اللبوة من ذلك الاسد وبكى سبيع على عنتر وانهمل دمعه والمنذر وقال وحق الملك الجبار الواحد القهار أنا قد حسبت هذا الحساب وقرأت عنوان هذا الكتاب وعلمت ان هذه الورقة ما تكون الا من مثل هذه الشجرة ثم انه قام وقبل يد عنيترة وقال لها وذمة العرب

لو تفارقنا ما تحار بنا فاعتذرت الاخرى من امرها له واطلقت جميع اسراهم وخلعت عليهم الخلع السنية الغالية
البهية ومدت لهم الولايم: رتع فيها القاعد والقائم ثم ان ذا الخمار حدث عنيترة بما جرى له مع ابيها عنتر
البطل القسور من الحروب والمعاداه وفى الآخر خاه وصار بينهما الوداد فتعجبوا من هذه الامور والاوراد
ومن تقلبات الايام والدهور ثم ان ذا الخمار طلب الرواح فاهدت له عشرين جواد من أرق الخيل الجياد
وطلب العودة الى دياره وان يقر فيها قراره فقالت له عنيترة أما تقيم عندنا حتى تأخذ بثار والدنا ولك ما لنا
وعليك ما علينا فقال ذا الخمار وحق العلى الاعلى لاحضرت قتالا ولا باشرت نزالا بعد عنتر بن شداد
فلا تغصبيني يا أميرة على ما لا اريد ولا اتكبر عن صحبتك بل أكون لك أقل العبيد ولابد لى من الرواح لانى
ما بقيت بعد اظهاره هذا الامر يحلى شراب راح (قال الراوى) ولما رأت الزرقاء الى ما فعل ابن أخيها ذى الخمار
ما وجدت لها على فرقته اصطبار فقالت لعنيترة يا بنت الكرام وأنا كذلك ائذنى لى بالسفر لانى ما بقى لى
بعد رواح ابن أخى مصطبر فاذنت لهم عنيترة فى المسير واطلقت الاسارى من بنى حمير وخلعت عليهم وتبعوا
سيدتهم الزرقا على الاثر ثم ان عنيترة ودعت الزرقا وذا الخمار وجميع بنى حمير وصار كل منهم شاكر
لعنيترة ابنة عنتر فهذا ما جرى لهؤلاء * وأما ما كان من الملك المنذر فى الاقامه والحضر فانه أقام فى بنى قضاعة
فى غاية الاكرام تمام سبعة أيام لاجل أن يأخذوا حظهم منه وليكرموه غاية الاكرام ولما كان اليوم الثامن
طلب المنذر من عنيترة الاذن فى السفر وقال لها يا أم الزعازع انى أريد الرواح الى الديار والاوطان لئلا تسمع
العرب انى عندكم فى الاسر والهوان فتقوم تنقلب العرب عليكم من سائر البلدان ويأتوكم من كل جانب
ومكان وربما يكون ما لكم بهم من طاقه ولا بحربهم استطاقه فلما سمعت عنيترة كلام المنذر وما قاله من
تلك الامور المشفقه علمت انه ما قال ذلك الكلام الا من نوع المحبة والشفقه فقالت له يا مولاى أمرك أعلا
وقولك أسنى وأولى فعند ذلك تجهز الملك المنذر الى الرحيل وسار وامعه يومين حتى انهم تبطنوا ذلك البر الاقفر
وودعوه وعادوا عنه بعدما حلف عليهم وردهم وسار هو وفيمن معه من العسكر وعادت عنيترة وخالها عمرو
ذو الكلب راجعين الى الديار والاطلال وعاد معها زهير بن قيس ومن معه من بنى عبس الابطال لان عنيترة
كانت منعت زهيرا ومن معه من الرواح مع المنذر وساروا الى أن وصلوا الى الديار ونزلوا فيها وقر قرارهم فاخذت
عنيترة فى اكرام الملك زهير بكل ما تقدر عليه وتودنها توصل الكرامة الزائدة اليه وصارت تكرم بنى عبس
غاية الاكرام وتروج لهم قدور الطعام وترزقهم بأوانى المدام الى ان كان يوم من بعض الايام جلسوا
للمشورة والكلام فقالت عنيترة لزهير يا ملك وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وحق الملك العلام لابد
أن أدع الملوك تنقاد صاغرة الى بين يديك وتخضع باعناقها اليك ونقابل من سطا عليكم بالهوان ونجازى
من أحسن اليكم بالجميل والاحسان ولابد أن نفنى العرب وجميع القبائل وأهلك منهم ما فعلوا الفارس
والراجل لاجل ما فعلوا بعد موت أبى عنتر ولا أنفك عنهم حتى أذيقهم الموت الاحمر فقال لها الملك زهير
وبنو عبس افعلى ما بدا لك فما فينا احد يخالف مقالك ولا يردك عما تقولى وتريدى أن تعمليه من أعمالك
فعندها أخذت فى مكاتيب من يلوذ بها من العربان والاصحاب والخلان وكان لها أصدقاء من يوم تفرست
وركبت الخيل ممن يقر لها بالطاعه وهم أهل قوة وشجاعه وتحت يدها ستة آلاف من قضاعه وقالت لزهير
وبنى عبس كاتبوا أنتم من تعلمون من أصحابكم وأصدقائكم وأحبابكم لانى عزمت على المسير الى بنى
عامر ونقتل منهم الاكابر والاصاغر لما بلغنى عن عامر من قتل عبلة وأمها وابيها وأخيها وكيف أخذ
أموالها وأموال أبى بالجملة وقد كانت أمها لهيما خاصة الرجال وخالها عمرو ذو الكلب قد حكوا لها على جميع
ما كان من تلك الاحوال فسار لها بذلك معرفه واستدلال وقالت انا ما أفعل به هذه الفعال الا انه قد حكى انه
كان صاحب أبى وكان عنده بمال ولما مات أبى خانه وأخذ جميع ماله وقتل عياله وعمل هذه الاعمال وفعل
تلك الاهانه ومن حين بلغنى عنه هذه الخيانه لابد أن أبليه بالذل والاهانه فلما سمعت بنو عبس وزهير بن
قيس كلام عنيترة لم يقولوا الا لم ولا ليس وكتبوا فى عاجل الحال الى من لهم من الحلفاء والابطال والاصحاب

مثل بنى غطفان وبنى ذبيان وبنى مرة ومن يجرى مجراهم من الاصدقاء والاخوان وكذلك فعلت عنيترة
وكتبت الكتب وأرسلتها للحلفاها ومن تعتمد عليه فى شدتها ورخاها وكانوا أربعة آلاف فارس من فتاك العرب
الذين قد سمعوا اشجاعتها وكيف أذلت فرسان البر والسبسب وكيف أسرت مثل الزرقا وذى الخمار وقتلت
أسد الفلاه الفارس المغوار وأسرت الملك المنذر ابن الملك النعمان وأحلت بهم الاضرار وقال الرجال قد
أخلف الله بنى عبس بعدما أصابها من الضرر هذه أم الزعازع عنيترة بنت عنتر فصارت العرب تراعيها
وتهاديها من جميع القبائل وجميع سكان المناهل وقد سارت عبيد عنيترة بالكتب الى قبائل العرب من
بعد منها ومن اقترب وكانت كتب زهير وبنى عبس وصلت الى عمرو بن معدى كرب الزبيدى وأيضا الى الامير
هانئ بن مسعود وأبى دريد بن الصمه فما واحد منهم أتى اليهم وقال كل منهم أنى بعد عنتر ما بقيت أقاتل ولكن
دريد بن الصمه قال أنا ما أخيب مسعاهم وقصدهم فارسل لهم خمسة آلاف فارس من كل مدرع ولابس مع
دنار بن روق وخفاف بن ندبه والعباس بن مرداس السلمى وساروا الى بنى عبس وعدنان وكذلك تتابعت
قبائل العرب من كل شعب وواد الى عنيترة بنت عنتر الفارس الرئبال ومازالت القبائل تقدم عليها
حتى ملؤا الاوديه والتلال وكل من قدم عليها من الرجال تكثر له من الطعام والمدام وأقامت بضيافتهم
ثلاثة أيام وكان ممن قدم عليهم أيضا عيينة بن حصن واجتمع عليه من بنى فزارة ألف فارس تمام لانه اذكرنا
انه كان فى الحيرة متخلفا فى ذلك المكان فلما ان سمع عن عنيترة وبنى عبس ذلك الكلام اشتاقت نفسه الى
الحرب والصدام فجمع من قدر عليه من بنى عمه الاخيار وسار حتى شاركوا بنى عبس فى أخذ الثار فلما
تكامل جمعهم سار وافى عددهم وعديدهم الى ان وصلوا الى بنى عبس وعدنان ولما رآهم زهير قام اليهم وتلقاهم
وأكرمهم وأحسن مثواهم وقال لعنيترة هؤلاء بنو عمنا ولجنا ردهنا فاستقبلتهم وأكرمتهم غاية الاكرام مدة
ثلاثة أيام وبعدها أمرتهم بالرحيل فسار وافى عددهم وعديدهم لما تكاملت عساكرهم وجنودهم وسارت
عنيترة وخالها عمرو أمام القوم وزهير بن قيس وعيينة بن حصن فى الساقة وقد نشرت فوق رؤسهم الاعلام
وسارت من حولهم يقطعون البرارى والآكام وقد هربت الوحوش من الاوكار من ركض خيولهم فى السهول
والاوعار وعنيترة سائرة امام القوم كما تقدم طالبة ديار بنى عامر وقد تيقنت من نفسها انها ما بقيت ترجع عنهم
حتى تمحقهم بالسيوف البواتر ومازالت سائرة الى ان أقبلت على ديار بنى عبس وعدنان وهى أرض الشربة
والعلم السعدى وتلك الاوطان وما فى بنى عبس الا من حين مرت بهم نزلت دموعه على خدوده كالغدران ويود
انه ما بقى يرحل منها ولا يبدى ولا سيما زهير وعيينة بن حصن لما رأوا دارهم خرابا بلاقع ولم يجدوا فيها ناطقا
ولا سامع ولا فيها الا اليوم ساكن وراتع ووحش فى سائر المواضع وقد صارت الذئاب والثعالب والوحوش
فيها عاقبة وبعد الانس قد صارت قديمه فعند ذلك بكى زهير بن قيس وعيينة بالدموع الغزار وتحادرت من
أعينهم كانها الامطار وكذلك نعلت عنيترة ولحقها الاخرى الحزن والضجره وزادت فى البكا والانين
ولا اشتكا وقالت ما الدار هم من بعدهم قفر اخراب يزعق فيها البوم والغراب وصارت لا تجيب منادى ولا
متكلم فيها من حاضر وبادى وحارت بنو عبس فى تلك الاحوال وكذلك زهير وعيينة زادت بهم الاهوال
وعنيترة قد تنفست صعدا وأبدت لوعة وكمدا وقالت يا هذه الديار أراك قد شمتت بك الاعدا فوالله الذى لا اله
الا هو الملك الجبار لآخذن لبنى عبس بالثار وأكشف عنهم ما نزل بهم من العار والذل والشنار لانه قد
التهب فى فؤادها وقيدا لنار فاشارت ترثى الديار بما خطر فى بالها من الاشعار بعد الصلاة على النبى المختار
عليه الصلاة والسلام

ما للديار تنكرت من أهلها * وتغيرت جنباتها والوادى
ياويحها من بعد فقد أحبة * فلمن أسائل عنهمو وأنادى * والبين والتفريق أقلق مهجتى
ورمى سهام البعد وسط فؤادى * لما وقفت على الديار مسائلا * ما شمت من أحد سوى الوراد
كل ينوح بدمعة مسفوحة * من أجل سادات مضوا برشاد * يا آل عبس كنتم ذا نجدة

كنز الفقير وكهف كل منادى * ما صابكم الا عيون حواسد * نالوا مناهم منكم بايادى
لهفى عليكم كيف صرتم فى الثرى * أشمتم الاضداد والحسادى * ياويح دهرى فيكم لما رمى
من كبد قوس فيكم ما فادى * قد أصبحت أوطانكم قفرا ولا * فيها أنيس غير صوت الفادى

﴿ قال الراوى ﴾ ثم انهم لما رأوا ذلك الحال أزعجوا أنفسهم وأكثروا من القيل والقال ثم انهم أقاموا فيها ونصبوا أبياتهم وقد كثرت ضجاتهم وكذلك أولادهم ونساؤهم وبناتهم وأكثروا من البكاء والاعوال وقد أقاموا ثلاثة أيام وهم فى هرج ومرج وأكل طعام وقد اجتمع عليهم لما شاعت أخبارهم من كان مشتتا من بنى عبس فى البرارى والآكام وبعد ذلك طلبوا المسير الى ديار بنى عامر بعد جمهم تلك العساكر وسارت القبائل والعشائر لانهم قد صار والثلاثة قبائل ما منهم الا كل فارس وراجل يقدمهم عنيترة وبنو قضاعة أهل الفروسية والشجاعة ويتلوهم بنو فزارة وبنو عبس الذئاب الطلس وساروا على ذلك الترتيب وما منهم الا كل صديق وحبيب حتى قطعوا فى مسيرهم خمسة أيام ولما كان فى اليوم السادس وقد تبطنوا فى ذلك البر والآكام واذاهم باثنين نجابة راكبين على نجيبين وهما فوقهما يغدوا فى ذلك البر كانهما أرنبان وعيونهم تلعب فى وجوههم كانها عيون ثعبان ﴿ قال الراوى ﴾ ثم ان النجابين لما ان رأوا كثرة العساكر وهم قد انفرشوا فى ذلك البر الاقفر يقدمهم الاميرة عنيترة بنت عنتر وهى راكبة على جوادها ومشتملة بآلة حربها وجلادها وهى كانها الاسد القسورة فعند ذلك نزلوا عن النجيبين وهربوا وأوسعوا فى البر وطلبوا النجاة وغدوا فى البر ركضا وخببا كانهما اليوتان اذا طلبا أو الماء اذا كان منسكبا وفى ساعة الحال غابوا عن العين فى تلك التلال والرمال وقد حير وابفعالهم كل من نظر اليهم من الرجال ولما ان رأت عنيترة وخالها عمرو وزهير ابن قيس وعيينة بن حصن الى ذلك الامر وكان معهم زيد بن عروة بن الورد وقد ذكرنا كيف أوصى عليه عنتر الامروق حال حياته فصار عنده أعز من روحه التى بين جنبيه بعد مماته وكان كما ذكرنا فى أول منشئه ذا شجاعة وشهامة وفروسية وبراعة فقال زيد لعنيترة ومن معها من الابطال لاشك ان هذين النجابين لهم حال من الاحوال فعند ذلك ركضت عنيترة وخالها عمرو وزهير بن قيس وكان تحتهم خيل جياد لم يوجد مثلها فى سائر البلاد فاوسع النجابان فى الهرب وأخذا الآخرون لهم فى الطلب ساعة من النهار فلم يلحقوا لهما غير الغبار فى تلك القفار وكان لما ان رأوا الخيل فرت منهم وزاد عليهم الغبار فعند ذلك أوسعوا فى الاوعار فواحد عدل الى يمين والآخر عدل الى يسار فلما رأوا الخليقة عن اللحاق بهم من تلك الفرسان صاحوا بهم ياويلكم قفوا وعليكم الامان منا وأيضا من سائر من مضى من العربان فنحن بنو عبس وعدنان وفزارة وذبيان وانا قد التم علينا جميع العربان ﴿ قال الراوى ﴾ ولما سمع النجابان كلامهم ونداهم وقفوا اليهم الى ان قربوا منهم فرأتهم عنيترة وعمرو وذو الكلب وزهير بن قيس وعيينة بن حصن وزيد بن عروة واليهم تشوقوا وكذلك النجابان عادوا اليهم وقربوا منهم وظهرت عليهم الفطنة وقالوا نحن أيضا من بنى عبس وعدنان ولكن نحن خائفون منهزمون من سائر أعدانا ونحن مظلومون فبحق شهر رجب لا تعينوا علينا أحدا من العربان فتقدم اليهما زهير وقال لهما من انتما من بنى عبس الكرام حياكما الله بين الانام واعلموا انى أنا ابن عمكم زهير بن قيس فلما ان سمع النجابان كلامه استبشر وا وحصل لهم الخير ثم انهم تقدموا اليه وقبلوا يديه فتبينهما زهير بن قيس وعمرو وذو الكلب ومن معهم من الجماعة واذا بواحد منهم صغير السن ولكنه بطل نحرير والآخر شيخ كبير الا ان ذلك الشيخ يعد برجال كثيرة لانهم رأوا منه عضوا يشبه نسلهم لما انه على وجه الارض تقدم زهو أسمر غميق السمرة والآخر أحور العينين يضرب لونه الى حمرة فتبينهما زهير ومن معه نعرفوهما وقد خفت عنهما بمعرفتهما الكروب واذا أحدهم جرير أخو عنتر والآخر الخذروف بن شيبوب فعندها ترجل اليهم زهير بن قيس لما ان عرفهم وكذلك عمرو وذو الكلب سلم عليهم وفى اللقاء أنصفهم وكذلك كل من حضر من الرجال اعتنقهم وسلموا عليهم وحصل لهم الابتهال وكل منهم بكى بكاء شديدا

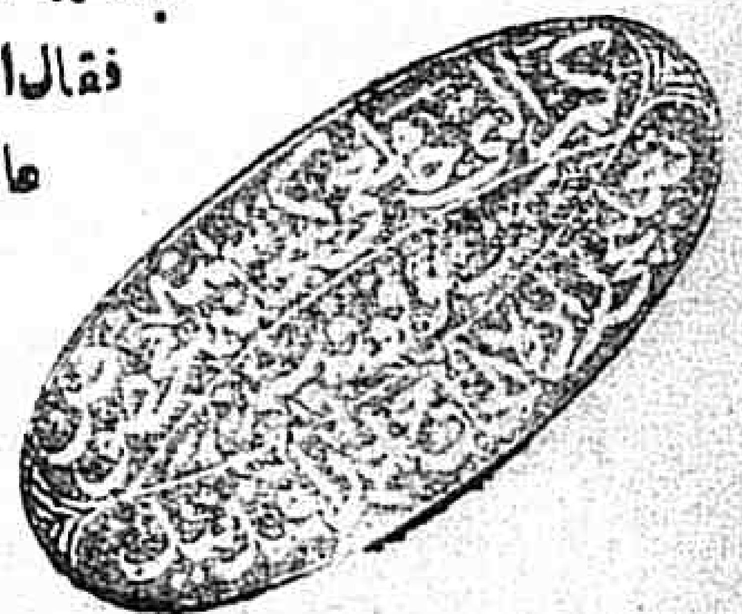
من حلاوة اللقا وكان السبب فى مجىء الخذروف وجرير والتقاهم ببنى عبس فى هذا المكان حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك ان جريرا لما مات أخوه عنتر خاف على نفسه وعلم ان بنى عبس بعده ما تنفع وتنفر عليهم العرب ويحصل لهم الضرر فاخذ الخذروف فى المسير الى البر الاقفر لينظر له مكانا يأوى اليه ويحميه من الضرر والشر وسار هو وابن أخيه فى البرارى والقفار وهم يقطعون السهول والاوعار الى ان رمتهم المقادير على حى بنى سعد الاخيار فالتقت بهم الرعيان وسلموا عليهم وقالوا لهم من أى أرض أقبلتم ومن أى مكان أنتم فقالوا لهم يا بنى الخالة نحن من عبيد بنى عبس وعدنان وقد جار علينا موالينا الزمان ورمونا بطوارق الحدثان ونحن قد رمتنا المقادير الى هذه الاوطان فمن هو صاحب هذه القبيلة حياه الله بين العربان ومن هو الحاكم عليها ومن يقال له من الشجعان فقال لهم العبيد أقيموا عندنا يا بنى الخالة على الرحب والسعة والكرامة والدعاء فان الذى تسألون عنه وهو الحاكم على هذه الحلة ما عنده بخل ولا فى ماله قلة وهو الامير روضة بن منيع سيد بنى سعد فارس الزمان وليث الميدان وحاوى قصب الرهان فلما سمع جرير والخذروف بذكر روضة بن منيع الفارس النبيل فرحوا فرحا غير قليل وعلموا ان سعدهم مستطيل وقال جرير هذا والله صاحب أخى عنتر وكان يذكره بالخير ان غاب أو حضر وكانت اتصلت المعرفة بينهم من حين أسره أخى عنتر لما خلص شاس ابن الملك زهير من بنى كندة حين ان صبغته المرأة العجوز أم البنات وجرى عليه ما جرى من تلك النائبات وعاد عنتر هو وشاس طالبين ديار بنى عبس والتقى بروضة هذا فى الطريق ومعه أمه واخوته وكان سائرا يخطب عبلة وبارزه عنتر واسره وأطلقه لهم واصطنعه وعرف روضة صنيع عنتر وجميله ووهبه الذى كان قد أتى به ليعطيه لعبلة مهرها وودعه روضة وعاد الى دياره وقد كانت الامارة لابيه فلما توفى أبوه اخذها بعده عمه ولما مات عمه تولى هو مكانه وعلا عند قومه شانه وتشيدت قواعد أركانه وراق له زمانه وما زال فى امارة الى ان أتى جرير والخذروف وجرى لهم من العبيد ما جرى وكان قد أتاهم العبيد بشىء من الطعام وأكرموهم غاية الاكرام ولما كان وقت العصر انصرفت الرعاة من المرعى فقام جرير والخذروف بين يديهم يسعى حتى دخلوا الى الحى وشقوا بين الخيام وهم يتأملون الى ذلك المقام فنظروا الى حلة عامرة وعبيد كثيرة وخيام وخيل وجمال وأغنام ورماح مركوزة ورحال مغروزة ومضارب مضروبة وقباب منصوبة وأعلام منشورة ورايات منشورة فقالوا له أما تنظر الى ذلك المحل الرفيع فتقدم فى عاجل الحال وتوصل حتى صار بين يديه فرآه فى أمر جميل من الرجال والعبيد والغلمان بين يديه غير قليل والكل واقفون على الاقدام وهو جالس بينهم كانه ملك من الملوك العظام وعليه هيبة واحتشام وهو فى دست الامارة يشبه البدر التمام فتقرب جرير منه وابتدأه بالسلام وقال له حياك الله الامير الخطير والبطل النحرير والملك الكبير صاحب السيف والعلم والسماحة والكرم والهيبة وحسن الشيم فقال له روضة لما ان سمع كلامه وأعجبه فصاحة لسانه وثبات جنانه من أين والى أين يا مولد العرب وتربية أصحاب الحسب والنسب فقال جرير نحن من بنى عبس يا مولاى يا من عليه المعتمد فى شدتى ورخاى فلما سمع روضة ذلك الكلام وذكر بنى عبس تزحزح من مكانه وانطلق بالشكر لسانه وقال لجرير حياك الله يا كريم النسب وحيا عربك الذين هم من أهل الشجاعة وحييتم فى كل وقت وساعة كيف حالكم بعد فارس الزمان وشجاع وقته والاوان الذى كانت تفتخر به الفرسان ثم ان روضة بكى وان واشتكى ساعة زمانية وأكثر من التعداد وقال يا حسرتاه عليك يا أمير عنتر يا ابن شداد والله لا لذلى بعده طعام ولا هنالى نوم على وساد ثم قال لجرير من تكون من بنى عبس أمن عبيدها أو من رجالها وصناديدها فقال يا مولاى أنا جرير أخو عنتر وهذا ابن أخى شيبوب البطل القسور فلما سمع روضة كلام جرير كاد عقله أن يطير وقام فى ساعة الحال على قدميه وسعى الى جرير وحضنه وقبله بين عينيه وكذلك فعل بالخذروف واستقبله بفؤاد ملهوف وقال لهم لقد شرفت بكم أرضنا وزاد بكم حظنا ثم ان روضة أخذ جريرا وأجلسه الى جانبه وقرب الخذروف حتى كانه من بعض حبائبه وفى ساعة الحال أمر العبيد باصطناع

الولائم وترويج الطعام فنحرت النحوز وحدرت الجزر وذبحت الاغنام وعلقوا في ساعة الحال القدور واصلحت في عاجل الوقت الامور وأقبلت العبيد ومدوا السماطات وأصلحوا ما يليق بهم من الآلات واصطفت في المجلس السادات وجلس روضة بين تلك السادات وأخذ جريرا الى جانبه اليسار وأكلت العبيد والاحرار الى ان امتلؤا من الطعام وبعد ذلك أحضروا المدام وشربوا بالكاس والجام وضربت بالمزاهر المولدات وعزفت القينات وطربت السادات وأقام جرير وابن أخيه الخذروف في الضيافة سبعة أيام وفي اليوم الثامن عزل روضة لجرير وللخذروف مضارب وخيام وعبيدا وخداما وجمالا وأغناما ومولدات وجوار وأكثر لهم من الاموال والايسار وقال لهم هذا الفعل في حقكم يسير لاني قد شممت فيكم رائحة ذلك الفارس البطل النحرير وأسفاه على ذلك الهمام بطول الايام الذي هو بامور الحرب خبير وأقام جرير والخذروف عند روضة في أهنا عيش وأمان وراحة وسرور واطمئنان مدة من الزمان الى أن كان يوم من بعض الايام دخل جرير على روضة لاجل السلام فوجده قد جمع سادات قومه وهم في مشورة وكلام وهو يقول يابني عمي خذوا أهبتكم لاني أريد ان أغزو واياكم بني ضمره لانهم كما تعلمون قتلوا أبي وعمي وأطلقوا في قلبي أحجره ولا بدلي من أخذ الثار وكشف العار فخذوا أهبتكم للسفر فلما كان بعد ثلاثة أيام رحلوا طالبين بني ضمره وقد تبطنوا في ذلك البر والآكام وجرير راكب الى جانب روضة في محفل وكذلك الخذروف عن يساره في حال مستقيم وكل منهم راكب على جواد من الخيل الجياد وهو من تحته يتدفق مثل الماء اذا خرج من ضيق الانبوب هذا وقد سارت بنو سعد في سبعة آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس وساروا يقطعون البراري والقفار والسهول والاوعار مدة عشرة أيام وفي اليوم الحادي عشر أقبلوا على أرض بني ضمرة وتلك الآكام فتبادرت الفرسان الى صوب المراعي وساقوا الاموال واحتووا على النوق والجمال وهامت الرعاة طالبين الحلل وعقل كل واحد منهم قد انذهل لانهم قد رأوا فرسانا كانهم العقبان ووقع النفير في بني ضمره فركبت الفرسان وتتابعت الشجعان وتبادرت الاقران وطلعوا الى الخيام والتقوا بني سعد واصطدموا معهم أي اصطدام قال وكان المقدم على بني ضمره ملك من الملوك الكبار يقال له عطارد بن نبهان وكان من جملة الفرسان المشهورين في ذلك الزمان وقد خرج ذلك اليوم وهو راكب على مهرة حمراء ما يلحق الخيل لها غبار وتسبق الطير اذا طار وطلب بني سعد بصدره واستجارهم بكرة وفره وحمت بنو ضمره في الحرب ظهره والتقى الفريقان وعمل السيف والسنان وحمل الشجاع وضرب بالبتار ونادى الجبان زنهار وانهم لم يزالوا على قتال وصدام الى أن ولى النهار على التمام وأقبل الظلام وافترقت الطائفتان واشعلوا النيران وتحارس الفريقان وكان الرابح في ذلك اليوم بني سعد لانهم قاتلوا قتالا وقلعوا منهم كل بطل أمجد ورأى عطارد من روضة ما لم يره من أحد لانه قاتل ذلك اليوم قتالا شديدا وجرحه في موضعين ولما ان انفصل القتال وتراجعت الفريقان وافتقد روضة رجاله فوجدهم قتل منهم سبعون فارس وافتقد عطارد ملك بني ضمره فرسانه فوجدهم قد قتل منهم أربعمائة وعشرون فارس من الاسود العوابس ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الفرسان واعتدت الطائفتان وتقابل الجيشان وحضرت وعمل بينهم السيف والسنان وطلع عليهم الغبار وغابوا عن الابصار وارتجت من شدة ركض الخيل الاقطار وأظلم ضوء النهار وملّ في ذلك اليوم الشجاع ومانجا الا طويل الباع وصمت من قعقعة السلاح الاسماع ونهمت الفرسان كانهم السباع وحامت الطيور على القتلى وأتت على رائحتهم الضباع وما بقي بين الفرسان وبين الموت الا باع أو ذراع وعملت السيوف البواتر في الرقاب والاضلاع وأما الجبان فانه قاسا من شدة الخوف والنزاع وزادت من بني سعد في بني ضمرة الاطماع فتقهقرت الى وراها بنو ضمره وقد أيسوا من النصره وكسرهم بنو سعد كسرة وأي كسره وأذاقوهم سادة مرة ولهبوهم بحد الحسام البتار وأكثروا فيهم الطعن بالاسمر الخطار ولم يكن لهم على حربهم طاقة ولا اصطبار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وانهزموا في البراري والقفار وطلبوا بطون الاودية والاوعار وخلوا المضارب والخيام والنساء والاولاد والخدام والخيل والجمال والانعام واكتسوا ثوبا من الذل والشنار

فعندها دخلت بنو سعد الى المضارب والخيام وسبوا النساء والبنات والخدام والخيل والجمال والانعام وصارت بنو سعد تنهب من حلة بني ضمرة ما قدرت عليه حتى ان الفارس صار يحمل ويحمل فرسه لما بقي النهب سائب وزادت تلك المصائب * ومما وقع من الاتفاق الذي تم وجرى هو أن جريرا والخذروف دخلوا مع جملة الفرسان الى أبيات بني ضمره وتوصلوا الى أبيات الملك عطارد مقدم العشيرة وكان قد انهزم وعميت منه النصيره وقد لحقه الانذهال والحيره فوجدوا فيه من الاموال ما تكل عن حمله الجمال ورأوا في البيت بنت ملك بني ضمره ولها وجه مثل نجمة الزهره وكان اسمها أميه وهي واقفة متحيرة مما جرى لها من تلك الرزيه فاخذها الخذروف وعمه جرير وأخذا ما كان في البيت من المال والامتعة الغوال ولم يدعوا في ذلك البيت عقال وجمعوا تلك الاموال وأخذوها والثياب الحرير نهبوها والبنات الكحال سبوها وسلموها الى عبيدهم ورجالهم لاننا قد ذكرنا لكم أن الملك روضة بن منيع كان قد انتخب جماعة من العبيد وأهداها لهم وكانوا معه في ذلك الوقت في خدمتهم وكان الخذروف في تلك الساعه قد نظر الى أميه ابنة عطارد سيد بني ضمره فنظرها نظرة أوقعت في قلبه حسرة وأطلق في فؤاده من جهتها جمره وكان بلغني ان لها من الجمال ما يسبي النساء والرجال ونهبت بنو سعد بنات بني ضمره بعدما كسروهم أي شر كسره وما خلوا في بيوتهم الا ما لا ينتفع به من مثل وتد عادم أو مضرب مقطع وقد أقاموا بنو سعد ذلك اليوم حتى هدأوا من الوقعه وقر قرارهم ومن الغد رحلوا وساروا طالبين ديارهم الى أن وصلوا الى الحي سالمين غانمين فتلقاهم أهلهم وهم فرحون وفرحت المقيمون بالقادمين وأنزلوا ما معهم من الغنائم والخيام واستمروا على اصطناع الولائم وأكل الطعام وجعلت تدور عليهم كاسات المدام وأخذوا في اللهو والطرب والافراح الرجال والعبيد والخدام واستقرت المنازل بالنازل وفرحت الاوطان بالقطان وأقاموا يرتعون في أكل الطعام وشرب المدام وخير زاد وكثرة أنعام تمام سبعة أيام ولما ان كان اليوم الثامن من ذلك المقام شاور جرير روضة في زواج أميه بنت عطارد للخذروف بن شيبوب لعل ان تطمئن منهم القلوب فانعم له بذلك وفرح غاية الفرح واتسع صدره بذلك وانشرح وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب لا يكلف عرسها الا أنا وليس علينا في ذلك عتب ولا عنا ثم ان الامير روضة بن منيع أمر العبيد بنحر النحور ونصب القدور وترويق الخمور وتجديد الولائم أيضا ثلاثة أيام وقد رتع في ذلك الخاص والعام الى ان انقضت ثلاثة أيام ولما كان في الليلة الرابعة زفت الجارية أمية بنت عطارد على الخذروف لان قلبه عليها ملهوف وضربت قبة الزفاف وانقضى الامر وما بقي فيه اختلاف ودخل بها الخذروف من ليلته وقد وقعت بينهما الموافقة وزالت حسرته وقد أحبها والاخرى أحبته وأقاما مع بعضهما في أرغد عيش وأهناه مدة أيام وقد سار لجرير والخذروف رونق وحظ واقبال في بني سعد وكانوا يجلسون على مراتب عاليه بجانب روضة بن منيع والعبيد والجوار تخدمهم الليل والنهار وقد صار لهم قيمة ومقدار وأقاموا على ذلك برهة من الزمان ولم يغير ما هم فيه من ذلك الشان فهذا ما كان من جرير والخذروف ﴿وأما ما كان﴾ من الملك عطارد وقومه من بني ضمرة فانهم لما جرى لهم من بني سعد ما جرى وانكسروا وافتقدهم وهجم عليهم ملكهم الملك عطارد وقومه في البراري والقفار وجعل يطوف سائر الاقطار ويشكو الى أمراء القبائل حالهم ويحكي لهم ما جرى له وقد اغتمت له الاصدقاء والاحباب ومن له من الخلفاء والاصحاب لما حصل له من المصائب واجتمعت عليه جماعة كثيرة من فرسان العرب وأتوا اليه يريدون معونته من كل بدو وسبسب وانضمت اليه من بني ضمرة الذين انهزموا من تلك الوقعة وسمعت بما كان من هذه الاخبار وعادت الى ملكها الاخذ ثارها وقد أتوا من سائر الاودية والهضاب يريدون من أخذ لهم من الاحباب والنساء والبنات والاموال والاولاد وقد سار الملك عطارد في تسعة آلاف فارس من كل ملك مداعس ما منهم الا كل مدرع ولابس وسار طالبا ديار بني سعد وكان قد أقبل عليهم في ذلك اليوم الاقبال والسعد وقد سار بهذه العساكر الجميع يريد أخذ ثاره من روضة بن منيع ويجازيه على ما فعل في حقه من ذلك الصنيع وما زالوا يجدون في سيرهم الى أن قاربوا ديار بني سعد وبعد ذلك وقع في الحلة النفير فركب

الكبير منهم والصغير فعندها انعقدت العساكر بجال بين الاهوال وقد عزموا على القتال والحرب والنزال والتقت الرجال بالرجال وانطرحت الفرسان على الرمال هذا وقد طلع الغبار وغابت الطائفتان عن الابصار وما صبرت بنو سعد غير ساعه ولم يجدوا لهم على قتال العساكر اصطبار فولوا الادبار وتبعتهم بنو ضمره وانكسر بنو سعد أيشم كسره وكانت هذه النوبة على بني ضمره أسعد سفره ونجا بنفسه كل فارس همام فنهبت بنو ضمره ما وقع في أيديهم من النوق والجمال وقد سبوا النساء والبنات الابكار واجتمع عظارد بابنته أمية زوجة الخذروف لانه كان على خلاصها ملهوف وأخذ ما حوته يد الخذروف ونهبوا أيضا بيت زوضة بن منيع وما حوله من المضارب الجميع وما فيها من الخيرات والانعام وقد أحلوا بهم المصائب والآلام (قال الراوي) وأما جرير والخذروف فانهم لما رأوا ما حل ببني سعد من المصائب وما طرقهم من النوائب ركب كل واحد منهم على نجيب من النجب الملاح وطلبوا الهرب في ذلك البر وخافوا على أنفسهم من موت الفجاة فطلبوا لانفسهم النجاه وما زالوا سائرين على تلك النجب يقطعون البراري والقفار مدة احد عشر يوما وفي اليوم الثاني عشر التقوا بفرسان بني عبس الاخيار كما ذكرنا يقدمهم عنيترة بنت عنتر وزهير بن قيس وعيينة ابن حصن وزيد بن عمرو وعمرو وذو الكلاب وقد عرفهم زهير ومن معه من الرجال وجرى من الحديث ما وصفناه من ذلك المقال وقد رجعنا الى سياق الحديث والخبر بعد الصلاة والسلام على سيد البشر صلى الله عليه وسلم ﴿قال الراوي﴾ ثم انهم لما فرغوا من المعرفة والكلام رجعوا بهم وقد أكرموهم غاية الاكرام وبعدها ساروا طالبين أرض بني عامر بعد ان حلفت عليهم عنيترة وعلى عمها جرير وابن عمها الخذروف وأركبتهم الخيل الجياد وخلعت عليهم مما عليها من ذلك الخير الوافر وساروا يقطعون الفياف والقفار وكذلك السهول والاوعار الى أن بقي بينهم وبين أرض بني عامر مسيرة يومين ونزلت تلك العساكر في بعض المواضع فقال الخذروف لابنة عمه عنيترة يا بنت العم الرأي عندي أن تقدم أمامكم وأكشف لكم الاخبار وأعود على الآثار فقالت له عنيترة نعم ما به قد أشرت سر على بركة الله تعالى فيما قد عزمت فسار الخذروف وقد غير زيه واختفى عن سائر العربان وسار يقطع البراري والقيعان الى أن وصل الى ديار بني عامر فوجدهم على يقظة من أمرهم وهم على ما هم عليه من ذلك الخير الوافر وقد أخذوا أهبتهم للحرب والقتال واستعدوا للطعن والنزال لانه كان وصل اليهم من بعض العبيد الخبر بان الواصل اليكم عنيترة بنت عنتر وكان ذلك العبد ماهر وكان قد أرسله مولاه الامير عامر في بعض اشغاله لعرب يقال لهم بنو ضهيه فقابل عنيترة ومعها هؤلاء العساكر المسميه وهي طالبة ديار بني عامر في تلك الهمة القويه فرجع على أثره كانه الطير الطائر وقد أخبر قومه بني عامر فلذلك أخذوا أهبتهم للحرب والقتال وقد رأى الخذروف الى ذلك الحال فعاد على أثره يقطع البراري والتلال وأعلم ابنة عمه عنيترة وزهيرا بما فيه بنو عامر من ذلك الامر النكير فقال الملك زهير وحق خالق الليل والنهار لابد من قتل عامر بن الطفيل وأن أنزل به الذل والويل فقالت عنيترة لابد من هذه الفعال ولا جندل منهم الابطال وأدحرج رؤس الاقيال ولا أرضى بقتل فارس واحد في قتل عمي وأولاده الاقيـال





﴿ تم الجزء الحادي والثلاثون من قصة فارس الطراد ومشيد بيت بني عبس عنتر بن شداد ﴾

﴿ الجزء الثاني والثلاثون ﴾

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من
انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث
النزال الامير عنترة بن شداد
وهي السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليـه





﴿ محل مبيعه ﴾

(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين افندي شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

﴿ الطبعة الثانية ﴾

(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال الراوى) هذا وقد أمرت عنيترة الجيش بالرحيل فرحلت العرب من غير تهون ولا تطويل وساروا ذلك اليوم وتلك الليلة يقطعون الروابى والبطاح فصبحوا حى بنى عامر اشم صباح ولما قاربوا البيوت أكثروا من الصياح وظهر بنو عامر أيضا وقد ضاقت عليهم الاماكن الفساح وتدانت من بعضهم رجال الفريقين وحان بينهما الحين وزعق عليهما غراب البين وتراموا باليدين والرجلين وأصابتهما العين وصار حالهما شين وقربت المواكب من المواكب وهزوا فى أيديهم القواضب وقد بان المغلوب من الغالب وصاروا بين مغلوب وغالب ومنكوب وناكب ومنهوب وناهب ومضروب وضارب وظهرت بينهم العجائب والغرائب ومانفع فى تلك الساعه لاخل ولاصاحب (قال الاصمعى) الراوى لهذا الديوان وكان فى أوائل الفرسان أربعة وهم حماة بنى عبس وعدنان وأشهروا فى أيديهم السنان وفيهم عنيترة بنت عنتر سيد الفرسان وخالها عمرو ذو الكلب الاسد الغضبان وزهير بن الملك قيس سيد العربان وزيد بن الامير عروة ابن الورد سيد الفتيان وعتيبة بن حصن الفارس القسور ثم انهم حملوا على ذلك الجيش وأذاقوا بنى عامر فى ذلك اليوم الموت الاحمر والبلاء الاكبر وأروهم فى أرواحهم العبر من سيوف لاتبقى ولاتذر (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب والامر المطرب الغريب الذى يجب أن نسوقه على الترتيب فعند ذلك تلقاهم عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة والاحوص بن جعفر وكان لهم يوم شديد أغبر كأنه من أيام الساعة التى هى أدهى وأمر وحمل أيضا مع بنى عبس خفاف بن ندبة ودثار بن روق ولهم عزيمة وهمة وكانوا كما قد ذكرنا قد أرسلهم لهم الامير دريد بن الصمة وحمل أيضا سبيع اليمن ابن مقرى الوحش فارس النياق وحمل فى أثره عتيبة بن حصن ابن حذيفة وبذلوا فى بنى عامر السيوف والرماح وأظهروا ما عندهم من الشجاعة والقوة ولم يأخذهم فزع وزادت منهم المروءة وصاحوا صياح الليوث العوابس وانصبوا على مواكب بنى عامر انصباب الليث العابس وقد أسروا ثلاثين كأنهم الجن والابالس (قال الاصمعى) وقد قام بنو عبس وبنو قضاعة وأقاموا الحرب على قدم وساق وطوقوا بالدم الرقاب والاطواق وضربوا الرؤس وبروا الاعناق ومحقوهم أى امحاق وبلغت الارواح التراق وأكثروا الصياح والزعاق وذهبت من شدة الكرب الاخلاق وجالت الخيل على بعضها

البعض وانطرحت الاجساد على بسيط الارض ورأت فرسان بنى عامر وكلاب من بنى عبس وبنى قضاعة ساعة وأى ساعة فعند ذلك قال علقمة بن علاقة وكان من فرسان بنى عامر الموصوفة وشجعانهم المعروفة لبنى عامر يا ويلكم دونكم وهؤلاء الانذال لاتدعوا منهم ساعة ولا ناظرا وقربوا منهم الآجال واسقوهم كأس الهوان والوبال وضيقوا عليهم المجال وارموهم ذات اليمين والشمال وخذوا بثاركم منهم فلما سمعت بنو عامر ذلك المقال والقيل مالوا على بنى عبس وبنى قضاعة كل الميل وحمل قدامهم علقمة بن علاقة ومروان بن سراقة وعامر بن الطفيل فاستقبلتهم عنيترة وعمرو ذو الكلب وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن بن حذيفة وزيد بن عروة ودثار بن روق وخفاف بن ندبة وقناصة الرجال وسبيع اليمن بن مقرى الوحش صديق عنتر وباقى الفرسان وأوقعوا ببنى عامر الذل والهوان وأبلوهم بالحرب والطعان وأبادوا منهم الشجعان وأهلكوا الاقران ولم يزل الحرب يعمل والدم يهذل والرجال تجندل ونار الحرب تشعل الى آخر النهار فدقوا طبول الانفصال وعادوا الى الخيام والاطلال وباتوا يتحارسون الى الصباح ولما ظهر الفجر ولاح ركبت الفرسان على الجرد القداح بعد ما اعتقلوا بالسلاح وطلبوا من بعضهم الحرب والكفاح ونادى عليهم الموت لابراح لمن يبيع روحه بين الارواح فعند ذلك برزت الفرسان الى حومة الميدان فكان أول من برز من بنى عامر ملاعب الاسنة ورداد الاعنة فصاح وطلب البراز فبرز اليه واحد من بنى عبس فقتله وثان جندله وأسر منهم خمسة فرسان أقيال فلما رأت عنيترة الى هذا الحال خافت على رجالها من الوبال فبرزت اليه فى عاجل الحال وقالت له دونك والحرب يا ابن الانذال ويا فضالة أوباش الرجال فصاح بها غشم بن مالك وحمل عليها حملة الاسد الرئبال فتلقته عنيترة كأنها النمر الحردان وجال الاثنان فى المجال وأظهرا الاهوال وكانت عنيترة أثبت منه فى القتال وراوغته وضايقته فى المجال وطعنته بالسنان فى صدره أطلعته يلمع من ظهره فانجدل ومال كأنه قطعة من بعض الجبال فلما رأى بنو عامر هذا الحال حملوا على عنيترة من اليمين والشمال عند ذلك تلقتهم بنو عبس وبنو قضاعة كأنهم أسود الدحال وطال بهم المطال والحرب والقتال وجرى الدم وسال كأنه السيل اذا سال وزادت نار الحرب اشتعال الى آخر النهار فدقوا طبول الانفصال ورجعوا عن المجال لما أقبل الليل بالانسدال وعول النهار على الارتحال ولما كان ثانى الايام برزت عنيترة للمجال وطلبت الحرب والقتال وهى تنادى يابنى عامر دونكم والقتال والطعن والنزال ولا يبرز لى الا فارسكم عامر بن الطفيل الذى خان العهود والمواثيق وأنكر صحبة الصديق وقتل زوجة أبى وأباها وأخاها وعمل هذه العملة ولم يعلم ان صاحب الثار لاينام فليبرز ذلك اليوم الى الحرب والصدام الا انها ما استتمت كلامها حتى صار عامر بن الطفيل قدامها فلما نظرته عنيترة علمت بما فى مراده فعند ذلك أنشدت تقول

أبا عامر يا ابن بنت العواهر * أتاك القضا من كف بنت الاكابر
أبى عنتر المعروف فى حومة الوغا * همام البرايا ضارب بالبواتر
فكافأته لما توفى بفعله * وجازيته بئس الجزا بالعشائر
أما كنت ترعى حرمة الود بينكم * وتكرم له عبلة بطيب العناصر
ولكن جرى المقدور فيها فلا تكن * يعز عليك اليوم ضرب العناتر
فقد قيل فى الامثال بيت مجرب * جرى ذكره بين الورى فى العناصر
ومن يفعل المعروف فى غير أهله * يلاقى كما لاقى مجير أم عامر

(قال الراوى) ولما فرغت عنيترة من شعرها وما أنشأته من نظمها ونثرها حملت على عامر بن الطفيل حملة الاسد الضرغام وتضاربا بالحسام الصمصام وتطاعنا بالرماح المعتدلة القوام وأخذ معها عامر فى الجد والكد والاخذ والرد والاقتراب والابتعاد وكثر بينهما الشر والعناد وكان لها ساعة تقشعر منها الاجساد ونظر عامر ابن الطفيل من الاميرة عنيترة حربا ما رأى عمره مثله فى الزمان لا من فارس ولا من عشرة وسترتهما عن أعين الفريقين الغبرة وعلمت أم الزعازع أن عامرا بقى قدامها قليل المقدار فسطت عليه بقوتها سطوة جبار وحملت

عليه حملة صادقة ماعليها غبار وضربه بالسيف صفحا على قته فوقع من على الجواد وكادت أن تعدمه مهجته وبقى ممدودا على الارض من غشوته لان الضربة نزلت على رأسه مثل حجر المنجنيق فعدم منها السعادة والتوفيق وما أفاق عامر من غشوته حتى انقض عليه الخذروف وشده شدا وثيقا وساقه قدامه وهو فى بحار الهم غريق (قال الراوى) ولما نظرت بنو عامر الى حاميها قد أسر وبعد العز ذل وقهر انحلت عزائمها وارتعدت من الفزع قوائمها وحملت تروم خلاصه من يد قناصه فاستقبلتهم بنو عبس وبنو قضاعة بقلوب غير مرتاعة وصدقوا فى حملتهم فى تلك الساعة وكانت عنيترة بعد أسرها العامر بن الطفيل حملت على بنى عامر هى وخالها عمرو ذو الكلب وزهير بن قيس وزيد بن عمرو وسبيع اليمن ودثار بن روق وخفاف بن ندبة ودعسوا فى بنى عامر وأذاقوهم الحرب المتعاصر وأفنوا منهم الاكابر والاصاغر وعدم صبر بنى عامر حتى لم يبق فيهم من يحارب ولا يضارب ودخل فى قلوبهم ما حير الخواطر وأبهر النواظر وانصب عليهم بنو عبس كأنهم الاسود الكواسر فلم يجدوا لهم بهم طاقة ولا على حربهم استطاقة فلم يكن أوفى من الهرب فولوا الادبار وركنوا الى الفرار لانهم لم يبق لهم على الثبات قدرة ولا اصطبار فهجوا على وجوههم فى القفار وتفرقوا فى السهول والاوعار وتبعتهم بنو عبس وبنو قضاعة ومكنوا منهم الصارم البتار ومازالوا خلفهم الى آخر النهار فرجعوا عنهم وقد حصل لهم الفرح والاستبشار ونهبت العرب أحياء بنى عامر وأخذوا أموالهم ونياقهم وجمالهم وبعد ذلك دخلت عنيترة أبيات عامر بن الطفيل ونهبت هى ورجالها ما فيها من الخيرات وأسرت كبشة أم عامر وأخته وأحلت بهم الذلة وذلك انتأخذ منهم بثار عمها مالك وولده عمرو وابنته عبلة وأخذت جميع ما كان تبقى من أموالها وبذلك أخبرتها رجالها وفرح زهير بن قيس بما كان من أحوالها وأخذت من عنده الدروع التى كانت لابيها عنتر ومن جملتهم الدرع الاحجى وسيفه الضامى الابتر وأخذت الخيل التى كانت له ولم يعدم منها سوى الابجر لانه كما ذكرنا شرد عند وقوع عنتر من عليه وتوحش فى البر الاقفر لان عبلة كانت أخذتهم معها لما تزوج بها عامر كما أمرها عنتر وصارت كبشة أم عامر لما رأت ما حل بها من ذلك الامر الجسيم تقول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والله ان ولدى كان عليكم ظالم وقد أصبح اليوم على فعله نادم وحرمه العز الدائم هذا وبنو عبس قد نهبوا المضارب والخيام وسبوا الجوار والمولدات والخدام وشالوا الحلة وأخذوا كل ما فيها ولم يدعوا شيأ له منتفع وقد هج على وجهه الاحوص بن جعفر ورأى بعينه الموت الاحمر وبات بنو عبس وبنو قضاعة فى ذلك المكان وفرحوا بأخذ الثار وعلو الشان ومن الغد عادوا طالبين الديار والاطلال قاصدين أرض الشربة والعلم السعدى ليعمروا المنازل ويؤنسوا الديار ولا يعود أحد يتعدى عليهم (قال الراوى) ولم يزالوا الى ان وصلوا الى الاوطان والديار ونزلوا فيها وقد فرحت بهم الديار وتعمرت الاوطان بالقطان والمنازل بالسكان ولما نزلوا ضربوا الخيام وأركزوا الاعلام ورحوا قدور الطعام وأترعوا باطى المدام وقد أخذوا فى اصطناع الولائم مدة سبعة أيام وضربت العنيترة مضربا مكان أبيها على غدير ذات الارصاد وأتتها الشعراء والقصاد وكذلك زهير بن قيس نزل فى منزل أبيه وخرج بنو عبس وملكهم بما هو فيه وكذلك عتيبة بن حصن نزل فى منازل بنى فزارة وحصلت لهم الفائدة بعد الخسارة وتعمرت الديار بعد الخراب واستأنست بأهلها بعد ان كانوا عنها غياب وهراب وكانت قفراء خراب لا يأويها الا البوم والغراب فسبحان الله العزيز الوهاب الملك العظيم التواب الذى اذا دعى أجاب واذا سئل أعطى بغير حساب يحكم فى خلقه ما يريد وله البقاء والنصر والتأييد (قال الراوى) وأقامت بنو عبس فى منازلهم والاوطان وقد خافت منهم وحسبت حسابهم جميع القبائل والعربان من بنى عدنان وبنى شيبان وبنى قحطان وخافت وهابت من عنيترة جميع الشجعان والاقران وقالوا لبعضهم هاقد عاد ملك بنى عبس أحسن ما كان وقد تعوضوا عن عنتر بابنته عنيترة التى أذلت الشجعان وقهرت الاقران وأسرت مثل ذى الخمار ومثل عمته الزرقاء الذين هم معدودون من فرسان الحرب واللقاء وأسرت مثل عامر بن الطفيل وقتلت ابن خالته ملاعب الاسنة وأحلت به الفناء والويل وأخذت منهم بالثار وكشفت عن بنى عبس العار وشتتت بنى عامر فى البرارى والقفار وخلت منازلهم قفراء ما فيها ديار ولا نافخ نار (قال الراوى) وقد

مضت الاخبار بذلك الى عمرو بن معديكرب فتعجب كل العجب من ذلك واحتفل فى سادات قومه وسار الى بنى عبس السادات الغر ليهنى عنيترة بما أتاها من النصر والظفر ومازال سائرا الى ان وصل الى بنى عبس ومن عندهم من القبائل فوجد المنازل قد أنست بالنوازل وازداد عددهم عما كانوا فى تلك الايام الاوائل لانهم كانوا فى أيام عنتر أربعة آلاف فارس والآن قد صارت عنيترة وزهير فى اثنى عشر ألف فارس لان زهيرا قد اجتمع عليه من بنى عبس الذين تفرقوا ألف فارس وبنو قضاعة قد جاؤا مع عنيترة وخالها عمرو فى خمسة آلاف فارس وبنو فزارة قد اجتمع منها خمسمائة فارس ممن كانوا قد اختفوا فى الجبال وشئ منهم كان قد تخفى وسكن فى أحاقيف الرمال والباقى من فرسان العرب الذين قد أتت الى خدمة عنيترة لما بان منها هذه الشجاعة والقوة والبراعة وهم مثل دثار بن روق وخفاف بن ندبة لانهم راعوا ما كان بينهم وبين والدها عنتر من المودة والصحبة وكان كما ذكرنا قد أمرهم بذلك شيخ العرب دريد بن الصمة فاجتمعوا فى جماعة من هوازن أهل العزيمة والهمم وكانوا قد ألفوها وأحبوا المقام عندها لانهم رأوها جيدة الخصال ولاجل ما كسبوا بسببها من المال والنوق والجمال (قال الراوى) ولما أتى الامير عمرو بن معديكرب الى زيارة عنيترة ترحبت به وأكرمته غاية الاكرام وقد وجد عندها الامير هانئ بن مسعود فى جماعة من فرسان بنى شيبان الكرام لانه كان الآخر قد أتى الى عنيترة لاجل السلام هذا وعنيترة قد قامت لجميع العربان بالضيافات والعلوفات وأكثرت لهم من الخيرات الزائدات وأصبحت أرض الشربة والعلم السعدى ترتج بسكانها وتفرح بقطانها وقد صارت أحسن ما كانت فى أول زمانها وصار سادات العرب ما لهم حديث الا فى عنيترة مما بان منها من الشجاعة والفتوة والكرم وحسن الشيم وجعلوا يقولون لقد أحيت عنيترة ذكر بنى عبس بعد ما كانوا كما مضى من أمس لانه من خلف مثلها ما مات لانها قد أسرت جماعة من الفرسان والسادات مثل ذى الخمار وعمته الزرقاء وأردتهما فى الحرب واللقاء وقتلت ابن بنته أسد الفلا وأورثته الفنا (قال الراوى) وقد ذكرنا أن عامر بن الطفيل عندها أسير وقد أحلت به البلاء والثبور وقتلت ابن خالته ملاعب الاسنة غشيم بن مالك وأنزلت به المهالك وكذلك عندها والدته وأخته فى الاسر والهوان فلما اجتمعت عندها سادات العربان لم يجدوا لهم كلاما سوى ذلك الشان وخلاص عامر مما هو فيه من الاسر والهوان لانه كما قدمنا معدود من جملة الشجعان فعندها سألها الامير هانئ بن مسعود وعمرو بن معديكرب بعامر بن الطفيل لاجل من معه من النسوان فأجابتهم عنيترة الى ذلك السؤال ولم تغلظ عليهم فى المقال ولم يخطر لها ذلك الامر على بال ثم انها أمرت باطلاقه فى عاجل الحال وخلعت عليه وأحضرته فى جملة الرجال ثم قاموا عندها فى أرغد عيش وأهنى بال مدة سبعة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام وبعد ذلك استأذنوها فى الانصراف فأذنت لهم فى ذلك ولم يكن عندها خلاف بعدما خلعت عليهم الخلع الحسان وساروا من عندها وهم يتعاهدون ما فعلت فى حقهم من الاحسان وأقامت هى بعد ذلك وقومها وما اجتمع عليها من العربان وهم فى أمان واطمئنان برهة من الزمان (قال الراوى) وأما الفرسان الذين انصرفوا من عندها فكل منهم قصد ماله من الاوطان ومن جملتهم عامر بن الطفيل وقد ناله ما حل به من الاسر والذل والويل لكن الشقاوة غالبة عليه بما قضاه الله تعالى من اتصال الكفر اليه وذلك أن عامرا لما وصل الى دياره ونزل فيها وقر قراره واجتمعت عليه العربان الذين كانوا قد انهزموا فى البرارى والقيعان ونزلوا واستقرت بهم الاوطان (قال الراوى) ومما قضاه الملك الديان أنه لما بعث سيدنا محمد سيد ولد عدنان وشاعت أخباره فى سائر الاماكن والبلدان ودعا الناس الى الاسلام والايمان ورمى ما كان على البيت الحرام من الاصنام والاوثان فبلغ ذلك الى عامر بن الطفيل فمن خبث نفسه لم يلحقه من ذلك فتور ولا توان بل قال أريد أن أمضى الى هذا الرجل الذى شاعت أخباره وأغزوه فى دياره فقد بلغنى أنه بمكة مقيم وأنه قد دعا الناس الى دين قديم وحط القصائد عن البيت الحرام وأطاعته أصحاب كثيرة من الخاص والعام ولما عزم عامر ابن الطفيل على ذلك أقبل على فارس كان قد نشأ فى بنى عامر يقال له زيد بن ربيعة وكان الآخر كافرا جاحدا فقال له يا زيد هلم بنا لنقتل هذا الرجل الذى قد ظهر وننقطع منه الاثر وندع لنا بذلك خبرا يذكر فقال له

افعل ما بدا لك فانى مطيع لك فى جميع أفعالك ثم اتفقوا على ذلك الحال وساروا يقطعون البرارى والتلال وما زالوا كذلك الى أن وصلوا الى مكة شرفها الله تعالى ونزلوا فى بيت امرأة تسمى سلوى وكانوا يعرفونها قبل تلك القضية وهى أخت عبد الله بن سلول المنافق لعنة الله تعالى عليه (قال الراوى) ولما أن نزلوا عندها واستقروا فى دارها صارت تخدمهم هى وخدامها وجوارها واقاموا عندها يريدون فرصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس فى بيت خديجة الكبرى والدة فاطمة الزهراء واذا بجبرائيل قد هبط عليه وقال له يا رسول الله ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك ان رجلين من بنى عامر يقال لاحدهما عامر بن الطفيل والثانى يسمى زيد بن ربيعة العامرى قد أتيا اليك ليقتلوك وهما قد نزلا فى بيت أخت عبد الله بن سلول المنافق وانهما قد أملوا أملا بعيدا وقد أضلهما الله تعالى ضلالا شديدا وتبعا قول كل جبار عنيد وربك يقول لك يا محمد ان أردت خسفت بهما الارض كما خسف الله دار قارون ومهما اخترت فهو على كل حال يكون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اهد قومى فانهم لا يعلمون وقال يا أخى يا جبرائيل دعهما فى غيهما وجهلهما يعمهون وقد وصف الله أخلاقه فى القرآن فقال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم وخرج النبى صلى الله عليه وسلم وجلس فى المسجد واذا بعبد الله بن سلول المنافق قد أقبل الى المسجد فى جملة الصحابة ودخل وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعرف المنافق من المؤمن الصادق ولكن كان المنافق يحقن دمه وماله بقول لا اله الا الله محمد رسول الله (قال الراوى) ولما أقبل عبد الله بن سلول الى المسجد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله امض الى دار أختك وائتنى بمن عندها من بنى عامر فسار عبد الله الى دار أخته لما سمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطرق الباب ففتحت له أخته وقالت له أهلا وسهلا بك يا أخى هل لك من حاجة فقال لها عبد الله يا أختاه هل عندك ضيوف من بنى عامر من قرائب بعلك فقالت له نعم فقال لها ادعيهم ينجوا بأنفسهم والا أهلكهم محمد بن عبد الله فلما سمعت ذلك منه تغير لونها واضطرب كونها ودخلت من وقتها وساعتها الى عامر بن الطفيل والى زيد بن ربيعة العامرى وقالت لهما قوما وانجوا بأنفسكما من العطب والا قتلكما محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب أشر قتلة ومثل بكما أقبح مثلة فلما سمعوا ذلك الكلام من أخت عبد الله قاما الى خيولهما فركبوها الى عددهما فلبسوها وخرجوا من وقتهما وساعتهما وساروا فى البر على وجوههما هاربين والى النجاة طالبين وقد صاروا فى حيرة عظيمة فى ذلك البر الاقفر واعتراهم الخوف والكدر الى ان وصلوا الى بنى عامر وكل واحد منهما عقله من رأسه طاير وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاعتداء من عامر ابن الطفيل فدعا عليه وقال ابتلاه الله بغدة كغدة البعير فطلع له شئ فى رقبته يسمى الخوانيق فلما وصلوا الى بنى عامر ضعف أياما كثيرة وأجيبت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عامر وطلع له غدة فى رقبته حتى صارت كالطبل العظيم ولم يزل بها حتى هلك فلعنة الله عليه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من عنيترة وبنى عبس وأحوالهم فانهم لما أقاموا فى أرض الشربة والعلم السعدى وقد بلغوا من النصر على الاعداء آمالهم وهم فى العيش الرغيد والجمع العديد واذا بنجاب على ناقة طويلة الخطام قد أقبل من بين تلك الروابى والآكام حتى أشرف على أرض الشربة والعلم السعدى وهو راكب على ناقته وهو بها يحدو وينشد ويبدى فلما بانت له الخيام وظهرت له الرايات والاعلام ونظرته العرب تسابق عليه العبيد والخدام فرآوه قد ترجل من على نجيبه فى طرف الخيام وصار ماشيا على الاقدام وسأل عن مضرب الاميرة عنيترة فأرشده اليه الخدام ومازال سائرا حتى وصل اليها وقدم عليها وصار بين يديها فرآها جالسة فى مضربها وعندها سادات العرب وهى بينهم كأنها الاسد الاغلب وكل منهم ينظر الى ما أعطاها الله تعالى من الهيبة ومن شجاعتها وهى أيضا تتعجب كيف أذلت بفروسيتها فرسان البر والسبسب (قال الراوى) واذا بالنجاب قد أقبل فاستأذن له الخدام فأذنت له فى الدخول فدخل فترحمت به ولديها أقبل ولما هدأ المكان من السلام والخطاب أخرج من عمامته الى عنيترة كتاب وقال لها اذا قرأتيه وعرفتى ما فيه أتردى الجواب فأخذته عنيترة وسلمته الى زيد بن عروة وقد ذكرنا ان زيد بن عروة لما مات عنتر كان صغير السن فوصى عليه عمرا ذا الكلب فقبل فيه

الوصية ورباه أحسن تربية فى العيشة الهنية المرضية وكما ذكرنا أيضا ان أباه قبل موته علمه الخط والنجابة والفروسية والتصدق بعد ذلك الى هذا الفارس الجسيم فخرج منه هذا المخرج العظيم وصار له يد طولى فى الخط والقراءة والشجاعة وقد كان ذا قوة وبراعة فصار عند الاميرة عنيترة فى أعلا مكان والطف محل وأعز شأن وهو الذى كان يكاتب لها سادات العرب وكان فيه فضل وأدب (قال الراوى) ومما اتفق من الامر انه كان فى تلك الايام لا زوجة له ترضيه لان زوجته كانت قد توفيت والتى كان قد تزوجها فى زمن أبيه وكان للامير عمرو ذى الكلب ابنة يقال لها الرباب ولم يوجد لها نظير فى الحسن والآداب وكانت من ذوى الاحساب والانساب مليحة القد قاعدة النهد لها خصر نحيل وردف ثقيل وكان من محبة زيد بن عروة عند الامير عمرو ذى الكلب زوجه ابنته واقام عنده فى ذمته وعمل له الولائم ودام لهم العز الدائم سبعة أيام وفى اليوم الثامن ضربت الزفاف وانقضى الامر ولم تبق فيه خلاف ودخل بها زيد بن عروة ووقعت بين الاثنين المحبة والنخوة وأقامت معه مدة من الايام ورزق منها ولدا ذكرا كأنه بدر التمام فسماه عروة على اسم أبيه وتربى على أيدى العبيد والخدام وقد صار لزيد بن عروة خيل وجمال ونعم وأموال وصار بعد ذلك من الابطال وصارت عنيترة لا تفارقه بحال من الاحوال (قال الراوى) ولما أتى ذلك النجاب وناول عنيترة الكتاب أخذته منه وأعطته الى زيد بن عروة وأمرته ان يقرأه حتى انها تسمعه وتعرف معناه واذا به من عند الملك المنذر بن النعمان وكان لذلك الكتاب شأن واى شأن قال وكان السبب فى ذلك هو أن الملك المنذر كان فى كل سنة يحمل حملا الى الملك كسرى أنوشروان وهو شئ كثير من الاموال والهدايا والذخائر والتحف الغوال فاتفق من الامر العجيب والحديث المطرب الغريب أن المنذر قد جهز الحمل فى تلك السنة على جرى العادة وأرسله الى المدائن وسار به الرجال وكان فى صحبة الحمل ألفان من الفرسان السادات وكان المقدم عليهم عمرو بن هند أخو النعمان الذى كان أرسله الى بلاد اليمن ليرد بنى عبس لما ان كان النعمان عليهم غضبان وعاديهم وأنزلهم فى أرض بنى عامر كما أمره أخوه النعمان وكان عمرو بن هند قد رزق هذا الولد النفيس وكان فارسا رئيسا بعد اذا برز الى الميدان بألف بطل من الشجعان وكان يسمى ماء السماء ولما أراد الملك المنذر أن يرسل الحمل الى كسرى أنوشروان انتدب له ابن عمه ماء السماء حتى يكون لتلك الاموال حافظا وحمى وأرسله مع الحمل وصحبته ألف فارس أبطال وسار ماء السماء بما معه من الاموال والنوق والجمال والصناديق الملآنة من الذهب والجواهر الغوال وطلب مدائن كسرى وتلك الاطلال ومازالوا كذلك سائرين على ذلك الحال وهم فى السوق الشديد الى ان وصلوا الى برية برقعيد والدواب بين أيديهم تسوقها الخدام والعبيد واذا قد طلع عليهم من جانب الوادى ألف عنان وهم على خيول أخف من الغزلان والكل من متنصرة العربان وكانوا خمسمائة من الروم الذين هم عبدة الصلبان يقدمهم فارس كأنه الاسد الغضبان وهو أسمر اللون مليح الكون وقد نادى برفيع صوته بلسان فصيح ونطق مليح يا ويلكم يا عباد النار واللهيب ويا من غضب عليهم الصليب خلوا ما فى أيديكم من المال والنوق والجمال وانجوا بأنفسكم فى هذه البرارى الخوال والا وحق المسيح ومارى حنا المعمدان أتركتكم رؤسا بلا أبدان وتحوم عليكم النسور والعقبان (قال الراوى) ولما سمع ماء السماء بن عمرو بن هند مقدم الجيش ذلك الخطاب من ذلك الفارس المهاب نادى يا ويلكم من تكونون من الروم الكلاب أومن أصحاب الاصول والانساب فعند ذلك تقدم اليه ذلك الفارس وانطبق عليه مثل انطباق السحاب وقال له يا ماء السماء يا ويلك أيقال لمثلى هذا الخطاب وأنا أسد الدحال ومقتنص الابطال أفى هذا المقام يعرف عم أو خال أو تذكر أحساب أو أنساب هذا مقام الضرب بالصارم القرضاب ومحل قطع الرقاب ثم ان فارس الروم بعد هذا الكلام انصب على فرسان بنى لخم انصباب الغمام وتبعته الخمسمائة فارس والفارس يقدمهم كأنه الاسد الهجام وحملت معه الالف الذين من العرب المتنصرة وطلعت على الطائفتين الغبرة ورهقتهم القترة وتضاربوا بضربات متواترة وصارت عقبان المنايا على رؤسهم طائرة ودارت عليهم الدائرة وطمعت فيهم فرسان الروم والعرب المتنصرة وذلك الفارس الرومى الذى على الفرسان تقدم قد ساق الفرسان قدامه سوق

الغنم وبرى منهم كل ذراع ومعصم وقد ذل من بنى شيبان القدم (قال الراوى) وكان هذا الفارس الرومى ينادى ويقول أنا فارس الروم والعجم أنا الغضنفر فارس هذه الارض وابن الملكة مريم ثم انه صار يجول على الارض والدحال ويكردس بين يديه الرجال ويردى الاقيال ويرميهم ذات الشمال فعند ذلك هابته الشجعان وولت من قدامه الاقران وتجاروا فى الميدان وكل منهم يقول ليس الخبر كالعيان وكانت ساعة من ساعة الزمان انهزمت بنو شيبان وبنو لخم عن الغنيمة وطلبوا الهرب والهزيمة واعترض الغضنفر الى ماء السماء وقد طلب الآخر الفرار فتلقاه قبل أن ينهزم وقد طعنه فى صدره بعقب الرمح فارداه فى تلك القفاز فغاب عن الدنيا وكاد أن يحل به الدمار وتسلمته غلمانه الذين حواليه وأوثقوا باشد يديه ورجليه وبعد ذلك انحط على بنى شيبان وشتتهم فى البرارى والقيعان ومازال يقتل فيهم ويأسر الى ان صار آخر النهار وعاد عنهم وقد خاص الغنيمة وهو ذو فرح واستبشار وصار امام قومه وهو كأنه قد غرق فى بحر من الدم مما سال عليه من أعمية الفرسان وقد قتل من الروم مائة وخمسين فارسا ومن القوم المتنصرة مثل ذلك ونزل الغضنفر وقد ضربت له الخيام ووقفت بين يديه العبيد والخدام وعرضوا عليه الغنيمة التى أخذوها من العساكر التى هى سائرة الى كسرى فوجد فيها شيأ كثيرا لا يكيف ولا يرى من لؤلؤ وذهب وياقوت أحمر وقطع الزمرد الاخضر وفصوص المعادن والجوهر وأشياء تذهل العقول والبصر عند رؤيتها وشئ كثير من الخيول والجمال والنوق العصافيرية والبغال وأكثرها محملة من الهدايا الغوال وأيضا معهم جوار وخدم وأموال ونعم تعجز عن جمع مثلها ملوك العرب والعجم (قال الراوى) ففرح الغضنفر بذلك فرحا عظيما وعلم ان طالعه مستقيم وقد أقام هناك ذلك اليوم وتلك الليلة ورحل بما معه من الاموال وقد تعجبت من فروسيته الابطال وكيف كسر بنى لخم وشيبان بشدة عزمه وقوة ساعده وهم ألف عنان وأسر ماء السماء بن عم الملك المنذر وأخذه معه أسير وقد شدوا يديه بالقيد وتركوه على ظهر بعير وصار الغضنفر قدام فرسانه طالبا قلعة برقعيد وبين يديه الاموال تسوقها الخدم والعبيد وقد بلغ من زمانه ما يريد وتلك الغنيمة قد سدت الفضاء وملأت المستوى ومازال سائرا الى ان وصل الى قلعة أهل الرشاف ومعه جميع أصحابه وجماعته (قال الراوى) وقد أخبرت الرواة أن الغضنفر كان يحكم على أكثر من عشرة آلاف فارس من الروم منها خمسة آلاف من أصحابه وخواصه وكان عبيده فى القلعة مقيمين ومنها خمسة آلاف فى الضياع والرساتيق دائرين وكان هذا الغضنفر قد نشأ فى ذلك الزمان وقد طلع فارسا لا يوجد مثله فى الآفاق ولا نظر أحد شكله لا فى الشام ولا فى العراق (قال الراوى) ولقد سألت عن هذا الفارس ونسبته وفى أى أرض وبلاد كان منشؤه وتربيته لان حديثه عجيب وقصته توجب الطرب وكيف لا أسأل عنه وقد كسر فى ساعة واحدة ألفين فارس من بنى شيبان ولخم وهما من سادات العربان وفيهم مثل ماء السماء وكان يعد بألف فارس من الشجعان وأيضا كان الغضنفر هذا حين يقاتل يحامى عن نفسه وعن جميع من معه من أهل قلعته ومن فرسانها ورجالها مثل ما تحامى اللبوة عن أشبالها وذلك ان هذا الفارس كان قد نشأ فى القسطنطينية عند ملك الروم قيصر وكانت والدته بنت أخى الملك ويقال لها الملكة مريم وقيل انها من خواص سراريه وقد رزقت هذا الولد وكان أسمر اللون وله سواعد شداد مثل العمد وكان الملك قيصر كلما رآه مال قلبه اليه وأحبه ولكن كان فى بعض الاوقات طبعه ينفر منه لاجل سواد لونه دون الروم ولما دخل فى قلبه الشك من أجل ذلك اللون الذى قد صار فيه قدمه على خمسة آلاف فارس من الروم وهو دون البلوغ وأرسله هو وامه وجوارها وجميع أموالها وذخائرها وما يعز عليها الى قلعة برقعيد وكانت هذه القلعة حد ملك قيصر من ملك الفرس كسرى وكان الملك قيصر أقصى مراده أن يجعله فى تلك القلعة ليكون فى وجه العدو وليدفع من يريده بسوء فسار الغضنفر بعسكره كما رسم له عمه الى أن أتى الى قلعة برقعيد وكانت هذه القلعة عظيمة فوجدها قلعة حصينة ولكن أرضها بريه مخيفة غير أمينة فصعد الى تلك القلعة وأقام فيها وجعل معه فى القلعة من ذلك الجيش من هو مثله فى العمر وأكبر منه ودونه والبعض كان من قرائبه وقرائب أمه ثم انه استخدم أيضا ممن كان قد انضاف اليه خمسة آلاف بالديوان وجعلهم فى الضياع والرساتيق لانه عمر تلك الآفاق

وجعلهم يستخلصون له الخراج ويرفعون اليه الاموال فى كل عام (قال الراوى) ثم بعد ذلك تفرس الغضنفر وصار يركب فى خمسمائة فارس وأكثر ويتصيد بهم طول النهار ويهجم الغابات ويقتنص منها السباع الضاريات ويقهرها بقوة ساعده فى كل الاوقات وقد صار له بهذا عادات ومازال على ذلك الحال أياما عديدة وليالى الى أن بقى له من العمر عشرون سنة فصار يبارز الفرسان ويقهر الشجعان ويرميهم فى الميدان مدة من الايام وسطا على الفرسان وزاد أمره وعظم شره وما رأى قافلة دخلت عليه من تلك الارض الا ويلقاهم وحده وما معه الا فرسان قلائل من جيشه وجنده ومازال على ذلك الشان الى أن سمع بتلك الغنيمة التى هى سائرة الى كسرى أنوشروان من عند الملك المنذر وأخبره الذى أتى اليه بالخبر أن معها ألفين فارس من بنى لخم وشيبان فقال وحق المسيح لاسيرن اليهم الا وحدى ولا آخذ معى أحدا من جيشى ولا من جندى فقالت له والدته بحق المسيح يا ولدى لا تفعل هذه الفعال وخذ معك من يعينك من الرجال وكذلك قامت عليه أرباب دولته وجماعة من أهله وعشيرته فصحب معه تلك الخمسمائة من الروم والالف من العرب المتنصرة وسار فى طلب الغنيمة وقد وقف مرتقبا الفرسان فى فم المضيق حتى أنهم يعبرون على الطريق وكان ذلك الموضع مسيرة يوم وليلة من القلعة فى ذلك البر الاقفر وقد سار الغضنفر وله قلب أقوى من الصخر (قال الراوى) فبينما هو كذلك سائر قدام قومه فى تلك القفار الى أن عبر عليهم نصف النهار وقد نفخ عليهم البرنار واذا قد اعترضهم أسد فى تلك الطريق وهجم عليهم ومنعهم عن المسير والتعويق وكان ذلك الاسد قد خرج عليهم من بين الغابات والشجر وهو أسد أغبر المحجر يطير من عينيه الشرر ويقلب الوادى بالصياح اذا زأر وزمجر له أنياب أحد من النوائب ومخاليب أشد من المصائب واسع الاشداق عبوس ضيغم أفطس الانف أدغم يسمع من غرغرته الرعد اذا همز وهمهم وتنظر البرق من عينيه اذا أظلم الليل وأقتم وهو كأنه القضاء المبرم وهو كما قال فيه الشاعر هذه الابيات

وليث عبوس تصدع القلب وثبته * وترتعد الابدان من عظم صرخته

بشدق كبير كالقليب ومحجر * كشعلة نار فى الدياجى وظلمته

وأنيابه مثل الكلاليب اذ بدت * يروع قلوب الناظرين برؤيته

اذا ما رأته الخيل صارت شواردا * الى القاع تخشى من تعاظم سطوته

(قال الراوى) ثم ان ذلك الاسد طلب الخيل وهو يتمايل على جنبيه وفى مشيه يتبختر ولما رآه الغضنفر قال لاصحابه لا منكم من يخطى من مكانه حتى تنظروا ما يكون من شانى وشانه ثم ان الغضنفر ترجل عن ظهر جواده وخلع عن عدته وادار أذياله فى دور منطقته وأخذ سيفه بيمينه وأخذ فى شماله درقته وتقدم يخطر الى الاسد بقلب قوى من الصخر والجلد ومازال ماشيا على قدميه حتى قرب منه ووصل اليه فلما نظره الاسد امتد حتى صار كمثليه ثم تجمع بعد ذلك حتى صار كثلثيه وحمل على الغضنفر وحمل الآخر عليه وضربه بالسيف بين عينيه فمن قوة الضربة وشدة حيل الاسد طلع السيف يلمع من بين فخذيه فعندها ارتاعت قلوب الفرسان من تلك الضربة لما نظروا اليه (قال الراوى) هذا وقد رجع الغضنفر بعدما مسح سيفه فى جلد الاسد وقد تركه على التراب ممدد وركب على جواده وفى عاجل الحال كأنه ما عمل شيأ من تلك الاعمال ولم يزل سائرا هو ومن معه من الفرسان الى أن التقى بماء السماء بن عمرو بن هند اخى النعمان وجرى له معه ومع قومه ما جرى من ذلك الشأن واحتوى الغضنفر على جميع الغنيمة وطلب بنو لخم وبنو شيبان الهزيمة ورجع هو وقومه قاصدا الى قلعته وطلع اليها واجتمع بأهله وعشيرته ونظرت والدته الملكة مريم الى ما قد أتى معه من الاموال والذخائر المثمنة والنوق والجمال وتلك الصناديق المحملة على البغال ففرحت بما بان منه فرحا شديدا زائدا عن الحد لكون أن ولدها قد صار حامية تلك الارض (قال الراوى) هذا ما كان من الغضنفر ورجاله وما جرى لهم (وأما) ما كان من حديث المنهزمين الذين هم من بنى لخم وشيبان وأحوالهم فانهم لم يزالوا فى هزيمتهم الى ان وصلوا الى مدينة الحيرة وكل منهم فى ذل وحيرة ودخلوا على الملك المنذر وقد عميت منهم البصيرة وهم

صارخون مولولون وقد حل بهم الذل والخبال وجعلوا ينادوا ويقولوا أيها الملك نهبت الحلل والاموال وقتلت الرجال وساءت بها الاحوال (قال الراوى) فلما سمع الملك المنذر ذلك المقال تغيرت منه الاحوال وتغير لونه واضطرب كونه وقال للوزير انظر ماترى من الرأى والتدبير واصرف همتك الى ماترى فى هذا الامر الذى قد صار عسير وكان وزير المنذر فى ذلك الزمان زيد بن عمرو بن نفيلة العدوى وزير الملك النعمان وكان قد طالع مثل أبيه بلا فاضل الخبير وكان ذا عقل ورياسة وأدب وفضل وسياسة فقال له أيها الملك انى سمعت عن هذا الغضنفر أنه فى ذلك الزمان فارس البدو والحضر وانه فارس لا كالفرسان وبطل تخضع لفروسيته الشجعان وماله الا فارس مثله وبطل شكله كشكله ويكون يفعل فى الحرب كفعله وما يوجد اليوم له مثيل فى الزى والخبر الا ان كانت أم الزعازع عنيترة بنت عنتر التى من بعض فعالها انها أسرت ذو الخمار وعامر بن الطفيل الفارس الغوار وقتلت مثل ملاعب الاسنة فارس بنى عامر وأحلت به الويل واذا أرسلنا اليها نعلمها بذلك الخبر فهى تأتى الى الخدمة بقوة قلبها وشدة عزمها وتكشف هذا الضرر وترجع على يديها النصر والظفر والا يا ملك ان أرسلنا الى الغضنفر جيشا آخر فانه يكسره وتخرق الهيبة ويبقى أمر وضيعا منكر ويروح منك ناموس الملك ويحل بنا العبر وأنا الرأى عندى أيها الملك أن ترسل الى ابن خالك زهير بن قيس الذى قدر بالك على يديه قبل الآن على الخبر فانه يأمر ابنة عمه عنيترة بالمسير هى وبنى عبس وبنى قضاعة فانى أعلم منها انها اذا سمعت بذلك تأتى ولا تتأخر وترساها من هنا انت الى الغضنفر فانها تذيقه الموت الاحمر وتنزل به بشجاعتها الذل والعبر (قال الراوى) فلما سمع الملك المنذر من وزيره ذلك الكلام فرح واستبشر بهذه الاسباب وأمر الوزير فى عاجل الحال ان يكتب اليهم كتاب وان يسرع بارساله مع النجاب ففعل الوزير ما أمره به لما سمع من المنذر ذلك الخطاب وأرسل بالوقت النجاب فسار من وقته وساعته طالبا أرض الشربة والعلم السعدى وهو يلمع فى ذلك البر ولاقته بجدى حتى وصل الى الديار والاطلال فرأى الى حلل ترتج بسكانها من كثرة مافيها من الرجال والاموال فلقيه بعض العبيد فسأله عما جاء فيه من الاحوال فقال النجاب اريد الاميرة عنيترة بنت عنتر فقال له العبد الا تنظر الى ذلك البيت الرفيع العماد الاحمر فامض اليها واستأذن بالدخول عليها واشرح لها حالتك فانها تقضى لك حاجتك وان كنت مظلوما فانها تعينك على ظلامتك (قال الراوى) فسار النجاب قاصدا المضرب فرأى العبيد تمرح وتلعب وهم فى أمن من غيرة الزمان وفى غاية مايكون من الاحسان فلما رأى العبيد الى النجاب تسارعوا اليه وأعلنوا بالسلام عليه وسألوه عما جاء فيه وأبدى لهم الامر ولم يخفه فاستأذنوا له فى الدخول فأذنت لهم بدخول الرسول وكانت جالسة وفى حضرتها من قدمنا ذكرهم من الاصحاب والى جانبها الملك زهير ابن قيس وهو كأنه الاسد الوثاب فدخل عليهم النجاب فى عاجل الحال وقبل يديها وأوصلها الكتاب فأخذته وناولته لزيد بن عروة وأمرته ان يقرأه حتى يسمع كل الحاضرين مافيه وتعرف معناه (قال الراوى) ورجعنا الى سياق الحديث والخبر فعند ذلك فضه زيد وقرأه ولما سمعت عنيترة والملك زهير ومن حضرهم من الاصحاب ماقرأه زيد بن عروة من الكتاب قالت عنيترة للملك زهير ماترى يا ملك فى هذا الحال وأى شئ الذى تراه من الاعمال فقال لها زهير مافى الامر الا المسير وسرعة الجد والتشمير ونكشف عن ابن عمى الملك المنذر هذا الامر العسير وكذلك قال كل من كان حاضرا قراءة هذا الكتاب وسمعوا ماجاء به النجاب وعرفوا ماجرى من تلك الاسباب وهم كما قدمنا فرسان الاعراب الذين كانوا قد أتوا للسلام ولتهنئة مما وصل اليهم من الانعام فقالوا كلنا نسير فى خدمة أم الزعازع ولبوة الوقائع فقالت عنيترة لا وحق ذمة العرب وشهر رجب لا سار الى الملك المنذر فى قضاء حاجته الا انا وحدى وبنى عمى لا غير ولا يكون فى صحبتنا الا ابن عمى الملك زهير وأما انتم أيها السادات الاخيار فاننا ماندخركم الا للمهمات الكبار واذا اتانا شئ أقوى من هذا فذلك الوقت يكون ماتريدونه من الاختيار فتعجب الحاضرون من قوتها وما منهم الا من أعزها وأحبها وتمت فرسان العرب على ماهم عليه وماهم فيه بقية ذلك اليوم فى أكلهم وشربهم (قال نجد) ولما كان من الغد ودعت عنيترة والملك زهير من كان عندهم من الفرسان وسار كل منهم يطلب دياره والاوطان ولما أن تفرقت سادات العرب من عند عنيترة وقد

أوصلت اليهم الخير الكثير فقالت للملك زهير ياملك مابقى غير المسير فقال لها نعم ماتفعلين وما اليه يا ابنة العم تشيرين فعند ذلك أمرت عنيترة للفرسان بتجهيز حالها فسمع الجميع لمقالها واهتموا فى اصلاح العدد والسلاح وقد تجهزوا للسفر والرواح (قال الراوى) ولما كان بعد ثلاثة ايام سارت بنو عبس وبنو قضاعة يقدمهم عنيترة وزهير وعتيبة بن حصن وزيد بن عمرو وربيع اليمن بن مقرى الوحش ومن يشا كلهم من الابطال وأقامت الهيفاء أم عنيترة هى وبعض الرجال لاجل حفظ المنازل والاطلال وسارت الجيوش والفرسان يقطعون الاودية والقيعان وينزلون على المنازل والوديان والمناهل والغدران ومازالوا كذلك الى ان وصلوا الى الحيرة فوجدوا عليها جيوشا كثيرة فنزلت العشائر فى المضارب والخيام ودخل الملك زهير وعنيترة على الملك المنذر لاجل السلام وفى حال دخولهم كانت عنيترة داخلة والى جانبها اليمين زهير بن قيس البطل الهمام والى جانبها اليسار عتيبة بن حصن وبين أيديهم العبيد والخدام ولما رآهم الملك المنذر فرح بهم وقام لهم على الاقدام ورحب بهم غاية الترحيب لان كلا منهم له قريب ونسيب وأجلسهم الى جانبه وصاروا عنده أعز من أهله وأقاربه وقد قرب عنيترة اليه من دونهم غاية التقريب لانه سمع عنها كل أمر عجيب وجعل يحادثهم ويباسطهم فى الكلام الى أن حضرت الرجال بالطعام فأكلوا ماطاب لهم ورفعت الاوانى الخدام وبعد ذلك قال الملك المنذر يا أم الزعازع ولبوة الوقائع قد حدث علينا أمر بديع وحال شنيع وهو انى أرسلت الحمل الى الملك كسرى حكم الرسم والعادة وأرسلت معهم ألفين فارس والمقدم عليهم ابن عمى ماء السماء ولمشيئة الارادة وافقتهم فى الطريق قلة السعادة والتوفيق فخرجت عليهم خيل من برية برقعيد وهم مقدار الفين فارس صناديد وقد بلغنى انه قد كان المقدم عليهم بطلا عنيد وفارسا صنديد وذلك الفارس يقال له الغضنفر بن دادة الملك قيصر وقيل أنه ابن ابنة أخى الملك وهكذا قالوا عنه فى الخبر وقد خرج منه فارس عظيم لا كالفرسان وبطل لا كالشجعان وقد قطع عليهم الطريق وأعدمهم السعادة والتوفيق وأخذ منهم الحمل بعد قتل الفرسان وأسر ابن عمى وقد حل بهم الذل والهوان وقد زاد لذلك همى وغمى والمراد من احسانك يا أم الزعازع ولبوة الوقائع أن تسيرى بمن معك من بنى عبس وبنى قضاعة واسعفك أيضا بعشرة آلاف فارس ممن يعرف بالفروسية والشجاعة ليوث عوابس وسيرى بهم الى قلعة برقعيد لتخلصى الحمل وابن عمى ماء السماء من ذلك البطل العنيد وتخربى تلك القلعة وتعودى الىّ فى عاجل الحال مسرعة (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة ما أخبرها الملك المنذر من ذلك المرام قالت له أيها الملك الهمام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام وحرمة الواحد الاحد الفرد الصمد الذى خلق الانسان من ماء مهين وجعله أبيض وأسود وأحمر واخرج الماء من صم الحجر الجلمد ماتبعنى من فرسانك أحد لا أبيض ولا أسود ولا آخذ معى غير ألف فارس من بنى عمى وخمسمائة من بنى قضاعة وأقضى حاجتك وأعود ممتثلة الامر بالسمع والطاعة (قال الراوى) فلما سمع الملك المنذر من عنيترة ذلك الكلام تعجب وأخذه الفرح والطرب وقال ما قد أخلف الله على بنى عبس عنيترة ابنة عنتر بن شداد وأبقى ذكره بين العباد فى سائر البلاد وقال يا أم الزعازع ليس بالكثرة من باس ولا يذمها أحد من الناس فقالت عنيترة أيها الملك وحق من يعلم تردد الانفاس وخلق هذه الصورة الآدمية وما فيها من الحواس ما أسير الى هذا الامر فى أكثر من ألف فارس ممن يكونوا يحملوا همى وضيرى ولا أرسل فى هذه الحاجة غيرى والا أكون قد ساويت أكثر الناس (قال الراوى) فقال لها الملك المنذر يا أم الاعازع افعلى مابدا لك فما هنا أحد يخالف مقالك فلما سمعت عنيترة كلام الملك المنذر فرحت بمقاله وأعجبها سائر احواله وانطلق عليها جميع أقواله ثم انها اقامت من وقتها وساعتها وأخذت من بنى عمها ألف فارس ممن يبادر الى طاعتها فيهم مثل خالها عمرو ذو الكلاب والملك زهير بن قيس وزيد بن عروة وربيع اليمن وعتيبة بن حصن ومن يجرى مجراهم من الابطال والشجعان وصارت تنخيهم وتقول فلان وفلان الى ان عزلت الف فارس عن كل مدرع ولابس وبرزوا كأنهم الاسود القناعس وهى أمام القوم كأنها لبوة شمطاء ومازالت سائرة الليل والنهار تقطع البرارى والقفار الى ان وصلت الى برية برقعيد ونظرت الى ذلك البر والبيد وبانت لها الضياع والرساتيق ورأت الخيل سائبة

ترعى فى تلك الاودية والآفاق ورأت الى شئ كثير من الخيل والجمال والنياق (قال الراوى) ولما رأت عنيترة الى تلك الاحوال أمرت الفرسان بنهب الاموال وأخذ الخيل والنوق والجمال فتبادرت الفرسان اليها وداروا وأحاطوا عليها وساقوا أيضا سائر الاموال وهربت الرعاة وطلبت الاودية والجبال ومنهم من طلب القلعة فوصلوا اليها فى عاجل الحال وألقوا النفير فى الرستاق وأكثروا من الصياح والزعاق ووصل الخبر الى القلعة وأعلموا فى عاجل الحال الغضنفر بما كان من تلك الفجعة وانه لما سمع ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وراغت عينه فى أم راسه واضطربت جميع حواسه رهمهم ودمدم حتى هابته جميع جلاسه وصرخ فى العبيد وقال لهم يا ويلكم يا بنى الزانى من ذا الذى طرق أرضى من قاص ودانى فقالوا والله أيها الملك ما طرق ديارنا عشائر ولا جيوش ولا دساكر وما أغار على أموالنا وأخذ جمالنا والنياق غير ألف فارس ونظنهم من فرسان العراق لاننا سمعناهم يتكلمون بلغة أهل تلك الآفاق ورأينا يا ملك يقدمهم فارس أسمر وله صوت مثل الرعد اذا هدر أو كالاسد اذا رأى الفروسية قدامه واندعر وسمعناه يتكنى ويقول أنا عنيترة بنت عنتر الذى كان فارس البدو والحضر (قال الراوى) فلما سمع الغضنفر من العبيد ذلك الخبر هدر وزمجر وطار من عينيه لهيب الشرر وزعق على الفرسان فركبت والى نحو الصياح طلبت ثم انه فى عاجل الحال ركب جواده واعتد بعدة جلاده وركب امام الخيل وطلب فرسان بنى عبس وبنى قضاعة وقد انصب عليهم انصباب السيل فرآهم قد خربوا الرستاق وأفسدوا جميع ما بين أيديهم فى تلك الآفاق فلما رأى الى ذلك الشأن حمل وحملت معه الفرسان فتلقتهم بنو قضاعة وبنو عبس وعدنان وعمل بينهم السيف والسنان والتقت الفرسان بالفرسان والاقران بالاقران والشجعان بالشجعان وطلع على رؤسهم الغبار الى العنان (قال الراوى) هذا وعنيترة قد كردست الابطال وارمتهم ذات اليمين وذات الشمال وجندلت الاقران على الرمال وكذلك فعل الغضنفر ورأت فرسان بنى عبس وبنى قضاعة منه الموت الاحمر وعاينوا من طعنه وضربه الامر المنكر وقاتل قتال من لا يبقى ولا يذر وخسف الصدور وقلع العيون وأفسد الصور ومازال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والسؤال لا يقبل الى أن أظلم الظلام ومنع الناس من ضرب الحسام وقد افترقت الفتيان وانفصل الجمعان وأكثروا وقيد النار وتحارس الفريقان ومازالوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح واصطفت الصفوف وتقدمت الالوف وجردت وعزم الفريقان على شرب كاسات الحتوف واذا بفارس قد برز الى الميدان ومشى فى ركابه مائتا فارس أعيان وهو بينهم كأنه الاسد الغضبان راكب على حصان خفيف الجريان أشقر اللون مليح الكون سابل الغرة مليح الطرة ظريف الوفرة يضرب شعره الى حمرة راكبه من الحدثان فى أمان يطير فى الهواء كأنه الطير فى الطيران وهو كما قال فيه الشاعر

يسابق الريح فما يسبقه * لانه يسبق لمح البصر * كأنه فى حسنه غادة
بحسنها تسبى عقول البشر * راكبه فى عيشة راضية * لانه دوما قرير النظر

(قال الراوى) وعلى الفارس درع مكوكب مذهب مقصب وفى صدره مرآة من الجوهر يفوح منها الصارم الذكر يأخذ نورها بالبصر ومن فوق الكل ثوب أطلس أصفر مليح الزى والمنظر محشوا بالمسك الاذفر تتوه فى حسن نقشه الفكر وأكمامه قد عقدها الى وراء بشرار يب ابريسم حرير أخضر وقد أخرج الفارس يده من جلباب درعه فى ذلك الوقت وفى كفه صارم ذكر لو ضرب به جبل لطار منه الشرر وعلى صدره صليب عجيب يساوى من الذهب الاحمر خراج اقليم والفارس له عينان كأنهما شواظان أو نجم بارق اللمعان والصليب مكلل بالياقوت والمرجان وقد خرج ذلك الفارس فى هذا الزى والمنظر الذى تحير فيه الفكر وكان هذا الفارس هو الغضنفر فلما توسط الميدان رجعت من حوله الرجال والاقران فوقف فى ذلك المكان ونادى يطلب البراز والطعان ولما تبينته فرسان بنى عبس وبنى قضاعة عرفته عنيترة من تلك الساعة وهمت أن تبرز اليه وتحمل عليه واذا قد سبقها فارس مليح الشمائل أليق الخصائل للفروسية عليه علائم ودلائل وهو راكب على حصان أبلق يحاكى النجم اذا ازرق والطير اذا انطلق مليح الرونق سابل الغرة كبير الحذق وعلى ذلك الفارس زرديه

كثيرة العدد وهو متقلد بحسام هندى ومعتقل برمح مسدد فتبينته فرسان بنى عبس واذا به زيد بن عروة ذو الفروسية والبراعة وقد برز الى لقاء الغضنفر وهو كأنه الاسد القسور (قال الراوى) ولما صار زيد فى الميدان ومعترك الجولان حمل عليه الغضنفر وانقض عليه مثل السيل اذا انحدر أو النمر اذا اندعر وصاح عليه ويلك من تكون من فرسان بنى عبس يا أخس من طلعت عليه الشمس فقال له زيد بن عروة الويل لابيك واقاربك وذويك يا ويلك أنا زيد بن عروة بن الورد صاحب الفروسية والشجاعة والنخوة فقال الغضنفر بئس الفارس المهين وأنت احقر أن تكون لى قرين ثم ان الغضنفر حمل عليه وصمم بالطعنة اليه فالتقى زيد الطعنة بحسن صناعته وقد صدها على درقته وأبطلها بقوة همته فسل سيفه الغضنفر وهجم عليه هجوم الاسد القسور وتضاربا وتباعدا وتقاربا وتواصلا وتناصلا وتكافحا وتراجحا وقد رأى زيد بن عروة من الغضنفر فارسا لا كالفرسان وبطلا تبطل عند قتاله قوة الشجعان وقد زاد عليه الدرهم قنطارا بانقبان هذا وقد قل منه الاصطبار وسطا عليه الغضنفر سطوة جبار وهجم عليه هجمة الاسد الهدار وضربه بالسيف صفحا على راسه فكاد أن يخمد أنفاسه وانقلب الى الارض بثقل ما عليه من الزرد فصار كأنه الجذع الممدد وانقض عليه وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقير وانكشف بعد ذلك الغبار وبانت الاعين النظار واذا بزيد بن عروة منقادا قدام الغضنفر أسير فلما رأت عنيترة الى ذلك الحال همت أن تبرز اليه لعل أن تخلص زيدا من الاعتقال واذا بفارس قد برز اليه وسبقها عليه وتقدم بين يديه لا فزعا ولا خائفا فتبينته عنيترة واذا به عتيبة بن حصن بن حذيفة وقد طلب البراز وسأل الانجاز فتلقاه الغضنفر بقلب أقوى من الحجر وجنان أقوى من تيار البحر اذا ذخر وكذلك تلقاه عتيبة الآخر وتضاربا ضربا أحر من الجمر وأمر من الصبر وتباعدا وتقاربا وتضاربا وتحاربا وتقاتلا ثم ان الغضنفر همز بجواده وغطى فى بداده وطلب عتيبة الى ان حك الركاب بالركاب ومسك درع عتيبة من الجلباب وجذبه اليه بعد ان عرف دخله من خرجه وصاح به واقتلعه من سرجه وصار معلقا فى يده بعد ان كاد يغمى عليه وقد ملكه أسير وقاده ذليلا حقير وسلمه الى بعض الغلمان وعاد بعد ذلك الى الميدان وطلب الضرب والطعان فبرز اليه عمرو ذو الكلب ولم يخف من لوم ولا عتب فتلاقيا من غير كلام ولا خطاب وطلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار وجرى بينهما قتال يحير الافكار ويقصر الاعمار ومازالا كذلك الى آخر النهار وأقبل عليهما الليل بغياهب الاعتكار وافترقا على سلامة وكل منهما يا كل كفيه على صاحبه ندامة وبات الفريقان الى الصباح وكل منهما قد أراح واستراح (قال الراوى) ولما طلع النهار وبان ضوءه للابصار برز الغضنفر الى الميدان وطلب الضرب والطعان وما استقر به المكان حتى برز اليه عمرو ذو الكلب وصار قباله بين الطائفتين واذا بعنيترة قد خرجت من حرقة قلبها على خالها وحسن ودادها وأطلقت فى عاجل الحال رأس جوادها ومرت مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف وقد ردت خالها عن البراز وقد طلبت بذلك الانجاز فلما رآها الغضنفر داخله فيها الطمع وقد التقته عنيترة مثل الاسد الادرع وحملت عليه حملة البطل السميدع وتضاربا ضربا يحير الافكار ويعمى الابصار ورأى الغضنفر من عنيترة أمرا مهول وقتالا يحير العقول وأخذا فى الميدان عرضا وطول وكلما همت عنيترة أن تضرب الغضنفر يأخذها عليه الرأفة والفكر وتلحقها عليه المحنة وهى لا تعرف أى شئ لحقها من تلك المحنة ولا تدرى ما ذلك الحال وما وجدت لها يدا تمتد اليه بالحرب والقتال وحملت عليه وقومت السنان اليه وكذلك فعل الغضنفر وكان بينهما فى الحرب أمر منكر وقد أخذوا فى الكر والجد والاخذ والرد والملاصقة والمفارقة والمعانقة والمطابقة وسطى كل منهما على بعضهما بعض حتى تدكدكت من تحت أرجل خيلهما الارض وقد أخذوا فى الابرام والنقض فعند ذلك قام الغضنفر فى ركابه وغطى فى بداده وضرب عنيترة ضربة واصلة وقال انها تكون لعمرها فاصلة ولها قاتلة فتلقت الضربة بقوة ساعدها فنزلت على الدرقة أسرع من طبق العين فانقسمت الدرقة نصفين وأرمتها من يدها قطعتين وهجمت عليه أن تفعل به كما فعل بها وشالت بالسيف يدها وضربته بقوة جنان فتقهقر الى خلفه بالحصان واذا قد وقعت رجلاه فى بيت اليربوع فما كان له بد من الوقوع فوقع الى الارض وقد تدعن

جواده بالارض فانقضت عليه أخذته أسير وقد جعلت حمائل سيفها في رقبته وسار بين يديها حقيرا ذليل وقد ضجت الجيشان وتعجبت من هذا الاتفاق الفريقان (قال الراوى) ولما رأت بنو عبس وبنو قضاعة الى عنيترة وقد أسرت الغضنفر أخذهم الفرح والطرب وأيقنوا بالنصر والظفر فعند ذلك حملوا حملة منكرة وكردسوا الروم خمسة خمسة وعشرة عشرة وعمر وذو الكلاب امام الخيل وأنزلوا بالروم البلاء والويل وجعل عمر ويكتال الرجال كيلا وأى كيل وقد قل من الروم القوى والحيل وأخذوا في الهرب وأعطوا ظهورهم للعرب وأوسعوا في جنبات تلك الارض ولعب السيف فيهم طولا وعرض وانهزموا طالبين قلعة برقعيد وما نجى منهم بنفسه الا من كان تحته جواد جليد وتبعهم بنو عبس وبنو قضاعة الى منازلهم والخيام وقد كلوا وملوا من ضرب الحسام ولكن قد نهبوا في أموال الروم ومضاربهم وخيامهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولما نزلوا واستقروا في الخيام وأكلوا ما راج من الطعام فعند ذلك أحضرت عنيترة الى بين يديها الغضنفر وقد بان منه ان قلبه قد انكسر وقالت له يا ويلك يا ولد الزنا وتربية الخنا وحق الدائم الباقى بلا زوال ولا فناء الذى جعل الليل سكنا والنهار معاشا ان لم تفد نفسك بين عندك من الاسرى والاموال والا عذبتك عذابا لا تحمله الارض ولا الجبال وفيهم زيد بن عروة وعتيبة بن حصن ومن معهم من الرجال ثم ان عنيترة سلت سيفها ووثبت عليه وأرادت أن تبطش به غيظا وعها قلبها على ذلك ولكن لا تدرى ما هذا الامر الموجب لذلك وقد ارتعدت يدها وتحرك كل عضو في جسدها فأرمت السيف من كفها وأمرت العبيد أن تقيده بالحبال وتعيده الى ما كان فيه من الشد والاعتقال فقال لها الغضنفر لما رأى نفسه قد صار في هذا الحال أيتها الاميرة أطلبي ما تريدين من المال وخلاص الرجال واحملينى الى تحت القلعة التى لنا ان أردت نجاة نفسك من المهالك فان أمى تفدينى بكل ما تملكت يدها بسرعة فقالت غدا أفعل ذلك (قال الراوى) ثم ان العبيد تسلموا الغضنفر وأمرتهم بالحفظ عليه ولكن لا تأسى عليه من الحنية الذى أخذتها عليه فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم (وأما) ما كان من الروم المنهزمين وأحوالهم فانهم مازالوا في هزيمتهم الى ان وصلوا الى القلعة وأكثروا من الصياح والزعاق وأخبروا بما نزل بهم من تلك الفجعة فوصل الخبر الى الست مريم أم الغضنفر التى قدمنا ذكرها أنها ابنة أخى الملك قيصر وأن ولدها قد أسرته عنيترة بنت عنتر وقد حكم بذلك القضاء والقدر فلما سمعت بذلك الحديث والخبر انقطف لونها وتغير كونها ثم ان رجال ولدها احضروا بين يديها المأسورين وهم زيد بن عروة وعتيبة بن حصن وما معهم من الرجال وأخبروها بما جرى لهم من الحرب والقتال فلما رأتهم قالت دعوهم في الشد والاعتقال وتوكل بهم الى غداة غد جماعة من الرجال لعلى أن أفدى بهم ولدى مما هو فيه من الحبال فقال لها رجالها سمعا وطاعة ثم انهم فعلوا ما أمرتهم به في تلك الساعة (قال الراوى) وكان هذا الغضنفر ابن عنتر من مريم هذه وقد ذكرنا في كتابنا هذا فيما تقدم كيف تزوج بها في مدينة رومة الكبرى لما كان أرسله الملك قيصر الى بلاد الافرنج وقتل بهنداخى خيلجان ملك الافرنج وقد ذكرنا أصل زواجه بها وكيف أخذها من عند أخيها ابن أخى الملك قيصر وأتى بها الى القسطنطينية وخلاها عند عمها ويقال في بعض الاقوال انها من بعض سراريه الخواص (قال الراوى) وان القول الصحيح الثابت الذى ليس بنكرانها ما كانت الا بنت أخى الملك قيصر ولما أبقاها عنده وسار طالبا بحرا فرات وجرى له ما جرى مع الاسد الرهيص وقتل ومات وكان موته بذلك المال رخيص لكن ما ثم نعيم الا ويكون وراءه تنغيص وذلك كما قيل في المعنى * وأى نعيم لا يغيره الدهر * وقد ولدت مريم هذا الولد الغضنفر وكان أسمر أغبر وقد كان أشبه الناس بأبيه عنتر ولما رآه الملك قيصر نفر قلبه منه لما رآه على ذلك اللون الاحمر وقال في نفسه ان الذى أراه من الرأى المدبر اننى أعطى هذا وأمه بعض القلاع يعيشون فيها ويكون معهم جيش فأخفاه عنده وما خلى أحدا ينظره لا من جيشه ولا من جنده ومازال عنده كذلك الى أن صار للغضنفر من العمر عشر سنين فأعطاه خمسة آلاف من خواص جيشه وأمره بالرواح الى قلعة برقعيد وأرسل معه أمه بجميع ما معها من الاموال والخدم والجوار والعبيد والحلى والحلل وسار بينهم الغضنفر وهو كأنه الاسد القسور الى ان وصل الى تلك القلعة فرآها أزهى أرض وأحسن بقعة ووجدا منافى

ضياعها خمسة آلاف فلاحين من متنصرة العرب وهم في تلك الارض مقيمون فصار الحاكم على الرفيع منهم والوضيع وانتشى وكبر وصار له شأن وظهرت منه الفروسية وقهر كثيرا من الشجعان وأذل الاقران وهابته الابطال وخافت بأسه الرجال وشاع ذكره في سائر الاقطار والبلدان ومن جملة ما وقع من الاتفاق أن وصل اليه خبر الحمل الذى أرسله المنذر من أرض العراق الى كسرى وجرى ما جرى من الامور وسار الى الغنيمة واحتوى عليها وأسر ماء السماء ابن عم الملك المنذر * هذا ومريم تطول روحها عليه وتعلم أنه لا بد لبنى عبس من القدوم عليه وبعد ذلك تعرفه بأهله ويجتمع بهم شمله ووصلت اليه أخته عنيترة وأسرته وحكم عليه القضاء والقدر وذلك كله لاجل تدبير رب البشر ووصل الى أمه ذلك الخبر ففرحت في قلبها وشكرت على ذلك ربها ومازالت صابرة الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وأمرت من بقى عندها من الفرسان أن يسيروا معها حتى أنها تخلص ولدها وتطفى بخلاصه نار كبدها وقد أخذت معها ماء السماء ابن عم المنذر الذى أسره الغضنفر في النوبة الاولى لما أخذ حمل كسرى ثم أخذت أيضا زيد بن عروة وعتيبة بن حصن ومن كان معهم من بقية الرجال وسارت الست مريم في أربعة آلاف فارس من أهل الرستاق وخلت المنهزمين مقيمين في القلعة الى أن تعود لما يقع من الاتفاق وسارت بمن معها ذلك النهار وتلك الليلة فصبحت القوم صباحا وأمرت جيوشها بالنزول فملؤا ذلك الوادى عرضا وطول ثم انها لما استقرت أرسلت في ساعة الحال الى عنيترة رسول وكتبت معه كتاب وأعلمته بما تقول (قال الراوى) وكان الذى كتبته في الكتاب بعد السلام أما بعد فان الذى أعرضه بين يديك يا أميرة من الكلام بان الدهر كثير العجب وهو بأهله يتقلب والعاقل من اعتبر وتعلم بمن مضى قبله من الامم وانى أريد منك يا أم الزعازع وأبوة الوقائع المهلة الى الليل ونبطل اليوم القتال وركوب الخيل ومهما أردت بعد ذلك حملت لك ما تريدينه من المال وقد أتيت معى بجميع الاسارى وهم مطلوقون من الاعتقال وهذا الذى أريد منك والسلام ولكن أريد الاجتماع بك في هذه الليلة عند المنام (قال الراوى) فسار الرسول بذلك الكتاب الى عنيترة فلما وصل الى مضربها استأذن عليها فأذنت له بالدخول فلما دخل عليها وجدها جالسة في ذلك المضرب ولها هيبة تفلق الحجر والى جانبها اليمين زهير بن قيس والى جانبها اليسار خالها عمر وذو الكلاب ولا أحد في ذلك المضرب والحاضر يجسر ان يقول لا لم ولا ايس فلما حضر الرسول ناولها الكتاب فأخذته منه وأعطته لخالها زهير بن قيس فقرأه وعرف جميعهم معناه فقالت عنيترة للرسول سلم على الست مريم وقل لها قد سمعت لها بكل ما تريدين وأكون بين يديها كبعض الخدم ومهما قالته وقلته فانى ما أخالفها فيما به تتكلم (قال الرازى) فسار الرسول الى الست مريم بغير كتاب وأعلمها بما ردت عليه من الجواب لما انها قد عرفت ما في الكتاب من الخطاب ففرحت مريم بما تيسر من تلك الاسباب وصبرت الى الليل وقامت هى بنفسها بعدما أمرت الغلمان بحل الاسارى من حبسها فأتوا بهم الى بين يديها وعرضوهم عليها فخلعت عليهم الخلع الغالية المثمنة وأنعمت عليهم بالنعم الشاملة وأحسنت اليهم غاية الاحسان وأخذتهم بين يديها وخرجت من ذلك المقام وأخذت معها مائة غلام وبين يديها أربعة من خواص الخدام ومازالت سائرة وقد سمحت لاجل خلاص ولدها بالمال والنفس الى ان وصلت الى قرب جيش بنى عبس وأخذت الاذن من الحراس وطلبت منهم المشورة فمضى بعضهم وشاور الاميرة عنيترة فأذنت لهم بالدخول عليها وأن يحضروها الى بين يديها فعند ذلك دخلت عليها المضرب وبين يديها الخدام الاربعة فقامت اليها عنيترة قائمة على الاقدام وتمشت اليها واستقبلتها أحسن استقبال وكانت المضارب في ذلك الوقت خالية من الرجال فسلمت عليها وأخذتها بالاحضان وكل منهما فيما هو فيه من ذلك العز والشان وعادت بين يديها وجلست على السرير وأخذتها بجانبها وقربتها اليها وتميزتها فرأتها في ضوء ذلك الشمع المكوفر أشبه الخلق بولدها الغضنفر فقالت في نفسها سبحان خالق الصور الذى أنبع الماء من الحجر ثم انها بكت وأنت واشتكت فقالت لها عنيترة مم تبكى أيتها الملكة الاميرة والسيدة الكبيرة ان كان خوفا على ولدك فانه لاجل قدومك علينا قد نجا من المهالك وها أنا الساعة أحضره الى بين يديك وأقر برؤيته عينيك فقالت لها مريم أيتها الاميرة وحق المسيح ان كان الكذب

جة فالصدق أحسن وانجى وهو شئ مليح وانى أخبرك بما كان من الامر الصحيح واشرح لك فى هذه الساعة حديثا أعجب من كل عجيب وكلاما تلتذ به المسامع وتطرب له الآذان ويؤرخ فى الدفاتر ويكتب وهو أن هذا ولدى الغضنفر هو أخوك من ابيك عنتر وحق خالق البشر لان حديثى وحديثه عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تبصر وذلك أنه تزوج بى لما أرسله الينا عمى الملك قيصر وأتى الى رومة الكبرى وكسر الافرنج وأحل بهم العبر والدليل على ذلك أن ولدى مثلك أسمر وذلك بخلاف أهل بلاد الروم وهذا الكلام صحيح وحق الحى القيوم (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة من الست مريم ذلك الخطاب والكلام ظهر الفرح على وجهها ولحقها الوجد والهيام وفرحت به غاية الفرح واتسع صدرها وانشرح وقالت عنيترة وحق مالك الممالك المنجى من المهالك لقد صدقت أيتها الملكة فى ذلك لانى كنت كلما رمت أن أضربه ونحن فى الحرب والقتال لا تطاوعنى نفسى على هذه الاعمال وكان يأخذنى من ذلك العجب لانى قاتلت وقتلت كثيرا من فرسان العرب وما رأيت هذا العجب (قال الراوى) فلما فرغوا مما دار بينهما من القيل والقال قامت عنيترة فى ساعة الحال ودارت بها الغلمان يمينا وشمال وسارت الى المضرب الذى فيه أخوها الغضنفر وهى تكاد ان قلبها من الفرح يتفطر ومازالت كذلك حتى دخلت عليه وأمرت الغلمان بحل ايديه ورجليه وامه معهم قد حضرت الى ذلك المكان وصارت تقول سبحان الحنان المنان الذى كل يوم هو فى شان واقبلت عنيترة على أخيها الغضنفر وانكبت عليه وصارت تقبل صدره وبين عينيه وهى تقول سبحان جامع الشتات الذى يعلم ما مضى وما هو آت والغضنفر يتعجب من ذلك غاية العجب ولا يدرى ما الامر الذى أوجب ذلك السبب واذا بأمه قد أقبلت عليه وصارت تقبل رأسه وبين عينيه وتقول له ياولدى ان الله تعالى رد الوديعة الى أهلها وكانوا احق بها وأولى بها فلما رأى أمه جعلت تفعل ذلك أمن على نفسه من شرب كاس المهالك وقال لها بلسان عربى معتبر ياويلك أعلمينى ما الخبر وأى شئ هذا الذى قد ظهر فقالت له الملكة مريم ياولدى اتيت لاخبرك بما تقرر وذلك انك أخو هذه الاميرة عنيترة وابوكم عنتر كان فارس الفرسان وأبا الفوارس عند الطعان وقد ظهر ما كان قد اختفى ومضى الحقد والجفا فقال لها ويلك ياأماه ولما لا كنت أعلمتينى من زمان وحدثتينى بما جرى من ذلك الشان فقالت له أمه ياولدى كانت بنو عبس قد انقطعت وطلبتهم جميع العربان وفيهم طمعت وخفت انى أقول لك انك ابن عنتر فتخرج من يدى وتغلبك الاعداء وربما قاوموا منك الاثر ولما رضى عنهم الزمان وجمع شملهم الواحد المنان وعادوا الى منازلهم والاوطان وخافتهم جميع العربان لحياة اختك هذه أم الزعازع عنيترة قاهرة الشجعان وقاتلة الابطال والاقران وقد عوضت أباها عنتر سيد الفرسان ما كان تجمع شمل العشيرة من كل جانب ومكان وأخذت حمل الملك كسرى وجرى لك مع ماء السماء ابن عم المنذر ما جرى فعلمت أنه لابد ان تطلبك بنو عبس وكان ظنى انك تأسر منهم من يفدوه بالمال والنفس واعرفك بعد ذلك انهم بنو عمك وربما ان أحدا منهم يقيم عندك وما كان ظنى ان فيهم مثل هذه الاميرة عنيترة ولا ان لها فى الحرب مثل هذه الصولة والمقدرة فلما اسرتك وفعلت هذه الفعال ما بقى لى صبر على اخفاء الحال فاسرعت واتيت عندك وأعلمتك بما كان من الاحوال وان هذه أختك الاميرة عنيترة بنت أبيك من الهيفاء قناصة الرجال وقد عادت وعمرت بلادهم التى هى العلم السعدى وأرض الشربة واجتمعت عليها الاصحاب وأتت اليها سائر الاحبة وخافت من هيبتها جميع العرب من بعد منها ومن اقترب (قال الراوى) فقالت عنيترة وحق الملك الجبار الذى يعلم ما تكنه الصدور وما تخفيه الاسرار وهو الله الواحد القهار انى ما أسرته لا بقوة ولا باقتدار لانه والله فارس فى الحرب ما عليه عيار ولكن ما ساعدنى عليه الا الاقدار حتى يتضح المخفى وتصح الاخبار (قال الراوى) فلما سمع الغضنفر كلام أمه وأخته تعجب غاية العجب وعلم أن الدهر بأهله يتقلب وفرح اذ ظهر ان بنى عبس أقرباؤه وان عنيترة أم الزعازع أخته وان عنتر بن شداد أبوه لان اسم بنى عبس كان بين العرب كبير ولاسيما بذكر عنتر بن شداد الفارس النحرير ثم انه قال لامه الآن عرفت من هو أبى ومن هم قومى وعربى ثم انه أسرع الى أخته عنيترة وقبل رأسها ويديها واستقر بذلك أمره وقبلت الاخرى يديه وصدره وباست عارضيه ونحره

وخلعت عليه فى عاجل الحال وسمعت به سائر الابطال فأتاها الملك زهير ابن نبهان بما صار من تلك الاحوال وكذلك خالها عمرو وذوا الكلاب أتى اليها فى جماعة من الرجال وهناها أيضا الجماعة الذين خلصوا من الاعتقال وقد زادت البشائر وارتفع بذلك قدر بنى عبس فى العشائر وكانت لهم ليالى وأيام ما رأوا امثالها فى سائر الايام وكان أفرح الخلق بذلك الملكة مريم وذلك باظهار نسب ولدها وارتفاع قدره بين العرب والعجم ثم انهم أقاموا فى ذلك المنزل ثلاثة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام وأيامهم كأنها أضغاث أحلام مما فاض عليهم من الخير والانعام لانه قد تسامعت بذلك فرسان قلعة برقعيد فأتوا لاجل ملكهم الغضنفر بالخير المزيد وبعد ذلك قالت عنيترة لاخيها الغضنفر يا أخى اذا سمعت العرب بانك أخى ويشتهر ذلك الامر ويظهر فهم يحسدونى ويحسدوك وربما أن يبرز شئ من الحقود الكامنة ويكون ذلك أمرا وضيما منكرا والرأى عندى أن تسير معى الى ديارنا والاوطان وتكون عندى فى أعظم منزلة وأعلى مكان واذا كنا مجتمعين مع بعضنا تهابنا العربان وثم وجه آخر وهو أن لنا ثارا على قوم يسمون بنى نبهان فنريد أن نأخذه منهم ونكشف عن أنفسنا العار ونزيل عنا الهم والشنار فقال الغضنفر هذا هو الرأى الصواب والامر الذى لا يعاب ونكون كلنا يدا واحدة على ما نرجوه من المعونة والمساعدة (قال الراوى) لهذا الكلام ثم انهما لما اتفق بينهما ذلك المرام أقاما فى هذا المنزل بقية الثلاثة أيام هما ومن معهما من الرجال الكرام وهم بنو قضاعة وبنو عبس فرسان المنايا والموت الزؤام وفى اليوم الرابع عزموا على المسير والجد والتشمير فقال الغضنفر لعنيترة يا أختاه لابد لى من العودة الى قلعتى لاقضى منها حاجتى وآخذ منها ما يعز على من مالى ومال والدتى (قال الراوى) ثم انه سار فى عاجل الحال طالب قلعته وأمه ورجاله فى صحبته وقد دارت به من كل مكان أرباب دولته وكبراء عشيرته وقد سار فى ستة آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس وقد ذكرنا فيما تقدم من هذه الاقوال النفائس انه حاكم على عشرة آلاف فارس وكان خلى فى القلعة ألفين فارس لاجل حفظ أموالها والالفان الاخرى متفرقة فى القرى والضياع لاجل قضاء أشغالها ولما كان ثالث يوم كان قد قضى أشغاله وحاجته وعاد طالبا أخته عنيترة كما اتفق بينهما الميعاد وكان من الامر كما قدمنا انهما خلصوا ماء السماء ابن عم الملك المنذر وزيد بن عروة وعيينة بن حصن سيد بنى فزارة وقد خلعت على ماء السماء خلعة سنية تساوى ألف دينار كسروية وأعطته جميع ما كان أخذه أخوها الملك الغضنفر من الحمل بتاع الملك كسرى أنوشروان الذى كان من تحت رأسه هذا السفر فانهم لما تعارفوا وشاع الخبر لم يكن له منكر ولا جاحد بل انه قال لها يا أختاه هو عندى ولم ينقص منه الدرهم الواحد وان الله تعالى على ذلك وكيل وشاهد (قال الراوى) وانه لما مضى الى القلعة ليقضى منها أشغاله أتى بالحمل جميعه وفى صحبته أمواله ولما عزمت عنيترة هى وأخوها على المسير سيرت ابن عمها ماء السماء بذلك الحمل والمال الكثير وسيرت معه ألف فارس من بنى قضاعة وبنى عبس الرجال الاقيال ليحفظوا ما معه من تلك الاموال وسارت الاميرة عنيترة بعد ذلك طالبة أرض الحجاز ومنازل بنى عبس وصحبتها الامير الغضنفر أخوها ابن الامير عنتر وأمه وهى تود أن تفديه بالمال والنفس والسمع والبصر وذلك لما وقع فى قلبها من الوداد والاخوة والمحبة وجعلوا قصدهم العلم السعدى وأرض الشربة (قال الناقل) المصنف لهذا الكلام وكان مسيرهم على نواحى أرض الشام ولم يخافوا من أحد من سائر الانام لانهم قد كبرت شوكتهم وعلت كلمتهم واشتدت حميتهم ولاسيما من حين اجتمعت عليهم هؤلاء الفرسان والتمت عليهم تلك الاقران وقد اجتمعت عليهم وحواليهم جيوش كثيرة من العربان من بنى قضاعة وبنى فزارة ومن الروم وبنى عبس وعدنان (قال الناقل) المرتب لهذا الديوان فبينما هم سائرون فى تلك البرارى والقفار وهم يقطعون السهول والاوعار واذا بغبار عن يمينهم قد ثار وبعد ساعة تقطع ومار وانكشف عن خمسمائة فارس كرار ما منهم الا كل شجاع مغوار وفى مقدمتهم فارسان كأنهما الاقمار وما على مثل فروسيتهم عيار فأما الاول فهو أسمر أكحل تضرب سمرته الى الحمرة وكان الآخر أبيض أشقر كأنه من أولاد الملوك الكبار (قال الناقل) المصنف لهذه الاخبار فلما رأت عنيترة وأخوها الغضنفر الى ذلك

الجيش الجرار قالوا الواحد من الفرسان الذين بين أيديهم اكشف لنا عن هذه الاخبار وانظر لنا ما تحت هذا الغبار فان كانوا أصدقاء فيا بشراهم وان كانوا أعداء فبشرهم بدمارهم وفناهم فسار ذلك الفارس حتى انه التقى بتلك الفرسان واذا بهم على رؤسهم رايات وصلبان وعلائمهم تدل على انهم من بني غسان ومتنصرة العربان (قال الراوي) فلما وصل اليهم ذلك الفارس ناداهم يا هذه الابطال القناعس اخبروني من تكونون من العربان فانا نرى عليكم زي فرسان بني غسان وأيضا متنصرة العربان وأعلمكم ان هذه الفوارس المقبلة عليكم هي من فرسان بني عبس وعدنان وفزارة وذبيان والمقدم عليهم أم الزعازع عنيترة وأخوها الغضنفر أولاد الامير عنتر بن شداد الذي كان شجاع الزمان ومقنص الشجعان والملك زهير بن الملك قيس ملك بني عبس وعدنان (قال الراوي) فلما والآن سمعت تلك الفرسان من ذلك الرجل الذي قاله من الكلام حتى انهم نادوا عن لسان واحد وابشراه بملتقى أحبابه وأصدقاه ونخبركم ها نحن فرسان بني عبس وعدنان الكرام المعروفين بين الانام بفرسان المنايا والموت الزؤام وأخبركم عن هذين الفارسين أحدهما يسمى ياسر بن ميسرة الفارس الغضنفر والثاني يسمى ليث الميدان بن مازن بن شداد أبو الامير عنتر الذي ذكره قد ملأ السهل والجبل وهو باق الى يوم المحشر (قال الناقل) المحرر لهذا الخبر وقد كان السبب في ذلك الامر الذي تقرر ان عنتر لما غسل في مدينة دمشق عند الحارث سيد بني غسان بحيلة الربيع بن زياد القرنان وأيضا ابن أبي حارثة سنان وقعد فيها مدة كبيرة من الزمان وسار الحارث بجيشه للقاء الفرس ودساكر الخرسان وأتى أبو الدوح بن أخي الحارث وهجم على البلد هو ومن معه من الفرسان من أجل ابنة عمه حليمة كما قدمنا في هذا الديوان ودخلت حليمة على عنتر هي ومن معها من النسوان وأخبروه بما صار لهم من ذلك الشان وأطلقوه هو ومن معه من بني عمه من القيود بعدما أخذوا عليه الايمان والعهود وقتل أبو الدوح وأحيا البلد وأعطاهم الامان وعاد الى القيود والاصفاد كما كان ولما عاد الحارث سيد بني غسان وأخبرته ابنته بذلك الشان وبعد ذلك اصطلحوا وكان منهم ما كان وأهدى الحارث الى عنتر الثلاثة جواري الحسان لما أراد السفر والرواح الى الاوطان فأعطى واحدة لميسرة وأعطى لاخيه مازن الجارية الاخرى وأعطى لعروة بن الورد الثالثة من غير تهاون ولا فترة وقد عادوا بعد ذلك راجعين الى الاوطان وأقاموا عندهم برهة من الزمان ورزقوا منهم هذين الولدين باذن مكون الاكوان فلما قتلوا ميسرة ومازن وشربوا كاس الهوان ورحل عنتر الى بحر الفرات وأقاموا في ذلك المكان واشتهت الجواري على عنتر ان يروحوا الى ستهم حليمة ويزوروها فأذن لهم فمضى لها الولدان وكانوا تربوا على صدرها صغار وبعدها قتل عنتر وشرب كاس البوار وحكم عليه بذلك العزيز الجبار الذي ما لاحد من حكمه مهرب ولا فرار وأقام هذان الولدان مع أمهاتهما الى ان صاروا كبار وهم يسمعون عن بني عبس تلك الاخبار وبعد ذلك سمعوا من بعض السفار انه قد انتشى في بني عبس فارسة تسمى أم الزعازع وقد قهرت مثل ذي الخمار وقد اجتمع عليها بنو عبس الكبار منهم والصغار فعند ذلك استأذنوا ستهم حليمة وأخاها عمرو الفارس القهار وقد سار في هؤلاء الخمسمائة فارس لينظروا ما كان جرى من تلك الاخبار والتقوا في تلك البيد والقفار فعندها سار ياسر بن ميسرة وليث الميدان حتى التقوا بعنيترة وأخيها الغضنفر شجيع الزمان وتعارفوا وكان منهم ما كان وتلقتهم عنيترة وأخوها والملك زهير ومن معهم من الفرسان بالترحيب والكرامة وأحسنوا لهم غاية الاحسان وساروا الكل طالبين أرض الشربة والعلم السعدي ومنازل بني عدنان وما كان معها في الطريق سوى مائة فارس ممن كان قد صحبها من الفرسان وانضاف اليها تلك الخمسمائة فارس الذين مع ياسر وليث الميدان لاننا قدمنا في هذا الديوان انها خلت فرسانها في الحيرة عند الملك المنذر وسارت هي في الف فارس من الاعيان لخلاص الحمل فانقضى الشغل وهان وأيضا أرسلت من كان معها من الفرسان مع ماء السماء ليحفظوا الحمل من شياطين العربان وأمرت بني عبس الذين ساروا الى الحيرة مع ماء السماء أن يأخذوا من كان متخلفا في الحيرة من بني عبس وعدنان وبني قضاعة ويسيروا بهم الى أرض الشربة والعلم السعدي وتلك الوديان (قال الناقل) لهذا الشان ولما وصلت عنيترة وأخوها الغضنفر ومن معها من الفرسان تباشر بهم كل من كان في ذلك المكان

واستأنست بهم الديار وكثر فيهم الفرح والاستبشار واطمأنت المنازل بالنازل والاوطان بالقطان وشاع ذكرهم وصار وافي أعلى مكان وما أقامت عنيترة وأخوها الغضنفر ومن معهم الا أياما قلائل حتى وصلت بنو عبس وعدنان من عند الملك المنذر ومعهم الخلع والملابس الحسان والنوق والجمال والخيل المسومة الغالية الاثمان ومن النوق العصافيرية خمسمائة ناقة بيض الالوان أرسلها الملك المنذر لعنيترة خاصة من دون الفرسان وبعضها محمل خزا وبزا من تحف العراق وشيأ كثيرا لا يحصيه ديوان ومالا كثيرا تنفقه على من عندها من الشجعان وأخبروا عنيترة ان الملك المنذر عليها غضبان كيف انها ما سارت مع ابن عمه ماء السماء وكانوا يجتمعون مع بعضهم برهة من الزمان فقالت لهم والله يا بني عمي ما فعلت ذلك احتقارا به ولا أردت بذلك الا التخفيف عنه واني ما أريد أن آخذ على ما فعلت من الجميل جزاء ومع هذا فانه قد غمرنا بجميله وأرسل لنا ما فيه الكفاية وفوق النهاية وزاد علينا بفضله فقال الملك زهير والله يا أم الزعازع ان المنذر أكرمنا غاية الاكرام وأقام بواجب حقنا بما نريد من الانعام وذلك كله اكراما لك ويريد أن يجازيك على فعلك معه فقالت له عنيترة والله يا ملك انا الفضل لكم علي وأنتم الذين احسنتم الي غاية الاحسان واني بسيوفكم أضرب وبهيبتكم أغلب وما أضرب فارسا الا بحسامكم وما أطعن بالرمح الا بعزمكم ولا سيما من حين وصلنا وجاءنا أخي هذا الغضنفر الفارس الكرار والليث المغوار وهؤلاء الفارسان الآخران ابن أخي ياسر وابن عمي ليث الميدان واجتمعت علينا هذه الشجعان فلا بد لنا من حين يخلي بالنا وتلم رجالنا أن نسير الى أخذ الثار وكشف العار من بني نبهان اللئام الفجار فشكرها الحاضرون وزهير بن قيس على كلامها وقوة قلبها وحسن اهتمامها وأقامت بنو عبس ومن اجتمع عليهم في اصطناع الولائم وقد رتع في تلك الخيرات القاعد والقائم وقد خافتهم جميع العرب من بعد منها ومن اقترب وعاد عزهم أعظم ما كان وأخلف عليهم الزمان أقوى من حاميتهم عنتر بن شداد الذي كان قاهر الاقران وقد صارت بيوت قراد أحسن ما كانت في أول الزمان لانه انضاف الى بيوت عنيترة أخوها الغضنفر بمن معه من الفرسان وأيضا ياسر بن ميسرة وابن عمه ليث الميدان ومن قدم معهم من بني غسان وكذلك عمهم جرير وابن عمهم الخذروف وأيضا خمة الجواد أخو شداد وسبيع اليمن بن مقري الوحش ليث الطراد وزيد بن عروة والامير عمرو ذو الكلب وأخته الهيفاء قناصة الرجال وكان قد انتشى الغصوب بن عنتر في بني قضاعة ولد لما غضب من غمرة وسار طالب مكة وجرى له مع أبيه ما جرى وانتشى ذلك الولد وبقي فارسا قسورا وانضاف الى عنيترة والى أخيها الغضنفر وكان فارسا شديدا يسمى أسيد (قال الراوي) وكان أيضا قد ظهر للغضبان ولد من زوجته دعد وكان اسمه الديال وكان يعد في الحرب بألف فارس من الابطال وكان الآخر قد انضاف اليهم على ذلك المثال وكان كل واحد من هؤلاء الذين ذكرناهم من الاهل والاقارب يحكم على رجال وأبطال وله خيام ومضارب ونوق وجمال ونعم وأموال وخيول وجنائب وأما بنو زهير فانهم ما بقي منهم سوى زهير بن قيس وبعض أعمامه الكبار وكانت عنيترة توقره غاية الوقار وما تعده الا من جملة الملوك الكبار مثل ما كان أبوها عنتر يفعل مع الملك قيس فانه كما ذكرنا كان عنده جليل المقدار وأما بنو زياد فانهم انقطعوا من بني عبس ونفذ فيهم حكم رب العباد لان عنتر لما قتل الربيع بن زياد وأخاه عمارة القواد وأحل بهم الذل والخسارة ورحل الى بحر الفرات وأقام هناك على ما قدمناه من تلك العبارة أنزل الله بعد رحيله على بني زياد الهلاك والفناء والذي بقي منهم انقطع يوم وقعة بني عبس وحل بهم الارتباك (وذكر الاصمعي) مصنف هذا الكلام انه لم يبق منهم ولا تخلف منهم غير الشمر بن زياد الذي قتل سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب في أرض كربلاء وذلك باذن رب المشارق والمغارب وكانت قد سبقت فيه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه دعا عليه بالعطش والظمأ فصار كل يوم يشرب عشر مرات من الماء ولا يروى حتى انفقعت بطنه ومات وذلك كان بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد السادات ونرجع الى ما كنا فيه من الكلام وأقامت عنيترة حامية ديار بني عبس هي وأخوها مثل ما كان أبوها عنتر وقد هابتها سائر العربان وخافت من بأسها سائر الاقران (قال الاصمعي) راوي هذا الديوان فهذا ما جرى لهؤلاء من الامر والشان (وأما) ما كان من الامير قيس ابن الملك

زهير واخوته فانهم قد دخلوا الى الصومعة وعملوا رهبان لانه اوقد ذكرنا انه لما مات عنتر وأتتهم العرب من كل
سهل ووعر وجرى عليهم ماجرى من ذلك الامر المنكر ومحى شأنهم واندثر وانقطع منهم الاثر اخذ قيس ابنته
الجمانة على كفل جواده داحس وسافر بها أياما حتى وصل الى بحر الفرات فأرمى روحه فيه وهو من الحياة آيس
فقطع به الجواد البحر وقد أمل النجاة فوقعت ابنته من خلفه فغرقت وماتت موت الفجاة ونجا قيس وطلع من
البحر وركب على ظهر جواده وسار هائما على وجهه وقد أيس من بلوغ مراده الى أن وصل الى الصومعة
التي ذكرناها وقتل الراهب وقد سكن موضعه وصار من الامر ما قدمناه وبقي مدة من الزمان وقد طالت نوبته
(قال الراوي) فبينما هو قاعد اذ قد اتى اليه ثلاثة من اخوته وقد خافوا على أنفسهم من الموت لما رأوا الى بني
عبس قد انقطعوا وفات فيهم الفوت وقصدوا الى تلك الصومعة وهم يظنون ان فيها أحدا من الرهبان وهو مقيم
فيها من قديم الزمان فأرمتهم المقادير على أخيهم قيس فلما عرفوه وعرفهم عولوا على الاقامة في ذلك المكان
وكادوا أن يخرجوا من عقولهم من حسن هذا الاتفاق الذي لم يسمع بمثله في سائر الآفاق وكان الثلاثة الذين
قدموا على قيس من اخوته كما أخبرنا عنهم من ذكر هذا القول بالتحرير انهم كانوا ورقة ونوفل وكثير فأقاموا عند
أخيهم جملة من الاعوام وقد أمنوا من حوادث الليالي والايام وهم في تلك البراري والآكام وكانت مدة اقامتهم
عشرة أعوام الى ان بلغهم ماجرى لبني عبس وعدنان وكيف عادت دولتهم مثل ما كانوا في أول الزمان وقد
خافتهم سائر العربان وقد انتشى فيهم فارسة ماتهاب الموت الاحمر يقال لها عنيترة بنت عنتر وأمها الهيفاء قناصة
الرجال أخت عمر وذي الكلب سيد بني قضاعة وقد أطاعت عنيترة سائر القبائل بالسمع والطاعة وساروا
نازلين في أرض الشربة والعلم السعدي ومن الهيبة التي لها في قلوب الناس لم يكن أحد على أحد متعدي وزهير بن
قيس حاكم على ألف وخمسمائة انسان وهم من بني عبس وبني فزارة وبني غطفان وعنيترة وخالها وأخوها
الغضنفر وقد صاروا في عشرة آلاف فارس وأكثرهم اليوم في أمان واطمئنان وقد هابت بنو عبس وبنو قضاعة
سائر العربان (قال حازم المكي) ناقل هذا الديوان ولما تحقق قيس واخوته ذلك الكلام من السفار والعابرين
بهم في الليل والنهار ممن يهدون لهم الهدايا ويقربوا لهم القربان وهم يعتقدون انهم رهبان واتضح ذلك
القول والبرهان فقال قيس لاخوته ما عندكم من الرأي الرشيد فقالوا له أنت أحق منا بالقول السديد والامر
الحميد والعرب تسميك قيس الرأي فافعل ما تريد (قال الراوي) فلما سمع قيس كلام اخوته وعلم ما اتفقوا عليه
من اتباع مشورته قال لهم ان الرأي ان نسير ونطلب أرض الشربة والعلم السعدي ولعل الزمان يكون قد غير
الاحوال فقال له اخوته نعم ما ذكرت والصواب ما به أشرت (قال الراوي) وكانت خيولهم سائبة في تلك
الارض عندهم كل هذا الزمان تأكل من تلك الاودية وتشرب من تلك الغدران وقد ساروا كلهم فما كان لهم
دأب الا انهم شدوا على خيولهم وأخذوا أحوالهم والامور التي يعرفونها وساروا طالبين ديارهم وأطلالهم وهم
يتأسفون على ماجرى في أموالهم وعيالهم (قال الراوي) ثم انهم لم يزالوا يقطعون البراري والقيعان حتى أرمتهم
المقادير على أرض بني نبهان وكان جوازهم عليها في جوف الليل فبكروا عند ذلك من تحت الخيل فأصبح صبحهم
على أطراف بلادهم وتحققهم الرعيان وكانت سائر قبائل العرب تعرف فرسان بني عبس عبيدها وصناديدها
وتعرف أوباشها من أماجيدها الا انها كانت طائفة قليلة وأعداها كثيرة وقد فعلوا بهم ما فعلوا في تلك
الوقعات الكبار ولاسيما الملك قيس بن زهير واخوته وما فعلوا في العرب في أيام عنتر وشجاعته فقام عليهم اما ئط
من الرعيان وتجمعت خلفهم عبيد بني نبهان وداروا حواليهم من كل ناحية ومكان وقد تبع قيس واخوته
أوفى من ثلثمائة عبد من العبيد الشداد فوقف قيس وقفاته المعروفة ووقفت اخوته وتجالدوا أشد جلاد
وقال لهم يا بني أبي موتوا كرام ولا تموتوا لئام فانا الابد لنا من ضرب الحسام فقال له أخوه نوفل نعم ما قلت يا أخي
من هذا الكلام (قال الراوي) ثم انهم أكبوا قربوسهم في قرابيص سروجهم وحملوا على العبيد وحملت العبيد
عليهم وهؤلاء فرسان بني عبس الاماجيد وليوثها الصناديد وهؤلاء الذين التقوا بهم على كل حال رعيان وعبيد
فما كان الا ساعة حتى أرموا منهم تسعين عبدا على الصعيد وقد نثروهم في الميدان ومددوهم على الصحصحان

وقد سالت الدماء من السيوف وتناهلوا كاسات الحتوف وبان كل بطل موصوف (قال الراوي) وكان
قيس واخوته كما قدمنا من شجعان العرب وقد قدمنا ذكر قيس وماجرى له يوم الجبلين مع معد يكرب فقتل
هو واخوته في تلك الساعة أكثر من نصف العبيد وأحلوا بهم العطب وقد عول الباقون على الفرار والهرب
يطلبون لانفسهم النجاة في ذلك البر والسبسب (قال الراوي) واذا بالغبار قد علا من ناحية بني نبهان بعد ساعة
وبانت من تحته الفرسان وقد ظهرت الشجعان وكانوا أوفى من ثلاثة آلاف عنان وقد أتوا الى قتل الملك
قيس بن زهير واخوته ليعدموا كلا منهم مهجته لان العبيد مضوا في عاجل الحال وأعلموا السادات بذلك
الشان فركبت في الوقت والساعة فرسان بني نبهان وطلبوهم في تلك البراري والكثبان (قال الراوي) لهذا
الديوان ولما رأى قيس واخوته ما أتاهم من فرسان العرب قال لهم يا بني أبي اطلبوا بنا الهرب والا متنا موت
الفجاة وحل بنا العطب فقال ورقة نعم ما قلت يا أخي من هذا الرأي الصائب ثم انهم لووا رؤس خيولهم وطلبوا
النجاة في ذلك البر والسبسب ولما رأتهم فرسان بني نبهان وقد فعلوا تلك الفعال أخذوا عليهم سائر الطرقات
وطلبوهم من جميع الجهات فلحقوا منهم نوفلا وتكاثروا عليه فقتلوه وأحلوا به التدمير (قال الراوي) واما
قيس فكان تحته جواده داحس وقد ذكرنا فيما مضى من حديث هذا الجواد وما كان فيه من الامور النفائس
فطار بقيس في ذلك البر والتلال وطلبته الخيل من اليمين والشمال فما لحقوا منه الا الغبار ونجا بقيس
وتبطن في تلك البراري والقفار فطلب ناحية البحر الاعظم وقد خاف قيس على نفسه من الهلاك والعدم وما
زال كذلك وهو قدامهم وهم وراءه حتى أرمى روحه في بحر الفرات هو وجواده داحس فغرقوا الاثنين وحان
عليهم الحين (قال الراوي) هذا وبنو نبهان لما عاينت ذلك الحال ورأوا الى ما فعل قيس من تلك الفعال وقد
أرمى روحه في البحر وغرق وشرب كأس الوبال ولا رضي بمن يحكم فيه وينزل به الاذلال قالوا لبعضهم يا لله من
فارس من بين الفرسان اخترت الموت على الذل والهوان ثم انهم رجعوا عنه نادمين وفيما فعلوا خاسرين
وفيهم من بكى عليه ولاموا أنفسهم بما أساؤا عليه (قال الراوي) فهذا ما كان من قيس وما جرى له (وأما)
ما كان من ورقة أخيه وأحواله فانه لما اشتغل عنه بنو نبهان في اتباعهم لقيس في تلك البراري والقيعان وقتلهم
لاخيه نوفل فنجا بنفسه وقد اشتغلت عنه الخيل ومازال سائرا بجواده الى ان دخل عليه الليل وكان هذا الجواد
الذي تحته معدوم المثال في الخيل وكان الحق سبحانه وتعالى قد أسكن فيه القوى والحيل ولما انه أقبل عليه
الليل سار طول ليلته الى ان أصبح عليه الصباح وقد أيقن انه نجا بنفسه من ذلك الامر الغامر فرأى روحه قد قارب
ديار بني عامر فتحايد عن الطريق وسار في أودية وأوعار الى أن صار آخر النهار ونزل على بعض الغدران وأراح
واستراح الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح فركب جواده وسار طالبا العلم السعدي وأرض
الشربة وهو مشتاق الى من فيها من الاهل والاحبة وقد أنكبه الدهر في اخوته أي نكبة (قال الراوي) وما
زال سائرا الى ان أقبل على الديار والاوطان وبانت له المضارب والخيام والغدران فتهاطلت دموعه على خديه
مثل الجمان ومازال كذلك الى ان شق بجواده بين المضارب والخيام وكان ذلك بعد ثمانية عشر من الايام فتبادر
اليه أهل الحلة فعرفوه بالصياح والزعاق وانهملت الدموع من الآماق وتبادرت الى صوت ورقة الرجال
وأقبلت عليه الابطال ووصل الخبر الى الملك زهير بن قيس فخرج للقائه ماشيا على رجليه وقد كاد من الفرح
أن يغشى عليه ومازال الى ان التقى بعمه ورقة وهو لا يصدق أن ذلك الامر صدق ولا يؤمن أنه يراه حقا ولما رآه
ورقة ترجل اليه واعتنقه وضمه الى صدره وسلم عليه وصار يقبله في عارضه ونحره وبين عينيه وأقبلت أيضا
عنيترة وأخوها الغضنفر وخالها عمر وذو الكلب الامير وأقبل أيضا جرير وابن اخيه الخذروف وكل منهم على
لقاء ورقة ملهوف وصار الناس متعجبين من هذا الامر وهم وقوف فسلمت عنيترة على ورقة غاية السلام وتبادر
اليه جرير والخذروف وسلما عليه وسار مع جملة الناس وجعلوا يتذاكرون ما مضى وقد تباكوا لما جرى عليهم
وحكم به القدر والقضاء ولما انتهوا الى السلام انعزل كل خل بخله وقد سار الملك زهير ومعه عمه ورقة وقد كاد قلبه
من فرحه يطير وينفطر وكذلك الاميرة عنيترة بنت عنتر وأخوها الملك الغضنفر وعمها جرير وابن عمها

الحذروف وسبيع اليمن بن معرى الوحش وزيد بن عروة وعتيبة بن حصن ووجوه القبيلة وما زالوا كذلك الى ان وصلوا الى مضرب الملك زهير وجلسوا للحديث والكلام وبعدما فرغوا من بعضهم من السلام وقد جعل ورقة يحكى لزهير ولمن حضر ما جرى له وما عليه قد تم من هذا الامر المنكر وعلى اخوته من بنى نبهان وكيف قتلوا أخاه نوفل وكثير وقد أخبرهم كيف غرق قيس وجواده وابنته فى النهر والغدير والله أعلم (قال الراوى) فلما سمع زهير كلام عمه ورقة بكى بكاء شديدا وبكت الجماعة الحاضرين بكاء شديدا ما عليه من مزيد فقالت له عنيترة ما بالك أيها الملك تبكى لا أبكى الله لك عينا ولا أشمت بك انسان وكيف تبكى يا ملك الزمان وحولك هنا رجال مثل العقبان وكل فارس منا يقوم بجماعة من العربان فدع عنك البكاء والانين والاشتكاء وسر بنا الى بنى نبهان لنقلع آثارهم ونخرب ديارهم وننزل بهم الذل والهوان ونأخذ منهم بثار أبيك وأعمامك وأيضا ثار أبى سيد الفرسان وأخلى ديارهم مثل أمس كان ونفعل بهم ذلك وحرمة الملك الديان الواحد المنان الذى لا يشغله شأن عن شأن (قال الراوى) ثم ان عنيترة التفتت الى أخيها الغضنفر والى من حوله من الفرسان والى خالها عمرو ذى الكلب ومن تحت يده من الشجعان وقالت لهم خذوا أهبتكم حتى اننا نسير للحرب والقتال ونأخذ ثارنا من بنى نبهان ثم قالت لهم كل منكم ينهى رجاله ويوصى أبطاله ثم انها الأخرى صرخت فى بنى عبس وبنى فزارة وكان قد التم منهم جماعة كثيرة وساروا من تحت يد عمها زخمة الجواد وقالت الخيل يا ارباب الخيل اترفعوا عن أنفسكم ما حل بكم من الويل (قال الراوى) فركبت بنو عبس لوقتها وساعتها وصرخت أيضا فى من تحت يدها من الفرسان وقالت لهم خذوا أهبتكم وكذلك قالت للملك زهير قم يا ملك وأزل عن قلبك بأخذ ثارك وما قد اعتراك من الهم والضير فقام الملك زهير قائما على الاقدام لما سمع منها ما أبدته من ذلك الكلام وقدموا له الجواد النوبة والعبيد والخدام فركب وركبت لركوبه سائر الفرسان ومن قد اجتمع عليهم من قبائل العربان وكانوا خفيفى الظهر متأهبين لهذا الشان ولم يأخذهم عن ذلك اهمال ولا توان وساروا فى عاجل الحال طالبين أرض بنى نبهان وهى بحرقة التلاق تقول لابد ما أشتت شملهم فى الفلا وحرمة العلى الاعلى (قال الراوى) ثم سارت القبائل تتبع بعضها بعض أطلاب أطلاب وهم بنو عبس وبنو قضاعة ومن يليهم من الاعراب وتبعهم أيضا بنى فزارة وكان قد اجتمع عليهم ألف وخمسمائة فارس ممن لهم من الخلان والاصحاب وكذلك المتنصرين الذين اتوا مع الغضنفر وهو سائر بين أيديهم كأنه الاسد القسور وقد كملت عدتهم اثنى عشر ألف فارس وقد وكلوا بالاموال ألفين فارس أعيان لان عدة من كان قد اجتمع عليهم من بنى عبس وعدنان ألفا فارس أعيان ممن كانوا قد اجتمعوا فى الجبال وسكنوا فى الاودية والتلال (قال الراوى) وقد ذكرنا أن الغضنفر قد أتى فى أربعة آلاف وعنيترة وخالها عمرو ذو الكلب من بنى قضاعة فى أربعة آلاف فارس أنجاب وانضاف عليهم من بنى فزارة والخلفاء والاصحاب ستة آلاف وأكثرهم من القرائب والاحباب فصاروا فى ذلك اليوم أربعة عشر ألف فارس أنجاب وقد قدمنا فى هذه الاقوال النفائس ان بنى عبس كان عدتهم فى زمان عنتر أربعة آلاف فارس فهؤلاء قد زاد بهم الامر عن حد القياس وقد زاد فى قلوبهم لهيب النار لاخذ الثار ولاجل أن يخمدوا منهم الانفاس فساروا يقطعون البرارى والقفار والقيعان طالبين ديار بنى نبهان ليحلوا بهم الذل والهوان ويكشفوا عن أنفسهم العار والذل والشنار (قال الراوى) لهذه الاخبار فبينما هم سائرون على ذلك العيار وهم يقطعون المناهل فى الليل والنهار ولا يقر لهم قرار الى أن كان يوم من بعض الايام واذا قد ثار من بين أيديهم غبار وقتام ساعة وقد انكشف ذلك الظلام وبان من تحته ألف فارس كأنهم الاسود العوابس وبين أيديهم هودج عال والرهج من كثرة الذهب الذى عليه يتلألأ وهو مقبل بين يدى تلك الابطال السائرين على عجل طالبين أرض الحجاز من غير مهل وكان اقباله من ناحية أرض الشام وتلك الفرسان محتاطون به فى ذلك البر والآكام (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب فلما رأت فرسان بنى عبس الى ذلك الحال والى تلك الفرسان المقبلة وما معهم من المال قالت الاميرة عنيترة لابن أخيها ياسر ولابن عمها ليث الميدان انظروا ما هؤلاء الفرسان فانى أراهم مقبلين من أرض الشام وتلك الفرسان من بنى غسان فعند ذلك سارا كما أمرتهما الى أن قاربا تلك

الفرسان وتبينوهم فعرفوهم واذا هم من متنصرة العربان والراكبة التى فى تلك الهودج هى الست حليمة بنت الحارث الوهاب وبين أياديها خدمها ورجالها وجماعة من الاصحاب فلما رأوها فى عاجل الحال ترجلوا عن خيولهم وقبلوا بين يديها الارض والمهاد وكان قد تبعهما جماعة من الرجال فلما رأوهما قد فعلا تلك الفعال عاد الرجال الى عنيترة وأخيها الغضنفر وأخبروهما بذلك الحال فعند ذلك سارت عنيترة والغضنفر فى مقدمة الرجال والتقوا بعضهم البعض فرأوهم قد أبركوا الجمل الذى عليه الهودج ونزلت الست حليمة الى وجه الارض فعند ذلك ترجلت اليها عنيترة هى وأخوها الغضنفر لما رأوا عليها من جلالة القدر وحسن المنظر وقد اندهل من رؤيتها كل من حضر وقد تلقتهم بالبكاء والنحيب وأكثرت من الصراخ والتعديد حتى انزعج كل من كان حولها من الفرسان الاماجيد (قال الراوى) فتقدمت الاميرة عنيترة واعتنقتها وجعلت تهديها عن البكاء والاعوال وتسألها عما جرى لها من تلك الاحوال التى هى سبب ذلك النحيب والاعوال ثم انها أمرت بنزول الجيوش فنصبت الخيام حتى يأخذوا لهم راحة فى ذلك المقام ونصب أيضا رجال الملكة حليمة لها سرادقا من الحرير مرقوما بفصوص الجواهر ولما نزلوا واستقر بهم القرار بدأت تحدثهم عما كان لها من الكلام (قال الراوى) وقد كان السبب الذى أوجب تلك الاحوال وأتى بهذه الملكة حليمة الى هذه الحالة الاذلال بعدما كانت بغاية العز والاجلال هو ان الست حليمة وأخاها عمرا ولما ولاهما عنتر وكان قد سار كما ذكرنا الى جانب الفرات وفعل ما فعل معهم من ذلك الامر وقد أقاما بعده من تحت يد الملك قيصر على هذه الاحكام مدة هذه الاعوام الى ان كان فى بعض الايام فبينما هما فى غفلة عما تحدثه الليالى والايام واذ قد بلغهما الخبر أنه قد ظهر من البحر جيوش بعدد الرمل وقطر المطر وانهم قادمون على أرض دمشق وما يليها من الاقاليم والاحكام ولهم ملك ما رأى أحد مثله فى سائر الانام وقد قتل الرجال وأباد الابطال وخرب الديار والاطلال ونهب ما ادخرته الملوك من الاموال وفعل فعلا لم يفعله قبله أحد من الملوك ولا من الابطال وقد نقلوا عنه انه جبار عنيد وشيطان مريد لا يهاب الرجال ولا يخشى من الابطال فى يوم الحرب والمجال (قال الراوى) لهذا الكلام فلما سمع الغضنفر كلامها وما حدثته من مرامها طار من عينيه الشرار وقال لها أى شئ دين هذا الملك أما يعبد الصليب ويشد الزنار فقالت يا مولاى هو على دين المسيح بن مريم ويعرف قدر الانجيل المعظم فقال لها وما السبب الموجب لقتاله فى أهل دينه حتى أحل بهم المهالك فقالت يا مولاى وحق المسيح ما أعلم بذلك وهذا الذى سمعنا به من أحواله وما وصل الينا أعلمناك به وأطلعناك عليه وقد ذكروا لنا عنه أيضا ان له عند عرب الحجاز ثارا يريد ان يستوفيه وكذلك له عند قيصر ملك الروم ثار يريد أن يقضيه (قال الراوى) فلما فرغت من كلامها وفهم الغضنفر مرامها أشار الى بنى عمه وجميع مقدمى الجيوش وقال لهم يا بنى العم ما ترون فى هذا الامر المنكر والحال الذى قد ظهر فقالت عنيترة وجميع من حضر يا أمير الرأى عندنا اننا نسير الى هذا العدو ونلتقيه ونكفى الناس شره وما يأتى منه من ضرر فاذا أمنا من شره ودواهيه عدنا الى الامر الذى كنا فيه وعزمنا على أخذ ثارنا وكشف عارنا فقالت عنيترة يا أخى وحق ذمة العرب هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب وان لم نفعل هذا الامر فى الاول والا انقلبت علينا الاعداء ويقصد الافرنج ديارنا ويشغلوا خواطرنا وأسرارنا وتصير العرب جميعا مع الاعداء علينا وينفتح باب ما نقدر أن نسده ولا نعلم بعد ذلك ما نلتقى ولا ما يحدثه الدهر فينا فاستصوب جميع الحاضرين هذا الرأى وباتوا تلك الليلة وهم عازمون على المسير الى دمشق الشام ويلتقوا هذا العدو الذى هو الجوفران بن الملك كوبرت ملك جزيرة الكانور وتلك البلدات ولما فرغوا من ذلك الكلام بذل الملك الغضنفر للملكة حليمة ومن معها غاية الاكرام ورفعها على أعلى مقام وتولى خدمتها تلك الليلة ياسر بن منيسرة وليث الميدان وتذاكرا جميلها وما لها عليهما من الاحسان (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وبان لهم الضوء من الشرق ولاح أمر الغضنفر أن ينادى المنادى بالرحيل وان يعتدوا بآلة الحرب للتحويل فرحل جميع الجيوش طالبين بلاد الشام ونشرت على رؤس العساكر الرايات والاعلام وعلى رؤس السادات والفرسان الكرام ونشرت على رأس الملك زهير بن قيس راية أبيه العقاب وكانت الراية أخذتها عنيترة من

بنى عامر لما وقع لبنى عبس ما وقع مع القبائل والاعراب فأوصلها عامر بن الطفيل اليهم فى جملة المال الذى كان أنفذه مع كوكب مع ما كان عليه كما قدمناه ورفعوا حليمة الى هودجها بعدما طيبوا قلبها ووعدوها بانكسار العدو عن بلدها وتسليم غنائمها اليها وسار الجيش وفى المقدمة عنيترة بنت عنتر وخالها عمرو ذو الكلب وياسر ابن ميسرة وليث الميدان الآخر وفى القلب الملك زهير وفى الميسرة الملك الغضنفر وسادات بنى عبس وفى الميمنة أسد بن غصوب والملك الغضنفر يترنم وينشد ويقول

ساعد لحدثان ظمنا * وأعد للاعداء عدا * أنالى حسام قد نقد * البيض والابدان قدا
وعلمت انى من بنى * عبس الكرام اباو جدا * قوم اذا لبسوا الحديد * تراهم كالنار وقدا
كل امرئ يجرى الى * يوم الهياج بما استعدا * لما رأيت الصارخات * يصحن ياذا العزم شدا
وأتت حليمة وهى كالبدر * التمام اذا تبدى * وبدت محاسنها التى * قد جاوزت للحسن حدا
لما رأيت نساءنا * يعددن للاحزان شدا * ما ان جزعت ولا هلعت * ولا يرد بكاى زندا
أغنى غناء الذاهبين * وأعد للاعداء عدا * ذهب الذين أحبهم * وبقيت مثل السيف فردا
ليس الجمال بمئزر * فاعلم وان رديت بردا * ان الجمال معادن * ومناقب أورثن مجدا

(قال الراوى) المصنف لهذه المقالات وكان الغضنفر وهو ينشد هذه الابيات والخذروف وجرير بين يديه يبكيان بغزير العبرات ويظهران أكبر الحسرات فقال لهما الغضنفر لاى شئ تبكيان لا أبكى الله لكما عينا فقال جرير وذمة العرب يا ابن الاخ ما بكائى الا انى تذكرت أيام أبيك عنتر ونحن سائرون قدامه طالبين دمشق وعمك شيبوب فى صحبتنا وأخى عنتر قدامنا وهو ينشد أبياتا تقارب هذه الابيات فوحق عالم الخفيات العالم بما مضى وبما هو آت لكأنى أسمع أباك وهو ينشد هذا الكلام وهذا الشعر والنظام وكأنك ما خليت من أبيك شيأ من خلقه وهذا الامر الذى جرى فى خاطرى وأجرى دموعى بما جرى فضج الجميع من حولهما بالبكاء والعويل وقد تذكروا ما جرى على بنى عبس من الويل والتنكيل والعذاب الطويل (قال الراوى) لهذه الاخبار ولم يزالوا سائرين الليل والنهار وهم على ما هم عليه من قطع الاودية والقفار والسهول والاوعار الى ان أشرفوا على غوطة دمشق وتلك الديار وكان دخولهم فى النهار فلما رأوا الى البلد وهى فى وسط البساتين قال الغضنفر لجرير هذه البساتين تمنعنا عن المجال وتردنا عن الوصول الى هؤلاء الانذال فقال لهم الخذروف اتبعوا أثرى حتى أقطع بكم هذه البساتين والرمال وأرميكم على الاعداء فى أرض خالية من الاشجار الطوال فقال له جرير افعل هذا فانه الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انهم ساروا خلف الخذروف طول الليل فى ذلك المدا فما طلعت الشمس الا وقد صاروا من غربى الاعدا (قال الراوى) وطلع الغبار الذى دلهم حتى أظلمت منه الاقطار وسارت الافرنج طالبة الغبار والقفار وقد ظنوا أن بعض ملوك الافرنج قد وصل اليهم من بعض جزائر البحار (قال الراوى) فلما وقعت العين على العين وصحت الاخبار ونظرت الافرنج الى قلة جيش العرب وهم فى تلك البيداء وقد تفرقوا فطمعت فيهم وحملت عليهم حملة الحنق فالتقتهم العرب بقلوب جريئة من غير فزع ولا قلق وتصادموا بالسيوف والرماح والدرق حتى فاض الدم من الاجساد وانهرق وأطبقت عليهم الافرنج مثل انطباق البحر اذا اندفق وماجت الجيوش فى بعضها البعض حتى صاروا مثل البحار الزواخر وانعقدت على رؤسهم الزوابع والغبائر (قال الراوى) ونادى الغضنفر فى عشائره احملوا الطعن والضرب من كل جانب فاصطدمت الفرسان والمواكب وخاضت الشجعان فى الكتائب وطارت الرؤس عن المناكب وحميت عنيترة فى ذلك اليوم وأظهرت العجائب وحمل من خلفها ياسر بن ميسرة وليث الميدان والديال بن الغضبان وربيع اليمن بن مقرى الوحش شجاع الزمان وعمرو ذو الكلب ودريد بن الصمة شيخ مشايخ العربان ودثار بن رقية وخفاف بن ندبة فتى الفتيان وكذلك فعل الملك زهير بن قيس فى ذلك اليوم فعلا يحير الاعيان وصادمت الاقران وصرخت الفرسان وبربرت الشجعان وطلع الغبار الى العنان وتعبت الخيل من كثرة الجولان وحملت على بعضها بعض تلك الطوائف المختلفة والجموع التى هى غير مؤتلفة (قال الراوى) وكانت

بنو عبس قد داخلهم من كثرة الجموع القلق ولمع حسام الموت على رؤسهم وبرق وتقطعت الاسباب وتمزقت القلوب من كثرة الجزع وضاق بهم البر المتسع وصاح الصائح فلم يسمع (قال الراوى) لهذا الديوان هذا وقد نظر الغضنفر الى كثرة الجيوش وازدحام الكتائب والعشائر فصار يضرب ضربا لا ترده الدروع ولا المغافر ولا تقيه الزرديات ولا العدد ولا يخاف الموت اذا ورد ويطعن طعن شجاع قادر يخرق به الزرد فتركهم كلهم مطروحين على الارض مثل العمد وصارت الرجال بين يديه مثل الغنم وعمل فى ذلك اليوم عملا حير الالباب والاذهان مع فرسان الحجاز والشجعان (قال الراوى) ولولا ان عشائر الافرنج كثيرة والا كانت كسرتها عشائر العرب وأحلت بها الدمار والعطب وكان هذا القتال كله والملك الجوفران واقف تحت الاعلام والصلبان كأنه شيطان من شياطين الجان وهو يقول وحق المسيح ان فرسان الحجاز هم ليوث الميدان وأبطال الزمان ولابد أن أبرز غدا اليهم وآخذ فرسانهم وأقهر شجعانهم والا فما أبلغ منهم المراد ولا تقع هيبتى فى قلوب العباد (قال الراوى) وكان جيش بنى عبس ثمانية آلاف وعشائر الملك الجوفران اثنين وستين ألف لانه كان قد فرق عشائره على القلاع والحصون وأيضا سير ثلاثين ألف الى انطاكية فساروا فى أسرع ما يكون وكان المقدم عليهم بطريق من بطارقة الافرنج وهو جسيم وسيم كأنه الفيل العظيم وكان الذى تبقى عند الجوفران على حصار دمشق هؤلاء الاثنين وثلاثين ألف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس وذلك لعلمه ان ما فى البلد من يلقاه ولا له عدو يقصده ولا يطلب ملتقاه وانه هو قاصد الاعداء ويريد أن يحل بهم الردى وما كان يقول ان عرب الحجاز تقدم عليه ولا تسير بهذه العشائر اليه (قال الراوى) وتحارب الطائفتان تلك البطاح الى ان أقبل عليهم الظلام وهم على ما هم عليه من الحرب والكفاح وانفصلوا الطائفتان وتباعدوا عن بعضهم الفريقان ونزلوا الى الميدان لراحة الابدان الى ان برق الصباح وبان وأشرق نوره الوضاح ولاح على الكثبان فتقدموا عند ذلك الى الميدان يطلبون الحرب والكفاح راكبين على صهوات الجرد القداح وهم متقلدون بالسيوف ومعتقلون بالرماح (قال الراوى) هذا والصياح فى البلد قد علا حتى بلغ الى وسيع الفلا وصاروا يدعون للعرب بالنصر والحما ويطلبون لهم الظفر من رب الارض والسما فلم تكن الا ساعة ودقت فى عساكر الافرنج النقارات وعلت بينهم الضجات وقد أخذتهم الفرحات والمسرات وركب الملك الجوفران ونشرت على رأسه الرايات والصلبان وتقدمت بين يديه الفرسان (قال الراوى) ولما اعتدلت الصفوف وترتبت المئات والالوف برز من عشائر الافرنج فارس فى الحديد غاطس راكب على جواد أبلق كبير الحدق له بين الخيول زى ورونق متقلد بسيف أبتر يأخذ بالبصر وهو معتقل بقنطارية خلنجيه ثم انه سار على ذلك الجواد الموصوف حتى بقى بين الصفوف وأشار بيده يطلب البراز ويسأل الانجاز فما استتم كلامه وما أشار به من مرامه الا وقد برز اليه ياسر بن ميسرة وله همة قويه ومقدرة وهو راكب على جواد أجرد مقلد بسيف مهند ومعتقل برمح أسمر من عمل سمهر ثم انه جال بجواده حتى صار مع الافرنجى فى الميدان وقاربه حتى صار الحصان يحاذى الحصان فعند ذلك وقف ياسر وأنشد يقول هذه الابيات

سل السيوف وخوض الصفوف * وقرب الحتوف وضرب القلل * ونقع العجاجة فى الخافقين
تريك المنايا برؤس الاسل * ألذ وأشهى من الغانيات * وشرب المدامة يوم الظلل

(قال الاصمعى) ثم ان ياسر احمل على الافرنجى حملة جبار لا يبقى ولا يذر وكذلك الافرنجى التقاه بقلب أقوى من تيار البحر اذا زخر وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وأخذا فى الحرب الشديد والقتال العنيد وأبعدا فى الكر والفر والهزل والجد والاخذ والرد والبعد والقرب والملاصقة والموافقة والمطابقة حتى قل من الافرنجى الحيل رضعف عن خصمه وحل به الويل فعند ذلك أطبق عليه ياسر وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وقد انهد أساسه وخمدت أنفاسه (قال الراوى) فعند ذلك برز اليه أخو المقتول فما أمهله ولا تركه يجول حتى طعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ثم انه وقف بالميدان ونادى

يامعاشر الافرنج من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فما بي خفى أنا أعرفه بنفسي أنا ياسر بن مسيرة الفتى القسور صاحب الهمة والمقدرة فابرزوا الى فرسانكم المذكورة وشجعانكم المشهورة (قال الراوى) فلما سمعوا منه ذلك الكلام لم يمهلوا دون أن برز اليه فارس وهو لابس درعا حديد وهو كأنه قصر مشيد فما أمهله ياسر يجول حتى تركه على الارض مجدول وقد ضربه على هامه أرمى رأسه قدامه ثم انه طلب البراز وسأل الانجاز فبرز اليه رابع فقتله وخامس فجندله والسادس أهواه والسابع أرداه والثامن عجل فناه وألحقه برفقاه وتركهم مطروحين في الفلاه ولم يزل يخرج اليه فارس بعد فارس وهو يقرب دماره ويعجل بواره حتى قتل من الافرنج ثلاثين فارس وهم فرسان عوابس الى أن قرب المساء وأعتمت الدنيا وتحندس الظلام ورجعت الطائفتان الى الخيام هذا والملك الجوفران قد حار ولحقه الانبهار مما شاهده من فرسان العرب وكان كلما هم أن يبرز لياسر لم يمكنوه أرباب دولته وخواص مملكته وأما بنو عبس فانهم فرحوا بياسر الفرح الاكبر وشكروه وأثنى عليه الملك الغضنفر وكذلك عنيترة بنت عنتر ثم قام الغضنفر وتولى الحرس بنفسه وقد أراد بذلك أن يفدى أبناء جنسه وقد أشعلوا النيران وتحارس الفريقان (قال الراوى) لهذا الديوان ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الفرسان الخيول واعتقلوا بالذبول وتقلدوا بالنصول وبعد ذلك اشتهرت السيوف وتمدت الالوف وتقابلت المواكب وترتبت الكتائب وصهلت الجنائب وهمت الطوائف أن يحمل بعضها على بعض وقد ارتجت من ركض خيلهم جنبات الارض واذا بفارس قد برز من فرسان الافرنج وهو كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو بالحديد مسربل فجال في الميدان ولعب بالرمح ساعة على ظهر الحصان ومسك العنان وأشار الى ناحية بنى عبس بطرف السنان وكانت اشارته أنه يطلب البراز ويسأل الانجاز فهم ياسر بن مسيرة أن يبرز اليه فسبقه ليث الميدان بن مازن وحمل عليه وسار في وسط الميدان وساوى الافرنجي في موقف الطعان وكان عليه درع داودى ومن فوقه زرديه فضيه وعلى رأسه طاسة بيضاء عاديه ترد مضارب السيوف الهنديه وهو متقلد بصمصامة كسرويه بشراب الموت مسقيه وهو كما قال فيه وهب بن عطيه هذه الابيات الشعريه

أتاك غداة الروع شهم كأنه * من الله في قبض النفوس رسول
وكان على أفرنجية موجلة * يقاصر في مصاحه ويطول
اذا ما انتضى للسيف من جنباته * فلا بد من روس هناك تميل

(قال الراوى) وهو معتقل برمح يخرق صم الجلاميد وعلى رأسه سنان ممدود وكان راكبا على جواد من الخيل الجياد قوى الاعصاب وقوائمه طوال وفي المجال صبور على ملاقات الابطال في ساحة المجال وهو على صهوته كأنه الاسد الريبال وحمل على الافرنجي حملة الغضب لكي يسقيه كأس العطب وهو ينشد ويقول

أعاذلتي كفي ملامك انني * مشوق الى نارها الحرب تشعل
وشرب دما الابطال في وهج الوغا * ألذ من الصهباء والكاس ينقل
وصوت طنين المشرفي على الطلا * ألذ واشهى من حبيب يمل

(قال الراوى) فما استتم ليث الميدان كلامه وشعره ونظامه حتى تقرب منه الافرنجي وصار قدامه وقد انقض عليه انقضاض القضاء والقدر وضربه بالقنطاريه أسرع من لمح البصر ونظر ليث الميدان الى القنطاريه وهي واصلة اليه فعلم انه ان توانى عن نفسه قضت عليه فمال عنها أسرع من البرق اذا تناها ولحقها بالحسام طير أعلاها وعطف على الافرنجي وضربه بالسيف على رأسه فشق البيضة والرفادة والبطانة ونزل السيف الى حد رأسه فمال عن الجواد وهو يخور في دمه ويضطرب في عندمه وبعد ذلك صال وجال وطلب البراز والقتال (قال الراوى) فبرز اليه فارس من خواص الجوفران وساق حتى ساواه في حومة الميدان وقيل انه كان من الفرسان المذكوره والابطال التي في الحرب مشهوره وكان قد لاقى وقعات كثيرة وله مواقف هائلات خطيرة فحمل على ليث الميدان وأخذا في الضراب والطعان وتصادما بالابدان وتقاتلا بالسيف والسنان

(قال الراوى) ولم يزالوا في حرب وكفاح حتى تكسرت في أيديهما الرماح وتثلمت من الضرب على الدرق الصفاح وانهما لم يزالا على ذلك الرواح الى نصف النهار حتى كل الافرنجي ومل ولحقه الانبهار فرأى من ليث الميدان التقصير وعرف ذلك منه معرفة خبير فتمطى في كعوب الرمح وطعنه في صدره خرج السنان يلمع من ظهره ثم انه صال وجال وطلب البراز والقتال ونادى وقال هل من مبارز هل من مناجز فلا يبرز الى هذا المقام لا جبان ولا عاجز الا من يكون بطل الهزاهز فلم يزل يبرز اليه فارس بعد فارس وهو يقتل ويأسر حتى فعل ذلك بخمسة عشر فارس (قال الراوى) فعند ذلك حملت عليه الافرنج وحملت على ليث الميدان باذن الجوفران ولما نظرت بنو عبس الى غدر الافرنج اللئام صرخ فيهم الملك الغضنفر الحملة الحملة يا بنى الاعمام فهذا يوم الحرب والصدام فعند ذلك أكبت رؤسها في قرابيص سروجها وطلبت بنفوسها وأطلقت أعنة خيولها تؤمل وترتجى بلوغ مأمولها والتقت قنطاريات الافرنج بصدورها وطعنتها برماحها في صدورها ونحورها (قال الراوى) وقد التقت الاقران بالاقران والشجعان بالشجعان وطلع عليهم الغبار حتى حجبهم عن أعين النظار وتقسطل النقع المثار وزاد من القوم الافتكار وحمى على رؤسهم من حرارة الشمس النهار وقد حمت الارض في ذلك الوقت شرار النار واختلفت النفوس وذل الفارس العبوس وفر الجبان المنحوس وقاتلت الفرسان الشوس وعظمت الاهوال على الرجال وقل القيل والقال وتقصفت الرماح الطوال وجاء الجد وذهب المزاح والمجال وتجالدوا بالصفاح وسمحوا بالارواح بعدما كانوا بها شحاح ونادى الشجاع لا براح وتصايحوا أعظم صياح وتناهلوا من شرب المنية أقداح وعدموا في ذلك اليوم الصلاح وسالت الدماء من الجراح وتقلعت المقل الصحاح ودام القتال وعظم النزال وارتجت الارض بالزلزال ولم يزل السيف يعمل والدم ينذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار بأنواره وأقبل الليل باعتكاره ونادى منادى الانفصال في الفريقين ورجعوا الى المضارب والخيام وهم سكارى من شرب كأس الحمام لاجل الراحة والمنام وتذكرت بنو عبس ما جرى لهم في يومهم من عظم القتال وما لاقوا فيه من الاهوال الثقال وكثرة عدد الابطال فقالت عنيترة والغضنفر ان هؤلاء القوم ما لهم الا البراز والنزال لعل أن يأخذ منهم الابطال وأنا وأخى نفعل هذه الفعال وباتوا على ذلك الحال وقد تناولوا الطعام وأخذوا الراحة بالمنام (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما دبروا من المرام (وأما) ما كان من الملك الجوفران ومن معه من فرسان الحرب والصدام فانهم لما نزلوا من الحرب واستقر بهم المقام أخذوا يتعايدون في الحديث والكلام وقد رغبوا كما فعل بنو عبس في الراحة وأكل الطعام وقال لهم الجوفران لا بد من خروجي غداة غد الى الميدان وأفعل بهم كما فعلت اليوم بالفرسان وآخذ منهم الابطال والاقران والشجعان والا فتنكسر حدتهم ولا يصغر لهم شان ثم ان كلا منهم قام الى منامه بعدما فرغ كل واحد منهم من كلامه ولم يزالوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك اصطف الجيشان وتقابلت الفريقان ووقفوا ينظرون من يفتح باب الحرب ويعول على الطعن والضرب ولما اعتدلت الصفوف وترتبت الألوف قفز من عشائر بنى عبس فارس في الحديد غاطس راكب على جواد أبلق كبير الحدق له بين الخيول زى ورونق وهو متقلد بسيف أبتر نوره يأخذ بالبصر ثم انه سار حتى بقى بين الصفوف وأشار يطلب البراز ويسأل الانجاز فما استتم كلامه وما أشار به من مرامه حتى ترجل من عشائر الافرنج مقدار ألف فارس وبينهم فارس راكب والكل يمشون قدامه فلما صار في وسط الميدان عاد الكل عنه وقد نادى بلسان عربى طلق أنا الملك الجوفران وكان راكبا على جواد ما مثله في الخيول الجياد ومعتقلا بقنطاريه خلنجيه من صنعة معلمى الافرنج في ذلك الزمان ثم انه حمل على ذلك الفارس الذى ذكرناه والبطل الذى وصفناه فما هو الا أن قاربه حتى طعنه بعقب تلك القنطاريه أرماه على وجه الارض فتبادرت اليه الافرنج فشدوه كتاف وأوثقوا منه الاطراف (قال الراوى) ثم انه صال وجال وافتخر على أبناء جنسه وقال يا فرسان الحجاز دونكم والبراز ومقام الانجاز لاني أقسمت بالتوراة والانجيل والصليب والزنار أني لا أدع أحدا منكم يعود الى أهله والديار لان البترك قد بخرني بر جيعه الشائع في الاقطار فليبرز الي منكم كل فارس

وبطل مغوار (قال الراوى) فما استتم كلامه وما نطق به من مرامه حتى قفز اليه ليث الميدان وضوب الى ناحيته بالسنان وحمل عليه حملة منكرة وزعق عليه زعقة كالهادير وزجره وصال عليه صولة من له على الحرب مقدره فثبت له الجوفران ثبات من له عادة بلقاء الاقران وتمهل عليه حتى جاوزه بالحصان وأخرج رجله من الركاب ورفس ليث الميدان أرماه على وجه الصحصحان فانكب عليه رجلان فاخذاه فى عاجل الحال أسير وقادوه ذليل حقير ومازال الجوفران على حاله فى الميدان وهو يطلب براز الفرسان ولقاء الاقران فبرز اليه خفاف بن ندبة فما أمهله يجول معه بل صبر عليه حتى حاذاه وفى الجولان ضايقه وساواه فعانقه وقبض على أطواقه وجذبه بقدرته من أزياقه فاقتلعه من على ظهر الحصان وحذفه من يده على قاع الصحصحان فشده الرجلان اللذان خلفه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف وقد أشرف على التلاف وبعد ذلك نادى الجوفران بلسان عربى يفهمه كل من حضر هل من مبارز هل من مناجز هذا مقام الخطر فبرز اليه دثار بن روق كأنه نار محرقة أو صاعقة مبرقة فبادره الجوفران بضربة صادقة فنزلت عليه كأنها بارقة وكانت الضربة بالسيف صفحا فلم يتمكن ان يقيم فى يده الطارقة فجاءت الضربة على البيضة كأنها صاعقة فانقلب عن الجواد الى الارض والمهاد فأسرعت اليه الغلمان من غير خلاف وأوثقوه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف وقادوه الى الجيش أسير وهو ذليل حقير (قال الراوى) هذا وقد ضجت القسوس والرهبان ورفعت الانجيل وشالت الروم صلبانها ثم ان الملك الجوفران جال وصال فى حومة الميدان وقد تبرك برجيع البترك وطلب البراز من الفرسان وسأل الانجاز حتى يشتفى من الاقران فتعجبت العرب مما رأت من ذلك الشيطان من الفروسية وقوة الجنان وحسن قتاله للشجعان فعند ذلك برز اليه دريد بن الصمة العالى العزيمة والهمة وكان لما رأى فعل الجوفران بأصحابه قد اعتد للقتال ولبس آلة الحرب والنزال وساق حتى قارب الملك الجوفران وقد غيره الكبر وأوهنه طول الزمان فناداه احترز على نفسك يا شيخ من الطعان ثم انه بعد ذلك الكلام انطبق عليه انطباق الغمام فالتقاه دريد بقلب أقوى من الصخر وجنان أجرا من تيار البحر اذا زخر وأخذ فى الكر والفر والانطلاق والمستقر والهزل والجد والصد والرد وتطابقا وتضايقا وعادا افترقا بعدما كانا قد التصقا وانفرقا عن بعضهما فى تلك الساحة ووقفا متقابلين لاجل الراحة (قال الراوى) فقال الجوفران لدريد لما رأى قتاله وما شاهده من حربه ونزاله يا شيخ المسيح ما طلع ظنى فيك صحيح فقال له دريد وما كان ظنك يا فارس الفرسان فقال وحق دينى وما اعتقده من عبادة الصلبان لما نظرت اليك والى كبرك ورأيت دموعك جارية على خديك ظننت انك تموت من شدة خوفك من الحرب وكثرة فزعك من الطعن والضرب (قال الراوى) فناداه دريد وقال له خاب والله أملك واخطأ ما أملته من سهمك على انى وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما أنا الا غارق فى بحر فكرتك ومتحير فى أمرك وقضيتك فقال له وكيف ذلك يا شيخ فقال دريد لانى أراك فصيح اللسان بكلام العرب وعندك فضل زائد وادب وقد خالفت صفة الافرنج وبنى الاصفر فى اللون والزى والمخبر فقال له الجوفران اعلم ان الخالق الرازق قادر أن يخلق الابيض من الاسود والاسود من الابيض وليس عليه فى ذلك معترض وأما كلامى فمن امى تعلمته وأتقنته وفهمته وانى أحب لسان العرب دون الافرنج محبة متكاثرة لان فيه معانى ظاهرة وأشياء فاخرة فقال له دريد بن الصمة يا فارس الخيل واما سبب بكائى فما هو من خوف الموت ولا من ارتباك الفوت لانى قد بلغت من العمر خمسمائة عام وأنا الا أشتهى الا ضرب الحسام والخوض فى الظلام وما بكائى الا على فارس كان فيما مضى من الزمان قد ساد على الفرسان وعلا بشجاعته على سائر الاقران وقتل بغيا وعدوان فلما ان برزت الى حومة الميدان تذكرت فعاله وقتاله للاقران ثم ان دريد لما فرغ مما دار بينه وبين الجوفران من الكلام أشار ينعى عنتر بهذه الابيات ويقول

على شهم جليل القدر ليث * وحيد فى الزمان بلا مثال * فتى تبكيه جن الارض طرا
وتنعيه الاكابر والموالى * فقد كان الحمى لجميع عبس * وتخشاه الملوك ذو المعالى

(قال الراوى) فلما فرغ دريد من شعره وذلك النظام أطبق عليه الجوفران كأنه العاشق اذا انقض على الحسام وهو مثل الاسد الغضبان وتضاربا بالقضب اليمان ضربات تتعوذ منها مردة الجان وعلا الغبار على رؤسهما الى العنان وسارا تارة يظهران للعينان وتارة يغيبان عن أعين الفرسان وهما فى منازلة ومجاولة ومطاولة ومقاولة وقد أخذ فى الكد والصد والاخذ والرد والانطباق والالتصاق والبعد والاقتراب وقد اتسع عليهما المجال بالميدان وضاقت العينان ونظر دريد من الجوفران ما حيرت منه العينان وكذلك نظر الملك الجوفران من دريد ما يوقف به الجنان ويذهل عقول الشجعان وكان فى ظنه انه قد غيره الكبر وما علم انه مثل النسر المعمر الا ان دريدا كل وملّ فى آخر النهار ووهى عزمه واضمحل فحمل عليه الملك الجوفران حملة جبار قد عارك الاهوال ومارس الاخطار ولاصقه وضايقه وسد عليه طرائقه وقبضه من جلباب درعه واقتلعه من سرجه وأخذه أسير وقاده ذليلا حقير وعاد به الى خيامه وسلمه الى غلمانه وخدامه والليل قد اقبل بظلامه (قال الراوى) فعند ذلك انحلت عزائم العربان وخافته سائر الشجعان والاقران هذا والغضنفر قد لحقته الآلام والاحزان وما ذاق تلك الليلة شيأ من الطعام ولا التذ بمنام حتى طلع الصباح بالابتسام وولت كتائب الظلام وركبت الطائفتان تطلب القتال وعلامات الحرب والنزال وتقدمت تطلب بعضها بعض وقد انتشروا فى جنبات تلك الارض (قال الاصمعى) الراوى لهذا الكلام ولما كملت الصفوف وترتبت الالوف واذا بالملك الجوفران قد خرج للبراز فى الميدان بزيه المعروف وجواده الموصوف ونادى بلسان عربى يسمعه كل انسان ولا يحتاج مع ذلك الى ترجمان فتكلم وقال هل من مبارز هل من مناجز فان هذا يوم الهزاهز فلا يبرز فيه جبان ولا عاجز الا من يكون فى الحرب بطلا وان كان بقى فيكم بطل مقاتل فليبرز ويدع التكاسل وان كنتم عجزتم عن الحرب والقتال وخفتم من الموت وقرب الآجال فسلموا الينا الخيول والاسلاب واطلبوا لانفسكم النجاة والذهاب وان لم تقدروا على البراز وما فيه من الامور النفائس فابرزوا فارسا لفارس أو مائة لفارس او الفا لفارس وان أبيتم وللبغى أتيتم فاحملوا بجمعكم على فانى بحربكم وفى وبقتالكم ملى (قال الراوى) وما تم الملك الجوفران كلامه وما نطق به من مرامه الا وعنيترة بنت عنتر قد سارت قدامه بعدما تعلق بها أخوها الغضنفر فاقسمت بمن خلق الشمس والقمر وبحق تربة أبيها عنتر لا أدعك تبرز الى هذا الشيطان الان أموت وأقبر أو يكون الامر على مقدر فذلك الوقت افعل ما عليه تقدر (قال الراوى) فسمح لها بذلك أخوها الغضنفر فعند ذلك خرجت الى الميدان أسرع من لمح البصر وحملت على الملك الجوفران بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرا من تيار البحر اذا زخر وكانت راكبة على جواد أحمر مليح المنظر عظيم المخبر وهو فى حدة الابجر الذى كان لابيها عنتر ناعم الملمس ان حبسته انحبس واذا ضايقته الخيل تركها واختلس وكان عليها يومئذ درع من دروع الاكاسرة من التى كانت عند أبيها عنترة مدخرة وعلى رأسها خوذة عادية ترد أسباب المنية وتضرب بها الرجال المسمية وتدفع مضارب السيوف الهندية وبيدها صارم أبتر صقيل المتن بجوهر فى حده الموت الاحمر ومعتقلة برمح أسمر من عمل سمهر وعلى رأسها سنان يلتهب كأنه عقرب أو قبس على مركب أوتار ذات لهب (قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه والتقى طعنه ومضاربه وأبدى كل واحد منهما فى الحرب عجائبه وغرائبه واغتم عليهما مشارق الارض ومغاربها وهدر كل واحد منهما كأنه الاسد الهدار والبحر الزخار وعلمت عنيترة ان الجوفران فارس مغوار وبطل كرار ليس فى الحرب عليه عار وصرخا فى وجوه بعضهما بعض صرخات متواترات فكادت أن تزول من شدتهما الجبال الراسيات ولم يزالا كذلك حتى تتابعت منهما الصرخات مع الهمزات الى أن بقيت القلوب مرتاعة وكانا فارسين تبطل عندهما الشجاعة وكان لهما ساعة وأى ساعة كشف الحق فيها قناعه وصرخا على بعضهما صرختين قرنت الخيل لهما آذانها وارتعدت أبدانها (قال الراوى) الا ان عنيترة بينما هى فى شدة جولانها واذا قد عثر بها حصانها فانقلبت من عليه كأنها جذع نخل أو شجرة باسقة تكسرت أغصانها فانقض عليها الجوفران قبل ان تثور كانقضاض البازى على أضعف الطيور فأخذها أسيرة وقادها بعدان وضع حمائل سيفه فى رقبتها ذليلة حقيرة وسلمها الى غلمانه وقد

حلت بها الدهشة والحيرة وأقرنوها الى الاسرى وقد تحير الغضنفر مما جرى (قال الراوى) ثم ان الملك الجوفران بعد ذلك عاد الى ساحة الميدان وهو كأنه الاسد الغضبان وقد أعجبته نفسه لما رأى نصرته على تلك الاقران وصولته على تلك الفرسان وبعد ذلك صال وجال وطلب الحرب والقتال ونادى وقال ويلكم ابرزوا يا معاشر الابطال ودعونا من هذا التكاسل فقد طال بنا المطال فانى من أمرى على استعجال (قال الراوى) فلم يتم مقاله حتى صار عمرو ذو الكلب قباله بعد ان تعلق به الغضنفر فأقسم عليه بتربة أبيه عنتر أن يدعه ينال من برازه هذا الفارس الوطر ثم انه حمل على الجوفران بقلب من الحنق ملآن وفؤاد غير فزعان وقد ذكرنا فروسية هذا الامير عمرو ذى الكلب فى غير هذا الديوان فتلقاه الجوفران بقلب غير خائف ولا وجلان وانفسحا فى حومة الميدان وكانت ساعة بينهما تقشعر منها الابدان وقد صار الغبار على رؤسهما مثل الدخان وغابا عن الابصار وتحيرت مما جرى بينهما النظار ورأوا أن الوصول الى بعضهما بعيد والدنو الى ما بينهما صعب شديد فألقوا عند ذلك من أيديهما رماحهما وجذبا بعد ذلك سيوفهما التى كانت أعجل لقبض الارواح ووقع الجد بينهما وطال الكفاح وذهب من بينهما اللعب والمزاح وعلا منهما الزعاق والصياح ولم يزالا فى ذلك الامر الا أن تثلمت فى أيديهما الصفاح هذا وقد ارتعدت من قتالهما قلوب الرجال وخرس اللسان واندهل الجبان وقد تعبت مما حل بهما الابدان وأيقنا بحلول الاجل الاثنان الى أن انقضى عليهما النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار ولحقهما التعب والانبهار وأيقنا من بعضهما بالبوار ولم يزالا على ذلك الحال الى أن ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال ونادى المنادى لهما بالانفصال فافترقا على سلامة ولم يعلم أحدهما على صاحبه بعلامة وعاد كل منهما الى جيشه وقومه وكل منهما يذكر ما لقى من خصمه فى يومه وكل واحد تلقاه رفقته وفرحوا به وهنوه بسلامته (قال الراوى) ولما رأى الغضنفر الى ذلك تغص بالمضض ولم يبلغ عمرو ذو الكلب من خصمه الغرض فأقسم بمن خلق الارض والسماء وعلم آدم الاسماء لا يبرز فى غد الى هذا الجوفران الا أنا لعل أن أظفر به ونستريح من التعب والعنا وان كانت الاخرى ولم تصل يدى اليه فتهيئوا كلكم فى أمر تعتمدوا عليه ثم انهم تناولوا شيأ من الطعام وأخذوا الراحة للمنام الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وترتبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح فعند ذلك برز الملك الجوفران بزيه المعروف الى ساحة الميدان واشتهر بين الفريقين وجال وصال حتى لين عريكة الحصان ونادى كما سبق له فى الايام الخالية من الزمان وسمعت نداءه بالعربى جميع الفرسان من شدة عزمه واهتمامه فلم يتركه الغضنفر يتم كلامه حتى برز اليه وصار قدامه بعد ما تعلق به عمرو ذو الكلب فلم يفعل وكذلك زهير بن قيس فلم يقبل ولأجل ما فى قلبه من الاهوال لم يسمع لاحد منهما مقال (قال الراوى) ثم انه لما سار فى الميدان جال وصال حتى لين عريكة الحصان وكان عليه فى ذلك اليوم درع أبيه المانع وهو متقلد بسيفه الضامى القاطع وجال قدام خصمه فى ساحة الميدان ونادى به وقال له ويلك يا قرنان يا ابن ألف قرنان يا كثير الفشل والهذيان دونك والحرب والطعان ثم مد اليه لسان السنان وصال وجال وترنم وأنشد وقال هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

ألم تعلموا انى همام عشيرتى * شديد القوى والحرب غاية مقصدى

فان ماجد فى القوم أبدى فخاره * فجدى فيهم باسق غير مفقد

وانى من قوم كرام أعزة * نحامى عن الاخوان بالرمح واليد

وانى لقتال الرجال بصارم * فرى فى رجال الحرب ألف مهند

ولست من الحرب العوان بفازع * ولم أك رعديدا ولا رعش اليد

(قال الراوى) لهذا الكلام فلما سمع الجوفران شعر الغضنفر شخر ونخر وتحير وأخذته الحمية ونخوة الجاهلية والعزيمة القويه وقد هاج كأنه الاسد القسور ونطق بالشعر لسانه وما قصر لانه تربية بنى الاصفر وأجابه على شعره يقول

أنا البطل الندب الذى شاع ذكره * ببذل المعالى واكتساب الرغائب

فمالى مبذول لكل مؤمل * وسيفى فى هام العداو الترائب

يعلق هام العالمين ذبابه * وما كنت رعديدا بكل المقانب

ففى السلم سلام وفى الحرب قاهر * وللجود مبذال وفى الحرب غالب

أنا الجوفران الندب سيد قومه * أبيد الاعادى بالسيوف القواضب

(قال الراوى) ولما فرغ الجوفران من شعره ونظامه سل فى يده حسامه وأبدى ما عنده من وجده وغرامه وحمل على الملك الغضنفر حملة ليث قسور فالتقاه الملك الغضنفر بوجه بشوش أزهر وجنان أجرى من تيار البحر اذا زخر وتحاربا وتطاعنا بالرمحين وتماشقا فى أيديهما بالسيفين حتى تحيرت من فعالهما الطائفتان وقد كل من تحتهما الجوادان (قال الراوى) ودام بينهما القتال واستطالا فى الحرب والنزال وعظمت الاهوال وتضاربا بالنصال وتكسرت فى أيديهما الرماح الطوال وابتلوا بالاهوال الثقال واصطدما بالابدان كأنهما الجبال وطلع عليهم الغبار الى العنان وتغيرت منهما الوجوه وخاب ما كانوا يؤملونه ويرجوه ونشفت ألسنتهما من العطش وحار كل منهما واندهش ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى حرب وقتال الى أن أذن الله للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال ورجعت الطائفتان الى الخيام لاجل الراحة والمنام وقد التقى بنو عبس بالغضنفر وسالوه عن خصمه وما كان بينهما من ذلك الامر المنكر فقال لهم وذمة العرب العربه ما رأيت مثله فى الحرب أقوى همه وقد تعبت فى هذا اليوم من قتاله وحربه ونزاله ولكن غداة غد يكون نهاية حربه وانفصاله ويكون النصر لواحد منا امالى واماله (قال الراوى) هذا ما كان من الغضنفر (وأما) ما كان من الجوفران فان أصحابه وأرباب دولته التقوه وسألوه عن خصمه وما رأى من شجاعته فقال لهم وحق المسيح ما هو الا فارس مليح وهو جسور القلب فى طعنه وضرابه ولكن لولا المساء أدركنى ما كنت عدت الا به ثم انهم أحضروا اليه الطعام فأكل وبعد ذلك اتكأ لاجل الراحة والمنام بعد ما أوصى أصحابه بالحرس ونام (قال الراوى) ولما كان الغد عند الصباح ركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وركب فى مقدمتهم الملك الجوفران وسار قدام العساكر الى حومة الميدان فرأى الغضنفر قد ركب وسبقه الى الميدان فى مكان الضرب والطعان فعند ذلك برز اليه الجوفران وناداه دونك والمبارزة فانى ما أبقيت عليك بالامس الا حتى تنظر شجاعتى وتخبر من عندك من الفرسان عند مفارقتى فيشهدوا الى انى أوحد الزمان فى فروسيتى فزعق فيه الغضنفر بصوت مذعر وقال تقصر يدك عن هذا يا كلب بنى الاصفر ثم انه أشار اليه يقول هذه الابيات

أنا الفارس القمقام يوم الكتائب * أخو المجد والعليا كريم المناسب

أكر وأحمى الجار حقا ولا أرى * لنفسى روعا عند وقع القواضب

ولا عجبا فيما أقول لاننى * أبيد كماة الحرب عند التضارب

فهيجى فى ليث يصول مبادرا * وعزمى فى الميدان ليس بكاذب

(قال الراوى) فلما سمع الملك الجوفران منه ذلك الكلام والنظام انطبق عليه كانطباق الغمام وأجابه على شعره يقول

لست بالحائد المحيد عن الحرب * لا ولا بالجبان عند الضراب

واذا كانت النفوس جميعا * تختشى من الفرسان عند الطلاب

وأنا الفارس المقدم فى الحرب كريم من سادة أنجاب * ليس لى فى الحروب كفؤ وانى * لشجاع لا أنثنى عن حراب

(قال الراوى) ثم بعد ذلك حمل الفارسان على بعضهما بعض واتسعا فى جنبات تلك الارض واخذا فى معانات الطعن والضرب حتى عقد عليهما الضباب وبقيا عن أعين الناظرين فى حجاب وحارت مما وقع بينهما أولو الالباب وحكمت فيهما السيوف الرقاق وجرى لهما ما بهر الاخلاق وحير الاحداق الا ان الغضنفر طعن الجوفران طعنة هائلة قاتلة وكانت الى صدره واصلة وقال له خذها من فارس عبس وعدنان فوقعت فى كتف الملك الجوفران فابتل دمه وارتعد منها وصار فى رجفان ولكن قوى عزمه وهدأ روعه وصبر عليه وطاول خصمه الى ان أقبل الليل وعاد كل منهما عن صاحبه وهو يتأسف على خصمه ويتحسر وعاد الملك الجوفران وهو

مرتبك مما قد اعتراه فالتفت اليه أرباب دولته وصاروا ينشفون له دماه وكانت الجراح قد أوهنته وعن المنام منعته فوضعوا له الرهبان عليها حشائش يعرفونها وشدوها شدا وثيقا وقد زادت به الاشجان وبات وهو يقلق كأنه النمر الحردان ولم ينم تلك الليلة مما له من الهيمان (قال الراوى) ومازال على ذلك الشان الى أن أصبح الله بالصباح وما صدق بالصباح أن يصبح حتى ركب وخرج الى الميدان ونادى وطلب البراز وسأل الانجا واذا بالغضنفر مما به من الحنق قد خرج اليه مثل البرق اذا برق أو الغيث اذا اندفق أو السهم اذا انطلق ثم انهما حملا على بعضهما بعض وجالا طولا وعرضا حتى تدكدكت من تحت أرجل خيولهما الارض وصالا طو يلا واعتركا و يلا وأخذا ميمنة وميسرة وصارت الخيل تجرى بهم تارة خببا وتارة قهقرى وشخصت اليهم أعين الفريقين لانه جرى بينهما حرب تحيرت منه كل الطائفتين واندهلت الفرسان مما جرى لهؤلاء البطلين من شدة ما صار بينهما من القتال وما لقوا فى ذلك اليوم من الاهوال وقد صار خاصرتين تفطرت منهما القلوب وكادت الاكباد منهما تذوب وجرى بينهما حرب شديد يحير منه البطل الصنديد و يشيب له الطفل الوليد ولم يزالا على ذلك وهما فى حرب أكيد وقتال عنيد وهما على ما هم عليه من ذلك الحال الى ان أقبل الليل بالانسدال وعزم النهار على الارتحال وعادا عن بعضهما بسلامة ولم يبلغ أحدهما من صاحبه غرضه ومرامه ورجع كل واحد الى أصحابه وقد زادت به أوصابه وكل منهما تلقاه قومه وأجناده وقد امتلأ بالحنق فؤاده وقال عمرو ذو الكلب للغضنفر كيف رأيت خصمك فى هذا اليوم الاغبر فقال لعن الله الكذب فانه يزرى بالرجل ولو كان من أكابر القوم والله ما هو الا فارس عظيم وبطل جسيم ولقد لاقيت منه فى هذا اليوم ثبات شهم جسيم وهو بذلك الجرح العظيم مثل ما لاقيته منه بالامس وهو سليم وفى غداة غد يكون الانفصال بمشيئة الملك المتعال (قال الراوى) فهذا ما كان من الغضنفر وما تم له من الاقوال مع قومه (وأما) ما كان من الملك الجوفران فانه التقاه خواصه وقومه بأحسن استقبال وقالوا له كيف رأيت خصمك فقال لهم وحق المسيح ومزمار داود والحوارى المليح ما هو الا فارس شديد وبطل صنديد وهو جيد الحرب والنزال وغدا يكون بينى وبينه الانفصال (قال الراوى) ثم انهم تناولوا الطعام وأخذوا الراحة لاجل صحة الاجسام وباتوا تلك الليلة على ذلك الرواح الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وترتبت الصفوف وتعدلت الالوف وبرقت فى أيديهم السيوف (قال الراوى) فعند ذلك ركب الملك الجوفران وصار فى عاجل الحال فى وسط الميدان وطلب البراز وسأل الانجاز ونادى وقال هيا يا فرسان الحجاز أبرزوا الى فارسكم المغوار وبطلكم الذى هو عندكم رأس الطراز فما تم الجوفران كلامه الا والغضنفر حمل عليه وصار قدامه وكان قد خرج على مهل من غير انزعاج ولا عجل والجوفران يظن ان ذلك من الخوف فعند ذلك قصده الغضنفر وانطبق عليه انطباق الاسد القسور وقامت فى رأسه حمية أبيه عنتر فانشأ يقول

سلوا الخيل عنى حين أعلو سروجها * وأسرى بها نحو الاعادى مسرعا
أليس أنا الموت المفجع للعدا * اذا اشتبكت زرق الاسنة طلعا
أبيد كماة الحرب فى حومة الوغا * وأمنحهم فى السلم أفضل موضعا
أقوم بهم لاعطى الحرب حقها * أجندل منهم كل قرم تصدعا
أدير عليهم كأس حتف من الردا * تمازج سما فى الجوانب ناقعا

(قال الراوى) ولما فرغ الغضنفر من شعره وما أبداه من نظامه ونثره حمل على الملك الجوفران وأطلق لجواده العنان وقوم بين آذانه السنان فالتقاه الجوفران بقلب أقوى من الصوان وأوسع منه فى الميدان وأجابه على عروض شعره بفصاحة اللسان وقوة عزم وثبات جنان وأنشد وقال

الا سائلا عبس يوم الوغا * غداة التقينا جميعا معا * دهمتهم وفى وسيع الفلا
على صافنات لها أربعا * جندلت بالبيض هاماتهم * وقطعت يوم الوغا من سعى

(قال الراوى) ولما فرغ الجوفران من شعره والنظام انطبقا على بعضهما بعض وأخذا فى المجال طولا

وعرضا وأخذ الغضنفر من الجوفران الحذر وكافحه بالحسام الذكر وصار بينهما حرب يذكر ما طلعت الشمس والقمر وكان لهم ساعة تقشعر منها الجلود وظن كل واحد منهما انه لا يعود وحملا على بعضهما بقوة وزمجرة وتصادما صدمات منكرة ورأت الفرسان منهما فى ذلك الوقت ساعة عسرة وجالا جولانا طويلا واعتركا غير قليل ولم يزالا فى كر وفر ومقام ومستقر وأخذ ورد وهزل وجد وطعان ونزال حتى تحطمت من طعناتهما تلك القنطاريات الطوال وتثلمت فى أيديهما من كثرة الضرب السيوف الصقال ولم يزالا على ذلك الحال وهم فى مجادلة ومحاربة ومنازلة حتى قاربت الشمس الى الزوال وقد تيقن كل واحد منهما أنه لا يرجع الى دياره مما أوقد فى الحرب عليهما من ناره وخاف الغضنفر أن ينقضى عليه النهار ولم يبلغ من خصمه ما يختار فلاصق الغضنفر الملك الجوفران وطابقه وسد عليه طرائقه وقام فى ركابه وتمطى بين يديه وأراد أن يضرب به بالسيف يقضى عليه والجوفران قد احترز من ضربته واستتر بدرقته فمن قوة حنق الغضنفر قام بركابه وضرب الجوفران فعند ذلك انقطع به الركاب وقد سقط عن الجواد ووقع على التراب وقد اشتبك بعضه فى بعض فانقض عليه الجوفران أسرع من البرق وعجل به قبل نزول الدق وأخذه من على وجه الارض بسرعة وهو متوهن من تلك الوقعة وعاد به وهو فى صفة الاموات وقد علت من تلك الافرنج الاصوات ودقت الطبول والكاسات وصرخت الرجال ونعرت البوقات وحملت فرسان بنى عبس على الاثر وأيضا بنو هوازن و بنو قضاعة صاروا يرومون خلاص الغضنفر فالتقتهم الافرنج كأنهم السيل اذا انحدر وعمل بينهم الصارم الذكر ولعبت الخيل بجماجم الرجال كأنها الاكر وعمل الشجاع أعمالا تحير البصر وانهزم الجبان وتقهقر ولم تزل الابصار حائرة خاسرة والسيوف أحكامها فى الابدان جائرة وأفاعى الرماح الى نهش الارواح متبادرة والوحوش الى جثث القتلى نافرة وقلوب بنى عبس لفقد الغضنفر متطايرة (قال الراوى) هذا وقد عمل الحسام فى الرؤس والاجسام واختلفت رسل الحمام ولمعت نجوم الاسنة من تحت سحائب القتام وقامت عروس الحرب على الاقدام وانتثرت عليها جماجم الكرام ومازال السيف يعمل والدم ينذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى أقبل الليل وانسدل وانفصلت الطوائف عن الحرب والعمل وعادت فرسان العرب وهى تخوض فى بطون القتلى وقد حل بهم من أسر عنيترة والغضنفر البلا وما أحمى نار الحرب الاعمرو ذو الكلب فانه هو الذى دفع عن قومه فى ذلك اليوم البلا ورجعت الطوائف عن بعضها بعض وفيهم من هو آمن وخائف وبات بنو عبس وما فيهم من استطعم بزاد ولا تهنا برقاد ولا قر له فؤاد (قال الراوى) هذا وعمرو ذو الكلب يقول ما بقى فى الامر الا انى فى غداة غد أبرز الى الميدان وأطلب براز الملك الجوفران وأبذل فى قتاله المجهود فاما أن أرجع بنيل المقصود أو أبقى معفرا فى الثرى ملحود وافترق الجمعان وباتت الطائفتان وتحارس الفريقان وبات عمرو ذو الكلب على هذه النية وقلبه وقلوب بنى عبس على جمر النار مشوية (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وما وقع لهم من الاحكام (وأما) ما كان من الملك الجوفران وما يريد أن يدبر من المرام فانه أقبل الى سرادقه وهو فرحان ومن حوله الابطال والفرسان ودار به القسس والرهبان وقد صلوا عليه صلاة الموتى بطيب الالحان وهو مما لاقاه من الحرب سكران (قال الراوى) وبات الحرس يدور بين الطائفتين الى ان أصبح الله بالصباح وأسفر الفجر بنوره الوضاح فعند ذلك ركبت بنو عبس ومن معها من الطوائف واصطفت الصفوف واهتزت الذوابل واشتهرت السيوف وفى ذلك الوقت أقبل على عمرو ذى الكلب ابن شيبوب الخذروف وقال له يا أمير أنا الابدلى اذا اشتغلتم فى هذا اليوم بالحرب والصدام أن أختلط بالافرنج واذا عادوا أعود معهم الى الخيام وأتسبب فى خلاص أولاد عمى عنيترة والغضنفر ولو أنى ألاقى فى خلاصهم الموت الاحمر (قال الراوى) فقال له عمرو نخاف عليك ان تعرف فتهلك و يعدمك قومك وأهلك فقال له الخذروف يا أمير ما يكون من الرب العظيم الا كل خير كثير ثم انه خلع عنه أثوابه ولبس أثوابا تصلح لهذه الاشغال لانه كان قد أخلف أباه ووافقه وتكامل فى المكر والمحال ثم انه ألقى ساقيه للريح وطلب البر الفسيح وكان قد عصب

رأسه بعصابة خز ر ولبس فوقها كنبوشا أسود كبير وشد وسطه بسير عريض وأخذ فى يده عكازا كبيرا غليظ وافق مع تلك العصاة عصاة ألطف منها وشد الاثنين شدا وثيق وأخذ فى يده الاخرى قطعة خلنج وأبريق وعمل على صدره صورة صليب مزملك بعقيق ولبس برجليه ملابس بطريق وتزيا بزى شماس عتيق وخرج من الجيش كأنه شيطان أو من بعض عمار الجان وأخذ فى عراض الجيش ودخل من بين البساتين كأنه الذيب الاغبر وقطع فى الفلاة ساعة مليه الى ان علم انه قد صار خلف جيوش الافرنجية فعند ذلك عرج وأتى من خلفهم حتى انه يتجسس ويدخل الى جيوشهم (قال الراوى) وكان للاتفاق قد ركبت الافرنج للقتال لما رأت بنى عبس قد اعتدت للنزال لانهم طمعوا فيهم بعد أسر حماتهم عنيترة وأخيها الغضنفر الاسد الريبال هذا وقد ارتجت الاقطار وأظلم ضوء النهار وتهتكت الاستار وذهلت من هول ما عاينت الابصار وحار من شدة الحرب نظر النظار وحملت الصفوف على الصفوف وتلاطمت الالوف مع الالوف وتقطعت المناكب والكفوف وحكمت فى الاجسام الرماح والسيوف وقاتل فى ذلك اليوم عمر وذو الكلب القتال الموصوف وجعل يكف الفرسان عن قومه فى البطاح ويلتقى عنهم بصدره أسنة الرماح وأما أم عنيترة قناصة الرجال فانها حيرت بفعالها الشجعان وأذهلت بقتالها نظر العينان ونكست عن السروج الاقران من شدة الطعان وضربت بالسيف اليمان وهى الى جانب أخيها عمر وكأنها الاسد الغضبان ولله در سبيع اليمن بن مقرى الوحش وما فعل فى ذلك اليوم العظيم الشان وسابق وأخوه لاحق يا ما فعلوا فى حومة الميدان وكذلك الذيال بن الغضبان فانه حير بفعاله الفرسان واقتتلت الجيشان وثبتت الفرسان وفر الجبان وهو مندهل العقل حيران (قال الراوى) ولله در الملك الجوفران وما عمل فى ذلك اليوم بالاقران والشجعان وكان التقى بعمر وذى الكلب آخر النهار وجرى بينهما حرب يحير النظار ويذهل الابصار وافترقوا عند اقبال الظلام لطلب الراحة والمنام وكذلك افترق الجيشان ورجع عن القتال الطائفتان وباتوا يحارسون الفريقان (قال الراوى) ونزل الملك الجوفران فى سرادقه وقد كاد الغيظ مما قاسى فى ذلك اليوم ان يخنقه وقد اشعلت الشموع بين يديه والبطارقة والحجاب دائرة من حواليه وهو يدير فيهم عينيه ويجلس خواصه ومن يعز عليه وينظر الى الاسارى ويريد ان يقدمهم اليه فحانت منه التفاتة فنظر الى الخذروف وهو واقف بين تلك الصفوف وهو ينظر الى الخيمة التى فيها الاسارى بنظر خفيف فقال لبعض خدامه ائتونى بذلك الرجل الضعيف صاحب الجسد النحيف فما كان بأسرع من أن احضروه بين يديه ولما حضر الخذروف بين يديه أومأ بالسلام عليه وصلب على وجهه وكشف رأسه وسكع وللتراب قبل وركع (قال الراوى) فقال له الجوفران من أنت ومن أين تكون وما هو دينك من الاديان أصدق بالحق والا وحق المسيح ومارى حنا المعمدان ضربت رقبتك بهذا السيف اليمان وأنزلت بك الهوان فقال له الخذروف يا مولاى أنا من بلاد الملك ساسان وقد جار على الزمان ورمانى منه بالحرمان وقد فقدت الاهل والخلان (قال الراوى) فقال له الجوفران ومن فعل بك هذه الفعال من أهل ملة الصلبان فقال له الخذروف يا مولاى وحق المسيح وديرقته وصومعة الرهبان ما فعل بى هذا الفعال الا هؤلاء الاسارى الذين هم أوشم العربان الذين هم فى قبضتك الآن وقد فعلوا بى ذلك على زمن الملك خيلجان وأتت بنو عبس وجمعة العربان وهم فى عزمة وهمة وخلصوا الاسارى مع هذا الشيخ الذى يسمى دريد بن الصمة الذى فى قلبى منه ألف حزن وغمه ولو حصل هذا الشيخ فى يدى يا مولاى لاكلت لحمه وشربت دمه لانهم قتلوا الى ثلاثة اخوة وولدى وقد فطروا فؤادى وكبدى وقد هدوا قواى وجسدى وكانوا قد أخذونى معهم أسير بحالة الويل والتنكيل والتعسير وكنت قد بقيت معهم أسوق الاموال والنوق والجمال ووصلت معهم الى ان قربت من هذه البلاد فهربت منهم وبقيت مشتتا وحيدا على حالة الانفراد وبعد ذلك توصلت الى ان دخلت القسطنطونيه وخدمت فى بعض الكنائس لاهل ملة النصرانيه الى ان أتت هذه الايام وسمعت أنك أيها الملك الهمام والبطل الضرغام قد استأسرت من بنى عبس بعض أقوام فأتيت الى هنا لانظرهم النظر التام وان قتلت منهم أحدا أيها الملك وأبدت عزمه وشويت لحمه أكلته وتلطخت بدمه (قال الراوى)

ثم ان الخذروف أظهر الحسرات وتصاعدت منه الزفرات وأسال العبرات وأنشأ يقول صلوا على طه الرسول

لا تعجبا من عبرتى ونحيبى * يا صاحبى فليس بعجيب * وتخوفا يوم الفراق فانه
لا شئ أعظم من فراق حبيب * ترك الفراق العاشقين كأنما * أجسامهم خلقت بغير قلوب
من لم يكن عرف الغرام وذاقه * فلقد أخذت من الهوى بنصيبى
أرأيت يا هذا أشد بلية * كتبت على بشر فراق حبيبى

(قال الراوى) ثم ان الخذروف أظهر البكاء والاحزان وأجرى دموعه من الاجفان حتى رحمه الملك الجوفران وبكى كل من كان حاضرا فى ذلك المكان وقال له الملك الجوفران يا هذا أقلل من بكائك فنحن نأخذ لك ثارك ونبلغك مناك ونأمرك أن تضرب منهم الرقاب وترمى لحومهم الى الكلاب فقم وادخل الى الخيمة واصنع بهم ما شئت من العذاب ولكن لا تقتل منهم أحدا حتى انى أوبخهم وأعاتبهم فقد وكلتك بهم حتى انك تعذبهم (قال الراوى) فنهض الخذروف الى خيمة الاسارى التى جعلت لهم فى ذلك المكان وكانت الى جانب سرادق الملك الجوفران فرفع سجاف الخيمة ونظر اليهم من خلف ظهورهم واذا بالكل مقيدين حيارى فى أمورهم لما حل بهم من ذلك الامر الذى قد ضاقت منه صدورهم فعند ذلك تقدم اليهم الخذروف حتى انه قار بهم بعزمة وهمة فوقعت عينه على دريد بن الصمة فصرخ عند نظره اليه صرخة عظيمة وقد زاد له فى السب والشتيمة وقال له وحق المسيح وما مسح وحق البيعة الكبيرة والمذبح ان هذا هو الشيخ الذى قتل ولدى وأحرق عليه كبدى وأضنى بفراقه جسدى ثم انه فى عاجل الحال تقدم اليه ولطمه بين كتفيه وصار يعض أذنيه ويضربه بهاتين العصاتين اللتين فى يده على يديه ورجليه هذا والملك الجوفران يضحك عليه ودريد يصرخ فيه ويقول يا ابن الملعونة أوضح لى معرفتك فلعن الله مرضعتك وأهلك وقومك وعشيرتك (قال الراوى) فتبسم الخذروف لما سمع من دريد ذلك الكلام فعرفه الغضنفر معرفة تمام وقال لدريد يا أبا النظر لا تشتمه فانه ابن عمى الخذروف وما أتى الا ليسعى فى خلاصنا من هذا الامر المنكر ويتسبب فى اطلاقنا مما نحن فيه من العبر (قال الراوى) فقال له دريد يا هذا ومن أين للخذروف يقدر أن يأتى الى هذا المكان وانما هذا رجل قد أفقره الزمان وهو من فقراء مدينة ساسان الا انه قد أحرق ظهرى بالضرب هذا الا ان قرنان ثم تحقق فيه بنظره فعرفه فقال له يا ابن الملعونة قد قطعت لحمى بأسنانك ومتى قتلت أنا ولدك أو نهبت مالك وبددت ثالك فتبسم الجوفران وغمز دريد بن الصمة وزاد فى شتم الخذروف وفى سبه والملك الجوفران يضحك عليهم هو ومن حوله من الرجال فبينما هم على ذلك الحال واذا بعجوزة قد أقبلت وعشرة جوار وقد ارتحلت وعلى الملك الجوفران سلمت وبينهن جارية صاحبة حسن وجمال وافتخار ولها هيبة ووقار وعليها حلة سابلة معقودة بالجواهر الكبار (قال الراوى) ولما قربت من الجوفران قام لها على الاقدام وكذلك كل من كان حاضرا فجلست الى جانبه وهى كأنها من خيار قومه وأقاربه وليس هذا عند الافرنج بقبيح فانهم يجلسون بين الرجال بالزى المليح فلما جلست واستقر بها المقام بادرته بالكلام وقالت له مالى أراك أيها الملك ضحكك صار عاليا بزيادة وما عهدت منك ان لك بهذا عادة فقال لها يا أماه أضحكنى هذا الرجل الساسانى فانه ليس له فى خدمة الملوك ثانى (قال الراوى) ثم انه قص عليها مجئ الخذروف وقصته وما سمعه من كلامه وحيلته (قال الراوى) وكانت نازلة بعيدا عنه فى غير ذلك المكان واتفق انها جاءت اليه فى ذلك الوقت والاوان فقالت له واين هذا الرجل الساسانى الذى ذكرته فقال لها انه عند هذه الاسارى الذين قد أسرتهم فقالت على به وأمرت أن يحمل اليها فأتوا به وأحضروه بين يديها فرمقته وميزت اليه بالنظر وحققت فيه العيان ثم انها التفتت الى الملك وكلمته باللسان فلما سمع كلامها عند ذلك التفت الى الخذروف وأمر بالقبض عليه (قال الراوى) وكانت قد قالت له يا ولدى اعلم ان هذا رجل سلال قد أتى يطلب أن يخلص منك الاسارى بالمحال فوحق المسيح لولا وصولى فى هذه الساعة لكان قد تم عليك محاله وخداعه فعند ذلك أمر الملك الجوفران بأن يوثقوه كتافا بالحبال وهو بذلك الزى الموصوف ولما رأى زوجه على ذلك الحال لحقته الحيرة والانذهال وكذلك دريد وعنيترة والغضنفر وما منهم الا من

اندهل وتحير مما رأوا فى أمورهم وضاقت من تلك الفعلة صدورهم وكذلك من معهم من الفرسان وهم دثار وخفاف وياسر وليث الميدان لانهم كانوا قد أملوا به الخلاص من الذل والهوان وبعد ذلك قدمه الى بين يدى الملك الجوفران وقال له يا ملعون اصدقنى فيم جئت فيه من الامر والشان والا وحق المسيح ومزامار داود والدين الصحيح ضربت رقبتك وتركت دمك فى هذه الساعة على الارض يسيح (قال الراوى) فقال له الخذروف يا ملك النصرانية لا تفعل فانى ما تكلمت بين يديك الا بالصحيح وما أنا الا رجل من بنى ساسان وحالى وضيع وقد رمانى الزمان بالذل والحرمان وهذا من تمام الذل والهوان (قال الراوى) فبقى الملك الجوفران من كلام الخذروف حيران ثم انه نادى ببعض حجابه وأمرهم باحضار الغضنفر اليه ففى عاجل الحال أتى به وأحضروه الى بين يديه فقال له الجوفران يا هذا قد صح عندى انك شجاع والكذب لا يليق بالشجاع والصدق أحسن ما تزين به الرجال فبحق ما تعتقده من رب زمزم والمقام وبحق البيت الحرام والمشاعر العظام هل تعرف هذا الولد نسل الزنا وابن اللئام (قال الراوى) فعند ذلك قال الملك الغضنفر وقد تعجب مما حلفه به من تلك الايمان وتحير وقال له يا ملك لا تسمه فان الكذب قبيح وما أقول والله الا الصحيح انه ابن عمى ولحمى ودمى ومفرج همى وغمى وقد أتى ليخلصنا بالحيلة فوقع فى يدك بهذه الوسيلة (قال الراوى) فلما سمع الخذروف كلام الغضنفر قال الذنب ما هو لكم ولكن الذنب لمن أتى خلفكم بتعتر و يروم خلاصكم من هذا الامر المنكر فقال له الغضنفر و يلك يا خذروف فانا ما كنت اكذب وانا قد صرت بين العرب معروف وهو قد حلفنى برب زمزم ومنى المستحق الحمد والثنا فقال له الخذروف لا تكذب يا ولد الزنا بل أنت سلكت طريقة أبيك عنتر العبد الزنيم واوقعتنى بصدقك فى هذا الهول العظيم فقاسوا الذل والهوان والعذاب الاليم ولعن الله الكم أجمعين (قال الراوى) هذا والملك الجوفران قد تعجب من فصاحة الخذروف وجسارته وصدق الغضنفر وهم فى مقام الخطر وقوف ثم انه قال للخذروف يا ولد الزنا وتربية الامة اللخنا لابد أن أعذبك العذاب الاليم الشديد وأربطك مع الكلاب فى القيود الحديد بتهجمك على مقامات الملوك وأنت فقير صعلوك ثم امر أن يقيدوه بقيد ثقيل وثيق ووكل به وبالاسارى عشرين بطريق كل واحد منهم مثل حجر المنجنيق وأوصاهم عليهم بالاحتراز لكونه ثبت عندهم انهم فرسان الحجاز (قال الراوى) وبعد ذلك أمرهم بالانصراف من بين يديه وقام الى منامه لاجل الراحة الى بدنه فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الطوائف وتقابلت بعضهم البعض وانتشرت الفرسان فى جنبات تلك الارض وحملت الشجعان واتسعوا بالجولان فى الميدان وتضاربوا بالبتار وطلع عليهم الغبار حتى غابوا عن الابصار وسطا السيف فى حكمه وجار وندرت الرؤس عن الابدان وثبت الفارس الكرار وولى الجبان الادبار وركن الى الفرار وجرى بين الجيشين العجائب وشابت الذوائب واهتزت من تحت أرجلهم الارض من ركض الجنائب وعدم الحبيب الحبائب ودارت عليهم الدوائر وقد اصطدمت عليهم الدساكر واختلطت العشائر حتى صار الاول منهم ما يلحق الآخر ولم يزالوا على ذلك الحال وهم فى قتال ونزال ومدافعة وجدال حتى حطت الحرب أوزارها وأوقدت الحرب نارها وطلبت كل طائفة الاخرى بثارها ونادت بنو عبس بكماتها وافتخارها وكذلك بنو قضاعة وفارسها الامير عمرو وذو الكلاب وأخته قناصة الرجال أثاروا فى الحرب غبارها وخاضوا قساطلها وقتارها وعملت منهم الرماح فى الاشباح ولبست الاجساد من الدماء وشاح ونادى المنادى بلا جناح وصاح وتمنى الفارس أن يطير بلا جناح وجفت الانفس ببيع السماح وتساوى فى أعين الفريقين المساء والصباح وبان فى وجوههم شخص الموت ولاح وعدمت الصباح وضجت الفرسان من ألم الجراح ضجيج النوق عند الرحيل والرواح وزعق غراب البين وناح وفر الجبان وطلب الرواح وضاقت على الهارب الاماكن الفساح ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار وارتحل وأقبل الليل وانسدل وقد تحير الملك الجوفران وتبلبل من قتال بنى عبس وما عملت فى ذلك اليوم من العمل لانه ما ظن انهم يثبتون بين يديه لضرب السيوف

ولا علم ان كل واحد منهم يعد بألوف لا سيما ومقدمهم الامير عمرو وذو الكلاب البطل الموصوف وأخته قناصة الرجال وهى كأنها اللبوة اذا فقدت أشبالها وعادت الطائفتان عن الحرب والطعان وكل منهم ما يصدق بالخلاص من الميدان (قال الراوى) وأعجب ما جرى فى هذه القصة الحجازية من أحاديث العرب بان ان الملك الجوفران لما نزل فى سرادقه وأحاطت به البطارقة والرهبان من كل جانب ومكان أقبلت أمه على جرى عادتها ومن حولها أكابر دولتها وأرباب خبرتها وكان قد انحرف عنها لاجل الكلام وما لاقى فى ذلك اليوم من الحرب والصدام فدخلت الى الاسارى فوجدتهم مما حل بهم من الاسر حيارى فتعجبت من أمرهم وأهالها عدم صبرهم فقالت لهم من أى البلاد أنتم ومن أى القبائل ومن أى العرب قد تجمعتم (قال الراوى) فقال لها دريد بن الصمة يا ملكه أما نحن فمن قبيلة واحدة وان قبائلنا من بعضها متباعدة ونحن من ثلاث قبائل ولكننا من قوم كرام أصائل أنا من هوازن وجشم وهذا الفتى ورفيقه ينتسبون الى أولاد عمى وأشار الى دثار ابن رزق وخفاف بن ندبه وكانت رحمتهم الملكه مما حل بهم من تلك الامور الصعبه وهؤلاء الاربعة من بنى عبس وعدنان وأشار الى الغضنفر وعنيترة وياسر وليث الميدان وكذلك هذا الولد ابن الزنا وأشار الى الخذروف وانه من دوننا بالمكر والخداع موصوف (قال الراوى) فعند ذلك تقدمت الملكه أم الملك الجوفران ووقفت على رأس الغضنفر وكذلك أم الزعازع عنيترة بنت عنتر وقالت له يا فتى أنت من بنى عبس كما تقرر فما يكون منك ابن شداد عنتر فقال لها يا سيدتى هو أبى كان فقالت ما أصابه من غدرات الزمان فقال لها الغضنفر قتل ظلما وعدوان فقالت له وابنة عمه عبلة ما فعل بها الزمان فقال لها قد قتلها شخص من بنى عامر وأحل بها الهوان وكان يقال له عامر بن الطفيل ولكن كان من شجعان الزمان وقد تزوجها بعد أبى ورحلته لما قتل وحانت منيته (قال الراوى) ثم حدثها بالحديث على جليته فقالت له وأنت أمك تزوج بها أبوك بعد عودته من عندك الملك قيصر قال بل ان أمى أقرب ما يكون الى الملك من دون البشر وهى بنت أخيه وتسمى الملكة مريم وكان قد تزوجها من الملك قيصر بحضور أخيها بلقام وكان ذلك منه للاكرام لما أتى اليه فى مدينة رومة الكبرى وله فى حمايتها خدم لما سطا عليه الملك بهمنه أخو الملك خيلجان الذى قتله أبى عنتر فى بلاد العجم وكان ذلك منه فيما تقدم فقالت له وما تكون منك هذه الفارسة السمرة اللون المليحة المنظر والكون فقال لها يا ملكه هذه أختى من أبى وقد حل بها من قتل والدى ما حل بى وهى تسمى أم الزعازع ولبوة الوقائع وجامعة شملنا وحامية كلنا فقالت له وأمها تزوج بها أبوك بعد رجوعه من بلاد الروم فقال هو كذلك انه عاد الى الحجاز وتلك الرسوم وأمها تسمى الهيفاء قناصة الرجال أخت الامير عمرو وذى الكلاب الفتى الرئبال فقالت وهؤلاء الفارسان الآخران ما يكونان يا فتى منك فأخبرنى بالصدق وأبشر بزوال الضيق عنهما وعنك وكانت قد عنت باشارتها على ياسر وليث الميدان وكانت قد ظنت فى نفسها انهما اخوان (قال الراوى) فقال لها الغضنفر يا ملكه اما هذا فهو ابن أخى ميسرة بن عنتر وأما هذا فهو ابن عمى مازن اخى أبى وكان الاصغر وانه ما اجتمعنا عليهما الا بعد ان قتل أبى واندثر لانهما ربيا عند الملكه حليمة بنت صاحب الشام وكان أبواهما قتلا قبل أبى وربتهما أيتام ولكن عندها وعند أخيها الملك عمرو فى خيرات وانعام (قال الراوى) فقالت له الملكه وهذا السلال هو ابن عمك شيبوب فقال نعم هو ذلك يا قوت القلوب فقالت له وعمك شيبوب ما كان منه فقال قتل وانقبر قبل أبينا بثمان سنين أو أكثر فقال لها الغضنفر ما أراك يا ملكه الا عارفة بنا غاية المعرفه وتصفى أنسابنا بهذه الصفة فمن اين لك علم ومعرفة بهذه الاخبار فقالت له أموركم كانت تصل اليّ مع السفار ولكن طيبوا قلوبكم فأنا ان شاء الله أكون السبب فى خلاصكم وازالة كروبكم وأسيركم الى بلادكم بما تبقى من جيوشكم وأجنادكم وأجتهد فى خلاصكم (قال الراوى) ففرح الجماعة بمقالها وشكروها على ما أبدته من جميل فعالها ثم انها مضت من عندهم بعد ما وعدتهم بخلاصهم من ضيق سجنهم وأرسلت لهم ما كولا ومشروبا من الطعام ثم انها أقامت الى أن انفصل القتال فى اليوم الثالث وقد خافت من ولدها أن يحدث فى حقهم شيأ من الحوادث (قال الراوى) و بينما هم على هذا الحال وقد انفصلت الطوائف عن القتال و رجع كل جيش الى مقامه وأقبل

الجوفران الى سرادقه ومحل منامه وغلمانه وخدامه يمشون قدامه وكان قد اتى وهو ممتلئ غيظا وحنقا كيف لم ينل من كسر جيوش بنى عبس مرامه فما أكل طعام ولا غفلت عينه الا بشئ قليل من المنام فرأى فى منامه ما أزعجه وأبهره فضاق صدره وزادت كدره وصار من تلك الساعة لا يأخذه منام ولا التذ بأكل طعام ولم يزل على ذلك الحال حتى طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح وبطل فى ذلك اليوم القتال حتى ينظر ما يكون له من الاهوال ويفسر ما رآه فى المنام على أحد يكون يعرف فى تأويل الاحكام وكان من أمره ومنامه عجب فان كل ما يأتى على الانسان له سبب وذلك انه لما أصبح الله بالصباح وجلس فى مقامه وطلب أن يفسر ما رآه فى منامه وقد انزعج لذلك وضاق صدره وزادت آلامه أمر باحضار القسس والرهبان حتى انهم يعبرون له رؤياه فحضر كل قسيس ومطران وأحضر أيضا البترك الكبير والمعمدان فقالوا له أيها الملك ابد لنا ما رأيته فى منامك ولنبذ أحلامك واعلمنا ما هو الذى أزعجك من أحلامك (قال الراوى) فاقبل عليهم يحدثهم بما رآه ويبدى لهم ما نظره فى رؤياه وقال لهم انى رأيت كأنى أقبلت الى سرادقى هذا وجلست على سريرى كذا واذا أنا بكفى اليمين قد اختلج اختلاجا عظيما وقد طلع منه يد مثل يدى هذه ولها ساعد مستقيم وامتدت من أصل كتفى حتى انها التحقت بأصابعى وكفى فقلت فى نفسى وحق المسيح لقد بطلت همتى عن القتال وقد عجزت عن مكافحة الحرب والنزال وانى خائف من هذه الاهوال واذا بها قد التحمت وصارت يدا واحدة وعادت الى ما كانت عليه وبقيت فى أمورها متساعدة وانتبهت بعد ذلك من منامى واستيقظت من أحلامى وأنا خائف مرعوب متكدر الخاطر وفى أمرى مكروب من عاقبة ما رأيته من أحلامى فبينوا لى شرح ما أنا اليكم قائل ان كان أحد فيكم عارف بتفسيره عاجل فبينوا لى هذا المنام وفسروه قوام (قال الراوى) فتعجبوا الجميع من ذلك المنام وعجز الكل عن تفسيره وبلوغ المرام فقالوا له بأجمعهم يا ملك النصرانية وسيد أهل ماء المعمودية اعلم اننا ما لنا علم بتفسير المنامات ولا نعلم بهذه الكائنات وحق المسيح والسبع كلمات وتربة الراهب ساحات الذى قد أربعين سنة فى دير الزرزور ولم يغسل وجهه الا من المعموديات ما عندنا علم بتفسير هذه المنامات قال فاغتاظ الملك الجوفران غيظا شديدا مما عليه من مزيد من خطابهم وما أبدى الرهبان من جوابهم فبينما هو على ذلك الحال الذى قد وصل اليه واذا براهب من بعض الرهبان قد قام على قدميه وتقدم عنده وقبل الارض بين يديه وقال له يا ملك الزمان ان أردت أن تعلم تأويل هذا المنام وما فيه من البرهان فأحضر الاسارى الذين عندك من هؤلاء العربان واستخبرهم فانهم عارفون بمثل هذا ويبدون لك ما يكون من التأويل وما كان (قال الراوى) فاستصوب الملك كلام ذلك الراهب من دون الرهبان ثم انه أمر باحضار الغضنفر وأصحابه اليه فمضى الحاجب وأحضر جميع الاسارى الى بين يديه (قال الراوى) وكان من القضاء والقدر ومن جملة الامر الذى فى علم الله مدبر ان الغضنفر أيضا رأى مناما فى تلك الليلة وهو منه فى همه وقد فى ذلك الوقت يفسره على شيخ العرب دريد بن الصمة وليس عنده فى ذلك الامر حيلة فقال له يا أبا النظر لقد رأيت الليلة فى منامى أمرا عجيب وأرجو من الرب القديم أن يكون عاقبته الى خير قريب فقال له دريد يا حامية عبس ما الذى رأيت أبده ولا تخفيه لعل أن أعرفه وأبين لك معانيه فقال له اعلم انى رأيت كأنى فى حفيرة على صفة القبر وهى خربة مدثورة وكأن أقواما يهددونى بالقتل وقد ألقونى فى تلك الحفيرة ومضوا عنى وتركونى فيها فقمت ووقفت على أقدامى أريد الخروج منها فرأيت فى تلك الحفيرة منطقة من ذهب أحمر مرصعة بأنواع الدر والجوهر فمددت يدى اليها وقد مسكتها ومن الارض على ساعدى رفعتها وتأملت فيها وتبينتها واذا بها قد صارت منطقتين فشددت وسطى بهما الاثنين ثم تميزتهما واذا بهما قد صارا منطقة واحدة وهذا منامى فبينه لى عسى أن يكون فيه الفائدة يا أبا النظر لانه عبرة لمن يعتبر (قال الراوى) فقال له دريد وحق الاله السميع المجيب ان تفسير منامك هذا يدل على أن يظهر لك أخ عن قريب فقال الغضنفر يا أبا النظر ان هذا لا يصير ولا يتم ومن أين يتفق هذا وأبى قد عدم فقال له دريد على طريق الملاعبة والجنون أنا أخبرك عن هذا الامر بما يكون وما فى الامر الا ان أمك الملكة مريم تتزوج ببعض وترزق منه ولدا فيصير أخاك (قال الراوى) فقال له

الغضنفر أى شئ هذا القول المنكر يا أبا النظر فقال لهم الخذروف وقد زاد به الغضب وامتلأ غيظا وأنت ربما أن يكون هذا الملك الجوفران أخاك وقد جاءت به بعض النساء من أبيك فعلل نفسك بهذه العلل لانه يشابهك فى الزى واللون والقد والهيكل (قال الراوى) فعند ذلك أجابهم دريد بكلام مذعر وقال وحق البيت والحجر والركن اليمانى المطهر ان هذا الملك الجوفران أشبه الخلق بالملك الغضنفر وقد ضحك الخذروف عن هذا الكلام فقال لا زلتم تعللون أنفسكم بالمحال والخلاص من القيود والاغلال (قال الراوى) فبينما هم فى المشاجرة والكلام الذى هم عليه واذا بحاجب الملك الجوفران قد دخل عليهم وأمرهم بالحضور الى بين يديه فامتثلوا أمره وقاموا الى الملك الجوفران ودخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه ووقفوا مع جملة الحجاب القيام فأمرهم بالجلوس ليقص عليهم ما رآه فى المنام وسألهم عن تعبير تلك الاحلام وذكر لهم الرؤيا كما وصفناها على جليتها (قال الراوى) فقال له دريد أيها الملك ان الذى قد ظهر لى من تعبير أحلامك وتفسير ما رأيته فى منامك أن يظهر لك أخ ويكون له جيش مثل جيشك وأجناد مثل أجنادك أو يتغلب عليك بعض الملوك ويأخذ منك بلادك ويقهر جميع أجنادك فقال له الملك الجوفران يا شيخ ان أبى قد مات وأمى ما بقيت تتزوج أبدا على مدى الاوقات وما هو الا كما قد ذكرت أن يتغلب علىّ بعض الملوك الذين هم لى من جملة الاعداء فقال له دريد هذا ما عندى من شرح ذلك المنام (قال الراوى) ثم انه لما سمع من دريد ذلك الكلام وسمع تفسير المنام أخذه هم كثير ووسواس حتى ضاقت منه الانفاس وقال فى نفسه ما فى الامر الا انى أرمى رؤس الذين أسرتهم الى أصحابهم حتى تنحل عزائمهم وأحمل بعد ذلك على عشائرهم وأبيد عساكرهم وأعود الى بلادى عن قريب قبل أن يظهر لى عدو غريب (قال الراوى) ولما قويت همته على ذلك عول أن يضرب رقابهم ويسقيهم كأس المهالك ثم انه فى عاجل الحال دعا بسيافه وأمره أن يضرب رقاب الاسارى ويسقى كلا منهم كأس اتلافه فقال له الخذروف لا ستر الله عليك وأحل بك الارتباك هذا يكون جزاؤنا منك على تعبير رؤياك ثم انه التفت الى دريد وقال له وحق البيت الحرام ما جلب لنا هذا البلاء والانتقام الا أنت بتفسيرك له هذا المنام وقد خاف على بلاده لما سمع تفسير منامه وقال فى نفسه اذا نحن قتلنا انكسرت عشائرنا قدامه فقالت لهم عنترة سلمنا أمرنا الى رب العباد ومنشئ السحاب الذى اذا دعى أجاب هذا والملك الجوفران قد صرخ فى سيافه بصوت مريع وأمره بضرب رقاب الاسارى الجميع فأقبل عليهم السياف وأول ما وقف على رأس الغضنفر وأشهر فوق رأسه حساما أبتر ورفع يده لينزل بالضربة عليه واذا بأم الملك الجوفران قد وصلت اليه وفى عاجل الحال حصلت بين يديه لان الخبر قد وصل اليها بما قد عول عليه ففى ساعة الحال أتت والى نحوه سعت وأسرعت فنهض قائما اليها وأجلسها الى جانبه وسألها عن سبب مجيئها فقالت له أيها الملك على ماذا عولت فانى أراك فى همة فاخبرنى على ما عزمت عليه من تلك المهمة فقال لها قد عولت على قتل هؤلاء الاسارى الذين فى قبضتى وأرمى برؤسهم الى أصحابهم وأشفى بذلك غلتى حتى تنحل عزائمهم وأحمل عليهم وأفرق جمعهم وأطرحهم على الصعيد وأطعنهم طعن الحصيد وأبلغ منهم ما أريد وأرجع الى بلادى عن قريب غير بعيد فقالت له أمه يا ولدى ما هذا صواب وربما ينفتح من هذا أبواب لانك تعلم ان وراء هؤلاء من لا يغفل عنهم وان قبلت الرأى فلا تقتلهم الا اذا وصلت بهم الى بلادك وجزائرك ومعك جيوشك وأجنادك حتى يعلم سائر الطوائف الذين كانوا يترقبون عارك وانك قتلت الذين يعايرونك بهم وانك قد أخذت بثارك (قال الراوى) فما هو الا أن سمع الملك الجوفران من أمه ذلك الكلام حتى قال لها وحق المسيح ما بقيت أستطعم فى ليالى هذه بطعام ولا أذوق طعم منام حتى أرى رؤسهم عن الاجسام فقالت له يا بنى لا تفعل فربما تندم ويحل بك الندم فغضب لما سمع منها ذلك الكلام الذى يوجب الخلاف وغضب عند ذلك ولج على السياف وأمره أن يضرب رقابهم ويحل بهم التلاف والسياف يتقدم فى ذلك ويتأخر ويترقب كلامها لما رآها قد كثرت فى ذلك اهتمامها ثم انها لما رأته مصمما على قتلهم تقدمت اليه وقد علمت انها ان توانت عليه قتلهم وفعل ما عزم عليه فعند ذلك تذكرت جميل عنتر واحسانه اليهم وما صنع معهم من المكرمات وتفضلاته عليهم وكيف قتل عدوهم الملك صافات

وكيف سلموا اليهم جزائر الواحات فعند ذلك أقبلت بلسان الافرنج على الملك الجوفران واطفت له فى الكلام حتى انه لان وقالت له ياولدى كيف تطيب نفسك أن تقتل اخوتك واولاد عمك (قال الراوى) فلما سمع ولدها كلامها صارت عيناه مثل لظى الجمر وصار كأنه قد شرب كثيرا من الخمر وقال لها ومن هم اخوتى واولاد عمى وما هذا الكلام وما أظنك الا فى أضغاث أحلام فقالت ياولدى وحق الانجيل المكرم والمسيح المعظم وحق السيدة أم النور مريم ان هؤلاء الاثنين اخوتك ونسبتهم لاحقة بنسبتك وأبوهما عنتر أبوك وهذه عنيترة أختك وهذا الغضنفر أخوك (قال الراوى) فلما سمع الجوفران كلامها وما أبدته له من مرامها قامت عيناه فى أم راسه وخاف من سطوته جميع جلاسه وقال لها من شدة ما ضاقت أنفاسه ويلك يا ملعونة أليس أبى الملك كوبرت فقالت له ياولدى اسمع ما به اليك أشرت فان حديثى عجيب وأمرى مع أبيك غريب لانه لو كتب بالذهب على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تبصر ثم انها انعطفت عليه وتقربت بنفسها اليه وابتدأت تحدثه بحديثها وكان الكلام بينهما بلسانها وحكت له من أول الامر الى آخره وعرضت عليه باطنه وظاهره وما جرى لها من أول الزمان وما سبق حديثه فى هذا الديوان من أمر عنتر بن شداد وما جرى له مع الملك قيصر لما حضر عنده الى القسطنطينية وتلك البلاد وكيف أهداها الملك قيصر لابى الفوارس عنتر وكيف باتت عنده ليالى كثيرة وكيف كان قد لحقها من رؤيته الانبهار والحيرة وكيف أراد شيبوب قتلها والامر الذى كان بين كوبرت وبينها وكانت قد علقت من عنتر لما أهداها له الملك قيصر وأيضا أخبرته بمسير أبيه عنتر مع هرقل ابن الملك قيصر وقتله الملك الليمان وابنه سرجوان وزواج الملك هرقل بالملكه مريم ابنة الملك الليمان وأيضا حدثته بحديث المرج والقصر وما جرى لها مع شيبوب وما كان وأظهرت له سرها وبان الكتمان وقالت له ياولدى والآن قد صح الخبر وبان الامر واشتهر وأنت بعد هذا ورأيك أخبر وقد أطلعتك على ما كان من الامور المخفيه ولم أكتم عنك شيأ من هذه القضيه (قال الراوى) ولما سمع الجوفران من أمه هذه الاخبار أخذته الحيرة والانبهار وقال لها يا أماه أما كان من هؤلاء القوم أحد معكم فى ذلك الزمان حاضر حتى أسأله عن حديثكم أولا وآخر ويكون الذى قلتيه له عندى تأكيد وبيان وتقوم لك بذلك الحجة والبرهان فقالت له أمه ياولدى وحق المسيح لقد قلت قولا صحيح اعلم ياولدى ان من صحة الخبر ان أباك الامير عنتر لما دخل الجزائر ما كان معه الا هرقل بن الملك قيصر وأخوه شيبوب وكذلك هذا ابنه الخذروف الآخر فقال لها ومن هو من بين هؤلاء الجماعة الخذروف فأشارت اليه وقالت له ها هو هذا السلال الذى هو باللصوصية والخداع موصوف وهو الذى أتى بتلك الحيلة ليخلص منك الرجال من الشد والاعتقال (قال الراوى) فعند ذلك أمر الجوفران باحضار الخذروف اليه فقدم فى ساعة الحال الى بين يديه وجميع جوارحه تخفق من الخوف اليه فقال له الجوفران أنت الخذروف فقال له نعم أنا ابن شيبوب الذى أخوه عنتر بن شداد المعروف فقال له الجوفران ويلك ياخذروف أبوك شيبوب كان قد دخل الى جزيرة الكافور وحضر مع عمك عنتر فى فتح قلعة البلور فان كان كذلك فاشتهى منك أن تخبرنى كيف كانت هذه الامور (قال الراوى) فلما سمع الخذروف من الملك الجوفران هذا الخطاب خاف من عاقبة هذه الاسباب وقال فى نفسه ربما يكون عمى قد قتل للملك الجوفران من يقرب اليه فيريد أن يأخذ بثاره منا ويقضى علينا فبقى مرتبكا فى أمره وقصته ولكن قد علم أن لابد له عن اجابته فقال له نعم يامولاى كان ذلك من عمى عنتر قبل موته (قال الراوى) ثم ان الخذروف تذكر أيام أبيه شيبوب وعمه عنتر فجرت دموعه على خديه كأنها المطر وتنهد وتحسر وكذلك بكى أولاد عمه عنيترة والغضنفر (قال الراوى) هذا والملك الجوفران قد أخذه عند بكائهم الدمع والرجفان وقال للخذروف هل تعرف أحدا اذا رأيته من أهل ذلك المكان من الرجال أو من النسوان فقال والله يامولاى ما أعرف غير الملكه مريم والملك كوبرت وكنت من نحو خمسة وعشرين سنة من عندهم سافرت فقال له الملك الجوفران وأنت اذا رأيت الملكه مريم فى غير جزيرة الكافور أتعرفها فقال له الخذروف نعم يامولاى وحلاها وأوصافها فقال له الملك الجوفران فهل اجتمعت عليها فى جزيرة الكافور فقال له نعم يامولاى وفى مدينة القسطنطينية ومضى لنا

فيها أيام ذات بهجة رضية (قال الراوى) ثم انه ابتدأ يحدثه بالقصة من أولها الى آخرها وشرح له فيها جميع باطنها وظاهرها وما جرى لعنتر وللملك كوبرت وقال له هذه حكايتى فلما سمع كلامه ووافق كلام أمه الملكه مريم وما حكت له عليه فصح عند الملك الجوفران انه ابن عنتر وانه من بنى عبس وعدنان لما بانت له تلك العلائم والبرهان فعند ذلك قال له ياخذروف والجارية مريم فى ذلك الزمان كانت قد حملت من عنتر قال أى وحق خالق البشر ولاجل هذا كان يريد قتلها عمى عنتر حتى لا يخلف منها فى بلاد الافرنج ولد (قال الراوى) فعند ذلك أمر الجوفران باحضار عشر جوار وقال لامه اذهبي واخفى نفسك عن هؤلاء الرجال الحضار فاذا طلبتك ائتى الى ويكون بصحبتك هؤلاء العشر جوار ويكون ملبوسكم ملبوسا واحدا حتى يكون ذلك أقوى برهان وأعظم شاهد فأجابته بالسمع والطاعة وقامت من حضرته فى تلك الساعة ثم ان الملك الجوفران من وقته وساعته أمر باحضار الجوار الى حضرته وكان لهم كما أمرهم لبس واحد وزى واحد صفة واحدة فأتين اليه ووقفن صفا واحدا بين يديه وصاح عند ذلك على الخذروف وقال له يا هذا اهدئ روعك وارفع عنك الفزع والخوف وأخبرنى أيما هى الملكه مريم فى هؤلاء الجوار (قال الراوى) فرمقهم الخذروف وحققهم بالنظر وناداه يامولاى وحق العزيز الغفار ان الملكه مريم ما هى بين هؤلاء الجوار وحاشا تلك الملكه ان تمثل الابنساء الملوك الكبار وهى ملكه وزوجة ملك صاحب قلاع وأمصار فتبسم من كلامه الملك الجوفران وطاب قلب الخذروف من تبسمه وأيقن بالامان (قال الراوى) هذا كله يجرى والغضنفر وعنيترة بنت عنتر ودريد بن الصمه وبقية الفرسان الاخر قد حاروا فى أمورهم وتقطعت من شدة الخوف من القتل ظهورهم بعدما كانوا قد صبروا أنفسهم على مرارة القتل والهوان كل هذا والسياف واقف على رؤسهم ينتظر أمر الملك الجوفران (قال الراوى) ثم انه استدعى بامه فى تلك الساعة فحضرت كما أمر فى جملة عشر جوار أخر وقد لبسن الجميع حال الافتخار ووقفن بين يدى الجوفران بذلك الزى والملبوس بعدما سلمن وخدمن فأمرهن بالجلوس ثم التفت الى الخذروف وقال له بعد ان قعدت الجوار من الوقوف أيتهن الملكه مريم من بين هؤلاء الجوار فقال له مرهن أن يكشفن لى وجوههن لاتحقق الاخبار (قال الراوى) فأمرهن بذلك فكشفن عن وجوه مثل الاقمار فأطال الخذروف فى وجوههن الانتظار الى أن أتى تسعة من الجوار وآخر ما كشفت عن وجهها الملكه مريم فكان وجهها شمس النهار (قال الراوى) فلما نظر اليها صرخ بعلو رأسه وقد زال عنه الخوف والفزع وكاد من شدة الفرح أن يغشى عليه ويقع وقال له ياملك وحق البيت الحرام وبئر زمزم والمقام هذه هى الملكه مريم زوجة عمى عنتر البطل الهمام (قال الراوى) فعند ذلك أمر الملك لبعض البطارقة الوقوف أن يتقدموا ويحلوا وثاق الخذروف فعند ذلك قام الخذروف على قدميه وتقدم قدام الملك الجوفران ووقف بين يديه فنظرت اليه الملكه مريم بعيون أحد من السيف فانكب على يديها وهو بقلب ملهوف وصار يقبلها وقد استقر منه فؤاده المرجوف (قال الرازى) فعند ذلك دمعت عين الملك الجوفران وأخذته حنانة الاخوة ولحقته الرعدة والرجفان وطار قلبه الى اخوته عنيترة والغضنفر فقام فى عاجل الحال بنفسه وهو مثل الاسد القسور وقد أخذ السيف من يد السياف فعند ذلك أيقن الاسارى بالتلاف لانهم لم يعرفوا ما وقع بين الملك وبين والدته من الاختلاف وما ذكرناه من تلك الاوصاف ثم انه تقدم الى أخيه الغضنفر وحل كتافه من يديه وفك قيده من رجليه وكذلك فعل بعنيترة وأمرهما بالقيام فقاما على أقدامهما وكأنهما قاما من مقبرة وقد قبض على يد الملك الغضنفر بيده اليمنى وقبض على يد عنيترة بيده اليسرى وأجلسهما امامه على السرير وقد نال بذلك الفرح والتبشير ثم انه قدم بقية الاسارى الى بين يديه وقد أزال من عليهم الوثاق والقيود وهم لا يعلمون لذلك سببا محدود وكل منهم قد أقر بذلك عينيه ولا يعرف من أين الفرج أتى اليه (قال الراوى) ثم ان الملك الجوفران قال لامه يا أمى اشرحى حديثك لهؤلاء الفرسان كما حدثتينى فى الاول بهذا الشان فاخبريهم كما اخبرتينى ليزدادوا بذلك يقينا وبرهان (قال الراوى) فعند ذلك شرعت الملكه مريم تحدث دريدا والجماعة

المأمورين بلسان عربي فصيح وأخبرتهم بحديثها من أوله الى آخره وما كان من ذلك القول الصحيح والخذروف يصادقها على ذلك بالتصريح وفي آخر الحديث قالت ان هذه الاميرة عنيترة وأخاها الغضنفر اخوة ولدي هذا من أبيهم عنتر (قال الراوي) وأعجب ما في هذا الديوان ان الخرزة التي كنا ذكرناها في كتابنا من قديم الزمان التي كانت أعطتها مريم لعنتر عند دخوله القصر من أجل الطعام المسموم لما جرى بينه وبين الخذروف ماجرى من ذلك الكلام المعلوم وكانوا ثلاثة فأعطت لعنتر واحدة وللخذروف واحدة وادخرت الثالثة عندها لامور تكون عائدة وكان عنتر لما تزوج بالقناصة وجرى له ما جرى أعطاها تلك الخرزة وأوصاها بحفظها وأعلمها بما يكون من منافعها فلما وضعت بنتها عنيترة بنت عنتر وظهر منها ما ظهر خافت عليها من مكايدة العرب وعواقبها فوضعت تلك الخرزة في عنقها وأوصتها عليها وأعلمتها بمنافعها (قال الراوي) وفي تلك الساعة نظرت الملكة مريم بعين المخبرة فرأت الخرزة في رقبة عنيترة فصاحت صيحة عالية وقالت قد بان لي في هذا الوقت الامر الصحيح فقال لها وما هو هذا التلويح فقالت ان الخرزة التي أعطيتك اياها وأمرتك أن تحملها في عنقك لتقيك من كل أمر محذر كنت أعطيت لابيك عنتر خرزة مثلها وها هي في أختك عنيترة وقد بان الحق وظهر ثم انها قالت لعنيترة يا بنتي أريني هذه الخرزة التي في عنقك لعل أن يكون كمال اظهار الحق ببركتك (قال الراوي) فنزعتها عنيترة وناولتها الملكة مريم وسألت من الخذروف عن الخرزة التي ذكرها تقدم وما صنع بها من الامر المحكم فحدثها بحديث زواجه بأمية الضمريه وكيف أعطاها اليها ليلة دخوله عليها وما جرى لها من تلك الامور المقضيه وكيف كبست دارها وما حل بها من السبي وما أصابها من الرزيه (قال الراوي) وما جرت هذه الامور في تلك الساعة حتى أيقن الجوفران وتحقق انه ابن عنتر فوثب قائما على قدميه وقبل وجوه اخوته عنيترة والغضنفر وبان الامر له ولكل من في ذلك المقام حضر ثم انه عانق دريدا وبني عمه وكذلك بني عبس السادات وفي دون ساعة دقت الكؤسات ونعرت البوقات وزادت الفرحات وعظمت المسرات فسمع بنو عبس أصوات الزمور وحس النقاريات وصهيل الخيول الصافنات فركبت الرجال والفرسان وركب عمرو ذو الكلب واخته الهيفاء وجميع الشجعان وركب زيد بن عروة والديال بن الغضبان وقالوا ما هذه الفرحة التي في جيوش أهل ملة الصلبان الا انهم قتلوا أصحابنا وسقوهم كأس الهوان (قال الراوي) ونظرت الافرنج الى خيل العرب وقد ركبت والرجال على القتال قد عولت فأخبروا الملك الجوفران بما قد جرى فأمر ابن عمه الخذروف أن يسير الى بني عبس ويعلمهم بما جرى وان الملك الجوفران قد بان أنه ابن عنتر وهو أخو عنيترة والغضنفر فما كانت الا ساعة كلمح البصر حتى صار الخذروف بين يدي عمرو ذي الكلب وهو كأنه النار ذات الشرر فوجده طائر العقل وهو في غاية الخوف والحذر فناداه يا أمير ابشر وليهنك ويطمئن قلبك فاشكر اله السماء على ما أوصلك من الفضل والنعمة فقال له عمرو اكشف لنا صحة الخبر وأزل عن قلبي هذه الفكر هل خلاص من الاسر عنيترة والغضنفر فقال له نعم يا أمير الامرا وأبشرك ببشارة أخرى تسرك وتزيل عن قلبك الضرر وتبقى في الكتب تؤرخ وتذكر وقد صح الخبر بان الملك الجوفران قد ظهر أنه ابن عمي عنتر وهو أخو عنيترة والغضنفر فلما سمع عمرو وذو الكلب هذا الخبر لحقه العجب والفكر فقال اخبرني عاجلا وأوضح لي عن هذا القول المشتهر فقال له الخذروف هو صحيح ما قلت لك وحق البيت العتيق المطهر وحق زمزم والمقام والركن اليماني والحجر قد صح أن الملك الجوفران أخو أولاد عمي عنيترة والغضنفر وقد بان هذا الامر واشتهر (قال الراوي) ثم ان الخذروف ابتدأ وشرح لعمرو ذي الكلب القصة على ما جرى وكان وأوضح له عن طريق الهدى والبرهان فزادت لسماع تلك القصة أفراحه وكثرت مسراته وزاد انشراحه واشتاق الى رؤية أم الزعازع عنيترة وأخيها الغضنفر والجوفران ومن معهم من الفرسان فركب مع الملك زهير وزيد بن عروة وسبيع اليمن والديال بن الغضبان وسادات بني عبس ومن معهم من بني قضاعة الشجعان وركبت الهيفاء قناصة الرجال وقد اشتاق قلبها الى رؤية ابنتها أم الزعازع قتالة الابطال وساروا الى ان التقى بعضهم بالسرور والاقبال بعدما كانوا عازمين على الحرب والقتال ولم يزالوا سائرين والخذروف امامهم

حتى وصلوا الى سرادق الملك الجوفران ونظر الغضنفر الملك زهير والى عمرو ذي الكلب وسادات بني عبس وعدنان وقد أقبلوا ووجوههم متباشرة بالقبول والرضوان فقال للجوفران يا أخي هذا الملك زهير سيد بني عبس وغطفان وهذا الذي بجانبه الامير عمرو ذي الكلب سيد بني قضاعة الى حد بلاد السودان فعند ذلك قام لهم الملك الجوفران وتلقاهم بالفرح والهنا والاطمئنان وخدم الملك زهير وتلقاهم أحسن الملتقى وقد زال عن الطائفتين تعب الحرب والبؤس والشقا وكذلك عنيترة والغضنفر التقوا بعمرو ذي الكلب ومن معه من الفرسان وأخته قناصة الرجال وظهر الحق وبان الكتمان وزال الشك واتضح البرهان وجلس الملك زهير الى جانب الملك الجوفران بعدما سلمت الفرسان على الفرسان ثم انهم اجتمعوا في السرادق وحققت لهم الحقائق وبلغوا من بعضهم البعض المراد وزالت من قلوب الطائفتين الاضغان والاحقاد (قال الراوي) هذا والملك عمرو بن الحارث الوهاب وأخته حليمة على أسوار دمشق وقد أخذهم الخوف وهم يظنون ان بني عبس قد اصطلحوا مع الافرنج على تخليص الاسارى وضاقت صدورهم وبقوا مرتبكين وفي أمورهم حيارى وما خفي حالهم على الغضنفر فأرسل اليهم من يبشرهم ويعلمهم بصحة الخبر (قال الراوي) فسار الخذروف أبو الافراح الى تحت السور ونادى وأعلن بالفرح والسرور وصاح باعلا صوته أنا الخذروف بن شيبوب وقد أتيتكم بما يسر القلوب ويزيل الكروب فعند ذلك فتحوا له الباب وفي عاجل الحال أحضروه الى بين يدي الملك عمرو بن الحارث الوهاب وأخته حليمة قد أخذهما من ذلك الامر الذي حصل الخوف والارتياب وكذلك أخوها عمرو ومن عنده من الحجاب وقد أوقدت في قلوبهم نار الالتهاب فقال لهم الخذروف يا ملوكنا يهنيكم الفرح والسرور وازالة المحذور ثم انه ابتدأ وحدثهم بجميع الامور فهنالك دقت الكاسات ونعرت البوقات وزادت الفرحات وعظمت المسرات وأمر الملك بفتح أبواب البلد وأظهروا الزينة والسلاح والعدد وفرقوا الصدقات على الايتام والارامل وزالت عنهم المخاوف وفي عاجل الحال ركب الملك عمرو في خواص قومه وحجابه وقرائبه وأصحابه وساروا الى خدمة الملك الجوفران وأخيه الغضنفر وأختهم أم الزعازع الاميرة عنيترة بنت عنتر وقد لبسوا ألوان المنسوجات من الثياب والتقوا الملوك في أطراف الخيام والاطناب وسلموا على بعضهم البعض بعدما حققت الحقائق واستقر بينهم الحال وانقطع القيل والقال (قال الراوي) وكان السبب في طلوع الجوفران وفي هذه الاحوال وأصل هذا القتال سببا عجيبا وأمرا مطربا غريبا لانه هو واخوته أصل هذه السيرة وأخبارها وفروعها وبسبب ابيهم كان وقوعها حتى تكمل لهم لذة الكمال وذلك ان عنتر لما كان أتى الى عند الملك قيصر وفعل ما فعل من ذلك الامر الذي تحرر وكيف أهدى له الجارية مريم وبات معها الى عديده كما تقدم وكانت قد حملت من عنتر وما أراد أن يظهر له منها في بلاد الروم ولد ذكر وكانت مشيئة الله وارادته أقوى وأقدر وأذن الله تعالى أن يظهر له ولدان ذكور ويكون لهما أمر مشهور ويحدث من بعد الامور أمور وأرسل شيبوب الى خلفها حتى انه يقتلها وكان الله تعالى قد أراد سلامتها وقد ضربها شيبوب بالخنجر ولم تعمل ضربته فيها بالخنجر وأخذها كوبرت ونزل بها في المراكب وسافر بها الى جزيرة الكافور ونواحيها واتفق ان عنترة سافر هو وهرقل ابن الملك قيصر الى الكافور وقلعة البلور وقتل الملك الايلمان وكذلك ابنه مرجوان وملكوا ابنته الملكة مرعان وجرى له في تلك الديار ما قد شرحناه من الكلام وأعطى لهذه الجارية مريم الذمام وسار بعد ذلك الى جزيرة الواحات وملكها بعدما قتل الملك صافات وكانت غيبة عنتر عشر سنين معدودة وأشهرا معلومة مفهومه فوضعت مريم هذا الولد بعد مضيها الى جزيرة الواحات وكان الملك كوبرت قد تخلف عن المسير معه ليستعد لهم بالعلوفات ويلحقهم بها الى مدائن الواحات فولدت مريم هذا الولد وهو أسمر زائد السمار وكان يضرب لونه الى احمرار (قال الراوي) فلما نظر الملك كوبرت الى صورته نفر قلبه من رؤيته وقال لها يا مريم انا ابيض اشقر وانت كذلك بهذا اللون وأبهر فمن أين هذا الاسود وصل لك وحق المسيح ان لم تخبريني والا قتلتك فقالت له يا ملك اعلم ان هذا الولد من عنتر ابن شداد الذي أنعم علي وعليك بهذه البلاد فقال لها كوبرت صدقت في قولك وأنا أعلم انهم عليه غصبوك

ولكن هذا الولدان خليناه عندنا نصير به معيرة بين الملوك فقالت له كيف يكون التدبير فقال لها نقتله وتستريح قلوبنا من معيرته عند الكبير والصغير فقالت له ان كان ولابد فامهل على حتى أرضعه وبعد ذلك افعل ما تريد فان قلبي ليس راضيا أن ترميه ولا تضيعه في البيد فلعل قلبي بعد الرضاع يسلوه وعنه يرجع بجفوه (قال الراوي) هذا يجري وصاحب الامر يدبر الامر بحسن الارادة وهو الذي يكفل الولد في بطن أمه الى حين الولادة فأخذت الطفل الى حجرها وألقمته ثديها وارضع وفتح لها عينيه فوقعت الحنية في قلبها عليه وكثر عليه تأسفها وزاد لاجل قتله تلهفها وتناثرت دموعها على وجنتها وبكت بوجدها وحرقتها فنظر اليها الملك كوبرت وكان يحبها فتقدم اليها ولاعبها وزاد في قربها وقال لها ما ابكاك يا ملكه وقاك الله تعالى كل بؤس وهلكه فقالت له اعلم ان بكائي على هذا الطفل الصغير وما عنده علم من هذا التدبير وهو على كل حال ولدي وقطعة من كبدي وأنا يا ملك ما يهون على قتله من اجل أمرين أحدهما انه كان ولدي وقلبي قد تعلق به والثاني ان عنتر بن شداد أمير بني عبس وقرادان رجع من جزيرة الواحات وعبر علينا فما يخفى عليه هذه الحالات وربما أخبره بذلك بعض الجوار والخدام ايتخذ به عنده حجة وأنت أعرف الناس به من دون العباد فان قتل ولدي منه فانه كان يخرب هذه البلاد ويسبي النساء ويقتل الاولاد وان كان ولابد من قتله فاقتلني أنا الأخرى قبله ولا تورينى قتله (قال الراوي) ثم انها بعد ذلك أكثرت من البكاء والانين والاشتكاء وكان الملك كوبرت يحبها كما ذكرنا في الاول فرحمها لما رأى دموعها تجري غزار وخاف من عنتر ومعرفته به انه بطل كرار فأبقى على الطفل الآثار فأخذته مريم وسلمته الى الدادات وأقامت له السراري والجواري المرضعات ولم يعلم بقصته أحد لا أبيض ولا أسود وكانوا لا يقولون الا انه ابن الملك كوبرت ولم يزل عندها حتى مضى عنتر الى ما كان فيه وقضى الاشغال وعاد من الحرب والقتال وكانت غيبته ثلاث سنين كوامل لانه كان قد مضى وتركها حامل ولم يعلم بشئ من تلك الامور ولم يدر بما هو في الكتاب مسطور ولما رجع من سفرته كان الولد عندها وفي خدمتها مدخور (قال الراوي) ولم يزل هذا الولد يكبر يمشي ويد القدرة تكنفه كلما قام ومشى وهو يربى حتى ركب الخيل والجنائب وبقى حوله المماليك والبطارقة والحجاب وكل من يخدمه ويتقرب له ويسرف خدمته وله راغب ولم يزل في ذلك الحال حتى مات الملك كوبرت وشرب كأس الوبال وشاعت أخبار موته في تلك الديار والجزائر العربيات نعصت عليهم أهل جزائر الواحات وتجهز ملكها في عالم عظيم وسار يطلب جزيرة الكافور وقلعة الملوك وما حولها من الاقاليم ووصلت الاخبار الى الملكه مريم فخافت من الحصار فاحضرت من أصحاب الملك كوبرت المقدمين الكبار وأعلمتهم بما كان من أهل جزيرة الواحات وما بلغها من المقال ثم انها أخذت رأيهم في أمر القتال فرأتهم كما تحب وترضى وهم لها طائعون ولقولها سامعون فأمرتهم أن يأخذوا أهبتهم الى السفر وخرجت في جيشها وعساكرها وهي على غاية من الحذر وأخرجت الاموال وانفقت على الرجال واستخدمت الابطال وكان ولدها الجوفران معها صغير ولكن همته كانت عظيمة ونفسه نفس ملك كبير (قال الراوي) ولم تزل الجيوش متبادرة وهي مع بعضها بعض وهي طالبة فسيح الارض وهي سائرة طولا وعرض الى أن وقعت العين على العين وهمت بالحملة على بعضها جميع الطائفتين وارادا أن يلتقي الجيشان فمنعتهم من ذلك الرهبان والقسوس ودخلوا بينهم بالصلح وطيبوا منهم النفوس واستقر الامر بينهم ان الملكه مريم تحمل الاموال في كل عام وان يبطلوا الحرب والصدام ويكون حمل المال الى الملك شمروط بن دامات الذي هو في ذلك الزمان صاحب جزيرة الواحات فلما تم الامر واستقر عاد الملك شمروط طالب بلاده وقد كثرت عشائره وأجناده وقد ضيق على الملكه مريم البلاد وقد دانت له العباد (قال الراوي) وقد نشأ الجوفران نشأة الفرسان وتفرس على ظهور الصافنات في الميدان وعلا على الشجعان وجندل الأقران وارتفع ذكره في بلاد الافرنج الخاص منهم والعام والقريب والدان وخافت منه جميع عبدة الصلبان وهابوه الملوك والسادات وحملوا اليه العقارات حتى لم يبق عليه الا جزيرة الواحات (قال الراوي) ثم ان الملك الجوفران كان جالسا في بعض الاوقات واذا قد جرى بين يديه ذكر مدينة الملك صافات وانه كان يحكم على مدينة الواحات ولما قتل دامات

تولاها من بعده أبوه الملك كوبرت وقعدت تحت حكمه سنين معدات ولما مات تغلب عليهم الملك شمروط بن دامات وملكها منهم غصبا بعدما كان فيها اناثماء أخذها بغير استحقاق قال فلما سمع الملك الجوفران هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وأمر في الحال بتجهيز العشائر واخراج الدساكر وصار يفرق عليهم الاموال وآلة الحرب والقتال بعدما جمع الفرسان والابطال وسار طالبا جزيرة الواحات ومن حوله الحجاب والسادات وهو في عزمة قوية وهمة زائدة فوصلت الاخبار الى الملك شمروط بان الملك الجوفران واصل اليه وقادم عليه فلم يعتن به ولا عنه سال وأمر الآخر في عاجل الحال بتجهيز العشائر واخراج الدساكر وكان ذلك في أقل من سبعة أيام وذلك من كثرة ما عنده من الخيرات والانعام وسار بين يديه الابطال والاقران ليلتقي بهم الملك الجوفران (قال الراوي) ولم يزالوا سائرين حتى التقت العشائر بالعشائر والدساكر بالدساكر وقد ملؤا الارض طولا وعرض وأوسعوا في تلك الارض فعند ذلك تقاتلوا قتالا اشديدا ما عليه من مزيد وتقابلت الشجعان وأوسعوا في الميدان وسالت دماء الاقران وصارت الارض وردة كالدهان مما سال عليها من أدمية الفرسان وتقاتلوا حتى جرى الدم وسال وساح وتكسرت العدد والسلاح وتطاعنوا بالقنطاريات وتضاربوا بالصفاح وامتدت الجثث في البطاح وسمحت الفرسان بالارواح بعد ما كانوا بها شحاح وعدموا أيام السماح وتقدم الشجاع وطاح وحال الفارس الجحجاح وتأخر الجبان وطلب الهرب والرواح وتمنى أن يكون له جناح ولم يزالوا في حرب أكيد وطعن شديد يفر منه البطل الصنديد الى أن فرق بينهم الليل ورجعت الرجال والخيل وانفصلت الطائفتان وتحارس الفريقان الى ان اصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك ركبوا الجرد القداح وعولوا على الحرب والكفاح وقد جردوا البيض الصفاح هذا والملك الجوفران قد سطا على أعداه وبلغ منهم مناه والتقى بالملك شمروط في وسط المعمعة وهو ينكس الابطال ويطعن في صدور الرجال طعنا يقصر الاعمار الطوال فحمل عليه حملة بطل قد لاقى الابطال ولاقى الاهوال ولاصقه وضايقه وسد عليه طرائقه وضيق عليه الرحاب والبطاح وصاح في وجهه أعظم صياح وضربه بسيفه واذا برأسه عن جثته قد طار وجرى دمه على الارض وساح وحمل بعد ذلك على صاحب العلم الاخضر والصليب الجوهر وضربه بالسيف على صدره خرج يلمع من خرزة ظهره فوقع على الارض وقد مال العلم فأخذه الجوفران قبل أن يقع على الصحصحان وبعد ذلك صار يطعن به في صدور الفرسان ويرمي رؤسهم من على الابدان وحملت من خلفه بطارقته والشجعان وعاونوه على الحرب والطعان وكان لهم ساعة تقشعر منها الابدان وتعد من ساعات الزمان مما قد سال فيها من أدمية الفرسان هذا والعشائر لما نظرت الى قتل ملكهم شمروط وقد صار مرميا في الميدان علموا أن ما ليس لهم على الجوفران ولا بجيشه طاقة ولا بحربهم استطاقة فولوا الادبار وركنوا الى الفرار ومنهم من ترجل الى الملك الجوفران وطلب منه الامان فأمر برفع السيف عنهم ولم يقتل أحدا منهم وقد ملكوا أموال الملك شمروط وأثقاله ودخلت تحت طاعته جميع رجاله فعند ذلك فرق الملك الجوفران الخلع على الابطال وقسم عليهم تلك الاموال ووهبهم النوق والجمال والف قلوب الرجال ورحل طالبا جزيرة الواحات وقد رفعت على رأسه الاعلام والرايات ودقت بين يديه النواقيس بأصوات مرتفعات ولم يزل كذلك حتى وصل الى جزيرة الواحات ودخلها في يوم مشهور وقد زاد به الفرح والسرور بما ناله من تلك الامور وترجلت بين يديه عشائره وارباب دولته ودخل القصر وجلس على كرسي مملكته وقد زادت فرحته وقعد بعد ذلك يزور في تلك الاماكن والقصور وأخذه الفرح والسرور وطابت له تلك البلاد ودانت له العباد فعند ذلك أرسل خلف والدته الملكه مريم فلما وصلت بين يديه فرحت له بما وصل اليه وما ناله من تلك النعم وكان الملك الجوفران يتفرج في تلك الايام في قصر الملك الاسكندر وهو يدور في جوانبه وينظر ما في المكان من عجائبه ومعه وجوه قومه وأصحابه وأمراؤه وحجابه ونوابه وكان الجوفران اتخذ له من جزيرة الواحات وزيرا عاقل وكان رئيسا فاضل فانتهى الملك الجوفران وذلك الوزير معه وهو يتفرج ويتأمل في حيطانه ونواحيه وأركانه ولا عبر بمكان ولا بباب ولا بجدران

الاو يسأل الوزير عنه وهو يخبره بأموره وما كان منه وما زالوا ينتقلون حتى وصلوا الى قبة الاقفال التى قدمنا ذكرها فيما سبق لما حضر أبوه عنتر الى ذلك المكان ولم يقدر على فتحها من دون الجماعة الا عنتر كما اتفق لما وجد الفرس الذى هو ملك الجن وفكه مما كان فيه من القيود والاغلال وأعانه على أخذ ثار ولده الغضبان لما وقع له ما وقع مع الجن من الحرب والقتال كما تقدم (قال الراوى) فلما وصل الجوفران الى هذا المكان أمر بفتحه فى عاجل الحال فأزالوا ما عليه من الاقفال وفتحوه ودخل الملك الجوفران لينظر من بعد فتحه ما قد تجدد فنظر الى صورة راكبة على ظهر فرس أسود فحار الجوفران من أمرها وسأل الوزير عن تلك الصورة وسبب وضعها فأخبره الوزير بخبرها ثم انه دخل مخدعا من جملة المخادع فوجد فيه صندوقا كبيرا ففتحه فوجد فيه ثوبا حريرا فى وسط ذلك الثوب لوح من ذهب وعليه نقوش وكتابة يكاد نورها يلتهب فقرأها الوزير فرأى فيه اسم بانى هذه المدينة وانها تفتح على يد فارس أشبه الخلق بهذه الصورة وهذه أحاديث عن الاقدمين منقوله ومحبوره (قال الراوى) ثم ان الوزير جعل يشرح للملك الجوفران ما كان من قديم الزمان وما جرى فى هذا المكان لعنتر وحديث هرقل ابن الملك قيصر وأخبره عن أصل مسيره الى تلك الجزائر وكيف كان حديث كوبرت وقتل عنتر لعمه الغضبان وأيضا أعمامه سوبرت ونوبرت والملك الايلمان وكيف قتل بعده ابنه مرجوان وكيف تزوج هرقل بعد ذلك ابنته الملكه مريم لما دخل الى هذا المكان وكيف شد مع الملك قيصر وفعل تلك الفعلات وقتل الملك صافات وملك جزيرة الواحات وكيف سار بعد ذلك الى جزائر الاندلس وحدثه بكل ما جرى من تلك الحكايات الماضيات قال فلما سمع الجوفران ذلك القول من الوزير قال له أيها الأب الكبير وهذا عنتر بن شداد أين يكون من البلاد حتى انى أسير اليه وأقتله وآخذ منه بالثار وأكشف بقتله عن ملة النصرانية العار فقال الوزير أيها الملك هذا فى بر أغبر ومسلك وعر أقفر يقال له بر الحجاز وهو كثير الخطر صعب المفاز فقال له الجوفران والطريق من أين الى تلك البلدان فقال له الوزير من بلد يقال لها دمشق الشام فقال الجوفران دمشق لمن تكون من الحكام فقال له الوزير هى من تحت حكم قيصر ملك الروم (قال الراوى) فعند ذلك حلف الجوفران وشدد فى الاقسام وقال وحق الانجيل والصلبان ومارى حنا المعمدان لاعدت أشرب مداما ولا أتلذذ بنام حتى انى أخرب القسطنطينية وأقتل الملك قيصر وأملك الشام وأرحل بجيوشى بعدها الى الحجاز وأقتل أهله بحد الحسام الصمصام وأقتل هذا الذى ذكرتم لى أن اسمه عنتر بن شداد وآخذ بثار عمى ومن قتل له من الاولاد وأهلك من لنا من الاعداء والحساد (قال الراوى) ثم ان الملك الجوفران لما فرغ هو والوزير من ذلك الكلام أمر جيشه بالرحيل ودق كاسات التحويل وأخذوا أهبتهم وامتثلوا مقاله وما مضى على ذلك الامر الا مقدار عشرين يوما حتى فرغ من جميع أشغاله وسار فى عساكره وأبطاله وسافرت والدته الملكة مريم فى صحبته وذلك خوفا عليه وشفقة منها اليه ولكن لم تعلمه بشئ من قصته حتى تعرف آخر فعلاته قال ولم يزل الجوفران سائرا الى ان وصل الى شاطئ البحر وأطراف الجزائر ونزل فى المراكب بجميع ما حازه من تلك العساكر وقد طاب لهم الريح باذن العزيز القادر حتى وصلوا الى ساحل طرابلس وطلعوا الى تلك البرارى كما قدمنا ووصلوا الى مدينة الشام كما ذكرنا وملكوا البلاد على حسب ما شرحنا وسارت الملكه حليمة الى بنى عبس واستجارت بهم فأجاروها كما وصفنا وساروا فى صحبتها وجرى من الامر والقصة ما قدمناه وعرف الجوفران أخته عنيترة والغضنفر وانهم الثلاثة أولاد عنتر وعدنا الى سياق الحديث والخبر (قال الراوى) ولما اجتمع الملوك فى السرادق عند الملك الجوفران وخلع عليهم الخلع الغالية الاثمان وأركبهم الخيل البحريه التى لم يوجد مثلها عند الملك كسرى أنوشروان وعرفه أخوه الغضنفر بموتة أبيهم عنتر ثم انه شرح له ما كانوا عليه عازمين وعلى أخذ ثاره قادمين فأتت اليهم حليمة واستجارت بهم فاجاروها وحكت الى الملك الجوفران كيف أتوا معها وفى صحبتها بنو عبس لاجل أن ينصروها وأخبرته بالقصة التى جرت وأيضا سأل المقدمين عن أبيه عنتر فذكروا له ما وقع به من الامر المنكر فعند ذلك حلف الجوفران وشدد بالاقسام وقال لآخذن عظام أبى وأتركها فى نطع قديم وأحيط عليها وأحلف انى ما أدفنه دون ما آخذ بثاره من

سائر العرب الذين قتلوه وآخذ بثار بنى عبس من القبائل التى اجتمعت عليهم لما فقدوه قال فلما سمع الملك الغضنفر كلام الجوفران أخيه أمر باحضار الثوب الذى عليه دماء عنتر أبيه وكان دم عنتر من يوم ان قتل لا يفارقهم لا فى السفر ولا فى الحضر فعند ذلك أحضروه فى الحال بين يديه وهو فى ثوب أدم مخيط عليه فبكى الجوفران وتباكت الرجال من حواليه وتصارخت الرجال تقربا اليه هذا وشيخ العرب دريد قد ناله أعظم منال وكذلك عمرو ذو الكلب فعل مثل تلك الفعال فعند ذلك نهض الجوفران قائما على رؤس الملوك والفرسان ونادى يا ملوك الزمان اشهدوا على انى وحق مكون الاكوان وخالق الانس والجان لا بقيت أذوق الشراب ولا ألبس من الحرير ثواب حتى آخذ بثار أبى من جميع العربان وأول ما أبدأ بهؤلاء الذين يقال لهم بنو نبهان ثم انه أشار الى شيخ العرب دريد بن الصمة دون من كان حاضرا فى ذلك المكان لما ظهر عليه من الكبر وعلو الشان وقال له يا شيخ اكتب لى أسماء القبائل التى اجتمعت بعد قتل أبى على هلاك بنى عبس حتى أسير اليها وآخذ منها بالثار ولو وصلت الى طالع الشمس قال فعند ذلك ابتدأ الامير دريد وجعل يذكر له القبائل ويخبره عنهم الفارس والراجل وأول ما كتب بنو جشم وهوازن ولم يكن فى ذلك الامر متهاون لانها كانت شاركت العرب فيما فعلت وكان دريد نهاها عن ذلك فما انتهت قال ولما فرغ الجوفران ودريد من كتابة القبائل ولم يفته منهم لا فارس ولا راجل فعند ذلك استدعى الجوفران بخازن السلاح فحضر الى بين يديه فأمره أن يعرض خزائن السلاح عليه وقال ائتنى بالدروع السوابغ التى هى برسمى فاحضرت اليه وكانت مغموسة بالذهب الاحمر وقال لهم ائتونى بالدروع التى بخزانتى فى عاجل الحال أحضرت فصار يأخذ منها درعا بعد درع ووجهه لذلك الفعل عابس وصار يتركها فى الخل فتصير سوداء مثل الليل الدامس وكذلك فعل بالخود وسائر الملبوس والزرد هذا كله يفعل والملوك شاخصة بابصارها اليه ولم يقدر أحد ممن ينظر هذا الفعل أن يسأله عليه ثم انه بعد ذلك دعا بالثياب الكتان المصبوغة بالاسود وفصل منها ثوبا وعمائم تكفى عرب البر والفدافد ثم انه بدأ بنفسه وخلع ما كان عليه من الملبوس النفيس ولبس عنه ثوبا خاما أسود وعمامة سوداء وغير حالته حتى بقى فى حال مهول وحلف برب مكة والحجر الاسود انه ما بقى يخلع لباس السواد حتى يأخذ بثار أبيه عنتر بن شداد قال فأول من وافقه على ذلك الغضنفر وأخته أم الزعازع عنيترة بنت عنتر ولبسا كما لبس من السواد وتظاهروا كلهم بلبس الزرد ومن فوقه أثواب السواد وكذلك فعل ياسر بن ميسرة وابن مازن ليث الميدان وزيد بن عمرو وذو الديال بن الغضبان وكذلك فعل مثلهم عمرو وذو الكلب وابن مقرى الوحش بجميع اليمن وكذلك وافقهم الملك زهير ومن معه من بنى عبس الشجعان وتقدم دريد بن الصمة ليوافق القوم على ما هم فيه من تلك العلة فأقسم عليه الجوفران انه لا يفعل لا هو ولا بنو عمه شيأ من ذلك الفعل وقال له يا أبا النظر أهل الميت أولى بالبكاء ولا بهذا الفعل نريد منك جزاء ثم ان سائر الملوك وسائر الصغار والكبار لبسوا السواد وتظاهروا بالحداد ثم ان الملك الجوفران نصب له بيتا من الشعر الاسود الحالك وبنو عبس وبنو قضاعة جعلوا مضاربهم كذلك وفعلت الافرنج جيوش الملك الجوفران مثل ذلك وبعدها أقاموا على دمشق عشرة أيام وبعد ذلك عزموا على الارتحال فبينما هم على ذلك الحال واذا بغبائر رومية قد طلعت وأعلام قيصرية قد بدرت وكانت هذه الغبائر غبائر الملك هرقل ابن الملك قيصر وكان السبب فى مجيئه الى هذا المكان عمرو بن الحارث سيد بنى غسان وذلك انه صح عنده ان الملك الجوفران ابن عنتر فارس بنى عبس وعدنان قد اصطلحوا وطابت قلوبهم بذلك الشان فانفذ على أجنحة الطير وأعلم الملك قيصر فحار قيصر هو وأولاده من ذلك الخبر وأخذه الوسواس والفكر لانه كان حل على قلبه هما عظيما بسبب الجوفران وظهوره من تلك الاقاليم فانفذ ولده هرقل بهدية حسنة للجوفران وأخيه الغضنفر لما سمع انهما أولاد الامير عنتر وأنفذ اليهما يأمرهما بالمسير الى القسطنطينية ليكمل عهدا بهما ويزيدهما من العطية قال فعند ذلك ركبت الملوك والامراء والفرسان الى ملتقى الملك هرقل من أبعد مكان وترجلوا له وعظموه ومشت بنو عبس بين يديه واحترموه وهم كأنهم الغربان السود فسألهم الملك هرقل عن حالهم وما هم فيه من ذلك الشان فعند ذلك أخبره الملك عمرو بن

الحارث صالهم والاعيان التي حلفها الجوفران فتعجب من فعالهم و بعد ذلك نصب لهم الملك عمرو سرادقا عظيما
من الحرير المختلف الالوان وأنزلهم بعد ذلك الى الصباح في الميدان ولما كان من الغداة استأذن الملك هرقل
في الدخول الى البلد وكذلك الجوفران وأخوه الغضنفر فأجابوه الى ذلك ودخلوا دمشق وأدخلهم الى القصر
وهو لا تسعه الدنيا مما حصل له من الفرح والنصر و بقي معهم الملك هرقل عشرة أيام وهم يرتعون في حلل
الافتخار والانعام و بعد ذلك أمرهم الملك هرقل بالمسير معه الى مدينة القسطنطينية فأجابوه بالموافقة على تلك
النية ورحل معه من الشام أولاد أبي الفوارس عنتر وهم الجوفران وعنيترة والغضنفر قال هذا والملك هرقل
قد سير قدامه بشيرا يعلم أباه الملك قيصر فلما بلغ قيصر ذلك الخبر فرح واستبشر وأمر بتزيين البلد وقد نادى
المنادي في المدينة أنه لا يبقى أحد من النساء ولا من الرجال الا و يطلع الى لقاء الملك هرقل وفرسان الحجاز
الابطال وركب أيضا الملك قيصر في عشائره وحجابه وسائر خواصه ونوابه وسار من البلد مسافة يوم كامل
وهو بتلك العشائر والجحافل حتى لاح لهم غبار الملك هرقل ومن معه من الفرسان وانكشف عنهم الغبار
وبانوا للعيان ونظر بنو عبس الى رايات الملك قيصر والصلبان فأسرعوا الى ان تقربوا من الملك ودنوا من
بعضهم الطائفتان فعند ذلك ترجل الملك قيصر وكذلك فعلت فرسان بني عبس مثل ما فعل وترجلت أمراء
الفرسان والعربان وترجل الغضنفر وأخوه الجوفران وكذلك أم الزعازع وليث الميدان وياسر بن ميسرة
والديال بن الغضبان وكذلك شيخ العرب دريد بن الصمة وخفاف بن ندبة ودثار بن زروق ومن معهم من
الشجعان وأقبل أكابر الجميع الى بين يدي الملك قيصر ملك عبدة الصلبان وقبلوا رجله في الركاب وبدؤه
بالسلام والخطاب الا الملك الجوفران وأخاه الغضنفر فانهم لم يفعلوا ذلك الحال لان أنفسهم أنفس الجبابرة
من الملوك الاوال غير انهما بدآه بالسلام فعند ذلك التقاهم أحسن ملتقى وتبسم في وجوههم وقد أخذه
العجب من زيهم وملبوسهم وسأل ولده هرقل عما هم فيه من ذلك السبب فأعلمه بما جرى منهم وما اتفقوا عليه
فتعجب غاية العجب * قال ولما فرغوا من السلام على بعضهم عادوا راجعين الى القسطنطينية وقد انتشروا في فسيح
تلك الارض حتى أشرفوا على المدينة وأمرهم الملك بالدخول الى البلد ليشرفوها وهم بتلك التجملات وتلك
الزينة فأبوا عن ذلك الشان وقالوا يا ملك الزمان نحن علينا عهود وأيمان اننا لا ناوي الى الجدران ولا
نستظل بسقف ولا حيطان ولا نحضر شرب مدام ولا نفارق لبس الحسام ولا نلتذ بمنام حتى اننا ناخذ من
جميع العدى ثارنا بحد الحسام ونفني جميع أعدائنا اللئام فقبل الملك قيصر عذرهم بذلك الشان وأنزلهم في
مرج على باب القسطنطينية وأخرج لهم الزاد والعلوفات وأقام موائده والملك كل يوم بنفسه يخرج ويزورهم
و ينزل عندهم في ذلك المرج و يسألهم عن أمورهم و يذكر لهم الامور التي تشرح بها الصدور والى أن كان آخر
يوم حضر الملك قيصر و باسطهم بالحديث وقد زادهم في علو الشان فعند ذلك نهض الملك الجوفران قائما على
قدميه دون كل الناس وقال للملك قيصر يا ملك الزمان إن أردت ان تنفذ من نوابك من تختاره الى جزيرة
الكافور وقلعة البلور و جزائر الواحات واعمالها من تلك المقامات فافعل فليس لي حاجة من تلك البلاد
ولا بقي لي رغبة في سلطنة ولا حكم على أحد من العباد ولا بقيت أقدر على فراق اخوتي و بني عمي الذين بهم فرج
همي وغمي قال ففرح الملك قيصر بذلك الكلام وأجابه الى ذلك المرام وفي عاجل الحال أحضر لهم
الاموال العظام والثياب الفاخرة التي يلبسونها حين يفرغون من ذلك الاهتمام ووعدهم بالخيول المسومة
والرايات والاعلام وأنعم عليهم غاية الانعام ثم ان الملك قيصر قال للملك الجوفران اعلم ان جميع خزائنك
وأموالك التي في البلاد هي لك واذا طلبتها أرسلها اليك وأنا وأولادي وسائر بلادي بين يديك ولا نبخل بشيء
منها عليك قال فشكره على ذلك الجوفران وعنيترة والغضنفر وسائر العربان ثم انهم طلبوا الاذن في
الرحيل فعند ذلك قال له الملك قيصر يا فارس الزمان دع كل شيء على حاله الى ان تاخذ ثار أبيك وتواريه الى
ترابه وارجع الى أهلك و بلادك لانك قد ملكتها بعد أبيك بقائم حسامك وما لنا الا رضاك رحم الله أباك
(قال الراوي) فشكره على ذلك الجوفران وقبل يده وأثنى عليه ثم انهم طلبوا الاذن في الرحيل فأذن لهم

وأمرهم بسرعة التحويل فباتوا تلك الليلة الى الصباح ثم اهتموا وعزموا على الرواح وساروا طالبين بلاد
الشام وقد سار معهم هرقل ابن الملك قيصر لاجل وداعهم ثلاثة أيام و بعد ذلك حلفوا عليه و ردوه بالعنف
والارغام ولم يزالوا سائرين ليلا ونهارا يقطعون تلك البراري والقفار الى ان وصلوا الى دمشق الشام ونزلوا في
تلك البروج الفياحة واستقر بهم المقام وأخرجت لهم الملكة حليمة الاقامات والعلوفات وأنواع الطعام
وأكرمتهم هي وأخوها غاية الاكرام و بعد ذلك أحضر الملك الجوفران ما تحت يده من العشائر وجهز
أحوالهم وأمرهم بالسفر الى ناحية بلادهم وأماكنهم وذلك المستقر ثم ان الملك الجوفران قال لوالدته الملكة مريم
يا أماه هل تختاري معي السفر مع اخوتي عنيترة والغضنفر والا ترجعي الى جزيرة الكافور وتقيمين على ما لك
وما تحت يدك من الجيش حتى آخذ ثار والدي من العدى وأقر بعد ذلك وأهدى فقالت له يا ولدي وحق
المسيح ليس لي على فراقك مصطبر لانك أنت السمع والبصر ثم انهما بعد ذلك عزما على المسير وسرعة التشمير
الى ناحية بلاد الحجاز لينجزوا ما هم عازمون عليه من أخذ الثار غاية الانجاز فعند ذلك تقدم الغضنفر بين يدي
أخيه الجوفران قبل ان يركب وقدم له مركوب أبيه كوكب والمهر غيهب وقدم له الدرع الداودي والدرع
المذهب وقال له يا أخي هذا مركوب أبيك وهذا سيفه الضامي وسلاحه وأنت أحق به مني لانك أنت ولده الكبير
وأنا الاصغر لان أختي عنيترة كانت قدمت لي ذلك وأنت أحق به مني فقال له الجوفران وحق من خلق الشمس
والقمر وانبع الماء من الحجر اني ما أركب جوادا أنت علوته ولا ألبس ثيابا أنت لبستها ولا سلاحا تقلدت
به فهاأنت والله أخي ابن الامير عنتر أبي ومشاركي في حسبي ونسبي ثم ان الجوفران تقدم ومسك ركاب
أخيه الغضنفر وأقسم عليه برب الركن والحجر انه يركب كما أمر و بعد ذلك ركب الجوفران الآخر وركبت
سائر العربان و بقية العشائر وساروا طالبين البر الاقفر وقد نشرت الراية العقاب على رأس الملك زهير وقد
حفت به السعادة والخير وعاد عز ملك بني عبس كما كان وصار أقوم وأعظم صولة وأثبت وأعلى شان وساروا
طالبين أرض الحجاز وذلك البر والمفاز لاجل أخذ الثار وكشف العار وعنيترة والغضنفر أفرح الخلق بأخيهم
الجوفران الذي ظهر انه ابن أبيهم عنتر وساروا والثلاثة كل واحد منهم مقدم جيشه (قال الراوي) ولما تمادى
بهم المسير افتكر عمرو وذو الكلب في تقلبات الزمان وما يفعل بالانسان وتذكرا أيضا مصاحبتهما لعنتر وما
كان فيه من ذلك الشان وكذلك شيخ العرب دريد بن الصمة تذكر ما كان لعنتر عليه من الايادي والاحسان
فتجددت عليهم الاحزان ولكن زادت أفراحهم بأولاد عنتر هؤلاء الثلاثة وسلاهم فرحهم عما هم فيه من
الاضغان فعند ذلك حلف الملك الجوفران على شيخ العرب دريد بن الصمة انه لا يتعب نفسه معهم لاخذ الثار بل
يسير من هنا الى دياره والاوطان فعند ذلك أجابه دريد الى ما أمر وترك عنده خفاف بن ندبة ودثار بن زروق
والعباس بن مرداس ومن معهم من الناس وسار الى دياره الان أولاد عنتر جدوا المسير ليلا ونهارا يقطعون
البراري والقفار والسهول والاوعار وقد اتفق بينهم الحال انهم اذا عزموا على الحرب والقتال يجعلوا غزوهم
على ديار بني نبهان حتى يأخذوا منهم بثارهم ويقلعوهم غاية القلعان (قال الراوي) فبينما هم سائرون
وفي سيرهم مجدون واذ قد ظهر من بين أيديهم غبار حتى اسودت منه الاقطار وتكدرت تلك البراري والقفار
من عظم ذلك الغبار الذي أذهل النظار وحير الافكار وشغل الاسرار قال فتوقفت بنو عبس عن المسير
في ذلك البر والفدافد وقد اشتغلوا بذلك الغبار الذي في نحوهم و بعد ساعة انكشفت تلك الغبائر وتمزقت
والى السماء تعلقت وبان من تحتها أسنة رماح تلمع و بيض تشعشع وصهيل خيولهم قد ارتفع فعند ذلك
أشار الملك الغضنفر الى عمه جرير وابن عمه الخذروف وقال لهما اكشفا عن خبر هذا الغبار الطائر وذلك الجيش
العابر وانظرا الى أين هم قاصدون في هذه القفار وهم واردون من أي ديار وعودا الينا بيقين الاخبار قال فلم
تكن الا ساعة من النهار حتى وصل اليهما ابهم الخذروف وعمه جرير وقد تحققا ذلك الجيش الكثير فوجدوهم
كلهم سودان وكلهم من أولاد حام وهم دهم الالوان كأنهم الغربان فعند ذلك تبادر منهم جماعة كأنهم

العقبان واحتاطوا بجرير والخذروف وأحضروهما بين يدى مقدم السودان والزنج والحبشان فناداهم حاجب الملك من تحت الرايات والاعلام وقال لهما ان الملك يقول لكما لا تخافا ولكما الامان والذمام ان صدقتما فى الكلام يا أولاد الاعمام وأخبرتموه عن هذا الجيش القادم من أرض الشام والى أين قصدهم والمرام ومن هو الحاكم عليهم فى النقض والابرام فعند ذلك قال لهم جرير يا أولاد الخالة الكرام والله انى أخبركم بالصدق فى الكلام وأعلمكم بان هذا الجيش السائر من أكرم القبائل والعشائر وهم بنو عبس أصحاب العز والثناء والمفاخر والمقدم عليهم الفارس الاسود والبطل الغضنفر ابن ابى الفوارس عنتر وايضا قاتل الفرسان ومبيد الشجعان أخوه الملك الجوفران وأختهم أم الزعازع ولبوة الوقائع الضاربة بالحسام الذكر عنيترة بنت عنتر وكذلك مجندل الاقران والحائزون قصب الرهان الامير يامر وليث الميدان وأسد الفوارس والديال ابن الغضبان وأما سبب مجيئهم من أرض الشام وتلك البلدان فهو انهم طالبون ثارهم من سائر العربان وقد جعلوا أول قصدهم الى بنى نبهان (قال الراوى) فوالله ما أتى جرير على آخر ما أبداه من الكلام الا وصرخة عظيمة قد بدت من تحت الاعلام وفارس قد ترجل عن جواده من بين تلك الصفوف وسار على عجل حتى صار قدام جرير والخذروف ونادى وقال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ان هذا جرير أخو عنتر فعند ذلك حار جرير من معرفته وتعجب من أمره وقصته قال ثم ان المتكلم قال له يا فتى أما أنت جرير بحق اللطيف الخبير قال نعم وحق الرب القدير (قال الراوى) وكان هؤلاء السودان جميعهم قد ترجل وكل منهم عن جواده قد نزل كرامة لهذا الفارس الذى نزل فى الاول ثم انه ناداه يا جرير ما أظنك حققت معرفتى فقال جرير لا والله يا مولاى انى قد أشكلت على قصتك فقال له أنا الملك صفوان بن معدان صاحب بلاد السودان وأنا خالك وخال أخيك عنتر بن شداد وسبب وصولنا الى هذه البلاد انه قد وصل خبر أخيك عنتر الينا واخبار اجتماع العرب عليكم فصعب ذلك الامر علينا ووصل بعد ذلك الينا خبر عنيترة أم الزعازع وما فعلت من الوقائع وما تجمع عليها من العشائر وكم أبادت من العساكر وظهور أخيها الملك الغضنفر وكيف انه ظهر انه ابن عنتر فلما سمعنا ذلك فما فينا الا من فرح واستبشر وأملنا بوجود هؤلاء النصر والظفر وأيضا قد وصلت الينا الاخبار انهم قد جمعوا وقصدوا أخذ الثار وكشف العار فسرنى ذلك وأتيت الى معونتهم فى هذا الجيش الجرار وقد جمعت عشائرى وأجنادى وملوك أرضى وبلادى وقد أتيت بهم لاخذ ثار ابن أختى زبيبة وأمحو عنى ما نزل بى من المصيبة قال فعند ذلك فرح جرير الفرح التام لما سمع من خاله ذلك الكلام وقال له والله يا خال انى أعلمك بشئ يزيد فرحتك وعلو شأنك وتزداد به يقينا وبرهان وذلك انه قد ظهر لاخى عنتر ولد يسمى الجوفران وقد صار ملكا من ملوك الزمان وقد ترك ملكه وما هو فيه من تلك الايسار وأتى معنا يساعدنا على أخذ الثار وكشف العار قال فلما سمع الملك صفوان من جرير والخذروف تلك الاخبار أخذه الفرح والاستبشار وعاد جرير والخذروف على الآثار وهما كأنهما شعل النار حتى وصلا الى بين يدى الملك وأخيه الملك الجوفران وأخبروهما بخبر أخوالهم السودان وقالوا لهما لقد عظمت أحوالكم وزادت أفراحكم وقد نلتم آمالكم بقدوم صفوان ملك السودان خالكم فها هو قد أتى اليكم يساعدكم على أخذ ثاركم فقال له الجوفران أوضح لنا عما معك من البرهان وبين لنا صحة هذا الكلام واخبرنا بما جئت فيه والسلام فقال جرير اعلم يا ابن أخى ان هذا الجيش القادم هم أخوال أبيك عنتر والمقدم عليهم أخو ستك زبيبة أخت الملك الاكبر وهذا الملك صفوان بن الملك معدان وقد أتى فى عشائر السودان ليعينكم على أخذ ثاركم من العربان ثم انه أخبرهم بالخبر وأطلعهم على ما خفى وما ظهر فما منهم الا من فرح واستبشر وزاد بنى عبس الفرح والسرور وتبادرت الفرسان الى بعضها مثل الطيور ووصلت عشائر السودان وترجلت الملوك للملك صفوان بن معدان وترجلت أيضا فرسان بنى عبس وعدنان واعتنقت بعضها بعضا الطائفتان وانتشروا فى فسيح تلك الارض والمكان (قال الراوى) هذا والملك زهير قد أقبل مثل الاسد الوثاب وعلى رأسه راية أبيه وجده العقاب وطلب أن يترجل فلم تمكنه عنيترة من النزول الى صفوان ليكون ذلك أعلى له قدرا وأرفع شان وكذلك الملك

الجوفران لم يترجل لانه جبار من جبابرة الزمان ونفسه نفس ملك مرتفع القدر وكذلك أخوه الملك الغضنفر بل أقبلوا على بعضهم جميعا وهم ركاب وسلموا على بعضهم سلام الاحباب للاحباب وضربت السرادقات والاطناب ونزلوا فيها وقد تذكروا من قتل لهم من الاصحاب وعظم البكاء والانتحاب (قال الراوى) ولما قر بهم المقام أخذوا فى الراحة ثلاثة أيام ثم أجمعوا أمرهم ورأيهم على المسير لاخذ الثار فقال الملك ما الرأى الا أننا نسير الى الديار حتى ننزل فيها ويقر بنا القرار وتستأنس الديار بالسكان وتجتمع فيها الخلان وينظرها ابن عمنا الجوفران وكذلك خالنا الملك صفوان بن معدان ويجتمع علينا أيضا من يحبنا من العربان فقال له سائر الملوك ان هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب واتفقوا كلهم على هذه المآرب ورحلوا فى اليوم الرابع يقطعون البر والسباسب (قال الراوى) ولم يزالوا يقطعون الاودية والقفار ويجدوا فى المسير ليلا ونهار حتى انهم وصلوا الى الديار ونزلوا فيها واستقر بهم القرار ونصب بنو عبس وعدنان البيوت الشعر التى اصطنعها لهم الجوفران وآنست تلك الديار بالسكان والاوطان بالقطان وصارت الديار أعمر مما كانت وأكثر رجالا وفرسان لان قبيلة بنى عبس كانت عدتهم فى سالف الازمان أربعة آلاف عنان وكلما فقد منهم أحد ينتشى عوضه من الشبان فلما انتهى بهم الامر الى هذا الاوان اجتمعت فرسان بنى عبس الذين كانوا تفرقوا فى الجبال والوديان لما كانت اجتمعت عليهم قبائل العربان وفعلوا فى حقهم ما فعلوا من ذلك التشتت والهوان وقتل فى تلك المرة حصن بن حذيفة وابن أبى حارثة سنان لما كان أشار الملك قيس على بنى عبس بعرقبة الجمال وذبح الفصلان وخرجت بنو عبس وهجت فى الصحارى والوديان ولم يزالوا الى ان أتى عليهم هذا الاوان وجاءت اليهم تلك الملوك والفرسان وقد اجتمعوا من كل جانب ومكان وأقاموا تحت ظل الاميرة عنيترة والغضنفر والجوفران فكانت عدتهم ثلاثة آلاف عنان وبنو قضاعة أربعة آلاف من الشجعان والملك صفوان بن معدان فى خمسة آلاف من السودان واجتمع عليهم من أصدقائهم وحلفائهم أربعة آلاف عنان فصارت عدتهم ستة عشر ألف حتى ضاقت بهم تلك الصحارى والوديان ونصبوا للملك الغضنفر وأخيه الجوفران على العلم السعدى راياتهم وصار لهم عز وشان وقول وامكان وأقامت بنو عبس تصنع الولائم ويرتع فيها القاعد والقائم وقد أخلف عليهم الزمان عوضا عن عنتر بن شداد وصارت أحسن ما كانت أبيات بنى قراد وانضاف الى عنيترة الخذروف وجرير وزخمة الجواد وزيد بن عروة وسبيع اليمن بن مقرى الوحش ويامر وليث الميدان والديال بن الغضبان وكان قد نشأ العصوب ولد فى بنى قضاعة يقال له أسد الفرسان وكان بطلا مداعسا وانضاف الى عنيترة مع جملة الفرسان لانه كان يعد بجماعة من الاقران وكان كل واحد من هؤلاء الفرسان بخيام ومضارب وخيل وجنائب وأموال ونعم وأصحاب وأحباب وكان بنو زهير قد انقرضوا ولم يبق منهم الا زهير بن قيس وكانت عنيترة توقره هى واخوتها ولا يردون عليه كلمة واحدة ولا يعدوه الا من الملوك الكبار مثل ما فعل عنتر مع أبيه قيس اذ كان يوقره غاية الوقار وأما بنو زياد فانهم انقطعوا عن آخرهم ولم يبق منهم لا ديار ولا نافخ نار ولم يبق منهم الا الشمر بن زياد الذى قتل الحسين بن على بن أبى طالب فى أرض كربلاء ومات بدعوة كانت قد سبقت عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بالعطش فصار يشرب كل يوم عشر راويات ولا يروى حتى انقطعت أمعاؤه وانفقعت بطنه ومات وشرب كأس الممات (قال الراوى) وبقيت هذه الثلاثة حماة لبنى عبس وبنى قضاعة ومن معهم من العرب الامجاد كما كان أبوهم على بنى عبس عنتر بن شداد وقد دار بينهم الكلام والامير الجوفران يسمع ما جرى على أبيه وعلى قيس واخوته فى بنى نبهان والاعادة ليس لها افادة وكان الذى يقص عليهم هذه الاخبار الامير ورقة بن الملك زهير (قال الراوى) فلما سمع زهير بن قيس كلام عمه ورقة بكى بكاء شديدا فقالت عنيترة مالك أيها الملك لا أبكى الله عينك ولا شمت بك أعداك ولا الحساد وكيف تبكى ونحن حولك مثل الآساد وكذلك من جملة الغلمان وكل فارس منا مقاوم بجماعة من الفرسان فدع عنك البكاء والانين والاشتكاء وسر بنا الى بنى نبهان حتى نأخذ بثار أبيك وأبى سيد الفرسان وأخلى ديارهم مثل أمس كان ثم ان عنيترة التفتت الى خالها عمرو ذى الكلاب وقالت له يا خال

خذ أهبتك الى الطعن والضرب فعند ذلك قال الجوفران لعمه جرير أريدك أن ترينى قبر أبى عنتر حتى أنظره
وأشاهد مضجعه ومقبره فقال له جرير اتبعنى وأنا أريك ذلك ثم انه سار قدامه والجوفران واخوته من ورائه الى
أن وصلوا الى قبر أبى الفوارس عنتر فعند ذلك نزل الجوفران عن ظهر جواده وبدأ كثير من بكائه وتعداده
وقال واحزناه عليك يا والدى ليتك كنت بالحياة وتنظر الى أخذ ثارك وتبصر ما يجرى للعرب ولكن وذمة
العرب وشهر رجب والذى اذا طلب غلب لا آخذ ثارك الا وأنت تشاهد وتبصر حتى تنظر من ينتصر منا ومن
يخسر ثم انهم ركبوا وعادوا الى خيامهم فعند ذلك أقبلت عنيترة على أخيها الجوفران وقالت له ما الذى عولت
لانك أقسمت أن لا تأخذ لأبيك بالثار الا وهو فى جملة النظار فبين هذا الكلام وكيف أقسمت بتلك الاقسام
فقال سوف ترون ما أفعل ثم صبر لثانى يوم وركب وسار واخوته معه الى ان وصل الى قبر أبيه واخوته يتعجبون
من فعاله فعند ذلك أمر عمه جرير ان يحفر قبر أبيه فحفره واذا بها عظام بالية ناخرة فأمر بنطع من الاديم وان
يدرج فيه عظام أبيه عنتر فسأله اخوته عن الخبر فقال لهم انا أريد أن أحمل أبى قدامنا على جمل وكلما قتل
أحد من الاعداء أعرضهم عليه وهو يشاهد ذلك بعينيه فقالت عنيترة يا أخى هذه عظام بالية لا تدرى ما الخبر
فقال وحق ذمة العرب ان لم تطاوعونى على ذلك قتلتكم وقتلت روحى بعدكم فعند ذلك سكتوا عن جوابه
(قال الراوى) ثم ان عنيترة صرخت فى بنى قضاعة وقالت الخيل يا أرباب الخيل وأيضا الجوفران صرخ
بالعبيد فقدموا له جواد النوبة فركب وركبت لركوبه جميع الفرسان وساروا طالبين ديار بنى نبهان فقال
والله لابد أن أشتت شملهم فى جنبات الفلا ثم سار بنو عبس وبنو قضاعة من ورائه وجدوا فى المسير من تلك
الساعة وما زالوا سائرين الليل والنهار وهم يقطعون البرارى والقفار الى أن وصلوا الى أرض بنى نبهان
وأخذوا أهبة الضرب والطعان وباتوا تلك الليلة على رمل عالج ونيرانهم فى الرهايج الى ان أصبح الله بالصباح
فعند ذلك لبسوا آلة الحرب والكفاح ولما تضاحى النهار وقاربوا المراعى والديار أخذت عنيترة معها ألف
فارس وأغارت على أموال بنى نبهان وساقت كل ما هناك من الخيل والجمال وجميع ما نظرته امامها ولم يبق
الا الحجارة والحصى وكانت فى بنى نبهان خيول لا توجد عند سائر العربان وألقت عنيترة الضرب فى أقفية
العبيد وقتلت كل بطل صنديد فعندها وقع الصياح فى بنى نبهان وقد ركبت سائر الفرسان وفى أوائلهم
المهلهل أبو زيد الخيل ومعه كل فارس قبيل وكان أبو زيد الخيل ضعف ضعفا شديدا وهو فى حال عنيد وكان
بنو نبهان فى سبعة آلاف فارس وقتلت كل بطل مداعس وضربت عنيترة فيهم يمينا وشمالا وقد أفنت
الابطال والرجال وحمت تلك الالف فارس كما تحمى اللبوة الاشبال وما زالت كذلك الى ان أدركتها فرسان
بنى عبس وبنى قضاعة وكانت لهم ساعة يا لها من ساعة كشف الموت فيها قناعه فعند ذلك علا الغبار وعمل
البتار وقل الانتصار هذا وعنيترة تضرب فيهم ذات اليمين وذات الشمال وحار الابطال من فعالها ونزالها
وقاتلت الفرسان وصبرت الاقران وقل الكلام وثقل اللسان ورأت فرسان بنى نبهان من فرسان بنى عبس
وقضاعة قتالا ما نظروا مثله من فرسان ذلك الزمان وقد ملؤا من قتلاهم الميدان وحار من خمرة القتال من
كان سكران وقضى عليهم بالفناء من لا يشغله شان عن شان الذى اذا قال للشئ كن فيكان وتقهقرت بنو نبهان
وقد لزمهم بنو عبس الى ديارهم والاوطان وفعلوا فيهم كما تفعل النسور بالعقاب وقد أذاقوهم كأس الهوان
ولم يزالوا الى ان أظلم الظلام ومنعهم عن ضرب الحسام وقد افترق الجمعان وتحارس الفريقان وجمع المهلهل
سادات قومه وأكابر عشيرته وقال لهم اعلموا ان هؤلاء بنى عبس كان اسمهم بين العربان فرسان المنايا والموت
الزؤام وقد مات حاميتهم عنتر وذاقوا بعد موته البلاء المنكر وهجوا فى البلاد وشمتت فيهم الحساد والآن
قد انتشت فيهم هذه المقطوعة النخاع عنيترة التى قهرت كل بطل شجاع وقتلت كل قرم مناع وأسرت ذا الخمار
وعمه زرقاء اليمامة وقتلت سبع الفلاه وردت بنى عبس الى أرض الشربة وما كان تعرضنا لهم صواب
وكانوا أيام عنتر أربعة آلاف وهم الآن فى سبعة آلاف وفيهم عنيترة وعمرو وذو الكلب وقناصة الرجال وزيد
ابن عروة وزهير بن قيس والخذروف بن شيبوب وجرير الذى ماله فى الارض نظير وما لنا أوفق من البراز

لاننا نلتقط فرسان الحجاز فلما سمع كبار العشيرة ما قاله المهلهل سيد القبيلة بقى كل واحد منهم فى حيرة فقالوا
له أيها الملك من فى عشائرنا يقاتل عنيترة أو خالها عمرا وزيد بن عروة وعيينة بن حصن وزهير بن قيس
وهؤلاء فرسان البيداء وشجعان الفلاة ولولا أن يكونوا كذلك ما رجعوا الى أرض الشربة والعلم السعدى
وخافتهم جميع العرب ولا قدر أحد منهم أن يعيد ولا يبدى فعند ذلك نهض من بين القوم شاب مليح الشباب اسمه
جابر بن وزر الذى قتل عنتر وقال للمهلهل يا سيد بنى نبهان وحق ذمة العرب الى غد أبرز الى بنى عبس وأقتل
حاميتهم عنيترة كما فعل أبى بأبيها وأسكنه المقبرة وأقتل ابن عمها الخذروف وعمها جرير ولابد من قتل أخيها
الغضنفر وأفعل به فعلا منكر ولا أخلى من ذرية عنتر لا كبير ولا صغير فلما سمع ذلك الكلام المهلهل
فرح واستبشر وقال من تشبه بأبيه فما ظلم ثم ان القوم تفرقوا للمنام الى ان أصبح الصباح وركبت الفرسان
واصطفوا فى الميدان فأول من برز وطلب القتال وتقدم للحرب والنزال هو جابر بن وزر ونادى برفيع
صوته من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفا أنا جابر بن وزر ابن الاسد الرهيص فلا يبرز لى الا عنيترة
بنت عنتر حتى أذيقها الموت الاحمر فما استتم جابر كلامه حتى برزت عنيترة وسارت قدامه وقالت ويلك
يا كلب الجرب وأخس من مشى فى البيداء طنب أنت ممن يطلب فرسان العرب ثم ان عنيترة حملت على جابر
وكان من الفرسان المذكورة والابطال المشهورة (قال الراوى) فما وقف جابر بين يدى عنيترة غير ساعة
حتى صدمته صدمة الاسد وضربته بحسامها المهند فوقعت الضربة على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه
وسقط عن جواده الى وجه الارض وسار يختبط طولا وعرضا الى ان فارقت روحه جسده وعنيترة واقفة
عنده ولما مات طلبت عنيترة البراز وسألت الانجاز فلم يبرز اليها أحد لا أبيض ولا أسود فعند ذلك أشارت
الى بنى عبس وبنى قضاعة بالحملة فحملت على بنى نبهان وعمل بينهم السيف والسنان والتقت الاقران بالاقران
والفرسان بالفرسان وما كانت الا ساعة من الزمان حتى انهزمت بنو نبهان وطلبت البرارى والقيعان وعمل
فيهم الطعن بالسنان وما زال بنو نبهان هاربين وبنو عبس لهم طالبين الى ان ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار
وردت بنو عبس وبنو قضاعة ورقدوا فى خيام بنى نبهان وقد ملكوا المال والنوال والنوق والجمال والنساء
والعيال وكان قد قتل من بنى نبهان أربعة آلاف من الشجعان وكلهم أبطال وفتيان وجرح المهلهل جرحا
وثيق وقد عدم السعادة والتوفيق ولما أصبح الصباح نهبت بنو عبس وبنو قضاعة جميع ما كان فى ديار بنى
نبهان فى أقل من ساعة وما بقى غير بيت مقطوع ووتد مكسور وبقيت منازل بنى نبهان خراب ومنازل
للبوم والعقاب (قال الراوى) ثم رحلت بنو عبس طالبين ديارهم وقد أشفوا غليلهم من أعدائهم وبردت
عليهم نارهم وفضلة بن قيس راكب على جواد من خيل بنى نبهان ما يوجد مثله فى ذلك الزمان والى جانبه
عنيترة بنت عنتر والى جانبه الآخر عمرو وذو الكلب وزيد بن عروة وعيينة بن حصن والخذروف بن شيبوب
وجرير وهم راكبون على الخيول العربية وهم سائرون ومعهم من الاموال والغنائم ما سد الفضاء فرحين بما
أعطاهم الرب القديم من النصرة والظفر وما منهم الا من فرح واستبشر وقد هانت العرب فى عين بنى عبس
وبنى قضاعة وخافت من عنيترة جميع العربان واذعنوا لها بالطاعة فعند ذلك دارت بينهم المشورة
فى الكلام الى أى عرب يقصدون أولا حتى يأخذوا منهم بالثار ويفنوهم بالصارم البتار ويفعلوا بهم كما فعلوا
ببنى نبهان فاتفق رأيهم أن يجعلوا قصدهم الى بنى نبهان ثم انهم لم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى انهم
وصلوا اليهم وأغاروا عليهم وساقوا أموالهم من المراعى ولم يتركوا من رجالهم ساعيا ولا راعى فنفرت اليهم
بنو نبهان وقد حققوا ذلك عيان وعرفوا انهم من بنى عبس وعدنان فتقدمت بنو نبهان وفى مقدمتهم زيادة
ابن عامر النبهانى الذى ماله فى زمانه ثانى فلما علموا انهم من بنى عبس والمقدمين عليهم أولاد عنتر يقدمهم أم
الزعازع عنيترة بنت عنتر واخوتها الجوفران والغضنفر لانهم قد شاع ذكرهم فى القبائل واشتهر فتلقاهم
بنو نبهان بحد السيف ورأس السنان والغضنفر قد أخرج يده من جلباب درعه وهو يزعق يا لعبس يا لعدنان
الثار الثار هذا يوم كشف العار والطعن بالاسمر الخطار (قال الراوى) ولما وقعت العين على العين وتقابل

رجال الطائفتين انطبقت بنو عبس على بني نبهان من غير كلام ولا أوزان فالتقاهم القوم بقلوب صلاب وأخذوا في الطعان والضراب وصار الغضنفر يهبر الرجال هبرا ويجزرهم جزرا ويرميهم الى الارض خمسا خمسا وعشرا عشرا حتى فاضت الارض بالدماء وامتلأت بالقتلى وكلما اقتل قتيل ينادي يا لثارات بني عبس فاني أفديهم بالروح وبالنفس والدماء تسيل من حسامه والابطال ينهزمون من قدامه وكذلك فعل أخوه الجوفران وقد سطا على الفرسان وأهلك الاقران وأما أختهم عنيترة فكان لها هدير وزمجرة وكانت ساعة عسرة زاغ فيها من الشجاع بصره هذا وفرسان بني عبس أحلوا ببني نبهان التعس والنكس ولم يزل الامر كذلك حتى مضى النهار بابتسامه الضاحك وأقبل الليل بظلامه الحالك فعند ذلك افترق الطائفتان وأبعدوا عن بعضهم الطعان وكان قد قتل من بني نبهان ألف ومائة فارس من الفرسان وهزموهم بنو عبس الى الخيام ولولا قدوم الظلام ما بقي منهم شيخ ولا غلام فعند ذلك تحارس الجمعان وأوقدوا النيران ولم يزالوا الى ان أصبح الله بالصباح وركب بنو نبهان وقد افترشت في الصحصحان من خوفهم من الهلاك والقلقان وركبت بنو عبس وبنو قضاعة ومن يقدمهم من الابطال وقد استعدوا للحرب والقتال واذا بزائد فارس بني نبهان قد برز الى وسط الميدان واشتهر بين الفريقان وطلب البراز وسأل الانجاز وما تم كلامه الا والغضنفر قد صار قدامه وحمل عليه حملة منكرة وصدمه صدمة مذعرة فتلقاه زائد فارس بني نبهان واقتتلا الاثنان في الميدان وثار الغبار الى العنان وأخذا في أسباب الضرب والطعان ولم يزالا كذلك ساعة من النهار ثم ان الغضنفر طعنه بالاسمر الخطار فخرج من ظهره سبعة أشبار فوقع عن ظهر جواده وقد عدم صلاحه ورشاده وانمحت منه الآثار وبعد قتل مقدمهم لم يكن لهم اصطبار ولا ثبات ولا قرار بل حملت عليهم بنو عبس وحمل الملك الجوفران كأنه الاسد الهدار وكذلك أخته عنيترة قد اقتحمت الغبار وأما ياسر فانه مزق الدروع والمغافر وضرب في القوم ضربا وافر وابن مقرى الوحش سبيع اليمن قد أنزل بهن المحن ونثر الراس عن البدن وأما ليث الميدان فانه خيل الفرسان وأباد الشجعان وسقاهم كأس الموت ألوان وأما عمرو ذو الكلب فانه قد تجرد للطعن والضرب وأدمى الصارم العضب وأما دثار بن روق فانه ساق الفرسان بين يديه سوقا وأي سوق وأما خفاف بن ندبة فانه أحل بالفرسان كل بلية ونكبة وأما دريد بن الصمة فانه قد حمل عليهم سيف النقمة وأما ملوك السودان فانهم أحلوا بهم الذل والهوان فهنالك طارت الرؤس وزهقت النفوس وتكاثرت الابطال الليوث من كل بطل عبوس وليث شروس وكان وقتهم وقتا منحوس وتقاتلوا بالسيف والرمح والدبوس ولم يكن غير ساعة حتى قتلوا من الاعداء ألفا وأربعمائة قتيل والذين نجوا من الحرب والقتال تفرقوا من بين أيديهم في بطون الاودية والجبال وبعد ذلك دعر رحالهم واتفقوا في المقال على غزو بني هلال فساروا اليهم وهجموا عليهم وأوصلوا الاذية اليهم وحمل الغضنفر في أوائل القوم وهو ينادي اليوم ولا كل يوم ففي مثل هذا اليوم يزول العتب واللوم والملك الجوفران صاح وبذل فيهم الطعن بالرماح وحمل زخمة الجواد وحملت معه فرسان بني قراد فلله درهم كم أبروا كفوفا ومعاصم وفلقوا من أكف وجماجم وكم أثاروا من غبار وقتلوا كل فارس كرار وكشف الغضنفر في ذلك اليوم العار وأخذ الجوفران لابيه عنتر بالثار وفعلت عنيترة فعل الجبابرة الكبار وقتلوا من بني نمير الفين وستمائة فارس كرار فلم يكن لهم على قتالهم اصطبار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وأخلوا منازلهم والديار وسار بنو عبس من ديار بني نمير بعدما أحلوا بهم البلاء والتدمير ولم يزالوا سائرين في ذلك البر الطويل حتى وصلوا الى بني هذيل فحمل عليهم الغضنفر الاسد الرئبال ونادى على بني عبس دونكم وهؤلاء الانذال ابذلوا فيهم السيوف الصقال فلما سمعوا من بني عبس ذلك المقال أجابتهم الشجعان والابطال وحمل عند ذلك الملك الجوفران وكذا أخته عنيترة قاتلة الفرسان وحمل ياسر بن ميسرة وليث الميدان وسبيع اليمن والدبال بن الغضبان وحمل زخمة الجواد وحمل العباس ابن مرداس وخفاف بن ندبة ودثار بن روق وقد ساقوا الاعداء سوقا وأي سوق وأما دريد بن الصمة فانه في هذه الوقعة ما كان حاضرا بل ان الغضنفر كان قد حلف عليه وصرفه وطيب خاطره وقال له يا أبا النظر عد

من هناك الى ديارك وأوطانك لانك قد لقيت من أمرنا ما كفاك فسار الى دياره وترك عندهم خفاف بن ندبة ودثار بن روق والعباس بن مرداس وهؤلاء الثلاث كما ذكرنا كانوا من أقوى الناس فهنالك اختلط الجمعان وعمل السيف والسنان وحمل الملك الجوفران حملة الاسد الغضبان وضيق على الاعداء الميدان وأبلوا الاعداء بالذل والهوان فعند ذلك اشتد الحذر وصاح كل ليث قسور وعمل الحسام الابتر والرمح الاسمر وطارت الرؤس مثل الاكر هذا وقد تصادمت الخيل وجرى الدم مثل السيل ولم يزل بنو عبس يقتلون في بني هذيل حتى قتلوا منهم ثلاثة آلاف قتيل ولما رأوا أنهم ليس لهم ببني عبس طاقة ولا على حربهم استطاقة ولوا من بين أيديهم الادبار وركنوا الى الفرار فعند ذلك رجع بنو عبس عنهم وساروا طالبين ديار بني زبيد فارتبكوا في أمرهم وتجمعوا من كل قفر وبيد وتجمعت عليهم بنو طي وبنو مراد وقد ركبوا وفي أوائلهم عمرو بن معديكرب البطل الجواد وهو في أوائل الفرسان وعزموا على ملاقات بني عبس وعدنان لانها كانت فرقة من بني زبيد مقدار ثمانمائة فارس قصدوا الى بني عبس وقد تشاركوا في دمائهم فلما أقبلت التقتهم بنو عبس في ذلك اليوم بذلك الجمع من العرب والسودان وفي مقدمتهم أم الزعازع عنيترة قتالة الشجعان وأخوتها الغضنفر والملك الجوفران فعند ذلك احتاج عمرو أن يدافع عن نفسه وعن بني عمه فعند ذلك برز الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وقد طلب البراز وسأل الانجاز فبرز اليه الجوفران وقد انقض عليه بقلب من الحنق ملآن وتلاحما وتكافحا وتحاربا وتباعدا وتطاعنا وتضاربا وأخذا في الكر والفر والصد والرد والهزل والجد والمطاولة والمجاولة وأوسعا في الميدان وساقوا الجوادين حتى غابوا عن الاعيان واختلف منهم طعنتان واصلتان فكان السابق بالطعنة الملك الجوفران فطعن عمرا في جانبه فقلبه وقد أهدر بتلك الطعنة دمه وكاد أن يعدمه روحه (قال الراوي) ولما رأت بنو زبيد الى فارسهم وحاميتهم قد تمدد في تلك المهاد أطلقت الاعنة وقومت الاسنة وقد داروا بالجوفران من كل جانب ومكان واشتغلوا عن أمر عمرو وخلصوه من بين يديه وقد نصحوا تلك الساعة في الحرب والجلاد وأركبوا عمرا على ظهر الجواد فأخذ محاثانيا وحمل على بني عبس وعدنان فحملت أيضا بنو عبس وبنو قضاعة وكان قدام الفرسان الملك الجوفران وحملت أيضا السودان وحمل الغضنفر قدام الاقران خوفا على أخيه من نكبات الزمان وحملت عنيترة مع جملة الفرسان وحمل عمرو ذو الكلب وزيد بن عروة وسبيع اليمن وياسر وليث الميدان والدبال بن الغضبان وكان لهم ساعة من ساعات الزمان فأبادوا من بني زبيد الرجال وأفنوا الابطال وعظم الزلزال وسطت بنو عبس على بني زبيد وأحلوا بهم البلاء والتنكيل وصارت القتلى بين أطناب الخيم وقد سقوهم كاسات الموت ألوان وخرجت المخدرات وقد تشتتن في الفلوات وعلا منهم الانتحاب على من قتل لهم من الاصحاب وكان لهم ساعة يا لها من ساعة وكان بنو زبيد قد بلوا بما لم يطيقوا له طاقة ولم يجدوا لهم على ملاقات فرسان بني عبس استطاقة فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وخلفوا اغنائمهم وأموالهم ونوقهم وجمالهم فعند ذلك أمر الجوفران برد النسوان والاطفال وأمر بسوق الاموال والجمال (قال الراوي) وكان الجوفران سيف بني عبس والمشار اليهم فيهم في ذلك الزمان وعنيترة هي فارسة الفرسان والغضنفر حاميتهم من طوارق الحدثان وهو المقدم على كل من لهم من الفرسان فهذا كله يجري من هذا الامر الذي تحرر وجرى والخذروف واقفان بالجمل الذي عليه عظام عنتر ويقولان له اسمع يا أبانا ما نقول لك وابصر ان كان لا يرضيك فعالنا فنحن نفعل مثلها وأكثر وهي عظام بالية لا ترد جوابا ولا سؤال فعند ذلك يقولون أبونا ما رضي بهذه الفعال ولم يقنع بمن قتل من الفرسان وهو الى الآن لم يزل غضبان ثم يسيرون الى غزاة العربان (قال الراوي) ثم انهم بعدما فعلوا في بني زبيد تلك الفعال ساروا طالبين البراري والجبال وقد تقدم الجوفران قدام الفرسان وهو بما فعله فرحان فأشار ينشد ويقول هذه الابيات

ألا بلغ زبيدا وعمرا عنا * بانا كيف نفعل بالرجال * تركناهم على البيداء نرمي
ونسوتهم تردن العوالي * وأردفنا الفوارس من زبيد * بجمعهم على ظهر الجمال

وعمر وقد تركناه جريحا * يعج نجيعه تحت العوال
ولولا الليل ماردت زبيد * الى ابياتها يوم النزال

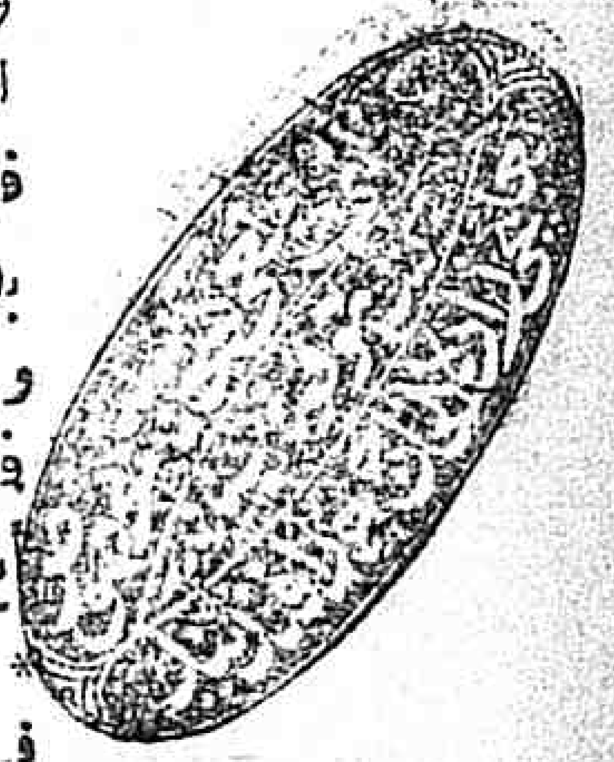
(قال الراوي) فلما فرغ الجوفران من ذلك النظام ساروا يقطعون البراري والآكام حتى وصلوا الى ديار بني همدان وأغاروا عليهم وأنزلوا بهم الذل والهوان ولم يزل الغضنفر وعنيترة والجوفران يقتلون منهم الشجعان ويدمرون الاقران وكان لهم ساعات من ساعات الزمان فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وقد قتلوا منهم الفين فارس كرار وأغاروا من بعدهم على بني جديلة وأحلوا بهم نوبة وبيلة وقاتلوا فيهم وأظهروا الحتوف حتى تثلمت في أياديهم السيوف وتجددت المطامع وصمت المسامع هذا وفرسان بني عبس صارت تضرب الاعدا الضرب الوجيع حتى أسالوا من الفرسان الدم النجيع وأجندلوهم على الصعيد حتى أفنوا كل بطل صنديد وأغاروا على فرقة من بني شيبان وأنزلوا بهم الذل والهوان وطردوهم على الصحصحان وقاتل فيهم الغضنفر وأخوه الملك الجوفران وعنيترة ومن معهم من الرجال والاقران وعملوا فيهم عمل النار في الحطب وافتخروا بفعالهم على سائر العرب وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفعلوا في حقهم فعالا ذميمة وأغاروا من بعدهم على بني تميم وأنزلوا عليهم العذاب الاليم ولم يتركوا في ديارهم الا كل رميم وأحلوا بهم الوساوس وقتلوا منهم الفا وستمائة فارس ثم انهم أغاروا على بني معاقل وأحلوا بهم البلاء النازل ونظروا منهم العظائم حتى لطمت عليهم اللواطم وقد مددوا الرجال على التراب وقتلوا منهم ألفا وتسعمائة من الاصحاب وأغاروا بعد ذلك على بني غيلان وانزلوا بهم الذل والهوان وسقوهم من كاسات العذاب ألوان وقتلوا منهم الف فارس من الشجعان ثم انهم أغاروا على بني ضهية وأحلوا بهم الرزيه وسقوهم من الموت شربة غير هنية وقتلوا منهم ألفا وثلثمائة وأغاروا بعد ذلك على بني ضبيان وشتتوهم في البراري والقيعان وقتلوا منهم الشيوخ والفتيان (قال الراوي) هذا كله يجري والجمل الذي عليه عظام عنتر واقف في الميدان وكلما قتلوا قبيلة تأتي اليه عنيترة واخوتها الغضنفر والجوفران وينادون له يا أبانا ها قد أفنينا العربان وأبدنا الفرسان يكفي ماتري يا زين الشجعان والا نعود على ما كنا عليه فلم ينطق بلسان لانه عظام بالية من سنين وأزمان فيقولون ان أبانا لم يزل غضبان وانه ما اشتفى قلبه من العربان الى هذا الآن سيروا بنا حتى نفني بقية العربان فهذا كله من جهل جاهلية العرب في ذلك الزمان وما زالوا في ضلال وعدم رشاد وطغيان (قال الراوي) ثم انهم أغاروا على بني قرع وأحلوا بهم الهم والفزع وفعلوا فيهم فعلا وبيل وقتلوا منهم ألفا وخمسمائة قتيل وبعدهم أغاروا على بني يربوع وأخلوا منهم الاطلال والربوع لان عتيبة بن شهاب تخلى عنهم وقال لهم انتم حضرتم وقعة بني عبس بجهالكم فخصم وأروحكم لحربهم ولاقوا البلاء الذي نزل بكم ثم انعزل عنهم فحملت عليهم بنو عبس وأحلوا بهم التعس والنكس وحمل في أوائلهم الغضنفر وعنيترة والجوفران وحمل عمر وذو الكلب وبقية الفرسان وانزلوا بهم الذل والهوان هذا وقد ضاقت على الاعداء المواضع وتركوا الطيور في لحومهم رواتع ومكنوا منهم السيوف البواتر وقتلوا منهم ألفين من الفرسان الاكابر ثم انهم أغاروا على من بقي من بني عامر وأداروا عليهم الدوائر ومكنوا منهم السيوف البواتر وقتلوا منهم ألفا وأربعمائة ثم انهم أغاروا على بني بارق وسلكوا عليهم المضايق ومكنوا منهم الرماح الخوارق وبان الكاذب من الصادق ودارت عليهم الدوائر ولم يدعوا منهم لا باديا ولا حاضر وقتلوا منهم ألف قتيل مشاهر ثم انهم أغاروا على بني ضرار وأخلوا منهم الديار فلاقتهم بنو سليم وبنو ضرار في ألف فارس من الابطال فلله درهم من رجال أقيال أجادوا معهم في القتال واشتد منهم النزال وعظمت الاهوال فعند ذلك سالت الدماء من المناكب وحلت بهم المصائب ودارت على بني سليم وضرار الدوائر والنوائب وتمكنت منهم المضارب ولم يبق منهم لا ماش ولا راكب فلله در الامير الغضنفر وعنيترة والجوفران وعمرو ذي الكلب وياسر وليث الميدان وزيد بن عروة وسبيع اليمن وأسد الفوارس والديال بن الغضبان على ما فعلوا بالفرسان الاخيار من بني سليم وبني ضرار وقتلوا منهم ثلاثة آلاف قتيل من الرجال الاخيار وأغاروا بعد ذلك على بني القين وأنزلوا عليهم العذاب المبين وقتلوا منهم ألفا ومائتين

(قال الاصمعي) وأبو عبيدة الراويان لهذا الكلام ولولا الاطالة لذكرت كل قبيلة بوقعتها وحربها وما جرى عليها من قصتها وكان عدد القبائل الذين أغاروا عليهم وأفنوا رجالهم وقتلوا أبطالهم قد بلغ مائة وسبعين قبيلة ما منهم الا كل بطل محارس قال ولما تسامعت بهم بقية القبائل وانهم فعلوا بالعرب هذه الفعائل تعلقوا في رؤس الجبال ومنهم من اختفى في بطون الاودية الطوال ولما أشفوا الغليل وفعلوا بالعرب ذلك الفعل الوبيل عادوا راجعين الى ناحية العلم السعدي وأرض الشربة ليجتمعوا بمن هناك من الاحبة والملك زهير بن قيس بين أيديهم كأنه الاسد الوثاب وقد نشر على رأسه راية العقاب والى جانبه الاميرة عنيترة واخوتها الغضنفر والجوفران وما منهم الا كل ليث قسور وهم فرحون بالنصر والظفر وبين أيديهم جرير والخذروف وبقية الفرسان ومن خلفهم الملك صفوان ولم يزالوا سائرين والخيل بينهم تجري حتى وصلوا الى أرض الشربة والعلم السعدي ولما وصلوا الى أرض الشربة واجتمع الاحباب بالاحبة فعند ذلك نزلوا فيها واستقر بهم القرار وآنست بهم الديار فعند ذلك بسطوا البسط والمفارش وجلسوا بالمضارب والخيام وأقاموا هناك خمسة أيام الى أن خلا بالهم من الضرب والصدام فعند ذلك أمر الغضنفر والجوفران بحضور جماعة من العبيد الاعيان العارفين بمنازل العربان فحضروا في عاجل الحال الى بين يديه فأمر زيد بن عروة أن يكتب الكتب ويسلمهم اليهم وأمرهم أن يسيروا بها الى قبائل العرب وجماعتها الذين اشتركوا في دماء بني عبس يوم قتلها وقد داروا عليهم وأخذوا منهم بالثار وكشفوا ما كان عليهم من العار (قال الراوي) وكانت نسخة الكتب وما تقرر بان أمر الملك الجوفران وأخوه الغضنفر وأختهم أم الزعازع عنيترة بنت عنتر وكذلك الملك زهير بن قيس ملك عبس المقتدر بان ياتي المقدمون منكم والابطال وكبار القبائل ويأتوا معهم بالنوق والجمال لاجل أن تنحر على قبر أبي الفوارس عنتر بن شداد وان تسرعوا في المجيء لاجل الفداء حتى تحضروا العزاء مع جملة من له من الاولاد ولا تمطوا تهاونا ولا احتجاجا ولا ابعاد وكل من تكبر على المجيء أو اعتذر فنحن نعود بالغزو عليه ونوصل الاذية اليه ونأخذ روحه من بين جنبيه وقد أنذرناكم ومن لا يصدق لا يسال عما يجري عليه (قال الراوي) لهذا المقام الذي ما يفعله الا كل جاهل من الجهال ثم انهم سيروا الكتب مع العبيد الى سائر الحلل والقبائل وكلما وصل كتاب الى قبيلة تجيب بالسمع والطاعة وترحل في عاجل الوقت والساعة ويرحل أميرها في كبراء عشيرته والمقدمين من قبيلته ووصلت الكتب الى سائر القبائل ورجعت العبيد في ايام قلائل فعند ذلك رحلت القبائل وهي طالبة أرض الشربة وتلك الاطلال وقد أكثرت في صحبتها من النوق والجمال وجمعت من الهدايا والتحف الغوال خوفا من أولاد عنتر بن شداد ومنهم من أتى محبة ووداد فكان أول من قدم عليهم دريد بن الصمة وفي صحبته جماعة من كل ليث ذي همة وأتى سبيع بن الحارث في سادات بني حمير وكل منهم يتقرب بالمجيء الى أولاد عنتر وأقبلت بنو عامر وبنو كلاب مع عامر بن الطفيل وأقبلت بنو نبهان يقدمها المهلهل وزيد الخيل وأقبل بعدهم الامير عمرو بن معديكرب الزبيدي وأقبلت بنو شيبان يقدمها الامير هانئ بن مسعود الكريم الآباء والجدود وأقبلت بنو يربوع يقدمها عتيبة بن شهاب وأقبلت بنو ذهل وبنو مشاجع وبنو مذحج وبنو عاملة وبنو باهلة وبنو نمير وبنو قشير وبنو ضهية وبنو رباح وبنو وشاح وبنو الطماح وبنو شمراخ وصارت العرب تتلاحق بعضها البعض وتقصد أرض الشربة والعلم السعدي حتى ضاقت بهم تلك الارض وانفرشوا فيها طولا وعرض وصارت كل قبيلة اذا قدمت وتوطنت تأخذ بنو عبس عددها وسيوفها وسائر رماحها وجميع سلاحها (قال الراوي) وكان هذا من جملة تدبير جرير والخذروف لانهم خافوا عليهم من الاعداء اذا اجتمعوا بكثرتهم أن ينزلوا بهم الحتوف وربما على غفلة منهم يفعلون بهم فعلا يقعوا به في المهالك وصاروا يأخذون سلاحهم ففرح الغضنفر والجوفران بذلك قال ثم انهم أقاموا ألفي فارس بالسلاح كل يوم بالنوبة تكون راكبة خيولها مشتهرة في أيديهم السيوف والرماح قائمة في الخدمة برسم حفظ القبيلة خوفا من المذمة والافتضاح كيلا يعدو من العرب امرء من الامور فتتعب من أجله القلوب والصدور

وكانت فرسان بنى عبس الذين عليهم المعتمد لابسة سلاحها والزرد وسيوفها مشتهرة على ركبها فى الميدان مثل الغضنفر وغنيترة والجوفران وياسر وليث الميدان وأسد الفوارس والديال بن الغضبان وزيد بن عروة وسبيع اليمن شجاع الزمان وعمرو ذو الكلاب فارس الزمان والملك زهير ملك بنى عبس وعدنان ومن يجرى مجراهم من الابطال والشجعان وذلك كله لاجل احتقار العربان (قال الراوى) ولم تزل قبائل العرب تتواصل مدة عشرين يوما ثم انقطع المدد وقد علموا انه لايقدم عليهم أحد فعند ذلك شرعوا فى حفر قبر عنتر ودفنوا عظامه وواروه فى الحفرة هذا وقد تقدم قدام القوم الملك زهير بن قيس ونحر مائتى ناقة ولم يقل لالم ولا ليس ثم بكى بكاء عظيما بدمع مهطول وأنشد وجعل يقول

أمن الحوادث والمنون الاروع * وأبيت ليلى كله ما أهجع * لازلت ذاحزن وأبكى عنترا
ولمثله تبكى العيون وتجزع * ولقد علمت بان كل مؤخر * يوما سبيل الاولين سيتبع
جادا بن شداد الكمى بنفسه * ولقد ترى ان العز الايفع * يابن الكرام أولى المفاخر والعلا
قد كنت فى الفرسان سيفا يقطع * يا آل عبس اجمعوا ثم اندبوا * من كان يحمينا بارض تفزع
يا آل عبس قد شفت بكم العدا * من بعد عنترة الكمى الاروع * يا آل عبس احزنوا طول المدا
* من أجل فارسنا الشديد الاشجع *

(قال الراوى) ولما فرغ الملك زهير من أشعاره تأخر وقد بلغ من العدى كل أوطاره وتقدم من بعده دريد بن الصمة وقد مزق ثيابه وحثا التراب على رأسه وتصاعدت انفاسه وكسر سيفه وقناته ونحر على قبر عنتر مائتين وخمسين ناقة ولم يلحقه فى ذلك تهاون ولا عاقة وتقدم عند القبر وبكى وأن واشتكى وجعل يقول صلوا على طه الرسول



وهى جلدى من ترحة أى ترحة * افقدهمام ضيغم ذاحمية
افقد شجاع لوذعى سميدع * يصول على الاعدا بعزم وهمة
فيامقلتى جودى عليه بحرقة * ولا تبخلى بل ساعدينى بدمعة
بكته ملوك الخافقين بأسرها * وعم الاسى والحزن كل البرية
وبيض الظبا والهند والزرد الذى * تدرعه فى كل يوم كريهة
فقدمات مات الفخر والجود والعلا * افقد الذى قد كان سامى العزيمة
ياجوفران القيل صبرا لفقده * فحكم قضاء الله عند المشيئة
يعز علينا ان نغازى بسيفه * وسيد قوم كان عزى قبيلتى
فلازلت فى عز يدوم ونعمة * على حالة تعلو على كل حالة

(قال الراوى) وما فرغ دريد بن الصمة من شعره حتى نهض له زهير بن قيس وشكره وأجلسه فى مرتبته وقام من بعده ذو الخمار وقد باح بالاسرار ونحر من النياق مائتين وعشرة أبكار بعدما فرق ماعليه من الاطمار وكسر سيفه البتار وأجرى دموعه الغزار وتقدم الى قبر عنتر وجعل يرثيه بهذه الابيات

أيا عين ابكى لعنتر بن شداد * بكا حزين غدا فى شجوه بادى
يامن رأى بارقا قد بت أرمقه * اذ مات ذو الاسد المعروف بالصادى
أبو الفوارس ليث الموت أخره * قد كان حصنى وركنى عند اضدادى
جميع أهل رعاة الخيل قد علموا * زين القرين وخصم الظالم العادى
أباز بيبة لاتخشى فكل فتى * يصير رهن الاسياف وأسوادى
فلا وعينك ما أسلوك ياأملى * حتى أعود الى رمس ابن شداد
والله لازلت أبكى عنترا ابدا * ماسارت النجب يجرى بها الحادى

(قال الراوى) وما فرغ ذو الخمار من تلك الاشعار حتى تباكت الحضار وقام اليه الجوفران واجلسه فى أعز

مكان ونهض من بعده عامر بن الطفيل وكان قد قل جلده والحيل وأجرى دموعه كأنها السيل ونحر ثلثمائة ناقة وجمل وقد أراد التقرب الى قرب أولاد عنتر بهذا العمل ومزق أثوابه وعلا بكاؤه وانتحابه وكسر سيفه وقناته وقد تغيرت من البكاء جميع حالاته وتقرب الى القبر وجعل يقول

دمع كمثلكم التفريق مهتون * ومغرم قلبه بالبين محزون
ياقبر عنترها قد صح مازعموا * مات الشجاع وبحى وهو مرهون
ويلاه ويلاه يامولاى لو نظرت * عيناك عبدك لادنيا ولادين
مات الامير ومات الجود واندثرت * عين الشجاع وعين الصدق مغبون
مات الذى لم تزل راياته أبدا * وسعده بلقاء العزم مقرون
مات الذى كان من جود ومن كرم * كمثل من سبقوا والقلب محزون
أغر أبلج محمود علائقه * وعزمه المنتقى والوجه ميمون

(قال الراوى) فلما أتم عامر انشاده حتى تقطعت القلوب والاكباد من كثرة البكاء والنواح والتعداد وقام اليه الغضنفر وأجلسه فى مكانه المعتاد وشكره وأثنى عليه واذا بصوت قد فزع الكمود فى بكائه دمدمة ورعود وهو مسربل بأثواب سود فتبينه القيام والقعود واذا به هانئ بن مسعود الكريم الآباء والجدود وكان قد قدم ومعه مال ممدود حتى ينحره على قبر عنتر الفارس المفقود وشمر عن ساعديه والزنود ونحر ثلثمائة ناقة وخمسين قعود ومزق ثيابه وحثا التراب على رأسه وكسر قناته وسيفه وأشار يقول صلوا على طه الرسول

عم المصاب وطاشت الاحكام * وتنكست لوفاتك الاعلام
قد كنت أرجو منك عنتر نظرة * فاذا دهت بوفاتك الايام
يامن اذا جرت الملوك الى العلا * فنصيبه التقديم والاعظام
ياواهب الآلاف مثلك لم نجد * أبدا وهل يجدى جداك كرام
من للعشائر والجيوش اذا انتضى * يوم الكريهة للكفاح حسام
من للكتائب والمواكب ناصرا * اذ صالت الاعداء وهو امام

(قال الراوى) ثم قام من بعده الامير عمرو بن معديكرب وقد أنشد أبيات تقتضى الحزن والحسرات وما بقى أحد فى ذلك اليوم من الفرسان الاجواد الا ورثى الامير عنتر بن شداد تقربا للقلب من له من الاولاد ولولا خوفنا من الاطالة وملال السامع من المقالة اشرحنا جميع ما أنشدت العرب وما رثته به السادات من ذوى الرتب وكان منهم من أنشد ورثى حزنا ومحبة ومنهم من رثاه خوفا وفزعا مما صار لاولاده من الهيبة (قال الراوى) وبعدما صار لهم من الاشجان قعدوا على بساط العزاء والاحزان والعرب تقدم عليهم من كل جانب ومكان وغنيترة والغضنفر والجوفران لايقطعون التفجع والبكاء بلاصبر ولاسلوان قال فبينما هم فى ذلك الشان واذا بغبار قد ثار وبعد ساعة انكشف للنظار وبان عن فرسان كأنهم العقبان فلما عاينه وابنى عبس وعدنان وتلك العربان ترجلت فى عاجل الحال الفرسان وأسرعت نحو الغضنفر والجوفران وقبلوا الارض بين أيديهم وسلموا عليهم وقالوا لهم ياملوك الزمان قد ورد عليكم هرقل بن قيصر حتى يحضر عزاء والدكم عنتر سيد الفرسان قال وكان السبب فى قدومه الى أرض بنى عبس وعدنان هو عمرو بن الحارث ملك بنى غسان فانه كان كل قليل يأخذ اخبارهم ويكشف آثارهم فسمع انهم قد أفنوا العرب ونهبوا الفرسان وأطاعهم القريب والبعيد مما عاينوا منهم من ذلك الهول الشديد فعند ذلك أرسل أعلم الملك قيصر بجلية ما سمعه من الخبر قال فلما سمع الملك قيصر ماصح له من أخبارهم ارسل ولده هرقل يعزيهم فى أبيهم عنتر ويهنيهم بأخذ ثارهم وأمره بعد العزاء أن يخلع عليهم جميعا على قدر أحوالهم وكل واحد منهم على قدره الكبير منهم بكبره والصغير بصغره فأجابه ولده بالسمع والطاعة وخرج بالخزائن والاموال من تلك الساعة واصطحب معه الرجال والهديات والجوارى الروميات والخيول العوال وكان ذلك شيأ كثيرا مما يبهر البصر ويحير

الفكر وسار ليلا ونهارا الى ان وصل الى دمشق الشام وأقام بها أياما حتى استراح ورحل منها فرحل معه عمرو بن الحارث وتبطنا فى تلك البرارى والبطاح ثم سارا الى أن قربا من الديار وبانت لهما الآثار فأرسلا هذه الفرسان يخبروا بنى عبس بقدومهم قال ولما صح هذا عند الغضنفر والجوفران التقوا بملوك العربان وأمروهم بالركوب الى ملتقى الملكان فركب شيخ العرب دريد بن الصمة وذو الخمار والعباس بن مرداس وعمرو بن معديكرب والامير هانئ بن مسعود وعتبة بن شهاب اليربوعى وكان قد أتى عقب الناس وركب أيضا زيد الخيل والملاعب عامر بن الطفيل وركبت ملوك السودان وفى مقدمتهم خال عنتر الملك صفوان بن معدان وسار الى لقائهم جماعة القبائل وفرسان العربان والتقت الفرسان بالملك عمرو بن الحارث وهرقل بن قيصر ودعوا لهما بطول العمر والبقاء واعتذروا لهم عن لسان أولاد عنتر ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى العلم السعدى ونزلت الجيوش ونزل الملك هرقل قريبا من قبر عنتر ومشى حتى صار واقفا بجانب القبر واتكأ على جانبه وبكى لما وصل اليه وأمر بألف ناقة كانوا قد ساقوها معهم لذلك ونحروها عليه (قال الراوى) ثم بعد ذلك بكى بكاء شديدا وأقبل راجلا يمشى على وجه الصعيد ومن خلفه الملك عمرو بن الحارث فعند ذلك نهض اليه الملك زهير والملك الغضنفر والملك الجوفران والامير عمرو وذو الكلب وزيد بن عمرو وياسر وليث الميدان وجميع من كان حاضرا ومنهم من مشى والتقى بالملك هرقل الى قدام وقد أجلسوهم فى أعلى مكان وجلست بين أيديهم جميع الفرسان وأقاموا ذلك اليوم جميعهم يتحدثون فيما صار لهم من الشان وما فعلوا فى غز العربان *قال ولما أصبح الصباح أقبلت عليهم العبيد والرعيان وأتوا اليهم من أبعد مكان وأخبروهم أن قد لاح لهم من الشرق غبار حتى سد الاقطار فأرادوا أن يرسلوا من يكشف لهم الاخبار واذا بمائة فارس قد قصدوهم ولما تقربوا منهم تبينوهم فعرفوا انهم من بنى لخم وجذام وبنى شيبان ومن ورائهم الملك المنذر بن النعمان فخرج اليهم الملوك والامراء والفرسان وترجلوا اليهم وتلقوهم من أبعد مكان فعند ذلك أمروهم بالركوب مع جميع الفرسان والامراء وقال لهم اركبوا وسيروا والتقوا بابن الملك كسرى قال وكان لمجىء هؤلاء الملكين سبب عجيب وأمر مطرب غريب وذلك انه وصل الى كسرى أخبار خارجى قد خرج على الدولة الكسروية وقد ملك البعض من البلاد الخراسانية فعند ذلك احضر الوزراء والحجاب واستشارهم فيما يفعل من تلك الاسباب وكان يقال لهذا الخارجى بيرديك بن مرداش فما أشار عليه أحد بشىء الا وزيره الموبذان وقال له يا ملك الزمان اعلم ان ثبات ملك الاكاسرة كان من قديم العصر والاوان الا ان أباك كان اذا عصت عليه العرب ردها بالعجم واذا سطت العجم ردها بالعرب وأنزل بها النقم والرأى انك ترسل الى نائبك على العربان المنذر بن النعمان وتأمره أن يسير الى سائر البلاد لاسيما وقد سمعنا ان عنتر بن شداد قد ظهر له ثلاثة أولاد فيهم أميرة تسمى عنيترة وقد فاقت على سائر الاقران وقهرت الابطال وأحدهم يسمى الملك الغضنفر والآخر يسمى الملك الجوفران وقد تيسر الامر وانقضى الشغل وهان قال فلما سمع الملك كسرى من وزيره ذلك القول والبرهان أمره أن يكتب الى الملك المنذر بن النعمان أن يسير الى أولاد عنتر عنيترة والغضنفر والجوفران وكل من فى أرض الحجاز من الفرسان فلما وصل الكتاب الى المنذر أمر برد الجواب بحسن الايراد بأن جميع فرسان الحجاز عند أولاد عنتر بن شداد ولهم مدة ثلاثة أشهر يعملون فى عزاه وكل من فى تلك البلاد توجهوا الى ذلك النادى فلما وصل الكتاب الى الملك كسرى وعلم بما تم من ذلك الامر وما جرى قال وحق النار والنور وتربة جدى سابور يجب علينا أن نعزى غلماننا ونقيم بجاه أصحابنا لان عنتر كان له علينا خدم كثيرة وعلى آبائنا فقال له الوزير هذا رأى صائب فعند ذلك أمر بتجهيز العشائر والكتائب ورسم لهم بالتشاريف والخيول الخاص والجنائب بمراكب الذهب لاجل أولاد عنتر وخلع خلعا كثيرة لاجل الفرسان ثم أمر ولده وكان يقال له جردبربان يسير الى الحيرة ويأخذ المنذر ويسير هو واياه الى بنى عبس لاجل العزاء لاولاد عنتر ويهنيهم بأخذ ثارهم ويخلع عليهم الخلع السنية ويهنيهم بما ظهر لهم من علو المنزلة والشجاعة فعند ذلك أجابه بالسمع والطاعة ثم تجهز ورحل من تلك الساعة وقد رفعت على رأسه الاعلام والرايات ودقت بين يديه

الطبول والكاسات ونشرت له الرايات والازدهارات ولم يزل سائرا حتى وصل الى الحيرة وهو بتلك الصفات فخرج الملك المنذر الى لقاه وقد دارت من حوله أكابر دولته وترحب كل به وحياه ونزل عنده فى قصر المملكة وأقام فيه ثلاثة أيام والملك المنذر يزيد له ولجيشه فى الضيافات والاكرام وبعد ذلك رحل طالبا أرض الحجاز ومنازل بنى عبس وتلك المفاوز التى هى موصوفة بأرض الشربة والعلم السعدى ولم يزالوا فى سيرهم مجدين حتى قربوا من ديار بنى عبس وهم على ذلك المعنى وسبق المنذر اليهم وبشرهم كما ذكرنا فقامت الملوك والامراء وساروا بالجميع الى ملتقى ابن الملك كسرى وأقبلت الجيوش بالعشائر من العرب والعجم لانه فارس مقدم وملك محتشم (قال الراوى) فعند ذلك دقت الكؤسات والطبول وانزعجت الارض عرضا وطولا وترجت العالم واصطفوا صفين وتفرقوا فرقتين ثم ترجل الملك هرقل بن قيصر ومشى اليه الملك الجوفران وأخوه الغضنفر فعند ذلك حلف عليهم الملك هرقل انهم لا يترجلون فأبوا عن ذلك وحلفوا عليه انه لا يسير الى الخيام الا وهو راكب معزة فيه وقبلوا يديه فانحنى ابن كسرى اليه وقبل رأس الجوفران وبين عينيه وبالركوب أشار عليه فعند ذلك ركبت الملوك والفرسان وساروا يمشون للمكان وهم راكبون الى جانب بعضهم فى تلك الفلوات والقيعان الى أن وصلوا الى أرض الشربة والعلم السعدى والملوك والامراء والفرسان بين أيديهم ولا أحد منهم يعيد ولا يبدى قال وتقدم ابن الملك كسرى الى أن وصل الى قبر عنتر وترجل وكذلك ترجل ابن الملك قيصر وكل من حضر فى ذلك المقام وأمر ابن الملك قيصر أن يذبح على القبر ألف ناقة من النوق العصافيرية وأقبل بعد ذلك على بنى عبس وحياهم الكبير منهم والصغير وسعى اليه الملك زهير بن قيس على أقدامه وقبل الارض بين يديه ومشى قدامه وكذلك الغضنفر والجوفران وبقية جماعة القبائل والفرسان وتلقوه بالرحب والسعة وأكرموه غاية الاكرام وما منهم الا من سعى ماشيا على الاقدام بين يديه ونصبوا له كرسيا عاليا فجلس عليه وسائر الفرسان والامراء واقفون بين يديه وسائر الملوك تتقرب الى قلب أولاد عنتر بكل ما تصل أيديهم اليه قال فعند ذلك نهض الملك المنذر على قدميه ومشى الى عند قبر عنتر وأشار اليه وبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

حل المصاب ففى الفؤاد رئيسا * لرزية قدمت وحل البوسا * فقد الشجاع الليث عنتر يالها
من نكبة وفجيعة وعكوسا * سل من مضى فالكم أسال مدامعا * حزنا عليه وكم أذاب نفوسا
أسفى على من غاب عنى شخصه * تحت الثرى فى مهمه مرموسا * بكت السماء لفقده ولموته
دما وأصبح عيشنا منكوسا * هوت النجوم الزهر عند مصابه * والافق أظلم وانكسفن شموسا
والبدر منكسفا غدا فى تمه * حزنا وقد أمسى بأعظم بوسا
خلت المراكب والمواكب من فتى * عبس وفارق ربعه المأنوسا
يا آل عبس قد فقدتم فارسا * كم قد نفى جمعا وفك حبوسا * مردى الفوارس عند مشتجر القنا
يوم النزال وكم أطاح رؤسا * قد كان ليثا فى الحروب غضنفرا * حامى العشيرة فارسا محروسا
ويل لعبس مالقت من بعده * ذلا ونهبا من ليوث شوسا * قد طال ما صان الحريم من العدا
من بعد ما تركوا الديار هوسا * أرداهمو بحسامه وسنانه * وسقاهمو بالسمهرى كؤسا
قد كان ذا رأى مصيب راشد * ومقامه بين الرجال نفيسا
فلابكين عليه ما هب الصبا * بمدامع تجرى وتروى اليبسا

(قال الراوى) فلما فرغ الملك المنذر من ذلك الشعر والنظام قام اليه شيخ العرب دريد بن الصمة والامير هانئ ابن مسعود وجماعة من الفرسان وأجلسوه الى جانب ابن كسرى فى أعلى مكان والى جانبه الآخر الملك هرقل ابن قيصر والغضنفر والملك الجوفران ثم انهم بقوا على ذلك مدة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام وخيرات وانعام ثم ان ابن كسرى أمر باحضار الخلع ليخلع على فرسان العرب فلما حضرت خلع على الملك زهير خلعة سنية وعممه بعمامة خز كوفية وأركبه على جواد بمركب ذهب وكذلك دريد بن الصمة لاجل كبره وتوقيره ولاجل تقدمه على الفرسان وخلع على الملك الغضنفر والملك الجوفران وكانت خلعا بالذهب

حسان ثم أرسل الى أختهم الاميرة عنيترة خلعة سنية غالية الاثمان لانها كانت بمنزلة في غير ذلك المكان
وكذلك أمها الهيفاء قناصة الرجال لانهما كانتا مجتمعتين مع الملكتين أم الغضنفر والجوفران اللتين هما كانتا
نساء عنتر في قديم الزمان وقد طوق للملك الجوفران بطوق من الذهب وبعد ذلك خلع على ملوك العرب
وخلع على كل فارس منتخب ولم يدع أحدا من الامراء ولا من الفرسان حتى شرفه بذلك التشريف وخلع
عليهم الخلع الحسان قال ولما كان بعد ثلاثة أيام أمر هرقل بن قيصر باحضار الخلع الحسان وما كان أتى معه
من الانعام وخلع على ملوك بني عبس وقد ابتدأ بأبا الملك زهير والغضنفر والجوفران وبعدهم خلع على بقية
الفرسان وعلى ملوك العربان وعلى حماة الجيش وكبراء العشائر على حسب التدريج من الشجعان وكذلك
أرسل الى الاميرة عنيترة خلعة سنية غالية الاثمان وأنفذ لها خلعا كثيرة لتخلع على من عندها من النسوان مثل
أمها الهيفاء وضرتها ابنت أخي الملك قيصر وكذلك أم الملك الجوفران وكل من عندهم من النسوان التي لملوك
العرب والفرسان وفعل الملك هرقل كما فعل ابن كسرى أنوشروان وزادهم على ذلك أضعافا لاجل ما بينهم
من المعرفة من قديم الزمان وأيضا فعلت نوابهم ما قدروا عليه من الاحسان وهما المنذر بن النعمان والملك
عمرو بن الحارث الغساني فاستبشرت بذلك جميع العربان الرجال منهم والنسوان وفرحت بذلك جميع
الشجعان وخلعوا عنهم ثياب الاحزان وكان لهم على ذلك عشرة أيام وقد استغنت من كثرة الاموال الفرسان
ورتعت في تلك النعم الامراء والعبيد والغلمان والشيوخ والشبان ونسوا العزاء ومضى كأنه ما كان وتفرقت
بعد ذلك الجموع كأنهم لم يكونوا في ذلك المكان قال وبعد ذلك أحضر ابن كسرى الى بين يديه الغضنفر
والجوفران وأظهرهما على أمر الخارجي الذي خرج على أخيه من أرض خراسان وقال لهم اذا أرسل اليكم
لا تتخلوا عنه أنتم ومن تقدروا عليه من العربان فاجابوه بالسمع والطاعة هم ومن معهم من الفرسان ثم رحلت
الملوك كل واحد طالب أرضه ومن له من الاطلال وأيضا جماعة القبائل وما تحت أيديهم من الابطال وبقيت
بنو عبس هادئين السر مستريحين من القتال مدة أيام وليال وهم في الولائم يرتعون وقد خافتهم جميع العرب
من بعد منها ومن اقترب وعاد عزهم أقوى ما كان وأخلف عليهم الزمان بأولاد عنتر وهم عنيترة والغضنفر
والجوفران وقد صارت بنو قراد أحسن ما كانت على أيام حاميهم عنتر بن شداد وكذلك لاجل خلفة هذه
الثلاثة أولاد الابطال الشداد وأقاموا على ذلك الحال مدة من الزمان وهم في أمان واطمئنان وبعد ذلك
اشتاق الملك الجوفران الى بلاده وما له من الاوطان وكذلك والدته زاد بها الهيمان لانه ما أعجبها ذلك الفلا
فقضوا أشغالهم وأرادوا السفر فشاور ووافق ذلك اخوته عنيترة والغضنفر فما قدر أحد منهم يعارضه فيما امر
فعند ذلك اراد الغضنفر أن يفعل كما فعل أخوه ولما خطر له ذلك الخاطر الذي به قد خطر شاور والدته في
ذلك فكانت اليه أسبق وبه أسر لانها قد اشتاقت الى أرضها وبلادها وقد أخذها القلق وكانت الى وطنها
أشوق فاتفق الامر على ذلك الحال وفي ساعة الحال أمروا باحضار النوق والجمال وحملوا أموالهما ومتاعهما
وما لهما من الاثقال بعد ما شاوروا الملك زهيرا فلم يتعرض لهما بحال من الاحوال (قال الراوي) ثم انهم ساروا
وقد خرج الى وداعهما جميع من في الحلة من الرجال وسائر الابطال وساروا لوداعهما ثلاثة أيام وبعد ذلك
وقف أولاد عنتر في ذلك البر والآكام وحلفوا على بني عبس وردوهم الى ديارهم والمقام لان آخر الوداع
الرجوع والمفارقة بعد الالتمام وسار كل منهم في طريق يريد منازله والاطلال وعادت بنو عبس طالبين
ديارهم الرجال منهم والابطال ولكنهم لم يمروا على حلة الا نهبوها ولا أموال الا كسبوها الى أن اجتمع معهم
غنائم كثيرة وكانوا يفعلون تلك الفعال فيمن تبقى من أعدائهم ويرون فيه الصواب والخيرة ولم يزالوا سائرين
وهم يقطعون البراري والقفار الى ان قربوا من الديار ونزلوا واتوا على بعض الغدران والانهار وقد وكلوا
بالغنائم التي غنموها أربعمائة عبد من العبيد الذين لبني عبس وعدنان وأيضا جماعة من بني قضاعة الشجعان
قال ولما نزلوا في تلك الارض واستقروا الاكل الطعام مع بعضهم بعض واستراحوا الى الصباح فعزموا بعد ذلك
على السفر والرواح فافتقدت العبيد الموكلون بالخدمة جواد الملك زهير فما وجدوه ولا عرفوا من أخذه وقد

فقدوه فهاج الجيش واندهل كل أحد وتحير فقال الملك زهير والله لقد تم علينا ما تم على الحضر فقالت عنيترة
أيها الملك لا تحزن ولا يأخذك من ذلك فكر فوحق خالق الخلق ومنبع الماء من الحجر فالذي أخذ الجواد
لو طار في السهل والوعر لاذيقنه الموت الاحمر فعند ذلك نهض جرير وقال للملك زهير لا تحزن فما خليك ترحل
من هذا المكان الا وجوادك تحتك فاما أن أقع به وبمن أخذه فيكون بسعادتك وبختك ثم ان جريرا تحزم وتعمم
وكذلك فعل الخذروف الآخر تعمم وتحزم ثم ان جريرا قال لعنيترة يا ابنة الاخ لا ترحلوا من موضعكم حتى آتيكم
بالجواد وبمن أخذه ولو طفنا سائر البلاد ثم انه أخذ معه ابن أخيه الخذروف وسار طالب الاوعية والاوعار وهو
مثل الطير اذا طار والى جانبه الخذروف وكل من رآهم لا يظن أنهما من الانس بل من العمار لانهما كانا ليس
لهما مثال وسارا يستقصيان الآثار ويقتفيان الاخبار ليلا ونهارا مدة ثلاثة أيام ولما كان في اليوم الرابع
ظهر لهما أثر جواد طالب صوب ديار بني ضمرة فلما نظر جرير والخذروف ذلك فرحا وعلما انها عليهما سفرة
مباركة قال فعند ذلك جدا في المسير وغدوا اغدوا يعجز عنه الطير الذي يطير واذا بفارس سائر امامهما فلما
نظراه تبعاه وأخفيا حسهما الى أن مضى من الليل الاكثر وقد كل ذلك الفارس من السير والسفر ونزل
على بعض الغدران وهو قد أمن من نوائب الزمان وعلق على جواده وقد اطمأن قلبه وفؤاده فعند ذلك
وثب جرير والخذروف الى الجواد واذا به جواد الملك زهير والسلال الذي أخذه قاعد على جانب الغدير وهو
يغسل في يديه ورجليه وله وجه مثل القمر المنير فتبينه جرير واذا به شاب أسمر أعطر كأنه فلقة قمر لا نبات
بعارضيه فعند ذلك لاحت من السلال التفاتة فنظر جريرا والخذروف وقد رمقهما بعينيه فطار الشرر من
منخريه ووثب قائما على قدميه وأخذ خنجره بيده وحمل على جرير والخذروف وقلبه عليهما ملهوف
(قال الراوي) هذا والخذروف وجرير لما نظرا الى ذلك السلال انه قد طلبهما أخذا أهبتهما للهجوم عليه
و وصول الاذية اليه وأخذ جرير عن يمينه والخذروف عن يساره وكل واحد منهما يجتهد في قتله ودياره فلما
نظر السلال ذلك الحال علم انه في مقام الخطر مع هؤلاء الابطال فقال السلال في نفسه لا بد أن آخذهما في
القتال الى ان يصبح الصباح وبين الاودية والبطاح وأنهزم من قدامهما واطلب الرواح وان نصرت
عليهما أكن من الرجال الاوقاح ثم ان السلال خرج عن الاثنين وأوسع في الميدان وجعلهما بين يديه مثل
العصافير اذا طردتها العقبان وأخذوا في الضرب والطعان وصار يهمز قدامهما مثل همزات الغزال وكلما
طلبه جرير ليضربه لم يجد له خيال وكلما طلبه الخذروف ليضربه لم يجده قدامه ولا رأى هو له ما مثال فحار
الاثنان في طلب السلال وهجما عليه هجمة أسود الدحال وانقضا عليه كما ينقض الجارح على الحمام وكان
مرادهما أن يسقوه كأس الحمام ولما نظر السلال الغدر من الاثنين خرج من بينهما أسرع من لمحة العين
وطلب متسع الفضاء وطار بالخافقين فلم ير له غبار وقد اختفى في أقل من ساعة عن الابصار ولم تدركه
أعين النظار فحار الخذروف وعمه جرير من ذلك الحال وقال ما هذا الا من الجن وما هو أبدا من الرجال فقال
الخذروف لعمه جرير والله يا عم ما هذا من بني آدم بل هذا بلاء مبرم فوحق بارئ النسم وموجد الاشياء من
العدم لا سمعت ولا رأيت مثل هذا فيمن مضى وتقدم وما بقي في الامر الا ان نأخذ جواد الملك زهير ونعود به الى
صاحبه لانه عنده أعز من أهله وقرائبه وهو عنده غاية مراده ويكمد أعداءه وحساده قال فلما سمع جرير
كلام ابن أخيه رآه صواب وأمرا لا يعاب فقال له نعم ما قلت يا ابن الاخ ثم انهما رجعا الى الجواد وهو واقف
يعلك في لجامه وقد انحل حزامه فشدا عليه سرجه وساراه معهما من وقتهما وساعتهما ولم يركب أحد منهما
بل سارا مشاة والخذروف ماسك بالجواد وقد أتعبه من المسير في البراري والوهاد ولم يزالا سائرين ليلا ونهارا
مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع طلع عليهما غبار حتى سد الاقطار (قال الراوي) وكان السبب في ذلك الغبار
ان السلال الذي سرق الجواد من جيش بني عبس وبني قضاعة وطلع به في أقل من ساعة كان هو السلال الذي
يقال له عمرو بن أمية الضمري وكان قد نشأ في بني ضمرة ولم يعرف له أب وكان قد انتشى في بيت عطارد ملك
بني ضمرة وكان عنده بمنزلة عظيمة ولما انتشا وكبر خرج نارا محرقة وصاعقة مبرقة لا يخمد له نار ولا يبعد له

على عيار وهو فحل جسور وليث صبور ومقدم على كل الامور لا يهاب الرجال ولا يبالي بالابطال قال وكان هذا الجواد الذي تحت فضالة كان قد أخذه من بني نبهان من خيل الاهل وكان قد وصف بين يدي عطارد سيد بني ضمرة وكان لا يتغافل عنه مرة بعد مرة وكان اسم ذلك الجواد الهطال وكان لا يوجد مثله في سائر الاطلال ولما أعطيت عطارد الحيل في أخذ ذلك الجواد امتنع من جفنه الرقاد ووعد السلابين بالاموال والنوق والجمال فسارت الى بني نبهان الرجال فما نال أحد منهم منال ولا بلغ مراد من كثرة العبيد المتولية خدمة ذلك الجواد وقد تعبت السلالون والقصاد وسمع عمرو بن أمية ذلك الكلام من الرجال والنسوان والابطال بان ملك القبيلة لم يلتذ بمنام على ذلك الجواد الهطال فلما سمع ذلك دخل على عطارد وقبل الارض بين يديه فضحك في وجهه وسلم عليه وقال له ما حاجتك يا أمير عمرو فقال له أيها الملك بلغني من بعض الرجال ان في قلبك أثرا من الجواد الهطال فقال الملك عطارد صحيح ما سمعت وأنا قد حرمت لذة الطعام وامتنع من جفني لذيذ المنام فقال له أيها الملك الهمام وحق من حلل الحلال وحرم الحرام أنا آتيك بالجواد ولو ان حوله قوم ثمود وعاد فقال له عطارد وحق ذمة العرب كنت أشاركك في مملكتي وأقاسمك في نعمتي فلما سمع عمرو ذلك الكلام تحزم واستعد في عاجل الحال وضرب له اللثام وخرج من قدام الملك وشق بين المضارب والخيام ولما توسط البر طلع يجري مثل ذكر النعام وبقي سائرا يقطع البراري والآكام مدة خمسة أيام وفي اليوم السادس وصل الى ديار بني نبهان ونزل على بعض الغدران وأقام ينتظر قدوم الليل وفروغ النهار فما لحق يجلس الا وغبار من قدامه قد علا وسد الاقطار وأظلم منه ضوء النهار وكان ذلك الغبار غبار بني عبس وبني قضاعة وقد وصلوا الى ديار بني نبهان في تلك الساعة لانهم بعد ما ودعوا الامير الغضنفر والجوفران وعادوا راجعين عطفوا على بني نبهان وكسروهم وقتلوا الرجال منهم وسبوا النسوان ونهبوا العبيد والغلمان وأخذوا المال والخيل والجمال ووقع في قسم الملك زهير الجواد الهطال فجعله له مركوب وفرح به ونال المطلوب وكان الذي أتى به عنيترة بنت عنتر لانها رأته جوادا ما ملك مثله كسرى ولا قيصر فلما أخذ زهير الجواد نال به غاية القصد والمراد وساروا بعد ذلك طالبين الديار والاوطان فتبعهم عمرو بقوة جنان ولم يزل تابعهم ثلاثة أيام ولما كانت الليلة الرابعة شق عمرو بين المضارب والخيام وتخطى رقاب العبيد والخدام الى أن وصل الى المضرب الذي فيه الجواد فرأى حوله خمسة وعشرين عبدا أنجاد فذبح منهم عشرة وهم الذين كانوا نائمين في الطريق وأعدمهم السعادة والتوفيق وسحب الجواد وتخطى به المضارب والخيام الى أن صار خارج البيوت وهمز الجواد فطار به كأنه هبوب الرياح ولم يزل سائرا الى أن أصبح الله بالصباح وقد أمن على نفسه بطول النهار في تلك البطاح الى الليلة الثانية وكذلك الليلة الثالثة ثم لحقه جرير والخذروف وهو على ذلك الحال وقد نزل على الغدير يستريح من المسير وجرى لعمرو ما جرى مع الخذروف وجرير وكان قد قرب من ديار بني ضمرة فساق عمرو ساعة من النهار حتى وصل الى الديار وأوقع النفير وحثهم على المسير وسمع عطارد ملك القبيلة بما جرى لعمرو من التعسير فصاح الخيل يا أرباب الخيل العجل العجل قبل حلول الاجل فما كانت غير ساعة حتى ركبت فرسان بني ضمرة وركب معها عطارد وسار في خمسة آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس وساروا يجدون المسير خلف الخذروف وجرير مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع لحقوا جريرا والخذروف وهما نزول على بعض الغدران وهما يظنان انهما نجوا من نوائب الزمان فلما نظرا الى الخيل دارت بهما من اليمين والشمال وأحاطت بهما الابطال في ساعة الجدال لم يتم لهما مراد بل ان القوم أسروا الخذروف وعمه جرير وأخذوا منهم الجواد وأقام بنو ضمرة ذلك اليوم ولما كان عند الصباح ركب الملك عطارد ودارت من حواليه بنو ضمرة الاقران وساروا طالبين ديارهم والملك عطارد فرح بأسر جرير والخذروف وأخذه للجواد وهو كأنه ملك الدنيا بطرفيها واحتوى على كل من فيها وشد جرير والخذروف على جوادين بالعرض وساروا يقطعون الارض ليلا ونهارا الى أن وصلوا الى الديار ونزلوا وقر بهم القرار وقد ربط الملك عطارد جرير والخذروف في بعض الخيام ووكل بهم العبيد والخدام وأقاما في الشدة ثلاثة أيام ولما كان في اليوم الرابع دخل عليهما بعض النساء وبينهن

واحدة كأنها بدر التمام مليحة القد والقوام (قال الراوي) ولما دخلت المضرب الذي فيه جرير والخذروف ورأتهما في ذلك الحال وتبينت وجه الخذروف لحقها الانذهال وتساقطت دموعها بالانهمال وارمت روحها عليه وقبلته بين عينيه وغشي عليها فعند ذلك ضمها الخذروف الى صدره وتبينها واذا هي زوجته التي كان تزوج بها في ديار بني سعد لما أغار رضة بن منيع على بني حرزة واخذ الخذروف أمية بنت الملك عطارد كما ذكرنا فيما تقدم وكيف أغار بنو حرزة على بني سعد وأخذ عطارد ابنته وكيف هرب جرير والخذروف والتقوا ببني عبس وكانت أمية حاملة من الخذروف ولما صارت في ديارها وقر قرارها ما مضت عليها غير أيام قلائل حتى وضعت أمية غلاما ذكرا كأنه فلقة قمر فاحبه الملك عطارد لانه ابن ابنته واعتنى في تربيته الى أن انتشى ودب ومشى وخرج نارا محرقة وصاعقة مبرقة وكأنه ساعي معدوم في زمانه وكان فارس خيل وخائض الليل بلا محال واذا ركب ظهر الجواد يقهر الابطال وان طاردته الخيل لم يلحق له غبار ويسبق في جريه الطير اذا طار وأقام الى ان سمع بعد عطارد بالجواد الهطال وغلب في سله كل سلال وسمع عمرو بذلك فسار وأخذ الجواد من بني عبس لما نهبوا بني نبهان وسار جرير والخذروف في طلب الجواد وأخذوه من عمرو ثم لحقوهما في الطريق أعدموهما السعادة والتوفيق وساروا بهما الى ديار بني ضمرة وسمعت أمية بذلك فأخذت معها ثلاث جوار ودخلت على الخذروف وجرير فلما وقع بها الاندهاش والتحير عرفته معرفة خبير ووقعت على صدره وقد حار الخذروف في أمره وحين عرفها الخذروف قال لها أنت أم عمرو فقالت نعم أنا زوجتك وعمرو ولدك وهو منك وأنت منه ثم انها خرجت من وقتها وساعتها ودخلت على أبيها وعرفته بالحال وقد شكت اليه ما عندها من البلبال وكان أبوها قد علم انها تزوجت في بني سعد بالخذروف ولكنه لم يعرفه في تلك الايام وكانت لما ولدت عمرا وكبر اخبرت ان أباه مات في بعض الغزوات وكانت أمه تخاف أن تعرفه بأبيه فيخليها ويمضي اليه وتبقى طول عمرها متحسرة عليه فكتمت أمرها الى ان جرى ما جرى للخذروف وأتى الى ديارها فهاج عشقها وبلبالها وقد ذكرنا فيما تقدم انها أحبت الخذروف محبة عظيمة ولما سمع أبوها كلامها بعث في الحال خلف عمرو وقص عليه ذلك الامر وقال له يا ولدي ان هذا الذي عندنا أسير هو أبوك والثاني عمه وهما من أفخر العرب حسبا ونسبا هذا الخذروف بن شيبوب أخو عنتر الذي مات وذكره باق ما بقيت الشمس والقمر فلما سمع عمرو ذلك الكلام من عطارد انذهل وتحير وخرج طالبا المضرب الذي فيه الخذروف وقد فرح واستبشر ولما دخل عليه ورأى أباه وقع على صدره وقد حار الخذروف في أمره وبعد ساعة أتت العبيد والخدام ومعهم الخلع والانعام وقد حلت العبيد الخذروف وعمه جرير وقد لحقهم من ذلك الامر التحسير هذا وقد أركبوهما على ظهور الخيل ومشى عمرو في ركاب أبيه الخذروف وقلبه فرحان ملهوف ومازال كذلك الى ان وصلوا الى مضرب الملك عطارد فخرج بنفسه وتلقاهما ولما رأى جرير والخذروف الى ذلك الحال ترجلوا واعتنقوا بعضهم البعض ودخل بهم الى المضرب وأجلسهما الى جانبه وقد وقفت في الخدمة أهله وقرائبه وعملوا الولائم ورتع فيها القاعد والقائم وكان عمرو بن أمية الضمري ساعي ركاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو ينسب الى أمية لان أباه ما رآه الى ان كبر وكان اسمه بين السعاة عمرو بن أمية الضمري يعني يعرف ببني ضمرة وأقام جرير والخذروف عندهم ثلاثة أيام وهو في نعيم زائد وعيش رغد وبعد ذلك اشتاق جرير الى أرض الشربة وأعلام السعدي فقال لابن أخيه الخذروف يا بني أنا اشتقت الى الديار فقال له الخذروف يا عم أنا كل يوم عندي مقوم بعام وحق الملك العلام ثم ان الخذروف دخل على أمية زوجته بنت الملك عطارد وكان أبوها نزلها وبعلها في أعز مكان وجعل لهما مضارب وخيام وخيولا وجمالا وعبيدا وخدام ونوقا وفصلان وبقي الخذروف كأنه ملك من ملوك الزمان ولما دخل على زوجته وأعلمها أنه اشتاق الى أهله وعشيرته وانه يريد أن يسافر هو وعمه جرير فقالت له زوجته وأنا أروح معك الى أهلك ووطنك فأعلم الخذروف ولده عمرا بذلك فقال له يا أبت أنا ما بقي لي صبر على فراقك وبقيت كل ساعة أشتاقك (قال الراوي)

فلما سمع الخذروف ذلك الكلام من ولده وزوجته خرج من عندهم واعلم عمه جرير وقال له يا عم أنا شاورت زوجتي وولدي على السفر والمسير فقال انا معك نسير ففرح بذلك القول جرير وقال له يا ولدي لا بد لنا اننا نشاوره هرك في ذلك فقال الخذروف الليلة أخلي ابنته تشاوره في ذلك الحال ولما كان عند المساء أقبل جرير الى مضربه وسار الخذروف الى عند زوجته وقال لها هل اعلمت أباك عن حال السفر فقالت له نعم وقد قلق لاجل فراقك وتحير وقال لي يا ابنتي أنا أعلم ان بعلك فارس الخيل وخائض الليل وكذلك بنو عمه بنو عبس الفرسان الكرام الذين تسميهم العرب فرسان المنايا والموت الزؤام وما منهم الا كل فارس همام وبطل ضرغام لا سيما وقد سمعت انه قد انتشى فيهم امرأة بنت اسمها عنيترة وقد قهرت الشجعان وأذلت الابطال والفرسان وأعادت ملك بني عبس مثل ما كان فان اختار زوجك ان يأخذك معه فأهلا وسهلا وقلبي يكون عليك في أمان اذا كنت في ديار بني عبس وعدنان وقد أذن لي أبي معك في السفر والمسير ولا بقي هناك عاقة ولا تقصير (قال الراوي) فلما سمع الخذروف من زوجته ذلك الكلام حصل له فرح واتسع صدره وانشرح وقال يا أميمة يكون السفر بعد ثلاثة ايام لاني لاجل الوطن قد حرمت المنام فقالت زوجته ما بقي لك ابدا عاقة وان اشتهيت يكون السفر في هذه الساعة ثم انها اقامت من وقتها وساعتها ودخلت على أبيها وأعلمته بذلك (قال الراوي) فأمر العبيد والغلمان بالتجهيز الى ديار بني عبس وعدنان فأخذت اهبتها وبعد الثلاثة ايام عزموا على الرحيل وخرج الملك عطارد بنفسه وقد حمل جهاز ابنته على ستين جملا وجعلها في هودج عظيم من العرعر ومعها اثنا عشر جملا محمل فوقها البنات والجوار والخدام والاحرار وأرسل معها الف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس ومعها خمسمائة من النوق والجمال وثلثمائة من خيل وبغال وأربعون جارية وخمسون عبدا وكان لعمرو مقدار الف ناقة ومائة عبد وخمسين جارية خلاف ما ذكرنا لأميمة وسار الملك لوداع ابنته وقد ركبت لوداعها أهله مع عشيرته وشدوا الاحمال على الجمال وساروا مدة ثلاثة أيام وليال وحلفوا على الملك عطارد وردوه الى دياره بعد ما ودع ابنته وابنها والخذروف وجرير وعمه وساروا طالبين أرض بني عبس وقد طاب لهم المسير والخذروف فرحان بما أعطاه الملك المنان الذي لا يشغله شان عن شان الى ان وصلوا الى الديار فلما رأى بنو عبس ذلك الغبار الذي قد سد الافق والاقطار من كثرة الخيل والجمال والبنات والعبيد والاحرار ظنوا انه في بعض الاعداء فاعلموا فضالة والاميرة عنيترة بذلك فصرخ زهير في بني عبس فما مكنته عنيترة من ذلك بل قالت له يا ملك ما هذا صواب فلا تضيع هيبة الملك بل أنا أركب وأكشف لك الخبر فان كانوا اعداءنا افنيناهم وان كانوا اصدقاءنا فيا بشراهم فلما سمع منها هذا الخطاب رآه في غاية الصواب ثم ان عنيترة ركبت في عاجل الحال وركب لركوبها ألف فارس من الشجعان (قال الراوي) لهذه السيرة الحجازية العجيبة وما سارت غير ساعة واحدة حتى التقت بعمها جرير وقد تقدم ليعلم بني عبس بما وصل اليهما من النعمة والمال والجمال وغير ذلك قال فلما وقعت عينه على عنيترة وقربت منه عرفته وترجلت في الحال ونزلت عن جوادها ونزل هو الآخر ايضا عن جواده واعتنق الاثنان وسلما على بعضهما بعض وما افترقا حتى وصل اليهما الخذروف وما معه من ذلك المال الممدود والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وسلموا على بعضهم البعض بعد ما ترجلوا على وجه الارض وعادوا بعد ذلك الى ظهور الخيل ولم يزالوا سائرين الى أرض الشربة والعلم السعدي وكانت عنيترة أرسلت بعض العبيد ليعلم الملك زهير (قال الراوي) فركب الملك في ساعة الحال والتقاهم في أطراف البيوت فتذكر جرير ملتقى الملك لاخيه عنتر فقال سبحان الحي الذي لا يموت ودخلت القوم الى داخل المضارب وقد أمنوا من النوائب والتقت الاحباب بالاحباب وأولمت بنو عبس الولائم ورتع فيها القاعد والقائم وخافتهم جميع العباد وصاروا احسن ما كانوا في أيام عنتر بن شداد وأحيوا ذكره بعد ما مات وشاع ذكر عنيترة بكل المحلات وصارت عنيترة تركب وفي خدمتها مثل جرير والخذروف وعمرو بن أمية المعروف وبقيت سائر النساء والرجال اليه تشوف لاجل ما فيه من البهاء والجمال وقد افتتن بحسنه النساء والرجال وصار يركب لركوب عنيترة اربعة آلاف فارس من بني قضاعة وعمرو يركب في الف فارس من بني ضمرة ورحات

من عندهم العربان وقد أمنوا من صروف الزمان وقعدوا في ديارهم وقد قر قرارهم وداموا على الافراح والمسرات واغتنام اللذات (قال الراوي) ولما رحلت العرب وأقامت بنو عبس في ديارهم قال جرير لعمرو اعلم يا بني اني كبر سني ومرادي أسير الى مكة المشرفة وأزور البيت الحرام وأجدد عهدي برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمرو وأنا أسير معك ثم ان عمرا استأذن اباه في المسير مع عمه جرير فأذن له في ذلك (قال الراوي) فسار الاثنان الى أن دخلا الى مكة فوجدوها قائمة على قدم وساق وقد زاد فيها الارعاد والابراق ونظروا الى جموع غزيرة فسألوا عن السبب الموجب لذلك فقيل ظهر بمكة رجل اسمه محمد صلى الله عليه وسلم يدعي النبوة وقد قام عليه أهل مكة وقريش ونفروا عن بكرة أبيهم ومرادهم ان يسيروا الى عند حبيب بن مالك يشكون له من أمره فقال جرير لعمرو سر بنا معهم حتى نراه ونعلم السبب وننظر ما يجري له مع العرب فنفروا بجملة من نفر وطلعوا مع أهل قريش وهم غارقون في السلاح (قال الراوي) وكان السبب في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي في الفلاة كان يتعبد في غار حراء الى ان بلغ أربعين عاما ونزل عليه أمين الوحي سيدنا جبرائيل عليه الصلاة والسلام فعلمه اول آية نزلت في القرآن العظيم وهي اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال لست بقارئ فقال ان الله سبحانه وتعالى ارسلك رحمة للعالمين وأنت رسوله الامين وأنا جبرائيل وان الله تبارك وتعالى يأمرك أن تبلغ قومك وتنذرهم وتأمرهم أن يتركوا كل معبود من دون الله تعالى فان كل معبود من دون الله تعالى باطل (قال الراوي) فرجع النبي صلى الله عليه وسلم وجميع ما مر عليه من حجر ومدر وشجر ورمل الجميع يقولون الصلاة والسلام عليك يا رسول الله فيلتفت فما يرى غير المذكورين فرجع الى بيت خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها وأخبرها بذلك فقامت وراحت الى خالها ورقة بن نوفل وكان على دين خليل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان حكيما عارفا فحكت له على ما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها يا خديجة ان كان ذلك وقع له فانه هو الرسول الاعظم والنبي المكرم المنتظر في جميع الكتب وبشرت به جميع الاحبار فاول من آمن به من النساء خديجة بنت خويلد وصدقت برسالته واول من آمن به من الشيوخ سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه واول من آمن به من الصبيان سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه واول من آمن به من العبيد بلال بن حمامة وكان أصله عبد الأمية بن خلف رأس الكفار فلما علم باسلام بلال صار يعذبه بعد ما يكتفه في رمضاء مكة فيمر عليه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فيسمعه يقول الله أحد فيقول له أمية يا بلال ان لم ترجع عن هذا الكلام والا جعلتك مطروحا الآكام فلما سمع أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ذلك الكلام توجه الى سيده أمية بن خلف وقال له الى متى تعذب هذا المسكين فقال له اعطني عبدا من عبيدك وخذه وكان عند أبي بكر الصديق عبد زنيم وهو على كفره مقيم فلم يسلم أبدا فدفعه اليه وأخذ بلالا عوضه وأعتقه وكان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذا صوت حسن هذا وقد اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين وهو يعرض نفسه على قبائل العرب من الموسم الى الموسم ويقول هل فيكم من يحمي ظهري حتى أبلغكم رسالة ربي فيأبون عن ذلك فأنزل الله عليه وأنذر عشيرتك الاقربين (قال الراوي) فجمع النبي صلى الله عليه وسلم عشيرته وعمومته ودعاهم الى عبادة الملك الديان وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان فشاع ذلك الكلام كله بمكة المشرفة واظهروا له العداوة والحقد والحسد قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بينما أنا ذات يوم من الايام خارج من شعب بني مخزوم اذا لقيني أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال لي يا عتيق ان صاحبك محمدا جمع قومه وعشيرته وأهله وقرابته ومن يتبعه من أحبته وليس يقول اني سيد وأمير حتى ادعى النبوة وقال اني نبي مبعوث من اله السماء وحق اللات والعزى والهبل الكبير الاعلى ائن داوم على قوله هذا ليكونن ذلك وبالا على قومه وعشيرته وكل من يتبعه (قال الراوي) فعند ذلك قال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يا أبا الحكم اني منذ أمس ما رأيته فقال له اريد منك أن تمضي اليه وتقول له أن يرجع عن هذا الكلام والا فقد دنا وباله وقرب دماره واني قد أضمرت له العداوة فقال أبو بكر ها أنا أروح اليه قال ثم اني سعيت الى أن أتيت الى دار

خديجة بنت خويلد فأقبلت وطرقت عليهم الباب فقالوا من بالباب فقالت أبو بكر فأسرعوا وفتحوا الباب
فدخلت عليهم واذا انا برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عمه أبو طالب والفضل بن العباس وجماعة من كبراء
قومه وباقي عمومته فسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الجماعة الحاضرين ثم جلست وجعلت أحدثه بما
سمعته من أبي جهل بن هشام لعنه الله فوثب أبو لهب وقال لاخيه العباس ما جلوسك هنا قم وخذ متاعك وأودع
مالك لاني أرى انه ستقع فتنة عظيمة كبيرة يكون لها صياح شرقا وغربا (قال الراوي) فلما سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم قول عمه أبي لهب والعباس أطرق الى الارض وقد نزل عرقه على جبينه كاللؤلؤ المنتظم فقالت
خديجة رضي الله عنها الا تهم نفسك وأنت تعلم ان خزائني مملوءة من الاموال فقم الآن واشدد عزمك وأنفق على
الرجال واجمع الابطال وقاتل من يعاديك فقال أبو بكر يا محمد هذه اموالي وما املكه الجميع بين يديك
وبحكمك وأنا وأهلي وعشيرتي تحت طاعتك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم جزاكم الله خيرا اعلموا اني منتظر أمر
ربي عز وجل (قال الراوي) فبينما هو يحدثهم اذ هبط عليه المطوق بالنور جبرائيل عليه الصلاة والسلام
فوقف له في الفضاء والهواء وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يتطاول عنقه ويشخص بصره
وتقع عمامته عن رأسه والرداء عن منكبيه لان جبرائيل عليه السلام كان ربما يهبط عليه في الصورة التي خلقه
الله فيها فنزل عليه مرة وقد نشر أجنحته وعمت أنواره الخافقين فحل عليه هيبة من ذلك من هيبة الله تعالى
فناداه السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك
جل جلاله وتقدست أسماؤه يا حبيبي يا محمد وصفوتي من بين خلقي ما خلقت خلقا أكرم منك علي ولا أفضل
منك ولا أجل منك أتفزع من مخلوق مثلك وأنا لك أنا الله الذي لا اله الا أنا خلقت جميع الخلائق ورزقتهم ولو
شئت لهديتهم أجمعين ولا تحزن ولا يدخلك رعب وعزتي وجلالي وارتفاعي في علو مكاني لاعضدنك
ولانصرنك في الدنيا ولادخرن لك العقبى حتى يدين بدينك العرب والعبد والحر وأخبرك بأن قريشا لابد
أن يخرجوك من مكة ويستعينوا عليك بالعرب ويأتوا بحبيب بن مالك بن صعصعة وانه سيقدم الى مكة في
عشرين الف عنان وسيدعو بك اليه فاذا دعاك فاخرج اليه من غير جزع ولا فزع فاني سأجعل لك آية
عظيمة ومعجزة تفتخر بها على كل من آمن بك وتبعك وتفضل بها على سائر أهل مكة ويتم نصرك ويعلو قدرك
وانه سيقدم ومعه ابنته سطيحة وانها بلا يدين ولا رجلين ولا سمع ولا بصر وتكون براءتها على يديك وانه قد زوجها
الملك من ملوك الارض يقال له عياض بن مرة وانه قد حمل اليها مهرها الف ناقة والف حجرة وألف
حصان والف عبد وألف جارية غير الاموال والاثاث وان ابن مرة قد طالبه بها ويريد أن يزفها عليه ويعلم انها
سطيحة بلا يدين ولا رجلين ولا سمع ولا بصر منذ خلقت وقال في نفسه أنا أريد أن أحملها الى الكعبة وأطوف بها
سبعة وأفيض عليها من ماء زمزم وانذر للكعبة نذرا ان عادت خلقا سويا وكان منذ خطبت يماطل زوجها
ويعده ويسوفه ويمنيه وقال في نفسه أريد أن أحضرها الى محمد بن عبد الله وأقول له ان كنت نبيا حقا ورسولا
أميا وقولك صدقا فاسأل الملك العلام أن يردها خلقا سويا كسائر النساء فان فعل ذلك آمنت بك وصدقت
برسالتك ودعوت قومي الى اجابتك وكنت لك عونا على كل من خالفك فان سألك فأجبه وعده بقضاء
حاجته وسل ما شئت فان ربك قريب مجيب قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أخي يا جبرائيل الا تقدر أن تهبط
علي في غير هذه الصورة فقال له جبرائيل عليه السلام في أي صورة تريد أن أهبط عليك فيها فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم في صورة رجل من أصحابي فقال له جبرائيل عليه السلام أنا أهبط عليك في صورة دحية
ابن خليفة الكلبي وكان دحية حسن الوجه ذا شعر حسن ووفرة جميلة وهو رجل تام الطول حسن الوجه
قال فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم فرحا وسري عنه الوحي ولم يخبر احدا من أصحابه بما أخبره به جبرائيل عليه
السلام وخرج أبو بكر رضي الله تعالى عنه ويده في يد عمر بن الخطاب ويد عمار بن ياسر رضي الله عنهم فقال
عمار لابي بكر أما تفتح اليوم حانوتك فقال لا والله من ذا تطيب نفسه أن يبيع أو يشتري حتى ينظر ما يكون من
أمر قريش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما كان من الغد ركبت مشايخ قريش ورؤساؤهم في مائة

وسبعين ألف سيد يقدمهم أبو جهل لعنه الله وبين أيديهم العبيد بالسيوف الهندية والدرق الجاوية والرماح
الخطية ومن ورائه الموالي على النجب السباق والخيول العربية العتاق وقد حملوا على المطايا الماء والزاد
وهم في أحسن زينة وأكمل عدة وأحمل سلاح فساروا حتى قدموا على بدر واذا بالملك حبيب بن مالك وهو نازل
على ماء بدر وقد طبق الارض ذات الطول والعرض وهو جالس بالخيم ومن حوله السادات والفرسان فلما
نظر اليهم عرفهم حق معرفتهم وأقسم وقال وحق اللات والعزى ما قدمت مشايخ قريش وساداتهم الدساكر
والصفوف الا وهم في مقام عظيم وخطب جسيم وحق الاله العظيم ما ألفوا الالوف واستعدوا بالدساكر
والصفوف الا على محمد بن عبد الله ثم ان القوم لما عبروا في الجيش وتخطوا بين الخيم وسعوا الى بساط
الملك حبيب وقفوا على بساط المضرب واستأذنوا عليه في الدخول فأذن لهم فدخلوا على الملك حبيب وهو غارق
في لبس الديباج الاخضر وهو جالس على كرسي من العرعر مصفح بالفضة البيضاء والذهب الاحمر وعلى
جسده حلل من الحلل النفيسة لبس الملوك الكبار وهو عظيم الباس شديد المراس عالم فاهم أديب لبيب وكان
رجلا طويلا وبطلا نبيلا وكان قد دخل في دين اليهودية وجادلهم ودخل في دين النصرانية وجادلهم ودخل في
دين المجوس وجادلهم ودخل في كل دين وقرأ في سائر العلوم والحكمة والبيان وكان فصيح اللسان واسع
العينين فنظر الى سادات قريش وهم يخطرون في حللهم ويجرون حمائل سيوفهم فترحب بهم وقال
لهم أهلا وسهلا يا سادات الحرم وأرباب الحطيم وزمزم وخير الامم فيما ذا قدمتم وأي شيء طلبتم فلكم الاكرام
والاحترام والاعظام قال فلما سمعوا كلامه وفهموا نظامه قام اليه أبو جهل لعنه الله وقال له أيها الملك
الكريم والرئيس العظيم اعلم ان الدين القويم هو دين اللات والعزى وما كان عليه آباؤهم الاولون
وما له ناصر غيرك لانه ما بقي من ذريتهم سوى المعاذ الملاذ لانك تعلم علما يقينا اننا أصحاب البيت الحرام
وزمزم والمقام والمشاعر العظام وان آبائي أهل العز والشرف والرفعة والصلاف ونحن بحقهم عارفون
ولقدرهم مجلون وقد ظهر فيهم غلام يتيم كفله جده عبد المطلب فلما مات كفله عمه أبو طالب وانه من حين
انتشأ فينا صار يكفرنا ويكفر بآلهتنا ويهزأ بنا وبديننا ولقد كنا نكف عنه أذيتنا حفظا لاهله وعشيرته
فطمع فينا بالمحال وهو يجتهد على هذه الفعال حتى انه نجز وقال اني مبعوث ورسول مرسل قد أرسلني اله
السماء والارض الى سائر المخلوقات من أسود وأبيض وأحمر وحر وعبد وانا نراه في كل وقت يشخص ببصره
الى السماء ويرتعد وتأخذه رجفة فظن ان به جنونا فنسأله عن ذلك فيقول ان جبرائيل الروح الامين يغشاني
فاحتار عقلنا في ذلك وها نحن قد جئنا اليك قاصدين وبك مستجيرين واليك مستندين والذي نريده منك
أن تدخل مكة وتنزل الابطح وتجمع مشايخ قريش ورؤساءهم وتحضر بني هاشم وتأمر باحضار هذا الغلام
وتجادله بين العرب فاننا نعلم انه لا يصل الى علمك ولا يثبت لحجتك فاذا وقف بين يديك وصمت عن جوابك نفيناه
من بيننا أو قتلناه فان طائفة من الناس كبيرة قد صبوا اليه ودخلوا في دينه وانا قد أحضرنا خلوف المسك
والزعفران مع ماء الورد والمسك والعنبر والكافور لوجوه خليكم وقد أحضرنا الرماد والبول والغم والسخام
لمن دخل في دينه وتبعه فان ذلك مما يزيدهم عارا قال فلما سمع الملك حبيب هذا الكلام أجابهم الى ما طلبوا
وضمن لهم ما أرادوا ثم انهم أقاموا عنده في ضيافته ثلاثة أيام وهم في أكل طعام وشرب مدام فلما كان في اليوم
الرابع أمر جيشه بالرحيل وخيامه بالتقويض وساروا جادين الى أن وصلوا الى مكة المشرفة وأشرفوا على
الابطح ونظروا الى تلك القباب والهوادج ولاحت لهم الاعلام والاهبة والعدد الملاح والامان والزرد والخود
والسلاح والخيل الملاح والجنائب ترف زفا والفرسان من فوق متونها صفا صفا وقد كان أبو بكر رضي الله تعالى
عنه خرج ذلك اليوم الى مكة ومعه المغيرة بن شعبة وأبو عبيدة عامر بن الجراح وكان رضي الله عنه خبيرا
بالرجال والسادات وعارفا بالبطون والفصيلات فكان اذا نظر الى الفارس عرفه وعرف بايديه ويعرف سائر
الاعلام والرايات واذا رأى ذلك يقول هذا فلان وهذا فلان وهذه راية فلان وهذا علم فلان بن فلان ولما
نظر القباب والهوادج وكثرة الرجال تميز الجميع فوجدهم عشرين ألف فارس غير الرجالة هذا وقد أقبل

الملك حبيب كما تقدم بالابطح وركز رايته ونصب سريره وجلس عليه وجيوشه وأرباب دولته حواليه ولما
علمت قريش بقدومه سارت اليه من كل شعب وواد وانتشروا في البر مثل الجراد أو السيل اذا انحدر على الواد
فسلموا عليه فرد عليهم السلام وقربهم وادناهم الى أعلى مقام واجلسهم بجانبه في صدر الديوان وقال هل بقي
من أهل مكة أحد لم يحضر هذا المحضر فقال ابو جهل لعنه الله لم يبق الا بنو هاشم وبنو عبد المطلب فانهم تخلفوا
استكبارا على الملك فقال حبيب لقريش امضوا واحضروا علي بن أبي طالب وأخبروا قومكم وعشيرتكم
بقدومنا فساروا اليه أربعون سيدا من سادات قريش وهم المشار اليهم فيهم راكبين على خيولهم وهم في همة
ورياسة وسطوة وحماسة فلما وصلوا اليه طرقوا الباب فخرج اليهم أبو طالب وفتح الباب ولما نظرهم قال
أهلا وسهلا بالاحباب ما شأنكم وما أتى بكم وما حاجتكم فقالوا له أجب الملك حبيب بن مالك أنت واخوتك
واصحابك ومن يلوذ بك من أحبابك فقال حبا وكرامة ودخل الى منزله ودعا بثيابه فلبسها وتزين بها فكان
منها قميص آدم عليه الصلاة والسلام ثم استدعى بعمامة اسمعيل ونعله ابراهيم الخليل ونعل سليمان بن داود
عليهم السلام ثم طلب اخوته وكانوا عشرة وهم العباس وحمزة وجحيل وعكرمة والحرث وعقيل وأبو لهب وعلي
وجعفر أولاد أبي طالب فلما حضروا عنده أخبرهم بما أمر الملك فقالوا له سر بنا اليه ولما أقبلوا على الابطح كان
مقدمهم أبو طالب ومن حوله من اخوته وأولاد عمه وعشيرته وقد حفتهم السكينة والوقار والهيبة والانوار
وارتفع مجدهم وعلا قدرهم فلما أتوا الى الابطح قامت لهم العرب على الاقدام وفرجوا لهم عن طريقهم ما بين
الخيام حتى وصلوا الى الملك حبيب وطلبوا الاذن في الدخول فأذن لهم فدخلوا وسلموا عليه فاحسنوا وتكلموا
فأبلغوا وافصحوا فرد عليهم السلام بعدما قام لهم على الاقدام وأجلسهم بجانبه ولما استقر بهم الجلوس
وكانوا أحسن زينة وملبوس ابتدأهم الملك حبيب بالكلام وقال يا بني هاشم ان جميع العرب لم تنكر شأنكم
وفضلكم واحسانكم وان الملوك بكم تستجير في كل أمر عسير ويفتخرون بفضلكم وكرمكم اذا مسهم
التقصير وان أكابرهم ورؤساءهم قد اجتمعوا الي وقصوا قصتهم وهم يشكون من ابن أخيكم الذي ظهر
فيكم وهو يزعم انه نبي مبعوث ورسول رب السماء وان الانبياء والمرسلين يأتون بالعلامات والبراهين
ويظهرون الدلائل والمعجزات ويكونون دالين على الخبر مخبرات ويجب على ابن أخيكم أن يأتي
بالمعجزات في هذا المحضر حتى يشهد له العرب من البدو والحضر ان كان بذلك له قوة قبل أن يتكلم ويدعي النبوة
فاذا نظرت العرب الى معجزاته ودلالاته صدقوا قوله واتبعوه وصاروا حوله وان كان مجنونا أو كذابا فليجب
عليكم أن تأخذوا على يديه وتردوه عن جنونه وتمنعوه عن مراده وتعلموا ان هذا شيء لا يتم على العرب ولا
على سائر أهل الرتب من ذرية ابراهيم الخليل فاني وحق الخليل قد منعت العرب عن قتله وعن تبديد شمله
وذلك حذرا من سفك دمائهم وترميل نسائهم وحفظا لكم واكراما لانسابكم وقدماء أسلافكم وفضلكم
وحسن أوصافكم وأما لو نشأ هذا الغلام عند غيركم من الاقوام وهو يكفر بآلهتكم العظام ويسب آباءكم
الكرام ويهزأ بكم وينهاكم عن عبادة أصنامكم لرأيتم ما يجري عليه وكنتم تسارعون بالاذية اليه وتسعون
في اهلاكه وتدميره فالواجب عليكم وعلى كباركم ان تحسنوا بين العرب الذين بجواركم وترضوا للناس ما ترضون
لأنفسكم ولا تنكروا فضل أرحامكم وأنسابكم فأجابه أبو طالب وقال أيها السيد الكريم ان ابن أخي لم يأتنا
كرها ولا جبرا وانما قال لنا يا بني عمي وأهلي وقومي يجب علي أن أنصحكم اعلموا اني قد جئتكم بآية من ربكم
واضحة ودلالة ظاهرة وهو اني أدعوكم الى عبادة رب العالمين الا تنظرون الى السماء كيف رفعها والى الارض
كيف سطحها والليل والنهار كيف خلقهما والشمس والقمر كيف أنارهما والنجوم والسحاب كيف سيرهما
ومع ذلك اني أقسم عليك أيها الملك بآبائك الكرام وأجدادك العظام أن تسأل العرب عما يعرفون منه من
محاسن الصفات وما كانوا يسمونه من صغره الى كبره وما ينقلون لك عنه فعند ذلك سأل الملك حبيب العرب
فقالوا له صدق ابن عبد مناف انا سميناه من صغره الصادق الامين فلما سمع أبو طالب كلامهم فقال يا ملك
الذي من صغره يسمونه الصادق الامين كيف يكون في كبره كذابا مهين فقال الملك حبيب هذا شيء لا يتفق

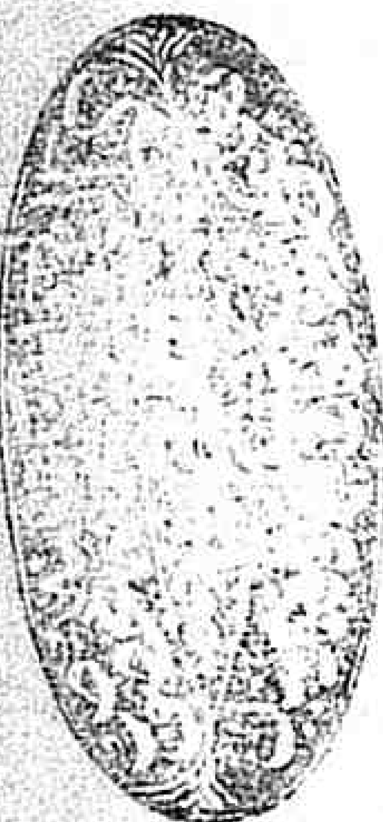
ولا يكون واني أحب أن أراه بالعيون وأسمع كلامه وأحقق وأسمع ما يقول ان كان عاقلا أو مجنون فقال له
أبو طالب ارسل اليه حاجبا من حجابك يدعوه اليك بين الاصحاب فاذا حضر فاسأله عن ذلك الارتياب فهو يرد
ذلك الجواب ولا يعجز عن الخطاب فدعا الملك بحاجب من حجابه وقال له امض الى دار خديجة بنت خويلد
وقف بالباب واطرقه فاذا اجابك أحد غير محمد فقل اني أريد محمدا فاذا خرج اليك فقل له ان عمومتك عند الملك
حبيب ويدعونك تحضر عندهم في الحين قريب وان الملك حبيب أراد أن ينظر الى شخصك وأوصافك ويسمع
كلامك وانصافك فنهض من بين الجماعة أبو جهل بن هشام لعنه الله وقال أيها الملك لا ترسل اليه الا جمعا كثيرا
حتى اذا لم يأتوا به طوعا أتوا به كرها فقال له حمزة والعباس وسائر أعمامه ويلك يا عادم السياسة ومستهجنا
بالرياسة ترى أي مخافة تكون عليه ونحن متقلدون بسيوفنا وان لم يأت في هذه الساعة مع الجماعة طوعا فمن
يقدر أن يأتي به كرها ونحن له سيوف قاطعة واسنة لامعة وأسود مانعة وانه الساعة لابد أن يحضر فاقصر
كلامك والا بطل ارغامك بما يظهر لك قدام الملك حبيب وقدام أصحابه فقال الملك لحاجبه امض لما أمرتك
فركب الحاجب فرسه وسار الى نحو خديجة بنت خويلد وتلك الديار فلما وصل طرق الباب طرقا خفيفا فطلت
اليه جارية من جواري خديجة فنظرته وعادت الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت يا مولاي ان رجلا بالباب كلا
له وجه يضيء ولباسه حسن وهو يدق الباب فقال سيد الاحباب امضي اليه واسأليه ما حاجته فخرجت اليه
الجارية وسألته فقال لها قولي لمحمد يريني وجهه فرجعت الجارية وأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بما قاله
الحاجب فوثب عليه الصلاة والسلام وفتح الباب فلما رآه الحاجب حصل له ارتياب وخفق قلبه وطار لبه
وطاش عقله وزاد رعبه فثنى رجله من الركاب وترجل عن دابته ومسك اذنه وتقدم الى النبي صلى الله
عليه وسلم واخذ يده فقبلها وقبل صدره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم روح وريحان وكرامة ورضوان فقال
له الحاجب يا سيدي أجب عمومتك فانهم عند الملك حبيب بن مالك وانه قد أحب أن يرى جمالك وينظر حسن
وجهك وبهاءك ويسمع الى حسن كلامك والفاظك ويتمنى منك الرضا فقال صلى الله عليه وسلم سمعا
وطاعة وحبا وكرامة لله عز وجل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل منزله ولبس أثوابه التي كانت جعلتها
له خديجة وهي قباطي بيض من قباطي مصر وتعمم بعمامته وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطيب لحيته
وعوارضه لان رائحته كانت أذكى من كل طيب بل كان يأخذ المسك والعنبر ويضعه في مفرقه وجميع شعر
رأسه وتردى برداء يلمع في غاية الرقة هذا وخديجة رضي الله تعالى عنها تنظر اليه ودمعتها قد بلت خدودها سارقة
عليه وزينب ورقية وأم كلثوم يبكين لبكائها بكاء غير مكتوم فهبط الامين جبرائيل عليه الصلاة والسلام في
الصورة التي خلقه فيها رب الانام وبيده حربة الغضب وله شعبتان يجب شعبة في المشرق وشعبة في المغرب
ونادى وهو نازل من الهواء السلام عليك يا أحمد يا محمد يا خير مولود وسيد المرسلين ان الله سبحانه وتعالى يقرئك
السلام ويقول لك وعزتي وجلالي ما أرسلت نبيا الى قوم أفضل منك ولا أكرم منك ولا أحب الي منك وانك
أنت نبي الرحمة وأمتك المرحومة ها أنا معك عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن فوقك ومن تحتك وعزتي
وجلالي لا يخلو مني مكان ولا يتكبر علي انسان امض الى هذا الرجل من غير فزع ولا جزع ثم أمر الله سبحانه
وتعالى الملائكة أن يسيروا حول النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سمعا وطاعة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلام
الملائكة الكرام ونظر اليهم وهو البدر التمام يتلألأ وجهه نورا ويتبسم سرورا وأوحى الله سبحانه وتعالى
الى الشمس أن انكسفي في وجه حبيبي محمد فانكسفت ولمع في وجهه نور حتى عم أهل مكة ولم يبق منزل ولا
علو الا ودخل به هذا النور وأوحى الله تعالى الى الكمال والبهاء والضياء والسناء والعز والفخار والوقار أن
اسعوا بين يدي حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم سار صلى الله عليه وسلم ونوره يزيد عن نور الشمس والقمر
وجبرائيل عن يمينه والملائكة يسيرون عن يساره ويقفون لوقوفه ويهللون بالتسبيح والتقديس حامدين
شاكرين لله رب العالمين ومازال صلى الله عليه وسلم سائرا حتى دخل الكعبة وصلى ركعتين في مقام الخليل
عليه الصلاة والسلام وخرج من الباب المعروف بباب النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الابطح وهو مزدحم

بالخيل والرجال فعظم ربه ذا الجلال والاكرام وكان لم يبق في مكة أحد الا وسلك هذه المسالك وقد خرج الى حبيب بن مالك لينظر مايتم بينه وبين بني هاشم ومايجري من هذه الامور العظائم وكان الملك حبيب جالسا على سريره العرعر واكابر قريش بين يديه والعشائر جميعا حواليه في عشرين ألف غضنفر وكلهم قيام ينتظرون قدوم النبي صلى الله عليه وسلم وقد سبقته الانوار وعمت جميع الحضار وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه بين يديه ولما وصل الى القوم جعل يخترق صفوفهم ويتخطى ألوفهم فهابوه ورهبوه تكريما له وتعظيما وقامت اليه قريش اجلالا له وتفخيما فلما رأى الملك حبيب هذا الشان وما كان من القوم وما فعلوه عند اقبال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم تعجب في نفسه وقال ان هؤلاء القوم أتتني سلاتهم الكرام وأشرافهم العظام وهم جميعا يشكون من هذا الرجل العظيم ويعتدون عليه التحليل والتحريم ومنهم جماعة يسبونه ويؤذونه ولما حضر فيهم رأيتهم يوقرونه وهذه الاشياء والله من علامات النبوة لامحالة ومن دلائل الهداية والرسالة وأنا أشهد انه نبي حقا ورسول صدقا ثم ان الملك حبيب أحضر له كرسيا من الذهب الاحمر مرصعا بأنواع معادن الجوهر ليجلس عليه النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه بيده الشريفة وأبى أن يجلس عليه وجلس على الارض وقال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال الملك حبيب في نفسه وهذه دلائل أخرى وهو التواضع وجلس النبي صلى الله عليه وسلم بجانب الملك حبيب فشخصت اليه الابصار وسكنت الحركات والآثار ونزلت الهيبة على النبي صلى الله عليه وسلم والوقار فابتدر الملك حبيب بالكلام اليه وقال يا أبا القاسم وما كان على وجه الارض من يكنى بهذه الكنية الا هو صلى الله عليه وسلم فانه سمى محمدا وكنى بأبي القاسم ولا يجوز لاحد أن يكنى بهذه الكنية الى يوم القيامة وكذلك عتيق كنى بأبي بكر ولقب بالصديق وكذلك على رضى الله تعالى عنه كنى بأبي تراب ولقب بحيدرة والكرار وألقابه كثيرة هذا ثم ان حبيب بن مالك قال يا أبا القاسم اعلم ان هؤلاء الشيوخ من أهل مكة وسادات قريش ذكروا عنك أنك تقول انك نبي مبعوث بالحق ورسول أرسلك ربك الى كافة الخلق من بدو وحضر وفرس وديلم وترك وعجم هل هذا صحيح عنك فقال صلى الله عليه وسلم نعم أرسلني بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فقال حبيب اعلم يا محمد ان لكل نبي معجزة وحجة وبرهان وآيات تدل على صدقه حتى يجب به الايمان فأما نوح عليه السلام فانه بعث الى أهل الارض وكانت آيته السفينة وصالح الى الملك جريج وكانت آيته الناقة وابراهيم بعث الى النمروذ وكانت آيته النار وموسى بعث الى فرعون وكانت آيته العصا وعيسى كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله فان أنت أتيت بآية كما أتى الانبياء من قبلك كنت من الصادقين ونتمسك بحبلك فقال صلى الله عليه وسلم أطلب ما شئت من الدلائل فربي على كل شئ قدير فقال له حبيب أطلب منك أن تسأل ربك أن يرد الليلة الصاحية ظلمة ويجعلها ذات كنادس وظلمات بعضها فوق بعض من كل ناحية الى الصباح فلا يكاد مخلوق ينظر الى ضوء مصباح ثم تصعد الى جبل أبي قبيس وتنادي للقمر ويكون في تمامه وكماله ثم انك تأمره أن يركض في السماء ركضا بليغا من مطلعه الى أن يقف على سطح الكعبة ثم يطوف بها سبعا ويسجد في مقام الخليل ابراهيم ثم تأمره أن يقبل عليك ويقف بين يديك ويكلمك بكلام فصيح عربي مبين لا يشكل على انسان ويسمعه القاصي والدان ويسلم عليك ويشهد أنك نبي حقا ورسول صدقا أرسلك الله تعالى كما زعمت ثم يدخل في زيقك ويخرج من ذيلك ويعود ثانيا ويدخل في زيقك ويخرج من كمك الايمن نصفه ومن الكم الايسر نصفه ثم يمضي نصفه الى المشرق والنصف الثاني الى المغرب ثم يعودان راكضين في السماء كركض الجوادين المسرعين ثم يلتقيان فيصيران بدرا كاملا مستنيرا كما كان في ليلة تمامه وكماله فقام أبو جهل لعنه الله عند تمام كلام الملك حبيب وجعل يشير اليه بكمه وهو يقول له أحسنت أيها الملك الكبير والمولى المشير والسيد الخطير فقد أفرحت القلوب وفرجت الكروب اذ أنت طلبت من محمد بن عبد الله ما لا يقدر عليه لا هو ولا كل أبويه فقال صلى الله عليه وسلم اخسأ يا كلب قومه وأخس عشيرته ثم أقبل على حبيب وقال له أطلب مني أقوى من ذلك فان ربي على كل شئ قدير فقال الملك حبيب يا محمد فلقد طلبت

منك ما فيه بلوغ المنى للسائلين ونيل الحكمة للمعتبرين قال فما تم هذا الكلام حتى هبط جبرائيل عليه السلام وقال يا محمد الله عز وجل يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك سل الملك حبيب عن ابنته السطيحة فأقبل صلى الله عليه وسلم على الملك وسأله عنها فقال ومن أعلمك بها فقال جبرائيل عليه السلام فقال حبيب يا محمد أيقدر ربك أن يعيدها خلقا سويا فقال نعم ان ربي على كل شئ قدير وقد وعدني أن يعيدها فتكون أحسن نساء قومها وأجملهن وأكملهن فقال له ان فعلت ذلك آمنت بك وأقررت برسالتك وأدعو قومي الى اجابتك وأكون داعيا الطاعتك فعند ذلك وثب صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين ودعا الله تعالى سرا بينه وبينه بعدما سلم ذات اليمين وذات الشمال وبعد ذلك قال للملك قم الآن وادخل الى بنتك وانظر ماذا صنع المولى بها فوثب الملك حبيب فدخل الى ابنته فوجد ابنته قائمة على أقدامها وهي كالقمر المنير زائدة المحاسن والاوصاف مسترسلة الشعور سالمة الاطراف وهي تقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندها خرج أبوها مسرعا وأتى الى النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يقبل رأسه ويديه وأسافل قدميه وقال له يا رسول الله أمهلني حتى تظهر معجزاتك التي طلبتها وبعدها أسلم أنا وقومي على يديك ولكن عدني في أي وقت يكون ذلك فقال له صلى الله عليه وسلم يكون ذلك عند غياب الشفق وسواد الأفق واني ما واعدت وأخلفت قط ثم قام عليه الصلاة والسلام وسار الى منزله وتبعه أهله وعشيرته وأعمامه وأبو بكر الصديق امام القوم يفرق الناس عن رسول الله حتى خرج من الابطح ومازال سائرا الى أن وصل الى الدار ودخل على خديجة فوجدها راكعة لله وساجدة وأدمعها تجري فقال لها لا تبكي يا خديجة فما هذا الخوف والقلق أتظنين أن الله عز وجل يسلمني الى عدوي كلا بل أنا الظافر وعدوي قاهر وبعد ساعة دخل عليه أبو بكر الصديق وهو مندهش فقال له يا سيدي يا رسول الله لاشك انك قد عاينت هذا الجيش وكثرة العشائر وانه لم يبق سيد في قومه ولا أمير في عشيرته الا وقد حضر وشهد عليك بما ضمنت فهل تقدر ان تظهر لهم ما قالوه وطلبوه فانه أمر عظيم فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر طب نفسا وقر عينا فان ربي على كل شئ قدير فقال له عمه أبو طالب يا سيدي يا رسول الله سألتك بالله لا تفضح هذه الشيبة فتصبح ذليلة بعدما كانت عزيزة ولا تفضح قومك بل أهل مكة وقبائل العرب فتصير فيهم شهرة وسبة وقال عمه العباس يا ابن أخي يا محمد اتق الله فينا وفي أهلنا يا محمد احفظنا واحفظ علينا عرضنا وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسكتوا يا قومي وعشيرتي ويا أهلي ويا أعمامي فاني ما أيست من رحمة ربي ثم قام الى محرابه وجعل يناجي ربه وهو ساجد راكع فهبط جبرائيل عليه السلام وقال له يا أخي يا محمد ارفع الآن رأسك ان الله عز وجل يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول وعزتي وجلالي لم أخلق خلقا أكرم على منك ولا خلقت شمسا ولا قمرا ولا ليلا ولا نهارا ولا فلكا دوارا الا كرامة لك يا محمد وعزتي وجلالي اني قد أمرت القمر بالطاعة لك من وقت أن خلقته وكونته ثم ان جبرائيل عليه السلام قال وها أنا يا أخي يا محمد واقف عن يمينك والحربة بيدي فاذا خالفك وعصاك محوته بها كما محوته أول مرة وكان شمسا فصار قمرا فقام صلى الله عليه وسلم ودخل مقام الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام وصلى فيه ركعتين ثم انه دعا ربه وصعد الى جبل أبي قبيس فعند ذلك نادت العرب جميعا وقالوا يا محمد قد أقبل الليل وغاب الشفق فمتى تظهر لنا معجزاتك فقال لهم حتى أصلي العشاء الاخيرة وأقضي فرض ربي عز وجل فلما صلى صلاة العشاء وفرغ من صلاته نادى في أهل القبائل وسائر المحافل والجحافل النازلين بالمناهل وكان صلى الله عليه وسلم معه أربعة رجال من بني هاشم وهم عمه حمزة والزبير وطالب وعقيل أخوه وقيل ان طالبا معدود بعقنب والمعتب يحسب بعشرة آلاف رجل قوية من الرجال العتية وانه كان يلقاهم وحده ويكون راجحا عليهم ويبلغ منهم ما يريد ويخرج منهم وهو سليم وكان الزبير أيضا سيد بني هاشم فلما نشأ علي كرم الله وجهه أغمد سيفه جميع الاسياف وقد أعطاه الله من القوة والبأس والهيبة والوقار ما لا مزيد عليه ولا يعرف له عيار وكانوا هؤلاء الاربعة الذين ذكرناهم محتاطين بالنبي صلى الله عليه وسلم خوفا

عليه من الاعداء المبغضين ولما أن كان وقت صلاة العشاء أذنوا بها وصلوا الجميع ولم يكن يومئذ بمكة من يوحد الله مع النبي صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء الرجال كانوا يعبدون الله سرا فنادى عند ذلك حبيب بن مالك وقال يا أبا القاسم قد صليت العشاء الاخيرة فاظهر لنا الآن ما قلته من الكلام وما ضمنته لنا من هذه الآيات العظام حتى نصدقك جميعا ونؤمن بك وبرسالتك ونقر بفضلك وتشملنا بركتك وتثبت عندنا مقالتك وتأتي بحجتك فمد النبي صلى الله عليه وسلم يديه الكريمتين وبسطهما ورفع طرفه الى السماء وقرأ ما تيسر وابتهل الى الله عز وجل فأوحى الله تبارك وتعالى الى الملك الموكل بالظلام أن يخرق مقدار سم الخياط فخرق الملك ذلك فاسود منه وجه الأفق وجميع الطرق وقد أظلم المشرق والمغرب وعم الظلام الروابي وسائر الآكام والبر والبحر وسائر السهل والوعر وما بقي أحد ينظر شيأ حتى باطن الكف وقد خمدت النيران وأظلم الخافقان فصاحت العرب بأجمعهم وقالوا يا محمد يا أبا القاسم أجرنا من شدة الظلمة فاشار النبي صلى الله عليه وسلم الى القمر بيده وقال له بأعلى صوته السلام عليك أيها المخلوق المطيع الدائر في الافلاك السريع اعلم انني أشهد انك آية من آيات الله عز وجل وعلامة بينة فاظهر لنا الآن ما فيك من المعجزة ومن الكرامة التي لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب نبي الله ورسوله فما أتم النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى رأوا القمر قد استنار واتسع وهبط وارتفع ثم انه جعل يركض في السماء مثل الجواد العربي ومازال يركض حتى وقف على الكعبة شرفها الله ثم انه كر راجعا الى جهة النبي صلى الله عليه وسلم ووقف بين يديه يهتز ساعة ثم انه سلم على النبي صلى الله عليه وسلم بلسان فصيح طلق وكلام مليح غير مغلق وقد سمعت الناس جميعا مقالته وما أحد منهم ينكر معرفته وهو يقول السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا حبيب الله أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا رسول الله ثم انه بعد ذلك الكلام انقض ودخل زيقه وخرج من ذيله وعاد ثانيا ودخل في زيقه وانشق نصفين فخرج نصفه من كمه الايمن وخرج نصفه الثاني من كمه الايسر ثم طلع كل نصف من جهة شرقا وغربا ثم ركض كل نصف في السماء مثل الجواد العربي ثم اجتمع النصفان بعضهما وصار اقمرا منيرا كاملا مستنيرا ثم نادى ثانيا بكلام فصيح أفصح من الاول وقال أشهد أنك حبيب رب العالمين وأفضل الانبياء وجميع المرسلين والشافع لامتك المذنبين وأنت ذخر للعاجزين والفقراء والمساكين فيا سعد من تبعك وأطاعك ويا شقاوة من عصاك وخالفك وقد فاز بالرضا والرضوان والمنى من عرفك ثم ارتفع الى مكانه ووقف في محله الجليل فقال الناس لابي جهل لعنه الله أما تنظر لهذه المعجزات الباهرات والآيات العظيمات فكيف تمادى مثل هذا وهذه افعاله وهذه الاقوال أقواله وهذه الاحوال أحواله فقال لهم أبو جهل اللعين ان هذا لسحر مبين وأما حبيب بن مالك فانه قال للعرب الكرام ومن اجتمع في هذا المقام هل بقي لكم على أبي القاسم حجة أخرى أما أنا فقد آمنت به وبرسالته وصدقت بنبوته وأنا أقول اشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم في ذلك اليوم سبعون ألفا وثمانون رجلا ووقعت المشاجرة بينهم وبين أبي جهل وأصحابه وجردوا السيوف وكادت الحروب أن تقع بينهم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم ويا بني عبد الله اعلموا اني قد بعثت بالرحمة ولم أبعث بالسيف والفتنة فسكنوا نفوسكم وأخلاقكم وكل من أطاع الله ورسوله يترك من يده السيف والرمح ومن خالف الله ورسوله يفعل كما يشاء ويا قوم امتثلوا الى ان يظهر لهم الحق المبين فسكتوا لما سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم ثم انهم انفصلوا من ذلك اليوم وكل منهم قد رجع الى موطنه ومضى حبيب بن مالك الى منزله بعد ان سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وزف ابنته على عياض بعد ان أخذ عليه شرط الايمان والدخول الى دين الاسلام فوافقه على ذلك وأخذوا في اصلاح حالهم فهذا ما كان منهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم فانه رجع الى منزله ودخل على خديجة بنت خويلد وبو بكر الصديق بين يديه فلما وصل الى منزله تلقته خديجة رضي الله تعالى عنها من باب الدار وقبلت صدره ويديه وقالت له يا سيدي اني رأيت لك معجزة أخرى فقال وما هي قالت لقد خاطبني هذا الجنين الذي انا حاملة به فقال لها سيدنا حمزة وما الذي

خاطبك به فقالت يا ابن الاطيبين كنت قلقة فناداني وقال لي يا هذا الجزع والقلق وبعلك محمد حبيب الله ورسوله وصفيه وخليله وهو المنصور المؤيد على أعدائه قال فتبسم صلى الله عليه وسلم من كلامها وقال ان الله تبارك وتعالى ما أعطى نبيا معجزة الا وقد أعطاني مثلها وخصني بها وكذلك أخبرني بها جبرائيل عليه السلام بان هذا الجنين الذي خاطبك وأنت حاملة به هي ابنتي وان الله عز وجل سماها فاطمة الزهراء وهذا ما انتهى الينا من معجزاته صلى الله عليه وسلم في انشقاق القمر وقيام السطيحة لسيد مضر عليه افضل الصلاة وأفضل التسليم وأنشد بعضهم يقول



ألا معشر الاسلام يهنيكم البشرى * نبيكم شق الاله له البدرا
وقد امتحنوه الجاهلون بجهلهم * أرادوا به كيدا فاعقبهم خسرا
وأوحى له الرحمن ان سطيحة * بدار أمير القوم فادع لها تبرا
فقام رسول الله صلى وقد دعا * وقال أيا من يعلم السر والجهرا
الهي الهي قومها فأصبحت * كعادتها تمشي سويا على الغبرا
فقامت باذن الله تزهو كأنها * هلال مضيء كامل حسنه بدرا
واخواننا في الدين قد آمنوا به * اماما أمينا صادقا ناطقا جهرا
وقد كان هذا من الست بربكم * سعيدون في الدنيا شهيدون في الاخرى
وهذا أبو جهل اللعين بجهله * رأى معجزات المصطفى ظنها سحرا
وقد قال عنه ان هذا الساحر * وأسرارهم لا تستطيع له أمرا
وصاروا عليه حاقدين صدورهم * وصلى عليه الله أعلى له ذكرا
فكم ناله من ربه من كرامة * فكانت له فتحا وآخرها نصرا
وكان امام المرسلين وكهفهم * وأولاهم فخرا وأعلاهم قدرا
وأرحمهم قلبا رؤفا بقومه * اذا اظهروا غيظا يضاحكهم بشرا
وفي يوم بدر والحديبية التي * أتى مدحهم في الذكر مذ شاهدوا بدرا
وقد بايعوا المختار عهدا موافيا * له واشترى الرحمن ميثاقهم طرا
وأولاهم دار السلام فهم بها * نعيم مقيم لا تجوع ولا تعرى
وأعداؤهم في النار طرا وكلما * أتت أمة للنار تلعنها الاخرى
وأمته في الحشر تحت لوائه * فلا مسهم برد ولا يشتكوا حرا
ويدعون بالتسبيح والحمد والثنا * فشكرهم حمد وحمدهم شكرا
وتفرح أصحاب النبي اذا غدت * تسير مع المختار في جمعهم طرا
ومن غاب منهم يذكره كلامه * ويسجد تحت العرش سجدته الكبرى
ويكفيه فخرا اذ يقول أنا لها * ورؤيته الرحمن في ليلة الاسرى
ويشفع في كل العصاة ولم يدع * سوى مشرك بالله يتبعه الكفرا
عليه صلاة الله ثم سلامه * سلاما زكيا فائقا رائقا عطرا
مدى مدة الدنيا ومادام أهلها * وان زالت الدنيا فدامت الاخرى
كذا الآل والاصحاب ما الشمس أشرقت * ومادامت الظلماء يعقبها فجرا

(قال الاصمعي) ولما انتهى الامر من انشقاق القمر وآمن من آمن بسيد البشر قال جرير لعمرو بن أمية الضمري ها أنت أبصرت المعجزات وبعينك رأيت وقد عرفت طريق الهدى فاذا شئت اهتديت فهل أنت على ما عزمت عليه من الدخول في دين الاسلام فقال له عمرو نعم رضيت بذلك وارتضيت فقال جرير وأنا كذلك ثابت عليه وعنه لا أحيد ثم انه أخذ عمرا في يده وسار وامن وقتهما وساعتهما ودخلا مسجد النبي صلى الله عليه

وسلم فوجدوه بين أصحابه وهو مثل البدر بين الكواكب فسلما عليه وقالوا يا رسول الله قد جئنا اليك لندخل
فى دين الاسلام ونبلغ المطالب بين الأنام وكل منا لا يقبل ملام فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم لهما وقال
أهلا وسهلا ومرحبا بمن يصير أخانا فى الاسلام ويعرف الحلال من الحرام ثم مد يده صلى الله عليه وسلم ووضعها
فى يد جرير ويد عمرو وبين أيديهم وقد أسلم جرير وعمرو وفرح النبى صلى الله عليه وسلم لذلك الامر ثم ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال يا جرير من هو اليوم ملك بنى عبس وعدنان فقال يا سيدى هو فضالة بن مالك بن زهير
فقال ان فضالة من أصحابنا ولنا زمن ما رأيناه وهو من أحبابنا ثم انه ساله وقال له ومن هو حامية عبس اليوم
فقال يا رسول الله هى بنت أخى عنتر واسمها عنيترة واسم أمها الهيفاء وتكنى بقناصة الرجال أخت عمرو ذى الكلاب
القضاعى وان بنت أخى عنيترة الآن فى شجاعة قوية وفروسية جرية ومروءة أبيه وفى حمية وأى حمية فقال
له النبى صلى الله عليه وسلم تقدم عندى يا أبا الافراح لان فيك الخير وقد بان لى من فعالك النجابة وقد جعلتك من
سعاة المسلمين وقد جعلت عمرا هذا ابن أخيك مقدما على جميع سعاتى لانى سمعت عنه عجائب فى السعى والشطارة
والقوة والشجاعة وهى من بعض صفاته ثم مد يده الكريمة صلى الله عليه وسلم ومر بها على جسد جرير فازداد
بذلك قوة وشطارة وانبساطا واشتد على السعى جلاده وأكمد بذلك مبغضيه وحساده وصار جرير يغدو مثل
الجواد السارح أو كالطير السارح وأقام بمكة هو وعمرو ابن أخيه وهما ملازمان الركوع والسجود وفرحا
برؤية سيدنا محمد الذى هو فى جميع صفاته محمود ونسيا أهلهما والجنود (قال الراوى) فهذا ما جرى لهؤلاء
(وأما) ما كان من حديث الخذروف بن شيبوب فانه كان مقيما عند بنى عبس هو وزوجته أمية أم عمرو بنت
عطارد أمير بنى ضمرة وكان قد سافر ولدها عمرو وصحبة عمه جرير الى مكة كما ذكرنا فطال غياب ولدها عنها
وشكت ذلك وبان هذا الامر منها وذكرنا ان من شدة فرح جرير وعمرو بدين نبى الهدى لم قدرا أن يفارقا
رؤية وجه النبى صلى الله عليه وسلم اليوم أو غدا وكانا فى كل ساعة ينظران الى وجه المظلل بالغمام وقد رسخ فى
قلوبهما حب الاسلام وأنساهما ذلك أهاليهما والقرائب وسائر عشيرتهما والحبايب وأقاما فى أهنا عيش
وسرور ولذة وحبور وقد بلغ كل منهما طالبه ومناه وشكر على ذلك مولاه (قال الراوى) ولما زاد بامية زوجة
الخذروف الفراق والنكد والحسرة على الولد واشتد بها الامر شكت الى بعلها الخذروف غياب ولدها عمرو
وصار فى قلبها لهيب النار وصارت تبكى الليل والنهار (قال الراوى) فلما رأى الخذروف منها ذلك أخذ عبيده
الذى أتوا مع زوجته أمية وتجهز للسفر الى مكة شرفها الله تعالى وجد وسار وتبطن فى البرارى والقفار ليلا ونهار
مدة خمسة أيام وفى اليوم السادس أشرف الخذروف على مكة ودخل واجتمع بولده عمرو وبعمه جرير وشكا
لهم شوقه اليهما بعد ما سلم عليهما وقد لام عمه جريرا وولده عمرا على كثرة الغيبة وكيف طول أمية على غياب
ولدها بالحسرة والخيبة فقال له جرير يا ابن الاخ قد أشغلنا عنكم الدخول فى دين الاسلام والنظر الى وجه المظلل
بالغمام ومشاهدة زمزم والمقام وكل من أسلم فاز بالجنة دار السلام ويبقى فى النعيم الاكبر والعز الاوفر
والرأى عندى يا ابن الاخ انك تبادر الى الدين القويم والصراط المستقيم والفضل العظيم (قال الراوى) فلما
سمع الخذروف مقال جرير وفتحت فى وجهه أبواب السعادة والتيسير وانشرح صدره للاسلام بلا تعسير وقد
اشتاق الى رؤية وجه المظلل بالغمام البشير النذير وبعد ما كان عمى عن ذلك الامر عاد بصير وباتوا تلك الليلة
والخذروف يهتف بالاسلام فى يقظته والمنام ومازال كذلك الى ان انفجر الصبح بالابتسام وقام جرير
والخذروف وعمرو وقصدوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه المسجد وسلم جرير على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتقدم عمرو بن أمية الضمرى وقال يا رسول الله هذا أبى الخذروف قد جاء اليك وهو على دين
الاسلام ملهوف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا به يا عمرو (قال الراوى) فتقدم الخذروف وأسلم
على يد النبى صلى الله عليه وسلم وشاهد وجه المظلل بالغمام وشرح الله صدره للاسلام وأضاف النبى صلى الله
عليه وسلم الخذروف الى سعاته وأنزله فى بعض أبياته وقال لعمرو بن أمية الضمرى ولد الخذروف يا عمرو وانت
المقدم على جميع السعاة فأمر اباك أن يسير الى بنى عبس ويأمرهم بالقدوم الى ليسلموا على يدى وكذلك عنيترة

تكون من جملة المهاجرين الى الدخول فى دين رب العالمين فقال عمرو لرسول الله صلى الله عليه وسلم نعم
ما قلت وما به علينا أشرت ثم ان عمرا أمر اباه أن يسير الى بنى عبس ويميل قلوبهم الى الاسلام (قال الراوى)
فسار الخذروف طالبا أرض الشربة والعلم السعدى وبقى جرير حتى يرسله النبى صلى الله عليه وسلم لبعض
قبائل العرب وبقى عمرو بن أمية الضمرى مقدم السعاة وصار كلما طلب رسول الله حاجة يرسله فيها حتى افتخر
على أبناء جنسه (قال الراوى) وأما الخذروف بن شيبوب فانه سار حتى وصل الى أرض الشربة والعلم السعدى
ودخل الى زوجته أمية وطمن قلبها على ولدها عمرو وحكى لها على ما صار لهم من الامر وعن اسلامه هو وجرير
وولدها عمرو وقال لها أنا ما جئت الا لكى آخذك وأسير الى مكة ونقيم فيها باقى أعمارنا بالنا وعيالنا وجمالنا
ونوقنا ومتاعنا فعند ذلك فرحت أمية بذلك الكلام وأكثرت الضحك والابتسام وقالت له نعم ما فعلت
بذلك فى دين الاسلام وأسلمت من وقتها وساعتها وفرح الخذروف بتلك الهداية والانابة واجتمع بابنة عمه عنيترة
وحكى لها على ما جرى له من الامور العظام ودخوله فى دين الاسلام وأعلمها باسلام جرير واسلام عمرو واسلام
جميع العرب وانهم قد تواموا من كل قفر وسبسب الى خدمة النبى صلى الله عليه وسلم المنتسب والرسول المنتخب
صاحب الحسب والنسب وانه قد أطاعته أرباب المعالى والرتب وفرحوا باسلامهم على يد خير الأنام عليه
أفضل الصلاة والسلام (قال الراوى) وقد علم بذلك فضالة وعمرو ذو الكلاب وعتيبة بن حصن ومالك وزخمة
الجواد ومن بقى من أعمام فضالة الامجاد ومن جماعة بنى عبس وبنى قراد الاجواد (قال الراوى) ولما
سمعوا بحديث الاسلام من الخذروف بن شيبوب مالت اليه منهم القلوب واجتمعوا بعنيترة واستشاروها ليعرفوا
رأيها وقالوا لها يا أم الزعازع وأبوة الوقائع ما عندك من الرأى وبماذا تأمرينا فقالت لهم الرأى عندى اننا
نسير الى حضرة هذا النبى العربى وهو أجل نبى وأعلى مطلبى فعند ذلك قال فضالة بن قيس بن زهير وعتيبة
ابن حصن بن مالك وزخمة الجواد وورقة وجماعة قليلة من بنى عبس الذين حضروا بمكة فى أول الامر وكتموا
اسلامهم كما ذكرنا فيما تقدم فلما تحقق الخبر من الخذروف وارتضت عنيترة دين الاسلام قالوا لها والله يا أميرة
نحن على دينه من مدة طويلة وأيام عديدة ولنا زمان نكتم أمرنا فوافقينا على ذلك لننجوا من الشرك والمهالك
فلما سمعت عنيترة ذلك مال قلبها للاسلام واشتاقت للنظر الى وجه المظلل بالغمام فعندها أجابتهم فى الوقت
والساعة وفرح بذلك الجماعة وأسلم عمرو ذو الكلاب وأخته قناصة الرجال وأسلم أكثر بنى قضاعة
وأسلمت بنو عبس عن بكرة أبيهم وأسلم منهم جماعة من بنى غطفان وفرسان كثيرة من بنى ذبيان وأسلم فى
تلك الساعة خلق كثير وقد عولوا الجميع على المسير (قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا هم بجرير قد أقبل
من نحو البر أسرع من الطير الذى يطير وأقبل على بنى عبس وهو ينادى البراز البراز أيها الاخيار الى مكة
والاسلام على يد المختار صاحب المعجزات والانوار فهو سيد زمزم والمقام والمشاعر العظام والبيت الحرام (قال
الراوى) فلما سمعوا قوله عرفوه الجميع الرفيع منهم والوضيع (قال الراوى) وكان السبب فى مجى جرير الى
أرض بنى عبس هو حديث عجيب وأمر مطرب بديع غريب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد
قد أرسل جريرا الى بعض قبائل العرب لكى يدعوهم الى الاسلام ويامرهم أن يحضروا كلهم الى عند زمزم والمقام
وليعرفوا الحلال من الحرام فسار جرير من وقته وساعته وطاف فى قبائل العرب وشوقهم الى نظر النبى المنتسب
والرسول المنتخب وسار الى بنى هوازن وجشم وسليم وصار العباس بن مرداس السلمى طالب بنى عبس ومعه
خفاف بن ندبة ودثار بن روق وأما دريد بن الصمة فانه أبى أن يسير معهم لما سبق له من الشقاوة وقال أكون شيخ
العرب من بعد ما ومن اقترب وأحول عن مذهب العرب فهذا لا يكون أبدا ولا يشمت بى أحد من العدى
وكان قوله هذا لاجل شقاوته وعمى قلبه لان الله تعالى قد أضله وجعل النار مستقره وموطنه
وموطن كل من طاوعه على كفره وجهله (قال الراوى) هذا ولما سار جرير يطلب قبيلة بنى عامر لم يجبه أحد
منهم ولا تبع مقاله لانه قدمنا ذكر كفر عامر بن الطفيل وكيف انه طلب قتل النبى صلى الله عليه وسلم ودعا
صلى الله عليه وسلم عليه ومات عامر لعنه الله وجعل النار مثواه (قال الراوى) ثم سار جرير بعد ذلك من ديارهم

بريد بنى عبس لانهم قد فروا منه وما زال كذلك سائرا حتى أتى فى ذلك الوقت الذى أسلم فيه الجماعة ولما وصل
جرير الى بنى عبس وجد عندهم العباس بن مرداس السلمى ودينار بن زروق وخفاف بن ندبة وكانوا قد سبقوه الى
بنى عبس واستبشرت بنو عبس لما نظروه وفرحوا به غاية الفرح واتسع صدر كل واحد منهم وانشرح واعلم
بنو عبس و بنو قضاعة جريرا أن سائر العرب أسلموا الجميع الرفيع منهم والوضيع (قال الراوى) فعند ذلك
أخبروا جريرا أن الخذروف أخبرهم عن الاسلام وانهم أسلموا ففرح جرير بذلك وأثنى عليه وقال لهم جرير خذوا
أهبتكم الآن للسير وسرعة التشمير فعندها أخذ الجميع أهبتهم للسفر وكل منهم قد فرح واستبشر وأقاموا
يجهزون حالهم ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع استقبلوا الطريق وما بقى لهم عائق يعيق ولم يبق فى العلم السعدى
وأرض الشربة لا ديار ولا من ينفخ النار وساروا الجميع طالبين مكة والخذروف قد شدّ لزوجته أمية على بعض
الجمال هودج وهو بالزينة يرهج وقد دارت بالهودج العبيد والغلمان والخدم وكل فارس محتشم والخذروف راكب
على جواد أدهم أقب أرخم بغرة كالدرهم وفى خدمته جماعة من عبيده وكذلك ركب جرير على جواد أحمر له
غرة كأنها كوكب الصبح اذا أسفر فقال جرير والله ما أركب على جواد وأنا فى خدمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيد العباد الهادى الى طريق الرشاد فقال له الخذروف يا عماه اركب الى أن تصير بالقرب من مكة
فتقدم امامنا وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومنا (قال الراوى) فاستحسن جرير ذلك من الخذروف
ابن شيبوب وركب ذلك الجواد وسار جميع بنى عبس بالاموال والعيال والنياق والجمال وما زالوا سائرين
حتى وصلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه ما أتى به من الاحكام وهو يبين لهم الحلال من الحرام
وسمعوا ما يقوله من الاقوال وهم قيام خاضعون بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة المشرفة حماها
الله تعالى وزادها حرمة واكرام فنظروا الى الاصنام وقد اندثرت والاوثان قد رميت فعندها دخلوا فى الاسلام
رغبة فيه وأحبوه غاية المحبة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الحرام جالسا بين أصحابه كأنه البدر
بين الكواكب فتسارع كل أحد منهم اليه وهو طالب فى تقبيل أياديه راغب فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم
وفرح باسلامهم وقد جددوا اسلامهم عليه وأظهروه بين يديه وأسلم فى ذلك الوقت العباس بن مرداس
السلمى وخفاف بن ندبة ودينار بن زروق وجميع من وصل من بنى عبس وعدنان و بنى قضاعة الشجعان وأسلمت
عنيترة وجددت اسلامها هى وخالها عمرو وذو الكلب وأمها وأعمامها وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من
عظم صورتها وكثرة هيبتها مع ما سمع عنها من قوتها وشجاعتها وفروسيتها وبراعتها فتبسم النبى صلى الله عليه
وسلم فى وجهها وقال يا عنيترة ان قاتلت فى الاسلام مثل ما كنت تقاتلى فى الجاهلية ضمنت لك على الله الجنة
فقالت يا رسول الله وحرمة دين الاسلام لاقاتلن بين يديك قتالا تقصر عنه الاوهام وتعجز عنه جميع الانام فدعا
لها رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال لها بارك الله فيك يا أم الزعازع وقواك على قتال الكفرة اللئام فى سائر
المعامع وضربت بنو عبس خيامهم فى مكة فى المنزل المعروف بهم طول الزمان وأقاموا هنالك فى أمان واطمئنان
هذا والخذروف قد نظر الى ابنة عمه عنيترة بعين المحبة فأراد زواجها وقد زاد فيها رغبة وأى رغبة ولما زاد به الامر
وهو من مزيد شوقه اليها والعشق يتلظى على الجمر وأراد أن يتزوج بها على زوجته أمية فقصد الى زهير بن قيس
وأعلمه بذلك القصد وقال له يا ابن العم أريد منك أن تخطب لى عنيترة بنت عنتر لانى قد اشتهيت ذلك قبل أن
أموت وأقبر فقال له زهير السمع والطاعة ولابد أن أدعوها الى وأشاورها فى هذه الساعة فقال له جرير أيها الملك
امض أنت اليها واخطبها وفى رغبها (قال الراوى) فعند ذلك قام زهير ودخل على عنيترة من وقته وساعته
وشاورها فى زواجها بابن عمها الخذروف وأعلمها انه على زواجها ملهوف فقالت له أيها الملك المفضال معاذ
الله أن أتزوج أبدا ولو شربت كأس الردى ولا أشمت بى العدا (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير ذلك من عنيترة
لم يرد عليها جوابا ولا خطابا وخرج من عندها واعلم الخذروف بذلك فزاد به الامر وعلم انه هالك لا محالة ويدنو منه
العمر فقام من وقته وساعته ودخل على النبى صلى الله عليه وسلم وقبل يديه وسلم عليه وعلى من كان حواليه
وقال يا رسول الله أريد أن أتزوج بابنة عمى عنيترة على سنة الاسلام فانى يا رسول الله بها مستهام زائد الغرام

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فى الحلال من عيب ولا رهبانية فى الاسلام ثم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنفذ خلف الاميرة عنيترة عبده بلال بن حمامة يدعوها اليه فسار بلال فى الوقت والساعة ودخل عليها
وبدأها بالسلام فردت عليه بالتحية والاكرام فقال لها أيها الاميرة ان النبى صلى الله عليه وسلم يدعوك اليه
وأن تحضرى بين يديه فقالت له سمعا وطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ثم انها أقبلت تهرول نحو المسجد
وبلال خلفها وهى أمامه وما زالت عنيترة سائرة الى ان وصلت الى النبى صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه وقالت
له السلام عليك يا صاحب المعجزات ويا من أنزلت عليه الآيات فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك
السلام ورحمة الله وبركاته اجلسى يا أم الزعازع وأبوة المعامع فجلست عنيترة واستقر بها الجلوس فقال لها النبى
صلى الله عليه وسلم اعلمى يا عنيترة انه لا رهبانية فى دين الاسلام وأريد أن تقبلى منى نصيحتى وتتزوجى بابن عمك
الخذروف قال فلما سمعت عنيترة ذلك استحت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله افعل
ما تحب وتختار فلست أخالف لك أمرا أبدا يا صاحب الانوار قال فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم ودعا بالخذروف
وزوجه بابنة عمه عنيترة على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرح بذلك الخذروف غاية الفرح واتسع
صدره وانشرح وعمل الخذروف لولائم وأكل منها القاعد والقائم وزفت عنيترة على الخذروف وحظى
منها بذلك الحسن والجمال والبهاء والدلال (قال الراوى) وأما أمية والدة عمرو فانها أقامت بعد زواج الخذروف
بعنيترة سبعة أيام وهى مريضة من الغيرة وتوفيت الى رحمة الله تعالى على دين الاسلام واستقرت بنو عبس وعدنان
بمكة حول النبى صلى الله عليه وسلم وما عادوا رفعوا لهم راية فى البر أبدا ولا أقاموا عمدا ولا ضربوا لهم وتدا وكانوا
يحضرون الغزوات مع المسلمين فى سائر الاوقات ثم هاجروا مع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة الشريفة
ولما فتحت مكة رجعوا اليها وأقاموا فيها (قال الناقل) وأما الامير عمرو وذو الكلب فانه طلب من رسول الله صلى
الله عليه وسلم الاذن فى المسير الى دياره والاوطان لينظر أهله والخلان فأذن له بذلك وسار عمرو وذو الكلب
ومعه بنو قضاعة الابطال بعد ما ودع عنيترة و بنى عبس وسار من معه قبل طلوع الشمس وهو طالب بلاد شريف
وسار سيرا عنيف وقد كساهم الاسلام حلة التشريف وأما قناصة الرجال فانها أقامت عند بنتها عنيترة فى بقية
بنى قضاعة الابطال تحضر الغزوات وتصلى الصلوات المفروضة مع الجماعات وقد حسن اسلامها وأكثرت
من صومها وقيامها (قال الراوى) ورزق الخذروف من عنيترة خمسة أولاد فى دين الاسلام اسم أحدهم شيبوب
والثانى عمرو وثالثهم الهطال ورابعهم ميسرة وخامسهم غضوب وكل واحد كأنه ريح الهبوب أو كالماء اذا
اندفق من ضيق الانبوب واذا ركب جوادا يقاتل قتال الاسد الوثوب ويناضل مناضلة النمر الكلوب وقد
قاتلوا مع والدتهم عنيترة فى الاسلام وأقاموا كذلك مدة من الزمان وعدة من الايام وهم يقاتلون فى ركاب
سيد الانام ورسول الملك العلام ساقى أهل الكفر كأس الحمام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام
ما غرد القمرى وما ناح الحمام ثم توفى جرير فى بعض الغزوات وأقام الخذروف بعده مدة سنة ومات وقد
حزنت عليه عنيترة حزنا عظيما وكانت تقاتل مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سائر الغزوات وتطلب الشهادة فى
سائر الاوقات وما زالت كذلك الى ان قتلت فى غزوة الاحزاب وماتت شهيدة على السنة والكتاب وبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فحزن عليها وقال زملوها فى ثيابها التاقى الله وهو عنها راض يوم القيامة لانها قد
فازت بكل الكرامة وسار عمرو بن أمية الضمرى مقدم سعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم على
اخوته من أبيه أولاد عنيترة وكل منهم له صولة ومقدرة وصارت بقية بنى عبس تقاتل مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى سائر الغزوات الى أن قتل الملك زهير بن قيس فى بعض الغزوات وقتل ابن حصن فى غزوة
تبوك ولما قتل زهير تأمر بعده ولده ياسر وكان قد رزقه من امرأة تزوج بها فى الاسلام من [illegible]
والانصار فرزق منها ياسر اهذا وقد حكم على بنى عبس ومن تبقى منهم وأقام كذلك مدة خمسة أعوام وقتل فى بعض
الغزوات وخلف ياسر ولدا اسمه عمار بن ياسر العبسى وهو من جملة الصحابة المذكورين (قال الراوى) وأما
قناصة الرجال فانها أقامت بعد ابنتها ثلاثة أعوام وماتت على دين الاسلام ودفنت فى بطحاء مكة بقرب البيت الحرام



(قال الراوى) فهذا ما جرى ههنا من الكلام (وأما) ما كان من عمرو ذى الكلب فانه بعد مسيره من مكة الى بلاده بثلاثة أعوام اشتاق الى أرض زمزم والمقام فسار بمن معه من بنى قضاعة الى أن وصل مكة المشرفة شرفها الله تعالى وطلب منازل بنى عبس فلما أقبل عليهم سلموا عليه وقبلوا يديه وقد سمع به أولاد عنترة فأتوا أيضا اليه وسلموا عليه وبل شوقه بهم وبكوا على والدتهم عنترة بكاء شديدا ما عليه من مزيد وكذلك بكى على أخته قناصة الرجال والماشى عمرو ذو الكلب غلب عليهم من البكاء سار الى المدينة المنورة ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن قتل عمرو ذو الكلب فى بعض الغزوات وقضى نحبه ومات وقد مات أيضا منهم جماعة وبقى من بنى عبس وبنى قضاعة بعض جماعة وصار الحاكم عليهم الامير عمار بن ياسر بن زهير بن قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن بغيض بن عيسى بن غيلان (قال الراوى) وقد صار عمار بن ياسر بن زهير هو الحاكم على الجميع الرفيع منهم والوضيع وأولاد الخذروف الخمسة الذين هم من عنترة قد صاروا كبراء بنى عبس وأما عمرو بن الخذروف وهو ابنه من أمية الشهور بانه عمرو بن أمية الضمرى فانه كان رأس القوم وكبيرهم والحاكم على بنى عبس وأميرهم وكان الامير عمار بن ياسر يستشيره فى كل الاحوال ويستشيره أيضا أمر الابطال وقد كثر الاسلام واشتهر الايمان وانكسرت الاصنام وبان الحلال من الحرام وصار عمرو بن أمية الضمرى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعلى مكان وهو المقدم على سائر السعاة والفرسان وأما الامير عمار بن ياسر فقد صار من كبراء الصحابة وممن يشار اليه وكل من كان من بنى عبس من زمن الجاهلية فانه قد اتبع دين الاسلام وتركوا ما كانوا عليه من الضلالة ومن فعل الحرام وتركوا أيضا شرب المدام ثم تقلبت بهم الدهور والايام حتى شربوا كأس الحمام بعد أن نالوا ما نالوا من العز والمنعة والقوة والثروة والمجد والرفعة وقد من الله سبحانه على من بقى منهم بالدخول فى دين الاسلام حين بثت أنوار سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فسبحان من لا تغيره الليالى والايام ولا مرور الشهور ولا توالى الاعوام ولا يغفل ولا ينام وهو الذى يحيى العظام ويجرى الاقلام وهو الذى خلق الشمس والقمر والليل والنهار وفجر الانهار وأنبت الاشجار وخلق الوحوش والاطيار وكل شئ عنده بمقدار العالم بما كان وما يكون الذى أمره بين الكاف والنون وبقدرته سقى القرون الماضية كاس المنون وأدار عليهم من الموت كؤس الفنا وأبادهم كغيرهم ممن صار واسيرا وأنبا وتفرد سبحانه وتعالى بصفة القدم والبقاء (قال الناقل) لهذه الروايات والفنون فقد رأيت من سير الاولين وأخبار المتقدمين وما نقل عن القرون الماضين ما فيه عبرة لاولى الالباب وحكمة بالغة يدرى المتدبر بها عين الصواب وقد تمت هذه السيرة العنترية كاملة القوافى الشعرية منسجمة النثر حماسية الشعر فكاهية الاخبار بديعة الآثار اللهم صل على سيدنا محمد كما أمرتنا بالصلاة عليه وسلم على سيدنا محمد كما أمرتنا بالسلام عليه يارب العالمين اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا ممن فاز بمتابعته واتم بشريعته واقتدى بصحابته واهتدى بسنته اللهم أوردنا حوضه وأرنا وجهه ولا تحرمنا شفاعته واجمع بيننا وبينه فى مستقر الرحمة والرضوان برحمتك ياذا الجلال والاكرام (قال مؤلف) هذه السيرة الحجازية وهو الاصمعى رضى الله عنه كان الفراغ من تأليفها يوم الجمعة المبارك فى أواخر جمادى الثانى سنة ٤٧٣ من الهجرة النبوية فى أيام الخليفة أمير المؤمنين هرون الرشيد العباسى وقد أرشدنى الى تأليفها رغبة فى سماع قولها ونثرها ونظمها وقد جمعت ما عندى من الاوراق مما سمعته عن سيرة عنترة بن شداد المشهور فى سائر الآفاق وأضفت اليه ما رأيته بعينى ورتبت القوافى على بعضها بحسن نظام من غير زيادة ولا نقصان وانتقيتها من زبدة الكلام وهذه السيرة الحجازية قدرويتها بروايات قوية عن الحمزة وعن أبى طالب وعن عمرو بن معديكرب الزبيدى وعن حاتم طى وعن امرئ القيس الكندى وعن هانى بن مسعود وعن حازم المكى وعن عبيدة وعن عمرو بن ود العامرى وعن دريد بن الصمة وعن عامر ابن الطفيل فانه بعد عنتر تداولت أفعاله على ألسن العرب فالذى رأيته وسمعته صرت أكتبه عندى بالاوراق من أشعار ومن أفعال والذى ما رأيته ولا سمعته فهو ترتيب القوافى على بعضها والله أعلم بالصواب

بعونه تعالى تم طبع السيرة العنترية المسماة بالحجازية وذلك [illegible] الهجريه بالمطبعة الشرفيه

